



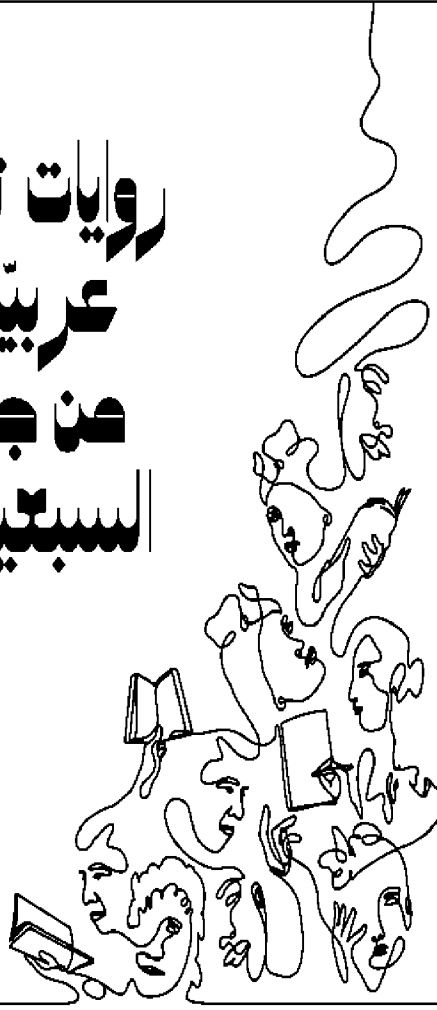
المجلس العربي
للعلوم الاجتماعية

Arab Council
for the Social Sciences
Conseil Arabe
pour les Sciences Sociales

روايات نساء عربيات من جيل السمبونات



روايات نساء عربيات من جيل السبعينات



تحرير: أحمد والي

إشراف: هدى الصدة

صدر عن المجلس العربي للعلوم الاجتماعية
بناية علم الدين، الطابق الثاني
شارع جون كينيدي، رأس بيروت
بيروت، لبنان

2025 ©



المجلس العربي
للعلوم الاجتماعية
Arab Council
for the Social Sciences
Conseil Arabe
pour les Sciences Sociales

هذا العمل متوفر تحت رخصة المشاع الإبداعي نسب المصنف 4.0 دولي (CC BY 4.0). وبموجب هذه الرخصة، يمكنك نسخ، وتوزيع، ونقل، وتعديل المحتوى من دون مقابل، شرط أن تنسب العمل إلى صاحبه بطريقة مناسبة (بما في ذلك ذكر اسم المؤلف، وعنوان العمل، إذا انطبقت الحالة)، وتوفير رابط الترخيص، وبيان إذا ما أجريت أي تعديلات على العمل. لمزيد من المعلومات، الرجاء مراجعة الترخيص هنا: <https://creativecommons.org/licenses/by/4.0>

إن التسميات المستخدمة في هذا الكتاب وطريقة عرض المواد فيه لا تعبر ضمناً عن رأي للمجلس العربي للعلوم الاجتماعية بشأن الوضع القانوني لأي بلد أو إقليم أو مدينة أو منطقة، ولا بشأن سلطات هذه الأماكن (أو رسم حدودها أو تخومها).

إن الأفكار والآراء الواردة في هذا الكتاب هي آراء المؤلفات ولا تعبر بالضرورة عن وجهات نظر المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، ولا تلزمه بها.

المحتويات

6.....	المقدمة: هدى الصدة
--------	--------------------

سرديات من الأردن

14.....	أسمى خضر: العمل الفردي لا يُحدث تغييرًا
19.....	أمل الصباغ: كلمة نسوية لم تعد تُهمة
21.....	آمنة الزعبي: النسوية ليست إحسانًا، بل تسعى لتغيير واقع المرأة
24.....	تغريد حكمت: لا يوجد مجال حصري للرجال
27.....	خالدة مصاروة: لا بد من إرادة سياسية لإحداث أي تغيير
29.....	خديجة الحباشنة: كوتا المرأة ضرورة
35.....	خزامى الرشيد: تداعيات "أيلول 70" لا تزال مستمرة
40.....	دعد معاذ: العمل التطوعي كان مدخلي لقضايا المرأة ووجدت حريتي في الرياضة
42.....	ربيعة الناصر: يجب أن تكون المكتبة مكانًا للاستمتاع
45.....	ريم أبو حسان: قراءة القانون بعدسة الجندر كشفت التمييز الصارخ ضد المرأة
47.....	ستيل هلسة: مجتمعنا يحتاج إلى نساء قيادات من الجيل الجديد
49.....	سهير سلطي التل: ربط تحرر المرأة بتحرر المجتمع بهالشكل الميكانيكي أكبر خطأ
52.....	سهيلة بهلوان: من الوجودية إلى الماركسية والعمل النسوي
54.....	عبلة أبو علبه: التوافق النسوي ضروري لتحسين أوضاع المرأة الأردنية
56.....	عيدة المطلق: خطاب نسوي يشبهنا، هل هذا ممكن؟
59.....	لوسين تامينيان: دراسة الواقع والبناء عليه... هكذا يمكننا التغيير
61.....	ليلى نفاع: قضايا المرأة أكبر من حسابات السياسة
63.....	نهى المعاينة: لا توجد لدينا حركة نسائية
64.....	هدى الفاخوري: النساء مظلومات ولا بد من قوانين تنصفهن
68.....	هيفاء البشير: حركة نسوية بلا عمل جماعي لا تمثل ضغطًا

سرديات من العراق

72.....	آمال كاشف الغطاء: من يعطي المرأة حقها في الإرث؟
74.....	انتفاضة مريوش: أين حقوق الأقليات الدينية في العراق؟
77.....	بخشان زنكنة: النسوية يجب ألا تكون ضيقة الأفق
80.....	بشرى الحكيم: القوانين لا ترحم المرأة العراقية
82.....	سعاد الجزائري: الحركة النسوية العراقية تعمل في بيئة معادية

86	شروق العبايجي: سياسة بلا طائفية.. هل هذا ممكن؟
90	عامرة البلداوي: الدولة لا تهتم بالجنس
92	عفيفة لعبي: رغم كل ما يحدث عندي أمل
94	عواطف رشيد: لا يمكن إنكار تأثير كوني امرأة على حياتي
102	فاتن الجراح: المسرح يكشف خلل المجتمع
105	فريال الكليدار: ما تحكيه الأزياء
108	لاهاي الدعمي: العراق لا يزال يختار طريقه
111	منى سعيد: "الرجعية" تتصدى للحركة النسوية العراقية
115	نرمين عثمان: في البصرة أو كردستان حقوق المرأة واحدة
118	نوال ناجي يوسف: الأمل بالشباب
121	هنا إدور: يجب أن يقود الشباب الدولة والمجتمع المدني

سرديات من سوريا

130	أميرة حويجة: كان بدّي أغيّر هذا الكون للأفضل
133	بسمة قضمانني: قضايا المرأة لا يمكن تأجيلها بأيّ حجة
138	رولا الركبي: السورية تحمل بيتها وهمها وبن ما راحت
140	ريما فليحان: المرأة صاحبة الصوت العالي مستهدفة
143	سوسن زكّك: لن تنتهي الدولة الشمولية إلا بتدمير الذكورية
145	شهادة مُجهلة: الحرب السورية أعادت قضايا المرأة إلى الصفر
149	لمى قنوت: الثورات تغيّر حياة الناس
151	ميّة الرحبي: بالأمل والتفاؤل نحيا ونعمل

سرديات من فلسطين

156	إصلاح جاد: تاريخيًا مصدر شرعية الحركة النسوية الفلسطينية هو مقاومتها للاحتلال
162	آمال خريشة: نتحدى ما يفرضه الاحتلال على النساء وممارسات المجتمع الذكوري أيضًا
173	انتصار الوزير: الحركة النسوية بدّها نفس طويل حتى تجسد أفكارها
176	أيلين كُتاب: تحدينا الأهم الموازنة بين البُعدين الوطني والنسوي
182	جيهان الحلو: أي حراك لا بد أن يكون له جانب توعوي
187	دلال سلامة: مجتمع صحي لا يمكن أن يكون من دون مشاركة المرأة
196	ريتا جقمان: الاحتلال يعوق الحركة النسوية
199	ريما نزال: هذه هي رواية المرأة الفلسطينية كلما ناضلت كسبت اجتماعيًا
202	زهيرة كمال: أكره الظلم الذي تعانيه نساؤنا وعلينا إنهاء أسبابه

210	سعاد العامري: كنساء بدّنا ثقة بأنفسنا لا أكثر ولا أقل
216	سلوى أبو خضرة: أملي كبير في شابات الحركة النسوية
218	سما عويضة: عندنا إرادة نسوية، ولكن تنقصنا الإرادة السياسية
225	سهام البرغوثي: قضيتنا عادلة لكن بدّنا نعرف كيف نستثمرها
236	سوسن شنار: الحركة النسوية يجب أن تشتبك مع واقع النساء
240	فادية الحلّته: تمكين المرأة ببساطة هو ما يدعمها اقتصادياً
242	فيرا بابون: يجب أن نكون مناضلات قويات في حقوق المرأة
246	لنا أبو حجلة: الأولوية هي بناء شخصية شبابنا
252	ليزا تراكلي: ليس فرضاً على النسوية أن تكون جزءاً من حركة نسوية
255	ماجدة المصري: الكوتا حل مؤقت حتى يتدرب المجتمع على وجود النساء
258	منتهى جرار: أهمية العمل لصالح مسنات لا يعولهنّ أحد

سرديات من لبنان

262	أردا أرسنيان: لبنان بلد الفرص الضائعة
264	إقبال دوغان: في كل طبقة وطائفة المرأة مظلومة
266	بهية بعلبكي: المسألة بدّها وقت
269	جومانة مرعي: العمل على قوانين مدنية قد يكون طوق النجاة للمرأة اللبنانية
272	جين مقدسي: الطبقة الحاكمة صلاحيتها انتهت
275	دلّال البزري: لبنان مولّع
278	رباب الصدر: تجاهل حقوق الناس يجلب الفساد على البلاد
280	عايدة نصر الله: قضايا المرأة غير معزولة عن السياسة
282	عزة شرارة بيضون: تهميشنا في المجالات العامة لم يكن إلا نتيجة التمييز
286	عفيفة السيد: أحلام اللاعنّف
289	فاطمة سبيني قاسم: خلاص لبنان الوحيد فصل الدين عن الدولة
291	ماري الدبس: الطائفية سبب التمييز ضد المرأة
294	منى فياض: بدّنا دولة
296	مود اسطفان: بحث دائم عن الموقع المُناسب
298	نجلاء حمادة: مع العدالة للكل
300	نعمت كنعان: المواطنة وسيلتنا الوحيدة للنجاة
302	نهلة الشّهال: انتفاضات 2019 لم تصنع بدائل قوية
306	نهلة عبد الله حيدر: كل شيء سياسي بلبنان طائفي للأسف
309	هدى زريق: تغيير أوضاع المرأة بتوسعة الرؤية
311	وداد حلواني: إجازة من حياة "وداد المفقودين" ... هل هذا ممكن؟

سرديات من مصر

- إكرام يوسف: عندي أمل في التغيير..... 316
- آمال عبد الهادي: أهمية بناء حركة نسوية..... 331
- أمانى الطويل: المجتمع في خطر..... 341
- أمنية النقاش: حرة زي الرجل..... 346
- جليلة القاضي: نمرّ بعصر من عصور الاضمحلال..... 350
- راوية صادق: مرعوبة إن أفكاري تبقى متحجرة..... 367
- زينب الحضري: متشائمة، لكن لازم يكون فيه أمل..... 375
- سمية عدلي: العشوائية خطر بعد كسر حاجز الخوف..... 393
- سهام بنت سنية وعبد السلام: لا توجد حياة سياسية مدنية جادة..... 397
- سهام نجم: لا يوجد حراك نسوي... المناخ العام لا يساعد..... 402
- سوزان فياض: ثورة يناير ردت لى الروح..... 410
- شهرت العالم: مع المساواة العادلة بين المرأة والرجل..... 417
- شهيرة محرز: 300 متظاهر خاضوا مسيرة طويلة حتى حدثت الثورة..... 420
- شوقية الكردي: المستقبل ليس وردياً..... 433
- فاتن فضة: لا بد ألا نؤجل المطالبة بحقوق المرأة.. التعليم مثلاً..... 438
- فريدة النقاش: لا شيء ثابت إلا التغيير..... 443
- كريمة كمال: المجتمع مقفول عليه..... 451
- ليلى سويف: مدرّسة متفرغة للرياضيات ومهتمة بالشأن العام..... 456
- ماجدة عدلي: عندنا حركة لا حراك نسوي... تأثيرها قليل، اتساعها الجغرافي محدود..... 467
- منى بيكر: الأعراض الجانبية لمقاطعة إسرائيل..... 479
- منى ذو الفقار: أن تقدّم للمرأة حلاً بالقانون..... 485
- منيرة صبري: رغم المعاناة... سعيدة أنني كاتبة مهتمة بالشأن العام..... 500
- نادية عبد الوهاب: كل جيل أدرى بمعاركه..... 505
- نولة درويش: نفسي الناس تطلع من العالم الافتراضي وتروح الواقع..... 515
- هالة شكر الله: كنّا نحلل الثورات في ورشة حين قامت الثورة..... 520
- وفاء المصري: لا أعمل بشكل نسوي..... 528

المقدمة

هدى الصدة *

يحتوي هذا الكتاب على سرديات تاريخ شفوي لنساء عربيات من جيل السبعينات، جمعت في إطار مشروع إنشاء أرشيف تاريخ شفوي جندري عربي عنوانه "أرشيف التاريخ الشفوي الجندري العربي: الجندر والسرديات التاريخية البديلة وإنتاج المعارف"، تبنّاه المجلس العربي للعلوم الاجتماعية بالتعاون مع الجامعة الأميركية في بيروت. الهدف المباشر هو توثيق روايات نساء عربيات من جيل السبعينات عن التغيير وتطور الدولة الوطنية ما بعد الاستعمار والحركات النسوية في العالم العربي، وذلك من خلال عقد مقابلات شفوية مع نساء انخرطن في العمل السياسي أو الحركات الاجتماعية أو المبادرات ذات الطابع العام، إما بوصفهنّ فاعلات أساسيات أو بوصفهنّ داعمات من واقع عملهنّ واهتماماتهنّ. الهدف طويل الأجل هو الإسهام في إنتاج مصادر تاريخية جديدة تؤنق تاريخ العالم العربي من منظور جندري وتحافظ عليه، وتدعم الأبحاث المبتكرة التي تضيف معارف جديدة عن السياسات الجندرية وتشكيل الهويات الجماعية وتطوّرها في العالم العربي¹.

تكوّن فريق العمل من هدى الصدة، باحثة رئيسية ومستشارة المشروع، وست باحثات هنّ: دينا كرداشة من الأردن، وناي الراعي من لبنان، وعلياء الرباني من مصر، ونهلة النداوي من العراق، وجويل حاتم من لبنان، وربما شبيطة من فلسطين. بدأ العمل في العام 2019 وجرى الاتفاق على توثيق 120 مقابلة من المشرق العربي كمرحلة أولى في المشروع بواقع نحو عشرين مقابلة من البلدان الآتية: لبنان، وفلسطين، ومصر، وسوريا، والأردن، والعراق. تخلّلت العمل على المشروع انقطاعات وصعوبات عدّة بسبب الكوارث التي عصفت بالمنطقة من حروب ووباء وانفجار صرفاً في بيروت.

اعتمد المشروع مفهوم الأجيال الذي طرحه كارل مانهايم² باعتباره عدسة نظرية لتوثيق المسارات الحياتية لمجموعة من الأفراد الذين تجمعهم خبرات وأحداث عايشوها معاً وتأثروا بها على المستوى السياسي والاجتماعي والمعرفي، ما يسمح بإعادة كتابة التاريخ بناءً على سرديات شخصية والتصدي للسرديات الكبرى في التاريخ الرسمي الوطني. هذا، بالإضافة إلى أنّ مفهوم الأجيال يستخدمه كثيرون، وبالأخص الرواة والمتخصصون، كوسيلة لتعريف الذات ولتحديد موقع الرواية في السرديات العامة أو الرسمية. كانت البداية مع مانهايم ثم مرّ المفهوم بمراحل عدّة. نتبنّى هنا تعريفاً لمفهوم الأجيال بوصفه مفهوماً مشكلاً ثقافياً، أو مثلاً لـ "تشكيلات خطافية بناءً على مفهوم الخطاب عند فوكو"³ ما يستدعي الوعي بالاستبataكات النقدية مع مفهوم الأجيال والابتعاد عن التعريفات الجامدة. باختصار، مفهوم الأجيال هو نقطة انطلاق وفئة تحليلية محفزة لإعادة التفكير في ما يعتبره بعضهم

1 مشروع توثيق سرديات شفوية لنساء عربيات من جيل السبعينات هو جزء من مشروع طموح لإنشاء أرشيف تاريخ شفوي جندري عربي عنوانه "أرشيف التاريخ الشفوي الجندري العربي: الجندر والسرديات التاريخية البديلة وإنتاج المعارف"، نفذه المجلس العربي للعلوم الاجتماعية بالتعاون مع الجامعة الأميركية في بيروت بدعم من مؤسسة اندرو ميلون. في هذا الإطار ويهدف دعم البحث في مجال الأرشيف، نظم المجلس ورشات عمل وتدريبات في منهجيات العمل من منظور الجندر في التاريخ الشفوي. كما شكّل مجموعة عمل عنوانها "جندرة الأرشيف العربي" في المجلس العربي للعلوم الاجتماعية عهدة ورشة عمل في آذار/مايو 2022 وصدر عنها كتاب جندرة الأرشيف العربي في تشرين الأول/أكتوبر 2025، (تدريج مجموعة العمل على جندرة الأرشيف). يضمّن الأرشيف الجندري مشروعاً ثانياً توثيق تاريخ دار الفس العربي للنشر والتوزيع عبر مقابلات لأشخاص أسهموا في دار النشر أو تأثروا بها.

كل السرديات الشفوية متاحة على موقع الأرشيف الجندري في الجامعة الأميركية في بيروت.

2 Karl Mannheim, "The Problem of Generations," in Essays on the Sociology of Knowledge: Collected Works of Karl Mannheim Vol V, edited by Paul Kecskemeti. (Routledge 1936; reprinted 1997, 2000).

3 Aboim, Sofia and Pedro Vasconcelos (2014) "From political to social generations: A critical reappraisal of Mannheim's classical approach," European Journal of Social Theory, 17 (2): 165-183, p. 1.

بدهنياً أو عادياً أو طبيعياً. فبالإضافة إلى المرحلة العمرية التي يستهدفها المشروع، هناك مرونة واتساع رؤية يتيحان الانتباه لتجارب قد تكون خارج المرحلة العمرية المحددة، ولكنها تجارب تتسق في كثير من الأحيان مع خبرات جيل السبعينيات من حيث المواقف والوعي بالأحداث وتطوراتها، ما يتيح عقد مقارنات بين الأجيال المتقاربة زمنياً، هذا مع اعتبار التباينات والاختلافات داخل الجيل الواحد. بالإضافة إلى ذلك تنتمي البحوث في المشروع إلى جيل الثمانينيات أو التسعينيات، وهو الأمر الذي ينضوي بالضرورة على تأسيس لعلاقة مقارنة بين طرفي المقابلة.

جاء اختيار الروايات وفقاً لمعايير عدّة من أهمها: انخراطهنّ في العمل العام أو الحركات الاجتماعية أو المبادرات المجتمعية إمّا بوصفهنّ فاعلات أساسيات أو بوصفهنّ داعمات من واقع عملهنّ واهتماماتهنّ، تنوع التجارب والخبرات؛ بالإضافة إلى معايير لوجستية مثل إمكانية التواصل مع الروايات التي تنطبق عليهنّ المعايير. ولكن نجد أنّ معظم الروايات من العراق ينتمين إلى الفكر الشيوعي أو كنّ عضوات في أحزاب شيوعية، وكثيرات من الروايات من مصر ينتمين إلى الفكر اليساري. هناك غياب واضح للنساء المنتميات إلى التيارات الدينية بشكل عام. هل السبب مرتبط بمعايير الاختيار، أم بالبحاث وتوجهاتهنّ، أم بأسئلة البحث وأهدافه، أم باللحظة التاريخية التي شهدت انقسامات حادة بسبب الصراعات المتأججة في المنطقة؟ هل نستطيع القول إنّ هذه الروايات ممثلة عن المجتمع المصري أو العراقي أو الأردني؟ بالطبع لا، ولكنها ممثلة عن قطاعات مهمة شاركت في تشكيل الوعي وفي تحديد مسارات عديدة. هذه أمثلة من أسئلة كثيرة يثيرها الدريشيف، أسئلة مطروحة للبحث والتدقيق، لا نسعى هنا إلى تقديم إجابات أو تحليل معطيات، لكن نوثق سرديات ورؤى ونتيجها في أرشيف وندعو الباحثات والباحثين إلى الاشتباك النقدي مع المحتوى، بل وإضافة سرديات جديدة.

بعض المقابلات طويلة وأخرى قصيرة نسبياً، هذا مع العلم أنّ لقاءات كثيرة عُقدت بين عضوات فريق العمل للاتفاق على حدود مدة المقابلة والأسئلة وجميع الأمور اللوجستية والموضوعية ذات الصلة. تتأثر المقابلات بعوامل عدّة: الباحثة، وشخصية الراوية، واهتمامها بمشاركة تفاصيل عن أحداث أو آراء. نجد أنّ بعض الروايات يملنّ إلى الاختصار والتركيز على رؤوس الموضوعات، في حين أنّ أخريات يسهبين في الحكى والتطرق إلى التفاصيل الدقيقة. تغطي الأسئلة المطروحة مراحل مختلفة، لكنّ الروايات يخترن الإسهاب في تذكّر بعض المراحل ويقتصرن في مراحل أخرى. هذا جزء من عملية التذكر المرتبطة باللحظة الزمنية وأيضاً بتوقعات الراوية إزاء ما هو مهم أو مفيد في لقاء بعينه في مشروع محدد، كما قد يعبر عن الهمّ الشاغل للراوية في الفترة التي جرى فيها اللقاء. بشكل عام، جميع المقابلات تتأثر بالظرف الزماني والمكاني، بالإضافة إلى عوامل آنية شعورية أو صحية، كلّها تتداخل في تحديد شكل الرواية ومسارها.

على الرغم من وجود الياحات في البلدان المضمتة في المشروع (بإستثناء سوريا)، واجهنا صعوبات في الوصول إلى بعض الروايات بسبب وجودهنّ خارج البلد لأسباب سياسية أو في مدن بعيدة. ثم جاء وباء كوفيد-19 ليضيف صعوبات جديدة مثل الخوف من اللقاءات المباشرة الشخصية. وعليه قررنا الاعتماد على المقابلات الافتراضية عبر منصة "زوم" في حال تعذر اللقاء الشخصي. لم يتسوّ للباحثة المعنية بمقابلات سوريا إتمام العدد المرجوّ من اللقاءات لأسباب متعلقة بالوضع السوري آنذاك واعتبارات الأمان الشخصي للراويات وعائلاتهنّ، واختارت رواية سورية عدم ذكر اسمها.

قررنا في المجلس العربي للعلوم الاجتماعية نشر المقابلات في شكل كتاب مع تحريرها بهدف تيسير عملية القراءة ومتابعة الأفكار الرئيسية وذلك من خلال إعادة ترتيب بعض الفقرات وحذف الأجزاء المكررة، وتوضيح بعض الألفاظ، هذا مع الإبقاء على لغة الراوية بلا تعديل. جميع المقابلات منشورة باللهجة العامية كما رويت بإستثناء مقابلة واحدة للدكتورة عزة شرارة بيضون التي طلبت إعادة كتابة المقابلة باللغة العربية الفصحى. المقابلات الكاملة متاحة في أرشيف التاريخ الشفوي الجندري في الجامعة الأميركية في بيروت.

فرضيات مشروع التاريخ الشفوي للنساء العربيات من جيل السبعينات

عاصرت النساء العربيات من جيل السبعينات أحداثاً وتحولات جذرية في التاريخ العربي المعاصر حيث بدأ تشكّل وعيهنّ السياسي في الستينيات وبدأن حياتهنّ العملية في السبعينيات. استفادت نساء كثيرات من هذا الجيل من فرص التعليم العام، ودخلن مجالات العمل المختلفة، وذلك وفقاً لتغيرات مهمة في القوانين في معظم البلدان العربية والتي فتحت المجال العامّ أمام النساء العربيات في فترات متقاربة إلى حد كبير (مع الأخذ في الاعتبار التباين في الظروف والتوقيتات بين الدول العربية، والجمود الذي اتسمت به قوانين الأسرة مقارنة بالقوانين المتعلقة بالمجال العامّ). شاركت بعض نساء الجيل في الحركات الطلابية الوطنية والدولية، واختبرن وقع هزيمة 1967⁴ وما تلاها من خيبة أمل وفقدان الثقة في وعود الدولة الوطنية العربية. عشنّ لحظات عاصفة وتقلبات سياسية فاصلة في الصراع العربي الإسرائيلي في السبعينيات، توقيع اتفاقية كامب ديفيد، وتقلبات جذرية في السياسات الاقتصادية في بعض البلدان العربية حين تبنت بلدان عربية، مصر على سبيل المثال، سياسات الانفتاح الاقتصادي والتحول من اقتصاد اشتراكي إلى اقتصاد رأسمالي. إنّ توثيق روايات وتجارب نساء من جيل السبعينات وإفساح المجال لسماع أصواتهنّ من شأنهما إلقاء بعض الضوء على فترات مهمة في تاريخنا تعرّز فهمنا لتلك المراحل أو تطرح أسئلة جديدة. وستُسهم هذه الروايات في فهم مواقف وسرديات عن مآلات دول ما بعد الاستعمار العربية ومسارات الحركات النسوية في العالم العربي، وأيضاً عن التغيرات المتصورة عن الأدوار الجندرية.

وفي الوقت نفسه، نضع أمام أعيننا أنّ أي حديث عن العالم العربي أو النساء في العالم العربي يجب أن يأخذ في الاعتبار اختلافات مهمة في المسارات التاريخية والسياقات والنظم السياسية. ومن ثم، كل ما ورد أعلاه يتطلب قدراً كبيراً من التمييز بناءً على اختلاف البلاد واللحظات التاريخية الفاصلة، كما يتطلب التمييز على أساس الاختلافات المتعلقة بالجنس أو بالطبقة أو الموقع الجغرافي أو المستوى التعليمي أو الوضع الوظيفي أو الأسري ومستوى الانخراط في المجال العامّ. ومع اعتبار كل ذلك، ما زال في استطاعتنا الحديث عن نساء عربيات من جيل السبعينات، نرصد الاختلافات بينهنّ، ولكن ننتبه أيضاً إلى الأمور المشتركة بينهنّ من لغة مشتركة وتصورات عن "العالم العربي" وأحلام عن الاستقلال والتقدم وعن مستقبل مشترك للبلدان العربية.

لدى النساء العربيات من جيل السبعينات ذكريات حية عن التقلبات السياسية في الستينيات والسبعينيات مرتبطة بتجارب وخبرات بعيدة إلى حدّ ما عن تجارب الأجيال اللاحقة وخبراتها التي تشكّل وعيها السياسي في الثمانينيات والتسعينيات، ولا سيما أجيال النسويات الشابات اللواتي يتصدرن الحراك النسوي الآن. شاهد جيل السبعينات المنخرط في العمل العامّ تحولات جذرية في الأيديولوجيات والمسارات السياسية في العالم العربي في القرن العشرين. اضطرت كثيرات إلى إعادة النظر في تحالفاتهنّ السياسية وفي مواقفهنّ. ثم جاءت التحولات الكبيرة في إثر الحراك النوري في العالم العربي وظهرت أجيال جديدة من النسويات الشابات اللواتي طرحن تساؤلات حول فاعلية الأجيال السابقة من النساء وخياراتها.

من فرضيات هذا المشروع أنّ الإنصات إلى روايات النساء من جيل السبعينات والتعرف عن قرب إلى التحديات التي واجهتهنّ وفهم الخيارات المتاحة لهنّ على خلفية المساحات المتاحة للحركات الاجتماعية في ظل دول ما بعد الاستعمار السلطوية، قد تسهم في بداية حوار بين أجيال من النساء حول آليات الاشتباك مع السلطة/القوة وسبل بناء تحالفات واستراتيجيات للعمل. كما أنّ التعرف إلى روايات غنية بمشاعر منضاربة وخبرات عميقة ومواقف صعبة قد تؤدّي دوراً ملهماً ومفيداً للناشطين والناشطات في الحركات الاجتماعية الجديدة.

4 في حزيران/يونيو 1967 هُزم إسرائيل الجيوش العربية في سده أيام واحتلب أراضي فلسطينية أكثر مما احتلته في حرب 1948. يشار إلى هذه الحرب بنكسة حزيران/يونيو أو حرب السده أيام.

من أبرز العوامل المشتركة بين النساء الناشطات من جيل السبعينيات آنهّن قدن وشاركن في تأسيس المنظمات الحقوقية في الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين في مصر والأردن وفلسطين ولبنان والمغرب وتونس على سبيل المثال، وذلك في أعقاب سياسات الانفتاح الاقتصادي التي تبنتها الأنظمة في بعض البلاد العربية والتي أدت إلى انفراجة نسبية في المجال السياسي. يسعى المشروع إلى فهم وتحليل المسارات السياسية والثقافية لجيل السبعينيات التي من شأنها إلقاء الضوء على محطات تغيير رئيسية وتطورات في المواقف والمواقع الأيديولوجية لا نجدها في التواريخ الرسمية.

أمّا من ناحية الاهتمام البحثي بتوثيق تجارب وخبرات من منطلق جيلي، فنجد أنّ اهتمام أغلبية المؤرخين والمؤرخات بالحركات النسوية في العالم العربي انصبّ على رائدات الحركات أو الجيل الأول من الناشطات والمهنيات والسياسيات اللواتي انخرطن في العمل العام في النصف الأول من القرن العشرين. لا نجد القدر ذاته من الاهتمام بالأجيال اللاحقة، بخاصة جيل السبعينيات الذي أدى دوراً بارزاً في الدفاع عن حقوق النساء بل وفي تغيير بعض الترميمات والتصورات الثقافية الراسخة عن أدوار النساء وذلك بسبب ممارساتهنّ واختياراتهنّ الحياتية المتوافقة مع قيم الحرية.

بالإضافة إلى ذلك، ما زالت الأرشيفات التي توثق روايات النساء العربيات قليلة جداً ومبعثرة في مواقع ليست متاحة بسهولة. وما زال هذا الوضع مستمراً على الرغم من الزخم الواضح في إنشاء أرشيفات في القرن الحادي والعشرين نتيجة الثورة التكنولوجية. إنّ معظم الأرشيفات الموجودة بالفعل تعاني نقص الإمكانيات والموارد المادية والبشرية، وتعاني أيضاً تأثير التقلبات السياسية التي تشهدها المنطقة العربية. في مصر على سبيل المثال، ترتب على التقييدات التي طالت القوانين المنظمة للمجتمع الأهلي أن تعثرت بعض الأرشيفات الموجودة بسبب نقص في الموارد. في فلسطين، مُحيت أرشيفات كثيرة بواقع الاحتلال الذي دأب في محاولة محو الذاكرة الفلسطينية.

وعلى الرغم من حضور النساء الواضح في المجالات شتى، ما زال هناك تهميش واستبعاد لخبراتهم وأصواتهم. وعلى هذا الأساس يركز المشروع على روايات النساء من جيل السبعينيات ضمن مشروع أرشيف جندي يوثق حيوات النساء والرجال من خلال عدسة جنديرية. يستند التركيز على روايات النساء في هذا المقام إلى مفهوم الفعل الإيجابي القصدي الذي يهدف إلى تعويض النساء عن الاستبعاد التاريخي المستمر لخبراتهم وحيواتهم في السردية التاريخية الرسمية.

أمّا على الصعيد العالمي، فقد أدت أرشيفات النساء الشفوية التي توثق روايات النساء وإنتاجهم الثقافي والمعرفي وتحافظ عليها، دوراً بالغ الأهمية في دعم وتمكين حركات تحرّر النساء ونضالهم في مختلف أنحاء العالم. تحكي هذه الأرشيفات روايات عن القوة والفاعلية والتحقق. كما تميّط اللثام عن ديناميكيات السلطة/القوة، وعمليات الاستبعاد والتهميش التي تتعرض لها النساء، وتكشف عن السلطوية المعادية للنساء وراء أنماط الفكر والنماذج المعرفية التي تقصّي روايات النساء من التاريخ الرسمي بذريعة أنّها روايات غير جديرة بالحفظ والتوثيق.

كلّ الروايات ثرّة وملهمة

تتميز سرديات التاريخ الشفوي للنساء بالانتقال بين العام والخاص بسلاسة. تمتاز حكايات عن النشأة والمحيط العائلي وتأثير الأم والاب بالقضايا الوطنية والانتماء الأيديولوجي للراوية. تنتمي بعض الروايات إلى أسر سياسية كان لها أثر كبير في توجيه مسار حياتهم، وأخريات نشأت في أسر محافظة سياسياً واجتماعياً، فتحكي الراوية عن رحلة خروجها من أسر العائلة وبدايات انخراطها في العمل السياسي. وتظل قضية فلسطين القضية الحاضرة دائماً في الوعي العربي الجمعي.

تتضمن الروايات تفاصيل ومواقف قد تبدو صغيرة أو خاصة، ولكنها ذات دلالات كثيرة على المستويين الشخصي والعام؛ تفاصيل أحداث فاصلة في تاريخ الشعوب شاهداها عن قرب، أبرزها:

هزيمة 1967، وسنوات الحرب الأهلية في لبنان، ويوما 17 و18 كانون الثاني/يناير 1977 في مصر أو ما يعرف بانتفاضة الخبز، وانقلاب شباط/فبراير عام 1963⁵، واشتباكات أيلول/سبتمبر في الأردن 1970، وثورة تموز/يوليو في العراق في 1958⁶، والحرب الإيرانية العراقية 1980-1988، والانتفاضة الأولى في فلسطين عام 1987، واتفاقية أوسلو، وربيع دمشق⁸، والحراك الكردي عام 1963، وحلف بغداد⁹، واحتلال قطاع غزة عام 1956، والربيع العربي عام 2011.

نكتشف تقاطعات مهمة بين البلدان العربية في العلامة بالأحداث والشخصيات المؤثرة. نتذكر كثيرات من الروايات شخصية عبد الناصر الكاريزمية، ثم انهيار الحلم بعد هزيمة 1967: "لما كنت في العام الرابع عشر من عمري، جمال عبد الناصر كان له دور كبير في حياتي، خطابه الوطنية القومية الشعبية الطبقية، شكلت السياق الفكري الأولي لفكري السياسي. أمي كانت ناصرية، بل كانت تحبه بشكل غريب، كان أبوي يغار منه كثير، وكانت تفرض علينا إننا نسمع خطابه"¹⁰؛ "لما حصلت هزيمة يونيو 1967 زي ما يكون في بيتنا مitem، كان ناقص أبويا يفتح البيت ويحبب قهوة سادة ويقعد يوزع"¹¹؛ "حرب 1967 كانت فاصلة لكل الجيل تبعنا"¹²؛ "الصدمة التي أحدثت انعطافاً كبيراً في مسار وعيي السياسي كانت حرب 1967"¹³؛ "في طفولتي ذقت مرارة حرب 1967"¹⁴؛ "لما وقعت هزيمة 1967، أبي أصيب بذبحة قدامي لما سمعنا خبر انسحاب الجيش المصري حتى غرب قناة السويس. اصفر وجه أبي، وقال لي: "انهزمنا"¹⁵؛ "النكسة كانت كسرة شديدة لينا كلنا"¹⁶.

تبرز أيضاً تجارب السجون، ليس حصراً سجون الاحتلال الإسرائيلي، بل أيضاً سجون البلدان العربية حيث تكثر الاعتقالات والملاحقات لكل من يعارض النظم الحاكمة من مختلف الأيديولوجيات. تتنوع التجارب وتختلف قسوة التجربة وتأثيرها على النساء، ولا سيما تبعات سجن أي فرد من أفراد العائلة. نتحدث ليلي سويف عمّا تسمّيه لعنة الوجود خارج السجن في أثناء سجن أحد أفراد العائلة أو الأصدقاء: "أجري وراهم... أشوف مين محتاج إيه، لعنة أبدية عاشت معانا دائماً".

الحياة في المنفى الإجباري أو الاختياري تجربة تتشارك فيها كثيرات من الروايات اللواتي دفعن أثماناً غالية بسبب معارضتهنّ النظام الحاكم أو إصرارهنّ على الاستقلال وحرية الرأي. نستمتع إلى حكايات عديدة عن المنفى، حكايات، على الرغم من قسوتها، ليست أحادية، بل مركبة إلى أبعد الحدود حيث يؤثر المنفى على حياة الروايات ووعيهنّ بسبل مختلفة، فيكتسبنّ خبرات ومعارف تتلاقى مع شعورهنّ بالقهر والظلم. "في أمريكا بيصير عندك وعي فلسطيني أو للدقة وعي عربي، مختلف كلياً عن الوعي اللي يكون عندك بالعالم العربي... التحدي الكبير من الصهاينة ضدنا، تصيري بذك تقضي وقتك تبرهنّي إنه في فلسطين. عمره ما كان في أكل فلسطيني، تقضي وقتك تثبتي إن

5 انقلاب عسكري على حكم عبد الكريم قاسم قادة القوميون والبعثيون.

6 اشتباكات بين الفصائل الفلسطينية المسلحة وموات الجيش الاردني، انتهت بدخول الرئيس المصري جمال عبد الناصر في ممة عربية طارئة أقيمت في القاهرة، ثم جرى الاتفاق على خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن.

7 إعلان الجمهورية العراقية في 14 تموز/يوليو 1958.

8 تمصّد بها القصر الباليه لوماء حافظ الأسد عام 2000، وبولي نجله بشار مهاليد الحكم، وخلالها جرت منامشات إصلاحات سياسية ومانونه.

9 حلف بغداد أسسها المملكة المتحدة وضم دولاً عدة منها العراق وتركيا، وكان هدفه المعلن مقاومة المد الشيوعي، وكانت هناك محاولات لضم الأردن إلى هذا الحلف، لكنه لم يدخله.

10 إيلين كتاب.

11 أمنة النفاس.

12 سعاد العامري.

13 عزة بيضون.

14 آمال خريشة.

15 نهلة الشها.

16 ماجدة عدلي.

فيه أهل فلسطيني¹⁷؛ "كنت ما أتخيل حالي أعيش برّات سوريا، لكن هلا ما عندي مشكلة، الإنسان بالنهاية مش شجرة، أنا بحمل عالمي، لست شجرة جذوري بالأرض، لأ، أنا كمواطنة سورية حاملة همي وين ما روحت، بيتي جّواتي"¹⁸.

تحكي الروايات عن عملهنّ في المجال العامّ والمصاعب التي يلاقيها كونهنّ نساء، فنكتشف أبعاداً مركبة تتدخل في تعاطي المجتمع والنخبة السياسية معهنّ، مثل الخلفية الأسرية أو الطائفة التي ينتمين إليها، أو ربما بعض الظروف المواتية التي ساعدت في دفعهنّ باتجاه ما. تحكي بعض الروايات أيضاً عن عملهنّ في مجال دعم حقوق النساء، عن تعريفهنّ للنسوية والتوجه النسوي، ونلمس اتّفاقاً على عدم الفصل بين النسوي والسياسي، أو بين العمل في مجال حقوق النساء والعمل الحقوقي بشكل عامّ. يظلّ الوضع في فلسطين المحتلة أكثر تعقيداً حيث تتباين المواقف بين من ترى أنّ "أوسلو ضيعة بوصلة النساء"¹⁹، وبين من ترى أنّ بعض النساء والمجموعات النسوية استطاعت الربط بين النضال الوطني والنضال لأجل حقوق النساء.

في المحصلة النهائية، يشكّل أرشيف التاريخ الشفوي نقطة البداية للبحث والتحليل والاشتباك مع السرديات المضمنة وإنتاج سرديات مغايرة أو مكملة. تضيء الروايات أحداثاً وتغيّرات في التاريخ الثقافي والسياسي العربي من منظور يتجاوز التضاد بين العامّ والخاص، فتتعرف إلى آراء ومواقف ومشاعر تقع عادةً خارج نطاق الرؤية في التاريخ الرسمي. هذه الإضاءات تدفعنا خطوة إلى الأمام في سبيل الكشف عن المسكوت عنه والمطموس في الذاكرة الجماعية.

* هدى الصدة

ناشطة نسوية وأستاذة الأدب الإنجليزي والمقارن في جامعة القاهرة، ومؤسسة مشاركة في مؤسسة المرأة والذاكرة. تشمل اهتماماتها البحثية دراسات الجندر، والدراسات المقارنة، والتاريخ الشفاهي.

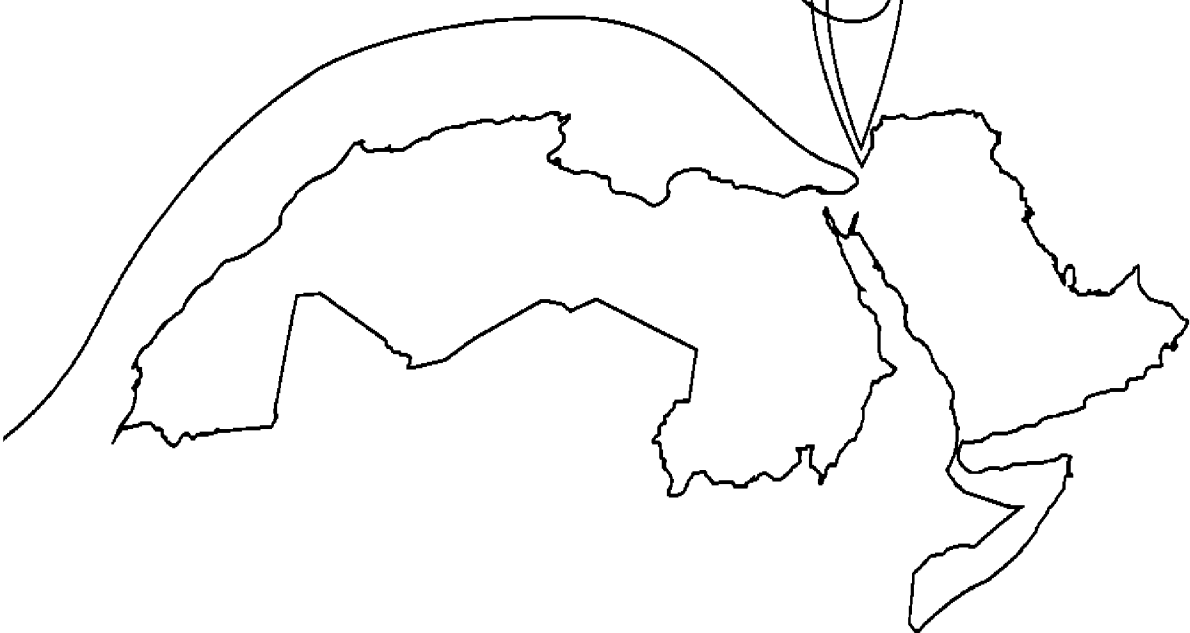
من مؤلفاتها: الجندر والوطن والرواية العربية: مصر 1892-2008، ترجمة هالة كمال. القاهرة، المجلس القومي للترجمة، 2020؛ والتاريخ الشفاهي في أوقات التغيير: الجندر والتوثيق وصناعة الأرشيف، في دورية أوراق القاهرة، 1:35، 2018؛ والعلوم الإنسانية في العالم العربي في أوقات الصراع والتغيير، التقرير الرابع للمرصد العربي للعلوم الاجتماعية، 2024.

17 سعاد العامري.

18 رولا الركبي.

19 اصلاخ جاد.

الأردن



سرديات من الأردن

أسمى خضر
أمل الصباغ
آمنة الزعبي
تفريد حكمت
خالدة مصاروة
خديجة الحباشنة
خزامى الرشيد
دعد معاذ
ربيعة الناصر
ريم أبو حسان
ستيلا هلسة
سهير التل
سهيلة بهلوان
عبلة أبو علبة
عيدة المطلق
لوسين تامينيان
ليلى نفاع
نهى المعاينة
هدى الفاخوري
هيفاء البشير

أسمى خضر: العمل الفردي لا يحدث تغييرًا

أسمى خضر (1952-2021) محامية وحقوقية ونقابية، خلال حياتها شغلت مناصب رسمية مثل الناطق الرسمي للحكومة (حقيبة وزارية)، وعُيّنت عضوة في مجلس أعيان؛ إحدى غرفتي البرلمان الأردني، فضلًا عن عملها في الهيئة المستقلة للانتخابات.

بدأت حياتها المهنية بالتعليم، قبل إكمالها دراستها الجامعية للحقوق في سوريا، ثم نشطت في العمل النسوي، وشاركت كعضوة في لجنة صياغة الميثاق الوطني الأردني، ونالت وسام الاستقلال الأردني من الدرجة الأولى (1991) من الملك الحسين (1935-1999).

أسست، مع أخريات، معهد تضامن النساء الأردني، وشغلت بقضايا المرأة، في شهادتها تتحدث أسمى عن مسار حياتها الذي لم يتقاطع مع الحياة الحزبية أبدًا، بل ظلّت بعيدة عن الانتماء السياسي.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في أيار/مايو 2020.

البنات زيهم زي الأولاد

أسمى حنا سالم خضر، مواليد 1952، بنت عائلة من مجتمع ريفي من قرية اسمها زبابدة في قضاء جنين في الضفة الغربية الفلسطينية. بعد شهرين من ولادتها، انتقلنا إلى عمان حتى نلتحق بالوادي الذي اشتغل مترجم بالجيش الأردني في 1947-1948.

عندي أخين وثلاث إخوات، وعُمري 11 سنة، تعرّضت لتجربة عائلية أثرت في فهمي للتمييز ضد النساء، لأنني كنت الكبيرة، كان كل الأقارب والحيّان يقولوا لأهلي "أبو وأم أسمى". لكن العائلة كانت تلجّ إن لازم أبوي يكون له ولد، ورضخ هو وأمي. ولما هي دخلت المستشفى عشان تولد أجدنا أبوي للمستشفى، وعملنا قرعة حتى نختار اسم المولود الجديد، وسحبت أختي اللي كان عمرها سنة، طلع الاسم: "سمير". وخلال ثواني كل الموجودين صاروا يندھوا على أبوي وأمي: "أبو وأم سمير"، حسيت بالصدمة، وبين راح لقب أبو وأم أسمى، انزعجت جدًّا لأنهم

نسيوني بسرعة. بعدها اعتبرت إن الأولاد أحسن من البنات بما إنهم محتفلين بالولد المولود وأعطوه الأولوية، إذا لازم أكون زي الأولاد. وخطرت فكرة على بالي إنني أقص شعري بالمقص ولبست بنطلون، وبطلت أحب إليس تنانير أو أفعد بالبيت، بل ألعب بالحارة كرة قدم والسبع حجار مع أولاد الحارة، سلوكي كله تغيّر، صار مضاد لدور البنات ومنحاز لدور الأولاد، باعتبار إنهم أهم وأحسن من البنات. أبوي انتبه لهذا التغيير، حس إن فيه إشني مش مطبوط، أخذني على صالون جارتنا لتزبيط شعري، وقعد يحكي معي، كأنني واحدة كبيرة، وفهمني إن التمييز ضد المرأة موجود في كل العالم، والنساء بيعانون منه، وإنه فاهم زعلي ليش، وهو رأيي إن البنات زيهم زي الأولاد، وبالنسبة له بناته أحسن، "لو يجيلي 20 ولد مش أحسن من بناتي". وقال لي إنني لازم أكون مبسوطة لكوني بنت.

قصائد من فلسطين

قبل 1967، كنا أهلي يركبوا ناكسي من عمان وخلال ساعة وربع نكون بالزبابدة، كان الطريق مفتوح ونروح نسهل بالرملة صيفًا، نسمع عزف على عود، ونسهل ونرجع. وكانوا يسمحوا لعدد من فلسطينيّ الأرض المحتلة (الداخل) بزيارة أقاربهم عبر بوابة اسمها "بندل بوم"، واقعة بين القدس الغربية والقدس الشرقية على ما أعتقد، وخال أمي اللي كان ساكن في حيفا هو وأولاده زارونا في عمان عبر "بندل بوم"، وجابوا معهم قصائد، وكنا نكتبها في دفاتر ونوزعها. وكل واحد من أولاد خال أمي كان معه جيتار، والموسيقى اللي كانوا يعزفوها أدهشتنا، قعدوا على الدرج وعزفوا، وانلموا كل بنات وأولاد الحارة حولهم. هذه الزيارة فتحت عيني على شعر الأرض المحتلة. طبعا فيه القصائد القديمة اللي كنا ندرسها بالمدرسة، لكن اللي خلّني أحس بالشعر كانت هذه القصائد.

وقتها، كنت أحب الكتابة والقراءة، خاصة الروايات، لدرجة إن عندي رواية، كتبت أحداثها وأنا في الفراندة وصاحباتي ظلوا يستنوا أخلص ورقة يقرؤا اللي كتبت، كانت رواية شوية طويلة.

بعد 1967 كانت النقاشات في البيوت والمقاهي وكل محل بالأردن عن المقاومة والفدائيين والعمليات اللي تصير ضد الإسرائيليين، كانت الآمال كثير كبيرة في الفترة الأولى وبعدين بقت الأمور تنحرف لصراعات داخلية وتوترات. على الصعيد الأسري، أبوي أحبط بسبب الهزيمة.

وفي 1968، نُشرت لي قصيدة في جريدة "الأنوار" البيروتية، وكان غسان كنفاني المسؤول عن ملحق الجريدة الثقافي، ولما نُشرت القصيدة كان أبوي مريض بالمستشفى العسكري،

ولا أنسى أبداً منظره وهو كل ما يمرّ دكتور أو ممرض أو مريض أو حدا يزوره يقوله "شوف قصيدة أسمي". كان فخور بالقصيدة، لكنها على كل حال كانت نوع من التقليد لقصيدة محمود درويش التي كانت ضمن القصائد السرية الواردة إلنا خلال زيارات خال أمي.

عملية فدائية صوّرها جودار

في 1969، حضرت مع خالي نعيم -وهو كان ابن عم أبيّ أيضاً- مؤتمراً طلابياً دولياً مسانداً للقضية الفلسطينية في الأردن. وفي هذه الفترة أسسنا "اتحاد طلبة الضفتين"، ضمّ كل الفصائل؛ شيوعيين وقوميين وفتحاًوين، وانتُخبت عضوة في اللجنة التنفيذية لهذا الاتحاد، وكنت لسه ما خلصت التوجيهي.

في ما بعد صار خالي نعيم رئيس اتحاد الطلاب العرب في بروكسل، وتعرّف على المخرج الفرنسي، جودار¹، وخالي بعته عندنا في 1970 عشان يعمل فيلم عن فلسطين، وإحنا عرّفناه على كمال عدوان²، وكمال ناصر، وجورج عسل، وهما كانوا يعرفوا فدائيين واشتغلوا معهم، وطلب جودار من "فتح" ينزل يصور عملية فدائية حيّة، وقد كان وحضرت التصوير، رغم رفض أمي. وفعلنا نزلنا التصوير وزحنا الشونة، ودخلونا قاعدة عسكرية أردنية. قسمونا ثلاث مجموعات وكنا بالليل، جودار راح مع مجموعة تصور خلف الحدود [المفروض تعبر للضفة الغربية]، وكنت أنا مع مجموعة الحماية التي لم تنزل الضفة، بس وقفت على الحدود، والفدائيين في المجموعة الثالثة التي تسللت لعبور النهر حتى تدخل منطقة اسمها تلة النجار التي فيها المعسكر الإسرائيلي المستهدف من العملية، وطبعاً مجموعة جودار بتصوّر دون إضاءة، ومجموعتنا بقيت مع الجيش الأردني وشربنا شاي، وكان المفروض الجيش الأردني ومجموعة الحماية لقّا حين موعد انسحاب الفدائيين بضربوا مدفعية هاون لتغطية هذا الانسحاب. وحصلت العملية والتصوير. ورجعت وش الصبح، وكنت فخورة إنني حضرت العملية.

عمل نسوي وسفر

لم أدخل أي حركة أو تنظيم سياسي، بل التحقت بالاتحاد العام للمرأة الفلسطينية³، وفي 1971 ذهبت مع الاتحاد في جولة على دول الخليج وبعض دول شمال إفريقيا مثل تونس والجزائر، عملنا معرض مشغولات يدوية وعروض فلكلورية،

1 جان لوك جودار، مخرج فرنسي سويسري مواليد 1930.

2 كمال عدوان (1925-1973) سياسي فلسطيني، واحد قادة منظمة التحرير الفلسطينية.

3 أسس اتحاد المرأة الفلسطينية في القدس 1965، وفي 1969 أعيدت سلطات الاحتلال الاسرائيلي رئيسة لاتحاد، عصام عبد الهادي، إلى عمان، وأعيد تشكيل امانته العامة هناك، وضمت الامانة العامة بخلاف عصام، مي الصامح، ونجلاء ناسن، وحنان الحسن، ولبنى نعمور، وسهام مناع، وسعاد الحسيني، ونبيلة النمر

دبكة وهيك. وخلال هذه الجولة، خربت المقاومة من الأردن لسوريا، وسبّب ذلك ليّ صدمة كبيرة، ثم عرفت لقّا كنت بالجزائر إن أحد الجيران بلغ عني باعتبار ليّ صلة بالمقاومة، ولأن أبوي في الجيش قال ليّ إن من الأفضل عدم عودتي للأردن لأنهم [الأمن] يفتشوا عني، وفتحنا موضوع الدراسة في الخارج، لأنني ما كنت لسه التحقت بالجامعة، وبالفعل وفرنا نفقات دراستي من تبرعات العيلة، وبناءً عليه سجلت في كلية حقوق في دمشق.

وبدأت الدراسة في 1972، ثم تقاعد أبيّ من الجيش لأسباب صحية، وجاء مع أمي لزيارتي، وسافرنا لبنان نشمّ هواء هيك. وبعد حرب 1973، الأردن طلع عفو عن كل الناس التي برّه، واستغليت هذه الفرصة وقررت أرجع، وحقق معي قبل الدخول؛ "لكي سنتين ما جيتي؟" جاوبت إنني سافرت زيارة وبعدها قررت أدرس في الشام، وأهلي جمّ زاروني السنة الماضية، وبديّ زيارتهم. واستمر التحقيق؛ ليش، وكيف، وفي نهاية الأمر مشي الحال، ودخلت الأردن. ثم عدت لسوريا، لكن الدراسة تعطلت تأثراً بالحرب. راح خالي دعاني أزوره في بروكسل، وسافرت برّاً من دمشق لبيروت حتى أطلع على بروكسل، وقد كان. قعدت فترة، وزرت عدة مدن أوروبية، كانت تجربة مهمة وفريدة، وفتحت عيني على موضوع حقوق المرأة خارج الأردن.

محاواة

رجعت من أوروبا، على عمان، لكن حسيت إن دخل أبوي من التقاعد لا يكفي، وكان لا بد أساعد أهلي مادياً، فقررت العمل كمعلمة، وذلك بالتزامن مع الدراسة عن بعد، ووجدت أنّ اتحاد العام للمرأة الفلسطينية متوقف، ودخلت الاتحاد النسائي الأردني مع عودته للعمل، بعد سنوات من تعطله⁴، واهتمت بقوانين الأحوال الشخصية ومختلف قضايا المرأة بشكل أكثر مباشرة. اكتسبت معرفة من المؤتمرات الدولية التي شارك فيها الاتحاد، ساهمت في تسليط الضوء على الأبعاد الإنسانية العالمية لقضية المرأة، والقيم المشتركة بين نساء العالم. هكذا تكوّن عندي اهتمام بهذه القضية بشكل خاص.

بالنسبة للدراسة، كملت السنة الثالثة والرابعة في ظل مضايقات تعوق سفري، كل مرة بديّ أسافر سوريا لازم آخذ إذن من المخابرات. وفي مرات يسعدوا بعد تقضية أسبوع أو عشرة أيام راحة جاية طلباً لإذن السفر، ولو لم يسمح لي بالسفر يروح عليّ الامتحان، لكن من حسن حظي جامعة دمشق كان عندها إشني اسمه دورة تكميلية، يعني إذا لم أحضر الامتحان ممكن التقديم بتلك الدورة، وبهذه الطريقة

4 أعيد تأسيس الاتحاد، الذي يعطل في النصف الثاني من الخمسينات، في العام 1974.

خلصت دراستي في 1977 أو أول 1978. وقبل امتحانات آخر سنة توفى أبوي.

لما تخرجت ضليت حوالي سنتين بعدها بدون ما أتمكن من الالتحاق بالتدريب كمحاميه، لأن خلال فترة التدريب لازم أصرف على حالي، وما أخذ راتب طوال سنتين، وهذا كان صعب لأن أبوي توفى، وكنت مسؤولة عن مصاريف البيت وتعليم إخوتي بالمدارس والجامعات وفيه مشروع زواج، ومكنش بإمكانني أبداً أحقق حلمي في المحاماة.

لما زوجي جاءه شغل في السعودية براتب ممتاز، رحت أتدرب في مكتب محامي يساري يعرفه، ومرته إيفيلين أطرش اللي يعرفها من الاتحاد، لكن كان عنده متدرب بالمكتب، فقال لي: "هذا المتدرب بيخلص بعد خمس شهور، يا تصبري، يا تسجلي عند حدا ثاني، وبعدين ترجعي عندي" ورشح مكتب محامي آخر بنفس العمارة ممكن اتدرب عنده، اسمه الأستاذ عيسى دلل. وزحنا له، فقال إنه مش بده يدر بنات، لأن كان عنده واحدة متدربة وكانت لا تلتزم بالدوام ولا تشتغل. المهم استغرق الأستاذين في مناقشة قضية عمالية، رحت قلت رأي قانوني في هذه القضية يخالف الكلام اللي سمعته، وانقلبت القصة وسجلني الأستاذ عيسى دلل بمكتبه كمندوبة من 1980-1981، وهو ما قصر معي، كان عنده أفاق واسعة في المحاماة، خاصة في الشركات والقانون التجاري. خلصت تدريب، وكملت شغل في مكتبه. وخلال شغلي في المحاماة اهتمت بالعمل النقابي، اللي وقر لي إطلالة أكبر على الحياة السياسية والحريات والحقوق بشكل عام، وحسبت وقتها إن الدور اللي بدي أعمله مش بس شغل محاماة، بل على مستوى العمل العام، وانخرطت في ثلاث أو أربع لجان نقابية.

وفي 1982، أسس اتحاد المحامين العرب لجنة "أوضاع المرأة"، وكان بدهم لهذه اللجنة مقرر، وطبقاً لما كان فيه ولا امرأة في مجالس نقابات العالم العربي وقتها، ورشحت، وحضرت اجتماع في القاهرة مع فاروق أبو عيسى، أمين اتحاد المحامين العرب، وبعدين جمع ناشطات مصريات، مع المحاميات واشتغلنا في لجنة أوضاع المرأة. ركزت هذه التجربة على المرأة والتشريع عن طريق جرد القوانين العربية، ورصد التمييز ضد المرأة في هذه القوانين.

وبالنسبة لشغلي كمحاميه، فكرت إنني لو عملت إنجازات راح تضل منسوبة للأستاذ عيسى دلل، ما حدا راح يصدق إن عندي قدرة كمحاميه، والحل الوحيد إن يكون لي مكتب لحالي. وبلغت أستاذ عيسى بقراري، قلت له إن أخوي منير خلص بكالوريوس قانون، وعادل زوجي وهو في السعودية سجلته بجامعة بيروت العربية قانون عشان اشغله وقته،

وبدي أسجل واحد منهم يتدرب عندي، ويشغلوا معي بالمكتب مستقبلاً. فقال لي: "إذا هيك ما بقدر أحكي". وبدأت أدور على مكتب وخلال شهرين لقيت مكتب، وفتحته في 1984.

وعلى صعيد لجنة أوضاع المرأة نظمنا مؤتمر "المرأة العربية الإفريقي"، وحضرته تقريباً 270 امرأة من كل الدول العربية، ومن الأردن رشحت عدد من الزميلات المحاميات والإعلاميات. وكان مؤتمراً مهماً جداً، عقد في القاهرة في 1984، وتناولنا أكثر من محور، مثلاً الأحوال الشخصية، أو قوانين العمل. وطلعنا توصيات حول كل المشكلات الرئيسية في التشريعات العربية، وذلك تمهيداً لمؤتمر المرأة التابع للأمم المتحدة في نيروبي⁵.

في ثمانينيات الأردن، كانت النقابات هي الوجه السياسي للمجتمع، والصراع على مقاعدها على أساس الأحزاب والقوى السياسية. وكان فيه كثير شغل على السجناء السياسيين في هذا الوقت، وترافعت عن الكثير منهم بتكليف من النقابة، لأن النقيب عنده حق تكليف محامي يدافع عن أشخاص ما عندهم إمكانيات الدفاع عن حالهم، وكنت أحضر جلسات قضاياهم أمام المحكمة العرفية العسكرية. كان عندي موكلين من الشيوعيين للإخوان المسلمين لجيش محمد وبعثيين وفصائل فلسطينية ومختلف الأحزاب، وكنت محاميتهم مجاناً. وفي هذه الفترة، ركزت على شغل حقوق الإنسان والحريات العامة. كان فيه زيارات للسجون، ومتابعة قضايا التعذيب، ومشاركة في فعاليات مختلفة للتعريف بحقوق الإنسان، وأسسنا مجموعة منظمة العفو الدولية بالأردن. وقتها كان معظم النشاط مرتبط بقيود على الحريات العامة والنشاط السياسي اللي كان محظور، وبالتالي كان كل النشاط السياسي أو عدد كبير منهم إما رهن الاعتقال أو الملاحقة، ونتيجة انخراطي في هذا النشاط، والتوعية بحقوق الإنسان في مختلف المحافظات، والعمل النقابي، كان عندي حضور إعلامي عالٍ، اللي مهّد لدخولي هيئات ولجان على المستوى الوطني. وساهمت في رفع قضايا والطعن على قرارات سحب الجنسية أمام محكمة العدل العليا، وشجبت الكثير من هذه القرارات وأعيدت الجنسية الأردنية لعدد من أصحاب هذه القضايا.

لما شكلت اللجنة الملكية لسياق الميثاق الوطني بأوائل التسعينيات، دعاني جلالة الملك الحسين، في مقابلة خاصة، حتى أكون عضوة بهذه اللجنة، قلت للملك إنني موافقة من حيث المبدأ في ضوء توضيحات جلالتة إن الوثيقة ستكون من نتاج أفكار أعضاء اللجنة وليست مكتوبة

مُسيقًا، (لن يكون دور التصديق على وثيقة مكتوبة سلفًا). وطلعت من الديوان الملكي استشرت بعض الزعامات السياسية، منهم عيسى الدانات، ويعقوب زبادين، وقوميين بعثيين كانوا معنا في منظمات حقوقية، ونيقيب المحاميين. قلت لهم إنني غرض عليّ هيك شو رأيكم، وفوجئت إن كلهم موافقين. وعرفت بعدين إن اللي استدعوا مباشرة من جلالة الملك أنا وإبراهيم بكر، اليافين حكى معهم رئيس الوزراء.

الميثاق الوطني حكى عن الديمقراطية، وإلغاء الأحكام العرفية، والمساواة بين المرأة والرجل أمام القانون، وهذا كان أول موقف صريح من المساواة في وثيقة رسمية وطنية. وكان مهم إن أعضاء اللجنة من كل الاتجاهات السياسية، فكان توافق وطني مهم. ثم أقرّ.

إنقاذ الاتحاد

مثلًا انشغلت في إعادة الاتحاد⁶، فعملنا اجتماع ضمّ كل عضوات الاتحاد السابقات واللجنة التنفيذية السابقة والهيئة الإدارية السابقة، المشكلة إن الاتحاد موجود من الناحية القانونية، يعني مش محتاجين لإعادة تسجيل ولا إشني، لأن المحكمة قررت إلغاء قرار الحل. الاتحاد خمد بسبب الأحكام العرفية، وصار مفيش أحكام عرفية، يعني ترجع نشغل قبل ما نأخذ قرار بطلنا فعلاً لعدم النشاط. وبالفعل قررنا استئناف الهيئة الإدارية السابقة لعملها، والتحضير لانتخابات جديدة بالاتحاد، واتخاذ مقر للاتحاد، وأجريت انتخابات هيئة إدارية جديدة في 1993، وترشحت وفزت برئاسة الاتحاد.

وفي فترة من 1993 إلى 1997، أسسنا معظم البرامج الرئيسية منهم "دار الضيافة"، "اليواء"، "العنف ضد المرأة"، "العمليات الأجنبية"، كان عندنا لجنة للعاملات الأجنبية. وصار الاتحاد واحد من المنظمات الرئيسية النسوية الفعالة في مختلف المحافظات، وله صوت مسموع في القضايا كلها الحريات الديمقراطية والسياسية.

نسوية في فلسطين

طلعت من رئاسة الاتحاد، ورحت على الضفة في إطار

مشروع دعم السلطة لأنها كانت ما عندها خبرات كافية، كانوا يقولوا أي حدا عنده خبرة يقدر يساعد. فأخذت مشروع مع مركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي له علاقة بمسح القوانين وتقديم رؤية لتعديلات القوانين. وفعلًا اشتغلت على كتاب اسمه "القانون ومستقبل المرأة الفلسطينية"، والكتاب يتضمن 67 تعديل مطلوب على القوانين الأردنية اللي كانت مطبقة هناك، من أجل تحقيق المساواة. وكان فيه تدريبات لها علاقة بكيف يمكن إنهم يؤثروا على البرلمان وإلى آخره. بهذه الفترة كان بدّهم مدير لمؤسسة "الحق" المعنية بحقوق الإنسان بفلسطين، عرضوا عليّ ووافقت، مع إنني ما كان معي إقامة وعشان أروح لازم تصريح زيارة.

وصرت أروح فلسطين ثلاثة أشهر، وارجع على عمان وبعد شهر يدوني تصريح جديد، وهكذا ثلاثة أشهر فلسطين وشهر عمان، من 1998 إلى 1999، لتقديم الخبرة الموجودة في مجال حقوق المرأة وحقوق الإنسان لمنظمات المجتمع المدني الفلسطينية. وانخرطت في تجربة مهمة هي وضع مسودة قانون الجمعيات من خلال العمل والتعاون مع شبكة المنظمات غير الحكومية الأهلية في فلسطين.

بعدين تعبت من الوضع لأن أولادي كانوا هون وأنا هناك، ومكتبي كان موجود وله تكاليف، حسبت إنني لازم يا استقر هون يا استقر هناك، فقررت أرجع الأردن بصراحة واستقلت من "الحق"، ورجعت على مكتبي.

حاولت أرجع ناشطة مع الاتحاد لكن ما كان فيه تجاوب، وهكذا قررت مع بعض الزميلات نأسس جمعية، وهكذا صار فيه "معهد تضامن النساء الأردني" في 1998، وعملنا هيلتين، "ميزان" و"تضامن". الأولى عشان نكمل شغلنا بصورة مؤسسية على حقوق الإنسان والحريات العامة، والثانية عشان نركز على حقوق المرأة. مثلًا أصدرنا، بالتنسيق مع 40 جمعية، لائحة مطالب المرأة الأردنية في 2003، وقدمناها للحكومة ومجلس الأمة بشقيه "النواب" و"الأعيان".

الوثيقة صارت مثل مرجع للحركة النسائية في مطالبها، ولسه حتى اليوم بنطوّر فيها.

ليست وزارة واحدة، بل عملت وزيرات

في تشرين الأول/أكتوبر 2003 اتصل بيّ الديوان الملكي وقالوا ليّ إن أمين عام الديوان بدّ يحكي معي، ورحت مقابلة في بيت الأمين، وطلع مكلف بتشكيل وزارة، وعرض عليّ إنني أكون ناطق رسمي باسم الحكومة، وقال ليّ: "إحنا بنثق بحكمتك وقدرتك، وبدنا إياكي وزير دولة ناطقة رسمية باسم الحكومة"، ووافقت. بعد شهور من تولي الوزارة، صارت فيه إشكالية لها علاقة بإلغاء وزارتي الثقافة

6 مقام من مواليد الناصرة الفلسطينية المحتلة، شغل العديد من المناصب في المنظمات الوطنية الفلسطينية منها عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ونائب رئيسها سابقًا، واختاره الملك الحسن عضواً في لجنة الميثاق الوطني الأردني

7 منذ تأسيسه في 1945، تغيرت بسمه هذا الاتحاد، ومر بالعديد من التغيرات، حل في 1957، وإعادة تأسيسه ليحمل اسم "الاتحاد النسائي في الأردن"، واستمر بالعمل حتى 1981، حين حل وعاد العمل في السبعينات بعد نهاية فرض الأحكام العرفية. وفي 1994 صار اسمه "اتحاد المرأة الأردنية".

رجعت مكتبي، لكن فعلياً ما كان فيه شغل، لأنني كنت كل فترة أسيب الموكلين لمنصب سياسي، لكن حافظت على المكتب لأنني بلاقي حالي فيه. مع الوقت صارت عندي قناعة إن الإنجاز الشخصي لو ما كان له امتداد عام، يعني شراكة مع آخرين، ليس له قيمة، وأعتقد إنني لو خطبت هذا الجهد مع حزب نؤمن به، كان الحزب استفاد وأخذ مكانة، وهذا لا يخص حالي فقط، بل كل النشطاء اللي عندهم جدية في التعامل مع القضايا اللي بيؤمنوا فيها، هم إذا انخرطوا في عمل منظم حزبي بروح مخلصه للقضية اللي بيؤمنوا فيها كنا حققنا أفضل بكثير. يجوز أنا عملت إنجازات على صعيد شخصي، لكن لا أقيّمها بأنها كانت عالية لأنه ما زال الاحتلال جاسم، والديمقراطية غير قادرة على التقدم بشكل سوى، والعمل السياسي غير واضح وغير قائم على انخراط المواطنين في الحياة السياسية بشكل واسع. فيه إبداعات فردية كبيرة كثيرة، لكنها مش محطوبة في السياق المؤسسي أو المنظم الكبير، هذه الإنجازات الفردية لن تكون قادرة على إحداث التغييرات المطلوبة. لذلك يعترف إن وجودي خارج تنظيم سياسي أو وطني كبير هو واحد من نقاط ضعفي، وأعتقد الأجيال الجديدة عليها ألا تكرر هذه المأساة.

والإعلام في الحكومة، كلفني رئيس الوزراء بمسؤولياته المتعلقة بـ "الإعلام" ووكالات الأنباء، والتلفزيون. وبعدين اقترحت عليه نعمل مؤتمر وطني نشوف قد إيه ضرورة وجود وزارة ثقافة أو ما تكون، وفعلنا عملنا هذا المؤتمر بالتعاون مع رابطة الكتاب والمؤسسات والروابط الثقافية والفنية المختلفة المعنية، وطلعنا بتوصية قالت إن وزارة الثقافة لازم تعود، وبلغنا رئيس الوزارة.

ولما صار عنده تعديل وزارتي، أعاد "الثقافة"، وعيّني وزيرة لها، فصرت وزيرة ثقافة في 2004، مع مسؤوليات "الإعلام" وناطق رسمي باسم الحكومة. ثم تركت الحكومة في 2005.

عودة مكررة للمكتب

ورجعت مكتبي بدّي استئنّف عملي بالمحاماة. ولكن حصلت لي إصابة في ظهري "ديسك"، ودخلت المستشفى، وهناك جاني زيارة من زميلتين لنقل رغبة الأميرة بسمة في عرض منصب الأمانة العامة للجنة الوطنية للمرأة، أسعدني العرض، لكنني طلبت أشوف الأميرة قبل تولّي هذا الموقع.

المهم بعد أسبوع من طلوعي من المستشفى، قابلت سمو الأميرة، حدثتها إنني لا أقدر أغير مواقفي المبدئية الخاصة ببعض المواضيع اللي عليها جدل. قلت لها إنني لو سئلت راج أقول رأيي الشخصي هو كذا حتى ما يصير لبس، فقالت لي الأميرة: "اختياري لك ما جاء عشوائي، بل لأن إنتي عندك مبدأ، وإيمان مبدئي بقضايا المرأة، وبحترم مواقفك".

توليت منصب الأمانة العامة للجنة من 2007، وغيّت في مجلس الأعيان وكُفّلت باللجنة، لغاية لما طلب مني أكون عضوة في مجلس مفوضي الهيئة المستقلة للانتخاب، ولما رجعت لقانون هذه الهيئة المستقلة وجدت إنه لا يُسمح للمفوض في الهيئة أن يكون عضواً في أي كيان آخر، وهذا يعني استقالة من "الأعيان" واللجنة الوطنية، وعدم العمل بالمحاماة.

وقد كان، لكن الهيئة لم تكن مستقلة بشكل تام، مثلاً مجلس الوزراء هو الجهة التي تقرر الانتخابات مش الهيئة المستقلة، و"الوزراء" يقرّ ميزانيتها، وصاحب سلطة الموافقة على تعيينات "مفوضي الهيئة المستقلة".

بصراحة الهيئة جزء من مؤسسات الدولة الرسمية غير المستقلة حتى لو سموها "مستقلة"، على كل حال هذه التجربة خضتها لمدة سنتين انتهت بالاستقالة، وسعيدة إنني استقلت منها في أول 2017.

أمل الصباغ: كلمة نسوية لم تعد تهمة

أمل الصباغ، مواليد عمان، عملت في وزارة التنمية الاجتماعية، ولذلك في الديوان الملكي، وشغلت منصب الأمينة العامة للجنة الوطنية لشؤون المرأة (1997-2005).

في شهادتها، تحكي أمل عن التركيبة الأفضل لتحسين أوضاع المرأة الأردنية، والتي تعتمد على التناغم بين وضع السياسات من قبل الحكومة، وتقوم منظمات المجتمع المدني بتنفيذ تلك السياسات على الأرض، حتى يحدث تكامل بين الجهد الرسمي والأهلي.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 26 كانون الثاني/يناير 2021.

بدايات الوعي بالتمييز

طفولتي كانت بعمان، أسرتي مكونة من أخين وأربع بنات، وأنا أصغر البنات. أبوي من السلط، طيب جداً لكن متعصب، كان ممنوع نطلع بزه البيت سواء معه أو مع الوالدة. ألف أهلاً وسهلاً بصاحباتنا عندنا، لكن ما فيناش نزورهن في بيوتهن.

أمي، لبنانية وجامعية، اسمها هند سابا، وهي اللي أعطتنا نظرة مختلفة للحياة مقابل ضغط أبوي. لما يسافر، كانت تسمح لنا نتحرك. عمان الخمسينيات مكنتش أبداً مدينة ثقافية، لكن كنا نروح سينما، كل خميس وسبت كنا نروح السينما مع أمي، وكانت تشتري لنا كتب، هاد وسع لي مداركي فعلياً.

رغم شدته، أبوي كان منفتح في مسألة التعليم، لذا سافرت أدرس في كلية بيرزيت لستين، مكنتش جامعة بهداك الوقت كانت دراستها سنتين، وبعدها رحت كلية بيروت للبنات، وحصلت في أواخر الستينيات على شهادة علم النفس، وكملت ماجستير التربية في التوجيه والإرشاد، ورجعت عمان في 1973.

اشتغلت سنة معلمة بالمدرسة الأهلية للبنات، وعرض عليّ أمير مديرة قسم الابتدائي، لكن حسيت إنني لسانتي صغيرة لأستلم منصب إداري، المديرة قالت لي جملة متأثرة بفيلم "الاب الروحي" إن هذا العرض لا يمكن رفضه، فدرت عليها إنني برفضه. ودرست بعدها اللغة الإنجليزية في مدرسة المطران، وطلابي كانوا بالمرحلين الإعدادية والثانوية، وهذا كان غير مألوف لأن الإناث كانت تدرّس وقتها للطلاب في سن أصغر يعني حتى الرابع الابتدائي فقط. بعدها صرت الموجهة التربوية في الأمدست² لفترة ثم اشتغلت محررة أخبار للنشرة الإنجليزية بالتلفزيون الأردني، وهون بدأت أوعي على التمييز ضد المرأة، كنا نعمل نشرة الأخبار، وفيه اثنين رئيس تحرير، واحد منهما لقي وظيفة أخرى وبطل يداوم، ولكن ضل اسمه يطلع كرئيس تحرير، وصفت النشرة بكل شغلها بذهري. رحت ببراءة شديدة قلت لمدير دائرة الأخبار إنه بما إن رئيس التحرير غائب، وإنني اللي عمّ أعمل النشرة كلها ليه ما ينحط اسمي كرئيسة تحرير، رد عليّ: "مشان احميكي ما بخليكي تحطلي اسمك، يعني بدك وزير يحكي معك، ويهدلك؟".

فكرت إنه لو حصل، الوزير راح يهدل الموجود، فعرفت إن هذا تمييز، وكانت أول صدمة لي. قعدت شي سنة عاطلة عن العمل، ثم رحت أمريكا، وفكرت أكمل هناك، عندي أختين، لكن رجعت ما عجبتني قصة أمريكا، حسيت إن اللي بدها تعيش هناك لازم تروح وهي صغيرة. بعد عودتي للأردن، طلبتني إنعام المفتي، وزيرة التنمية الاجتماعية، قالت لي: "بدي احطك مديرة تنمية مجتمعات محلية، بس قبلها بدي إياكي تساعدني بعدة شغلنا".

مثلاً رحت مع الوفد الأردني في مؤتمر كوبنهاجن العالمي للمرأة. وبعد فترة صرت مديرة تنمية المجتمعات المحلية. وضليت بالوزارة لغاية لما الملكة نور كانت عمّ تأسس إشني اسمه المؤسسة الملكية للثقافة والتعليم، وطلبت مني اشتغل معها، كنت part time في تأسيس المؤسسة، ثم طلبت مني أكون مديرة مكتبها، بعد وفاة مديرة، فانتدبت للديوان الملكي لنحو سنتين، وغبت عن الوزارة.

لما رجعت "التنمية الاجتماعية" راحت مني وظيفة المديرة، وصرت مديرة مكتب العلاقات الخارجية. تركت إنعام المفتي الوزارة، وجاء بعدها وزيران، والثاني منهما أعاد هيكلية الوزارة، كان فيها 8 دوائر تدبر النساء ثلاثاً منها، قرر تقليل عدد الدوائر، وبالطبع الرجال لم تمس مناصبهم، أنا مثلاً نزلت رتبة صرت رئيسة قسم بدل مديرة. قلت للوزير إن

2 منظمة أميركية غير ربحية تعمل في الشرق الأوسط على نشر التعاون والفهم المشترك، ويعمل في مجالات عدم، منها التعليم.

1 صارت الجامعة الأميركية في بيروت.

المدني حتى تقدر تصبغ سياسات، ويتجرد شديد أظن إنها تركيبة هي من أفضل التركيبات حتى نشغل إشني للمرأة الأردنية.

وضليت باللجنة 8 سنوات، وبعدها كان لازم راحة؛ استراحة محاربة. عملت كمستشارة خارج الأردن في الفترة من 2005 لـ 2010، بعدها صرت أقدم دورة في مناهج البحث العلمي.

لكن على مستوى قضايا وحقوق المرأة فيه تقدم كثير، اللي كان مرفوض بالسبعينيات والثمانينيات صار مقبول عادي. مثلاً كلمة نسوية كانت مرفوضة، خلال عملي في اللجنة الوطنية، انشكيت لسمو الأميرة إنني قلت عن نفسي إنني نسوية، وردت الأميرة بأنها هي كمان نسوية. لكن إجمالاً خيفة على الأردن من منطلق سياسي واقتصادي، وتحديدًا من التفاوت المجتمعي اللي حكومتنا عمالة تغض النظر عنه، ممكن يولد انفجارات ما بنعرف وين آخرتها.

لا يمكن استيعاب قرار هيك إنني ما غلظت بشغلي، رد عليّ بسؤال: "تحبي تكوني رئيسة قسم بوزارة قوية وآلة مديرة بوزارة ضعيفة؟" جاوبت أنها مش مشكلتي، قدمت استقالتي، وحصلت على إجازة لحين قبولها، وسبحان الله تغيرت الحكومة وجاء وزير ثاني، طلب يقابلني قبل البت في الاستقالة، وقال لي: "ارجعي وبصير اللي بذك إياه"، وفعلت عدت للعمل، وبعد ثلاث شهور حظني مديرة التخطيط والمتابعة، وهي أهم دائرة بـ "التنمية الاجتماعية". وضليت فيها لنحو 8 سنين، ثم رحت إعاره مديرة المركز الإقليمي للإصلاح الزراعي والتنمية الريفية لأربع سنين.

نضال في "شؤون المرأة"

في 1992، جاءت زيارة من وفد الأمم المتحدة للسكان، وكان فيه تركيز على إنشاء آليات وطنية لشؤون المرأة، راج وزير التخطيط أرسل لمجلس الوزراء خطاب يطالب بالموافقة على تشكيل لجنة وطنية لـ "رعاية" المرأة، وليس لشؤون المرأة، وهذا بيبيّن كيف كانت الأفكار متشددة!

اختارت الحكومة سمو الأميرة بسمة لترأس هذه اللجنة³، لأنها تقدر تحكي مع أهل عمان والريف والبادية، ولسموها تاريخ وخبرة في قضايا المرأة بصندوق الملكة علياء، بس الأميرة تدخلت وحكت ليكون القرار لجنة لشؤون المرأة وليس لرعايتها.. يعني أنقذت الموقف بحكمتها وحكمتها.

وبعد تشكيل اللجنة، طلبتني الأميرة لمنصب الأمانة العامة بعد شغوره، لكنني قلت لسمو الأميرة إنني بلاش أكون بالواجهة، لكوني مسيحية، خاصة إن اللجنة تعمل على قوانين الأحوال الشخصية. وسمو الأميرة عندها الأردني أردني مش أقلية وأكثريّة، لذا بعد 3 أو 4 أيام من التفكير قررت الأمير إنني "تيجي ولما يصير أي إشني حساس بنديره بطريقة ثانية".

اعتبرت إن شغلي باللجنة نضال، بل نضالات، أولها مع الأجهزة الحكومية، كل إشني بذي أدمه ممكن الوزير يستوعبه أو لا، إذا قدمته لجهاز ممكن يتعاون أو لا. وفيه نضال آخر مع الجمعيات والمنظمات النسائية قيادتها حاربتني، مع إنني كان هدفي أجمعهن، وخليهن يشتغلن مع بعضهن.

اللجنة شغلها فعلاً كان على مستوى السياسات، وليس التدخل بالشغل اللي عمّ تقوم فيه المنظمات النسائية، وأظن إنني نجحت إلى حد ما تكون مركزة على السياسات، كثير انسحبت من شغلات لأنها شغل الجمعيات ومؤسسات المجتمع المدني. واللجنة تستفيد من شغل المجتمع

3 تلتزم اللجنة باليهوض باوضاع المرأة الاردنية، وبنفيذ المملكة بعهداتها الوطنية والعربية الدولية. وبعد المرجع لدى جميع الجهات الرسمية، وممثلته المملكة في كل ما يتعلق بالأنشطة النسائية وشؤون المرأة

آمنة الزعبي: النسوية ليست إحساناً، بل تسعى لتغيير واقع المرأة

آمنة الزعبي، مواليد الرمثا (شمالي الأردن، إربد) 1955، محامية أردنية وعضوة مجلس الأعيان (2011-2013)، اختيرت رئيسة جمعية اتحاد المرأة الأردنية، جمعية الاتحاد النسائي في الأردن سابقاً، في 2017. في شهادتها، ترى آمنة أنَّ العمل من أجل قضايا المرأة ليس عملاً خيريّاً يتلخص في تقديم إعانات، وهو الواقع الذي فرضته الحكومة الأردنية حين كلفت وزارة التنمية الاجتماعية بتنظيم عمل المجتمع المدني المعني بأوضاع المرأة، وذلك بتشكيل اتحاد نسائي آخر غير "الاتحاد النسائي في الأردن".

بل تعتبر أنَّ دور الحقوقيات النسويات هو التركيز على التوعية بحقوق المرأة والسعي من أجل تغيير أوضاعها.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 4 شباط/فبراير 2020.

عشت في بيئة الحراك السياسي من أجل تحرير فلسطين

من مواليد الرمثا 1955، ولدت في عائلة فلاحية، كان نمط الإنتاج المعتمد في الأردن وقتها الإنتاج الزراعي، وبإريته استمر. كانت كل الأسرة تشترك في عملية الزراعة من الألف إلى الياء. وكان يعتمد على نظام التعاون والتكافل الاجتماعي مثلما تعمل فيه الأسرة، العشيرة أيضاً تعمل في الزراعة وتربية الحيوان، وكان نظاماً عشائريّاً اجتماعياً قوياً ومستتبّاً. مثلاً النساء يساهمن بشكل مباشر، جدتي ووالدتي وعماتي يساهمن إلى حد كبير في عملية الزراعة وحفظ المونة وكل هذه القضايا، ولكن العمل الأساسي في الفلاحة والحصاد يعتمد على الرجال، ومن هون كانت قيمة يعني تقديس فكرة إنباب الذكور وتعزيز وإعلاء قيم الذكورة على حساب النساء. أمي أنجبت ست بنات وولداً واحداً، ومع كل ولادة [لبنات] كان كارثة تحل على العائلة، مثلاً في آخر ولادة لأمي ذهبت لأخبر عمي -الذي اعتدّ به كثيراً

وهو متعلم ومعلم بمدرسة- فقاجاني بمشاعر من الحزن واليأس وقال لي: "سمّوها كفى" وهكذا سميتها "كفى الزعبي"، والتي صارت كاتبة وروائية مشهورة، رُشحت لجائزة البوكر في الأدب. كنّا في هذا الجو وهذا المناخ، مثلاً أبي لم ينل حصته الموضوعية والمنصفة من الإرث وأختصر نصيبه على أساس أن لديه ست بنات، وهذا خلاص أحس باضطهاد طريقي ذكوري. أمّا أمي، فهي من الشجاعة أنها تعتبر كل واحدة هي كنز وأنها ستربي هؤلاء الفتيات بحيث تصبح كل واحدة بعشرة رجال، وأصرت على تعليمنا، رغم أنَّ التعليم في هديك الفترة كان أولوية للذكور وليس الإناث، وكانت ترفض تزويجنا بمراحل مبكرة، وكانت أيضاً متسامحة، وتعطينا حريتنا وهذا خلاصنا نستثمر هذه الحرية في توظيفها في شكل إيجابي، بأننا كنّا متفوقات. الإخوات اللي أكبر مني لم يكملن تعليمهنَّ، أختي الكبرى لم تكمل إلا المرحلة بسيطة جداً، بس في ما بعد نفدنا جميعاً من استحقاقات الشروط العائلية، مثلاً كتبت شعر في هديك الفترة متأثرة بأبي القاسم الشابي والبياتي، بالصف السادس أو الأول الإعدادي، وكنت كل يوم ألقى قصيدة أو مقطوعة أو فكرة ما من الإذاعة المدرسية وصرت "شاعرة المدرسة". وهذا حسسني إن فيه حصانة لقا تكوني شاعرة، وأعطاني قوة بوجه من يحاول أن يقول كفى فلتزوج فلتجد نصيبها في شخص مناسب، وهذا كان حماية لي، بالإضافة إلى موقف أمي اللي يعتبرها نسوية من الطراز الرفيع بشكل فطري.

في طفولتي كان الأردن، كدولة عربية، يمر بأحداث وتحولات كبيرة جداً، مثلاً محاولة إنشاء "حلف بغداد"¹، وكان فيه معارضة شعبية عارمة للحلف، وترتب عليه خروج الناس في مسيرات احتجاجية ومطالبات، وقتها كانت فيه حكومة برلمانية، وترتب على هذا الوضع حلّ هذه الحكومة وإعلان الأحكام العرفية وإلغاء العمل السياسي والأحزاب السياسية هذا كان المناخ السائد في هذه المرحلة. وفي بلدتي، الرمثا، سنة ميلادي يؤرخ لها بأنها "سنة الحباري" نتيجة احتجاجات الأهالي الكبيرة، ضد حلف بغداد، وبسببها فرض حصار على المدينة بلواء تقوده شخصية عسكرية أردنية، علي الحباري. وخلال هذه السنة اعتقل بعض أهل المدينة، خاصة أنَّ بعدها تم التضييق على العمل السياسي في الأردن. كذلك عشت في بيئة الحراك السياسي فيها منصب على النضال من أجل تحرير فلسطين، ونصرة شعبها وحقه في العودة، فضلاً عن تحقيق قيم العدالة الاجتماعية والعيش الكريم، وهي الأفكار المنعكسة في أنشطة أحزاب وتنظيمات مثل "الشيوعي الأردني" و"البعث العربي الاشتراكي"، مثلاً 1967 كانت علامة فارقة في حياة الأمة

1 حلف بغداد أسسه المملكة المتحدة وضم دوله منها العراق وباكستان، وكان هدفه المعلن مقاومة المد الشيوعي، وكانت هناك محاولات لضم الأردن إلى هذا الحلف، لكنه لم يذله.

العربية كلها، وعلامة فارقة في حياة الأردنيين، فقدنا نصف الأراضي الفلسطينية التي كانت تحت ولاية الأردن، واحتلت القدس أيضاً ببشاعة مستمرة حتى الآن. ثم تشكلت حركة الفدائيين التي كان فيها فصائل كثيرة، قدسنا الحركة بكل مشاعرنا، أصلاً في التحرير والانتقام من الدولة المحتلة واسترجاع القدس وفلسطين، وأنّ الفدائيين راح يقوموا بالواجب، وكانت فيه عملية دعم هائلة جداً. والناس دعمت المقاومة أيضاً لأن إسرائيل استمرت في عدوانها، غارات نهائراً ولبلاً على منطقة الأغوار، وكثير من عائلاتها نزحوا عنها واستقروا بالرمثا، كان فيه حالة تضامن عامة.

آمال وخيبات ما بعد الهزيمة

مثلاً معركة الكرامة بالتعاون بين الفدائيين التي كانوا موجودين في غور الأردن والجيش العربي من ناحية ضد إسرائيل، كانت فاصلة وأعادت الأمل والثقة للناس، لم تعد مكسورين أمام الجيش الصهيوني الذي كان يقال عنه إنه "جيش لا يُقهر" بل هذا الجيش انكسر يفضاعة أمام إرادة وقوة الجيش العربي في الأردن، واحد من أبناء عمومتي استشهد في معركة الكرامة، وامتزج الحزن على استشهاده بالفخر والغراريد، وعززت قيم معينة مثل أن الكرامة لها ثمن، وهذا الثمن يدفعه برضا.

وفي أيلول 1970، كنت يمكن بالصف الثاني الإعدادي أو الثالث، ولمدة شهر كانت الرمثا محاصرة لأن كان فيها قواعد للمقاومة، ولقربها من سوريا، عشنا نقص المواد الغذائية، والقصف المتبادل، وكنا مواطنين غزل وسط حالة الصراع أو الاختراب التي صارت، وكانت مرحلة فاصلة؛ هل نكون مع المقاومة التي دعمناها بكل ما أوتينا من قوة، ولأ مع الجيش؟ كنا في حالة حياء، وعانينا كل مظاهر الحصار لفترة، حتى جرى التفاهم والاتفاق على إجلاء الفدائيين والفصائل عن الأردن باتجاه سوريا ولبنان.

أيلول الأسود كانت تجربة فيها سوء تقدير من جانب حركة المقاومة، ربما كان فيه سوء تعامل مع الوضع من الطرفين، لكنها عملت شرح في العلاقة بين فلسطين والأردن، ربما زدم هذا الشرح على مستوى رسمي، ولكنه لسه له أثر حزين فيّ، ولسه موجود.

في التوجيهي، حصلت على معدل عالي أتاح ليّ فرصة الحصول على منحة إلى الجامعة الأردنية، لأنني كنت الأولي على المحافظة، وسكنت بالسكن الجامعي، وكانت نقلة نوعية في حياتي، ابتعدت عن الأهل والجو المعتاد، وعشت في استقلالية. كما شاركت في الحراك الطلابي وقتها، سواء المتعلق بجرائم الاحتلال في فلسطين كنا نعتصم أمام المكتبة، أو أن طلاب الحزب الشيوعي-الممنوع

من العمل- يخشدوا لقضايا اجتماعية، وكنت أشارك معهم لأنها قضايا عامة، لكن مكنتش منتظمة في أي حزب، بل أقوم بما أؤمن بما أراه واجبي، مثل احتجاجات الطلاب ضد رفع رسوم الدراسة أو تغيير منهج ما.

مثلاً تعرفت على شاب من الرمثا عن طريق الصدفة، كنا طالعين بالسيارة من الرمثا، كان بديّ أروح على عمان للجامعة، وهو طالع بديّ يروح على المطار لأنه يشتغل في السعودية. كان جالس بجانبني، وتداولنا أطراف الحديث، ثم تعرفت عليه بالرسائل وصرنا نتبادل الأفكار حول قضايا فكرية وفلسفية، هو يساري قومي، وقارئ كل الكتب المؤسسة مثل "رأس المال" وغيرها. خطبني أكثر من مرة، ورفضه أقاربي في العشيرة، لأنه من عائلة أخرى. وضّل يحاول على مدار أربع سنوات، وكل مرة رفض. لغاية لما حسمت الموضوع مع أبي وأخي، قلت لهم إنني إنسانة عاقلة راشدة وهاد حقني ومتش راح أساوم فيه، وهكذا كان تخرجت من الجامعة وتزوجت في 1987، لكن العشيرة اعتبرت إنني خرجت عن إرادة العيلة.

حين شُمع اتحاد المرأة

بعد الزواج، دخلت الاتحاد النسائي² في الأردن مع الانخراط في اجتماعاته وأنشطته، ولم يكن يفصل بين السياسي والاجتماعي. كنت عضوة فيه، ساهمت في فتح فرع الرمثا، ووجها دعوة للي بنعرفهن من النساء، عن طريق الاتصال الشخصي بالتلفونات، ونظمت الاجتماع الموسع في بيت أحد أعمامي، وجاءت الزميلات من فرع إربد، التي كانوا بالهيئة الإدارية، وشرحنا للنساء أهداف الاتحاد، ولأن كان فيه فقر في التنظيمات، والناس تواقعة للمشاركة، انتسبت يمكن 110 أو 115 واحدة، وهاد العدد كفيّل بإقامة فرع في الرمثا، حسب الإجراءات المنصوص عليها في لائحة الاتحاد. ثم جاءت محاولة وزارة التنمية الاجتماعية إن الاتحاد يكون تابع لها، تقريباً في أوائل الثمانينات، جئنا كتاب إن الاتحاد تحوّل من مظلة وزارة الداخلية لوزارة التنمية الاجتماعية، والأخيرة جمعت الجمعيات الخيرية الإحسانية في كل محافظة، وقالت إن هذه الجمعيات تشكل الاتحاد النسائي الأردني العام، والعضوية ما هي فردية، بل بالجمعية، والجمعية هي التي تنتسب مش أفراد. كرّس مفهوم إن العمل النسوي والحركة النسوية مؤطرة في بُعد العمل الخيري، ما خفف من صيغة إن فيه حركة نسوية

2 أسس الاتحاد في الأربعينيات، ومع تطبيق الأحكام العرفية في 1975، حل، وأعيد تأسيسه في 1974. وضم في عضويته ممثلات عن تنظيمات سياسية غير مسموح بنشاطها رسمياً في البلاد، مثل " الحزب الشيوعي الأردني" والجهتين الشيعية والديمقراطية لتحرير فلسطين، وفتح، وغيرها وفي 1994 صار اسمه جمعيته اتحاد المرأة العربية.

قوية قائمة، ولها خطابها ورؤيتها، ورسالتها. قبل ذلك كان الاتحاد شعبي، وفيه فردية تعبر عن إرادة الناس في الانتساب، وكنا نعتبر كل امرأة أردنية لها حق المشاركة وإبداء الرأي والمشاركة في الفضاء العام والقضايا العامة. لكن الاتحاد المُشكل في إطار وزارة التنمية الاجتماعية قيادته تابعة لوزارة التنمية الاجتماعية في كل إشي. الهيئة الإدارية رفضت كل المفاوضات مع الوزارة، وخلّ الاتحاد، وشُملت مكاتبه في الفروع باعتباره كيان غير قانوني، واندمجت فروع أخرى في الكيان الجديد مثل فرع الكرك لجمعية لحالها.

رفعت الزميلات قضية، وصدر حكم برفض القرار الحكومي بحل الاتحاد، لأنه قرار غير معلل وباطل، ولكن ضلت مقررات الاتحاد مُشعبة، وصار فيه تضيق على الزميلات قائدات الاتحاد، استدعاءات يومية، وأحياناً استدعاءات ليلية. ولكن عملياً كنا نمارس أنشطتنا كاتحاد نسائي في الأردن من البيوت، ونطلع مسيرات دعم ضد اجتياح لبنان في 1982 أو دعم الانتفاضة الفلسطينية عن طريق جمع التبرعات، وفي إربد طلبنا من مشغل يعمل لفحات الملتمين من التريكو والقماش وبعتناها.

ومع بدايات الانفتاح، استعدنا شرعيتنا بشكل مباشر لجمعية، وتمّ تسمية مجموعة من العضوات بالهيئة الإدارية وكنت منهن، وكان لا بد من تجديد كل الأطر ووضع استراتيجية جديدة، وتعديل النظام الداخلي بما ينسجم مع مستجدات الحياة الديمقراطية واستحقاقاتها، وخلق هيئة. وصرنا جمعية وفتحتنا أفرع منها إربد، والرمثا.

نضال ومعارك تشريعية

منذ 1997، لما أصبحت رئيسة الجمعية، وضعنا بعض التشريعات لا بد من الاستمرار بالنضال فيها أو العمل عليها مثل تعديل قانون الأحوال الشخصية، قضية طالبت فيها الرائدات في الاتحاد إيميلي بشارات وزميلاتها، ومطالبتهن كانت بكتاب نسوي حقوقي قوي جداً، واعتبرنا أننا لا بد نستمر فيها، من أجل أن النساء تأخذ حقوقهن كمواطنات كاملات الأهلية، والقانون فيه الكثير من الانتقام، وهو قانون وضعي مش مُنزل من السماء أو مقدس، بل وضعه بعض المشرعين اللي أسقطوا قناعاتهم واستعملوا الشريعة الإسلامية من دون تحقيق مبدأ المساواة. كان فيه عملية نضالية تاريخية، ولا بد من الاستمرار في النضال من أجلها.

مثلاً في سن الزواج³، كان بدنا نحط مبررات منطقية ودينية

وأخلاقية واقتصادية لأن تزويج الأطفال هو كارثة اقتصادية على المجتمع، بل كارثة تقنية لأنه سينشئ أسراً جاهلة. فتنا على مدارس المملكة وشرحنا الموضوع، ناقشنا رجال دين، وعملنا مذكرة، ورحنا فيها للجنة الوطنية لشؤون المرأة، واللجنة القانونية في مجلس النواب، واللجنة القانونية في مجلس الأعيان، وتم تعديل القانون.

ومن خلال العمل الجذري مع الناس اكتشفنا ضرورة دعم نساء معنفات، هن طفلات أعمارهن 18-20 عاماً، وعند الواحدة منهن ثلاثة أطفال، لذا قررنا خوض معركة أخرى من أجل قانون مدني للأسرة بغض النظر عن المرجعية الطائفية، ويحمي مصلحة الأفراد، ويعمل توازن في العلاقات داخل الأسرة بين الرجل والمرأة والأطفال. هاي معركة عمّ بنقودها بنجح بنجحش، لكن يعني سوف نستمر فيها.

فيه تضيق على دورنا، إنه جمعية امرأة لازم تشغل بالخطابة والتطريز والطبخ، وتساعد النساء الفقيرات، لذا نحاول حالياً تكييف دورنا من منظور رسمي، أننا مع تمكين المرأة وتعليمها خياطة أو تأسيسها مشروعاً صغيراً، وهذا عمل تنموي، وهذا العمل التنموي مشتبك فيه السياسي مع التنموي والاجتماعي والاقتصادي، وهذا ليس عملاً سياسياً مثل الذي تقوم به الأحزاب، لكن دورنا النوعية السياسية للنساء، هذا واجب، وإلا كيف نقول إن النساء لازم تشارك في العملية السياسية الانتخابية، لازم يكون عند النساء وعي سياسي. الصراع على تكييف الدور كثير صعب، ونخوضه مع وزارات فيها ذهنية مرحلة "ما قبل الديمقراطية".

3 رفعت سن الزواج رسمياً إلى 18 عاماً، لكن في 2019 غل قانون الأحوال الشخصية بشكل يسمح بالزواج في سن الـ 16 في حالات استثنائية، ويحدد تلك الحالات بمعرفة دائره قاضي العضاة

تغريد حكمت: لا يوجد مجال حصري للرجال

تغريد حكمت أو صاحبة السعادة، مواليد 1945، تأتي مسيرتها لندل على قدرة المرأة الأردنية على تولي مناصب كانت محصورة للرجال قبلها.

شقت صاحبة السعادة، تغريد، طريقها بصعوبة داخل المحاكم كمحامية، وهو الأمر الذي أثار استغراباً في ثمانينيات الأردن، لكنها لم تتوقف عند ذلك الحد، بل اقتحمت السلك القضائي حتى وصلت إلى قمته داخل المملكة وخارجها، حين رشحت لتكون قاضية في المحكمة الجنائية الدولية، لكن هذا الترشيح واجهته اعتراضات أدت إلى خسارتها الترشيح. وبعد الخسارة لم تتوقف، بل عاندت لتخطى بترشيح آخر، ثم أثبتت جدارتها في هذا المنصب الدولي، لتصبح رئيسة محكمة دولية، وعلى هامش ذلك خاضت معركة، داخلية، ضد السرطان.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 2020/5/19.

ضلت عندي رغبة في دراسة الحقوق

والذي كان أحد ضباط الجيش السوري، سجنه الفرنسيون لأنه كان مع ثورة هنانو، وجرى تهريبه من السجن، وجاء على الأردن في بداية إمارة الأمير عبد الله. والذي كان من مؤسسي الجيش العربي، وتزوج والدتي، وهي تركية الأصل لكنها أتقنت اللغة العربية وحفظت الملاحظات والشعر العربي كله، وآلفت كتاب "خمسة وستون عاماً من حياة امرأة أردنية" تسرد فيه قصة حياتها من خلال تنقلها مع والدي من شمال الأردن إلى جنوبه، وتحكي تفاصيل علاجها له لأنه أصيب بالشلل بعد عملية قتل فيها كثيرون من جنود الحامية اللي كانت معه، لم يتعرض للإصابة في المعركة بل شل بعدها، والوالدة ضلت تعالجه حتى عاد يكتب بإيده ويركب الفرس.

كنّا نسكن في الزرقاء، لأنّ الوالد كان يعمل في معسكر تابع

1 إبراهيم هنانو، زعيم سوري، قاد مواب عربية على شكل عضابات ضد الاحتلال الفرنسي لسوريا في 1919.

2 اسس عبد الله بن الحسين بن علي الهاشمي إمارة شرق الأردن في 1921، وقد صارب في ما بعد المملكة الأردنية الهاشمية.

للجيش هناك بعد إخالته على التقاعد بعد حرب 1948. زينت في الزرقاء وتعلمت، وما كان فيها "علمي" بالتوجيهي، وإذا بدّي أخذ "علمي" معناه أروح على عمان، وإن بنت 14 سنة تطلع لعمان يومياً في هداك الوقت كانت مسألة صعبة كتير، فاضطريت أخذ "أدبي" وتفوقت، وطلع لي بعثة لـ Junior College في بيروت، ولكن توفى والدي في هديك السنة، وكل العيلة تدخلت لمنعي من طلوع البعثة، لأن بيروت وقتها كانت رمز الانفتاح والميني جوب في العالم العربي، بس تكيفت مع الظروف.

وقتها كانت شهادة التوجيهي عليها قيمة أكثر من الآن، لذا قدمت طلب وتبينت معلمة، ودرست فن وإنجليزي، كنت أعلم الطلاب بدمى القفزات، علمتهم كيف تصنع هذه الدمى، وكيف يعملوا تمثيليات بها.

درست سنوات، لكن ضلت عندي رغبة في دراسة الحقوق، وأقرب جامعة فيها "حقوق" كانت جامعة دمشق، والمسافة بينها وبين الزرقاء حوالي ساعة ونص، وقد كان درست وحصلت على البكالوريوس في 1973، لكنني فضّلت الأمومة على الشغل، لأنني كنت خلفت بنتي الأولانية قبل تخرجي. بكل سهولة كان ممكن اشتغل محامية وقتها، أخواني عندهم مكتب محاماة كبير، وأخوي طاهر حكمت، رئيس المحكمة الدستورية، لكن الأمومة كانت فوق كل الطموحات، لأنني إذا اشتغلت محامية معني ذلك تركي البيت صباحاً للتواجد في المحكمة، وظهرًا في المكتب، أما العمل بالتعليم، فلن أغيب إلا ثلاث ساعات مثلاً، لذا استمررت بالتعليم حوالي تسع سنوات، وبيت ولد وبنت كمان، وبعد لما كبروا ووصلوا سن دخول المدارس، اشتغلت محامية في 1982.

مثلاً وقتها كان عدد المحاميات العاملات في الأردن لا يتجاوز أصابع اليد، ولما يقابلني أحد المعارف بالمحكمة يقول: "خير إن شالله بذكّ مساعدة؟" يعني شو اللي جابك يعني، كانوا يشعرونني إنني موجودة في مكان لا يجوز للمرأة أن تتواجد فيه. مثلاً سألني صحفي: "ما رأيك في المرأة كمحامية؟" قلت له إن المحاكم غاية الرجال ولا يوجد فيها متسع للمرأة، ثم سألني "عن المرأة كقاضٍ" قلت له إذا أتيح للمرأة الأردنية أن تدخل السلك القضائي، رغم وجود بعض الاتجاهات الفقهية الإسلامية التي لا تؤمن بولاية المرأة للقضاء، إن شاء الله سأكون "أول قاض امرأة". لكن ذلك استغرق 14 سنة حتى تحقق لي.

المرأة في القضاء

قبل ذلك، اختّرت رئيسة اللجنة القانونية في اللجنة الوطنية لشؤون المرأة مع الأميرة بسمة للتجهيز لحضور الأردن في

مؤتمر بكين 1995. ورصدنا وبين المواقع التي ما وصلت لها المرأة الأردنية، لقينا إن القضاء هو الموقع الوحيد المهم الذي لازم توصله المرأة، وبدأنا نشتغل عليه.

وتحدثت جلالة الملك الحسين عن التوجه لدخول المرأة السلك القضائي، وفي 1996 غيّنت أول امرأة في القضاء الأردني. وضليت سنة ونصف تحت المراقبة، كيف أدالي، هل سأنجح أم لا؟

والآن أصبح عدد القضايا 280.

أول إشي غيّنت مساعدة للمحامي العام، ثم مساعدة للنائب العام، وبعدها في محكمة الاستئناف، ومن ثم محكمة استئناف الضريبة، وبعدين محكمة الجنايات الكبرى، لم أكن أحلم وأنا في المدرسة الثانوية في مدينة الزرقاء إن الله سيهيني هذه الفرصة وأصبح رئيسة "الجنايات الدولية".

والحكاية بدأت بالترشح كقاضية في العدل الدولية في لاهاي، لمّا بتصير شواغر في تلك المحكمة يرسل لكل الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، وكل دولة ترشح شخص واحد، ورشحت باسم الأردن، وبعدها راح تصير فيه انتخابات، وقبلها جاءت لي دعوة من الجامعة الأوروبية في بودابست، أنا وعشر نساء مرشحات من دولهنّ، وبعد حضوري الورشة قامت القيامة في الأردن، اعتراضات قُدمت للحكومة من قبل أكاديميين ودبلوماسيين ومدعين عامين، بناءً على تلك الاعتراضات الحكومة رفعت للديوان الملكي قائمة بأسماء 12 شخصاً، وتضم أيضاً امرأة أخرى غيري، وكان اسمي بالقائمة لاختيار مرشح الأردن. لكن جلالة الملك أكد ترشيحي. المفاجأة أن الخارجية لم تقدم اسمي بحجة إن فيه أوراق ناقصة، اتصلت بوزير الخارجية قال لي إن "فيه كتاب إجا من الأمير زيد بده إياكي، لكن بعض الأوراق كانت ناقصة، دورنا عليك ما لقيناكي، حظك سيئ" رديت عليه أن عطل قرار ترشيحي من قبل جلالة الملك، وضيّعت على الأردن مقعد ما يصح لها كل خمسين سنة إلا مرة، لأننا كنّا الدولة العربية الوحيدة الموقعة على اتفاقية روما وقتها، وضاع شغل ثلاثة أشهر، وقلت له إن بيني وبينك القضاء. راح الوزير سوى تحقيق، حكى لي بعد يومين "شرفيني بالمكتب".

لمّا قابلته قال لي: "سويت تحقيق وتبين إنه ما فيه حدا له سبب [في عدم ترشيح اسمك]، لكن بذّي اعتبر حالي أنا المسؤول، وإن شاء الله بعوضك بأي مقعد دولي آخر" وراحت الفرصة.

فرصة جديدة بدل الضائعة

بعدها الأمم المتحدة أخبرت الدول إن فيه 18 موقع شاغر في المحكمة الجنائية الدولية في رواندا، راح الأمير زيد

أرسل كتاب يطالب بـ"ترشيح القاضية حكمت"، ومرفق مع الطلب عنواني وتليفوني، حتى لا تضيع الفرصة كما جرى في الترشيح السابق. ورشحت، ولمدة شهر سويت حملة انتخابية قابلت خلالها 80 بعثة دولية، وجبت 152 صوت، كنت ثاني أعلى أصوات في انتخابات اختيار 18 قاضي عالمياً، من الـ152 صوت، 40 واحد من دول المؤتمر الإسلامي، وهاي نقطة كانت محسوبة إيجاباً إن هذه الدول ترشح امرأة قاضية.

محكمة الجنائية الدولية لجرائم رواندا كانت متعلقة بحوالي مليون ضحية خلال 100 يوم، قتل عجيب، وكانت ضد القادة العسكريين اللي أعطوا الأوامر بارتكاب جرائم الإبادة الجماعية، ومنهم قائد الجيش ومدير الأمن وزير الدفاع، وأقيمت المحاكمة في مدينة بتزانيا قرب جبل كليمنجارو، كمناطق محايدة حتى لا تتحكم الجهة المنتصرة في المعركة في الإجراءات، وقعدت 8 سنوات هناك، مع زوجي اللي كان متقاعد من عمله كمدير اتصالات بالأمن العام، والحرس الملكي، هو عسكري، وهناك، كان يروح الجيم، ويجمع أحجار كريمة من جبال تنزانيا.

خلال المحاكمة اكتشفت إن عندي السرطان، وكانت قصة طويلة، وعلاج كيميائي، لكنني فضّلت أعمل شغل، لأنني إذا أخذت إجازة بدهم يعينوا قاضي محلي، وكل تعبني في القضية على مدار أربع سنين يروح عليّ ويطلع الحكم باسم القاضي الجديد، قررت أكمل، أخضع لجلسات العلاج الكيميائي في عمان، ثم أسافر إلى القاهرة، ومنها إلى نيروبي، ثم كليمنجارو. ولا أشعر أطراف الدعوى إنني مريضة حتى لا يحكوا بأهليتي، ثم خلصت القضية، وبعدها تحديث حالي، وترأست المحكمة الدولية.

البحث عن مكانة جديدة

بالـ2012، خلّصنا المحكمة الدولية، وجيت الأردن، وقابلني جلالة الملك، وسألني عن موضوع الفساد في البلاد، فقلت له: "سيدنا أولد الفاسدون غالباً لهم مراكز إدارية عالية، ويعتقدون أنّ لديهم حصانة، ولن يحاسبهم أحد. الفاسدون لديهم مستشاروهم القانونيون عندما يفسد الواحد منهم، يفسد بقانونية، إذا حظّوه بالسجن يطلع لعدم كفاية أدلة، لكن سيدي من خلال توجيهات جلاتك، ولكسر ظهر الفساد، إن أي شخص مين ما كان، ابن مين ما كان، مهما كان المنصب الذي يحتله، ومهما طال الزمن، ستتم محاسبته، ونرسي دعائم ثقافة المسؤولية بدل من ثقافة الحصانة" قال لي هاد الي بذّي إياه.

بالمناسبة لمّا رجعت على عمان، أعطوني رئاسة محكمة الجنايات الكبرى اللي كنت عضوة فيها قبل عملي

بـ"الجنايات الدولية"، لكن ترؤسي لهذه المحكمة في الأردن معناه إنني بدّي أوقع عقوبة الإعدام، وأنا ضد هذه العقوبة، لأن المحاكم الدولية ما فيها إعدام، رغم إنها تنظر جرائم إبادة جماعية، الاتحاد الأوروبي ما فيه إعدام، التوجه في العالم الآن نحو إلغاء تلك العقوبة، وألا تُقابل الجريمة بجريمة أخرى، خلينا نقول إن القضاة قد يرتكبون أخطاء في أحكامهم، وحتى إذا كان القاضي يرى أنه يحكم "بالقانون والوثائق والشهود" لكن اللي عنده سلطة ممكن يخطئ وتائق وأدلة وشهود، أخطاء القضاة بتصير، لكن لما ينعدم متهم انتهى الموضوع. وبسبب ذلك قررت التقاعد، ولم أتولّ المنصب، خاصة إن رئاسة تلك المحكمة مش راح تضيف لي إشي، لأنني رئيسة محكمة دولية، وتقديراً من جلالة الملك عيّني بمجلس الاعيان.

وقعدت سنوات في "الاعيان"، لكن قلت إنني بدّي أمام الرأي العام العالمي إن المرأة الأردنية تدخل مجال كان محصور على الرجال، لذا فكرت أروح المحكمة الدستورية، ووافق جلاله الملك، وأصدرت الإدارة الملكية قرار تعييني عضوة في مجلس "الدستورية"، وتركت "الاعيان" لتولي مناصبي في المحكمة بـ2013... وهكذا حققت حلمي بوصولي كأمراة لمكانة لم تصلها المرأة الأردنية من قبل، وذلك بعد ما كنت أول قاضية في الأردن، وأول عربية ومسلمة بالقضاء الجنائي الدولي.

مثلاً المرأة الأردنية وصلت لأعلى المراكز، صارت وزيرة، ونائبة رئيس وزراء، وفي القضاء، والمحاميات صار عددهن كبير، واللجنة الوطنية لشؤون المرأة ساهمت بدور كبير في تحقيق ذلك، وجلالة الملكة كان لها دور كبير. لكن فيه شغلة مهمة لازم نركز عليها هي العنف الاسري.

خالدة مصاروة: لا بد من إرادة سياسية لإحداث أي تغيير

خالدة مصاروة، مواليد مادبا 1955، معلمة وكاتبة، تعدّ نفسها قومية الانتماء، مع الحفاظ على كونها مستقلة لم تنظم داخل أي حزب أو كيان سياسي. التحقت خالدة بالاتحاد النسائي في مدينتها الواقعة وسط الأردن، لكنها ترى أنّ قضايا المرأة لم تكن ضمن أولويات العمل النسوي، بل كانت السياسة والخلاف بين القوى هما العامل المسيطر على نشاط الاتحاد، وهو ما تشرحه في شهادتها التالية التي اعتمدت على مقابلة جرت في 2020/10/6.

ميالة للعمل العام والسياسة

وُلدت في عائلة فيها سبع بنات وأخ، في مادبا، ورغم أنّ والدي خدم في الجيش 39 سنة، لكنه كان ميّالاً للديمقراطية، وكذلك تأثرت بشخصية جدي لأبوي، كان علماني وقارئ وناقد للتاريخ. عن طريق مناقشاته معي، شكّل جدي شخصيتي، وأعمامي كلهم انتظموا بـ"الحزب القومي السوري" عدا واحد كان في الحزب الشيوعي الأردني. وطبعا والدي كان يقوم بواجبه العسكري، ومانع نفسه عن زيارتهم، وفاضل نفسه عن نشاطهم السياسي المدني. لكنني كنت أحب أرواح عند أعمامي لأنني ميالة للعمل العام والسياسة، دون أن انضم لأي حزب، بل تركت لنفسي وعقلي التفكير والخيار.

مثلاً وقت حرب 1967، كان عمري 12 سنة، وكنا في ملجأ، ومعدنا سبعة أيام مكناش نعرف أبوي وبنة، لأنه عسكري.

حديث ودي مع وصفي التل

قبل أيلول 1970، قابلت وصفي التل، خلال رحلة مدرسية للعقبة. كان قاعد على الأرض ويدخن سيجارة، وكان معه وزير الخارجية وقتها، عبد الله صلاح، فهو لمّا شافني أنا وزميلتي، تيريز الريان، جاينن لاتجاهه طفى السجارة بالرمل، ووقف، وكان لابس شورت، وقعد يسولف معنا عادي كأننا كبار، مع إننا كنا طالبتين بالتأني، أنا بالأول

وتيريز في الثاني. مثلاً قال لنا "يجب أن يستتب الأمن في الأردن".

وبعد الأحداث، اغتيل وصفي التل على أساس أنه كان وراء كل الأحداث، لكن بصراحة اعتبر أنه فهم غلط، يعني أنه ضد الفلسطينيين أو المقاومة، بل هو كان بده يعمل على إرساء الهوية الأردنية وتجذير هذه الهوية مقابل الهوية الفلسطينية.

وبعد اغتياله كنت أحيي مع الشباب حتى نلتقي ونسير في مظاهرة احتجاجاً على مقتله، فلقطوا المكالمة، ولبيل حكى واحد مسؤول كبير مع أبوي، وسمعت بيرد عليه: "بنتي قبالي، بكرة ما بتطلع على المدرسة. خلص بوعدك".

لكن الصبح نزلت، ولقينا الجيش منتشر، لمّا رحنا المدرسة، كانوا البنات محضرات خالهم ولا بسات أسود، ومشيئا، والتقوا معانا شباب. بعد فترة جانا قائد الدرك وقال لنا إنه "شكراً لمشاعركم... لكن ممنوع المسيرة".

المرأة لم تكن أولوية اتحاد المرأة

ما كملت دراسة بالجامعة الأردنية، سنتين دراسة ثم زواج، واشتغلت معلمة وتركت مع الولادة، ولما صرت في الثلاثين استأنفت الدراسة الجامعية، ثم درست فلسفة وعلم اجتماع. نشطت مع جمعية الشابات المسيحية، لكن ما وجدت نفسي فيها صراحة، لذا عملت في الاتحاد¹ النسائي فرع مادبا، في أوائل الثمانينيات. كان فيه صراع بين حركات سياسية ممثلة في اتحاد، صراع قوى سياسية لا تحظى المرأة بأي إشني منه، وهذا كان يحيرني، وبخايني مراقبة لما يجري، وأكوّن فكرتي التامة عن العمل النسوي وإيش بدي أعمل. قضايا المرأة لم تكن الأولوية، بل الانتماء الحزبي لعضوات الاتحاد، وقناعني أن قضية المرأة لازم تخفف الفروقات بيننا، ونخلق جو خاص بقضية المرأة. مثلاً لاحظت أن بعد مؤتمر المرأة في بكين 1995، صار فيه تطور رهيب على الحركة النسوية، قبله كانت قضية سياسية لم تكن قضية للمرأة، وبعده صار فيه اهتمام بقضايا المرأة مثل العنف ضد المرأة، بس وقتها المرأة كانت تحتاج إلى جانب العمل ضد التعنيف إلى التمكين الاقتصادي والتعليم، في رأيي الشخصي. وتلبية لاتجاه

1 بولي وصفي التل منصب رئيس الحكومة الأردنية ثلاث مرات منفصلة، أولها 1962-1963، ثم من 1965 J 1967، والآخره في آب/أغسطس 1970 حتى اغتياله بالقاهرة في 26 تشرين الثاني/نوفمبر 1971.

2 يعود تاريخ تأسيسه إلى أربعينيات القرن الماضي، وجرى حله مع فرض الأحكام العرفية وحل الجمعيات في الأردن 1957، ثم أعيد تأسيسه تحت اسم "الاتحاد النسائي في الأردن" في 1974، ليضم ممثلات عن كل المنظمات العاملة في البلاد المعينات بعمل المرأة العام، وشكلت هيئة الاتحاد الإدارية من ممثلات عن أحزاب ومنظمات منها الحزب الشيوعي والجهتان الديمقراطية والشعبية لتحرير فلسطين.

الأمم المتحدة لتمويل المنظمات غير الحكومية، شكّلت القوى السياسية جمعيات حتى تحصل على تمويل، ومشتتت الحركة النسائية على برنامج الأمم المتحدة، مش على ما نحتاجه في الأردن، يعني لم تقدر على قبوله ما نطلبه الأمم المتحدة مع سياق ثقافتنا المحلية.

مجتمع مدني

ورجعت لعلم الاجتماع، واستنتجت أن الدول المتأخرة زي دولنا التغيير فيها يحدث بإرادة سياسية غلبا، وليس بمنظمات مجتمع مدني، لأنها كانت ضعيفة. مثلا دخلت في تجربة تأسيس حزب مع مجموعة من الشخصيات الوازنة والشبابية، تحت مسمى "التجمع الديمقراطي الحر"، وخلال ثلاث سنوات جمعنا 500 مؤسس من مختلف المحافظات، وأعدنا أوراقه، وكثينا أدبياته، وتواصلنا مع أسمر خضر³ لوضع تصور الحزب حول دور المرأة، والذي كان معتمدا على الاستراتيجية الوطنية للمرأة⁴. لم ير هذا الحزب النور، بالفعل سلّمنا كل الأوراق لوزارة الداخلية، لكن لما سألوا فهمنا إن ما كان فيه إرادة سياسية ليكون في عندنا أحزاب حقيقية.

مثلا عندي قصة شخصية كاشفة للمجتمع الأبوي؛ في 2006 زوجي مرض، هو طبيب، وكان لازم يقعد بالبيت على الأجهزة، لذا كنت أقوم بدورين اشتغل بالتعليم، وأقوم بدور الممرضة ليلا، لكن ما يخص كشف المجتمع الأبوي إن زوجي كان عشائري، ابن نفس عشيرتي، وكان ملتزم تجاه العشيرة، وكان طبيبا. ولكن لما مرض نسيته العشيرة، لذا حسيت إن العشيرة لا تتقن دورها الحقيقي الاجتماعي التكافلي، أن الطبيب اللي كان له فضل كثير على أبناء العشيرة يداويهم ويعالجهم ببلاش ما زاره حدا؛ فلماذا تلجأ العشيرة إلى دور سياسي إذا هي لا تقوم بدورها الحقيقي التكافلي، لذلك صرت بالعلن أحارب كل هاد الفكر.

3 الامانة العامة للجنة الوطنية الاردنية لشؤون المرأة الاردنية في الفهره من 2006 ل2014. وتجدون شهادتها ضمن هذا الكتاب

4 تضع هذه الاستراتيجية اللجنة الوطنية لشؤون المرأة برئاسة الاميره بسمة، واللجنة اسست في 1992، ويعمل على النهوض باوضاع المرأة. وبعد المرجع لدى الجهات الرسمية وممثله المملكه في كل ما يتعلق بالانشطة النسائيه وشؤون المرأة

خديجة الحباشنة: كوتا المرأة ضرورة

خديجة الحباشنة، مواليد الكرك 1945، مخرجة أردنية، واختصاصية نفسية.

بالتزامن مع ثورة المخيمات الفلسطينية في لبنان، عملت خديجة على أرشفة مواد مؤسسة السينما الفلسطينية، وفي هذه الشهادة، تروي حكاية تأسيس هذا الأرشيف ثم اختفائه، كما تروي كيف لم تنتظم سياسياً داخل أي كيان سياسي عدا ما يمثل القضية الفلسطينية، وهو انتماء جعلها عضوة في المجلس الوطني الفلسطيني في الثمانينيات، ولا تزال.

شهادة خديجة اعتمدت على مقابلة جرت في 14 ديسمبر/ كانون الأول 2020.

عملنا مسرحيات ساخرة في المدرسة

أردنية من الكرك، امرأة غلباوية، يعني بحبش الحياة السهلة، تربية بين الكرك وعمان لأن جدودي كانوا في الكرك، وإحنا في عمان. أبوي كان يشتغل بالدولة، في إشي اسمه "الأمن العام" وكان وقتها يشمل كل إشي؛ جرائم، وتهريب، وكل المشاكل اللي بتصير في البلد حتى الأحداث السياسية.

كنّا ساكنين بحي المهاجرين بعمان في أواخر الأربعينيات، وسكانه شركس وأرمن وشوام، ولأن أمي كانت أمية ومقهورة بسبب ذلك والمدارس كانت قليلة، حطنتي قبل سن دخول المدارس عند واحدة شركسية، اسمها نائلة، فأتت مدرسة بدارها. لكن ما قدرت أصمد في مدرسة نائلة، لأنني كنت صغيرة كثير، ما كنت قادرة أعتبر لها إني بدي أروح عالحمام مثلاً، ففرضتني لأنني عملت على حالي. بعدها أمي قالت البنت بعدها صغيرة، تكبر شوي وتروح المدرسة.

أهلي نقلوا على منطقة الأشرفية، وصرت بسن الخمس أو ست سنين، بدي أروح على المدرسة. لكن أمي حطنتي عند واحدة بتعلم في البيت اسمها الست كريمة، كل ما تعرف انه في واحدة بتعلم بنات بدارها تحطني. كنت سريعة التعلم، تعطيني الست كريمة درس احفظه بسرعة، تلقيني إملاء، تلقيني حافظة الكلمات، تعطيني دروس أكثر، مثلاً أخذ أربع أو خمس دروس في النهار... بعدين ترهق الست كريمة مني تقولي خلص بكفي روجي.

الظاهر فكروني خلصت العلم، فأمني ما قلقتش على تسجيلي لأنني صرت بقرا كثير سلاسل كتب، شارلوك هولمز وأجاثا كريستي وإحسان عبد القدوس ويوسف السباعي. لكن بدي أدخل على المدرسة، أمي قالت لجارتنا تسجيلني في المدرسة وهي رابحة تسجل أولادها، والظاهر كان فيه مشكلة ما انحلت فاسمي لم يسجل. لما رحت ع المدرسة نادوا على أسماء البنات مشان تطلع الصفوف وما سمعت اسمي، صرت أبكي لمحتني مديرة المدرسة أجت حتى عندي، كانت اسمها ليا يني، من عكا، سألتني: "مالك حبيبتني ليش بتبكي؟" قلت لها إني ما سمعت اسمي، أخذتني على غرقتها وراجعت الكشف ما لقت اسمي، قالت لي: "اسمعي بتروحي بتخلي أبوك أو أمك بكرة يبيوكي وجيبي شهادتك، أنا بسجلك ولو أنه تأخر الوقت". أبوي أخذني ثاني يوم على المدرسة، يا كنت أصغر من العمر شوي يا أكبر منه، المهم قالت المديرة: "اعملها تقدير سن هاي البنت حابة تتعلم حرام ما تتعلم. راج اسجلها". أبوي راج عملي تقدير سن وطلع مناسب للمدرسة، سبع سنين بالضبط. ولما وصلني للمديرة قالها: "هاي البنت حرام تتسجل في الأول.. هاي بتقرا"، فقالت له: "طيب هلا امتحنها". نادت معلمة تفحصني حساب وقراءة وإملاء وشوية كلمات إنجليزي، وقيمتني إن مستواي الصف الثالث الابتدائي، قالت المديرة إنه لا يوجد بالمدرسة محل في الثالث الابتدائي، "عطيك رسالة لمدرسة الباعونية باللوييدة عن مستواها وبتحطها بالصف الثالث هناك" قالها أبوي: "ما في حدا يوصلها هناك، خلص حطيتها بالصف الثاني تروح وتيجي مع بنات الجيران". سجلتني وداومت وطلعت من الأوائل. كان عندي طلاقة بالتعبير، من كثر القراءة، صرت ألقى الخطابات والكلمات أيام المناسبات، وبلشوا يرشدوني للتمثيلات، كنّا نمثل أدوار البنات والشباب، لأننا في مدرسة بنات، وأخترت لأدوار الصبي لأنني طالعة قوية شوي، وصارت عندي الموهبة.

بالإعدادي، صرنا، أنا وزميلاتي، نعمل مسرحيات نتمسخر فيها على أنظمة المدرسة اللي ما بتعجبنا. وبالثانوية، عملت مسرحيات لشكسبير والعقاد. كنّا نرتجل مقاطع نعمل فيها نقد على المدرسة أو المجتمع، المهم كملت دراسة، وكنت متفوقة نسبياً، مثلاً كنت شاطرة بالرياضيات، أبوي كان يراهن عليّ هو وأصحابه مثلاً إن مسألة ما قدروا يحلوها أظها، ويعطوني جائزة.

"كيف ضيعت فلسطين يا بابا؟"

خلال الدراسة صار عندي زميلات من فلسطين يحكولي قصصهن، فبلشت أقرأ عن القضية، والبنات الفلسطينيات بتعيش الجو السياسي، لأن بعضهن أهلهن بيكونوا في

الأحزاب [التنظيمات]، سمعت منهن أحاديث سياسية ساعدتني على فهم القضية الفلسطينية، والنكبة، وصرت حاسة إن فلسطين كان فيه مؤامرة عليها.

وأبوي بدأ يخاف مني، لأنه شايفني نمرودة شوية، يعني عندي تطلعات، فكان لما تصير مظاهرات يأتي إلى المدرسة حتى يأخذني منها، ويقول لي: "بلاش هلا أنا بالحكومة، ومش لازم تروحي فيها [المظاهرة]"، مثلاً يتذكر مرة قلت لأبوي كيف قبلتوا يا بابا هيك تضيع فلسطين وانتوا قاعدين، ما هي فلسطين والأردن بلد واحد قسموها سوا، كيف تقبلوا؟

المهم خلصنا المدرسة، وبدي أروح الجامعة برّه الأردن، رغم وجود جامعات محلية من أوائل الستينيات، وأبوي كان مع الفكرة، وفعلًا رحّت على القاهرة أدرس علم نفس، كنت أحس إنه فيه بعالمنا مشاكل نفسية واجتماعية وتيارات فكرية خاطئة وتقاليد، وممكن هاد العلم يفيدني بحياتي الاجتماعية والثقافية.

لا يوجد تنظيم مناسب

في القاهرة، سجلت عضوة بجمعية الفيلم، وكان عندي فرصة أعمل أشياء كتير بخلاف عمان، أولًا كتب كثيرة، ثانيًا حضور مسرح عالمي وكانت التذكرة غالية، بخمسة جنيهات، بس أبوي كان بيعتلي مصاري حتى أحضر تلك المسرحيات، واستمرت بهالالة الثقافية، وسجلت بنادي الفروسية ونادي التجديف.

مثلاً حاولت صبايا بحركة "القوميين العرب" تجنّدي، بس لما شفت شعار الحركة: دم حديد نار، قولتلهن اعوذ بالله، شو الشعار هاد؟ وسألتهن فيه بنات قالو لي: "فيه مجموعة بنات"، قلت لهن هن في الهيئة اللي بتفقد الحركة؟ طلع إن البنات مش في القيادة، فرفضت لأن كان عندي بداية وعي بقضية المرأة من الجو التقليدي اللي كان يخاصرنى وحاطط إطار للنساء، فكانت بدايات تفتحي على قضايا المرأة وفلسطين، فما حبيت انتظم بـ "القوميين العرب".

جماعة "الإخوان المسلمين" طبعًا ما قريوش عليّ لأن شكلي وطريقة تفكيري ولبسي لا توحى إنني ممكن أكون معهم. ما حدا حكى معي من الشيوعيين مثلاً، كان عندي صديقات شيوعيات، رغم إنني كنت أحس إن الحزب ممكن يفتح لي آفاق للعمل صحيح، لكن خفت من قيود التنظيم، كنت مع الانفتاح والتعرّض لكل الأفكار دون انتماء حزبي. بصراحة، البشري الوحيد اللي هز ضميري وعقلي هو قضية فلسطين، ولا إنشي غيرها.

بالـ1965 كنّا بلّشنا نسمع عن مجموعة فدائية اسمها "العاصفة"، اللي بدّها تحارب بالسلح وانحس بالصداقة

عليها إنشي يقولوا إنها طالعة في أوّان مش مناسب، "العاصفة" راح تورطنا بحرب إحنا مش قدها. وكنت شايفة إن الفدائية أهم شي ببصير، لأن الجيوش العربية بتقول إن بدّها تحارب ولا تقدم إلا خطابات. وخلال هذه الفترة فيه شاب حكى لنا إن "العاصفة" بدّها الطلاب المؤمنين بالقضية يترشحوا باتحاد طلاب فلسطين باسم "المستقلين"، وطلب ممّا الشاب ننتسب للاتحاد وننتخب مرشحي العاصفة اللي ترشحوا لمستقلين، لكن طلع ما يفع اتسجل لأنني أردنية، وسجلت برابطة طلاب الأردن، وكنا نتعاون معهم بكل نشاطاتهم بالقاهرة.

لما كنت بقدم لآخر امتحان صارت الـ1967، ورحنا أنا وصديقة سجلنا بدورة إسعافات مشان نسعف الجرحى وننقذهم من أرض المعركة. كانت الدورة يومين أو ثلاثة، دخلنا بالدورة وكنا نتابع أخبار الحرب وكانت إيجابية وإحنا مبسوطين، وقلنا بدّنا نروح نساهم. خلصنا الدورة من هون، والمعركة انتهت من هون. ضلينا شهر بمصر مش قادرين نساfer لأن الطيران توقف، هادي المعركة كانت صدمة كبيرة، كان بدي أبكي كأن إسرائيل دعست على راسي شخصيًا، حسيت إن احتلال إسرائيل لمناطق بالعالم العربي انتهاك للكرامتي الخاصة. وأول ما تحرك الطيران جينا على الأردن، وهناك كان كل همي أدور على وظيفة، وأساعد الفدائية بأي إنشي ممكن.

إلى الفدائية خذوني معكم

تخصصي clinical psychologist يعني علم نفس عيادي، وقعدت أفتش عن شغل بالأردن بلا توفيق، وعرفت من صديقة إن المستشفى العسكري فيه عبدالسلام المجالي، اللي تسلم إدارة الخدمات الطبية الملكية وعمّ يطورها، الصديقة نصحتني أقدم في قسم الطب نفسي، ورحت تعرفت على هذا القسم لقيت فيه دكتور psychiatrist كويس، وneurologist، وممرضة متخصصة، وممرضين، يعني قسم متطور، فقدمت. وبالفعل توظفت بالخدمات الطبية الملكية أول الـ1968، و"الخدمات" هي جهاز عسكري، يعني اتعينت كادر مدني، بس عندي رتبة ملازم أول. وفي نفس الوقت كنت مقدمة اسمي للفدائية، (بس ما اتصلوا في).

وقتها الجو كان فش حدا بالبلد إلا بحكي عن الاحتلال والهزيمة واللجئين اللي اجوا الأردن، حاولنا نعمل شوية عمل تطوعي ونساعد مع النازحين، واتفقت مع مصطفى أبو علي إننا نتخبط. قلت له إنني اشتغلت بالخدمات الطبية، بس بدي احكيلك شي كمان إنني مقدمة اسمي للفدائية إذا اتصلوا في بدي اشتغل معهم، وهذا الشغل إذا بصير يكون سري، وإنّ ما بصير تعرف. ضحك وقال لي: "ريحتيني أنا انضمت للفدائية من أول ما وصلت [رجع الأردن]"

مصطفى كان اتوظف في وزارة الإعلام الأردنية، وقبلها كان درس في أمريكا، ومخرج من منحة British Council إخراج سينمائي. وهو لما تقدملي واكتشفت إنني مقدمة للفدائية حس إننا بنفس الاتجاه.

السياسة من بوابة القضية

مثلاً حاول أبوي يقتنعني انه أوجب حكاية الفدائية، فقال لي: "هاي قضية صعبة فلسطين بتروحي بتكملي دراستك ماجستير، الـ British Council مُعلن عن منحة، وأغلب الظن راح تاخدي المنحة" قلت له ما بدّي شهادت والبلد بتضيع، بل أشارك في إشي يساعد هاي البلد تتغير، تصير أفضل، تساعدنا في مواجهة الإسرائيليين اللي قاعدين يحتلوا البلد شققة شققة. شو يمنهم يحتلوا الأردن يعني؟ يا بنتي خلصي دراستك وبتلاقي فلسطين بتستأكي والله، وتستنّي ولادك كمان" قلت له إن الفدائية بدها شغل ما بدها دراسات غليا. ركبت راسي في انتظار التحاق بالعمل مع الفدائيين، بعدين صار اسمها "منظمة التحرير"، لكن يُقال عنها الثورة الفلسطينية أو المقاومة الفلسطينية.

لما اتصلوا فيّ الفدائية طلعوا تبع "فتح"، ومنهم أفراد مجموعة "العاصفة" اللي كانوا بالقاهرة. وطلبوا مني اكتب لهم إشي، قلت لهم كتابة شو؟ بدّا تتدرب على السلاح، كنت مفكرة الفدائية بس حرب، نشارك في العمليات ويا بتعيش يا بنموت، لكن طلع فيه أشيا لازم نُعمل مثل خدمات لأهالي اللي يشتغلوا معنا، اللي يجروحوا، العائلات تبع المقاتلين اللي يستشهدوا، كانوا عاملين مؤسسة لأسر الشهداء، وعمّ يفكروا في عمل تنظيم سياسي، لأن مكُنش عندهم تنظيم سياسي كان عندهم جهاز عسكري، و"أسر الشهداء"، والهلل الأحمر بلّش كمان مستشفى للجرحى، وعندهم جهاز إعلام، اللي اشتغل فيه مصطفى وزملاؤه، وأسسوا قسم تصوير ثم صار قسم سينما، وعملوا أفلام توثق كل شي بالعمل الثوري، أولها بالـ 1969. أنا ومصطفى خطبنا، وكنت بساعدهم في "السينما" تطوعاً، بس شغلي بالأساس كان بالمستشفى العسكري وفي العمل التنظيمي السياسي، وطلعت شاطرة بالتنظيم السياسي، كانوا يعطونا قراءات مكثفة عن خلفية القضية، وقضايا الاستعمار وحركات التحرر. بدأت تتسع مداركنا في مجال العمل السياسي، وصرنا نعمل نوع من التنظيم داخل كل المخيمات والمناطق الشعبية، على أساس أننا تعلمنا من الثورة الفيتنامية، وثورتنا لازم يكون عندها قاعدة شعبية واسعة فبلّشنا نشغل على تأسيس هذه القاعدة الشعبية. ولاننا بنات ونساء نقدر

1 أسست منظمة التحرير الفلسطينية في 1964. وضمت مبادات المنظمات الفلسطينية المخلقة منها فتح، وجهه التحرير (اللي انقسمت في ما بعد إلى الديمقراطية والشعبية).

نفوت على البيوت بسهولة فبدأن.

مثلاً أعطوني قائمة أسماء والمفروض أنظم صاحباتها، وبدبت اتصل فيهم واحدة واحدة، نتحدث ونتناور، شوي شوي، بدينا نعمل مجموعات بالمناطق، ويبدو إن شغلي كإخصائية نفسية يساعد في هذا النوع من العمل، كان عندي قدرة على فهم البنات وكل وحدة شو بتقدر تعمل. كان عندنا بنات ممرضات نقرضهن يساعدوا "الهلل الأحمر"، والمدرسات في فصول محو الأمية. نشاطنا كان علني، بس فيه جانب سري، يعني التحرك سرّاً مثلاً خوفاً من تغيير اتجاه البلد، لأن الملك في أحد خطابات صرح بأنه "الفدائي الأول" ومؤيد للثورة الفلسطينية. لذا كان في ذهني لما انتميت للفدائية إن ما فيه تناقض بين نشاطي وشغلي في المستشفى العسكري. بس العمل الفدائي يتطلب سرية لأنه فيه مخاطر لأن ممكن بعض الناس تكون متعاونة مع الإسرائيليين، يعني كان لي اسم سري وبتحرك في أوقات فراغي.

لما شفت آفاق عملي السياسي والاجتماعي انسحرت فيه، وحييته، حسيت إنه يحقق نتيجة أفضل، يعمل تغيير اجتماعي، وزى ما قالوا لي في البداية "إحنا عندنا مقاتلين كثير إحنا اللي ناقصنا تثقيف سياسي للناس، حتى يحموا الثورة" وفعللاً كان دورنا مهم في توسيع قاعدة الثورة في المناطق والناس كانوا سعداء فيها، كأننا نعيد لهم الاعتبار، أمام الهزيمة اللي صارت والنزوح.

ولما صارت معركة الكرامة بأول 1968 سمعنا أخبار كيف خاض الفدائية القتال لدرجة إن الشباب بلّشوا يفتحوا أنفسهم بالدبابات. ولما زاد هجوم الإسرائيليين على الفدائيين حتى يسحقوهم، انسحبت بعض المجموعات الفدائية للجبال، وقالوا إحنا حرب عصابات لا نستطيع مواجهة الجيش يعني، ومجموعات أخرى ردوا وقاتلوا. الشباب يكونوا عاملين خنادق، ولما تيجي الدبابة فوقه يفجرها بحاله، مشهد ما حدا يقدر يتحملة، كانت معركة قاسية، بس اصروا يعملوا إشي عشان يرفعوا شوي معنويات الناس.

خلال هذه الفترة فتحنا على وضع المرأة، مثلاً كان فيه بنات ببعض المخيمات والمناطق الشعبية ممنوع تتحرك من البيوت إذا ما عندها شغل تطلع عليه، أو رايحة مع أمها زيارة، أو تشتري أغراض. كان لسه الجو محافظ، ورغم إن شغلي سياسي على اجتماعي، كان عندنا طموح يكون البنات لهن دور عسكري، بلّشت تطلع فكرة تقوية دور المرأة في الثورة. خضنا معركة مع القيادة حتى تُدرب البنات عسكرياً، قلنا لهم: "البنات ما راح تقاتل، بس خليهن يتدربوا حتى تدافع عن حالها". بالآخر قدرنا نقنعهم وعملوا معسكر لهن وتخرجت ثلاث دورات ميليشيا.

ومن نص 1969 لأواخرها بلّشت تصير نوع من الاشتباكات والمشاكل بين النظام الأردني والحركة الثورية، وبالـ1970 صارت مناوشات؛ قيل إن فيه تجاوزات من الفدائيين، يعني ممكن شباب شافوا حالهم حاملين بنادق وعملوا مخالفات، مثل مشاكل مع بعض المواطنين الأردنيين أو مع جنود أفراد. وأيضاً كان فيه ضغط على الأردن بعدم إبقاء الثورة أو تحجيمها، فصارت هاي الصدامات. حسب ما بعرف ما كان عند قيادة الثورة أي مطامع في الاستيلاء على الحكم بالأردن، يجوز بعض التنظيمات اليسارية كانت متطرفة بشعاراتها أو مستقرة مثلاً يحكّوا صور لينين على حائط جامع، أو وين ما كان تُكتب شعارات مثل "السلطة للمقاومة" أو "كل السلطة للمقاومة". تصرفات استفزازية كان ممكن حصارها دون أن تؤدي إلى معركة كبيرة مثل اللي صارت في 19 أيلول/سبتمبر 1970، لَمّا صحينا الصبح لقينا الدنيا قائمة قاعدة إطلاق نار وقصف.

ما حدا فينا اتحرك من بيته، لانه صارت المعركة وتعطلت كل المصالح، ممكن الواحد يقدر يتحرك والشئ الوحيد اللي قدرت اتحرك عليه مستشفى الأشرفية حتى أشوف إذا ممكن أساعد، وطلعت عليه زحف، بسبب إطلاق النار، بطلت أكون عارفة من وين يتيجي النيران، إذا رفعت راسي ممكن راسي تروح، قصف كثيف جداً. مثلاً الدور اللي لعبناه في تقوية وجود المرأة في العمل النضالي ساهم إن تكون فيه 11 واحدة من الميليشيات النسائية بالمنطقة اللي سائكة فيها، بتدافع عن الموقع.

خروج الثورة من الأردن

بعد قرار جامعة الدول العربية² بخروج قوات المقاومة من الأردن، وزوجي كان فيه قرار بفصله من شغله في وزارة الإعلام، راح قدم استقالته، وسافر لبنان. ترددت فترة، ثم استقلت من شغلي. ورحت لزوجي في بيروت، كان محرووق دمي على الأشياء اللي حققناها، كيف صارت عندنا قاعدة شعبية واسعة أردنية فلسطينية، الشعب كله مع المقاومة، وكانت تمثل أمل التغيير بالنسبة له. حظيت كل جهدي في هذه القاعدة الشعبية، نسيت حالي تقريباً، وحقيقي انسحرت فيها، شفت كيف الناس تتطور، كإخصائية نفسية أعرف كيف الإنسان ممكن يتغير بعلاج، وكنت أشوف الثورة كأنها علاج لمشاكل المجتمع. في الأردن بعد 1970، كان فيه سحق لأي عمل له علاقة بالثورة أو المقاومة.

وفي لبنان، ما كان فيه مجال عمل، ما يشغلوا غير اللبنانيين في العلاج النفسي. وبلّشت اشتغل مع

2 بوسط جمال عبد الناصر في آخر أيامه بن الملك الحسين وباسر عزمات، وذلك على هامش اجتماع جامعة الدول العربية الطارئة في القاهرة، وكانت من نتائج ذلك التهدهة في الأردن. وفي ما بعد خروج المقاومة الفلسطينية المسلحة إلى سوريا ولبنان.

اتحاد المرأة الفلسطينية، عمل تطوعي، وكنت أساعد مصطفى في شغله.

مثلاً جان لوك جودار، المخرج الفرنسي السويسري، كان بده يعمل فيلم عن الثورة الفلسطينية، وطلب من مصطفى إن بده يصور واحدة وهي بتقرأ في درس محو أمية، وهي عم تهجس. سألتني مصطفى: "تعرفي ترتبي هالمشهد؟" قلت له إن ترتبيه بسيط، عندنا دروس محو أمية، وبختار واحدة سجلت جديد يعني تكون تهجس الحروف، وفعللاً اخترنا واحدة اسمها "ربيحة" درست من فترة بسيطة، لكن لَمّا جودار صوّرها كانت تقرأ بطلاقة، اندهشنا كلنا، وسألناها: ربيحة إمتي تعلمتي كل هذا؟ قالت إنها "بتدرس للصبح". كان عندها إصرار على التعلم.

استمررت أحاول ألقني طريقة لإعادة حركة العمل، إنه ما يبصير هيك نبقى معطلين، بعد ما كنا نشغل طول النهار، المهم بعد فترة دعا رئيس الدائرة الشعبية للاجتماع، وقال إن "بدنا نشكل لجنة تحضيرية تعيد بناء العمل"، ووُزعت مهمات عمل على الموجودات، سلّمتني لجنة العضوية هي اللي تنسب الأعضاء. بلّشت أطلع على المخيّمات اللي في لبنان، مثلاً أقابل واحدة ناشطة من مخيم نهر البارد وتعرفني على المخيم وأهله، وشو يحبوا يعملوا، شو ناقصهم.. وهكذا شوي شوي نشكل لجنة بالمخيم، ونفتح طريق للعمل، وبجانب عملي في "العضوية"، نشطت مع اللجنة التحضيرية لبناء فرع لاتحاد المرأة في لبنان. في الفترة من 1971 لـ1972 عملنا لتأسيس هذا الفرع، وفي ما بعد صرت قيادية فيه.

بلّش مصطفى يبعث شباب بعثات لدراسة التصوير السينمائي، بعدين حصلوا على معدات مثل المافيوالا، جهاز مشاهدة المواد المصورة وعمل المونتاج، وكنت أساعد كمتطوعة بالإضافة إلى شغلي في مكتب المرأة. خلال فترة 1973-1974 انتدبت من قبل قيادة المقاومة للعمل إخصائية نفسية في إحدى مدارس أبناء الشهداء لَمّا ظهرت مشاكل شغب، وقالوا: "بدنا حدا بعرف علم نفس لحصر طبيعة المشاكل". وتعرفت عن قرب بطريقة العمل والتدريس والمعاملة والعلاقات في المدرسة، وتبين أنّ طريقة وأساليب عمل الإدارة لها دور في المشاكل، لأنها طريقة تقليدية لا تستوعب حالة الأطفال، وكتبت تقريراً قلت فيه إنّ مشاكل الأولاد سهلة وممنّ صعبة المعالجة، بل هم بحاجة لرعاية واعية باحتياجاتهم كأبناء شهداء، وأشرت إلى أنّ المشكلة الكبيرة في المدرسة هي إدارتها بعقلية غير علمية قادرة توفر الحاجات الإنسانية النفسية والتنموية للأطفال. المشكلة في الإدارة أنها عفنة وفاسدة، وممنّ هذا همي، وإنما الطريقة اللي عمّ تعامل فيها الإدارة الأولاد.

وبعد محاولات ومناقشات عدّة، وتقارير داخلية حول المدرسة، قلت إتني لا أستطيع الاستمرار إذا لم يتغيّر النظام الإداري، لأنّ استمراري كإخصائية نفسية بالمدرسة خيانة، وبلغت القيادة إنها إما تغيّر الإدارة أو تنقلني، فالقيادة سألتني: "وين بتجبي تشتغلي؟" قلت السينما، تماشيًا مع هوايتي القديمة، المسرح، ولاني بتعاون مع مصطفى في هذا القسم، بس بدي التفرغ للعمل فيه، وصرت موظفة في مؤسسة السينما، وبنفس الوقت اشتغل مع اتحاد المرأة، خاصة إن موقعي صار إشرافي تحضيري، برامج، ومشاريع، وندوات.

تأسيس واختفاء أرشيف

في مؤسسة السينما، وجدت مواد مصورة بكمية كبيرة عملتها حركة فتح والمنظمات الفلسطينية الأخرى، لكن هذه المواد بدون تصنيف، زحّت مركز التخطيط التابع للمنظمة التحقت بدورة توثيق معلومات وبيانات، وبعدها نظمت المادة، كل ما صوره من 1968 لـ 1976. وعملت أرشيف خلال خمسة أشهر، وسينماتيك، وصار فيه ناس تساعدني، لما تيجي مادة جديدة هما يشوفوها، وبعدين أنا اللي أحدد طريقة تبويبها، يعني بطل كل الشغل يكون عليّ في الأرشيف، لذا عملت أول فيلم ليّ، لما طلع الإعلان العالمي لحقوق الطفل وجدت إن ولا إشي من حقوق هذا الإعلان متوفرة للطفل الفلسطيني، مثلاً لما صار حصار مخيم تل الزعتر، كان فيه 300 طفل فقدوا أهلهم، منهم أطفال غمرهم دون السنة، وما عرفنا أسامهم، وأسنا بيت سميناه "بيت أطفال الصمود" احتضن 120 منهم، وجينا مدرسات المخيم تربيهم، وهكذا عملت الفيلم عن هؤلاء الأطفال الذين لا حقوق لهم من الحقوق المُعترف فيها دوليًا.

مثلاً على الجانب السياسي والتنظيمي، لما صار اجتماع المجلس الوطني³ في 1980، كان فيه ست عضوات فقط ضمن أكثر من 200 عضو. وفي اتحاد المرأة الفلسطينية ضايقنا هذا الوضع، يعني عندنا فروع بـ 17 دولة، وصرنا قاعدة صلبة من قواعد منظمة التحرير، لذا بعطنا مذكرة احتجاجًا على نسبة تواجد المرأة في "الوطني الفلسطيني"، وفي الوفود السياسية أيضًا، وطالبنا بزيادة عدد العضوات بالمجلس لتكون نسبة لا تقل عن 10%، وقرأوا المذكرة في اجتماع "الوطني الفلسطيني"، وصوتوا ووافقوا. وبعثوا ليّ إتني انتخبت في المجلس الوطني الفلسطيني.

مثلاً كنت على وشك اعمل الفيلم الثاني، لكن بلّش حصار بيروت. أول ما بدأ القصف الإسرائيلي كان بالطريق اللي توصلني للاستديو. وتعطل الشغل، وصار وجودنا بمنطقة

الصنایع خطر علينا، كان فيها كل مكاتب الثورة، فرحنا عند صديق بالحمرا. لكن ضلينا خايفين على الأرشيف، فكرنا نعمل نسخة منه نطلعها برّه، لكن كان تنفيذ ذلك سيكون مكلفًا، لذا اخترنا طابقًا تحت الأرض في منطقة الحمرا، واستأجرناه كمخزن، وما أعلنّا عن طبيعته، بس زبطناه، حطينا تكيف، وتهوية، ونقلنا الأرشيف فيه شوي شوي. صار أرشيف سري يعني.

ولما بدأت التفكير في الخروج من لبنان لتونس، سألت قيادة المنظمة شو بده يصير مع الأرشيف، قالت: "بنشوف... إذا بنقدر نطلعوا ولا لا"، وفي الآخر كان القرار إن الأرشيف صعب يطلع بالسفن، "راح نأمنه" وبالاتفاق حطت السفارة الفرنسية إشارة إنه ضمن ممتلكاتها لحمايته، وإيجار المقر كان مدفوع لستتين، اطمنا وطلعنا من لبنان. وضليت ع اتصال حتى اطمئن على وضع الأرشيف، لكن صارت معركة ضد المخابرات الفلسطينية بالـ 1985 و 1986، المهم طلعوا الفلسطينيين من لبنان، لكن ما قدروا يسحبوا الأرشيف بالمحاولات اللي عملوها لإن الوضع في لبنان ساء كثير بعد ما طلعت المقاومة، وسكروا السفارات كلها، والسفارة الفرنسية قالت للشباب اللي يتابع معهم بخصوص الأرشيف: "انقلوا محل ثاني بطلنا فادرين نحمله.. بدينا نسكّر". صاروا الشباب يفتشوا وين يودّوه لقوا مخزن عند تاجر لبناني متعاطف مع القضية والمقاومة، وحطّوا الأرشيف فيه. وبعدها سجنّت حركة أمل واحد من الشباب، والتاجر سجنّه القوات السورية. وبالـ 1990 لما طلّعوا من السجن والتاجر والشباب ما لقوا الأرشيف في مكانه، وقعدنا نفتش ونسأل ونتقصّى وما عرفنا، بالبداية شكيت بالسوريين، لأنهم كانوا مهيمين على الوضع في لبنان، أو حزب الله، حليف "أمل"، لكن تراجعت لأنني لم أجد ببرامج حزب الله/أمل عن حصار بيروت بالـ 1982 إشي من أرشيفنا، لكن غالبًا أرشيفنا موجود بإسرائيل لأن فيه مؤرخة فنية إسرائيلية سربت ليّ معلومة إن "فيه أرشيف ما يخلوا حدا يدخل عليه، وإنهم مصادرين جزء من أرشيف مكتب المنظمة"، وهي شافت جندي نقل مواد وأفلام إسماعيل شموط، اللي كان في مكتب المنظمة الثقافي، فهي الإسرائيلية قالت ليّ إن "ما دام وصلوا لهادا واخدوه، يكونوا لقوا الثاني [الأرشيف] واخدوه".

في 2008 كنت اشتغلت مع زوجي في مشروع للبحث عن الأفلام عشان إعادة بناء الأرشيف. وبعد وفاته، كملت جمعت بعض الأفلام اللي فُقدت، مش الأرشيف كله، عن طريق مراسلات وزيارات للاستديوهات اللي كُنا نشغل فيها. وكتبت كتاب مؤخرًا حول أول مجموعة سينمائية فدائية. بعد لما خلصته ضميري ارتاح، لأن هدولا استشهد أربعة منهم، والباقي كبروا، والأساسيين كلهم توفوا،

3 هو المجلس الذي يضع سياسات منظمة التحرير الفلسطينية، وعقد أول مؤتمر في القدس 1964

فحسيت إن واجبي أوثق تجربة هذه المجموعة السينمائية القادئة اللي أسستها واحدة ست هي سلافه جاد الله⁴. لكن الوصول للارشيف يتطلب دولة تكون بوضع قوي تطالب فيه وترفع قضايا.

صعوبات التمييز الإيجابي

مثلاً لما رجعت استقر بالأردن، قعدت فترة مش عارفة شو بدّي عمل، خاصة إن هون العمل السياسي ممنوع، المخابرات كانت مركزة معي. سجلت في رابطة الكتاب، بلجنة للمرأة، وبالسنة 1987 سُكرت الرابطة بسبب مواقفها السياسية المؤيدة للقضية الفلسطينية، واستمرت مقابلتنا نحن عضوات لجنة المرأة معاً كُنا نقرأ كتب وناقشها، وبغدين فكرنا نعمل مركز دراسات المرأة، كُنا أروى العامري، وهيا الطاهر، ورجاء أبو غزالة، ولمى أبو عودة، وأنا. ولما قدمنا لتأسيس المركز بالسنة 1988 رفضوا تسجيل المركز، والمخابرات طلبوني؛ "ليش بذك تعملين مركز للمرأة، بذك تعملين مركز للمنظمة [منظمة التحرير]؟" قلت للمخابرات إن بذكنا نشغل على حقوق المرأة في الأردن، أما شغلنا في اتحاد المرأة الفلسطينية للمطالبة بحقوق الفلسطينيين، وغيرها من القضايا الوطنية.

ولما صارت المظاهرات بالسنة 89 جات لنا موافقة، وسجلنا المركز، وبلشنا نشغل، مثلاً عملنا دراسة عن العلاقة بين الشريعة وقانون الأحوال الشخصية. وفي 1992 بلشنت تصير عنّا مشاكل داخل المركز، وانسحبت وزحت مركز الأردن الجديد، وبدأت أعمل دراسات عن وضع المرأة بالأحزاب، وتطور الأمر لتنظيم ندوات، ثم عملت برنامج المرأة بالمركز.

لما بلش التحضير للانتخابات الـ93، عملنا مجموعة ندوات؛ واحدة عن المرأة والسياسة، وطرحنا فكرة الكوتا، باعتبارها نوعاً من التمييز الإيجابي ولا يُعتبر من التمييز الذي يجب إلغاؤه، بل يجب المحافظة عليه لإحداث توازن في المجتمع للقضاء على الظلم الواقع على بعض الفئات في المجتمع. لكن انقسمت المجموعة النسائية، اللي كانت تضم كل أقطاب الحركة النسائية، المهم ما مشيت الفكرة بتلك الانتخابات، لكن نجحت فيها كوتا الشراكس.

مثلاً طرحت ورقة استندت على خبرتي في لجنة المرأة (اتحاد المرأة الفلسطينية) وإطلاقي على كيف تطور الوضع في العالم، وكيف كلهم لجأوا للكوتا، أما ضمن الدستور أو قانون الانتخاب أو داخل الأحزاب، لقيت قبول أكثر للفكرة من فترة ما قبل انتخابات الـ93.

قلت نعمل تحالف نسائي نسميه تحالف من أجل رفع مشاركة المرأة في الديمقراطية، ودعيت لاجتماع في مركز "الأردن الجديد". مشي الحال، وضم التحالف كل النساء الي كان لهن حضور سياسي أو اجتماعي أو عضوات في أحزاب، وصرنا 35. وعملنا ندوات ترويج لفكرة الكوتا، وعملنا مذكرة طالبنا فيها بـ20% من البرلمان للانتخابات القادمة، وبصير تعديل في قانون الانتخاب، قابلنا أعضاء بمجلس النواب والأعيان. المهم كادت الكوتا أن تُقر، طلعت مسودة من مسودات القانون خطوها فيه، بغدين لغوها، وبغدين رجعوها، ثم تراجعوا، المهم ما أُقرت.

ولما صارت انتخابات بالـ97 ولا واحدة من المرشحات نجحت.

زيارة تأخرت كثيراً

بالـ1995 اتصلوا بيّ مركز المرأة العربية للبحوث والتدريب بنونس، لأن كان بده بيلوجرافي عن الكتابات حول المرأة العربية في 8 دول منها فلسطين، واختاروني للقسم تبع فلسطين من بداية الستينيات لحد التسعينيات. وفعلنا اشتغلت على هذه الدراسة، ولما سمعوا فيها جماعة مركز دراسات المرأة في بيرزيت تحققت للفكرة، وتواصلوا معي، وقدمت للمركز مشروع حول التواصل اللفظي بين المرأة والرجل، عن سيكولوجية الحوار داخل الأسرة الفلسطينية، كنت بخار موضوعات دراساتي تناسب العمل النسائي والاجتماعي الي بعمل فيه، يعني الدراسة والعمل يلفوا حوالين بعض، ما بعمل دراسات للترف أو عشان شهادة أو أصير بروفيسورة!

المهم رحت رام الله في 1998، على أساس دراسة بداية، وصارت الانتفاضة وبقيت شوي، وحاولت اشتغل مع النساء، صرت زي مستشارة في العمل النسائي تقريباً، وبغدين عملت حملة تبع الكوتا من أجل 20% للنساء بالمجلس التشريعي الفلسطيني، بدأت مع انتخابات 2002، واستمرت لثلاث سنوات. ثم صار عندهم الكوتا سارية بس العملية السياسية متوقفة عندهم هلا. ورجعت على الأردن لأنني مرضت فصرت بدّي أكون قريبة على أهلي في 2008.

مؤخراً، حاولت أعمل أفلام، قيل لي: "بذكنا فيلم عن البيئة" قلت إني بدّيش فيلم عن البيئة، بل بدّي فيلم عن النساء في الأردن، قيل لي: "اربطيه بالبيئة ... هلا ما عنّا تمويل لهذا الموضوع" وما عملته.

4 أول مصورة سينمائية فلسطينية، درست السينما في القاهرة، واسهمت في توثيق مشاهد الزواج في أعقاب حرب 1967، مع المخرج هاني جوهره، وهي ما بعد أسست قسم التصوير في منظمة التحرير الفلسطينية، الذي صار لاحقاً "السينما" أو مؤسسة السينما.

خزامى الرشيد: تداعيات "أيلول 70" لا تزال مستمرة

خزامى الرشيد، مواليد العام 1945، مدرّسة تاريخ وأستاذة إعلام وسياسية، انتظمت في حركة القوميين العرب التي صارت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ثم اختارت أن تكون في الجبهة الديمقراطية، بعد انشقاق الجبهة إلى تيارين، وكان التيار الذي اختارته خزامى متشرباً بالفكر الماركسي. خلال انتظامها السياسي، لم تشعر أبداً بتميز كونها أردنية وليست فلسطينية، بل تصف هذا الانتماء في شهادتها، بأنها كانت تمثل مع بقية الأردنيات حالة وطنية أردنية.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت خلال أيام عدّة من كانون الأول/ديسمبر 2020 وكانون الثاني/يناير 2021.

القاهرة وسّعت أفقها

كنّا ساكنين بإربد. في بيتنا وُلد قبلي بنتين وولد، وبعدي فيه ولدين وبنت. أبوي كان متفتح وكان مهتم بعلما. والأخ المولود قبلي، صايب شلل أطفال، وأمّي اهتمت فيه كثير، وكانوا يروحوا على القدس للعلاج، وبهذه الحالة كنت في صغري مُستقلة. الاثنين الأكبر مني ملهتني بحالهم، واللي الأصغر مني أنا مش قدهم. وهكذا كنت كثير أروح عند الخيران، أنزل عند أبوي في المحل.

حيناً فيه تعددية، مثلاً جارنا اللي ساكن تحتنا، عمر خيرى شلبي، مدير تربية سابق، وأصله سوري، وفيه بيت يارد، تجار مسيحيين، إذا مشيت لقدام فيه بيت نوال حشيشو، بعدين بيت المداحة اللي منهم كان محافظ إربد، ثم بيت البليسي، فبيت الدجاني، وغيره. في حيناً المسيحية الأرمنية، والفلسطيني الدجاني، واللي جاين من الكرك. ونسمع اللهجة اللبنانية والسورية والفلسطينية والأردنية، حضور خلاص اشوف الاختلاف لكن فيه تجانس، حيناً كان فيه اندماج بين الناس، كأننا عائلة واحدة. وهذا انعكس على شخصيتي وقيمي ومعارفي، وكل فهمي. خلاص أعرف إن فيه شي مختلف بس يشبهني ما يختلف عني. خلاص أعرف إننا مختلفين ممكن بالثقافة بس كلنا بشر، ما

كنت أحس إن فيه تمييز لا ضدي ولا ضدهم.

وكنا نلعب أولاد وبنات، ركض، ونط على الحبل. ومكنش عيب البنات تطلع من البيت للشارع. هذه النشأة خلّنتي أعرف الناس، ومعرفة معاناتهم.

ودخلت مدرسة الراهبات الوردية بحي البارحة، وهناك كانوا يقولوا لنا إحنا المسلمين في حصة الدين "إذا بتحبوا اطلعوا بزه"، ومرة طلع معي واحد طالب بالصف وكان جرس الكنيسة محطوط وسط الساحة ولها جبل، وقال لي: "شو رأيك نرن الجرس"، قلت له آه، وزينا الجرس، وبعد ثواني أهل الحي، وكله مسيحيين، هجموا على الكنيسة، وجاء أبونا جورج سايا، وكان معصب من اللي حصل، وأنا مش فاهمة، وهو عاقب الولد اللي رنّ، والولد قال لأبونا: "هي ما تعرف"، فأنا اكتشفت إن اللي عملناه هي رنة جناز، فالتاس ركضت على الكنيسة لأن معنى الرنة إن فيه حدا مات. وبعدها لما تيجي حصة الدين المسيحي بطلت اطلع من الصف، وسمعت عن مريم العدرا وبسوع، وعشان هيك كان في ذهني قبول الاختلاف الديني.

بعدها سُجلت في مدرسة حكومية، وفيها عملوا ليّ امتحان لتقييم مستواي، عمر خيرى شلبي، مدير التربية، قال ليّ: "يا شاطرة اطلعي الكتيبي"، كتبت أرقام وأحرف فقال: "إنت حرام تكوني بالصف الأول لازم تكوني بالصف الثاني"، ومعلّ طلعت الصف الثاني مباشرة. وهذا اكتسبته لأنني كنت أروح الروضة مع أخواني. قعدنا بهذه المدرسة وبعدين نقلنا لمدرسة حكومية أخرى، فأكرة وقت مظاهرات 1954 ضد تزوير الانتخابات النيابية اللي نزل فيها مرشحين من الحركة الوطنية، من بينهم فائزة روسان وشقيقة جيدان، فيه بنت كبيرة طلعت على سور المدرسة وفتحت لنا البوابة حتى نطلع مظاهرة، ومشيت في الشوارع مع المظاهرة، هذه أول مشاركة سياسية ليّ، ورجعت البيت ولا حكيت.

متذكّرة الحالة السياسية، مثلاً كنّا كل يوم نغني نشيد للجزائر، وجاء فريق رياضي لإربد لجمع التبرعات للجزائر، أبوي استقبله، ومعلمتنا بالمدرسة أعطونا صناديق حتى نلّم مصاري للجزائر. وفي الأخير، سلمناها للمدرسة اللي سلّمناها للبلدية على أساس تبعتها للجزائر. ثم حصل استقلال الجزائر، وحطيت سجادة على البراندة كنوع من أنواع التزيين لاستقلال الجزائر.

معلمتنا كان عندهن وعي سياسي، ومنهن المنتميات لحزب البعث أو حركة القوميين العرب. لما وصلت الصف الحادي عشر، تعرّفت على أخت معلّمة كانت عضوة في

1 أجريت الانتخابات النيابية في أكتوبر/نوفمبر الأول 1954، بقرار من رئيس الوزراء الأردني بوفيق أبو الهدي، ثم بظاهر اردنوني في مدن عدة احتفاحاً على بومر الانتخابات البرلمانية.

"القوميين العرب"، اسمها نازك، أثرت فيّ، وخلصني أمراً كتب سياسية، وشعر بدر شاكر السياب. وانخرطت أكثر بالحركة عن طريق نازك، مش إشي تنظيمي.

وقت مظاهرات 1963²، كنت بدرس بثانوية البنات، وطلعت البنات المظاهرات، وكنت أقودهن، وجاء الشرطي بده يمسكني، وهربت. بعدها نازك اعطتني منشور، وقالت لي: "وزعيه على صاحباتك"، كان عن "القوميين العرب". وفعلت وزعته، وعطيت نسخة لجارتنا، وهي عطتها لأبوها غمر خيرى شلبي، اللي كان مدير تربية متقاعد وقتها، راح جاء المدرسة وقال لمديرتها: "بدي اشتكي لك على طالبة اسمها خزامى وزعت منشور، وأنا لولا بعزك كنت سلمته للمخابرات"، المديرية قالت له: "لا اعطيني المنشور، وأنا بأدبها للبنات". لكن المديرية، نوال حشيش، ما عملت حاجة لأنها كانت قيادية بالحركة.

وأنا بالتوجيهي كنتش مهتمة بالدراسة، وركزت مع المظاهرات والسياسة، وكان عندي صاحبة شاطرة كثير وكانت تقول لي: "لازم تنجحي"، وتأخذني بيتها وتذاكر لي، مثلاً فتحت كتاب الجغرافيا أول مرة ليلة الامتحان، ونجحت في التوجيهي. وأبوي قرر بيعتني للقاهرة للدراسة.

زحنت القاهرة واتقبلت في كلية البنات، ودرست تاريخ. وهناك كان أول نشاط علني سياسي مع "القوميين العرب" في بداية انتخابات طلبة فلسطين، كنا نحشد للمرشحة نهلة الخطيب في سكن الطالبات. مثلاً قابلت غسان كنفاني لما عزمه تيسير قبع على العشاء، وكنت مشدودة كثير إني لغسان كنفاني، لأنني لما قرأت له "رجال تحت الشمس" مرضت ليلتها ارتفعت درجة حرارتي من فرط التأثر. ولما شفته ما حكيت ولا كلمة على العشاء.

القاهرة وسّعت أفقي، كنت مع مجموعة من البنات كثير مميزين، كنا نروح سينما ومسرح، كل يوم نقول "جامعة ولا سينما؟"، وطبعاً نطلع السينما.

كان عبد الناصر هو النموذج، كان كثير مؤثر فينا. حضرت له خطبة أمام اتحاد العمال، وكنا جايين مع اتحاد الطلبة، عطونا كايينة كنا فيها، وهز كثير مشاعرنا. وقتها "فتح" بدأت العمل في مصر، كفاح مسلح، وكانت وجهة نظر حركة القوميين العرب إنها مع الكفاح المسلح ولكن كانت القيادات تقول: "بدينا نشغل فوق الصفر وتحت التوريط" بمعنى نشغل بعمليات ولكن دون توريط مصر والدول العربية لأن لسانها مش جاهزة.

ولما سمعنا جمال عبد الناصر بده يستقيل بعد هزيمة

2 كانت مظاهرات اردنية تطالب بمشاركة الاردن في المفاوضات القائمة حول الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق، والتي بدأت في آذار/مارس 1963.

1967، طلع كل بيت الطالبات نزلنا على ميدان التحرير، وكانت مظاهرات عفوية، والناس بكت، ولما كانوا يقولوا المظاهرات حركتها المخابرات المصرية والاتحاد الاشتراكي هذا مش حقيقي، بل المصريين نزلوا بالملايين على ميدان التحرير. بعدها فكرنا أفكار رومانسية لمساعدة الشعب المصري مثل إننا نروح الريف نجمع القطن مع الفلاحين.

وفي "القوميين العرب" بدأت نقاشات حول تبني الماركسية، ما أدى إلى انقسام بين شباب الحركة في القاهرة. سمعت انتقادات من نوعية "انتوا من امتي بذكّم تصيروا ماركسيين إحنا كنا نضرب الشباب الشيوعيين بجامعة دمشق"... هكذا صارت فيه بلبله بسبب انتشار الأفكار الماركسية بين شباب الحركة، ومنهم مجموعة قيادات يعرفهم مثل سمير شهابي، وسمير عبده، وياسر عبد ربه.

انشقاق

ثم رجعت الأردن، واشتغلت مع وكالة اللونروا، وحطتني الوكالة بالأنوار الشمالية على حافة الضفة الغربية كمدوّسة، كان دائماً فيه قصف بين إسرائيل والأردن. ومرة جاءت موجهة تربوية زيارة، ولقت الأولاد بيفطروا فيهدلّتهم إنهم ليس ما وقفوا لها هي فاتت، غضبت منها لأن الأولاد يبالوا، وثاني يوم قدمت استقالتني من الوكالة. ثم جاء ليّ شغل في وزارة التربية، وبعد شهر أو أقل من دواصي المديرية قالت لي: "تعالني هذا الكتاب لك"، فتحت لقيت استدعاء عام من المخابرات. وروحت مكتب المخابرات في عمان، وقابلني هناك طارق علاء الدين، وسألني: "إنت كنتي في حركة القوميين العرب؟" قلت له إنت هلاّ جاي تسألني عن القومية للعرب وإسرائيل عمّ تقصفنا، ما عجب، بس كمل تحقيق: "بأي خلية كنتي؟" بعدين قالني: "ما استغريتش كلمة خلية؟"، قلت له استغرب كلمة خلية، انتوا تقولوا لكلمة الأحزاب والخلية، يعني ما عطيت له حق ولا باطل. حاول كثير معي وأنا متذكّرة إنه كان يسألني من الشرق وجوابي يكون من الغرب، وكملت في التعليم سنتين وسبعة شهور.

سياسيًا، معظم كادر حركة القوميين العرب اللي كانوا بالقاهرة رجعوا الأردن بنفس توقيت رجوعي، وشكلوا تيار يساري، والحركة انضمت مع فصائل غيرها وشكّلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، لكن بدأت الصراعات داخل هذه الجبهة حول تبني الماركسية. ومكنتش مطلعة على حجم هذه الصراعات، ثم حدث انشقاق في 1968، وكانت انطلاقاً الانشقاق باتصال نايف حواتمة القادم من لبنان والمستقر بالأردن، مع محسن إبراهيم لإعلان الانشقاق وتكوين الجبهة الديمقراطية، ونشرها في جريدة الحرية. وفي هذه الفترة بدأت المقاومة تيجي تأخذ لها قواعد

باريد مثل "فتح"، وتشكلت الجبهة الديمقراطية بتأييد من ياسر عرفات، لأنني شفت نايف الحواتمة كان تحت حماية قوات الكفاح المسلح التابعة لـ "فتح" داخل المخيم.

وفي شهر حزيران/يونيو 1970 اختطف جندي من السلاح الملكي، وكان فيه اجتماع بين الملك ورابطة المقاومة، واتفقوا على بنود، منها وقف إطلاق النار والمظاهر المسلحة في المدن، لكن ما التزمت الحكومة الأردنية بكل البنود لشعورها إن المقاومة تضخمت في الأردن. في شهر أيلول/سبتمبر أغلقت إربد وأعلنت منطقة محررة، يعني تحت سلطة المقاومة، هون بدأت المنطقة الشمالية تقع تحت سيطرة المقاومة. وكان فيه مكتب عسكري لـ "الجبهة الديمقراطية" مكون من محمد كئتمته، وأبو مشهور، وممدوح، وكانوا يقودوا مقاتلين ومتطوعين سوريين، وكانت المدينة شبه مغلقة. ودخلت فرقة من الجيش السوري للمدينة، وكان فيه حديث إن الجيشين السوري والعراقي راح تدعم المقاومة في الأردن. وحدث اجتماع للقيادة العسكرية الممثلة من جيش التحرير اللي كان موجود و"فتح" وكل فصائل المقاومة، وحضره عن "الجبهة الديمقراطية" محمد كئتمته وأبو مشهور وممدوح. والثلاثة رجعوا من الاجتماع وتكلموا معي عن اللي صار، قالوا إن جيش التحرير قال إذا صارت معركة مع الجيش الأردني، الموجود ناحية شرق المدينة، قوات "التحرير" مش متكافئة معه، وإن إربد مدينة سهلة وممكن تسقط في أي لحظة. وفي النهاية قالوا الثلاثة: "نعتقد وجودنا في المدينة هو عبارة عن انتحار، إحنا ما نقدر ندافع عن المدينة وجيش التحرير وكل المقاومة عندها وجهات النظر هذه، وبدنا ننسحب من المدينة كقيادة.. إنت بتطلعني؟"، قلت لهم هفضل قاعدة.

في الليل، دقوا على باب بيتنا ناس، وقالوا إنهم من "فتح"، وبلغوني إن خالد أبو خالد بدّ يشوفني. زمت له قال لي: "سمعتي الأخبار، القيادة صارت بدمشق"، قلت له إنه لا، هن قالوا بدّهم ينسحبوا عند الطرة، رد عليّ: "الأخبار بتقول إنهم وصلوا درعا [بسوريا]"

ما كان معي خبر، فقال لي: "إنت لازم نطلي بيان تفصيلهم من الجبهة" يقصد القادة الثلاثة.

طلع الخبر صحيح، إن هذول وصلوا لدرعا، ومبلغوش حدا. وحتى لا تنكشف إربد قلت للمقاتلين إننا لازم نحتمي المدينة.

مثلاً نادوني لاجتماع اللجنة العسكرية في إربد، وكانوا متفاجئين إنني جيت على هذا الاجتماع، كنت الست الوحيدة، وحضرت الاجتماع لأن الشباب اللي انسحبوا قالوا: "إنت الممثلة لنا في هذه اللجنة". انحطيت ببوز المدفع،

لكن شعرت إن هذه المدينة راح يتم اقتحامها ويصير عدد القتلى كبير، لأن كل جناح منها واخدها فريق، كان قلقي كثير على الناس. بعد ما حضرنا الاجتماع قالوا إن بكرة لجنة المصالحة³ بدّها تيجي على إربد، وحضرت الاجتماع مع كل قادة المقاومة، واقترحوا إن بدنا خروج قيادة المقاومة من إربد من غير التعرض لاعتداء، وكان ياسر عرفات موجود، لكنني قلت لهم هذه المدينة يجب المحافظة عليها، وللازم الحفاظ على كافة المقاتلين والمدنيين الموجودين بالمدينة، مش القيادة بس. لازم كمان المواطنين والمقاتلين. ياسر عرفات ما حكي ولا كلمة، والكل ما حكي، وقلت لهم على هذا يكون توقيعي، ووقعنا على وقف إطلاق النار بهذا اليوم. بعد انتهاء الاجتماع قالوا إن كتيبة الجيش الأردني الموجودة في شرق إربد عاملة عشاء للجنة المصالحة، وبدّهم اروح، لكنني رفضت.

وقتها جاءتني رسالة موقعة من ياسر عبد ربه إننا عرفنا إنك استلمت القيادة في إربد، وبدنا تقدمني حالك لياسر عرفات كممثلة الجبهة، لكن حسيت إن هذا الحديث تافه، شو أقول لياسر عرفات، مقلتش، لأن بدّهم يثبتوا إن الجبهة موجودة، ونسبوا إن فيه شباب انسحبوا. ما حكيت مع ياسر عرفات، ولا سلمت الورقة. وبعد فترة خرجوا القادة، وسافر ياسر عرفات. ورجعت البيت، ودخل الجيش إربد، وأنا كنت مع أبوي بالبيت، فيه جندي نصب الرشاش على شجرة تحت البيت وأطلق خمس أو ست رصاصات، استقرت الرصاصات بالحيط والسقف. وعرفت إنهم اقتحموا مخيم إربد، وبدأت الاعتقالات بالمدينة، وقلقت كثير على البنات، ليست مريول أختي الأصغر مني، ونزلت على المخيم، كان منظر رهيب يمثل صمود النساء داخل المخيم. اعتقلوا معظم من لقوهم، كان فيه هجرة واسعة من المقاومة من مدينة إربد لسوريا.

بعد فترة دق على باب بيتنا ظابط وقال إن بدّ خزامي الرشيد، فتحت له الباب وقلت له والله عمها توفي وهي بالسلط،طلع عليّ شاكك إنني خزامي، بس ضليت أقول له أول لما تيجي خزامي راح تحكي معكم. هو نزل على الدرج وهو متأكد إنني خزامي بس مقدرش يتأكد. بعدها استدعوني للمخابرات، فطلع إنني مطلوبة في محكمة بالجناح العسكري بالسجن المركزي مش بالمخابرات. وأنا قاعدة جابوا شابين في توجيهي لساتهم، فكانوا مربعيين جداً. لما شوفتهم أشرت بإيدي ما تحكوا أي شي. سألتني المحقق: "إنت قوتي على بيت هذا الزلما واخذوا سلاح"، فوجهت كلامي للزلما المقصود، سألته: أنا فوّت على

3 في آخر أيام جمال عبد الناصر، أميمت قمة عربية طارئة في القاهرة بشأن أزمة أيلول الأسود، والتي انتهت إلى قرارات لهدنة الأوضاع في الأردن بين الجيش والمقاومة الفلسطينية. ثم تولت لجنة مصلحة التفاوض بين الطرفين، وانتهت الأمور إلى خروج المقاومة من الأردن، وعلى إثر ذلك انتقلت العيادات إلى سوريا ولبنان.

بيتك؟ مش إنت جيت لى المكتب وقلت لى فيه ناس عندك وقلت لك لو بذك آجي اطلع لك إياهم، لأن ممنوع حدا يفوت على البيوت، فأكد الزلزمة المقصود كلامي، ثم سألته إن كنت خدت من عنده سلاح، رد عليّ بأنه لا. وقلت للظابط اكتب اللي حكا، وانتبهنا. ثم أخذوني على المخابرات، وطلبوا منى أحكي معهم مقابل إنهم يشغلوني في السفارة الأردنية بباريس، قلت إن لا من قبل بطمح في إشي ولا هلا بطمح في إشي، ما عندي إشي أحكيه. وتركني وزحت على البيت.

أهلي بدهم يودوني أي مكان لأنه صار فيه ضغط، وممكن يصير لى إشي، ربحتهم وزحت الشام، ونزلت عند أهل صديقة، هي زينة عرابي. وبعدين زحت على مكتب "الجبهة الديمقراطية" في دمشق، وهناك شفت نايقة حواتمة، كنت كثير غضبانة إنهم قالوا على إريد منطقة محررة [غير تابعة للأردن وتابعة للمقاومة] وبسبب الأخطاء الكثيرة، مثل الانسحاب اللي صار من غير إبلاغ المقاتلين، وإن ما فيه تقييم للتجربة. وكان الرد إن "كل اللي تحكيه مضبوط".

زحت لبنان شهر آخر، قعدت عند هدى رشدي، لأنني كنت مستهلكة. ثم رجعت لإريد، وبقيت فاهمة إن القيادات ما كان يهمهم حدا غير حالهم، بل في كل المناطق الموجودين فيها كانوا أول المنسحبين، ولأ بدهم يقولوا إننا عملنا خطأ. ووصلت لقناعة إنه لا توجد نية للمراجعة ودراسة الأخطاء، ليس بالجبهة الديمقراطية بس وإنما في كل الفصائل بما فيها "فتح"، مثلاً أبو عمار عمل اجتماع بدرعا وقال إن "ما فيه حديث بهذا الموضوع الآن"، لا أحد لديه نية لمناقشة إيش صار في الأردن، وليش صار هيك، وهل كانوا فعلاً ناوين يستولوا على السلطة؟ وهل كان في حدا من القيادات أو التنظيمات عنده نية لتغيير النظام؟ أو إن النظام كان معتبرها ذريعة للتخلص مما بقى؟

حسيت إن ما فيه جدية لمراجعة ما حدث في الأردن، وهذا لأن معظم قيادات "فتح"، وكل التنظيمات حتى "الديمقراطية"، ما عاشوا بالأردن، ما يعرفوا الناس، ما بيعرفوا إن فيه نضال مشترك أردني فلسطيني، ما فيه اعتراف بالحركة الوطنية الأردنية. مثلاً أبو إباد، في كتابه، قال إن الفلسطينيين دخلوا كل الأحزاب والحركات عشان فلسطين، وأول لما صار شي يمثل فلسطين كلهم انسحبوا وجاءت هيئة تمثل فلسطين منظمة التحرير اللي هيمنت عليها "فتح".

لكن تداعيات 1970 مستمرة في الأردن لحد الآن، صارت سياسات تطهير الجيش من كل العناصر الفلسطينية، مثلاً كان 60% من الجيش فلسطينيين. ظهرت أردنة الجيش، وأردنة المؤسسات، حتى جامعة اليرموك فيها مشروع القيادات

الواعدة، وفيه يتقوا الطلبة الأردنيين بيعتوهم بعثات، حتى لو مكنوش الاشرط. النظام ضيق على الفلسطينيين من 1970، لكن الفلسطينيين بقدرتهم على العمل في الشركات، قدروا يؤسسوا شركات ويروحوا الخليج ويجيبوا فلوس ويرجعوا، صح مكنش إلهم مواقع في الدولة، لكن "البنك العربي" مثلاً مكنش يوظف أردني، هذه مسألة متبادلة، وطلعت نعمة إحنا ندفع الضرائب ونصرف على الدولة، وإحنا اللي بنينا عمان. وفي المقابل، الأردنيين كانوا مبسوطين بوجودهم بالجيش والمؤسسات.

انسحاب

بشكل غير معلن انسحبت من العمل السياسي، والتزمت بيتي، وقررت أدرس وقدمت أوراقي لجامعة القاهرة وقُبلت بكلية الإعلام وعملت دبلوم، لأنني ما درست إعلام سابقاً، كان معي ليسانس تاريخ بس، درست سنتين دبلوم ثم عملت الماجستير، إجمالاً كانت خمس سنوات استعدت فيها حياة القاهرة وأجواء نضالها لأنني عشت انتفاضة الخبز 1977، وتعرّفت على الشيوعيين المصريين، وقابلت الشيخ إمام عيسى والشاعر أحمد فؤاد نجم. هكذا شفت تجربة المصريين في نضالهم، لكن حسيت إنهم مهزومين من الداخل.

ورجعت الأردن، وسافرت على لندن آخذ كورس، وهناك اتقبل ترشيحي في بعثة لأمريكا، لما رجعت الأردن جاء لي اعتذار من الهيئة الملكية عن عدم إرسال لي للبعثة لأمريكا، لأن المخابرات اعترضت عليّ.

بعدها طلب مني أدرس في جامعة اليرموك، ولما خلصت الفصل ما جددوا لى، حصل هجوم على من أحد أعضاء التدريس بالجامعة اليرموك، وبعد سنتين رجعوا طلبوني، ودرّست الفصل الأول، ثم ألغي الفصل الثاني بعد ما كان مسجل عندي 30 طالب، طلع إن المخابرات وراء هذا الإلغاء.

علم فلسطين

لما رجعت اشتغل بوزارة التربية، حظوني في مدرسة صغيرة، المدرسة التجارية، عشان مكنش لى تأثير على البنات. ومع الانتفاضة الأولى، وقفت البنات وواحدة ألفت قصيدة سمح القاسم "تقدموا"، وفتحت البنات باب المدرسة وصارت مظاهرة، كانت الأولى في إريد من 1970. الشرطة طاردهم، وانفطرت البنات وهربت. مدير المخابرات فات على المدرسة، قلت له مين حضرتك، قال: "من الأمن وبدي أفوت على المدرسة"، قلت له المدارس ممنوع دخول رجال الأمن فيها، اتفضل برّ، وطلع. بعد نص ساعة، جاني: "لازم تقولي مين البنات اللي طلعا" طبعاً رفضت.

ثم جاءني كتاب من مدير التربية إنه قبل الساعة 12 ونصف تكون الأسماء موجودة، بعثت قلت له هذه مدرسة، قال لي: "إنني نزلتني العلم الأردني ورفعتني العلم الفلسطيني"، قلت له إن البنات كانوا ماسكين علم فلسطين، مكنش يعني إشي ضد الدولة. "إحنا ناخذ إجراء ضدك"، قلت لهم أنا لحمي مَرَّ لا تفكروا إنكم تأكلوني بسهولة، دول بنات مدرسة تضامنوا مع الشعب الفلسطيني وهذا حقهم، ورفضت وانتهت المسألة. وما عملوا إشي.

تمويل

عملت جمعية تعاونية لنساء الشمال مع أخريات، كان هدفها إن الست اللي عندها تطريز بالبيت تقدر تطرز، ويمكن تعمل معرض للمشغولات، ممكن يتعمل العدس أو البرغل أو الفريكة بالبيت وإحنا كجمعية نساها في بيعها. لما أسسنا الجمعية كان فيه رفض، رئيس المنظمة التعاونية بعث للمخابرات إن تقدم لنا مجموعة من النساء، كنا 19 واحدة أظن، قالوا له: "إحنا نوافق، لكن على ألا تكون موجودة عائشة أبو سالم أو خزامى في هذه الجمعية". منعونا من تشكيلها، بعدها جاء رئيس منظمة تعاونية ثاني وشجعنا وعملنا الجمعية.

لاحظت إن فيه منظمات تمويل لكنها تنفذ مشاريعها عن طريق جمعيات صغيرة محلية بالمناطق الفقيرة، وتكون علاقة تلك المؤسسات مع الجمعيات المحلية خاضعة لقدرة الأولى على تسخير التمويل الخاص بالعمل الميداني لصالحها، وليس لمصلحة الجمعيات المحلية، مثلاً تعرفت على سيدات أسسن جمعية سموها "نساء غور المزرعة"، قبلها كن يعملن مع منظمة نسوية كبيرة كانت تبيع إنتاج كل سيدة على حدة، ولما يأتي تمويل لمشروع يغور المزرعة مثلاً "ما بنشوف منه إشي" بل تستقطع المنظمة الكبيرة 10% إدارة، وبعدين تدعو السيدات لحضور احتفال، لذا قررت هؤلاء السيدات تأسيس جمعيتهن لتوزيع الإنتاج بشكل مشترك.

دعد معاذ: العمل التطوعي كان مدخلي لقضايا المرأة ووجدت حريتي في الرياضة

دعد معاذ، من مواليد 1952، محامية وحقوقية، عرفت كرائدة رياضية أيضاً، وذلك بدمعها لممارسة البنات للرياضة خلال فترة عملها في مدارس وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين في الأردن، وهو الدور الذي مارسته بشكل أكثر احترافية مع توليها نادي المرأة. لم تنخرط دعد في أي نشاط حزبي أو سياسي، وفضلت العمل التطوعي من أجل قضايا المرأة، وهو ما دفعها لدخول "الاتحاد النسائي"، بعد عودته للعمل في السبعينيات، ثم تولت رئاسته عام 1977.

وهو الاتحاد الذي خل، وأرادت الحكومة دمجها في اتحاد آخر، إثر مزاعم بكونه تنظيمًا سياسيًا حزبيًا، وهي الحكايات التي توردها دعد في شهادتها التي اعتمدت على مقابلة جرت في 26 يونيو/حزيران 2020.

تربية سياسية

محامية، مارسات المحاماة مؤخرًا، ولكن قبل ذلك عملت معلمة في وكالة الغوث، وهذا دفعني إلى التفاعل مع النساء كثيرًا، ومع القضية الفلسطينية بخاصة. والدتي أردنية سلطية، ووالدي هو محمد حافظ معاذ، أصله سوري، درس الهندسة في تركيا، وجاء للأردن للالتحاق بالثورة العربية مع الشريف حسين، ثم عمل في تنسيق شوارع البلاد، وكان من مؤسسي وزارة الأشغال، وتربينا في بيتنا في عمان على العروبة والوطنية، كنا أسرة من تسعة، خمس بنات وأربعة أولاد.

لما كانوا يطلبوا منّا في المدرسة مساعدات لفلسطين كان والدي يقول لي إنه يبعطيني المصروف للمشاركة لفلسطين، ومثلًا يقول لي لما تشتري قصة، وبعد ما تقرئها إسألني رفيقتك في المدرسة إذا هي بحاجة إليها أعطيها إياها، أو كان ياخذنا لبعض البيوت البسيطة ويقول لي إني أدق عالباب وأعطيهم ظرف، ولو الست في البيت سألت أقولها

الظرف من رجل كريم. والدي أيضًا اقترح عليّ أدرس التوجيهي في سوريا، وبعده دراسة الحقوق هناك، وهذا جرى مع أختي قبلي، توجيهي وحقوق بالشام، وأخين لي درسوا حقوق بسبب رغبة والدي. أحد إخوتي قبلي، كان يدرّس طب فقال له: "أخوك الكبير لأن ما كان متوفر معنا [مال] درساته حقوق، إنت لازم تدرس حقوق"، كان يدرّس مساواة بين أولاده وبناته، ولما قال لي "حقوق" ما كانت فارقة معي، قلت أوكيه حقوق حقوق، المهم إني أدرس جامعة.

بلا انخراط حزبي

خلال الدراسة دخلت على الجو الوطني، سمعت صياها لأول مرة تتحدث بشكل وطني، ما كانت حزبيات بل وإعيات بتلك القضايا، بالمناسبة والدي كان يحذرنا من الأحزاب "إياكم والأحزاب... الحزب يبخل شخصيتك تنساق وراء شيء معين". كنت سعيدة بحياتي في سوريا، تشكل الوعي السياسي. الأساتذة في الجامعة ينقوا وعي الطلاب، مش انتماء حزب بل وعي سياسي، لأن كلهم كانوا درسوا دكتوراه في فرنسا، لذا يدرّهم يخلوا ذهن الطلاب ينشط ويتحرك. مثلًا كان دريد لحام يلقي شغلات، أو فيروز تعمل حفلات في دمشق، ونحضر هذه العروض والحفلات. في 1970، كنت بالسنة الأخيرة، أعدتها على مادة، وكان يدرّس آجي على الأردن، والدي قال لي: "كفلي مادتك، وتعالني" لكن رجعت لأنني خفت بسبب الصراع. مثلًا أهلي عمرهم ما صرحوا قدامنا إن الحق على مين، الجيش الأردني ولّا المقاومة. لكن وجهة نظري ببساطة إن فيه ناس من المقاومة ما أحسنت التصرف، بل استفزوا الشعب الأردني. ربنا رحيم إن الحكومة طلعت عاقلة، واستجابت لتدخل جمال عبد الناصر، وأوقفت القتال. ما كان يدرّس أخذ مصروف من أبي، ولقيت مكتوب بالحريفة إن وكالة الغوث يدرّها "معلمة بديلة"، قدمت واستلمت الشغل.

البنات يلعبن

وصدق أن مديرة المدرسة التابعة لوكالة الغوث هي مديحة الخيري، شخصية قوية مع وعي ومسؤولية. لما فوّت عليها قالت لي: "يدك تروحي على صف الثالث بالمرحلة الإعدادية، كيف لغتك العربية؟" قلّت إن شاء الله منيحة، لأنني تعلمت بسوريا وفيه تركيز على اللغة العربية. كنت بديلة لمعلمة في إجازة أمومة، وهي كانت معلمة عربي للثالث الإعدادي. وبعد فترة ثبت، أغلب العاملات فلسطينيات، لكن فيه نسبة تشغيل من الدولة المضيفة [الأردن] لكن كان لازم أدخل دورات تعليمية، لأنني دارسة حقوق. انتقلت لعدة مدارس، وتبدّل تخصصي مثلًا صرت مسؤولة عن التربية الرياضية في مدارس وكالة الغوث، وسويت أول فرق نسائية رياضية كرة سلة وتنس طاولة، وكان عندنا أشهر لاعبات المملكة. رغم أن عندنا بالأردن تعصب، لكن أهل البنات ما كان عندهم مانع، الأم مثلًا طالما التدريب مسؤولة عنه أستاذة، مش أستاذ، توافق

إن بنتها تتدرب، بالمستقبل البنات تخصصت ودخلت كلية تربية رياضية. ثم تركت الوكالة، وسجلت في النقابة كمحامية متدربة في التسعينات.

المرأة ضد المرأة

قبل عام المرأة الدولي 1975، تطوعت في العمل النسائي، بحضور اجتماعات السيدة ايميلي بشارت، عن طريق صديقتي المحامية، فائزة الشبحي. الاجتماعات التي نظمها ايميلي كان فيها العديد من السيدات، مثل سلوى زيادين، وكلهن يشتغلن بدون راتب، كان عمل تطوعي تتركن بيوتهن وأولادهن لمساعدة المرأة لتنهض بالأردن، والست ايميلي قابلت رئيس الوزراء، زيد الرفاعي، وقالت له إنه راح يكون فيه مؤتمر دولي للمرأة في 1975، وبدها تشارك فيه، قال لها: "ممتاز" قالت له: "طيب كيف بدنا نشارك وما فيه اتحاد؟" وخلال شهر حصلنا على موافقة وزارة الداخلية على تأسيس "الاتحاد النسائي في الأردن"¹، وسميناه هيك حتى يضمّ الفلسطينية بجانب الأردنية. وليتها طلعلنا، أنا وفائزة، العراق لحضور مؤتمر نسائي، ووزعنا ورقنا على وفود كل الدول المشاركة. لكن فيه صبايا تجمع الأوراق اللي وزعناها، وتقول إن "الاتحاد النسائي مخبرات ولازم ما تقبلوه"، هن الصبايا من جمعية النساء العربيات ورئيستها ايميلي نفاع، كانت حالة تناحر وصراع سياسي.

وسألنا رئيسة المؤتمر، أنا وفائزة، كيف دخلنا، ردينا إننا نغينا لنمثل الأردن، ورئيسة اتحاد العراق قالت إنها هي دعتنا، ووقفت معانا عصام عبد الهادي، رئيسة اتحاد المرأة الفلسطينية، لكن رئيسة المؤتمر رفضت وجودنا بحجة "إننا مخبرات". استمر عملي بالاتحاد، وانتخبت كرئيسة له في 1977.

مثل مرة الست عصام عبد الهادي، قالت، في اجتماع للاتحاد: "ست دعد، أبو عمار يسلم عليكم، ويقول مستعد يساعدكم قد المبلغ اللي بتريده" جاوبتها إن شوفي أبو عمار على راسي، لكن ما أخذت من الدولة، ما بقدر أخذ من أبو عمار وقطعناها.

كان عندي سيارة، لأن راتبي من وكالة الغوث كويس، وكنت استعملها كأنها سيارة الاتحاد، وكنا نروح على كل المحافظات. وفتحنا فروع بالمحافظات: إربد والزرقاء والسلط ومأدبا والعقبة، والفرع الأخير مثل كان كله نساء محجبات، كانت الشغلة معجزة، طلعات من بيوتهن وتعلمن مهنة، وصرنا نشجعهن "بكرة تستلمي محل الأجنبية... بتمولي الفنادق

بشغلك اليدوي؛ شراشف ومراشف".

الآثار الجانبية لمعارضة السادات

دعينا لمؤتمر كوبنهاجن²، رحنا أربع نساء من اتحادنا، وانسحبنا وقت كلمة جيهان السادات، أننا ضد خطوة أنور السادات بعدها حصلت مضايقات أمنية، وزير الداخلية الأردني حلّ الاتحاد³. لكن قبلها إنعام المفتي، وزيرة التنمية الاجتماعية، طلبت منا إننا نحلّ حالنا، ونعمل جمعيات، وندخل اتحاد جديد لسه ما تأسس، رفضنا لأنه مو معقول نقضي على اتحاد اشتغلنا فيه سنوات، ناضلنا من أجل تعليم المرأة وتمكينها من العمل، من منطقة لمنطقة، وما خلينا قرية غير اشتغلنا فيها، أو مخيم حتى. ووقتها أسسوا الاتحاد النسائي الأردني⁴، برئاسة بنت الدولة هيفاء البشير، بس عمره ما صار صراع بينا وبينهم، كانت هيفاء مسالمة.

وصار بدنا نقيم دعوى على الدولة، ورحنا المحامي إبراهيم بكر، اطلع على ملفنا في وزارة الداخلية وقال: "رخ اعلمكم الدعوى"، وطبعاً سكرنا الاتحاد لأنه صرنا مراقبين كثير. لقّا قتنا بالمحكمة جاءت رئيسات الفروع، وكان رئيس الجلسة أخوي عبدالكريم، طلب أن الستات تطلع برّهن، ونادي المحامي، وقاله: "هاي اختي، كيف بدّي أنا رئيس جلسة اكون لقضية لاختي مش معقول ما بصير قانوناً" غيروا الرئاسة، وجابوا رئيس تاني، ومشى الأستاذ إبراهيم بكر بالقضية، وأنا قلت لهم ضمن أقواله اسألوا أي سفير أردني بالبلاد اللي رحناها مؤتمرات كيف كان موقفنا، كُنا خير من يمثل الدولة بالخارج، ممكن نتنقد الدولة بالداخل لمصلحة بلدنا مش لأننا بنكره بلدنا، يعني هاي كانت كلمتي. وكان مكتوب في ملف القضية تخيص كاتبين أن "الاتحاد حزبي" وكسبنا القضية. ورجعنا نشغل ببطء.

الضغط كان علىّ كبير بسبب صراعات السياسة، واستلمت إدارة نادي، اسمه "نادي المرأة" وكان عنده فريق كرة قدم نسائي، وفيه اشتغلت على حريتي لأنه مش شغل سياسي. وبدأت ممارسة المحاماة، وعملت مع الأميرة بسمة⁵ ضمن اللجنة الوطنية لشؤون المرأة، لبحث قضايا المرأة قانونياً، وكُنا نناقش النواب في البرلمان. وحالياً متقاعدة من المحاماة، لكن عندي أمل في المستقبل، ولسه عندي أمل بالعالم العربي، والقضية الفلسطينية ما راح تنهائ أبداً.

2 1980 في الدنمارك. وشاركت جيهان السادات ميلها في مؤتمر نيومكسكو.

3 توميع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر، برئاسة أنور السادات، وإسرائيل.

4 1981، وعاد للعمل بعد 1990.

5 صارت الجمعيات تابعة لوزارة التنمية الاجتماعية، والتي شكلت الاتحاد الجديد.

6 تأسست اللجنة الوطنية الأردنية لشؤون المرأة بقرار من مجلس الوزراء في 1992 برئاسة الأميرة بسمة بنت طلال، وذلك للعمل على إدماج المرأة، ورصد التمييز ضدها، وبحث القضايا. ضمت اللجنة وزراء المجتمع المدني ومثلية، فضلاً عن عدد من القانونيات.

1 يعود تاريخ تأسيسه الى أربعينيات القرن الماضي، وجرى خله مع فرض الأحكام العرفية وحل الجمعيات في الأردن 1957، ثم أعيد تأسيسه تحت اسم "الاتحاد النسائي في الأردن" في 1974، ليضم ممثلات عن كل التنظيمات العاملة في البلاد المعنات بعمل المرأة العام، وشكلت هيئة الاتحاد الإدارية من ممثلات عن أحزاب وتنظيمات منها الحزب الشيوعي، والجبهتان الديمقراطية والشيوعية لتحرير فلسطين.

ربيعة الناصر: يجب أن تكون المكتبة مكانًا للاستمتاع

بيتنا ربل" سلسلة اللي يتحكي عن ثورة 1952 بمصر، وتابعت الكاريكاتيرات السياسية مثل رسوم بهجت عثمان وحلمي التونسي. الجو العام في البيت كان فيه اجتماعات الحزب الشيوعي، رفاق عمي كانوا زي أعمامي منهم عبد الفتاح تولسان كنا نعرفه بـ "عمو أبو نبيل"، وفؤاد قسيس "عمو أبو محمود"، وأمي كانت أمينة سر لعمي، يأمنها على المنشورات وتخبئها، وتسلمها للناس يجوا من إريد للبيت بالاتفاق مع عمي.

والذي كان توجهه قومي أكثر، ممكن مع الاشتراكية لكن عنده جزء محافظ وقومي. عمي كان بيعتني مراسل لتوصيل المنشورات، أو إذا تغير مقر الاجتماعات لأسباب أمنية أروح المقر وأجيب رفاقه على البيت.

وأنا صغيرة عملت مجلتي الخاصة وكُتبت وحررت أبوابها، ولهذا أبوي كان يقول لي إنني أدرس صحافة بالشام. لقا نقاعد أبي رجعتنا إريد، قال: "بدي أروح على بيتي". وقتها كنت بالتأني، وانخطبت، زعلت كثير من أبي، خاصته بيني وبين نفسي، كان مبرره إن الخطيب قريبه، يعتقد إنه كان حبيب يكون له أحفاد باسم عيلة الناصر. لما خلصت توجيهي تزوجت، وفي 1965 سافرت مع زوجي اللي كان معلم في مدينة الطائف السعودية، وكان اللي معه توجيهي يشتغل معلم بالسعودية، وصرت معلمة.

في المدرسة، كان فيه تجمع معلمات من كل أنحاء البلاد العربية؛ غرة والضفة الغربية ومصر وسوريا، تنوع جميل. لقا حملت بابني، زميلاتي المعلمات اشتغلن جاكيتات وينطلونات وطواقي وأشياء للمولود، كأنه نسيح ملابس نسجته أيادي من كل أنحاء العالم العربي.

وقتها كانت الحياة كثير محدودة بالسعودية، لذا كنت أقرأ، واستغير كتب من الصديقات هناك.

وبعد ست سنوات ألغي عقدي، لأنني كنت أتحدى القوانين شوي، كنت أراها قوانين جائرة مثل تغطية الوجه، ورجعت على إريد، وصار معي ولد وبنت.

حاولت مع زوجي إننا نسكن بعمان، لكنه ما وافق، هكذا اشتغلت معلمة في إريد وقراها.

في 1972، دخلت نظام معهد التأهيل التربوي، كنا ندرس أثناء العمل، وخلصت دراسة في 1975، وتخصصت في اللغة الإنجليزية، فسجلت في جامعة بيروت العربية، لكن بدأت الحرب الأهلية، فقت إن تصبني رصاصة طائشة، لذا ما زحت الامتحان.

عملت مع جمعية النساء العربيات، هي كانت موجودة بعمان بس، ولما أردت تأسيس فرع في إريد، استلمت

ربيعة الناصر، من مواليد 1947، معلمة، لكنها حلمت أن تصبح أمينة مكتبة، وهو الأمر الذي حققته مهنيًا، لمدة عام في مكتبة إحدى مدارس محافظة الزرقاء، ثم حققت شغفها بالكتب والمعرفة بتأسيس مكتبات تبعد عن الصورة التقليدية بدعم من المجتمع المدني، حتى تمكنت من تحقيق حلمها بمشروع "بيت الحكايات" من 2009 لـ 2018.

في شهادتها، تعتبر أنّ الكتب هي اللاعب الأساسي في حياتها، وتقول إنّ المكتبة هي مكان للاستمتاع، إذا لم يأتستمتع قرئادة المكتبة فلن تكون هناك معرفة.

هذه الشهادة اعتمدت على مقابلة جرت في 15 و28 كانون الأول/ديسمبر 2020.

اهتمام بالقراءة والثقافة

أبوي عمل بالجمرك وتعرف على أمي بالمفروق¹، حيث كان أبوها مأمور محطة سكة حديد للقطار الحجازي هناك، جدي لأمي كان تركي، وأمي نشأت بدمشق، وولدت في قرية ايدون شمالي الأردن 1947 نفس السنة اللي غيّن فيها أبوي كمعلم في الشونة الشمالية بمنطقة الأغوار، ولأن ميلادي كان في آذار/مارس، شهر الربيع، سموني "ربيعة"، درست الصفين الأول والثاني الابتدائي في إريد، وبعدها انتقلنا لعمان.

في البيت كان الجو العام فيه اهتمام بالقراءة والثقافة، وأصغر أعمامي، أحمد الناصر، كان مُنتمي للحزب الشيوعي، كان اسمه الحزبي "أبو العباس"، وصار في ما بعد "أبو باسل" نسبةً لأخيه وأولاده باسل. عمي تخرج في هندسة جامعة عين شمس بمصر، 1953-1954، وكان من أوائل المهندسين المدنيين بالأردن، وعمل بوزارة الأشغال، وكنت أستاذة على درج البيت أول ما يرجع من شغله عشان أخطف منه المجلات، قرّبت فيها رواية إحسان عبد القدوس "في

1 مدينة المفروق عاصمه محافظه المفروق الأردنية، بعدها من الشرق العراق ومن الشمال سوريا.

إدارته، وفعلًا استأجرنا مقر، وعملنا على دعم المرأة من خلال إيجاد فرص عمل لها أو حرفة، ساعدنا النساء على تعلم مهارات مثل الطباعة على الآلة الكاتبة، والخياطة، وغيرها. ونظمنا برنامج لمحو الأمية.

ثم قررت الدراسة بجامعة دمشق في 1978، لكن كانت الجامعة بطلت تسجيل طلاب بالتوجيهي القديم، لذا قدمت توجيهي جديد، رغم أنني معلمة بقي لي 13 سنة؛ ستة في السعودية وسبعة بالأردن. ثم سجلت بالجامعة انتساب فلسفة وعلم اجتماع، وكنت أسافر أيام الامتحانات صياخًا، لأن إربد قريبة من دمشق حوالي ساعتين. لكن في أوائل الثمانينات ساءت العلاقات بين الأردن وسوريا، فصار لازم كل سفرة للشام يذهب تصريح من المخابرات، وقبلها أصلًا كنت انتظمت في الحزب الشيوعي من منتصف السبعينات.

وفي منتصف الثمانينات انسحبت من الحزب، حسيت إنه عمّ يحطّ قيود عليّ، مثلاً كان يرفض إنني آخذ بيت من مؤسسة الإسكان، انكس ليّ: "كيف تاخذي بيت من مؤسسة الإسكان هاي مؤسسة امبريالية؟" طيب كيف بدّي آمن بيت وأنا موظفة براتب وجوزي براتب، واستجوبت من الحزب لأن ليّ صديقة من حزب آخر "كيف بنتقي فيها"، حسيت فيه قيود صارت عليّ.

مع الكتب

اللاعب الأساسي في حياتي هو الكتاب، جيلنا معرفته كانت من الكتب والمجلات والصحف. وكانت الشخصية تبني من خلال المعرفة الشاملة بكل ما يحيط فينا، سواء كانت حياة اجتماعية أو سياسية أو تعليمية، وعشان هيك قراءتي، حتى للكتب والروايات، شكّلت رؤيتي.

لذا، كان حلمي أصير أمانة مكتبة، وفي 1983 التحقت بدورة المكتبات في جامعة اليرموك، وبعدها ضدّف إنه انتقلنا للزرقاء [شمال شرق عمان]، حتى نكون قريبين من شغل زوجي بالدفاع المدني. لما زحّت استلم شغلي، مسؤول شؤون الموظفين قال ليّ: "معلش أسفين ما فيه شاغر غير أمانة مكتبة في مدرسة زينب الهلالية" وصرت أمانة مكتبة أخيرًا، ودخلت على عالم كله كتب، وصارت المكتبة لها أثر على كل معلمة وحتى المديرية، كلهن استعرن كتب. هذه الوظيفة استمرت سنة.

التورط في الكتابة

ثم انتقلنا لعمان حتى أكون مع الأولاد في دراستهم الجامعة، وأسست مع هيفاء النجار مكتبة للأطفال في المدرسة الأهلية، واكتشفت إن الطفل من عمر أربع سنين يقدر يفهم اللغة، والمغزى والمعاني، بدون ما تحكي

له. وفي 1995، زحّت زيارة لناهض حتر، مؤسس جريدة "الميثاق"، وقال ليّ: "ليه إنت ما تكتبي"، فُلت له والله عندي اهتمام ورغبة، بس عندي شغل وعيلة. وبعد أسبوع من الزيارة حكى معي واحد من الشباب بـ "الميثاق" إن "ست ربيعة يوم الثلاثاء بنستنس مقالتك لأن العدد بدّه يصدر" هكذا حظني تحت الأمر الواقع، ووقتها كان عمري 50 سنة بالضبط، وكتبت أنها "الخمسون التي اكتشفت معها إنني عشت 100... شخصية". وضليت بـ "الميثاق" لحد ما سكرت في 1997.

في 2002، اشتغلت أيضًا في مشروع "مكتبتني العربية" لدار نشر سكولاستك الأمريكية. وبعدها طلبتني مؤسسة "رواد التنمية" ضمن مشروعها لتنفيذ برامج تتعلق بالطفل في المناطق الشيعية، وخلال خمس سنين أسسنا تسع مكاتب خارج عمان، واكتسبت صفة جديدة مهنية؛ صرت خبيرة في المكتبات.

وخلال عملي في تلك المكتبات لاحظت أن الطلاب اللي كانوا ياخذوا منح دراسية، كان مطلوب منهم يقدموا أنهم عملوا ست ساعات تطوع أسبوعيًا، وكانوا هؤلاء الشباب يسألوا إذا كان ممكن يتطوعوا بالمكتبة، كنت أسأل الواحد منهم "وانت صغير شو كنت تحب تعمل، شو الشي اللي كنت تتمنى تعمله؟" مثلاً واحد يقول ليّ: "الجغرافيا، يحب الأطالس" طيب تمام يلا اعمل "نادي بساط الريح"، أو واحد يحب الشعر، أقوله اكتب، واللي يحب المسرح يعمل "نادي مسرح"، عملنا أنشطة لها علاقة بالفنون والأدب، وهكذا تشكّل برنامج "شبابيك" للمتطوعين، يعني كل شاب يتعرف على حاله شو البشري اللي يحب عمله، ويساعد الأصغر منه يفتح شبابيكه، ونفتح شبابيكنا كلياتها على الدنيا بالمكتبة.

صار عندنا منهاج مختلف عن المكتبة التقليدية الكلاسيكية، نقرأ القصة ونمثلها ونتقمص شخصياتها، وفي مرات قصص غنائية يعني دخلنا الموسيقى والرسم والمسرح ومسرح الدُمى.

بيت الحكايات

بهذا الوقت فكرت في تأسيس مشروعني الخاص "بيت الحكاية"، وبعد تعثر في إيجاد مقر، مرة كنت قاعدة مع بنتي في برنزة بيتي، وقيلنا مقر "الأمم ايست"؟ القديم، فقالت ليّ: "ماما شو رأيك بهاد البيت"، فُلت لها هذا الأمم ايست الله بيعلم كم إجاره، فقالت: "خلينا نشوف شو بضر بما إنه مفتوح خلينا نفوت نتفرج" وفعلًا فتنا لقيناه فيلا من طابقين، فكرت إنني آخذ قرض لتأجيريه وتأسيس

2 منظمه أميرئنه غير ربحنه تعمل في أنشطة التعليم والتدريب والبطور.

مشروعني فيه، لكن ابني قال لي: "شو تاخذي قرض؟ إنبت طول عمرك بتشتغلي عشاننا، وطول عمرك بتحقيقي لنا ألامنا، وما تقدر تحققيك هذا الحلم" وفعلأ هو اللي دفع الإيجار وتكلفة الدهان، وبلش يحدد ألوان الغرف؛ "هاي بنعملها خضرة... غرفة الحكايات"، وقاعة الموسيقى ذهنت بالآلزرقي، والمرسم أكثر من لون، وفيه غرفة كان إليها برنדה فقال لي: "هذه مسرح... حظي ستارة سوداء من جوه".

"بيت الحكايات" كان مفتوح لكل دور الأيتام، والمدارس الحكومية، ومدارس الوكالة، ودور رعاية الأحداث، أي حدا ما يقدر يروح على مراكز ترفيه، وما عندهم إمكانية. دعت مرتين بشكل كامل من "سنرجوز للرواد الاجتماعيين العرب"، ودعم صغير من المركز الثقافي الإسباني، وغير المرتين توافقت رؤية "بيت الحكايات" مع "دروسوس"، منظمة سويسرية، ومنظمة "أرض البشر"، ورؤيتنا كانت مسافة للطفل حتى يقدر يتشكل ويعبر عن نفسه، ويكون قادر على التعبير عن ذاته، وسعيد بذاته وراضي عنها.

شاركت بمؤتمرات حتى حصلت على جائزة اليوروميد الحوار المتوسطي تبعت "أنا ليند"، لشغلي مع اللاجئين في المخيمات، اشتغلنا مع كل المخيمات اللي في الأردن، سواء الحديثة أو القديمة، التقيت آلاف الأطفال بأنشطة "بيت الحكايات" قرأنا لهم القصص ورسموا وغنوا، ثم اضطررت أوقفه كشركة. وهكذا كان "بيت الحكايات" في الفترة من 2009 لـ 2018.

تجربة "بيت الحكايات" انتشرت بطريقة غير مباشرة، ما عندي مشكلة كانوا كتير يقولوا لي إنهم "عملوا أنشطة زي اللي عملتها"، وهذا اللي بدّي أوصله، ما فيه مشكلة، هذا هو الهدف. بل سعيدة إن فيه ناس تشتغل مع الأطفال برؤية وتجربة واحترام، إن المكتبة تكون للاستمتاع، والاستمتاع بخليك تتعلم، إذا استمتعت تتعلم، ما استمتعت ما بتتعلم.

ريم أبو حسان: قراءة القانون بعدسة الجندر كشفت التمييز الصارخ ضد المرأة

ريم أبو حسان، مواليد 1963، محامية ووزيرة أردنية سابقة، اختارت دراسة الحقوق في الجامعة الأردنية، لوعبها المبكر أنَّ القانون يمسّ حياة الناس. وحصلت على ماجستير من كلية لندن للاقتصاد عام 1986.

تغيّرت رؤية ريم للقانون حين بدأت في النظر إليه بعدسة الجندر، وقد كشفت لها هذه الرؤية التمييز الصارخ ضد المرأة الأردنية، ما دفعها لتغيير هذا الوضع، حسبما تروي في شهادتها المعتمدة على مقابلة حرت في 11 آذار/مارس 2020.

القانون يمسّ حياة الناس

محامية وأم، مؤمنة إن لى دور في عمارة الأرض، مثلاً درست الحقوق خلفاً لرغبة والدتي، التي كانت بدّها إيانني أدرس "أدب إنجليزي" وأكون مترجمة، وذلك لشعوري إن القانون يمسّ حياة الناس.

في صغري شفت مسلسل اسمه Paper Chase (مسلسل أميركي، إنتاج 1978) عن طلبة حقوق في كلية هارفرد، حول القانون وتأثيره في حياة الناس، ولما صرت بالصف الثاني الإعدادي قررت أدرس قانون، رغم رغبة أمي في دراستي "آداب"، وأنهم في مدرستي كانوا يتهم إيانني أطلع علمي لأنني من الطالبات الشاطرات، لما حكيت لهم في المدرسة إنني بدّي أكون أدبي تمهيداً لدخولي حقوق قالوا لى: "بكرة تغيّري رأيك" لكن ما غيّرته، حسيت إن القانون راح يخليني أفهم الحياة بشكل أفضل، ووادي خلاصني أعمل اللي بدّي إياه، وهكذا دخلت كلية الحقوق في الجامعة الأردنية عام 1980. خلال الدراسة، كان في أذهاننا إمكانية تسكير الجامعة بسبب النشاط السياسي، وكان فيه نوع من التأهب للتعامل مع هاي القضايا بأننا نبعد عن

السياسة. يعني إذا بدّا تقعد وتكفي مع زملاء وزميلات كان هذا الموضوع taboo، ما تكفي فيه، وبالمقابل كان الكلام إن الأشياء المقبولة هي اللي لها علاقة بخدمة المجتمع أو الخدمة العامة، وقتها تطوعت بتسجيل الطلبة الجدد حتى أشرح لهم شو بدّا من دراسة الحقوق مع إنني كنت لسه مخلصنة سنة أولى وآلا سنة ثانية.

اكتشاف القانون

وخلال سنة ثانية، قرأت كتاب فاطمة المرنيسي: Beyond the Veil (طبعته الإنجليزية الأولى 1975)، وهيك بلّش اهتمامي بكل كتاباتها، بما في ذلك "أحلام النساء الحريم" و"السلطات المنسيات"، وصار عندي اهتمام شخصي بقضايا ودراسات الجندر، وهذا ما له علاقة بدراسة القانون، لأن دراستنا كانت ما لها علاقة بالجندر، بل كنّا ندرس قانون يحت.

ولما خلصت كلية، قررت أكمل دراسات عليا، لأنه البكالوريوس ما يكفي، فزحمت عملت ماجستير بلندن، وهناك أحيينا، أنا ومجموعة من العرب، جمعية أصدقاء فلسطين؛ نظمنا مهرجان كبير، وكانت خبرة مهمة.

رجعت الأردن، وتدرّبت في مكتب الأستاذ إبراهيم بكر، وهو من عمالقة القانون وقتها، ومن كبار المناضلين ومؤسسي حركة التحرير الفلسطيني؛ منظمة التحرير الفلسطينية، وانسحب منها وجاء ياسر عرفات. صباخا يشتغل بالمحاكم لأنه محامي أكبر شركات وبنوك مثل "البنك العربي"، وبعد الظهر قضايا إدارية لموظفي الدولة ضد إدارة الحاكم العسكري العام والإدارة العرفية¹، وهذه القضايا كان يتولاها بلاش دفاعاً عن هؤلاء الموظفين، وكنت معاه في شغل الصبح وبعد الظهر، وعندنا راحة بينهما؛ كل واحد متا يتغدى بالبيت ونرجع نكمل. هذا كان في الفترة من 1985 لـ 1987. مثلاً الأستاذ بكر قال لى إن المحامي هو أحد جناحي العدالة، إحنا القضاء الواقف والقضاة همّا القضاء الجالس. تعلمت منه إنني إذا اشتغلت محامية شركات، لازم أقدم خدمة لمجتمعني عبر توظيف علمي ومعرفتي بالقانون للدفاع عن حقوق الناس.

إعادة اكتشاف القانون

بعد التدريب، تزوجت وسافرت مع زوجي أميركا، وخلفت ابنتي، ورجعنا الأردن في 1992.

وقتها، سمو الأميرة بسمه، كانت عمّ بتحضر لمشاركة الأردن في مؤتمر بكين للمرأة اللي سيقام بعد ثلاث سنوات.

1 كان ذلك خلال فترة فرض الأحكام العرفية في الأردن التي فرضت في 1958، ما أوجد محاكم عسكرية عرضه في المملكة.

وطلب من مجموعة محاميات مراجعة القوانين، وطلع من حظي قانون العقوبات، وكانت هذه أول مرة استخدم عدسة الجندر في نظرتي للنصوص القانونية، وبدأت اكتشف التمييز الواضح والصارخ ضد المرأة، وضرورة الشغل على تعديل نصوص كثيرة. ثم شكلت اللجنة الوطنية لشؤون المرأة برئاسة سمو الأميرة بسمة، وكنت في فريق العمل القانوني، وضيقت فيه من 1993 لـ 2000.

على المستوى الشخصي شغلتنى قضايا "جرائم الشرف"، قرأت أغلب الأحكام المتعلقة بها، وحسيت إن سيناريو القضايا فيه تكرار، مثلاً فيه حدا بالأمن العام عامل دراسة إحصائية عن "جرائم الشرف" بسنة واحدة، ووجد أنها كانت 21 جريمة، ومرتكب الجريمة في 19 منها هو الأخ، والضحايا معظمهن متزوجات في عمر بين 28 و35، في حين كان مرتكب الجريمة حدث أقل سنّاً من هالحكي، بلّشت أقرأ الأحكام بعدسة الجندر، ووجدت الموضوع مقصود.

لكن لم أأخذ خطوات تجاه تلك القضايا، إلا حين طلب مني إنشاء مديرية حقوق الإنسان وشؤون الأسرة في وزارة العدل، وقتها قلت للوزير، شريف الزعبي، إني بدّي اشتغل على "جرائم الشرف"، لأنه قبلها هيومن رايتس ووتش عملت تقرير عن هذه الجرائم بالأردن، اسمه Honoring the Killers، وعمل ضجة كبيرة.

لكن عندي قصة تخص التقرير؛ خلال إعداداه حصلت مقابلة معي من طرف القائمة على التقرير من "هيومن رايتس ووتش" فنظمت لها جلسة مع قضاة في محكمة الجنايات الكبرى، اللي هم يحكموا بهاي القضايا، وإجابات القضاة كانت من نوعية "إني بطبق القانون" أو "إذا ما أمامي غير هاي الوقائع، مبقدرش أفتش على وقائع ثانية" أو "إني مضطر أطبق المادة اللي بتقول أعطي عذر مخفف".

لذا فكرت إننا لازم نضع آلية للتعامل مؤسسياً، مثلاً القاضي راح يحكم بعذر مخفف طالما أن وقائع القضية تقول إن الجريمة ارتكبت في حالة غضب² شديدة ولم تثبت إن فيها سبق إصرار وترصد، يعني المشكلة في الوقائع أو بناء

2 تنص المادة 340 من قانون العقوبات الأردني على: "يسفد من العذر المخفف من فوجئ بزوجه أو إحدى أصوله أو مروه أو أخته حال تلبسها بجريمة الزنا أو في فراش غير مشروع، فقلها في الحال، أو مثل من برني بها، أو قبلها معاً أو اعتدى على أحدهما أو كليهما اعتداءً أفضى إلى جرح أو إيداء أو عاهة دائمة أو موت... ويسفد من العذر ذاته الزوجه اللي فوجئ بزوجه حال تلبس بجريمة الزنا أو في فراش غير مشروع في مسكن الزوجية فمثلته في الحال أو قبلت من برني بها أو مثلتها معاً أو اعتدى على أحدهما أو كليهما اعتداءً أفضى إلى جرح أو إيداء أو عاهة دائمة أو موت... ولا يجوز استعمال حق الدفاع الشرعي بقى من يستفيد من هذا العذر... كما لا يطبق على من يستفيد من العذر المخفف أحكام الظروف المشددة".

3 تنص المادة 98 من قانون العقوبات الأردني: "يسفد من العذر المخفف فاعل الجريمة الذي أقدم عليها بسورة غضب شديد ناتج عن عمل غير محق وعلى جانب من الخطورة أنه المجني عليه".

القضية، إذا نبيت بشكل ضعيف راح يطلع الحكم مخفف.

فكرت إن بأصول المحاكمات الجزائية فيه عندك التحقيق الشرطي⁴ والتحقيق اللي يقوم فيه المدعي العام، لكن عادةً كان المدعي العام يكتفي بما ورد في تحقيق الشرطة دون أن يحقق، لذا لو ألزمت المدعي العام بالتحقيق سئبني تلك القضايا بشكل أفضل، وبناءً عليه، أصدر وزير العدل تعليمات للشرطة أنه يمنع منعاً باتاً بقضايا القتل بشكل عام أن يحقق فيها حدا غير المدعي العام. وجرى تعيين اثنين مدعين عامين هما فقط اللي يحققوا في قضايا القتل وبين ما صارت، ووفرنا لهما سيارة وسائق عشان يقدرُوا يوصلوا لكل المناطق، فبلّشت القضايا تُبنى بشكل قوي، وبالتالي المحكمة راح توصل إن الجريمة فيها سبق إصرار، هكذا ارتفعت وتيرة الأحكام غير المخففة.

حين تكون المرأة قاتلة

وفي آذار/مارس 2013، صرت وزيرة التنمية الاجتماعية، وهي وزارة مهمة مسؤولة عن الأمن الإنساني، وصوت الفئات المهمشة، وخلال عملي كنت واعية بفكرة المرأة كقاتلة، أنها تجمع ولا تفرق، وتهتم بالتجارب الشخصية للفريق اللي معها، مثلاً استشعرت معاناة موظفي "التنمية الاجتماعية"، في ما يتعلق بعملهم على وقائع العنف الأسري، وعملت على التفرغ النفسي لموظفي الوزارة خاصة اللي يشتغلوا مع الإعاقة، فيه إشي اسمه الاحتراق الداخلي، لذا رتبت لكل موظفي الوزارة رحلات داخل المملكة للتفرغ النفسي، نعمل لهم تفرغ نفسي من خلال هذه الرحلات، مثلاً فيه موظفة قالت خلال رحلة للعقبة إن "كل غمري بطم اشوف البحر". لذا مهم نراعي نفسية الموظف حتى يقدر يعطي. وأيضاً عملت على إنشاء اللجنة الوزارية لتمكين المرأة، وكانت الفكرة من روالها إن الطريقة الوحيدة لوضع قضايا المرأة في صلب اهتمامات مجلس الوزراء هي وجود لجنة وزارية تُعنى بتمكين المرأة. وغادرت الوزارة في 2016، وعدت للمحاماة مع العمل في أنشطة المجتمع المدني.

إجمالاً، أرى أنَّ الحراك النسائي في مرحلة مراجعة، وخطابه لازم يكون فيه نوع من التوافق، مثلاً الصايا اللي بلّشت تشتغل بالقضايا النسوية ما عمّ تحس لهن مظلة تدعمهن، وبالتالي أعتقد لازم يصير فيه ليلمة للموضوع، وتكون الأولويات مُتجانسة، يعني ما يذبنا هو موضوع التمويل لأنه لا يوجد تمويل كافي يبجي للقضايا النسائية، لذا بدّك تضطري للجوء للمانحين، والتمويل الخارجي عمّ يشقت، بتصفى المصارى رايحة على أشياء مختلفة بدل ما تمشي في مسار رئيسي.

4 نجره أفراد الشرطة.

ستيلا هلسة: مجتمعنا يحتاج إلى نساء قياديات من الجيل الجديد

ستيلا هلسة، مُعلمة، من مواليد جبل عمان، عضوة في الحزب الشيوعي الأردني، سُحب جواز سفرها، أواخر السبعينيات، ما منعها من السفر حتى أعلن الميثاق الوطني في بدايات التسعينيات وتمّ إلغاء الأحكام العرفية. في شهادتها التي اعتمدت على مقابلة جرت في الثاني من نيسان/أبريل 2021، ترى ستيلا أنّ الديمقراطية لا تزال منقوصة، ما يتطلب إفساح المجال للحريات، وتأمّل أن ينخرط الشباب في العمل السياسي والمجتمعي لتحقيق ذلك.

الديمقراطية عندنا منقوصة

مواطنة أردنية، كنت مدرسة، الآن متقاعدة. اشتغلت في العمل النسائي فترة طويلة، حاليًا بشتغل لكن مش زي قبل عشر سنين أو خمس.

من أسرة بسيطة بجبل عمان؛ الأب والام ناس عاديين، لكن إلهم توجهات وطنية، مثلي الأعلى بالبيت شقيقي الأكبر، نشط في السياسة وعمره 15-16 سنة، كان متابع للأحداث، وخاصة المذّ الوطني بالخمسينات، شقيقي أكبر مني بشي 12-13 سنة، لكن كان قدوة بالبيت، محبوب من قبل الأقارب وزملائه، فضلت علاقتي فيه علاقة متينة. وتابعنا تحرر الجزائر كنت بالصف السادس ابتدائي في مدرسة بجبل اللويدة، وكُنّا نتفرج من شبابيك المدرسة على المظاهرات اللي بتصير.

وفي حزيران 67، كُنّا نتابع النكسة اللي تعرّض لها العرب، وفسرناها إن إسرائيل كانت طامعة في الأراضي العربية سواء أردنية أو سورية أو مصرية من أجل التوسع على حساب شعوبنا.

اطورت، وانتقلنا لمدارس طبغا صرت أوعى وأكبر، وصارت فيه أحداث بالاردن، صرت اتابع شو وضع النساء، شو عم بصير في بلادنا. بتذكر كلمات سمعتها وأنا صغيرة من

معلمائتي اللي كانت قياديات عن وضع النساء، ومطالبات بحقوق المرأة، حديث يطلب الصبايا اللي عندهم هاد التوجه اللي عندهم انه خميرة لهاد الوضع بالاردن. حضرت مؤتمرات بدول عربية ممثلة عن الحزب الشيوعي الأردني، ما زحت على دول أجنبية. سافرت الجزائر وليبيا، لَمّا نُقل اتحاد النساء العربي من مصر إلى ليبيا وقت زيارة السادات لإسرائيل. مثلاً في سوريا حضرت مؤتمر أو مؤتمرين؛ أشي عن محو الأمية، وأشي عن وضع النساء في العالم العربي كله.

لَمّا خلصت توجيهي، ما فيه قدرة لأهلي أكمل جامعة، التحقت بمعهد، ودرست بمدرسة أهلية، مثلاً عملنا مسرحية عن فلسطين هي كانت نشيدة في كتاب صف سادس مثلناها على مسرح المدرسة، ولأقت استحسن من الأهالي والوزارة. الانتماء الوطني دفعنا لنقدم لطلابنا هذه المسرحية، رغم التعب، حتى نشجعهم ونستقطبهم.

لكن بهداك الفترة كان فيه تضيق كبير على الحزب وأنشطته، وكله نشاط سري جدًّا. نعمل اجتماعنا ما تكون بنفس البيت حتى ما يكون مراقب. كُنّا ننصر اجتماعات دورية كقطاع نسائي لحاله، وليس مختلط. نستعمل أسماء مُستعارة للحفاظ على أمن الرفيقات. كان يبجي رفاق كبار يعملوا تثقيف شو الحزب الشيوعي شو مهامه، انتمائنا لوطننا، وبنادف عن استقلال البلد، مثلاً الحزب الشيوعي ساهم مع بقية الأحزاب بالاردن في إسقاط "معاهدة بغداد".

كُنّا نحتفل بمناسبات تخص النساء، لكنها أنشطة سرية، ثم انتسبت لجمعية النساء العربيات مع نضال رفيقاتنا. وخلال أحداث أيلول، عملنا إسعاف أولية للجرحى. اشتغلت رفيقاتنا الـ 13 يوم الحرب الأهلية، وصار فيه مركز بجبل عمان، زرته مرة أو مرتين. وكان فيه رفيقات سافرت لتوضيح ما يجري داخل الاردن.

ولَمّا اعتمدت الأمم المتحدة الثامن من آذار يوم المرأة العالمي، كُنّا نروح نحتفل بهذه المناسبة في المقيمت، وتحضر وفود أجنبية من دول اشتراكية. لكن لم أحضر إلا مناسبة واحدة في إربد، وهدفها رفع مستوى المرأة ثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا.

مثلاً، وأنا مدرسة كُقلت في معهد مجتمع، زي ما هلا اسمها "كلية مجتمع"، واستمررت بالتدريس. ثم استقلت من التدريس بالمدارس الخاصة، واشتغلت بمدارس حكومية بتقاعد مدني.

لكن بسبب انتمائي للحزب الشيوعي، كان فيه مطاردات، مثلاً حقق معي، وخُبز جواز سفري لَمّا كُنت طالعة لسوريا لحضور مؤتمر للسلم العالمي في 1979، اخدوا جواز السفر

على الحدود، ورجعوني طبعاً عانيت لأن ما فيه سيارات، فيه ناس تعاطفوا معي ورجعوني، العودة استغرقت حوالي ساعتين أو ساعتين ونصف. رغم ذلك استمرت بالنضال في الحزب الشيوعي، وفي الأنشطة مع النساء، حتى حصل الانفتاح السياسي بدايات التسعينات بالأردن بالـ 1989-1990. وقتها استعدنا جوازات السفر، وقدرنا تسافر.

حالياً فيه حركة نسائية، لكنها مش يهداك الزخم اللي كان بالسبعينات والثمانينات. أمل إن الأجيال الجديدة تنخرط بهاي الحركات النسائية، ويضل فيه دور للمرأة في الدفاع عن حقوقها داخل الأردن.

المرأة قادرة تترشح لمجلس النواب، وفيه 20% تمثيل لها عبر الكوتا النسائية، وتترشح للبلديات، ولكنه غير كافٍ. للأسف السياسيات ما بنتج نتيجة إيجاب المجتمع للمرأة، والهجوم على الأحزاب في الإعلام والصحافة بخلي الناس تبعد عن الأحزاب. أتمنى الحركات النسائية إن شاء الله بتكون أفضل.

مجتمعنا بحاجة لنساء قيادات زي نساء الخمسينات والستينات والسبعينات من أجل النهوض بدور المرأة، والنهوض بشعبها كله. المرأة المتطورة المثقفة بنتج جيل مثقف مطوّر مُنتمي لبلده، وصحي من أجل رفعة بلده. الجيل الجديد يجب ما ينسى إن الجماهير بحاجة له. مثلاً مناهجنا للأسف عمّ تتراجع؛ إذن الدور التثقيفي مش لنا إحناء، بل للجيل الجديد، الشباب. ومع الأسف مشاركة الشباب السياسية ضعيفة، وهذا له أسبابه مثلاً الفصل من العمل، فيه اعتقالات، بدنا نفسح المجال للديمقراطية، أي فرد يعتبر بحرية، ما عندنا حرية كاملة، الديمقراطية عندنا منقوصة. العمل السياسي شوي متراجع بنتأمل إنه يصير في دفعة أقوى للامام، لكن دائماً الشعوب هي اللي بتصنع المستحيل، الرهان عليها دائماً. نأمل تظهر قيادات تصلح لنسائنا ومجتمعنا.

سهير سلطي التل: ربط تحرر المرأة بتحرر المجتمع بهالشكل الميكانيكي أكبر خطأ

سهير سلطي التل، مواليد إربد عام 1952، نسوية وأديبة.

تعتبر سهير أنّ الحركة النسوية الأردنية، كما عايشتها، مرتتبتين: "عدمية نسوية" و "عدمية سياسة"، وذلك نتاج الانشغال بالقضايا السياسية على حساب قضايا المرأة في المرحلة الأولى، والعكس صحيح في الأخيرة، وهو ما تسرده بالتفصيل في شهادتها المُعتمدة على مقابلة جرت في 2020/04/14.

لجنة

من إربد، منتمية لأسرة فسيصة، والذي كان عضواً ناشطاً في الحزب الشيوعي الأردني، وأمي أيضاً فسيصة ومنقفة وناشطة، فهذا أثر على استقرارنا العائلي؛ فاضطررنا لنجأ لسوريا في وقت كبير بعد انقلاب القصر في 1958.

أول ذكرى تحضرني عن طفولتي هناك هي كلمة "لجنة"، لما زحت المدرسة في سوريا، المس سألتي: "من وين؟" جاوبتها إني أردنية، دوغري طالبة جنبي قالت عليّ "لجنة". الكلمة ضربت على أعصابي، ولما زحت البيت سألت ماما إيش يعني لجنة، فهي وضحت لي شو وضعنا بسوريا، والتي زاد من تعميق الفكرة إن أصدقاء طفولتي كانوا من اللاجئين السياسيين ومنهم فلسطينيين، واهتمت بالقضية الفلسطينية. وانتهت لشو معنى إن الإنسان يكون بوطنه مضيق عليه، أو أنه فيبعد عن وطنه لأسباب لها علاقة بأفكاره ومعتقداته.

ومن ذكريات الطفولة أيضاً كلمة "بنت"، لما كنت ألعب مع الأولاد كانوا يضدموني بإني بنت، فكنت دائماً أسأل شو يعني بنت، ليه مختلفة يعني، فكلمتي "لجنة" و "بنت"

1 انقلاب عسكري في العراق قاده عبد الكريم قاسم على الملك فيصل، وهو ما اثر على الأردن بشده، بخاصه أنه كان شريكاً للعراق في ما عرف بـ "الاتحاد العربي" وهو اتحاد غير اندماجي بين المملكتين أعلن في شباط/ فبراير 1958. وفي أعقاب الانقلاب الذي نظمه الشيوعيون العراقيون لاجتثاث السلطات الأردنية الشيوعيين أمناً.

هما العمود بشخصيتي، ولهذا بنيت مواقف السياسية والاجتماعية كناشطة في مسألة المرأة.

لما صدر العفو العام، رجعنا من سوريا في 1966، وقتها حققوا مع اللاجئين السياسيين العائدين، واعتقلوهم يعني 15 يوم مثلاً، بعدها يطلقوا. لكن الوحيد اللي ضل بالسجن 8 أو 9 أشهر كان أبوي. لذا، اضطريت للعيش في بيت جدي مع أولاد عمي وأسرة عمي وجدي. (ضل أبوي مسجون لأن وصفي التل، رئيس الحكومة وقتها، ما بدّه يظهر للعالم أنه متعاطف مع أبوي/عمه. حتى بيّن أنه مختلف مع عمه الشيوعي، وأنه تركه يأخذ جزاءه، ومن هون نشأ خلاف كبير بيننا ووصفي اللي أغتيل في القاهرة 1971.

ومع المد القومي اللي كان سائد، وسياسات جمال عيد الناصر، كنّا ننظر للحرب على أساس أنها المخلص. لكن جاءت صدمة حرب حزيران/يونيو 1967. ضعننا بالهزيمة، كانت ضربة قاسمة، وكنت وقتها بالشهادة الإعدادية، غمري حوالي 15 سنة. في المرحلة الثانوية معلماتنا زي خزامي الرشيد وعيدة المطلق زرعوا فينا وعي سياسي متقدم، وكان فيه هيئة للالتزام بالعمل السياسي من خلال منظمات الفدائية، لأنها كانت الطاغية على الساحة، بلّشنا بالعمل الفدائي، تلقينا تدريبات بدائية على حمل السلاح، والتحق بحركة القوميين العرب. لما كنت مُستعدة للثانوية العامة، صار أكثر من اشتباك بين الجيش الأردني وقوات الفدائيين، وكنت قلقة جداً، وكان متوقع مني أكون من الأوائل، بس حالة الاضطراب النفسي كوني مع الفدائيين والوضع صعب بينهم والجيش، بناء عليه ما جيت مجموع في الثانوية العامة، وقتها بابا كان لازم يطلعنني من الأ و غير يساري.

وبدأت مرحلة الصحافة، ثم البحث العلمي في مسألة النساء. خلال دراستي في "بيروت العربية"، كنت أكتب شغللات بمجلة الجامعة، وهذه الكتابات لفتت نظر صحفي اللي نصنعي التحق بدورة الخبرات الصحفية بمجلة اسمها "الدستور"، ولقيت حالي بالصحافة، واكتشفت إني ممكن أعمل أشياء كثيرة، وفعلنا اشتغلت بالمجلة حتى صارت الحرب الأهلية بلبنان، أصبحت ظروف حياتنا صعبة، كنت متزوجة، وزوجي صحفي فلسطيني، وطلعنا من لبنان على الأردن.

واستمريت مراسلة لعدة صحف عربية، وبعدين طلعت على إيطاليا ثم الكويت واشتغلت بصحف هناك، ورجعت على الأردن في 1985.

2 بولي وصفي التل منصب رئيس الحكومة ثلاث مرات منفصلة، أولها 1962-1963، ثم من 1965 لـ 1967، والأخيرة أب/انسطس 1970 حتى اغتياله في القاهرة 28 تشرين الثاني/نوفمبر 1971.

تقريباً من 1958 لـ 1985 كنت بالمنفى، سواء اختياري أو إجباري. وخلال هذه المدة عشت فترات متقطعة بالأردن بين 1977 و 1978. وبهذه الفترات دخلت العمل النسائي، وانتُخبت عضوة في الهيئة الإدارية للاتحاد النسائي³ لشخصية مستقلة كحالة وسط مع عضوتين غيري، بينما بقية العضوات ممثلات للتنظيمات السياسية المحظورة وقتها، يعني اللي بتشتغل بالسرا، مثل الحزب الشيوعي الأردني، والجهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، والجهة الشعبية لتحرير فلسطين، وحزب البعث العربي الاشتراكي سوريا، وفتح.

ثم واجهنا مشكلة في 1981، حين خَلّ الاتحاد، وناضلنا حتى نرجعه، وبالفعل كسبنا قضية ضد قرار الحكومة بخله، لكن واجهنا مشكلة من نوع آخر؛ خلافات بين القوى السياسية، وبالتالي ما رغبت بعودته، وفكرت تنضم للهيئات البديلة مثل الاتحاد اللي أنشأته الوزارة إنعام المفتي. لكني كنت مع إعادة الاتحاد، واعتبرت العمل مع الاتحاد الرسمي البديل انتهازية سياسية.

ومع فك الارتباط⁴، واجهنا مشكلة من نوع آخر لأن أغلب التنظيمات تحمل صفة "الفلسطيني" وكان صعب أنها تشتغل في ظل سياسات فك الارتباط، بالتالي وصلت هذه المنظمات لصيغة مثل تشكيل "منظمة الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بالأردن"، وصار اسمها "حزب حشد"، وعلما إشي اسمه "اللجنة النسائية الشعبية"، كانت تنظيم شبه سري ممثل من مجموعة تعبر عن تركيبة الهيئة الإدارية للاتحاد، مجموعة التنظيمات مع مجموعة مستقلة منهن هدى فاخوري، وأسمى خضر، كانت مطروحة كمستقلة.

عدمية نسوية تلتها عدمية سياسية

أما على الصعيد المهني، لما رجعت استقر بالأردن طلبوا مني أعد صفحة صحفية للمرأة فرفضت، وعملت كمراسلة سياسية.

مثلاً كنت ضد معاهدة كامب ديفيد، وكنت أول صحفية أردنية تغطي مؤتمر قمة بغداد، وجرت شغلة طريفة إنهم فكروني شاب، توقعوا إن اللي يغطي قمة جامعة

الدول العربية أكيد رجل، فكانوا حاجزين لي غرفة مع زميل صحفي، فلما لقوا أمامهم بالفندق بنت ارتبكوا وفضلت منتظرة حتى دبروا غرفة لي، فصارت نكتة إنني الزميل الصحفي سهير التل.

هكذا استمرت بالتحدي إن ما فيه مهنة مُقتصرة على الرجال، واللي يعمل الرجل تقدر تعمله الست. لكن المشكلة إنني ضليت مراسلة، يعني صحفيين كثير دربتهم صاروا رؤساء أقسام بل رؤساء تحرير، ولما تدري واحد ويصير رئيس تحرير بتكون معاملته معك صعبة، فعانة يعني.

ولانت فيه أحكام عرفية، كُنا مهددين باستمرار بالمنع من الكتابة أو المنع من السفر. فيه فترة كان جواز سفري محجوز، وكل ما بدّي أسافر أقدم طلب للمخابرات، لكن ضليت معارضة سياسية سواء بنقابة الصحفيين أو رابطة الكتاب كوني كاتبة قصة وصدرت لي مجموعتين بين أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات.

مثلاً في قصة نشرتها اسمها "المشنقة" حوكت بسببها ستين، لأن القصة اعتبرت "أدب إباحي"، بسبب ذكرى كلمة عضو تناسلي.

بالمرحلة الأولى من المحاكمة طلعت براءة، وفي الاستئناف، أصروا يستأنفوا، حكم بالإدانة بالحد الأدنى من الحكم اللي هو سجن شهر مع وقف التنفيذ.

مثلاً بلشت سلسلة تحقيقات عن جرائم الجنس بالمجتمع الأردني، اشتغلت فيها لمدة ثلاثة أشهر، هلكت شغل ومزجت بين منهج التحقيق الاستقصائي والبحث الأنثروبولوجي، ولما خلصت رفض النشر دون إبداء سبب. طبعا كان عندي تراكبات منها الاضطهاد الذكوري خاصة من الزملاء اللي دربتهم وصاروا رؤساء تحرير، وبناء عليه قررت ترك العمل الصحفي. طورت شغلي على جرائم الجنس بالمجتمع الأردني، التحقيقات المرفوضة، وصار كتاب عنوانه "مدينة الورد والحجر"⁵، لكن نشره كان صعب، وفتها كان لازم موافقة "المطبوعات" على الناشر، لكن الرد تأخر، لا قيل لي أه أو لا. أرسلت مذكرة عن طريق كاتب العدل إن "المطبوعات" بدها تعطيني رد أو هددت برفع قضية، فصدرت الموافقة، ونُشر الكتاب.

بعدها قررت إنني اشتغل أي شغلة، وبالفعل اشتغلت موظفة في وزارة الثقافة. لكن شغفي الحقيقي كان البحث العلمي، خاصة إنني لاحظت خلال عملنا على قضايا المرأة إن مرجعيتنا غير واضحة، أنا مثلاً مرجعيتي النظرية الماركسية والنظرية الاشتراكية، لكن لم أكن مُطلعة بتعمق على النظريات النسوية، وبناءً عليه سجلت للدكتوراه وموضوعي

3 يعود تاريخ تأسيسه إلى أربعينيات القرن الماضي، وجرى حله مع فرض الأحكام العرفية وحل الجمعيات في الأردن 1957، ثم أعيد تأسيسه تحت اسم "الاتحاد النسائي في الأردن" في 1974، ليضم ممثلات عن كل التنظيمات العاملة في البلاد المعينات بعمل المرأة العام، وشكلت هيئة الاتحاد الإداري من ممثلات عن أحزاب وتنظيمات منها الحزب الشيوعي، والجهتان الديمقراطي والشعبية لتحرير فلسطين. ويعرف الآن باسم "جمعية اتحاد المرأة الأردنية".

4 قرر الملك الحسين في 1988 فك الارتباط الإداري والقانوني للضفة الغربية في المملكة الأردنية الهاشمية.

5 1978

6 حصلت سهير على جائزة الدولة التشجيعية عن هذا الكتاب في 2002

كان نقد المنهج بالفكر النسوي العربي في الأردن وسوريا وفلسطين ولبنان على أساس تغطية هاي المنطقة اللي هي سوريا الطبيعية، ولمّا أحلت على التقاعد بعد أربع سنين كنت عملت رسالة الدكتوراه، ودرست الفكر النسوي بالدول الأربع، وطلعت بنتيجة إن ما فيه فكر نسوي منهجي وفلسفيّ فيها، لا على المستوى التنظيمي بالحركات النسائية أو الفكر النظري، بالتالي مطلوب من الناشطات النسويات تبليش شغل على ثقافة الفكر النسوي والتوعية بالفكر النسوي وأهمية توطين المفاهيم بالبيئة العربية لتصير صالحة لتحليل المجتمع العربي ومجتمع النساء من أجل نظرية نسوية مناسبة.

مثلاً اعتبر الحركة النسائية الأردنية مقسمة من 1975 حتى اليوم لقسمين: عمل لا منهجي وعمل سياسي. العمل السياسي، من منتصف السبعينات، واعتبره "عدمية نسوية"، يعني شغلنا في الاتحاد النسائي كان كله عرائض ومذكرات بتغير عن هاجسنا الرئيس؛ القضية الفلسطينية، وهذا حكمي مشروع وضروري، لكن لا يجب أن يكون على حساب قضايا المرأة. ومع التمويل الأجنبي، صار عندنا النقيض "عدمية سياسية"، مقابل إغراق نسوي سطحي، بمعنى اشتغلوا هون، فيه مشكلة هون، دون فلسفة تفسر واقعنا ومشاكلنا.

مثلاً لست ضد التمويل، بل ضد "أخلاقيات التمويل"، بمعنى أن أي منظمة تمول لها فكر، المنظمات المانحة عندها أيديولوجيتها، والمفروض كل منظمة أردنية تدور على المنظمة المانحة اللي بتلتقي معها بالأفكار والهواجس والبرامج، وذلك لأنّ أخلاقيات التمويل لا تمس المنظمات المانحة، لكن المشكلة لّما منظمة متلقية للتمويل تحرف مرجعيتها أو أفكارها لتلتقي مع المانحة.

وخلال الفترة من 1975 حتى الآن أيضاً، قوبلت المطالب النسائية بالرفض، بحجة أولوية تحقيق التحرر الوطني أو الديمقراطية أو تحرر المجتمع. مين قال إن تحرر المرأة يتم مع تحرر المجتمع، فيه مجتمعات تحررت ولم تتحرر النساء، لسه المساواة الحقيقية بين الرجل والمرأة لم تتحقق في أي مجتمع عربي سواء الملكيات أو الجمهوريات القوميات أو اللي مش قوميات.

في الأردن مثلاً، رغم إلغاء الأحكام العرفية وأنا بلسنا ما يشبه الديمقراطية، لكن خلال أربع دورات انتخابية برلمانية المرأة ما قدرت تنجح، ولمّا نجحت امرأة كانت توجان الفيصل، بفضل كوتا الشركس، لذا ربط تحرر المرأة بتحرر المجتمع بها الشكل الميكانيكي أكبر خطأ.

سهيلة بهلوان: من الوجودية إلى الماركسية والعمل النسوي

انخرطت في العمل النسائي، ووقتها كانت البلد مفتوحة أمام العمل الفدائي، وكانت الشغلة التي تهم الناس هي مناصرة القضية الفلسطينية، فكانت النساء يجتمعن لمناقشة كيفية مساعدة إخواننا الفلسطينيين في عملهن النضالي... هكذا جمع العمل الفلسطيني كل السيدات المنخرطات في الهيئات النسائية، وطينا نشغل بالحراك النسائي مع مجموعة كبيرة من الهيئات النسائية المختلفة، كنّا ننظم مظاهرات، وننعم ببرامج تساعد الفدائيين.

أيلول الأسود

وفي الحزب، كان عندنا رؤية إن البلد على شفا تقبيل، لذا كنت مهينة نفسياً لما وقعت أحداث أيلول 1970. رغم ذلك الانفجار كان مفاجأة، صدينا في البيت على صوت رشاشات وقنابل ومدفعية، وكنت ساكنة في حي فقير بعمان "جبل الجوفة"، وصارت الناس مرتبكة مش عارضة شو بدها تساوي. مثلاً كل أهلي نزلوا على الملجأ ماعداي أنا وأختي، قلنا بدنا نساعد الناس، هدول الناس شو ذنبهم يعني. فكرنا أن أهم شغلة إن الأطفال والنساء ما يجوعوا، وقررنا إن لازم الفرن يضل فاتح حتى تأكل الناس خبز، وزجت لبيت صاحب الفرن، لفيته قاعد وحاطط بنديقة الكلشن قدامه، قتلته إنت من الميليشيا، قال: "اه"، قلت له طيب شو قاعد بتسوي بالبيت إنت عندك فرن لازم تروح تفتحه، وراح فتح الفرن، ولما نساء الحي عرفن إن الفرن انفتح، صارت كل واحدة تعجن بالبيت الطحين وتؤديه للفرن... وهكذا.

بعد أيلول، فكرنا إن أحسن طريقة لاستمرار عمل النساء هو ترخيص مظلة، وبالفعل حصلنا على ترخيص، وأسسنا "جمعية النساء العربيات"¹. وكنت عضوة هيئة إدارية في الجمعية.. وهكذا بدأنا نشاطنا في 1970 بتقديم دورات تطوير وخياطة تقليدية، غير أنشطة محو الأمية، فضلاً عن رفع وعي النساء الثقافي والاقتصادي والتنوع بالحقوق، والكلام ضد تعنيف النساء، ورفض زواج الصغيرات، وذلك عبر تنظيم ندوات ومحاضرات، كلها مرتبطة بالاقتصاد والحقوق والقضايا الاجتماعية، لأنه كان ممنوع إن الجمعية تحكي بالسياسة.

وعلى الصعيد السياسي، كنت مستمرة في العمل الحزبي، الذي كان سري وقتها. وكان التعامل مع النساء في "الشيوعي" على قدم المساواة مع الرجال دون أي تمييز أو تمييز، كنّا ننعم في أجواء الحزب بالراحة والطمانينة والقبول والدعم، ونشارك في اتخاذ قرارات مفصلية، بل كنت باللجنة المركزية من السبعين.

1 لمعرفة الحزب عن تلك الجمعية يمكن العودة لشهادة ليلي نفاع، الحويدة ضمن الكتاب نفسه

سهيلة بهلوان، مواليد عمان 1943، مُعلمة انتظمت سياسياً في "الحزب الشيوعي الأردني" حين كان نشاطه سرياً، وفي المجال العام، بعيداً عن السياسة، كانت قيادية في "جمعية النساء العربيات" المعنية بتوعية النساء وتأهيلهن اقتصادياً واجتماعياً وحقوقياً. اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 2020.

شغف بالقراءة

ولدت في عمان، ودرست في مدارسها، لما خلصت، والذي أصرّ على دراستي خارج الأردن، لكن عارضته أمي وجدتي. "ما معقولة وهادي بنت صبية وطيوة وبدها تتجوز" قالتا له، فرد: "لا بدها تدرس"، هو كان عنده شعار "علم المرأة وربها واربها في البحر بتوقف، بتطلع واقفة". مثلاً عمل حركة غريبة على الآباء؛ قال لأمي وجدتي: "ما بذكّم تمشوا كلمتي إن بذي بنتي تتعلم، وانتوا ما بذكّم" وترك البيت واختفى، زوج أختي الكبيرة راح يدور عليه، سأل عنه بالمستشفيات، والمخافر، والمطارات. عرف إنه مسافر على القاهرة، فراح وراءه، ودور عليه بالفنادق حتى لقاه، المهم قال له: "برجع بس على شرط سهيلة بتروح الجامعة"، وفعل في 1959 أرسلني والذي إلى دمشق، وقبلت في قسم اللغة العربية، وتخرجت عام 1965.

خلال الدراسة، اشتغلت معلمة، وصار عندي شغف بالقراءة، لدرجة إنني يومياً أقرأ من 8 لعشر ساعات، كنت أستفيد من وقتي في الشغل بقراءة الفلسفات القديمة، اليونانية والرومانية، وانتقلت من أرسطو وأفلاطون لديكارت، ووقفت عند الوجودية لفترة، قرأت حوالي سنتين في ما كتب عن الوجودية. وقادتني القراءة الوجودية إلى الماركسية. مثلاً كنت مؤمنة بجملة وجودية لسارتر، تقول إن "الإنسان حر، ومسؤول عن حريته" لهذا اخترت الانضمام للحزب الشيوعي، وقدمت طلباً في 1968، ثم

وفي 1971، تزوجت رفيق بالحزب، وخلفت ولد وبنت. واستمر دوري في العمل التنظيمي السري عن طريق رفع وعي النساء السياسي، وضمهن للحزب، أو التحضير لبرنامج ثقافي ماركسي.

وفي 1972، كنت راجعة من بيروت، حيث كنت أدرس في الجامعة اللبنانية وحضرت رسالة ماجستير، لكن سحب مني الباسيور، وقيل لي: "راجعى المخابرات". وبالفعل رحلت المخابرات، فقالوا لي: "فش لك سفر إنت شيوعية" أنكرت، لأننا كنا بتنكر انتماءنا لذي تنظيم. لكنني مُنعت من السفر، ولم أكمل دراستي. وفضل جواز سفرى مجبوز حتى 1989.

مثلاً لما انهار الاتحاد السوفيتي، في إشني كبير انهيار داخي، صدمة، كان بدّي فترة لللمة نفسي، واستعادة وقفتي. على صعيد الأردن إي إنسان يواكب العملية النضالية يعلم أنّ الاتحاد السوفيتي كان يساعد الشعوب، وساند نضالاتها، ودعمها في انتزاع حريتها واستقلالها، واعتبر أنّ المرأة في الاتحاد السوفيتي كان لها امتيازات هائلة، وبنا ريتنا حققنا لنساء الأردن ما تحقق من إنجازات للمرأة السوفيتية.

لما بدأت خطوات الانفتاح السياسي في 1989، أتحت الفرصة لكل أعضاء الحزب بالعمل في العلن، كنا متعودين على العمل السري، والاختباء، بس تأفلمنا مع الأجواء الجديدة، بعد سنوات من العمل السري. لكن لا أعتبر أنّ الميثاق الوطني² الأردني كان له دور أو تأثير كبير عليّ، بل لم يترك أثراً في تاريخ الأردن، يعني مجرد حبر على ورق.

2 في 1991 صدر الميثاق الوطني، والذي اعتمدته لجنة ملكيه ضمت العديد من أطراف المجتمع الأردني، وركز هذا الميثاق على السعي نحو تحقيق الديمقراطية، والقضاء الاحكام العرفيه، والمساواه بين المرأة والرجل امام القانون.

عبلة أبو علبة: التوافق النسوي ضروري لتحسين أوضاع المرأة الأردنية

تُنسى؛ رجال حاملين أمهاتهم العاجزات عن المشي، أطفال صفار يركضوا، نساء ورجال يحملوا أي شيء بأيديهم... وهكذا غادرنا البلد لقري حولينا، وبيتنا تحت الشجر، وبعد ذلك انتقلنا إلى مدينة نابلس، وهناك ضلينا مجتمعين في المدارس ننتظر إمكانية العودة إلى قلقيلية، لكن طال انتظارنا، وسرّبت لنا أخبار حول مذابح وتهديدات، وكانت هذه التسيّرات الإسرائيلية. قررت والدتي إننا نروح على عمان عند بيت خالها. وقتها كانت الضفتين الشرقية والغربية ضمن المملكة الأردنية، يعني مكناش خارجين على بلد ثاني. دخلت معهد معلمات عجلون، وكانت الدراسة فيه داخلية. وقتها شعرت إن والدة بذا تلاقي مأوى آمن لي.

البكاء وحده ما يرجع أوطان

خلال الدراسة نورت طريقي السياسي معلماتي مثل خزامي رشيد ورحاب علاونة، فهمت منهن إن البكاء وحده ما يرجع أوطان، بل اللي يرجعها النضال.. هكذا انتميت إلى الفصيل السياسي اليساري الذي تنتمي له معلماتي؛ الجهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. ثم اشتغلت بتوجيه من الحزب السياسي باتحاد المرأة الفلسطينية، لما كان موجود بالأردن. اخذني الاتحاد على دروب المخيمات والأوساط الشعبية، وشهدت فترة تحول الثورة الفلسطينية إلى ثورة شعبية تعتمد على فئات شعبية واسعة جدًا، بما في ذلك الفئات الفقيرة المهمشة والفئات الوسطى، وذلك على هدى برنامج منظمة التحرير.

تنظيميًا، لم أقترّب من الجانب العسكري على الإطلاق، بل انخرطت في العمل المنظم السياسي والاجتماعي طوال الوقت، وهذا أكسبني خبرة كبيرة، وفي عام السبعين اندهشنا جميعًا من حالة الانفجار اللي وقعت بين الطرفين، كان مؤلمًا للغاية لأنه كان ينذر بانتهاء عصر المقاومة في الأردن، وبالفعل خرجت كوادرجالية للمقاومة الفلسطينية من الأردن، لكن معظم الكوادرجات النسائية بقت، والوضع القانوني لهذه الكوادرجات النسائية أننا نحمل الجنسية الأردنية، هون طرحت مسألتان: المسألة الأولى: كيف سنصاغ العلاقة الأردنية الفلسطينية في ضوء هذا التغيّر الكبير؟ أما المسألة الثانية فهي ما سنفعله تحت ضغط الأحكام العرفية، ونحن تحت ضغط حالة التوتر الهائلة الكبرى بين الحركة الوطنية الفلسطينية وكل مقوماتها وبين النظام السياسي؟

اضطرينا، وكانت والدة معي، ننقل من بيت لآخر ثلاث مرات في سنة واحدة، لشعورنا بعدم الاستقرار، كان الأمر صعب للغاية، سمعنا تهديدات، واضطريت للمغادرة للبنان في 1972، وراحت والدة لأختي المقيمة في الكويت، ولما صار عفو عام رجعت للأردن، اخذوني على الحدود

عبلة أبو علبة، سياسية أردنية من أصل فلسطيني، مواليد بلدة قلقيلية الفلسطينية المحتلة عام 1950.

في أعقاب احتلال 1967، انتقلت عبلة مع والدتها وأختيها إلى عمان، وانتظمت في الجبهة الديمقراطية، الجناح اليساري المنشق عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والذي أصبح في ما بعد "حشد" حزب الشعب الديمقراطي الأردني، والذي شغلت منصب الأمين العام له في 2010.

تري عبلة أنّ الحركة النسوية الأردنية يجب أن تصل إلى توافق حتى يكون لها تأثير قوي على صنع القرار، ولتغيير أوضاع المرأة الأردنية.

اعتمدت شهادتها على مقابلة جرت في الفترة من 28 أيار/مايو إلى 4 حزيران/يونيو 2020.

غادرنا البلد

عبلة محمود أبو علبة، من بلدة صغيرة في الضفة الغربية اسمها قلقيلية، مواليد 1950، والذي توفي وعمري ستين ونصف، وبغمر 16 سنة وأشهر فقدت الوطن بسبب الاحتلال. عام 1967 الاحتلال دخل بشراسة على البلدات الحدودية ومنها قلقيلية، أخذ نصها الثاني، بعد النص اللي احتله عام 1948.

كنت عم بقدّم توجيهي، دخلت معلمتنا، كان باين عليهن الارتباك، وطلبين منّا نروح على بيوتنا بسرعة. ومن شدة الخوف لا أذكر كيف وصلت بيتنا، وهو قريب من الحدود. لكنني وجدت والدة تنتظرنا لأن كان فيه تهديد، سمعناه بالسماعات، إن على جميع أهل البلدة المغادرة فورًا لأن إسرائيل كانت بتخطط لاحتلال قلقيلية بالكامل، ولتحقيق ذلك طردت أهلها، بقينا خارج البلدة، كانت مشاهد رهيبه لا

الشرط الموضوعي لودعتها أو التنسيق المشترك في ما بينها، مثلاً تحاول اللجنة الوطنية لشؤون المرأة القيام بهذا الدور، لكنه ما زال دوراً ضعيفاً، طموحي إن تلتقي كل الأطر النسوية على ما هو مشترك بينها لصالح القضايا الوطنية والاجتماعية الأردنية للمرأة، لكن هذا لم يتحقق حتى الآن. يبدو أننا بحاجة لوقت أطول حتى يكون هناك هذا التوافق، ونتيجة لهذا تأثير الحركة النسائية الأردنية على صاحب القرار ضعيف.

من الضروري قراءة موازين القوى الداخلية بطريقة دقيقة دون إسقاط رغباتنا على هذه القراءة لا سلباً أو إيجاباً، ثم نحدد كيف نتعامل مع هذه الموازين في النطاق الوطني والنطاق العربي.

بيتوني ليلة عندهم، ولكن بعدين طلعتوني بعدين صارت فيه تحقيقات، وطلعت، وجيت على بيت أختي اللي بقيت بالأردن. وبعد فترة رجعت والدة عمان، واخذنا بيت متواضع قعدنا فيه، لكن منعت من شغلتيين؛ العمل والسفر. وكان الوضع المعيشي صعب، اشتغلت بالتعليم الخاص معلمة لغة عربية، لأنني ممنوعة من العمل الحكومي، وفصلت من عملي، عقوبة على انتمائي السياسي والاستمرار في هذه القناعات وممارسة هذه القناعات في الحياة العامة.

على الصعيد التنظيمي شكلنا منظمة اسمها "منظمة الجبهة الديمقراطية في الأردن"، تحملت المسؤولية القيادية الأولى فيها من 1974 لغاية 1989، لأن أغلب الرفاق كانوا مُعزّضين للاعتقال. توليت كل المهام؛ اجتماعات، تشكيل هيئات، تنظيم ناس جدد، تنسيق مع نقابات عمالية.

مثلاً كثيراً ما اقتحموا بيتنا للتمتيش عن منشورات، ورد فعل والدة كان دائماً هادئاً، لم تحملني المسؤولية في أي مرة، بل كانت تعتبره جزءاً من حياتنا، بل كثيراً ما تنقلنا لأسباب أمنية.

تأسيس اتحاد نسائي

لم تكن هناك أي صيغة منظمة لعمل الحركة النسائية، وبسبب جهود المحامية اميلي بشارت، قدمنا طلب تأسيس اتحاد نسائي، رغم الضغط على القوى الأردنية والفلسطينية وفي عز الأحكام العرفية، أعطانا سليمان عرار، وزير الداخلية وقتها، كتاباً يقول فيه إن هذا الاتحاد هو ممثل شرعي للمرأة الأردنية، وأسس في 1974 حيث شكلت فروع له في أنحاء المملكة كافة.

الوضع لم يصل إلى درجة التنكيل ولأ مرة سجنوا الستات لعملهن بالسياسة، لَمَّا تشكل هذا الاتحاد، كان فيه تصنيفات، استدعاءات. ومرة في 1982 دعينا في الحركة النسائية الأردنية لمظاهرة لدعم المقاومة الفلسطينية في لبنان، ولبلتها اعتقلت وأخذت معي رواية، ونمنا أنا وعدد من قيادات الحركة النسائية مثل عصام عبد الهادي، في الأمن الوقائي، فريت الرواية، ولما تجاوزنا موعد المظاهرة طلعتونا.

ومع إلغاء الأحكام العرفية، وصدر قانون الأحزاب، كُتِفنا برنامج "الجبهة الديمقراطية في الأردن" مع القانون بالـ1991، وصرنا حزب "الشعب الديمقراطي الأردني" بساري التوجه "حشد"، ويقول برنامجنا إن الأردنيين من أصل فلسطيني عليهم واجب النضال الديمقراطي مثلهم مثل أي مواطن آخر، مع الدفاع عن حقهم في العودة إلى ديارهم، يعني نضال مركب من قاعدتين أساسيتين.

على الصعيد النسوي، أعتبر أن الحركة النسائية الأردنية فيها تعددية بالآراء والاتجاهات، لكن لم يكتمل بعد وجود

عيدة المطلق: خطاب نسوي يشبهنا، هل هذا ممكن؟

عيدة المطلق، تربوية وأكاديمية، مواليد إربد 1942. شاركت في صياغة الميثاق الوطني الأردني، عبر عضويتها في اللجنة الملكية. كما كانت عضوة مؤسسة في حزب "الشراكة والإنفاد". شاركت أيضًا في تشكيل الاتحاد النسائي الأردني العام.

تري عيدة أنّ آثار فترة التصحر الممتدة على مدار ثلاثة عقود، حين فرضت الأحكام العرفية، وتعطل العمل السياسي لا تزال حاضرة في الحياة العامة في الأردن، بل لا يزال المجتمع الأردني، كاملاً وليس المرأة وحدها، ثمنها حتى الآن.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 30 يونيو/ حزيران 2020.

كُتِرَتْ وكُتِرَتْ معي الحكايات عن النضال من أجل القضية الفلسطينية

عيدة مصطفى مطلق قنّاة، من مواليد مدينة إربد 1942، وسكانها، ولدت في عائلة متوسطة الحال، كان لي من الأعمام خمسة جميعهم بمن فيهم الوالد عملوا في السلك الحكومي، وبعضهم عمل في الأمن والجيش.

جدي الحاج مطلق، جاء من درعا السورية في العقد الثاني من القرن العشرين الماضي إلى إربد بصفته موظفًا عثمانيًا آنذاك، وكان شرق الأردن كله يتبع ولاية "شام شريف" كما كانوا يسمونها.

ثم انتقل إلى بلدة المزار الشمالي، لفترة لا أعلم مدتها، وبنى فيها بيتًا وامتلك المزارع. ولتسهيل شؤون المعيشة والاقتراب من مدارس الأولاد، عادت العائلة لتستقر في إربد وأنشأت لها بيتًا ما زال قائمًا حتى الآن في شارع علي خلق الشرايري منذ ذلك الحين. أمّا في مواسم الصيف فكانت العائلة تنتقل إلى المزار في مواسم الحصاد وجمع الغلال. وبعد وفاة جدي الحاج مطلق، استمرت جدتي في

القيام بهذه المهمة حتى وفاتها.

طفولتي الأولى كانت في بيت العائلة، وكان يقيم معنا في البيت ثلاثة من أعمامي، لم يكونوا قد تزوجوا حينها، منهم عمي إبراهيم، والمحامي الشاعر محمود المطلق قنّاة، وعبد الكريم المطلق، وكان باقي أعمامي يعيشون في عمان حيث كانوا في سلك الأمن العام.

في الخامسة من عمري، انتقل والدي وظيفيًا إلى مدينة جرش، 1947، وهناك تعرفت والدة إلى معلمتي الشراكسية التي كانت تدرّس الأطفال في البيت.

المعلمة الشراكسية كان لها فضل كبير عليّ شخصيًا، اكتسبت منها مهارات القراءة والكتابة والحساب وحفظت أجزاء من القرآن على يديها. وحين بلغت السادسة، اصطحبني والدة إلى المدرسة لتسجيلي، لكن قيل لها أنه لم يعد لي متسع في الصف الأول، ردت: "الصف الثاني يتسع لها"، وطلبت من إدارة المدرسة أن تقوم بامتحائي، وفعلًا دخلت الصف الثاني مباشرة في عمر السادسة، وبقيت في مدرسة بنات جرش حتى استكمال الصفوف المتاحة فيها آنذاك. ثم انتقلت العائلة لأجلي وأكملت دراستي في إربد.

مثلًا كُتِرَتْ وكُتِرَتْ معي الحكايات عن النضال من أجل القضية الفلسطينية، وكان أهمها حكاية المجاهد عبد الله التل، وآل التل أخوالي، وهو ابن عمتي أيضًا، وكان القائد العسكري لجبهة القدس وسُمّي بـ "قائد معركة القدس"، ويُعدّ من أحد أهم أركان سلسلة المجاهدين الكبار مثل عز الدين القسام وعبد القادر الحسيني وأحمد عبد العزيز وغيرهم. أنذكر كلمته للمقاتلين الذين يفودهم:

"مصير العالم العربي يتوقف على ثباتكم وشجاعتكم وضربكم... أنكم -ولا شك- ستحافظون على سمعة الجندي العربي الذي إذا هاجم لا يهاب الموت، وإذا دافع لا يتراجع حتى النهاية.. هيا لتبييض أعراض العرب بالدماء والله ينصركم". وهكذا أصبحت القضية جزءًا لا يتجزأ من بنيتي النفسية والإدراكية.

مثلًا وقت الاعتراضات والاحتجاجات على حلف بغداد، كنت في الصف السابع أو الثامن الابتدائي، واعتدت على

1 عبد الله التل (1918-1973) من مواليد إربد، التحق بالجيش الأردني في أوائل الأربعينيات، وأرسل في مناصبه حتى صار حاكمًا عسكريًا للقدس، وخلال حرب 1948 قاد كتيبة الكتيبة السادسة من الجيش الأردني، في معارك بطولته ضد القوات والعصابات الصهيونية.

2 حلف بغداد أو منظمة حلف الشرق الأوسط، أسس الحلف بقيادة المملكة المتحدة في 1955، وضم العراق وإيران وباكستان وبرنما، وكان هدفه إبعاد المد الشيوعي في الشرق الأوسط، وحاول العراق، الذي كان دولة ملكية ومها، إسماله المسؤولين الأردنيين للانضمام إلى الحلف، من دون استجابة من الأردن.

التحدث والخطابة أمام الجماهير. وفي يوم، كانت هنالك دعوة للتظاهر، وطلب مني إلقاء كلمة، وقبل مغادرتي للمدرسة ناداني والدي، ظننت أنه يريد إعطائي بضعة قروش كمصروف، وإذ به يرفع السبابة مهدداً لي بما لا أحد عساه إن خرجت في التظاهرة. وبقيت طول اليوم أقلب الأمور، ولكن حين انطلقت التظاهرة نسيت تماماً أمر والدي، وخرجت مع جموع الطالبات وكانت المدرسة في شارع التظاهرة نفسه. وحين توقفت عند نقطة التجمع تحدثت بما فتح الله به، وحين غادرت إلى البيت تذكرت تهديد الصباح وبدأت أحسب للحظة الحساب، ولكن مضى اليوم بسلام من دون أن يسألني أحد، لاكتشف في اليوم التالي أنّ والدي خرج في التظاهرة، وشاهدني على منصة الخطابة، وعمل جاهداً على ألا يدعني أراه حتى لا أرتبك، وأخير أمني بذلك، وأشاد بما سمعته مني، ولكنه أخفى مشاعره عني، ولم يشعرني بها حتى لا أعتاد التمرد على تعليماته.

وحصلت على بعثة تقديرًا لتفوقي للدراسة في بيروت، والتحقّت بكلية "بيروت للبنات" التي أصبحت في ما بعد الجامعة الأميركية اللبنانية. اعتبرت المنحة نصراً مبيّناً في ذلك الحين، ووالدي فرح جداً رغم أنه محافظ جداً. في حين أنّ لي أعماقاً في أحزاب يسارية والحركة الوطنية الأردنية اعترضوا بشدة على سفري للخارج، ووالدي قال لهم: "أنتم تنتمون لأحزاب يسارية وتتهمونني بالرجعية، وتعارضوا دراسة ابنتي في الجامعة وأنا الرجعي أفرح لذلك! لن أحرم ابنتي فرصة حصلت عليها بجهداها وتعبها وتفوقها".

ودرست، ثم عدت إلى إربد، وعملت في سلك التربية والتعليم من 1963، معلمة، ثم مديرة مدرسة.

وفي 1967، والنكية الفاجعة أجبرتني أقطع إجازة الأمومة، بنتي كانت مولودة قبل أقل من شهر، ورجعت مدرستي حتى أهيئها لاستقبال النازحين واللاجئين، وكنت أيضاً في الهيئة الإدارية لمبرة الملك الحسين، وفتحناها كمستشفى ميداني لمداواة الجرحى، وإقامتهم.

وكانت المسؤوليات مركبة، والمرحلة مرة بكل معنى الكلمة، مرارة الهزيمة، ومرارة اللجوء الثاني للكثيرين منهم، لأنهم كانوا من سكان المخيمات في الضفة الغربية، وهم الذين هجّروا من فلسطين في 1948، هجّروا مرة ثانية.

أيلول الأسود

بعدها انطلق العمل الفدائي، وكانت إربد تعجّ بالمنظمات الفدائية بكل تلاونها، وشكّلنا تنظيمًا نسائيًا لدعم الثورة الفلسطينية مع السيدة عصام عبد الهادي التي جاءت لإربد

وشكّلنا نواة التنظيم، وكنا ننسق نحن النساء في ما بيننا لخدمة المقاومة، بمعنى مراعاة أهالي الشهداء، والذين تقطعت بهم السبل من المقاومين برعاية أسرهم نفسياً ومالياً ومعنوياً، لكن لم أكن مُنخرطة في العمل المسلح، بل اكتفيت بالتوعية عن طريق محاضرات تتحدث عن أهمية الكفاح المسلح والتحرير والانضباط السلوكي.

للأسف صارت ممارسات منحرفة وصولاً إلى أحداث عام السبعين المؤلمة، ولكن تطل المقاومة خير ما أنتجته الفعل الفلسطيني، المقاومة في الأرض المحتلة وضد العدو، أمّا عندما أصبحت في المدن الأردنية واللبنانية اعتبرها الكثيرون من الأخطاء الجسيمة التي جعلت المجتمعات المحلية تتقلب عليها وترفض أن تكون حاضنة لها، عندما تستنفر المقاومة الحاضنة الشعبية بسلوكيات غير مرغوبة، سننفض عنها الحاضنة الشعبية بطبيعة الحال.

في إربد، شاهدت بعض الممارسات التي اعترضت عليها، مثلاً رأيت اعتقال جندي أردني ولم أقبل ذلك بالمطلق، ما كان يجري كان انحرافاً عن دور المقاومة. وهناك ما يغدّ تدخلاً في الشؤون المحلية مثل إقامة محاكم للزواج والطلاق، وكأننا يريدون بناء دولة داخل الدولة.. وهذا من الطبيعي ألا نقبله أي دولة أو سلطة.

وقتها، اقتصر نشاطي على رعاية أسر الشهداء، والتوعية، ومحاولة عقلنة بعض السلوكيات وترشيدها، وتدريبهم على الانضباط.

الحقبة السوداء

بعد أيلول، تعمقت حالة الأحكام العرفية، وبالتالي أصبح العمل يقتصر على نشاط اجتماعي مثل رعاية الأيتام في جمعيات أهلية، والعمل مع الاتحاد العام للجمعيات لأتني كنت على مجلسه التنفيذي، وهو كان قبل 1967 يضم الضفتين. وعشت ما يمكن تسميته فترة نقاهة، وركزت على تأسيس معهد معلمات إربد في 1976، وصرت مديرته. ووقتها أيضاً استكملت الدراسات العليا؛ ماجستير في جامعة اليرموك، وبعدها التحقت في الجامعة اليسوعية لاستكمال الدكتوراه.

وكلفت من وزارة التربية والتعليم بدراسة مشروع تحويل المعاهد إلى كليات مجتمع، وقدمنا دراستنا، وكنت في فريق تنفيذ هذه التجربة، فضلاً عن عملي في برنامج إعداد المعلمين. وكل جمعة وسبت، أسافر بالطيارة إلى بيروت لاستكمال دراستي للدكتوراه، حتى صارت الحرب الأهلية. دراستي كانت عن علم النفس الوظيفي والاختيار المهني

3 1976 وبعد عامين من تأسيسه صار كلية المجمع التابعة حالياً لجامعة البلقاء التطبيقية في إربد

تماه لا أحبه

ولمّا شاركتنا في إنشاء اتحاد النساء الأردني العام في 1981، اعتبرت زميلاتنا، في "الاتحاد النسائي" و"النساء العربيات" أنه جاء على أشلاء نشاطهنّ، لكن الحقيقة مش هيك، هو كان اتحاد أريد به أن يكون اتحاد الجمعيات النسائية العاملة في مجال المرأة والمستقلات كذلك، وعمل هذا الاتحاد لمدة عشر سنوات، وعدّلنا النظام الأساسي فيه حتى يستوعب كل الفئات والتيارات، وضمّ عدداً أكبر من أي حزب سياسي. لكن رُفعت دعوى قضائية تطالب بتغيير مسماها ليكون اتحاداً نوعياً فقط للجمعيات، كأنّ المرأة لا يُراد أن يكون لها تنظيمات كبيرة ذات امتدادات شعبية. مثلاً الحركة النسائية انطلقت انطلاقاً راشدة، ومن قمن على هذا العمل في الحقيقة نساء راشدات وعاملات، رشن المسيرة، وكان لهن قضية وخطاب مقبول قيمياً واجتماعياً، لكن الآن أسمع أصواتاً بعضها لا يعجبني كثيراً، وفيه تماه غير محمود -من وجهة نظري- مع الحركة النسوية، ونحن العرب والمسلمين والمسيحيين في هذه المنطقة لنا سياقنا القيمي والحضاري، وكذلك سياق ديني، وبالتالي نريد حركة تشبهنا، تنبع من قيمنا.

وعوامل الاختيار المهني، لأنني لاحظت أنه من أصعب الأمور على الطالبات كان اختيار التخصص، ولمّا فتحنا باب التخصصات أهالي الطالبات كان بدّهم إياهن فقط معلمات، ونحن بدّنا تخصصات مختلفة جديدة لأن سوق العمل يحتاج تخصصات جديدة.

في 1990، عُينت في لجنة الميثاق⁴، وكانت تجربة متميزة، وضمت كل التلاوين الفكرية والمجتمعية، إسلاميين ويساريين، وأبناء العشائر والنساء. كنّا كنساء حريصات على أن تكون إسهاماتنا فاعلة وملموسة، واختيارنا كان بناءً على جدارتنا، وليس لأننا نساء فحسب.

لا أزال أرى أنّ مخرجات لجنة الميثاق رائعة، ولكن للأسف تمّ وأدها، كان من المتوقع أن تبدأ مرحلة الإصلاح السياسي والتغيير السياسي في ذلك الحين نحو الديمقراطية وبناء دولة المؤسسات، لكن لم تكن هناك إرادة ورغبة سياسية في الإصلاح، لأننا أسرى حقبة الأحكام العرفية التي امتدت لأكثر من ثلاثة عقود، أسفرت هذه الحقبة السوداء عن مخرجات وخيمة ما زلنا نعانى من أمراضها حتى هذه اللحظة، وانعكست على حالة الحريات العامة، بل أثرت على المسار الديمقراطي والحياة السياسية العامة، مثل إشاعة فوبيا الأحزاب التي يعانيها شباننا اليوم وشيظنتها، وجعلها في أذهان الأجيال رجسا من عمل الشيطان، وما تزال وستظل الحياة العامة تعاني من هذه الفوبيا حتى تكون هنالك حركة ثورية يغير المجتمع فيها نفسه. ثم أدت إلى تصحر الحياة العامة وغياب القيادات نتيجة التعذيب والسجن والملاحقة، لذلك أصبحت القيادات كما نسميها باللغة الإنجليزية "ميدكور". وأدت إلى عزوف الشباب عن المشاركة في الفعل العام بكل أدواته ومؤسساته وشيوع حالة مرضية كانت سبباً في غياب الشعب عن الرقابة والمشاركة والحزب، ما أدى إلى شيوع حالات الفساد الإداري والمالي. مثلاً ما في حدا يداسب، ما في حدا يراقب، وتم قمع الصحافة وحرية التعبير.

مثلاً كان من ضحايا تلك الحقبة، الاتحاد النسائي⁵، لأنّ الأول أخذ خطاً سياسياً غير مرغوب فيه، وكذلك جمعية "النساء العربيات"⁶، واعتُبر أنّ إلغاء هاتين الجمعيتين جزءاً من انتكاسة في مسيرة المرأة، والمسيرة السياسية بشكل عام.

4 لجنة ملكية شكلها الملك الحسين لوضع أسس العمل الوطني وقواعده، ركزت على توجيهات عده أبرزها بعميق التوجه الديمقراطي القائم على التعددية، والمساواة بين المرأة والرجل.

5 في 1974 أعيد تشكيل الاتحاد النسائي، الذي جرى حله أواخر الخمسينيات مع فرض الأحكام العرفية وحل الجمعيات. وجاء التشكيل الجديد بعنوان "الاتحاد النسائي في الأردن". وضم العديد من الأردنيات والأردنيات فلسطينيات الأصل، فضلاً عن ممثلات لتنظيمات وأحزاب منها الجبهة الشعبية والديمقراطية لتحرير فلسطين والحزب الشيوعي الأردني.

6 أسسها إيميلي نفاع في 1970.

لوسين تامينيان: دراسة الواقع والبناء عليه... هكذا يمكننا التغيير

لوسين تامينيان، مواليد إربد، أستاذة أنثروبولوجيا ونسوية، انتظمت في التنظيم النسائي التابع لحركة "فتح" في مدينتها، حيث كانت المرأة تؤدي دوراً بعيداً عن القيادة. ثم اتسع اهتمام لوسين بقضايا المرأة عبر نقاشات خارج الأطر التنظيمية السياسية، ودراسة أوضاع المزارعات الأردنيات، ثم دعمت هذا الاهتمام بالدراسة الأكاديمية عبر تخصصها في الأنثروبولوجيا. في شهادتها، تعتبر لوسين أنّ دراسة الواقع أمر ضروري لفهم أوضاع المرأة، وتغييرها.

وقد اعتمدت هذه الشهادة على مقابلتين أجريتا في 22 و 26 كانون الثاني/يناير 2021.

عائلة أرمنية

ولدت في مدينة إربد، عائلة أرمنية، كلهم إجوا على الأردن نتيجة المجزرة ضد الأرمن، لكن عائلتنا ما لها امتدادات إلا بيت جدي من ناحية أمي، وأهلها ما كانوا يعرفوا أرمني، بس تركي.

أبوي ولد في منطقة اسمها "ناكير داغ" أغلب سكانها أرمن ويونان، وهجروهم الأتراك لكن فضل جدي لأنه كان قاضي، واجت العائلة ع أسطنبول، ولما صارت المجزرة كان أبوي صغير وما عرف إيش مصير أبوه مطلقاً، كان حاسس إن فيه ظلم بالدينا.

هو ما كان بيعرف يقرأ عربي، لأن درس في أسطنبول يعرف أرمني وتركي، ولما تزوج أمي علمته الحروف العربية، لأنها درست في إربد عربي لغاية الصف السادس الابتدائي. وأبوي علمها أرمني. وكان عنده اهتمامات بالسياسة، مش منظم، لكنه ميال للمعسكر الشرقي، يعني كاره لبريطانيا لأنها هي المهيمنة وقتها.

إربد موقعها كمدينة متصلة من ناحية الشرق بفلسطين، ومن الغرب اتصالاتها سوريا والعراق، شارعها الرئيسي

الجزء الشرقي منه اسمه شارع فلسطين، أما الجزء الثاني كان اسمه شارع بغداد، فكل اتصالات أهل المدينة كانت مع مدن فلسطين، أو دمشق وبغداد. قبل تكوين المملكة، ومع بدايتها، ما كان فيه سيطرة كاملة، الحدود بدأت بالسكتينات مثلاً، أهالي إربد كانوا يصفوا في بحيرة طبريا، ولما يمرض حدا يروحوا على بحيرة طبريا أو ينابيع الحمة السورية للاستشفاء. مثلاً محصول سهل حوران² كان يروح الفائض منه على ميناء حيفا للتصدير.

سياسياً كان مهيمن الحزب الشيوعي وحزب البعث، ما كان في هذاك الوقت سوري وعراقي، وحزب القومي السوري، وفي ما بعد جاء القوميين العرب، وكانوا محاربين القوميين السوريين لأنهم يقولون الوحدة السورية لا الوحدة العربية، هكذا كان الجو العام في المدينة وكان في دائماً مظاهرات من الخمسينات.

في المدرسة كانت البنات الأكبر ممّا سنّاً منظمات، ولما ندخل المدرسة على اليمين فيه لوح مكتوب عليه حكمة اليوم، حكمة اليوم الطالبات كانوا يكتبوا حكمة اليوم فيوم يجي الشيوعيين يكتبوا، ويوم ثاني البعثيات تمحي وتكتب الحكمة، والماركسيات تجيب أقوال ماركس ولينين، دائماً فيه حركة باستمرار، ولما تصير مظاهرات يُمنع التجول، وتنزل قوات البادية على البلد، وكانت تثير الرعب فينا كصغار، منظرها في الثوب الأحمر وملثمين.

لما صارت حرب 1967، كان فيه لاجئين سوريين نازلين مشي من الجولان، مدهوشين هيك زي المنومين. وبدأت حملة لمساعدتهم في إربد، استقبلناهم وجمعنا تبرعات لهم، ويعدين سفرناهم على دمشق.

اختبارات القبول في "فتح"

كان فيه غضب بسبب الهزيمة، وعن طريق صديقة ليّ انتظمت في "فتح"، التنظيم بعث ناس من عمان، يعملوا قعدة، كانوا يمتحنوني، واحد منهم قال ليّ إنه "ضلّ فترة يعتقد إنني مزروعة من المخابرات الإسرائيلية"، بالبداية كان فيه حرص شديد، وفيه تنظيم نسائي وتنظيم للشباب، و"النسائي" ضلّ متماسك وأنشط، وكنا دائماً ننتقد حالة الانفتاح يعني الكل كان يقول إنه فتح، حتى لو كان مجرد مساند، أو بعض أفراد "فتح" يتباهوا بالمكانة والتأثير وحمل البندقية، أو التناقص الي صار بين الحركات الفلسطينية. ومن الأشياء اللي كُنا ننتقدها بشدة هي تلقي أموال من السعودية، ونتيجة تدفق الأموال علينا صرنا نتطلع للجماهير

1 ينابيع ساخنة موجودة في الجزء الجنوبي من الجولان، ويستخدم للاستشفاء منذ نحو ألفي عام.

2 سهل يقع في محافظة إربد في المملكة الأردنية، ومن مواصله المحم

بفوقية، يعني عندنا فلول وأسلحة.

في 1970، أعلنت منطقة محررة من الجيش الأردني، وصارت حالة استنفار بالتنظيم النسائي، تجمعنا، بس التشقنا إنه ما فيه مهمات، عملنا أشياء بسيطة، جلسات تثقيف، جينا لوح صغير وصرنا نشرح معنى الاستراتيجية والتكتيك.

واريد ضلت ما يدخلها الجيش، إلا لما جرى اتفاق بانسحاب [قوات الفدائيين وتنظيمات المقاومة الفلسطينية] على دمشق.

ولما دخلها لم يحدث قتال إلا في المخيم، ما يعرف شو صار، الوديعين المليشيا بالمخيم هي اللي قاومت،

الصباح اجى الجيش وقف على فرننا بيتنا، فكر عندنا سلاح، لكن ما كان عندي سلاح، لكن وجدوا بارودة أبوي للصيد صودرت، وكذلك كتب، وطلبوني للقيادة للتحقيق بخصوص الكتب، كانت عن حرب العصابات وحرب التحرير بالهند، والتحقيق صار مرتين أو ثلاثة، بس ما كانت تبيجته إشي، عدا سجن واحدة من المخيم، وبدأت مصادرة جوازات السفر، جوازي ضل مصادر عشر سنين.

صناعة قضية بديلة

قبل السبعين مانهنا المدرسية كانت عن فلسطين والوحدة العربية، ثم بدت تتغير اتغيرت وصارت ذات طابع إسلامي، وفي إرد قامت ضجة كبيرة بسبب منع المسيحيين من تدريس اللغة العربية لأنها لغة القرآن. وكثير من الشباب الفلسطيني صار بدو يقاتل في أفغانستان، صديقتي أخواها كان بدو يروح أفغانستان، قالت له "فلسطين قدامك روح جاهد هناك شو بدك تروح تجاهد في أفغانستان"، هذا التغيير آثاره موجودة في الأردن، الحركات الإسلامية اللي خلقت بعد السبعين، كانت تقول للناس إن "روحوا هناك [أفغانستان] القضية تبعك" مش هون القضية تبعك [فلسطين].

المرأة خارج التنظيم

مثلاً بـ "فتح" ما كان فيه دور قيادي للنساء، كنا نجتمع اجتماعات مغلقة، ونكتب تقارير تروح للمسؤول عن التنظيم. الجو في "فتح" ما بتصور إنه كان للمرأة دور مؤثر على السياسات العامة، يجوز مؤثر على النشاط، نتقف ونعمل، ما أظن فيه حدا له قرار إلا القيادة العليا.

في فترة قعدت بالبيت؛ ما عملت شغلة إلا قراءة، وفكرت خلال مناقشة مع صديقة إنني بدو الشغل على دراسة عن النساء اللي كل يوم تشتغل بالزراعة.

وكان كل الحركة الفلسطينية يكفيها التواجد بلبنان. وفي المقابل كنا نلتقي لمجموعات مهتمة بالنساء نتناقش شو اللي بدو يصير.

التنظيمات الفلسطينية حاولت تعيد نشاطها بالأردن لكن ما نجحت المحاولة، وفيما يبدو كان فيه تفكير إنه إيش الهدف من وجود تنظيم لـ "فتح" أو أي مؤسسة فلسطينية في الأردن ما كان واضح، لأنها يبدو صارت مكتفية بوجودها في لبنان. ثم لملنا بعضنا كئساء مهتمات بالعمل العام، بس مش على أساس تنظيمات مثل "فتح" وغيرها، بل كنا نلتقي بعمان نتناقش حول شو اللي بدو يصير، ونفكر بإشي يتعلق بالمرأة، وكلام عن حقوق الإنسان، كان الطرح من أسمن خضر وصديقة أخرى.

ولما خلصت الماجستير في جامعة اليرموك، وكان عن المرأة، عملت ورقة قدمتها في ندوة نظمها صندوق الملكة علياء الناشط بقضايا المرأة، وعرضت ورقتي، في حضور الأميرة بسمة. الورقة كانت عن حالة النساء في الغور، وتحديدًا عن امرأة مزارة بالغور، قد إيش هي صلبة، عايشة بخيمة تززع وتحترق، وبناتها الصغار ترعى الماعز، يعني حياة شاقة جدًا، هجموا عليّ "إنك عم بتشوحي صورة المرأة في الأردن... في عنا طيارات نساء... وفيه وزيرات" وكان ردي إنه كل هدول النساء الإعلام يسلط عليهن الضوء، بس ما حدا يبحكي عن النساء المزارعات كأنهن نساء مش موجودات في البلد، وبعد الجلسة الأميرة بسمة سلّمت عليّ. قالت لي إنها، الليلة قبل الجلسة قرأت ورقتي ونزلت دموعها. اشتغلت في الأردن على مشاريع مع الدولة، مثل وضع استراتيجية عن العنف الأسري مع المجلس الوطني لشؤون الأسرة.

ثم درست أنثروبولوجي في أمريكا، وبعد سنتين أو ثلاثة رجعت الأردن.

كمهتمة بالنساء، أعتبر أنّ المسألة ليست استيراد فكر ومحاولة تطبيقه حرفيًا على مجتمعات، بل علينا دراسة المجتمع، وفهم الواقع بشكل جيّد مش نجيّب من برّه، ونعمل بناءً على هذا الواقع وفهمنا له، بعدها نقدر نعمل تغيير.

ليلى نفاع: قضايا المرأة أكبر من حسابات السياسة

ليلى نفاع، ناشطة سياسية واجتماعية، سياسيًا انتظمت بـ"الحزب الشيوعي الأردني"، واجتماعيًا تطوعت في "جمعية النساء العربيات".

ترى ليلى أنّ النشاط النسوي يجب أن يكون مستقلًا عن الانتماء الحزبي.

وتقول في شهادتها إنّ أجمل ما حدث في الأردن هو تحرر قضايا المرأة من الصبغة السياسية والتنظيمية لتصبح قضايا لها حضور أوسع وأكبر من حسابات الأحزاب والتنظيمات. بل صارت تلك القضايا متصلة بما هو سياسي واجتماعي وقانوني واقتصادي.

اعتمدت هذه الشهادة، على مقابلة جرت في 13 تموز/يوليو 2020.

أسرة منخرطة في النضال الوطني

وُلدت في أسرة منخرطة في النضال الوطني، وكان لبيّ إخوة وأخوات أكبر مني، هم من جيل الخمسينات ومن قيادات العمل الوطني، منهم أختي إيميلي نفاع اللي عيّدت طريق المشاركة لي كبت، لأنها كانت من النوع الجريء المقدم المقتنع بالقضايا الوطنية، ومن ثم تشربت منها القضية النسوية.

مثلًا قدمت إيميلي نفاع مع إيميلي بشارات مذكرة في 1955 لرئيس الوزراء للمطالبة بحق المرأة في الانتخاب، لأنّ كان الاتجاه الرسمي إن يكون هذا الحق للنساء المتعلّقات فقط. لكن الاستجابة لهذه المطالبة تأخّرت نحو عشرين عامًا، لما عرف جلالة الملك الحسين إنه في 1975 راح يكون عام دولي للنساء، وسيصدر فيه فهرس بالدول التي أعطت حق الترشيح، لذا قبل ذلك بعام، حصلت المرأة الأردنية على حق الانتخاب والترشح.

مع اللاجئين الفلسطينيين

رافق تأثير أختي إن أخي كان من سجناء السجن الصحراوي

"الجفر"، وأمضى في السجن 8 سنوات، بعد تخرجه في الجامعة الأمريكية ببيروت، وكنت على تواصل معه بالرسائل، وهذه المراسلات أثّرت في حياتي؛ مثلًا كتبت له إنني راغبة في دراسة الآثار والتاريخ، فهو جابوني برسالة مطولة قال فيها إنه يحترم هابي الرغبة، "وبشجّعك تقرّئي قد ما تقدر، لكن إذا بدّك تكوني واقفة على رجلكي حرة بدون ما تكوني تحت إمرة حذاء، ينصحك تروحي لدراسة الأدب الإنجليزي.. اللغة الإنجليزية تفتح لك مجالات أكثر، ممكن تروحي للترجمة، وممكن تدرّسي بمدارس خاصة، وما بتكوني تحت رحمة المدارس الحكومية" هابي النصيحة وقتها كانت غريبة، لكن مع الأيام ثبت إنها مفيدة، وعملت بوكالة الغوث، ومضيت سنوات حلوة من حياتي في تدريس اللاجئين الفلسطينيين في الأردن. كانت فرصة ثمينة، أرسلوني بعثة إلى بريطانيا مرتين، وكنت في معهد اليونسكو، وهذا بخلي الإنسان يواكب الحركة التربوية العالمية، كنّا مطلعين على أحدث الكتب، وكنت مَدْرَبة معلمات ومعلمين.

مثلًا ترشحت في انتخابات نقابة معلمي وكالة الغوث، وكان نازل ضدي شيخ، وذلك مع بداية صعود التيار الإسلامي، وفزت، وهذا شجّعني خاصة إن فيه ناس قادرين يواجهوا تيار كان عمّ يصعد بطريقة جنونية، خاصة إن الناس اللي اختارتني من اللاجئين، مستضعفين يعني.

الدور السياسي السري للنساء

مثلًا بسبب فرض الأحكام العرفية، ومكافحة الشيوعية من أواخر الخمسينات، كانت الحياة السياسية داخل الأردن تحت الأرض [سرية]، لأن كل من كان يؤمن بالفكر القومي أو الشيوعي كان مُلاحق داخل الأردن، لذا لعبت النساء أدوار هامة لحماية الأحزاب والتنظيمات عبر توصيل الرسائل بين القواعد والقيادات اللي هي في بيوت عادية، لأن الرجال كانت عليهم العين، أختي يتحكى إنها كانت تروح على بيت حزبي بالأشرفية، بس أول مرة نصحوها إذا بدّك إنتي توصلي له تمرّي في مقبرة، كانت مرعبة حتى بالنهار، ما كان حدا يقدر يقطع الطريق من خلال المقبرة إلا إذا كان عنده شجاعة وصلابة للوصول إلى البيت الحزبي، حتى تجتمع برفاق سريين مثل هذا الأمر بهدّاك الوقت ما كانوا يقدرُوا يعملوه لولا النساء.

قبل أيلول 1970، كانت فيه أحمة سياسية أردنية فلسطينية، يعني ما كان فيه فرق بين الأردنية والفلسطينية، لكن تجمعت نُذُر سيئة مثل رفع شعارات "كل السلطة للمقاومة"، وكانوا يحذروننا في الحزب الشيوعي من مثل هذه الشعارات لأنها ممكن تؤدي إلى تدخلات أجنبية، وهاد فعلاً حصل يعني اللي حمّى عمان في ذلك الوقت

الجيش الهاكستاني¹، وهو أمر لا يذكره حدا، وبعدها سلموا السيطرة للجيش الأردني.

الحركة النسوية من السياسة إلى المجتمع

في 1970، حصلت جمعية النساء العربيات على ترخيصها من وزير الداخلية، سليمان الحديدي، لأن زوجته كانت من المؤسسات. الترخيص كان لعمل الجمعية على التمكن الاقتصادي ومكافحة الأمية، وما كانت تتحدث عن المشاركة السياسية. هي جمعية مستقلة، رغم أن بعض المشرفات عليها عضوات في الحزب الشيوعي، لكن رؤية الحزب وقتها أن المنظمات الجماهيرية لازم تكون مستقلة.

لكن أجمل ما جرى في الأردن هو انتقال الحركة النسوية من النشاط السياسي إلى النشاط الاجتماعي، وهو ما ظهر بعد إلغاء الأحكام العرفية وبدأ الانفراج السياسي²، وقتها كانت جمعية النساء العربيات أكثر منظمة جماهيرية استفادت من هذا التوجه، واهتمت بالمطالبة بالكويت النسائية.

نضال حقوقي

لما تركت الأونروا في 1997، بعدما عرضوا على تقاعد مبكر، ركزت مع الجمعية، خاصة إن أختي كانت تلج عليّ أكون في الجمعية لأنها استشرفت إن فيه توجه عالمي جديد لدعم منظمات مجتمع مدني ترأب تطبيق الاتفاقيات الدولية، رغم أن هذا النشاط غير مدعوم أو مرحب به في الأردن. مثلاً الجمعية ترى أنه يجب تطبيق المواثيق الدولية الخاصة بالمرأة والطفل الموقع عليها من قبل الأردن، ومهمتنا النضال حتى تصبح المواثيق الدولية ضمن منظومة القوانين المحلية. وحرصنا منذ البداية على أن تكون الجمعية ضمن الحركة النسوية العالمية، كعضوة في قائمة الاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي، فضلاً إن الجمعية عندها ميزة داخلية أنها أول جهة أسست شبكة محلية أردنية سمينها "شبكة مساواة للجمعيات الصغيرة"، وهي منتشرة في كل أنحاء الأردن من 2005.

وكذلك نعمل في الجمعية ضد زواج القاصرات، وإنهاء التمييز وذلك بإعطاء الجنسية لأبناء الأردنيات، مثلاً عملنا لجنة متابعة لتغيير المادة السادسة في الدستور الأردني لأنها تفتقر في جزء منها لذكر عدم التمييز حسب الجنس، رغم وجودها في كل الدساتير العربية والإسلامية، واختارت اللجنة ليلي شرف وأسمى خضر وعيلة أبو عيلة لحمل رأينا للجنة الملكية العاملة على تعديلات الدستور، ثم عملنا

بعد رفع التعديلات للديوان الملكي، إن كلها راج تتأخذ عدا التعديل الخاص بالتمييز حسب الجنس، وذلك لأن إذا اتحد عدم التمييز حسب الجنس هاد أنوماتيكياً يحل مشكلة الجنسية لأبناء الأردنيات، وهؤلاء الأبناء راج يهجموا على الأردن من كل فج عميق وبطالباوا بالجنسية. لكننا ساومنا إن ذلك سيتم وفق إجراءات إلا للمقيم بالأردن، لذا لازم نستمر في المطالبة. كما تنشط الجمعية كعضوة باتحاد صون الطبيعة والبيئة، لأن النضال من أجل البيئة هو المستقبل.

مثلاً مش عارفة ليش مصطلح "النسوية" عامل هاي المشكلة عند الكثيرين، والله في نقاشات الحزب قلت لهم -حتى يهدأ الرفاق- إن النسوية في موجهها الرابعة صارت ماركسية، أو أنها ببساطة مبنية على حق المواطنة، يعني المرأة مواطنة بدها تأخذ كل حقوقها في المواطنة.

رغم ذلك، متفائلة بالمستقبل، لأنني عمّ بشوف إن جميع المشرفين على برامج التدريب بالمنظمات الشبائية هم قلبنا وقالنا مع المساواة بين النساء والرجال في حقوق المواطنة.

1 ماد العسكري الهاكستاني، محمد ضياء الحق، مهمه تدريب في الأردن، كما تزعم القوات المساندة للجيش الأردني ضد الفصائل الفلسطينية المسلحة في 1970.

نهى المعاينة: لا توجد لدينا حركة نسائية

نهى المعاينة، مواليد 1951، تأسست الاتحاد النسائي الأردني لدورات عدة، وهي عضوة سابقة في المجلس النيابي، حصلت على بكالوريوس تاريخ، ودبلومي تربية وحقوق.

فضّلت نهى العمل التطوعي على السياسة، معتبرة أنّ النشاط التطوعي في الأردن مرّ بمرحلتين أولهما ركزت على محاربة الفقر، أمّا الثانية، والتي كرّست جهودها فيها، فترتبط بالتطوع الواعي بالمرأة وقضاياها.

وفي شهادتها ترى نهى أنّ أوضاع المرأة لن تتحسن عبر القوانين وحدها، بل إذا تبدّلت ذهنية المجتمع، وهي لا تنكر وجود عمل نسوي هام تقوم عليه منظمات، لكن ذلك يفتقد لوجود حركة نسائية، تقوم بالحشد من أجل حقوق المرأة وتبديل ذهنية المجتمع، وتدعم المنظمات لتكون قوة ضاغطة.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 31 تشرين الأول/أكتوبر 2020.

تطوع يحارب الفقر

تنقلت في المعيشة والدراسة في طفولتي بين القدس، وبريطانيا (خلال التحاق والدي بدورة عسكرية هناك)، والزرقاء، وعمان، والكويت، نشأت في بيت سياسي، لأن أبوي، كان بالقوات المسلحة، وفُعلن انتمائه لحزب البعث، وكان في "حركة الضباط الأحرار"¹ سجن في 1956، وانتقلنا للعيش في بيت عمي بعمان، هو كان مدير للأمن العام بالنصف الثاني من الخمسينات. وعمرني عشر سنين، طلع والدي من السجن، كان بدءً يشتغل، لكن ما أعطوه موافقة، واضطر يطلع لبنان ومنه لسوريا، لكن كان فيه خلاف في الأفكار

وصراعات بينه وبين أمين الحافظ²، قام طلع الكويت. وما عاد للأردن إلا مع رئاسة وصفى التل للحكومة التي سمحت لوالدي بالعمل في الأردن مديراً بشركة الفوسفات. وأخيراً، تحسنت أحوالنا، الوضع كان ممتازاً.

وبعد 1967 زحّت سوريا أدرس، بس مكملتش، فيه أشياء ثانية لهتني عن الدراسة، كنت دخلت اتحاد الطلاب وكانت لي نشاطات معه. في عمر 15-16 سنة، خلصت "أحداث أيلول"، وقرروا إبعاد الفصائل الفلسطينية، احتجينا أمام السفارة الأردنية لأن قلبنا على الأهل. مثلاً عرض عليّ انضمّ لـ "بعث"، يعني لأن أبوي يعني وكان قائد قوات الصاعقة التابعة لحزب البعث في الأردن خلال الأحداث، لكن فضّلت تأجيل الموضوع لحين عودتي إلى الأردن، لكنني اعتبرت وقتها إن كل أحزابنا السياسية ما فيها نضج سياسي أو ديمقراطية، مثلاً وجود الأردنيات في النشاط السياسي قليل جداً، بعضهم في الحزب الشيوعي أو بعثيات مثل عيدة المطلق، أمّا الفلسطينية فكانت منظمات في تنظيمات الفصائل المختلفة، وبناءً عليه ليش أحظّ حالي في السياسة، لذا فضّلت للعمل التطوعي اللي تعلمته في المدرسة والحركة الكشفية، ولما سافرت مع زوجي لأمريكا، كنت أنا وأطفالي نُدعى للكنيسة المعمدانية، في إطار التبادل الثقافي حتى يتعرفوا على طبيعة المرأة المسلمة، وتعرفت على طرقهم في العمل التطوعي، ولما رجعت الأردن في 1980، شاركت في الأنشطة التطوعية، لكن ما كان لها علاقة بقضايا المرأة مثلاً، بل كانت تركز على محاربة الفقر فقط. لذا فتحت مدرسة بدأت بالحضانة (رياض أطفال)، ثم وصلنا للصف العاشر.

ودخلت اتحاد أصحاب المدارس، وكنت التقّي مع ساهرة النابلسي وهيا الطاهر وغيرهما من النساء الواعيات والمسيسات، لكنهن مش حزبيات، وانطلقنا نفكر شو المطلوب في رياض الأطفال، كيف بدّنا نعمل، وعلى شو ندرب المعلمات.

وباعتباري خبيرة رياض الطفولة، طلبت مني الأميرة بسمة التحق كمشرقة على مراكز التعليم المنتشرة بمختلف المناطق، وفعلت بعث المدرسة، وكان معي مشرقتين وأنا الثالثة على رياض الأطفال.

تطوع يمكّن المرأة

ثم عملت في الصندوق الأردني الهاشمي للتخضير

2 كان ضمن الضباط السوريين الأربعه عشر الذين طالبوا الرئيس المصري جمال عبد الناصر بالوحدة مع سوريا والتي أعلنت في 1956، وبعد انهيار الوحدة شارك الحافظ في الانقلاب الذي فاده حزب البعث في 1963 ضد الحكومة الانفصالية (عن الوحدة مع مصر)، وعين وزيراً للداخلية، ثم صار رئيساً للجمهورية

1 حركة تشكلت اعتراضاً على هزيمة الجيش الأردني في حرب 1948 الذي كان يعود برطاني، ونشط ضباطه في مسالة تحرير الجيش الأردني، وهي الخطوات التي بدأت في 1957، ويعال أن الملك الحسين كان على دراهه بنشاط تلك الحركة، وداعماً لحركتها. لكن هذه الحركة انهم بممارسه السياسه والسعى الى الانقلاب على الحكم.

لمؤتمر بكين، بناءً على دعوة من الأميرة بسمة، وهكذا بلّشنا نشّغل على قضايا المرأة. هاي نقلة نوعية يعني عملنا التطوعي بالجمعيات كنا رايجين نتسلي أو هيك، لكن هاد الحكي صار فيه ارتباط بقضايا المرأة، تحكي عن المرأة الريفية، والمرأة بالبادية. ثم صرت بالاتحاد النسائي الأردني³، انتخبت في محافظة العاصمة، وقبلتي شغلت المنصب الست هيفاء أبو غزالة ونجوى فوزي، وكملت مسيرتهما، وبلّشنا نعمل علاقات أكثر مع الجهات الحكومية، مثل وزارة التخطيط، وكذلك اشتغلنا حسب الاتفاقيات الدولية اللي وقّع عليها الأردن، وصارت فيه إدارة حماية المرأة من العنف، ومؤسسات ودور آمنة للمغتربات. شغلت منصب رئيسة الاتحاد لعدة دورات، وخلال عملنا صرنا نتخصص مشاكل المرأة، وندخل في القوانين، وبعد القوانين بدك تنفيذها، لكن الأهم تغيير الذهنية، يمكن نكون بلّشنا في قضايا بالعالم العربي دون تركيز على الثقافة المجتمعية، يعني لازم تعلمي المرأة حقوقها، وبنفس الوقت بدّها احترام اللي حوالها، الجو اللي حوالها، ما نقدر نتّقفزات فيها.

مثلاً كل المؤسسات النسائية اشتغلت بشكل ممتاز على قضايا المرأة، بشكل أكثر من الأحزاب السياسية مثلاً، كتوعية وتنقيف، وبالنسبة لتعديل القوانين بالنسبة للإنجازات والآليات اللي صارت كلها، لكننا نفتقد الحركة النسائية، لدينا منظمات نسائية لا حركة نسائية. الحركة بدّها نوع من الحشد والصمود، حتى تكون بالفعل قوة ضاغطة. هي حالياً منظمات نسائية اشتغلت على اتفاقيات وحققت الكثير، وذلك بمساعدة الجهات الحكومية، مثلاً الاتحاد النسائي عمل بعمق في كل المحافظات، أصغر قرية وصلها، لأننا عملنا برنامج مع وزارة التخطيط يخص تمكين المرأة. مثلاً فيه نقاشات مهمة عن المشاركة السياسية في البرلمان، لكن المشكلة تخص الثقافة المجتمعية، يعني كيف بدّها تدخل المرأة وتصير نائبة في البرلمان، وهي ما تقدر تستقبل الناس في بيتها. القانون مثلاً ما فيه مساواة بين الجنسين بحيث يعطي المرأة حقها أو حصتها في الميراث، أو في منحها الجنسية لأبنائها في حالة الأب الأجنبي.

3 أسس في 1961، هيئة أهلية بطوعية، ويؤلف شؤونه هيئة منيخه، ويضم في عضويه العديد من الجمعيات النسائية. وهو أسس كنديل لابتاد النساء في الأردن، والذي كان يضم العديد من ممثلات التنظيمات الفلسطينية الموجودة في الأردن، والذي تعرض للجميد مرات عدة منذ الخمسينات

هدى الفاخوري: النساء مظلومات ولا بد من قوانين تتصفهن

هدى الفاخوري، طبيبة أسنان وكاتبة، مواليد السلط 1945. في شهادتها تعتبر أنّ المرأة الأردنية مظلومة، وهو ما يتطلب وجود منظومة قانونية تتصفها دون تمييز، أمر يتطلب حراكاً مجتمعياً وإرادة سياسية، ولكن بشكل فردي على المرأة أن تعمل على تحسين وضعها لخدمة نفسها وأهلها. اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 2020/4/17.

بيتنا ينتمي للفكر القومي

هدى فاخوري، مواليد السلط محافظة البلقاء، 1945، الجو العام في أسرتي فسيّس، يعني لّما صار عمري عشر سنين، أدركت إن بيتنا ينتمي للفكر القومي، مثلاً شقيقي الذي يكبرني بست عشرة سنة كان في حزب البعث، فكنا نقرأ نشرات وكُتبا ونسمع إذاعات كلها تعبّر عن الفكر القومي.

مدرستي الابتدائية كانت قريبة من المنزل، لكن لّما دخلت المرحلتين الإعدادية والثانوية كان يتحتم عليّ أطلع مواصليّين لجبل عمان، وذلك في الفترة من نهاية الخمسينات وحتى 1964. وفي هذه الفترة الجو العام كان فيه كلام عن السياسة، حروب مثل عدوان 1956 على مصر، وبسببه تجدد شعورنا إننا جزء من أمة مُستهدفة من قوى عالمية، وهو الشعور اللي بدأ من طفولتي مع إدراك وضع الفلسطينيين، مثلاً في طفولتي كان قريب من منزلنا منطقة مزروعة قمح، وكنا نمرح ونلعب في هذه المنطقة. لكن مكان القمح بقى فيه مخيمات اللاجئين الفلسطينيين. وأصبحت عندها علاقات وثيقة مع سكان المخيم، واتصال مع شعورنا بالقومية والصلة بالأمة العربية طلعنا، كطالبات في التوجيهية، مظاهرات للمطالبة بدخول الأردن الوحدة

الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق، وذلك في 1963، لأننا تربينا على أننا أمة عربية واحدة، ولا بد أن نتوحد من أجل تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني. لكن مديرة المدرسة كانت تحاول تبعدنا عن النشاط السياسي، وتقول لنا إن "واجبكم تتعلموا وتخرجوا"، وكنا نتسلل من المدرسة للمشاركة في المظاهرات.

عشنا فترة فرض الأحكام العرفية، وتحذيرات الأهالي من المشاركة في السياسة، لأن الأحكام العرفية تسببت في دخول حوالي 1500 من النشطاء الأردنيين إلى السجون، ما جعل الأسر الأردنية تنصح أبناءها بالابتعاد عن السياسة حتى ما يصير فيهم زي ما صار مع المعتقلين من الآباء والأجداد.

نصيحة الذهاب إلى القاهرة

بعد التوجيهية، قُبلت في الوقت نفسه بكلية طب الأسنان في القاهرة وكلية الصيدلة في دمشق، ولكني فضّلت الأولى، لأن مصر كانت في ذهني شيء خارق للعادة، وجميل لأننا كنا بنشوف الأفلام المصرية، ونسمع الإذاعات المصرية، ونقرأ الكتب المصرية، كُنا نحس مصر هي قلب العروبة. قبل سفري أمي قالت لي: "هدى ثلاثة أشياء بديش تنسيهم: السمعة، الصحة، ثم العلم" هذه الجملة كانت ترنّ في أذني.

في 1964، كانت فرحتي لا توصف لّما دخلت جامعة القاهرة بقيتها الشهيرة، والأشجار على اليمين والشمال، مشيت وقتها بخيلاء، وإلى جانب الحياة العلمية الجادة، اهتمت بالثقافة في مصر؛ حضور المسرح، وقراءة المجلات والكتب.

لّما رجعت الأردن بعد حوالي خمس سنين، لم أعمل في مؤسسات الدولة الأردنية، لأنني جاية من بيت مسيحي، وتلك المؤسسات كانت تحارب المسيحيين بمنع أبنائهم وأشقائهم أو أي حدا قريب منهم من التعيين. مثلاً جاءني برقية إن فيه مقابلة في الجيش لتعيين الخريجات الجدد، عينوا كل الخريجات اللي حضرت المقابلة، وأنا الوحيدة اللي ما قبلوني. وبالتالي كان التعيين صعب جداً، لذا اشتغلت مع جيش التحرير الفلسطيني في مستشفى بجبل الحسين، قرب مخيم الحسين، كان مستشفى شبه مثالي من ناحية النظافة، والخدمات العلاجية، وصرف الأدوية.

صرت طبيبة أسنان برتبة ملازم أول، وذلك في 1969-1970.

وفي إطار عملي في هذا المستشفى، سافرت ألمانيا بدعم من مؤسسات هناك مُساندة للقضية الفلسطينية، وتبرعوا لنا بأدوية وأجهزة، وشحنتها للأردن، ما ساعدنا على القيام بدورنا.

1 كانت مظاهرات أردنية تطالب بمشاركة الأردن في المفاوضات المائمه حول الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق، والتي بدأت في مارس/آذار 1963.

اشتغلت سنتين دوام كامل، ولمّا فتحت عيادتي بقيت أداوم نص نهار. لكنها كانت من أخطر المراحل في التاريخ السياسي الأردني، لا أنسى اليوم اللي أدركت فيه الخلاف اللي صار بين المنظمات الفلسطينية في الأردن والجيش والنظام الأردني، نظرت حولي لم أجد أي من الأطباء أو العسكريين الضباط الموجودين في المستشفى، كنت الوحيدة الموجودة في العيادة. وعلمت إن فيه منع تجول، لذا مشيت إلى بيت صديقة قريب من المستشفى، وضليت عندها حوالي 18 يومًا حتى انتهاء "الأحداث".

لم نتوقع في يوم من الأيام أن يحصل هذا الاشتباك، البعض يسميه "حرباً أهلية"، والبعض الآخر يسميه "صراعاً على السلطة بين المنظمات الفلسطينية والجيش الأردني"، أو من يقول إنها "مؤامرة" بمعنى أنه فتح المجال للمقاومة الفلسطينية، ولمّا انتشرت تنظيّماتها وامتدت، كان فيه مؤامرة لإنهاء المقاومة في عمان، لكن بما إنني كنت في وسط المعركة، أفتنعت أنها مؤامرة، لأنه كان لا يمكن السماح بوجود المقاومة الفلسطينية على بُعد 650 كيلومتر من العدو الصهيوني، وهذا ما أفتنعت فيه أكثر في ما بعد.

بعد هدوء الأوضاع في الأردن، وخروج تنظيّمات المقاومة من البلاد، تابعت عملي في عيادتي، بل كان نشاطي الأساسي في مجمع النقابات المهنية، تأسست لجان في المجمع، وكانت لديّ اجتماعات يومية، والعمل النقابي تقريباً حل محل الأحزاب في ذلك الزمان.

مسيرة حياتي كطبي

في 1980، أصدرت أول كتاب طبي لتوعية الأطفال بأهمية العناية بأسنانهم، ولحسن حظي أن وزارة التربية والتعليم اعتمدت الكتاب، واشترت منه ما يغطي تكاليفه. بعدها أصدرت كتاباً آخر في مجال "السنوية" [نسبة إلى الأسنان]، معتمدة على قصص تراثية عن كيفية احتفال الناس بالأسنان.

وفيه كتاب ثاني اسمه "حديث الحروف"، كتبت عن كل حرف نص إبداعي مع رسوم جميلة، وكذلك كتاب "حكايات العمّة عربية"، وهو مستوحى من قصص أهل السلط وتحضيرهم في شهور الصيف لمؤونة الشتاء من يقطين وزبيب ودبس وعنب وقمح، اللي تُخزن بجميع الأشكال للاستهلاك في ليلي الشتاء الطويلة. الكتب جزء لا يتجزأ من حياتي، فالكاتبه منحتني قناعة، وعملت من حياتي مسيرة نجاح.

مثلاً دخلت في قلب العمل السياسي، لمّا ترشحت في

الانتخابات² النيابية عن محافظة البلقاء، بعد حضور اجتماع مع كبار قيادتي التيار القومي من حزب البعث. هكذا رأيت مشاهد الفقر والبطالة، ومشكلات غيرها تخص الحياة الاجتماعية، وتحدثت مع نساء وصبايا مطلقات³. لكن على صعيد الانتخابات لم أنجح، وعدت للعمل النقابي. ولعبنا دور مهم نقابياً، في ما بعد ضد اتفاق التطبيع⁴، شكلنا في كل نقابة لجنة مقاومة التطبيع وحماية الوطن. وكنا نجتمع أسبوعياً، نقابات وأحزاب معارضة، وشكلنا اللجنة التنفيذية للمجابهة وحماية الوطن، لأن التطبيع كان بين المؤسسات الرسمية والعدو الصهيوني، لكننا عملنا على ألا يقع بعض الناس ضعاف النفوس في التطبيع، لذلك قررنا نعمل نشرة اسمها "المجابهة" صادرة عن اللجنة النسائية في هذه اللجنة النقابية، وتأسست تحرير هذه النشرة، بلا هيئة تحرير، وكنا نوزعها على مجمع النقابات المهنية.

وساطة في خلاف نسوي

رغم إنني لم يكن لي دور في المنظمات النسوية، لكنني حاولت تقريب وجهات النظر بين الاتحاد النسائي، والاتحاد⁵ المؤسس في 1981. لكن فشلت المحاولة، خاصة إن وقتها كان الاتحاد النسائي قياداته منهن مسيسات، والطرف الآخر ممثلاته بعضهن تابعات للنظام، وصار الاختلاف بين الطرفين.

حالياً، عندي ملاحظة على تلقي منظمات نسوية أو غير نسوية تمويل من جهات تمنع النشاط السياسي، لأن تلك المنظمات تخضع لشروط التمويل ولا تقدم أي نشاط بشير إلى فلسطين على أنها مُختلة من قبل الصهيونية، وإلا يُقطع التمويل. ومع ذلك المنظمات النسوية لها دور في حل المشاكل الآتية مثلاً إذا كانت فيه امرأة تعاني، هي

2 أقيمت الانتخابات النيابية في المملكة الأردنية في 1989، وكانت أول انتخابات يقام منذ 1967 قبل تلك الانتخابات كانت هناك محاولات محدودة لتأسيس أحزاب منها تنظيم سياسي شكله الحكومة هو "الحداد الوطني الأردني" الذي ترأسه الملك الحسين الاجتماع التحضيري له في 1971، أو حزب مومي وهو "حزب الشعب الثوري الأردني" وأسس محمود ابو عيسى، وعقد مؤتمره التأسيسي في بغداد عام 1974، هو منبثق عن حزب العمل الاشتراكي الذي كان يعمل داخل الأردن بشكل سري.

3 ألف هدي كتاباً عنوانه "انطباعات التجربة الانتخابية".

4 وقعت اتفاقية وادي عربة بين الملك الحسين واسحق رابين في 1994، وبناء على تلك الاتفاقية جرى ترسيم حدود المملكة الأردنية الهاشمية، وحصولها على حصتها من مياه بحيرة طبرية ونهر اليرموك، فضلاً عن اعتراف إسرائيل بالوصاية الأردنية على المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس.

5 قبل تأسيس هذا الاتحاد برعاية الحكومة الأردنية، كان هناك اتحاد آخر يعود تاريخ تأسيسه إلى أربعينيات القرن الماضي، وجرى حله مع فرض الانحزام العرفية وحل الجمعيات في الأردن 1957، ثم أعيد تأسيسه تحت اسم "الاتحاد النسائي في الأردن" في 1974، ليضم ممثلات عن كل السطيمات العاملة في البلاد المعنيات بعمل المرأة العام، وشكلت هيئة الاتحاد الإدارية من ممثلات عن أحزاب وتنظيمات منها الحزب الشيوعي، والجبهتان الديمقراطية والشيوعية لتحرير فلسطين. ومع تأسيس الاتحاد الجديد في 1981، جرى حل "الاتحاد النسائي في الأردن"، وعاود ممارسة نشاطه بحكم محكمة أردنية، ويعرف الآن باسم "جمعية اتحاد المرأة الأردنية".

مش راح تنتظر تغيّر المجتمع ككل عشان تحل مشكلتها، لازم تكون فيه ناس تحل مشكلات النساء المتعرضات للعنف مثلاً، وهذا دور المنظمات النسوية. لكن نسبة النساء العاملات قليلة مقارنة بالرجال، والنساء مطلومات، وهذا الوضع لن يتحسن عن طريق اتحاد نسائي أو منظمة نسوية بل بدنا منظومة قوانين تنصف كل فرد شو ما كان جنسه. في الختام، أعتبر حالي ثابتة على مبادئ، لم أغيّر قناعاتي كقومية، أؤمن بأن فلسطين لازم تتحرر من البحر إلى النهر، ومؤمنة بأن كل مكون في المجتمع لازم يحصل على حقوقه كاملة. وأرى أن المرأة تعمل من الوضع اللي هي فيه أحسن ما يمكن لخدمة نفسها وأهلها ومجتمعها.

هيفاء البشير: حركة نسوية بلا عمل جماعي لا تمثل ضغطًا

هيفاء مسعود درويش ملحيس، مواليد 1931 في مدينة نابلس، ومعروفة بهيفاء البشير.

جاءت هيفاء من نابلس الفلسطينية إلى السلط الأردنية، لتكون على موعد مع العمل التطوعي، حاولت تشجيع الأردنيات على العمل بالتربية، وتماشياً مع هذه الدعوة درست التمريض. قالت في شهادتها إن ذلك حتى تثبت أنها تقبل لنفسها ما تدعو إليه، ثم كانت ضمن اللجنة التأسيسية للاتحاد النسائي الأردني، الذي أسس برعاية الوزارة إنعام المفتي في 1981.

واعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 2020/07/18.

الحياة في نابلس

جئت كآخر مواليد أسرة من ستة أبناء، وفي عمر أربع سنوات، استيقظت على صوت بكاء صبيحة أحد أيام 1935، وعلمت أن والدي فارق الحياة، وألقيت نظرة وداع أخيرة على جسده المفسج. لكنني لم أفهم معنى كل ذلك، شملتني أمي وشقيقي الأكبر، بالرعاية لتعويض غياب الأب.

تلقيت تعليمي الابتدائي والإعدادي في مدارس نابلس، ونتيجة تفوقتي حصلت على منحة دراسية في 1946 في دار المعلمات في القدس. والتحق بالدار، وأمي شرطت عليّ شرطاً واحداً "لا تخرجي إلى أي محل إلا مع إخوانك إذا زاروكي"، وفعلت بقيت قرابة سنة وشوي لم أذهب مشوازا واحداً وحدي. لكن الدار أغلقت بسبب التطورات السياسية والأمنية وقرار تقسيم فلسطين مع منح القدس وضفاً خاصاً، وإنهاء الانتداب البريطاني ثم إنشاء دولة إسرائيل، وعدنا كل طالبة لمدينتها، لأن الدار كانت في المنطقة التي صارت يهودية. وفي نابلس تطوعت معلمة أنها

تعدّ امتحان باسم دار المعلمات، ما أهلنا للتقدم، وطلعت أوراقتنا بقبرص، وحصلت على شهادة اجتياز التعليم العالي الفلسطيني بامتياز. هذه المعلمة تركت في نفسي تصور عن أهمية العمل التطوعي والدور الحيوي الذي يمكن يؤديه الفرد المبادر في النهوض بالمجتمعات.

بعد التخرج التحقت بكادر التعليم كمعلمة بديلة في المدرسة الفاطمية في نابلس، وبعد بضعة أشهر غينت رسمياً في المدرسة العائشية الثانوية في مطلع 1950. كنت أنتقل من صف لصف حسب غياب المعلمة لمرض أو ولادة أو غير ذلك، مرحلة مشرقة في العمل، جعلتني أعني أهمية دور المرأة، وبدأت تفتح أمامي الحياة على أن المرأة تقوم بدور هام، وعليها الثقة في نفسها، وأن يكون لها دور إيجابي في المجتمع. مثلاً كنت أدرب الطالبات على التمثيل المسرحي، في إحدى المرات أخرجت مسرحية باسم "سعيدة بنت سعيد" كانت منشورة في مجلة "الهلل"، وعرضناها في إحدى قاعات البلد، والمبلغ [إيراد العرض] قدمته للاتحاد النسائي الموجود في نابلس.

استهوتني مبادئ حزب البعث العربي، الوحدة، الحرية، الاشتراكية. أخي، حفطي ملحيس كان بالحزب، وكان نائباً عن نابلس 22 سنة، وصديقه، حسني الخفج، رئيس اتحاد العمال، وبسبب الاثنين انتسبت للحزب، وأسست الفرع النسائي في المدينة. وبدأت أكتب رسالة الحزب باسم مستعار، فتاة عيال. كنت مؤمنة إن دوري يجب أن يكون إيجابي، لمن بعدي، ناسية شخصيتي لكنني آمنت أنه أنا دوري هو نموذج. إذا كنت مُتشجعة وعنيفة يسقط دور المرأة لساننا جداد، وجودنا هش وضعيف. كنت أروح رام الله حتى أجتمع مع بهجت أبو غربية، وعبد الله الريماوي، نسمع كلام بهجت وعبد الله عن المثل تبع الحزب، ودوره، إذا انتشر انتشار إيجابي.

مع الممرضات

تزوجت في 1954، محمد البشير، وهو زميل في الحزب، وانتقلنا على الأردن، السلط. كانت نقلة كثير صعبة عليّ، لكن كثير من أهل السلط كانوا من نابلس يعني استطعت التأقلم.

ونتناقل أخبارنا، لكن وقت حرب 1967 كعادتي حاولت أحكي بالتلفون، رد عليّ الاستنزال وضحك "ما سقطت نابلس"، خير ما فيه أقرّ منه، خير بقص الضفة الغربية. عيشي كلها قلبت. سقوط الأوطان ما في مرار أكثر منه.

زوجي، وهو كان طبيب، واشتغل في عمان على علاقة الطب بالقانون، حول الطب الشرعي، ثم درس الطب الشرعي في القاهرة، وأسّس قسم في الأردن، وجاب

3 ماجستير طب شرعي، ودبلوم في مضايك الزيف والزور من جامعة عين شمس

1 بشرين الثاني/نوفمبر صدر قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين مع منح مدينتي القدس وبيت لحم وضفاً خاصاً تحت سلطة المنظمة الاممية.

2 في 14 ايار/مايو 1948.

بعض الأطباء من القاهرة، والمختبر، منجز رائع. وما مضت سنة إلا وغيت وزير دولة، ثم وزير صحة.

ومن خلال عمله، لاحظ نقص كبير في أعداد العاملات في قطاع التمريض، والاعتماد المفرط على ممرضات فلبينيات وسيرلانكيات وهنديات بنجلاديشيات، ومفيش وآلة واحدة أردنية. زوجي طلب مني إنني أمدّ أيدي [أساعده في هذا الأمر] وبناء عليه دعيت زوجات أطباء وصيديات، وطرحنا عليهن تغيير اتجاهات المجتمع، وقدمنا طلب تأسيس جمعية "الأسرة البيضاء" 1970، وطلبنا من الملكة زين الشرف⁴ تتراأس الجمعية واسم الجمعية كان من اختيارها.

مع المسنين

الجمعية ساعدت مستشفيات الحكومة ودعمت التمريض، يعني إذا مرضت ممرضة نزورها ومعنا هدية. ورزنا مدارس المملكة، على مدار تسع سنوات للحديث عن محاسن هذه المهنة، وتحفيز الطالبات للالتحاق بها، والحكومة عملت مدارس بوزارة الصحة، وصارت الشهادة تساوي شهادة الطبيب. وخلال سنين حدث تغيير كبير. مثلاً الأميرة منى دعمت التمريض، وأخت الدكتور عبد السلام المجالي، وبنته كل واحدة طلعت ممرضة. مثلاً التقيت مرة دولة الرئيس وصفى التل⁵، ووقّر لنا حافلة حتى نتمكن من زيارة المستشفيات البعيدة، وطلب منّا ألا ننسى كبار السن، وبالفعل عدّلنا النظام الأساسي وأدخلنا رعاية كبار السن، وأعدنا لذلك بعناية، رزنا بريطانيا وهولندا والدنمارك، وخصّصنا أرض لتأسيس دار ضيافة المسنين، بنيت على طريقة علمية، وفتحت في 1979، لاحظنا أن الإقبال على دور المسنين مرفوض مجتمعياً، يعني الأسرة أولى، لكن عندي حالياً 130 أكثرهم رجال، ومنذ الافتتاح نستقبل آلاف يضلوا عنا لآخر يوم، نرعاهم إحنا وأمانة العاصمة.

مثلاً فاجأتني نشرة الأخبار بنياً سقوط طائرة عمودية كانت تقل الملكة علياء ومعها زوجي وآخرين في طريق عودتهم من زيارة مستشفى في جنوب المملكة، اهتزت الأرض تحتي، يعني ما ممكن وصف الألم، بصعوبة لملت أشلاء، روعي ثم قررت إنني يمكن أنمالك نفسي بالعمل الشاق، وكان ذلك بدخول الجامعة كان يقف في طريقي إنني لازم أعمل توجيهي أردني، لأن معي فلسطيني، لكن قدمت طلب لمجلس عمداء كلية الطب قتلهم ألا يشفع لي أنني أسست جمعية من أجل التمريض، وأني عملت على مدار تسع سنوات لتغيير الصورة حتى التحق بكلية

4 الملكة زين الشرف هي زوجة الملك طلال، ووالده الملك الحسين.

5 بولس وصفى التل منصب رئيس الحكومة ثلاث مرات منفصلة، أولاً 1963-1962، ثم من 1965 إلى 1967، والأخيرة في آب/أغسطس 1970 حتى اغتياله في القاهرة في 28 تشرين الثاني/نوفمبر 1971.

التمريض، فوافقوا.

هكذا رجعت وبعد وفاة زوجي بسنتين⁶ طالبة في الجامعة الأردنية، درست تمريض أربع سنوات، بهدف إنني أقبل لنفسي ما أدعو إليه.

تأسيس الاتحاد مع المفتي

حين شكّلت إنعام المفتي، وزيرة الشؤون الاجتماعية، لجنة تحضيرية لتأسيس اتحاد أردني كنت واحدة من الخمس نساء اللي باللجنة. رزنا محافظات وأسست الاتحاد⁷ في 1981، وشاركنا في مؤتمرات دولية، وترأست الاتحاد في 1990. وعملنا على محو الأمية، وتثقيف النساء عبر التحدث عن أهمية الاقتراع والترشح.

حالياً انسحبت من كل إشي، حتى "الأسرة البيضاء"، لكن لا زلت رئيسة الجمعية الأردنية للتأهيل النفسي منذ اختياري لهذا المنصب في 1994.

أسستنا الجمعية في 1989 لأن كان فيه إهمال بالبلد لمن يحتاجون رعاية لتحسين صحتهم النفسية، والمجتمع الأردني يخبي مريضه النفسي. كنّا نساعد في التأهيل النفسي، نورد لمستشفيات مواد يشتغلها النزلاء، خرز وأزهار ونجارة، ثم أسستنا مركز اسمه "الصفصاف للتأهيل" وهلا صار منارة كل النزلاء تتحسن حالتهم بعد ما كانوا جاءوا في وضع سيئ. عندنا سبع مشاغل، لكن الإقبال ما زال بطيء جداً علينا.

مثلاً المرأة سابقاً كانت تعمل يا خياطة بالبيت يا معلمة، الآن وصلت للحكومة والقضاء والجيش والخدمات الطبية، المرأة في كل موقع بشكل فردي، عمل فردي لكن لا تتواجد داخل النقابات والأحزاب بشكل كبير. غير موجودة في العمل الجماعي. لدينا قيادات في الحركة النسائية، لكن كل قيادة تعمل لمصالح شخصية، قيادات تعمل فرادى. لا يوجد عمل جماعي ضاغط على الدولة والمجتمع، لذلك لا تزال النساء على الهامش.

6 بوهي الطبيب محمد البشير في 1977، إثر سقوط طائرته كانت نقل الملكة علياء في طريق العودة إلى عمان من محافظة الطفيلية.

7 قبل تأسيس هذا الاتحاد برعاية الحكومة الأردنية، كان هناك اتحاد آخر يعود تاريخ تأسيسه إلى أربعينيات القرن الماضي، وجرى حله مع فرض النظام العرفية وحل الجمعيات في الأردن 1957، ثم أعيد تأسيسه تحت اسم "الاتحاد النسائي في الأردن" في 1974، ليضم ممثلات عن كل النظميات العاملة في البلاد المعينات بعمل المرأة العام، وشكلت هيئة الاتحاد الإدارية من ممثلات عن أحزاب ونظميات منها الحزب الشيوعي، والجهتان الديمقراطية والاشعرية لتحرير فلسطين. ومع تأسيس الاتحاد الجديد في 1981، جرى حل "الاتحاد النسائي في الأردن"، وعاود ممارسه نشاطه بحكم محكمة أردنية، ويعرف الآن باسم "جمعية اتحاد المرأة الأردنية".

العراق



سرديات من العراق

آمال كاشف الغطاء
انتفاضة مريوش
بخشان زنكنة
بشرى الحكيم
سعاد الجزائري
شروق العبايجي
عامرة البلداوي
عفيفة لعبيبي
عواطف رشيد
فاتن الجراح
فريال الكليدار
لاهاي الدعيمي
منى سعيد
نرمين عثمان
نوال ناجي يوسف
هناء إدور

آمال كاشف الغطاء: من يعطي المرأة حقها في الإرث؟

آمال علي محمد رضا كاشف الغطاء، وُلدت في النجف 1944. تنتمي إلى عائلة عراقية شهيرة أدت أدوارًا سياسية ودينية. وكانت أول سيدة من هذه العائلة تؤدي أدوارًا سياسية، فقد شاركت في كتابة الدستور العراقي بعد سقوط نظام حزب البعث.

تحدثت آمال عن رفضها عقوبة الإعدام، وكذلك رغبتها في أن يكون الاهتمام بحقوق المرأة أكثر جذرية من وجودها في البرلمان، بل أشارت إلى عدم تمكين المرأة العراقية من إرثها وحقوق أخرى.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلات جرت في 12 و19 و22 تشرين الأول/أكتوبر 2022.

إرادة التعليم

انتمى إلى قبيلة يمنية نزحت إلى العراق. عائلتي لها تاريخ في النجف منذ القرن التاسع عشر، عبر شخصيات أدت أدوارًا سياسية ودينية وأدبية.

كنا ولدين وبنية، كنت في التسلسل الثانية، كنت البنت الوحيدة لحين زواج والدي على أمي وصار عندي إخوات بنات.

والدي ما كان يقبل دخولي المدرسة بعد الصف السادس الابتدائي، لأننا عائلة دينية، لذا كنا ندرس في البيت، ونقول إن "البيت هو المدرسة" والبيوت خرجت ناس عابرة.

قلت راح أدرس لوحدي، أحط الكتاب، وأقول اللي سوى هذا الكتاب مو أذكرني مني، إذا يجب أن أعرف شو هذا الكتاب، صارت عندي طريقة للدراسة وحدي، أقرأ لوحدي، اتعلم لوحدي.

في 1959 تزوجت من نفس عائلتي، زوجي لم يكن من رجال الدين، بل تاجر كبير ومثقف جدًا وقارئ بشكل، عنده شخصية من حديد، مش شخصية هشة. شوفت السينما لما تزوجت. اختلفت الأمور مع الزواج سافرت إلى بغداد، وقمنا بجولة بدأت بلبنان ومنها إلى لندن بالسيارة. جولة جميلة جدًا، شوفت العالم. ثم صار عندي طفل وعمري 15 سنة، اسمه فاتح كاشف الغطاء، أمي وخالتي ربوه، مو أبي.

لكن خالتي، وهي قوية الشخصية، قالت: "لا تحرم آمال، حرام عليك تحرمها"، وامتنعت خارجي ثالث بكالوريا، والمشكلة كانت البكالوريا في كربلاء. كانت خالتي تؤدبني وترجعني. بالطريق لما كنا نقف نأكل خبز الشعير، إحدى المدرسات موجودة، أتذكر مدرسة اللغة العربية، قالت لي: "جيت لك أصعب الأسئلة، وجاويتي أفضل جواب". ثم قُوبلت بصيدلة في الموصل، وطلعت من أجواء النجف المغلقة إلى الموصل حيث درست بالجامعة في 1965. ومن الكلية إلى يومنا هذا، أؤمن بالصدقة بين الرجل والمرأة. أخابر أشخاص، أسأل عنهم، زميلي أسأله وين صرت، شو أخبارك، شو مقطوعة أخبارك عنّي. زوجي يعرف إن عندي أصدقاء، ومؤمن بوجود صداقة بين الرجل والمرأة.

وفي الجامعة كان فيه اتجاهين للحركة الطلابية؛ الإخوان المسلمين، أقوياء جدًا، لا يحدثون بنية، وعندنا البعثيين، القوميين يدخلون ويأهمهم. وأصدقائنا كانوا يحدثون البنات عادي، لكنني ما كنت أعرف أنهم مع حزب البعث.

وفي الصف الثاني لما صارت انتخابات اتحاد الطلبة العام، وكان فرق الأصوات بين الإخوان والبعثيين على صوت واحد. [جولة إعادة] روحت صوت، وأنا ما أصوت للإخوان. صوت للبعثيين لأننا نشرب ونتغدى سواء الإخوان متعصبين ولا يتحدثون مع البنات، سلام ما يرضوا يسلموا.

طبعًا انتشر في الكلية إن صوت آمال كاشف الغطاء خسر الإخوان، والجماعة حقدت عليّ. بعد الانتخابات تغير سلوك الإخوان تمامًا، وبدأت العلاقات تكون ودية بينهم وبين زميلاتهم. أمّا البعثيين صاروا غير شكل، القوة غيرتهم، بدأوا ينظروا للأمور نظرة من منطلق إحنا نحكم العراق.

تخرجت في 1970، كنت كلش سعيدة. كنت أتصور نفسي أخلق بالعالي، الشيء، اللي أريده حصلت عليه، لكن جاءت الحسرة؛ حادث سيارة بطريق العودة من الموصل حيث الجامعة إلى بغداد حيث نقيم، وبالسيارة أمي وخالتي وأبني. هذا الحادث وقع عليّ مثل صاعق، سألت على ابني قالوا لي: "في المستشفى حي"، الحمد لله إنه حي.

رجعت بغداد، محملة بالحزن والأسى.

طلبت من زوجي أن نغير البيت، لأن لا أقدر أعيش في البيت اللي كنا نعيش فيه، استجاب لرغبتني، وسكنّا بيت جديد. وبدأت مرحلة جديدة؛ الاعتماد على نفسي في تربية ابني (غمره 10 سنوات وقتها) اللي كان ما يعرفني تقريبًا، لأنني كنت معتمدة على أمي وخالتي تمامًا.

أهمية إنقاذ المجتمع بعد سقوط صدام

بعد 2003، قررت التحرك إلى المناطق الفقيرة في بغداد،

انجبت إلى مدينة الصدر. أشوف العوائل، وأطلع على حالها، شنو احتياجاتها. شنو أقدر أقدم لها. حاولت جمع أموال لهذه العوائل، أن أخلي لهم مدارس، وهدفي كان لأغراض اجتماعية لا سياسية، وهذا يرجع لطبيعتي ككاتبة، تكتب عن المجتمع العراقي، ومآسيه، تحزني كان لإنسانة اجتماعية، مقتنعة إن الإصلاح يبدأ من أسفل، لازم يبدأ من الطبقات السفلى بالمجتمع، وليس من الطبقات العليا. الطبقات العليا ما أن تدخل تفرض وجهات نظرها، ومصالحها، وأفكارها.

ثم السيد محمد رضا السيستاني¹، اتصل بولدي "الشيخ فاتح" وقال له: "نريد الوالدة تدخل الجمعية الوطنية.. نرشحها". جاء لي فاتح قال لي، قلت له أه ما عندي مانع، لازم اشتغل، يجب أن أخدم، جاءتني الفرصة أن أشارك بأحداث العراق، فوجب أن أدخلها، خاصة أن عائلة كاشف الغطاء كان لها دور سياسي تاريخي، وكنت أول امرأة من العائلة تلعب دور سياسي.. هذا روح الجمعية الوطنية بناءً على ترشيح السيد السيستاني لأكون ضمن الائتلاف الشيعي. وكانت مهمة الجمعية كتابة الدستور. وخلال خمسة أشهر تركز الأمر حول كتابة مسودة دستور.

وخلال مناقشات الجمعية الوطنية، قلت بالنسبة لي العراق عربي إسلامي، أمّا الأكراد فهم بكل الدول. في رأيي العراق عربي مسلم، ويجب أن يحفظ حقوق الآخرين، لأنه مسلم. لذا انسحبت من "الجمعية الوطنية" لأنني ما أقدر التاريخ يقول إنني وقعت على دستور لا يقول إن "العراق عربي مسلم"، وأنا من بيت كاشف الغطاء، ما أقدر. وهناك نقاط أخرى كان وراء قرار، مثلاً أنا ضد الإعدام بشكل عام، ما من حق إنسان أن يقتل إنسان. بدّي ألغي هذه النزعة. إحنا جايين نصلح شعب، مو ندمر شعب، ونزيد دماره. كما طرحت أن تكون كوتا المرأة في البرلمان نسبتها 25%، لكن وقتها الائتلاف ما أيدني، لكن الآن ممكن أنراجع عن هذا الموقف، فأنا لا أقبل إعطاء كوتا للمرأة جزافاً، بل يجب أن يكون كل شيء بكفاءة، لأن مشكلة العراق هي تكديس أفراد مثل سمك السردين، كمسألة عديدة لا تخضع للكفاءة.

مثلاً لا أعتبر الإرهاب قضية سياسية، العالم كله يسونه قضية سياسية حتى يستفيدون منه، أمريكا مثلاً سوت الإرهاب قضية سياسية حتى تستفاد منه إعلامياً، لخلق عدو... معروفة هذه.

الإرهاب قضية اقتصادية واجتماعية، لا بد من معالجته على المستويات الثلاثة.

تضارب مصالح لا طائفية

حين بدأت ما عُرف بـ"الحرب الأهلية العراقية" اعتبرت أنها صراع مصالح، فأنا لا أؤمن بشيء اسمه صراع طائفي سني

شيعي. وضليت بمنطقة سكني (حي الجامعة)، منطقة مختلطة شيعية وسنية.

بالنسبة لي لا توجد طائفية في العراق، بل اللي يحصل هو تضارب مصالح. بس هما ما يرضون يشخصونها بهذا الشكل. مو طائفية، بل تضارب مصالح.

مثلاً رغم سخونة الأجواء بالحي بقيت بيتي، وفكرت إنه لا يمكن العيش بـ"الجامعة" دون وجود مصالح، لذا عملت على قيامها من أجل عودة المهجرين إلى الحي، وذلك بالتنسيق مع الأميركيين والجيش العراقي وجماعات من السنة والشيعية. مثلاً كان المسؤول الأمريكي يجي عندي أقول له نتفاهم، وبالفعل أمتنعه بضرورة المصالحة بين السنة والشيعية. قلت له ما يخدمكم بلد فيه حالة توتر. ودعت الدولة إلى تأسيس مجلس إسناد من وجهاء المنطقة، واقترحت استضافة جلسات تكوين هذا المجلس في بيتي، لكن المسؤول الأمريكي قال إنه "بيت، شو نعمل فيه اجتماعات!" قلت له أسأل عن تاريخ كاشف الغطاء، حكومات كثيرة آفت في بيوتنا، سكت هو ما حكى اسم العائلة خدمني، وكذلك وضعي المادي خدمني. واستمرت الجلسات والخلافات حتى جرت المصالحة بعد سنوات.

بعدها صار عندي هاجس لحي الجامعة، أن أعيد له النسيج الاجتماعي المفقود، لذا سويت منتدى يضم كل الأطراف. المنتدى مالتى ضمّ سنة وشيعية مع وجود المرأة والأكراد والمسيحيين كذلك. نحكي بالقضايا السياسية والدينية، وليس بالأمور الثقافية. كان ما يهمني المجتمع ومشاكله القائمة.. هكذا كنّا نلتقي مرة بالشهر، عصر الجمعة الثالثة منه ولمدة حوالي عشر سنوات.

إن سئلت إذا كان المنتدى ناجح؟ أقول لا لأنني أردت أن ينزل إلى الناس البسطاء في المناطق الفقيرة. بس إحنا ما نجحنا في هذا الأمر، بل لم نقدر على الوصول لهم. في المنتدى كان عندي حلم إننا نرجع كشعب مو كدولة، نتفاهم كشعب. وهذا المنتدى كنت أطمح إنه يكون فيه كلام بلغة الشعب.

مثلاً لو أعيد لي الخيار مرة أخرى، كنت أريد أن أكون امرأة، ما أردت أبداً أن أكون رجلاً، بل أحمد الله إنني امرأة ما أروح عسكرية [تجنيد]. لكن وضعي يختلف عن وضع باقي نساء العراق، فأنا لا أعتقد إن المرأة حصلت على أي شيء. هل حقوق المرأة أن تقعد بمجلس النواب فقط؟! حقوق المرأة غير موجودة عند الفلاحه مثلاً، أنا مو الشعب العراقي هذه الفلاحه هي شعب العراق، وهي لا تعرف عن حقوق المرأة، بل تعرف حقها في السكن، من يعطيها حق السكن، بل من يعطيها إرث العائلة؟ المرأة لا تحصل على إرثها، لأن الإرث يتفتت، ويروح منها.

1 ابن المرجع الشيعي علي السيستاني

انتفاضة مريوش: أين حقوق الأقليات الدينية في العراق؟

انتفاضة عربي مريوش، مواليد 1958، في مركز الناصرية محافظة قار العراقية.

انتفاضة هي ناشطة سياسية، التحقت بصفوف الحزب الشيوعي ما عرضها لملاحقة أمنية انتهت بصور حكم بالإعدام لكنه لم ينفذ وأُفرج عنها، لكن لم تحتمل البقاء في العراق تحت سيطرة نظام "البعث" فهربت من العراق لتعيش كلاجئة في المنفى الهولندي، وهناك، بعدما صارت لاجئة شُغلت بالعمل الحقوقي، نشطت في الشأن النسوي، ومع تأثرها بالتمييز الذي لاقته الأقلية التي تنتمي إليها نشطت في مجال الدفاع عن حقوق الأقليات الدينية، وتعمل حاليًا في اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر.

اعتمدت هذه المقابلة على مقابلتين في 11 و12 حزيران/يونيو 2020.

الهروب

كنت الثانية بين تسعة أولاد، كُنا سبع بنات وولدين.

عائلتي كانت متوازنة من ناحية العادات والتقاليد. الأب والأم ملتصقان مع العائلة في الحفاظ على الطقوس والعادات التقليدية الدينية. في العام 1963، كنت صغيرة لم أكمل أربع سنوات، كُنا جالسين نسمع القرارات في الراديو، وجرت مدهمة البيت من قبل الحرس القومي. تفتيش ورعب وإرهاب. ضربوا جدتي لعدم معرفتها بمكان عمي، وضربوا زوجة أحد الأعمام، كلهم كانوا ساكنين معانا. هذا المنظر مستحيل أنساه، لحد الآن كأنه بين عيوني.

ساهمت في الكشافة الابتدائية والمتوسطة، ومن المرحلة الثانوية دخلت اتحاد الطلبة العام، وهي منظمة ليست متباعدة للحزب الشيوعي، بل ضمن صفوفها ناس مقتنعة بهذا الفكر. وفي سن الـ18 انتميت للحزب الشيوعي، وشاركنا في إحياء مناسبات بسيطة، مثلًا يوم المرأة مثلًا تطرح طالبة مفاهيم تخص حقوق المرأة على شكل ألعاب، أو كأنها حزرة [تسأل وتجنّب]، أو نكتب عبارة ونلقها

داخل شكلاتة ونوزعها. ثم دخلت كلية إدارة واقتصاد في جامعة البصرة في 1977، والتحقّت بفريق كرة السلة، وساهمت في احتفالات الجامعة بغناء موشحات. وفي السنة الثانية اشتدت الهجمة على الحزب الشيوعي، ذهبت إلى بغداد للاختباء فترة، وفكرت ما هو الحل، كيف أبقي بدون دراسة، أهلي فكروا إنني أسافر، وبالفعل سافرت إلى بلغاريا في 1979.

درست لغة وعلومًا إنسانية لـ6 أشهر، بعدها سافرت إلى جمهورية اليمن الديمقراطي الجنوبية، وكل ذلك بتوجيهات حزبية. كان عندي مقعد في كلية الاقتصاد بجامعة عدن، ووفروا لي سكن مع عراقيات لطيفات موظفات، وأنا الطالبة الوحيدة بالسكن، احتضنوني. لكن العوز المادي أجبرني على الشغل. بعد المحاضرات أتوجه إلى المدارس الثانوية للتدريس. وبعد إكمال دراستي توجهت لسوريا في 1982، لبحث مسألة العودة للعراق، خاصة إن كان عندي قبل طلوعي من العراق علاقة حب مع ابن عمي وهو كان بالخدمة الإلزامية وموقعه بالحدود العراقية السورية. تزوجنا في 1983، وسكنّا بالموصل، وسوينا أول طفل وولد بالـ1985.

وفي 1986 قبضوا على بعض الأقارب منهم بنات عمي وأختي الكبيرة وزوجها، ورجال الأمن فتشوا الشقة بالموصل، أخذوا الذهب والهويات الشخصية وكاستات أغاني، وقبضوا عليّ وأنا حامله طفلي، وما سمحوا بحمل أي حاجة تخص الطفل. الموظف اللي موجود بدائرة أمن الموصل كان لطيف معي أنا وزوجي وطفلي، تعاطف وآننا، وقال: "قضيتكم قضية سياسية وبسيطة ولا تقلقون، إذا عندكم شيء، أعطوني إياه وأنا أخبر أهلكم". فعلاً خبر الأهل.

النُّطق بالحكم

معصبي الآعين، نقلنا إلى بغداد، ولما دخلنا دائرة الأمن سمعت صوت تصفيق وتهليل، وفرقونا، لكن فضلت حامله الطفل. وحقّق معي، كل محطات حياتي استعرضها المحقّق، بلغاريا وغيرها، "أنت بنية حلوة، صفرا حمرا، يشلون قدرتي طلعتي وروحتي هناك". لما ضربني صرخ الطفل. ولبيل تركوني بغرفة التحقيق أنا والطفل، ما كان فيه أي فراش، لكن فيه تكيف أبرد منه ما صار. غطيت الطفل بثوبي. استمر التحقيق أيام، ثم خلّوني أخاير أقاربي، حددوا من عليّ مخابراته. "خابري بيت خالك"، وبالفعل أخذوا الطفل مني. بعدها جُمّ المغرب ولبسوني بيجامة، شدوا رجليهم من جوه، وعصبوا عيوني، وودوني غرفة، إيدي لوراء مشدودة، وبدأوا يعلقوا، "تحبي تكوني شهيدة وينذكر اسمك بالمانشيت العريض بالأحمر

بالجريدة". وبدأوا الضرب على الرجلين لحد ما الدم طلع، وبعدين بالعصا الكهربائية، اللي أنقذني في تلك الليلة إن العصا عطلت. والضَّيح خلوني أشوف أختي، وفكرنا كيف نتصرف، قلت لهم حاكمونا، وبعد ما بقينا من الشهر الثامن إلى أول شهر بـ1987، روحنا المحكمة. وقفنا كل المحبوسين من العائلة في قفص الاتهام، جايين مدعي عام ومحامي، والحكم بالإعدام شتفا، لَمَّا سمعت الحكم كنت في حالة ذهول، ما هو العمل اللي قمنا به حتى نحصل على هذا الحكم. مجرد مناشير وزعتها في محلات في بغداد ضد الحرب وتحفز الشعب على السلام والعيش بأمان.

وبعد مغادرة المحكمة أحد الأقارب، ابن خال أمي قال: "لا تخافون، راح يكون فيه استئناف، وهناك النظر بالقضية".

النجاة من الإعدام

أخذوا الشباب إلى سجن أبو غريب، وإحنا ودونا لسجن الرشاد، الحارس اللي جالس بالباب الصغير الخارجي يسأل "ما هي تهمةك؟" حتى يعرف أي قسم نتوجه، قلت التهمة الشيوعية، قال: "اعوذ بالله، حتى العاهرات أحسن". توجهنا إلى قسم القضايا السياسية، لأن كان فيه أقسام منها قضايا الجنس، وتوجهنا إلى قسم القضايا السياسية، وفيه نوعين من العقوبات؛ مؤبد وإعدام. المحكومات بالمؤبد عندهن حرية التحرك داخل هذا القسم للمطبخ أو الحمام. لكن المحكومات بالإعدام في غرفة مقفلة، الحكم لم ينفذ، عدت شهور، من أول 1987 حتى الشهر السادس، وهذا شيء أعطانا بارقة أمل، لأنه عادة ينفذ بعد 40 يوم أو قبلها. وسمعتنا أخبار عن الإفراج عن شيوعيين أكراد، وآخرين مسيحيين، وكذلك وصلنا إن فيه تدخل من الاتحاد السوفيتي للتخفيف على الشيوعيين العراقيين حتى يقدم سلاح للحكومة العراقية، ثم أفرج عنا في الشهر الثامن تقريباً من 1987. ما أعرف إن كان عفو خاص لأننا شيوعيات، أم لأن الكثير من شباب عائلتنا استشهد في الحرب مع إيران، أو لأنها تبرعت بذهب للحكومة العراقية.

كلبشونا، أختي قالت: "ليش كلبشونا؟" قال مسؤول السجينات: "أنتم في مسؤوليتنا، ترمون أنفسكم وإحنا نتهم". روحنا على دائرة الأمن نفسها، شوفنا زوجي وزوج أختي وأقاربنا كان أفرج عنهم بنفس الوقت.

حاولنا بقدر المستطاع أن نعيش حياتنا الطبيعية، لكن زوجي نُقل للصفوف الأمامية بالقتال، والأهل ساكنين في الجنوب. نقلنا إلى الناصرية بجوار الأهل، وقضينا تقريباً سنة، بعد ما وقفت الحرب فكرت إن ابني راح يدخل

الروضة، أنا أريد أن أنقل إلى بغداد، ما أحب أن يكون بهذه المدارس. أكو فرق بصراحة بين العاصمة والمحافظات الأخرى، وخصوصاً الجنوبية منها.. وهكذا نقلنا لبغداد، وكان زوجي خلص الخدمة العسكرية. طبعا ما له حق يتعين، بل وأنا لذلك، لا تقدر نشغل، لنا شهادة بس ما تقدر نشغل لأن الدولة لا تشغل غير منضمين إلى "البعث". زوجي اشتغل مع إخوانه بصياغة الذهب، هكذا حكمت ظروف العراق. وتعرضنا لمضايقات ومراقبة، وقت ولادة طفلنا الثاني وجدتهم موجودين بالمستشفى للمراقبة. وجم يباركوا لي على الولادة.

بعد غزو الكويت القصف أكثره كان على بغداد، روجت سكنت عند شقيق زوجي في شهربان (ديالى)، ما بها قصف، وزوجي كانوا ودوه الجبهة. وأهلي بسبب انتفاضة آذار¹ ما قدروا يرجعوا الناصرية، نقلناهم بغداد.

وفي 1992 قبضوا على زوجي استفسرت من مسؤول بالأمن عن السبب، فقال لي: "لا تخافين ما أكو سبب سياسي، وإن شاء الله يرجع". ثم اتضح أنه قبض عليه مكان أخوه الكبير، هي قضية تخص التجارة.

الولد الأكبر خلص المرحلة الابتدائية، وصار لازم ينضم إلى الطلائع والاتحاد الوطني تبع "البعث"، وجاء الطفل الثالث 1995، والحصار² ضيق الحياة وما كنا تقدر نبقى، تحركنا إلى كردستان خفية في 1997، ومنها إلى تركيا، وبعدين بالشاحنة الكبيرة إلى أن وصلنا إلى هولندا. وقدمنا على اللجوء.

ثاني يوم نقلنا إلى مركز اللجوء، كانوا مجهزين لنا شقة لطيفة، صحيح هي كرفان أرضي، بس له "هول" ومطبخ والأكل على حسابهم 3 مرات يومياً. ثم جاءت لنا إقامة دائمة لأسباب سياسية. مشي الحال، الأطفال بالمدرسة، وإحنا نتعلم اللغة، ونستعيد الحياة الطبيعية، بس بدأنا صعوبات ومسؤوليات جديدة.

ورغم إن عندي راتب وضمن اجتماعي كما حال المواطنين الهولنديين غير العاملين، دخلت كثير من الدورات تخص

1 عرفت باسم الانتفاضة الشيعانية نسبة إلى الشهر الهجري شعبان الذي شهد اندلاعها في جنوب العراق وشماله، وهو الشهر الذي وافق آذار/مارس 1991، بعد أحداث حرب الخليج الثانية الثالثة لغزو نظام صدام حسين للكويت، وانسحاب الجيش العراقي من الأخيرة بعد هزيمته من التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة. تحركت الاحتجاجات بعد فقد سيطرته النظام على المحافظات، وبدأت جنوباً بالناصرية، وشملت العديد من المحافظات العراقية خاصة تلك الواقعة في المناطق ذات الأغلبية الكردية. حاصر محيدو الانتفاضة المعسكرات وطالبوا بإسقاط النظام. استمرت الانتفاضة لحوالي أسبوعين. ثم استخدم الجيش سلاحه لحد الانتفاضة، وكان من نتائج تلك الانتفاضة منح أهليهم كردستان الحكم الذاتي في ما بعد.

2 أصدر مجلس الأمن القرار 661 في آب/أغسطس 1990 بفرض عقوبات سياسية على العراق لإرغامه على سحب موانئه من الكويت. وشملت العقوبات حظراً اقتصادياً كاملاً باستثناء المواد الطبية والغذائية

المناسبة والشؤون الإدارية عسى أحصل على عمل.

مسيحتًا، أو ما إلى ذلك.

اكتشاف النسوية في المنفى

وأخيرًا تعرفت على عراقيات بجمعية النساء العراقيات، وشاركت معهن بالمظاهرات ضد نظام صدام في 1998، وبعدها انتميت للجمعية صرت إدارية وعندي مسؤولية مراجعة قضايا رسمية تخص الجمعية بالدوائر الرسمية الهولندية. وشكلنا اتحاد تنظيمي نسميه "اتحاد الجمعيات الديمقراطية العراقية في هولندا" ضمّ كل الجمعيات، ليس فقط النسوية، هناك جمعيات أخرى للفن والإعلام الخاصة، يكتب نظام داخلي يصادق عليه من قبل كاتب العدل، ويكون هذا الاتحاد مُسجل في غرفة التجارة، ما يسمح بأن يكون عملنا كجمعيات ضمن الاتحاد له طبيعة رسمية.

وكذلك كنّا كجمعية النساء العراقيات بهولندا على اتصال بقيادات رابطة المرأة العراقية بالخارج، وعلى مدار سنوات شاركنا في لجنة تنسيق الخارج للرابطة والتي ضمت نساء من هولندا وبريطانيا والدنمارك وألمانيا والسويد. وساعدنا الرابطة حتى نظمت مؤتمرها في بغداد.

حقوق المندائيين

بالمناسبة لم أكن عضوة بالرابطة وأنا موجودة بالعراق، بل ما كان عندي وجود بالعمل النسوي داخل العراق، لكن عملت في الخارج وبشكل غير مباشر من خلال جمعية النساء العراقيات، اعتبر نفسي من الناشطات الحديثات بالحركة النسوية، ولم أزر العراق بعد سقوط نظام صدام، إلا لحضور مؤتمرات منها واحد خاص باتباع المذاهب والأقليات الدينية بـ 2012. كما شاركت في مساعدة النازحات والنازحين بأربيل بعد أحداث داعش، وما قبل ذلك من اضطهاد أو تمييز للأقليات دينية مثل المندائيين الذين أنتمي إليهم. فقد ظهر بعد 2003 تمييز واضح ضد المندائيين بتأثير الجماعات المسلحة وغياب القانون والأمن. خُطفت نساء وغُذبت واغتُصبت أخريات وجميعهنّ مندائيات، وكانت هناك دعوات للدخول إلى الدين الإسلامي، دعوة جماعية من محافظات مثل الرمادي. وأسسنا جمعية حقوق الإنسان المندائي. ونسقنا مع الناشطين في الشأن المندائي من النساء والرجال بأمريكا وأستراليا وأوروبا ومع الجمعيات المندائية بدول عربية مثل سوريا والأردن، وكل سنة نعدّ تقريرًا كاملًا عن كل الاضطهادات والانتهاكات التي حصلت للمندائيات والمندائيين داخل العراق، ويقدم هذا التقرير إلى الأمم المتحدة والبرلمان الأوروبي ومجلس الشيوخ الأمريكي، وهناك تعاطف مع القضية، لكن يجب أن تقوم الحكومة العراقية بدورها، ولا بد من تعديل الدستور حتى ينال كل إنسان حقوقه بدون النظر إلى كونه مندائيًا أو مسلمًا أو

مثلًا هناك كثير من الحالات بحاجة إلى العيش خارج العراق لأنهم فقدوا العمل أو حريتهم، ما باستطاعتهم أن يعيشون في داخل العراق، رغم إنني ضد هذا التوجه، لكن مجبرين عليه، لذلك ساعدنا كثير من العوائل بالحصول على موافقة أن يستوطنوا بلداً آخر.

بخشان زنكنة: النسوية يجب ألا تكون ضيقة الأفق

الشارع وازدحام ومسيرات وصور، من الصور التي مرفوعة
التي انذكرها صورة جمال عبد الناصر. وسمعت حديث عن
"يقتلون الملك الصغير"³، ما خطيته حتى يقتلوه.

في انتظار سلال

مع أحداث انقلاب شباط 1963⁴ كنا نسمع يومياً إن فلان
استشهد، وفي السليمانية طلعت مسيرة ضد الانقلاب
وطلعنا وياها.

والذي اعتقل، وعمي كان شاب صغير والحزب الشيوعي
سوى فصيل اسمه "الفرع العاشر"، وشكلت قوات يسار
(مع الحزب الديمقراطي الكردستاني) وعمي راح انضم
لها واستشهد. سمعنا خبر استشهاده بس ما حدا قال
وين، قالوا مرقوا أجسادهم، هيك ودوهم، هيك جابوهم،
سحلوا في الشارع. له بنت توفت ولاحر لحظة وهي تنتظر
عودته، ما صدقت غيابه، إذا دق أحد باب بيتهم ما تخلي
حدي يروح يفتح، تفكر إنه يمكن يكون جاء سلال، عمي
كان اسمه سلال!

في هذه الفترة، انخرطت في "الشيوعي العراقي"، ولكنه
انتماء عاطفي، هذه التي حدد مسار حياتي الشخصية
والعملية والعامة وكل شيء. حتى اختياري لدراسة الفيزياء
في جامعة بغداد. وصرت عضوة في سكرتارية اتحاد
الطلبة، بنهاية الستينات. وقبل التخرج كان عندي علاقات
في رابطة المرأة العراقية⁵. وتعرفت على دكتورة نزيهة⁶
كانت عضوة في الحزب الشيوعي ورئيسة الرابطة، وخلال
أنشطة الرابطة ما كانوا يتعاملون وينا كطالبات وصغار،
مثلاً شاركنا مع عضوات الرابطة في مناقشات حول تعديل
قانون الأحوال الشخصية الصادر في 1959، بعد تعديله
من قبل انقلابي 1963 وعملوا تعديلات مو لصالح المرأة
في مجال العمل وتعدد الزوجات، وهذه المناقشات عقلت
زي ما يقولوا الوعي الجندري. قدموا المشروع للسكرتارية
ولكن للأسف ما رضوا به. وبعد التخرج استلمت مسؤولية
تنظيم الطالبات في الحزب، وبالمناسبة هو تنظيم سري.

3 الملك الصغير هو فيصل الثاني وكان عمره حوالي 23 عاماً، وقيل
جاء انقلاب عسكري أطاح في 1958 بحكم المملكة العراقية الهاشمية،
التي أسست تحت الرعاية البريطانية، وأعلن قيام الجمهورية العراقية. ماد
الانقلاب ما عرف بـ "الضباط الأحرار". ومنهم عبد الكريم قاسم وعبد السلام
عارف، وبولي الأول الحكم. وبعد سنوات انقلب عليه الأخير ومثل وهو ما
عرف بـ "انقلاب 1963".

4 انقلاب عسكري على حكم عبد الكريم قاسم مادة المومون والعشون.

5 تأسست الرابطة في بغداد في 1952 (تحت اسم رابطة الدفاع عن
حقوق المرأة العراقية)، ثم قبلت ضمن اتحاد النساء العالمي بعد عام من
تأسيسها. رغم ذلك لم تقبل السلطات العراقية الرابطة إدارياً "لمعتنقيات
المصلحة العامة"، وعملت كرابطة سرية، وحظر نشاطها مع انقلاب 1963،
وبعد ذلك مدمت الرابطة أوراق اعتمادها أكثر من مرة.

6 نزيهة الدليمي طبيبة من رائدات الحركة النسوية العراقية، عضوة في
الحزب الشيوعي من 1948، أسست مع أخريات رابطة المرأة العراقية

بخشان عبد الله حسين زنكنة، مواليد 1947. ناشطة
سياسية ونسوية، انتمت للحزب الشيوعي العراقي،
جرت ملاحقتها أمنياً، وهربت وعاشت سنوات طويلة
في جبال كردستان مع حركة الأنصار المنتمية للحزب
وقوات البشمركة الكردية.

تتحدث بخشان عن بعض الآثار السلبية للانتماء
السياسي على الحركة النسوية، وقد اعتمدت هذه
الشهادة على مقابلات جرت في شهري نيسان/أبريل
وحزيران/يونيو 2020.

سر المرمز!

أمي اسمها نائلة قادر زنكنة، من نفس العائلة هي وأبويها،
وهو كان منتمي للحزب الشيوعي، أكثر القضايا التي عندنا
في البيت كانت "ثورة تموز"، وأجواء بيتنا لها علاقة
بالفكر اليساري الماركسي ومجلات سوفيتية وصينية
أشكال وألوان. وكان فيه جريدة والذي يجيها يوم الخميس
اسمها "جين" بالكردية، معنى اسمها: "حياة"، وصفحتها
الأخيرة بها عمود "مع الأطفال". بالمناسبة لم أدرس كردي،
بل دراستي بالعربي، لأنه من طفولتي كانت بالبصرة ومن
ما رجعنا السليمانية وعمري 8، وبسبب دراستي سنتين
ثلاثة عربي كملت دراسة عربي.

كان بيت جدي قديم وتصميمه شرقي وعنده صخرة رخام
يسموها مرمز، جميلة، بيضة، ثقيلة، كنا نقعد نلعب عليها.
وفي ثورة تموز اكتشفنا سر المرمز! كان جواها محفور
ومخباة كتب وأوراق ومعلومات بالكردي وصور مصطفى
البارزاني⁷. واكتشفت إن أبويها عضو حزب شيوعي.

في السليمانية في حمام عام يروحه، كان عندي عمّة
قالت لي "أوديكى للحمام اليوم"، فروحنا وياها. طلعنا في

1 يقصد بها إعلان الجمهورية العراقية في 14 تموز (يوليو) 1958.

2 زعيم كردي وقبائلي، أسس الحزب الديمقراطي الكردستاني في 1946.
وفي 1970 توصل إلى اتفاق حكم داني للأكراد بموجب اتفاق مع الحكومة
العراقية، توهم على أثره المال، لكن ذلك الاتفاق لم يضمن أكثر من أربع
سنوات.

1978 صار توتر سياسي بين الحزبين الشيوعي والبعث في الجبهة، فكرنا إن عندنا طفلة عمرها شهور ونريد الاختفاء، أو قد نتعرض للملاحقة.. وهكذا صار زوجي في مكان، وأنا بالبيت ومعني الطفلة. ثم شعرت أنهم وصلوا لبيتنا، فوديت الطفلة لأهلي. لما رجعت قرب البيت، كانت سيارات الأمن موجودة بشكل علني مستقر بالمنطقة، تتواجد وتراقب علانية.

غادرت المنطقة وبقيت مختفية فترة في السليمانية، وبعدين كركوك، وكل أسبوع يصلني خبر إنني سألتقي زوجي ببغداد، وما اشوفه. البيوت اللي يتردد عليها مشغولة، يقولون طلع، وما أعرف مكانه. وبعد أربع محاولات، روجت لقيته وفهمت منه إن لقاءنا صعب، ساعتين ثلاثة شوفته. وظليت في حالة التنقل والاختباء في بيوت آمنة محسوبة على الحزب، مع صعود الجبل لفترات، منها فترة كان زوجي معي بنفس الخيمة بالجبل، وذلك وسط القتال بين الجيشين العراقي والإيراني في حربهما⁹.

عشت وضع صعب، مثلاً بنتي كانت ترضع، قسم من عندي وقسم من الحليب. ولمدة أربع سنين ظل الحليب يتسرب مني ويبلل قميصي. لكن ما كان ممكن غير هذا الطريق، ليست بطولة لكن ما كان فيه بديل له. كنت مستعدة إن كل شيء يسوى لي حتى لا أقع في يد نظام البعث.

تدرت وحملت السلاح، ولكن لم أشارك في قتال. صابرة في مواقع قتال يعني صارت قذيفتين، ولكن ما صادف ولا مرة أن أكون ضمن المقاومة. اشتغلت في شؤون إعلامية وتنظيمية.

عدم مواجهة الجيش العراقي

سياسة "الشيوعي" في الحرب العراقية الإيرانية كانت مع إيقاف الحرب وإسقاط الديكتاتورية. أصدقائنا وحلفاؤنا من القوى الأخرى، كانوا فرحانين بالحرب إنها تعني سقوط النظام، وكانوا يجادلونا على هذا الشعار؛ "إيقاف الحرب وإسقاط الديكتاتورية".

وخلال الحرب اضطررنا لترك موقعنا أكثر من مرة بالجبل لأنها تصير مواقع حرب، وإحنا ما كنا نشترك أو نواجه الجيش العراقي. ننتقل وقت ما يصير موقع ومكان القتال. لكن مع إيقاف القتال في 1988 جرى قصف كيماوي على مقرتنا، وكانت المقرات مثقلة بناس مو مقاتلين، ناس فروا من الظلم والاضطهاد والملاحقة. والموت الكيماوي من الطرق البشعة. صار تكثيف الهجوم من قبل قوات الجيش والمرتزقة كانوا يسمون "الجحوش" يعني قوات كردية مرتزقة مع نظام "البعث"، ودول كانوا أخطر لأنهم

9 الحرب العراقية الإيرانية 1980-1988.

كنت متخصصة للبقاء في بغداد مجالاً للتحرر والفكر والثقافة والسياسة. بل علقت روحياً بهذه المدينة، وهذا بالنسبة لكل جيلنا. ولكن لظروف عائلية لم أبق، كان غير مفهوم بالنسبة لهم "لماذا تخرجين؟ ليش ما تيجي للسليمانية؟" وهكذا عدت لبيت أهلي، وتواصل العمل من السليمانية مع الحزب وارتبطت بحركة نقابة المعلمين، ارتباطي صار بـ "اتحاد الشبيبة" ورابطة المرأة أكثر، وسوينا رابطة المرأة في إقليم كردستان، كان لها خصوصية لأهمية وضع كردستان في ذلك الوقت. وعملت بالصحافة بجريدة تصدر عن اتحاد معلمي كردستان، في الفترة من 1971-1972.

وبعد إعلان الجبهة بقيادة "البعث" مع حزبي "الشيوعي" و"الديمقراطي الكردستاني"، صار توتر بين الأخير والحزب الحاكم، اللي أدى لتجدد القتال في 1974، ما أثر على شعبية "الشيوعي" في السليمانية لأنها مدينة كردية يمكن من أكثر مدن إقليم كردستان اللي عندها طابع كردي كامل، لأن أربيل مثلاً فيها عرب. كان الصراع كبير، مجموعة منازاة لهذا الطرف وأخرى منازاة للطرف الآخر، بل أهلي وناسي وأقاربي التحقوا بالجملة بالحركة المسلحة.

سنوات الهروب الطويل

في 1975 فور اتفاقية الجزائر، الحركة الكردية انضمت ضربة قاسمة، إيران تطلت، والمجتمع الدولي تخلص. الناس اللي كانوا رايعين ملتحقين بالجبل أو إيران رجعوا، كانت فترة مزعجة. لكنها شهدت لقاءني بالشخص اللي صار زوجي، غمر علي الشيخ، من الشخصيات البارزة كانت في الحزب الشيوعي. قضى 10 سنين بالسجن، وطلع وبث ثورة تموز. التقيت برجال كثيرين لكن ولا واحد منهم كان ينظر إلى قضية المرأة بعمق مثل غمر. كان يصح لي بعض الأمور ويقول لي: "أين المساواة بين المرأة والرجل؟" وإنساني بشكل رغم إنه قليل الحديث، كنت في لجنة منظمة إقليم كردستان، اللي هي لجنة قيادية في هذا التنظيم الكردستاني، وهو عنده صلاحيات في إطار الحزب الشيوعي؛ مسؤول تنظيمات الإقليم. لكن أواخر

7 بولى حزب البعث الحكم في العراق في 1968، وبعدها بسنوات أعلن ورمة حول العمل الوطني. وحوار معه بشأنها "الشيوعي" وهو ما أفضى إلى تشكيل جبهة في 1973 ضمت "النوري الكردستاني"، وبعض المستقلين. استمر عمل الجبهة حتى دعوته ممثلي "الشيوعي" في اللجنة المركزية في 1978 لانتخاب جمعية تأسيسية تضع دستوراً دائماً للبلاد. وهو ما عارضه "البعث"، ثم بوالته حملة أمنية استهدفت أعضاء وقيادات الحزب الذي كان حليفاً للحاكم ولا يزال.

8 انقاضه برعاية الرئيس الجزائري هواري بومدين، وقعت بين نظامي حكمي العراق وإيران، براسها وقفها الشاه محمد رضا بهلوي ميل الثورة الإسلامية. يعترف هذه الاتفاقية بالحدود بين الحارين بأنها نقطة محددة في منطقة شط العرب وهي "خط العفر"، وهو ما يعد تراجعاً عن موقف عراقي سابق بأن كل منطقة شط العرب ضمن حدود العراق، واعتبر ذلك محاولة من النظام العراقي لخدماء الصراع المسلح مع الكرد الذين كان نظام الشاه يدعمهم.

أفراد ويندلون المنطقة لسهولة تعاملهم مع الجبل، اضطررنا بتباعد عن المقرات، خاصة أننا كحزب بالنسبة لإيران غير مقبول، لكن عن طريق الأحزاب الكردية التي كانت تتعامل مع طهران قدرنا تنتقل، مثلاً التي كانت مقراتهم قريبة من تركيا راحوا إلى هناك، أو قسم دخلوا إلى المدن العراقية سراً (مناطق كردستان)، وفيه قسم بالحدود الإيرانية. فترة صعبة، تمشين أيام وليالي، وحالة مو طبيعية، نفسياً ومعنوياً. خاصة أن مقرنا كان مثقل بعناصر مو مقاتلة، ما يؤشرون على الجهوزية القتالية، وعندنا مرضى، اضطررنا، وكُنّا حوالي 20 امرأة واحدة مَنّا حامل، للجوء إلى قرية على الحدود الإيرانية، بس تصوير داخل إيران اسمها راشان.

قيادة الحزب متفكة ويا ناس هناك ومعطينهم فلوس أول وصولنا للحدود نغير ملابسنا في خيمة رعاة، كانت الملابس مشققة لكن فلنا ما مشكلة. وبقي لي شروال نسائي، شروال كردي طويل وقلت مو مشكلة، ونزلنا إلى قرية راشان كان بها مقر للحزب الديمقراطي الكردستاني، المكتب السياسي كان هناك، وكان فيه اتفاق أنهم يوصلونا إلى مدن إيرانية محددة. بَلّشنا بمناقشة فكرة "إيقاف الحرب وإسقاط الديكتاتورية" كل واحد تحدث من منطلقه السياسي "أنتوا أردتوا إيقاف الحرب، وهذه نتيجة إيقافها" والمقصود الهجوم اللي اكتسح المقرات، لأن الجيش العراقي تفرغ لهذا الهجوم.

توزعنا بيوت في مدن إيرانية فترة ورجعنا العراق بعد غزو الكويت.

مثلاً في آذار/مارس 1990، وصلت السليمانية، روت بيت أهلي في السر ليلاً. كانت مينة أجواء الفلتان الأمني. وبعدها اكتسحت الجماهير مقرات البعث ودوائر الأمن.

في بداية 1993 فكرنا بوصفنا شيوعيين أكراد يكون عندنا حزب، وذلك قبل المؤتمر الوطني الخامس للحزب الشيوعي العراقي. وكانت نقاشات تدور بين رفض ذلك وقبوله، ثم أقرت قيادة الحزب الشيوعي العراقي وجود "حزب شيوعي كردستاني" له صلاحيات، كأنه حزين في إطار بعض، والحزب الكردستاني يعتمد المنطلقات الفكرية لـ "العراقي". فصار المؤتمر في حزيران/يونيو 1993، وأقر هذا المؤتمر تشكيل الحزب الشيوعي الكردستاني.

ضليت فترة بالسليمانية، اشتغلت مع "الشيوعي الكردستاني" ثم سافرت ألمانيا بسبب دراسة ابتني هناك، ومع سقوط النظام رجعت السليمانية.

طبعاً في هذه الفترة لم تكن هناك منظمات جماهيرية حقيقية موجودة غير "رابطة المرأة العراقية" وجمعية

الأمل¹⁰، وكرايطية شاركت في اجتماعات ولقاءات، وصارت عندنا مطالب في ما يتعلق بحقوق المرأة، وموقعها في المؤسسات الجديدة التي راح تبني ما يتطلب تمييز إيجابي لها لأنه بالنظر للوضع الذي كان فيه العراق، والمرأة بالشكل العام، من الصعب دخولها المجالس المنتخبة أو المؤسسات. وتحركنا على أساس قرارات الأمم المتحدة وقدمنا مطالبنا إلى مجلس الحكم. لكن ما طلعنا بنتيجة ملموسة. ثم صارت لجنة تحضيرية على مستوى العراق تمهيداً لمؤتمر وطني عراقي يشترك به حوالي ألف واحد ممثلين عن المحافظات كلها وكردستان. وكنت في اللجنة التحضيرية التي كان رئيسها فؤاد معصوم، رئيس الجمهورية السابق، وقُسمت هذه اللجنة لثلاثة أقسام؛ سياسي وبرنامجي، ونظام داخلي، على ما أتذكر. وكنت عضوة بالأولى. لكن المسألة لم تكن سهلة، وجرى الاتفاق أن يكون العدد 100 وليس ألفاً.

وهكذا في 2004، صار المجلس الوطني، وبعد عام انتُخبت الجمعية الوطنية التي يفترض أنها تقدم الدستور للاستفتاء العام.

نسوية ضيقة الأفق

في انتخابات برلمان كردستان 2005 رُشحت ضمن قائمة موحدة لعدد من الأحزاب، وفاز الحزب الشيوعي الكردستاني بثلاثة مقاعد؛ أنا وشابين. واختُرت رئيسة لجنة المرأة، مع عضويتي بلجنة أخرى هي الإدارة والمالية، لأنه يحق لعضو البرلمان أن يكون في لجنيتين. اشتغلنا على تعديلات لصالح حقوق المرأة الكردستانية لأنه يحق للإقليم أن يسن قوانين بما يتلاءم مع وضعه ودون تعارض ذلك مع الدستور.

الحركة النسائية للأسف الشديد تأثرت مو بالقضايا السياسية، وإنما بالحزبية الضيقة، لأن هذه الحركة حكمتها السياسة. مثلاً رابطة المرأة اجنا كبرنا فيها، دخلنا فيها وشينا وكبرنا، لكن للأسف هي متأثرة بالجوانب الحزبية الضيقة، وللأسف الطائفية أيضاً، وهذا كله مو بمعزل هذه الأفكار الشعبوية التي أخذت تسود العالم. وكل هذا أثر على عموم الحركة الجماهيرية المدنية والنقابية، لا توجد نقابات تشغل بحرية وتغير عن طموحات ومصالح منتسبيها، بل تنظر النقابات بقصر نظر وضيق أفق لهذه الأمور، ويعين سياسية حزبية ضيقة.

10 جمعيته الأمل العراقية تأسست في 1992 بهدف توفير العون للعراسين بعد تردي أوضاع البلاد اقتصادياً في أعقاب حرب الخليج الثانية (غزو الكويت 1991)، عملت الجمعية في كردستان في بدايتها، وبعد سقوط نظام حزب البعث بقيادة صدام حسين أسست فرع بغداد في آذار/مارس 2003.

بشرى الحكيم: القوانين لا تحرم المرأة العراقية

بشرى هادي حسن الحكيم، مواليد كربلاء، 1949. معلمة أحياء ويسارية، مشغولة بالعمل النسوي، أسست مع أخريات جمعية نسوية في هولندا، كما شاركت في عملية إحياء رابطة المرأة العراقية التي انطلقت في المنفى حتى عادت لنشاطها داخل العراق.

تعتبر بشرى أنَّ القوانين العراقية لا تزال بحاجة إلى جهود كبيرة لتكون في خدمة المرأة، ونسبة الكوتا النسائية التي تصل إلى 25% لم تحقق المطلوب. اعتمدت هذه الشهادة على مقابلتين في 7 و9 حزيران/يونيو 2020.

"فيتامين واو"

كنتُ الثانية في عائلة من سبعة أولاد، قبلي أخت وبُعدي ولدان وثلاث بنات. ما كانت فيه جامعات إلا بالموصل والبصرة وبغداد، وفي كربلاء لا تسمح أغلب العوائل لبناتها بدخول الجامعة، لكن كل بنت في عائلتنا سمح لها تتغرب حتى تدرس ببغداد. بصراحة، تشجيع الوالد والوالدة لنا كان مصدر اعتزازي، وقناعتهما بأنّ تحرر المرأة الاجتماعي مربوط بتحررها الاقتصادي، الأسرة وفرت لنا كبنات مورداً مادياً حتى لا نحتاج لرجل/زوج. أمي مثلاً كانت تقول لي دائماً: "لو أهلي خلوني أروح المدرسة، كنت درست بالجامعة". كانت تجيب اللوم على عائلتها، كأنها أرادت تحقيق طموحها من خلالنا.

في 1968-1969 التحقت بقسم علوم الحياة في كلية البنات في بغداد، والتحقت بصفوف اتحاد الطلبة، وكان قوياً، وفيه خبرة الطالبات. حصلت على موقع قيادي في الاتحاد؛ عضوة مكتب طالبات جامعة بغداد، كنت مسؤولة عن كليات البنات والعلوم والتربية.

في هذه الفترة حزب "البعث" شكّل اتحاداً وطنياً، غير اتحاد الطلبة العام الذي كنت قيادية به، واتحادنا لم يكن تابعا للحزب الشيوعي السري، وليس كل من هو عضو بال"طلبة العام" هو عضو في الحزب، بل بعضهم. أمّا كل طالب بعثي يلتحق بـ"الوطني". في نهاية الصف

الأول صرت بالحزب الشيوعي، وكُنّا نسوي أنشطة سرية حتى تخرجت في الجامعة 1972، وكُنْتُ الثانية على الفرقة، ولي حق التقديم على الماجستير، وبالتسجيل سألوني "عندك فيتامين و؟" والمقصود بالواو السؤال إن كان عندي "واسطة". وطبعاً، لم يكن عندي هذا "الفيتامين"، لا قبلوني أو قالوا أي شيء.

بعد الجامعة حاولت أكون في بغداد، لأن كل ارتباطاتي فيها. وعملت بالحزب وكُنْتُ مقيمة ببيت جدي، وسجلت اسمي في مكتب الشابات برابطة المرأة العراقية، ومع إعلان الجبهة صارت حركتنا أسهل. وسافرت للدراسة في معهد العلوم الاجتماعية بالاتحاد السوفيتي، تنوعت الدراسة بين الفلسفة والاقتصاد والتاريخ، وخلال تلك الفترة عايشت تجربة عالمية، أوسع من "الشيوعي العراقي"، تعاملت مع تجارب رفاق ورفيقات من الهند وسويسرا والنمسا وأمريكا اللاتينية ودول عربية. وفي 1974 رجعت العراق، قدمت محاضرات بمقر الحزب في كربلاء للرفاق والرفيقات حول استيعاب النظرية الماركسية والاقتصاد. غير عملي بالتدريس للطالبات في المدارس، وصرت ممثلة الحزب في نقابة المعلمين بكربلاء.

نيران صديقة

ورغم قيام جبهة تضم "الشيوعي" والحزب الحاكم، حدثت تجاوزات بحق بعض الرفاق، واعتقالات قصيرة يجوز ساعات أو يوم. وحين تُناقش هذه التجاوزات في الجبهة يُقال لنا أنها "أشياء فردية، مو منهج ضد الرفاق بالحزب الشيوعي". لكنه بالحقيقة هو نهج، وإن كان غير موجه ضد القيادات بل على مستوى القواعد أو أصدقاء الحزب.

على المستوى الشخصي في 1977، تحوّلت من مُدرسة أحياء لموظفة في شعبة المختبرات، يعني مُنعت من التدريس، وأصبح عملي توريد كل أدوات المختبرات لكل مدارس المحافظة من بغداد، وبلغت عن فساد إداري، راحوا طلعوني من الدائرة رأساً، وبقيت مديرة مركز العلوم

1. رابطة المرأة العراقية أسست في 1952، وعقدت أول مؤتمراتها بعد التأسيس بعامين، والغلب إدارتها (أي أن يكون نشاطها مانوبيا) بعد انقلاب 1963، لكنها عادت لنشاطها 1966-1976، وقدمت طلباً لوزارة الداخلية لاجازتها (الحصول على ترخيص) لكنه رفض. وفي العام 1975 حصدت الرابطة نشاطها نتيجة الضغوط التي تمارسها السلطة على القوى الوطنية والديمقراطية. في 1979 إثر انسداد وتيرة الإرهاب والقمع ضد النساء قررت الغاء التجميد.

2. تولى حزب البعث الحكم في العراق في 1968، وبعدها بسنوات أعلن ورفه حول العمل الوطني، وتجاوز معه بشانها "النسوي" وهو ما أفضى إلى تشكيل جبهة في 1973 ضمن "الثوري الكردستاني"، وبعض المسبقين استمر عمل الجبهة حتى دعوة ممثل "الشيوعي" في اللجنة المركزية في 1978 لانتخاب جمعيه بائسيه يضع دستوراً دائماً للبلاد. وهو ما عارضه "البعث"، ثم نواب حملة امنه استهدفت اعضاء وميادات الحزب الذي كان حليفا للحاكم ولا يزال.

في وحدة التدريب التابعة للتربية، مديرة بلا شغل، يعني تجميد ومراقبة.

الاعتقالات اشتدت بهذه الفترة، رغم ذلك كنّا كرابطة في كربلاء، نسوي فاعليات مثل محو الأمية أو دعم المرأة اللي تريد تروح محكمة بتوفير محامية لها. ثم قويت الحملة ضد "الشيعي" في كل المحافظات ومنها كربلاء، ولم تكن هذه الحملة موجهة ضد القاعدة فقط، بل وصلت إلى القيادات. وعلمت أن فيه نية لاختطافي، وهذه كانت بداية سنين من الاختفاء والتنقل بين محافظات العراق، حوالي 11 سنة.

وبعد سنوات من العذاب، ووفاة الوالد بينما كنت مستمرة في الاختفاء والهرب، وهجرة جميع إخوتي لكونهم شيوعيين سابقين، الوالدة راحت السويد في 1994 على أساس أنها زيارة لـ 3 أشهر، وقابلت أمي بقية إخواني بينما بقيت بالعراق. لكنهم أصروا أنها لا بد ألا ترجع، قالوا لها "إذا رجعتي، معنى ذلك راح تحكمين على بشرى ما تطلع نهائياً، لأنها ما راح تترك العراق إذا كنت فيه" وهكذا بقيت الوالدة بالسويد وحصلت على الجنسية، لكنها توفت هناك قبل أن أتمكن من الخروج من البلاد.

وأخيراً قدرت أطلع في 1995 لما سمحت الظروف بذلك. وأول محطة لي كانت عمان، واستقبلتني هناك أختي الكبرى اللي كانت مقيمة بالإمارات، وبعدها جاءت أخت أخرى من لندن. بقيت في عمان حتى حصلت على سفر، عبر أكثر من وسيلة تنقل؛ طائرة وقطار وزوارق حتى جئت إلى هولندا حيث تسكن أختي، بقيت عندها يومين. ثم بدأت إجراءات اللجوء في معسكر اللاجئين، وعانيت فترة من شعوري وأنا نائمة إنني مطاردة.

وخلال شهر، حصلت على اللجوء السياسي، وصارت عندي شقة بمدينة لاهاي. لكن سني وقتها كان 46 سنة، وهذا سن كبير بالنسبة لهولندا ما يصير لصاحبه شغل، لذا قررت دراسة اللغة، وقررت العمل على شيء يخدم العراقيين. بدأت التواصل مع خمس عراقيات، منهنّ سناء القرعاوي، حتى نعمل شيء للمرأة العراقية في هولندا وناقشنا أوضاعها، وتحركنا وقابلنا الكثير من النساء العراقيات. واشتغلنا تحت عنوان "جمعية النساء العراقيات" كمجموعة مجتمع مدني تحت التأسيس، نجتمع نساء ونسوي نشاطات ونتعلم القوانين الهولندية وندرس آليات دمج العراقيات بالمجتمع الهولندي، وهذا من 1996. وبعدها بعامين أعلنت المنظمة بشكل رسمي بمدينة أمستردام في 8 مارس، بحضور منظمات نسائية من دول مختلفة. كانت أهدافنا التجميع بين العوائل العراقية، وتطوير إمكانياتها، والاستفادة من القوانين الموجودة بهولندا. بس خلتنا الشعار "التواصل ويا الوطن" لأنه لازم نبقي على تواصل وياه. وضمت عرب

وأكراد ومسيحيين، كانت جمعية مفتوحة على الكل.

بالعودة إلى الرابطة، هي كانت أقلت مؤتمرها الرابع في 1974، ولم يعقد إلا بالـ 1981 في بيروت. وبعده وعلى مدار سنوات، أسست فروع للرابطة بدول عربية وأوروبية، ثم نُظِم لقاء بألمانيا في 1999، وحضرنا من هولندا وإنجلترا، ودول أخرى. وتحدثت باللقاء، وقررنا نستعيد النشاط ونهز لعقد مؤتمر خاص للرابطة. شكّلت لجان تحضيرية، وأصدرنا كراسة سميناه "نحو المؤتمر"، تقدم كل كراسة منها ما يسوي من نشاطات تجهيزاً للمؤتمر، مثلاً اللجنة التحضيرية في الدنمارك سوت أشياء تُنشر، حتى يكون الجميع على معرفة بما جرى، وصدرت يمكن أربع كراسات.

فكرنا في تنظيم المؤتمر الخامس في كردستان، لأنها انفصلت عن الحكومة المركزية من بعد انتفاضة 1991³، فممکن يصير نشاط هناك، ولأن العوائل الكردية الموجودة بالخارج كانت تروح زيارة للعوائل في كردستان. الرابطة هي أساسها الداخل مو الخارج، يمكن الخارج يساعد، بس الرابطة هي للنساء اللي في العراق. وسوينا لقاء ويا رابطة المرأة الكردستانية على أساس أن يصير مؤتمر في كردستان، وبعدين بدأ يشدنا نسبة وتناسب؛ نسبة الحضور كانت بالخارج أكثر من الداخل، وهذا يعني الميزان مو متناسب، يعني الخارج أكثر. ومع اندلاع حرب 2003 كنت ضدها، وضد ديكتاتورية نظام صدام حسين على حد سواء.

وبعد شهور عدت إلى بغداد، شوفا وضع الرابطة، والشابات الموجودات. وفكرنا إيشلون تقدر تقدم خدمة للشابات الرابطيات، طبلن مّا فتح حساب للرابطة، لأنها كانت لا مسجلة رسمياً بل ولا منظمة كانت مسجلة بالعراق. حين سألنا عضوات الرابطة بالعراق وين تريدون تسوون الدورة الخامسة، كانت فيه حيرة بين إقامتها في الخارج أو الداخل، وانتهينا في 2005 إلى أننا سوينها ببغداد، وجاءت عضوات الرابطة من لندن وهولندا والسويد وهولندا.

اعتبر حالي أعرف وضع المرأة، المعاناة والظروف. مثلاً خلال فترة الهروب داخل العراق عشت أوضاع صعبة. وحتى الآن القوانين لا ترحم المرأة، ولم تسهم نسبة 25% من الكوتا بتغيير الوضع، والدليل عدم تشريع أي شيء يخدم المرأة.

3 عرفت باسم الانتفاضة السبعانية نسبة إلى الشهر الهجري شعبان الذي شهد اندلاعها في جنوب العراق وشماله، وهو الشهر الذي وافق آذار/مارس 1991، بعد أحداث حرب الخليج الثانية الثالثة لغزو نظام صدام حسين للكويت، وانسحاب الجيش العراقي من الأخيرة بعد هزيمته من التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة. تحركت الاحتجاجات بعد فقد سيطرته النظام على المحافظات، وبدأت جنوباً بالبصرة، وشملت العديد من المحافظات العراقية بخاصة تلك الواقعة في المناطق ذات الأغلبية الكردية. حاصر محيدو الانتفاضة المعسكرات وطالبوا بإسقاط النظام. استمرت الانتفاضة لحوالي أسبوعين. استخدم الجيش سلاحه لحد الانتفاضة، وكان من نتائج تلك الانتفاضة منح إقليم كردستان الحكم الذاتي في ما بعد.

سعاد الجزائري: الحركة النسوية العراقية تعمل في بيئة معادية

سعاد الجزائري، مواليد النجف 1952.

كاتبة وصحافية، بدأت مسيرتها مع جريدة الحزب الشيوعي، مسارها المهني تقاطع مع مخاطر العمل السياسي وظروف الملاحقة التي أدت إلى هروبها من العراق وإقامتها خارجه في بلغاريا ثم لبنان وتشيكوسلوفاكيا وبريطانيا حيث قُبلت كلاجئة.

نشطت سعاد في العمل النسوي خلال سنواتها البيروتية الأربع، وترأست فرع رابطة المرأة العراقية في لندن.

ترى أنَّ الحركة النسوية العراقية تعمل في مناخ معادٍ وغير صحي، ويمثل استمرار العمل في حد ذاته تحدّيًا لكل ناشطة أو عاملة في مجال قضايا المرأة.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلتين في 15 و17 نيسان/أبريل 2020.

الحجاب أفضل من الضرب

طفولتي كانت في مدينة النجف المعروفة بطابعها الديني، وأنتمي إلى عائلة علماء دين، لكن خط والدي وأخواني كان مختلفًا كليًا؛ اتجه يساري ثقافيًا وسياسيًا.

كنّا أسرة من ثلاثة أولاد، وسبع بنات، وفقدنا أختنا. والدي مدرّس ينتمي إلى حزب "الوطني الديمقراطي"، يعزف على العود ومهتم بكتابة المسرحيات ولديه ميادرات في مجال المسرح. أمّا والدتي فهي امرأة لم تدخل مدرسة لأنها من عائلة دينية لا تُدخل بناتها إلى المدارس. والدتي علمت نفسها، وصارت تنافس والدي في قراءة الكتب، وكانت

مهمّة بقضايا المرأة، وانضمت إلى "رابطة المرأة العراقية".

نشأت في جو مؤمن بحرية الفرد، الفتاة مثل الفتى. في النجف كانت هناك جملة مكتوبة في مدخل المدينة من ناحية الكوفة تقول: "تحببي واحطلي النجف"، كان ممنوع إنزال الحجاب. لكنني بقيت فترة طويلة غير محجبة، وكنت لَمّا أطلع من المدرسة يومياً أتلقى الضرب من رجال الدين في الشارع، لذا قلت لوالدتي إنني أريد الحجاب، ردت عليّ: "راج تتدمين"، بس فكرت إن الندم أحسن من الضرب!

خلع العباءة

وفي الصف الثاني المتوسط 1964-1965، انتقلنا إلى بغداد، ووالدي قال ما تلبسون العباية، يعني ما تلبسون الحجاب ببغداد. وقتها كان الحجاب هو العباية. وفي زيارات أقاربنا القادمين من النجف إلى بغداد يقولوا لوالدي ووالدتي "سمعنا إن البنات ضبو الحجاب". ترد والدتي: "إحنا طلبنا منهن يضبون الحجاب" وتكمل أنهم إذا عندهم اعتراض فأنها سوف تلبس بنطلون!

ورغم تفوقني الدراسي اخترت الفرع الأدبي، المديرية قالت لي: "أنت متفوقة بالدروس العلمية.. ليش اخترتي الأدبي؟" قلت لها أنا حابة الأدب، فعلمت: "هذا ما يمنع إن تقدمي بالفرع العلمي وتواصلين القراءة والكتابة"، لكنني أصريت على الفرع الأدبي.

دخلت كلية الإدارة والاقتصاد في الجامعة المستنصرية 1970-1971، ورشحت من رابطة المرأة العراقية للمشاركة في دورة صحفية بجريدة "طريق الشعب" (الحزب الشيوعي العراقي)، وبدأت العمل بالإعلام وأنا طالبة. يوميًا من الجامعة إلى الجريدة حتى تخرجت 1974-1975، وقتها جرت اعتقالات لتي يشتغلون بـ "صوت الشعب"، لكن لحسن حظي اسمي على صفحات الجريدة كان يُكتب "سعاد الجزائري"، وكطالبة "سعاد علي هادي"، وبسبب اختلاف الاسمين حصلت على وثيقة التخرج.

لم أعمل إلا بمجال الإعلام، وركزت دائمًا على الاهتمام بالمرأة وأوضاعها وظروفها، لأنني حسيت بالفرق من حيث الضغوط المفروضة عليها مقارنة بالرجل، ولأنني اتجه دائمًا إلى أن أكون ويا الإنسان الأضعف، والمرأة هي الأضعف، وعملي الإعلامي هو توصيل صوتها، وفي هذه الفترة تزوجت من زميل بالجريدة وكان يكتب شعراً.

تكوّنت عندي ملاحظات على العمل التنظيمي، إن الأحزاب عمومًا تؤمن بشيء وتطيق شيء آخر، الخلل ليس بالفكرة،

2. باسست الرابطة في بغداد في 1952 (تحت اسم رابطة الدفاع عن حقوق المرأة العراقية). تم قبول ضمن اتحاد النساء العالمي بعد عام من تأسيسها. رغم ذلك لم يقبل السلطات العراقية الرابطة إداريًا "لمعضيات المصلحة العامة"، وعملت كرابطة سرية، وحظر نشاطها مع انقلاب 1963، وبعد ذلك دممت الرابطة أوراق اعتمادها أكثر من مرة.

1. تأسس الحزب في 1946، ومد دعا إلى تأسيس حياه ديمقراطية ناعية والدفاع عن الحريات العامة، ومن مبادئه "حسن توزيع الاراضي على صغار الفلاحين" و"تحديد الملكية الكسرة"، فضلا عن مقاومته تأسيس وطن موحد لليهود في فلسطين.

بل أسلوب العمل. من الممكن أن تكون قيادة "الشيوعي العراقي" مؤمنة جداً بالفكرة، لكنها ضعيفة في تطبيقها، دور الحزب أن يجد تطبيقاً للنظرية يجعل الناس تحيا بشكل أفضل. لكنني تعرّضت داخل الحزب لأذى من قبل رفاقي يُعادل أضعاف الأذى الذي قابلني به أعدائي، وتركت الحزب في 1985، وكتبت رواية عن هذه التجربة لأن أردت انتزاع الألم من داخلي، وشرح أسباب عيوب مثل المركزية الديمقراطية ومبدأ "نفذ ثم ناقش" في قوانين التنظيم ما جدوى النقاش بعد التنفيذ، لأن الإنسان لمّا يكبر لا يقبل أن يكون ضمن قطيع، أن أكون مثل الطفل الصغير يجب أن أنفذ الأوامر بشكل أعمى. بالمناسبة لا يختلف رجل الدين في سلطاته عن رجل السياسة أبداً، نفس السلطة والعبودية، وفكرة القطيع، نفذ يعني تنفذ، وإذا ما نفذت ينتظرك العقاب.

الخروج من العراق

غادرت العراق في 1978، كان المفترض إنها زيارة علاج لبلغاريا بعد معاناتي عقب إجهاض حمل، وكانت المدة المفترضة للسفر شهراً، لكنها طالت بالمطار فنتشتني امرأة، وحسيت بانتهاك وقسوة، خاصة إنني كنت أعاني من توابع الإجهاض، ونحفت جداً، وقلّ وزني لـ 40 كيلو. وفي الخلفية كنت أشعر بيوادر تغسّخ الجبهة بين "الشيوعي" والحزب الحاكم، وأنها راح تتفكك.

وأنا في بلغاريا بدأت حملة اعتقالات، ومداومة مقرات الحزب وجريدة "طريق الشعب"، التي كنت اشتغل بيها، واعتقلوا الكوادر الحزبية والعاملين بالجريدة، وسألوا عني. وبدأت تصل أمواج من العراقيين إلى بلغاريا قادمين من تركيا هرباً من حملة الاعتقالات الشرسة. ولا أعرف مصير أخي وزوجي، التي كانا معي ضمن طاقم العاملين بالجريدة.

كنت مستأجرة شقة في العاصمة صوفيا، وانتبهت إلى أن الفكر شيء والمصلحة شيء آخر؛ بلغاريا بلد يحكمه نظام شيوعي والتي جاءوا من العراق ينتمون لحزب شيوعي وفارّين من القمع والتصفية المحتملة، ولكن بسبب وجود مصالح اقتصادية بين بلغاريا ونظام صدام حسين تعاملوا بقسوة معنا. كثير من الناس والعوائل كانوا ينامون بالحدائق العامة ومحطات القطار، لذا تركت شقتي لبعض العوائل وسكنت بفندق. مرة روجت شقتي وجدت بها 8 عوائل، سألوني: "من حضرتك؟" قلت لهم مفترض إنني صاحبة الشقة، واضح إن

الناس صار تحيب ناس تسكن بالشقة.

وفي 1979، وصلت واحدة من زميلاتي إلى بلغاريا حاملة رسالة إن زوجي هرب من العراق ووصل إلى بيروت. وبالفعل سافرت إلى هناك.

معايشة الثورة الفلسطينية

في بيروت القضية الفلسطينية كانت حاضرة كمعايشة يومية بكل لحظة من الصباح حتى المساء. كان فيه أكثر من صراع على الساحة؛ السوري اللبناني، اللبناني اللبناني، اللبناني الفلسطيني. الصراع موجود في كل زوايا بيروت. أكثر العراقيين التي لجأوا إلى بيروت هما المثقفين أو التي كانوا يشتغلون في حقل الإعلام، لذا لمّا وصلت بيروت شعرت إنني رجعت تقريباً إلى نفس المحيط الذي تركته في العراق، كأي استعدت جزء من الوطن. عملت في مجلة "فلسطين الثورة" الناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية. وسويت أربع صفحات وسط المجلة للأطفال، تحت عنوان "أزهار وأشبال".

نشطت في مجال العمل النسائي مع "اتحاد المرأة الفلسطينية" وسونيا فرع لرابطة المرأة العراقية في بيروت.

كانت الساحة تغلي سياسياً بالصراعات، وتغلي ثقافياً بسبب كل تناقضات بيروت. وبدأت مرحلة التدريب العسكري في لبنان، وهو تدريب مفترض إنه نفس أجواء كردستان حيث كان يجري قتال شمالي العراق، وفيه صراع بين قوات الأكراد والجيش العراقي⁴، مع تواجد مسلحي الحزب الشيوعي.

معسكرنا كان بمنطقة جبيلة.

بيتنا ليلة واحدة، وصحينا قالوا لنا: "لازم ننتقل إلى مكان آخر لأنه معسكرنا انكشف [للطيران الإسرائيلي]"، وصارت أمامنا مسؤولية نقل معسكر كامل، المهم بعد النقل بدأت عملية التدريب، وبعده ما أرسلوني لكردستان بحجة إن زوجي وضعه الصحي ما يسمح أن يترك لوحده. حزنّت جداً، لكن تقيمي الآن أنه زين إنني ما التحقت، مو خوفاً على زوجي لأن زوجي مو أفضل من الآخرين، إنما لعدم جدوى هذه الحركة لأنها لم تجعل النظام ينزاح أو حتى يتحرك شعرة، وكذلك أننا خسرنا كثير من الكوادر. نسمع مثلاً دخلوا إلى الداخل واعتقلوهم، قسم دخلوا إلى الداخل وصوّوهم. أخى مثلاً كان مع قوات الأنصار، وأخى الآخر مع الجيش العراقي.

ثم ورد اسم زوجي على قوائم اغتيالات العراقيين المستهدفين بالتصفية من قبل صدام حسين في بيروت. وبسبب هذا التهديد غادرنا لبنان، أنا وزوجي، بعد أربع سنوات من الإقامة فيه، إلى براغ في 1982، لأنه درس سابقاً هناك،

4 الموقف الرسمي للحزب الشيوعي وقتها كان عدم الدخول في مواجهه مع الجيش العراقي، وهو ما يلزم به مسلحوه الموجودون في كردستان.

3 بولس حزب البعث الحكم في العراق في 1968، وبعدها بسنوات أعلن ورقة حول العمل الوطني، وبنحاور معه بشأنها "الشيوعي" وهو ما أمضى التي بشكل حيية في 1973 صممت "النوري الكردستاني"، وبعض المستقلين. استمر عمل الجبهة حتى دعوة ممثل "الشيوعي" من اللجنة المركزية في 1978 لانتخاب جمعية تأسيسية تضع دستوراً دائماً للبلاد وهو ما عارضه "البعث"، ثم نوات حملة أمنية استهدفت أعضاء ومبادئ الحزب الذي كان حليفاً للحاكم ولا يزال.

وعنده علاقات جيدة بالبلد. اشتغل زوجي في منظمة التحرير الفلسطينية، مرة أخرى صرنا تحت حماية الفلسطينيين، وصار عندنا بيت بعد ما صار عندنا بيت. اكتشفنا أن أغلب المعارضين كانوا يشتغلون ويا الأمن، وكثير من أصدقائنا كانوا يعملون مع الأمن التشيكي، زوجي تعرض لمضايقة من هذا القبيل. في أحد الأيام ذهب إلى العمل وتأخر، لما رجع وضعه ما كان طبيعي، سألته إيش يخصك قال لي: "لأزم خلال 48 ساعة تغادر البلد". استغربت إيه السبب، حكى لي أن الأمن التشيكي أخذه من الشارع وحققوا وياه وطلبوا منه أنه يشتغل وباهم ولما رفض قالوا له: "هنتهمك إنك بالموساد"، لم يستجب للتهديد فقالوا له عليك المغادرة خلال 48 ساعة.

اتصلنا بالحزب الشيوعي العراقي قلنا لهم على اللي حصل، قالوا: "إخنا ما لنا علاقة بهذا الأمر"، شعرت أنهم سحبوا حمايتهم عنا.

بعدين زوجي خبر مسؤول منظمة التحرير في براغ اللي هو كان يشتغل عنده، واسمه عاطف أبو بكر، واتصل بالرابطة التشيكية وقال لمسؤولين هناك إن "هذا الشخص تحت حمايتنا الدبلوماسية" لأن مكتب منظمة التحرير أشبه بالسفارة يعني لها موقع دبلوماسي، كما تواصل زوجي مع صديق له كان يشتغل ملحق ثقافي تشيكي بالعراق ليعلمه بما حصل، وأخيراً سمع لنا بالبقاء.

بعدها قابلنا مسؤول "الشيوعي العراقي" في براغ وفهمنا من المقابلة أننا وحدنا. لذا اشتغلت بالمدرسة الليبية، وهي بعيدة عن سلطات ونفوذ "الشيوعي العراقي"، وعملت بها أربع سنوات بتدريس اللغة العربية. وصار عندي طفلين، ولد اسمه جعفر، ولدته في 1985، وزينب بعده بعام، يعني أصبح عندي حزبي الخاص بي، تنظيمي الخاص. خفت الألم عندي من الحزب وجماعته، بس ظل الحزج. أحمله لهذه اللحظة.

لما جاء نظام جديد في تشيكوسلوفاكيا فكرنا نترك براغ ونبحث عن لجوء سياسي مثل كثير من العوائل العراقية. زوجي فكر في السويد، لكنني رفضت، قلت له يا إما تبقى في براغ أو نذهب إلى لندن، لأننا نعرف اللغة، ولا أريد أن نبدأ بتعلم لغة مثل السويدية وهذا يسبب كوني صرت أمًا، فكرت إن لندن مناسبة لمستقبل الطفلين، الدراسة في بلد لغته الأساسية الإنجليزية لتهيئتهم للشغل بأي مكان. وبالفعل سافرنا إلى لندن في 1990.

لاجئة لأول مرة

دخلنا المطار بجواز مزور، وابني فُصِبَ بجدي الأطفال، توقعت أنهم يطردونا. زوجي تحدث وياهم وبعدين جاء ومعه الشرطة علينا، قلت لزوجي إيش راح يحصل، قال لي: "راح

ياخدونا لغرفة"، وجابوا لنا أكل وعصير بالغرفة، وشافوني مرعوبة والطفلين كذلك، المسؤول البريطاني قال لي: "لا تقلقي راح نوفر لكم بيت وراح تروحين مع الأطفال بس فيه إجراءات لازم نسويها"... وهكذا دخلنا بريطانيا بجواز سفر مزور، وابني وبنتي بلا وثيقة جنسية، لأن ما لي سفر للعراق وفي نفس الوقت ما لي أطلع وثائق، فقط معي شهادة ميلاد بأن الولد والبنات ولدا بتشيكوسلوفاكيا. وبالتحقيق الأولي سألو عن معلومات من نوعية "ليش لجأنا لبريطانيا" أو "ليش إنت لاجئة سياسية" يعني ما هي المبررات، ولأن وضع العراق معروف كان قبول العراقيين سهل، ما كانت هناك مصاعب كثيرة.

المفارقة اللي أقولها دائماً إن أجدادي بالنجف شاركوا ضد الاستعمار البريطاني في ثورة 1920 وأنا حفيدتهم جئت لاجئة سياسية لبريطانيا.

ثم صرت المسؤولة عن البيت بعد انفصالي عن زوجي، أول مرة أواجه الحياة، وبقيت مسؤولة رابطة المرأة العراقية في لندن، ونشاطنا متعلق بأوضاع العراقيين في الداخل. وصارت لنا علاقات مع منظمات نسائية بريطانية. ومع الحصار، كنّا نسوي حفلات خيرية ونجمع فلوس وبعدين نوزعها على عوائل في العراق، وكانت عندنا طرق لإيصال هذه المبالغ إلى العراق.

النقلة الأخرى اللي حصلت بحياتي في بريطانيا، هي دخولي عالم التلفزيون لأول مرة مع mbc كانت أول فضائية عربية، وذلك ضمن برنامج للمرأة اسمه "أنث"، كان به زوايا مثل مجلة؛ زاوية ثقافية وأخرى تخص النساء. ثم انتقلت mbc إلى دبي، ما كان في إمكاني أروح وياهم إلى هناك لأنني مسؤولة عن الطفلين والبيت. وفجأة صرت بدون عمل، لكن في بريطانيا الحكومة تصبح مسؤولة، تدفع الأيجار وتوفر بعض الموارد، حتى أستطيع أن أجد عملاً بديلاً.

رمزية سقوط صدام

وقت حرب 2003 كنّا في حالة استنفار، نراقب التلفزيون، لا تغادر بيوتنا، نشوف المناوشات في الأخبار، وكنا نشوف في سماء بريطانيا لأول مرة طائرات تنقل الجيش، قاعدة في بلد جيشه ينتج لضرب عائلتي وناسي وتاريخي وطفولتي وبيتي الأول والشارع والمدرسة، حالة رهبة. بلد يحتويني أنا وعائلتي وضامن لنا حياة، وبنفس الوقت هذا البلد فجأة أصبح العدو، عيشنا تناقضات غريبة.

لما سقط تمثال صدام، كانت لحظة كبيرة ورمزية، شعرت إن بوابة العراق انفتحت لنا وراح ندخل. لكنني لم أذهب إلى

6 اصدر مجلس الامن القرار 661 في آب/اغسطس 1990 بفرض عقوبات سياسي على العراق لارغامه على سحب قواته من الكويت. وشملت العقوبات حظرا اقتصاديا كاملا باستثناء المواد الطبية والغذائية

5 بمعد ثورة 1989 التي عرف بثور الطلاب السلمية "المحمليه"

العراق إلا بعد عام. ابني سيقني، راح مع أخى، وكان أول بلد عربي يزوره، كنت مرعوبة بسبب خراب ما بعد الحرب. هو عرف العراق عبر إحساسي، وكلامي عنه، وقرر البقاء وحتى هذه اللحظة يعيش هناك. ولا يزال يقول لي: "أحب حياتي في الشرق أكثر من حياتنا في أوروبا".

العودة إلى العراق

لما رحلت في آذار/مارس 2004، ما كان فيه طيران للعراق، السفر من عمان إلى بغداد بالطريق البري، يمكن التعرض للخطف على يد عصابات أو مخاطر أخرى مثل التصفية أو طلب الفدية. كان فعلاً "طريق الموت".

رغم صعوبة الطريق وصلنا، وأول لما وصلت صارت هيسريا بقاء غير طبيعية عندي.

ما عرفت بغداد التي غادرتها أواخر السبعينات، بل ما عرفت الطريق لبيت أهلي، وسألت الناس حتى وصلت. ما عرفت إيش حصل بي، ما أقدرت أقف حتى أخرج من السيارة، كأنه ما عندي رجلين. قالوا لي: "إنب ما قدرت تمشين ومعتني في الشارع"، وخملت للبيت، وبقيت 3 أيام حتى أتعرف على العائلة، لأنه جيل كامل طالع من ساعة مغادرتي.

ظليت فترة طويلة في مرحلة الاندهاش، ومعاودة اكتشاف الأماكن مثل مدرستي.

ابني خلال زيارته لابن أخى بمنطقة اسمها "زيونة"، عرفوا إن أهله عايشين بلندن وافترضوا أنه ثري، فخطفوه لأسباب مالية. أتذكر بوقتها صار عندي ذبحة صدرية لما سمعت بالخبر. وصرت بمحنة اشلون اطلعه المهم طلعناه، أفنعناه يسافر إلى سوريا ومنها إلى لندن، وهو لا يريد مغادرة العراق، واتفقنا أننا نرجع نعيش بأربيل. بقينا 6 أشهر بلندن، ثم توجهنا إلى أربيل، وتقريباً في 2006 اشتغلت سكرتيرة تحرير في "جريدة الصباح الجديد". لاحظت وقتها أن الحقل الإعلامي بالعراق استقطب كثير من الشباب، بعد وضع الجريدة الواحدة والحزب الواحد والفكر الواحد، العراق صارت فيه صحف وقضايا وإذاعات، لكن الخلل الذي صار بهذه الحالة إن كل هذه الكوادر ما كانت مدربة أو لها علاقة بالإعلام أو الكتابة أصلاً. ولهذا فكرت نسوي دورات لأوليات العمل الإعلامي وسويت منظمة سميتها "مركز الإعلاميات العراقيات" وشرط الدورات إن حضورها يكون 60% منه شابات وسيدات ومختلطة، لأنني لاحظت باقي الدورات التدريبية التي كانت تصير في بغداد أكثرية حضورها الشباب والرجال وحصّة ضئيلة جداً للبنات. حاضرنّا عن كيفية إعداد البرامج التلفزيونية والإلقاء والكتابة وكتابة السيناريو والمقابلات.

وبعد 3 سنوات، انتقلت إلى بغداد، وعملت مع مؤسسة "المدى" من 2008. كان عندهم مشروع "فضائية المدى"،

وأيضاً أسسوا شركة المدى للإنتاج التلفزيوني، وأنا كنت مديرتها لكنني وجدت صعوبة كبيرة في التعامل مع الناس، يبدو أن القيم التي إحنا تربينا عليها كانت تختلف عن قيم الجيل الجديد، يعني لما اشتغلت في شركة الإنتاج التلفزيوني كنت أنا المديرة وأنا المرأة الوحيدة مع 17 شاب، وجدت صعوبة حقيقية في السيطرة على الوضع، والراتب ما يكفي، بغداد رواتبها قليلة، ما قدرت استمر بالعمل. وما لقيت عمل آخر لأنني لا أستطيع اشتغل في أي مكان ما انسجم معه فكرياً، لذا رفضت الشغل في أي مؤسسة حكومية، لأن ما كنت مقتنعة بأي تشكيلة حكومية جاءت للعراق بعد 2003. هكذا عدت إلى لندن.

مظاهرة ضد المساواة بين المرأة والرجل!

مثلاً خلال مسيرتي شعرت إن هناك عدم مساواة كوني امرأة، وعانيت في كل الشغلات التي اشتغلت فيها، لأن التعامل مع المرأة في الحقول الإعلامية حسب كونها أنثى وليس حسب كفاءتها المهنية. أتذكر في mbc أنخوا عليّ إني أقدم برنامج، قلت لهم أنا أحب أكون معدة أكون خلف الكاميرا، لكن شكلي جعلهم يفكرون إني أكون قدام الكاميرا، ما همهم أني ممكن أكون مفيدة أكثر خلف الكاميرا. حتى على صعيد الأدب والثقافة، إلقاء الضوء أكثر على الذكور.

عشان اتولدت وعيشت في مدينة محافظة دينية وانفرضت عليّ كثير أشياء، كل مسيرة حياتي هي تكسير المفروض عليّ، وكل ما أخطه بحياتي لإعادة بناء داخلي، وانعكس ذلك على عملي وكتاباتي وطريقة تربيتي لبتني، مثلاً سبها تعيش مثل محيطها في أوروبا.

على الصعيد النسوي، عملت بالخارج في منظمة نسوية هي امتداد لرابطة المرأة التي كان نشاطها سري طبعاً داخل العراق منذ تأسيسها في الخمسينات، وعندي خبرة بالحركة النسوية، أعتبر إن فيه إنجازات حققها الحراك النسائي بعد 2003 مثل الكوتا النسائية، والتغيرات التي صارت حول مشاركة المرأة في العملية السياسية، وظهر صوت منفرد للمرأة مظاهرات وتعبير عن الرأي.

بس هذه الإنجازات ما أعطت ثمارها لأنه المحيط الذي تشتغل بيه الحركة النسائية هو محيط غير سوي بسبب الوضع السياسي بالعراق والفساد الذي موجود. وحتى نطبق القوانين أو التشريعات التي تطالب بها الحركة النسائية لازم يكون هناك نظام صحي وغير طائفي ومع عمل المرأة وضد زواج القاصرات. مثلاً داخل هذا النظام السياسي لاحظت وجود اعتراض على موضوع المساواة، مثلاً مرة طلعنا مظاهرة للمطالبة بالمساواة، عارضتها النساء التابعات للحزب الإسلامية برفع شعار "لا للمساواة"، وهذا نموذج للعقيات التي نواجهها الحركة النسائية.

شروق العبايجي: سياسة بلا طائفية... هل هذا ممكن؟

شروق العبايجي، مواليد 1958، لم تكمل دراستها في العراق بسبب نشاطها السياسي، فهي خالفت نضائح والدها وتحذيراته من العمل السياسي قبل التخرج الجامعي، ولكن بسبب دخولها صفوف الحزب الشيوعي العراقي اضطرت لإكمال دراستها للهندسة خارج البلاد، وحصلت على درجتَي ماجستير في علوم الهندسة إحداهما من جامعة براغ التكنولوجية، ثم تخصصت في الموارد المائية.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلات جرت في 7 و10 نيسان/أبريل و24 أيار/مايو 2020.

الهاربة أم شروق

عائلتي مغمورة بالنشاط السياسي منذ الأربعينيات، ينتمي أفرادها للفكر الشيوعي الذي ينحاز للفقراء والعمال والفلاحين. وكان واقع العراق بالتأكيد إقطاعيًا وقتها.

في 1956، تزوج والدي ووالدتي في بغداد. الأب من عائلة العبايجي المعروفة بكونها عائلة أرستقراطية حتى كانت تُوصف بأنها واحدة من العوائل القريبة من البلاط الملكي ولديها أملاك. الشيء نفسه ينطبق على عائلة والدتي وهي عائلة "الحكيم" التي تعود أصولها لمحافظة ديالى، وهم من فُلاك الأراضي الواسعة في تلك المحافظة.

والدي تبنى الفكر الشيوعي، وكذلك عائلة والدتي التي خصصت أرضًا لبناء مدرسة هي "مدرسة الحكيم".

أول وعي سياسي لي كان أحداث انقلاب 1963 على حكم عبد الكريم قاسم. أتذكر أنّ والدي كان يحملني بيده وجاء شباب على باب البيت وأخبروه إنه سيكون فيه انقلاب. أخذنا، أنا وأختي الصغيرة إلى بيت عمتي، وسمعت لاحقًا إنه موقفه هو والدتي ضد الانقلاب.

1 أغلقت الجمهورية العراقية في 1958 بانقلاب عسكري على الحكم الملكي، وذلك بعصاه الضابطون عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف. وفي ما بعد بولس ماسم رئاسة الحكومة، وصار الحاكم الفعلي للبلاد، والذي أطاح به انقلاب عسكري بعصاه البعثيين والقوميين.

اعتقل والدي، ووالدتي كان عليها أمر إلقاء قبض فهرت مع أختي الصغيرة، وبقيت أنا بين بيت جدي وبيوت العائلة. أسمع أخبار في الراديو إن من المطلوبين الهاربة "أم شروق".

وسمح لنا بزيارة والدي في المعتقل، ذهبت مع عمتي، هذه اللقطة ما تبرح ذهني. إنه أخذني للزناينة، وكنا جابيين له ملابس وأكل وفلوس. فشرح لي إنه في هذه الزناينة بسبب أفكاره عن الاشتراكية، وإنه كل شيء يجب أن يتقاسموه الناس حتى يعيشون. مو واحد عنده الكثير والآخر محروم. هذه التجربة شكّلت شخصيتي وأفكاري.

بسبب هذه الظروف بقيت العائلة في حالة غير مستقرة، لم أعش حياة مستقرة اجتماعيًا، وتحملت مبكرًا مسؤولية أختي التي كان عمرها ثلاث سنوات. وبعد معاناة، استقرت عائلتنا في 1968 بمنطقة المعلمين في بغداد، والدتي كانت معلمة وبنينا بيت هناك.

عشت أول عشر سنين من عمري دون تذكر مكان محدد كبيت، وذلك لتنقلنا من منطقة لأخرى بسبب الوضع السياسي. بس بمنطقة حي المعلمين رجعنا عائلة مستقرة، والدي ووالدتي وإخنا كينات، حياتنا كانت تلفت الانظار. وبيتنا فيه حديقة مميزة، وسطحه النومة فيه أمان ليلاً.

في 1976-1977، دخلت كلية الهندسة بجامعة بغداد، والدي أخذني للتسجيل بالكلية، كانت لحظة انفعالية بالنسبة له، وقال لي: "أنا دخلت هذه الكلية بالخمسينات، ولكن بسبب نشاطي السياسي ما قدرت أكملها، أتمنى أنت تدخلها وتكملها"، لكنني انتميت للحزب الشيوعي رغم تحذيرات والدي "إلا تدخلون السياسة إلا بعد ما تتخرجون".

الإفلات من قبضة البعث

لما بدأ ضرب القوى الشيوعية من قبل السلطة البعثية أثرت علينا بالجامعة؛ ملاحقات وتحقيقات. مثلاً في فترة امتحانات نهاية العام الدراسي 1978-1979 أخذت قبل دخولي قاعة الامتحان، وحققوا معي في غرفة صغيرة.

تحقيق لساعتين، تحدثوا عن "ثورة البعث"، وضرورة حماية الثورة من المندسين والمخربين، قلت لهم أنا لا أشكل تهديدًا لهذه الثورة. "أنت من عائلة كذا ووالدك كان شيوعي، وإخنا نريد أن تدعمي الثورة"، قلت لهم والدي لا يقبل أشارك في أي نشاط سياسي. في تلك الفترة كنت منضمة للحزب الشيوعي طيفًا، ولكنني فضلت التهرب. طلبوا مني أن أوقع قرار اسمه "قرار مينين"، يتكون من سطرين، "أنعهد بأنني لا أمارس أي نشاط سياسي عدا حزب البعث العربي الاشتراكي، وبخلافه أحاكم بالإعدام"،

والمسرحيين، وكل من كان عليه شبهة اليسار. لكن الكارثة السياسية المسماة بـ "الجهة الوطنية"³ بين الحزبين الشيوعي والبعث بقت قائمة، وفي صيف 1979 قادة الحزب بدأوا يهاجرون من العراق.

ترافولنا في الحرب الأهلية

أجاء الحرب الأهلية كانت طاغية على بيروت، ورغم ذلك روحنا سينما لمشاهدة فيلم جون ترافولنا Saturday Night Fever في سينما بشارع الحمراء، كان عند السينما أكياس من الرمل لحمايتها من القصف، وتمتعنا بالفيلم بشكل رهيب، وطلعنا من السينما ونحن نرقص. فعلاً كنا نرقص حتى شاهدنا آثار القصف على أكياس الرمل، وكان كل هذا القصف يجري وإحنا نشاهد الفيلم ونتمتع بالأغاني والرقص، ووصلنا سلامات إلى البيت. بكل ظروف الحرب والأجواء المشحونة بالمفارز، الناس تعتقل على الهوية حسب الأسماء، ولكن المجتمع بحد ذاته حيوي، وناس تحب الحياة.

وفي 1980 سافرت إلى براغ، ودرست اللغة التشيكية لإكمال دراستي. ثم عدت إلى لبنان، وبقيت عام ضمن معسكرات الثورة الفلسطينية، في إطار معاشة الأجواء. كنت المرأة العزباء الوحيدة في معسكر كبير جداً. اسمي الحركي كان "نادية"، ودرنا على الكلاشكوف والآر بي جي، ومسؤول المعسكر كان يقول لي: "إذا صارت عملية تحرير القدس أخلي نادية تقودكم". كان عندنا أحلام أننا سوف نحرر القدس.

بعد ما خلصنا التدريب العسكري، ذهبت إلى جنوب لبنان، وكنت البنت الوحيدة في معسكر قتالي، لكن كانت فيها عمليات وكثير من الإشكاليات، فرجعت بيروت. ثم كنت في مكتب عقيد فلسطيني وعلمي منصب على الترجمة والشؤون الإعلامية، وتنسيق بعض الأمور.

وخلال عام معاشة الثورة الفلسطينية في لبنان، كانت نيتي الحقيقية عدم العودة إلى براغ للدراسة، وإنما البقاء في بيروت والاستمرار بهذه المهمة، أو الالتحاق بفصائل "الأنصار" يعني المعارضة لنظام "البعث"، وقوامها مقاتلي الأحزاب الكردية وأفراد "الشيوعي العراقي". لكن مهمتي مع الفلسطينيين كانت محددة من البداية باسم المعاشة، أي فترة ولن تطول. وقيادات الحزب الشيوعي لم تستجب لضغوطنا، أنا وزملائي الدارسين في أوروبا، بالالتحاق بكردستان وعدم العودة للدراسة.

3 عرفت هذه الجبهة التي ضمت حزبي البعث والشيوعي بـ "الجبهة الوطنية التقدمية" وأعلن عنها في 1973، فصلا عن أحد أحزاب كردستان
4 الأنصار هو الاسم الذي أطلق على مسلحي الحزب الشيوعي الذين كانوا موجودين في كردستان مع مقاتلي البشمركة، وكان موقف الحزب الشيوعي الرسمي هو عدم معارضة الجيش العراقي

وكانت حرف الدال بكلمة الإعدام طويل لنصف السطر. كنت سامعة بهذا التعهد، وكنا نتصور أنه نوع من الخذلان، ويُعتبر "عار" أن أحد يوقع عليه. سويت نفسي أنني متفاجئة إنه حكم بالإعدام، طب كيف تريدوني أوقع على إعدامي بنفسي، قالوا لي: "أنت ما عندك شيء بالسياسة ليش تخافين! لا تخافين"، قلت لهم ممكن أي اثنين يشهدا زور ضدي وأروح أنا بها. وصل التهديد لمرحلة قوية "نقدر نوصل لك في أي مكان" أو قدرتهم على حبسي "ما ترجعي للبيت" أو تخويف "تندمي على كل كلمة". فجأة شُوفت الباب مفتوح وأحدهم دخل، تحركت بقوة ونزلت ركض بالدرج، وظليت أركض بالكلمة.

لما رجعت البيت وذكرت لهم اللي صار، والذي قال: "لازم تطلعين من العراق". دول البعثيين مجربينهم في 1963 الأساليب الفاشية والتعذيب واعتصاب النساء". للسفر كان لازم موافقة من الكلية، كثير من الصُدف خدمتي؛ دخلت الكلية بشكل متففي وذهبت لموظف بغرفة الإدارة وطلبت منه الموافقة على الجواز إنه أنا مسموح لي أسافر، هو بشكل إنساني ساعدني. وبشكل مغامراتي حصلنا على جواز. وفي الأخير، بعثتي بيروت عند عمتي حتى يخلصني من قبضة "البعث".

عندما وصلوني إلى المطار، أبي كان في حالة انفعالية لأنه يدفع بنته إلى المجهول إنقاذاً لها مما يتوقعه لو بقيت في العراق. كنت أشعر بنوع من تأنيب الضمير إنني تركت زملائي، كنت منعصرة بالأحداث. عمتي كانت في بيروت الغربية لأن زوجها من قياديين "الشيوعي العراقي" ومع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين². وبالصدفة كان مقعدي بالطائرة بين اثنين فلسطينيين من الكلية ومن "الجبهة الشعبية" أيضاً، ولما علما بوجهتي، تحدثا عن مخاطر التعرض للاختطاف بسبب الحرب الأهلية؛ "أنت مجنونة كيف تذهبين إلى بيروت وتطلعي من المطار تأخذي تالكسي وتعطيه عنوان ببيروت الغربية هذه الطريقة الفُتلى للاختطاف الناس من المطار"، ثم قال إن "من حسن حظك أننا تلاميذ أبو سعد [يقصد زوج عمه الراوية] ونعرف تماماً أين يسكن وراح نأخذك له". وبالفعل وصلت بيت عمتي. وبعدها توالى هجرة أخواني وأقاربي من العراق إلى لبنان.

وقتها معظم الطلبة اليساريين المتقدمين الشيوعيين والمناهضين لفكر "البعث" هربوا خارج البلاد، ومن لم يهرب للأسف وقع في يد النظام واستشهد. كأنها هجرة جماعية ضمت الفنانين والمثقفين والمخرجين والسينمائيين

2 الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين واحدة من الفصائل الفلسطينية في منظمة التحرير، والجبهة تنظم مسلح ياسس بعد هزيمة 1967، وبدأت الجبهة عملها العسكري انطلاقاً من ضرورة اعتماد الفلسطينيين على قواهم الذاتية لتحرير بلادهم ومعاربة الاسرائيليين.

جبلنا كان يحمل هذه الثورية المتطرفة، كنا ندفع باتجاه العودة لأن القضية والنضال بالعراق... هكذا رجعت براغ واستأنفت دراستي من جديد، وكملتها إلى نهايتها حتى التخرج.

إعادة اكتشاف اليسار

وفي صيف 1986 كنت أنتظر حسم مصيري، لأن حتى الذهاب إلى أي دولة بأوروبا لازم بتنسيق من القيادات العليا للحزب مع الجهات الأخرى، وكنت رافضة فكرة الذهاب إلى مكان والعمل وعيش حياة مستقرة، لسيطرة هاجس العودة إلى العراق عليّ. ونتيجة رفض قيادات "الشيوعي العراقي" عودتي إلى بغداد أو كردستان، طلبت الالتحاق بالثورة في نيكاراجوا، أو إكمال الدراسة في كوبا، ثم شئت الصدق أن أذهب لزيارة خالتي في النمسا، وبشكل غير متوقع، وغير محسوب حصلت القسمة والنصيب في الزواج والاستقرار في النمسا. وصار لدي ولد اسمه وسيم عام 1987، وعشت تجربة جديدة في بلد يسمى "رأسمالي"، لكن مبادئ الديمقراطية الاجتماعية الاشتراكية تسوده، وهي تجربة رائعة جداً في بناء المجتمعات يجب أن تأخذ بها كل البشرية. هي مزيج بين الاشتراكية والرأسمالية، ولكن تهذب مخالف الرأسمالية التي تمتاز حياة البشر وفي نفس الوقت توفر حياة كريمة وإنسانية، وتوازن المجتمع بشكل لا يجعل هناك صراعات عنيفة. قبل معاشة الأوضاع في النمسا، كنت مؤمنة بكلام مثل أن الرأسمالية تهدر كرامة الإنسان، لكن تجربة الدول الديمقراطية الاشتراكية الأوروبية أثبتت أنها الأصلح للبشرية أكثر من أي شيء آخر، تليي حاجة المجتمع وصالح صاحب رأس المال مع توفير حياة كريمة للمواطنين. هذه المعادلة لو نستطيع تعميمها ستكون أفضل. وبسبب ذلك توسع فهمي ليساريتي، أصبحت مستعدة لتبني الأفكار من أي جهة كانت إذا كانت تتناسب مع مبادئ الحقيقة التي هي الانحياز للناس والفقراء والعدالة، بل المبادئ الإنسانية الحقيقية.

في النمسا بخلاف توسع فهمي اليساري، تعلمت اللغة الألمانية، الدولة النمساوية تعتبرني جئت جاهزة كمهندسة، يعني لم تصرف الدولة عليّ شيئاً، فأعطتني شهادة بكالوريا بديلة، وأعطوني شهادة اعترفوا بشهادتي التي تخرجت بها من براغ، ثم أخذت شهادة ثانية بالماجستير. أول عمل في مجال دراستي، الهندسة، كان عام 1989 لذا لم أعش على المعونات الاجتماعية. عملت بمجال دراستي، ودفعت ضرائب، وحصلت على الجنسية النمساوية بعد 4 سنوات حسب القانون.

وفي التسعينات مع مجموعة من العراقيين أسسنا البيت الثقافي العراقي، من أجل إبراز الهوية العراقية، وتوصيل رسائل لمراكز القرار النمساوي عما يحصل في العراق،

وتوثيق الجرائم التي تصير. ومع فرض الحصار الاقتصادي على العراق، حاولنا جمع تبرعات مالية وأدوية للعوائل.

نسيت روحي ببغداد

واستمر ذلك حتى 2003، بالتأكيد التغيير الأهم هو الخلاص من نظام ديكتاتوري قمعي كان السبب في عذاب الشعب العراقي. الخلاص من النظام كنا نلطم به لسنوات ووصلنا لحالة من اليأس بعد انتفاضة 1991 التي تسمى بالانتفاضة الشيعانية وامتدت من جنوب العراق إلى شماله، ولكن العالم لم يقف مع الشعب العراقي وإنما وقف مع استمرار هذا النظام.

وبعد 2003، كنا نأمل في استثمار الفرصة ببناء مؤسسات ديمقراطية حقيقية، ومعالجة مسألة التراجع في مستوى التعليم والخدمات، إفساح الفرصة للكفاءات العراقية لقيادة البلد. ولكن للأسف لم يحدث ذلك بسبب منظومة المحاصصة التي استولت على السلطة وسخرتها لأغراض حزبية وفئوية ضيقة، وشجعت على ممارسات عشائرية أكثر تخلفاً مما كانت في زمن الديكتاتورية. انهيار للبنى التحتية في مجالات مثل مجالات التعليم والصحة والزراعة والصناعة.

بعد أول زيارة لي للعراق بعد 25 سنة من العيش بالمنافي خارجه، غدت إلى قبينا وكأنني نسيت روحي في العراق، كما أخبرني ابني كان عمره في حدود 16-17 سنة. قال لي بالحرف الواحد: "ماما نسيتي روحك ببغداد، أرجعي إلى العراق أنا كبرت وأستطيع الاعتماد على نفسي مع والدي، وأنت ريتيني وكفي ما فعلتي لي. عودي إلى العراق".

عمل نسائي

فعلًا كان عقلي مشغول بكل تفاصيل العراق، وعدت في 2004. اخترت العمل مع المجتمع المدني رغم عرض تكليفي بمنصب في مجلس الحكم، وهكذا عملت مع "جمعية الأمل العراقية"⁵، خاصة أنّ المنظمات النسائية أكثر بروزاً من بقية التنظيمات في المجتمع المدني، بل كانت أول مظاهره في زمن الديمقراطية مظهرة نسائية للمطالبة بتفعيل دور المرأة العراقية في البناء الديمقراطي للعراق، وذلك في أيار/مايو 2003 أي بعد شهر من تغيير النظام.

وفي 2005 أسسنا "شبكة النساء العراقيات" وهي شبكة

5 اصدر مجلس الامن القرار 661 في آب/اغسطس 1990 بفرض عقوبات سياسية على العراق لارغامه على سحب قواته من الكويت. وشملت العقوبات حظراً اقتصادياً كاملاً باستثناء المواد الطبية والغذائية

6 جمعية الأمل العراقية تأسست في 1992 بهدف توفير العون للعراقيين بعد نزدي اوضاع البلاد اقتصادياً في أعقاب حرب الخليج الثانية (غزو الكويت 1991)، عملت الجمعية في كردستان في بدايتها، وبعد سقوط نظام حزب البعث بقيادة صدام حسين أسست فرع ببغداد في أيار/مايو 2003.

تضم منظمات معنية بحقوق المرأة. وكبنا عملية كتابة الدستور ودعمنا وجود كوتا نسائية، ونظمنا برامج توعية في بغداد والموصل وكركوك والنجف وغيرها من المناطق العراقية لأنَّ الشعب كان في عزلة عن العالم والتطورات الحادثة في ما يخص قضايا المجتمع المدني، وهذه العزلة استمرت ما لا يقل عن عقدين أو أكثر بسبب الحروب والحصار. نظمنا دورات عما تعنيه الفيدرالية وحقوق الإنسان، بل ما هو الدستور. وهذه الدورات شهدت مجازفات، مثلًا حينما نظمنا واحدة في الموصل لما خرجنا من الفندق حيث كنا نقيم الدورة جرى تفجير المكان بعد ساعة واحدة من خروجنا.

الطفو فوق الطائفية

عملت فترة كمستشارة في وزارة الموارد المائية. وبين 2008 و2014، أسست شبكة المبادرة العراقية للمياه والبيئة، لجعل المجتمع المدني العراقي يهتم بهذه القضايا، مو فقط حقوق إنسان وسياسة ودستور، خاصة أن العراقيين للأسف اعتادوا على أن الماء يديهي وموجود وفيه وفرة، في حين أننا دخلنا ومرينا بحالات جفاف. وفي 2014، غرض عليّ أن أكون مع إحدى الكتل السياسية التي تشكلت باسم "التحالف المدني الوطني" وهذا السبب اللي خلاني أشارك أن صفته غير طائفية أو قومية، وأنا إنسانة مدنية وطنية لا أؤمن بأن الخلفيات والهويات الفرعية يجب أن تكون فوق هويتي الوطنية. كان هذا التحالف أول تكتل سياسي بعيد عن الهوية الطائفية والمحافظة الحزبية. رشحت بقائمة هذا التحالف كمستقلة، ودخلت البرلمان من خلال الكوتا النسائية العراقية، اللي دعمنا وجودها بحملاتنا في الدستور كشبكة ومنظمات مجتمع مدني. ولولا هذه الكوتا ما كنا شاهدنا وجود أي امرأة في البرلمان.

أغلبية الأعضاء تنافست وتصارعت من أجل إبراز هويتها الطائفية، كان التنايز الطائفي في أوجه، وكنت مع مجموعة قليلة تعمل بالمنطق الوطني فوق الطائفية. لاحظت أن البرلمان منقسم؛ قسم للكتل الشيعية التي كانت الأكثرية، وقسم آخر يمثل السنة والاكتراد... هل يعقل برلمان عراقي يمثل الشعب العراقي، معقولة داخله هذا التقسيم، الشيعة على جنب والسنة على جنب! إذا الانقسام من هذا المكان ينطلق، فأنتم تقسمون المجتمع العراقي بسياساتكم. تحدثت عن هذا الأمر في البرلمان، وبعدها بفترة قصيرة عملوا التقسيم على الأسماء والحروف الأبجدية.

عامرة البلداوي: الدولة لا تهتم بالجنדר

وفي 1977، صارت انتفاضة صفر، راح في هذه الفترة عدد كبير من الشباب بين اعتقالات وقتل، ما أدى إلى حدوث هجرة للخارج وتشكل معارضة بـه العراق. وصار عندي ميل لهؤلاء الأشخاص اللي يطالبون بأشياء مثل حريات التعبير والرأي والمعتقد. تأثرت بشكل كبير بحالة منع هؤلاء الناس من ممارسة حقهم الطبيعي في البلد، لأنهم بلا توجه معين، وتنقاشت وياهم.

تخرجت 1978، قدمت على ماجستير، ومنعت مع إنبي من الأوائل، وبدأت المماثلة مثل "لازم بعد سنتين"، وكل سنة كنت أقدم ويرفضوا. وفي هذه الأثناء، عملت مساعدة أستاذ بالكلية، والأستاذ اللي كنت مساعده فسر لي مسألة الماجستير بأن: "جاء تقرير عليك إنك ما معروفة التوجه"، وهذا التقرير سبب الرفض.

حجاب

وفي يوم جمعة، 1979/5/26، قررت اتحجب حتى أروح ثاني يوم، السبت، للدوام وأنا لابسة الحجاب، وضد أهلي لأن الحجاب ما موجود عندنا. حجابي كان نتيجة بحث عن حالة استقر بها نفسيًا، أريد أن أجد نفسي.

على الصعيد السياسي في العراق، نَحَيَّ أحمد حسن البكر واستلم صدام حسين الحكم، وهذا كان استعدادًا لاتخاذ موقف من ثورة إيران الإسلامية أو شيء من هذا القبيل، وبالفعل بدأت الحرب 1980.

فترة الحرب كانت مؤلمة، هذا بلد مسلم ليس تتحاربون وياه، شو اللي يستحق إن هذه الضحايا تروح، لكن الحكمي مع الخواص. في ذلك الوقت ما فيه فرق بين السنة والشيعة. السنة أيضًا كانوا مضطهدين، لذلك كان عندي علاقات طيبة معهم. والنقاشات عززت الروح الدينية والتمسك بالحجاب، لكنني ضليت فعدلة في كل الأحوال، ما عندي تطرف لم أنتم مثلاً لحزب الدعوة. لكن الكل مظلوم، الكل يعيش حالة اضطهاد. كانت مرحلة خوف.

في 1986 سمحوا لي بالماجستير، أنا وآخرين، بشرط أن نطل معيدين وليس أساتذة، وأنهيت الماجستير في 88. اختصاصي كيمياء أغذية، وبحث تأثير تقنية الميكروويف، اللي كانت جديدة وقتها، على أنزيمات وخصائص البطاطا. بعد سنتين اعترفوا بشهادة الماجستير، وصرت بهيئة التدريس، أستاذ مساعد، وصار عندي اهتمام بالبحث العلمي أكثر من اهتمامي بالتدريس.

عامرة محمد حسين، مواليد "بلد" التابعة للعاصمة العراقية في 1956، لكن سُجِّلَتْ قبلها بسنة.

تري عامرة أنَّ الدولة لا تراعي الجندر في التعيين أو توفير بيئة عمل مناسبة، وتعتبر أنَّ طاقات المرأة العراقية لم تُستغل بعد.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلات في تواريخ 29 آب/أغسطس و9 و13 و24 تشرين الأول/أكتوبر 2020.

غير معروفة التوجه!

لقبي البلداوي، إحنا من "بلد"، وهي وقتها كانت تابعة لبغداد، كانت على الأطراف. ولهذا أعتبر نفسي بغداوية من الأصل.

أسرتنا مكونة من 7 أولاد، 5 بنات وولدين، وتسلسلي السادسة.

أسرتنا كانت محافظة، ومتأثرة بشخصية الوالد القوية، كان تاجر ومثقف جدًا، ما كان يقعد في البيت هيك يشرب شاي إنما لازم كتاب تاريخي أو سياسي. لما تقعد كأسرة كان يحكي مقاطع مما قرأ، لذا حبيت القراءة على صغر، قرأت نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ودوستوفسكي.

دخلت الجامعة 1974-1975، معدل درجاتي كان صغيرًا، لذا التحقت بكلية الزراعة، واخترت قسم الصناعات الغذائية لأنه واعد. بالنسبة للكلية كان اسمها "انتصار البعث" لأن اتحاد الطلبة فيها سيطر عليه حزب البعث، لكنني كنت مستقلة وما عندي أي رغبة أكون في هذا الحزب، ووقتها كان بـ"الزراعة" تنظيم شيوعي قوي، وحاول التنظيم الشيوعي تجنيدي، وكذلك حاول أفراد البعث استمالتي، لكن لا أحد ضغط عليّ لدرجة الأذية، وتخرجت من الكلية دون دخول أي تنظيم سياسي.

بالسنتين الأخيرتين قبل التخرج حصلت أحداث مفصلية بالعراق أثرت على الحركة الطلابية، بل كل العراقيين، التيار الديني بدأ يزداد، وكثير من الشباب اللي أصبحوا متدينين حاولوا التواصل وياي، بالرغم إنني كنت سافرة.

1 أحداث حرب في شهر صفر الهجري الموافق (شباط/فبراير) 1977 ردا على منع السلطات العراقية الموكب الحسينية التي توجه سيرا على الاقدام إلى مدينة كربلاء وسقط من مختلف أنحاء البلاد.

التدريب على مشروع، تعليم مهارات وإفساح مجال. الخمس سنوات الأولى المنظمة كانت دون تمويل، ومعتمدة بشكل كامل على.

اعتبر حالي محظوظة كمرأة، رغم ما مررت به من عراقيل، لكن في العراق الرجل مفضل عن المرأة في المناصب الحكومية، بل أي توظيف المرأة في مجتمعنا ما تقدر تروح في عمل، أو تشتغل في السوق أو الديوان. الشاب يقدر، حتى يجيب اللي يخليه يصرف على نفسه وعلى أسرته، لكن الشابة ما تقدر تسوي هذا الشيء. فهي باقية تنتظر فرصة محترمة لها، لا أقصد تعيين، بل فرصة محترمة تقدر تشتغل بها في أجواء مجتمعنا المعروف. هذا لم توفره الدولة، أو تقدم مشاريع استثمارية كبرى تمتص البطالة الموجودة، لدينا نساء جامعات مهندسات وغيرها من التخصصات لم تستغل طاقتهن. الدولة لا تراعي الجندر في التعيين أو توفير بيئة عمل مناسبة.

مثلاً مهتمة نخلي معايير لتقييم كوتا النساء، هل نجحت أم نحتاج إعادة النظر بها، أو شو نسوي؟ المفروض أنه إجراء تمييزي للمرأة، لكن ما يبقى طول العمر، وبعد فترة يصير نضج، وبالتالي المفروض يتوقف والمرأة تبدأ طريقها. لكن هذه الدراسة تحتاج التأمل بهدوء، ودون تعجل.

في 1993، صارت بعثة أو زمالة على حساب جامعة الملك فيصل من السعودية، وأرادوا التمييزين في أفسامهم، ورشحوني بالقسم. قالوا لي إن هذه المسألة فرصة لا يمكن تفويتها، شو اللي كان المطلوب مني، حصولي على قبول في الجامعة بالخارج. بالصدفة كنت أعرف أستاذ عراقي يعمل بجامعة أجنبية ودرّس عندنا، وهو مقيم بالخارج تواصلت معه، وحصل لي على قبول من الجامعة التي يعمل بها بكندا، لكن طلع قرار من رئاسة الجمهورية إنه ما يصير بنتة مش متزوجة تطلع لوحدها، معرفش إيش أسوي، وبعدين فرصة الزمالة راحت. لماً سألتنا شو يمنعا كنساء عن الدراسة في الخارج كان السبب إن النساء لماً يروحون لوحدهن قد يحدث أي تصرف يسيء إلى سمعة البلد... هكذا كانت تصدر قرارات بها إجحاف بحق النساء مثل قرار عدم قبول طالبات بكلية الهندسة، تمييز صار ضد النساء بشكل عام.

في 2001، حصلت على الدكتوراه، بعدها حظيت ببالي إنه أي مؤتمر لازم أشارك فيه، منها مؤتمر يوم العلم بسوريا، وهذا مؤتمر ضخم ومهم، وفيه شوفت الدكتور محمد الربيعي، هو أستاذ بنفس اختصاصنا مقيم خارج العراق. وجاء يريد يخكي معي، لكني خذرت: "ديري بالك لأنه مطلوب بالعراق وإحنا ويانا بالوفد ناس مخابرات، ويكتبون تقارير"... هكذا وصل وضعنا، وزاد الأمر مع وجود تذرر داخلي وغيان وخوف ويأس من الخلاص من هذا النظام، والناس تركت الموضوع مع الأسف لقوة خارجية تيجي تغير النظام. رغم أن التغيير كان ممكن يصير بشكل ثاني.

شأن عام

بعد سقوط نظام "البعث"، قلت إننا ما قلنا "لا" مباشرة لأي ديكتاتور، وقررت المشاركة في عملية التغيير، حتى لا نخلي ديكتاتور يجي مرة ثانية. وشاركت كعضوة بمجلس النواب دورة 2006 لـ 2010، بعدها قررت دخول المجتمع المدني، وذلك لأنني مهتمة بشأن البلد العام، لكن مو لازم أصير نائبة.

المجتمع المدني عالم آخر، يعتمد على التشاركية والرأي. لا يوجد صوت واحد، ولازم رأي الجميع.

في المنظمة منعاً الترويج لأي شيء سياسي. ومن بداية التأسيس نقدّم برنامج مستمر للأرامل والأيتام. عندنا برنامج كفالة وتنمية اليتيم، يقدم برامج تنمية للأطفال، للآيتام بالذات. دول مسجلين عندنا لحد الآن، وهو تطوعي. يعني المؤسسة تطوعت، تخلي ميزانية سنوية، وأيضاً متطوعين من الخارج. بالنسبة للأرملة نسوي برنامج تمكيني، حتى نمكن الأرامل اقتصادياً قدر الإمكان، يصير

عفيفة لعبيبي: رغم كل ما يحدث عندي أمل!

عن المهمشين، بدأوا يقتلون وبرهبون أي إنسان له علاقة بالثقافة أو يختلف عنهم، أو ممكن وصف انقلابي 63 باختصار بأنهم كانوا "حثة" العراق. وهذا الانقلاب جرى بمعاونة من خارج البلاد، وذلك للقضاء على "ثورة تموز" التي خوّفت الدول الأوروبية، وهددت المصالح البريطانية والأمريكية.

وفي 1969 التحقت بمعهد الفنون الجميلة، بعد أن علمني فيصل أساسيات الرسم. وخلال الدراسة عملت في "طريق الشعب"، هي جريدة الحزب الشيوعي العراقي، حدثت لي نقلة نوعية هائلة، خاصة إنني كنت وسط زبدة مثقفي الوسط العراقي. مو يس ثقافة، وإنما خلق وأخلق لأن كلهم شيوعيين، من الاستعلام إلى رئيس التحرير كانوا كلهم نماذج، واشتغلت هناك أكثر من 3 سنين.

ولع بالفن الروسي

تخرجت في 1975، وكخريجة كانت عندي فرصة عمل بالمدارس، لكن كان طموحي إكمال الدراسة في الخارج، وتحديداً بموسكو، لأنني تعرّفت على الفن الروسي ومدارسه بالمعهد وعملي بـ "طريق الشعب" عزز اهتمامي بأعمال الفنانين الروس. وبالفعل قدمت للدراسة بالاتحاد السوفيتي، وقُبلت.

وصلت الاتحاد السوفيتي في خريف 1975، السنة الأولى ندرس لغة ما لها علاقة بالرسم، وبعدها سويت اختبار للرسم وقدمت نماذج من شغلي بـ "طريق الشعب"، عبارة عن تخطيطات، وقُبلت بالأكاديمية "سوريكوف" للفنون الجميلة قسم "جرافيك"، واستمرت فيه حوالي 6 أشهر. ثم طُلبت نقلي لقسم الجداريات، لأنني أعجبت بالفن الجداري في شوارع موسكو، هو فن يروح للناس، بل الناس تعيش والجداريات تحيط بهم في الشوارع، فن للبسطاء لا يوجد بالمتاحف. جذبتني له رغبتني في وصول الفن للبسطاء. وبعد محاولات عديدة نجحت في الانتقال إلى "الجداريات".

المفترض أن مدة الدراسة خمس سنوات، بالإضافة إلى سنة تفرغ لعمل الدبلومة. لكنني مزجت السنة الأخيرة مع سنة الدبلومة، وذلك لأنني وقتها تزوجت من فنان وزميل سابق ببغداد، اسمه جبران علوان. وكان عليّ اللحاق بجبران في إيطاليا. وبالفعل غادرت موسكو كانون أول 1981، لإيطاليا وبعد شهر ولدت ابنتنا "آذار".

مصاعب إيطاليا وروعة هولندا

عشنا بروما القديمة، وكانت فكرة العودة إلى العراق بوقتها مستحيلة، كانت تصلنا فقط الأخبار الم حزنة والمؤلمة، أدركت إن ما فيه أمل، لذا أردنا ابنتنا يكبر في هذا البلد الجميل؛ إيطاليا. رغم أن وضعنا المادي لا يسمح بشراء آيس كريم للصغير،

عفيفة لعبيبي، مواليد البصرة 1952، فنانة عراقية من أسرة مثقفة ويسارية الهوى. عملت رسامة في جريدة الشيوعي العراقي "صوت الشعب"، وتأثرت بأجواء التربية والعمل والدراسة قررت إكمال دراستها للفنون في موسكو، وبعد سفرها للاتحاد السوفيتي قضت أبرز سنوات عمرها في المنفى.

في أعمال عفيفة نرى حضوراً خاصاً للمرأة، وهو الحضور الذي لا تجد تفسيراً مباشراً له، لكنها تؤكد ارتباطه بتأثيرها بما مرت به المرأة العراقية من مآسٍ. اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 27 حزيران/يونيو 2022.

أسرة مفتوحة

أبي كان ابن عم أمي، وخلفا 6 أولاد، منهم بنتين، وأنا آخر العنقود.

فتحت عيني على أب حلمه يكون ممثل سينما، محب للأفلام والموسيقى بشكل لا يصدق، وإخوتي أيضاً مهتمين بالسينما والمسرح والقراءة، يشتررون كتب الأدب المترجم من سوق الجمعة. أخي الأكبر، فيصل، وأصدقائه أسسوا مجلة أطفال وهما في سن 9 أو 10 سنين، وعليّ ينحت في البيت، يصب قوالب من الجبس، ويشغل... هذه هي الأجواء.

تربيت في أسرة مفتوحة؛ بابنا مفتوح 24 ساعة للأصدقاء إخوتي، كُنّا، أنا وأختي ليلي، دائماً مع أصدقاء إخواني، ما كان فيه جو عيب وجود ولد وبنات. كُنّا سعداء وأحرار. عليّ، كان مثلي الأعلى، وهو انتسب بغمر بفكر لحزب "الشيوعي العراقي"، وكان المجال يسمح بذلك بعد "ثورة تموز 1"، حيث اكتسح الشيوعيون الشارع العراقي.

ولمّا صار انقلاب 1963 العرب سيطر على العراق كله. صارت مجازر بالشوارع، لأنّ اللي استلموا السلطة عبارة

1. بمقتضى إعلان الجمهورية العراقية في 14 تموز (يوليو) 1958، عبر انقلاب عسكري مائة عبد الحكيم ماسم وعبد السلام عارف، والاطاحة بالحكم الملكي الهاشمي، وسمل الملك فيصل الثاني وكان عمره حوالي 23 عاماً. وبولس ماسم رئاسة الوزراء، وصار الحاكم الفعلي للبلاد.

حتى طلب الجاليري كبير إقامة معرض، وأقيم بـ2001، وبسبب هذا المعرض انتبه لشغلي أكاديمي هولندي يعمل في جامعة لايدن بالعلوم الإسلامية اسمه بيتر جورج. جاء قبل الافتتاح اشترى عمليين، هو أول إنسان هولندي يقتني شغلي. وفي المعرض التالي، التقيت خمسين دقائق. وبعد سنة اتصل بي، وقال إنه سيمع بطبع كتاب للوحاتي وطلب نسخة منه، وزارني بالمرسم للحصول عليها، وبعدها ما تركني. وتزوجنا بعد 6 شهور.

حجاب وإرهاب

أول زيارة لبغداد كانت في 2004، وصلت بيت أختي، ليلس لعبيبي. لقاء حزين ومؤلم، كنت سبتها في عز شبابها، لقيتها كبيرة ولبسة حجاب، وحيدة تمامًا. أمي متوفية، وأبوي متوفى، بقيت كل فترة وجودي بالعراق بين الوعي واللاوعي. الناس تعبانة، الوجوه صفرة وحزينة. النساء بالشوارع محجبات، صديقاتي خريجات فنون جميلة اللي كنت أقضي أجمل الأوقات وباهم، لقيتهن محجبات، الكل يقول لي: "الله يهديكي، إحنا ندعوا لكي" استغربت، أقول لهم ليس، شو في. ثم عدت إلى هولندا.

مثلًا لاحظت تأثير أحداث الإرهاب في العراق في الإقبال على شغلي، بدأ الناس برفضون يشترون. هذه حقيقة، ممكن ينكرها البعض، بس موجودة، الجاليري اللي كنت أعرض به خاف يقول إن الفنانة من العراق أو أصولها عراقية، لأن العراق أصبح مثل أفغانستان، مع أننا جميعًا معروضون للإرهاب ولسنا مصدره. موقفي من مسألة الجاليري، إنني أقدم فن جميل، ليس نتعامل ويايا إرهابية. لهذا انسحبت من الجاليري بعد 16 سنة من التعامل معه، ودعمني زوجي وقتها.

ومؤخرًا تعاونت مع إنسانة رائعة، اسمها كرستين، ومحموطة كوني واحدة من الفنانين اللي تشغل معهم، بيتي فرغ من اللوحات، وتم اقتناء أعمالتي على كل الكرة الأرضية. حاليًا هناك اهتمام واسع بشغلي في الخليج العربي، وتحديدًا بالكويت والإمارات. ولي أعمال بسنغافورة، وعرضت لوحتين من مجموعة "حرب الخليج" في متحف الفن الحديث في نيويورك "موما".

لست من جماعة الشعارات، لكن عندي أمل بالعراق، لا شيء يبقى على وضعه ستأتي أجيال جديدة لها أفكار مختلفة، لأن شعبنا يستحق حياة كريمة ونبيلة وشريفة.

لكني ما كنت أتوقف عن رسم ما يعبر عن مآسي العراق، مواضيعي الأولى كانت حزينة ومؤلمة، وثقبض القلب مثل ما يقولوا. وقتها كانت صديقات عزيزات عليّ في السجون العراقية، سمعت بتعرضهن لتعذيب رهيب. مثلًا ما كان عندي نية لرسم المرأة بالظبط، يمكن انشغلت بتصوير ما حدث للمرأة العراقية من وحوش لا تعرف الرحمة، خاصة أنها الضحية الأولى؛ الأم بأخوذون ابنها، الأخت تفقد أباها، الزوجة تخسر زوجها. هذا سبب تصويري للنساء في حالة بكاء أو استلام جثة أو حداد على الراحل. وعلى الصعيد الفني، المرأة عنصر مهم في كل تاريخ الحركة الفنية لهذا أبرز المرأة لتوصيل فكرتي مع إبراز جمالها. ومما رسمته وقتها عمل اسمه "أن تكون امرأة" يمكن بـ1986، (والذي ستختاره الأمم المتحدة في ما بعد ليكون جائزة تمنح لأي امرأة لها دور في مشروع يخص النساء بالعالم الثالث).

كنا نسوي معارض، وكنا ناشطين سياسيًا ضد الحرب العراقية الإيرانية، مظاهرات ومعارض وتضامن مع الشعبين ضد الديكتاتورية، وشكلنا لجنة من إيرانيين وعراقيين يساريين، ودعمنا من اليسار الإيطالي. بس مع ذلك ما كان أحد يشتري شغلنا، كنا فنانين يساريين جوعانين في إيطاليا، وقليل متا اللي قدر يبيع أعماله كفننا.

وآذار عمره ست سنين، 1988، انفصلت عن أبيه، وعشت بفلورنسا في حالة قلق رهيب، عندي ولد صغير وما أعرف شو أسوي، ما عندي وطن، وثالقي كلها ساقطة، ما عندي إقامة بالبلد، وضع مأساوي. لسنتين ساعدتني صديقة إيطالية، دفعت الإيجار وباقي المصاريف، وكانت بمثابة أم ثانية لأدار.

وخلال فترة حرب الخليج الثانية، رسمت مجموعة أعمال لأقول إن العراق ليس صحراء قاحلة، العراق تاريخ، هذه النقطة اللي أردتها في لوحاتي، أنتم أيها الأميركيان ترمون قذافيكم على تاريخ عميق.

فترة إيطاليا كانت صعبة، مثلًا عملت برسم السواح في الساحات، وكنت رسامة مساعدة لفنانين إيطاليين، ورسمت أعمال منسوخة من أعمال فنية قديمة لثباج بمحل أنتيكات. ثم عرض عليّ أصدقاء المجبي إلي هولندا، وما أن وصلت في 1998 فتحت فرص رائعة، كان أمي داعية لي.

أقمت بمدينة صغيرة اسمها خولا. سجلت أوراقتي بالبلدية، وتعاملت مع موظف رائع هناك. سويت عرض صغير للوحاتي، وكتب عنه صحفي مشهور. راح موظف البلدية رشحتني لجهة مانحة للحصول على منحة، راسلها بصور وما كتبت عن شغلي بالمعرض، وبالفعل تواصلت هذه الجهة المانحة معي وقدمت لي منحة مالية لسنتين. هكذا تفرغت بشكل تام لشغلي كفنانة، وتوالت فرص عرضه.

قوية باللغة العربية والإنشاء والخطابة.

وخلال الدراسة المتوسطة، زارنا بالمدرسة مسؤولو التلفزيون بحثاً عن طالبة تقدم برامج للأطفال، ومديرتنا لأنني طالبة cute تفوز بمسابقة الخطابة كل سنة قالت لي: "روحي قذمي البرنامج مع الأطفال"، أقول لها أبوي ما يقبل، تقول لي: "روحي اقنعي أبوكي"، مرتين، ثلاثة، أروح على أبوي يقول لي: "إحنا نصير عندنا مذبة، إحنا العشائر ما نصير عندنا مذبة".

ومرة قدمت صديقة لي على وظيفة بالتلفزيون، قالت لي: "تيجي وياي للتلفزيون؟ ما أفدر أروح لوحدي"، قلت لها okay، روت وياها بملابس المدرسة. وبالتلفزيون رأني شاكية هنسيان، زميلة أبوي، وقالت لي: "عواطف شو تسوين هنا؟"، قلت لها صديقتي جاية تقدّم على وظيفة، دخلت ورجعت عشان تقول لي: "تعال"، دخلتني أستوديو وقعدتني على طاولة المذيعين، واعطتني خبر وقالت لي: "أقري هذا الخبر".

ولأنني شاطرة بالخطابة، قرأته وهي جاءت تركض: "مبروك صرتي مذبة"، قلت لها أبوي ما يقبل، قالت لي: "روحي قولي له شاكية تقول أقبل" حكيت لبابا كيف صار الموضوع، قال لي: "مستحيل، شاكية وما شاكية، ما تطرحين، وفي مدرستك ترسين"، عشان هو بس يريدني أطلع طيبة، هذا كان أمه. طليت وساطة عمي، وهو شيوعي وكان متحرر، وقتل له والده ما راح أرسب، وعمي قال له:

"ليش ما تخليها، تلفزيون محلي، وإحنا الناس كلها نعرفنا". وأخيراً وافق أبوي، وصرت مذبة، بس أصغر مذبة كنت، وهذا أذاني دفع داخل المدرسة، الطالبات يتكلمون عليّ، كأي نازلة من المريخ.

أحببت شاعرًا

ووصلت الدراسة الثانوية وبعدها الجامعة مع استمراري بالتلفزيون، ورئيس المذيعين، كتب عني قصيدة، وحبته من كلماتها. وصار عندي علاقة بهذا الشخص. ومدير التلفزيون سمع متأخراً إن عندي علاقة برئيس المذيعين، طلبني وروت، قال: "أيش عندك وبا شاكر؟"، قلت له أحبه بكل وضوح. تعجب وسألني "كيف تحبيه، أنا أريد انزوجك"، تفاجأت بهذا الشيء، خبر جديد عاجل إن هذا يحبني ويريد يتزوجني، قلت له بس أنا عندي علاقة بشاكر. صارت مشكلة بالعمل، إحنا كلنا عندنا وصمة إذا البنية تحب ويكون عندها علاقة، مدير التلفزيون اتصل بوالدي: "أريدك تيجي هنا يمي"، وأبوي جاء ومدير التلفزيون قال له: "عواطف عندها علاقة بشاكر"، وصارت مشكلة، وأبوي ضربني بشكل مبرح. وفي اليوم التالي، زوجت لأحد أبناء عمي، مع إنني ما قبلت، لم أقل وافقت.

عواطف رشيد: لا يمكن إنكار تأثير كوني امرأة على حياتي

عواطف تركي رشيد، مواليد البصرة 1956.

هذه شهادة ملهمة عن امرأة اكتشفت بمشقة ومعاناة ذاتية أهمية الدفاع عن حقوق المرأة وضرورة رفض العنف الأسري. أدركت عواطف أهمية النسوية من خلال مشقة الحصول على حقوق بسيطة مثل عدم التعرض للعنف.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة في 26 حزيران/يونيو 2020.

أنّ تسوين ألف رجل بس لو الله خالكك رجل

والدي تزوج مرتين، من الزيجة الأولى اللي هي أمي إحنا أربعة، وتسلسلي الأولى. وحدث طلاق بسبب مشكلة بين أهل أمي وأهل أبوي، وبقينا مع أبوي. بعد الطلاق أمي تزوجت ابن عمها. جميعنا أبناء مدينة البصرة، ولكن جذورنا من القرية، وبقي النظام العشائري هو المسيطر على العائلة. جدي كان شيخ العشيرة، وبعدين والدي صار شيخ العشيرة، وحالياً أخوي.

أبوي عمل بالهندسة اللاسلكية، حضر كورسات في أمريكا، وشارك في مراحل إطلاق تلفزيون البصرة مع مهندسة أخرى اسمها شاكية هنسيان. وأبوي خلاني متعلقة به، وبدأ يرعاني من وأنا صغيرة، وأنا طالعة الصف الرابع الابتدائي يجب لي ديوان أبو العتاهية ورواية البؤساء لفكتور هوجو، كنت أقرأ لكن لا أفهم. قضيت على كل الكتب اللي بمكتبة أبوي، بعدها مكتبة جدي، ثم مكتبة المدرسة.

وبسبب القراءة، كنت شاطرة بالمدرسة. مرة معلمتي في الصف الرابع الابتدائي طلبت منّا كتابة نص إنشاء، وهي كانت زوجة الشاعر بدر شاكر السياب، أخذت ما كتبت وقرجت المديرة والمعلمات: "شووفوا الإنشاء مالت هذه الطالبة من الرابع الابتدائي" يعني شافت شيء "واو" بالنسبة لأسلوب الكتابة في هذا السن. صارت عندي ثقة بنفسي، وفي الصف الخامس الابتدائي شاركت بالخطابة، وذلك لأن عندي فكرة

اتفقنا أنا وشاكر إننا نستقبل من التلفزيون، فبلوا استقالة شاكر، لكن المدير رفض استقالتي، وحاصرني بالتلفزيون.

اتفقنا أنا وشاكر إنه يروح يشتغل في الكويت، وبالفعل اشتغل رئيس إذاعة الكويت، ورأيت زين لشهرين، بهذه الأثناء راح مدير التلفزيون إعارة للخارج وجاء مكانه مدير آخر بشكل مؤقت، روجت على المدير الجديد قلت له ما يقبل المدير استقالتي، أرجوك تقبلها، ووافق وبعدين روجت على شاكر الكويت، عشان يرجع العراق.

وانتظرنا حتى طلقت من زوجي، وشاكر وسّط أقاربه، هو من عائلة تجار معروفة بالبصرة، وأبوي يعرفهم ويحترمهم كعائلة، وافق، وتزوجنا. بهذه الحالة أنا وشاكر بدون وظيفة، ولأنه مخلص دراسة بكلية حقوق، اشتغل محامي، لكن كل ما يقدم على شغل ما يقبلوه ليش؟ لأن مدير التلفزيون عضو قيادة البصرة في حزب "البعث" الحاكم، وأخوه مدير مخابرات وأخوه الثاني مدير أمن، ما حدا يقبل شاكر بسبب علاقات مدير التلفزيون بالبصرة. ضلينا هكذا، حتى أدّين مدير التلفزيون بالمشاركة في المؤامرة على صدام حسين بالمؤتمر الشهير 1979، وقتها صدام قعدهم بمؤتمر وطلع المتهمين بالتآمر لأنهم غير موافقين على أنه يكون رئيس الجمهورية، وسجن المدير. رجعت التلفزيون، وكانت مدة بث تلفزيون البصرة ساعة واحدة، وكنت أعطيها كمذبة، أقرأ أخبار، وباقى المدة أغاني وهيك برامج بسيطة. وبالنهار تعينت مدرسة لغة إنجليزية بفدرسة الوزير الثانوية، وولحت ابنتي الثانية، وأساسا صارت الحرب مع إيران.

أخوي اختطف من كلية الهندسة (1982) وما تعرف ليش، بحثنا عنه سنة كاملة ما ضلنا مكان. وصدر أمر إداري من المحافظ بنقلي من وظيفتي كمدرسة إنجليزية لكاتبة بالبلدية، قيل لي إن النقل عقوبة لأنني لي أخ مسجون. (كنا لا نعرف إذا كان أخوي مسجون ولا ميت). طلعت على المحافظ استفسر منه، فرد: "والله أخوكي" قلت له أخوي ما تعرف عنه أي شيء لحد الآن، ما تعرف هو مسجون؟ موجود؟ ميت؟ عايش؟ قال لي: "خلاص صدر الأمر".

مثلاً حين صار مهرجان المريد، كنت المذبة الوحيدة بالبصرة، طلبت مني وزارة الثقافة والإعلام تقديمه، أصلاً ما فيه حد غيري، المحافظ اعترض، لكن الموضوع كبير، ووزير الثقافة قال: "إيشلون المحافظ يفرض رأيه على إدارة المهرجان.. ما يصير". وبالفعل قدمت المهرجان، وشاكر شارك بقراءة قصيدة. وبعد المهرجان جاءت رسالة من أخوي، وعرفنا أنه مسجون في "سجن أبو غريب" محكوم خمس سنوات، أنهم أنه مع حزب الدعوة، رغم أنه ما كان عنده نشاط.

القصف اشتد على البصرة، توفي ابني، وبعده استشهد أخوي وعمي وغيرهم من عائلتنا، لأن بسبب الحكم على أخوي جهزوا كل شباب عائلتنا للمشاركة بجهة القتال مع إيران.

روحنا كركوك، وظلقت من زوجي لأنني ما كنت متحملة نفسيًا أي ضغط عليّ.

ثم تقدم رجل حتى يتزوجني، رجل ما كان عندي علاقة به، هو عميد بالجيش، وجاء لأبوي. وجاء أبوي بعد ما قعد وياه، "هذا الرجل يريد يخطبك"، قلت له لا أريد الزواج، بل أريد تربية بناتي. رجع للعميد قال له: "تريد تربّي بناتها"، قال له: "هي وبناتها بشاربي". قلت ما أريد، تابع أبوي ضغطه: "مادام هذا الرجل جاي ومتقدم ويقول هي وبناتها بشاربي ومبين رجل مو صغير". كررت رفضي، قال أبوي: "إذا تتحجبن وتقعدين ويا إخوانك البنات"، وأنا أكره الحجاب، لذا قلت له okay اتزوجه.

إبتزاز

زوجي الجديد كان عميد بالجيش، وأمر لواء الدفاع الوطني السابع اللي هو قائد القوات بالمثلث العراقي الإيراني التركي. وانتقلت مع بناتي ويّاه إلى أربيل (1988)، ونقلت لمعهد المعلمات بأربيل، وأهلي رجعوا البصرة. زوجي قال: "ما أريد البنات"، قلت له من البداية أردت تربية بناتي وأنت أحييت، واقنعت أبوي، بدأ يضربني ويضرب البنات. يوم نتصالح واللي بعده ما نتصالح، ومرة حكى ويّاي: "ليش تكرهين صدام من وقت وفاة ابنك؟" وحكيت عن صدام، انتقده. وظل يكرر الأمر لمدة ستة أيام. وفي اليوم السادس التفت ولقيت المسجل شغل، والله العظيم ولا على بالي إن ممكن هذا الشيء يصير حتى بالخيال، كسرت التسجيل، قال لي: "كسريه، عندي 5 غيره في مكان أمين".

وظل يضغط عليّ حتى تعيش البنات مع أبيهم. إبتزاز، لكن ظليت مُصرة، وهو يعذبنا. بعدين جبر بنتي الكبيرة أنها تزوج، جم ناس خطبوها وكانت بالسادس الثانوي. وبعدين دار على الثانية، قلت كل هذا تحمّله لأنني خائفة من التسجيلات.

مثلاً يوم الانتفاضة كان ضابط متقاعد بالجيش العراقي، وخاف أنه يكون مُستهدف من المحتجين. وبالفعل هجموا علينا بالبيت، صاحوا "فاروق" (اسم زوجي)، طلعت من البلكونة حكيت وياهم، مسلحين حوالي 20، كل واحد لحيته طويلة. قلت لهم يتفضلوا، سألوني: "وين فاروق؟" قلت ما موجود، بقي أربعة بيانا، والباقي يدورون عليه. حاولت المناورة، قلت لزوجي خليني أنزل اتفاهم ويّاهم. المهم، نزلت للباب حاملة

1 - عُرفت باسم الانفاضة الشيعانية نسبة الى الشهر الهجري شعبان الذي شهد اندلاعها في جنوب العراق وشماله، وهو الشهر الذي وافق آذار/ مارس 1991، بعد أحداث حرب الخليج الثانية التالية لغزو نظام صدام حسين للكويت، وانسحاب الجيش العراقي من الأخيرة بعد هزيمته من التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة. تحركت الانتخابات بعد فقد سيطره النظام على المحافظات، وبدأت حوينا بالبصرة، وشملت العديد من المحافظات العراقية بخاصة تلك الواقعة في المناطق ذات الأغلبية الكردية. حاصر محتجو الانفاضة المعسكرات وطالبوا بإسقاط النظام. استمرت الانتفاضة لحوالي أسبوعين. استخدم الجيش سلاحه لدر الانتفاضة، وكان من نتائج تلك الانتفاضة منع إقليم كردستان الحكم الذاتي في ما بعد.

فانوس. قلت لهم مرحبا، قالوا: "اهلاً وسهلاً، وين فاروق؟" رأساً قلت لهم تفضلوا، كان يقول لي: "لا ما تفضل، قول لي لنا وين فاروق" دورت وجهي ومشيت وسبت الباب مفتوح. طبعا صورة زوجي بالحائط بملابسه العسكرية، وقلت لأحدهم: ما أقدر أقول لك هو مو ظابط، ومو عميد، هو عميد بالجيش، بس لخاطري ما تقتلونه، قال لي: "شنو خاطرك؟" قلت له أنا بصراوية، وإحنا أهل البصرة لما جاء مصطفى البارزاني للبصرة شالوا على كتفهم من الباخرة إلى السيارة رجله ما مست الأرض. وقلت له أنا بصراوية وأنتم مديونين لي، لخاطري لا تقتلوه، قال لي: "لخاطرك ولخاطر أهل البصرة ما حدا يؤذيه، وينه هو؟"

نزل زوجي وقالوا له: "إحنا ما نريد منك شيء عشان خاطر زوجتك راح نغفك، بس اعطينا السلاح اللي عندك"، وأعطاهم المسدسات، والبنادق ما أعطاه. وهما طالعين مع السلامة وطالعين، التفت عليّ واحد منهم: "ما دام بصراوية كلنا حمايتك".

وبقيت فترة بأربيل، وزوجي ظل ببغداد، يخبر أهلي وضجرهم بشكل، أبوي خابرتني "عواطف ليش تبقين بأربيل وأنت لسه صغيرة وعندك أطفال، وهذا زوجك شنو قاعدة بأربيل ارجعي". رجعت لبغداد، المهم وبعد فترة قررنا ننتقل للكروك، أخذنا بيت هناك.

هو باقي يعذبني ويهددني بالتسجيلات، وصار حصار اقتصادي بركوك راتبي يتراوح بين 3500 أو أربعة آلاف دينار يعني دولارين. لذا بدأت أدرس للطلاب بشكل خصوصي، يحبوني الطلاب والطالبات، الدفتر اللي أسويه لذي طالب، يسمونه "دفتر ست عواطف"، كنت شاطرة بشغلي. وفتحت مدرسة صيفية أدرس بها موسيقى، رسم، وبرمجة الكمبيوتر.

زوجي بقى على نفس الطريقة الوحشية بالتعامل وبإي وبناتي.

البحث عن الأمم المتحدة في كردستان

وقررت السفر مع بناتي لكردستان، وقد كان، الصبح زوجي راح بغداد، على أساس يرجع العصر، وقلت لبناتي بلا. وهن ما يدرون، ما يعرفون شنو، قلت لهم رايجين للبصرة. وقتها داليا كانت سبع سنوات، هند ثماني سنوات، ربما 14 سنة. معنا شنتنا و300 دولار، وصلنا للموصل صار ليل، روحنا لفندق حتى نزل فيه، صاحب الفندق قال: "ما عندك محرم ما تنزلين الفندق"، قلت له أنا جاية عند ناس هنا بالموصل، وهما طلعا رايجين لبغداد، شو أسوي أنا بالحديقة العامة بالشارع، قال: "لا، ما أقبلها"، وأخذنا غرفة. والساعة 7 الصبح، لا أريد حدا يشوفنا بالموصل، طلعا على أربيل بتاكسي. طول الطريق تفتيش، ولان الدولارات كانت ممنوعة وقتها، لفتها مثل سيارة ووضعتها بديل حسان شعر بنتي. فتشونا، ما جاء على بالهم إن الدولارات بالشعر.

عبرنا من السيطرة العراقية لأربيل، ومنها تاكسي للسليمانية، التاكسي قال وين ورقة الأمن، لانه ما مسموح أدخل السليمانية من أربيل، شرح لي إن "لازم تروحين للأمن ويعطونك ورقة". روحت للأمن، قالوا: "اليوم جمعة، ما أكو أحد مداوم"، توسلت ما قبلوا. رجعت للسواق، قال: "ما أقدر أوديك، ارجعي لهم". رجعت لهم، قالوا لي: "شو رايدة تسوين بالسليمانية؟" قلت لهم رايدة لأختي. قالوا أختك شو تسوي بالسليمانية، قلت لهم متزوجة وحققوا معي، والبنات ساكتين، ما يكون.

المهم أخذنا الورقة روحنا السليمانية. نزلت في الفندق، واليوم الثاني من الصبح وصلت لبعثة الأمم المتحدة المفاجأة المربعة قالوا: "أنت بداخل بلدك لازم تروحين دولة ثانية حتى نقبلك". قلت أنا بكردستان، قالوا: "مو دولة مستقلة". المهم قابلت مدير التربية، وقلت له أنا مدرسة جاية من كركوك، وجيت للأمم المتحدة وما قبلوني وأريد أشتغل بعد ما سدت أمامي الطرق. سألتني: "أنت مدرسة شنو؟" قلت له مدرسة إنجليزي، قال لي okay إحنا محتاجين إنجليزي. طلع لي أمر تعيين في المدرسة.

داومت بالمدرسة وعشت مع بناتي واشترت شوية أغراض، على أمل أجمع فلوس وأطلع. لكن لما جاء الشتاء وكان الوضع صعب، نصحت من المدرسات "روحني على هاروخان، زوجة جلال الطالباني، عندها منظمة تساعد الأطفال والنساء، قولي لها هذا وضعنا ومو مهيئين للشتاء راح تساعدكن". ما كذبت خبر، وروحت مكنتها مع بناتي، وسكرتيرها رحب بي، "وين ورقة الإقامة مالتك؟"، وأنا ما لا أعرف شنو "إقامة"، قلت له: شنو إقامة؟

"أنت ما جاية من كركوك؟" قلت له آه، قال لي: "المفروض تطلعين إقامة حتى تقدرين تعيشي هنا، تعينتي مدرسة وما حدا قال لك؟ سكنتي وما حد قلق؟" قلت آه. قال لي: "زين راح أسوي لك ورقة إقامة". قال للأمن: "راح تبجي لكم امرأة هي وأطفالها ما مطلعة إقامة سوّ لها إقامة"، وبالفعل ذهينا لمديرية الأمن العامة، دخلوني لمدير الأمن، وبناتي خلوهم في مكتب آخر، واشتغل التحقيق عليّ "إيشلون ما مطلعة إقامة؟". يا يا والله ما أدري، ما سامعة بالمصطلح، "لا أنت مخابرات من صدام". قلت له لا والله العظيم أنا شنو مخابرات، قولوا مضحية بنفسي أضحي ب3 بنات وبإي، قال: "جيباهم للتمويه". أريد أمتعه وهو ما يقتنع، خلاني أوقع على أوراق إنني راح أطلع من السليمانية. طلعت غيّرت السكن، وبطلت من المدرسة، وبدأت أدور على شغل.

زرت زوجة عمر السورشي، هي تحبني، لما كانت السورشي، وهي عشائر كردية، موجودة بأربيل، وانسحبوا إلى السليمانية. المهم زوجة عمر خبرت عليّ ابن زوجها، وهو صاحب شركة،

وقالت له إنني صديقتها ومحتاجة شغل، قال لها: "خليها تجيني الصبح".

وبالفعل شغلني، لأن كان عندهم تقاعد على مشروع ويا الأمم المتحدة، وصار ما حدا يحكي وياي من الأمن، لأن السورسية عندهم حزب المحافظين. وصاحب الشركة مو بس اعطاني وظيفة بل خلاني أدرس لأولاده تدريس خصوصي، أروح لهم البيت يومياً العصر أدرس لهم إنجليزي. ثم خلص عقد الشركة مع الأمم المتحدة وما صارت فيه حاجة لوظيفتي.

دورت على شغل ما لقيت، وسمعت إن الحزب "الشيوعي" يمكنه التوسط حتى نروح سوريا، لجأت للحزب، وحكيت للمسؤول هناك القصة كلها، سألتني عن سبب هروبي قلت مشاكل ويا زوجي، عنف أسري. وبالفعل بدأ في التعامل للحصول على أوراقنا، لكنها تأخرت، أسبوع، أسبوعين. رجعت لمسؤول الحزب الشيوعي، قال لي: "الأمن سيئين ما تعرفي تتعامل معي، أنت الأفضل ترحلين بالتهريب إلى سوريا" ثم قال إنه ممكن يعطيني ورقة من الحزب الشيوعي "تعبرين بيها" لأربيل، ومن هناك نهرب لسوريا.

وطلعنأنا وبناتي لأربيل، وصلت جبل قلندر، حيث كان زوجي قائداً للجيش العراقي، قلت أكيد هناك من يعرفون مهريين. وفي قرية بمنطقة رواندوز، لقيت شيخ وأولاده وبناته، كنت أعرفهم عن طريق زوجي، وقلت للشيخ إن زوجي معذبني وهربت، وأريد أروح سوريا تهريب، كان يقول لي: "إيشلون أنا أسمح تأخذين بناتك وتطلعي تهريب إلى سوريا، أنت إيشلون عقليتها"، قلت له لا، بس أكيد أنتوا تعرفون ناس مهريين، قال: "مستحيل ما تتحركين منا خطوة واحدة... تبقيين ومنظمات أجنبية يمتنا اشتغلي بها وأبقي عندنا بالبيت".

طلعت المنظمات الأجنبية المقصودة "قوات حفظ السلام"، قلت للشيخ ها دول مو منظمة ها دول حفظ السلام، كان يقول مع هذا أبقي هنا. وفي يوم الشيخ راح أربيل، سألت بناته عن مهربي، وقلت لها وذنوني له، وإذا جاء الشيخ فلولوا له هي راحت. أخذني ابنه لدهوك، حيث يقيم أخو زوجته واسمه رشوان، وقال لهم إننا نريد نروح سوريا تهريب.

وبقينا في بيت رشوان، وطلب المهريون 500 دولار، وأصروا على المبلغ. دفعت.

الصبح جَم ثلاثة، أخذونا لقريتهم، ونزلنا بيت كبير الثلاثة مهريين، واختفى المهريين الاثنين، انتظرنا، المهربي الباقي قال لي: "ليش مستعجلين، أبقوا اليوم هنا وباكروا" قلت okay. ذبح دجاج وتعيشينا وصعدنا فوق السطح كل بنات المهربي، وقعد ويانا يحكي ويسألني: "من وين أهلك؟ زوجك؟" تحقيق. "ست والله أنا مستغرب منك"، قلت له ليش؟ قال: "أنت مثلك واحدة مثقفة، وبيت عائلة، تطلع

تجاوز وتاخذ بناتها وتطلع لغير دولة بدون فلوس". قلت له ليش ما عندي فلوس، أنا أعطيتكم 500 دولار، قال مستكزاً: "أنت عطيتنا 500 دولار"، قلت له إنني أعطيتها لرشوان. قال لي: "تدريين شو قال لنا رشوان"، قلت له شتو. "رشوان قاييل هذه المرة فقيرة، ومقطوع بها الطريق وهي وبناتها، وتريد تطلع لسوريا بس ما عندها فلوس، بس أنا متي راح اعطي خير لرب العالمين صدقة أعطيتكم 100 دولار". قلت له باكرو الصبح نروح، وبالفعل ركبنا سيارته لبيت رشوان. كان قاعد هو وأبوه ومرت أخوه. رشوان قال: "شتو، ما رحتوا"، قلت له رشوان إذا رجعتا الحكومة السورية أو المهريين ما وصلونا، الـ 500 دولار أريدها، رد رشوان: "طيفاً". لكنه ما أعطاني الفلوس، والمهريين قصدوا يممشونا 12 ساعة وكنا بصيف 1999، لأن كان أكو طريق أقصر يقدرنا يطلعونا منه.

وأخيراً وصلنا قرية بداخل سوريا، واحدة من القرى القريبة من الحسكة. وكلاب القرية قامت تنبح علينا، خفنا، وزينا ما ندري طلع لنا ديب من الجبل، وضليت اصيح: يا أهل الدار. امرأة جاوبتني: "من أنت"، قلت لها إحنا عراقيين، "شو تسوين؟" قلت لها جايين تهريب، اعطيني مكان ننام. امرأة كردية، وتمنا بجوار بناتها، والعصر طالعين نمشي، قالت: "بس لازم تسلموا نفسمكم للمخابرات السورية، وإلا تحاسبني الحكومة" قلت لها ما عندي مانع، وين ما تريدن أسلم نفسي.

بالتامنة الصبح كانت محضرة الحمام وسبحنا، ولبسنا ملابس حلوة، وطلعنأنا من الحمام لقيناها مسوية إفطار، المرأة ما قصرت الله شاهد. لكن فكرت أطلع بالمرّة لدمشق. قلت لها أريد تاكسي يوصلني للحسكة، كأنها عرفت إنني ما أريد أروح للمخابرات، ومعناها راح تصير مسؤولية عليها. قالت لي إنها راح تجيب لي سيارة، وجاء رجل سألني "تريدين سيارة؟" قلت له آه، "وين تريدين تروحين؟" قلت له للحسكة، "من وين جاية؟" قلت له العراق، "على أي طريق جيتي، من كان وياك؟ شو اسمه؟". عرفت إن هذا المخابرات.

قال تقعدوا هسه هنا، أروح وأرجع لكم بعد ربع ساعة، قلت له خذنا وياك. قال لي: "ليش؟" تفاجأ. قلت له لأنه راح نروح تسلمنا للحكومة على أساس ألقيت القبض علينا. وقلت له إن ما عندي مشكلة ويا حكومته ولا ويا أي حكومة بالدنيا، نريد نوصل للأمم المتحدة لا أكثر أو أقل، قال: "تعالوا" أخذنا وياها بالسيارة وقال: "إيشلون عرفتي إنني مو سائق تاكسي"، قلت له من الأسئلة ما فيه سائق تاكسي يقعد يحقق ويا الناس، أسئلة تحقيقية يعني. قال: "okay" إحنا استخبارات المنطقة الشرقية". وأثناء ما هو يمشي الشوارع كلها صور حافظ الأسد وبشار الأسد وباسل الأسد، متروسة الحيطان. قلت الله طلعتنا من صدام وأولاده وجينا لصور حافظ الأسد وأولاده، نفس الإمبراطورية ونفس الشيء. أخذونا للاستخبارات، تحقيق

شو أسوي، وأخذت الفلوس كاملة عن طريق الأمن من رشوان. قُلت لحدا بالفندق إنني أريد أروح أربيل، قال لي: "روحي على عميد عنده منصب بالأمن والداخلية، ومتزوج مسيحية والعقيلة متفتحة، وإنسان كلش طيب". روت له، فعلاً قعدنا أنا وبناتي وزوجته وحكيت له، قُلت له أنا أريد يس ورقة تعطيني أعبر بها لأربيل، قال آه على عيني. أعطاني ورقة، وأخذت بناتي وروحت لأربيل. روت رأسا لعنكاوة لأنها منطقة عشت بها سنوات سابقاً والجيران يعرفوني وأغلب بناتهم كانوا طالباتي.

وبالفعل وصلنا لبيت أصدقائنا انتعاجوا بوجودي، وحكيت ما جرى، قالوا: "شو تريدين؟" قُلت شغل. قالوا لي: "روحي لهناء إدور²"، قُلت منو هناء، طلعت ناشطة نسوية ونصيرة النساء، بجمعية الأمل العراقية في أربيل. لكن ما كان بالجمعية وظائف، وهنأ قالت لي: "إذا تحصلين وظيفة، أنا أعطيك recommendation".

نفس عميق

رجعت سألت نفس الشخص بالفندق، رشحتي لوظيفة، لكن مدير الشركة كان مزعج وغير مهذب، وكان يعطي إهانات من خلال كلامه، خلّفتي ما أشعر بالارتياح للعمل ويّاه، تركت الوظيفة، لأنني لم أتحمّل البقاء في هذه الأجواء. طلعت من الشركة وأنا مقهورة، مخذولة، وبكيت. بعدها دخلت لواحدة من منظمات الأمم المتحدة بحثاً عن وظيفة، مدير المنظمة قال: "الشغل ويّاه الأمم المتحدة ما يجي بيوم واحد، تيجي تريدين وظيفة وتعطيك وظيفة، لازم تقديمين، ونشوف CV" والكثير من الطلبات واقترحت عليّ "تروحين على local NGOs" وبالفعل روت لهناء، بس كنت مقهورة، أول لقا دخلت عندها المنظمة شافنتني وقفت قالت: "عواطف". لقا قالتها كأنها طلبت مني أكي، بكيت كما لم أبك بحياتي. بكيت كل الألم اللي بداخلي والتعب والإرهاق، والعذابات، والمضايقات، والخوف، والربعب، والتعذيب، بكيت بهذه اللحظة. قالت لي: "إيش بيك؟" قُلت لها بطلت من هذا الشغل لأنه ما أقدر بعد اشتغل ويا هذا الشخص، "أنت إيش بيكي ليس هرتي من العراق؟" كان لازم أتق بها، لازم يكون فيه شخص بالكرة الأرضية أثق به. قُلت لها قصتي وإن زوجي مسجل كاسينات عليّ، وعذبني وعذب بناتي بسببها، وانهزمت. حكيت عن السليمانية وسوريا، هي قالت: "اطمئني لا تخافين أنا وياكي، راج أعطيك وظيفة تستغلين وأنت قاعدة بالبيت".

اكتشاف النسوية

بعد جاءت هناء البيت جابية وياها رزمة من الأوراق الإنجليزية، ومنشورات ومجلات وإعلانات، "راج تعطيك 20 دينار على

2 يمكن قراءة شهادته هناء أدور ضمن شهادات العراق

وبناتي ناموا من التعب. دخل ضابط للغرفة، أول ما دخل هذا حياه بما يوحي أن ضابط كبير، سأل عنّا، ولما عرف إن زوجي عميد نزلونا بدار الضيافة. ثم اندق الباب علينا، جاء الضابط اللي كان يحقق وياي قال يريدك الضابط الكبير. لقا قابلته طلع لي أوراق وقال هذه توفعين عليها. قُلت له شنو هذه، قال لي: "هذه أوراق التعاون"، قُلت له تعاون ويا فن، قال لي: "مع سوريا"، تصورت راح يسووني جاسوسة، خفت. وقتها كان الوضع بين سوريا والعراق متأزم. قُلت له أنا ما أقدر أتعاون، صار عصبي، قام يصيح عليّ: "وليش جاية سوريا؟" قُلت له إنني جاية للأمم المتحدة، مو جاية تحديداً لسوريا، بل مكان به أمم متحدة. قام صاح على الضابط اللي جابني: "خذوها طلعوها برّه، ما أريد أشوف وجهها"، قُلت له okay أنا ما أوقع. جابوا لنا العشاء كان فيه غلب توتة وعرفت إنه الوضع بدأ يتأزم، وين الغذاء اللي كان لحم ورز وأوزي، ووين العشاء!

الصبح جُم علينا دقوا الباب وسألونا: "جاهزين؟" قُلت له يعني شنو جاهزين، أنتم وين تريدون تيعتونا، قال: "جهة على العراق وجهة على دمشق... هسه تصعدين من السيارة راج تعرفين". صعدنا السيارة، شوفنا السيارة ترجع من نفس الطريق إلى كردستان، ولبتاب رسمي سلمونا إلى النقطة الحدودية بين سوريا وكردستان، وعملوا لنا أوراق ترحيل من سوريا وكان لازم ندفع فلوس القارب اللي يعبر بنا النهر، كل شيء على حسابنا. وبالقارب في طريقنا للنقطة الحدودية الكردية تذكرت إنه أكو عداوة بين حكومتي أربيل والسليمانية، وإذا كانوا بالأخيرة اتهموني إنني مخابرات صدام، فإن سلطات أربيل راح تنهمني إنني مخابرات جلال [تقصّد زعيم السليمانية]. قُلت لبناتي لقا نوصل أربيل ما تقولوا إننا كنا بالسليمانية، لأنه لو قلنا راج يصير مشكلة علينا، لأنه فيه عداوة بين حكومتي كردستان، وأي واحد راج يقول أننا مخابرات الآخر. المهم وصلت لزاخو، سوا تحقيق وياي. وبعتونا إلى دهوك، صار شوية تحقيق. قالوا أنتم تدفعون فلوس التاكسي إلى دهوك بالمدينة.

روحنا دائرة أمن دهوك، تحقيق آخر دخلنا به، إحنا المفروض حسب القانون ينزلونا بالسجن لأنهم يعتبرونا مهاجرين غير شرعيين. قُلت للأمن أرجوك لا تخلينا بالسجن، لأن بناتي راج يمتون، عشان ماشين قبل يوم 12 ساعة وهسه رجعوننا وإحنا تعبانين وهلكانين، وها دول أطفال.

قال: "يعني وين أوديك؟" قُلت له نزلونا بفندق وأنا أدفع فلوسه، قال: "okay"، نزلنا بالفندق، وبدأ يوم يومين جاء خابرنني رشوان، قال: "عواطف أنتم رجعوكم"، قُلت له أيوه رجعوننا، وقال: "إذا الأمن قالوا لك إحنا نجيب الفلوس من رشوان قول لي لهم لا هو قرايبي وهو يجيب لي إياها"، قُلت له لا أنا ما عندي ثقة بكم، خليهما يجيبوا لي إياها. قال: "عواطف إحنا قرايب"، قُلت له مو قرايب. بقينا بالفندق،

كل صفحة تترجمها، لو ترجمتي ألف صفحة تأخذين 20 ألف دينار، أنت وشطارتك".

قلت لها okay. وقفت بكلمات ما أعرفها مثل "حقوق الإنسان" أو "حقوق المرأة" أو "جندر"، شنو جندر كلمات ما مرت عليّ بحياتي، feminism شو feminism، الحركة النسوية العالمية... هكذا ترجمت، أول شيء أنجزته لائحة حقوق الإنسان، أمتص بدماعي المعلومات اللي أترجمها، بدأت أعرف ما هي حركة النسوية بالعالم، وإني لما انهزمت لأنني شعرت بالظلم، لكن ما كان عندي تحليل. حللت الأمور، وبدأت التفكير في الجندر والعلاقات الجندرية. فهمت لما هناك أعطيني الترجمة أنها مو محتاجة ترجمة، إنما أرادت تخلق مني إنسانة قيادية واعية لحقوقها، ووضع وحقوق المرأة في العالم خارج صندوق العراق.

وهنا تواصلت مع منظمات معنية بالنساء المعرضات للعنف، وواحدة منها سلمت هناك 3000 دولار، وأحضرتها لي في أربيل. هذا المبلغ كان لغرض شراء جوازات سفر مزورة، للدقة جواز لي وآخر لابنتي الكبرى، لكن وجدنا أنّ أسعار الجوازات مرتفعة، إذا ما نفد تشتري غير جواز واحد. بهذه الحالة اللي باع لنا الجواز، صغر عمر بنتي الكبرى بحيث تدخل وبأي هي وأختها اللتين الأصغر بجواز سفر. على الحدود التركية العراقية، بقينا من 9 الصبح لـ5 العصر، قالوا جوازكم مو زين رجعونوا لزاخو.

اسم الأمم المتحدة بالتركية

صار لنا يومين نروح ونيجي. بدأت أحكي ويا الناس اللي واقفين، وبهم شابات وشباب وعوائل، وتعرفت عليهم، ما لنا أحد بأنقرة ورايين أنا وبناتي، سألتهن عن منطقة اللاجئين. ما حدا دلنا. ووصلنا لأنقرة الصبح ثاني يوم، أنا ما أعرف أي فندق، أي مكان، وفيه ولد جاء علينا: "أنتم عراقيين؟" حكى وانا بالعربي، قلت له أه، "تريدون فندق؟" أه "يلا امشوا وياي".

قلت له بس بشرط، "شنو؟" قلت له توصلني للأمم المتحدة اليوم. الفندق قديم، صاحب الفندق حكى بالكردية ويا الولد، راح الولد التفت علي وقال لي بالعربي: "تعرفين كردي؟" قلت له لا، أنا أعرف كردي بس نفيت. قلت للولد يوصلنا للأمم المتحدة، صاحب الفندق قال له: "لا توصلها، خليه". سويت نفسي ما فهمت على أساس ما أعرف كردي. قلت له يلا توصلنا للأمم المتحدة، رد: "ليش ما تيقون ها اليوم؟ باكر أوصلكم"، ظليت مصرّة، صاحب الفندق ما خلاه، ما سمح له إنه يأخذنا، بدأت أشك. طلعتنا الغرفة، وخابرت المنظمة باسم الفندق وتليفونه ورقم الغرفة.

وقلت لبناتي يلا نطلع نروح وخوا الشنطة، درنا بالتاكسي ما يعرفوا اسم الأمم المتحدة بالإنجليزي، لأنها بالتركي لها اسم

مختلف تمامًا. وعند البناية فعلاً لا أحد، بس شرطي واقف بالباب، قلت لبناتي يلا أنزلوا، قال: "وين أنتم كيف ترجعون؟"، قلت له عندي كارت الفندق روح أنت. قلت للشرطي أرجوك هذه حياة أو موت.

أردت واحد يطلع لي من الأمم المتحدة، قال لي: "خلص الدوام". قلت له أي أحد، أدخل جيب لي أحد، لأنه ما أقدر هذا اليوم أبقى إذا ما أحد يطلع لي. دخل وطلع لي واحد تركي بس يحكي إنجليزي، قلت له إن منظمة نسوية طلعتني، قال لي: "تقدرين تصبرين لباكر الصبح؟" بل الصبح تعالى تدخلين أول واحدة".

وبتاكسي وصلنا الفندق. وصاحبه سألنا: "رختوا الأمم المتحدة؟"، قلت له أه وعرفت اسمها birleşmiş milletler ما أنسى لحد الآن. جاب قهوة، شربت أنا وبناتي. حسيت نفسي ذخت، قلت لهم خيلنا نضعد للغرفة، صعدنا دينا نفسنا على الأسرة بملايسنا، ما حسيت بعد بأي شيء بالدينا، ما حسيت إلا بل نص ليّل التليفون يدق اتصال من مسؤولة بالمنظمة، قلت إني شربت قهوة وغيت عن الوعي، قالت: "تتركين الفندق؟". وبالفعل، غادرناه لفندق آخر، روحنا للأمم المتحدة سوينا شغلنا، وقالوا: "خلاص إحنا نعطيك خير". رحنا منطقة اللاجئين.

بعد شهرين ونصف بأنقرة، قالوا: "لازم تنتقلون لقيصرية"، وأُسبوعين أروح أمضي هناك حتى يعرفون إني موجودة وما طلعت بالتهريب. اشتريت أثاث للشقة، وقلت لبناتي إني لازم أروح أدور على شغل. عملت بمحل خياطة، صاحبه فهم إني مو خياطة، قال لي: "ليش الإنجليزي مالك زين؟" [بالإنجليزية]. قلت له إني كنت مدرسة إنجليزي بالعراق، أعطاني عناوين ثلاث مدراس تحتاج مدرسات لغة إنجليزية.

قابلت مدير واحدة من المدارس اللي رشحها لي صاحب محل الخياطة، واشتغلت بنص راتب المدرس التركي، لأنني عملي يعتبر غير قانوني، وبناتي تدرس ببلاش، كنت سعيدة بهذا الحكي. بعد المدرسة نرجع نتغدى وننام شوية، أطلعهم لمدينة الألعاب، المولات، عيشنا حياة مريحة.

وبدأت أنعلم التركية، عرفت أقول بنتجان وبامية، وصباح الخير ومساء الخير، كلمات بسيطة يعني.

وأخيراً قبلت أوراقنا من الأمم المتحدة، عرضوا علينا نروح كندا، لكنني كنت أفضل إسترااليا لأنها دافية ما فيها تلج. المهم روحنا السفارة الكندية وسألنني موظفة هناك إذا كنت احتاج مترجم، قلت لها ما أدري، قعد المترجم وسألنني أول سؤال جاوبتها، الموظفة قالت له: "روح ما نحتاجك". حكيت عن قضيتنا، تسمع وتكتب، بعدين قالت: welcome to Canada.

ثم كان باقي الطبيبّة المختصة بالفحوصات. ونقلنا لشقة

تابعة للمدرسة، وكنا ننتظر الفيزا.

لكن فجأة مدير المدرسة قال لي: "ست عواطف أنت لاجئة وعندك بنات، وهذه الدنيا تتعرضين لشغلات أنت وبناتك، ليش ما تزوجيني بنتك وأنا أحميك".

عمر بنتي وقتها كان 18 سنة، وهو عمره حوالي 65 سنة، قلت له أنت جد تحكي، أزوجك بنتي. أنت تدري تعبت أنا حتى وصلت بناتي لهن، أنت لو جاي خاطبني أنا ما أقبل بك. قال لي: "إذا تتركين المدرسة من ها اليوم، وتتركين الشقة"... هكذا طردت من الوظيفة والسكن.

وفيه طالبتين عندي واحدة منهم زوجها أكبر تاجر سيارات أمريكية بتركيا، والثانية عائلتها مهاجرة بألمانيا، وهي متزوجة مهندس بهذه المدينة وجاية من ألمانيا، ويتعلمون إنجليزي لأنهم يشعرون بالإحراج لما كل واحدة تلتقي أصدقاء وصديقات زوجها من حصيلتها اللغوية المحدودة. كنا بنفس العمر أنا والطابنتين، يشربون يمي قهوة، ونسالف وبعدين يروحون لبيوتهم. قلت للطابنتين إني بظلت من المدرسة "ليش بظلتين؟" قلت لهم المدير يريد يتزوج بنتي وما قبلت، طبعاً رد فعل الاثنين غضب كبير، ودعفا لي بظلت الطابنتين مدرسة، ودرست لكل واحدة بيتها مقابل فلوس. وزاد طالب ثالث عليهما.

ثم جاءت فيزا كندا في كانون الثاني/يناير 2001.

طلعنا من قيصرية لإسطنبول، ومن مطارها سافرنا كندا. استقبلونا المسؤولين الكنديين، ورأسا ليسونا شتوي عشان كان فيه ثلج. أغلب اللاجئين معي أكراد، أنا وبناتي العربيات فقط.

دراسة الجندر

اكتشفت إني مقبولة تحت برنامج اسمه women at risk، مخصص للنساء والأمهات الوحيدات الفعّصات للخطر، والحكومة الكندية مسؤولة عن كل واحدة لمدة سنتين؛ راتب كامل وجهة تتولى الشؤون كافة مثل فتح حساب بنكي، تسجيل البنات في المدارس، وتأثيث المنزل، وغيرها من المسؤوليات والتفاصيل.

ما كان معي شهادات، لذا اختبرت، وكان تقييمي إني لا بد لي من مزيد من الالتحاق بكورسين حتى أكون مناسبة للمواصفات الكندية لتدريس الإنجليزية. وعن طريق معارفي الجداد بالمجتمع الكندي، نصحت بالحصول على دراسات عليا، وفكرت تكون دراسة لها علاقة بالجندر، لأن صار عندي اهتمام بقضايا المرأة. وقابلت أستاذة بجامعة St. Mary، مختصة بدراسات المرأة ونصحتني بكورسين لأنني راح أتحوّل من القريبة إلى علم الاجتماع والجندر، ودرست، وكان عندي رغبة في العمل بالمنظمات النسوية، فهمت حقوق المرأة، وعرفت

التحليل الجندري. لكن قبل إنهاء الماجستير، صارت حرب العراق 2003. قبلها كنت ضد أي تحرك ضد العراق، لمعرفتي بوضع العراقيين والحصار الاقتصادي³، والمأساة التي تعرّض لها أهل العراق.

وكنّت في فترة كتابة الأطروحة عن المرأة العراقية من 1900 إلى 2006، مروراً بكل الحروب والحصار الاقتصادي، النظرة الدولية الاجتماعية، والذكورية بالمجتمع العراقي، والقوانين، وجرائم صدام ضد المرأة.

وبعد نهاية عامي الرعاية الاجتماعية، كتبت مقترح بخصوص عمل المهاجرين، إن الواحد منهم يأتي بشهادة بكالوريوس أو ماجستير، ولا يُوظف، بل يقولوا له رُوح نطف بيوت، كان قصدي كل واحد يروح يشتغل بتخصصه. وتواصلت مع وزارة الهجرة عن طريق عضو البرلمان بمنطقتي، وبالفعل التقيت بهم، وحددوا لي موعد مع مديرة بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية حتى يكون عندنا وظائف للمهاجرين. وخلال خطوات تجهيز المشروع سويت استبيان مع المهاجرين في مدن مختلفة، على أن يكون تنقلي على حساب الوزارة لمدة ستة شهور. بعد الموافقة على المشروع ضُرف له مبلغ جيد. وبهذه الأثناء كملت الماجستير. بعدها نصحتني مسؤولّة وزارة العمل بأن أنتقل للعاصمة أوتاوا وقالت لي نصّاً: "عواطف أنت صانعة قرار، ويجب تكوني في مدينة بها صناعة قرار".

بدأت من الصفر بأوتاوا، تقديم على وظائف، أول عمل بالعاصمة كان باحثة في جامعة كارلتون، وبعدها وظائف أخرى. وخلال رحلة استقرارنا في العاصمة الكندية، ربما كُملت دراسة علوم سياسية، وهدت اختارت تكون مضيقة طيران، أمّا داليا كانت بالثانوية العامة وقتها.

فُنتحت جائزة "فاميز" للنساء للمشاركات النسويات الفاعلات بالبرلمان في 2010، صعد قبلي أربع كنديات، حصلوا على الجائزة، لكن مع صعودي للتكريم طُرق صوت "هلاهل" عراقية، صادرة من الجالية العراقية التي كانت حاضرة بالقاعة.

كنت مذهولة وفرحانة بالنجاح إن وراء سنوات العذاب وقفت على حيلي. كنت فخورة إني أف بـرأس عالي، بعدها حصلت ههنا إدور على جائزة "راعى الإبداع" بالعراق من شبكة النساء العراقيات، وقالت: "جائزتي تزوج لعواطف" وبعثوا لي الجائزة إلى كندا.

ثم منظمة peace build Canada، كنت شوفتهم بـكردستان نظموا مؤتمر للذكرى العاشرة للقرار 1325، أرادوا تنظيمه كمؤتمر دولي، ونظمته لهم، وخلال إحدى فعاليات المؤتمر

3. اصدر مجلس الامن القرار 661 في آب/اغسطس 1990 بفرض عقوبات ساسه على العراق لاذغامه على سحب قواه من الكويت. وشملت العقوبات حظرا اقتصاديا كاملا باستثناء المواد الطبية والغذائية

بصندوق الطوارئ حاولت مساعدة المنظمات النسوية العراقية واللبانية واليمنية والفلسطينية.

ومنذ رجعت للعراق في 2014 وأنا على تواصل مع شبكة النساء العراقيات. أعتبر أنّ قضية الجندر مهمة النساء العراقيات، بل هن في حاجة لتخصصي يمكن هذا واحد من أسباب بقائي هنا. اشتغل من منظمات أجنبية تدعم النساء العراقيات. مثلاً أوكسفام مولتها الأمم المتحدة للعمل على أوضاع النساء النازحات.

في 2017 رجعت كندا شهر وشوفت بناتي، وعدت للعراق للعمل ضمن مشروع يعني بإدماج سياسات جندرية بالخدمات العامة في عدة محافظات عراقية.

بعدين روجت سويت بحث بالبصرة، من ضمن مشاريع USA عن كلفة العنف الجنسي على النساء، وهذه قضية ما أحد مطرق لها، قد إيش يكلف الدولة العنف الجنسي، بس إحنا بالعراق لحد الآن يتم التعامل مع العنف الجنسي بشكل خاص بمعنى أنّ المرأة المُغتصبة يتم التعامل معها مثل واحد ضربته سيارة، يعالجوها ويقولوا لها يلا روجي للبيت، لا sociology counseling ولا أي شيء، يعتبروها عندها إصابة مع تجاهل سببها، بل يكتبون أنها وقعت من الدرج دون ذكر تعرضها لاعتصاب.

لا يمكن إنكار تأثيرات الجندر على حياتي؛ لأنني امرأة تعرضت لنهميش، وعنف وتحرشات.

مثلاً أبوي كان يقول لي: "أنت تسوين ألف رجل بس لو الله خالفك رجل"، إذا قضية الجندر مهما كان الشخص الواقف قدامك أنت لو حتى تسوين ألف رجل لكن تبقي امرأة. هذا هو وضعك، لو إيش تسوين، لو قادرة تكون إنجازاتك أنت امرأة. هذه النظرة جاية من الأعراف والتقاليد والدين، أو أي كان مصدرها هي موجودة، وتُعزز.

في المقابل، كل امرأة عملت في مجال منظمات المجتمع المدني أحدثت تأثيراً. منه السليبي والإيجابي، مثلاً قضية الزواج والنازحات كل شغلها منظمات مجتمع مدني، الدولة ما لها قدرة للشغل ويا النازحات، أنا بالأساس طلعت من العراق عشان كان عندنا نظام المنظمة الواحدة، للشباب منظمة واحدة، للطلاب منظمة واحدة، وكلها تابعة لحزب واحد وتعكس أجندته. والدولة وحدها ليس لديها القدرة على الشغل، بل لا بد من وجود منظمات مجتمع المدني.

مثلاً كنت ضد الحرب الأمريكية على العراق، لأنّ هذه الحرب لم تخطط لمرحلة ما بعدها، بلا أجندة للعراق، ما جابوا كفاءات تشتغل بشكل صحيح ومضبوط ومهني، ولا يزال هذا وضع العراق حتى الآن.

قابلت مديرة مكتب الحاكم العام لكندا تعرفت عليها، وبعد الأسمية طلعتنا تمشي قالت لي: "ما محتاجة شيء عواطف؟" قلت لها لا، "بالنسبة للوظيفة"، قلت لها والله اشتغل بعقود مع المنظمات، لكن ما حصلت لحد الآن على وظيفة ويا الحكومة الفيدرالية. قالت لي: "قدمي لي CV" بعد ثلاثة أيام أخذت وظيفة تقييم مشاريع التمويل، البلديات ترفع طلب تمويل من الحكومة الفيدرالية، مثل proposal، وأنا من ضمن الفريق اللي يقيم. وبقيت سنة بالوظيفة.

بعدها روجت اشتغلت بمنظمة كندية أمريكية، حوالي سبعة شهور. وقررت أنه أحضر نفسي بكندا، وقدمت على وظائف خارجها، مثلاً مدير بحوث مركز دولي للتحليل الاستراتيجي في دبي، وقُبلت فعلاً في 2012، شغل على مجموعة بحوث حول التحديات الدولية في العام 2013، وضمن التحديات الدولية هي الأسلحة الإيرانية المحظورة اللي صاير عليها ضجة عالمية ومباحثات، لذا قررت كتابة بحث عنها، المدير لم يقبل "أنت ما تحيين إيران"، قلت له هي مو مسألة حب أو كره، أريد تسوية بحث، والبحث به مصادر، تركت الشغل، وما حببت اشتغل وياه، وبعد ذلك عملت بمؤسسات وشركات أخرى بالمنطقة منها إحدى شركات الشيخ الصيد بن صقر القاسمي، بس مرضت وراء شهرين ثلاثة بجي، وروجت سويت تحليل، وقالوا عندك سرطان ثدي.

خبرت أختي، هي طبيبة بالعراق، قلت لها. قالت لي تعالي باكر. جيت البصرة رأساً سوّت لي تحليلات وتأكدت، وقالت تعمل العملية مُتت من شوفة المستشفى، يعني مزبلة. بعد العملية، طلعتني للبيت بعد الإنعاش، شهرين ثلاثة صرت زينة، قالوا لي: "إيش تروحين لذيبي، يعني أنت بدبي تشتغلين، ما تقدرين تشتغلين، على الأقل هنا قريبة علينا" وأقتعوني أهلي، وكان عندي حنين. وبقيت بالعراق.

ما يفعله المجتمع المدني في بلد بلا أجندة

لما غادرت العراق كانت الديكتاتورية هي اللي مهيمنة، كنا خايفين، كان خوف ورعب، ومع العودة وجدت أنّ الأوضاع مزربة جدّاً، مثلاً لحد الآن قانون العنف الأسري غير مُقرّ. البصرة وضعها متردي جدّاً، أكثر من اللي تركتها بكثير؛ فيه عناصر مسلحة، مليشيات، لا قانون بالبصرة. النساء محاصرات، السافرة ما يصير، ينظرون لها بغير نظرة. لازم كل امرأة تمشي بالبصرة محجبة، لما أروح للبصرة المفروض ألبس شال على رأسي.

مثلاً عملي ويا الحركة النسوية العراقية لم ينقطع، منذ كنت في كندا. كنت متواصلة ويا الحركة النسوية العراقية، والمنظمات بالشرق الأوسط. كنت مستشارة إقليمية في صندوق urgent action fund، وبعدين صرت مستشارة إقليمية من العام 2001 إلى 2012 رسمياً. كمستشارة إقليمية

فاتن الجراح: المسرح يكشف خلل المجتمع

فاتن سليم صالح الجراح، مواليد 1955 في محلة القراغول (بغداد).

ناشطة سياسية في الحزب الشيوعي العراقي، وكانت من مؤسسي فرع رابطة المرأة العراقية في براغ، لكنها في هذه الشهادة تتحدث عن شغفها الحقيقي؛ الفن الذي حرمت من دراسته في العراق لعدم انتمائها لحزب البعث، فهاجرت للدراسة وتنقلت كثيراً حتى تمكنت من تقديم الفن داخل العراق.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلات جرت في 23 و25 و26 آب/أغسطس 2020.

جنة الفنون

كنت آخر العنقود، ورقمي 8 كُتبا 3 بنات والباقي أولاد. بعد وفاة أبوي وتصفية أملاكه كُناجر في حي الفضل بالعاصمة، انتقلنا إلى حي العلوية (الكرادة) ببغداد أيضاً. في مرحلة التعليم الابتدائي فيه مدرسة سألت عمّن يرقص إسباني، وتدرت على الرقص الإسباني، ساعدتني كثير والدتي، وبحفلة نهاية السنة حوالي 1961 قدمت فقرتي، وسوينا مشاهد مسرحية عن الدول العربية، ولعبت دور لبنان، ولسه أنذكر جملتي "وفي المساء تجتمع الجارات ونأكل تبولة".

النشاط المدرسي كان جميل، رعاية كاملة للمواهب، بالإضافة للتمثيل والرقص، وعندي موهبة إلقاء الشعر. كل تحية علم أقرأ قصيدة. وفي المرحلة الثانوية تحولت إلى "مساعدة إخراج" ويا المعلمة المشرفة على النشاط المسرحي، قدمنا أوبريت عن الشاعر أبي نواس والعهد العباسي.

أمي كانت تشارك بالمظاهرات في العهد الملكي، رغم إن العائلة ميسورة الحال، بس كان عندها حس وطني بالطلاب والفقر، وشكلت بوابة لي نحو التوجه اليساري، تعلمت التعاطف ويا الناس المهمشة، المحرومة.

أخي الكبير بعد انقلاب 1963 صدر بحقه حكم إعدام غيابي،

1 اعلنت الجمهورية العراقية في 1958 بانقلاب عسكري على الحكم الملكي، وذلك بقيادة الضابط عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وفي ما بعد بولي قاسم رئيسه الحكومة، وصار الحاكم الفعلي للبلاد، والذي اطاح به انقلاب عسكري بقيادة البعثيين والمومنين.

الكنى بالتأنيو العامة واختبأ بالبصرة، وكانت أمي تأخذني أروح له. وفضلت لدرج ما أقول أمام الشرطة والأمن وبين أخويا. الأمن أخذ أخويا الأصغر بديل، وأنكر معرفته بمكانه وضربوه، ورجعوه.

مثلاً إذا طلعت من باب البيت في انتظار باص المدرسة الزمن يسألني "وبن أخوكي؟" أرد إنني لا أدري.

بالمدرسة الثانوية التقيت بنشاطات من اتحاد الطلبة اللي هو تشكيلة سرية برعاها الحزب الشيوعي، وانتميت للاتحاد، وشكلنا أول نواة له بمدرستنا، ووصلت لقيادة ثانويات بغداد. زسحت لعضوية "الشيوعي" في عمر 18، وبعد انتمائي قدمت مرتين للدراسة بكلية الفنون لكني زفست 1974 و1975، وفُسر الرقص إنني مو بعثة لأن الحزب الحاكم وقتها قرر يحتكر بعض الكليات لمؤيديه وأعضائه، ومنها الفنون. العائلة نصحتني أقدم في معهد إدارة، وبالفعل قبلت، لكن ظلت رغبتني في دراسة الفنون حاضرة. وفي 1975 قدّم لي الحزب منحة للدراسة بتشيكوسلوفاكيا، وسافرت.

تحديات جديدة

في تشيكوسلوفاكيا كنت بين صعوبة الابتعاد عن أمي، وتحديات الدراسة، مثلاً قالوا لي هناك "أنب مار راج تقديرين تدرسين إخراج، ممكن يقبلوكي في كلية الفلسفة، خذي دراسة نظرية، لأن عندنا امتحانات، وصعب نقبل من دولكم [إخراج]، لأن فيه فرق حضاري". أخذت أعلى درجة ضمن المجموعة، الأستاذ اندهش، كيف خلال هذه الفترة أتقنت اللغة، بل أكون الأولى. واستمر تفوقي في الامتحانات، ونتيجة لذلك مدير معهد اللغة خاطب الوزارة وطلب منحي فرصة تغيير دراستي من علم الجمال إلى الإخراج، وأعطاهم أدلة "مجددة، ومجتهدة، وعندها خلفية ثقافية جيدة". المهم جاءت الموافقة بشرط النجاح في امتحان أمام لجنة من مجموعة فنانيين كبار، طلبوا مني أمثل وأغني وأرقص.

وبعد فترة انتظار قرارهم لأدائي، قالوا لي إنني محتاجة لتعلم اللغة ويا الصف الأول، كأنها سنة تحضيرية. وطبعاً وافقت زادت سنة مو مشكلة. خلال سنوات الدراسة الخمسة، كُنا نتصادم وبا عراقيين يعنيين في تشيكوسلوفاكيا، يهاجمونا في مؤتمرات اتحادي الطلبة العام والشباب العالمي.

على الصعيد الدراسي قدمت شيء، أفتخر به داخل تشيكوسلوفاكيا. وبعد الامتياز، كان مطلوب مني مغادرة تشيكوسلوفاكيا حتى اشتغل ببلدي فترة، وبعدها أعود لتشيكوسلوفاكيا لدراسة الدكتوراه. لكن وقتها ما قدرت أرجع للعراق، رجعت على الكويت عند قريبة لنا في 1982.

اختصاصي ما موجود، ما فيه مجال للعمل، حتى التقيت

اللغة العربية). وفي هذا الإطار المعلم العراقي أثبت عن جدارة إنه تضيف، لا يرتشي، وكريم في التعامل. بقيت بالجزائر 14 سنة.

ورّت محاضراتي أربع مرات حتى يناسب الطالب الجزائري، لأنني اكتشف إنني ما أقدر أطبق برنامج تشيكوسلوفاكيا عليهم، لأن الثقافة تختلف، لازم تبسط الأمور لهم أكثر. المرحلة وصلت إنه أعد فن الإخراج على جداول، مو جدولة وقت إنما حتى اعلمك كيف يحل النص، وكيف بعدين يحوله إلى المسرح. بدأت بطريقة أنا أسميها محو أمية؛ إن اللي قدامي ما عنده أي خلفية، إنما في تشيكوسلوفاكيا شايف مسرح.

وبخلاف التدريس الجامعي، قدمت تدريبات على مسرح الأطفال مع وزارة الثقافة.

صدمة

وفي 1992، شوفت إخواني لأول مرة من وقت خروجي من العراق، وجرت المقابلة بالاردن. فضلت أسألهم عن أخويا عماد ولا أحد يجيب، وأخيراً قالوا لي إنه أعدم في 1986 بعد خمس شهور من اعتقاله، عرفت أنه كان ضمن "الانصار"، وخلال حضوره اجتماع تنظيمي في أحد البيوت، وبييت اللي مستضيفهم تواجدت مجموعة من حزب "الدعوة" (الإسلامي)، ويبدو أن الأمن نصب كمين للإسلاميين. وخلال تبادل إطلاق النار مع الأمن، أصيب أخويا واعتقل. ولما سلموا جثمانه لأهلي قالوا لهم: "لا تعملوا أي مراسم عزاء"، لاقوا إنهم قلعوا أظافره وعينيه.

غربة العودة

أنتظرت سقوط النظام بطريقة أخرى، لكن هذا ما كان، وبعد 2003 صارت ممكن أرجع العراق، وأشوف الناس اللي تركتهم بـ1975، لكن الانطباع كان غريب. مثلاً لما وصلت الحدود العراقية، صعد الأمريكي شاف الجواز، لا أقدر أقول له شكراً أو أقول له عندك شيء غريب، لا فرحانة أو مقهورة، امتزجت عندي المشاعر، لأن مو هذا اللي كنت أحلم به.

رحنا على أهل زوجي بالكاظمية. الحالة اللي صارت بالشارع أمام بيتهم مو طبيعية، قريبته ضلت تبكي وترجع للوراء. قررت أروح لأهلي، قالوا لي: "أكيد ما تعرفين المكان، عندنا صديقتنا راح توصل لك لأهلك".

وصلنا، دقيت الباب، يطلعون أطفال أقول لهم أنا فاتن، يحدث صراخ، غير مصدقين. بعدين التقيت بهم، بالكبار اللي أنا أعرفهم، مثلاً لا أعرف زوجات أخواتي اللي متزوجين بعد

بالأديب والفنان صلاح هاشم. قال لي: "تعالى الدوبلاج، عندنا مرحلة دوبلاج". التقيت بمسؤول قسم الدوبلاج، وتعرفت بالناس اللي تعمل في الدوبلاج ومنهم مخرج المسرح العراقي الدكتور إبراهيم جلال²، وقال لي: "أنت قدمت بـ1974 وكنتي ممتازة، وانقهرنا عشان ما قبلتي". وصار أهم صديق لي... وهكذا اشتغلت دوبلاج. ثم تعرفت على شخصية ثقافية مهمة جداً الكاتب الكويتي، إسماعيل فهد إسماعيل³، وهو من عرفني بفيصل الياسري، وصرت مساعد إخراج لشؤون الأطفال في برنامج "افتح يا سمسم" (الجزء الثاني). فريق الإخراج كان يتكون من المخرجين السوريين هيثم حقي وأسامة روماني، والمخرج العراقي فاروق القيسي⁴. بعدين مع مؤسسة "النورس للإنتاج التلفزيوني" اشتغلت مساعد إخراج ويا عبد العزيز المنصور.

رجعت تشيكوسلوفاكيا نهاية أكتوبر/تشرين الأول 1984، وكنت مهتمة بمسرح الطفل، وقعدت سنة كاملة أدرس علم نفس الطفل، لأنني اتصدمت بصراحة من المسرح المقدم بتلفزيون الكويت فهو فقط مسرح تجاري. كان هدفي تربية الطفل على دائرة فنية. وانتميت لرابطة المرأة العراقية⁵ وكنت بإدارة فرعها ببراغ.

التقيت شخص بمهرجان عراقي إيراني ضد الحرب في ألمانيا، ثم تزوجته بـ1988، رجل مختص بالهندسة المعمارية، أرمّل وعنده ولد وبنات 17 و12 سنة. هكذا صار عندي تحدي جديد؛ النجاح أن أكون زوجة أب، فسحت لهما المجال بأني ما جاية أفرض نفسي كام، قلت: "نادوني باسمي".

روحنا المجر سنة، اللغة تختلف وكل شيء، ما قدرت أعمل ضليط بالبيت. ثم جاءت فرصة عمل بالتدريس في الجزائر، تركتهم بالمجر وسافرت 1989. التدريس كان للمصف الثالث، يعني تدريس إخراج مسرحي للطلاب. الشعب الجزائري محب جداً للشعب العراقي. أهلهم معلمهم زمن الثورة لما احتاجوا فلوس، عبد الكريم قاسم قدم للجزائر أموالاً⁶ من الميزانية العراقية. والجزائر احتاج ناس يعربوه (تعليم مكانه

2 ممثل عراقي، ورئيس قسم التمثيل في كلية الفنون في بغداد.

3 كاتب كويتي، فاض وروائي، ولد في البصرة (العراق). ولديه مؤلفات منها دراسة عن القصة في الكويت.

4 مخرج عراقي، درس السينما في مصر وألمانيا.

5 رابطة المرأة العراقية أسست في 1952، وعقدت أول مؤتمراتها بعد التأسيس بغامبي، والغيب إدارتها (أي أن يكون نشاطها قانونياً) بعد انقلاب 1963، لكنها عادت لنشاطها 1966-1967، وقدمت طلباً لوراها الداخلية لإدارتها (الحصول على ترخيص) لكنه رفض. وفي العام 1975 جمعت الرابطة نشاطها نيحة الضغوط التي تمارسها السلطة على القوى الوطنية والديمقراطية. في 1979 إثر اشتداد وبيرة الإرهاب والقمع ضد النساء، قررت إلغاء الترخيص.

6 في خطاب ألقاه في تاريخ 2 آذار/مارس 1959، قال عبد الكريم قاسم إن حكومته سوف من ميزانيتها "ملبوني دينار" للجزائر بدمع سنوي، جاء ذلك بعد شهور من اعتراف العراق بحكومة الجزائر التي تشكلت في 1958.

7 "الانصار" هو الاسم الذي أطلق على الأعضاء المسلحين في الحزب الشيوعي العراقي الذين انضموا إلى القوات الكردية المسلحة في 1978.

1977، (لَمَّا كُنْتُ جِيتَ الْعِرَاقَ زِيَارَةً لِحَوَالِي 80 يَوْمٍ). كَانَ لِقَاءَ غَرِيبٍ، وَتَعَرَّفْتُ عَلَى الْأَجْيَالِ الْجَدِيدَةِ. مِنْ وَينِ نَدْبَرِ عَمَلٍ، لَجَأْتُ لِلْحَزْبِ الشَّيْوعِيِّ لِلتَّدْرِيسِ بِكَلِيَّةِ الْفَنُونِ، قَالُوا: "اِخْتِصَاصُكَ مَتَّى مُحْتَاجِينَ"، قُلْتُ اللَّهُ يَا كَلِيَّةَ الْفَنُونِ رَفَضُونَا كَطَلَابِ بِحِجَةِ مُوْ بَعْثِيَّيْنِ، وَمَا أَنَّ رَاحَ "الْبَعْثُ" وَجِينَا رَفَضُونَا.

ثُمَّ وَجِدْتُ عَمَلًا بِدَارِ ثِقَافَةِ الْأَطْفَالِ، وَقَدِمْتُ مَسْرُوحِيَّةً عَلَى الْمَسْرُحِ الْوَطْنِيِّ تَتَنَاوَلُ الْقُصُوفَ الْأَرْبَعَةَ (2003)، وَكَانَتْ تَلْقِيهِ جَيِّدًا، وَطَلَبُوا مِنِّي تَوَلِّيَ مَهْمَةَ تَقْدِيمِ مَسْرُحٍ لِلطِّفْلِ.

وَفِي مَا بَعْدَ اخْتَرْتُ لِإِدَارَةِ "الْفَانُوسِ السَّحَرِيِّ" وَهُوَ مَرْكَزُ ثِقَافِي لِلطِّفْلِ تَابِعَ لَوِزَارَةِ الثَّقَافَةِ، كَانَتْ مَنظَمَةٌ فَرَنْسِيَّةٌ رَمَّمَتْهُ. وَمِنْ الْفَانُوسِ السَّحَرِيِّ نَظَمْنَا عُرُوضَ مِثْلِهَا الْأَطْفَالُ مِثْلَ "وَطْنِ آمِنٍ" عَرَضَ فِي الْبَرْلَامَانِ 2006، وَقَدِمْنَا دَوْرَاتٍ لِلْأَطْفَالِ مُوسِيقِيَّةً وَمَسْرُوحِيَّةً وَغَيْرَهَا.

وَفِي 2007، انْسَحَبْتُ مِنَ الْحَزْبِ لِلتَّفَرُّغِ لِلشَّغْلِ، قُلْتُ لِمَسْئُولِي "الشَّيْوعِيِّ الْعِرَاقِيِّ" إِنِّي أُرِيدُ أَحَقُّقَ شَيْوَعِيَّتِي أَكْثَرَ بِشَغْلِي، لِأَنَّ الشَّيْوَعِيَّةَ هِيَ الَّتِي عَلِمْتَنِي حُبَّ الْوَطَنِ، وَحَتَّى أَخَذَمَهُ أُرِيدُ أَشْتَغَلَ وَبِا الْأَطْفَالِ.

وَفِي 2008، صَارَتْ بَعْضُ الْقَضَايَا مَعَ زَوْجِي لِأَنَّهُ دَكْتُورٌ بِالْجَامِعَةِ، وَاضْطَرِينَا تَغَادِرَ لِمُدَّةِ عَامٍ إِلَى الْإِمَارَاتِ. وَبَعْدَ أَنْزَاخَتِ الْعَمَلِ الَّتِي اضْطَرْتُ زَوْجِي لِلسَّفَرِ وَرَجَعْنَا، لَمَّا رَجَعْتُ كَانَ فِيهِ مَدِيرٌ جَدِيدٌ لِلْفَانُوسِ السَّحَرِيِّ، وَرَجَعْتُ كَمُخْرِبَةٍ، وَصَارَ الشَّغْلُ أَقْرَبَ لِمَصْرَاعٍ، انْسَحَبْتُ مِنَ الْمَكَانِ كُلِّهِ، تَرَكْتُهُ لَهُمْ لِلدَّائِرَةِ الْأَمِّ؛ دَارِ ثِقَافَةِ الْأَطْفَالِ. وَعَمَلْتُ عَلَى تَدْرِيبِ مُخْرِبِينَ رِجَالٍ، وَرَغْمَ تَحْسُّسِهِمْ لَأَنِّي امْرَأَةٌ، أَكْمَلْتُ عَمَلِي، وَقَدِمْتُ عُرُوضَ مَسْرُوحِيَّةٍ جَدِيدَةٍ، أَغْلِيهَا تَحَاوَلُ لِمَسِ الْخُلَلِ الْمَوْجُودِ بِالْمَجْتَمَعِ، مِثْلُ وَزِيرِ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ فَصَّلَ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ وَنَشَطَتِ إِرْهَابُ الْقَاعِدَةِ ثُمَّ دَاعَشٌ، لِذَا أَلْفَتْ عَمَلِ اسْمِهِ "وَلَايَةِ فَصْلِسْتَانِ" بِالْعَامِيَةِ الْعِرَاقِيَّةِ، وَإِحْدَى شَخْصِيَّاتِهِ "أَبُو الْحَوَاجِزِ" يَحْظُ حَوَاجِزَ يَفْضَلُ بَيْنَ شَخْصِيَّاتِ الْعَمَلِ مِنَ الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ... وَهَكَذَا.

فريال الكليدار: ما تحكيه الأزياء

فريال الكليدار، مواليد كربلاء، 1942.

اتخذت فريال الأزياء كوسيلة لتعريف العالم بحضارة العراق، لتحكي الملابس في عروض فريال تاريخ العراق المتنوع مستعينة بفنون الحكي والرقص والديكور وإلقاء الشعر.

أدت فريال هذا الدور منذ أواخر الستينيات داخل العراق وخارجه، بل لم تتوقف عن ممارستها مع إقامتها في الولايات المتحدة الأميركية.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلات جرت في 26 و28 و30 أيلول/سبتمبر 2020.

دلالة ألعاب الطفولة

مسقط رأسي مدينة كربلاء، أثرت أجواء هذه المدينة المقدسة في نفسي من كافة النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بالإضافة للجوانب الأخرى المتعلقة بقوة الإيمان والتمسك بالعقيدة.

عائلتي هي "كليدار" ويعود نسبها إلى الإمام موسى بن جعفر. نزحت عائلتي من الجزيرة العربية إلى كربلاء. واسم "كليدار" أصله من كلمة تطلق على الشخص اللي انتخب من بين مجموعة من أبناء العوائل المعروفة من السادة المقيمين بالمدينة، ويكلف بإدارة شؤون المرقد واستقبال كبار الزوار من الملوك والرؤساء. يحمل مفاتيح خزائن المرقد، ويؤمن على كل هذا.

تولت عائلتي هذا المنصب لأجيال عديدة، وحصلت على ما يترتب على ذلك من امتيازات الواجهة والنفوذ والحالة الاقتصادية الجيدة. المنصب شغله أكبر أعمامي، بينما عمل أبي كموظف حكومي.

لم تكن لدينا علاقات خارج حدود العائلة إلا في ما ندر. كنّا عوائل تنصف بالانغلاق على نفسها. عندما أحاول تصنيف أسرتي هل هي تقليدية أو تقدمية أو دينية أو ليبرالية؟ أجدها تقليدية من حيث تكوينها؛ أم متفرغة لتربية الأولاد وإدارة شؤون المنزل، بمعاونة بعض المساعدين. أب هو رب الأسرة، وثمانية أبناء. ثلاثة أولاد، وخمس بنات، وكنت الثالثة من حيث التسلسل. لكن أسرتي فيها خليط من

التقدمية والليبرالية كذلك مثلاً كنّا بس نركب السيارة ونطلع من حدود كربلاء، نرمي العباءات ونصبح سافرات، ما كان فيه تزمّت من هذه الناحية، بل تركت لنا الحرية الكافية لمناجعة ما يجري في عالم الترفيه، نروح بغداد لحضور أفلام السينما، نتعلم موسيقى، ونتابع توجيهات الأزياء والموضة.

منذ طفولتي هويت اللعب، وكان لدي الكثير من اللعب، وكنت أعمل ملابس للعب. وكنت في المدرسة ناشطة في الفنون (أعمال يدوية، تطريز)، وشاركت في حفلات المدرسة السنوية والمعارض الفنية، وحصلت على كأس الفنون في إحدى السنوات في مرحلة الابتدائية. وأكملت دراستي الإعدادية في كربلاء، ثم انتقلت إلى بغداد في المرحلة الثانوية لأنني رغبت في أن أكمل دراستي في الفرع العلمي، ولم يكن متاحاً للبنات في كربلاء.

وخلال زيارة مدرسية إلى المتحف الوطني العراقي ببغداد، ذهبت من الآثار العراقية وكونها تمثل جملة الحضارات في العالم. علمت في تلك الزيارة أنّ الحضارة في بلدي لا تقتصر على الفنون الإسلامية التي شاهدها في كربلاء، وإنما تتعدى ذلك لآلاف السنين، وأصبح هاجسي منذ ذلك الحين زيارة المتحف والمكتبة الملحقة به للاطلاع والتعرف على أهم معالم تلك الحضارة العظيمة.

أكملت دراستي الثانوية، وحصلت على معدل جيّد يؤهّلي لدراسة الطب بناءً على رغبة والدي، إلا إنني منذ الشهور الأولى من السنة الدراسية التي بدأت في 1960، قررت عدم الاستمرار في الدراسة. شعرت بعدم استطاعتي مواصلة حياتي في أجواء الآلام والأمراض. وفي السنة التالية التحقت بكلية الآداب، قسم الاقتصاد السياسي (1961).

كنت شابة ألبس على الموضة، ومهتمة بالأزياء، لكن ما كنت أرسم، بل أتخيل، لحد 10 تصاميم يوميّاً بكل بساطة. أي بناية أشوقها أتخيلها زي، أي شيء أشوقه، أي ورد، أي ألوان أتخيلها أزياء. في مرحلة معينة من بداية الشباب كنت أسوي ملابس وأبسها، وأفتخر بها.

وقتها الخريج كان يتعين بمقابلة، وفي مقابلتي حكى أحد المسؤولين ويبي وشاف اهتماماني، وقال لي: "أنت أحسن شيء، تشتغلين بشركة المخازن العراقية"، وبعد شهرين هناك، تعينت بالشركة في 1965.

كانت تلك الشركة مشغلاً للخياطة، تشرف عليه الأستاذة سعاد العمري، وهي واحدة من وجوه المجتمع وشخصية عراقية سياسية مهمة جداً. كان ذلك المشغل مخصّصاً لإنتاج الملابس للشركة، كذلك لتنفيذ ملابس نخبة من وجوه المجتمع التي تساير آخر صيحات الموضة. تضم عدداً من أمهر الخياطات في بغداد. اخترت العمل في هذا

المشغل لمسك سجلاته الإدارية والمالية، لكي تتاح لي الفرصة للاطلاع عن كتب على ما توفر لديهم من مجلات الموضة الفرنسية والإيطالية، وإشباع هوايتي في هذا المجال. مارست بعض أعمال التصميم من باب الهواية، واختارتني الأستاذة سعاد العمري لتصميم وتنفيذ مجموعة من الملابس لافت تاجاً كبيراً.

ثم اقترحت عليّ سيدة كانت صديقتي بالطفولة بالمدرسة فكرة تأسيس دار أزياء أهلية، حسيت إنه هذا العمل راح يعطيني حرية أكثر، واخترتنا موقع في شارع "أبو نواس". لكنني كنت فاشلة في مجال التجارة، حين أعمل أي تصميم أنسى موضوع الكلفة، أحب بناء التصميم إلى أقصى حد، وأحياناً كنت أنسر وما نغطي كلفة الزي التي بدنا ننتجه. ثم جاءتني دعوة لأسبوع السياحة العراقي في الكويت وباقي دول الخليج العربي نهايات 1968، هدف أسبوع السياحة الترويج لزيارة العراق وطلبوا مني تنظيم عرض أزياء. فكرت أرجع لحضارتنا، واستوحى من تاريخنا، وأسوي عرض يمثل العراق، أزياء متعلقة بموضوع الحضارات وشكل التماثيل، وكانت تبهرني هذه الشغلات، فمشبعة بها. عرضت أزياء سومر وبابل وأشور حتى وصلت للعصر الحاضر. وبالفعل سويتا العروض بالكويت وباقي الدول الخليجية. كانت الأصدقاء كبيرة جداً. وسويتا عرض آخر ببغداد، وحضره وزير الخارجية، وعجبته العروض وفكرتها وحكيها عن التاريخ.

وبعد العرض قلت له عندي مقترح أحب أقدمه، رجب وحدد لي موعد، ووقتها اقترحت تأسيس دار أزياء وطنية للتعريف بحضارة وادي الرافدين. طبعاً قال لي: "مقدمي مقترح مكتوب" سويت المطلوب، وبعد فترة اتصلوا بي، ومن طلبني قال لي: "هذا النظام سويتا، أنت شو تشوفين يكون تابع لوزارة التجارة؟" قلت له أنا برأيي يصير بوزارة الثقافة، تفاجأ هو، لأن إنتاج أزياء المفروض صناعة أو تجارة، لكن ما خطر ببالي أنه موضوع ثقافي. وافق، وصدروا لي نظام داخلي أن تنفيذ مقترحي يكون مديرية مرتبطة بوزير الثقافة، وتعينت أنا في 1971، واستلمت دار الأزياء حبر على ورق، بصفتي مديرة لدار الأزياء العراقية.

وراء الأزياء فلسفة

الأزياء اتخذتها وسيلة، بس اختصاصي الأساسي هو تعريف العالم بحضارة الرافدين. بل كان يزعجني حصري في لقاءات الإعلام بالمناقشة حول الألوان والموضة والقصات، هذا الحصر يقلل من شأن عملي، أنا أشتغل أزياء بالظاهر، بس المظاهر هو تعريف العالم بحضارة وادي الرافدين، وبدي أعصق في هذا المجال لأقصى حد. بوزارة الثقافة، تعرفت على شعراء وأدباء وفنانين، بقدر

الحدود التي تخدم عملي. مثلاً الشاعر عبد الوهاب البياتي كان موظفاً بالوزارة، طلبت مقابلته، وقلت له أريد شيئاً عن الحضارة الأندلسية، كان يعطيني شعر عن غرناطة، حتى أحكى عن الحضارة الإسلامية بالأندلس من خلال الشعر، أحطه على عباءة أو شيء. كنت أؤمن بالتخصص، وضرورة اختيار أفضل الكفاءات، يعني لا أقبل بحل وسط. تعاونت مع تركيبة متنوعة جداً؛ موسيقيين ومؤلفين وفنانين تشكيليين وعاملات بالخياطة والتطريز. وفي مقابل ذلك، كان فيه استهجان أو رفض مكنوم لشغلي، على اعتبار أن الثقافة عبارة عن شعر وكتابة قصص ولوحات، لكنهم لم يعبروا عن رفضهم لأن قرار "الأزياء العراقية" جاء من الجهات العليا.

بسبب ذلك، كنت حريصة على عدم تجاوز الحدود التي رسمتها، ثم بدأت أدور على مقر حتى استقل، ولا اضطر اجيب خياطات ومكن خياطة بوزارة الثقافة، لازم يكون عندي بناية مستقلة. وبالفعل لقيت بناية جنب الجندي المجهول القديم في بغداد. الطابق الأرضي يكون للمشغل، والإدارة بالطابق الأول مع الثاني.

واستمر عملي في الأزياء ظاهرياً، والتعريف بالحضارة ضمناً، نسوي الكسوسا يعبر عنها، نصنع تاجاً أو قلادة، ونسوي يترون للزي مع اختيار خامات وألوان مناسبة. الزي السومري بدي أنفذه أقمشة من الشيفون والأورجانزا والنسيج الوطني.

كنتا نبدأ العرض بزي سومري، تطلع الملكة شبعاد، لابسة التاج والقلائد، والقيثارة السومرية مرسومة بجمايلة كبيرة على الأورجانزا. وفي الخلفية حكى عن آثار وحضارة السومريين. ثم ينتقل العرض إلى عصر آخر، مع إبراز آثاره وملابسه وإنجازاته وملوكه. وجرى التعاون مع الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد لاستخدام الشعر بالحكي عن سومر أو بابل أو الوقت الحاضر.

وبخلاف شعر عبد الواحد، استعنت براقصات البالية العراقيات بعد دراستهن بروسيا، كنت ألتقط المواهب بحماس شديد.

أبرز الخطوات وأهم فرصة لدار الأزياء كانت مهرجان بابل، وشاركنا فيه من البدايات في 1987؛ سمعت عن تجهيزات أولى دوراته خلال حضوري اجتماع بمجلس الوزراء، رفعت إيدي وقلت إننا نقدر نقدم عرض مستوحى من حضارتنا وتاريخنا بافتتاح المهرجان. تحمس وزير الثقافة وقال: "يشاركون دار الأزياء". وخصصت لنا فقرة بيوم الافتتاح، هكذا كتب عبد الرزاق عبد الواحد "أسطورة الإلهة عشتار"، وصممنا ملابس تناسب حضارتي سومر وبابل مع عروض البالية، وسويتا كل مشهد بما يناسب حجم ومساحة المسرح الببلي. وحين قدمنا عرضنا عن عشتار كان من أجمل

الأعمال المقدمة بالافتتاح. ضربنا ضربة معلم بالمهرجان. وبالفعل قدمت دار الأزياء عروضها بالمهرجان على مدى 15 سنة؛ 13 عرض افتتاح، وستين ختام.

ما فعلته الدبابات الأمريكية في الأزياء

ومع الحصار الاقتصادي، تسرب العارضين اللي يشتغلون، الموظفين. كثير أثر الحصار علينا، سنين الحصار كانت صعبة، لذا استعنت بالهواة للمشاركة في "بابل"، يعني حافظت على استمرار تقديم عرضنا الافتتاحي، وذلك عبر تطوع الكثير من الشباب والشابات للمشاركة، واحد يقول: "تريدين شباب؟"، أقول آه، وكل واحد يسحب له كام واحد، واقوم انقي، اختار اللي حركته زينة، أو صاحب الأداء المظبوط.

وفي 2003، الدبابات الأمريكية فاتت في حديقة دار الأزياء، وصار نهب. كنت بالبيت، تألمت، بس شو نسوي فوق طاقتنا. قامت بنتي لبست جلابية وعباية، ومعها الشفالة والحارس وآخرين لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من المآزر، لكن الحلبي الفضية والأزياء القديمة نُهبت. رأيت الملابس على الأرضفة يتتبع، وصرنا نشترى الأشياء المهمة، وصار عندي مجموعة يمكن تقديم عروض بها.

تابع عملي، وكنت مطمئنة لأنني ما كنت بحزب "البعث" أو فيه موقف يحرجني. لكن قيل عني إنني "إعلام صدام". مثلاً حين طلب مني تنظيم عرض أزياء بقصر المؤتمرات، يحضره الأمريكان، ما كان عندي مانع، كنت أتخيل إن سيكون مادة ثقافية تعكس حضارة البلد بشوفوها الأمريكان، لكن وزير الثقافة وقتها، مفيد الجزائري، قال: "لا، ما نسوي عرض". بعدها كان فيه معرض بألمانيا موضوعه الحرف العربي، وكان عندنا خطاط ماهر صمم عباءات تستوحى نقوشها من حروف الخط العربي، روجت على الوزير، وفلت له إذا روحنا سوينا عرض العباءة والحرف العربي، راح نسوي ضجة ما لها مثيل، لكنه قال: "ما نلحق"، والظاهر إن كان فيه اعتقاد إنني حجر عثرة لازم إزاحته حتى يقدرّون يشغلون هذه الدائرة، لأنني الشخص اللي محسوب على النظام السابق.

وفي مرة دُعيت للمشاركة بعرض في الأردن، وسافرت أشوف شو نقدر نسوي، وأنا هناك خابرتني موظفة عندي بالدار وقالت لي: "أحيلتي على التقاعد". ورجعت العراق سلمت ما لدي.

قبل التقاعد، تلقيت كام رسالة تهديد، كتبوا لي "أنت عميلة

مزدوجة... أنت تشتغلين مع صدام والأمريكان، وعليك أن تترك العمل".

بعد التقاعد، التحقت بابتني بالأردن حيث تعيش مع أسرتها، ما تبقى عندي من أزياء، نقلته للأردن بالسيارة على دفعات، كل ما يروح زوجي لبغداد يجيب شنطة، وبقينا على أمل أن تتحسن الأوضاع ونرجع للعراق. ثم سافرت أسرة ابنتي لأمريكا، وقدمت طلب والتحقت بها بعد 3 سنوات، وشحنت الأزياء إلى فيرجينيا.

وفي يوم جاء على التلفزيون لقاء مع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، وسئل عن العراق وأكر وجود بلد اسمه العراق، حز بنفسني هذا الموضوع، وقررت إعداد عرض جديد بأمريكا، المقطع الأول عن الفن الإسلامي بكريل، والثاني عن الحضارات والأشياء المستوحاة من سومر وبابل وآشور، والمرحلة الأخيرة عن الفلكلور. العرض نجح وحضره حوالي 600 شخص.

وفي 2018، قدمت عرض آخر على مسرح جامعة جورج واشنطن، بالعاصمة الأمريكية، وكان إعادة للعرض السابق مع إخراج جديد ومن زاوية سردية؛ شهرزاد تتحدث عن العراق، وشهرزاد عارضة من فتيات الباليه اللي كانت تشتغل ويايا ببغداد.

1 أصدر مجلس الأمن القرار 661 في آب/أغسطس 1990 بفرض عقوبات سياسية على العراق لإرغامه على سحب قواته من الكويت. وشملت العقوبات حظراً امصداً كاملاً باستثناء المواد الطبية والغذائية.

لاهاي الدعمي: العراق لا يزال يختار طريقه

لاهاي عبد الحسين الدعمي، أكاديمية مُختصة في علم الاجتماع، من مواليد 1952 في مدينة الديوانية التابعة لمحافظة القادسية.

اهتمت لاهاي بالدراسات الاجتماعية مع قراءة أعمال علي الوردي¹، ودفعها هذا الاهتمام للعمل في الصحافة في جريدة "الثورة" التابعة لحزب البعث الحاكم، وهي تجربة لم تستمر أكثر من بعض سنوات، لتفضيلها الدراسة الأكاديمية في الولايات المتحدة الأميركية، وهناك وجدت طريقها لفهم أوضاع المرأة العراقية ودراساتها، بشكل عملي وموسع عن النظرة الحزبية الضيقة التي حاصرتها في العراق، حين تطوعت في "الاتحاد العام لنساء العراق".

تعتبر لاهاي أنّ العراق عصي على أي جهة تريد تطبيعها، سواء كان نظام "البعث" أم الاحتلال الأميركي أم الأحزاب الدينية. لا ترى أنّ بلدها ديني أو علماني بالكامل، بل هو لا يزال في مرحلة تخبّط حتى يختار الطريق الذي يناسبه.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 16 تموز/يوليو 2020.

حلمي أن أصبح كاتبة

أحب تعريف نفسي باسم الوالد لا العشيرة. حين ولدت والدي كان في سفرة لبغداد بحكم عمله كتاجر، ولما رجع أخبروه أن لديه طفلة جديدة واقترحوا عليه اسم "نورية"، فعلق "ما هذا الاسم التقليدي؟ لا، سوف نسميها لاهاي، على اسم المدينة الهولندية" حيث أودت عاصفة جليدية هناك بحياة عدد كبير من الأشخاص، وأعتقد أن اختياره لهذا الاسم جزء من التعبير عن التفاعل العراقي مع العالم الخارجي.

الوالد انتقل إلى بغداد بعد ميلادي بستينين مع زواجه من امرأة أخرى على أمي تلبية لطموحات الزوجة الجديدة. لم يكن الأمر بالنسبة لعائلتي سهلاً؛ لحقنا به وعشنا في بغداد. تسلسلي

1 عالم اجتماع عراقي، درس في الولايات المتحدة الأميركية حيث نال الماجستير والدكتوراه. وعمل أستاذ علم اجتماع في جامعة بغداد.

بالعائلة في الوسط، لكننا سبعة، وهذا لم يكن أمراً جيّداً، الكبار بالسن يفرضون سطونهم على خاصة الأولاد لتمتعهم بسلطة أوسع بعد زواج أبي من أخرى وكون أمي المعيلة لنا.

فكرت بأن أصبح كاتبة في الصف الخامس الابتدائي. تصورت نفسي في بطن أمي وخربت لهذا العالم، وصورت الوضع وكنت سعيدة لأن لم يكن هناك من يتدخل في حياتي، وكنت هذا التصور بطريقة بسيطة إن عندي رغبة كبيرة جداً في أن أصبح أم نفسي أو سيدة نفسي.

ظهرت نزعة أن أصبح كاتبة، ربما تأثراً بأخي الكبير علي صاحب الميول الأدبية. أيضاً بالمدرسة الابتدائية زمن عيد الكريم قاسم كانوا يشجعون على إلقاء أناشيد وطنية، وأظهرت على ما يبدو القدرة على حفظ القصائد، فكانت المعلمة من الصف الرابع الابتدائي تكلفني بحفظ قصيدة وألقيها يوم الخميس أمام المدرسة كلها.

صحافية تحاور عبد الناصر

في المدرسة المتوسطة رغبت في أن أكون صحافية مثل الصحافيات المصريات الذاهبات للقاء الرئيس المصري جمال عبد الناصر، الرئيس المصري الذي كان يحظى بشعبية كبيرة، فكنت أتصور نفسي أذهب لمقابله بزي سبور يعني تنورة جينز وقميص اعتيادي بسيط، فكانت الصحافة من ذلك الوقت عزيزة على قلبي. وقتها ظهرت عندي قابلية إلقاء الكلمات بشكل صحيح، أتذكر مرة كان الدرس حول المفعول المطلق وطلبت مُدرّسة اللغة العربية أن نعطيهما جملة في مجال المفعول المطلق، فقلت لها: خضع رجل خائفاً، فقالت: "جيد لأنّ المفعول المطلق لا ينبغي أن يكون جزءاً من الجملة" كان شيء بهذا المعنى.

في ما بعد تطورت العلاقة مع مدرّسات اللغة العربية كثيراً. وكان الطموح بالنسبة لي دراسة الصحافة. وخلال العطلة كنت أذهب للمكتبة الوطنية للقراءة، وهناك بدأت بواكير الوعي على الدراسات الاجتماعية، مثل علي الوردي. كنت أبحث عن كتابات اجتماعية وعلم الاجتماع. وأثناء البحث عن كتابات علي الوردي قرأت كتاب متعب السامرائي "ثورة على القيم" ولفت نظري إنه تهجم على المرأة بقوة.

في 1973 عام دخولي الجامعة، كان قسم الصحافة مغلقاً وقتها، ففكرت أن أذهب إلى قسم الاجتماع، معدلي كان يؤهلني لدخول أقسام أخرى مثل الجغرافيا، وهو يعتبر أرقى من حيث المكانة، اخترت "الاجتماع" عن رغبة، ولأنه الأقرب للصحافة بحيث إنه سوف يزودني بالفكر، لأنني أصبحت مغرمة أو لدي ولع بفهم المجتمع العراقي وفهم مشاكلنا وحتى من النوادي الشخصية. وتصورت أن الصحافة في ما بعد ممكن أن تُكتسب من خلال الممارسة والعمل، وهذا ما حدث.

مسار جديد

بعد الرفض قررت الاستقالة، وسئلت لماذا؟ فقلت إنني أرغب في الدراسة ووقتها الاستقالة كانت صعبة لأن النظام طريقة تفكيره إن المواطن يبقى تحت السيطرة من خلال وظيفة، ويبدو إن رئاسة التحرير شعرت أنه يمكن الاستغناء عني، وقيل لي: "نحن نعتز بك، ولكننا نحترم طموحاتك وأحلامك للدراسة"، جرى ذلك في 1980.

وقبلت للدراسة بقسم الاجتماعي في إحدى الجامعات بالولايات المتحدة الأمريكية، وذهبت على نفقتي الخاصة من مدخراتي من راتب الجريدة. كان عليّ تعلم اللغة أولاً قبل الدراسة، وخلال تدريس الإنجليزية طلب منّا في مادة الإنشاء كتابة قصة شخصية، كتبت عن ظروف شخصية، والقصة أعجبت المدرّسة الأميركية لقدرتي على التعبير عن المشاعر، شجعني ذلك.

وقتها لم يكن لدي خبرة لإدارة حياتي أو للنصرف بحالي بشكل حكيم، أنفقت كل مدخراتي، وقيمتهما ستة آلاف دولار خلال شهرين في التسوق، هناك أشياء كثيرة تشجع على الشراء، خاصة بالسوبر الماركت الذي لم يكن معروفاً في العراق حينها. المهم، أنفقت المال كله ولم يكن أمامي إلا العودة.

وبتوسط بعض المعارف بالاتحاد العام لنساء العراق، جرى ضمني لنظام البعثات في وزارة التعليم العالي الذي يقدم راتب 500 دولار، فأصبح ممكناً الدراسة بالجامعة الأميركية التي قبلتني بقسم الاجتماع، وبدأت مسيرة الألف ميل.

أنجزت أطروحة ماجستير عنوانها "عمل المرأة والتحضر في العراق"، بمعنى البحث في تأثير ظاهرة الإقامة بالمدن على عمل المرأة مع ازدياد أعداد المقيمين من السكان في المدن كيف تتأثر المرأة، واعتمد بها على إحصاءات عراقية وطنية صادرة من وزارة التخطيط تصدر في صياغة الكتاب السنوي. وكان موضوع الماجستير جزءاً بالشعور بأن عليّ دين للنساء العراقيات. المشرفة على الأطروحة أمريكية خريجة جامعة بيركلي، وكانت تفخر إنها من الذين ساهموا في حركة الحقوق المدنية الأميركية، ولكنني فوجئت أنها لم يكن لديها تصور عن بلدنا، أقصد الشرق الأوسط كله. ولكنني في ما بعد استطعت أن أنهّي الرسالة بنجاح. في المناقشة الأجواء كانت جيدة ومشجعة.

مع إنهاء الماجستير تحدّث صدام حسين في لقاء رسمي عن ضرورة منع النساء غير المتزوجات من الدراسة في الخارج لأن ذلك يعيق فرص زواجهنّ، كان الحديث بعد مناقشة أطروحتي، 1984، وخشيت الرجوع للعراق وأنا غير متزوجة، مما قد ينعني من مفارقة البلاد. لذا اخترت جامعة أخرى لإنجاز الدكتوراه بنصيحة من أساتذتي، وقُبلت مع استمرار المرتب العراقي؛ 500 دولار الذي كان يكفي بالكاد.

استغرقت ست سنوات في الدكتوراه، وموضوعها مرتبط

وفي "الاجتماع" صار متعب السامرائي أساذي، وناقشته في أمر تهجمه على المرأة في كتابه، قال إنه كان يشرح آراء فلاسفة وبالحقيقة هو أظهر من المحبة والرافة بي كفتاة، لكنه كان حازماً وقاسياً على الفتيات اللواتي يخرجن عن المتعارف عليه من نواحي أدبية وسلوكية؛ هذا كان معروفاً عن "الدكتور متعب".

قومية متعاطفة مع الشيوعية

خلال سنوات الجامعة، لم أكن ضمن تنظيم وكانت توجهاتي قومية.

لاحظت مثلاً إن نظام حزب البعث سعى إلى ما يُسمى بالدائرة المغلقة عبر ضمّ كل الطلبة للاتحاد الوطني وغيره من تنظيمات "البعث"، والوضع وقتها كان مختلف بمعنى إن الطلبة البعثيين يمارسون الكثير من الضغوط على الطلبة الشيوعيين. الأجواء لم تكن مشجعة على الدوار، وفُرضت علينا دراسة مادة تُسمى "الثقافة القومية" ويدرسها أساتذة حزبيون غرضهم الترويج للأفكار الحزب الحاكم في البلد. وكُنّا نسمع تحذيرات من الاختلاط بالطلبة الشيوعيين "لأنهم أذكى منكم".

سنوات الصحافة

تخرجت في 1978، وعملت بشكل تطوعي في الاتحاد العام لنساء العراق². وفضّلت البحث عن فرصة عمل بالصحافة بدلاً من التعيين في وظيفة. هكذا ذهبت إلى جريدة "الثورة"، الجريدة الرسمية لحزب "البعث"، فكان هؤلاء ليسوا مستعدين لتعيين شخص مياشرة وإنما يضعونه على التجربة ويطلبون منه كتابة مقال. وكتبت ونُشر المقال في صفحة الدراسات مع أسماء شيوعية كبيرة، تقريباً كنوع من الدعم لي كموهبة شابة وقتها.

وفي ما بعد عُينت في قسم الدراسات، وكان يرأس القسم صحافي رائع وكاتب ممتاز اسمه محمد حربي، دينامو القسم لضبط هؤلاء الشيوعيين الكبار؛ عزيز سباهي، محمد حجازي، غمار عبد القادر، مالك منصور. لقد ذهبت لهذا القسم لم أجد إلا الرعاية والمحبة والاحترام بحيث أنني شعرت أنني لا يمكن أن أحلم بأجواء أفضل من هذا. بل المرحلة السعيدة في حياتي هي الثلاث سنوات التي قضيتها في "الدراسات" في "الثورة"، بسبب هؤلاء الرجال.

في ما بعد، لقد توثقت الصلة قالوا لي إنهم تصوروا أن تعييني كان عبارة عن تجسس عليهم، ولكنهم أدركوا في ما بعد أنني بعيدة جداً عن هذا.

عملت بالجريدة معتمدة على رصيدي من الأفكار، ثم شعرت أن الوظيفة مثل قوقعة سأظل محبوسة فيها، لذا رغبت في الدراسة بالخارج حتى أثقف نفسي. وقدمت على إجازة دراسية ورفضت الإدارة.

2 منظمة نسائه أسسها حزب البعث في 1969.

بالعراق، وما أن جاءت الفرصة هربنا إلى الأردن، ومنه إلى ليبيا، ودرّست هناك حتى 2001 باللغة العربية. في العراق اعتبروني مُستقيلة.

وفي ليبيا اكتشفت أن لدي قدرة ممتازة للتدريس بالعربية. ثم سمحوا في العراق بعودة الذين سافروا دون إذن رسمي، فعدنا لأن زوجي رغم مساندته لي لم يكن سعيداً في ليبيا فهو لا يعمل ويقضي وقته في القراءة فقط. وبالفعل عدنا إلى العراق في 2001. وأخيراً درست في جامعة بغداد باللغة العربية.

ومع احتلال العراق في 2003، شاهدنا بعيوننا النهب والسلب. وعلى الصعيد الأكاديمي، رأيت انهيار الإدارات في الكليات والأقسام الأكاديمية. تغيّرت وجوه وجاءت وجوه أخرى، وسرعان ما ظهر المدّ الديني، ولاحظت انقسامات الطلبة الطائفية. مثلاً قبل 2003 كان فيه خوف من تناول نظريات مثل الماركسية في صفوف علم الاجتماع دون كتابة تقارير عنه، أمّا بعد سقوط نظام "البعث" دخلنا دهليزاً آخر حيث سمعت من الطلاب آراء مثل "لماذا لا تدرسون لنا نظريتنا الإسلامية؟"، وهذه الآراء تتعارض مع الرغبة في الارتقاء بالعلم، وتفرض نزعة أيديولوجية على نظرتنا إلى علم الاجتماع.

في 2007، جاءت فرصة الذهاب لكلية ديكسون في ولاية بنسلفانيا كأستاذة زائرة، وفي 2009 زسحت كباحثة في جامعة فرايا الهولندية. ثم عدت للعراق مرة أخرى.

حالياً متقاعدة، واشتغل على دراسة في علم الاجتماع الأدبي، وتركيزي على نماذج من الرواية العراقية. وهي فرصة لتسليط الضوء على المجتمع العراقي برؤية روائيين لم يهربوا من الواقع، بل التصقوا به وتعقبوه وتركوا لنا سجلاً مهماً ربما لم ينجح باحثون في الوصول إليه.

مثلاً أعتبر كوني امرأة أثر كثير عليّ، مرات أفكر لو كان علي الوردي امرأة، هل كان بإمكانه إنجاز ما أنجزه؟ في نظري لا. لماذا؟ لأنه جزء مهم من بحث الوردي حول الفضاء العام، المقاهي والأماكن العامة، وهذا مجال يمكنه كرجل دراسته بسهولة. بينما إحنا كنساء مجال حركتنا محدود من البيت إلى المدرسة.

مثلاً مع وفاة الوالد، صدر القسام الشرعي (البرث)، رأيت حجمي الطبيعي، اكتشفت أنه صغير جداً. رغم حصولي على شهادة والإنجاز الذي حققته في حياتي كأمراة، ولكنني لم أكن شيئاً أمام أخي في قانون الورث، للذكر مثل الأنثيين.

أعتبر أنّ العراق كان يَراد له شيء، وهو تطور لشيء آخر، العراق عصي على أي جهة تريد أن تطبعه بطبعها. العراق اليوم ليس دينياً 100%، ولكنه ليس علمانياً بدرجة 100%، وإنما يختار طريقه، علينا احترام هذا الطريق.

بالجندر، التفاوت الجنسي في العراق من سنة 1967 إلى 1988 أي نهاية الحرب العراقية الإيرانية، واعتمدت على إحصائيات رسمية صادرة عن وزارة التخطيط العراقية. ووجدت، استناداً على هذه الإحصائيات الرسمية، أنّ هناك تمييزاً جنسياً في التوظيف، حيث ذُفعت المرأة للعمل بالتعليم الابتدائي والوظائف الدنيا التي هي موظف ملاحظ وما إلى ذلك. وأشارت إلى أنّ العراق كان لديه خطة تنمية تشجع المرأة على العمل، ولكن لمّا دخلت الحرب العراقية الإيرانية على الخط ظهر التمييز الجنسي في توظيفها. ودرّست علم الاجتماع بجامعة يوتا الأميركية، حتى عدت إلى العراق في 1990.

وفي العراق، نُعيت للإلقاء محاضرة للحديث عن أوضاع المرأة العراقية، وضمن حضور كلمتي قيادات اتحاد النساء ومسؤولين رسميين بالقيادة القطرية لحزب البعث وضباط مخابرات. قلت إن المرأة العراقية حققت الكثير وسياسة الدولة لعبت دور، ولكن الذي حدث في ما بعد إنه ظهر التمييز الجنسي بسبب الحرب العراقية الإيرانية، وبعدها صدرت تعليمات بعدم تعيين النساء لصالح أن الدولة عينت الرجال العائدين من جبهات القتال. واعتبرت أن الحرب العراقية الإيرانية أثرت على المرأة العراقية بشكل سلبي وأبرز دليل على ذلك ظاهرة التمييز الجنسي. ورغم إن كلامي مستند إلى إحصاءات رسمية من الحكومة العراقية، انفعل مسؤول القيادة القطرية، وطلب الكلام وقال: "أختلف معك بشكل واضح. الدولة والثورة والرئيس مع المرأة ولا وجود للتمييز الجنسي لدينا في العراق هذه مصطلحات أجنبية ولا نسمع...". وكلام من هذا النوع. أيدت قيادات اتحاد النساء كلام المسؤول، وكان تصرف غير مفهوم بالنسبة لي، ماذا يعني أن يرفض وسط نسوي الاعتراف بوجود تمييز جنسي ضد المرأة لأن مسؤول قيادي بالدولة نفى وجوده. هذه حقيقة علمية ليس لها علاقة بشيء، هذه حقيقة موجودة. ونتيجة لهذه المحاضرة، صارت مقاطعة من جانب الاتحاد لي، بيني وبين نفسي كنت سعيدة لأن قلت أن هذه فرصة لا تخلص من تنظيم ظلت وياه فترة، وهو تنظيم يطري فقط، والباحث العلمي لا يطري فقط إنما يبحث في الجوانب الأخرى.

وفي 1992 عملت بقسم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة بغداد، واخترت التركيز على أدائي في مجال التدريس. لكن هذا المجال كان تحت سيطرة "البعث"، وشققت طريقي بصعوبة رغم كل محاولات التهميش لشغلي. مثلاً طلب مني التدريس في جامعة بغداد باللغة الإنجليزية؛ علمي الاجتماع الريفي والحضري، لكن طلابي بدأوا يتذوقون طريقي في التدريس رغم أنّ مواد كانت باللغة الإنجليزية، وكانوا يقولون إنهم تعلموا عندي علم الاجتماع أكثر مما تعلموه من أساتذة يتكلمون العربية وبلغة يفترض أنها تكون مفهومة أكثر بالنسبة لهم.

وفي 1998 تزوجت عبد الحميد الصافي، وظروفنا كانت صعبة

منى سعيد: "الرجعية" تتصدى للحركة النسوية العراقية

منى سعيد، صحافية وكاتبة ومترجمة. من مواليد 1955 مدينة الحلة، محافظة بابل.

تستعيد منى ما عاشته كعضوة في الحزب الشيوعي العراقي من ملاحقات ومطاردات خلال السبعينيات، التي هدأت بعد توقيعها هي وزوجها وثيقة تعلن تأييدهما حزب البعث الحاكم، لكن ذلك لم يوقف الملاحقات التي أدت إلى إعدام زوجها، المناضل الشيوعي سامي حسن.

ترى منى أن العراق بعد 2003 فَقَدَ سيطرته على الرجعية ممثلة في الأحزاب الإسلامية التي تعادي الحركة النسوية، وأن بلادها أمامها وقت طويل حتى تتخلص من سيطرة الرجعية!

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلات جرت في 6 و 10 كانون الأول/ديسمبر 2012.

لما كان الشارع أحمر

نشأت في بيت علم وأدب وفن، وهذا صاغ شخصيتي. كنت قبل الأخيرة، وقبلتي أخت وأخين، وبعدي أخت وُلدت في 1966.

بعد وفاة جدي، والذي نشأ في بيت أهل أمه/جدتي، وترسّ أبي مع خاله، كبر مغا. خال أبي هو الدكتور علي جواد الطاهر، وبكل فخر يعدّ من شيوخ النقاد. والذي حفظ الشعر، وأصبح شاعراً نوعاً ما، لكنه انشغل بعدين بشؤون العيش والتجارة أكثر من شؤون الأدب. بينما واصل خاله دراسته إلى أن سافر إلى فرنسا وأخذ الدكتوراه من السوريين، وأصبح من أهم النقاد العراقيين.. هكذا عشت في بيئة ثقافية.

عائلتنا من البرجوازية الوسطى، ومن الناحية السياسية نشأنا في بيئة يسارية 100%، بالتزامن مع المدّ الشيوعي في نهاية الخمسينات، "الشارع كان أحمر" كما يُقال،

خصوصاً بعد ثورة تموز 1958.

والذي انضم لتنظيمات الحزب الشيوعي وجماعة أنصار السلام، والدتي عضوة ناشطة في رابطة المرأة العراقية. أختي الكبرى اللي كانت لا يزيد عمرها عن 16 سنة عضوة بالحزب الشيوعي، وكذلك أخوي.

بالتالي الابتدائي انتقلنا بغداد، بدايات 1963، قبل الانقلاب. أبويًا زادت ثروته، وصار عندنا بيت ببغداد وآخر بالحلة. البيت الجديد كبير، كنّا فوق الطبقة المتوسطة.

وعمرى 8 سنوات، كنت نائمة في حضانٍ جدني بغرفة المعيشة، شعرت بشيء بارد خلف أذني، فزيت من نومي إذ الملمس البارد عبارة عن بندقيّة أحد رجال الحرس القومي³، كانوا جايين بحثاً عن أختي وأخي وابن عمي.

دخلت الجامعة في 1973 كلية الآداب وتحديداً قسم اللغات الأوروبية "فرع اللغة الألمانية"، كنت أريد الإنجليزية، لكن معدلي لم يؤهلني لذلك، إما فرنسي أو ألماني، وبناءً على نصيحة خال والدي، شيخ النقاد، التحقت بالألماني "قليل من يتكلم الألماني، الفرنسي والإنجليزي تقريباً شائع". ونصيحته كانت ذهبية، أنقذتني من الجوع والهلاك.

خلال الدراسة تشكّلت "الجهة الوطنية" بقيادة حزب البعث الحاكم، وضمّت الحزب الشيوعي اللي انضممت لصفوفه التنظيمية.. وجرى نوع من الانفتاح السياسي، أعقبته شوية راحة بالتنظيم.

مثلاً حين شارك الجيش العراقي بالدفاع عن دمشق خلال حرب 1973 ضد إسرائيل، جاءت لنا توجيهات من "الشيوعي" نطلع نحوي قوات الجيش العائدة من سوريا، نحمل الزهور ونغني "حامي دمشق أهلاً بيك.. عراق الجهة يحبك"، قلوبنا كانت ويا الجيش، وهما على الدابات نسوّي لهم بوسات.

1 يقصد بها إعلان الجمهورية العراقية في 14 تموز (يوليو) 1958، عبر انقلاب عسكري ماده عبد الحكيم قاسم وعبد السلام عارف، والاطاحه بالحكم الملكي الهاشمي. وقتل الملك فيصل الثاني وكان عمره حوالي 23 عاماً وتولى قاسم رئاسة الوزراء، وصار الحاكم الفعلي للبلاد.

2 تأسست الرابطة في بغداد في 1952 (تحت اسم رابطة الدفاع عن حقوق المرأة العراقية)، ثم قُبلت ضمن اتحاد النساء العالمي بعد عام من تأسيسها. رغم ذلك لم تقل السلطات العراقية الرابطة إدارياً "لمنظمات المصلحة العامة"، وعملت فرابطة سرية، وحظر نشاطها مع انقلاب 1963، وبعد ذلك دممت الرابطة أوراق اعتمادها أكثر من مرة.

3 هذه الملاحقات اللاحقة تزامنت مع انقلاب عسكري على حكم عبد الكريم قاسم ماده القوميون والبعثيون بقيادة عبد السلام عارف في 1963

4 بولى حزب البعث الحكم في العراق في 1968، وبعدها يستناب أعلن ورقة حول العمل الوطني، وتجاوز معه بشأنها "الشوعي" وهو ما أمضى إلى تشكيل جبهة في 1973 ضمت "النوري الكردستاني"، وبعض المسيقيين. استمر عمل الجبهة حتى دعوة ممثلي "الشيوعي" في اللجنة المركزية في 1978 لانتخاب جمعية تأسيسية تضع دستوراً دائماً للبلاد وهو ما عارضه "البعث"، ثم توالى حملة أمنية استهدفت أعضاء وميادات "الشيوعي" الذي كان حليفاً للحاكم ولا يزال.

"نحن والأمن جيران"

رغم وجود "الشيوعي" بالجبهة، تعامل معنا الاتحاد الوطني التابع لـ "البعث" بشراسة فظيعة، مثلاً يشوفوني أتردد على كلية الفنون الجميلة لا بد أحد من الاتحاد يؤذيني أو يضايقني.

في نهاية الصف الثالث، تعرّفت على شاب، وجرت بينا علاقة عاطفية. هو مسؤول تنظيم الشباب في كلية الفنون الجميلة، ورشحني للعمل في جريدة "طريق الشعب"، طبعا أهلي أبداً ما وافقوا رغم إنهم شيوعيين، لبدء الحملة على الشيوعيين وقتها، 1978. ناقشت أهلي قلت لهم أنتم اخترتوا طريقكم، وملتوا نصيبكم من الحياة ما لكم حق عليّ إنكم تمنعوني عن ممارسة حقي الشخصي، ما لكم حق عليّ سوى أن ألزم شخصياً بالأخلاق العائلية. المهم انتميت للجريدة، وعملت بالمونتاج أي إصدار الجريدة فتيّاً؛ نرسم الصفحات حسب المادة، ونجهز الجريدة للطبع. ومقر عملنا كان بمطبعة الرواد، وكانت موجودة وسط بيوت الأمن العامة، ندخل البيوت وأزقة ويعدين المطبعة، بحيث كنّا نغني "نحن والأمن جيران"⁵.

يومي كطالبة في 1979، يبدأ من الصباح الساعة 6 ونصف أو 7 من البيت للكلية، أركب 3 باصات، بعد الدراسة لقاءات حزبية، ثم الجريدة، وبعدها المطبعة. وحسب ما تخلص الجريدة يوصلني للبيت حوالي 12 ليلاً رئيس التحرير، عبد الرزاق الصافي، لقرب سكنه من بيتنا.

وخلال عملي بالجريدة فيه رفيق، كان خطاط ومصمم يعمل معي بالمطبعة، اسمه سامي حسن، أجنبي وتزوجنا في نفس الشهر الذي تخرجت فيه، نهاية 1977.

بعد التخرج نقلت من المطبعة إلى قسم التحرير، وتعرّفت على كبار مثقفي وسياسيي العراق.

جديم المطاردة

يوميّاً نسמע أخبار عن الهجمة على الشيوعيين ومطاردتهم رغم وجود الحزب بالجبهة، سجن رفاق أو اختفائهم أو مطاردتهم، بس كنّا صامدين، نروح ونيجي وتداوم بالجريدة. يوم بعد آخر تضيق علينا الحلقة ونفقد رفاق.

لما حملت بـ 1978، بقيت بالبيت، عملت بالترجمة لمجلة الزمار، وكنّا مرافقين، تحت العين يعني. وبعد أن ولدت ابنتي. ولما صار عمرها 40 يوم، رننا الحلة، مسقط رأسي، أخي الكبير يقيم عادة حفلات اجتماعية، وذهينا لحفلة، سافرنا وتركنّا البنت مع أمي. ما أن وصلنا نتصل أمي

5 بمصدا صاحبة الشهادة السخريّة من خطوره وجود مطابع الجريدة الناطقة باسم الحزب الشيوعي وسط مساكن الأمن، والعبارة مستوحاة من أغنية لفيروز، وذلك مع استبدال كلمة "الأمن" بـ "العمر" في أغنيها.

بيت أخي وقالت لنا إن "الأمن طوّق بيتكم بغياكم"، ولأنهم يعرفون إن بين بيتنا وبيت أهلي 4 أو 5 بيوت، وصلوا لأمي وهددوها "يسلمون أنفسهم، وإلا أنت وهذه الصغيرة وكلكم نأخذكم". أمي خلت الطفلة على جنب وللصدفة كان تليفون بيتها عاطل، واتصلت من عند الجيران. طلعنا مجرد جانا الاتصال من بيت أخويا لبيت خالتي بالحلة أيضاً، لتوقعنا إن الأمن بالحلة سوف يأتي على بيت أخويا.

بعد شوية انتبهنا إن ابن خالتي، هو نفسه شيوعي ومطارد، وإن مجيئنا عند خالتي خطر، طلعنا من الحلة، على أهل سامي، هو من الناصرية، مدينة الشاطرة، توجهنا رأساً على هناك، لكنني مشغولة بالطفلة اللي في دائرة الخطر وأمي أيضاً، وهما مههدين إن إذا ما سلمنا أنفسنا يأخذوا الطفلة وأمي. وصدري كله حجر مثل ما يقولوا، لأن الطفلة ما موجودة وامتلاك صدري بالحليب، وأبكي بسبب ألم صدري. ثم وصلنا خبر أنهم يدرون بوجودكم بالشاطرة، روحنا لصديق حماي بالبصرة، استقبلنا الرجل، هو من أهل الفلوجة، متزوج واحدة بصراوية، وكان مسجون وبأ حماي بـ 1963.

ومن البصرة رجعنا إلى بغداد حتى نقدم على السفارة الكويتية بالكي نطلع خارج العراق. روحنا بيت أختي، وهي مناضلة وشيوعية ومتعذبة، وجهها كله منقرش من الأبر اللي غرزوها بوجهها في التعذيب. وجابوا لي بنتي عند أختي، كان مَرّ عليّ حوالي شهرين ما شوفتها.

روحنا على السفارة الكويتية ما محصلة فيزا، حاولنا نتصل بأحد يهرنا من الشمال، ما حصلنا. الهجمة كانت شرسة، عثروا على مكان تواجدنا، لكن ما جاءوا لنا مباشرة، بل بعثوا لنا أحداً يهددنا مباشرة إذا "لم تسلموا أنفسكم خلال 24 ساعة.. نأخذ أهلك وأهلكم للسنج".

موافقة على الإعدام!

أخي الكبير قال لي: "لا تسلمون أنفسكم". أهل سامي بصراحة ضغطوا عليّ حتى يسلم نفسه، قالوا: "إحنا ما نقدر، لأن هما متعذبين". أبو سامي مسجون في كل المراحل السياسية بالعهد الملكي، وعهد عبد الكريم قاسم، وبـ 1963. صرت بين طرفين متناقضين، أهلي ورفضهم لتسليم نفسي، ورغبتني إنني ما أسلم نفسي، مقابل موقف أهل سامي. ثم جاء لنا أحد أقارب زوجة أخو سامي الكبير، يبدو أنه يشتغل بالأمن، واقترح إنه يسلم نفسه سامي لزملائه بالأمن، "بأيدي أخده وأخليه يعترف، وأخليه يوقع هذا التعهد وما عليه شيء وأرجعه". يقصد تعهد إنه ما يعمل بالحزب الشيوعي، وإذا عمل بغير "البعث" يوقع على إعدامه.

والله وفي بعده، المسكين وقع ورجع بالنسبة ليّ أخذوني أهل سامي، استلمني ضابط حوالي 12 ساعة تحقيق، نفضني نفص، حتى "ليش تسمين بتك يمن"، قلت له يعني حمامة السلام.

في التحقيق، كنت أعطي أسماء وهمية، أسماء ما موجودة، كُنا مع فلان وفلان ومسؤولي فلان حتى نسوي نمويه، أو نعطي أسماء اللي نعرف إنهم غادروا العراق بعيد. ووقعت على إعدامي إذا انتميت لغير حزب البعث.

وانتهت المطاردة، وصار ممكن نشغل، واشتغلت في دار ثقافة الأطفال، ونفص الشيء بالنسبة لسامي هذا الحكي 1979.

سامي زوجي كان شاطر ياخذ شغلات، مجلة الصناعة يصمم لها، مجلة المعلمين يصمم لها حوالي 4 أو 5 مجلات، صار وضعه المادي أفضل. وشغال بدار ثقافة الأطفال وبايا، وكلهم يحبوه، هو مرح جداً، يقلد على نفسه، يقلد الآخرين، الهواء الطائر يضحكه.

أين سامي حسن؟

وبالشهر الثالث بـ1980، طلع سامي للشغل الصباح بسيارته، صار الظهر، العصر، المساء، ما رجع اتصلت بأبوه. وأول لقاء حمايا دخل البيت قال لي: "سامي راح، سامي ما يرجع بعد"، سامي غمره في ذلك الوقت 29 سنة وأنا 27، في عز شبابتنا.

يوم، يومين، ثلاثة، سيارته كان بها مواد الجرائد والمجلات اللي كان يصممها. زملاء سامي بالشغل راحوا على الأمن أخذوا مفاتيح السيارة، وطلعوا مواد الشغل، وبعدين جابوا لي السيارة. عرفنا خلاص أنه بالأمن. ثم واحدة تعمل بدار ثقافة الأطفال قالت لي: "أخويا يشتغل بالأمن، أنا أقدر أجيب لك خبر عنه" قلت لها أرجوكي. كنت ما خليت أحد ما توسلت له إنه يشوفوا لي وين هو، وشنو صار. وجاءت لي ثاني يوم تبكي، وقالت لي: "للأسف أخويا هو اللي عاقب سامي، وسامي موضوعه كبير يبدو إن ما له حل".

كانت مديرتنا، أمل الشرقي، زوجة عبد الجبار محسن⁶، اللي هو سكرتير صدام حسين، طلبت منها تسأل زوجها عن سامي، ثاني يوم طردتني، "ما تسألين؟".

بعدها الأمن يقبضوا عليّ من البيت تحقيق يوم ويرجعوني. إذا مو أمن تكون مخابرات بيون عليّ، يأخذوني، تحقيق، يعقلوني يوم واحد ويرجعوني، تحقيق بخصوص اتهامات كلها تلفيق، من التقارير اللي يكتبوها عليّ.

6 صحافي عراقي، كان مسؤولاً عن التوجيه السياسي للجيش العراقي، وحمل رتبة "لواء فكري"، وعمل مستشاراً للرئيس العراقي الأسبق صدام حسين. وفي ما بعد كان مطلوباً من قبل الجيش الأميركي بعد 2003.

رغم كل هذه المضاعف، حدث شيء إيجابي، كانت عندي سيارة سامي، لكنها لم تكن مسجلة باسمه، وخليت صاحبها يسجل لي إياها باسمي، بعثها واشترت قطعة أرض حتى أسوي بيت، ولما يطلع سامي يلقي عنده بيت. أترجم وأشتغل وأجمع مال لمشروع البيت.

وتستمر تهديدات الأمن مثلاً قالوا لامي إنها إذا سلمت سلوى [شقيقة الراوية الكبرى] سوف يتركون سامي أو "نهذ البيت طابق طابق".

بدأت فترة عصبية أخرى بحياتي عند أهل زوجي، اشتغل بالبيت، عليّ وجبة العشاء وتنظيف المطبخ، ثم ترجمة حتى الفجر، وتأكسي يودّي بنتي للحضانة ويرجعني دار ثقافة الأطفال. وخصصت مكافآت الترجمة لبناء البيت وهكذا لمدة 4 سنين.

وفي 1984-1985، تحدث مدير الأمن لمجلة "ألف باء" العراقية، وقال إن "ما عندنا سجناء سياسيين، واللي عنده سجين سياسي يراجع عليه". استبشرنا خير، بعثنا أبو سامي يسأل، وخذد له يوم مقابلة. وجاء من المقابلة وهو عصبى وحزين، وقال إنهم يقولون ما ندرى به. كتبت عريضة للأمن العام للاستفسار عن وضع سامي. وبعد عشرة أيام من تسليم العريضة، وجدت استدعاء رسمي من الأمن لي بالشغل عند دفتر توقيع الحضور والانصراف. وطلعت من الشغل للأمن. أملي كبير إنني راح أشوف سامي، وبعد انتظار مع آخرين، نادوا اسمي، دخلت. لقيت واحد مثل الأفلام المصرية، يشبه العشماوي أصلع سمين بطنه متدلّية. أول ما قعدت "أنت منى السعيد؟" نعم. "أنت ليش جاية هنا، وليش تسألين عن سامي؟" قلت له زوجي. قال لي: "ما إنا جانا أبوه قبل شهرين وبلغناه إنه خاين وقصيناه، أنت ليش تسألين عليه؟" قلت له مين تقصد، قال لي: "هذا اللي تسألين عليه.. سامي، أصبع معفن وقطعناه، أعدمناه من زمان ليش تسألين عليه. بعدين شوفي ممنوع تلبسين أسود، ممنوع تقيمين فائحة، ممنوع تشيعين الخير، بأمر". لحد الآن ساكنة، قلت له أنت تقبل أختك يتوفى زوجها ما تلبس أسود، قال: "إيه، بس أنت لا أهله ولا أهلك تلبسون أسود"، قلت له آه ما يخالف، زين، اعطيني شهادة وفاة، أنا من حقّي هذا، قال لي: "آه بعدين تراجيعنا، وإنا نعطيكي الشهادة". طلعت من المبنى صامدة، جامدة، بلا أي إنفعال.

ثم بعد تفكير شكيت إن أبو سامي بالتأكيد عرف، والصراحة كل الحق عليه ليش ما قال لي. كان ممكن يبعد عني هذه المصيبة اللي واجهتها بهذه الطريقة. يبدو أنهم قالوا له وهو ما مصدق أو ما عرف يتصرف، اتصلت به وقلت تعالى وعرفت وتأكدت أنهم بلغوه، وهو كان ما مصدق.

السقوط

مثلاً وقت القبض على صدام حسين كنت في أبو ظبي (الإمارات)، لقد شوفت الأمريكان يفحصون أسنانه، هذه اللقطة الرهيبة المعروفة بكيت بكاء مر، مو بكيت عليه هذا التافه الحقيير اللي دمرني ودمر عائلتي ويتم بتتي، لكني بكيت على البلد كلها مو على صدام. مثلاً لقد صارت أول انتخابات طلعت أنا وينتي في دبي، وبعدها في أبو ظبي أزغرد وأبكي، أهلل وأبكي، أنا واحدة زوجها معدوم. ابتني قدمت تغطية الانتخابات، شعورنا مو كان فرح، بل فرح وبكاء في نفس الوقت، وكان عندنا أمل كبير في حدوث تغيير. لكن مع الأسف الانتخابات جابت الرجعية. أول شيء النظام التافه اللي قسم المجتمع إلى ثلاث طوائف: سنة، شيعة، أكراد، هذه ما كانت قبل. بعدين الاحتلال الأمريكي ألغى الجيش، وهذا خطأ كبير جداً. وفتحت المتاحف بالعراق وسرقت كنوز العراق. ثم ما خلاي أي قيمة للعراق.

حتى أهم إنجازات الحركة النسوية، قانون الأحوال الشخصية الصادر في 1959، حاولت الأحزاب الإسلامية إلغائه، وحذف فقرات منه، لكن الحركة النسوية تصدت بشجاعة وجرأة لهذه الخزعبلات اللي يتخذونها -للأسف- باسم الدين والدين منها براء. لكن الحراك المدني النسوي تقاومه بشراسة الأحزاب الإسلامية، يمكن محتاجين على الأقل 50 سنة حتى تروح هذه الأحزاب أو تدخل بصيغ مختلفة، لأنها لا تتخلّى عن السلطة والمال بسهولة بل تحتاج زمن.

نرمين عثمان: في البصرة أو كردستان حقوق المرأة واحدة

نرمين عثمان، مواليد 1950 في كوي سنجد (محافظة أربيل، كردستان العراق).

ناشطة سياسية، تولت مناصب وزارية عدّة، منها وزيرة الدولة لشؤون المرأة (2007-2008). ترى أنّ حقوق المرأة العراقية لا تتجزأ سواء كانت في البصرة أم كردستان.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 18 و19 نيسان/أبريل 2020.

عائلة مثقفة منخرطة في السياسة

أنا من عائلة مثقفة منخرطة في السياسة. أمي شخصية مثقفة، شجعتنا على الانخراط في الحركة النسوية. أخواي كانوا شعراء، خصوصاً خالي الكبير، شاعر كبير ومعروف على الساحة الكردية، أبويا كان مسؤول الحزب "الديمقراطي الكردستاني"¹ في كوي سنجد.

نشأت في بيئة مشجعة لأكون ما أنا عليه الآن، تسلسلي الأول في العائلة، لحد الآن يسموني "باجية" يعني الأخت الكبيرة. أبويا قال لأمي لازم تسموني "أبو نرمين"، هذا شجعني إن عندي شخصية من البيت. درست في مدرسة باللغة العربية وليست الكردية، واشتركت في نشاطات كثيرة، مسرح وأوبرا ودبكات كردية وغناء.

عايشت الحراك الكردي في 1963 ضد النظام، لعدم وفاء

عبد الكريم قاسم بوعوده للكرد، بعد أن وعدهم بتقديم الكثير. أغلقت المدارس وقصفت كوي سنجد بالطائرات، وغادرتنا المدينة فترة. ولما رجعنا كانت المدارس لا تزال مغلقة، أهلي ما أرادوا إنني انقطع عن الدراسة رحت لأربيل عند أقارب أمي لإكمال تعليمي.

كنت بعيدة عن أهلي بالمرحلة المتوسطة، وأهل أمي ومديرة المدرسة والصديقات كلهم كانوا يراعوني، لمعرفتهم إنني بعيدة عن أهلي بسبب السياسة. وقتها قررت التناج، وبالفعل التستحت ونجحت. وتقريباً في 1964، دخلت اتحاد طلبة كردستان التابع لـ "الديمقراطي الكردستاني" بالصف الثالث المتوسط، وكنت عضوة نشطة أيضاً. قبلت بكلية صيدلة الموصل (1968)، لكن أهلي ضغطوا عليّ لترك الجامعة لخوفهم عليّ من التعرض لاضطهاد بسبب كوني كردية ومن عائلة سياسية، رغم إنني ما تعرضت لأي اضطهاد بالدراسة أبداً، حتى ما حد عاكسني، بس يمكن أهلي سمعوا عن مضايقات مع طالبات كرديات أخريات فحافوا عليّ.

أبي شجعني التحق بكلية التربية في بغداد، ثم دخلت فرع الرياضة بتشجيع من والدي لأنه كان يدرّس رياضيات. ومع نشاطي في اتحاد الطلبة الكردستاني، صرت عضوة باللجنة المركزية في الاتحاد النسائي. وانتُخبت رئيسة اتحاد 1971، وعمرى 20 سنة، تعرفت على شخص من خلال حفلات التعارف في اتحاد الطلبة، هو كان مسؤول بـ "الطلبة" عن كليات منها التربية، وشريك في مكتبة الفكر الجديد الخاصة بالكتب الماركسية اللي ما كانت ممنوعة بهذه الفترة. ومن خلال هذه المكتبة كانوا يوسعون التنظيم، والانفتاح على بقية الأحزاب العراقية. وتطورت علاقتنا للخطوبة في ما بعد.

انخرطت في تجربة سياسية أخرى وهي خلايا ماركسية سرية، كنّا نسميها "كومالا"، وكنت أول امرأة أدخلها. أعضاء الكومالا ماركسيين من أحزاب سياسية مختلفة ومن خارجها.

وبعد تخرجي وتعييني كمدرسة بالسليمانية في 1972، صارت الكومالا تنظيم أكبر. وتزوجت في شهر 11 من العام نفسه، وأسست بيتنا في 1973 بالسليمانية.

2 لم نشر الرواية إلى طبعة وعوده للأكراد، لكن الفترة الأخيرة من حكمه قبل انقلاب 1963 شهدت توتر العلاقة بينه وبين البارزاني، مثل انعاف صالح اليوسفي، عضو اللجنة المركزية في "الديمقراطي الكردستاني"، واستحقاقات قاسم في خطبه بدور الكردي في تاريخ العراق. وفي 1961 أغلقت السلطات العراقية أغلب معار الحزب، وعطلت جريدته، ثم اتجه للعمل السري في أيار/مايو. برام من ذلك مع شراء الحزب للسلاح بدعم من السوفييت.

3 أشارت الرواية إلى حدوث انشقاق داخل الحزب، وصار هناك ما يعرف بـ "حزب اللجنة المركزية" وهي كانت عضوة في اتحاد الشباب والنساء الياعين للقسّم المنشق عن "الديمقراطي الكردستاني".

1 الحزب الديمقراطي الكردستاني تأسس في 1946، لكنه لم يحصل على إجازة رسميه الا في 1960. الحزب تراس هيئته التأسيسية وشيها مصطفى البارزاني الذي عاد للعراق مع اعلان الجمهورية في 1958، بعد عيشه لسنوات في المنفى منذ 1945 في الاتحاد السوفيتي ودول أخرى اشتراكية. جاءت عودة البارزاني بعد برميّات مبادله بينه وبين عبد الكريم قاسم الحاكم الفعلي لجمهورية العراق، واصدار الامر عفواً عاماً عن جرائم مصطفى وبعثه مناضلي عائلة البارزاني خلال العصر الملكي.

إلى كردستان

أسستنا منظمة حماية طفل كردستان، من أجل الحصول على الدعم كُنّا ندور على الممول لهذه المنظمة، روحنا على النرويج وفنلندا، على الكنائس والمنظمات، بهذا قدرنا نجتمع مبلغ جيد من أجل بناء دار للأيتام ومفقودي الأهل. تركت ابني الكبير بالسويد، وكان في طريقه للزمالة بأمريكا. ورجعت أربيل مع الولد والبت سنة 1992، وضعنا المالي بالسويد كان أحسن من الوضع في كردستان، لكن كان جميل أن أرى حكومة وبرلمان في كردستان، وقررنا المشاركة، وزوجي شغل منصب وزير مالية براتب قليل جداً.

أسستنا فرع للمنظمة بأربيل، وتوسعنا في الفروع بكل أنحاء كردستان. وإلى جانب التمويل الخارجي، حصلنا على تمويل داخلي، أجرنا مجموعة من المزارع، زرعنا قمح وشعير وفواكه، من التمويل الزراعي الذاتي أدركنا المنظمة، وأسستنا مشاريع مثل مدارس اليافيين، وتدرّس النازحين. ثم جرى اقتتال داخلي، وصارت فيه حكومتين واحدة بأربيل وأخرى بالسليمانية، وزوجي كان بالآخيرة، وتوليت فرع المنظمة بالسليمانية.

ثم توليت عدة مناصب وزارية في كردستان، منها وزيرة العمل، أو بالأصح تأسيس وزارة العمل والشؤون الاجتماعية من الصفر لأنها كانت مجموعة مديريات تابعة لوزارات أخرى، وصرت وزيرة عليها. وبغدين التربية، والتعليم العالي بالوكالة.

شؤون المرأة في كل العراق

وبعد سقوط نظام صدام حسين في 2003، مرض زوجي بسرطان الرئة وسافرنا السويد لعلاجيه وتوفي في 2004. بهذه الفترة زُشحت لمنصب وزيرة المرأة بحكومة الدكتور إباد علاوي، ببغداد، دون أي استشارة، حتى ما قالوا ليّ فترة كانت صعبة جداً، ما أعرف كيف أدير شؤون بيتي وأولادي، لكن جلال طلياني جاء للبيت وحكى ويا أولادي، طلب إني أروح بغداد، لكنني طلبت مهلة 40 يوم. وخلال هذه الفترة أشوف نفسي، شو أسوي. ثم توليت المنصب لأنه أول مرة بتاريخ العراق تكون فيه وزارة لشؤون المرأة. أسستنا من الصفر، عندي عادة التأسيس من الصفر.

كنت أعرف أغلبية القيادات النسائية بالعراق، ولما صرت وزيرة المرأة كان عندي نوع معلومات بسيطة على الكل، وكلهم كانوا يعرفونني. مثلاً شاركت كوزيرة في مظاهرة، وقت كتابة الدستور، ضد المادة 137 التي كانت ستؤدي إلى

6 في 1996 حدث خلاف بين الزعيمين الكرديين مسعود البارزاني وجلال طلياني، أدى لحدوث قتال والذي انتهى بعد عامين حين ومع الزعيمين اتفاقاً في العاصمة الأميركية واشنطن.

استقر الوضع وكنت حامل. ومع انهيار الحكم الذاتي في 1974، نشط زوجي ضمن قوات جيش مرقعة وحفاظاً على سلامتي انتقلت إلى أربيل حيث كان يقيم والدي لأنه يشتغل بدائرة التربية هناك، وبدأت الدوام بأربيل، ولما انهارت الثورة الكردية، زوجي رجع دوامه بالسليمانية في 1975، والدي سوّى ليّ واسطة، وانتقلت إلى السليمانية، لكن وقتها زوجي سجن. زرتة بالسجن وعرفته أنهم يسألونه عن مكتبة الفكر الجديد فقط، وفهمت من كلامه إنهم لا يسألون عن التنظيم السري. وبغدين نقلوه على بغداد، وتعرض لتعذيب، وحكموا عليه بالسجن 6 سنوات، ضلّيت سنة بالسليمانية، ثم رجعت أربيل عند أهلي، وقتها كان عندي ابني، ومتوقعة القبض عليّ، وكل فترة أختفي وأترك ابني عند أهلي.

ومع مجيء صدام حسين صدر عفو عام في 1979، وخرج زوجي، كان محبوس حوالي 4 سنوات.

بعد الإفراج عن زوجي، بدأ استدعائي أسبوعياً للتحقيق؛ "أنت منتمية إلى حزب؟ ليش ما تنتمي للبعث؟"

مرة جَمّ المدرسة أخذوني، لما رجعت زوجي قال: "ما تبقى.. نروح، نساfer". رحت لبيت أهلي بأربيل تركنا الولد، وقررنا الاختفاء عن الأنظار بداية من شهر 11 بالعام 1979. وصلت الجبل بعد معاناة لمدة 5 أيام على ظهور البغال. السنة الأولى يقينا، بعدين السنة الثانية زوجي صار مسؤول العلاقات الخارجية بالاتحاد الوطني الكردستاني في سوريا. طلعنا على سوريا، وفي 1981 جاء ولدي الثاني. كُنّا ننتقل بين الجبل وسوريا، نرجع ونروح، حتى مفاوضات الاتحاد الوطني الكردستاني مع الحكومة العراقية في 1984. لكن بسوريا ما قبلوا، قالوا: "إذا تيقون للاجئين أهلاً وسهلاً، لكن إذا تيقون كمسؤول علاقات خارجية ما تيقون بهذه البلد، لأن حزبكم متفق مع حزب البعث العراقي" ورغم فشل المفاوضات في ما بعد، غادرنا سوريا إلى السويد، لجوء سياسي، ثم حملنا الجنسية، ودرست اللغة السويدية، واشتغلت في مستشفى، ودرست سنة تربية، وكملت شغل. أسستنا أنا وزوجي ماركت صغير، وكُنّا نشغل سياسة.

بالتأكيد سياسة أوروبا غير شكل عن سياسة كردستان. وصار عندي بنت؛ نارين.

4 بموجب اتفاقية بين الحكومة العراقية والزعيم الكردي مصطفى البارزاني، أعلن الحكم الذاتي للكراد في 1970، منحهم حق استخدام اللغة والحكم الذاتي في المناطق الكردية مع تأجيل ضم كركوك (التي تتركز فيها النفط)، وذلك لخلاف حول تعداد سكانها. وفي 1974 اعتبرت الحكومة العراقية أن كركوك ومناطق أخرى يعطيه لا تقع ضمن سيطره الكركاد، الأمر الذي رفضه البارزاني، ما أدى إلى انهيار السلام بين الكركاد والدولة العراقية.

5 تأسس في 1975، وضم العديد من القوى الكردية، وكان من أبرز قادته جلال الطلياني.

تغيير قانون الأحوال الشخصية إلى الأسوأ، كانت الأطراف الدينية والمتطرفين هما اللذان وضعوا هذه المادة في الدستور، وعارضنا "137" لأنها ستؤدي لعدم مساواة في حقوق المرأة، وراح تكون فيه محاكم مختلفة حسب المذاهب والأديان، يعني اختلاف في الحقوق، يعني لازم يكون عندنا 19 نوع من المحاكم، عملياً ما يصير، المادة وضعت في الدستور محاملة لبعض التوجهات الدينية والتوجهات السياسية التي كانت موجودة، رغم معرفتهم أنها غير قابلة للتنفيذ، وهي حتى الآن معلقة.

عملي كوزيرة لشؤون المرأة أتاح لي فرصة أوسع للانفتاح على الحركة النسوية العراقية، قبلها كنت أحسب نفسي على الحركة النسوية الكردية، خاصة إن ما كان عندنا علاقة بالحركة النسوية أو مع العراقيات الناشطات إلا من خلال الرابطة⁷. واعتبر قضية المرأة مثل قضايا حقوق الإنسان لا تتجزأ. إذا عانت المرأة في البصرة، فإن هذا يعني أن المرأة تعاني في كردستان كذلك، يعني القضية مشتركة، هي قضية المرأة العراقية، وكلنا منتمين للدستور العراقي. مثلاً إذا طبق الدستور العراقي بحذافيره لن يكون هناك إجحاف كبير بحق المرأة، وإذا صار مشروع ناجح في إقليم كردستان، يكون تأثيره بالإيجاب على بقية المناطق العراقية.

7 تأسست الرابطة في بغداد في 1952 (تحت اسم رابطة الدفاع عن حقوق المرأة العراقية)، ثم قبلت ضمن اتحاد النساء العالمي بعد عام من تأسيسها. رغم ذلك لم تقبل السلطات العراقية الرابطة إدارياً "لمقتضيات المصلحة العامة"، وعملت كرابطة سرية، وخطر نشاطها مع انقلاب 1963، وبعد ذلك مدمت الرابطة أوراق اعتمادها أكثر من مرة.

نوال ناجي يوسف: الأمل بالشباب

نوال ناجي يوسف المعروفة باسم "أم عمار"، مدّسة وشيوعية ونسوية، مواليد محافظة ميسان 1943.

تتحدث نوال عن علاقتها بالمجتمع العراقي والعمل السري، وعلاقتها التنظيمية المعقدة بالحزب الشيوعي العراقي، حيث تركته مرتين، وعادت إليه أخيراً حتى تكون ضمن محاولات تأسيس بديل سياسي يواجه الفساد وسيطرة الأحزاب الدينية على العراق.

اعتمدت شهادتها على مقابلتين في 4 و5 أيار/مايو 2020.

أختي ثمينه

والدي اشتغل مدير معارف النجف بميسان، وبحكم عمله تنقل لمناطق عدة منها الديوانية حوالي 3 سنين. كان شخصية تربوية من تراث خاص، ثم أصبح محامياً وصار نقيب المحامين، وكان بحزب "الأحرار" حتى انحل، ثم في حزب "الوطني الديمقراطي". ما كان مسؤول عن دار المعلمين كان يفتحها للاجئين الفلسطينيين، تأثرت من صغري بالقضية الفلسطينية. أمي شخصية محافظة لأغلب نساء عصرها. أما باقي أسرتنا كان عندهم توجهات سياسية؛ أخي الأكبر، نجيب، تقدمي واعتقل ضمن اعتقالات "انقلاب 1963"، وأختي، ثمينه، انتمت للحزب الشيوعي العراقي. أخويا الأصغر، نزار، مهندس وشيوعي معروف والتحق بحركة "الانصار" في كردستان بالثمانينات، استشهد في معارك بشتاشان.

في الرابع الابتدائي أذكر زيارات الشرطة بالبيت، وقتها قامت مظاهرات¹ 1952، وشاركت بها ثمينه، ووقتها فرض امتناع التجول راحت هي اتصلت بأمي: "ماما أنا مضطرة أبات في بيت صديقتي فريدة الحاج، ما راج أوصل البيت" لأن موعد حظر التجول راج بصير بعد دقائق. وسكرت أمي التليفون ورحنا نمنا، صحيناً على أصوات والشرطة سحبت

1 أعلنت الجمهورية العراقية في 1958 بانقلاب عسكري على الحكم الملكي، وذلك بقيادة الضابط عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف. وفي ما بعد بولي قاسم رئاسة الحكومة، وصار الحاكم الفعلي للبلاد، والذي أطاح به انقلاب عسكري بقيادة العنبريين والقوميين.

2 مظاهرات ضد الملكية، ورفض بيعه العراق لبريطانيا بعد حوالي أربع سنوات من توقيع معاهدة بين البلدين (1943) والتي تسمح بدخول القوات البريطانية إلى العراق وتقديم الأخير تسهيلات عديدة للقوات، والتي ووجهت بمظاهرات ورفض شعبي. وكانت آخر خلافات الرضص الناطور في 1952 ضد الملكية، كل هذه الأحداث حرت قبل الانقلاب وعلان الجمهورية 1958

أبويأ وراحوا. جَمّ عشان يعتقلون أختي، ما وجدوها وأخذوا أبويأ. في التحقيق بمركز الشرطة، سأل الضابط أبويأ عن اسمه، قال له: "ثمينه ناجي يوسف" هكذا قال اسم أختي بدلاً من اسمه لأنها هي المطلوبة، انزعج الضابط: "أستاذ لا تسخر مني".

تزوجت ثمينه بطريقة خاصة من سلام عادل³، القيادي بالحزب الشيوعي، مدرس رسم ومخرج مسرحيات بالكرادة الشرقية. سجن حوالي ثلاث سنوات بـ "نقرة السلطان"، وبعد الإفراج عنه خضع لإقامة جبرية. وفي 1953 بسرية تامة لأنه متخفي ومطلوب، قابل أبويأ لأختي، أبويأ قاله: "أنت وضعك غير مستقر واشلون راج تدبر أمور الحياة، خليني أسأل ثمينه"، وقال لأختي: "أنت تفهمين هذا الطريق، صحيح أنت مرتبطة بالحزب بس راج تعيشين مع هذا الرجل وهو متخفي، وما عنده شغل. راج تقدرين؟" ردت عليه أنها شيوعية وتقدر تحمل، وقد كان الزواج رغم رفض أمي، وسافرت ثمينه مع زوجها إلى البصرة، وبدأ يتولى مهام أكبر بالحزب، مثل السكرتير الثاني للحزب حوالي 1955، وبعدين صار سكرتير الحزب، قائد يعني، واستشهد بطريقة بشعة مع انقلاب 1963.

شيوعية لأول مرة

بعد زواج ثمينه، انتقلنا إلى الأعظمية. وبالمدرسة كنّا نسوي تيرعات للثورة الجزائرية، وفي خريف 1958 انتخبت عضوة باتحاد الطلبة بالمدرسة. كنّا ننظم مسيرات بالطالبات مع الجيش⁴. ورشحت للحزب الشيوعي وانتميت سرّاً دون إخبار أهلي.

أمي ما كنت تحب خروجي المتكرر من البيت، وبهذا تيجي ورايا. ما يصير أقول إنني شيوعية، وأمي قالت لأختي ثمينه: "ما أدري وين تطلع يومياً، عايزة تطلع ويّا ولد". سألتني ثمينه: "وين تروجين؟"، قلت لها اتحاد الطلبة، ترددت أقولها ولا ما أقولها، وبعد الحاج أعترفت بانتمائي للحزب. هذا الحكي صار 1959، قالت لي: "ما يصير تكوني بالحزب في هذا السن" وطلعت من "الشيوعي العراقي"، ووليت ضمن الحلقة المقربة منه.

صديقة الحزب

دخلت جامعة بغداد 1962، بدأت في قسم الكيمياء ثم "البيولوجي"، وجرى انقلاب 1963، أختي كانت بالاتحاد

3 سياسي شيوعي، عمل بالدراس وانضم إلى صفوف الحزب الشيوعي العراقي 1944، فصل من عمله أكثر من مرة بسبب نشاطه السياسي اعتقل في 1949 لمدة ثلاث سنوات. وبعد خروجه من السجن كان عليه تنفيذ قرار بخصوصه للاعامة الجبرية لستين في الرمادي، لكنه هرب وأخفى بمساعدة الحزب.

4 اعلان الجمهورية العراقية بانقلاب عسكري على الحكم الملكي، وذلك بقيادة الضابط عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف.

السوفييتي وقتها نجت مما عُرف بحفلات التعذيب للشيوعيين، لكن زوجها، سلام عادل، لم ينج. استشهد بطريقة بشعة، ما فيه جزء من جسمه ما قطعوه، حفلات التعذيب كانت تتناوب على جسمه بشكل مستمر .

قررت عدم الرجوع للحزب، بعد الاستشهاد البطولي لسلام عادل، حسيت إنني لا أستطيع الصمود كما صمد الشهيد، وإذا لم أصمد فسوف ألوث سمعة العائلة، فكان قرارني بالابتعاد عن الحزب.

توجهت للثقافة بالجامعة إلى أن تخرجت. وبقيت صديقة الحزب، متطوعة بتنظيم احتفالاته وهكذا. ثم توجهت إلى الأدب الوجودي، تعلقت بكتابات جان بول سارتر وألبير كامو، كنت متمردة نتيجة قراءة "انظر خلفك بغضب"، بل كنا تأثرنا ونظرنا خلفنا بغضب لأن الواقع صار مرير جداً، ولا بد من الغضب والسير في طريق جديد.

تخرجت في 1967/1968، ولم أعيّن بسبب أزمة مالية لدى الحكومة العراقية، قضيت سنة بالقاهرة، ثم عدت إلى العراق بعد صدور قرار تعييني في مدرسة كربلاء، عملت هناك لسنتين، ثم سنة بالحلة، وبعدها بغداد. وصارت مدرستنا تطلع الأولى كل سنة بالمادة التي أدرسها؛ البيولوجي (الأحياء/الحياة)، بالإضافة إلى المشاركة بالمعارض. مثلاً مدير الوسائل التعليمية بوزارة التربية زار معرض ليّ وعجبه ما رآه. لكن معلمة كتبت تقارير عني لأنني شيوعية، وللنجاة من الخطر طلبت نقلي لأكون موظفة إدارية بدلاً من العمل بالتدريس.

الرجوع للحزب

ثمينة التي كانت تقيم بالاتحاد السوفييتي، زارت العراق لفترة في 1971، وصار مُعتاد تردد كل القادة الشيوعيين على بيتنا، وحاولوا إقناعي بالعودة للحزب، ومنهم بهاء الدين نوري: "أنت ناشطة وعندك كاريزما لازم ترجعي"، قلت له إنني تركت الحزب لخوفي من عدم الصمود فرد: "لحظة التعذيب، قد يصمد الإنسان وقد لا يصمد". وبعد حوالي 20 محاولة من نوري رجعت، وذلك بنهاية

1971، ونشاطي الأساسي كان برابطة المرأة العراقية، وكنا بالمكتب التنفيذي للدكتورة نزهة الدليمي، وقتها أعلنت الجبهة، وكنا نسوّي أنشطة عادية مو سرية، مثلاً بمناسبة عام المرأة 1975 نشطنا بين الناس لتثقيفهم بخصوص حقوق المرأة.

نشاط حزبي منزلي

كنت أنا زوجي متبنين بنتين، وهو مهندس وشيوعي، ونشط بنقابة المهندسين، ترك عمله بالدولة، واتجه للمقاولات.

ثم طلب مني أنا وزوجي في 1978 تحويل بيتنا لبيت حزبي سرّي. البيت الحزبي لازم يكون مأمون لا يتعرض لهجوم البوليس، مكان يصلح للقاء الرفاق، أو محطة لنقل الرسائل. والمسؤول عني حزبياً كان زوجي، وكنت متفرغة لإدارة شؤون البيت الحزبي هذا. لتأسيس بيت حزبي لازم يكون بمنطقة ما تعرفنا على الإطلاق، ونقطع علاقتنا بكل أقراننا وأصدقائنا، لأن كثير من الرفاق وقعوا بسبب هذه الشغلة، بالتأكد الأصدقاء أو الأهل ما يدّوا خبر عليهم أنهم سوا بيتهم "بيت حزبي سرّي"، لكن الأمن يجبرهم على الاعتراف، وكثير من الرفاق سقطت بيوتهم الحزبية بهذا السبب. لذا اخترنا منطقة الأعظمية لنسوّي بيتنا الحزبي، وسط بغداد، منطقة راقية جداً. وزوجي انتبه إلى أن الجرد المنزلي من قبل الفرق البعثية، يكون ظهر يوم الخميس، يدقون البيوت باب وراء الآخر، ومعهم استمارة معلومات، وكان مستحيل نبقي بالبيت وقت الجرد.

وحرصاً على أمننا، قررنا نسوّي بيت الحزب خارج بغداد، في الريف في منطقة سلمان 1981-1982 لأن الوضع صار لا يحتمل، اضطررنا ببيع الذهب ونجمع ما يمكن جمعه ونشتري مزرعة في منطقة سلمان، ظلمنا بها فترة طويلة، لكن لسوء حظنا جاء حسين كامل¹¹ أخذ أرض قريبة للمزرعة بتاعتنا، بعناها بخص التراب وروحنا سويناً مزرعة أخرى بالعزيرية.

8 تأسست الرابطة في بغداد في 1952 (تحت اسم رابطة الدفاع عن حقوق المرأة العراقية)، ثم قبلت ضمن اتحاد النساء العالمي بعد عام من تأسيسها. رغم ذلك لم تقبل السلطات العراقية الرابطة إدارياً "لمقتضيات المصلحة العامة"، وعملت كرابطة سرية، وحظر نشاطها مع انقلاب 1963، وبعد ذلك قدمت الرابطة أوراق اعتمادها أكثر من مرة.

9 طيبة من رائدات الحركة النسوية العراقية، عضوة في الحزب الشيوعي من 1946، أسست مع أخريات رابطة المرأة العراقية.

10 تولى حزب البعث الحكم في العراق في 1968، وبعدها بسنوات أعلن ورقة حول العمل الوطني، وتجاوز معه بشأنها "الشيوعي" وهو ما أفضى إلى تشكيل جبهة في 1973 صمّت "الثوري الكردستاني"، وبعض المستقلين. استمر عمل الجبهة حتى دعوة ممثلي "الشيوعي" في اللجنة المركزية في 1978 لانتخاب جمعية تأسيسية تضع دستوراً دائماً للبلاد وهو ما عارضه "البعث"، ثم توالى حملة أمنية استهدفت أعضاء وقيادات الحزب الذي كان حليفاً للحاكم ولا يزال.

11 حسين كامل وزير التصنيع العراقي الأسبق، وصهر الرئيس العراقي صدام حسين، تزوج من بنة رعد، تولى مهام في الأجهزة الامنية والعسكرية.

5 Look Back in Anger مسرحية نشرت عام 1959 للكاتب البريطاني جون أوزبورن، وكانت بمنزلة إدانة وهجوم على مجتمع ما بعد الحرب العالمية الثانية.

6 أشارت الراوية إلى أن هذه الفترة شهدت ما وصفته باجبار موظفي الدولة على الانتماء لحزب البعث الحاكم، وبعد سنوات وتحديداً في 1979 فصلت من عملها.

7 سياسي انتمى إلى الحزب الشيوعي في 1945، واعتقل من قبل النظام الملكي، واطلق سراحه مع الإطاحة بالحكم الملكي وإعلان الجمهورية 1958. بعد انقراض الجبهة التي صمّت الحزب الذي ينتمي إليه مع "البعث" الحاكم قاد التنظيم المسلح لـ "الشيوعي" في كردستان.

العمل مثل دعم الأيزيديين والمسيحيين بعد ما تعرضوا له¹² على أيدي "داعش".

وبسبب الوضع المأساوي للشأن العراقي؛ أحزاب الإسلام السياسي والفساد المستشري قررت العودة للحزب الشيعي من أجل تغيير الواقع العراقي، وذلك للعمل في مواجهة الإسلام السياسي والطائفية. وعندي أمل بعد ما جرى في 2019، لأن شباب الانتفاضة غيّرُوا الخارطة الأساسية بالعراق، بل عملوا على إيقاظ الروح الوطنية التي أصابها الإحباط واليأس من إمكانية التغيير... انتفاضة الشباب سوّت لنا أمل جديد.

أحد الرفاق سلم الجمل بما حمل للبعثيين، وبعد تقديم معلومات عن نشاط الحزب الشيعي، كوفئ من مؤسسة السينما والمسرح، كتب مقالة يبرر بها انهاره، إنه "هذه الدماء التي سالت في كردستان بسبب أخطاء الحزب وبالتالي أنا ما أبقى فيه"، وما قصده بـ "الدماء التي سالت في كردستان" هي مؤامرة من البعثيين وجلال طالباني، لتصفية الرفاق في بشتاشان، مؤامرة معروفة ومكشوفة جداً، استشهد بها أخي بالـ 1983، ولمدة 8 سنين أخفى زوجي عني معلومة أن أخي الأصغر نزار مات في بشتاشان. لم يخبرني إلا مع إعلان التحالف الدولي الحرب على العراق بعد احتلال الكويت. وقتها اعتبر زوجي إن النظام سقط وصارحني، جن جنوني، قُلت إنني بعد ما شيعوية، أنا مستقيلة من الحزب، ما لي علاقة به.

ومع اندلاع انتفاضة 1991¹²، سافر زوجي كرجل أعمال إلى عمان ومنها إلى موسكو. وبعد امتحانات الولدين، سافرنا إلى عمان، ومنها جولة انتهت في موسكو. عشت لحظة إنزال العلم إيداً بناهاية الاتحاد السوفيتي. بهذه البساطة سقط، نهاية تتطلب إعادة النظر والبحث عن الخلل، مثلاً مبدأ المساواة هو مبدأ اشتراكي وغيرها من المبادئ الشيوعية العظيمة تسعى إلى خير الناس، وبين الخلل؟ التطبيق؟ إذا الخلل بالتطبيق، وبحث نظرياً عن الخلل بالتطبيق خلال فترة السنتين التي قضيتها بروسيا. وبعدين بيروت وعمان، وإلى العراق.

المرحلة الكندية

وبعد تنقل بين بيروت وعمان والعودة للعراق، وصلت كندا كلاجئة في 1997. ثم عملت مع "الجمعية العراقية الكندية"، وعملنا على تحقيق تقارب بين كل الفئات الموجودة بالجلالية، ولمّ الشمل. وانتُخبت بالهيئة الإدارية للجمعية.

وفي 2011، سوينا كيان ديمقراطي في كندا حتى نلّم شمل التقدميين العراقيين الديمقراطيين، وذلك بهدف التوعية السياسية البعيدة عن العمل الحزبي، وانتُخبت عضوة بالتيار وتحديدًا لجنته التنفيذية.

صرت أتردد سنوياً على العراق، لأسباب عائلية وأخرى تخص

12 عرفت باسم الانتفاضة الشعبانية نسبة إلى الشهر الهجري شعبان الذي شهد اندلاعها في جنوب العراق وشماله، وهو الشهر الذي وافق آذار/مارس 1991، بعد أحداث حرب الخليج الثانية التالية لغزو نظام صدام حسين للكويت، وانسحاب الجيش العراقي من الأخيرة بعد هزيمته من التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة. تحركت الاحتجاجات بعد فقد سيطرة النظام على المحافظات، وبدأت جنوباً بالبصرة، وشملت العديد من المحافظات العراقية بخاصة تلك الواقعة في المناطق ذات الأغلبية الكردية. حاصر محتجو الانتفاضة المعسكرات وطالبوا بإسقاط النظام استمرت الانتفاضة لحوالي أسبوعين. استخدم الجيش سلاحه لدرء الانتفاضة، وكان من نتائج تلك الانتفاضة منح إقليم كردستان الحكم الذاتي في ما بعد.

13 سيطر تنظيم داعش المسلح على مساحات من العراق في الفترة من 2014 إلى 2017، وخلال هذه السنوات تعرض الآلاف من الأيزيديين والفئات الدينية والإثنية الأخرى للقتل على أيدي مسلحي التنظيم. ولا يزال حوالي 2700 شخص في عداد المفقودين بحسب إحصاءات الأمم المتحدة. والأيزيدية أقلية دينية وعرقية يتحدث أفرادها اللغة الكردية.

هنا إدور: يجب أن يقود الشباب الدولة والمجتمع المدني

هنا إدور، مدافعة عن حقوق الإنسان والمرأة، مواليد البصرة 1946. يسارية درست الحقوق، لكنها لم تعمل في المحاماة إلا فترة قصيرة مفضلة العمل العام في العراق وخارجه، حيث كانت عضوة في الهيئة التنفيذية لاتحاد النساء الديمقراطي العالمي في ألمانيا. وعملت على إحياء رابطة المرأة العراقية في المنفى.

في 1992 شاركت في تأسيس جمعية الأمل العراقية، بعد فرض الحصار الاقتصادي على العراق بعد غزو الكويت، وعملت كسكرتيرة للجمعية.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلات جرت في 12 حزيران/ يونيو و 21 تموز/ يوليو 2022 و 23 و 25 آذار/ مارس 2023.

أكثر ما أثارني اهتمام اليسار بمناهضة الفقر

طفولتي كانت في منطقة جميلة قريبة من شارع الكورنيش بالبصرة لأنها فينيسيا عراقية وقتها، هذه المنطقة معروفة بدقائق بها أجمل الورود، والنش من أجل ما يكون، وعليه كنّا نسمع غناء البحارة بالبحر.

فتحت عيني على جيران من إنجلترا، وأجانب آخرين من الهند وباكستان، وقرينا النادي البريطاني، سكّان الشارع عوائل مسيحية وسّنية وشيعية ويهود. كانت السينما فرصة مهمة للانفتاح على العالم، خاصة أن بيت أهل أمي كان مقابل سينما صيفية، وكنّا نطلع فوق السطح نشوف أفلام عربية وهندية وإيرانية، أشكال وألوان. غير أننا نروح السينما مو أقل من مرة بالأسبوع.

كنّا نتردد على الكنيسة بشكل مستمر، خاصة أنها كانت مقابل البيت، وحسب التقاليد المسيحية من سن 8 سنوات بروجون البنات والأولاد على الكنيسة لاكتساب تعاليم الدين المسيحي، وكنّت أشعل شموع، وأحياناً ننصف الكنيسة.

مثلاً ذكرياتي عن العهد الملكي جميلة، أتذكر زيارة الملك للبصرة تقريباً 1956-1957، ومشاركتي أمامه في مقطع فني استعراضى، قوامه الغناء والرقص، بمناسبة افتتاح

مدرسة بالبصرة. وفي يوم كنّا بالسطح وقالوا لنا إن صارت ثورة، انقلاب، وبكيت. وظلّيت أقص صور الملك القليل من الجرائد والمجلات، وأبكي بحرقة، ما كان فيه شيء سياسي بالموضوع، هذه كانت مشاعري بالصف السادس الابتدائي.

لكن مع الجمهورية صارت انتقالة رهيبية؛ مظاهرات، أجواء سياسية خافلة، خاصة أن أغلب المعلمات في المرحلة المتوسطة يساريات، عندهن طريقة مميزة، مثلاً مدرّسة اللغة العربية كلامها "تفضلي آنسة" أو "استريحي يا آنسة" بهدوء واحترام رائع. كنت معجبة أكثر باليساريات عن القوميات. أكثر ما أثارني اهتمام اليسار بمناهضة الفقر.

حلمت بدراسة الحقوق ببغداد، وبالفعل حققت حلمي خريف 1963، كانت الحركة الطلابية مضروبة ضربة شديدة؛ استشهاده عدد من قيادات اتحاد الطلبة العام بالجمهورية العراقية على يد الحرس القومي، وعدد غير قليل من الناشطات. رغم ذلك نشطت مع رابطة المرأة العراقية² بجمع تبرعات أو إطلاق سراح سجينات. بصراحة الاهتمام بالمرأة وأوضاعها منطلق من الألم اللي كنت أشوف أمي فيه، هي تزوجت صغيرة، رغم طموحها أن تكمل دراستها، ورغم طيبة أبي لكنه لم يهتم، بل انغمر في قضايا القمار بشركته.

لما خلصت الكلية رجعت البصرة، وفلّت لأهلي إنني راجعة بغداد. ما قدروا يمانعون. فكرت في ممارسة المحاماة، صعب أتعلم على نفسي مادّيًا فكنت ببنت عمّتي ببغداد، بلّشت بالمحاماة، وهي رغبتني الأساسية، وطلّيت حوالي ستة مكتب محامى يسارى. لكن مع حبي للمحاماة اكتشفت إنها تتطلب تفرغ؛ تواجد صباحي بالمحاكم، وتفرغ بعد الظهر بالمكتب. معنى هذا حركتني خارج المحاماة راح تكون محدودة جدًّا، وطبيعة العمل لا تتلاءم نسبيًا وبتأ شخصيتي، مثلاً تقديم وعود كثيرة للزبائن قد لا تكون حقيقية أو غير صادقة. كان أفضل شيء البحث عن وظيفة حتى أكون قادرة على ممارسة نشاطي كما أريده. ثم وجدت إعلان وظيفة في مؤسسة التقاعد التابعة للضمان الاجتماعي. وهكذا توظفت في 1968. تحرّكت من بيت عمّتي إلى بيت صديقتي، هي كردية كانت عابشة وبتأ أهلها، ضلّيت وياهم فترة أشهر، وبعدين شعرت إن هذا أيضًا ما يتلاءم، أجرت بيت بالقادسية مع واحدة من الصديقات. ثم تعرّفت على صبرية، التصقت بها وسكنت وبتأنا حتى البنية الثانية ما صار مجال أنها تستمر، انسحبت من البيت، وبقيت أنا وصبرية

1 أغلب الاطاحة بالحكم الملكى الهاشمى فى 1958، وذلك باطلب عسكرى بقيادة عبد السلام عارف وعبد الحكيم ماسم، وجرى إعلان الجمهورية العراقية

2 تأسست الرابطة في بغداد في 1952 (تحت اسم رابطة الدفاع عن حقوق المرأة العراقية). تم قبل ضمن اتحاد النساء العالمي بعد عام من تأسيسها. رغم ذلك لم يسل السلطات العراقية الرابطة إداريًا "لممضيات المصلحة العامة"، وعملت كرابطة سرية، وحظر نشاطها مع انقلاب 1963، وبعد ذلك دممت الرابطة اوراق اعينهاها أكثر من مرة

بالببت، وبالأصح كانت ضيفة عندي، بعدها انتقلنا لببت آخر. لكن مرة كتبت عن وضع العمال، وتعرضهم للإهانة عندما بالدائرة، صاح لي مديري قال: "شئو ناشرة شئيه بطرق الشعر؟" والمدير كان منتمى لحزب البعث الحاكم وقتها، المهم نقلت إلى البصرة، إنه أنت من البصرة مو من بغداد.. هكذا تخلصوا مني، وذلك في 1969.

دائرة الضمان بالبصرة ما بها ولا بنية، بل كنت البنية الوحيدة، ثم قدرت أنقل نفسي إلى بغداد مجدداً نهاية 1971 أو بداية 1972. فكرت في الدراسة خارج العراق، وقدمت طلب للحزب، كانوا يقدمون منح دراسية تيجي للحزب، إنه أريد أعمل دراستي القانونية بإحدى الدول الاشتراكية. لكنهم ضغطوا عليّ بالحزب "ليش تزوجين دراسة، روجي مثلينا باتحاد النساء الاشتراكي العالمي بألمانيا، لأن ممثلتنا راح ترجع لأنها تزوجت".

الكل شجعني على التوجه إلى برلين. طلبت إجازة من الوظيفة، وطلعت في 1972. أجواء مختلفة تماماً عن أجواء العراق. حركة نسوية عالمية، وهذه الفترة الزمنية ينتهي فكرنا في الجانب العملي للمنظمات الدولية، وحقوق الإنسان بشكل خاص، وكنت 26 سنة وقتها وسط مناضلات من كل القارات، وأنا العربية الوحيدة بالسكترارية، وفيه عراقية أخرى، سهيلة البراد، في مجلة "نساء العالم" تصدر بالعربي. أنا وسهيلة فقط بالاتحاد.

في 1975 المكتب السياسي لـ "الشيوعي العراقي"، قرر تجميد المنظمات ومنها الرابطة نتيجة ضغوط "البعث" شريكه في الجبهة. من الصعب التوافق مع تجميد منظمات لها تاريخها. موقفنا داخل الاتحاد كان نسبياً مهزوز، ما أصبحنا بالسكترارية، بل ضليت موجودة بالاتحاد كشغيلة. وطالبنا باسترجاع المنظمات، مثل اتحاد الطلبة العام بالجمهورية العراقية، اتحاد الشبيبة الديمقراطي، ورابطة المرأة العراقية. وضغطنا كعاملين بالمنظمات المرتبطة بالعمل الجماهيري بضرورة إرجاع الرابطة وغيرها من المنظمات.

أنا منى سعيد

كانت تصلني رسائل من نوعية من اختطف من الشارع أو ضفيت، فكرت وقتها إن العيش بالنار أهون من أن أكون برّه العراق في ظل سماع كل هذه الأخبار الصعبة. من يعيش بالنار يتألم، لكن من يكون برّه قلقه يكون أشدّ. وبحث عن فرصة للرجوع إلى بغداد، لكن جوازي العراقي انتهى بالعام 1979، وتمكنت من الحصول على جواز يمني باسم "منى سعيد" بعد توسط الرفاق هناك³.

ضليت أفكر ما العمل، غير فادرة على التحمل، لذا فكرنا

ترجع الرابطة. جرت نقاشات في براغ ودمشق وبيروت. وصارت عندي فرصة الالتحاق بدورة كفاح مسلح بلبنان في 1981. تدريباً لمدة شهر، مع الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. وفي نيسان/أبريل 1981 نظمنا مؤتمر للرابطة ببيروت، وهو المؤتمر الرابع. حضرت رابطيات من كردستان وكربلاء والناصرية، وجرى نقاش طويل وعريض حول الشعار الأساسي، النبرة السياسية هي الطاغية بهذا الموضوع، واختير شعار "إسقاط الديكتاتورية"، ما كنت معه لكونه شعار سياسي.

بجوازي اليمني وباسم "منى سعيد"، بحثت شو الإمكانيات في التواصل مع الداخل إلى العراق، سافرت إلى الحدود السورية، كل شيء تمام وعبرت إلى الحدود الأردنية. سألتني واحد من المخابرات الأردنية: "أنت يمنية"، قلت آه، أبويا يمني وأمي يمنية عراقية. "أنت مو شكك.. ليش رايحة هناك؟"، قلت عندي دراسة عن المرأة، رايحة استقني معلومات من بعض المؤسسات. ضل النقاش، هو ما واثق إنني يمنية.

"ايشلون رايحة لوحدة؟"، قلت أنا بالغة وعندي الإمكانيات. المهم طول الجدل أكثر من نصف ساعة، أخيراً قال لي: "إحنا ناخذ الجواز، وتروحين تأخدينه من الداخل في عمان". لكنني رفضت تسليم الجواز، قلت إن جوازي معي تريدون ترجبون أهلاً وسهلاً، ما تريدون أنا رابطة. هذا كان بـ 1982، وضليت بسوريا 3 سنوات، حتى وافق الحزب على دخولي إلى كردستان ضمن حركة "الأنصار"⁴، سافرت بالطائرة إلى طهران، بقيت يومين عند عائلة عراقية، إلى أن هياؤا السفر جابوا لنا الزي الكردي، فخورة إنني رايحة العراق، وأخيراً يمكن التخلص من الغربة، وعبرنا إلى المناطق الكردية، وعندي حماس كبير للأنصار دافعاً عن قضية إسقاط نظام طيغاً فكرت إن فيه قتال ضد أبناء شعبك، باعتقادي هذا وهم. أي أنظمة ديكتاتورية أو إرهابية أو فاشية اللي يمثل "الفاشية" الجنود، هم أدوات الأنظمة في قمع الناس، يستخدمهم النظام في فضايا الاستخبارات والقضايا العسكرية ضد الحركة، ويستخدم النظام جنوده لرمي أظنان من الكيماوي ومختلف أشكال الأسلحة ضد المناضلين. واستخدموهم في التطهير العرقي اللي صار في كردستان، من قام بالتطهير العرقي؟ أدوات الجيش وغير الجيش، والمخابرات في ترحيل آلاف من الناس، وهدم قراهم.. هم يستهدفونا، مو إحنا اللي نستهدفهم، موقفنا دفاع عن النفس.

مثلاً لما كنا نمر في كردستان نشوف أطلال القرى، يتابع مسدودة، ألم شديد مرة قعدنا مع أفراد، منهم عجوز

4 الأنصار تسميه أرستط بمسلحي الحزب الشيوعي العراقي الموجودين في مناطق كردستان. خلال السنوات السابقة على إعلان الحكم الذاتي للألمم في 1991 كان الموقف الرسمي للحزب عدم مواجهة الجيش العراقي.

3 في 1967، أعلنت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الواقعة حالياً في الجزء الجنوبي من اليمن لتكون أول دولة عربية شيوعية، عاصمتها عدن. واستنحرت حتى 1990، لتندد مع الشمال في ما تعرف حالياً بالجمهورية اليمنية.

وعجوزة، وقالوا لنا: "إننا للمرة الثالثة نهجر أماكننا".

حياة بدائية

كنت ما عندي لا عائلة، وهَمِّي دخول قلب الوطن، والشباب المتطوعين بالحركة قرييين إلى القلب، كانوا من المتعلمين خارج الوطن. منهم خريج الدكتوراه بالفيزياء من بريطانيا، وغيره من الطاقات الشبابية الهائلة القادمة من مختلف البلدان الأوروبية والعربية، تركت الدراسة والأهل والأطفال، والتحقوا بـ "الأنصار"، وهو هدف إنساني نبيل لتحرير الوطن من هذا النظام الفاشي.

هؤلاء أعطوا للحركة زهرة شبابهم في حياة بدائية للغاية.

يومنا يبدأ صباحاً من الساعة 7، توجه للدراسة، اللي ما عنده حراسة عنده عمل آخر؛ إعلامي أو قراءة. الغذاء الساعة 12 ظهراً، الطعام محدود، يوم فاصوليا بيضاء، وآخر حمص يابس، وأخير مرققة فقط. بعدين الساعة 6 العشاء.

كنت مكلفة بنوبات حراسة ساعة ولأ ساعتين باليوم، أو خدمة رفاقية يعني تسوية غدا أو عشا للرفاق. وهذه "الخدمة" كانت صعبة بالبداية، لأنني لا أعرف أشعل بالحطب، وفي ظرف إنه مطر وبرد، هذا تكتيك جديد تعلمته؛ نشعل المطاط وبعدين الخشب لأنه كله ميلل. ما كُنا نقدر نحطب كنساء، بس تروح نجعم الحطب اليابس المنتشر بالمنطقة.

كُنا ننام بالخيم، وهي سيئة بسبب المطر والرطوبة. بعدين صرنا ننام بغرف طينية. مثلاً الدورة الشهرية كانت معاناة، بسبب إمكانية توفّر حفاضات، هذه قضية مهمة للمرأة، ايشلون تغسلي... كانت معاناة، وكذلك فيه إخراجات مثل إذا الواحدة انحصرت بنصف الليل وتريد تروح تواليت ما تقدر تطلع لأن المنطقة مليئة بالرجال، وجربنا مختلف التجارب كانت تطلع صوت.

الوقاية من الكيماوي

مثلاً في آذار 1988 استخدم النظام العراقي السلاح الكيماوي، عملنا توعية بكيفية مواجهة هذا السلاح. كان الحديث يدور إذا جاءت الريح لازم تكونين مو بمواجهتها، بل لازم تكونين خلف الريح، لتفادي الإصابة بالسُموم.

وفي تموز/يوليو من العام نفسه تعرّض معسكرنا بمنطقة بير بينان لهجوم. وانسحبنا، كُنا حوالي 400 شخص أو أكثر، مشينا تحت شمس الظهيرة مسافة طويلة، حتى معسكرنا بمنطقة، وراها بأيام وصلنا أمر إن "الهجوم مستمر" واستمر انسحابنا. وفقدنا عمر، إيراني وكان معنا ضمن فدائيين آخرين إيرانيين. وجه عمر لا يتوقف عن الابتسام والمزاح، لحد الآن أتألم لفقدنا هيك شخصية بالانسحاب.

وفي نفس العام الحزب اتخذ قرار بضرورة إخراج كبار

السن والنساء من أعضاء الحزب بمواقع "الأنصار"، حتى تكون حركة المسلحين خفيفة ولا تحدث خسائر كبيرة في المواجهة. القرار، كان مؤلم علينا، طلعنا حوالي 8 أو 10 رفيقات من المنطقة باتجاه الحدود الإيرانية. وبدلنا ملابس "الأنصار" وارديننا ملابس كردية على اعتبار أننا من كرديات القرى. الدموع تحولت إلى ضحك، كل واحدة تقول للثانية "شو لابسة" مو كلها متنساوية، كانت أشكال غريبة عجيبه. صرنا بمزاج آخر، دخلنا تهريب ووصلنا بليل، ونمنا بموقع، والبرد كان في غاية الشدّة، بحيث أن الواحدة نامت يظهر الثانية حتى تحمي نفسها.

ومن إيران إلى سوريا، حيث قضيت حوالي شهر، ثم سافرت إلى موسكو من أجل الدراسة في معهد العلوم الاجتماعية النظرية الماركسية اللينينية لستينين.

ما العمل؟

نهاية 1990 انتقلت إلى دمشق عملت مع فخري كريم⁵، وقت تأسيس مجلة "المدى" بوجود الشاعر سعدي يوسف، اشتغلت بالمسائل الإدارية واللوجستية. وفي الوقت نفسه حافظت على اهتمامي بقضايا النساء وإغاثة شعبنا خاصة مع فرض مجلس الأمن قرارات "الحصانة"، النظام ما صار عليه أي شيء أثناء الحصار، سوء الدكتاتورية لا يعني تجويع الناس. الانتقام من الناس لا النظام.. كانت عملية مهمة التركيز على قضايا معاناة شعبنا الإنسانية. بعدين جاء إعلان التحالف الدولي لتحرير الكويت واندلعت انتفاضة 1991⁶ بالشمال والجنوب. لكن بالجنوب ما برزت بالتلفزيون، اللي أخذ الرمز الأساسي كردستان، لاعتبارات أنها كانت خارج سيطرة النظام. صار انسحاب الجيش العراقي والإدارات من كردستان، وسَلَط الضوء على ذلك من قبل وكالات الأنباء الدولية. شفت الرعب اللي الناس عاشوه في هذه الفترة، والوضع القاسي والمجازر اللي صارت أيضاً. هذه كانت مثيرة جداً إنسانياً، الناس كانت

5 فخري كريم صاحب امتياز مجلة الحزب الشيوعي العراقي "الفكر الجديد"، وخلال تجربة المهجر في سوريا أسس مجلة "النهج" 1983 ذات النهج اليساري التقدمي، وهو مؤسسة دار المدى. شغل كريم مناصب رسمية حيث اختاره الرئيس العراقي الأسبق جلال طالباني مستشاراً.

6 أصدر مجلس الأمن القرار 661 في آب/أغسطس 1990 بفرض عقوبات سياسية على العراق لإرغامه على سحب قواته من الكويت. وشملت العقوبات حظرًا اقتصاديًا كاملاً باستثناء المواد الطبية والغذائية.

7 غرّص باسم الانتفاضة الشعبانية نسبة إلى الشهر الهجري شعبان الذي شهد اندلاعها في جنوب العراق وشماله، والمواقع آذار/مارس 1991، بعد أحداث حرب الخليج الثانية التالية لعزو نظام صدام حسين للكويت، وانسحاب الجيش العراقي من الأخيرة بعد هزيمته من التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة. تحركت الاحتجاجات بعد فقد سيطرة النظام على المحافظات، وبدأت جنوباً بالبصرة، وشملت محافظات عدة بخاصة تلك الواقعة في المناطق ذات الأغلبية الكردية. حاصر محبجو الانسحاب المعسكرات وطالبوا بإسقاط النظام. استمررت الانتفاضة نحو أسبوعين ثم استخدم الجيش سبله لدمر الانتفاضة، وكان من نتائجها منح إقليم كردستان الحكم الذاتي في ما بعد.

هذه السنوات، وانتخاب الهيئة القيادية. طبعاً قبل المؤتمر انسحب سعدي يوسف قال ما معناه إن أنهى مهمته "وعليكم أنتم تواصلون". فعلاً واصلنا المسيرة بانتخابات كاملة، وبدأ العمل كأول مؤسسة مجتمع مدني عراقية في كردستان، تجمع مختلف الأطراف والقوميات. ركزنا على بناء الإنسان، فتحنا مركز ثقافي بالسليمانية للشباب، لأنه بسبب الحصار كانت المصادر الثقافية مثل الكتب الجديدة مفقودة، واشتغلنا على الرياضة المشتركة بين الشباب من الجنسين. واشتغلنا بشكل وثيق مع الحركة النسوية والتأشطات النسويات في كردستان، عبر التركيز على قضايا العنف وتغيير قانون الأحوال الشخصية، خاصة ما يسمى بـ"جرائم الشرف" أو تزويج الصغيرات.

استقرت في 1996 بأربيل، وجدت إنه من الضروري الاستقرار هناك بدلاً من الروحة والجاية، مثلاً سوينا مركز للنساء في أربيل، وآخر بالسليمانية فتحناه في 1998. ركز على استخدام النساء للكمبيوتر، والرياضة النسائية، "الجم النسائي" ما كان موجود أبداً مكان للنساء، فتحنا في المركزين جيم للنساء، حيث التقت النساء وتشكلت علاقات اجتماعية.

قضية الجندر اشتغلنا عليها بمدارس السليمانية عبر توعية الطلاب والأساتذة، وطرنا قضية حقوق الإنسان من زاوية المرأة. كما اشتغلنا في برنامج النفط مقابل الغذاء التابع للأمم المتحدة عبر مقاولات بناء مدارس ومراكز صحية، شكلنا لجنة هندسية عملت مع الجهات الحكومية لتنفيذ تلك المقاولات.

أذكر مثلاً أنني توجهت إلى دمشق لشغلة مستعجلة ثم رجعت إلى أربيل قبل سقوط نظام صدام حسين، وجلست بالبيت استلقي الأخبار؛ تقدم الجيش الأمريكي بدون مقاومة إلا بعض المعارك المحدودة، معارك على مشارف بغداد، ترقب، وبين الدكاتور، ولكن فجأة الدكتاتور انهزم، ضلحت للصباح أنتظر. الموقف صعب، بعيدة عن المكان، والناس شئو وضعهم، تساؤلات قلقه ومشاعر متضاربة. انهيار نظام تصورنا أنه لا يمكن إزالته بوضعه ومؤسساته وشكله البوليسي الحديدي. نظام مدجج بالسلاح يفترض يقاتل للرمق الأخير، لكن طلع كل هذا كرتون، بلحظة بسيطة وبدون مقاومة وبانهزامية كبيرة البعض يسموها "سقوط بغداد"، لكن لا مو سقوط بغداد بل سقوط النظام.

ومع نهاية هذا النظام صار المستقبل علامة استفهام كبيرة بالنسبة لنا، لأن النهاية لم تكن بيد العراقيين، هل سيكون مستقبل يحقق الحلم الذي اعطينا دم وتضحيات كبيرة في سبيله؟ هل فعلاً راح يكون هناك نظام ديمقراطي يحقق مطالب الناس، ويحقق حريتهم وأمنهم، ويحقق مصالحهم؟

بالآلاف تهجر للجبل أو لتربا للنجاة بجلدها. حتى لا تصل السلطة لها. هذه كانت أيام مربرية، والأسوأ أنها جاءت بعد حرب عراقية إيرانية بكل مأسيتها. هكذا عاش العراقيون حرب بشعة أخرى في حياة الناس ولقمتهم ومعيشتهم. ثم تآكل السلطة، وتحولها إلى سلطة عشائر، إلى تردي وضع المرأة. كل هذا خلقتنا تفكر ما العمل. بدأ التوجه أنه يجب أن نقدم شيء عملي للناس، أقل ما يمكن تسويته التركيز على عملية إغاثة. صديقنا فخري كريم، الذي كان عضو مكتب سياسي بالحزب، وعلى ضوء لقاؤه بالنجدة الشعبية الفرنسية التي أسسها الحزب الشيوعي الفرنسي بعد الحرب العالمية الثانية، أثار موضوع تأسيس منظمة معنية بالإغاثة. وطرحت داخل "الشيوعي العراقي" فكرة استلهم تجربة "الشيوعي الفرنسي" في تأسيس "النجدة الشعبية الفرنسية" والتي تعتبر واحدة من أكبر منظمات المجتمع المدني في فرنسا لحد اليوم، تتجاوز عضويتها المليون نفر.. وهكذا بدأ التفكير بضرورة إنشاء جمعية محددة تأخذ على عاتقها الإغاثة. واتخذوا قرار تشكيل منظمة مستقلة عن الحزب على غرار المنظمة الفرنسية. وجرى تكليف بالمشروع مع آخرين منهم سعدي يوسف، وهذه كانت بدايات "جمعية الأمل العراقية".

بلشنا نسوي اتصالات ونا الجاليات العراقية الموجودة في أوروبا. وكيف ننسق العمل على بناء هذه المنظمة الإنسانية، بحيث لا تكون تابعة للحزب، بل لها صوت إنساني واضح، وتمثل جميع العراقيين بدون تمييز. وبالفعل حضرنا في 1992 أول انتخابات برلمانية في كردستان أخذنا وفد عربي نسوي من عدة بلدان عربية: الأردن والجزائر ولبنان، وزرنا مراكز الاقتراع قبل وأثناء الانتخابات.

الانسحاب من السياسة إلى "الأمل"

وبدأت أقل نشاطي برابطة المرأة العراقية، لصالح "الأمل"، شعرت إن المجال السياسي ما عاد يشدني هذا الانشداد، وما يعطيني نتيجة في كيفية الوصول إلى الناس. كان طموحي هو العمل وسط الناس، والتغيير يحدث في العمل وسط الناس وليس من خلال عمل مكثبي أو نظري أو اجتماعات لنخبة محددة. بمؤتمر الحزب 1993 رغم الإلحاح عليّ بالحضور رفضت.

في 1995 سوينا أول مؤتمر للجمعية في لاهي، لأننا ما قدرنا نسويه في المنطقة العربية، حضوره من الجاليات العراقية في أوروبا وأمريكا، اتفقنا على النظام الداخلي وبرنامج عمل، وقدمنا تقرير كامل على عملنا من خلال

3 جمعة الأمل العراقية تأسست في 1992 بهدف توفير العون للعراقيين بعد تردي أوضاع البلاد اقتصادياً في أعقاب حرب الخليج الثانية (غزو الكويت 1991)، عملت الجمعية في كردستان في بدايتها، وبعد سقوط نظام حزب البعث بقيادة صدام حسين أسست فرع بغداد في أيار/مايو 2003.

أم ما هي الاحتمالات الموجودة؟

الطريق إلى بغداد

2003 الذي اعتبرناه يهدد قانون الأحوال الشخصية بغض النظر إنه ليس قانون مدني، بل قائم على أسس دينية، لكنه منفتح على التطور.

عقدنا مؤتمر للإعلان عما توصلنا إليه من تنسيق أو المظلة العراقية للمنظمات النسوية. كانت هناك خلافات حول اسم "الشبكة". حسب العقلية القديمة لصدام، شبكة يعني "شبكة تجسس". وفترة طويلة مرت لإقناع المشاركين إن الشبكة من التشبيك غير شبكات التجسس!

المهم قدرنا نوصل إلى اتفاق على اسم "شبكة النساء العراقيات"، وركزنا على قضيتين: الكوتا، وقرار مجلس الحكم رقم 137. كان الموقف مو تأسيس حركة، ولكن الصراع الفكري حول قضايا المرأة مثل المساواة ورفض العنف، والتشريع، ووجود تمييز بالقوانين، والحفاظ على النسيج الوطني في إطار قانون الأحوال الشخصية.

لكن عملنا كمجتمع مدني مرّ بعقبات ومخاطر أذكر مثلًا مارجريت حسن، كنت أتقي بها بشكل مستمر، هي مواطنة بريطانية سكنت بالعراق وتزوجت من عراقي، وكانت تعمل كرئيسة منظمة الإغاثة الدولية "كير"⁹ في العراق. اشتغلت مارجريت حسن من أجل أطفال العراق بشكل أعطت حياتها في سبيل هذا لأنها اختُطفَت نهاية أيلول 2004. بعدين اكتشفنا أنها اختُطفَت وجرى تغييرها.

استمرت حملتنا كنسويات للدفاع عن قانون الأحوال الشخصية، وطالبنا في 2006 بتعديل إحدى مواد الدستور¹⁰ التي تنص على أن العراقيين أحرار في أحوالهم الشخصية وهي المادة 41، ورفضًا لتلك المادة جرى اجتماع حاد داخل مجلس النواب بين الأعضاء وأفراد حملتنا. نواب قالوا إن المادة خط أحمر، وفي المقابل جاء إصرار زميلاتنا أنه لا يمكن القبول بالمادة. صارت ضجة كبيرة حول هذا، واعتبرنا إن المادة 41 مثل دودة يجب الإشارة لها في كل مكان بوصفها خراب للدستور، بل مستقبل العراق. ونجنا في تعليق هذه المادة وتجميدها، لكن لا يزال هناك خوف من وجودها بالدستور.

9 حملت مارجريت الجنسية العراقية إلى جانب كونها مواطنة بريطانية، وبعد اختطافها في أكتوبر/سبتمبر الأول 2004 تعرض أهلها والسفارة البريطانية لابتنزاز من طائفيها، ورفضت الحكومة البريطانية المفاوض مع الخاطفين. لم يعثر على حسن، وفي 11/مايو 2005، عثر الأمن على جثتها وملازمها في منطقة قرب حي المدائن جنوب شربى بغداد. وفي 2008 قبض على مواطن عراقي ابهم بالاشتراك في اختطاف حسن وقتلها وإسراز السفارة البريطانية، ومدمت بريطانيا لجهات التحقيق العراقية تسجلات صوبية للمتهم العراقي وهو بتحدث الانجليزية بطلاقة مع مسؤولي سفارتها في بغداد فضلاً عن رسائل الكروية، أفادت تلك الأدلة بمطالبته الحكومة البريطانية بدفع مليون دولار مقابل إعلامها بموقع جثمان حسن الذي لم يعثر عليه حتى الآن.

10 تنص المادة 41 من الدستور على أن "العراقيين أحرار في الالتزام بأحوالهم الشخصية حسب داناتهم أو مذهبهم أو معتقداتهم أو اختياراتهم، وينظم ذلك بقانون

للإجابة عن كل هذه الأسئلة، نزلت بغداد مع الصديقة سوزان عارف في سيارتها. وقتها كان لي 25 سنة ما شايقة الطريق لبغداد، مشاعر فياضة، بغداد كانت حلم، وحلمي تحقق. تذكرت سنوات الانتظار والقهر والأسى، والحلم إنه أكون في بغداد في يوم من الأيام حيث الحيوية والجمال. وهناك توجهت لبيت أختي، طرقت الباب، صاحبت "من؟"، قلت لها افتحي الباب. كانت لحظات بالنسبة لها، "معقولة هنا". مشاعر مليانة، كثير من الفرح رغم صعوبة الوضع والقلق.

المهمة الأساسية كانت فتح مكتب لـ "جمعية الأمل" في بغداد، لقينا مكان مناسب في الكرادة، فتحنا المكتب، وبلشنا في إعداد الهيئة الإدارية أيار/مايو 2003.

خلال الفترة الانتقالية الحرجة فكرنا بالجانب الصحي بالتركيز على عيادات جواله في مناطق ريفية، واكتشفنا امرأة عجوز عايشة وحدها في حسينية أو جامع، لمّا سألنا عليها طلعت كردية لكنها عابشة في أقصى الجنوب بعيد تمامًا عن المناطق الكردية الموجودة شمالاً. والغريب إنها كانت ترفض تختلط بالآخرين، ومن خلال زملائنا اللي كسبوا ثقة السيدة الكردية بدأنا نعرف قصتها: هي تتصور أننا لا زلنا في زمن صدام، وما تذكر شيء آخر. كُنا نتصور إنها من اللي أبعدوا في زمن صدام وتاهت بالصحراء، وأهل القرية لقوها وحدها وجابوها، بصعوبة عرفنا إنها من منطقة في أربيل، وقدرنا أن نجد عائلتها. هي قالت لنا: "أنا ما عندي أحد"، أخذنا الابن ووصلناه إلى المنطقة اللي هي موجودة بها، دخل عليها زميلنا وسألها عن أهلها، قالت له: "ما عندي أحد"، قال لها "بالكي إذا جيناهم؟ ابنك موجود" وفعلًا دخل ابنها. كانت مفاجأة مذهلة، تذكرت، وعرفته.

أن تؤسس مجتمعًا مدنيًا

بالعودة لزمن 2003 ما بعد سقوط النظام، عُقدت لقاءات كثيرة حول أهمية التلاقي والعمل، التقينا في هذه اللقاءات بنسويات وناشطات ومنظمات. مثلًا انطُرحت دعوة women for women international بالعراق، وفعلًا بمساعدة هذه المنظمة الدولية انعقد اجتماع في نادي المنصور، وحضرته حوالي 55 منظمة منها "نهضة المرأة" و"جمعية الأمل" ولجنة المغيبين والمفقودين. وفكرنا أننا لا نريد أن نكون تحت مظلة منظمة دولية، وإنما أن ندبر أمورنا لعراقيات، وعملنا لجنة تأسيسية لمظلة عراقية على أثر قرار مجلس الحكم الصادر في 29 كانون الأول/ديسمبر

اتهم متبادل بالإرهاب

ويجب إفساح المجال للطاقت الشابة لقيادة المنظمة . هكذا ابتعدت عن إدارة " الأمل "، لكن النشاط المدني لا يزال في دمي، وخصصت جزء أكبر من وقتي لـ "شبكة النساء" حتى نخلق الجيل الجديد الذي ممكن يكون على قدر المسؤولية على استلام المهام، ولا تكون الحركة النسوية عمادها جيل السبعينات، بل أن تكون هناك أجيال جديدة.

مثلاً قدرنا ندرج مادة دستورية¹¹ تعترف بدور منظمات المجتمع المدني في الدولة، واستجابة لتلك المادة أعدت الدولة مسودة قانون لتنظيم المجتمع المدني في 2005، واشتغلنا مع الحكومة لتغيير صيغة مسودة القانون السيئة، التي كانت تتدخل في تعيين رؤساء وقيادات المنظمات وشؤونها، وبعد جهد ومثابرة امتدت لخمس سنوات حولناها إلى قانون آخر نعتز به هو قانون رقم 12 لسنة 2010.

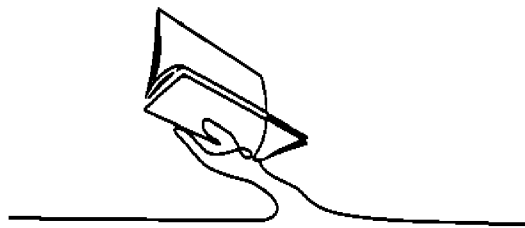
في نهاية 2010 تشكلت الحكومة برئاسة نوري المالكي، بلا وزير واحدة. وتأثير مظاهرات الربيع العربي وصل العراق وبدأت مظاهرات في شباط/فبراير 2011.

وفي إحدى المظاهرات قبض على أربعة من قيادات التظاهر، وقيل إنهم مزورين هوياتهم، وعلمنا أنهم عذبوا، واشتغلنا على إطلاق سراحهم. ووقتها تلقيت دعوة لحضور مؤتمر رسمي لإعلان الخطة الوطنية لحقوق الإنسان برعاية المالكي وسط حضور دولي من ممثلي الأمم المتحدة والبعثات الدبلوماسية بالعراق. وخلال كلمته، قال المالكي ما معناه إن "أقول للأصدقائي في الأمم المتحدة والعالم أن بعض منظمات المجتمع المدني هم من القتلة والإرهابيين". استفزتني عبارته وبعد تقديم التقرير وإلقاء الكلمات الرسمية هجمت أمام المنصة وطلبت إلقاء كلمة باسم منظمات المجتمع المدني، رغم إن كان فيه زميلة يفترض أن تعطي هذه الكلمة، لكنها ما كانت واصله بعد، وبالفعل أعلنت أن المعتقلين الأربعة اعتقلوا بسبب قيادتهم للمظاهرات، وبعدين هجمت على رئيس الوزراء، أنت قلت إن المجتمع المدني إرهابيين، هل نحن الإرهابيين أم الوزراء والسياسيين الموجودين في حكومتك هم الإرهابيين؟ إنا قدمنا تضحيات بالآلاف من الشهداء، تتهمننا بالإرهاب والقتل. أتمنى عليك تقدم كلمة اعتذار بهذا الشأن في المؤتمر. ثم غادرت القاعة وصارت الهوسة كلها.

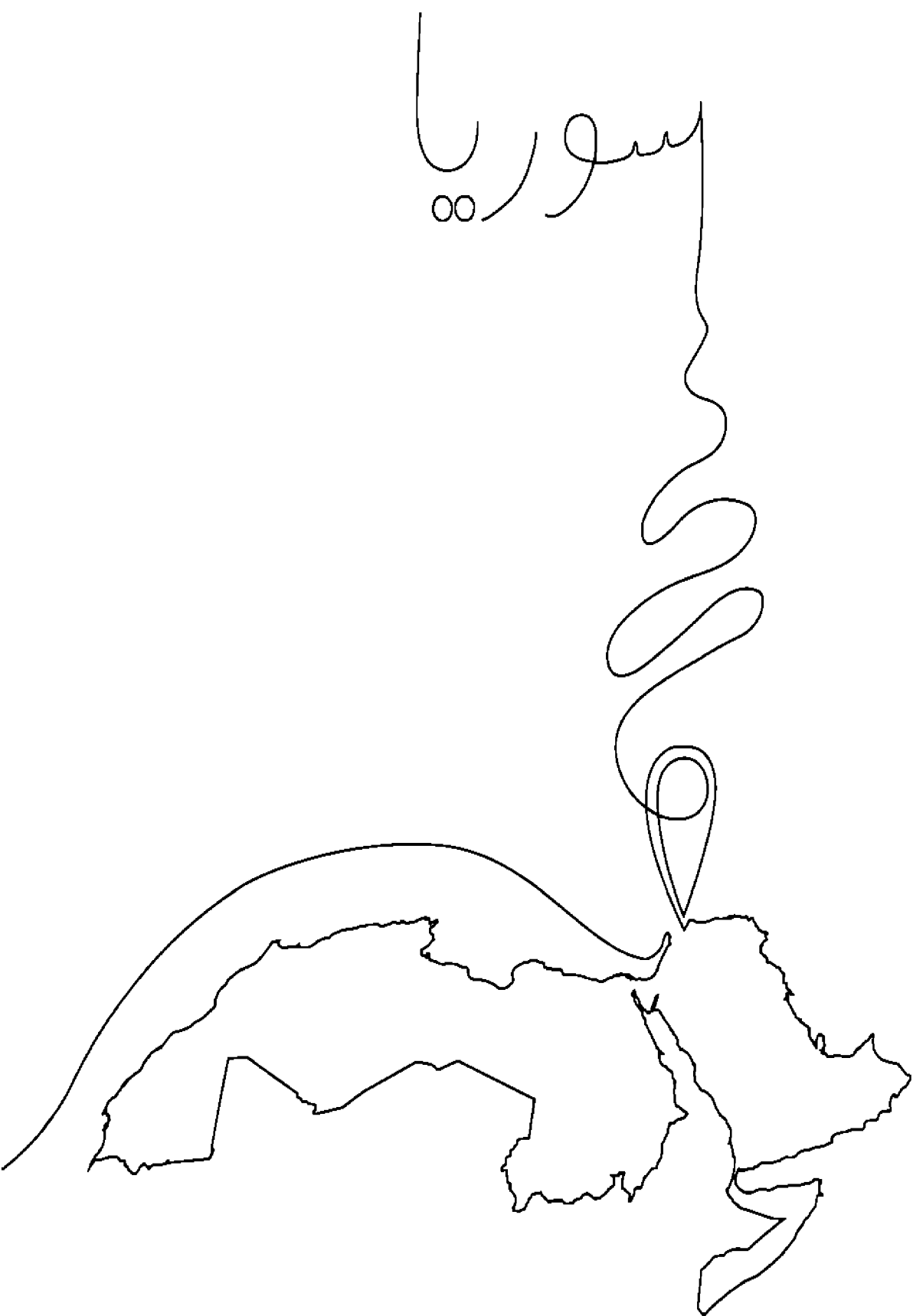
استراحة من الإدارة

كنت في قيادة جمعية الأمل حتى 2022. وحسب النظام الداخلي كان لازم تصير انتخابات، وتبديل الهيئة الإدارية، وكان منصبي لا بد من إجراء انتخابات عليه، أعلنت الانسحاب من الإدارة رغم كل محاولات الإقناع والمناشدة. صممت على موقفي، لأنه مثلما أؤمن بضرورة حدوث تداول للسلطة وتولي الأصغر سنًا القيادة على المستوى الرسمي لا بد أن يحدث ذلك في المجتمع المدني، قلت لهم أنا 76 سنة

11 نص المادة 43 من الدستور العراقي على أن "تحرص الدولة على تعزيز دور مؤسسات المجتمع المدني، ودعمها وتطويرها واستغلالها، بما ينسجم مع الوسائل السلمية لتحقيق الأهداف المشروعة لها، وينظم ذلك بقانون".



سویا



سرديات من سوريا

أميرة حويجة
بسمة قضماني
رولا الركبي
ريما فليحان
سوسن زكّك
شهادة مُجهلة
لمى قنوت
ميّة الرحبي

أميرة حويجة: كان بديّ أغير هذا الكون للأفضل

وفي 1975 اعتقل جوز أختي، وكان ضابط بالجيش، وأتهم بـ"الانتماء لحزب معارض"، لأنه كان من المعارضين للحركة التصحيحية، اعتُبروا أعداء الوطن، وجرت ملاحقتهم. وجيت لمساندة أختي بدمشق، حيث كانت تعيش وحيدة وحامل. وبلّشت وقوف على أرض الواقع بدل الرومانسية الحالمة للبطولة، لمّا لقيت بعائلتي إنسان حقيقي مُسند يضحى بحياته عشان هدف ما يعرف شو هو.

سجلت لدراسة الهندسة المدنية في دمشق، وكنت بيت أختي، وبذهني أكون مُناضلة، مهندسة مدنية بشوف العمال، مهتمة بالناس المضطهدة، وبديّ أكون جنبهم، وبديّ أكون "مهندسة حمراء".

وقتها كان ضيوف أختي نساء أزواجهن معتقلين من أصدقاء صهري، كل ضيفة تبات بالبيت قبل زيارتها لزوجها المعتقل، وكنت لسه طالبة بأول سنة، وكل ضيفة تحكي همومها. كن نساء عظيمات، كل واحدة تشتغل وفاتحة بيتها وترتي الأولاد، وتوفر لهم حياة كريمة. كنت فخورة بها دول النساء، وهذا انعكس عليّ في حديثي في الجامعة إنني ساكنة عند أختي اللي زوجها معتقل. وبالجامعة عرفت إن فيه أكثر من حزب سياسي معارض بالبلد، خاصة أن كلية الهندسة في مرحلة السبعينات كانت مليئة بالنشاط السياسي، أحزاب علنية وأخرى سرية. وكان فيه عدد من طلاب الهندسة في ثلثة ورابعة نسمع عن اعتقالهم، وتعرفت على ناس كثير كلها تشتغل سياسة بس كله بشكل سرّي. وكان فيه نشاط فلسطيني كثير مثل الجبهتين الشعبية والديمقراطية، وكانوا معارضين تدخل سوريا في لبنان، وكنت أسمع إذاعة "صوت الشعب اللبناني"، وعلى موجاتها قديم زياد الرحباني برنامج "بعдна طيبين قول الله"، كنت متاخدة بهذا الشخص، وحزينة إن الجيش السوري، اللي كثير فخورة فيه، هيك بيعمل بلبنان.

ثم أصدقائي بالكلية أطلعوني على خط السياسة تبع "رابطة العمل الشيوعي"، ووقتها كانت الواحدة بمجرد قراءة جريدة تصير سياسية، ما كان فيه نضج سياسي أبداً، يعني العاطفة والرغبات هي الأساس. وعليه، بعد اطلاعي على الخط السياسي، طرح عليّ أكون برابطة العمل، وضليت فترة أفكر وانتسبت للرابطة بـ1978، ووقتها كان صهري لسه بالسجن، وأنا وأختي لحالنا بالبيت، لكن ما أخبرتني أنني بالرابطة لأن أختي ما مُستحب عندها إنني أشتغل سياسة لأنها بتخاف عليّ، كانت تقول لي: "أوعي تشتغلي سياسة". لكنني بلّشت العمل السياسي هيك، وكان بديّ أغير هذا الكون للأفضل وهيك قصص. وكانت الرابطة رافعة شعار "إسقاط النظام"، وشعارات غيره، واخذتني هذه الشعارات للحدود القصوى. وصرنا نشوف كل شخص

أميرة حويجة، مواليد 1958، ناشطة في تجمّع نساء سوريا من أجل الديمقراطية، وعضوة سابقة في حزب العمل الشيوعي. سُجنت في الفترة من 1987 إلى 1991، وخلال هذه الفترة بدأت تغيّر أفكارها عن العمل السياسي السري، وتحوّلت اهتمامها إلى العمل العام ليكون عبر العمل الحقوقي لا السياسي.

اعتمدت هذه المقابلة على شهادة سُجّلت في 29 تموز/يوليو 2021.

شعارات

بشكل عام نشأت في بيئة فسالمة. كُتّا 8 بنات بالبيت وأخ واحد، وأخوي كان دائماً مسافر لدراسة الهندسة في روسيا¹. كُتّا نلاحظ قسوة الأب على الأم، لأنه كان مُسيطر رغم غيابه الطويل عن البيت، ولما يجي ساعتين على البيت، البيت كله له.. هذا خلّى عندي شعور تعاطف مع أُمّي. هذا الطابع العام للأسرة.

كنت فتاة ذكية كما يُقال، شاطرة في المدرسة، وعندنا الدراسة كانت مختلطة، شباب وبنات، كنت متميزة على الصف كله. هذا كان يخلّي الأساتذة يمدحوني، كان لي شوية صيت في الشطارة. ما كان عندنا شيء نشغل وقتنا فيه، إنا بنحكى في فترة الستينات وأول السبعينات، وما كان عندنا كهرباء لسه بالمنطقة. معلوماتنا نجيبها من الراديو وقراءة الكتب اللي كان أخي يجيبها من روسيا، وأغلبها قصص عن النضال من إصدارات دار التقدم² الروسية التي كانت تركز على نضال الشيوعيين ونضال الناس، وكنت مُتعاطفة كثير، ومفعمة بالمناضلين الروس، شايقة حالي فيهم، وحالة رومانسية يا الله.

كنت طفلة صغيرة في 1973، وبذهني يكون فيه نصر، وما طولت الحرب كثير، وكان لي صهرين اثنين بالجيش، لكن لما خلصت الحرب ما شفتهم إنهم حققوا نصر.

1 ابتداء الجمهوريات السوفيسية ومنها

2 كاتب دار التقدم وغيرها من إصدارات الاتحاد السوفيسى ومنها تصدر برجمات باللغة العربية.

غير معارض للنظام "انتهازي"، مثلاً إذا حكى معي شباب من "اتحاد طلبة سوريا" كنت أحس إنهم أعدائي بلا سبب، حتى لو هن شايفين إننا ممكن نكون أصدقاء. كنت أدور على الناس اللي تشبهني، ما فيني أكون رفيقة لواحدة حاطة حجاب مثلاً، وهذا اعتبره أول خطأ ارتكبته.

لكني بدأت أوسع مخي، ويكون عندي علاقات أوسع، واللي خلاني هكذا إنني عايشة بجو 23 شباط عند أختي. ولما طلع صهري من المعتقل، كان بدي أسكن لحالي، كنت بالسنة الرابعة لكن صهري ما خلاني، فعلاً كان إنسان رائع.

الجانب الخفي من العمل السري

في 1986 كنت مطلوبة للمعتقل، وطلب مني الحزب اتخفي. وبالفعل غادرت دمشق لحلب، لما تخفيت تركت بنتي عند سرتها (لان زوجي أيضاً كان متخفي)، وتركت الشغل، وصار كل عملي لحزب العمل الشيوعي. وبدأت أشوف الناس كثير مختلفة مع بعضها، قبلها كان عندي ثقة مطلقة بأي واحد ينتمي لحزب العمل الشيوعي.. هذه طبيعة العمل السري. لكن بطلب صرت أشوف رفاقنا ورفيقاتنا، بشكل أكبر بكثير من الوضع بدمشق، بشهرين بالتخفي تعرفت على كل المنظمة. وصرت اشوفهن مختلفين، ويحكوا بالأشياء اللي لها علاقة بالإنسان أكثر من الانتماء السياسي. يعني كيف ممكن يكذب الواحد، أنا وقتها كنت أفكر إن الواحد بحزب العمل الشيوعي ما يصير يكذب أو يفكر في مصلحته، كنت شايفة حزب العمل هو ناس صادقين للحد الأقصى. فصرت أشوف لا، إحنا ما زلنا بشر من لحم ودم، نخطئ ونصيب.. هكذا غادرت التصورات المثالية وصرت واقفة على الأرض؛ إحنا بشر وعندنا أخطاء، ولازم نكون جريئين ونكشف أخطأنا. هي مسألة شوي معقدة، ولها علاقة بالعمل السري، لأن يكون كله مخبي. مثلاً لا أعرف عن حياة هذا الشخص الاجتماعية، لكن أعرف أنه مناضل في حزب العمل، لكن هو ممكن يكون عنيف مع مرته. مرة كنا نلتقي ببيت أحد الرفاق، وزوجته عم تشكي لي زوجها أنه عنيف معها، لكني ما كبرت الموضوع أو أخذته على محمل الجد.. ما بعرف كيف فسرتها، كنت أشوفه كمناضل.

لكن بطلب كانت الأمور أوضح، الجو أضيق، الناس تعرف بعضها. هنك عرفت بدي أوقف على رجلي، ما بدي أصف مع فلان أو غيره. لازم أعرف أحاكم الأمور ويكون لي رأي. ضليت حوالي تسع شهور بطلب من شهر 12 بسنة 1986، واعتقلت في 12 من 1987 ومعني 32 واحدة من "العمل الشيوعي"، وهناك شفت الصورة بشكل أوضح.

العمل السري كثير يعزز النظري والرومانسي عند الإنسان،

حتى يعيش الواقع. الواقع هي الحياة اليومية، مثل اثنين يبحوا بعض، لكن لما يتزوجوا بعد كام شهر يختلفوا، وخلال سنة يحدث طلاق. نفس الشيء، كنا بمرحلة رومانسية بالعمل السري، بالحياة اليومية نكتشفي الناس، والسجن له تفاصيل يومية، كيف الواحدة تشرب وتأكّل وتهتم بالنظافة، وكيف بتعصب على أتفه الأسباب، أو إن واحدة تمدّ يدها إذا عصبت، أو أخرى تشد شعرها. بالسجن كنا مع بعض لحالنا، بس بعدين صرنا مع نساء أخريات، مع المتتميات للإخوان والسجينات المدنيات، لأننا كنا بسجن مدني، مش سياسي. بالسجن اجتمعت المناضلات من أجل التغيير والديمقراطية، مع اللي بدهن دولة إسلامية، مع العاملات بالجنس ومهربات المخدرات والنساء قاتلات أزواجهن. نخبة المجتمع، كما نسقيهم، والمجتمع السفلي يعني المجتمع الأسوأ بالبلد، وصرنا نمارس هوايتنا بالنضال على زميلاتنا من المجتمع السفلي. نقعد نطّل، "ليش حدا يروح باتجاه هذا الفساد؟" أو "ليش واحدة تروح باتجاه تآجر بالعملة؟"... ونلاقي مبررات دالما للأخرين، وأحياناً نحس بالعجز عن البحث عن إجابة لسؤال "كيف المجتمع بده يتصلح؟" وطبعا السجينات تضحك علينا، وأحياناً تستغل الواحدة منهن طبيعتنا ورغبتنا بالتغيير، وتحكي لنا أكثر. كانت تجربة غنية كثير، فترة اختبار لأفكاري، وكيف يمكن التعامل مع الناس.

مثلاً وصلت لي قصة وفاة زوجي بـ1988، بكيت عادي، بس ما أخذت وقتي الكافي لا بالشكوى أو البكاء، لأن بدي أيتن للأخرين إنني مناضلة كبيرة وما بيصير أبكي. هذا بشوفه تأثير الأدوار النمطية للجنس، اللي إحنا متربين عليها.

صرت خايفة كيف أنحمل مسؤولية تربية بنت تركتها عمرها ثلاث سنين ونصف. وعشت فترة تأنيب ضمير أنني حرمت ابنتي من أمها، وما معني أب يساعد.. كوني امرأة وأم انعكس عليّ بالسجن وصرت انكفي لحالي وقت أطول. أظن الرجل ما يحسب لهذا الموضوع كثير حساب، لأن فيه أفكار شرقية مهيمنة على تربيتنا، ولا تزال منعكسة على تفكيرنا مهما كنا واعيين.. فيه أدوار نحننا أسيرات المجتمع فيها. حتى الطفل اللي تركته أمه، يزعل من أمه ويعتّب عليها أكثر ما يزعّل من أبوه.

وفي السجن أيضاً، بلّشت أشوف عيوب العمل السري، ما عاد عندي ثقة إن هذا العمل يبني إنسان يكون مناضل من أجل حياة أفضل. الواحدة بدل ما تكيل أظلمها وتشتغل بشكل سري، وما تمشي ولا خطوة، لا أنا بشوف شو فيني أعمل، وأحاول أعمل أكثر شوي، أمشي خطوة وأكثر أخلاصي. لما طلعت من السجن في 1991، كنت واحدة قرار ما اشتغل عمل سري. لكن ضليت مشغولة بالهم

العام. دخلت على النشاط المدني، من أجل حقوق النساء بشكل عام، والمساواة في الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين والمواطنات دون أي تمييز.

اعتزال السياسة

انتميت للمنظمات النسائية من 2004 لـ 2011، كنا عم نشغل على تغيير قوانين، مثل قانون الجنسية أو تعديل قانون الأحوال الشخصية. لكن التأثير كان ضعيف، وما كانت تبجي نتيجة إلا إذا الحكومة بدّها هذه النتيجة. ما فينا نضغط، كنا حركة بدون صوت إذا بدّا نسيمها، ومجموعة من النساء المقاتلات لأهداف وحقوق، ما عندنا أكثر من نشاط نسائي وحقوقى ومدني تقوم به نخبة نساء محترمات. مثلاً شاركت بكتابة بعض الاستراتيجيات المهمة، وشيء له علاقة بالدستور والقوانين. لكن لا نعرف من أجل شو بدّا نناضل؟ نشغل على السيدا وغيرها من الاتفاقات الاممية، بس يعني ضل شغل نظري، عم بنشغل بمجموعات منها كثير واسعة، لكن ما فيه إمكانية نشر هذا الحكي بالتلفزيون أو الإذاعة. بل ما فيه إمكانية دخول على المدارس تفرجي الناس شو عم تشتغلي. عم يضل الشغل مخبأ، أو موجود عند مجموعة معدودة من الأشخاص.

ومع بداية 2011 كان حلم أغلبية السوريين بدّا تغيير، لوين وكيف؟ أكيد ما كان واضح عند الأغلبية مشروع ديمقراطي يقود العمل الكبير اللي صار في سوريا، ما كان واضح لي أبداً إن هذا التيار موجود. يعني المشروع الديمقراطي كان ضيف، مثلاً كان ينطرح اسم الجمعة على فيسبوك من التنسيقيات، وكانت أسماء الجمع كلها عم تروح اتجاه المصطلحات الدينية، وهذا ما كان مربحنا، وهذا قبل عسكرة الثورة. بل كنا في مرحلة مظاهرات سلمية فقط. هذا تاريخ فاصل بالنسبة لي، لأنه ما فيه ديمقراطية بهذه التسمية. لما حصلت عسكرة الثورة لم تظهر فصائل جهادية، بل كان فيه شيء اسمه "جيش حر". تشكل بريف دمشق بدايةً وحمص. كان اسمه هيك جيش حر، جزء منه كان منشق عن الجيش، والجزء الأكبر كان من الشباب. بس كيف كان عم يتشكل؟ هلا صار الواحد يعرف إن من هذا التشكيل كان فيه شيء غلط عم ببصير. أول تسمية كانت لفصيل من الجيش الحر، كانت "جبهة النصرة" وكانت من أبناء المجتمع السوري المحافظ، وما كان واضح ارتباطها بمنظمات القاعدة، وبعدها تعسكرت الثورة وشو بدّي أحكي. أكيد فيه فرق، فرق بين إحنا كيف كنا شايفنها، وكيف الناس عم تفكر، الناس كانت خالمة إنه يكون في تغيير بعد سنة أو سنتين. بس بعد ما تعززت الحالة الجهادية القصة مشيت باتجاه آخر. اتجاه استدعى تدخّل كل الدول.

تشاؤم أكبر من الواقع؟

بطبعي كائنة متشائمة، لكن الحقيقة على ما يبدو أن هذه البلاد يا إما تكون تحت الحكم العسكري بدون أي ديمقراطية، يا إما بدّها تكون تحت حكم الإسلام السياسي برضو بدون أي ديمقراطية. بالفعل أتمنى يكون تشاؤمي أكبر من الواقع، بس حقيقة ما بشوف حدا عم يقول لي غير هيك. بدّي أحمي عقلي. يبدو أنني تأقلمت بزيادة مع القهر يلي أنا عيشته، محتاجة دكتور نفسي يعالجني من التأقلم. يعني هلا يقول أنا في بيتي وأحسن من غيري، بس حقيقة لمّا بشوف حالي طول اليوم بلا كهرباء، ما بدّي غير شوية كهرباء، تنقطع نصف اليوم وتبجي نصف اليوم، ماشي الحال. رضيانة نصف بنصف، بس ما تبجي ولا ساعة، الحقيقة شيء ما مقبول، بس مع هيك عم نقبل. بقبل إنني أبقي كذا يوم ما أطلع محل، وما أشوف ناس. قبلنا كثير شغلنا غير إنسانية الصراحة. وبلشنا نقارن حالنا باللي فقدوا أولادهم، وفقدوا بيوتهم، وتشردوا. وانتبهينا بانه وين بدّا نروح بعد هلا؟ إسا هلا روح؟ مين راح يقبلني؟ ومين راح يعطيني فيزا؟ الموضوع معقد. أول شيء التأقلم جاء شوي شوي، وثاني شيء، وصل الواحد لعمر ما عاد يلاقى حاله إلا بمطرحه. وين بدّي أروح على أي بلد أوروبي؟ شو بدّي أعمل؟ مع مين بدّي أعيش؟ شو اتعلم؟ بأي حق أروح هلا أعيش على حساب دولة ثانية؟ أنا هلا بعمل سن تقاعد، ما فيني أعمل شيء. هلا إذا بياخدوني خبيرة طبخ في شيء محل.

بسمة قزمانى: قضايا المرأة لا يمكن تأجيلها بأيّ حجة

بسمة قزمانى، مواليد 1958 في دمشق.

في شهادتها، ترى بسمة أنّ المرأة السورية لا بد أن تحصل على مواطنة متساوية وحقيقية مع الرجل، وفي حال عدم حدوث ذلك ستفشّل "معركتنا النسوية".

وتعتبر بسمة أنّ المرأة من أبرز العناصر الفاعلة في الصراع السوري وترفض تأجيل حقوقها وقضاياها بحجة أنّ "موضوع المرأة يبجي بعد حل قضايا الاستبداد".

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 9 تشرين الأول/أكتوبر 2020.

الملجأ هو لبنان

من أسرة دمشقية، الوالد والوالدة الاثنان من دمشق، والعائلة دائماً، وما زالت، متواجدة في دمشق.

عندي أخت أكبر مني شوي، صحفية، وأخ أصغر مني حياته مختلفة عنّا، لأنه وُلد في لبنان، إحنا تربية فرنسية أكثر، بينما هو تربية إنجليزية أكثر، وعاش في بريطانيا. عائلتنا غادرت سوريا في 1968 لأسباب سياسية، اعتقل الوالد رغم أنه دبلوماسي، ثم طرد من عمله في وزارة الخارجية السورية. بعد إطلاق سراحه، غادرت سوريا إلى لبنان، وعشت بفكرة إن أي حدا يحصل معه مشاكل سياسية في سوريا الملجأ هو لبنان، لأن سيق والدي عمي، وعمي الآخر، وإلى آخره.. هكذا انتقلنا إلى لبنان مع العائلة.

قطيعة مع العالم

سنوات التعليم الأولى كانت بمدرسة الفرنسيين في سوريا، ومنها بدأ التأثير الثقافي الفرنسي من أيام الفرنسيين، مثلي مثل والدي، وباقي أجيال النساء السوريات المتعلّقات، البرجوازية أكثر من كل الطبقات الأخرى. تعليم عربي جيّد جداً، وتعليم فرنسي. ثم انتقل إلى لبنان وأكملت التعليم بمدارس راهبات أيضاً! مدرسة "الكرومل سان جوزيف" في لبنان، لمدة 3 سنوات، ومستوى التدريس من أعلى المستويات، تأسست صمّ لغويّاً، مع تمكني من اللغة العربية، وبفضل دراستي في مدارس الراهبات في سوريا ولبنان.

عشنا لبنان السنوات السابقة على الحرب الأهلية، سنوات السعادة والنجاح. غادرت لبنان في 1971، وبذهني لبنان أجمل بكثير من الدول الأوروبية لأنه يمزج بين ثقافتنا وتاريخنا والحرية. لبنان كان بالنسبة لباقي العالم العربي مكان الحرية. ولما صارت الحرب شعرت إن كل أحلامي انهارت، وكأنني كنت سائدة على حائط ومطمئنة إنه هذا مستقبلي، وهذا الحائط انهد. أصبح هناك نوع من القطيعة بين عالمنا: سوريا ما في عودة لها، وباقي الدول العربية صعبة.

بعدها انتقلت إلى مدرسة فرنسية في بريطانيا، لأنه والدي عيّن في شغل مقره لندن تابع للأمم المتحدة. كنت وأصلي لصف عالي شوي، فما عاد فيه مجال إن الواحدة تغير للتعليم البريطاني لذا بقينا في المدارس الفرنسية، وتخرجنا من البكالوريا الفرنسية، وتوقفت دراستي للغة العربية، لكنها كانت موجودة في بيتنا.

ما كنت قابلة فكرة بناء مستقبلي في أوروبا صراحة. كنت مقتنعة إن مش هذا اللي بدي إياه. 1975 كان لها تأثير كبير كبير فيّ، وعلى نظرتي للمستقبل والحياة وخياراتي. بعد بريطانيا، انتقلت إلى فرنسا، ودرست في باريس، معهد العلوم السياسية Institut d'Etudes Politiques معروف باسم Sciences Po، وسبب دراستي للعلوم السياسية هو حرب 1967، أما موضوع الدكتوراه نفسه وتخصصي فكان القضية الفلسطينية لأنها مرتبطة بترينتنا كسوريين، تُعتبر بالنسبة لنا قضية هوية، وبالتالي هو مسار طبيعي السير فيه بالنسبة لي.

الحجاب والاندماج

في الثمانينات بدأت العمل بمركز دراسات سياسية هدفه إحياء النقاش العام حول قضايا تخص المجتمع. ومن أهم قضاياها الجاليات المسلمة والعربية في الغرب وأوروبا، لما بدأت الظاهرة الثقافية تتبلور أكثر في الثمانينات ثم التسعينات. ووجدت نفسي عمّ أواجه رأي عام، ردود فعل في المجتمع، بل سلوك معين من قبل النساء بالتحديد، سواء العربيات والفرنسيات... ولا شك إن كان من القضايا الساخنة الحجاب، واستمر نقاش الفرنسيين الحاد جداً عنه، لأنه يتحدى القيم العلمانية وحيادية الدولة والمجتمع في القضايا الدينية. انخرطت في النقاش العام بفرنسا ذهبت لمناقشة هذه الأمور بالإذاعات والتلفزيون، لأن خلفيتي إنني "امرأة من أصول عربية، مسلمة، مقيمة في أوروبا، ومتبينة الحدأة بشكل كامل دون أن تنفي أصولها وجذورها"، لكنني قادرة على شرح وتحليل المجتمعات العربية. كان هذا دوري الحقيقة كل مرة أدي فيها، بل المتوقع مني؛ إعطاء رؤية شوية مختلفة عن أي باحث فرنسي أو رجل سياسة. وظهرت كذلك لتحليل قضايا دولية أو سياسية مرتبطة

بمنطقتنا، وطبعًا القضية الفلسطينية، ومواضيع ذات طابع اجتماعي ثقافي مثل قضية تواجد المسلمين وانخراطهم ودمجهم في المجتمع الفرنسي. هذه أمور جعلتني إحدى الباحثات الموجودات في الساحة العامة في فرنسا.

وبقيت بالنسبة للفلسطينيين "صديقة للقضية الفلسطينية" أو مناضلة من أجل هذه القضية، ولكن لست من الأشخاص الذي يمكن يلعبوا دور سياسي مباشر بفلسطين. وظهر عليّ خيار الانخراط في المجتمع والدولة الفرنسية 100%، بمعنى التقدم إلى المسابقات المؤدية إلى الوظائف الرسمية في الدولة، لكنني عمري ما شعرت نفسي فرنسية، أو ممكن أخدم الدول الفرنسية كمسؤولة... ممكن أكون مواطنة فرنسية ثقافيًا واجتماعيًا. ما عندي مشكلة في الاندماج الكامل، لكن سياسيًا، ما لقيت نفسي، امتنعت عن التقدم لمسابقات هذه الوظائف، لأنني ما وجدت خلفيتي الثقافية وتاريخ عائلتي، لأنهم مسيحيين كثير، ممكن تخيلني أكون من المدافعين لصالح فرنسا تجاه العالم الخارجي. لذا فضّلت البقاء في مجال العلاقات الدولية والاختصاص في الشرق الأوسط.

مثلًا انطرح موضوع ساخن جدًا، وهو لبس الحجاب في المدرسة بالنسبة للبنات المسلمات، ودُعيت للنقاشات في الإعلام مع فرنسية أسلمت وتجنبت، وربما أصبحت متديّنة جدًا، تلبس أسود، ولا تصافح حدًا. والإعلام والرأي العام الفرنسي عمّ يشجع على سماع نقاش حدّ بين واحدة غير محبة مسلمة الأصل، اللي هي أنا، والمرأة الفرنسية اللي أسلمت ومحبة. كان موقفني أنا لَمّا تأتيت إلى مجتمع غير مجتمعنا الأصلي من المفروض نعطي أنفسنا وأولادنا كل الفرص للاندماج الكامل في المجتمع، من أجل إنصاف أنفسنا وأطفالنا. بمعنى أنني من المناضلات من أجل الاندماج الحقيقي للمسلمين في فرنسا ليصبحوا مواطنين فرنسيين كاملين، مش بس الحقوق لأن الحقوق على الورق موجودة، إنما مكافحة التمييز ضدهم، يكون المسلم منخرط تمامًا في المجتمع الفرنسي وخاصة البنات والنساء. كان موقفني لبس الحجاب في بلداننا أهلًا وسهلاً به، ما عندي مشكلة مع الحجاب كموقف فكري أو أيديولوجي. إنما موقفني واضح تمامًا في مجتمع النساء فيه سافرات، لكن نحن سافرات أيضًا، لأنه هذا ما يتطلبه الاندماج في هذا المجتمع، أنه مجتمع علماني لأنه عانى كثير في السابق من مواجهات وحروب بسبب الأديان، وتبني العلمانية كحل لتجنب المواجهات بين الأديان، كوسيلة أفضل لمجتمع تتعايش فيه كل مكوناته بسلام. منظومة فكرية وتاريخية، بناها التاريخ الفرنسي، معادية أو تتوجّس من كل شيء ديني، عندي اعتقاد عميق إن من الخطر علينا كمسلمين تجاهل تاريخ البلد، وقيمه الناتجة عن هذا التاريخ، ونتوقع قبولنا.

شو راح يقدم الحجاب؟ القيم في مكان آخر غير المظاهر. وفيه فهم بفرنسا أن الحجاب ليس خيار حر للنساء، بل ضغط اجتماعي من قبل العائلة والبيئة، وهذه عوائد البلدان الأصلية، وتأثير التيارات الإسلامية في المجتمع الفرنسي.

الإقليم الجنوبي في الجمهورية العربية المتحدة سابقًا

1998-1999، اخترت الرجوع للمنطقة العربية، وتحديدًا مصر، وقدمت على وظيفة مقرها القاهرة، مع مؤسسة فورد، اشتغلت معها سبع سنوات تقريبًا... اكتشفت هائل. عشنا سابقًا في القاهرة، لَمّا كنت طفلة، وقت الوحدة بين مصر وسوريا، وتشكّل الجمهورية العربية المتحدة من إقليم شمالي (سوريا) وآخر جنوبي (مصر). بعرف إننا عشنا بس، حتى ما عندي ذاكرة حول هذا الموضوع.

لَمّا رجعت مصر، أواخر التسعينات، كانت حياة اجتماعية وفكرية ومهنية طبعًا، وتقرب من الثقافة العربية والمجتمعات العربية، كَأني خلال فترة الإقامة بالقاهرة أعدت الارتباط بالبيئة، الناس اللي كانوا يزورونا في الخارج سواء ببريطانيا أو فرنسا شفتمهم في ندوات، وعمّ أزورهم.

ثم عدت إلى فرنسا، وظهر عليّ أصير مديرة مركز دراسات اللي اشتغلت فيه سابقًا، لكن ما كان يعنياني إنني إنحوّل لمديرة مركز دراسات فرنسي، لذا كان خيار المشاركة في تأسيس "مبادرة الإصلاح العربي" لأنها بتخليني على علاقة مع مهنتي وبيئتي. حيث أكثر بكثير مشروع تأسيس مركز الدراسات يكون نظرة واسعة على المجتمعات العربية، ويكون فرصة بناء فضاء أو مساحة عربية يجتمع فيها مفكرين عرب، وتطرح كل القضايا ومنها قضايا النساء. شخصيًا كنت مهتمة بالجانب السياسي، وبعدها من خلال العمل بالدول العربية، بدأت تظهر أهمية موضوع المرأة. وهذا -لا شك- فتح عيوني على واقع النساء في العالم العربي. وتشكّلت شبكة من المنظمات تهتم بشؤون المرأة عبر المنطقة العربية كلها، ما عدا سوريا لأن السوريين كانوا ممنوعين من السفر أو المشاركة في أي شيء. المجتمع السوري كان مغلق عليه بطريقة رهيبة. كل العمل، نساء أو غير نساء، كل الأعمال البحثية، كُنّا نتعذب كثير حتى نقدر نجيب سوريات للمشاركة معانا. ما تعرفت وقتها على الحركة النسوية السورية، مثلًا لَمّا كنت أزور سوريا أتجنّب الانخراط بأجواء المعارضة حتى لا أسبب مشاكل لعائلتي ونفسي، لأنه فيه رقابة عليّ.

كنت سامعة عن رابطة المرأة السورية، ونشاطاتها النسوية، لكن بما إنه المشاكل السياسية ضخمة جدًا بسوريا، كان كل اهتمامنا بالشأن السياسي أكثر. وعيت على المجتمع السوري، وتفكيره في القضية النسوية بعد 2011.

مكاسب ظاهرة السيدة الأولى

بالأنظمة الاستبدادية التي كانت قائمة، كان فيه اهتمام بقضايا المرأة، تقريباً لإلهاء الغرب بشيء إيجابي في مجتمعنا، بينما كل شيء سياسياً متوقف ومتجمد في المجتمع. كانت ظاهرة السيدة الأولى في كل بلد بالمنطقة تبادر بالأعمال الخيرية والتوعوية ورعاية الأنشطة النسوية، وكأنها مثل الإمارات في العائلات المالكة في عدة بلدان [عربية]. هذا الشيء كان مزعج لأنه إلهاء عن الحقوق الأخرى المغفلة. لكن بنفس الوقت هذه الظاهرة كانت عمّ تعطي شرعية للعمل من أجل قضايا المرأة رغم كل شيء. وهذا الدور أثر في المجال العام، وأشار إلى إن تاريخ دول عربية مثل مصر لعبت فيه النساء دور، وهو تراث وطني وليس مستورد من الخارج. وكذلك ساهم في تحسين أوضاع المرأة من الناحية القانونية، مثل قانوني الخلع والجنسية في مصر.

مثلاً الثورات ما جابت تحرر للمرأة من 2011 لحد الآن، لكن انفتح باب المشاكل على مصراعيه من خلال الثورات، وانطرح كل القضايا الجوهرية التي معطلة المواطنة مثل العنف في المجتمع، والطائفية فيه وعي كبير جداً عند النساء، وتحرك للمجموعات النسوية إن هذه لحظتنا والثورة اجتماعية وليست فقط سياسية. ازدادت الحركات النسوية، وظهرت على الساحة في كل المنطقة. إلا إن الانجازات كثير محدودة حتى الآن.

مثلاً حديث جداً بالنسبة لي التحول الفكري نحو ضرورة الرؤية النسوية، ما كنت شائعة إن الشأن السياسي، وقضية مواجهة الاستبداد وطرح الحقوق والديمقراطية، مرتبطة بشكل عضوي بقضية المرأة. ربما لأن النظريات أو الكتابات النظرية باللغة العربية أو التي نمت في مجتمعاتنا عن القضية النسوية في العالم العربي قليلة جداً. مثلاً أول صدمة عشتها لما وصلت مصر، كنت متوقعة إن أخيراً راح أجد الحركات النسوية، وفيه قسم دراسات المرأة في الجامعات، وفيه دراسات باللغة العربية كتبتها باحثات عربيات، لكن لقيت كثير محدود هذا الشيء. عمّ نعيش مع كتابات جاية من الخارج، وهذا الشيء آخر كثير تعريفنا للمواضيع، وطرخنا لقضايانا. لليوم إحنا متأثرين كثير بالفكر الغربي، لأنه ما أنتجنا معرفة نظرية كافية نبني عليها استراتيجياتنا. هذه نقطة ضعف كبيرة، وأكيد أنا بجهل جزء من الكتابات والأدبيات حول المرأة لأنني غير مختصة في هذا الشأن. لكن بانفراطي مع باحثات، لا أجد فكر عربي أصلي منطلق من مجتمعاتنا حول قضايا المرأة.

مثلاً الحقل السياسي في سوريا، 97% منه ذكوري، قضيتنا عويصة وصعبة، وبذها وقت كبير، النساء غير موجودات

في مؤسسات المعارضة السورية، وهي مؤسسات صعبة جداً، فيها ممارسات عنف، وعنف بطريقتي التعامل، وفيها ذهنية غير ديمقراطية وطموحات غير واقعية. كل العالم يشير إلى سوريا لأنها أصعب بلد بالعالم. لمواجهة ذلك، هل عندنا التواضع الكافي عند الطبقة السياسية إنها تعي صعوبة المرحلة الانتقالية؟ هل هؤلاء الرجال شايفين حدود معرفتهم بقضايا المرحلة الانتقالية والتحديات؟ هل يعرفوا من وين لازم يبدأوا؟ شو تسلسل الخطوات حتى نتجح وما نفشل هون، وبالتالي نفشل بكل العملية؟ شعوري إن النساء عمّ تشوف هذا الشيء، والنساء السوريات انفتح لهم مجال المشاركة دولياً، لكن قبل الثورات ما كنا نقدر بـ "مبادرة الإصلاح العربي" نجيب السوريين ولا السوريات على اجتماعاتنا. ومع فتح فضاء الثورة، فُتح المجال أمامهم، حتى لو افتراضي. كل تواصلهم مع الخارج هو عبر سكايب أو زوم، ومع ذلك بدأوا يشوفوا العالم شو يفكر، نساء السويد شو تكتب، اهتمام العالم بالنساء السوريات وإمكانية مساهمتهم في العملية في بناء السلام في سوريا. الإشارة إلى قرارات الأمم المتحدة وقرار women peace and security هذه كلها تنسبونها للنساء السوريات بعطش، وصار يعرفوها. فيه نهضة هائلة من حيث المعرفة، إن هذا العالم شو يصير فيه بهذه الأمور، وليس يحكي عن مساهمة المرأة المميزة في العمليات السلمية، وفي بناء السلام في بلدانها. لا شك إن المرأة السورية شايعة الصعوبات، ما راح أقول كل النساء السوريات، مستوى التحديات أكثر مما عمّ أشوف عند رجال منفرطين في السياسة همهم إنهم يوصلوا لمناصب. هذه ظاهرة واضحة تماماً، المرأة ما شايعة حالياً توصل لهذه المناصب، بالتالي مستوعبة أو واعية أو بنظر أكثر، وبذها تعرف أكثر إنه شو التحديات، وكيف لازم نطرح قضايانا، وطبقاً لقضايا المرأة، وإذا لم تحصل على مواطنة متساوية حقيقية في سوريا، فمعركتنا راح نفشل، والنسوية عند النساء. خيلنا لمدى خمس سنين بنقول: "يا جماعة موضوع المرأة بييجي بعدين، خيلنا الأول نحل قضايا الاستبداد ونخلص من العنف". اتضح هلا إنه لا، بل صار فيه لاعب اسمه المرأة في الصراع السوري، هذا الشيء ظهر.

في انتظار حدوث نضج جماعي

لكن تلت أرباع العالم صار بئس من إن الحالة السورية ممكن تنتهي بحل حقيقي، ينهي الاستبداد أو يعيد السلام لهذا المجتمع أو يعيد البلد بوحدة أراضيها وشعبها. سوريا أكيد معرّضة اليوم لتشتت أو تشرذم، لتقسيم، لتقاسم الدول التي جيوشها محتلة الأراضي السورية، لكل المخاطر. النظرة خيلنا نقول قاتمة. المشهد قائم جداً في الوقت

الحالي. مُتَوَقَّع إن الحل يأتي نتيجة تسوية بين الدول، وما يكون فيه رأي حقيقي للسوريين في هذا الشأن، لا من طرف أو طرف آخر، معارضة أو نظام. لَمَّا تُنتج هذه التسوية ما منعرف شو شكلها. يجوز تنتج دولة مشوّهة، إنما في هديك اللحظة راح نحتاج للسوريين لحتى ينظموا البلد بالشكل اللي راح نجد الحل فيه. اللي راح يرسموا ها الإطار الجديد الخارج وليس السوريين. أعتقد إن المعركة اليوم هي هذه. وإحنا كسوريين إذا قادرين نجهز أنفسنا للمرحلة القادمة، لأنه قادمة المرحلة هذه، ويمكن ينتج شيء مشوّه تمامًا وغير قابل للحياة، وقد يعيد الحرب لسوريا، وهذا أكثر شيء، بخلاف منه. لكن إذا قيل لنا حكومة انتقالية هيكلها، ومجلس عسكري هيكله، والأمن هيكلها، والقوى الأجنبية تطلع بعد كذا فترة، وبضل شكلها هيكل. لبنان عاش تجارب من هذا النوع، ودول كثير عاشت تجارب من هذا النوع. لكن هل إحنا جاهزين؟ أقول لسه، لا لحماية استقلالية قراراتنا كسوريين أو حفظ أمن البلد، وهذا المعنى راح يكون فيه تأثير كبير للدول الخارجية إذا كنّا غير قادرين يكون لنا تصور لموضوع الأمن في سوريا. إننا ما يكون عندنا قدرة حفظ الأمن، وبالتالي الدول الثانية تحفظ لنا أمننا، وأمننا لم يكن أمر وطني سيكون أمنهم أكثر من أمننا. إذا إحنا عندنا تحديات، عشان هيكل الصورة قائمة. لكن في أمور جوهرية هي مفاهيم لازم نصل لها، هذا مجتمع عاش تحت الاستبداد 50 سنة، خلالها ما في أحزاب سياسية حقيقية تشكّلت وقدرت تبني لنفسها قاعدة شعبية، وتمارس العمل السياسي بشكل حقيقي، هذه المساحة مغلقة. بما إنه مغلقة، الأحزاب السياسية لا تمثّل المجتمع، ومجتمعنا خارج الأطر السياسية تمامًا. اليوم السوريين اللي عندهم قدرات، وكفاءات، وعندهم إمكانيات المشاركة، نساء ورجالًا كنّار، ومنهم نساء رائعات بكل المجالات ها دول ما دخلوا الأطر السياسية أبدًا لأنهم غير معنيين، شو يعملوا؟ يفوتوا على حزب سياسي عشان يفوتوا على السجن؟ ولّا يفوتوا على حزب سياسي عشان يروحوا يحضروا اجتماع في صالون؟ ما بيعني لهم شيء كان هذا الشيء. بالتالي هذا واقعنا، هذا المشهد. أحزاب سياسية وهمية إلى حد بعيد جدًا، المجتمع السوري خارجها. هذا التحدي الأكبر، هذا التحدي مطروح على السوريين مثل ما مطروح على اللبنانيين اليوم، أو كان مطروح على المصريين في لحظة الثورة. المجتمع المدني في مرحلة انتقالية، ما لازم يعتبر نفسه خارج السياسة. بالعكس، هو لاعب أساسي في بناء العمل الوطني، لأنه لسه ما عمل سياسي، هذا عمل وطني لبناء البلد. لسه ما عمّ نلعب سياسة، بل نلعب بناء وطن. هون كل القدرات بدّنا إياها تشارك. ما هي الأشكال التنظيمية اللي تسمح لنا تجمع قدرات المجتمع، ونعطيها إطار سياسي يسمح لها إنها

تتقدم إلى الشعب في عملية انتخابية، في تفاوض، في المشاركة في العمل في حكومة، وفي صنع القرار؟

مثلًا اتضح إنه ما بيكفي نازل على الشارع. غير قادرين أن نشارك بالانتخابات. طب نشكل أحزاب؟ طب الأحزاب ما نجحت. شو الحلول الثانية؟ هذه الأطر البديلة ما زلنا ما كوّنّاها. هون بشوف إن هذه فرصة حقيقية، إذا استطعنا نبني الرؤية اللي بتقول إن المجتمع حتى يشارك بالعملية الانتقالية، هو عمل وطني وليس عمل يميز بين السياسي والمجتمع المدني، راح نقدر ندخل كل القدرات، وراح نقدر ندخل كل النساء، لأنه النساء ما اشتغلت بالسياسة حتى الآن. فيه معارضات، مناضلات سجت بسوريا، وأخريات موجودات بالأحزاب، لكن بلا دور أو مضطهدات داخل هذه الأحزاب. لذا فتح هذه المساحة بمفهوم جديد للعمل السياسي هو فرصتنا أننا نجيب الشباب والنساء، أو خلينا نبدأ بالنساء، شبّابات وغير شبّابات، والشباب بشكل عام، وكل المجتمع بكل قدراته، وبكل مهاراته. هذا بعقد التحدي الأكبر.

بالنسبة للمجتمعات اللي عاشت ثورات، فتحت مرحلة عدم استقرار برؤية العالم، مخيفة بالنسبة للعالم، لأنه فوضى، والأمن غير موجود، وتيارات راديكالية، وهجرات. هيدي حالة العالم بصراحة بدأ يتعافى معها، ويعتبر هذه المنطقة منطقة خطرة جدًا. طور وسائل حماية نفسه منها. هذا الشيء، بشع جدًا أخلاقيًا، لكن واقع سياسي لازم نتعامل معه. ربما يعطينا حالة أقل ندخل من هذه الدول في منطقنا، لأن النفط بدأت تنزل أهميته، وما فيه غير ليبيا المهمة اللي هي بتؤثر بالعالم. باقي الدول ممكن العالم ما يعطيها أولوية، وممكن يهتم بشؤون أخرى، ويعتبر إن آسيا أهم، وإفريقيا عمّ تتطور، وشوي يهمل المنطقة، وإن هذا الشيء، صار إهمالنا راح يخلينا نضطر نواجه مشاكلنا بتحمل مسؤوليتنا بشكل كامل، وعدم رمي المسؤولية على دول الخارج. اهتمام العالم أصبح أقل بالمنطقة العربية، وإحنا كمجتمعات لازم نعيش كمجتمعات أشبه بدولة عادية، لأن لحد الآن ما كنّا دول عادية. بناءً عليه، يصير فيه التفاعل الاجتماعي اللي بيصير والسياسي ضمن المجتمع. هذا الشيء، إذا تطور بشكل طبيعي، أماننا مرحلة عدم استقرار، وحروب ربما، وعنّف، إنما تطور نحو التغيير الحقيقي، لأنه مهمّا قلنا خلينا نقول النظام الإقليمي السابق انقلب، ما عاد موجود. التخلص منه مكلف جدًا صحيح، ولكنه انهار. بالتالي فيه مجتمعات بتعيش سنوات من العنف المستمر، ولكن بذهّا تيجي لحظة -ونأمل ما تكون بعيدة- نضج جماعي، ومجتمعنا فيها قدرات فردية هائلة، لكن هذه القدرات الفردية حتى الآن ما أعطيت فرصة إنها تتفاعل مع بعضها وتتجمّع من أجل بناء شيء

حقيقي. لليوم فيه أشطر باحثين، وأشطر عقول عربية موجودة في أكبر الجامعات بالعالم، لأنهم أفراد لامعين جدًا. وهذه القدرات موجودة في كل أنحاء العالم أكثر من داخل البلدان لأنه الناس ينخرج إلى الخارج حتى تمارس هذه المهارات أو القدرات اللي عندها. الفرصة.. لحظة اللي تحتاج للمجتمعات إنها تنتج شيء اجتماعي، عشان هيك تحدثت عن التحدي الأكبر اللي هو إيجاد هذه الأطر اللي بتسمح للعمل الجماعي. بتسمح لجمع القدرات حتى تنتج شيء مع بعضها. ما يعرف بالعربي شو هي الكلمة، لكن تركيب القدرات مع بعضها aggregation of talents. هذا اللي لازم نسعى له. وين المساحة؟ لحد الآن لا المساحة ولا الأطر انفتحت أمامنا، لكن هل بدنا تربية من أول وجديد حتى تصير عندنا عقول؟ لا موجودة هذه العقول، هذه القدرات موجودة، مهما قولنا مستوى التعليم بمنطقتنا منه بسوء مناطق أخرى. سوريا وكل عيوبها، ونظامها السياسي بكل عيوبه، منظومة التعليم مقبولة، وعندي ثقة إنه لحظة إيجاد الأطر اللي تسمح لنا إننا نجمع قدراتنا في أي مجال، قطاع خاص، تعليم، وخاصة سياسية يعني بالشأن العام، هذا بداية الإنقاذ لمجتمعاتنا. ما بنقدر نعيش بحالة انهيار أكثر من هيك. أعتقد العالم راح يبلش يعتبر إنه يمكن ميؤوس منها، مغلش خيلنا نبني آمال جديدة من غير ما العالم يؤمن فينا.

رولا الركبي: السورية تحمل بيتها وهمها وين ما راحت

رولا الركبي، ناشطة سياسية ونسوية مواليد 1957، من مدينة حماة.

في شهادتها، تحكي رولا عن انشغالها بالعمل التطوعي قبل أن يتجاوز عمرها 12 عامًا، وذلك بتعليم النساء الريفيات الأميات القراءة والكتابة في حماة، وهو ما عزز انشغالها بالشأن العام. وانطلاقاً من معاناتها كأم حاضنة لطفلة داخل سوريا، انشغلت رولا بالنضال من أجل نيل المرأة السورية حقوقها.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 5 شباط/فبراير 2021.

نسويتي تقاطعية

فتحت عيني على الدنيا وفيه نظام قمعي ديكتاتوري، إجباري يكون عندي اهتمام بالشأن العام، لأن وجودي مرتبط بنضالي ضد هذا النظام القمعي الديكتاتوري، وإلا أنا ما لي أي حق أو وجود.

مقاربتني للنسوية هي مقارنة تقاطعية، كل القضايا الأساسية التي طول عمري عندي أمل فيها، واشتغلت عشانها، بقاربها من نضالي النسوي. الديمقراطية ما تصير دون مشاركة النساء، المساواة ما تصير بدون ما يكون للنساء وجود، الحراك المجتمعي ما يصير بدون وجود حقيقي للنساء... كل هذه المواضيع التي اشتغلت عليها طول عمري ما بتصير بدون النساء. لذا، تجربتي هي المقاربة التقاطعية للقضية النسوية.

بجيلي الشأن العام كان حاضر بحياتنا اليومية، من عمر 12 سنة بطلع مظاهرات لمناصرة القضية الفلسطينية، ومن وقتها كنت أدرس بجمعية "المرأة العربية" -التي أسستها عمتي في 1950- لنساء أميات بالريف السوري بمنطقة حماة. من صغري شيء مهم بتربيتنا العمل التطوعي، لأن هذا هو أساس يبني عليه التكتل المجتمعي والدعم المجتمعي.

تعلمت بمدارس حماة حتى البكالوريا (1977)، ثم درست

الأدب الفرنسي بالشام، وتركزت الدراسة فترة، ورجعت كملت، ثم دراسات عليا "تاريخ" بفرنسا، وعشت هناك فترة، وفي التسعينات رديت على سوريا. بآشت شغل بالتجمعات والحركات التي كانت، وفي 1998-1999، صارت نقلة باتجاه النسوية وحقوق النساء.

مثلاً لما طلع بيان الـ99، والحراك الذي صار مع منظمات المجتمع المدني غير المعلن (غير رسمي)، كثير صار حركات مجتمعية، وكنت حاضرة فيها مثل كل الشباب بهذا الوقت، منخرطين بكل الهموم والمشاكل الموجودة بمجتمعنا.

بـ2008، عملنا جمعية مع مجموعة من الأصدقاء اسمها "جمعية الدفاع عن العلمانية"، لكن خلال التسجيل بوزارة الشؤون، طلع أول اعتراض على تسميتها، لأن النظام صحيح يعتبر حاله "علماني" لكنه يخاف من القوى الإسلامية المتشددة، ويخاف إن هذه الجمعية تهاجم الإسلاميين. غيرنا الاسم لـ "جمعية المعري"، وبالنهاية ما وافقوا لنا. ما في شيء لأنه ما في موافقة أمنية على الأشخاص القائمين على الجمعية. لا تملكي الساحة العامة، لا يحق لك تحكي أو تعطي أفكار مخالفة، لذلك إحنا مقطوعين عن جمهورنا، كيف بدنا نتواصل؟

بـ2009 صرت نسوية فعالة، مش نسوية بس بأفكاري، وبلشنا بتجمع اسمه "تجمع السوريات الديمقراطي"، والتي دفشنني في هذا الاتجاه هو تجربتي الشخصية، لما قالت لي صديقة نسوية مخضمة: "وين الحقوق اللي إنت حاصلة عليها؟ طلقني وبتك معك، ومع وصولها لغمر 11 بالقانون السوري تتأخذ منك وتعطى لأبوها لأنه ما يحق لك الحضنة" وقتها ضربت فرامل، واكتشفت أننا كنساء حقوقنا مهضومة لأن قانون الأحوال الشخصية مش معترف بحقنا، ومن هون بلبشت العمل كنسوية.

وبلشت أشتغل على قضايا لها علاقة بحقوق النساء مثل قانون الأحوال الشخصية المجحف تجاه المرأة، ما يحق لها تكون وصية على أولادها، وتابعة للرجال، مفاهيم الشرف، الإرث، الجنسية. عملنا كثير حملات عشان تغيير قانون الأحوال الشخصية، لكنها مش معركة قانونية بس، بل مجتمعية، بدّا تغيير البنية المجتمعية والعقلية، والمناهج الدراسية. هذا جهد تراكمي ما يصير بين عشية وضحاها.

طبعاً فيه نسويات قبلي كثير اشتغلن على الموضوع، مثلاً الجيل الذي قبلي اشتغل بشكل مؤسسات، مثل "رابطة النساء السوريات"، كانت مع الحزب الشيوعي السوري، ثم

1 بيان صدر عقب وفاة حافظ الأسد في حزيران/يونيو 2000، وقع عليه 99 منمها سوريا، للمطالبة بإصلاح سياسات والسماح بالتعددية السياسية، وذلك نجاح نقاشات حزب في مجالس مدنية غير رسمية. البيان أعلن عنه في أنطول/سليم، في ما عرف بـ "رسم دمشق".

استقلت وصارت الرابطة بحالها. أكثر جيل طليعي نسوي هو موجود خربح رابطة النساء السوريات، مثل نوال يازجي. لكن إحنا الجيل اللي اشتغل بالعمل النسوي، لكن ما كان لنا تأثير مجتمعي، شو آثرنا على القوانين؟

ومن 2012 بَلَّشنا نستوعب إحنا باسم مين بنحكي، ما قدرنا نعمل تغيير لحد هَلْ بمجتمعنا، وهذا معناه إن فيه شيء غلط. يا إما طرحننا لازم يتغير، مو معناه ننازل عن مبادئنا وأفكارنا، بس لازم تكون المقاربة مختلفة ليصير عندنا فعلاً جمهور. ولكن الوضع اختلف لَمَّا جيت على لبنان في 2017؛ احنكيت بالنساء القاعديات، ولم أعد مؤمنة بمبدأ أن النسوية عابرة لكل الثقافات والمجتمعات، لأن لكل مجتمع خصوصيته، okay فيه أشياء عابرة للثقافات والمجتمعات، بس لَمَّا تكون المرأة بالخير مش لاقية تاكل ولَّا تشرب، أولادها ما يبروحوا تعليم، ما عندها الحد الأدنى من الكرامة الإنسانية، صعب تيجي تحكيها بالمساواة وحقوقها... مقاربتك بتكون مختلفة. من خلال شغلي بمراكز "النساء الآن" بالقطاع، حسيت إننا صار لنا تأثير إيجابي على عدد كثير كبير من النساء. عندنا فيه برنامج اسمه "المشاركة"، سواء المشاركة أو بناء القدرات. صارت فيه مقاربة كثير واقعية وتتناسب مع شو يتفكر النساء، وشو هي احتياجات النساء، بل صار لنا تأثير حقيقي على المجتمعات.

ما كسبته المرأة من الثورة

الثورة كانت أكثر شغلة إيجابية صارت بحياتنا، بس بشوف الحق علينا -إحنا الجيل الميسس- ما قدرنا نعمل قيادة سياسية للثورة، وعليه صار مال سياسي وتدخل دولي، لأن الدول لها مصالح، وإحنا ما قدرنا نوقف هذا التدخل، مثلاً أنا لا زالت مع وحدة سوريا، وضد أي تدخل خارجي، سواء حزب الله، أو روسيا، أو إيران، أو أمريكا، أو أي حدا.

مثلاً نتيجة العنف اللي مورس على السوريين، تشرذم المجتمع السوري، ما عاد فيه شيء اسمه مجتمع. السوريين تشرذوا، اللي ما هاجر برّات البلد انهّد بيته واضطر ينزح لداخل البلد لمناطق ثانية. انهدت كل البنى التحتية الاجتماعية والاقتصادية بالبلد. في حالة اقتصادية من الجوع، من العوز. الناس ما يعرف كيف عايشين؟! ما فيه كهرباء أو مياه، كل البنية التحتية تخربت. هذا ينعكس على البنية الاجتماعية، الأسر تفتّتت، بكل منطقة في العالم فيه فرد من الأسرة، بمجتمعنا العائلة هي الحامل الأساسي من حوامل المجتمع، هذا تفكك، ما عاد موجود. بنفس الوقت، هذا أدى لشيء إيجابي على صعيد الأفكار، صارت خلخلة إيجابية بنسب المجتمع، احتكاك بناس وثقافات، والصدمات كلها بتخليكي تعيدي النظر بأفكارك وبما تؤمن به. تطورت النساء كثير على صعيد مطابتهن بحريتهن،

اعتمادهن على خالهن. إننا لازم نكون مستقلة، ويكون عندنا استقلال اقتصادي. تسألينها: إذا ترجعي على سوريا تبطلين تشتغلي؟ ترد: "مشر، بضل اشتغل لأنني بضل حرة، ومسؤولة عن حالي". صارت فيه خلخلة إيجابية على صعيد الأفكار.

هذا على المستوى الفردي والاجتماعي للمرأة، وبالنسبة لوجودها سياسياً، أصّرنا على حضور المرأة السورية على طاولة المفاوضات السياسية اللي عمّ بتصير بالنسبة لسوريا. لذا، أسسنا شيء اسمه "الحركة السياسية النسوية السورية"، وعمّ نحاول يكون لنا وجود ككتلة نسوية بكل التشكيلات والحركات السياسية الموجودة. وبالنسبة للنسويات والمنظمات، الحراك النسوي السوري يشتغل على أوراق معرفية، وتغيير مفاهيم وإنتاج المعرفة، أكثر منه يشتغل على الأرض. الداعم إلّك هو مجتمعك المفروض، إحنا ما عندنا صلة مباشرة معه، فيه صلة بس كثير بسيطة. وفيه جيل جديد من النسويات الصبايا كثير ثوري، وعمّ يشتغل شغل طلو كمان على مفهوم "الأختية" والنضام، وباقى قضايا النساء وهذا يحدث بقلب سوريا وبرآتها. بالطبع الحضور الفيزيائي أكثر برّات سوريا، بدول الجوار: تركيا ولبنان والأردن، والسوريات موزعات بالشّتات، يعني diaspora السورية.

وداخل سوريا، فيه منظمات نسوية تأسست تحت مظلة أسماء الأسد، لأن ما حدا بحق له يشتغل إلا تحت هذه المظلة. وفيه شوية حراك أو عمل نسوي غير مُعلن، تجمعات صغيرة تعمل شيء مو رسمي. طبعا هناك منظمات خيرية، أغلبها إسلامية.

لستُ شجرة

على مدار السنوات ومع كثرة التجارب، لاحظت تغيير بعض المحددات الأساسية عندي، مثلاً العروبة كانت بالنسبة لي حاضنة ثقافية أكثر من كونها انتماء، لكن صار ما عندي مشكلة نقول "الجمهورية السورية"، بدل "الجمهورية العربية السورية"، ليش طالما داخل سوريا فيه مكونات وأقليات غير عربية مثل الأكراد. بحس حالي مع الزمن ما عدت أشوف هذه المحددات على أنها أساسية، لكن طبعا بتضل موجودة، بس موقفي منها ما عاد بنفس الحدية.

مثل كنت ما أتخيل حالي أعيش برّات سوريا، لكن هَلْ ما عندي مشكلة، الإنسان بالنهاية مش شجرة، أنا بحمل عالمي، لست شجرة جذوري بالأرض، لا، أنا كمواطنة سورية حاملة همي وين ما روحت، بيني وجّاتي.

ريما فليحان: المرأة صاحبة الصوت العالي مستهدفة

ريما فليحان، مواليد 1975، كاتبة أدب ودراما، شاركت في كتابة أفلام ومسلسلات درامية تناولت قضايا المرأة ومشكلاتها، ولها نشاط حقوقي حيث عملت في مرصد نساء سوريا. وهي عضوة سابقة في الائتلاف الوطني السوري المعارض الذي أسس عقب ثورة 2011 (استقالت في 2014). في شهادتها، ترى ريما أنَّ المرأة يجب أن تشارك في الحياة السياسية والشأن العام، حتى يتغير المجتمع، ومن دون مشاركتها سيبقى الحال كما هو عليه، ولن يكون هناك تعديل في القوانين أو المجتمع أو طرائق التفكير.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 24 تموز/يوليو 2020.

التغيير ممكن

أصلي من مدينة السويداء بالجنوب، وبحكم خدمة والدي كضابط بالجيش في حلب خلقت هُنيك. وبعدين نقلنا لدمشق، توفي والدي وعمري عشر سنوات، وبعدين رجعنا للسويداء حيث توجد عائلتي، وكانت أسرنا الصغيرة هي أسرة نساء، والدتي وأنا وأختي اللي أصغر مني. وبلّشت ائلمس ملامح الصعوبات التي تعانيها المرأة السورية من سن الطفولة. وحلمت بتغيير المجتمع ليكون واقع أفضل للنساء من سن المراهقة وبداية الدخول إلى سن الشباب.

مثلاً من الأحداث اللي كانت تخلق عندي ردة فعل كبيرة؛ لما تكون فيه انتخابات سورية، وإجبار الناس تزوج، وتحدث عمليات التصويت الإجبارية بوجود الشرطة، ما فيه غرف سرية، مثلاً الرجل يمسكوا له إصبعه ويشكوا إياه بدبوس حتى يبصم بالدم. هذا كثير سبب لي نوع من الغضب الشديد، حالة ثورة داخلية، ما فيني اتحمل هذه المشاهدات، اللي هي عبارة عن استهزاء فينا كمواطنين، وعلى حقنا إننا نختار. هذا كان بسن مبكرة، ورأيت ظلم اجتماعي بشكل كثير كبير، وصارت ثورة داخلية، وتلمّست طريقي نتيجة هذا الظلم. تعرضت بسن مبكرة للسخرية من المحيط "بذكّ تغيري؟" وكنت أرد على السخرية وأقول: لو كل واحد فيكم بيعمل مثلي بتغير.

بعد الثانوية العامة درست لفترة الأدب العربي، ثم سجّلت بالحقوق. في هذه الفترة تزوجت، وصار عندي طفلين، ولد و بنت. ومن عُمر 20 سنة، بدأت نشاطي بالعمل في المجتمع المدني وحقوق النساء. تعرّفت على مجموعات صغيرة من النساء، أول شيء كان بالسويداء، ناشطات ضمن رابطة النساء السوريات. من خلالهنّ، تعرّفت على شخصيات أخريات بدمشق، مثل سوسن زكزك ونوال يازجي، وبعدين حضرت لقاءات وندوات الدكتوراة مية الرحي. ووقتها، قررت إن العمل النسوي راح يكون هاجسي بالحياة، فضلاً عن العمل المجتمعي وحقوق الإنسان. وبدأت تجربتي الكتابية كمان تنضج، وكتبت قصص قصيرة ومقالات لها علاقة بالشأن الاجتماعي، بداية الكتابة بين 2004-2005، بسبب وقوع جريمة بالسويداء، قُتل فتاة اسمها هدى أبو عسلي¹ على يد أخيها، وصارت حالة احتفالية بالمجتمع بجريمة القتل، وهذا سبب لي صدمة، وكتبت عريضة، وحصلت على توقيعات من مدينة السويداء ضد "جرائم الشرف" لتغيير الموروث. من خلال هذه العريضة، تواصلت مع مرصد نساء سوريا، وبعدين صرت ضمن فريق العمل، وبلّشنا نشغل في الحملة الوطنية ضد "جرائم الشرف". وساهمت دراستي للحقوق في فهمي للعمق القانوني للمشكلة بالإضافة للعمق الاجتماعي. كمان تعرّفت على بعض الشخصيات من إعلان دمشق² المعارض، وتعمّقت أكثر بمجال حقوق الإنسان دون الانتساب بشكل رسمي للإعلان، لكن كان محيطي معارضين أو نشطاء حقوق إنسان.

بعام 2007، دخلت مجال كتابة السيناريو، بعد ما تعرّفت على الفنانة يارا صبري.

كتابة السيناريو خلقت لي عالم أوسع للدخول بتفاصيل الأشياء وأنسبتها. يعني لو كتبت مئات المقالات، قد أيش ممكن توصل لناس؟ لكن لما بتكتبي مسلسل ملايين الناس يبشوفوه، ويفتح حوار من غير استئذان داخل الأسر. هذا فتح لي عالم كبير.

أول مشروع درامي كتبتّه كان اسمه "قلوب صغيرة"، وصيّبت فيه تجربتي الحياتية والأشياء والحوادث الحقيقية اللي اشتغلت عليها، بالإضافة للأشياء اللي قرأت عنها أو عملت تحقيقات عنها. لذلك هو عالم مجموعات كبيرة من المشكلات المجتمعية لها علاقة بحقوق النساء أو "جرائم الشرف" أو الانتهاكات اللي كانت ضد الأطفال أو النساء، حتى المشاكل

1 هدى أبو عسلي طالبة دافعة ملبت على يد أخيها في 2005، وذلك لزواجها دون رغبة أهلها من شاب غير منتم إلى الطائفة الدرزية.

2 بيان صدر في 2005، وضع عليه 99 منمقا سوريا، للمطالبة باصلاح سياسي داخلي والسماح بالتعددية السياسية، وذلك بناج نقاشات سابقة بدأت في أعقاب دخول الولايات المتحدة إلى العراق (2003).

التي كانت موجودة بالمئات. كان مسلسل كثير قوي، وفيه كثير محاور ضخمة، وعمل صدمة بالمجتمع. وبنفس العام، 2007، كنت مدعوة للمشاركة بمؤتمر له علاقة بحقوق الإنسان بالقاهرة، واكتشفت بالمطار أنني ممنوعة من السفر، وذلك بسبب المقالات التي عمّ أكتبها ونشاطي العام في مجال حقوق الإنسان ومفضح الفساد. وكنت معرضة لإزعاج من القوى الأمنية السورية، ومتابعة وملاحقة. ووقتها كنت عمّ أشتغل بأحد المشافي الخاصة، بالإدارة المالية والإدارية، وتعرضت لمضايقات كثير كبيرة. وبعدين انتقلت لمدينة دمشق، وصار مجالي العملي هو موضوع كتابة السيناريو، وكتبت مسلسلي الثاني "قيود الروح"، ومجموعة أفلام، ومضات درامية توعوية لها علاقة بمشاكل المرأة.

من السلمية إلى العنف

مع الربيع العربي، تحمست من أول حراك تونس. قلبي نبض مع كل صرخة وصوت، في انتظار أنه يصير عندنا نفس الشيء. لما نزل الشارع المصري، كنا مثل المجانين، حالة لا يمكن وصفها. نزلنا الشارع لأول مرة للتضامن مع المصريين أمام السفارة المصرية بدوّار كفر سوسة بدمشق، كنا عبارة عن 60 شخص، نساء ورجال، منهم فنانات ونشطاء، من كل الشريحة المثقفة التي كانت عمّ تغلي مثل بعضها. نزلنا كان عملياً تضامناً، وفي نفس الوقت جس نبض؛ تعاطي الأمن مع المسألة جس نبض لنا، وإحنا كنا عمّ نجس نبض لهم، لنشوف إذا نزلنا شو يصير، وفعلنا ما خيوا ظننا، فرقموا المظاهرة خلال دقائق. وكانت هذه أول مرة نزل فيها على الشارع. بدأ بعدها الحراك في سوريا.

سوريا ببداية الحراك السلمي، كان فيه شعور عام بالتفاؤل لأننا شوفنا نجاح التجربة بتونس، وأيضاً استقلال حسني مبارك بمصر. وبالتالي صار عندنا شعور إننا ممكن نعمل فرق. والناس كانوا مشاركين بالشارع، مشاركة نسائية واسعة ومذهلة بالمظاهرات، وتنظيمها، والإغاثة، وبكل مجالات الحالة. طبعا المجتمع السوري بفترتها كان منقسم ما بين مؤيد لهذا الحراك والشريحة الصامتة التي ما قادرة تحدد موقف، وتفضل إنها تكون بعيدة، يعني لا مع أو ضد، غير الشريحة المؤيدة للنظام. هذا سبب خضة كبيرة مجتمعية بكل أسرة سورية، لكن ما كان فيه أدنى كبير على الهوية السورية أو على الانتماء العام للناس. من أول يوم بآش فيه الحراك، كان فيه عنف مبالغ فيه من قبل النظام، واعتقالات وقتل وتعذيب وحصار. هذا سبب تدريجياً إن فيه ناس روجت لفكرة حمل السلاح. بالإضافة، صار فيه تشجيع من قبل بعض الأطراف على حمل السلاح، وهذا كان خطأ شديد وبشع، لكن تم. وبعد ما صارت فيه مجموعات مسلحة في سوريا، وصار فيه قتال، يعني معارك حقيقية

على الأرض بالمدن. وبدأت حركة اللجوء السورية، وبالتالي تشردت الأسر. انخفض الحراك المدني، وارتفع صوت السلاح. صار فيه تنازع بالهوية السورية، بطل يكون فيه انتماء واحد. صار فيه أكثر من علم، وأكثر من هوية، صارت الهويات الضيقة هي التي تطلع. صارت الهويات الضيقة تطفو على الهوية الوطنية الجامعة للناس، وبالتالي برز الانتماء المنطقي أو الديني أو العشائري أو الإثني. وهذا سبب تفتت بالمجتمع السوري، وهذا كثير كان سيئ. طبعا الفلام على هذا الموضوع مش الحراك السلمي الذي طلع ببداية الثورة، لأن هو أبداً ما كان هذا هاجسه أو همه، بل العنف، وخاصة العنف الأكبر الذي كان ممارس من قبل النظام، بدل ما يصير محاولة للحوار السياسي، والتغيير التدريجي والانتقال السلس للسلطة، والتغيير الديمقراطي. هذا كله ما اقترب منه النظام، ولا شكلياً. بعدين ازدادت الحالة بشاعة. طبعا صارت فيه تدخلات إقليمية ودولية كبيرة بالحالة السورية، ونعرات طائفية لمان كثير كبيرة ارتفعت حدثها. صار عندك عملياً نصف الشعب السوري مشرداً ما بين الداخل والخارج.

الثورة من منظور شخصي

مثلاً ببداية الثورة لما صار حصار درعة وصلت لي صورة على فيسبوك من صحفي من درعة لأم حاملة طفل صغير ماسك قنينة حليب قاضية، وكاتيين على جبينه "جعان"، وفيه نقص بالحليب، وهذا كثير أثر في. وكتبت بيان على صفحتي "نداء إلى الحكومة السورية من أجل أطفال درعة"، وفتحت للتوقيع. كان بيان بسيط وسطحي عبارة عن 3 أسطر ونصف مش أكثر، وعمّ بيطلب بعدم الحصار الغذائي والاقتصادي وإدخال مساعدات وحليب أطفال لدرعة. بلّشت الناس توقع بشكل كثير كبير، وخلال 3 أيام كان فيه 1200 توقيع على البيان. هذا عمل حالة هلع عند النظام السوري. وبدأت حملة تشهير مرعبة وتخوين وتهديد واعتقالات وأذى شديد ما صار بالتاريخ ضد الناس، وخاصة الفنانين التي وقّعوا، وكنت أنا، ويارا صبري، ورشا شريتي، وكندة علوش، وماهر صليبان، ومنى واصف، مستهدفات.

من أول المظاهرات كنت عمّ أشارك بالبداية بدمشق، وبعدين انتسبت للجان التنسيق المحلية. وتواصلت مع رزان زيتونة، وصرت من الناشطين بلجان التنسيق المحلية. كنت رايحة جاية على السويداء والشام، بل وين فيه مظاهرة أروح، بشهر 7 أعلنّا عن أنفسنا إن بدّنا ننزل أمام جامع الحسن بالميدان، وهنيك اعتقلنا، كنا 28 شخص، لاربعة أيام.

وضّيت ممنوعة من السفر حتى طلعت من سوريا بـ 2011 بشكل غير نظامي طبعا، وذلك بعد صدور 3 مذكرات اعتقال بحقي.

حقوق إنسان كاملة

لما طلعت من سوريا، قعدت فترة بالاردن؛ 3 سنوات ونصف. ثم لجوء إلى أستراليا، وهناك تعرفت على النسوية بذهنية المجتمع الغربي، وحسيت أننا كنسويات في مواضيع بعدنا ما عم نخوضها بشكل جريء وواقعي، أو بشكل شجاع أكثر. نحنا نحتاج نحكي عن مواضيع أخرى ما حكينا فيها مثل حقوق المثليين. هذا المجال لازم يتم الحديث عنه، ويتم بدء الحوار المجتمعي فيه. واعتقد أننا كنسويات، لا بد نحكي بهذه القضايا. مثلاً، هذه أحد الأشياء اللي حسيت إن نحنا مقصّرين فيها كحركة نسوية. اعتقد إن السبب مش لأننا ما موافقين على هذه الحقوق أو شيء. أيّذا، بل اعتقد هو خوف من رفض مضاعف للحركة النسوية، بسبب إنها عم تتطرق لهذه المواضيع. نحنا لما بنحكي عن حقوق المرأة، فيه هجوم شديد علينا من المجتمع. إذا حكينا كمان عن هذه الحقوق، راح يصير هجوم مضاعف. مع هذا، لازم نحكي بحقوق الإنسان بكل ما تعنيه كلمة حقوق الإنسان، هي مجموعة واحدة من القيم والمبادئ والحقوق، ما فينا نجرّئها. كل ما هو تحت مظلة حقوق الإنسان يجب أن تناضل من أجله. مثلاً نحنا لما نحكي عن العنف الجنسي والجنساني، العنف القائم على النوع الاجتماعي، فمن الطبيعي إن العنف اللي بيتعرض له مجتمع LGBT+ هو تحت هذه المظلة أيضاً. لكن للأسف ما يتم التعرّض لهذه المواضيع بشكل حقيقي أو واضح، بسبب الخوف من الرفض الاجتماعي المضاعف. أنا كناشطة بحقوق الإنسان ما بيصير أن أجرّئ إيماني بالحقوق. لازم أحكي عن كل شيء.

مثلاً لاحظت من تجربتي الشخصية إن المرأة إذا حكّت بالإعلام أو السياسة وعيّرت عن رأيها بشكل عاطفي أو منفعل يقولوا عنها: "عاطفية كثير، ما بتقدر تتحمل ضغوط السياسة" لكن إذا الرجل حكى بنفس الطريقة يقولوا: "يا الله شو هو إنساني، شو هو حساس ومرهف". وهذه الازدواجية بالمعايير، تخلينا نفكر كيف بدّا نخلق تجربة للنساء السوريات بالعمل السياسي إذا ما انفتح لهنّ الباب أصلاً، بعد مرحلة تصدّر سياسي لـ 50 عاماً للنساء والرجال معاً؟ أصلاً ما كان فيه حياة سياسية بسوريا. سوريا شبه دولة وليست دولة، وفجأة، صار لازم المرأة اللي بدّا تشارك بالحياة السياسية يكون عندها خبرة طويلة، على أساس إن الرجال عندهم خبرة طويلة بالحياة السياسية؛ طبعاً فيه ازدواجية بالمعايير، ورفض لمشاركة النساء عند كثير من الشخصيات المعارضة، ليس فقط الشخصيات اللي عندها أيديولوجية معينة أو متدينين، لا، حتى الشخصيات العلمانية، بعضها تحمل الفكر الذكوري ذاته، لأن هي إنتاج هذا المجتمع الذكوري الوصائي المدعوم بقوانين تدعم وصائية الذكور في المجتمع، وتضع المرأة بمستوى دون مستوى الرجل. لذلك تجربة العمل

بالشأن العام كانت تجربة جدّاً قاسية ومليئة بالمصاعب على المستوى الشخصي. لما بدأ نشاطي بالمظاهرات كانت فيه حرب شعواء على النساء البارزات بهذا النشاط من قبل ما يسمّى بـ "الجيش الإلكتروني" التابع للأجهزة الأمنية السورية والنظام السوري. بمرحلة لاحقة لما دخلت بمجال السياسة مع المعارضة السورية، نفس الشيء، حصل لكن من شريحة أخرى محسوبة على الضفة الأخرى. المرأة تحت الحرب دائماً، وفي معركة دائماً بأي محطة بتحاول تقول "لا" أو تقول: "أنا صوتي بدّه يكون مسموع". ليّش المرأة لازم تشارك بالحياة السياسية والشأن العام؟ لأنه بدون مشاركتها بالحياة العامة والشأن العام والسياسة وسنّ القوانين، سيبقى الحال كما هو عليه، ولن يكون هناك تعديل لا بالقوانين أو المجتمع، ولا بطريقة تفكير على المستوى الطويل والزمني للمجتمع السوري.

قبل 2011، تأثّرنا كنسويات يمكن لم يكن بالقدر المأمول بسبب عدم وجود أدوات توصّل صوتنا بشكل واسع. كنّا عمّ تناضل، ونعلّي صوتنا، ونعمل جهد، ونضغط بالإطار اللي بتقدر نوصله. بس كان صعب نعمل فرق بالمجتمع لأن ما عندنا قدرات توصّلنا لكل الشرائح الاجتماعية. وبعد 2011 فيه خلط بين العمل النسوي والعمل السياسي. لسه الصورة مو كثر واضحة، لكن اعتقد لسه ما انتهت المقاض بالنسبة للحركة النسوية السياسية، وخاصةً إننا بمرحلة حرب، ولسه ما عمّ نشغل جوه سوريا. يمكن إذا خلصت هذه المرحلة، ودخلنا مرحلة عدالة انتقالية تتفاعل فيها على الأرض السورية، وتغيّر القوانين ويكون صوتنا مسموع، ونكون جزء من صنع القرار سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وقتها بيصير فيه تأثير كثير كبير على الشارع، لأن إحدى المعوقات الأساسية لعملمانا أننا بحالة شتات، كل حدا فينا موجود بمكان.

بالنسبة لمستقبل سوريا، بتمنى تكون فيه عملية انتقال سياسي بأسرع وقت، لا يمكن تغيير الحالة إذا ما كانت فيه عملية سياسية منجزة، ولزم يكون فيها انتقال سياسي يحقق شعور بالأمان للناس لترجع على بلدها. بالتالي هذا يفتح الباب أمام إعادة الإعمار وإنعاش البلد اقتصادياً. والعمل على الملفات الاجتماعية والإنسانية، بل كل الملفات. مرحلة انتقالية، يتلوها انتخابات برلمانية ورئاسية، والسماح بقانون الأحزاب، ومجتمع مدني حر يقدر يشغل بشكل موازي، وتنمية بشرية، وإعادة الكوادر والعقول اللي هاجرت من سوريا ترجع تبني بلدها، والشباب اللي تعلموا وجابوا خبرة جديدة من برّه يقدرؤا يرجعوا يساهموا بإنتاج وخلق سوريا جديدة مختلفة عن سوريا الحرب وسوريا ما قبل الحرب.

سوسن زكرك: لن تنتهي الدولة الشمولية إلا بتدمير الذكورية

سوسن زكرك، باحثة سورية نسوية من مواليد 1961، انتسبت سابقاً إلى الحزب الشيوعي السوري، وشغلت عضوية اللجنة المركزية في الفترة من 2006 إلى 2011.

في شهادتها، ترى سوسن أنه لا يمكن تدمير الدولة الشمولية إذا لم تُدمر بنية الأسرة الأبوية، وترى أنّ دورها يتمثل في إقناع الناس بهذا الرأي حتى يحدث أي تغيير ممكن.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 30 تموز/يوليو 2020.

ما كنت سمعانة بسجن تدمر. كنت سمعانة بسجن مزة، حيث سجن شيوعيين وشيوعيات، وقت الوحدة مع مصر، لحد ما قرأت عن سجن أبو زعبل وعرف عن سجن تدمر، حيث سجن بعثيين وقوميين وبعد انقلاب 1970 بسبب خلافهم مع حافظ الأسد. وهذا الشيء شدني أكثر لقضية النضال من أجل الديمقراطية.. لذلك تركت اتحاد شبيبة الثورة.

وقتها كنت أدرس أدب عربي بجامعة دمشق، وتعرفت على حدا من رابطة العمل الشيوعي، ورحت للنقيض. من "شبيبة الثورة" لرابطة بدّها إسقاط النظام. ولحد هلا ما سألت حالي شو هذا السبب اللي خلاني أروح للنقيض. أنا بالنسبة إلی، لسه ما كان عندي وضوح كامل شو بدّي. بدّي قضية شأن عام اشتغل فيها، ولكن شو هي القضية، وكيف اشتغل، ما كان واضح. لذلك كانت تتقاذفني التيارات المتناقضة، واللي دفعني إلی "الحزب الشيوعي السوري" إنه فيه إمكانية للتأثير وضنع تغيير، بينما بـ "اتحاد شبيبة الثورة"، أو "رابطة العمل الشيوعي"، كنت أحس أنني مكبلة، إمّا لأنه "شبيبة الثورة" تابع لحزب سلطة، أو لأن الرابطة منظمة سرية، والمنظمة السرية على طول قدرتها على التأثير بتكون أضعف بكثير من أي حزب علني. لذلك اخترت أروح على "الشيوعي السوري" في سنة ثانية جامعة.

نسوية تحت مظلة حزبية

بالحزب كان عندنا سيدة رائدة اسمها نوال يازجي. وهي من أبرز الوجوه الديمقراطية بـ "الديمقراطي الشيوعي"، وحضرت لبرنامج مختلف للقضية النسوية، والمنهج اللي تعاملت فيه نوال ومعها فردوس البحرة وصباح الحلاق، هو إن القضية النسوية تحتاج إلی نساء مؤمنات بها، قبلش يصير فيه تغيير في الرابطة بشكل كثير كبير، وأنا انضمت للعمل النسوي لرابطة النساء السوريات سنة 1990، بس لسه كنت في هذا الوقت بشيء حزبي عمّ يشدني أكثر من الشيء النسوي. لكن وضع الرابطة كمنظمة نسوية ما كان مسموح لها تشتغل. ليش ما كان مسموح لنا نشغل؟ لأنه فيه حزب قائد عامل منظمات شعبية، عامل منظمة نسوية له اسمها "الاتحاد العام النسائي"، وهذا الاتحاد ما بيقدر يكون يدل كل المنظمات، أو يستوعب كل النساء السوريات. وطلال شغلنا بـ "رابطة النساء السوريات" بّلتش أحس أكثر بالاصطدام مع الظرف غير الديمقراطي. نحنا ما كنّا ندعو لإسقاط النظام، ولكن كنّا عمّ نتصدى لسياسات النظام اللي لا تمكن النساء، اللي كانت جابرة النساء على قوانين أحوال شخصية متخلفة لا تناسب دولة رائدة مثل

في اتحاد شبيبة الثورة

وقت كنت صبية صغيرة كنت أروح أنا وأخواتي نمارس نشاطات صغيرة كطلّاع بمنظمة اسمها "رابطة الشباب المثقف" تتبع الحزب الشيوعي السوري، لكن بتأثير انقسام الحزب ما عاد فيه أي نشاط للفئة الصغيرة اللي كنت أنتمي لها، مثلاً ما قدرت أدخل على "اتحاد الشباب الديمقراطي" لأنه كان فيه انقسام بالحزب. رحّت وقتها بالصف العاشر انتسبت لـ "اتحاد شبيبة الثورة" تابع لحزب البعث، ليش انتسبت للاتحاد واللي بيعرف تربيتي من الصغر بيقول مستحيل أنضم لمنظمة تابعة لـ "البعث"؟ الحقيقة انضمت لأن كان بدّي اشتغل بقضية شأن عام، والحزب الشيوعي السوري ما أمّن لي إياها. وعليت بـ "شبيبة الثورة" لغاية لما قرأت بصيفية البكالوريا كتاب عن "سجن أبو زعبل"، يحكي عن القوى الديمقراطية اللي سجنهم جمال عبد الناصر لأنه بيختلفوا معه بالأمور السياسية. الكتاب رجّع لي الترابط بين قضية الشأن العام والقضية الديمقراطية، وإن الأحزاب اللي بالسلطة هي للأسف ما عمّ تقدر تقدّم أي برنامج ديمقراطي، بل تاخذ الناس الديمقراطيين وتحطهم بالحبس. سألت حالي: هل يا ترى فيه عندنا سجن مثل سجن أبو زعبل بسوريا؟

1 جرت الوحدة بين مصر وسوريا في 1958، وبشكل الجمهورية العربية المتحدة، برئاسة الرئيس المصري جمال عبد الناصر، حيث كانت سوريا تسمى الإقليم الشمالي، بينما تسمى مصر الإقليم الجنوبي. واستمرت هذه الوحدة حتى 1961.

وفي "الشيوعي السوري" عندنا مشكلة عويصة: الرفاق وقت تأسيس الحزب كانوا شباب، بس ضلوا بقيادة الحزب من وقت اللي كانوا شباب لوقت اللي ختبروا وصارت أعمارهم ما بعرف قد ايش، وما كان فيه ثقة بالجيل الشاب. لكن بفضل جهود نوال صارت فيه حصة للنساء، بحيث إنه بكل انتخابات لازم يكون فيه رفيقات باللجنة المركزية، ورغم كل هذه التطورات ما قدرنا تكون فيه نسبة أكثر من 10% بين أعضاء اللجنة. والمكتب السياسي كان بدون أي رفيقة، لكن سنة 2006 قدرت تقوت الرفيقة فردوس البحرة.

مثلاً في 2005 و2006، اشتغلت مع الهيئة السورية لشؤون الأسرة، وعرفت حقيقة الوضع بسوريا، بل حقيقة الأوهام اللي كنا عايشين فيها. مثلاً الهيئة بالإعداد للخطبة الخمسية العاشرة، وحتى نشغل للخطبة كنا بحاجة لتقييم للوضع الموجودة بكل سوريا هكذا شُفّت حقيقة الانهيار الكبير بالاقتصاد اللي كان موجود بسوريا، وتحديدًا القطاع العام. وقتها كان فيه فرصة قدامي حتى أشوف الوضع الحقيقي للبلد، لأنه كل الإحصائيات كانت موجودة عند هيئة تخطيط الدولة. وللأسف وقتها شُفّت الأسود على أبيض بما يفضح كل الادعاءات الحكومية.

سنة 2010، كنت أنا والدكتورة أميرة أحمد والدكتور نبيل مرزوق، عمّ نشغل مع مكتب الاستشارات الفنية بلبان على البحث الميداني لأسوأ أشكال عمالة الأطفال في سوريا. شُفّت الفقر الموجود بريف حلب، فيه عائلات تنتزل بناتها على حلب وهن عمرن 8 سنين حتى يشتغلوا بالخدمة المنزلية. الأب بياخد أجرة البنت لمدة سنتين، ويتركها عند هذه الأسرة. ما بيسأل: شو صاير لها؟ كيف عمّ بتنام؟ حدا عمّ يتحرش فيها؟ ويبرجع بعد سنتين عشان ياخذ أجرة سنتين جداد. رأيت الواقع السوري كما لم أعرفه من قبل، كبر عندي شعور إن هذا النظام غير قادر على فعل أي شيء، وإننا بحاجة لإجراء تغيير جذري.

نسوية بلا سياسة

ومع اندلاع الانتفاضة الشعبية في 2011، الرابطة اعتبرت الحراك الجماهيري "انتفاضة شعبية، وليست ثورة" ولكن هو حراك انتفاضي جماهيري موضوعي. بينما الحزب أثر البقاء متحالفًا مع السلطة. لذلك كان لا بد وقتها من القطيعة الكاملة بين الرابطة و"الشيوعي السوري".

مثلاً نحن نحتاج حاليًا تفكير إبداعي لإقناع التيار الديمقراطي أن يكون مناصرًا للحركة النسوية أو أن يكون نسويًا، لا أنه لا يمكن تدمير الدولة الشمولية إذا لم تُدمر بنية الأسرة الأبوية، هذا الربط بين الأبوية بالسياسة والأبوية بالأسرة بالنسبة لي عمل إبداعي واجبا نشغل عليه.

سوريا: المرأة السورية هي أول امرأة أخذت الحق بالتصويت سنة 1943 وبالترشح سنة 1953. ورغم ذلك لا تحصل إلا على مقاعد محددة في مجلس الشعب أو بالوزارة. بلشنا نحس إنه فيه تابوهات بدون ديمقراطية ما نقدر نتجاوزها. أهم هذه التابوهات هو موضوع الدين. ليش الدين؟ نحن مو ضد المتدينين لكننا ضد أن تحكم النساء بأحكام دينية عمرها مئات السنين. ولذلك، نحن وقت بلشنا ننتقد قوانين الأحوال الشخصية، بلشنا نصطدم بخط أحمر، لأن هناك مثل اتفاق أو مساومة بين السلطة الحاكمة والسلطة الدينية.

كنا نحس حالنا نصطدم بمحاولات السلطة لضبط المجتمع، أحيانًا نقدر نتجاوز المحاولات، ولكن للأسف عبر الاستعانة بكوننا نساء شيوعيات حزبيات، لأن كان عندنا رغبة تكون مستقلات بالكامل. مثلاً عملنا حملة لتعديل قانون الجنسية في سوريا من سنة 2003. بهذه الحملة قدرنا نوصل لأعضاء بمجلس الشعب، وإعلاميين وإعلاميات، بل وصلنا للرئيس. بس كيف قدرنا نوصل للرئيس؟ كُتبتا مذكرة وطلبنا من الأمين العام للحزب إنه ياخذ لنا موعد من مديرة مكتب الرئيس ونروح نسلمه إياها. ما قدرنا كوننا برابطة النساء السوريات نروح بشكل مستقل ونسلم هذه العريضة للرئيس، بل عبر مظلة الحزب. بدنا مجموعة من أعضاء وعضوات مجلس الشعب يكتبوا مشروع قانون بتغيير قانون الجنسية، لذا رحنا عند رفيق شيوعي لنا، هو عضو بمجلس الشعب وبقيادة مجلس الشعب، وكنا نحول مكتبه لقاعة اجتماعات نجتمع فيها مع أعضاء مجلس الشعب، حتى رفع 34 عضو وعضوة في المجلس اقتراح مسودة مشروع تعديل قانون الجنسية. بدون المعونات من الحزب ما كنا عملنا هذا الشيء، لأنه بالأصل نحن منظمة غير مرخصة. حتى الاتحاد النسائي السوري كان يتعامل معنا على أساس نحن الأخوات الشيوعيات. كنا بدنا الاستقلالية، بس كمان إذا أخذنا الاستقلالية بشكل كامل نخسر جبهة دعم كثير كبيرة.

مثلاً بعض الرفاق بالحزب كان بدهم رابطة النساء السوريات تضل تابعة للحزب، لا تتناول القضايا النسوية الحقوقية كخيار سياسي واسع ومكامل، وإنما مسائل بسيطة مثل تعديلات بقانون الأحوال الشخصية. يعني كانوا يشوفوا تحالف الحزب مع "اليعث" الحاكم أهم من إنه يكون فيه دور للنساء السوريات، إنه خلاص "الاتحاد النسائي" التابع للحزب الحاكم بيكفي. وكنا بالرابطة نشغل على توسيع الحركة النسوية، ونساعد الزميلات والصديقات على إن كل مجموعة تنشأ منظمته الخاصة فيها. اللافت إنه وقت صار عندنا امرأة نسوية ضمن قيادة الحزب اللي هي نوال يازجي صار فيه تعامل مختلف من الحزب مع قضايا النساء. تغيرت البيانات، صار ينزل موضوع المساواة. جرى نقاش أننا بحاجة إلى وجود كوتا للنساء، وضرورة وجود النساء في جميع الهيئات الحزبية. نوال أعطت فرص لجميع النساء والصبايا.

شهادة مُجهلة: الحرب السورية أعادت قضايا المرأة إلى الصفر

ملحوظة: طلبت راوية هذه الشهادة عدم ذكر اسمها وذلك لغايات أمنها وسلامتها الشخصية وحفاظًا على خصوصيتها، لن نذكر اسمها في ما يلي.

صاحبة الشهادة أستاذة جامعية في مجال الأدب ونظريته ومهتمة بالجندر ودراسات المرأة، وهي من مواليد مدينة حمص السورية 1961.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة أجريت في 25 حزيران/يونيو 2021.

بين المدينة والقرية

أستاذة جامعية من مدينة حمص السورية، مواليد 1961. أكاديمية في مجالي الأدب ونظريته، والجندر والدراسات النسائية. لي تقريبًا 27-28 سنة بشتغل في الأكاديمية، بعد ما خلصت الدراسات العليا.

زبيت في عائلة بتركز كثير على العلم والمعرفة والأدب والأخلاق، بشكل كبير جدًا. عائلة متوسطة الحال، جذورها من الريف. أمي وأبي أقارب، أولاد عمّ من الريف، بس ربيوا بزة الريف. ماما وبابا جابوا 10 أولاد، وكنت في المنتصف تقريبًا. بالسنتين لما خلقت، خبرة وتجربة الوالدين في الحياة السورية كبيرة جدًا، لأن الأسرة عاشت في كثير مناطق. بالإضافة إنهم عاشوا في القاهرة، في مصر خلال فترة الوحدة بين البلدين اللي بلمشت بـ1958 وانتهت بـ1961، وهو العام اللي خلقت فيه. ومع بداية الانفصال اللي صار بين مصر وسوريا، غدنا إلى سوريا، واستقرنا في حمص.

أول 25 سنة من حياتي كانت كلها في حمص المدينة. لكن نتيجة الارتباط في القرية، قضيت فترات الصيف في القرية، وهذا شيء مهم جدًا بالنسبة إليّ، بل لعائلتنا كلها. مثلاً وعيت على الفرق بين الريف والبلد، وحمص وقتها ما كانت مدينة متطورة، بس مقارنة مع الريف كانت مدينة،

أقاربنا بالريف يقولوا عليها: "المدينة.. حمص المدينة" مع إنها كانت مجرد بلدة كبيرة مش مدينة حضرية. مع ذلك مع كل جمال الريف وبساطته اللي أنا كنت أحبه كثير، كانت فيه فروق غير عادلة بين خدمات الريف والخدمات الموجودة في المدينة. وهذا نفس عندي حس العدالة بشكل كبير جدًا، وهذا الحس كان مخلوق عندنا بالبيت من خلال حكايات ماما وبابا، خاصة الحكايات عن جدي، والد أمي، كُنا بنحكي إنه بيمثل عندنا شخصية Robin Hood المشهورة في إنجلترا، إنه عاش حياة شبه بطل في منطقة الريف، وبطل اجتماعي بمعنى إنه ساعد ناس فقراء، لدرجة مساعدتهم ياخدوا من الأغنياء، نفس قصة روبين هودو بشكل مُصغر. أنا بالنسبة إلي جدي هذا البطل اللي حامل شعار العدالة، وبالنسبة إلي من هذه الأيام صار موضوع مهم جدًا.

زبيت إنني أحمي ضد أي نوع من أنواع التفرقة، بل أكون ضده، مش بس موضوع الفقر والأغنياء والطبقات، وإن العلم للجميع، بنات وأولاد. البيت كان قائم على العدالة وعدم التفرقة، وإن أخواني الشباب وإحنا البنات تربينا على نفس المستوى، وما كان فيه أي نوع من أنواع التفرقة.

مثلاً بأواخر الستينات، جرت حادثة واحدة قتلها أخوها، وبعدها واحدة قتلها أمها، هذا سبّب لي خوف أكثر منه وعي. كيف ممكن أخ يقتل أخته، أو أم تقتل بنتها. اللي أنذكره إنهم كانوا يقولوا إن البنت، في كل حادثة، عملت شيء، مش كويس. وقتها فكرت لحالي: إيه هو الشيء، اللي مش كويس اللي بيخلي طفلة، مراهقة، تستاهل أنها تتقتل بسببه؟ ضل بذاكرتي الموضوع، إنه فيه شيء بالمجتمع، والثقافة والتقاليد، غلط بشكل مرعب. إنه مهما كان الشيء، اللي عملته، كيف ممكن ها المجتمع يكون مبني على فكرة إنه طفلة، لأن بالنسبة إلي الإنسان طفل حتى يصير راشد إنسان برّيه يعاقب بهذا الشكل المرعب بناءً على علاقة حب مع الجنس الآخر؟ باللاتين الأخ سجن أسبوعين مدرّشي شيء وتركوه، إن هذه "جريمة شرف" عادي يعني. الأم اللي قتلت بنتها كمان نفس الشيء، سجنّت شهر أو شهرين وخلص، هذه هي كل العقوبة. وهذا خلاصني أفتّح عيوني برعب على إن هذه الثقافة المجتمع لا يحكي ضدها.

حيرة بين العلم والأدب

مثلاً الأدب كان جزء من حياتي الأسرية والشخصية، قراءاتي بالعربي، قرأت كل الترجمات الموجودة بالسوق. قرأت كل الروايات العالمية، وكل الشغلات المعروفة بالعالم. لكن زبيت على أن المتفوق بالعلم هو إنسان أذكى من اللي بيتفوق بالأدب، لهذا مشيت بطولتي وبيدايتي مع التيار، إذا بدّي أفرج حالي متفوقة وذكية لازم أكمل بالعلم، لأن

الأدب للناس اللي منهم متفوقين (وهذا غلط طبعاً، لكن مشيت وقتها مع التيار). لذا، لما خلصت بكالوريا قلت لحالي اني لازم أكمل بالعلم. بالتالي عملت بكالوريا علمية، ولما جاء وقت أدخل الجامعة كان شيء طبيعي اني أكمل بمواد علمية. مع الأسف، في هذه الأيام ما كان عندنا جامعة في حمص، ما كان فيه جامعة إلا في دمشق أو حلب. بهذا الوقت، ما كان فيه مجال اني لا أروح على الشام وعلى حلب نتيجة أسباب مادية، لأن فيه عندي أخوات كثير، ولأن فيه جامعة واحدة، قسم واحد هندسة بتروكيميائية، سبقتني أختي الأكبر للدراسة فيه، وبالفعل درست أول سنة فيه، خاب أمني جداً. مثلاً أستاذ الرياضيات، كان أستاذ مش دكتور، بس بيدرس بالجامعة. عمل لنا تحدي، حظ هيك معادلة، وقال: "اتحداكم حدا يعرف يحل هذه المعادلة". رفعت إيدي بخجل، وقلت له اني بخلها، وطلعت قدام الطلاب والطالبات كلهم، شي 400 طالبة وطالبة، وحليت المعادلة بكل خجل وبساطة، ووقفت خجلانة هيك، لكن ردة فعله عذبتني كثير، بدل ما يقول لي برافو بهدلني، "مين إنت عشان تعرفني تحلي، كيف حلتيها؟" سألني عن اسمي، وسألني إذا كانت لي علاقة بطالبة سابقة عنده، وقلت إنها أختي، والظاهر إنه كمان أختي كانت كثير شاطرة ومميزة، وكان مزعوج إنه كيف أختي واحدة بنت صغيرة، من عائلة مش كثير معروفة بحمص، إنه كيف كانت كثير شاطرة. الظاهر كان عنده مشكلة بتفكيره، أنا حسيت أن في نوع من التمييز الجندري. حسيت إنه خلاص أنا هذا العلم اللي كنت آمن فيه منه سبيلي في الحياة. قمت تركت من أول سنة، مشيت يعني بعد ما نجحت بكل المواد. قلت لا يمكن أكمل بهيك مجال. لذلك بنفس السنة اللي تركت فيها الهندسة، فتحو فرع أدب في حمص نفسها، قلت خلاص خلتنا نروح على الأدب ونشوف شو فيني أعمل فيه. اخترت الأدب الإنجليزي وقتها، لما كملت بمجال الأدب طلعت من الأوائل في الجامعة، هذا خلاصي أخذ منحة من الدولة. لكن اللي صار إنه نتيجة المخبرين وتقاريرهم الأمنية شحبت مني المنحة، وأعطت لحد ثاني عن طريق الواسطة. ضللت سنتين عم استرجع منحتي، أحاول أدافع عن نفسي. إنه أنا يا ناس، يا حكومة، ما بعمل شيء، غلط، هذه منحتي اللي لازم ترجع لي. شو صرت أعمل؟ صرت أروح على المراكز الأمنية، صرت أدافع عن نفسي إنه ما في حدا ياخذ حقني مني. زحيت على عدة مراكز أمنية بجرأة وقوة. أنتم عم تعملوا شيء غلط أنتم يا الأمن، وأنتم اللي بتعملوه ما لكم حق تعملوه، وأنتم إذا عندكم أي شيء، ضدي فعلاً، ماسكين أي دليل ضدي خدوني على الحبس. هيك كنت أقول لهم، يا تبسوني، يا تحلوا عني، تتركوني بحالي. أنا إنسانة بنحب العلم، وبدها تدرس وما

عندي أي أهداف معارضة لأي حدا، أنا بحالي وما لكم حق. رحت على عدة مراكز أمنية وأحكي نفس الحكي، ما يردوا علي، منهم اللي يضحكوا، منهم اللي يقولوا لي okay روعي على بيتك. بعدين زحيت العاصمة، قلت هدول اللي بحمص ما عم يردوا علي، معاناتها الموضوع بيد الحكومة فوق. وهناك فيه ناس قالوا لي: "إنت إذا بدك فعلاً تبيضي صفحتك السياسية، لازم تروحي عند هدول الناس" وكانوا يقصدوا مركز معين، وفيه ناس قالوا لي: "ديري بالك إذا زحيتي هذا المحل يجوز ما تطلعي منه"، مع ذلك رحت، وبعد معاناة وصلت لشخص قيادي، وقال لي: "شو قصتك إنت؟" قلت له اسمي، لما سمعه دغري هيك كأنه سامع بالاسم، كثير خفت إن اسمي معروف، يعني القصة كثير كبيرة، مني متخيلة شو صاير. وهذا القيادي جاب لي ملف سميك. وقال لي: "شايفة ها دول، كلها تقارير فيكي" قلت له ما يعرف شو أقول لك بس هذه التقارير كلها كاذبة، أنا بعمر في ما انتسبت بشكل لأي منظمة حزبية معادية، وطبعاً ما كنت منتسبة رسمياً لحزب البعث. وقلت له أنا أصلاً ما بآمن بولا حزب سياسي، لا بيزركم ولا بحزب غيركم، لأنه مني شايفة هذه الأحزاب عم تعمل شيء، صح وحق. أنا شايفة كلها تحزبات هيك ما لها معنى. قال: "والله حتى حزبا؟" قلت له: والله ولا حتى حزبكم، لأنني مني شايفة إنكم عم تعملوا شيء، صح. وقتها حسيت اني رايدة رايحة وخليتي أحكي اللي بقلبي. وقلت له: برأيي ناس مثلي ما لازم تعاقبوها، بالعكس لازم تكافؤوها، لأننا الناس اللي بتهتم بالعلم، بدنا نعمل شيء، لويس لهذه البلد مش الناس اللي بتتحزب وتحكي بالسياسة بلا طعمة. حكيت اللي بقلبي ومشيت، لا اعتقلت ولا صار شيء. وبآخر السنتين، وصلنتي رسالة إنني أخذت منحتي، لكن بعد جمعيتين شحبت المنحة، وبعد شهرين ثلاثة ترجع لي، ثم تنسحب مني، وضل الموضوع على هذه الحالة، الوضع ما تغير. آخر شيء، بآخر السنتين أخذت المنحة، استغليت الوضع إن أنا معي ورقة بالمنحة، كنت جاية قبول من جامعة في بريطانيا، وسافرت. وكملت بنظرية الأدب literary and critical theory، مجال كمان جديد بالنسبة للدراسات بالنسبة للأدب وقتها، الثمانينات. بلس بالثمانينيات وأنا لما سافرت وخلصت أول سنة تحضيرية post graduate بـ 1987 كان مجال جديد وحسينه يجمع بين العلم والأدب، صار فيني أجمع الشغلتين؛ العلم والأدب، بدل ما أروح ببساطة للأدب لحاله. وقتها أيضاً تعرفت على النظرية النسوية، لكن قبل سفري كنت شاهدت مقابلات على التلفزيون العربي السوري مع نوال السعداوي كنت كاني قاعدة قدام شيء خارج حتى عن نطاق الكرة الأرضية. إنها جاية من السماء، أنها مش إنسانة طبيعية. ثم تعرفت

على النظرية النسوية، وكملت فيها وغرقت في القراءات الفلسفية والفكرية بهذه النظرية وبالذد النسوي. من هذه الأيام وأنا لسه عرقانة في هذا المجال.

ما يعرف ليش كنّا نسمع عن نوال السعداوي أكثر من أي حدا ثاني حتى بسوريا، لكن ما كنّا نسمع عن سيدات في مراكز، أو التركيز قليل على دور المرأة. ونتيجة قراءاتي الأدبية كنت قارئة عن كتب عدة كاتبات سوريات مثل عادة السمان. بل كان التركيز سياسياً على المفهوم السياسي، ووقتها بس تقولي كلمة "سياسي" يعني عمّ نحكي قيادات، وعمّ نحكي قضية فلسطين، ها هي السياسة، كأن المنظومة الداخلية، والمؤسسات الداخلية مش سياسة. كان المفهوم السياسي محصور بقضية فلسطين، وبعمل الحكومة، على صعيد حكومة. وهذا المفهوم للسياسة مغلوط جداً، لأن السياسة جزء من حياتنا الاجتماعية والثقافية واليومية والسياسية، يعني قضية فلسطين. وعمل المنظمات النسائية، اللي كانت نسائية أكثر منها نسوية، كان على السياسة وفق هذا المفهوم بدلاً من الشغل على مواضيع مهمة بقانون الأحوال الشخصية. الشغلات اللي صارت الناس تنتبه لها هلا، لكن في هديك الأيام ما كان حدا يحكي فيها مثل موضوع العدالة الأسرية بالزواج، ما كثر كان لها وزن بالخطاب العام. بل الإعلام كان غير مهتم فيها، مثلاً موضوع إنه لما يصير تزويج البنات ضد رغبتهن، أو بعمر شوي أقل من قانون الزواج الرسمي، باعتبارها شغلات شخصية، أسرية، ما في داعي نحكي فيها كثير. بينما نعرف إن فيه مواضيع مهمة جداً إن الواحد يحكي فيها بالخطاب العام حتى يصير لها أهمية، والناس تعطيها وتهتم فيها. بالثمانينات مثلاً الاتحاد النسائي فقد أهميته لأن نشاطه ما له ثقل ثقافي أو سياسي أو حتى اجتماعي، مجرد عمّ يجتمعوا ويحكووا ويحتفلوا، وما فيه شيء ثاني. ما فيه شيء يطلع يؤثر أو يغير شغلات لازم تتغير المجتمع. وصرت تضاييق كثير لما أسمع الناس عمّ تنكث وتتمسخر على الاتحاد النسائي، أو على النساء اللي عمّ تشتغل بهيك منظمات. كنت أحس إنه هيدا دليل إنه فيه شيء منه صح. فيه شيء لازم يتعمل بطريقة أحسن، لأنه صار موضوع سخرية.

فلسطين من التعاطف إلى الفهم

مثلاً لحد هلا بحس حالي فلسطينية مش بس سورية، ربينا على أن فلسطين قضية مصيرية، فهمت كل التفاصيل اللي صارت، مش بس كيف فلسطين أنهيت وشلبت، بل كل المناطق من سوريا ولبنان والمنطقة... كيف إسرائيل صارت مثل سرطان أو أخطبوط عمّ يتوسع. ما قدرت أفهمه إلا بعد ما ربطته بشو اللي كان عمّ يصير قبل،

تاريخ الاستعمار، وتاريخ ما بعد الاستعمار.

في البداية كان الموضوع عاطفي جداً، أنه هذا موضوع ظلم، كيف تيجي دولة من بزة وتقتل، وتقلع الناس من بيوتها، وبثاخذها. بعدين تحول إلى موقف معرفي، وموقف سياسي. لا يمكن تفهمي موضوع أو تقبلي الاستيطان، والاستعمار، كموضوع عادي إنه صار جزء من حياتنا، وإنه لازم نتقبله. أنا من الجيل اللي لا يمكن يتقبل موضوع التطبيع، موضوع إنه آه وسلام. خاصة بعد ما تعرفنا على كتابات إدوارد سعيد -كانت مثل كتابات نوال السعداوي والنظرية النسوية العربية- أثرت فيّ بشكل عميق جداً أفكاره عن الاستشراق والإمبريالية، وكتاباته أثرت على وعيي السياسي. داخلياً كنت كثير متعاطفة مع موقف الحكومة السورية المؤبد والمناصر لفلسطين بصراحة، لكن تدخل الجيش السوري في لبنان وقت الحرب الأهلية هناك لخبط التوازن، بالنسبة لكيف كنت أنظر لموقف النظام السوري بالنسبة لفلسطين. وبهذه الفترة [1976] ما كان عندنا وصول للإعلام الخارجي، كان فيه نوع من الارتباك بالنسبة لي، فيه شيء مش صح! ما كنت قادرة أفهم الموضوع إلا بعد ما صرت أنظر للمواضيع بناءً على معرفة بالتاريخ السياسي للمنطقة، وتاريخها المعاصر، وحسيت إنه فيه مشكلة لازم تتحل بالنسبة لعلاقات الدول العربية ببعضها... الموضوع ليس إسرائيل وإحنا بس، بل بين بعضنا فيه شيء، غلط كبير عمّ يصير. هذا أثر كثير على موقعي من السياسة المحلية والداخلية.

العودة للحقوق الأساسية

إذا بدنا نحكي عن الإيجابيات اللي صارت بيصير الواحد ينسى، هذه الفترة من 2011 تنسينا شو اللي صار قبلها. زاد دور المرأة السورية أواخر الثمانينات وخلال التسعينات. ومن قبلها النظام الحكومي كان قائم على عدم التفرقة بين الجنسين. بالإضافة إلى تحسن وضع المرأة من ناحية الحريات والحقوق تدريجياً بسبب الحراك النسائي التراكمي.

هلا يجوز الشغلات القانونية ما كثير تغيرت. القانون صار فيه شوية تغيرات لصالح وضع المرأة، بس فيه شغلات ما تغيرت. وصار فيه بروز لنساء بشكل خاص، والمرأة قادرة تتوجد، بس المرأة لخالها مع آلاف الرجال أكيد ما تقدر لخالها تغير السياسة في سوريا، أو الحكومة في سوريا. موضوع السياسة هذا موضوع لازم يصير فيه تغيير كثير بالنسبة لانخراط المرأة فيه، حتى يصير فيه نوع من المساواة التمثيلي، على صعيد تمثيل الأعداد. حتى المجتمع يصير يغير فكرته عن دور المرأة في سوريا. إن المرأة مش لازم بس تكون معلمة ومربية أجيال، إنه لا، هي لها دور في كل المجالات مثلها مثل غيرها، لأنها هي

إنسانة وعندها مواهب وقدرات وطموحات، ولازم تشغل في كل المجالات التي هي تنتج فيها. لكن هالشغلات الإيجابية التي صارت، الحرب جاءت حتى تبين إن موضوع المرأة ما عاد موضوع مهم أبداً، بل بدنا نرجع لموضوع الصفر، موضوع حق الحياة للإنسان بشكل عام هو أهم من أي شيء ثاني. رجعنا للأساسيات وكأنه فيه حالة موضوع حياة أو موت. صار الحكي على موضوع حقوق المرأة نوع من الكماليات أو بدنا نحكي بس عن حق الحياة.

إجمالاً نظرتي لسوريا تشاؤمية مع الأسف، لكنها واقعية، لأن هذا اللي موجود على الأرض. مع كل زيارة لسوريا يرجع فاقدة جرعة أكبر من الأمل. كل ما بشوف بعيني. لما بطلع بّره بسترجع نوع من التفاؤل. بس أزور سوريا وأشوفها على الواقع وشوف شو عم يصير فعلاً، بفقد هذا الشيء، بقول لا مستحيل.

عندي أمل بالجيل القادم، جيل الشباب، إن شاء الله يقدر يعمل شيء. لكن مني شايقة أي تغيير إيجابي بالمستقبل القريب.

مثلاً ما قدرت أكون ناشطة على الأرض مثل كثير من الناس اللي يحترمها، إنه أنا نشايطي أكاديمي، وبعزي نفسي وبقول إن على القليلة بعرف إنني بشتغل كل عملي الأكاديمي من أجل هذا الموضوع النبيل، موضوع العدالة الاجتماعية والسياسية والثقافية. أنا كل شيء بعمله في مجالي، في التدريس والبحث والكتابة والنشر قائم على إنني أوضّل هذه الأفكار لطلّابي وطالباتي، وحتى زملائي، والناس اللي بشتغل معهم، وحتى أولادي. إنهم يستخدموا صوتهم للإعلاء صوت الحق اتجاه هذه المواضيع الهامة جداً، المواضيع المؤثرة بحياتهم وحياة الناس التانيين اللي يكونوا أقل حظاً. مثلاً لما عملت برنامج دراسات نسائية في الجامعة اللي بدّرس فيها، من خلال اللي بسمعه من طلابي وطالباتي، ومن خلال الشهادات اللي بسمعها، إنه نتيجة الشيء اللي بعمله أنا فيه جيل جديد عمّ يطلع، وعمّ ينتبه، وعمّ يكرّس نفسه لأشياء بتعلموها مني. مثل ما أنا كنت أنظر إلى معلماتي، ونوال السعداوي وإدوارد سعيد، كثيرة بفتخر بكل تواضع إن هالـ طلابي عمّ ينظروا لي بنفس النظرة، طلابي وطالباتي بينظروا لي بنفس النظرة. هذا الشيء اللي بيخليني أحس إنه على القليلة إنني بعمل شيء ثقافياً وفكرياً، ولكن ليس على الأرض بشكل مباشر، إن شاء الله أكون بعمل شيء له أثر إيجابي.

عطف على اللغة العربية

لكن بحس خالي مذنبية بحق اللغة العربية. وهذا كثير بحكي عنه في المجال الأكاديمي، إنه كيف سمحنا للغة العربية

إنها تروح بين الرجلين، خاصة أكاديمياً، وبقول كيف بررت لحالي إن لغتي الإنجليزية أحسن من العربية، يمكن لأنني في بريطانيا، وعمّ اشتغل بجامعة تدرّس بالإنجليزية، لكن هذا تبرير ما له معنى، بل غلط. وكيف الأكاديمية والمؤسسات الثقافية العربية سمحت للغة الإنجليزية تطغى على اللغات المحلية، وهذا موضوع عالمي منه بس يخص المنطقة. إحنا هون بالمنطقة العربية ما عمّ نعمل أي شيء. في لبنان مثلاً اللغة العربية لسه لها دور كبير في الأكاديميا. بس فيه دول كثيرة اللغة العربية صارت مش لغة أساسية. في سوريا كنت كثير أفتخر أقول إننا لسه التعليم عندنا بالعربي وبتدرّس بالعربي، والمواد العلمية والأدبية كلها بالعربي. بس أعتقد حتى سوريا بلّشت تتخربط بهذا المجال، وأكاديمياً اللغة العربية صارت شوي عمّ تتشال من المركز، بس لسه شوي محافظة على دورها... هذا الشيء على الزمن القريب والبعيد راح يكون له دور سلبي جداً ثقافياً وسياسياً.

لمى قنوت: الثورات تغير حياة الناس

لمى قنوت، باحثة وسياسية مستقلة ونسوية، مواليد 1963 في دمشق.

تهتم لمى بالتوثيق الشفوي، وذلك من أجل معرفة أكثر بتفاصيل حياة ومعيشة من توثق شهادته، وهذا الاهتمام كان دافعها لتوثيق تجارب المعتقلات في سوريا عبر تسجيل تفاصيل حياة ومعيشة قبل الاعتقال وبعده، الطفولة، والدراسة، والعلاقات داخل السجن، وما بعد الاعتقال، والتحديات. حيث كتبت قصص الناجيات من الاعتقال بطريقة توثيق الذاكرة الشفوية.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 16 تشرين الأول/أكتوبر 2020.

بيت سياسي بامتياز

مولودة في دمشق في 1963، وأسرتنا من حماة. والدي، عبد الغني قنوت، شخص كاريزماتي، شغل منصب الأمين العام لحزب "حركة الاشتراكيين العرب"، وعمل وزيراً في مرحلتين. والدتي، هيام نويلاتي، شاعرة وقاصة وعملت بالصحافة أيضاً، لها عشرة دواوين شعرية، وروايتان، ولها كتاب عن الغزال. عندي أخ واحد، حالياً مقيم في كندا. تخرجت في كلية الفنون الجميلة، في جامعة دمشق، قسم الديكور، وفتحت مكتباً وكالة إعلان، وأغلقت - تقريباً بعد 23 سنة - مضطرة في 2014 بعد انتقالني إلى لبنان.

بيت الأهل، بيت سياسي بامتياز، بمعنى إن الباب كان مفتوح على الدوام لأي شخص عنده طلب معين، والذي كان يستخدمه مثل مكتب باب مفتوح لكل الناس، من العامل للوزير للمناضل.. بالبيت رأيت ياسر عرفات، ويأكل معنا العامل الذي جاي يصلح الكهرباء، هيك أجواء بيتنا تتقاطع مع هموم ومشاكل الناس. منذ وعيت على ها الدنيا والشأن العام هو شأن خاص بالنسبة ليلي.

انقلاب ثوري

مثلاً أنتجت وأخرجت فيلم عن العنف ضد المرأة، ومنشور على الإنترنت، لأن بوقت ما كان فيه منافذ لينتشر على

التلفزيونات. هو إجمالاً كان شق تجاري، ولكن اشتغلنا بالـ advertising agency لوجوهات منظمات مجتمع مدني، قدمتها لدعم أغلفة، وكتب للمعارضة، بالشكل هذا. وبعتبر حالي نجحت إنني أكون أنا بشغلي، الوكالة أمنت لي الاستقلالية، بل حققت ذاتي بمهنتي. لكن أكثر ما أثر فيني: الثورة. انقلبت حياتي رأساً على عقب بعدها. ومن اللحظة الأولى كنت مشاركة فيها بقوة شديدة. كانت نقطة مفصلية، وتغيرت حياتي بعدها كلياً.

وغير المشاركة بالمظاهرات، فتحت مكتب لاجتماعات الشباب والشابات. حاولنا نكون مبادرات، وأسسنا منظمات، وشاركت في تأسيس منظمة نسوية، وكنت رئيسة مجلس إدارة مركز السوري للمواطنة. الثورة صارت قضيتي الرئيسية، بل تفكيك بنية الدولة الاستبدادية هي قضية حياتي. هي هيك الثورات بتغير حياة الإنسان.

مثلاً وقت كنت بذي أسافر أنا وبنتي. والدها توفي وكانت وقتها صغيرة. شعرت بممارسة وصاية عليّ، تمييز، وقت كنت أخذ موافقة من القاضي الشرعي تبع الأيتام لأقدر أسافر أنا وبنتي. في حين إنه كان ممكن ياخذها لبنتي، يطلع هو وياها برات البلد، والد زوجي، ولا أخو زوجي. لكن أنا لأنني أمها، انتظرت 3 شهور للحصول على موافقة من القاضي الشرعي للأيتام. حرّث بنفسه القصة، ومن هون بدأت الأفكار النسوية تجتاحني، إن فيه بنية أبوية لهذه الدولة، لازم تفككها ونحاربها، ونشتبك معها.

مثلاً قبل الثورة، حسب المعايير اللي كانت موجودة، ما كان فيه حركة نسوية، ولكن كان فيه نسويات. وبعض المنظمات النسوية عمّ تحاول تغير القوانين، الجنسية، الأحوال الشخصية، الحضانة. النسويات كانت تشتغل بهذه القضايا، وتواجه تحديات، بمعنى إن النظام السوري ما كان يمنح تراخيص للمنظمات النسوية بينما الحركات الدعوية النسائية مثل "القيسيات" تشتغل بالمجال العام. هذا له تفسير؛ هذه الحركات كانت قائمة على منعه الابتعاد عن السياسة وعدم الخوض بالقضايا السياسية، وعمل دعوي بحت. بعد الثورة، اختلف الموضوع تماماً، صار فيه حراك نسوي فرض نفسه بالمجال العام، واستطاعت المنظمات النسوية إن إحدى الوثائق الرئيسية الصادرة عن الأمم المتحدة في 2016 نصّت على مشاركة المرأة بما لا يقل عن نسبة 30% وصولاً إلى التناسف. وهذا من إنجازات المنظمات النسوية.

مثلاً المنظمات النسوية كان عندها فرصة بناء حركة اجتماعية نسوية من خلال التمويلات اللي تنهال عليها، لكن هذه فرصة تم هدرها، وهذا نقد لنفسني، لأنني جزء من العمل النسوي، هو جزء من نقد الحراك النسوي والمنظمات

النسوية. لا أستثني نفسي. شيء كثير مختلف بين بناء منظمات مجتمع مدني، وتأسيس حركة اجتماعية. وجدت مثلاً إن فيه ضعف بإنتاج المعرفة، موضوع المعتقدات، موضوع المعتقدات والمعتقدات من القضايا الرئيسية بسوريا، لكن أغلب توثيقه كان يتجاهل تناول تفاصيل حياة ومعيشة المعتقل قبل وبعد لحظة حبسه. شو الطفولة؟ الدراسة؟ العلاقات داخل السجن؟ حاله خلال الاعتقال؟ وبعده؟ التحديات؟ شو اختلاف أثر الاعتقال بين المعتقلة والمعتقل؟

كل هذا خلاني أكتب بعض قصص الناجيات من الاعتقال بطريقة توثيق الذاكرة الشفوية، وحكي الممارسات اللي بتصور بين الكواليس، ممارسات ضد النساء اللي غالبيتها بتكون إقصائية تمييزية، أخذت هذه الشهادات من عدد من السياسيات والسياسيين من مختلف التوجهات السياسية والأيدولوجية.

مثلاً اندكس كثير بالعدالة الانتقالية بسوريا، على اعتبار إنها صار فيها جرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية. بالتالي العدالة الانتقالية على رأس الأولوية. بعض النسويات يقلن: "والله بدنا عدالة انتقالية حساسة للجندر". طب شو هي العدالة الاجتماعية الحساسة للجندر؟ ما حدا يعرف، بل ما حدا عم يجاوب الناس بشو نقصد إحنا كنسويات عم نحكي بالعدالة الانتقالية الحساسة للجندر، إلا جملة عامة إن، والله، مشاركة النساء ليس فقط قضية، إنما كسياسية، وكقضية، وكمحقة، لكن مش ها هي مش بس قضية المشاركة. هي قضية بنوية بكل آليات العدالة الانتقالية. من هون جاء الحقيقة اهتمامي بالقضايا أو إنتاج المعرفة.

ميّة الرحبي: بالأمل والتفاؤل نحيا ونعمل

ميّة الرحبي طبيبة وكاتبة ونسوية سورية مواليد 1954 (روما، إيطاليا).

أسست مركز "مساواة" المُختص بدراسات قضايا المرأة ودار "الرحبة" المُختصة بنشر الترجمات ومنها كتب نسوية هامة. في شهادتها، تقول ميّة إنها اهتمت بالنسوية والسياسة جراء قراءة كتابات نوال السعداوي والوعي بقمع النظام واستبداده.

وترى ميّة أنّ وضع المرأة في سوريا حالياً كارثي، لكنها متفائلة بالمستقبل البعيد.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 12 حزيران/ يونيو 2020.

ضد الاستبداد

وُلدت بروما، وبدأت تعليمي بإيطاليا، لأن والدي كان بالسلك الدبلوماسي السوري. وبسبب عمله قضيت طفولتي في عدة بلدان أغلبها عربية؛ الأردن، العراق.

نشأت بأسرة لها توجه قومي ناصري، ولكن أسرتي ومحيطي كانوا ضد الاستبداد دائماً، مثلاً سرّج والدي من وزارة الخارجية، تسريح تعسفي، واضطر يهرب خارج سوريا، خوفاً من الاعتقال، وبقينا لوحداً بسوريا وإحنا أطفال مع والدي.

حصلت على البكالوريا بسوريا، ودرست الطب بجامعة دمشق، وبلّش اهتمامي بقضايا المرأة وحقوقها بالجامعة لإحساسي إن وضع المرأة قانونياً واجتماعياً ما كان وضع ملائم. رغم نشأتي في بيئة متتورة تحترم المرأة جداً، لكن الفروق البسيطة التي كنت أحسها بيني وبين إخواني الذكور، وأنا البنت الوحيدة، خلّفتني إستشعر إن فيه فروق، وتنامى مع الأيام ودعم ذلك قراءة مؤلفات نوال السعداوي التي بلورت عندي مفهوم جديد لوضع المرأة، والنسوية بشكل عام. وبسبب تعرّض والدي للاضطهاد السياسي صرت معارضة للنظام الاستبدادي. مثلاً بفترة الجامعة كنت قريبة من بعض الأحزاب السياسية، بس ما كنت مُتنسبة لأي حزب سياسي.

تحرّش

وعمر 24 سنة، وكنت متزوجة وقتها بسوريا، تعرّضت لتحرّش من قبل ضابط بالشّركة العسكرية، في bus، وتحرّش بيّ جسدياً ونزلنا من bus وتابع ضربني بالشارع، وأنا عمّ أضربه، لأنني لا أسكت عن الأذى، بس هو كان أقوى مني بكثير، وأكلت قتلة مرتبة وقتها. وما استرجى أحد من الشارع يتدخل بالموضوع. وعلى أثر هذه الحادثة تركت البلد في 1981، قضيت حوالي سنة بفرنسا، وكان فيه عدد كبير من الطلاب المعارضين. كنّا حركة طلابية سورية ناشطة جداً، وواحد منا راح على السفارة السورية لتجديد جواز سفره، خُدّر ونُقل بالحقل الدبلوماسي إلى سوريا، كانت حادثة معروفة جداً. لهذه الدرجة وصل القمع السوري.

ثم زحّت ألمانيا للدراسة، وبقيت حوالي ست سنوات حتى استوعب فكرة الرجعة على سوريا. ورجعت في 1987، انكفأت سياسياً إلى 1995، وقتها بدأ ينعرف إن حافظ الأسد مريض، وكان فيه استشعار إن راح يصير تغيير بالوضع. وبدأنا تحركات صغيرة مدنية، تجمعات مدنية نسوية في 1998، ولكنها سرية. ومع استلام بشار الأسد السلطة بسوريا، بعد موت حافظ، ادّعى الرئيس الجديد قبول الرأي الآخر؛ صارت فيه مننديات، وكنت ناشطة فيها، وصار شيء اسمه لجان إحياء المجتمع المدني وسميت هذه الحركات بـ "ربيع دمشق"، وكنت المرأة الوحيدة بلجنة تنسيق إحياء المجتمع المدني. شغلنا كان نوعاً ما "سري- علني". وبينتي كان مركز اجتماعات "إحياء المجتمع المدني" والنشاط النسوي. من حسن حظي إنني ما اعتُقلت.

في بدايات حكمه، حاول بشار الأسد تبييض صفحته أمام الرأي العام العالمي، فشكّل الهيئة السورية لشؤون الأسرة، ونحنا استهيننا، وقلنا إنه آه مصدقين إنه فيه هيئة هتشتغل على حقوق المرأة، وحاولنا نشغل معها على مسائل كثير لها علاقة بالمرأة. لكنني استُبعدت من هذه الهيئة تماماً، لأنني كنت معارضة بشكل واضح.

وفي 2001، جاءت لنا أول خبطة من النظام؛ اعتقال عشرة من زملائنا بـ "إحياء المجتمع المدني". بدأنا نحرص بشغلنا أكثر، وصار عملنا أكثر سرية. بهذه الفترة حاولت تشكيل تجمع نسوي، كجمعية صغيرة. حاولنا نرخص، لكن كان فيه تضيق شديد عليّ، استدعاءات أمنية متتالية، ومنع سفر. لحد ما قامت الثورة بسوريا كان الوضع: نشاط على الإنترنت، تجمعات نسوية صغيرة، وحراك سياسي محدود وسري جداً، وتضيق كثير علينا، استدعاءات وتهديدات أمنية دائمة، خوف من الاعتقال. هيك كانت سمة هذه المرحلة.

1 يقصد بها الفترة التالية لوفاء حامط الأسد عام 2000، وبولي نجله بشار مفالند الحكم، وخلالها جرت مناهضات إصلاحات سياسيه ومانونه

لتهميش المرأة. وكل الوعود التي عطانا إياها، إنه يكون فيه مكتب جندي داخل هيئة التفاوض، كانت وعود كاذبة. النظام والمعارضة يختلفوا بكل شيء، ولكنهما اتفقا في شيء واحد فقط: تهमيش المرأة.

ثم انسحبت من هيئة التفاوض. بل من الحركة السياسية النسوية، لأنه حسيت إن دخول النسوية للسياسة لا يجب أن يتم فقط عن هذا الطريق الرسمي. لازم تكون فيه طرق أخرى للنضال النسوي حتى على المستوى السياسي، له علاقة بنضال مع القوى الحرة بالعالم، مع القوى المناهضة للنظام الرأسمالي الذكوري العالمي. في طرق أخرى لازم تتبعها النساء سياسياً، للوصول لمطالب المرأة، هذا اللي اختلف، فقط موقفني من المعارضة الرسمية، التي للأسف تمثل المعارضة السورية، وهي لا تمثلها حقيقة. صاروا مجموعة من الأشخاص اللي امتهنوا السياسية ولهم ارتباطات وعلاقات، ولكن لا يمثلوا الشرائع السورية. وما بحق لهم يحكو باسمها.

أخيراً، تأسست منظمة

في 2012 سمعنا إن الدولة السورية راح تسمح بترخيص مراكز أبحاث، ولان بدّي عمل منظمة نسوية حقيقة، زحّت على وزارة الثقافة لترخيص مركز أبحاث. لكن العائق الأمني كان عمّ بيستتاني، ورفضوا برخصوا لي إياه لعدم وجود موافقة أمنية. وقتها حصلت بصعوبة على ترخيص دار نشر، سميتها "دار الرجة"، لأن فيه قلعة بهذا الاسم بالمنطقة الشرقية اللي إحنا متحدرين منها... وهكذا سميتها "الرجة" تمويهها، حتى يفكروا أنها دار نشر إلي أنا شخصياً، وتحت اسم هذه الدار مارسنا نشاطاتنا كمنظمة نسوية حقيقة، سميتها "مساواة، مركز دراسات للمرأة" عملنا أبحاث ودراسات، بس كمان عملنا مراكز لتمكين النساء داخل سوريا. وبأخر 2014، انتقلت إلى بيروت، ومنها بلّشت أدير المنظمة ومراكز الداخل، وأسسنا دار نشر، ترجمنا فيها أهم الكتب النسوية العالمية؛ "الجنس الآخر" لسيمون دي بوفوار، "المرأة المخصصة" لجرمين غريير، "الغز الأنثوي" لبيتي فريدان. يعني أمهات الكتب النسوية بالعالم. وعملنا دراسات كمان باللغة العربية خاصة بالمرأة السورية، وتشغيل مراكزنا بالداخل. بأخر 2016، طلعت على فرنسا (لجوء). وبقي الفريق تبعنا بلبنان وسوريا وفرنسا. وهلا عمّ أدير نشاطنا بفرنسا وسوريا ولبنان، فريقنا صار حوالي 70 شخصاً.

وضع المرأة بشكل عام بسوريا كارتني حقيقة، مختفيات قسرياً ومختطفات ورهائن عند النظام، وعند كل الجهات المعتقلات عذبهن النظام تعذيب مرعب. تضيق على

أيضاً قبل الثورة أسسنا تجمّع صغير اسمه "تجمّع سوريات". كنّا مجموعة من التجمعات النسوية الصغيرة، لأنه ما كان يسمحوا لنا ترخيص المنظمات. وكان بيننا إسلاميات متتورات ويساريات وليبراليات، من كل الاتجاهات. وقدرنا في "تجمّع سوريات" نشغل عمل نسوي لا بأس به، بالنسبة للظروف اللي كنا موجودين فيها، يعني نكتب تقرير ظل لسيداو وحقوق الطفل، ونشارك في حملات إقليمية للمطالبة بالجنسية، أو المطالبة بإزالة التحفظات على اتفاقية سيداو. كل هذا قدرنا نشغله، بالرغم من كوننا تجمعات صغيرة، ومضغوطة من قبل النظام. وكانت علاقتنا معقولة ومقبولة مع كل التجمعات النسوية. مثلاً لما قَدّمنا طلب ترخيص نظامي لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، استدعينا أمنياً للتحقيق معنا، قالوا لنا: "يكنّ تشتغلوا بموضوع المرأة، روحوا على الاتحاد النسائي. ليش تعملوا جمعية نسوية؟" وهكذا استمر الموضوع.

ما فينا نقول إنه كان فيه حركة نسوية بسوريا، بل كان فيه النساء السياسيات، ولم يكن نسويات أصلاً. بل سياسيات اعتقلن، لكن وجدت رابطة النساء السوريات، اللي هي جزء من الحزب الشيوعي السوري. ثم انفصلت الرابطة عن الحزب في ما بعد. غير ذلك كانت فيه تجمعات صغيرة مثل "تجمّع سوريات"، ولكننا لم نقدر على الوصول للنساء، بل شغلنا إرهابات للحركة النسوية بسوريا. بس ما فينا نقول إنه كان في حركة نسوية هيك يعوّل عليها، بسبب تضيق النظام قبل الثورة.

بلّشت الكتابة في نهاية التسعينات؛ مقالات نُشرت على الإنترنت. وبعد 2000، بدأنا نجتمع مع رجال الدين المسلمين بالمنتديات وجرّت مواجهات بيننا وبينهم. وخلال هذه الفترة اهتمت كثير بالتراث الإسلامي ثم قدمت كتاب "الإسلام والمرأة" لمواجهة رجال الدين المسلمين حيث أقول لهم انتوا عمّ تنتقوا أشياء وتفسروها على كيفكم، وكلها أشياء تميّز ضد المرأة. هكذا حاولت المواجهة من خلال الدين ثم توصلت لقناعة أخرى إنه من غير دستور علماني وقوانين مدنية لا يمكن تغيير وضع التمييز ضد المرأة.

مهمشة من النظام والمعارضة

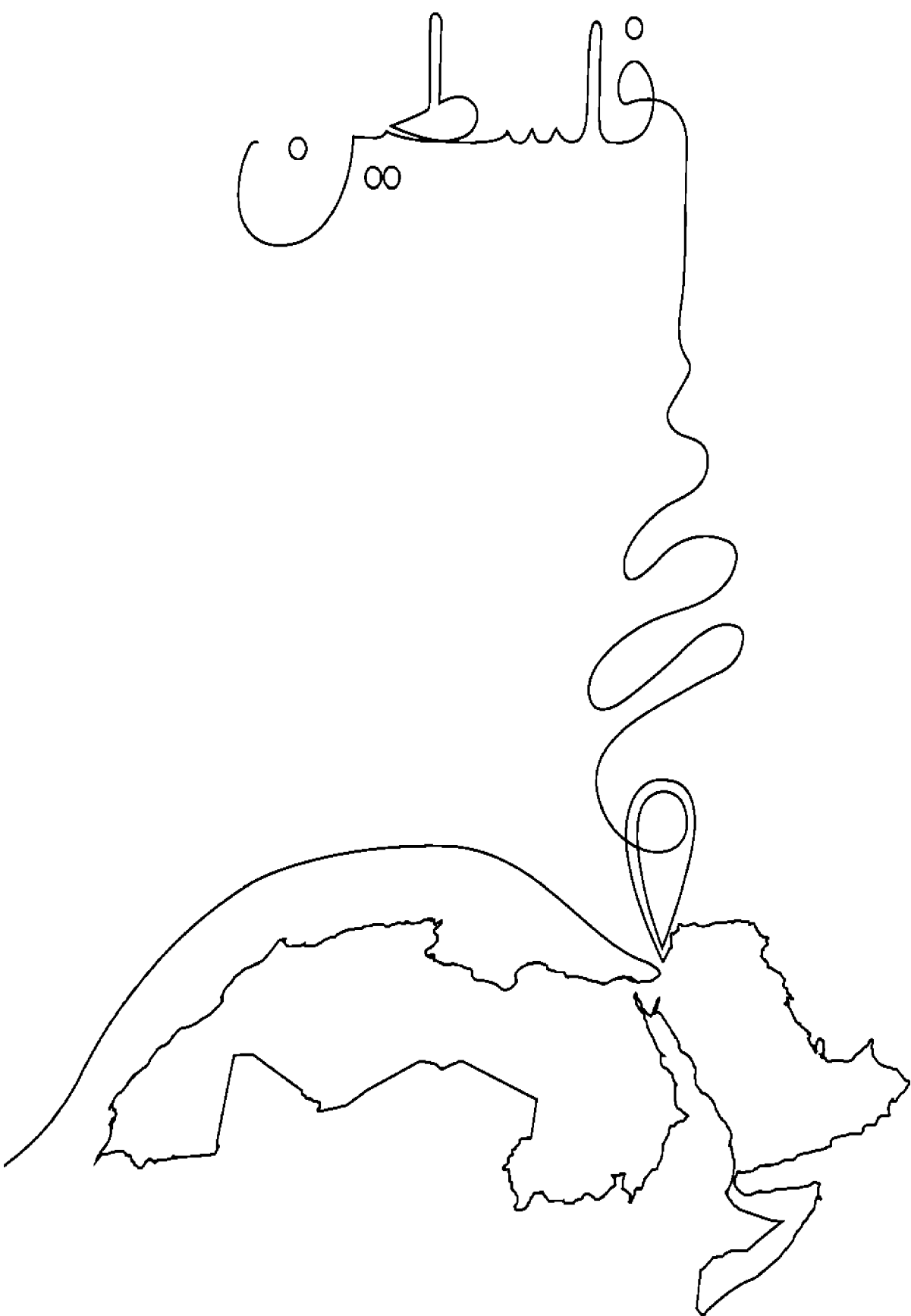
على الصعيد المهني، ضلّيت أمارس الطب حتى 2014. قبلها كنت أعمل كطبيبة إلى جانب كل النشاطات السياسية والنسوية. ثم ركزت على العمل النسوي، ومن خلال هذا العمل حاولنا ندخل لهيئة التفاوض، حتى نضمن حقوق النساء، وانتُخبت كممثلة عن الحركة السياسية النسوية بهيئة التفاوض المعارضة، اللي يفترض إنها تفاوض وفد النظام، برعاية الأمم المتحدة، لكن اكتشفت إن هذه الهيئة تماثل النظام بموقفه من المرأة، وفيه توجه قصدي

ناشطات نسويات يعضهن خُطف. دور الناشطات كان كثير مهم بفترة الثورة السلمية، أغلب لجان التنسيق المحلية التي حرّكت الشارع قيادتها كانت من نساء وصبايا. ولكن من وقت صار النضال مسلح انحسر دور المرأة كمناضلة، وجاءت الفصائل الإسلامية وقطعت بالنساء؛ سبي وتزويج مُبكر. كلنا سمعنا شو عملوا جماعة داعش والنصرة بنساء سوريا، وكذلك فعل النظام، بل جرائمه أقطع بكثير؛ هاجم النظام أحياء ومدن، وجرى اغتصاب كل النساء الموجودات.

مستقبل سوريا ولبنان والمنطقة كلها على كف عفريت. ومش متفائلة بالمستقبل القريب، ولكن متفائلة بالمستقبل البعيد. وهذا اللي بيخلينا نستمر بالشغل، ولكن أماننا عالقين أساسيين: النظام السوري واستبداده، والحركة الأصولية.

نحن أمام معركتين كبار، حتى لو سقط النظام وجاء نظام ديمقراطي، فيه عندنا معضلة الحركات الأصولية المسيطرة على الشارع أكثر منّا بكثير، وعندها وصول للناس أكثر منا بكثير. نحن أغلبنا صقينا خارج سوريا، بينما الحركات الأصولية موجودة بالداخل، سواء بمناطق النظام أو المناطق الخارجة عن سيطرته، والمدّ الأصولي فيها هائل. ما يعرف قد ايش فينا نشغل ضد هذا المدّ الأصولي بالمستقبل البعيد، بس أماننا معركتنا مع النظام الاستبدادي والحركات الأصولية. أماننا نضال طويل جدّ، ويتمنّى العمر يساعدني أرجع بيوم من الأيام على سوريا، بس ما كثير متأمله إنه خلال حياتي يتغيّر النظام ويكون الوضع آمن بشكل إنني أقدر أرجع. بيجوز يقولوا لنا فيه رجعة، بس هل هي أمانة؟ ما يعرف. ما عدت صغيرة، ما يعرف إذا بلتق، ولّا ما بلتق.

فلسطين



سرديات من فلسطين

إصلاح جاد
آمال خريشة
انتصار الوزير
أيلين كتاب
جيهان الطلو
دلال سلامة
ريتا جقمان
ريما نزال
زهيرة كمال
سعاد العامري
سلوى أبو خضرة
سما عويضة
سهام البرغوثي
سوسن شنار
فادية الحلته
فيرا بابون
لنا أبو حجلة
ليزا تراكي
ماجدة المصري
منتهى جرار

إصلاح جاد: تاريخياً مصدر شرعية الحركة النسوية الفلسطينية هو مقاومتها للاحتلال

إصلاح جاد، هي نسوية وأكاديمية مصرية مواليد القاهرة 1951، اختارت العيش في فلسطين، التي كانت بالنسبة إليها أرض النضال، ولا تزال.

إصلاح هي واحدة من مؤسسات معهد دراسات المرأة في جامعة بيرزيت الفلسطينية، ولم تغادر بلد زوجها إلا لإتمام دراستها للدكتوراه في لندن أواخر التسعينيات.

وفي شهادتها المعتمدة على مقابلة جرت في 27 أيلول/سبتمبر 2020، تخبرنا إصلاح بعملها على تشكيل جسم منظم للنساء وضغط على السلطة، وذلك من دون نسيان أنَّ تلك السلطة ليست مُستقلة، بل هناك احتلال، وهو الأمر الذي يتطلب ألا يتخلل العمل النسوي عن دوره النضالي ضد هذا الاحتلال. لذا، ترى إصلاح أنَّ "أوسلو ضيّعت البوصلة"، كما تتحدث عن مخاوف أخرى.

مصرية في أرض النضال

أنا إصلاح جاد، مصرية، عشت في أسرة كبيرة العدد، جدتي لأمي كانت بصعوبة بتجيب أطفال، جابت بس أمي وخالي. لما تزوجت أمي كانت كثير تصرّ عليها تجيب أطفال كثير تعوض نفسها، أنا من أسرة فيها 7 إخوات، إحنا 4 بنات و3 أولاد. عائلة متوسطة، أبوي كان تاجر حديد وصلب، أمي كانت ربّة بيت، تعلمنا في مدارس حكومية، كنت كثير متفوقة في دراستي من وأنا صغيرة. لأنه بس تولدت أمي جالها مرض يصدرها، فما كانتش قادرة ترضعني، وعشت مع ستي من وأنا عمري أربعين يوم تقريباً، لصرت تقريباً 12-13 سنة. كنت كثير مدللة عند ستي، كثير ترعاني لحسن حظي، كثير تباشر دروسي، كانت دائماً تشتري لي الجريدة عشان اقراها للجارات عندها فكانت كثير مبسوفة إنبي يعرف اقرأ، فعشت طفولة كثير سعيدة معها.

ستي كانت شخصيتها كثير قوية، وكثير اجتماعية، وكان لها بيت أربع طوابق فيه حيران، وكانت هي BOSS، أولاً لكونها صاحبة البيت، بالإضافة إن لها عقل راجح وحكيمة، الكل كان يرجع لها، يعني لو احتاج شي، أو عنده مشاكل. كثير شخصيتها اجتماعية ناجحة ومنفتحة، كانتش كثير تحب جدي لأنه كان بخيل، وهي كانت غنية، وأهلها أجبروها عليه لأنه ابن عمها، وهي وحيدة أمها وأبوها.

كنت معها في زيارة المساجد والأسواق والمطاعم، كثير كانت تعزمني في مطاعم كثير لذيدة. كثير أثرت فيّ، أعطتني كثير حب ورعاية، وأعطتني كثير اهتمام. اللي خلاني أكون مختلفة إلى حد كبير عن باقيه إخواني اللي طبغاً كانوا كثير، وأمي مش فاضية للكل، يعني ما فيش space لهذا. فستي Definitely أثرت فيّ. ومع تأثير ستي في المدرسة كانت ناظرة مدرستي الابتدائية كثير تهتم فيّ، كان اسمها رتيبة (مش فاكدة اسمها الثاني إيه)، كانت الناظرة تطلعني الضبح على الإذاعة المدرسية ألقى هيك مقالات صغيرة كنت اختارها من الجرائد، إيش الأخبار المهمة اليوم، خمس دقائق يعطوني بالإذاعة المدرسية. كنت بالمدرسة نشيطة رياضياً وأدخل مسابقات رياضية على مستوى الجمهورية.

يعدين في المرحلة الإعدادية والدي أصرّ إنبي أكون مع إخواني، ما كونش لخالي مع ستي، كلهم مش كانوا كثير فظيعين بالمدارس، وأنا كنت كثير شاطرة، وكنت أحس فيش space كفاية ليّ.

في فترة الدراسة الإعدادية والثانوية، كنت كثير اقرأ بشكل كتب خارجية، ودخلت منظمة الشباب، اللي هي تنظيم ناصري عاملوه للشباب. اختاروني لشيء اسمه "التنظيم الطليعي"، اللي هو الكوادر المميزة بين الشباب اللي يعملوا منها هذا التنظيم السري. كنت بمخيم تبع التنظيم، وكانوا يلبسون زي موحد لونه أزرق هيك، من القطن، وواسع، وكثير منضبطين، وكنا قاعدين في خيم بنادي الجزيرة. وقتها صارت حرب 1967 وكانت صدمة كبيرة لنا في المخيم. اذكر قد إيش يكي، هيك كيف لما الواحدة تشعر إن أمالك وأحلامك ما بيحدها أي شيء، ولّا حتى السما. كيف أنا مصرية، وعبد الناصر معبود الجماهير العربية، وبعدين فجأة هذا التمثال الضخم انكسر، كان كثير صعب. وأثرت على تفكيري اللي لأول مرة ما كنت اتخيل ممكن أنقد عبد الناصر، الشيء الي دفعني اتجاه اليسار أكثر.

عضوة في تنظيم لا تعرف اسمه

خلصت المرحلة الإعدادية والثانوية بتفوق، والتحقّت

دراسة الماجستير. اشتغلت بـChelsea hotel، يعني housekeeping، وزوجي كان laundryman الذي هو بجمع الغسيل. اعتقدنا أننا بتقدر نشغل ونكمل دراستنا، لكن طلع كثير صعب، مكُنش فيه إمكانية لأن الدراسة في بريطانيا كانت غالية وقتها، كانت أربعة آلاف جنيه استرليني للواحد. تركناها لفرنسا لأن زوجي أخذ منحة للدراسة هناك، وأنا ما كنش عندي منحة، اشتغلت بقعد ناس بسينما وهيك أشياء.

فعلًا الدراسة مجانًا بفرنسا، بس المعيشة غالية، فمئحته وشغلي كان يا دوب بيكفيننا، قعدنا ثلاث سنين، زوجي كان ناشط في الاتحاد العام لطلبة فلسطين، وأنا كنت أحضر لقاءات بس ما ليش نشاط سياسي مباشر. لكن تعرفت في باريس على قيادات الحزب الشيوعي المصري، محمود أمين العالم وميشيل كامل، وبقيت أنشط معهم. كنا نعمل مثلاً استاند مصرية في حدث اسمه "عيد الإنسانية" اللي هو عيد جريدة الحزب الشيوعي الفرنسي، فكنش أنشط في هذه المجالات، أو مؤتمرات اتحاد الشباب الديمقراطي. روحنا مرة على برلين، ومرة على كوبا، نشاط في إطار المصريين اللي خارج مصر. كنت أي نشاط بتطلب تجميع كتابات أو نقل أشياء بنشط فيه.

إلى أرض الأخطام

ولما خلاصنا الماجستير، جاء حمايا على باريس، وهو لما أبعدوه من فلسطين رفض يأخذ زوجته، بل ضلت في فلسطين مع الأولاد، ومنهم عمر وناصر، ممنوعين من السفر من سن 12 سنة، وكانوا يعتقلوهم بشكل مستمر. فكانت الأم تسافر مع الولدين الصغار عشان تقابله. حمايا قال إن حمايتي "كثير تقلبت، لأنها عايشة لحالها بقالها ست سنين لحالها، ورايحة جاية على الجسر وتبهذلت.. خلاص بيكفي دراسة هيك، وتكملوا الدكتوراه بعيدن"، لأن كنا مسجلين على طول للدكتوراه، وإن حمايتي بدها تطلع بالصغار، والولدين عمر وناصر مبيقدروش يطلعوا، لازم حدا يقعد معهم بالبيت، عشان هي تقدر تطلع. أتذكر زوجي قال: "لا، إنه إخوانا سَجَلنا أننا تكمل دراستنا"، فأنا بدون تفكير قُلْتُ لَه إنت اقعد وأنا هرجع، أنا بدّي اقعد مع عمر وناصر، وكنت بشعر هذا أقل شيء، واجب وطني لفلسطين أو للفلسطينيين إن أسهل على عائلة مناضلة عيشتها.

أجبر زوجي إنه يرجع، لأنه كان لازم يعمل ليّ تصريح زيارة، فرجع وعمل ليّ تصريح زيارة ودخلت، وكان يوم مشهود يوم ما دخلت على فلسطين، كل شي غريب بالنسبة ليّ. رجعنا على هون في تشرين الأول/أكتوبر 1979، كنت حامل في ابني الأول. وكوطني ناصرية وعروبية جدًا، فإني آجي

بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ولاني كنت متفوقة بالتوجيهي، كانت الحكومة تعطينا منحة كل شهر للمتفوقين، على أساس تشجع إن التفوق يستمر. تعرفت على زوجي، وهو فلسطيني، صالح عبد الجواد، وأنا بسنة أولى بالجامعة، كنا كثير ناشطين أنا وهو داخل الحركة الطلابية من أواخر 1970 وفي 1971، نشارك في مظاهرات ونخوض نقاشات. لكن فجأة بدأت اعتقالات، بتذكر مثلاً هاني شكر الله تخبى، لأنني كنت في "حزب العمال الشيوعي" من غير ما أعرف، أنا عضوة معهم بس من غير ما أعرف أنا مع أي تنظيم، كان وقتها أحمد عبد الله، وهاني شكر الله، وسهام صبري، وأروى صالح، لما حصلت الاعتقالات والناس اتخبّت، أنا كنت مسؤولة عن مجلة الحائط بالكلية، فكتير أكتب إيش اللي صار ومين اللي اعتقل، بس الحمد لله كنت تركت الاعتصام قبل فضة بنصف ساعة، لأن والدي بعث أخوي قال ليّ: "بابا بيقول لك اطلعي فوزًا، لأنه عرف من ضابط صاحبه إنهم هيجوا ويقبضوا عليهم"، أخوي أصرّ، وطلعت مفيش نصف ساعة، وكانوا واخدينهم كلهم.

لما أنهيت الجامعة بـ1974، تزوجت على طول وتركنا مصر إلى بيروت. التحقت أنا وزوجي بالجامعة الأمريكية، ثم تركناها بكانون الأول/ديسمبر من نفس السنة، صالح كان في صفوف الجبهة الشعبية وقتها، وكان فيه ناس بدأوا نشاط في المخيمات مثل روز شاملوا وسميرة خوري، وبدأت أروح على المخيمات، بس مكُنش فترة كافية لنستقر. ومفيش خمس شهور بلّشت الحرب الأهلية في لبنان، فكان زوجي له أخ مستشهد ما صارلوش كام سنة، فأم زوجي، الموجودة في فلسطين مع بقية أولادها، أصرت أننا ما نقعد في بيروت، وروحنا على الشام هيك شهرين، كان الوضع كثير صعب، بعديها روحنا على عمان. أنا اشتغلت مدرّسة في مدرسة إعدادية للبنات، كنت أدرس مادة الرياضيات اللي مليش علاقة فيها. بعدها قعدنا بملن سنة في عمان، كان مستحيل عمل أي شي، وأصلد وأنا داخلة عمان وقفوني وسحبوا جواز سفري، لأنهم لقوا بأوراقني بالصدفة إحدى الرسائل اللي كان حدا بعثها من الضفة لحمايا، وهو مؤسس الجبهة اللي هي كانت تنظيم سياسي لمقاومة الاحتلال بشكل شعبي وجماهيري وأبعدوه بـ1973. سألوني عن الرسالة، وأقول لهم وروني إيها أنا مش عارفة عن إيش بتدكوا، سحبوا جواز سفري تقريبًا أربع أو خمس شهور، إنك ما تقدر يمش تقعد في أي أوتيل ولّا في أي مكان، أو تمشي بعد الساعة 4 بعد الظهر، لأن كان فيه كثير دوريات في عمان وقتها، فكان مستحيل تعملي أي نشاط سياسي.

تركنا الأردن وروحنا على لندن، على أساس تكمل

على فلسطين يعني جاية على أم المعارك، أرض النضال والاحلام، مكان فيه أبطال مش بنى آدميين عاديين، فكان شي كثير جميل.

حماتي قعدت معي فترة وبعديها طلعت أخذت الصغار أو أصغر واحد وتركزت ثلاثة أولاد معي، وابني اتولد في شهر آذار/مارس 1980، ضل بعدها بسنة ونصف جيت بنتي الثانية، وكمان سنة ونصف جيت الثالثة.

كانت فترة التربية، عشت مع أخوات زوجي الثلاثة ثلاث سنين، وكانوا كثير لطاف وانبسطة معهم، هم ملهوشم أخت فاكشفوا إن عندهم أخت هي أنا.

هنا لما جيت هون كثير استغربت إنه قد إيش الفلسطينيين متقسمين على أحزاب كثير، هذا شي كثير دهشني. إنه القضية ها القد واضحة، لبش ها القد منقسمين. فأول ما جيت، واني جاية من فرنسا ومتعلمة، فكان كثير زيارات لساتات، يجوا يزورونا، كأنهم جايين يسلموا على كنه أبو صالح، بس في نفس الوقت منها التعرف عليّ، ومنها محاولة تنظيم. ناس مثلاً من الحزب الشيوعي كانوا في نقاشات معي، من الجبهة الديمقراطية، من الجبهة الشعبية، "فتح" لا ما قريوش كثير عليّ، بس ثلاث تنظيمات نساء منها تيجي وتحاول "تعاللي معانا". فكنيت أقول لا، بدّي أعرف لسه، أنا مبعرفش الوضع وبدّي أعرف أكثر. وصار ينضغط عليّ أكثر إنه "لساتك تتعرفني، خلاص احسمي الموضوع"، فقلت لا، هذه الفترة هي فترة تربية الأولاد، وأنا لسه مش عارفة إيش الوضع بشكل عام إني ألزمت بأي حدا من أولها بالشكل هذا.

وأثناء هذا كنت بترجم من الفرنسي للعربي لجريدة "الأيام"، ضليت تقريباً 1980-1981. وزوجي سافر عشان يكمل الدكتوراه في آخر 1983 (حتى 1986). كنت كثير نشيطة اجتماعياً، مثلاً اشتغلت مع سميحة خليل (أم خليل) في جمعية "إنعاش الأسرة" على برنامج كفالة. كان فيه فرنسيين منظمات وأفراد يتبنوا أطفال بالجمعية بالصرف، يجوا كل سنة يعطوهم مصاري، ويزوروهم وياخدوا معهم صور. فكنيت على تواصل مع مشروع التبنّي هذا من الفرنسيين، أو اللي يحكو اللغة الفرنسية، لما يجوا أقعد الترجمة لهم، وتخليهم يزوروا أقسام الجمعية، أو أخذهم محلات، أو مثلاً أم خليل تستعين في بأي شي صحافة أو زيارات لقرى عند عائلات هم متبنين أطفال عندها.

اشتغلت في جامعة بيرزيت أواخر 1983، كنت أدرس علوم سياسية، وبستغرب إن ها القد فيه إذلال وقمع، ومفيش مقاومة، يعني الناس عايشة عادي، مش عادي تماماً بس مفيش حد بيعمل شي. أتذكر محرم البرغوثي، كان بالحزب الشيوعي، ويجي عندنا، وفي المناقشات كنت أقول عند

المستوطنات ليش يشعروا [المستوطنين] بالأمان في الطرق؟ ومحرم قعد يتمسخر عليّ، يقول لي: "آه أنت بذك تقاومي بإقلاق راحة المستوطنين، يعني شي مسخرة". فقلت له آه، أنت لما تكون كل يوم بذك توصل لبيتك، ولا عندك مي بشكل منتظم، ولا كهرباء بشكل منتظم، وسيارتك ينضرب عليها، كيف بذك تقعد في بيتك، تفكر ميت ألف مرة إنك تنقل من المكان. فكان هيك نقاشات وكنيت أحس كثير بأثر على سلافي وقتها، بعدين عرفت إنهم كانوا فعلاً يرموا حجارة على المستوطنين، يرموا حجارة الأول، وبعدين صاروا يرموا مولتوف، وأنا مكنتش أعرف إنهم بيعملوا هذا الشي.

الانتفاضة الأولى كانت بالنسبة لي نقطة تحول كبيرة على كل المستويات. أول شي، أنا كنت أول أكاديمية في جامعة فلسطينية تنزل المظاهرة، المظاهرات كانت لشباب المدارس وللصغار، بس ينزلها مسيسين أو أشخاص في أحزاب سياسية أو تنظيمات، بس ما كان ينزلها الناس اللي هما professional مثل أساتذة جامعات.

نزولي المظاهرات كان استجابة لجولات آمال خريشة وختام سعافين وأخريات، كانوا يبقوا حاملين أطفالهم صغار ويلقوا من بيت لبيت عشان النساء تطلع المظاهرات. كل تحركات الانتفاضة الأولى أطلع فيها، بالذات المظاهرات رمي حجار، وأصبت مرتين برصاص الكابتشو بفخذي، بس مكنتش أخاف، وكنيت أشوف آمال خريشة قد إيه جريئة وشجاعة، يبقى بينها وبين الجنود مسافة وبيطخوا ولا تهتم، وتهتف وتشجع النساء يتجمعوا مرة ثانية. ونفس الشي بشير البرغوثي، كان يبقى بينه وبين الجنود متر أو مترين، ويرمي حجارة ولا يهتم، فكان فيه شجاعة منقطعة النظير. وقت ما كنا نطلع في الانتفاضة، وكنيت أشجع زملائي بالجامعة، ليش ما تنزلوا. أتذكر مثلاً ليذا تراكي أقول لها تنزل، حنان عسراوي وهي حتى ذكرت هذا بكنايتها، "كانت إصلاح تيجي تقول لنا...". فصار يجوا يقولوا لي: "طب فين التحرك؟ وين يتروحوا؟"

أول مرة نخبة الأكاديميين تنزل، هيك تكونت علاقات وصداقات وكان جو من الأجواء كثير جميلة. وهذا دخلني كثير للتنظيمات النسائية اللي ما كانت موجودة وقتها، وصار إن كل حدا يجذبني على النشاط، وصارت تتكثف الجهود أكثر ويجاولوا يقطروني، فكان عندي علاقات مع سهام برغوثي وزهيرة كمال وآمال خريشة، علاقة هيك بين عائلية بين صداقة، ما بين إعجاب بالنشاط السياسي. لكن مش لمرحلة إني أدخل التنظيم. ضليت هذا نشاطي بالانتفاضة الأولى اللي هي مظاهرات وتبرعات. بعدين الاحتلال سكر الجامعة من 1989 إلى 1993. كان العمل النسوي بدأ مع الانتفاضة الأولى.

خلق مساحة للبنات

بعد الانتفاضة عملت مقترح وقدمته للكنديين لتأسيس "ركن الطفل" في قطعة أرض جنبنا عند الجبل الطويل مهجورة، كانت مدرسة الهاشمية والاحتلال نقلها لجهة لآخر البيرة، لأنه شاف إن هي مدرسة مشاعين طول الوقت، وكانت جانب مركز الشرطة والطلاب كان يقذفوه. ذكر شباب مدرسة الهاشمية ها دول كنت بشوفهم كلهم أبطال، ها دول أول من اخترعوا قضية عمل الحواجز، ويحطوا حجارة بالطريق، يولعوا إطارات، يرفعوا أعلام، لما يجي الجيش يرموا حجار، ابتدعوا أشكال مقاومة فظيعة، اللي هي انتشرت بعد هذا.

في المقترح قلت إن مكان المدرسة يتنصف ويصير ملعب للأطفال، وإن يبقى فيها على حوافها شي للأطفال بجوا يزرعوا، يبقى فيه أرانب مثلاً، إنه مفيش شي للأطفال وقتها، إنه يكون فيه مكان فيه الزهور والأشجار، لأن الانتفاضة كان فيها مناظر عنف فظيعة بيشفوها من الإسرائيليين، كنت أشوف بالحي وقتها إن بساس² نازلة من آخر الطلعة تركض وحارقين ديلها الأولاد، أو بساس مشنوقة. كان إن أطفال بتفرغ عنفها. أن يبقى فيه زراعة، ينمو شي، يجيو شي. وفي نفس الوقت يكون فيه حيوانات زي سلاحف، ضفادع، أرانب، صيصان، إن يبقى في تعامل مع الحيوانات بشكل مختلف. قبلوا المشروع وجينا مصاري حوالي 20 ألف دولار كندي، روجت جيت لجنة الحي على أساس أنا مش بدّي استلم المصاري، فأعملوا لجنة وخدوا المصاري، ويبقى في حد مسؤول الصرف، وإن هذه الفكرة هيك هيك راح تنعمل بهذه المصاري. طلع الشباب معظمهم من "فتح"، وتقليديين، مش متعودين التعامل مع النساء، كانوا ذكورين جداً، وأنا طبعا في proposal المشروع حظيت إن المكان يكون ملعب بالذات البنات، لכן البنات مع قلة المدارس صاروا محشورات.

كل هذا كان جبر على ورق؛ حطوا كله أسفلت على أساس بدهم ملعب كرة قدم، فقلت لهم لآ لازم للبنات، قالوا: "لآ ما يصرش بنات تيجي في ملعب للأولاد"، قلت لهم لآ أقروا هذا [تقصد الـ proposal] وبعدين استخدمت إن هذا ضد الاتفاق وهددت إن الكنديين ممكن يسحبوا المصاري. فقالوا لي: "نقسم الملعب أيام البنات، وأيام للشباب 3 أيام للبنات، وباقي الأسبوع للشباب"، وبشرط إنه يحطوا شادر على كل الملعب، يجربوا الملعب، وهذا "فتح"، ويقولوا إن "حماس" متخلفين وشو، وفعلنا جابوا شادر شكله بشع جداً لونه أخضر بلاستيك، وحطوه دائر ما يدور حول الملعب.

فطلع إن كان غلطة إنني أعطيتهم المصاري، لأن Money is power، مجرد ما اخدوا المصاري مني اركني على جنب،

وهيك تصيري تحضري الاجتماعات يتمسخوا عليك، لأن كلهم شلة وأنا اللي مش من الشلة. ولقيت أنا لحالي مش قادرة عليهم، فصرت أقول لصالح يجي. فصار مرار يجادل معهم، إنه بدهم زلام في النهاية، الخطأ هو إن كان أسلمهم المصري. المهم صار للبنات بجوا لهم 3 أيام، وبعدين بدأوا يسطوا كثير على أيام البنات، أو بيعتوا أولاد صغار.

إفشال تحجيب نابلس

في 1989 جرى تأسيس مركز شؤون المرأة، واحد بنابلس والآخر في غزة، و"شؤون المرأة" كان أول منظمة غير حكومية، ليست تابعة للأحزاب السياسية، لأنه قبله مفيش عمل نسوي مستقل عن التنظيمات السياسية، إلا الجمعيات الخيرية. وهذا المركز مكنش جمعية خيرية، بل يعني بشؤون المرأة عبر أبحاث وكتابات، وكانت بتطلع عنه مجلة شؤون المرأة. ومن ظهور التيارات الإسلامية في فلسطين، وسعيها لفرض الحجاب نظم "مؤتمر بيسان"² 1989، كان الدافع وراءه إن "حماس" بدأت تفرض موضوع الحجاب على غزة وأماكن أخرى. كان فيه صراع مثلاً إن على نابلس إنه تكون فيه حملات "تحجيب نابلس". الرملة جربوا على الخفيف بس ما ظبطت.

الأحزاب السياسية أفسلت إعلان "نابلس مدينة شرعية"، بمعنى أن يقال إن كل النساء فيها محجبات. كان هذا شي غريب لنا وقتها. لما صار في موضوع عليه ضغط وعليه مقاومة من تنظيمات ثانية، "حماس" قالت إنه "مكنش عندنا توجه رسمي" بس صار هذا. وصفت ربما حمامي هذا في وقتها وقتها إنه صار فيه نوع من الدور الوطني للصغار، إن شباب صغار بدهم دور وطني يعملوه، إن يا إما يرموا حجار، أو يا إما يخلوا النسوان تتحجب. صار فيه هذا التوجه، بس طبعا اللي زاد منه هو زيادة قوة التيار الإسلامي، واللي زاد من قوة التيار الإسلامي هو تخلي منظمة التحرير عن المقاومة. وموضوع المقاومة له تقديس عند الفلسطينيين، فهذا الفصيل تبع المقاومة فيجي package مع حجاب وصلابة وجوامع. صار دور "حماس" في المقاومة بعد أوصلو، هو اللي زاد من جذب كثير من الناس إلى التيار الإسلامي، اللي هو ما كنش موجود في وقت الانتفاضة الأولى.

جسم ضاغط على السلطة

من ناحية أخرى، وقت أوصلو كان فيه تأسيس للجان فنية بعد الاتفاق، على أساس أن هذه اللجان تحضر للسلطة قبل وصول السلطة، وكل اللجان الفنية كانت تحضّر كادر

2 مركز بيسان للبحوث والإنماء، تأسس في 1989، وإصلاح جاد كانت عضوه في اللجنة التأسيسية

فني اللي هيمسك مثلاً وزارات في ما بعد.

زهيرة كمال كانت على تواصل بقيادة الجبهة الديمقراطية في تونس، وقالت لنا إن "ها دول بيحضروا لجان ومفيش لجنة للمرأة" فقلنا: "لا، لازم يبقى فيه لجنة للمرأة". وفرضنا وقتها يبقى فيه لجنة للمرأة. فقالوا لنا: "أوكيه، اكتبوا إيش بذككم". وبدأنا نكتب وثائق أولى عن الموضوع هذا. بعدها كنت أنا كتير بقنع مها نصار من "اللجنة الشعبية" إنها تيجي باللجنة، إنه لجنة يعني زي ما نقولي بتشمل كل اللجان، ملهاش طابع كتير مسيس يعني ملهاش صلة مباشرة بأوسلو، وكانت رؤيتي إننا مش هدفنا تأسيس السلطة، أو نكون جزء منها، بل هدفنا نكون جسم ضاغط على السلطة، جسم منظم للنساء وضغط على السلطة. بس زهيرة طبعاً كان رؤيتها "لا، نكون جزء من السلطة"، عشان هيك لما اللجنة الحكومية اللي كانت في وزارة الخارجية أسست زي جسم حكومي للتنسيق لقضايا المرأة، طبعاً زهيرة دخلت فيها على طول. وفي النهاية، أقتعت مها نصار وقتها إننا نؤسس الطاقم في 1994. والطاقم نجح إنه يجيب أموال، وإنه هذه الأموال توزع على نشاطات كثيرة تشمل عمل نسائي في أماكن مختلفة، سواء دعم حضانات، اللي هو بدأ يقل تمويله الأطر النسوية. فكان هذا ائتلاف المفروض ائتلاف سياسي للأطر النسوية، لأنني شعرت إنه NGOs بتصارعها الشديد جداً عماله تقضي على الأطر النسوية. فكان جزء من الرؤية إن ها دول أساس العمل النسوي، وكان الطاقم هدفه الحفاظ على عمل الأطر النسوية السياسي مع النساء، بس طبعاً كل شيء بيتحول لـ NGOs بعدين.

تغيرات الجسم الضاغط على السلطة

الضغط على السلطة ضله موجود، بس في نفس الوقت بتخلي هذا الجسم نفسه، بذك مديرة، بذك موظفات، عشان بنطلع مجلة "صوت النساء"، خلاص يتحول "الطاقم" إلى منظمة غير حكومية. عشان هيك كانت العلاقة دائماً شائكة بين الهيئة الإدارية وبين الطاقم الإداري، الطاقم الإداري كان في صراع ما بين رؤية الهيئة الإدارية وما بين الطاقم الإداري. الطاقم الإداري بده شي بسرعة، بس مع الهيئة الإدارية بذك موافقة سياسية عليه. أتذكر مثلاً كان في أول انتخابات في 1996، وإنه جاء مصاري على أساس تحفيز مشاركة النساء في الانتخابات، وكان مهتم بالموضوع منظمة كندية من كيبيك، واعطونا تمويل في الهيئة الإدارية كان 64% من الميزانية هيروح للكنديين، إنه أصروا يجيبوا لنا مديرة للمشروع هذا، وهذه المديرة من كندا، طب المديرة طلعت واحدة لسة مطلقة جديد وعندها أطفال، كانه حدا في المشروع بده

يدبر مديرتة، ما بتعرفش كلمة إنجليزي، عمرها ما عاشت في المنطقة، وعشان تحضر اجتماعاتنا لازم اقعد اترجم لها شو بنقول، وجابوا لها شقة وسجلوا أولادها الاثنين في مدارس بالقدس، جابوا لها سيارة باسات جديدة، وجيت حطيت رجلتي بالحيط إنه لا يمكن، وإن مش بذكنا المشروع، ومين قال لكم إننا محتاجين مديرة، ومين قال لكم تجيبوا لها سيارة. فعلاً باعت السيارة وأخذت أولادها، كانت عبء علينا، بس هذا عرضني بشكل مبكر لبيزنيس الـ NGOs شوفت قدامي ناس أنا بعرفهم اختلوا، وشوفت لمان ناس كنا في الشارع مع بعض وكيف صاروا حاطين عينهم على السلطة، شوفت كيف المصالح تتكون. شايقة سواء من خلال NGOs أو من خلال الحكومة، هيك شي تغير. بدأت أشوف إن كيف هذه الأشكال من المصالح تغير طبيعة العمل.

مثلاً، لما سافرت في 1999 لأكمل الدكتوراه في بريطانيا كان وضع العمل النسوي وتغييراته هو موضوع الأطروحة تبعتي، كل كلمة كتبتها فيها كانت طالعة من قلبي، هي جزء من تجربة أنا عيشتها، وعيشت نقاشاتها. هذا اللي خرطني بشكل كبير في العمل النسوي.

مثلاً يعتبر إن أوسلو ضيّعت بوصلة النساء، بمعنى خلت فيه خطاب جديد يظهر، اللي هو خطاب مطالبة السلطة بحقوق المرأة، وكأنها هي سلطة مستقلة أو دولة، وهي مش دولة ولا مستقلة. فصار فيه إهمال كبير للقضية الوطنية، والنضال ضد الاحتلال، هلا تاريخياً مصدر شرعية الحركة النسوية الفلسطينية هي مقاومتها للاحتلال، وإن هي جزء من حركة التحرر الوطني الفلسطيني. وهذه الحركة مكتتش مركزة بشكل كبير على إيش رؤيتها لموضوع تحرر المرأة، وحقوق المرأة، بس هذا الدور كانت تلعبه النساء. بعض الرجال المتتوربين في قلب الحركة الوطنية، اللي كان يدفع لتغيير الأمور، إن توجه مثلاً زيادة التعليم للنساء. الإنجازات في مجال التعليم والعمل العام.

العمل الوطني دفع كتير الالتحاق بالأحزاب السياسية، بدليل مثلاً إنك لو نظرتي حوليكي كل الكادر النسوي القيادي لليوم هو من نتاج الانتفاضة الأولى، ومن نتاج تربية الأحزاب السياسية. إحنا من أوسلو مع انتشار العديد من المنظمات غير الحكومية، القيادات اللي طلعت ما تقدر تقول إنها قيادات على مستوى الوطن، ولا بتقول إنها قيادات تشبه القيادات النسوية اللي كانت بتقود مرحلة الانتفاضة الأولى، لأن قيادات المنظمات غير حكومية، معروفة لمنظمتها، أو معروفة لكم ممول يدعوها مثلاً لمؤتمرات دولية، بس ما في ها الكادر النسوي من الـ NGOs اللي هو معترف به وشرعيته للجميع، ليش؟ لأنه تم هذا

الفصل ما بين النضال النسوي، وما بين النضال الوطني، وهذا دائرة مفرغة لحد هلا بندوق فيها. وزى ما أنت شايقة تشهد تراجع قوة النساء، وتلاقى إنه تحولت لمجموعات ضغط، أكثر شي مجموعات ضغط. هلا ضغط على موضوع قانون الأحوال الشخصية، أو ضغط على موضوع العنف، قانون حماية الأسرة. ضغط بس شو اللي أنجزناه من خلال هذا الضغط، يتم الضغط على السلطة، وها السلطة شرعيتها مأكلة من 2006 ما صارتش انتخابات، ومعناه إنه أي ضغط شعبي ممكن يزيد من تأكل هذه السلطة. عشان هيك خايقة إن تمس في قوانين، ليش السلطة لم تتجاوب مع الضغط اللي كل يوم أثلافا، وكل يوم وفود، وكل يوم كتابات، وفي نفس الشيء مقيش شي بيتغير في ما يتعلق بالقوانين. شايقة إن وضع كل الجهد في سلة القانون هذا مش صح، لأنه القوانين هذه بدها سلطة عندها بعض الشرعية، عندها السيادة على أرضها. أنت لو أخذتي قانون الأسرة مثلاً اليوم، هطفيه فين؟ قطاع غزة متقدريش تطبيقه عليه، لسه قانون مصر ساري هناك. القدس ما تقدرينش تطبقين عليها القانون، تصفي المسألة مضحكة، هطقيه على مراكز المدن مثلاً. السلطة مقيش عندها السيادة على الأرض، ولا على شعبيها. أنا مش ضد إننا نركز على القانون، بس ميكونش كل تركيزنا على القانون، إنه في أشياء تانية مهمة بتأثر على حياة النساء غير القانون. زي مثلاً مصادرة الأراضي.

آمال خريشة: نتحدى ما يفرضه الاحتلال على النساء وممارسات المجتمع الذكوري أيضًا

آمال خريشة، نسوية فلسطينية، مواليد 1957. في عقدها الأول، عاصرت حربًا، وعاينت خطوبها الصادمة، لكنها من سن مبكرة انتهت للتمييز والتنميط. تربت على النضال ضد الاحتلال، وحاولت دائمًا أن توازن بين النضال الوطني، ووعيتها بدور المرأة في ذلك النضال، وحقوقها. لكن مع تراكم الخبرات، تبين أن الموازنة بين النضال والعمل النسوي قد تظلم الأخير. والدليل، أن النظام السياسي، والتشريعي، وكل جهود الحركة النسوية، لم تثمر عن سن قوانين أحوال شخصية فلسطينية. بل ما يحكم الحياة الشخصية للمرأة الفلسطينية، يتنوع بين نصوص قانونية أردنية وأخرى مصرية، فضلًا عن تداخل مصالح سياسية اجتماعية تعطل حقوق كل امرأة فلسطينية.

وهو ما تربوه آمال في شهادتها التي تعتمد على مقابلة جرت في 30 تشرين الأول/أكتوبر 2020.

والدتي كان لها دور حاسم في مسار حياتي

آمال بكر خريشة، من ذنابة في طولكرم ولدت في 1957، منتمية لأسرة من الطبقة الوسطى. لدي أربعة إخوة وأخت. والدتي كان لها دور حاسم في مسار حياتي، لرفضها العادات والتقاليد، ومنحى طاقة من أجل العمل على تغيير كل ما يرتبط بتنميط أدوار النساء، والتمييز ضدهن.

أكملت دراسة الثانوية في مدرسة "العديّة" في مدينة طولكرم، ثم التحقت بالجامعة الأردنية، درست علم النفس، ظردت لمدة سنة، نتيجة مشاركتي في النشاط الطلابي احتجاجًا على "كامب ديفيد"، ثم عدت للدراسة في الجامعة الأردنية حتى التخرج، لأكمل دراسة الـ Master في جامعة بيرزيت، في الدراسات الدولية. نشطت في العمل النقابي، وكنت من مجموعة النساء اللواتي شكّلن اتحاد لجان المرأة

العاملة الفلسطينية في إطار نسوي جماهيري، الاتحاد نعدّ امتدادًا نسويًا للحزب الشيوعي الفلسطيني، أو التنظيم الشيوعي الفلسطيني في 1981، والذي أصبح "حزب الشعب" في ما بعد. انخرطت في صفوف الحركة النقابية، وعملت في نقابة العاملات في الخياطة والنسيج، ونقابة المؤسسات العامة. حاليًا أشغل منصب مديرة جمعية "المرأة العاملة الفلسطينية للتنمية"، وهي مؤسسة مستقلة، أعلنت استقلاليتها عن أي تنظيم سياسي.

"المرأة العاملة" فتحت الباب على مصراعيه، لتطوير الفكر المرتبط بمساواة النوع الاجتماعي من منطلق التجربة، ومن منطلق الدور القيادي للجمعية وكوادر الجمعية في الانتفاضة الأولى 1978.

خلال الانتفاضة، كنّا في جمعية "المرأة العاملة" من المؤسسات النسوية التي قادت الفكر النسوي التحرري الوطني، ضمن السياق الفلسطيني. وهو مرتبط بضرورة وضع أولويات النساء الفلسطينيات في مركز العمل السياسي، والعمل التحرري، لتنظيمات منظمة التحرير الفلسطينية. كنّا أول مؤسسة شاركت في كل العمليات المتعلقة بترتيبات الأمم المتحدة لمؤتمر فيينا الذي أعلن في 1993 "إعلان مناهضة العنف ضد المرأة". وكانت في المجتمع الفلسطيني أول ملصقات في تلك الفترة تطالب بالصحة النفسية للنساء، ومناهضة العنف ضد المرأة. وقمنا بعمل توعوي أثار استهجان المجتمع والقوى السياسية عندما تحدثنا عن محاولة تغيير الهندسة الاجتماعية، في ما يتعلق بالنوع الاجتماعي داخل الأسرة. عندما ومنشورات ولقاءات في الجامعات حول الأعمال المنزلية وضرورة مشاركة الرجال فيها، وضرورة بناء العلاقات على أساس الحوار الديمقراطي، كانت صدمة كبيرة للمجتمع. وعندما أعلنت الجمعية عن الخط المفتوح للنساء المُنْعَفات، كان الأمر ليس سهلاً. وتمت محاربة هذه الخطوة من قبل أوساط أصولية دخلت إلى الحلبة السياسية خلال الانتفاضة الأولى. مؤسسة جماهيرية نسوية تعلن عن خطوات لدعم النساء المُنْعَفات، وبالتالي قدنا أول حملة وطنية نسوية في الضفة وغزة بالتنسيق مع UNIFAM هي حملة 16 يومًا لمناهضة العنف ضد المرأة. ومن خلال برنامج متواصل إذاعي "بعبون النساء"، طرحنا كل ما يتعلق بقضايا العنف، وقضايا دور النساء، وحققن، ودورهن في التمثيل على قدم المساواة، وضرورة إشراك النساء في الاقتصاد، وخلخلة الخطاب المجتمعي والبناء الهيكلي في اتجاه سيادة قانون، وتحديث القوانين وفق التزامات منظمة التحرير في تلك الفترة. بخاصة وثيقة الاستقلال التي تدعو إلى مساواة النساء والرجال، وتطرح مجتمعًا أو دولة مدنية، نظامًا ديمقراطيًا في فلسطين. الجمعية حاليًا تعمل على

أربعة موضوعات متجاذلة ومتراطة، وهي مناهضة العنف المبني على النوع الاجتماعي، وأيضاً التمكين الاقتصادي، والمشاركة السياسية، بالإضافة إلى تطوير أجندة المرأة ودفعها إلى السلام العادل والأمن الإنساني. ونعمل في الضفة الغربية وقطاع غزة، لدينا سبعة فروع، ونعمل مع حوالي 37 مؤسسة قاعدية. قمنا بمبادرة تشكيل 80 مجلس ظل للنساء في الحكم المحلي، التي دوره مراقبة ما يقوم به المجلس المنتخب، من منطلق النوع الاجتماعي. ودعم النساء اللواتي فزن بالانتخابات وهنّ طبغاً أقلية، لأن الكوتا لا تتعدى 21.3 في آخر انتخابات، تتراوح بين 21%. وأيضاً دور مجالس الظل الحكم المحلي هي بمنزلة on job training تدريب متواصل للنساء على القيادة على فهم كل ما يتعلق بالحكم المحلي. ولذلك، لنا قصة نجاح في هذا المجال، بأنه في انتخابات المجالس المحلية في 2017 ترشحت 129 امرأة من مجالس الظل، والنساء اللواتي قمن معهن بالتشارك في تطوير التدريبات وبناء القدرات. فازت 75 امرأة، تحولنا من مجالس الظل إلى المجالس الحالية. هذا باختصار.

صدمات الطفولة والصبا

في طفولتي ذقت مرارة حرب الـ 1967.

رأيت جنثاً، وفي نفس اليوم التي تم فيه احتلال طولكرم، شاهدت موقفاً لا أنساه طوال حياتي، بأنه تم تركيعنا في الشارع ومَرَّ جيش الاحتلال بالجابات، كان فيه طفل عطشان راح يشرب، بالتالي هو تمرد على التركيع على الركبتين، أطلقوا النار عليه. العديد من الجنود والضباط بصقوا علينا بتعال. هذا الموقف أثار في نفسي كطفلة الغضب.

أول مظاهرة شاركت بها بعد الاحتلال بأشهر، وتعرضت للضرب أنا وزميلاتي في المدرسة الابتدائية. وقتها، تأثرت كثيراً بقصائد محمود درويش وأدب المقاومة، وجريدة "الاتحاد" الحيفاوية التي بدأت تصل لنا عن طريق أقراننا من الفلسطينيين التي بقوا في حيفا ويافا، وفي مناطق الـ 48، وكان لي إطلالة على كتابات نوال السعداوي، هذا كله أثر على نفسي كطفلة ثم كفتاة. ومن هنا بدأت بالانخراط في النضال ضد الاحتلال، وفي الحركة الطلابية. وكان في تلك الفترة قمع منقطع النظر، في ظل غياب تطور منظومة حقوقية، أو رقابة دولية مثل التي شهدناها في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات. وأيضاً في تلك الفترة اعتُقل أخي، وكان هناك تجمع واحتجاجات في السجن المركزي في مدينة نابلس. ورأيت هناك نماذج للقيادات النسائية، فائزة عبد المجيد، وغيرها من النساء اللواتي تحدين الاحتلال ونظمن المظاهرات على أبواب السجون من أجل حق الزيارة، ومن أجل تحدي إجراءات الخذل والمهانة، وانتهاك الحقوق التي كان يقوم بها جيش الاحتلال ضد

أهالي المعتقلين. أثر فيّ أيضاً موت عبد الناصر، أنا كنت نشيطة من خلال أنشطة مدرسية زي المسرح، قمت بأداء دور في "الملك أوديب"، وأدوار أخرى في المسرح المدرسي. وأيضاً كان هناك نشاط وجهد في مجال كتابة البيانات، وتوزيعها. الحركة الطلابية في تلك الفترة دفعت ثمنها باهظاً، مثلاً موت لينا نابلسي نقطة انعطاف أيضاً في عمل الحركة الطلابية.

منتصف السبعينات، كانت حافلة أحداث كثيرة أثرت على توجهي أنا في داخل صفوف الحركة الطلابية التي بدأت تنظم نفسها من خلال لجان جماهيرية طلابية تقوم بالعمل التطوعي، والعمل المسرحي، وتطوير الفكر. كان الاتجاه في تلك الفترة نحو الفكر الاشتراكي، طبغاً التحقت بالجامعة الأردنية، ونشطت في الحركة الطلابية، كان فيه نضال من أجل الحق في التمثيل من خلال اتحاد طلبة في الجامعة، أي شكل من أشكال التنظيم الطلابي أو الجماهيري كان عليه خطر، أو أي شكل من أشكال العمل الحزبي، كلها كانت underground في غياب الديمقراطية. ومع ذلك كانت هناك ندوات ونقاشات من خلال اتحاد المرأة الأردنية، ومن خلال انخراطي في صفوف هذا الاتحاد في عمان بدأت خبرتي النسوية، فتح لي نافذة واسعة على واقع النساء في المخيّمات الفلسطينية في الأردن، وأيضاً نتيجة نشاطي الطلابي وانخراطي في صفوف الحزب الشيوعي وقتها. أتذكر إننا، مع مناضلات ومناضلين، شكّلنا لجان عمالية في بعض المصانع الأردنية، منها مصانع سجاير ونسيج.

عبودية العاملات

وعلى صعيد النشاط الطلابي، كنت ضمن من قادوا الانتفاضة الطلابية ضد كامب ديفيد في الأردن، تم فصلنا من الجامعة، أنا وأربع طالبات، منهنّ نتاشا شوارب، من الأردن، وسهام عويضة، وخنان بنورة، وتم فصل 15 طالباً، واعتُقل بعض الطلاب، وكان الفصل نهائياً، لعدم العودة إلى الجامعة. طبغاً كان قرار الفصل النهائي صدر عن المخابرات. وقمنا بجهود كبيرة في التواصل مع مجلس أمناء الجامعة، ومع هيئات داخل الجامعة، ومجلس الوزراء، وسكرتير الأمير حسن، وغدّل قرار الفصل، بدلاً من الفصل النهائي صار فصل سنة واحدة. عدت إلى المناطق المحتلة إلى بلدي في طولكرم، وانخرطت في العمل النقابي، عملت عاملة في مصنع للنسيج، وقمت بالتنسيق لضمّ العاملات إلى نقابة العمال في طولكرم. وأذكر أول احتفال في الأول

1 لينا حسن مصباح نابلسي، غادرت مدرستها، "العائشة"، وفادت بمظاهرة طلابية في اليوم التالي لذكرى النكسة، وهاجم جيش الاحتلال المظاهرة. وحسن حاولت لينا الفرار إلى إحدى البنايات، تبعها أحد جنود الاحتلال وقتلها في 16 أيار/مايو 1976.

من أيار/مايو كان في 1978. وصلنا هذا الاحتفال للعاملات وحضرت مئات العاملات، وكان مفاجأة للحركة النقابية. لأنه النساء الفلسطينيات في تلك الحقبة أغلبتهن يعملن عبر وكيل أو متعهد فلسطيني، لأن الاحتلال راعى الواقع الاجتماعي والمخاطر، وبالتالي عمل امتداد للمصانع عنده في مناطق الضفة الغربية، سواء في الريف أو المدن لتشغيل أيدي عاملة رخيصة واستغلالها. في تلك الفترة أتحدث عن قانون العمل الأردني، هو الناظم للعلاقات، ولكن عندما بدأت نشاطي في النقابات لم يكن هناك أي ثقة بالقانون من قبل النساء. فكان استغلال يذكري بدايات عصر النهضة وانتقال الرأسمالية في أوروبا. الفلسطينيات تعرضن وقتها لاستغلال بشع باستخدام كل أدوات الاستغلال بشكل مباشر، بشكل نفسي، انفعالي، التفاف، تحايل، عملياً كان عبودية. وكان أول إنجاز لي في مجال العمل النقابي، إنه حسب قانون الأردن إذا تزوجت امرأة يحق لها ترك العمل ويتم احتساب حقوقها ونهاية الخدمة، كما إنها لو فصلت فصلاً تعسفياً عندها امتيازات في القانون إنها تقدر تأخذها، وأقنعت إحدى العاملات التي قررت أن تتزوج وتترك العمل بأن ترفع قضية من خلال النقابة، عملت جهد إنني أقنعتها ويجب إقناع أهلها، لأنها يجب أن تأتي النقابة، ويجب أن تقدم إفادة، وكل ما يتعلق بالإجراءات. في تلك الفترة تحدثت عن 1979 يعني ليس من السهل على النساء في تلك الفترة الانخراط المباشر في العمل النقابي، لأنه عمل ذكور محض من جهة، ومن جهة أخرى لأن الاحتلال مارس العديد من الانتهاكات ضد النقابيين وضد النقابات. كانت هناك حالة من الاقتحامات المتواصلة وسحب الهويات للعمال الذين يأتون للنقابات لمتابعة قضاياهم. وكما نعلم أنّ العديد من النقابيين تم نفيهم، وأغلقت بعض النقابات بالشمع الأحمر. النقابات كان لها دور عبّرت عن مواقف سياسية لتعبئة العمل، لتعبئة الناس بعدم الهجرة، لتعبئة الناس لمواجهة سياسات الاحتلال، الحياة الوطنية. وكلنا نعرف إن النقابات هي أول من اعترف بمنظمة التحرير، وتحدثت كل منظومة الاحتلال العسكري الإسرائيلي. وبالتالي استطعت إقناع هذه العاملة، وبالفعل حصلت أتعابها كاملة، وبالاتفاق معها استخدمنا نجاح حالتها كنموذج لتعبئة وتشجيع وتحفيز نساء أخريات. بالفعل أصبح لدينا هيئة واسعة من النساء في مجال النسيج والخياطة، في مجال الأذية، في مجال بعض الصناعات الغذائية. وأنا أتحدث هنا عن مدينتي نابلس وطولكرم. وأيضاً في تلك الفترة كان هناك مدّ لنوّه النساء باتجاه النقابات. وفي تلك الفترة فتحتنا صف محو أمية مختلط للعمال والعاملات في نابلس، وقمت أيضاً بتدريس محو أمية في الهلال الأحمر الفلسطيني في مدينة طولكرم. في تلك الفترة العمل النسوي كان مقتصرًا على الجمعيات الخيرية، وكان الاتحاد

العام للمرأة الفلسطينية يعمل بشكل سري من خلال بعض الجمعيات والرموز. كما تعلمين قد تم إبعاد المناضلة عصام عبد الهادي² إلى الأردن، التي كانت رئيسة الاتحاد، وكادر من الكوادر النسوية. وبالتالي كان هناك تطور نوعي في البنية التنظيمية للحركة النسوية، بحيث ظهرت قناعة التنظيمات السياسية بأهمية التركيز على تعبئة وتنظيم المجتمع الفلسطيني في مناطق الاحتلال، بعد أن كان ينصب قدم ثقل المقاومة في هذه الفصائل من خلال العمل الفدائي في لبنان، أو قبلها في الأردن. بالتالي من 1967 لغاية 1977 كان هناك ثقل لتعبئة الحزب الشيوعي في المناطق المحتلة، من خلال النقابات المهنية، والنقابات العمالية، من خلال الحركات الطلابية وغيرها. وذلك مع الاهتمام بالفصائل الوطنية بضرورة العمل في الضفة الغربية، وقطاع غزة والمناطق المحتلة. هناك كان توجه لتشكل أفرع جماهيرية لكل تنظيم سياسي، تحديداً بدأت القضية المبادرة من الجبهة الديمقراطية، طبعاً كان الشيوعيون يقومون بذلك. الجبهة الديمقراطية دخلت في هذا التوجه، وكذلك لاحقتها باقي التنظيمات. بمعنى إنه لهذه القناعة، قناعة الصمود على أرض فلسطين المحتلة، يشكل بُعداً استراتيجياً لمنظمة التحرير كحركة تحرر وطني، هذا من جانب. الجانب الآخر، قامت هذه التنظيمات بتشكيل هذه الأطر الجماهيرية لحماية نفسها أيضاً من الضربات المتتالية القمعية، التي طالت كوادرها القيادية بسبب الاعتقالات والاعتقالات، والقتل، وكل إجراءات الاحتلال. بمعنى إن وجود الآلاف المؤلفة من النساء أو الشباب، هذا يحمي التنظيم القيادي. بمعنى قد يعتقل مئات من الناس، بس هذا لا يعني أن يتوقف التنظيم عن أنشطته وبالتالي فيه قيادات بدلة. عندما أغلق مقر اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية بالشمع الأحمر، واعتبرته قوات الاحتلال، إنه مركز لمنظمة التحرير وصارت كل الكتب فيه، لم تتوقف الاجتماعات، بل جرت في البيوت تحت الشجر. هكذا تواصلت الاجتماعات، والوجوه تعددت، والقيادات تجددت، وتوالت. بالتالي هذا سبب أساسي في تشكيل لجان العمل النسائي، هذه كانت أول لجنة، والتي في بداياتها تكونت من الفصائل اليسارية، التنظيمات اليسارية الفلسطينية، ولكن نتيجة المنافسة والمصراعات القويّة، ونتيجة البحث على التميز والحضور المجتمعي، صارت هناك خلافات، بحيث تشكلت لجنة المرأة العاملة من الشيوعيين، ولجنة المرأة الفلسطينية من الجبهة الشعبية، ولجان العمل الاجتماعي من فتح. بالتالي في تلك الفترة طبعاً كان هناك العديد من التحقيق والملاحقات

2 شاركت السيدة عصام عبد الهادي في تأسيس الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في 1965، وادب دوراً نضالياً بارزاً ضد الاحتلال، واعتُصِلَ في آذار/مارس 1969 بسبب زبده المقاومة بالعون المادي وأبوء بعض الفدائس، وذلك قبل أن تبعدها قوات الاحتلال إلى الأردن في نيسان/أبريل من العام نفسه.

والمداهمات، هذا أثر على علاقاتي في عائلتي باستمرار، كانت فيه محاولة لكبح جهود الثورة واندلاقتي، ولكن كنت أستخدم قوتي من قراءات أفكار فاطمة المرنيسي، وسلوى الخماش، ونوال السعداوي. كل ذلك ساهم في منحني القوة، بحيث أن فصلي من الجامعة لمدة سنة، فتح لي أبواب، وأقنع أهلي إنني أعمل في الشأن العام، ولكن هناك خوف من إجراءات الاعتقال الطويل، هذه ضلّت لفترة السبعينات، وكان النضال ضد التطبيع، ضد كامب ديفيد، ضد الاعتداءات الإسرائيلية. أذكر مشاركتي مثلًا في مسيرة مع أوساط نسوية في تلك الفترة ضد الاستيطان، توجهنا لمنطقة وجبل، وضربنا وتمت ملاحقتنا، ولكن ذلك لم يثن عزمي، ولم يثن عزيمة الآلاف من النساء.

من العمل النخبوي إلى الجماهيري

صار فيه تغيير بنوي، بمعنى إنه أصبح العمل النسوي لا يقتصر على العمل خلال جمعيات، الجمعيات كانت قياداتها بشكل عام من النساء المتعلّقات، ومن الأسر الإقطاعية أو الغنية، مش بدّي أقول البرجوازية. نساء عندهن امتيازات. كان التوجه خيري لتقديم مساعدات، طبعا دور الجمعيات كان مهم جدًا تاريخيًا ساهم بكل أثار النكبة في ما يتعلق بالمساعدات الإنسانية، في ما يتعلق بتثبيت العائلة، في ما يتعلق بمواجهة كل التحديات هذا معروف. ولكن الجديد في بنية الأطر الجماهيرية النسوية، إنها ولدت قيادات من الطبقات الوسطى، إنها محت حدود ما بين المخيم والمدينة والقرية في ما يتعلق بالأصول العائلية والاجتماعية والاسرية للقيادات. أيضًا أدخلت البعد السياسي، المضمون السياسي على العمل النسوي بشكل من خلال المقاومة المباشرة للاحتلال. بالتالي تنظيم المظاهرات ضد الاستيطان، توزيع المنشورات، القيام بعمليات عسكرية في بعض، استخدام المولوتوف، استخدام أشكال مختلفة كانت في صلب العمل النسوي الجماهيري. هذا راكم وساهم في ما بعد لانفجار أو حدوث الانتفاضة.

إننا ننحس في حركة جماهيرية عريضة، لديها برنامج وطني واضح، هي ذراع من أذرع الفصائل الوطنية، لكن واجهتها أيضًا تتعامل مع قضايا نساء. بمعنى قضايا خدمية للنساء، بمعنى في مرحلة بداية الثمانينات بعد ما تم تشكيلها بهذه اللجان في السبعينات، تم التركيز على رياضة الأطفال، لإيجاد أماكن آمنة للأطفال، ودفع النساء نحو العمل العام. إذا أنا أبنى الحضنة، أستطيع المشاركة في مسيرة، أستطيع البحث عن عمل، أستطيع أن أقوم بأي نشاط اجتماعي. فكان التوجه والتركيز لتشكيل شبكة من دور رياض الأطفال والحضانات للأطفال هؤلاء النساء من أجل تربية متميزة، كان هناك أخصائيات في مجال الطفولة،

وإعطاء النساء فرصة للمشاركة والاندماج في الشأن العام، وفي القضاء العام. لذلك معظم عملنا كان عمل سياسي، طول فترة الثمانينات، أذكر قبل اندلاع الانتفاضة، من بداية الثمانينات كان هناك جهد واشتباكات، وكنا نحشد الآلاف من النساء ضد الاجتياح الإسرائيلي للبنان، ضد مذابح صبرا وشاتيلا، ضد ما سمي بتلك الفترة مشروع الإدارة المدنية الذي جاء نتيجة فوز قوائم منظمات التحرير في أول انتخابات للحكم المحلي في 1976، بالتالي استمرت هذه الصراعات، في بداية الثمانينات، وتم تشكيل لجان عمل تطوعي، في مسرح، أشكال أخرى طلابية، مشاركات اجتماعية، قبل الدخول إلى الانتفاضة. إنه كان كل عملنا منصب على القضايا الوطنية، ومواجهة الاحتلال.

ضمن العقلية الذكورية

وبصراحة منذ نحكي عن تشكّل الأطر النسوية في 1978، ولغاية 1987، لم نطرح قضايا مرتبطة بالنوع الاجتماعي، لعدة أسباب، ومنها أن موضوع النوع الاجتماعي، وكل موضوع الحقوق، لم يأخذ بالتبلور والتوسع إلا في بداية تسعينات القرن الماضي. وإنه كان كل همنا كفلسطينيات التركيز على أثر الاحتلال على التعليم، وأثره على الصحة، وأثر الاحتلال على الحقوق، ومنعنا من أداء الحقوق المتعلقة بالاقتصاد في مجال سرقة المياه والأرض. وأثر الاستيطان أيضًا. بقينا ضمن العقلية الذكورية، ولم نساألها، لم نطرح في تلك الفترة مثلًا تغيير قانون الأحوال الشخصية الأردني، لمّا شاركنا في مؤتمر نيروبي 1985، بل منذ اندماجنا بعقد المرأة، التي بدأ بـ1975 في الأمم المتحدة، تحت شعار المساواة والتنمية. ومن ضمن الأسباب أيضًا أنه لم يكن هناك انخراط الأكاديميات في عملنا، كانت مساهمة البعض تأتي على شكل نشاط ميداني ضد الاحتلال. مشاركة في المظاهرات أو لقاءات، لكن لم يكن من الوارد التنظير لأجندة نسوية قبل الانتفاضة. كنا حركة نسائية، حركة اجتماعية جماهيرية نسوية سياسية، هذه هويتنا بشكل أساسي، ولكن حتى كل النساء يستغرب كان هناك في الانتفاضة الأولى فيه تحول نوعي بخصوص وعي وإدراج القيادات النسوية في الأطر النسوية. إنه اكتشفنا الطاقة الهائلة، والقوة الكامنة الموجودة لدينا، والتي استحوذت على احترام المجتمع، وأيضًا تم تطهيرها من خلال الإعلام. لأول مرة فتحت المناطق المحتلة في الانتفاضة الأولى على أوساط عالمية كبيرة، بالرغم إن ما كنش في تلك الفترة لا سوشال ميديا ولا حتى الإعلام التقليدي زي التلفزيون، وكان معظمها أدوات محلية. لكن الصحافة المكتوبة، صحافة الراديو، أوساط حقوقية دولية استطاعت أن تتفاعل وتصل للمناطق المحتلة. في تلك الفترة اكتشفنا قوتنا،

كنّا بالشارع 24 ساعة. النساء بدأت الانتفاضة في الرملة، وبيت سحور. بدأت الانتفاضة عندما قتل العمال في جبالية عندما تم دهس هؤلاء العمال. وفي يوم الجمعة التالي، قامت نابلس بمظاهرات كبيرة، وقُتلت امرأة أُعتقد إن اسمها فاطمة. والسبب تحقّقنا 14 امرأة وقمنا بتظاهرة في الشارع الحسبي أو سوق الخضار، عندما هجم الجيش انضم إلينا الباعة والتجار والناس. كانت جماهيرية شعبية، كل الفئات، كنّا بالشارع حوالي 12 ساعة ما ننسحب نتيجة إنه تحت الجيش في الشارع وهم يغلقوا الدكاكين إنا نفتقها، نعلن إضراب. صحيح صارت قيادة وطنية موحدة لها طابع ذكوري، ولكن كان للنساء دور مهم. اكتشفنا مثلاً وأنا واحدة من الناس، أنا قائدة أشكل مرجعية للنساء لدى أوساط عديدة، ولكن عندما أذهب إلى البيت لازم أقوم بكل الأعباء المنزلية، هذا عبء. طب زوجي يتناضل، وأنا يتناضل، ليش لّمّا أروح على الدار لازم أنا اللي أقوم بكل العمل. شعرنا بالظلم، وأعتقد إنه بدأنا نسأل سؤال: إيش الضمان؟ وحتى سؤالنا من قبل صحفيين "شو الضمان للمرأة الفلسطينية مقابل هذا العطاء؟". بعد قيام الدولة ما الضمان إن لن يحدث لنا ما حدث للنساء بعد الحرب العالمية الثانية، ولّا في فرنسا، ولّا في الجزائر، ولّا في العديد من الدول. لذلك، بدأنا نتفحص الخزيمة الاجتماعية بنظرة انتقادية، نظرة نسوية، نظرة لها بُعد إنساني، يذكّ الفترة الجندرية في ذلك الفترة ولكن شعرنا بالظلم. لذلك مثلاً بدأنا نرفع شعار ضرورة وجود المرأة في مراكز صنع القرار، وبدأنا نركز على أن نقوم ببعض المهام التي كان يقوم بها الرجال مثل رش الجدران بالشعارات وتعليق الأعلام، وهذه المهام كان تُمنها القتل، تُمنها حياة، تُمنها إن كثير استشهدوا من النساء والرجال وهم يعلقوا العلم الفلسطيني في تلك الفترة.

بالتالي شعرنا إنه بعد تشكّل "حماس"، وانضمامها لصفوف حركة التحرير وقيامها بالمقاومة لإثبات قوتها. كان سهل عليها، كما تفعل الحركات الأصولية كافة أن تركز على مظهر النساء لإظهار قوتها ونقلها بالشارع، وسيادتها على الشرائع المختلفة بما فيها النساء. عندما طرح الحجاب على بعض النساء بالقوة، وألقى علينا البيض والبندورة، وتوجهنا ساعتها إلى القوى السياسية على أساس إن هذا اختراق للحريات. في تلك الفترة كان عندنا جموح فوري كبير، أن الثورة لا يمكن تجزئتها، والحرية لا يمكن تجزئتها، ولا يمكن المساومة على قضايا النساء. حتى أذكر غيرنا شكل الحركة النسوية مرة أخرى، أضفنا تعديلات على بنية النسوية، بمعنى تم تشكيل مراكز تخصصية في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات، كمركز الدراسات النسوية، وأذكر في تلك الفترة إنا اطلعنا على الأدبيات النسوية في دول مختلفة. ومن هنا حدثت انعطافات خطيرة، وأصبح هناك فجوة لفهمنا للحرية والتحرر مع القيادات

السياسية التي كنا ننتمي إليها.

الآثار الجانبية للتفاوض

بخلاف حربي 1967 و1973، أثّرت في تكويني أيضاً الهبة الشعبية التي جرت ضد الإدارة المدنية³ في العام 1982. بل أثّرت على كل الشعب الفلسطيني، ولكن مشاركتي المباشرة واليومية والمتواصلة، نُقلت من شخصيتي، وساهمت في دفعي كقائدة نسوية سياسية في العمل الوطني الفلسطيني. بالإضافة إلى الانتفاضة الأولى، أثّرت على حياتي من حيث ما قدمت لي من نضج سياسي، وعمل ميداني، وقدره على التنظيم والبناء، ومهارات التنظيم والتعبئة والتفاوض، وكذلك الوعي الذاتي كأمراة.

استكشاف كل ما يتعلق بمضامين مساواة النوع الاجتماعي، انفتاح على ثقافات وحركات نسوية أخرى في العالم، في ما يتعلق بحقوق المرأة، وجهد الأمم المتحدة، UNI fam، واللجان المختلفة، منظومة حقوق الإنسان، مجلس حقوق الإنسان. كل ذلك أضيف إلى شخصيتي من التجربة العملية، من القراءة، من التنظيم السياسي، من التعلّم من النساء، من الناس. أعتقد مؤتمر مدريد قبل أوسلو، ودخولنا لمرحلة الإعداد لدعم الوفد الفلسطيني المفاوض في مدريد، وبعدها مفاوضات واشنطن. أعتقد كان لي دور، أنا وكثير من القيادات النسوية، في الدفع بوجود نساء ضمن الوفد المفاوض، وأن يكون هناك جهد على الأرض، ودفعنا في اتجاه أن يكون هناك قناة مفتوحة كنساء بينا وبين الوفد المفاوض، وذلك من خلال تنظيم لقاءات؛ أذكر في هذا السياق لقاء في مسرح الخكواتي في القدس الشرقية مع عضوتي الوفد، حنان عسراوي، وسعاد العامري، ومع أعضاء آخرين، حول آلية التفاوض، ومرجعياته، والصعوبات والتحديات، والاحتياجات التي بحاجة إلى أن تكون بنية تحتية لدعم المفاوض والمفاوضة الفلسطينية.

الوفد الفلسطيني المفاوض في مؤتمر مدريد التزم بـ"خطوط حمراء" وهي عدم قبول الاستيطان، بل وقف هذا الاستيطان وفكفكته، وقضايا حق العودة اللاجئين وفق قرار الأمم المتحدة 194 في ما يتعلق بالعودة والتعويض. أيضاً قضايا مرتبطة بالحدود ووضعية القدس. هذه القضايا الصراحة أثّرت على مسيرتي السياسية، حتى علاقتي داخل حزب الشعب، لأنه هذا ساهم في عملية التعبئة التي كنّا جزء منها، والتنظيم من أجل استثمار الانتفاضة الشعبية

3 الادارة المدنية هو مصطلح استخدم لوصف جهاز إدارة اأدهما في غزة والأخر في الضفة الغربية، وهما أسسوا في تشرين الثاني/نوفمبر 1961 بموجب أمر صادر عن وزير الدفاع الاسرائيلي بهدف الاهتمام بالشؤون اليومية للسكان المحليين. تال الادارة المدنية كل السلطات المدنية التي كانت تحت سيطرة جيش الاحتلال.

خارج التنظيم، حاولت أن أنخرط في كل الحركات من أجل بناء تيار ثالث ديمقراطي، أن يتم تشكيل التجمع الوطني الديمقراطي. لكن للأسف لم نصل لغاية هذه اللحظة إلى شق تيار قوي، يكون قوة سياسية لكل من يؤمن بالعمل الوطني الديمقراطي، العمل الوطني التحرري. فكان أوسلو زي ما ترك بصمات على سلوكنا ومشاعرنا ورؤيتنا للقضايا المختلفة، حالة الوهم، حالة اللادولة، التخلي عن كل مضامين حركة التحرر.

هذا بصراحة كان أصعب حدث جرى في حياتي وحياة شعبنا، ولا زالت آثاره في كل الأبعاد، وترك ندوب وجروح عميقة. لكن كالعادة ما عرفش من وين تبيني هذه الطاقة أحاول دوماً الخروج من هذه المعضلة. حالياً أعمل نشيطة في تشكيل الحراك الوطني الديمقراطي، اللي يعدّ لمؤتمر خلال فترة قريبة، ويرتكز على حركات اجتماعية، وعلى حركات شبابية، ونقابية، وكل المستقلين النقابيين الذين يؤمنون بقضايا مركزية مرتبطة باستمرار النضال ضد الاحتلال، وضرورة فكفكة الرواية الصهيونية، والتركيز على كل ما يتعلق بالحقوق الوطنية الفلسطينية، إلى جانب الاهتمام والتركيز بنفس التقل على قضايا حقوقية مرتبطة بوقف التمييز ضد المرأة، وسيادة القانون، وفصل السلطات، والحماية الاجتماعية لكل المواطنين والمواطنات. كل ذلك أنا حالياً في مركزي في الاهتمام السياسي هو الدفع باتجاه بناء هذه الحركة حتى تنطلق بوجوه جديدة، وقدرات نضالية وقيادية، من الشباب والنساء مع طاقة الشباب وحكمة من استطاعوا إلى حد ما التعلم من الدروس الصعبة، اللي آثارها عميقة على صعيد الوجدان، وعلى صعيد النتائج السياسية، وعلى صعيد تطور القضية الفلسطينية. لذلك كنت من الناشطين والناشطات اللي كان لهم ثقل في انتفاضة 2000، أو ما تسمى بانتفاضة الأقصى، كانت قاسية جداً. ثمن غالٍ وباهظ، كان الإسرائيليون أو قوات الاحتلال معنية بإسقاط أكثر عدد ممكن من الضحايا حتى الأطفال أو النساء، سواء كانوا في مسيرة أو كانوا في غرف النوم. هذا الرصاص استهدف الأقسام العلوية من الجسم ليكون قاتلاً، أو ليشكل حالة إعاقة طويلة. كانت دموية بمعنى إنه كان الاحتلال معني أنه يجر قوات الأمن الفلسطينية اللي كان موقفها صعب جداً أمام الجماهير المنتفضة، والتي تذهب إلى نقاط الالتماس مع الاحتلال، ونعود ونقول "لماذا تقفون هنا، لماذا لا تهموننا؟"، هذا هو سؤال الجمهور. هذا أدى بالفعل إلى أن تكون هذه الانتفاضة مكلفة لاستخدام السلاح، والمقاومة المسلحة من خلال أيضاً تجمعات جماهيرية، فكانت فرصة الاحتلال لضرب كافة التحركات، وإسقاط المنات من الجرحى.

باتجاه القضاء على هذا الاحتلال، والاشتباك معه على قاعدة القانون الدولي، على قاعدة قرارات مجلس الأمن. ولكن للأسف تم هناك فتح قناة سرية، مع عدد قليل جداً أقل من كف اليد، وهي قناة أوسلو، يتم الإعلان عن اتفاق أوسلو بدون أن يكون هناك حضور لكفاءات أو قدرات فلسطينية أو عالمية صديقة، في ما يتعلق بالتعد القانوني، والتعد المرتبط بالقانون الدولي، والقانون بشكل عام. هذا الاتفاق، أجل القضايا التي تشكل عملياً المحاور الأساسية للصراع مع الحركة الصهيونية العالمية ومع الاحتلال الاستيطاني العسكري. تأجيل قضايا أصابني بنوع من الإحباط، أو خيبة الأمل والتردد والتخوف، لذلك مثلاً أثرت علي مسيرة أوسلو في حزب الشعب. أنا كنت عضو لجنة مركزية منتخبة في حزب الشعب الفلسطيني، وكان عندي إشكالية في التصويت على أوسلو بالصراحة، لكن الحزب، بقرار اللجنة المركزية، وافق على أوسلو، وتولي الأمين العام للحزب وقتها، المناضل بشير البرغوثي، حقبة وزير اقتصاد.

الموافقة على أوسلو، وضعتني في موقع الأقلية، وهذا الموقع في غياب نهج ديمقراطي يعني التهميش، وعدم الأخذ بحقك. Okay احترام لحق الأغلبية، أوافق أن يمضي قرار الأغلبية، ولكن هذا لا يمنع حق الأقلية في الدفاع عن وجهة نظري داخل اللجان الحزبية. أوسلو كانت سبباً أساسياً في اتخاذ قرار سياسي مؤلم، ولا زال مؤلماً حتى هذه اللحظة، الاستقالة من التنظيم. كان هناك خلاف حول البرنامج السياسي ما بعد أوسلو للتنظيم. كان هناك اتجاه يقول إن موقفنا من السلطة يعتمد على موافقها. أنا كنت ضد هذه القضية إطلاقاً، توضع معايير مرتبطة بالمضامين والمواقف السياسية، بناءً عليها أحدد موقفي، وليس أن أحدد موقفي بناءً على كيف تتعامل السلطة. شيء طبيعي إذا السلطة التزمت بمصلحة الشعب الفلسطيني، إذا التزمت بالمفاوضات وفق مرجعيتنا، وفق مصالحنا، طبعا يكون مكسب للشعب الفلسطيني، أما إذا السلطة أدخلتنا في دهاليز المفاوضات، كما جرى فعلاً، بمعنى إنه غير مفهوم إطلاقاً لحد هذه اللحظة أن تنتهي المرحلة الانتقالية على سبيل المثال في أيار/مايو 1999، وألا تقوم الجهات الرسمية في الجهاز الفلسطيني بقلب الطاولة على اتفاق أوسلو، وكل مكوناته. إن إسرائيل التي استغلت أوسلو كغطاء لزيادة الاستيطان، واستمرت في انتهاكاتها لحقوق الإنسان. بل بالعكس نفذت جرائم سواء بقيادة حزب العمل، أو شارون من حزب الليكود. كان غير مفهوم إطلاقاً إنه مقابل تكتيك أن يتم تقسيم H1، H2 خليل. كان فيه إشكالية أنا كمواطنة، وكسياسية، بقبول هذا المسار. كنت، ولا زلت، أسمع انتقادات، بالتالي هذا أثر علي، أنا أصبحت

انتخابات بعدها انقسام ثم سجن مفتوح

أنا خضت انتخابات المجلس التشريعي في دورته الثانية 2006 مع كتلة مستقلة اسمها "فلسطين المستقلة"، الكتلة أخذت مقعدين، ونتيجة الانتخابات كانت انتصاراً غير مسبوق لحركة "حماس" في الاستحواذ على الأغلبية المطلقة لمقاعد البرلمان. هذه نتيجة الانتخابات وما تلاها من صراعات، ومن عدم قبول نتائج الانتخابات، والتفرد. تم تشكيل وحدة وطنية، ولكن دعييني أقول إنها كانت شكلية، ولأسباب مرتبطة بموازين القوة الفلسطينية داخلياً، ولإجندات إقليمية، ولضغط عالمي، ونتيجة التدخل الإسرائيلي الاستعماري. كل ذلك أسهم في عسكرة المجتمع، أسهم في اختراق قضايا كنا نعتقد إنها أساسية وغير قابلة للنقاش، أو حتى التداول في ما يتعلق بحقوق الناس. لذلك الانقسام أنا كمواطنة فلسطينية على الصعيد الوطني والسياسي، لا زلنا ندفع ثمنه بزيادة قبضة الاحتلال، وصلنا على وضع خطير جداً، ثمن الذي يدفع من قبل قطاع غزة بسبب الحصار، وتكرار العدوان الشرس الذي جرى بـ2008 و2009 و2011 و2014. ولا زال لهذه اللحظة يأخذ أشكال مختلفة من خلال تشديد الحصار والعقوبات. أنا أحياناً حتى مرة على فيسبوك كتبت كثير أنا مشتاقة أروح على بحر غزة، مشتاقة لغزة، مشتاقة لناسها. عدم القدرة على التواصل مع الأصدقاء، أعمام، صديقات عزيزات. هذا يؤثر على حياتك، وعلى مزاجك، على تضيق الأفق. عملياً أكننا في سجن مفتوح، بمعنى إنك ما تقدر تأخذي قرار. فما بالك بشعبنا بغزة عنه في سجن مفتوح فزيائياً، مش بس نفسي، فزيائياً ما بيقدرش يتحرك. كل ذلك أثر، ولا زال، على وضعي وعطالي، على حالة الإدراك وحالة الغضب وحالة عدم اليقين. إن أعيش كأني قائدة، ولكن يتم إبعادك عن اتخاذ القرار. يتم عدم احترام حقوق النساء في إبداء الرأي، يتم في كل هذه المسارات النساء هن الخاسرات بشكل أساسي، سواء في الانقسام هن من يدفعن ثمن هذا الصراع على أجسادهن ومشاعرهن عندما تنقسم الأسرة. البطالة، الحصار، سحب الأرض، هدم البيوت، تدفع ثمنها النساء. لذلك أنا من الناس اللي بنيت شخصيتي، وحصلت على هذا الموقع القيادي من الناس. أنا أكون صريحة معالي، كل عيد كان لازم نبدأ يوم العيد في المقابر، على مقابر الشهداء، مع أهالي الشهداء. ما فعلته أوسلو، ما فعله هذا الوهم، ما فعله تركز القرار بيد حفنة صغيرة جداً، اختزال الحراك الجماهيري. كل هذا، كل عيد أنا بكون حزينة، القصة مش أنني أروح لحالي، كنا نروح حراك نسوي. هذا أثر على لا يزال جرح نازف، مش عارفة أضمد، ممكن محاولة بناء ديمقراطي، تيار وطني ديمقراطي كما أشرت. ممكن من خلال انخراطي المتواصل والعميق في العمل الجماهيري، وعمل مؤسسات المجتمع المدني. لكن الفكرة مش أن أجد

نجاة ذاتية، نحن على مفارق طرق حالياً. أنا في جمعية نشيطة تعمل في الضفة الغربية وقطاع غزة، كما أشرت في مكاتب وبرامج مختلفة، تعمل على التوعية وإدخال النساء ساحة اتخاذ القرار، وإعادة البوصلة لطبيعة المرحلة، وتقوية النساء، وبناء مراكز. كسر كل ما يتعلق بالصورة النمطية للنساء في العلاقات العائلية، في علاقات العمل، في الحياة الحزبية والسياسية. أنا جزء من هذا النشاط، أو جزء من هذا الفعل، لكن من يغير المجتمع، من يغير موازين القوى؟ هي الأحزاب السياسية. لذلك عندما أرى أحزاب غير قادرة، دعييني أقول حتى الأسبوع الماضي وكأنه حل لانقسام فقط بين فتح وحماس. حتى التنظيمات اللي هي عضو في منظمة التحرير يتم تحييدها، يتم تهميشها. عن أي وحدة وطنية نتحدث، لذلك لدي رعب حقيقي من طبيعة هذه المرحلة، لدي رعب أن النساء لسن في موقع صنع القرار. النساء يتعاملن مع القرار بطريقة أعتقد ترتكز على تحقيق الأهداف، لأنه قد يكون قد قمعنا لفترات طويلة، قد نكون قد تعلمنا أن نهض لوحدنا كأفراد، لا بد من حالة النهوض أنها تستند إلى ارتكازات أوسع من الذات. قد تكون هناك أسباب عديدة تجعل سمات القيادة النسوية مختلفة عن الذكورية. إنه كنساء نتيجة الصراعات الطويلة كان لا بد من تطوير المفاهيم المتعلقة بالهوية، وتحديد الظواهر المعينة، دوماً نحن أمام تحديات. لذلك يجب أن نقوم بالتكثيف، والتعلم بشكل متواصل في معركة الدفاع عن الوجود في معركة الوجود، الدفاع عن الهوية في معركة إثبات الذات. وهذا غير موجود في أجندة الرجال، لأنه بسهولة يستطيع أن يأخذ كل ما يريد، وله الامتياز. لذلك كيفية اتخاذ القرار في النظام السياسي مرعبة، وهذا يؤثر على حياتي، وحياة كل الشعب الفلسطيني، ويضع أمامنا مزيد من التحدي. كل ما أقول أن خلاص كبير، حتى أنا سمات في العمل السياسي بحرك تظاهرات، وأشارك في تظاهرات، وبرفع شعارات سياسية في التظاهرات. في كل مرة بقول لا، لازم أسكت وأخلي الشباب يحكوا، والصبايا، ومرات عديدة لما أشعر إنه يجب أن يكون رسالة سياسية واضحة. ما عنديش مشكلة أسب على نتنياهو، بس عندي أقول رمز الاختلال، لأنه رمز الاحتلال، إنه أرحل. هذا الرجل إنه لنا حق في تقرير المصير، كل ما أقول بيدي شوي أبعد، بحكي لفرد، أجد نفسي مرة أخرى في وسط الحراكات والتحليلات. اللي بيدي أقول لك إياه بصراحة إنه كثير كل الشعب الفلسطيني حياته مرتبطة بالقضايا العامة، ما قبل جيل النكبة، ثورة 1936، وقبلها ثورة الفلاحين أيام الحكم العثماني. دائماً فيه حراكات، فيه ثورات تعيق برامج الحركات الصهيونية والاستعمارية، بحيث كما بعثت بعثات عديدة في الثلاثينات من القرن الماضي. كمان لا زال هيك لأن الشعب الفلسطيني يرفض هذا الاستعمار، ويرفض الإذعان، ولكن أن نصل لمرحلة يتم

تصفية القضية، وذبنا بعد كل المجازر التي جرت، والجرائم. أن تصل لمرحلة هناك تطبيع، هناك محاولة تصفية بطبعات عربية. هذا ليس سهلاً، لا عليّ، أو على جيلي، ولا على الأجيال الفلسطينية. لذلك كل هذه الأحداث المترابطة، كل هذه الأحداث المتداخلة، كل هذه الأحداث لها آثار على علاقتي بعائلتي، علاقتي بجوزي، علاقتي بحالي، علاقتي بالمجتمع. كل هذه الصيرورة عملياً تستنفد طاقة، مرات ما تقدرش تقرئي الجريدة، ما بدك تسمعي شي، مرات صعب تضبطي القضايا التي فيها دبلوماسية، دخلنا في مسار، وكل هذه المسارات عملياً دفعنا ثمنها من حياتنا كناس لها دور قيادي، أو كنساء عاديّات، ورغم ذلك لا ندخل دائرة صنع القرار فقط لأننا نساء، هذا واحد، سواء بالقضية مش بس بنحكي عن مجلس وطني، ولا بنحكي عن مجلس تشريعي، إحنا بنحكي عن حتى العضوية في الأحزاب. هما مش في مرات صنع القرار، عدد قليل جداً. حتى هذه الـ 30% التي صار لنا كام سنة بتطالب فيها، هذه حتى مش موجودة بالأحزاب، نحكي عن امرأة واحدة في اللجنة المركزية لـ "فتح"، بنحكي عن بالمكتب السياسي للتنظيمات، قد إيش أكيد أقل بكثير. ما فيه حضور للنساء لأنني امرأة بصراحة. مثلاً أذكر عندما تم توقيع اتفاقية أوسلو، كان هناك جلسة للمجلس الوطني الفلسطيني في غزة، كان المطلوب هو إلغاء الميثاق الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية. طبعاً منتهى الخذل، هم بحاجة لتغيير، بس الشعب يقرر أمشي بغيره. بس أن يتم تغييره بوجود كلينتون، ووجود الضغط الأمريكي على المكشوف، كان بالنسبة لي قمة المهانة، قمة عدم احترام الذات. بغض النظر مين راح، وبغض النظر عن مبرراتهم، طلب مني الحزب أني أروح لأنني امرأة أن أصر عضو بالمجلس التشريعي الوطني في تلك الفترة، وأن أقوم بالتصويت. طبعاً أنا رفضت القضية، هذا دفعتم ثمنه تحريض داخل الحزب، واستضافات ضدي كشخص. المشكلة إنه لأنني امرأة، يلاقوا مليون طريقة، يقولوا إنها تختلف معنا سياسياً، ممكن يقولوا "ما بتفهم"، أو "إنها مش كثير سياسية"، أو إنه هذه مستفيدة، أو يبدوا يطعنوا فيكي بطريقة فقط لأنك امرأة بطريقة محددة. تمس ممكن شخصيتك، تمس منظومة ما يسمى بـ "الأخلاق"، ممكن طعن بقدراتك. بينما لو رجل يفاوضوه، لا لازم تروح، ولو مش بدك تروح okay يكرموه ويعطوه منصب أو موقف آخر، فيه فرق. مش مفهوم جدّاً، مش مفهوم إطلاقاً إن السلطة الوطنية، أو النظام السياسي، لم يسن أي قانون له علاقة بتنظيم حياة النساء في الفضاء الخاص، سواء أحوال شخصية، أو قانون حماية الأسرة من العنف، أو تعديل قانون العقوبات. وذلك بوقت التشريع من 1996 لـ 2006، وحتى الانقسام. يعني ما بدّهم لا فتح ولا القوى الأخرى خسارة الأصوات الانتخابية. فيه خيارات سياسية، لكن الإرادة

السياسية ضرورة حتى تنفل المجتمع خطوات للأمام كما فعل بورقيبة في تونس؛ في وقت بورقيبة كان المجتمع جاهز للمساواة، لقدرة النساء، عدم تعدد الزوجات، احترام حقوق المرأة، ما كان عنده أصوليين، ليش بفلسطين ما فيه هذا الصوت، بفلسطين بحس إنه مستهدفنا امرأة امرأة، ما بحسش بالأمان. لأن النساء في فلسطين لا يشعرون بالأمان، أنا أتحدث هنا عن الأمان المجتمعي، أمان وفق نسج مجتمعي متماسك، يحترم النساء، يحترم إبداعات النساء. هون تنمر، عنف، غياب سياسات، غياب قوانين، بيع حكى للاستهلاك والأوساط الإعلامية، والعلاقات الدولية. هذا ما بيغير المجتمع، لذلك كل هذه الأحداث تؤثر على نفسك، على مشاركتك، أنا تعرضت للتهديد عندما طرحت قضية النساء بما يسمى بـ "شرف العائلة"، إقتحم بيتي بمجموعات أو عدد من المسلحين يبحثون عن امرأة هربت من البيت نتيجة الاعتداءات الجنسية من قبل الأقارب عليها، علاقات حميمة داخل العائلة. قبل أن يكون هناك شلتر، وقبل أن يكون هناك وحدة حماية الأسرة من العنف، وقبل أن يكون هذا كل التطورات التي جرت، نتيجة الدم. دم النساء، إنه سكب، دم النساء سَفك، نتيجة موتنا، نكرنا، صراخنا، نضالنا. وأنا فخورة أني دائماً في هذه الحركات، كدافعة، كناشطة، وكمخططة.

بين النضال والنسوية.. توازن مُفتقد

رفعت الحركة النسوية الفلسطينية في مراحل متعددة شعارات في سياق الوطن الفلسطيني، في مراحل النضال المختلفة، محاولة إيجاد توازن بين اللجنة الوطنية والأجندة الوطنية النسوية الحقوقية. بشكل عام فشلت الحركة النسوية على مدار عقود بعمل هذا التوازن، في مرحلة الثمانينات والسبعينات كان التركيز على البعد الوطني الكفاحي.

وفي مرحلة ما بعد أوسلو كان التركيز على القضايا الحقوقية على حساب القضايا الوطنية، وكانت هناك علاقة التباس بين النساء والمنظمات النسوية بشكل عام. الحركة الوطنية والفعل النضالي الوطني بشكل أساسي، لم تعد على جدول أعمال الحركة النسوية في هذا المجال. قضايا متعلقة بالتواصل مع أهالي الشهداء، أهالي المعتقلين، لم يكن هناك مثلاً برامج وأنشطة منهجية ومتواصلة، من أنشطة التعبئة ضد الاستيطان، مواجهة المستوطنين، أو حتى الانخراط بشكل واسع في فعل المبادرات التي نظمت فعاليات لمواجهة جدار الضم العنصري. لكن بقي العمل فقط متقطعاً، يتركز على مناسبات كبرى، عامة، الملاحظ هو ضيق القاعدة الاجتماعية النسوية المشاركة بهذه الفعاليات. كذلك الأمر بالنسبة لموضوع الانقسام، إنه التغيرات التي جرت على النخب القيادية، انتقال عدد كبير من النساء، من

أخرى في نفس القانون تعطل فعلياً ثقل وتأثير هذا التعديل. كذلك الأمر بالنسبة لقانون إصدار مسودة قانون حماية الأسرة من العنف، جهد كبير لا زال يُبذل من الحركة النسوية لتحقيق ذلك، ولكن لا نستطيع نتيجة ضعفنا وغياب توجه لإجراء الضغط بشكل صدمة لهذا النظام السياسي وتحالفه وتفاهمه مع القوى المجتمعية المحافظة. وبالتالي تُركت الحركة النسوية في عين العاصفة، وأمام هجوم متواصل وممنهج من قبل حركات أصولية، وقوى محافظة، وعشائرية.

للأسف ضعف القوى اليسارية، وضعف التوجهات الديمقراطية الفعلية في المجتمع الفلسطيني، ساهما في فشل تمرير القانون، وفق رؤيتنا ومضاميننا المتعلقة بمحاور هذا القانون. من حيث قانون يحمي كل أركان الأسرة، قانون فلسفته قائمة على الوفاقية، ودعم النساء المعنفات، أعضاء الأسرة بشكل عامّ المعنفين، وعدم إفلات المجرمين من العقاب، وتأهيل كل الذين يمارسون الإكراه، بممارسة أشكال مختلفة للعنف ضد أفراد العائلة. هناك حالة من الفوضى القانونية، هناك حالة من استمرار تعذيب النساء باسم هذه القوانين التي تعزز التمييز وتعيد إنتاجه بأشكال مختلفة، هذا جانب. الجانب الآخر في ما يتعلق بتحدٍ كبير لا نستطيع اختراقه، ولم نستطع أن ننجز فيه الكثير، وهو كل ما يتعلق بواقع النساء في الاقتصاد. لا زالت نسبة تمثيل النساء من أقل النسب الموجودة في العالم في سوق العمل. في ما يتعلق بمفهوم العمل، تطوير مفهوم العمل، تعزيز نظم الحماية الاجتماعية للنساء كمواطنات، سواء كن يعملن بالعمل المأجور، أو غير المأجور، لم نحقق أي تقدم في هذا المجال إطلاقاً. هناك تمييز صارخ في الحياة الاقتصادية للنساء، سواء من حيث حصولهن على حقهن في الميراث، وفي الملكية، تعزيز صمودهن بتمييز إيجابي، بمشاركتهن في سوق العمل، أو حتى بإيجاد بيئة صديقة من خلال فرد استحقاقات على القطاع الخاص. بالعكس، لا زالت النساء في فلسطين يعملن بأجر مئة دولار تقريباً في بعض المهن، كمعاملات رياضة الأطفال يتقاضين حوالي 400 شكيل.

رأينا كيف كانت تأثيرات الجائحة خطيرة على وضعية النساء، خاصة النساء اللواتي يعملن بالقطاع غير الرسمي. بالتالي لم تكن هناك سياسات، التوجه كأنه مساعدات من قبل وزارة التنمية الاجتماعية، مش استحقاقات لدعم هذا الصمود. القضية مش قضية مساعدات اجتماعية، هي قضية استحقاقات قائمة على الحق للمواطنات والمواطنین. في ما يتعلق بالإعلام، أستطيع القول إنه لا زال الإعلام يعزز الصور النمطية، بل يتنمّر على النساء، خاصة في فترة "كوفيد-19" النساء تمّ التعامل معهنّ وكأنهنّ فقط ربات بيوت. بصعوبة ويتخلّلات متواصلة استطعن تمثيل النساء في بعض لجان الطوارئ، أو استحضار النساء إلى الإعلام الرسمي

الحركة الجماهيرية النسوية إلى اتجاهين. الاتجاه الأول هو العمل في الحكومة، وفي القطاع الحكومي. أمّا الاتجاه الآخر فهو التوجه لظاهرة مؤسسة المنظمات الاجتماعية النسوية، أو الحركات الجماهيرية النسوية. اتجاه نحو NGOs والعمل وفق مشاريع، وفق أولويات، ووفق محددات تعاقدية، تُفرض على كل الحركات، أو على كل المجتمع المدني بما فيه المجتمع المدني النسوي. كل ذلك في رأيي أثر على خطاب الحركة النسوية، على ثقل الحركة النسوية في إحداث تأثير، وإحداث تغيير، وفرض أولوياتها بقوة على النظام السياسي الفلسطيني. لذلك لم يكن هناك أي اختراق جوهري في تغيير منظومة التشريعات والقوانين المتعلقة بتعزيز المساواة، وإعطاء حقوق المواطنة للنساء الفلسطينيات. من 1996 لغاية هذه اللحظة بوجود مجلسين تشريعيين، دورتين للمجلس التشريعي، بوجود واقع أنّ الرئيس الفلسطيني هو الذي يصدر قرارات بمراسيم لإصدار قوانين مختلفة، ونتيجة ما يُسمّى بالحالة الطارئة، وبالتالي نتيجة الانقسام، نتيجة وقف فاعلية المجلس التشريعي سنوات عديدة، ونتيجة حلّ هذا المجلس. الموضوع السياسي غير طبيعي بمفهوم فصل السلطات، بمفهوم حالة استثنائية غير مفهومة وغير مقبولة من قبلنا، كفاعليات وفاعلين بشكل عامّ في المجتمع المدني. كل جهود الحركة النسوية من 1991 لآن في ما يتعلق بسنّ قوانين الأحوال الشخصية الفلسطينية، لأن القانون الذي يسري في المناطق المحتلة هو قانون 1976. وفي غزة أعتقد القانون المصري، من الثلاثينيات، قوانين عمرها أكثر من نصف قرن تحكم النساء الفلسطينيات. وكذلك الأمر بالنسبة لقانون العقوبات 1965 بالصفة. ونتيجة الضغط النسوي أصبح هناك بعض الإصلاحات في بند هنا، أو بند هناك، ولكن لم يتم التعامل مع حزمة القوانين ككل. حتى التوقيع على اتفاقية السيداو تحفز العمل في 2014 من قبل دولة فلسطين، لكنه لم ينعكس على تغيير ومواءمة هذه القوانين والتشريعات والإجراءات، المتعلقة بحقوق النساء في الفضاء العام، والفضاء الخاص. حتى التزامات السلطة في مؤتمر بكين 1995 باعتماد الحد الأدنى للتمثيل النسوي بـ 30%، لم ينعكس لغاية هذه اللحظة.

هناك قرارات في المجلس المركزي 2015، وأظن في المجلس الوطني التنفيذي 2018، اعتماد الكوتا بما لا يقل عن 30%، لكن لم يتم اعتمادها حتى هذه اللحظة. بقضايا مرتبطة بالمشاركة في دوائر القرار سواء في الأحزاب أو المجتمع المدني أو القطاع الخاص أو الهيئات المنظمة. واضح إنه لم يتم عملياً حدوث اختراق جوهري، تم إصلاح بعض البنود هنا وهناك، ولكن حتى هذه البنود التي تم إصلاحها مثلاً اعتبار القتل على خلفية ما يُسمّى بـ "شرف العائلة" جريمة من الدرجة الأولى، وإلغاء المادة التي تعطي تخفيف. هناك بنود

الفلسطيني كقائدات، كعاملات، كمبدعات، كفاعلات، في الالتزام بقضايا واحتياجات الشعب الفلسطيني. في ما يتعلق ببعض الإنجازات هناك قناعة بضرورة العمل المشترك، وبناء ائتلافات. ولكن هذه الائتلافات تأتي بناءً على أجندة تفرضها مشاريع وبرامج محددة. العمل الوحدوي يأتي على قاعدة موضوع معين بمشروع معين، بمحددات معينة. لم تكن هناك مثلًا ائتلافات جبهوية نسوية عريضة لطرح أجندة المرأة الفلسطينية وفق معادلات معينة.

استطعنا أن نمثل ائتلاف سيداو، وتطبيق السيداو، لكن السيداو مرتبط بقضايا محددة، لارتباطنا في المؤسسات المشاركة بهذا الائتلاف بالتنفيذ والضغط من أجل إنفاذها. كذلك الأمر بالنسبة لـ 1325 بما يسمى بـ "أجندة المرأة والسلام". أنا أستطيع القول إننا لم ننجح في تشكيل ائتلاف حركة لمقاومة الاحتلال، أو ائتلاف جبهوي نسوي عريض لتطوير الديمقراطية والدفاع عن حقوق النساء في مجال المشاركة النسائية، أو ائتلاف عريض من أجل تشكيل قوائم انتخابية نسوية، أو من أجل قضايا سياسية مختلفة، أو من أجل القدس. كان هناك مبادرات ضد الانقسام هنا وهناك، ولكن لم تأخذ طابع الديمومة بارتباطها بمشروع هنا، وآخر هناك. في ما يتعلق بالإنجازات استطعنا أن نؤثر على بناء توجهات لدى النظام السياسي من أجل طرح قضايا النساء، وقضايا العنف، في المسوح الوطنية من خلال المسوح التي يجريها مركز الإحصاء الفلسطيني. هذا إنجاز، تم عمل مسوح في 2011 و2019 وهذا مهم جدًا. هناك مسوح مرتبطة بالتركيز على قضايا النوع الاجتماعي. ومعظم هذه المسوحات تأخذ بعين الاعتبار قضايا النوع الاجتماعي، وهناك إنجاز في ما يتعلق بتشكيل وحدات حماية للأسرة داخل الشرطة الفلسطينية، صاحب ذلك تطور أدى إلى تشكيل نظام حماية وطني للنساء المعنفات، بمشاركة المجتمع المدني والحكومة، الجهات المختصة. تشكيل آليات حماية، تشكيل بيوت آمنة، أو إنشاء بيوت آمنة، مع أنني بحظ تحتها مليون خط لأنه يجب المعتدي هو الذي يتم إخراجها من الأسرة. يتم معاقبته، إعادة تأهيله، وليس إخراج المرأة وأطفالها من البيت. هناك أيضًا إنجازات في ما يتعلق بتطوير قدرة النساء على الاشتباك مع الاحتلال، على قاعدة القانون الدولي من خلال المناصرة والضغط في هيئات الأمم المتحدة، في الاتحاد الأوروبي، في مجالات مختلفة. لدينا كوادرات عديدة في هذا المجال، لدينا تجارب ناجحة في هذا المجال، مهم جدًا الاستمرار والبناء عليها. لدينا إنجازات متعلقة ببروز قيادات أو حركات اجتماعية نسوية ارتجالية، ولم تأخذ مداها وتنتسج وتطور. هناك قناعة أوسع لدى الحركة النسوية بإشراك الشباب، ومواجهة الفجوة بين الأجيال، وهناك بعض النجاحات حقيقة. أيضًا أستطيع القول إنه قطاع نسوي منظم، منظمات مختلفة إن صوئنا

بقي عاليًا من أجل المطالب النسوية المتعلقة بتطبيق ما جاء في وثيقة حقوق المرأة التي عُبِّرت في بداية ما يسمى بأحداث أوسلو، دا تصورنا للحركة النسوية. هناك مبادرات للنساء. مهم إنه استطعنا أن نتواصل في العديد من المحطات، وحول موضوعات معينة في الأجندة النسوية، النساء 1984، النساء اللاجئات، مع النساء الفلسطينيات في الشتات، رغم الحصار على غزة، باستمرار في تواصل نسوي في كل ما يتعلق بالأجندة والأولويات النسوية. تحديات كبيرة يفرضها واقع الاحتلال على النساء، تحديات يفرضها المجتمع الذكوري، غياب الحساسية تجاه قضايا النساء يجب التعامل معها على قدر المساواة من منظور تنموي، من منظور حقوق المواطنة. هذا بشكل عام.

من النسوية الوطنية المرتجلة إلى "طالعات"

كما أشارت الحركة النسوية متركزة في جمعيات خيرية، وحنًا في السبعينات والثمانينات شكلنا لجان، أو الأطر النسوية الجماهيرية. كان هناك صراع من قبل الجيل القيم للجيل الحديث، الأصغر سنًا المقاومة تم التعبير عنها بمحاولات إقصاء، محاولات تضيق مساحات، أو أثرت على العمل المشترك. لكن نتيجة الوطن، وثقل القوى السياسية، زيادة أعداد المشاركات في هذه الحركات أمام هجمة الاحتلال، أمًا الاحتياجات والأولويات العامة. كل ذلك تم إدارته، وتكيف حدة السلبية، وانصهرنا مرة أخرى مغًا. فترة من التردد، فترة من المقاومة، هذا لغاية التسعينات، حنًا لحركة نسوية جديدة، شكل جديد، وشكل المؤسسات النسوية المتخصصة، أو NGO النسوي، التي أصبح عنده قدرة أكبر من الأطر النسوية في جلب الأموال، وفي الحصول على تمويل، وبناء علاقات مع قوة مانحة، أو هيئات، أو ائتلافات، في دول مختلفة، نتيجة التخصص، نتيجة وجود قدرات في مجال اللغة، العلاقات العامة. هذا عمل إشكالية في العلاقة، في ديناميكية العلاقة. شعرت النساء والقيادات في الأطر النسوية تم استخدامهم، لأن هذه المراكز أغلبيتها تم تشكيلها من الأطر النسوية نفسها. أصبح هناك شعور بالغبن، صراعات قوة، بحيث إنه تم استخدام هذه الأطر الجماهيرية والعمل لصالح نخب، ولصالح عدد محدود من النساء في هذه المؤسسات. لأن هذه المؤسسات هيئاتها العامة غير قائمة على عضوية واسعة. أيضًا هناك صراع بين الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، والأطر والمؤسسات النسوية، بمعنى إن الاتحاد بصفته التنفيذية، الجماهيرية، منظمة التحرير الفلسطينية، الذي يعنى بالشؤون والقضايا النسوية. الاتحاد هنا كونه المظلة بالتالي صار هناك خلط بين الاثنين، وبين أن يكون مظلة قائمة على أسس ديمقراطية. عندما ضغطنا باتجاه أن يكون هناك انتخابات

الإنكار صراع طبيعي، في كل القطاعات. لكن نتيجة الهجمة الكبيرة على الحركة النسوية، أستطيع القول إنه هذا السلوك اللي حكيت عنه بشخصيتي موجود لدى العديد من القيادات، أن نعمل معاً، أن ندير نفس إدارة الغضب، أن نشخص الأمور، نفتح القضايا بشكل موضوعي. لدينا تطور في هذا المجال، أي نشاط حقوقي ليس فقط للنساء، لأي مواطن أو مواطنة، لا أتردد في المشاركة به إطلاقاً. بالتالي أي توجه، أو أي شكل، أي مبادرة، تخدم الحقوق الوطنية، تخدم النضال الوطني الفلسطيني، أنا أهتم بها على أرضية إنها موجودة، هذا النشاط جزء من رؤية تقدمية، ديمقراطية، بعيدة عن الإقصاء، بعيدة عن التحكم، بعيدة عن الاستغلال، هذا يغلب على الصعيد الشخصي، لأنه الناس في بلادنا تعمل إحكام، أنا في موقعي بيني على المعطيات، والمعطيات متغيرة في السياق. مش ممكن أكون أنا مثلاً ضد قيادة في لجان العمل، أخذ موقف من لجان العمل. لا تتناسب مع رؤيتي للموضوع. ممكن أن يكون هناك حوار، ممكن أن نكون هناك حالة فتور، لكن هذه اللجان عندما تقوم بمبادرة، عندما تبجع، عندما تبحث، تستطيع أن تقوم باستنهاض أي قضية، باستنهاض أي طاقة. أنا لا أستطيع إلا أن أعتبر عن احترامي وتقديري، ليس فقط على صعيد الشعور، لكن أدمو وأعتبر من أجل الاستفادة من هذه الطاقة، أنا هيك ما بتغلب، لا أستطيع أن أمشي الأمور هيك مع التيار.

الثورة أرقى نضال

مثلاً ثورات 2011 حملت الكثير من المضامين، وتركزت آثار إيجابية وسلبية، نتيجة استخدامها من القوى المعادية للشعوب. مثلاً رفعت صوت النساء، وكذلك صوت الفقراء، والفقيرات.

فضحت هشاشة هذه الأنظمة، وعدم نزاهتها، وفسادها، وأعطت قوة للمواطنين.

بغض النظر عن المنطلقات والتحليلات اللاحقة، اللي قامت لها الثورات. لكن الثورة بعد ذاتها، هي أرقى شكل من أشكال النضال من أجل التغيير. مثلاً بغض النظر عن بعض سلبيات الانتفاضة الأولى، ولكن أثرها العام على المجمل الشعبي عطى كل الناس أن تنتقد، أن تحاكم، أن تقول رأيها في هذا النظام، بعد سنوات وعقود طويلة من العمل الديكتاتوري، والعمل الإقصائي.

ديمقراطية نزيهة في الاتحاد، في الانتخابات الماضية كان هناك حالة من الهدنة والتفاهات، مدّ نفوذ الاتحاد الجماهيري الشعبي، لكن عندما تم انتخاب الهيئات العليا في الاتحاد بناء على صيغة فتوية، مخصصة كنظام موجود في منظمة التحرير. هذا ساهم في إشكالية الحركة النسوية، أنا برأيي كمان إنه حالياً مع وجود حركات اجتماعية جديدة، حركة "طالعات"⁵، أو أي مبادرات نسوية شبابية هنا وهناك، الصبايا أو الجيل الجديد لا يريد أن يكون تحت راية الجيل القديم. أفكار الجيل القديم مثلاً شعارات ارتجالية تلتزم بقضايا المساواة بدون مساومات، بدون تجزئات. الخطاب الحالي "طالعات" مثلاً الخطاب وضع بالتالي بعض الأوساط النسوية، المؤسسات، أو القيادات، أو النخب، تعتبر ذلك خروجاً عن الخط. أيضاً هناك جيل آخر في الحركة النسوية مرتبط بتعدد الهويات الجنسية، أيضاً لا يوجد علاقة، يوجد رفض للتعامل مع احتياجات، هذه الاحتياجات التي تعكس احتياجات عدد أو قطاع من النساء. بالتالي أنا بصراحة عشت كل هذه التجارب وأنا صبية، وكنت في صراع مباشر مع قيادات الجمعيات، وصدامات. لكن لم أقف أو أفكر لحظة واحدة، لم أتوقف عن وصلة الحوار، والحضور، والمشاركة، والتشارك. هذا سهل، لم أخذ المسألة بشكل شخصي. عندما مثلاً كنت عضوة في هيئة إدارية للاتحاد العام قبل أوسلو، وكنت أذافع بشكل أساسي -كان عمل سري وقتها- من أجل يأتي الجميع إلى هذه الطاولة. عندما قسمت الجبهة الديمقراطية ببساطة الجيل القديم اللي يعكس توجهات رئاسة تلك الفترة، قيادة الاتحاد العام، كان سهل إنه يطرح، إنه مندوبة "فدا" تطلع، أو يذهب يغيروا مندوبة الجبهة الديمقراطية ويضيفوا أخرى، كيف الشطرني للاستبدال. أنا من الناس اللي ناضلت وبصوت عالي، ودفعت ثمن بأن تبقى العضوية، ولكن عندما أعلنت استقالتي من حزب الشعب، أخذوا قرار باستبدالي، أصبحت لا أمثل حزب الشعب، مع أنه كل النشاط، كل الفاعليات لم تكن باسم حزب الشعب في هذه الهيئة، كانت باسم جمعية المرأة العاملة. بالفعل توجهت إلى القضاء لرفع قضية، من منطلق قضية ضد حق في التنظيم، لأنه أنا ما بطلع بقرار هيك، ولا في مؤتمر، ولا في انتخابات. لكن لأنه احترام الوثيقة في تلك الفترة جعلني أسحب القضية. هذا الصراع ما أشرت له سابقاً، صراع القوة، صراع الانتقالية، مواجهة الانتقالية، مواجهة الإقصاء، مواجهة الجديد. كان صعب جداً استيعاب أن الجديد يأتي من القديم، والجديد سينطلق وبشكل أسسه، وديناميكيته، وانتصاراته، ورسالاته، ولغته.

5 حركة نسوية رافضة العنف الموجه ضد المرأة الفلسطينية، وقد انطلقت الحركة في أواخر 2018، وذلك بعد حادثه مقتل الفتاة نارا أنوب من مربة الدش في الداخل الفلسطيني المحتل.

6 حزب الاتحاد الديمقراطي الفلسطيني "فدا"، تأسس في 1990.

انتصار الوزير: الحركة النسوية بدّها نفس طويل حتى تجسد أفكارها

انتصار الوزير المعروفة بـ"أم جهاد"، مواليد غزة 1941، انخرطت في صفوف حركة "فتح" في وقت مبكر حتى صارت أمينة سر "التنظيم النسائي"، وتولت العديد من المناصب حتى انتخبت عضوة في اللجنة المركزية في تلك الحركة الفلسطينية.

عادت إلى فلسطين عام 1994، وقبل ذلك عاشت في الكويت والجزائر ولبنان وسوريا. بجانب أدوارها القيادية في "فتح"، اشتمكت مع قضايا المرأة تنظيميًا داخل "فتح"، وعلى الصعيد الوطني داخل اتحاد المرأة الفلسطينية، كما عملت في رعاية أسر الشهداء، عبر ترؤسها "مؤسسة رعاية أسر الشهداء".

وخلل مسيرتها التي تروي تفاصيلها في هذه الشهادة المعتمدة على مقابلة جرت في الثالث من كانون الأول/ديسمبر 2020، كانت أول وزيرة في السلطة الفلسطينية، وانتخبت في المجلس التشريعي الأول 1996 والثاني 2006.

امرأة في حركة فتح

عشت احتلال قطاع غزة بـ1956، كانت تجربة أليمة وصعبة، تركت أثر كبير داخلي، دخلوا واحتلونا، وقتلوا الشباب، ودمروا. في إحدى الليالي، جُمّ عشان يعقلوا ابن عم لي، وأخذوا أبويا عشان يوربهم البيت، لما رفض يتحرك معاهم ضربه، فكان عندي عوامل داخلية كثير للعمل الثوري، لئلا نعمل شي للوطن هذا اللي دفعني لدخول هذا المجال. اللي بيدخل هذا المجال ما بيقدّر يتخلّى لأن هذا واجب وطني.

التحقّت بحركة "فتح" في 1959، كنت أول امرأة في هذه الحركة، التقيت بـابن عمي في أحد الاجتماعات الحركية، يعني ما كنت أعرف إنه بـ"فتح"، هو كان بيعرف لأنه كان مسؤول بالحركة، بس أنا ما كنت بعرف. بعد ما صرت مقربة له، وأمينة سره وحافضة أسرارته وأشياءه، اتخطبنا

بـ1961، وتزوجنا بعد سنة. وسافرنا عشنا حياتنا ست شهور بالكويت، وبعدها عشنا بالجزائر.

الجزائر طبعًا بلد الثورة، عندها مكان لكل حركات التحرر في العالم آسيا إفريقيا أمريكا اللاتينية، وزوجي كان مسؤول عن مكتب تحرر وطني لحركة فتح بالجزائر، نتيجة علاقات كانت قائمة بين الجزائر و"فتح".

هكذا أنقذها أبو عمار من الاعتقال

بهذه الفترة اشتغلت بالتعليم، بنفس الوقت كنت أمثل فلسطين في كل المؤتمرات اللي كانت، والندوات، واللقاءات اللي كانت تتم في الجزائر. انتقلنا إلى لبنان، وهناك بيتنا كان بيت مناضلين، يستقبل الكل. كنت في هذه الفترة يقوم بكل الأدوار اللي تطلب مني، من نقل الأشياء وتسليمها، كان يجي الأخ أبو عمار وأبو جهاد، كانوا دائمًا في دمشق لأن سوريا كانت فاتحة أبوابها لحركة فتح والثورة الفلسطينية. وكانت الحركة في سوريا سهلة بالنسبة للعمل الثوري، كانوا يبيعوا البلاغات العسكرية عندنا على البيت ببيروت، واطبع لهم البلغ على ورق الحرير ونسحب على استانسل بالظروف، وبعدين نوزعه على كل وكالات الأنباء، على كل وزارات الدفاع، والشخصيات العامة، والبرلمانات. توزيع البلاغات هذا من ضمن العمل اللي أقوم به.

بـ1965 كُلفت بالمشاركة بالمؤتمر العام للمرأة الفلسطينية كممثلة لـ"فتح"، ورجعت لبنان بعد أسبوع، زوجي سافر لفرنسا عشان يكلف محامي فرنسي جاك فرنش، الدفاع عن أول أسير للطلبة الفلسطينيين. وأثناء وجوده في باريس اعتقلت إحدى المجموعات، ومن ضمنها شاب اسمه أحمد الأطرش اللي كان متصل بي تنظيميًا وعسكريًا، فجأة صباح أحد الأيام يجي الأخ أبو عمار من سوريا، وبسرعة يباخذني أنا وأولادي لسوريا بدون ما يفسر، "يلا تعالي"، وطلعنا بسيارة واتجهنا إلى سوريا. بس وصلنا الأراضي السورية انشاهد وقال لي: "هنا إنت بأمان" لأن القيادة توقعّت إنه حدا هيعتقلني.

عشت بسوريا 12 سنة. في هذه الفترة أحداث الثورة كانت متصاعدة. كُلفت دراساتي الجامعية، وحصلت على ليسانس تاريخ من كلية الآداب، هذا بالنسبة للمستوى التعليمي. طبعًا استمرت الثورة، وشاركت بها. مكُنش فيه تنظيم نسائي، لكن في سوريا شُفت قد إيش فيه إمكانية لاستقطاب الصبايا والنساء للعمل الحركي. وطلبت إنّي أشكّل مجموعات، وفعلاً بدأت تشكيل مجموعات تنظيمية، وبعدها تتطور خلية، ومن خلية لشعبة، ومن شعبة لمنطقة. وبعدين عملت التنظيم النسائي، وصرت أمين سر هذا التنظيم.

ثم حوصرت قواتنا بطرابلس في لبنان، وزوجي كان هناك من قبل. التحقت فيه وتركت أولادي في عمان. وقام الاتحاد بنفس الدور الذي حصل ببيروت. وكان القذف ييجي من المنشقين على مواقع الفدائيين، وفي نفس الوقت من الإسرائيليين. وبعدين لما اشتد الحصار، واستمر القصف ما عدش للمقاتلين مجال يعملوا أكل في قواعدهم. بالتالي كُلفنا بعمل مطبخ، وشغلنا فيه حوالي 20 امرأة، وكنا نقدم وجبة يومية سخنة لسبعة آلاف مقاتل، حتى وصل عدد الوجبات اليومية لتسع آلاف.

كنا نطبخ الطبخ في علب اللينة كيلو واثنين كيلو، والعلبة الثانية نطبخ فيها رز، ونحطهم في صناديق ويبدوا شباب المقاتلين بكل قاعدة تاخذ حصتها على العدد الذي عطونا إياه. بالتالي قمنا بدور كبير مهم.

لما طلعنا من طرابلس وصار اجتماع للمجلس الثوري لشغل موقع نائب أمين السر للمجلس الثوري، انتخبوني الشباب مكان هذا النائب. وصلت لموقع نائب أمين السر للمجلس الثوري بحركة فتح، في نفس الوقت كنت اشتغل بالاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، وكنت اشتغل رئيسة مؤسسة رعاية أسر الشهداء والجرحى والأسرى. بعد ذلك مثلت فلسطين في العديد من المؤتمرات الدولية، ومؤتمرات الأمم المتحدة. ولما عقد المؤتمر الخامس، انتُخبت عضو لجنة مركزية في حركة فتح. بذلك كنت المرأة الأولى التي تقتحم المجال الذكوري، ضلّيت عضو لجنة مركزية لغاية 2006 تقريباً 21 سنة.

مؤسسة "رعاية أسر الشهداء" لعبت المؤسسة دور مهم في رعاية أهالي الشهداء داخل الأراضي المحتلة، لأنهم كانوا لازم ييجوا على الأردن حتى ياخذوا المساعدات، وإحنا كان نعمل شي خلال أيام الاحتلال، لذا تمكنا من تكليف لجان المرأة للعمل الاجتماعي بمتابعة وزيرة أسر الشهداء وتوفير الإمكانات المادية والتعليمية والصحية لهم، وهذا كان إنجاز كبير قبل أوسلو.

في انتظار الدولة

مثلاً في البداية كنت مؤمنة بتحرير فلسطين من النهر للبحر، وبعدين صرت أؤمن بالمرحلية، وهذا سبب ليّ معاناة شديدة، ما كان سهل إنني اقتنع بالتغيير بس الواقع يفرض عليكي تفتنعي بالتغيير إلى حين. هكذا كُلفت، بعد أوسلو وتشكيل السلطة الوطنية، بوزارة الشؤون الاجتماعية كأول وزيرة وطنية في السلطة الفلسطينية.

ثم ترشحت لعضوية المجلس التشريعي، كنت أنا عضو مجلس وطني، وعضو مجلس مركزي. فلما دخلنا على

ومن خلال التجربة، اكتشفت إنه خطأ يكون التنظيم النسائي منفصل عن الشباب، بل لازم يكون جزء من التنظيم العام، وإلا نضل كنساء لحالنا بدون أي تطور. قدمت اقتراح في أحد المؤتمرات، وفعلنا وافق المؤتمر عليه، ودمجنا التنظيم النسائي بالأقاليم، يكون مسؤول الإقليم مسؤول عن التنظيم النسائي. بعدها صار مؤتمر وانتُخبت في لجنة الإقليم لسوريا، أول مرة يصير انتخاب لامرأة في لجنة الإقليم. بعدين بعد لجنة الإقليم تطور العمل.

زعيمة لـ 3 أشهر

بـ 1966 صارت مشكلة، المخابرات السورية اعتقلت كل القيادة تبع حركة فتح، بمن فيهم أبو عمار، وأبو جهاد، وأبو صبري، عدد كبير من الشباب حوالي 36 شخص قائد يعني. بهذه الحالة ما فيش قائد صار في الساحة، فكُلفت بقيادة الحركة، كنت القائد العام. هكذا قادت الحركة تقريباً ثلاثة شهور، التي هي فترة وجود القيادات بالسجن.

بعد ما طلعوا من السجن صار عندنا مؤتمر للحركة، كان الثاني لـ "فتح"، ولم أدع إليه رغم إنه انعقد في بيتنا، ولم تمثل المرأة فيه. فأنا اجتمعت مع قيادات "التنظيم النسائي"، كنا ثلاث نساء، واتفقنا نبعت رسالة لرئيس المؤتمر ونطالب بحقنا للمشاركة، وقدمنا هذه الرسالة. وبالفعل رئيس المؤتمر قرأ رسالتنا على أعضاء المؤتمر، وصار النقاش حول الموضوع، وبعدين عرضها على التصويت وسقطت، لم نشارك. قلنا هذه أول تجربة، ونضل نناضل.

لما أسست "فتح" لجنة رعاية أسر الشهداء والأسرى والجرحى، مكونة من ثلاث أشخاص برئاستي، العمل بدأ برعاية أسر 11 شهيد.

المؤتمر الذي صار بعدها، رقم 3 شاركنا اثنين سيدات، أمانة النمر، وأنا، كنت ممثلة لـ "رعاية أسر الشهداء" كجهاز اجتماعي، وهي كانت تمثل شيء بالساحة الأردنية، شاركنا هيك.

وقبل المؤتمر الرابع ناضلنا كثير حتى شاركت عشر نساء، كان همنا مشاركة المرأة في المراكز المهمة. المؤتمر الرابع ترشحت ست سيدات لانتخابات المجلس الثوري، ونجحت أكون أول امرأة تدخل المجلس الثوري الذي كله رجال.

حرب لبنان في 1982 كان لنا دور كبير فيها، كنت مسؤولة مؤسسة أسر الشهداء، وفي نفس الوقت كنت أمانة سر الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية. والاتحاد قام بدور كبير مع الهلال الأحمر الفلسطيني خلال حصار بيروت برعاية المهجرين والجرحى القادمين من الجنوب ومن كل المناطق، وكلفنا عدد كبير من الصبايا بمساعدة الجرحى داخل مراكز النقاهة الـ 25 التي أسسها الهلال الأحمر.

فلسطين ترشحت لعضوية المجلس التشريعي الأول في 1996، ونجحت أيضًا بأصوات عالية، كنت رقم 3 على دائرة غزة. خلال عملي كوزيرة ألحقت المؤسسة بـ "الشؤون الاجتماعية" ثم بعد تركي للمنصب فصلت، ورجعت لـ "رعاية أسر الشهداء". وحتى الآن لا زالت رئيسة هذه المؤسسة التي أصبح لها فروع في الأردن وسوريا ولبنان ومصر والعراق والكويت، أين ما توجد عائلات شهداء بتتواجد المؤسسة.

حاليًا أنا رئيسة للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، وساهمت في المجلس التشريعي الأول بصياغة كثير من القوانين، وخاصة قانون كوتا الـ 20% للمرأة. وإنه تطور المشاركة النسائية في المجلسين التشريعي والوطني، بنسبة لا تقل عن 30%. وأرى أنَّ الحركة النسوية تبذل جهد جبار، ولكن العقلية والتقاليد والعادات التي هي لا بد من تغييرها هذه تساهم في إنها تضل المرأة تبرح مكانها، لكن هذا ما يعني أننا نياس لازم نضل نبذل جهد ونضل نوعي بالحقوق الأساسية في حياة المرأة. لكن الحياة الآمنة للمرأة لا تتوفر إلا بوجود قوانين تحميها فعليًا وليست قوانين على الورق وفي الكتب. يتركز حاليًا على قانون حماية الأسرة من العنف، وهذا القانون الذي صار له عدة سنوات يبتناقش، وبتناقش من الحركة الوطنية كلها من الحركة النسوية، ومن كادرات من الشباب، ولكن لحد الآن لم يز النور، وبيلاقي معارضة. لذلك الحركة النسوية بدّها نفس طويل حتى تقدر تجسد أفكارها ومبادئها.

وعلى المستوى الوطني، بدّا نبذل جهد كبير لإعادة تجميع أنفسنا، وإعادة الترابط والوحدة. خاصة في وضعنا الفلسطيني بدون وحدة هنضلنا مشنتين، وهنضلنا أمام العالم لا نستحق أن يكون لنا دولة، وهذا الذي بدّها إياه إسرائيل. بس لازم نكون صليين، ومتماسكين، ونستمر، وما يضيع الهدف الذي استشهد من أجله الشهداء، لازم نضل محافظين عليه، وإلا كل تضالنا الذي فات، السنوات التي فاتت، والتي قبلها من أيام جدودنا، راح يروح هباء. إحنا شعب بدّه حقوقه، مش غاوي حرب، مش غاويين شهداء، مش غاويين جرحى، مش غاويين أسرى، ولكن بيفرض علينا. لكن ما لازم نستكين، هندافع عن حالنا، لازم ندافع عن حالنا وأرضنا وشعبنا، هذا هو هدفنا، ولانم نضل متمسكين بهذا الهدف، حتى نحقق الدولة والنصر، إن شاء الله.

أيلين كُتاب: تحدينا الأهم الموازنة بين البُعدين الوطني والنسوي

أيلين كُتاب من مواليد القدس، باحثة ومُدْرسة، ناشطة في السياسة والعمل النسوي والنقابي. ترى أنه لا يمكن فك الارتباط بين العمل السياسي والعمل النسوي والعمل النقابي.

في 2012، عملت مدير مركز بيسان للبحوث والإنماء، وهو مركز نقدي يعمل في التنمية البديلة، وضمن أعماله كان "كتاب الوهم للتنمية" الذي يوثق عمل السلطة التنموي وينقده، بهدف تطوير طريق بديل للتنمية أكثر جماهيرية وإنتاجاً. في شهادتها المُعتمدة على مقابلة جرت في الثاني من كانون الأول/ديسمبر 2020، تحكي أيلين عن ضرورة دمج القضايا النسوية التي ستصنع مجتمعاً ودولة ديمقراطيين مع القضايا الوطنية في مواجهة الاحتلال. وهي الموازنة التي تبدو مثل تحدٍّ أمام كل نسوية فلسطينية.

صراع حول رأس عبد الناصر

أنا أيلين، طلعت من أسرة من الطبقة الوسطى؛ أب وأم وأخين وأخت. أمي كان لها تأثير كبير على مسيرتي الوطنية بشكل عام. اسمي أيلين رزق كُتاب، و"كتاب" هي عائلة زوجي.

زوجي دكتور سيمون كُتاب، عميد كلية العلوم في جامعة بيرزيت، ثم عميد كلية الصيدلة في جامعة بيرزيت، بعدين تقاعد في 2017 من الجامعة. وعندي بنت وولدين، البنت هلا في أمريكا، عندها ثلاث أولاد وتعمل في بيع البيوت. أمّا أولادي الاثنين واحد منهم يشتغل طبيب اختصاصي بالقلب، والآخر متخصص الآن في أمريكا أيضاً في الطب، ها دول هن أولادنا. كوني أم وزوجة، اعتبر أنني مطلوب مني أعمال شاقة، فبالتالي قمت بتربية أولاد وطنيين، أنا وزوجي، وكان عبء كبير علينا كناشطين وسياسيين.

والأولاد، كل يوم يتعلموا وصاروا من أفضل الناس. فكان دور مهم بالنسبة لي، للجمع والتوازن بين الأسرة والعمل العام والنسوي أيضاً.

لقا كنت في العام الرابع عشر من عمري، جمال عبد الناصر كان له دور كبير في حياتي، خطابه الوطنية القومية الشعبية الطبقية، شكّلت السياق الفكري الأولي لفكري السياسي. أمي كانت ناصرية، بل كانت تحبه بشكل غريب، كان أبوي يغار منه كثير، وكانت تفرض علينا إننا نسمع خطابه. ويمكن من هنا بدأ تأثير أمي. عبد الناصر كان فيلسوف وكاريزما وشعبي، كان مخلص لقضايا الفلاحين والفقراء، ويتحدى أمريكا. وهنا يمكن أول نفس أنا أخذه، تحدي الغرب بشكل عام. عبد الناصر كان يناضل لسيادة الوطن، إنما مش بذه التبعية، بذه يستقل، ويعتمد على نفسه، عشان كده عمل التأميمات. قد إيش البعد الوطني القومي ممكن يكون هو بنية أساسية للنضال والمقاومة ضد الغرب، وضد الاحتلال الصهيوني في ما بعد. هذه الأفكار إذا بدّي احطها بصياغة أكاديمية، هي أفكار اشتراكية لأنه كان عبد الناصر اشتراكي. بالتالي من هناك أنا بَلَشْتُ انسجم مع الفكر الاشتراكي، وبعدين تطورت للفكر الماركسي اللينيني.

وقت حرب 1967 كُنّا قاعدين في مخزن في البيت مخبئين. فجأة هجم الجيش الإسرائيلي على البيت. أمي وجدتي طلعا من المخزن عشان يفتحوا البيت للجيش عشان يفتشه، والذكور فصلت بالمخزن، شُفت حماية الذكور تحت الاستعمار. في تصرف أمي وجدتي شُفت البعد النسوي كيف هو الحامي للأسرة بشكل عام. وبدأوا يسرقوا تحف ويحطوها بجيبهم، كان منظر بشع لوحشية هذا الاحتلال، لصورة هذا الاحتلال الاستعماري. هون شُفت كمان بشاعته لأول مرة، إحنا بتعرف إسرائيل، لكن بشاعة الاحتلال بشكل مباشر هون شعرتها. ليش بحكي بهذا النقطة، إنه أمي كان عندها تحفة اللي هي رأس عبد الناصر بالبرونز، حاول واحد من جنود الاحتلال يأخذه، وهذا الإيشي الوحيد اللي وقفهم عليه، استفرست، ما بيصير يأخذ رأس عبد الناصر، لأن "هذا أنا بدّي أعطيه لبنتي لقا تستقل ببيتها، لأن هي بتحب عبد الناصر"، وھيك فجأة حظ رأس عبد الناصر محله، خاف.

أمي كان عندها هبة اقنعتة إنه ما يخدوش. هلا بعد وفاة أمي اعطتني إياه قبل ما تتوفى. هون وعيت للبعد النسوي في حماية الأسرة، لقا هيك أمي وجدتي عملوا. ووعيت لبشاعة الاحتلال.

الفتاة المثالية

مثلاً صممت انتقل إلى المدرسة في الرملة محل ما أمي تخرجت، بدل مدرستي اللي في القدس، لأن كان إحساسي

إن فيه عنف نفسي، وفيه تهميش وتمييز بين الطالبات، وكل هذه القضايا وعيها من عبد الناصر. وبالتالي كان انتقالي من مدرستي التبشيرية الألمانية؛ "الراهبات شمت" إلى مدرسة في الرملة، وهي أجنبية، لكن فيها هيئة إدارية عربية، أعطتنا مساحة للتعبير عن النفس.

كان فيه حرية، وفيه ليبرالية نوعاً ما، لأن هيك الـ Quakers¹ فكر ديني. وفي نفس الوقت المدرسة كانت تعطينا مساحة واسعة للتعبير. في هذه المرحلة بلّش يصير عندي شخصية خاصة فيّ.

كنت عازفة على البيانو، (كنت أعلم على البيانو كمان)، هناك كان فيه اجتماعات صباحية يومية للطلبة في قاعة الاجتماعات وكانوا يجيئون لنا متحدثين، وكنت أعزف بيانو يومياً لَمّا يدخلوا الطلاب، ولَمّا يخرجوا. نغني ترانيم منها دينية بس كانت حلوة، ولكن أكثرها فلكلورية بشكل عام. كانوا يجيئون لنا متحدثين كثير متفتحين، بالتالي هذا كمان قوى من وعينا. واعطوني ميدالية الفتاة المثالية لَمّا تخرجت.

الفتاة المثالية بالنسبة ليّ هي شمولية أبعاد المرأة؛ فتاة نشيطة نسوياً، نشيطة اجتماعياً أيضاً، تفوقت أكاديمياً. هذه كانت الدفعة الأولى ليّ، إنه أعيد الثقة بنفسي ما بعد مدرسة الراهبات اللي كانت تهمشنا وتعاقبننا، وكل هذا العنف اللي كانت تتعرض له الواحدة في هذا المدرسة، وفي 1970 طلعت من المدرسة، والتحقّت بجامعة بيرزيت، أو بالأصح كانت وقتها "كلية بيرزيت" لأنها كانت سنة أولى وسنة ثانية فقط، ما كنش عندها الثالثة والرابعة.

في "بيرزيت"، لأنها مختلطة بين ذكور وإناث، تعرفنا كيف نتعامل مع الذكور، تعرفنا كيف ما نخضعش للذكور. كان فيه عندي حرية تعبير أكبر لأنه قيادة "بيرزيت" وقتها، اللي هي دكتور حنا ناصر وأسرته، كانت أسرة منفتحة جداً، تعطي كل الفرص للطلبة بشكل عام، فبلورت شخصيتنا بشكل كبير.

بعد سنتين التحقت بالجامعة الأمريكية في بيروت، صار فيه تنافس بينا وبيننا فلسطينيين. درست برضو في دائرة علم الاجتماع، السنة الثالثة اللي هي Junior، وتعرفنا على الطلبة الفلسطينيين، صار فيه اشتباك إيجابي بينا وبين اتحاد طلبة فلسطين. بعدين رفعوا الأقساط، وفضلت الإضرابات والاعتصامات، طبعا أنا اتفجر فيّ هذا العمل كأنه جاءتنني الفرصة إنه اعتبر عن نفسي وطنياً. فكنت جزء لا يتجزأ من هذه الإضرابات والاعتصامات، والإضراب عن الطعام، أخذنا أشكال مختلفة. احتلنا الجامعة لـ 35 يوم، واحتلال الجامعة كان كثير مهم لأنه فيه نشاطات مختلفة. فيه لعب شدة

على الأبواب، كثير من الناس كانوا يلعبوا شدة لأنه في سبعة أبواب للجامعة الأمريكية، وكان كلها مغلقة على الهيئة التدريسية. رئيس الجامعة كان يسكن حرم الجامعة، كان بالتالي ما يقدرش يطلع، هو كان حبيس في الجامعة. هناك بلّشنا يمكن بصير لنا علاقة عضوية مع منظمة التحرير الفلسطينية، لأن هي اللي قادت هذا الاحتلال بشكل عام. هون وعينا وطنياً، صرنا نتعرف على القيادات الوطنية، وهيك هبت الروح الوطنية بشكل عملي، وليست فقط فكرياً. هون بلّش الاندماج بين الفكر والعمل، وصرنا نشوف الجامعة الأمريكية كأمر، وبالتالي صار فيه عندي غضب عليها. هذا الغضب يمكن تفسيره إنه خصوصيتنا الفلسطينية، إحنا دائفاً وجاهية، يعني نميل للمواجهة. على كل حال سكرت الجامعة، بعد 35 يوم روحنا على بيوتنا، رجعا عن هذا. أنا كنت سنة رابعة، وآخر فصل دراسي ليّ، كان المفروض بعد شهرين أأخذ شهادة البكالوريوس من الجامعة الأمريكية. لَمّا روحنا على البيت جاءتنا رسالة من وكالة الغوث للاجئين إنه تم فصلي من الجامعة الأمريكية، (إدارة الجامعة فصلتني أنا و103 من الطلاب الفلسطينيين).

كانت شهادة فخر بالنسبة ليّ، لكن طبعاً زعلت لأن بدّي شهادة، بس في نفس الوقت كانت وسام إنه عديت وصرت إنسانة وطنية، بالمقابل أمي ووالدي كانوا حزناين جداً لأنهم كانوا فرحانين إنني هتخرج، ويجوا على حفل التخرج، كانت نكسة لهم لكن كان وسام شرقي ليّ.

في هذه المرحلة عملت في مؤسسات صغيرة، عقبال ما تفتح السنة الرابعة في جامعة بيرزيت.

ثم التحقت بالجامعة بدون علامات، لأنهم حتى ما عطوناش علامتنا في "الأمريكية"، رجعت على جامعة بيرزيت سنة رابعة، استكملت السنة الرابعة وأخذت شهادة البكالوريوس من جامعة بيرزيت. كمان فخر ليّ أن أخذها، كان أول جيل ياخذ شهادة البكالوريا من هذه الجامعة.

تراث فلاحى وغناء ونشاط تعاوني

خلال دراسة سنة رابعة، التحقت بالأحزاب اليسارية، يمكن كنت أحب الحكيم³ لأنه تعرفت على عمله في لبنان وأنا في الجامعة الأمريكية في بيروت.

اليسار أعطاني دفشة كبيرة، لأن بهذه السنة، أصبحت منسقة العمل التعاوني في "بيرزيت". وهذه مرحلة كانت كثير مهمة بالنسبة ليّ، لأنه كان فيه اشتباك كبير بينا وبين الجماهير بشكل عام. تعرّفنا على القرى الفلسطينية، ونقوم بأي عمل تعاوني أو وطني في هذه القرى. تعرّفنا على كل رؤساء

1 أنشأها بنمون بارنشا إلى طوائف مسيحية بروتستانتية تعرف باسم مجيعة الاصداء.

2 أوراق اللعب أو الكوشنة.

3 بقصد جورج حبش (1926-2008)، ساسى فلسطيني، مؤسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

البلدية الوطنيين مثل كريم خلف الذي استشهد، ونفس الشيء في نابلس، وفي الخليل، كلهم كانوا يستقبلونا بشكل كبير، كان فيه عمل كثير مهم، أكاديميين أصبحنا نعرف قيمة العمل اليهودي، إنه العامل اليهودي هو بنفس القيمة زي العامل الفكري اللي بينتج معرفة وفكر، وهذه القيمة أضافت لي بشكل عام قيمة جديدة في سياق الفكر. فكنيت لعام كامل منسقة العمل التعاوني، كان فيه علاقة قوية بيننا وبين الطلبة، تعمل لهم ثقافة عامة، وبنفس الوقت بينا وبين الشعب نفسه، اللي كان يعزمننا على الغداوات، ونقعد كلنا سوا على الأرض. إحنا المذنبين، اللي جاينين من القدس أصلاً طيقاً، كانت هذه الخبرات تعطينا أصول التراث الفلاحية، وهذا كمان بالنسبة لي جزء كثير مهم في حياتي.

في 1975، اشتغلت في جمعية الشابات المسيحية بعد لما تخرجت من "بيرزيت" ثم أصبحت مديرة البرامج. أسست نادي الجيل الصاعد، كان فيه فرقة من الشباب كانوا ينتجوا موسيقى وطنية أبدعوا فيها بشكل كبير، وكلها عن الوطن والمأساة الفلسطينية. أصبح هذا النادي كثير مهم بشكل فطيع، الاحتلال اقتحم الجمعية وأغلقه، وبعدين أغلق نادي آخر كان اسمه "نادي الغد" للأكاديميين، اللي أنا كمان كنت جزء منه، ولكن مش أنا اللي أسسته. بالتالي فترة جمعية الشابات المسيحية أصبحت واجهة وطنية، وكمان واجهة نسوية اجتماعية دخل عليها البعد الوطني.

وفي 1977 أنهيت عملي في جمعية الشابات المسيحية. وأذكر كمحطة صغيرة داخل السبعينات قبل ما أتزوج، إنه شكلنا فرقة موسيقية، أنا وشباب وصبايا، بطن فيهم أخوي وأختي، ومنهم إميل عشراوي، اللي هو زوج حنان عشراوي، اسمها فرقة البراعم.

وفي هذه الفرقة كنّا نغني ضد الأنظمة العربية في البداية، ونروح من قرية إلى قرية نغني، لحد لما الاحتلال أوقف هذه المسيرة بشكل عام. هذه كانت محطة مهمة كثير، لأن كنّا نتدرب في بيت حنان عشراوي في الأرضية تبعها، وأصبحنا كأنا المغنيين الوطنيين، وما بعدنا أصبح في فرق أيضاً صغيرة اللي تشكلت على صورة مسيرتنا بشكل عام.

الخروج من المي

وفي 1978 تزوجت، وبما إنه هو أستاذ بجامعة northeastern university في بوسطن، تزوجنا والمفروض إنه نخرج للخارج، كنّا رايعين هجرة، ولكن أنا كان صعب كثير عليّ أن ترك الوطن زي السمكة اللي بتطلع من المي.

التحقت في الجامعة، محل ما زوجي يعلم، لأقوم بالماجستير في علم الاجتماع، وبدأت أعمل كثير من العروض الأكاديمية في جامعات مختلفة حول القضية الفلسطينية، وقضية

المرأة. بنفس الوقت تعرفت على فلسطينيين في بوسطن، وأصبحنا كنلة مهمة في الجامعة من 1978 إلى 1981، لأنني حظيت شرط على زوجي إن بعد ما أخلص الماجستير ما أضل بأمريكا، بدّي أعود للوطن، وأروح على جامعة بيرزيت. هو قال لي: "خلصي، انشا الله تخلصي في سنة ونروح"، لأن هو من القدس، وكمان يحبب يعود، هو أصلاً كان مدرّس لقا أخذ البكالوريوس الصيدلة من الجامعة الأمريكية في بيروت، ودرس سنة في جامعة بيرزيت أيضاً من قبل ما يروح يعمل الدكتوراه في أمريكا. بالتالي كان عندنا انتماء لـ "بيرزيت"، كانت جزء من شخصيتنا، جزء من انتمائنا الوطني والسياسي بشكل عام. خلصت الماجستير، وعدنا للوطن في 1981، واستقبلتنا جامعة بيرزيت، أنا أصبحت أستاذة بالماجستير فقط، أستاذة في دائرة علم الاجتماع، وزوجي سيمون كتاب، كان أستاذ في دائرة الكيمياء في الجامعة.

من هون بدأت مسيرتنا الوطنية في الوطن، واللي كانت انسجمنا معها أكثر من أي محطة أخرى، في أمريكا أو في لبنان بشكل عام. جامعة بيرزيت هي هوية وانتماء، يعني أنا هويتي لحد الآن من بعد التقاعد لسه هي هوية هذه الجامعة اللي أخرجت أفضل طلبة، وفي نفس الوقت القيادات الوطنية أكثرها من "بيرزيت". هذا كمان كان يساعدنا إننا كأستاذة نكون جزء لا يتجزأ من الحركة الطلابية. أنا كنت أقعد في الكافيتريا مع الطلاب نناقش سياسة وثقافة. كان فيه كثير اشتباك بينا وبين الطلاب، يختلف تماماً عن المرحلة الحالية في الأكاديميا اللي فيها فصل كامل بين الهيئة التدريسية والطلبة. كنّا نتعلم من الطلبة أكثر ما هما يتعلموا منّا، كان عندهم خبرة كبيرة جاينين من القرى والخيمات، ومن الشمال والجنوب، ومن غزة (كان لسه يقدروا أهل غزة بجوا عليها)، فكان كثير تبادل كبير ما بينا، اللي كان بالنسبة لي كثير مهم، إنه تطور أكثر من هوية الوطن، أعطاني أثر قسيمة للعمل الوطني. في هذه الفترة أنا لما عدت كنت جزء من الحركة الوطنية، والتنظيمات الفلسطينية وكان لنا دور كبير في تعبئة الطلبة في العمل الوطني، في الصفوف تبعنا. الصف فكنش فقط علم الاجتماع، لأن أصلاً علم الاجتماع له أبعاد سياسية كبيرة وتنموية، فكان نيث الوعي الوطني والاجتماعي والسياسي في مرحلة كانت فيها نهوض وطني. كمان هلاّ يختلف الوضع بشكل عام. بهذه المرحلة أنا كمان تعرفت على أستاذة الجامعة، وكان بعض الأساتذة كثير وطنيين، ولهم إنتاج معرفي نقدي اللي كمان أنا تعلمت منهم لما رجعت، كانوا دكاترة وأنا لسه ماجستير. تعلمت من خلال البيئة الثقافية والتعليمية اللي كانت موجودة في الجامعة أهمية البحث الأكاديمي لإنتاج معرفة بديلة، خصوصاً أن التاريخ ما كتبتش عن النساء كثير، إن هن قاموا بأدوار كبيرة. التاريخ أهمل النساء، همشهم، فبالتالي صرنا نقوم

وضيوفه من كل الأحزاب اليسارية، وقالوا "سنحمل الحركة النسوية، ونمنع فرض الحجاب". كانت هذه أيضاً مفصل مهم في تاريخ الحركة النسوية. رفضنا فرض الحجاب وليس لبس الحجاب، فقط فرضه، لأن كان فيه فرق كبير. قلنا: "ألبسوا الحجاب على رأسكم، وليس على عقولكم". بعدين طرحت قضايا مختلفة بهذا المؤتمر، كان مؤتمر لكل الحركة النسوية بقيادة مركز بيسان، ولجنة الدراسات النسائية. في المركز ربما حماسي حكيت عن الحجاب، أتكلت عن الزواج المبكر، لأن في هذه المرحلة صار فيه زواج مبكر. أتكلت عن العنف ضد المرأة. أتكلت عن الأسيرات، وتأهيل الأسيرات. هذه كلها قضايا دمجتا الجندر مع العمل الوطني، دمجتا القضايا الوطنية مع القضايا النسوية. هون بلس يصير التوازن ما بين النسوية والوطني بشكل عام. هذا كان مؤتمر مهم. فداء شوفنا هذه اللجنة كلها من جامعة بيرزيت، فقلنا ليش ما نعملها بالجامعة وتصير لجنة أكاديمية تنتج أبحاث، وفي نفس الوقت ممكن تشكل أساس لتطوير حقل أكاديمي لدراسات المرأة. تحدثنا مع إدارة الجامعة، وقالوا لنا تفضلوا أعملوا منهاج. علمنا منهاج، جينا أول تمويل، توافق على منهاج، بلسنا دراسات المرأة، بعض المساقات undergraduate فقط للكالوريوس ما بين 1995 لـ 1998. فكانت هذه المساقات في داخل كلية الآداب، وليست مستقلة عنها.

في 1997 طلبنا من رئيس الجامعة، الدكتور حنا ناصر، إتنا نكون مستقلين عن كلية الآداب، وقيل رئيس الجامعة هذا العرض.

وفي 1998 أصبحنا معهد دراسات المرأة في الجامعة، لأنه في هذه المرحلة بدأنا الماجستير في النوع الاجتماعي والتنمية. تطور دراسات المرأة كحقل من 1994 إلى 1998 من كونه تحت دبلوم إلى ماجستير في النوع الاجتماعي والتنمية. هو كان أول برنامج دراسات المرأة في الوطن العربي، وكان له قيمة كبير لنا كجامعة وللوطن بشكل عام. من هناك بلسنا علاقتنا الوثيقة مع الحركة النسائية، لأن كلنا كئنا جزء من هذه الحركة على أساس إنه أول فوج من النساء ليأخذ الماجستير كان من القيادات النسوية. فجاء جزء من القيادات النسوية وعمل هذه الماجستير، ومن وقتها أصبح هذا البرنامج للأكادرات الموجودين في المؤسسات الأجنبية الفلسطينية، الوزارات، إلى آخره. فصرنا نستقطب كل الكادرات النسوية اللي هن في العمل نفسه، اللي يقوموا في العمل التنموي، أو النسوي، أو البحثي. بتخيل معهد دراسات المرأة لحد الآن مسيرته طويلة، إن شاء الله بضل موجود. في مرحلة معينة وأنا مديرة المعهد، روحت على تونس لمؤتمر، وفي هذا المؤتمر في نفس هذه المرحلة، وفي نفس هذا الأسبوع، حدثت فاجعة احتلال مخيم جنين⁴، وتدميره، واستشهد كثير من الشباب والصبايا والمدنيين. وأنا كنت في تونس، تحدثت

بدور معرفي في إنتاج معرفة حول التنمية البديلة بشكل عام. في هذه المرحلة كنت مؤسسة لمركز بيسان للبحوث والإنماء، لأنه اللي بقدر أعمله في مركز بيسان ما يقدر أعمله في الجامعة، لأنه كان بدنا باحثين من الأرض، باحثين مش ضروري يكون دكاترة أو ماجستير، يشكلوا وثائق وطنية من الميدان، صوت الجماهير، الصوت الشعبي. من هناك بدأنا في مفهوم التنمية البديلة، والاعتماد على الذات، والصمود. في هذه الفترة كمان بدأت العمل في الأطر النسوية، في لجنة اتحاد المرأة الفلسطينية اللي بدأنا في إنتاج تعاونيات صغيرة. بدأنا في إنتاج تعاونيات نسوية، وكانت هذه التعاونيات شعارها "إنتاجنا هو فخرنا"، هذا الشعار اللي قمنا فيه. كانت هذه التعاونيات علاقة بين دائرة علم الاجتماع ولجان المرأة الفلسطينية. دخلنا قرى ومخيمات في قطاع غزة، وفي الضفة، وأسستنا هذه التعاونيات، كان فيه عندنا تمويل هولندي بسيط، على أساس نبدأ هذه التعاونيات، وبعدين بدأنا في قرية سعيد، أخذنا القرى برملة والخليل وبيت حنون، وغزة، في مخيم جبالية، في مخيم قدورة. كانت النساء تنتج وتبيع، والإنتاج كان مذاقه فلسطيني، نعمل العصير، العصير هو المذاق الفلسطيني. أصبحت ها دول النساء هن ناشطات سياسياً أيضاً، اعتقلن في فترة معينة، لأن الاحتلال شاف إن العمل التعاوني ليس فقط إنتاجية غذائية، لكن هي قاعدة تنتج معرفة، وبنفس الوقت صار فيه استقطاب لها دول النساء في العمل الوطني، في الاعتصامات، وفي الإضرابات، هذا كله شكل تحدي للاحتلال.

في 1978 لما انطلقت الانتفاضة الأولى، كئنا في هذه المرحلة ناشطين جداً في التعاونيات. قدرنا نترجم شعار القيادة الوطنية الموحدة في مقاطعة البضاعة الإسرائيلية، وتطوير البضائع الفلسطينية كبديل، وفي نفس الوقت شعار الاعتماد على الذات بلس يأخذ مفعوله العملي بشكل عام. هذه التعاونيات ضللتها تشتغل لحين ما أغلق الاحتلال جميع التعاونيات، اقتحمها وكسرها وأغلقها، لأنها -حسب رأي الاحتلال- بؤرة نسوية وإنتاجية لتنظيم القرية ووعيها الوطني بشكل عام. هذا كان جزء من عملي وأنا في "بيرزيت".

أهمية المبنى

في هذه المرحلة كان فيه فرض الحجاب، وأنا كنت مديرة لجنة الدراسات النسوية في مركز بيسان، وشكلت لجنة في المركز من زميلات في الجامعة هن دكتورة ربما حمامي، ليزا تراكلي، إصلاح جاد، نهلة العسلي، وبدأنا نشوف الخطورة ما بين العمل الوطني والعمل النسوي، مع فرض الحجاب أصبح كأنه قمع الجرس إنه النساء لازم تتحرك. فعملنا في 1991 مؤتمر كان واسع جداً في القدس، في الفندق الوطني، جينا فيه الحركة الوطنية، وافتتحه أستاذ فيصل الحسيني،

من المجالات. لكن انططت الحالة كلها، شو امرأة على رئاسة نقابة جامعة بيرزيت أهم نقابة في الجامعات. كانت تجربة لها خصوصية، ويمكن كشفت ذكورية النقابة في هذه المرحلة. اكتشفت إن النضال النقابي هو فقط حول الراتب، وحول أحوال الوضع النقابي فقط للموظفين، ومكنش فيه جوانب أخرى، مثل البعد الأكاديمي، المناهج، الدراسات الثقافية كمساقات. كنّا إحنا والطلاب ناخذ أربع مساقات، أصبحوا اثنين، وبعدين يصيروا واحد. وهذه المساقات بالنسبة لي كانت هي اللي أعطتني البنية التحتية للفكر، والثقافة، فصارت تتلغي!

إذا أصبح في خصخصة للتعليم، أصبح التعليم فقط يتبنى ما يطلبه السوق، ويصار فيه تمكين أكثر للهندسة والإلكترونيات، IT كل هذه المجالات، وصار فيه تردي للعلوم الاجتماعية. بالتالي هون لعبنا دور في إنه توقف التردّي اللي تبع العلوم الاجتماعية من خلال النقابة. هو كان بُعد جديد النقابة يتعمل عليه، على الخصخصة، على تبني النموذج الأمريكي في التعليم، كل هذه المسائل طرحتها كنقابة. انتهت في 2013 ونقابتنا كان فيها أربع نساء، واحدة عضوة هي رولا أبو ضحى، اللي هي أسيرة سابقة. فكان عندنا إنجاز كبير في هذه المرحلة.

في العمل النسوي، كنت عضوة في اتحاد المرأة الفلسطينية، وعضوة في الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، وبالتالي كان فيه لنا كثير أدوار على مستوى أكاديمي ونسوي في هذه الاتحادات بشكل عام. اتحاد لجان المرأة الفلسطينية كان بالنسبة لي هو العلاقة بيني والجماهير النسوية، لأنني كنت مهتمة كثير إني فكنش بس في القيادة كخبرة، لكن أكون في العمل في الميدان. شكّلنا حركة تعاونية نسوية في هذه المرحلة، كان شعارها "إنتاجنا هو فخرنا". وأخذنا وقت كبير حتى تقبل سميحة الخليل إنه تنتج وثيقة نسوية حول حقوق المرأة. أخذها كثير وقت لتقبل، حملناها في سيارة وروحنا على الفندق الوطني، وأعلنا هذه الوثيقة، اللي هلا الحركة النسوية ترجع لها.

النسوية قبل أوسلو وبعده

هذا بشكل عام نشاطي النسوي في الأطر النسوية اللي كان لها دور كبير في الثمانينات وبداية التسعينات. لكن ما بعد اتفاق أوسلو الحركة النسوية رجعت لورا، ليش؟ لأنه كان فيه إقامة دولة، وفي نفس الوقت كان فيه احتلال، وكان فيه عدم توازن ما بين البعد الوطني والبعد النسوي. أصبحت النساء ممولات من الممولين الغربيين، الأجندات الغربية الحركة النسوية تتبناها، الأجنحة أهملت الأسيرات، أهملت النضال الوطني لفترة. أصبحنا متخصصين في العنف، وفي gender training، وفي كل هذه المسائل اللي أفقدت العمل النسوي مضمونه السياسي والوطني. وما بعد أوسلو

عنه، حتى بكيت وأنا واقفة على منبر المؤتمر، لأنه كان شي كثير حساس، وزعزع لي كثير مشاعر. بالتالي ما بعد المؤتمر، جاءت الدكتوراة منيرة فخرو، من المعارضة البحرينية، وجاءت قالت لي: "شو بدّكم أعمل لكم؟ كيف ممكن أدمكم؟" فأنا قلت لها بدّنا مبنى في جامعة بيرزيت يكون اسمه دراسات المرأة، قالت لي: "أنا أجيب لك إياه"، قلت لها ابعتي المصارى لرئيس الجامعة، قالت لي: "جيبني لي خرائط". حكيت مع الدكتور حنا ناصر، قلت له بسرعة يلا بدّي خرائط، قال لي: "شو بسرعة، ما أهدرش أعمل هيك"، قلت له دبر حالك بدّهم يعطونا مصاري، وأخيرًا توافق عليه. كانت المنحة مش من منيرة فخرو، هي كانت الواسطة، ولكن من لجنة تضامن مع الشعب الفلسطيني بالغرفة التجارية والصناعية للبحرين، فأعطونا نصف مليون دولار، والمبنى كان برضو مهم. قالوا لي "شو بدّنا بالمبنى"، قلت إن المبنى هو أمر واقع، أنا بالنسبة لي لقيت إذا حظينا مبنى لا يمكن أن يمحو معهد دراسات المرأة، أو يمحو الفكر النسوي بشكل عام.

أصبح أمر واقع سواء بالنسبة لي بيجوا دراسات المرأة، أو اللي بيكرهوها. صار موجود ولا يمكن استبداله بشكل عام، هذا كان إنجاز صغير، ولكن له قيمة كبيرة بشكل عام. دراسات المرأة أنتجت أبحاث كثيرة، أنتجت مساقات ملائمة لفلسطين، وسياق احتلال بلدنا. هلا عندنا كثير من الطالبات، اللي أصبحوا أستاذات، ذهبوا إلى الجامعات في الخارج وأخذوا الدكتوراه، وعادوا إلى "بيرزيت". بالتالي فيه استمرارية لهذا المعهد إن شاء الله.

عملنا Gender audit وين المرأة في جامعة بيرزيت، ولقيت فيه تهميش كبير للمرأة في المستوى القيادي النسوي، وعلى المستوى السياسي والاجتماعي. فكرنا لازم أنزل لرئيسة النقابة عشان نقدر نطرح القضايا النقابية النسوية. في أحد الاجتماعات في يوم العمال، طرحت الإحصائية حول أين المرأة في الجامعة، طبعا حتى رئيس الجامعة استقرب، ولا مرة كانوا شايفين إن المرأة في أدنى السلم، مع إن هي لها قيمة كبيرة في التدريس. من هنا بلسنا نشغل على قضية النقابات، حقوق المرأة في داخل الجامعة بشكل عام، مع إنه القوانين لم تميز ضدها، ولكن ظروفها الاجتماعية اللي ميّزت ضدها بشكل عام. في هذه المرحلة نزلت الانتخابات، وريحت كرئيسة النقابة في 2011، وقتها سألويني في جريدة "وفا": "كيف بدّنا نفهم شو السحر اللي عندك إنه تم انتخابك لأول امرأة في فلسطين؟" قلت لهم ولا سحر ولا شي، عادي، عندنا انتماء للجامعة وقضايا المرأة وحقوقها، بالتالي بدّنا نناضل لنحسن هذه الظروف والواقع النسوي داخل الجامعة. وسألني الجريدة: "طب كيف تقدري تعملي هذا مع كل أعمالك الأخرى؟" قلت لهم زي ما يتعمل بالبيت، بنرتي أولاد وبنطبخ، وبتعمل كل شي. إحنا بتعرف ندير كثير

أيضاً، تشكلت كثير من المؤسسات النسوية، صار فيه توسع كبير للمنظمات النسوية بشكل عام. هذه المنظمات أكثرها صار تخصصية، منها زي مركز الإرشاد النفسي والاجتماعي، منها حول الأبحاث، منها زي ما نقول أكثرها متخصصة بشكل إنه جزت قضايا النساء. هون كان عندنا نقد كمعهد دراسات المرأة، إنه كيف نوازن ما بين البعد الوطني لأنه لسه عندنا احتلال، والبعد النسوي اللي هو تحضير لإقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية. هذا التوازن أنا شوفت إنه كان كثير صعب، لأنه في مرحلة معينة كان الاحتلال كمان يضرب العمل الوطني. وضرب العمل الوطني كان يفقد النساء من دورها الوطني، ويخليها فقط بالدور النسوي. أنا لحد الآن كل كتاباتي نقد عن الحركة النسوية، وأنا جزء منها. مثلاً معهد دراسات المرأة ممول، ولكن بناخد التمويل ونعمل اللي لازم نعمله مش اللي بدهم إيانا نعمله. بالتالي التمويل هو حق بالنسبة لي لأن اللي سبب القضية الوطنية هو الغرب، وعد بلفور، والغرب ومواقفه تجاه القضية الفلسطينية. بالتالي هن اللي بيخربوا، والمفروض هن اللي بملوا، لكن التمويل يكون حسب الأجندة الوطنية وليس حسب أجندتهم. أكثر المنظمات النسوية مشيت في أجندة الممولين وليس في أجندة الوطن. هون النقد تبعنا كمعهد دراسات المرأة بشكل عام، وأنا بشكل خاص على الحركة النسوية. يمكن في مرحلة معينة هلا فيه مراجعة تجرى حول أجندة وبرامج الحركة النسوية.

مثلاً الاتحاد العام أنا بشوفه هو نسوية الدولة، ما دامت الدولة تدفع أجور عضوات الاتحاد العام، فما فيه مجال لتكون مجموعة ضغط على الدولة. هنا إشكاليتنا مع الاتحاد العام، بما فيها إنه كل النساء القيادات اللي كانت في الخارج أصبحت هي قيادات الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية. صار فيه تهميش للأطر اللي كانت تشتغل ضد الاحتلال لفترة طويلة، مع كل احترامنا لأم جهاد، لكن لقا هن

يستخدون على قوة في داخل الاتحاد العام، هناك صعوبة كبيرة إن الأطر النسوية والجيل الشاب ينم تعبته وتنظيمه داخل الاتحاد العام. هذه قضية ثانية لازم تواجهها الحركة النسائية. عندنا إشكالية في الأجندة تبع الاتحاد العام، وأيضاً في كون المحاصصة الحزبية هي اللي تحدد الحركة النسوية بشكل عام. كل هذه المسائل هي معوق لتكوين حركة نسائية تقدمية، وأصيلة، وتكون مستقلة عن السلطة، وتكون مستقلة أيضاً عن الممولين، تكون هي أصيلة، تتجاوب مع متطلبات الجماهير النسوية بشكل عام. أبعدت الحركة النسوية عن الجماهير النسوية، أصبحت نخبة في مكاتب، وتغير كل العمل النسوي اللي كان شعبي في الانقفاضة الأولى، وأصبح مكتبي بيروقراطي في المرحلة ما بعد أوسلو.

مثلاً في موضوع الكوتا النسوية، كنت أقول خلي المرأة تناضل لتستحق، مش نعطيه الكوتا. لكن تغير موقفني لأنه ارتأيت إنه كثير هناك صعوبة عند الذكور يقبلوا النساء. بالتالي مفترض الكوتا تفرض على البنية الذكورية للحزبية بشكل عام نساء. كثير من النساء ناضلوا كثير في الحركة الوطنية كمان. أنا بتذكر ريحة دياب، كنت أحبها كثير، كانت ريحة من المناضلات في الحركة النسوية، ولكن دورها في الحركة كان محدود، بالتالي كنت أشوف مرات إنه فيه استغلال للنساء من الحركة الوطنية بشكل عام، لنصر الحركة، ولكن ما لها قيمة معنوية سياسية. هون يمكن بشوف عشان هيك الكوتا ممكن تكون مهمة. هذا موقف تغير من خلال مقابلاتي مع كثير من القيادات النسوية، اللي شعرت فيها إنه النساء مناضلات يمكن يكونوا أكثر تنقيفاً من الذكور في الأحزاب، لكن فالهومش دور في القرار. هذه البنية طبعاً اللي فيها تمييز ضد المرأة في البنية السياسية الحزبية، يفترض إنه يتم النضال ضدها.

مع إننا كفرنا بالأحزاب، خصوصاً اليسار لأنه شعاراتها كبيرة وعملها محدود في البعد الاجتماعي والنسوي، لكن الحزب لسه ضروري، لأنه آلية تغيير، فبالتالي إحنا بنناشد الصبايا والشباب العودة للأحزاب، عشان يقدروا يتخلصوا من القيادات المسنة اللي استحوذت على القوة وما بدّا تترك الكرسي. كنا نقول ما عندناش أحزاب، بتخيل في الفترة الحالية هلا الأحزاب مهمة، أنا بشوف أمريكا اللاتينية والتحولت اللي بتصير فيها، وكيف الجماهير بتواجه الإمبريالية بشكل عام. الشباب هن اللي راج يقدروا يقوموا في دور مواجهة الاحتلال، مواجهة الفكر الغربي في السلطة الفلسطينية، اللي بتقوم فيه مفاهيم تنمية ليبرالية جديدة، اللي ما تستجيب لمطالب الجماهير بشكل الفقراء من مزارعين وعمال. صار فيه كثير تهميش للزراعة اللي هي أساس للعمالة، عندنا بطالة واسعة لأن مفيش أرض.

الأرض هي سلعة سياسية أصبحت، فبالتالي المصادرة والاستيطان، كل هذا ببيع الأرض اللي هي ممكن تشكل بالنسبة لنا الصمود والتحدى، والسلطة ما بتحميها لهذه الأرض. هذا النقد على السلطة، بالنسبة أيضاً إن ما فيه مصانع اللي تستحوذ أو إنه تقدر تستقطب العمال، طبعاً بيروحوا للسوق الإسرائيلي. هون لنا مأخذ أيضاً على السلطة، بدل ما يضلوا بينوا مباني، وإيجارات لمباني، إنه يفتحوا مصانع ليقدروا يستقطبوا أكثر عمال فلسطينيين في داخل الوطن وليس في إسرائيل. هذه مأخذ تنمية اللي الحركة النسوية كمان مش موجودة على الأجندة تبعها، اللي المفروض تصير الحركة النسوية إحدى هذه الأدوات لنضال تعزيز التنمية الوطنية بشكل عام، تعزيز القطاعات الإنتاجية من زراعة وصناعة.

جيهان الحلو: أي حراك لا بد أن يكون له جانب توعوي

جيهان الحلو، كاتبة ونسوية، من مواليد حيفا، لكنها تربت في الهجرة، ولم تدخل فلسطين إلا في 2000. خلال حياتها انتظمت داخل حركة "فتح"، ومالت فكرياً وسياسياً لليسار داخل الحركة. اختيرت كعضوة في المجلس الوطني الفلسطيني (1981-1983).

في شهادتها المعتمدة على مقابلة جرت في 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2020، تحكي عن موقف دال جمعها مع أحد القيادات الوطنية -لا تذكر اسمه- والذي سألها مستنكراً "إنّ جاية تحرري فلسطين ولا تحرري المرأة؟" فردت عليه: "أصلها هي راح تتحرر فلسطين من غير ما يكون للمرأة دور؟". كما تعلن في شهادتها أنها تركت العمل السياسي أواخر الثمانينيات، بسبب ما سمته بـ "حالة التشرد"، وهو ما يفسر اتجاهها مؤخراً للعمل في إنتاج المعرفة للأطفال، وهو التوجه الذي عبّرت عنه بعبارتها "فشلنا مع الكبار فخلينا نشغل مع الصغار".

فهي تؤمن بأنّ أي حراك لا بد أن يكون له جانب توعوي ونابع من فهم جيّد للتاريخ، وذلك دون إغفال ما يحدث على الأرض اجتماعياً، وبشكل لا يتعالى على الجماهير، أو بعبارة أخرى ألا يكون العمل السياسي فوقياً.

هل تحرر فلسطين بدون المرأة؟

أنا جيل السبعينات، خلقت بحيفا، تالت بنت من ست بنات، وتهجرتنا على لبنان، وكانت الاما حامل فيّ قبل إعلان دولة الاحتلال. بعدين لّمّا صار ممنوع ترجع على فلسطين، صرنا لاجئين.

البابا من مؤسسي الحركة العمالية بفلسطين، "جمعية العمال"، (وكرّمه اتحاد عمال فلسطين مع المؤسسين الآخرين في سوريا عام 1973).

بلبنان، كانت الظروف صعبة كثير، كان فيه نوع من الحرمان الاجتماعي والاقتصادي، لغاية لّمّا البابا قدر يصبح مقاول هذا عزّز وضعنا الاجتماعي والاقتصادي. عشنا بمنطقة شويقات لأن فيها مدارس جيدة، ودرست بمدارس الإرساليات الأجنبية، الدراسة بهذه المدارس الخاصة علمتني أدافع عن

قضيتي لأن كان فيه معلمة كُنا نتخاق معها لّمّا تقولنا إن "اليهود شعب الله المختار" رفضت هذه المقولة وحاجبتها، وهذا عزّز وعيي.

لّمّا دخلت على الجامعة الأمريكية أدرس إدارة عامة وعلوم سياسية، كثير كنت نشيطة ببرامج التلاميذ الجدد، بأخر سنة صرت رئيسة جمعية العلوم السياسية. كانت الجامعة كثير محافظة بالنسبة للقضية الفلسطينية، بس كُنا نعمل "أسبوع فلسطين"، وكان المستشار يتاعنا فايز الصايغ¹ اللي هو من عائلة القضية الفلسطينية، وتشربنا القضية الفلسطينية، وعمل لنا كثير محاضرات توعية. تخرجت سنة 1967 وقت الحرب.

ما كان كثير بدّي حدا يقتعني إنني أدخل المقاومة، قبلها كنت قريبتي وأصحابي ضمن حركة القومية للعرب، لكن بعدين لّمّا أعلنت حركة فتح الكفاح المسلح، نظمت بـ "فتح" عن طريق أصدقاء بالجامعة، طبعاً كان شغلة سرية، ثم صرت دوعري عضوة بـ "إقليم لبنان" يعني اللجنة القيادية لـ "فتح" بلبنان. مثلاً كنت بحكي عن قضية المرأة، فوادح مسؤول تطلع فيّ وهو منزعج وقال لي: "إنّ جاية تحرري فلسطين ولا تحرري المرأة؟". قلت له: "أصلها هي راح تتحرر فلسطين من غير ما يكون للمرأة دور؟" إنه هذا التخلف اللي كان.

تسليح المرأة

ما كان فيه تنظيم للمرأة أبداً، لكن بلّشنا ننظم بالمخيمات بعد ما اخدنا إذن من المخابرات اللبنانية حتى ندخل المخيم. كان الوضع صعب كان ممنوع إن البنات تشتغل سياسة، والبنات ممنوع تطلع برّه البيت دون إذن. بس كان عندي الحظ أنني اشوف بـ 1969 كيف النساء الفلسطينيات وقفوا بأجسادهن قدام الجيش اللبناني لّمّا حاول يحتل ويقمع تحرر المخيم، والنساء منعت الجيش من الدخول. هذه نسيمها انتفاضة المخيمات، على أساس طلع الجيش اللبناني و"المكتب الثاني"² اللي كان يقمع الفلسطينيين، ويمنعهم يشغلوا بالسياسة أو يسمعو راديو، أو يسمعو خطابات جمال عبد الناصر، بل ممنوع يدقوا مسمار دون إذن.

بعدها صارت "اتفاقية القاهرة"³ اللي اعطت الحق في وجود المقاومة بجنوب لبنان.

1 فايز الصايغ (1930-1922) أناديمي وسياسي وإعلامي فلسطيني، أسس مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية

2 المخابرات اللبنانية

3 اتفاق وقع في العاصمة المصرية سنة 1969 بين ياسر عرفات (منظمه التحرير) ووفد لبناني، برأسه رئيس الحكومة رشيد كرامي، وهذا الاتفاق نظم الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان، الاتفاق جرى ووقع تحت إشراف وزيرى الحربه والخارجيه المصريين وميها. وسمح بتشكيل لجان للكفاح المسلح في المخيمات الفلسطينية، والسماح للفلسطينيين بالمشاركه في الثورة

تجربة انتفاضة المخيمات عززت دور المرأة من إنها ممنوع تطلع وتجتمع، بعدها صارت تطلع وتدرّب على حمل السلاح لتحمي المخيم.

مثلاً اختاروني لأحضر مؤتمر نصرة الشعوب الفلسطينية في القاهرة بـ1969، كان أهم مؤتمر يصير بعد انطلاق المقاومة. لكن البابا كان خائف عليّ ومتحفظ، فلما قلت له إنها أول مرة يزعل إني خلقت بنت، قال: "ليش؟" قلت له إني لو صبي وقلت لك رايحة خلاص نقطة على السطر، فسافرت. وبعدها سافرت مع أول وفد لـ "فتح" على الهند بنفس السنة.

كان عندي إحساس إننا كنساء مناضلات دورنا توعية النساء وتنظيمهن حتى نعطيهن القدرة على الإحساس بإنسانيتهن، وإن المرأة لها نفس الحقوق والواجبات، مش كافي تكون أم مناضل أو شهيد. مثلاً حكيت مع نساء عاديّات مش كواد، وقلت إنه غير كافي إن إني أم مناضل، يعني شو دورك، إحنا متساويات مع الرجل، ولنا دور بالقرار السياسي. النساء تطلعوا فيّ مستغربات: "لا إحنا أكيد مش متساوين مع الرجل". فهمت إن هذا مرتبط بوعي المرأة ونظرتها لنفسها، لأن الكل يزعل عشان ولدت بنت، وترتّب إن هي مساندة للرجل، مش على قدم المساواة. مع إن المرأة كان إلها دور أساسي في الحفاظ على الهوية الفلسطينية، هي قدرت تتأقلم مع الوضع الصعب، وربّت أطفالها على حب الوطن وتعزيز الهوية الوطنية. قدرت الأم تواجه الظروف صعبة. كان شعار الأهل دائماً زي كل الفلسطينيين إنه "التعليم أهم سلاح" هيك يتذكر إنه الماما والبابا كمان كانوا يقولوا إنه لّمّا تتزوجوا اتفقوا إن قضية التعليم خط أحمر.

نُبع اليسار

ما بعرف عن اليسار، مثلاً أبوي كان أقرب من الحزب السوري القومي، وبالمدرسة كانوا يحكو إن الشيوعية بعبع، لكن بالوعي والفترة رأيت إن أمريكا ضدنا، والاتحاد السوفييتي معانا، هذا اللي خلاني اختار أكون ضمن التوجه اليساري اللي هو مع العدالة الاجتماعية، ضد التمييز الطبقي. هذا خلى مسؤول الإقليم يحاول يطلعي برّه لأنني يسارية.

لّمّا فترة حاولوا يبعدونني، وأبعدوني صرت أروح من بيروت إلى طرابلس بدون ما يعرفوا أهلي، عشان أنظم لـ "فتح" بهذه المنطقة. وبعدين رجعوني للجنة الإقليم في 1974 وبقيت لـ1982.

محو أمية المقهورات

صار فيه فرع لاتحاد المرأة⁴ في لبنان. وكوني المسؤولة لـ "فتح"،

4 تأسس اتحاد المرأة الفلسطينية في 1965، وهو "تنظيم شعبي ديمقراطي يمثل المرأة الفلسطينية في جميع أماكن وجودها، وقاعدته من فواع منظمة التحرير الفلسطينية". وفي الفترة من 1967 لـ 1969 شكل 17 فرعاً في البلاد العربية والمهجر، وتأثرت هذه الفروع بالظروف السياسية لكل من البلاد المضيفة، فضلاً عن طبعه علامه كل بلد بمنظمة التحرير

كنت من أوائل أعضاء الهيئة الإدارية. لكن صار فيه خلاف بـ "فتح" انعكس على الاتحاد؛ مجموعة رأت إن الاتحاد هو جمعية خيرية بنعمل كعك ومعمول وأكل، وتطريز لتشغيل النساء وغير ضروري المظاهرات والعمل الجماهيري، أمّا المجموعة الثانية، وكنت فيها، فكانت تؤمن إن الاتحاد عمل جماهيري وصوت للمرأة، لتعبئتها وتوعيتها وخدمة مصالحها وتعزيز وضعها الاجتماعي والاقتصادي. انتصر التيار المحافظ لفترة وترك الاتحاد بس بعدين لّمّا صارت حرب الجيش على مخيمات لبنان في 1973 اللي بقيوا في الاتحاد ما فتحو المقر، وما نزلوا على المخيمات، ولا وعملوا شي. طبعي بعدها تشكلت هيئة إدارية جديدة من كل التنظيمات الفلسطينية الرئيسية وصرت نائبة الرئيسة. كان معنا الجبهتين "الشعبية" و"الديمقراطية"، وبعدين صارت أغلب التنظيمات باتحاد المرأة. كنّا نحاول نشغل كإطار وحدوي، مش بس إطار فتحاوي. المجموعة المحافظة كانت تفكر إن الاتحاد لازم بس يكون لـ "فتح"، لكن عملنا إن الاتحاد يصل لكل النساء بقدر الإمكان، ويعزز وضعها. وفي نفس الوقت يعطيها المجال إنها تشارك في المقاومة.

مثلاً عملنا محو أمية كان كثير برنامج ناجح، لأنه كان بالتعاون مع تجربة لبناني يمارس أسلوب بولو فريري⁵ "تعليم المظلومين" يعني الناس تتعلم من خلال الواقع، مش ألف باء. بل نحكي لهم عن واقعهم، عن مشاكلهم، حتى يكون التعليم حيويّاً. أذكر إن النساء وقت اجتياح إسرائيل لبنان 1982 حضرت الصف، ما كانت النساء بدها تحسر الدرس، كأنه نوع من التمكين: المرأة صارت قادرة تقرأ، قادرة تمضي، قادرة تكتب رسالة. العمل الجماهيري كان له كثير قيمة.

اتحاد المرأة الفلسطينية كان تجربة حلوة، وكنت سعيدة إنه كنّا عمّ نشغل مع جماهير النساء، إنه دّولنا المرأة المهمشة إلى امرأة كادر واعية ومناضلة لم تناقش التجربة التنظيمية للاتحاد ولم تتطرق للتقييم إلا بشكل عابر.

زواج بطعم نسوي

أنا تزوجت بسنة 1972 زوجي هو حنا ميخائيل، واسمه الحركي "أبو عمر" من رام الله، كان أستاذ جامعة، وكان صار له فترة بأمريكا جاء انضم للثورة الفلسطينية. كان يناصر المرأة، ومؤيد لتحررها، وحقوقها. حتى مرات يمزح معي إذا هو عمل شي غلط يقول لي "أنا جنس واطي" يقول لازم الواحد يعمل بجهد لمعرفة حقيقة عواطفه ويعمل على تطوير وعيه وممارساته، لأن التربية بتأثر عليه. إنه العقل بفكر إن هذه حقوق المرأة، بس إنه تربي بشكل مختلف، يمكن يلاقيها صعبة أن يطبق قناعاته. إنه يؤكد نظريته بالممارسة، مش بس بالحكي، فترة هو صار مسؤول

5 يسعى منهج هذا الفيلسوف إلى محو أمية شعوب الدول التي عانت من الاستعمار، لتحسين حياة المقهورين عبر التعليم

مكتب المرأة، وحقيقة كان له دور إيجابي بالموضوع، بقضية المرأة، لأنه كثير كان يعمل توعية لما استلم التنظيم الطلابي كمان.

المرأة تتقدم ببطء

في 1974 صار المؤتمر الثاني للاتحاد بلبنان، مع الأسف تركت الفرع بأمر تنظيمي، وصرت عضو أمانة عامة، اللي هو قيادة الاتحاد، وصرت مسؤولة العلاقات الخارجية بالاتحاد. بقيت بالاتحاد للـ1987. الانسحاب من لبنان واتفاقية أوسلو أثرا كثير على الوجود الفلسطيني في لبنان. اتحاد المرأة مثّل بجدارة الوحدة الوطنية، تواجدت في القيادة ومعظم الفروع الأساسية كل التنظيمات بما فيه الصاعقة، الجبهة العربية، الشعبية، الديمقراطية، طبعا الكثرية كان لـ "فتح" لأن بدها النص زائد واحد دائما. بس كُنا نحاول قدر الإمكان إنه نلاقي القضايا المشتركة. باستمرار كانت الثورة تواجه تحديات، عمّ تواجه مشاكل. ما كان عندنا كثير وقت نحكي بالقضية النسوية لتصور موحّد. طبعا كان الاتحاد فيه النساء قريبات للفكر اليساري بـ "فتح"، مثل مي صايغ وأنا. كُنا نؤمن إن استغلال المرأة هو مش بس مضاعف بل ثلاثي هو استغلال وطني، واستغلال المرأة الجندي، والاستغلال الطبقي. لكن بالإجمال الكل كان عنده حماس لتعزيز مواقع المرأة بالثورة، ولأخذ حقوقها السياسية والاجتماعية، إجمالاً كان فيه هذا الانفتاح، اللي هو مش بالضرورة بنفس المستوى مع الشباب خاصة في البداية، حتى معظم الشباب المناضلين والكوادر كانوا نتاج التربية المتأصلة إن لهم امتيازات، إن المرأة لازم تكون هي ست البيت وترتي الأطفال وتقدم الخدمات. ما كان كثير سهل إنهم يتقبلوا إن المرأة والرجل يكونوا على نفس المستوى. مرات يخلوا بتحرير المرأة، بس بعدين لما يتزوج مناضلة يمكن يمنعها إنها تشتغل. هيك فترات عصيبة يمكن الغلط من الرجل، بس كمان المرأة ووعيها لدورها. كُنا نحاول تنظيم ندوات حتى مع الشباب أو المقاتلين، بالنسبة لحقوق المرأة لازم الرجل كمان يتبناها مش بس المرأة اللي تتبناها، لأن قضية تحرر المرأة قضية ثورية مجتمعية. هذه الخطوات كثير ساعدت، وكل ما برزت طاقات المرأة واستعدادها للمشاركة والتضحية، صار فيه نوع من التقدم في وعي الرجال لأهمية تحرر المرأة أن كان بالأرض المحتلة أو بالخارج. صار فيه نوع من التغيير، الوعي تطور مع الممارسة.

مثلا في "فتح" ما كان فيه أي نظرة أيديولوجية للمرأة، بالعكس، حتى في البداية كُنا كثير ننزعج ونقول: "شو أنتوا تتعاملوا معنا كأننا جبهة مساندة، مش أعضاء متساوين". حاولنا يكون فيه أخت في قيادة كل منطقة

وخاصة بالمخيم، بس كانت قضايا المرأة تُناقش بالآخر، لو نوقشت، أو بس هي مسؤولة المرأة. ما كان سهل، النتائج ما كانت عظيمة، بقينا خارج القيادة واتخاذ القرار. بس أهم شي إنه كيف مشاركة المرأة في الثورة حوّلتها من عنصر مهمش ومقموع إلى عنصر فاعل يقرر ما يريد له حياته. كان فيه نوع من التحوّل الاجتماعي رائع، كان بده احتضان أكثر من القيادة ورؤية اجتماعية، كان بده استمرار النضال. طبعا الانتكاسات اللي حصلت، وما قدرنا يكون عندنا حقيقة قاعدة صلبة أو دولة مستقلة، حتى نقدر نحول الانتصارات بالنسبة للمرأة إلى قوانين وهذا ضروري. لكن كانت تتغير بعض الممارسات، بين عدم قدرة المرأة أنها تتحرك خارج بيتها سابقا إلى أنها صارت تقرر مين بدها تتزوج، صارت تشتغل، وتساfer، وتعيّل العائلة. التحوّل كان رائع.

أهمية العمل المشترك

لما كانت قضيتنا واضحة، ومواقفنا واضحة حققنا انتصارات، طبعا كان فيه وضع عالمي مختلف، دول اشتراكية، ودول عدم الانحياز. كان ممكن إنه نحقق كثير أشياء، وبـ1975 رحنا على مؤتمر الأمم المتحدة بالمكسيك كوفد رسمي، لأن المؤتمر جاء بعد سنة من دخول منظمة التحرير الأمم المتحدة كعضو مراقب. رحنا كوفد رسمي لفلسطين، بس ما معنا حق التصويت. وساهمنا بكتابة المقدمة عن نضال الشعوب ضد الاستعمار، والعنصرية، وأضفنا "الصهيونية" في الإدانة مع الاستعمار والعنصرية.

بعد كم شهر، عند اجتماع الجمعية العامة أقر الأعضاء بالغالبية إدانة الصهيونية لحركة عنصرية. كثير طلو يعمل بحث عن هذه المرحلة. لأنه خسارة كثير من الوثائق راحت. حاول الوفد الإسرائيلي يخوننا، حتى واحد كان يهددني بسكين. لما ألفت عصام عبد الهادي الكلمة، (كتبها وقتها أبو عمر زوجي) القاعة كلها قامت، تضامن العالم معنا كان رائع. زوجة رابين، كانت رئيسة وفد إسرائيل، لما حكّت كلمتها قضيت القاعة، الدول الاشتراكية، الدول العربية، دول عدم الانحياز، الدول الإسلامية انسحبت ما بقى غير بعض المراقبين، والدول الأوروبية.

وصار الصحافيين يسألونا: "ليه طلعتوا؟"، قلنا "طلعتنا لأنهم محتلين أرضنا"، كان موقف حقيقة تاريخي.

اليوم كل ما جماعتنا يطلعوا قرار بالأمم المتحدة يفكروا إنه فتحوا مكة، الجمعية العامة كانت معنا وما زالت، طلعت قرارات رائعة، إذا يرجع الواحد بيحكي فيها ويتمسك فيها، لكن مشكلتنا مع مجلس الأمن والفيثو الأمريكي، بس الجمعية العامة معانا، لا أعرف كيف كل العالم صار

6 عصام عبد الهادي رئيسة اتحاد المرأة الفلسطينية

يعترف بإسرائيل، إذا موثقنا جيداً ننتزع القرارات بتأييد القضية الفلسطينية. آخر استعمار بالعالم، بل هو استعمار استيطاني احتل أرض شعب متمسك بوجوده من آلاف السنين، هو الشعب الأصلي الذي هو مؤلف كل الناس التي مروا على المنطقة.

مثلاً لما السلطة الوطنية الفلسطينية طرحت ما يسمى بـ"النقاط العشر" في 1974، وطرحها كان يخوف لأكثر من سبب، إنه كثير صار فيه شك إن هذه القيادة بدها أي فرصة حتى تعمل تسوية، وما حدا ضد التسوية، لكن لازم نكون على أرضية صلبة، يعني هلا أبو مازن إيش راح يعطوه، بذك تعمل تسوية، بده يكون فيه موازين قوى لحتى تقدر تحصل وما تتنازل على كل شيء. عملنا التسوية التي هي طلعت كارثة، وقت النكبة كنا مضروبين على راسنا، العالم العربي كان بعده مش متحرر، وما كنا نعرف حجم المؤامرة الاستعمارية الصهيونية. كان فيه تيارات كثير رفضت "النقاط العشر". بس إحنا كاتحاد المرأة بالمؤتمر الثاني رفضنا تأييد طرح السلطة الوطنية لهذه النقاط. ويجي أبو عمار، وقيادات أخرى حتى يحاولوا يقنعونا بهذه النقاط، وتأخر المؤتمر شيء يوم. لكن ما قبلنا، قلنا نقبل بإقامة سلطة وطنية على أي أرض يتم تحريرها، على ألا تتعارض مع الميثاق الوطني، التي يطالب بتحرير كل فلسطين.

كان يبشرف الاتحاد إنه ما قبل بالنقاط العشر إلا ما ربطناها ببند ألا تتناقض مع بنود الميثاق الوطني. كان مؤتمر رائع. جاءت وفود من كل العالم، والوفد الفيتنامي هيك تطلع فينا وقال "شاطرين".

مع الأسف أبو عمار جمّد الاتحاد لفترة لاننا أثبتنا استقلاليتنا وأهمية التعبير عن آرائنا كنساء مناضلات. وحاول كمان يشبك بيناتنا، إنه كانت الرئيسة، عصام عبد الهادي، تسكن في عمان، والأمنية العامة مي صايغ، اقترح الأخ أبو عمار إنني أكون نائبة الرئيسة بدل مي، إنه يشبكنا في بعض، وأنا ما قبلت لأننا من نفس الخط السياسي. ما قدر يفرق بيناتنا مع إن كل واحدة لها طريقة في نضالها. لكن مع تصاعد الحرب الأهلية والاعتداءات الإسرائيلية أصبحنا نؤكد توحيد النضال لأنه ما فيه سلطة ودولة جاي وكل هذا وهم. الآن رأس الثورة مطلوب، وهذا هو الذي صار. خيلنا ما نفتح معارك بين بعضنا، بل خيلنا جميعاً نواجه محاولات التصفية. هذا طبقناه باتحاد المرأة.

أهمية المواقف الفردية داخل الجماعة

لما زححت على الشام بقرب جماهيرنا ورفضت أن أكون بتونس، صارت فيه حركة التي هي انتفاضة فتح ضد إن القيادة تركت النضال. ما كنت معهم بالأول، بس قلت

ممكّن هذه تكون بداية لوحدة اليسار وتصير وحدة في مؤتمر عام. من أول سنة بين إنه ما فيه شيء جدي، فتركتهم، بس بقيت اشتغل في قضايا المرأة مع اتحاد المرأة والاتحاد النسائي العربي العام. يبدو أنا طول عمري معارضة، بس إنه لما يحس شيء يفقد فعاليته ولا مردود له خلاص يتركه، لأن العمل السياسي مش عشيرة.

في منتصف الثمانينات، وصلت لقناعة إن الوضع السياسي كثير سيئ، ما أظن إن وضع المرأة راح يكون أحسن، خصوصاً اتحاد المرأة لأنه صار اتحاد رسمي. زمان كان فيه حرية نحكي التي بدنا إياه، نعارض، قدرنا نعارض أهم مشروع وهو السلطة الوطنية، بس بعدها لما صار الفرز داخل الثورة والحركة الوطنية، صار الواحد لازم يصوت زي ما بدها القيادة. صار فيه شرح بين جماعة تونس وإحنا، وكنت بسوريا وقتها، بس بقى الاتحاد السوفيتي لأنه كانوا ضد كامب ديفيد، بقوا يعطوني أنا كمسؤولة العلاقات الخارجية منح، قسموا المنح بينا وبين جماعة تونس، كثير كانت لجنة نساء السوفييات يساعدوا المرأة الفلسطينية، كثير تخرج من عندنا مئات من الفتيات من خلال الاتحاد السوفيتي، التي ساعد الشعب الفلسطيني كثيرًا. حتى دعونا لمؤتمر المرأة العالمي في موسكو بـ1987، أنا حضرته باسم الاتحاد. وكنت أحضر بالاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي، التي هو كان أهم اتحاد بالعالم ومقره برلين، كنا أعضاء مكتب دائم، وأيضا نائب رئيس الاتحاد كان لفلسطين أمّا الرئيسة عصام عبد الهادي أو مي صايغ، بس ما كانوا يروحوا أنا كنت أمثل اتحاد المرأة لعدة سنوات. لكن شفت إنه ما فيه أفق بالنسبة إنه الواحد يشتغل مع المرأة بهذا الانهيار السياسي، كل التي فكرت فيه إنني أدوّن التجربة. وما بقيت أناضل مع المرأة كعنصر فاعل، فضّلت العمل مع الأطفال. حزنّت شوية لما لاقيت وضع المرأة مشتت في فلسطين.

مثلاً كثير زعلت لما التنظيمات بتعرف إن "أوسلو" ما بتجيب دولة مستقلة، لازم يوعوا الشعب ويقولوا له الحقيقة لما شعبنا طلع يرقص ويفدّم زهور للمحتل وهو بيتسحب، لا ألوم الشعب، الشعب كان عنده وهم إنه راح يصير فيه دولة مستقلة، بس اللوم على التي ضحكوا عليه، أو التي عززوا الوهم إنهم ما قالوا إن هذه الاتفاقية ما راح توصلنا لدولة، ما يصير فيه انتكاسات لما يكون فيه وعي. أنا بقول منيح إن الواحد يكون عنده الجراءة إنه لما يحس شيء مش عمّ يفيد يتركه. أنا باعتبار حالي خارج العمل السياسي المباشر من 1987، بس بأي طريقة يخدم القضية. برأيي أن القضية الفلسطينية ماشية هذه الأيام أن كل واحد بقدر يصمد ويعمل وبحكي بمبادرات فردية، حملة المقاطعة أفراد، مؤسسات، ثقافة، أفلام، BDS، هيك القضية بتمشي وبتراكم.

فشلنا مع الكبار نشتغل مع الصغار

اسمه "المجلس العالمي لكتب اليافعين" IBBY، كان فيه تأثير صهيوني يعطل عضوية فلسطين، لكن عملنا معركة ودخلنا. وبعد فترة صرت عضو لجنة تنفيذية، المهم إنني كثير حزينة إنه لا شعور بالتضامن والتكافل بين القطاعات الواحدة عملنا أساساً مع مكتبات الأطفال في غزة وعندنا صفحة إلكترونية وفيسبوك.

الحركة النسوية ما قدرت تطلع من واقع التجزئة اللي فرضه التمويل والوضع السياسي، ولهذا بتطلع وأحزن لأن هذه الحركة لا تحكي عن واقعنا أو تضغط من خلال قاعدة جماهيرية واسعة. حتى لو وقع عليها الرئيس والوضع لم يتغير؛ النساء تقتل بدم بارد باسم ما يُسَمَّى بـ"جريمة شرف"، مثلاً كان فيه بيت آمن shelter في بيت لحم بعده، لكن وين قانون حماية الأسرة؟

كيف منطلع من المازق؟ برأيي لازم نعرف تاريخنا منيح، لذلك أنا بقول هيك لنعرف وين أنجزنا، وين أخطأنا، لأن بقيت هيك الخطابية بدون فعل، وهيك خربت الوحدة الوطنية. أي حراك أو منبر لازم يكون له جانب توعوي وفهم للتاريخ، بس كمان يرتبط بجوانب أخرى عملية لها علاقة باللي يصير على الأرض، بدنا شي يجمع النظرية مع الممارسة، كمتقفة، بذك تربطي الوعي والثقافة بأشياء عملية حتى يكون قريب من الجماهير، ما يكون شي فوقني نظري.

أول ما جيت على فلسطين بـ2000، كان بدهم مديرة المؤسسة تامر، بعرف المديرة اللي قبل وقالت لي: "ليه ما تقدمي؟" فكرت نحن فشلنا مع الكبار خلينا نشتغل مع الصغار. عملت تغيير وتعلمت كثير بس صار الواحد مش كثير مركز.

سمعت عن انزعاج بعض اليساريين والشيوعيين إنه كيف صارت منظمات نسائية تاخذ من USAID، وصار البعض يعطي الأولوية للعنف ضد المرأة دون ربطه بالضرورة بعنف واضطهاد الاحتلال، إنه صار أكيد فيه تضاللات كانت كثير مهمة، بس بنفس الوقت صارت كل مؤسسة تركز على نفسها ومصالحها وكثير ضعف العمل الجبهوي والجماعي وخف التركيز على القضية الوطنية، شو الشعارات الأساسية، أوصلو خربت، بقالها 20 سنة ما أظن حققوا شي أساسي له علاقة بحقوق المرأة خاصة بقصة ما يُسمى بـ "جرائم الشرف"، أو الحضانة وتعدد الزوجات والإرث. يمكن اللي حققوه قصة الأولاد بياخدوا الجنسية/الجواز الفلسطيني وهاد حلو كثير، بس هلا ما حدا يقدر يعطي الجنسية إلا بموافقة إسرائيل، وقصة الكوتا النسائية وهذا جيد بالنسبة للبلديات، ولكن لا أؤمن بانتخابات المجلس التشريعي تحت مظلة أوصلو، ما يعرف إذا فيه أشياء ثانية. أنا برأيي الشردمة والاتكال على التمويل الأجنبي، والتنافس عليه ما أعطى الحرية للمؤسسات لتحديد أولوياتها، كذلك كان الشغل الميداني ضعيف. ومرت صار فيه تضارب بالمشاريع والتنافس على المنح الأجنبية، وكثيراً ما أصبح التركيز على ورشات العمل والحكي بعيداً عن المؤسسة العملية.

بـ"مؤسسة تامر" كثير شجعنا كتب بتعالج قضية الجندر، طبعا الكتب اللي لها علاقة بقصة المساواة. مثلاً أذكر قصة كثير حلوة اسمها paper bag princess the الأمير اللي يخطفه التين، وتساعد الأميرة بالتغلب على التين تتغلب بأنه ينام من كثرة الدخان من حريقه افتعلتها، بس شكل الأمير صار هيك مشحبر ووسخ، ولما شافها الأمير بدل ما يشكرها إنها ساعدته وخلصته من الموت، قال لها: "شكلك ليش هيك بشع؟" تفاجأت وقالت له "أنت تافه وتركته". وكنا نحاول من خلال المكتبات أنها تكون مختلطة؛ يعني وجود ولد وبنيت بالمكتبة يكون مش مشكلة، وإنه يكون فيه توعية لما بنعطي ورشات الكتابة الإبداعية وعن حقوق الطفل.

هلا بقوم بعمل تطوعي بشي ثاني له علاقة بكتب الأطفال، وهذه قصة كثير مهمة لأن ناضلنا إنه يكون لنا فرع فلسطين بمؤسسة عالمية فيها 80 فرع وطني

دلال سلامة: مجتمع صحي لا يمكن أن يكون من دون مشاركة المرأة

دلال سلامة، مواليد مخيم بلاطة في 1965، هي عضوة اللجنة المركزية لحركة فتح.

وتعتبر دلال أنَّ المرأة الفلسطينية تحملت مسؤولية كبيرة منذ النكبة، فهي التي حملت مسؤوليات ومهام كبرى مع التهجير القسري، وخلال شتات المخيمات، وواجهت صعوبات المعيشة في ظل الاحتلال. ورغم ذلك لم ترق مشاركتها ووجودها في الحياة السياسية إلى المستوى الذي تستحقه، أو يعبر عن دورها في المجتمع. لكن دلال ترى في هذه الشهادة المعتمدة على مقابلة جرت في 30 تشرين الثاني/نوفمبر 2020 أنَّ تحسين وضع المرأة في البنية السياسية والتشريعية قد بدأ.

وعى شكله المخيم الفلسطيني

دلال سلامة، مواليد 1965 مخيم بلاطة أحد مخيمات اللاجئين في نطاق محافظة نابلس. الأصل بلدة الطيرة قضاء اللد، من أسرة مكونة من عشرة إخوة، وثلاث أخوات.

العائلة، مثل باقي العائلات الفلسطينية، تنقلت بين مخيمات بأراضي الـ1967، بعدما تعرّضت قريتي لعملية التهجير القسري في 1948 من قبل عصابات الحركة الصهيونية. كان اللجوء إلى مخيم عقبة جبل في أريحا، ثم الانتقال إلى مخيم بلاطة في نابلس. هناك وُلدت وتلقيت التعليم الابتدائي والإعدادي في مدارس وكالة الغوث التابعة للأمم المتحدة في "بلاطة"، مدرسة بنات بلاطة الابتدائية، وبعدها الإعدادية، وأكملت الدراسة الثانوية في مدرسة "العائشية" في مدينة نابلس. كان التعليم الجامعي في جامعة النجاح الوطنية، في كلية العلوم، تخصص بيولوجي، ذلك خلال العام الدراسي 1984-1985 ثم المرحلة الدراسية الثانية في جامعة بيرزيت في 1990

1 مخيم بلاطة أسس في 1950، وأصبح، حسب موسوعة المخيمات الفلسطينية، أكبر مخيمات الضفة الغربية من حيث بلغ عدد السكان نحو 23 ألف لاجئ.

لاستكمال الماجستير الذي كان دراسات دولية، وهو يعيد كثير عن التخصص الأول، هذا بشكل رئيسي.

بالتأكيد كل مرحلة في حياة الشعب الفلسطيني فيها قدر من التميز المختلف عن العديد من أبناء وبنات شعوبنا العربية في الدولة المجاورة. الشعب الفلسطيني منذ مئة عام، أو أكثر، وهو يتعرض لمحاولة سرقة أرضه، ومحاولة إلغاء وجوده، وذلك منذ وعد بلفور (1917). هذا الوعد، جعل أرضنا ملكاً للحركة الصهيونية ووطناً لليهود، وذلك على حساب الشعب الفلسطيني وصولاً إلى قرار الأمم المتحدة رقم 181 في تشرين الثاني/نوفمبر 1947 بتقسيم فلسطين إلى دولتين، الذي سبقته الثورات المتعددة في 1929 وفي 1936، وكانت النكبة ومن ثم النكسة، وما تلى ذلك من حروب وجرائم استهدفت الشعب الفلسطيني في قراه ومدنه، وأيضاً ملاحقته في مخيماته، بالتحديد في مخيمات الوطن، وخارجه في لبنان وسوريا والأردن. كذلك الانتفاضة الأولى، والانتفاضة الثانية. كل المحطات، وتاريخ الشعب الفلسطيني على مدار أكثر من عقد من الزمان، هو الإطار الذي يمر به كل مواطن ومواطنة فلسطينية. بالتالي حينما نتحدث عن تجربتي، فأنا متأثرة بهذه الأحداث بمجملها، تأثرت بوجودي في إطار مخيم لاجئين فلسطينيين في حالة اللجوء الفلسطيني، وتأثرت بالاقتلاع من البلد الأصلي، كان الوالد وكانت الأسرة دائماً يأخذوننا عبر سنوات مختلفة لنزور بلدنا الأصلي، الطيرة في قضاء اللد، ونتعرّف على بيت العائلة الذي كان ما زال موجوداً في ذلك الوقت، لتتعرف على أين كان الوالد والوالدة يسكنان، والجد والجدة، ونتعرّف على أرضهم، والمزرعة التي كانوا يشتغلون فيها. نتعرف على عاداتهم التي كانوا يقيمون فيها، "هنا كانت المدرسة... هنا كانت حديقتنا... هنا الأرض التي كنا نشغل فيها... هنا كانت تربي المواشي".

كل هذا يؤثر بالتأكيد في تربيتك ونشأتك، أنت مُقتلعة من أرضك، وأنا جزء من الحال الواسع من كل الشعب الفلسطيني. أنت في إطار مخيم اللجوء الفلسطيني، بالتالي هناك 59 مخيم لاجئين بين الضفة وغزة والشتات. بالتالي هذه محطة مهمة في تشكيل الوعي الذي يؤثر في شخصية الإنسان.

سبقني أخوتي في الانتظام في إطار العمل الوطني، وفي حركة "فتح" كان لي أخ. مثلاً أخي رقم 2 اعتُقل مبكراً في 1968، كان يا دوب 19 سنة، وحُكم عليه خمس سنوات. بعد ذلك تنال الأخوة التي أكبر مني في الانتظام بالحركة الوطنية والعمل السري، واعتُقلوا سنوات متتالية.

أثر في تكويني حديث الأسرة عن التهجير، سمعته من الوالد والوالدة، الجد والجدة، العمّة والعم، حكوا عن

المعاناة التي تعرضوا لها، لحين استقروا في نابلس في مخيم بلاطة. هناك جزء آخر من العائلة اضطر أن يغادر إلى خارج الوطن، في الأردن والكويت. بالتالي هذا التشتيت يؤثر في تكوينك، ومن السبب في ذلك، بالتأكيد الاحتلال. هذا دائمًا يؤثر بشكل أو آخر على فهمك للحالة، أضف إلى ذلك سعي الوالد لرعاية أسرته الصغيرة والكبيرة بكل ما يملك من إمكانيات وعمل، وفي نفس الوقت هو يعطي وقتًا في المسائل لمتابعة الأحداث الجارية سواء في البلد أو خارجه.

تقدر نحكي إن جيل والدي كان كثير عينه على مصر، وجمال عبد الناصر، ودوره في الوحدة بين مصر وسوريا، كل هذه الاهتمامات. اهتم الوالد وجيله بهذا الأمر، وعندما قصص مؤثرة عن كيف تغلب جيش الاحتلال والحركة الصهيونية على الجيوش العربية، إلى جانب وقوفهم على بعض المعطيات في عملية احتلال أراضيها من قبل الحركة الصهيونية وعصايتها، كان مهم جدًا هذا التاريخ في نقل الشخصية، وفي تحديد اتجاهاتها، وفي توثيق التاريخ في أنفسنا، وفي نقله لنا لنعرف الحقيقة، وما جرى في 1948، وكذلك بين 48 و69، وأيضًا في 67. تركيز الجيل الأكبر مًا كان على أنه كان لا بد من تكوين وحدة عربية، وقوة عربية حقيقية، حتى تتصدى لهذا المشروع الصهيوني. بالتالي كانوا يرون أنه لم يكن هذا الثقل العربي العالي في مواجهة الحركة الصهيونية، والمشروع الدولي بإقامة دولة إسرائيل، على حساب حقوق الشعب الفلسطيني أبدًا. هذا كله بالتأكيد يسوق فكر، وعيك، توجهاتك، يعمق انتماءك لأرضك، ويحدد بوضوح اتجاهك وفعلك. هنا أستطيع أقول هذه التثنية، مواكبة الأحداث، أثر على توجهاتي في أن أكون شريكة في الحالة الوطنية، شريكة في الدفاع عن الأرض. وإنه أينما كنا، وفي كل لحظة، وفي كل مكان، ومهما طال الزمان يجب أن يكون هناك عدم قبول لحقيقة الاحتلال، ويجب أن نقاوم هذا المحتل.

الفكرة كانت إنه كيف يمكن عقب قبول هذا الواقع ومقاومة هذا المحتل، كيف تتم مقاومته. بالتأكيد في أشكال عدة، ولا شك الحركة الوطنية الفلسطينية منذ أن انطلقت الثورة الفلسطينية في 1965 استطاعت أن تظهر طاقات الشباب وطاقات أبناء شعبنا جميعًا في بوتقة واحدة، واستطاعت أن تلهم شتات الشعب الفلسطيني الذي انتشر إذا كان هنا على أرض الوطن أو في الخارج. أن تكون الحركة، وتتشكل الثورة الفلسطينية، ومن ثم كيف انصهرت حركة "فتح" وباقي قوى العمل الوطني، والجهات المختلفة في بوتقة منظمة التحرير التي أسست قبل ذلك في 1964. كيف إنه استطاعت القوة الوطنية أن تقود منظمة التحرير، وتجعل من هذه المنظمة هي البيت والعنوان الوطني،

العنوان السياسي للشعب الفلسطيني. كانت منظمة التحرير الفلسطينية عنوانًا لنا، هناك من يتحدث عن، وبرز العنوان بشكل أكبر عندما تولت حركة "فتح" برئاسة الأخ أبو عمار اللجنة التنفيذية للمنظمة في 1969. كانت الثورة الفلسطينية بهذه القيادة مؤثرة جدًا في نفوسنا، خاصة أبو عمار بكوميته وبدلته العسكرية، وبصوته الذي يسبح في كل مكان.

وهذا الحال ينطبق على مجمل أبناء وبنات شعبنا الفلسطيني في هذه الثورة العملاقة، إلا أنّ الشعب الفلسطيني استطاع أن يستمر رغم تشريده وتشتيته، أن يكرس حقيقة إنه من الشتات يعود للعلم جراحنا، وإننا نكون وحدة واحدة، واستطعنا أن نشكل الكيان السياسي، ألا وهو منظمة التحرير الفلسطينية. بالتالي نحن مستمرون في مسيرتنا.

تجدي إن كل فرد بالشعب الفلسطيني عنده فهم عام إن هذا وطنًا، وهذه أرضنا، وأن تتوارث هذه الحقيقة عبر الأجيال كانت مهمة جدًا. بالتالي كنتي تجدي هذه الحالة من الانتماء والنظر إلى الاحتلال إنه المحتل، وهو إلى زوال وهو موجود رغم عنّا، وعلى حسابنا، وبالتالي يجب التصدي له. هذه قضية مختلفة كيف إنها بتطور معاك تدريجيًا، إنه في جسم غريب، هناك من لا يملك الحق موجود بفعل القوة والسلاح على حسابك. أنت في أرضك ووطنك، بالتالي هذه الحالة من الانتماء في مقاومة هذا المحتل، هي تتولد تدريجيًا مقطرة بالفكر الأوسع للأسرة، ولكل أبناء المجتمع الفلسطيني، إن نحن أصحاب الحق وجاء من يسلب هذا الحق. بالتالي أن تبدئي عملية التصدي لهذا الجسم الغريب، ولهذا المحتل هي بدايات بسيطة تبدأ في تظاهرات بسيطة، في الخروج في العديد من التظاهرات. لا شك أنّ التظاهرات تكاد تكون بناءً على عمل منظم، إنه في حدا كان يدركها، في توجه كان يدركها، ولكن أنت كجيل أصغر تخرجي لأنك مقتنعة إن فيه شيء غلط، وفيه عدو.

كنا في مدرسة إعدادية في مخيم بلاطة، كان الأكبر منا في السن يدركوا مظاهرات، والأكبر منا أكيد كانوا بدأوا يكونوا منتظمين، هذا في أوساط السبعينات. كانوا منتظمين سواء في حركة فتح أو أي فصيل سياسي. في مخيم بلاطة كان الأغلب في "فتح"، وحركوا هذا الشيء، في كل المناسبات الوطنية، في ذكرى وعد بلفور مثلاً لازم تطلع التظاهرات لتأكد على رفضنا للمشروع الصهيوني، وعلى رفض هذا الوعد الزائف. بالتالي كانت ذكرى وعد بلفور مناسبة تطلع التظاهرات الكبيرة فيها. وذكرى

انطلاقة الثورة الفلسطينية في أول يناير/كانون الثاني دافماً يتم إحيائها. دافماً حالة الاشتباك كانت قائمة في الجزء الأخير من السبعينات بالنسبة لنا على أرض الوطن هنا، منذ الاحتلال لغاية اتفاق أوسلو. الاحتلال موجود في كل شارع، وكل حي. كان الاحتلال يدير بعض البلديات كمان، يشرف على التعليم والكثير من القضايا، كثير من الدوريات موجودة، والجيش موجود على كل مجموعة منازل، على كل شارع. في الشارع المجاور يجوز تلاقي نقطة جيش أو غيره. إذا أتت مراقبة دافماً، فيه جسم غريب، فيه حدا يستخدم قوته ضدك، ضد حركتك؛ في طلعك، في نزلك.

الجيل الشاب دائماً شايف إنه فيه شيء، غلط عمّ ببصير. بالتالي كانت هذه التظاهرات، وهذا الفعل جماهيري، ولكن بنظام الخلايا والمجموعات، وليس بنظام إنه مفتوح جداً، لكن كان فيه نخبة منخرطة في إطار العمل التنظيمي، وهذه النخبة تحرك التظاهرات وغيرها. إحنا كجيل، لماً كنا في الإعدادية، كنا جاهزين لهذه العملية، للخروج في التظاهرات والمشاركة، رمي حجار مثلاً، كان استهداف للاحتلال. كنا عمّ نرمي الحجر، وكان فيه دورية جيش أو جندي إسرائيلي. في تلك الفترة، كان المنظم الجيل الأكبر سنّاً، والذي يحرّك عملية التظاهرات والتصعيد، وكان هناك الجيل الأصغر اللي هو مقطر بالفهم الوطني والانتماء للقضية، وعدم قبول المحتل. بالتالي لماً ينده على مسيرة أو تظاهرة صباحاً، تطلع المدارس وتشارك في المسيرات. كانت هذه البدايات، وأيضاً كانت مستمرة الحالة في الثانوية العامة. في أول الثمانينات بدأ تقطير أكثر للجان الشبيبة، تشكلت تلك اللجان داخل الثانوية العامة، وبدأ الارتباط بحركة فتح.

الوطنية تُصنع في الجامعات والسجون كذلك

أي متّا، رجل أو امرأة، في نطاق مسيرته النضالية هو عملياً نتاج فهمه للواقع وانتمائه، الإطار الذي أثر في انتمائه. هو أيضاً نتاج تطور في الحركة الوطنية، وتطويرها تدريجياً. بالتالي إنه لماً دخلنا الجامعة في وسط الثمانينات، كانت الجامعات الفلسطينية في ذلك الوقت مهمة للحركة الوطنية الفلسطينية، ولحركة فتح.

كنا نقول إن الجامعات الفلسطينية هي مناطق محررة، نمارس فيها أنشطتنا وفعالياتنا، ونعقد المؤتمرات والاجتماعات، ونرفع العلم الفلسطيني، رغم إن رفع العلم على سطح الجامعة كان يعرضها لمحاورة الاحتلال. حصل إنه جامعة النجاح، جامعتنا الفلسطينية، تعرّضت لإغلاق أكثر من مرة، ومحاورة بطرق متعددة.

كانت الجامعات الفلسطينية هي مصنع للحركة الوطنية، وقدمت كثير من الشباب والصبايا اللي انصهروا في

الفعل النضالي المنتظم في صفوف حركة فتح، أو أي كان من فصائل العمل الوطني الأخرى. إذا كنتي تطلعي على الجامعة في 1984-1985، تلاقي الطالب أو الطالبة يا/تخرج بين المحاضرات للانضمام لأحد حلقات النقاش في الكافتيريا أو في الساحة أو على الأرض. يا إما يفتشوا الأرض على العشب، يا إما يقعدوا على الطاولات في الكافتيريا يشربوا كاسة شاي مع بعض، ولكن هي عبارة عن حلقة نقاش. كانت الجامعات حلقات نقاش ما بين المحاضرة والمحاضرة. ينتظر كل متّا لكي يستطيع أن ينضم لهذه الحلقات ويناقش، وتداول الناس مع بعضهم، وماذا يجري على صعيد الحركة الوطنية الفلسطينية، ماذا يجري في لبنان، ماذا يجري في سوريا، ماذا يجري مع حركة فتح هنا؟ وصلنا آخر بيان؟ وما التوجهات السياسية لحركة فتح، والمنظمة؟ ما هي آخر المعطيات على المستوى العربي؟ وعلى المستوى الدولي؟ كانت هذه النقاشات حاضرة ما بين المحاضرة والمحاضرة، وفي فترة ما بعد الساعة ثلاثة أو أربعة، وإلى الليل. كانت هذه حلقات نقاش مهمة جداً. يجب أن نقول إن الجامعات الفلسطينية هي المصنع اللي ولّد الكثير من القيادات الهامة في الوطن، وهناك تعمق ثقل الشخصية القيادية لأبنائنا وبناتنا في هذه الجامعات.

ومن زاوية ثانية، كان أبنائنا في سجون الاحتلال، الكل كان يعرف إن السجن أراد أن ينال من أبنائنا وبناتنا من قهرهم، وسلب حريتهم، ومعاقبتهم على دورهم النضالي والوطني. إلا إنه استطاع أبنائنا الأسرى أن يجعلوا من السجن جامعات تخرج أجيالاً. جرى هناك تعميق الفهم، وثقل الشخصية أيضاً أخذ دوره، وكان كل من هو أقدم من الأسرى يتولى مسؤولية الشباب الأصغر منه. فعلاً السجون حافظت على أبنائنا وبناتنا، وابعدهم عن أن يتم أي انتقاص من عزتهم وكرامتهم، أو من فكرهم، أو أن تكسر شوكتهم. أراد السجن أن يكسر شوكة المناضلين والمناضلة، ولكن من تجارب أخوتي وأخواتي إن الاحتلال لم يستطع أن يكسرهم. حتى اليوم، هناك الآلاف من أبنائنا وبناتنا في سجون المحتل. وهناك المئات منهم يقضون عقوبة بالمؤبد، خمس وست وسبع مؤبدات، وغيره، إلا إن إصرارهم وإيمانهم بأن ثورتهم منتصرة، وأنهم من أجل الحريات اعتقلوا، هذا يؤدي بهم أن يستمروا بحياتهم. كثير من أبنائنا المعتقلين منهم اللي وده يخطب، اللي يرتبط بصبية اتعرف عليها، أو بقرينة تعرف عليها، رغم إنه معتقل خمس أو ست مؤبدات إلا إنه يعمل، لأنه مؤمن إن الفرج قريب، وإن هذا الاحتلال إلى زوال، وهذا ما حدث في كثير من عمليات التبادل اللي تمت في 1985، وما قبل ذلك. كان فيه أسرى حكموا بمؤبدات جاءهم الفرج في لحظة ما،

وأبناء شعبنا مؤمنين بفرج، وإن حركتهم الوطنية وثورتهم لن تتخلى عنهم، والآن في إطار سلطتنا وقيادتنا لم نتخل عن قضية الأسرى. إذا كانت المحطة هذه مهمة جداً، كجامعات وسجون.

كثير من أبنائنا اللي كانوا يطلعوا من السجن معهم [شهادة] توجيهي السجن، أو اخدوها قبل ما ينحبسوا، ولما يطلعوا من السجن ينتظموا في الجامعات الفلسطينية. كان فيه هناك قرارات للقيادة الفلسطينية في تواصلها مع جامعتنا بأن الجامعة إذا كانت تأخذ معدل 80 للطالب العادي، أنا مثلاً طالبة عادية كلية العلوم تأخذ معدل 80، بس إنه الجامعة كانت تنزل المعدل لـ 70 أو 65 وتأخذ الأسير المحرر عشان تشجعه على دخول الجامعة، هذه كانت قرارات من مؤسستنا الوطنية، ولكن هذه القرارات كانت نابعة من قيادة ثورتنا في الخارج. كان فيه الأخ أبو جهاد، خليل الوزير، من يتابع هذه العلاقة لأبنائنا في إطار القطاع الغربي، أو في إطار جامعتنا. كانوا أبنائنا الأسرى لما يدخلوا الجامعات وينخرطوا مع صبايا وشباب من الذين لم يسبق لهم أن اعتقلوا، كانوا يكونوا مدرسة نضالية للطلاب زملانهم.

بدايات الترشح

في 1986 ترشحت لمجلس الطلبة عن قائمة حركة الشبيبة، أنا والأخت كفاح حرب.

كنا أول أخوات نفوز في عضوية مجلس الطلبة، هذا لا يعني أن الفصائل الأخرى مثل "الجبهة الشعبية" لم ترشح قبل ذلك أخوات، بل رشحت، ولكن لم تصل الأخوات إلى المجلس. لذا كانت أول مرة في "النجاح" تنجح أخوات في انتخابات "الطلبة".

أما عن تنظيم المرأة سياسياً خارج الجامعة، ففي 1982 بدأ تشكيل إطار نسوي لحركة فتح، وهو لجان المرأة للعمل الاجتماعي، وكانت أختنا في الشمال، حسنية داود، هي من مؤسست هذا الإطار. وكانت معها ربيعة دياب، وعائشة بكير، وفاطمة الكرد، ونهى عبد الله، ومريم الأطرش، وخولة الأزرق. كانوا كلهن من بدايات تأسيس إطار لجان المرأة للعمل الاجتماعي. وكان التفكير في إطار المتابعة مع حركة فتح في الخارج. كان فكر الأخ أبو جهاد، خليل الوزير، بأنه كيف نبدأ نشكل أطر جماهيرية للتنظيم. فيه تنظيم، وفيه نية هيكليّة للتنظيم، وفيه خلايا عمل، ولكن إنه هذه الخلايا تعمل بشكل سري، ولكن فيه داعي لتشكيل حالة امتداد بين جماهيرنا. جماهيرنا هي حاضنة للثوار والمناضلين، وأبناء الحركة، لكن كيف نعمل أطر تتفاعل مع جماهيرنا. كان [التفكير] في العمال، والطلاب أنفسهم، والمرأة، كان فيه تفكير كيف لجان الشبيبة كمان مش بس في الجماعات

بذاتها تعمل لجان شبيبة بآلة للعمل التطوعي وغيره. فعلاً كانت في بداية 1982 تشكيل لجان المرأة، وفي 1984 انتظمنا بقوة في هذا التشكيل، كنا متابعيه قبل، ولكن انتظامنا كان أكثر في 1984-1985 مع لجان المرأة، وتفعيل حضورها في كل مدينة وقريّة ومخيم. وهذا من أجل كيف إحنا نعزز ارتباط الحالة النسوية مع الحالة الوطنية. زج مزيد من النساء في إطار "فتح" بشكل أو بآخر، فكان هذا الإطار النسوية بهذا السياق.

1986 ليست سنة بسيطة، فيها الكثير من الإراصات التي لها علاقة بالثورة والقضية الفلسطينية، ما قبل الانتفاضة الأولى.

كنا في مرحلة كأنها إراصات التحضير للانتفاضة الأولى بشكل أو آخر. تعرض كل مجلس الطلبة للاعتقال في ذلك الوقت، وضعت أنا وكفاح حرب، في نطاق الإقامة الجبرية. تعرضوا الإخوة للاعتقال، وكان فيه فترة بين اعتقالهم ووضعنا في الإقامة الجبرية، كنا إحنا ندير مجلس الطلبة في ذلك الوقت لفترة لوحدنا لأخوات. ومن ثم وضعنا نحن أيضاً في إطار الإقامة الجبرية، يعني لا تبقى في بيتك، فقط تروح في توقيعي عند شرطة الاحتلال يومياً. إنك موجودة بالبلد، ولكن ممنوع حتى تدخل الجامعة. "النجاح" في نطاق مدينتنا، في نطاق نابلس، إلا إنه ممنوع تغادريها، وممنوع تدخل الجامعة بشكل رئيسي. وكانت "النجاح"، مثل "بيرزيت" والعديد من الجامعات اللي طوروا تعليم، مؤازرة المناضلين، ومن يتعرضون لهيك حالة الأساتذة ييجوا يعطونا المحاضرات في البيوت، وفي كثير من الأحيان ينقل صف المحاضرة كله للزيارة عندك في البيت، وتُعقد المحاضرة في البيت.

الانتفاضة

إلى أن كانت الانتفاضة بـ 1987 في مخيم بلاطة وكان في جباليا حادث سير أودى بحياة عدد من غمالتنا وأبنائنا في قطاع غزة، كان في السابع من كانون الأول/ديسمبر. وفي يوم الجمعة اللي بعده، كانت مسيرة ضخمة في "بلاطة"، استنكازاً لهذه الجريمة من قبل الاحتلال بهذا الحادث ضد أبنائنا في جباليا. مسيرة ضخمة في المخيم، تعرضت لقمع شديد من قبل الاحتلال، وسقط جرحى وشهداء، منهم الشهيذة سحر الجرمي، كانت من الصبايا الناشطات والفاعلات في لجان المرأة بشكل عام مع حركة الشبيبة. في نفس اليوم بعد الظهر، كانت مسيرة في نابلس، وتأتي يوم كان فيه برضو مسيرة كبيرة في نابلس. تفاعلت الحالة في انطلاقة الانتفاضة الأولى، وهذا تلاه إغلاق الجامعات، والكليات، والمعاهد على اعتبار أسبوع انتفاضة، وعدى أسبوعين، ثلاثة، إنه ترجع الدراسة؟ لكن تالتت حلقات

الانتفاضة ما بين جباليا وبللطة، ونابلس، والرملة، وطولكرم، وجنين، بيت لحم، ثم الخليل. تالت محطات تفجر الانتفاضة في كل الزوايا.

الكل في إقامة جبرية

لما تم إغلاق الجامعات في بداية الانتفاضة الأولى، أو بعد انطلاقها بأسبوع أو عشرة أيام، إنه كل القيادات الشبابة في الجامعات عادت إلى مواقعها، في قراها ومدنها ومخيماتها. من المهم لفت النظر إن جامعتنا في منتصف الثمانينات، لما تحكي جامعة النجاح تلاقي طلاب من جنين حتى رفح موجودين في هذه الجامعة. لما تحكي جامعة بيرزيت تلاقي كمان كل أرجاء الوطن والمدن.

بالتالي الدراسة أصبحت تستكمل في البيوت للكل، مش بس للمقامين جبريًا، ولكن الكل. صارت فيه مكاتب ارتباط للجامعة خارج نطاق الجامعة. الكل بدأ يكمل دراسته بره الجامعة، ولكن إنه في نفس الوقت كنا نخرطنا جميعًا في فعاليات الانتفاضة الأولى. إذا أنت لحركة فتح، أنت كإطار نسوي لحركة فتح، أنت كشبيبة، عدي كمان لموقعك. إنه كيف بدأنا في كل الأحياء والمؤسسات كيف يضل كل على تواصل مع القواعد الجماهيرية في كل الفعاليات، كان مهم جدًا كل الفعاليات في الزوايا، وفق القيادة الوطنية الموحدة، والتوجهات المختلفة. كيف إنه دائمًا فيه هناك يؤر نضالية، في هناك أماكن نضالية، في المخيم، فيه مسيرات في البلد، نابلس فيها مسيرات، في القرية الفلانية فيها مسيرات. كانت الحالة الشعبية ممددة، وكانوا القيادات الطلابية والقيادات الميدانية، كلها مسؤولة عن الفعاليات.

عملنا في إطار لجان المرأة للعمل الاجتماعي، وبدأنا نركز في هذا الإطار بالتعاون مع كل شبابتنا في الحركة، والقواعد الجماهيرية، وكفاءات كمان متعددة. كيف إننا نعمل التعليم الشعبي، كانت إحدى أهم رسالتنا في ذلك الوقت التعليم الشعبي. لأنه بظل يكون فيه مدارس، في 1988 الطلاب اللي كانوا بالصف الأول ولآ الثاني في العام الدراسي 1988-1989 يجوز ما داوموش السنة كلها 40 يوم. بالتالي كان فيه عندنا تشكيل فرق لمدارس التعليم الشعبي، وكانت النساء هي الأساس في هذه المدارس. صح فيه إخوان وأساتذة كانوا يشتغلوا، لكن الأخوات والنساء كانوا هم الأساس في التعليم الشعبي. نروح لزوايا ثانية اللي هي الاقتصاد المنزلي، كمان تعزيز فكرة الاقتصاد المنزلي بالذات في المناطق اللي فيها أرض وغيره مع القرى. متابعة أسر الأسرى، وزيارتهم، وتعزيز صمودهم. ومتابعة أسر الجرحى، وأسر الشهداء. كانت حياتنا منصبة على هذا الاتجاه. كيف تؤازر الأسر، كيف تسانديهم، كيف ترفعهم من معنوياتهم، كيف تبقي على اتصال معهم. لأنه مش

لأزم الثورة الشعبية، لما تكون فيه حالة مثل حالة الانتفاضة الأولى، ثورة شعبية عارمة، مش لأزم لما يصير فيه جرح في مكان ألا يجد كل اللي حواليه متأزر معه. فيه جرح في مكان لأزم الكل يتأزر معه، ويكون حواليه، عشان يشعروا بالاحتضان، على أساس أن تبقي كمان الزوايا الأخرى بثقة بأنه مسيرتنا تستكمل بشكل أو آخر. فعلا كان كل شغلنا في ذلك الوقت هو موضوع المؤازرة والامتناد وغيره. زاوية ثانية لها علاقة كانت بالتعليم الشعبي، زاوية أخرى لها علاقة بالاقتصاد المنزلي، زوايا أخرى لها علاقة بالوصول لتجمعات. بعض القرى، نخرج من المخيم أو المدينة للقرى، من أجل إننا نقطر عدد أكبر من الشباب والشابات لصالح الانتفاضة الشعبية الأولى، ولصالح الانضمام في الحركة. هذا كان شكل رئيسي، ويجوز اللي الواحد يقدر يتذكره من هذه التجارب في الانتفاضة الأولى. كانت حركة فتح تعمل، والحزب الشيوعي، والشعبية الديمقراطية. كل فصائل العمل الوطني تعمل.

تأسيس الأطر نسوية

وفي 1979-1987 أسسنا الجبهة الديمقراطية، وأسست العمل النسائي، تلى ذلك تأسيس أطر نسوية للعديد من الأحزاب. كان عندنا وقتها أربع أطر نسوية، تبلورت معالمها بشكل واضح، كنا ننسق مع بعضنا كأطر نسوية، كيف ننسق مع بعضنا. لأنه كنا نطلع المسيرات العامة، وغيرها كنا نعمل مسيرات نسوية خاصة، بالتحديد عند الصليب الأحمر، عشان موضوع الأسرى. كان فيه اعتصامات، واعتصامات مش نص ساعة أو ساعة، كانت اعتصامات تتم لساعات طويلة وتخرج بمظاهرات في الشوارع، وياما تعرضت التظاهرات النسوية اللي خرجت من هذه الاعتصامات إلى عمليات قمع واعتقال العديد من المشاركات في ذلك الوقت. كان ننسق جهودنا مع بعضينا، وفي ذلك الوقت بالتوازي نحن والأخوات كمان في الرملة الكل، بعمل وتنسيق عملنا على تشكيل "المجلس الوطني الموحد" سميناه. بالتالي أصبح هذا الإطار التنسيق اسم المجلس النسوي الموحد، ومن ثم كان لهذا المجلس تنسيقه في مراحل لاحقة مع الفعاليات النسوية أو المؤسسات أو الجمعيات النسوية الكبيرة. لكن بعد 67 صار هذا النشاط يشتغل تحت الأرض، جزء منه أبعد للخارج أو طلع بره، وجزء منه ضل هون بس يشتغل بالسري تحت الأرض.

وجزء من مؤسسات الاتحاد عندنا بنابلس مثل نائلة الطعوط، لواظ عبد الهادي. عملنا إحنا كمان كمجلس نسوي بدأنا ننسق مع المناضلات النسويات اللي أصلًا يقودوا مؤسسات نسوية مثل "إنعاش الأسرة"، أو "الاتحاد النسائي" في نابلس، واللي كان لهما دور في

المجتمع بدّوا يعرف إنها في مهمة، يعرف إنها تقوم بدور إيجابي، تقوم بدور مساند. تدريجياً هذا بيؤثر على المحيط، وهذه التدريجية كمان أثّرت على كثير من الجيران والأصدقاء والمحيط، إنه يوثقوا فينا لَمّا نحكي إنه بدّنا بناتهم معانا يطلعوا لمظاهرة، بدّنا يطلع البنات على وقفة عند الصليب الأحمر، بدّنا بناتهم يطلعوا معانا نروح نتضامن مع مخيم ثاني ولّا موقع ثاني ولّا مجموعة ثانية. هون صار كأنه فيه تسابق ضمني إنه لا، في ثقة بهذه القيادات. أنا نحكي إنه، بكل فخر واعتزاز، أنا ومجموعة من أخواتي استطعنا نحظى بثقة محيطنا، ومجتمعنا، وجماهيرنا، ثقة عالية جداً نفتخر بها، الكل كان يشجع بنته إن تكون معانا. أو يقتل على الأقل أن يشجعها ويرسلها أن كنا نطلب من كل حدا منهم أن يقبل أن يكون معانا، هذه كانت مهمة جداً في تعزيز طاقة الفعل النسوية. كانت تأخذ مجهودات كبيرة، أريد ليست بسيطة، القضية ليست مجرد كلمة، القضية هي ممارسة، هي فكرة، هي أداة، هي ممارسة، هي مع الناس. هذا عزز الثقة في الناس، وصارت حركة كبيرة، وانتظام أوسع في إطار لجان المرأة في العمل الاجتماعي، وأيضاً نظام أوسع في الأطر النسوية الثانية. لأنه الكل كان يشوف إنه رسالتنا هي رسالة سامية ووطنية، ونجعلها على خير وجه. بالتالي كان الكل، كان فيه مشاركة فاعلة للنساء في ذلك الوقت.

المرأة تحملت المسؤولية بعد النكبة

إننا بالبداية لَمّا انتمينا، كان اللي بيحركنا إني أنا فلسطينية. مرأة ورجل إننا متعزّضين لهذا الاحتلال، أنا وأخوي شركاء في الدفاع عن الوطن، كان هذا اللي بيحركنا، ما كانت فكرة النسوية. بل الوطن اتأخذ من حصتي وحصته، بالتالي حق الوطن عليّ وعليه في هذا الموضوع، هذا كان كثير مهم. هذا كان كفكر يحيط جو الأسرة والمجتمع، وكيف أنت بتطور، لكن من المهم هون الإشارة إنه كمان بالمدي بالمنظور الأوسع، إنه حركة فتح قادها قادة عظام. أيضاً رأوا ضرورة انصهار كل الوطن الفلسطيني في مسيرتها الفلسطينية. القادة العظام ها دول في مقدمتهم أبو عمار، وكل الإخوان والأخوات في اللجنة المركزية الأولى، كانوا شافين إنهم لازم يذلّوا كل العقبات أمام ثورة للكل وليس لنوع، ومجموعة، ثورة للكل. كانوا سند كل امرأة انتظمت بصفوف الثورة الفلسطينية، وعزّزوا من ذلك. كثير من القصص الإيجابية والقضايا الإيجابية، والمواقف الإيجابية التي استطعنا أن نرصدها مع الأخت أم جهاد الوزير، كانت عضو اللجنة المركزية في ذلك الحين. في فترة اعتقال كل أعضاء اللجنة المركزية في سوريا، هي قادت اللجنة المركزية. كُنا وقفنا على هذه الحقيقة، مع أختنا سلوى أبو خضرة، أم

تأسيس الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، اتحاد منظمة التحرير في 1964. تولّدت لجان بعد ذلك، وتطورت آلية ما بين المجلس النسوي والأطر النسوية والقيادات النسوية الأخرى. تولّدت عن تشكيلات مهمة لإعادة إحياء اتحاد المرأة الفلسطينية العام على أرض الوطن، هذا كان قبل العودة من الخارج، عودة السلطة الوطنية إلى أرض الوطن. كان المجلس الوطني هذا له العديد من الفعاليات المستمرة، هذه كانت محطة مهمة. أيضاً من المحطات اللي كانت مهمة، في 1990 كان الواحد يقدر يحكي إنه على تواصل فيها، كيف عملنا من أجل لجنة مؤسسات وفعاليات في نابلس. تضم اتحاد العمال، أخوانا في العمال، إننا بالمرأة، بـ"فتح"، بفصائل، بالغرفة التجارية. عملنا لجنة سميناتها لجنة المؤسسات والفعاليات الوطنية في ذلك الحين، وكانت على قدر من الأهمية، لعبت دور لحلحلة الكثير من القضايا على المستوى اللي بنحكي في تلك الفترة من الانتفاضة. من القضايا المهمة كان منع التجول، لأنه في لحظات كثيرة مخيم بلاطة ونابلس تتعرّض لمنع التجول ومنع الحركة بشكل كامل، أو إنه مخيم بلاطة يتعرّض لمنع التجول في اللحظة اللي يكونوا فاكين المدينة، أو كلاهما. هذا كمان كان في مناطق تتعرض لفترات من منع التجول طويلة، مخيم بلاطة تتعرّض لفترة منع التجول تجاوزت 40 أو 45 يوم. كيف كان أنت تجددي الطاقات المختلفة لدعم المواد التموينية، وبعض الاحتياجات للأسر، بشكل أو بآخر كان هذا مهم جداً بتقوم به الحركة النسوية. كُنا دائماً الحركة النسوية والمؤسسات، الهلال الأحمر وغيره، الاتحاد النسائي، والعمال، نهتمّ كيف إنه نعيش هذا الأمر. لكن من القضايا في العمل، مش سهل سواء كان العمل التطوعي أو التنظيمي، أو حتى طالعة للعمل النسوي، أو التعليم الشعبي أو غيره. كان لا بد من متابعة الكثير من الزوايا، وكان يكون في حالة منع تجول، وإنك أنت مضطرة توصلي الموقع. كثير من المواقع بشكل أو بآخر، ودائفاً هناك الكثير من الأصدقاء والأخوات اللي ممكن يوصلك، وتروحي وتطلعي أنت وبياه، لكن كثير من المرات تحسي إنه كحالة نسوية ينتحرك إنه تكون الساعة 11 ظهرًا رجع الإغلاق. إلا إنه أنت بقيتي ومجموعة نسوية لسائك بالميدان، لأنه تتبعي أسرة هون، وأسرة هون، لحالة، لاجتماع، أو لقضية هنا. كنت دائماً تتأخري لساعات متأخرة، يجوز 4 أو 5، كان بالمحيط مثلاً تجدي إنه كل الناس مضبوطة اللي صار رجع الإغلاق، وكل الناس في بيوتها، وإنه في بعض الصبايا والشباب بيعملوا لهلا. هذه كانت من المواقف اللي بشكل أو بآخر بدأت تأثر للمجتمع إنه الأخت أو الصبية ممكن تكون زي الشاب عندها مهام. لَمّا يكون فيه أسرة متفهمة، ومتعاونة، تعرف إنها في مهمة،

محمود، وأختنا مريم الأطرش، وقفنا على هذه الحقيقة مع أخوات عديدات: أم صبري، فاطمة البرناوي، نجلاء ياسين، أم ناصر، لوسي حجازي. وقفنا على هذه الحقائق مع كل الأخوات المنتظمات في الثورة مبكراً، وفاطمة برناوي، أول أسيرة. انتظموا للثورة مبكراً، وعملوا في الشتات كيف النساء تجند للحركة، والنساء تجند كمان للثورة الفلسطينية. زي ما كان فيه معسكرات تدريب للشباب، كيف يكون في معسكرات تدريب للصبايا، الصبايا المشاركين. القيادة الفلسطينية وقيادة حركة فتح سهّلت وساهمت، والوطن اتأخذ من حصتي وحصة أخوي، بالتالي إحنا شركاء في الدفاع، لأنه من حصتنا، وبندافع عن حصتنا، هذا الفهم كان هو الفهم الطبيعي، الفهم البسيط لطبيعة مشاركتنا، وليس الفهم المعقد لطبيعة دورنا كنساء. الفهم الفطري الطبيعي البسيط لأنه الوطن حصتنا إحنا الاثنين، الوطن يلزم إننا الاثنين نشارك في الدفاع عنه، وواجب علينا إحنا الاثنين، المحتل المغتصب اللي يحاول يجتذبنا الهوى عني وعنه، عن المرأة وعن الرجل، بالتالي إحنا شركاء في الدفاع عنه.

هون الحركة الوطنية، وبالأخص حركة فتح، كانت شايعة إنه هذه الحقيقة، بالتالي اللي تهجروا في 1948، تهجر رجال دون النساء، تهجرت كل الأسرة، كل المجتمع تهجر. في الهجرة من الذي تحمل بعد النكبة المسؤولية الأكبر في الحفاظ على الأسرة الفلسطينية. المرأة.

في الوقت اللي هجر أبناء شعبنا أصبح مجتمعنا أكثر من 800 ألف فلسطيني ما بين السندان والمطربة، في إطار خيام أو أي كان، حتى لو البعض توفر له بيت يروحه، وبدون عمل، وأصبحت الناس بين السندان والمطربة. مين اللي كان محافظ على الأسرة من أن لا تتفك، المرأة الفلسطينية حافظت على هذه الأسرة. بالتأكيد لو حكينا من المرأة، الرجل حافظ. الرجل حافظ بدون تعاون، أمّا المرأة وبدون شرائتها الحقيقية لم تكن الأسرة تستمر، أو معرفة الذات والهوية والعنوان.

بالتالي الأسرة عرفت حالها من هذا السياق، لذلك نقول إحنا بفطرتنا الطبيعية كننا مشاركين. لذلك الحالة النضالية التي تكرست، وإحنا لو رجعنا لوراء عن دور المرأة، اللي تحكي عن العشرينات قد إيش كانت المرأة الفلسطينية من الأوائل اللي رفعت مذكرات للمندوب السامي، ووصلت رسائل ترفض الهجرة الصهيونية [إلى فلسطين]، وترفض كل هذا الحكي. كان فيه دور. إن اخذناها بالمقارنة مع الاحترام لكل الشعوب العربية، وأهلنا وأصدقائنا، لو اخذناها بالمقارنة، المرأة الفلسطينية في عشرينيات القرن العشرين كان لها حضور ورسالة، في الوقت اللي

كان كثير من النساء في العديد من الدول العربية لم يكن لهم حضور ولا صوت. كان فيه مؤسسات وجمعيات تقودها المرأة الفلسطينية في العشرينات، كان فيه أفكار ورؤى، كان فيه هناك من يكتب مذكراته ويرفعها، ويعلن صوت الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال، وضد الانتداب البريطاني، ضد الهجرة الصهيونية إلى أرض فلسطين، في الوقت اللي كانت فيه الدول العربية لم تتحرر حتى ذلك الوقت، ولم يكن فيه صوت للمرأة في ذلك الوقت. والمرأة الفلسطينية موجودة في إطار انصهارها في بوتقة الدفاع عن الوطن والحقوق الوطنية، ودفاعها عن أرضها. وحقت عبر مسيرتها النضالية حقيقة وجودها، بمعنى إنها موجودة. بالتالي هناك مكتسيات، مكتسب حقيقي إنها تشارك إلى جانب أخيها الرجل، هذه مكتسيات للمرأة الفلسطينية حققتها بنضالها المشترك الفعّال. بالتالي أصبح أمر طبيعي أن تكون في المدرسة والجامعة والعمل، أن تكون جانب أخيها في المظاهرة، في حمل السلاح، في عمليات فدائية، هذه مكتسيات حقيقية. بالتالي كنا دائماً نقول إن هناك مكتسيات للمرأة الفلسطينية حققتها بالشاركة في النضال، وذلك كنّا نقوله حينما وصلنا ما بعد الانتفاضة الأولى لمرحلة اتفاق أوسلو، وعودة السلطة الوطنية الفلسطينية، وتأسيس المؤسسات.

شريكات في النضال بالأمس، ولدينا مكتسيات وشريكات في القرار. هذا كان أحد الشعارات اللي رفعناها: "شريكات في النضال، شريكات في القرار"، من خلال طاقم شؤون المرأة حوالي 1994-1995 لأن هذا المكتسب تحقق على أرض الواقع. بالتالي لَمّا إحنا كحركة نسوية، كاطر نسوية، ومجلس نسوي موحد، جمعيات نسوية، واتحاد عام للمرأة من تحت الأرض، عقدنا مؤتمر في أمريكا في آب/أغسطس 1994 صغنا وثيقة حقوقية للمرأة الفلسطينية، تستند لهذه الحقيقة، إنه هناك في مكتسيات للمرأة الفلسطينية تحققت على أرض الواقع لا عودة عنها.

من النضال إلى مرحلة مؤسسات الدولة

لَمّا وصلنا مرحلة بناء مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية، كانت الدكتورورة حنان عشاروي، نجمة مهم جداً إلى جانب أخواتها، فيصل الحسيني، حيدر عبد الشافي، الدكتور صائب عريقات، والعديد من الأخوة. كانت حنان عشاروي نجمة مهمة جداً كمرأة فلسطينية في ذلك السياق. لأنه كانت تتشكّل مع الأخ فيصل الحسيني، اللجان السياسية الداعمة الوفد المفاوض³ في مدريد 1991. في

3 استعادت منظمة التحرير الفلسطينية من المشاركين بناء على رغبة إسرائيل، ولذا شاركت في المفاوضات شخصيات فلسطينية بارزة.

الأعضاء سناً، وفي هذه الجلسة الأولى، التي حضرها كل العالم، ترأستها أنا والأخ فرج الصراف من غزة، أكبر الأعضاء وأنا أصغرهم، وبحضور الأخ أبو عمار، وحضور دولي عامر. وبعد ذلك أدرنا عملية انتخاب رئاسة مجلس ونواب رئيس المجلس وأمانة سر.

وعلى صعيد القضايا الحقوقية للمرأة، في ذلك الوقت أيضاً تطورت رؤى الحركة النسوية، وكان الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية قد عاد للوطن مع عودة السلطة الوطنية. الأخت أم محمود، وأم ناصر، ومريم الطرش، وأم صبري، نهاية محمد، فائزة أبو الهيجا، عدن إلى أرض الوطن. وبدأ الاتحاد يطوّر شغله على الأرض، لأنه بدأت تعود الأمور هنا. كيف تكون الأطر النسوية جزء، لأنه إننا أطر الأحزاب، لكن كيف إنه إننا نكون في إطار واحد جامع، هو الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية. بدأت عملية الشغل، وفي ظل وجود تشريعي كان لا بد الآن انتقلنا لمحنة مهمة. لما صار فيه سلطة وطنية، وصار فيه مجلس تشريعي، بدأت الأمور إنه كيف يمكن لنا تقطير حقوقنا في إطار نظام قانوني، بما لا يسمح القفز عنه. لأنه أنتب okay اشتغلتني على الوعي الجمعي العام للحركة الوطنية، على الوعي داخل حركة فتح، في إنه قبول المرأة في ميادين النضال. لكن لما تيجي للاستحقاق، يصير التنافس، وهذا لمسناه في التشريع الأول 1996. لما صار انتخابات أنا نزلت صرح مرشح عام على قائمة فتح، لكن من 27 مرشحة من كل المحافظات، ما نجحش إلا خمس، صحيح إني نجحت، لأنني أمثل حركة فتح، بس فيه غيري كمان كانوا بيمثلوا الحركة وما نجحوا.

فيه نساء أخريات تمثّل فصائل ثانية وما نجحت، في مستقلات وكفاءات وما نجحت. بالتالي إذا كان التنافس كبير، هنا بدأت الحركة النسوية، وبدأنا ننظر -وأنا منهم- للأمر إنه مهم يكون فيه تنافس، وأن تنجح المرأة بالتنافس الطبيعي.

لكن في ظل الاقتراب من قضية الاستحقاق، والمواقع، نجد حالة التنافس تأخذ مداها أكثر، وتكون على حساب المرأة. كثير من النساء، يجوز أنا عندي أسرة تمكّني من التنافس، أو توقّر ليّ الإمكانات. حركة فتح بتوفّر الإمكانات، بس كمان ممكن أسرتي توفّر ليّ إمكانات، عن أنا أنزل الانتخابات، وتستطيع أن تجند إمكانات ليّ لو نزلت انتخابات. لكن فيه نساء كثير لكفاءه أسرهم لم يوفروا لهم إمكانات اقتصادية لدخول الانتخابات. بينما يوفروا لـي رجل. بالتالي التنافس كبير، وبيصير على حساب المرأة. بدأت حملة اتحاد المرأة في ذلك الوقت، والأطر النسوية والطاغم، وكلنا، من أجل إنه فترة التشريع الأول. وأنا موجودة في فترة التشريع الأول وأخواتي الأخريات، إنه كيف إننا نعمل تمييز إيجابي للمرأة، وكنت المرأة بدأت العملية

ذلك الوقت كنت حاضرة في هذه المحطة، إنه صار بدايات تشكيل لجان سياسية، بمعنى أنه فيه لجنة اقتصادية، وأخرى إعلامية، أو لجنة وثائق. وهذه اللجان ترفق المفاوضات العديد من القضايا بشكل أو بآخر. في ذلك الوقت كمان كان الأخت ربيعة دياب، والأخت زهيره كمال، وكنا نقول يجب أن نعزز هذه اللجان، كان فيه مثلاً لجنة مختصة في القضايا الاقتصادية، وكان كلها رجال، قلنا لا فيه نساء تشتغل في التمكين الاقتصادي والتعزيز الاقتصادي للنساء، وشكلنا لجنة يومها حتى كنت أنا مسؤولة هذه اللجنة. إثر ذلك كنا في حراك إنه يجب أن يكون هناك رأي للمرأة في القضايا السياسية، وما يجري من حوارات، وتشكّلت لجنة نسوية، كانت الأخت زهيره كمال، والأخت ربيعة دياب، سهام البرغوثي، في هذا الموضوع. إثر ذلك تطورت هذه اللجنة إلى فكرة تأسيس طاغم شؤون المرأة، التي هو بمعنى ائتلاف بين الفصائل وما بين كفاءات نسوية، والدكتورة إصلاح جاد، كانت عضوة في هذه التشكيلة. تشكّل طاغم شؤون المرأة ليكون كطاغم يحافظ، كطاغم فتى يتابع كثير من قضايا النساء، وحضورها، ومشاركتها بالقرار. تبلور بعد ذلك دور آخر مختلف، أكثر عمقاً لطاغم شؤون المرأة، وكانت كما قلنا بنفس الفترة 1994 الوثيقة الحقوقية التي اتفقنا عليها، والتي تحدثت عنها إنه مكتسبات المرأة الفلسطينية لا تراجع عنها، شريكات في النضال، شريكات في القرار. تحدثت الوثيقة كمان بأنه نستند في هذه الوثيقة على إعلان الاستقلال الفلسطيني، مهم جداً أن نشير على محطة إعلان الاستقلال الفلسطيني⁴، لأن هذا الإعلان تحدث عن المساواة ما بين المرأة والرجل. استندت الوثيقة إلى هذا الإعلان، وإلى المساواة، وإلى إن الشعب الفلسطيني إنه كل امرأة ورجل يطوّر هويته الثقافية والوطنية، من خلال علاقته الوثيقة مع وطنه ووجوده على أرضه، ونضاله المستمر في هذا الاتجاه.

وفي 1996، خضت انتخابات المجلس التشريعي الأول كمرشحة حركة فتح عن دائرة نابلس، والنظام الانتخابي كان دوائر فردية، لم يكن نسبي قوائم. ونجحت الحمد لله، وكنت في حينها أصغر من وصل للمجلس التشريعي، كنت أحد خمس أخوات وصلنا للمجلس التشريعي؛ في الضفة الغربية، الدكتورة حنان عسراوي (عن القدس)، وأنا التي نجحنا. وفي غزة، فازت ثلاث أخوات منهنّ الأخت أم جهاد، انتصار الوزير.

كان ليّ الشرف إنه أول مجلس تشريعي ينعقد في غزة في مركز الإرشاد 1996، إنه لم يكن لدينا نظام لكن بالعرف أن قيادة الجلسة الأولى من أكبر الأعضاء وأصغر

4 صدر إعلان الاستقلال الفلسطيني في 15 تشرين الثاني/نوفمبر 1988، في الدورة رقم 19 من المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في الجزائر.

الخاصة بنا في 1994، وقبلها إعلان الاستقلال في 1988، وفي إقرار القانون الأساسي 2003. الأسس القانونية الموجودة لنا، ولكن هل إنه تحققت المشاركة السياسية كما ينبغي؟ هل الحقوق الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، توفرت؟ هل الحقوق الاجتماعية توفرت للمرأة الفلسطينية؟ هل حماية المرأة من العنف توفرت؟ مشاركتها في عملية البناء بشكل كامل على قدر من المساواة، هل توفرت؟ أقول بأنه ما زالت المسيرة طويلة، ولكننا على الطريق الصحيح، ما أريد أقوله في الحالة الفلسطينية لحركة نسوية فلسطينية، وأيضاً بموقعي كعضو لجنة مركزية في حركة فتح، إنه نحن كنساء فلسطينيات على الطريق الصحيح. نحن نراكم إنجازاتنا في فعلنا، وفي نضالنا، وفي حضورنا، وفي مشاركتنا العامة. نبني على هذه الإنجازات ونطور في هذه الإنجازات لصالح المرأة الفلسطينية، لأننا نؤمن إنه بناء مجتمع ديمقراطي تعددي لا يمكن أن يكون بدون مشاركة المرأة. الارتقاء وتنمية المجتمع، لا يمكن أن تتحقق بدون مشاركة المرأة. مجتمع صحي لا يمكن أن يكون بدون مشاركة المرأة.

في هذا الموضوع، إلى أن أقرّ موضوع التمييز الإيجابي في قانون انتخاب المجالس المحلية، وقانون الانتخابات العامة في ذلك الوقت، بما لا يقل عن 20%. أيضاً في ذلك الوقت كمان كان فيه حراك مستمر، إنه بدأت تتشكل وزارات للسلطة الوطنية في 1994، إلا إنه تبلورت أكثر في 1996، إنه كيف هذه الوزارات تأسست. مش قاعدين، يكون في مراعاة للنوع الاجتماعي، أو حساسية للنوع الاجتماعي، أو خطط وزارية حساسة للنوع الاجتماعي، وتراعي النوع الاجتماعي. كان مهم جداً إنه بدأت تتشكل وحدات المرأة في كافة الوزارات، ولجنة تنسيقية للنوع الاجتماعي كانت ترأسها الأخت أم جهاد في فترة، والأخت سامية بامية. في المجلس التشريعي، تطورت فكرة النوع الاجتماعي والاهتمام بقضايا المرأة إلى أن يكون هناك وزارة للمرأة في حكومة أبو علاء قريع، كان من أقرّ وزارة لشؤون المرأة في 2003، ولانت زهيرة كمال، أول وزيرة لشؤون المرأة.

المرأة تشارك، لكن المسيرة بعدها طويلة

لما نحكي عن المشاركة بالتأكيد فيه مشاركة سياسية، لكن هل تمّ تبني الوثيقة الحقوقية للمرأة التي أقرّناها في 1994، هل انسجمنا مع ما جرى في 1988 من إعلان حقوقي للعدالة الاجتماعية والمساواة للمرأة؟ بالتأكيد إنه هذا دخل محطات وحصلت مخاضات كثيرة، إلى أن أقرّ القانون الأساسي للسلطة الوطنية. هنا أحب أسألكم الحالة الفلسطينية إنه من المرجعيات الهامة جداً في الحالة الفلسطينية التي نتحدث عن حقوق المرأة الفلسطينية، الحقوق المتساوية مع الرجل، وثيقة إعلان الاستقلال. أنا بحكي إن وثيقة إعلان الثورة بمثابة الدستور الفلسطيني في 1988، لأنه وثيقة إعلان الاستقلال.

في القانون الأساسي الذي أقرّه المجلس التشريعي الأول، الذي ارتقى على حطر التمييز على أساس نوع الجنس. بالتالي لدينا إحنا منطلقات وأسس ومرتكزات قانونية في الدفاع عن حقوقنا السياسية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، وحقوقنا في هذا المجتمع. اللي بقدر أحكيه إنه هل بإقرار كوتا المرأة بنسبة 20% بالأنظمة الانتخابية، إنه إحنا حققنا ما ورد من حقوقنا في إعلان الاستقلال أو القانون الأساسي، أو وصلنا لنقطة النهاية؟ بالتأكيد لم نصل لنقطة النهاية، لأنه 20% كانت كحد أدنى. النظام العالمي كله كان يتحدث عن ضرورة توفير قدر من التمييز الاجتماعي الإيجابي بما لا يقل عن 3%.

إحنا في 2012 كأطر نسوية، كان فيه توقيع واتحاد عام المرأة، كان فيه توقيع ميثاق شرف بين كل الفصائل والحزاب، من أجل رفع نسبة مشاركة المرأة في الحياة السياسية إلى 30%. هنا أريد أن أعود إلى الوثيقة الحقوقية

ريتا جقمان: الاحتلال يعوق الحركة النسوية

ريتا جقمان، مواليد بيت لحم 1950، أستاذة الصحة العامة في جامعة بيرزيت الفلسطينية.

تعتبر ريتا أنّ الاهتمام بالصحة لا يتعلق بالعيادات، بل إن ما يجعل الإنسان متمتعاً بالصحة هو السياسات الصحية، التي تعدّها بناءً اجتماعياً سياسياً اقتصادياً ثقافياً، وهذا البناء يتأثر بعلاقات القوى في المجتمع، حسبما تحكي في شهادتها المعتمدة على مقابلة جرت في الثالث من تشرين الأول/أكتوبر 2020.

صرنا لاجئين

أصلي من بيت لحم، وُلدت بـ1950، وبعد 1967 صرنا لاجئين.

نزعنا من بيت لحم لرام الله بعد الحرب كانت شي كثير صعب. عمري ما راح أنسى كيف كل شي ضاع، حتى الصور، ضل عندنا شوية صور بس مش كثير.

أنا روجت على الجامعة الأمريكية ببيروت 1971، بعدين صار الوضع عندنا في البلد كثير صعب. بالكلي كُنا محظوظين إنه رحنا على أمريكا. كانت خالتي ساكنة هناك، وعلقوهم كيف يسحب الواحد، سحبتنا. فكرة إنه صرنا لاجئين، خسرونا بيتنا، خسرونا كل شي، خسرونا ذكرياتنا، انمحت. ها القدر كان شي مؤذي. لما كنت بأمريكا كنت أفكر في اللي ضاع، مش كيف نستعيده، كيف نرجع نطوره. ما حبيت نمط الحياة هناك، كان التعليم ممتاز، بس لازم تشتغلي تشتغلي، وعلى weekend تروحي تصرفي ويعدين تعودتي تشتغلي، مفيش شي معنى. هذا اللي خلاني ما صدقت أخلص وأرجع، صار عندي جواز أمريكا عشان أقدر أرجع، فرجعت. وهون لاقيت حالي، هذا هو المعنى.

كنت تعلمت في جامعة كاليفورنيا، ورجعت على البلد أيلول/سبتمبر 1978 عشان اشتغل في جامعة بيرزيت أستاذة وباحثة في الصحة العامة.

انلظت الشغل مع الحركة الشعبية في فلسطين في الثمانينات خاصة. كان العمل في جامعة بيرزيت، أول شي development department، وبعدين بدأت معهد الصحة

كان وقتها وحدة صغيرة وكبير، وعلمنا ناس. هلا المعهد شي مش يطال أبداً، بيعمل أبحاث كثير، وبيعلم. كان هذا كثير مهم بالنسبة لي، لأن الشغل والحركة الشعبية والنضال أعطى معنى لحياتي. فأنا عمري ما قلت ليش أنا بالرملة، بالعكس أنا ما صدقت أرجع على البلد، بل محظوظة إنه كان عندي قضية اللي بواسطتها هقدر أعمل اللي بقدر عليه، وبنفس الوقت يعطيني معنى لحياتي.

في الثمانينات كان فيه مجلس من طلبة "بيرزيت" هو القيادة الموحدة، مثلاً كنت أعلم حدا منهم في الصف ولما تطلع يصيروا هما القواد، نشترك مع بعض، نشترك في كثير أشياء. تعلم إسعافات أولية للطلاب عشان لما يهجم عليهم الجيش الإسرائيلي، نودّهم على المستشفيات. كمان كان في أشياء نعملها ما وقفنا، كُنا ندوّن إيش بيصير. كُنا بنعمل اللي بنقدر عليه كأاديميين بس أجي في الحقل وأجي في الأكاديمية فكنتش زي هلا مقسوم. كُنا كثير في الحقل نعمل أبحاث، ونشوف إيش مشاكل الناس، ونحاول نعمل برامج. كُنا في المعهد ما نفرق الأبحاث عن العمل أو البرامج، نعمل أبحاث نشوف إيش احتياجات الناس، وبعدين تجرب. أول ما بدينا العمل برنامج لتدريب العاملات الصحيات في الرعاية الصحية. الحقيقة مكنّاش أول ناس، بل كُنا ثاني ناس. أول ناس بدأوها جامعة بيت لحم، والمشروع فشل، فطلبوا مني أروح أشوف ليش، وهذا مطبوع لأن الفشل يبساعدك على النجاح، لما روجت "بيت لحم" كانوا مضربين إن طلاب الرعاية الصحية الأولية يكون عندهم توجيهي، بس ما كنش فيه ولا بنت عندها توجيهي في هذا الوقت في الثمانينات، فأخذوا رجال وتخرجوا الرجال، ولما رجعوا على قراهم مكنش يقدرُوا يدخلوا البيوت، لأنه في البيوت فيه ستات، فانهار البرنامج. إحنا تعلمنا من هذا، وبدأنا برنامج لتعليم العاملات الصحيات بالتعاون مع جمعية سيدات بيرزيت الخيرية، ومشينا البرنامج سنين طويلة، وصرنا نخدم حوالي سبع قرى حوالين الجامعة وبلدة بيرزيت، وأشياء ثانية. اشتغلنا مثلاً في إنه بنينا أول برنامج لصحة المرأة في البلد، هلا الكل بيعمله، بس إحنا بدأناه بالتعاون مع الإغاثة الطبية، أنا ولورا ويك، صديقتي، وكُنا نشغل مع بعض. اليوم كل الناس عندها صحة نساء. القضية إذا يتعملي شي ويطلع صح، وينجح، الناس التانيين بيعملوه، مش لازم يضلك اللي بيسموه scaling off ناس تانيين بيعملوه عشان نجح. نفس الشيء بدأنا في عمل أبحاث عشان نفهم مشكلة الناس ذوي الإعاقة، وبعدين

1 "التوجيهي" هو امتحان شهادته الثانوية العامة، في التعليم قبل الجامعي. يأتي بعد 12 عاماً من الدراسة في المدارس. عشر سنوات من التعليم الأساسي يعقبها سنتان من التعليم الثانوي.

"بيرزيت" شافوا إني صغيرة وبنت، وكانوا ما يخذونيش بجد، بس هلا بفكر إني كنت جريئة، بس مكنتش أفكر إني جريئة، كنت أحكي رأيي.

بس كانوا ما يحبوش إيش يقول لأنه كان شي مش على النمط التقليدي. لو كنت مثلاً امرأة وصغيرة وبمشي معهم خلص مفيش مشكلة، بس أنا مكنتش معهم، كان عندي إطار نظري مختلف. كنت يقول في هذا الوقت إن الصحة مش يعني عيادات، هذا شي كتير خطأ، بل الصحة بناء اجتماعي سياسي اقتصادي، آخر الصحة هو المرض، وقتها الواحد يبروح على العيادة. القضية إنه نوقف الناس يصيروا مريضين، إذا بنوقف الناس يصيروا مريضين لازم إطارنا النظري يأخذ بعين الاعتبار مش بس المجتمع، بل الثقافة والاقتصاد وعلاقات القوة وكل هذا مهم وبيأثر على الصحة.

كانوا يتجنوا لقا أحكي هيك، ميجبوش!

بس كملنا ونجنا كتير. اللي صار أول ما بدأت فكنش فيه إلا أطباء وممرضين، بدأت شوي شوي أدرب باحثين مساعدين، وبعدين نلاقي لهم محل يطلعوا برّه عشان يكملوا. مثلاً دربنا أول واحدة تخصصت في علم الطفيليات، قبلها مكنش فيه غير دكتور واحد. بعدين واحد ثاني لليوم بيشغل في بيرزيت في Microbiology، وبعدين nitrogen، بعدين health education، بعدين environment، إلى آخره، وضايينا نكمل. هلا مثلاً فيه عندنا أربعة بيعملوا PHD في السياسات الصحية، هذا شكلنا في التخصصات، بحيث تلائم الصحة العامة المتعددة الأبعاد.

قيود بطريكية على النسوية

كنت أشتغل مع كل الأطر النسوية والصحية، مع الكل مش فارقة. إذا بدهم حدا يساعدهم عشان تطوير برنامج، أساعد في تطوير برنامج، إذا بدهم حدا يعمل لهم بحث بعمل لهم بحث، إذا بدهم حدا يكتب لهم proposal يكتب لهم، مثلاً عن التغذية أو الحمل أو الولادة، كان كله له علاقة بالنساء طبعاً. فكانت علاقة وطيدة مع الأطر النسوية.

تأثير النساء المنخرطات في العمل العام كان ميدع، مثل زهيرة ممتاز وآمال فريشة وربيعة دياب. ولكن مشكلة الأطر النسوية إنه القيادة كانت بيد رجال، مثلاً في بعض الأشياء كانوا يشتغلوا، وبعض الأشياء الثانية الرجال ما يسمحوش، هذه القيود البطريكية كانت كتير قوية. بس أنا بشوف إن ها دول النساء أبدعن، بس اللي صار صار. ثم جاءت أوصلو، وصارت السلطة بدها تهشم كل الحركات والطريقة الوحيدة للتعايش هي التسجيل، وبصيروا

بالتعاون مع مجموعة من NGOs ومؤسسة أجنبية اسمها "جالكونيا"، عادة حرامي، طورنا برنامج في التدريب بعد ما عملنا أبحاث. بعدين هو لحد اليوم ماشي فوق 250 local لسه البرنامج بيشغل، وبيشارك في تأهيل الأشخاص ذوي الإعاقة، وإنه يخليهم جزء لا يتجزأ من المجتمع. شي ولا شي، بس كان دائماً حولها الحركة الشعبية، وبعدين حولها المؤسسات غير الحكومية الفلسطينية، وغيرها. لحد اليوم بنعمل نفس الشيء.

بحر أسود

في الانتفاضة الأولى، كان فيه كتير قتلى وجرحى، ولكن كان عندنا أمل كتير كبير. كنّا فائرين إنها مسألة وقت، والحركة الشعبية تعاونت مع كل الناس اللي تضامنت مع الفلسطينية، بالأخير راح يسمعو إن في شي اسمه العدالة الفلسطينية، وإنه بالأخير راح تقدر يكون عندنا الحرية، ونسترجع بلدنا. بالتالي كان شغلنا كتير متواصل مع الحركة الشعبية في فترة الانتفاضة الأولى، وحتى أيام أوصلو الكل كان يشتغل. مثلاً مكنتش في المحادثات، بس كنّا نشغل ونحضّر أوراق، ونبعث للي في المفاوضات. اللي صار، واللي صدمنا، اللي هو معاهدة أوصلو، زي اللي قام البسطة من تحت رجلين، خاصة النساء والشباب في البلد. لأنه الانتفاضة الأولى كانت أكثر شي بيشغل فيها وينجح فيها كان الشباب والنساء، كتير من الرجال اللي كانوا من القيادات انحطوا بالسجن. كانت زي الصدمة، يعني كيف رجلين ببسلمو على بعض في بلاد برّه بعيد، بدون ما حدا يعرف ولا حدا يقولنا، كانت صدمة كتير كبيرة. وقتها أنا شوفت إنه إحنا راح نوقع في بحر أسود.

اليوم البحر الأسود كتير ظاهر، ولكن هذا كان صراع على القوة. لأن منظمة التحرير قبلها كانوا يعزمونا نطلع برّه عشان نحكي معهم، رحنا مرة على واشنطن ما يُسمى مؤتمر، وعلى جنب كانت فيه اجتماعات، وكان شي كتير عجيب إنهم ما كانوش يقدروا يتحملوا إنه كان عندنا في الداخل تفكير شوية مختلف، إذا كنّا شباب ولا نساء ولا أطر تنظيمية. كان بدهم هيك كانوا يعملوا، كانوا بيعتوا لنا ضو أخضر يعني لازم نعمل، ضو أصفر يعني استنوا، ضو أحمر يعني ما تعملوش، وما قبلناش. فحافوا من القيادة الشبابية الجديدة اللي عمّ تطلع في الداخل، وجّم قوام عملوا أوصلو، عشان يضلوا يتركزوا في السلطة. مكنش عندهم مكان ثاني غير هون، وهون كانوا خايفين من الشباب والنساء والقيادات الجديدة. فهذا اللي صار.

رأي غير تقليدي

لما رجعت الوطن كان عمري 28 سنة، أول عشر سنين في

NGOS، بالتالي أنا مش من الناس اللي تنتقد كثير الحركة النسوية إنها صارت NGOs، بل بشوف الأشياء في الإطار التاريخي، ويفهم تمامًا إن الوضع وقتها، يا إما راح يموتوا، يا يتحولوا لشئ مؤسساتي.

الحركة النسوية حققت كثير أشياء، بس جاءت أشياء ثانية نسفتها؛ أول شئ السلطة، بعدين الانتفاضة. وطبعا الاحتلال أهم شئ، بس مثلاً من 2007 وطالع صار فيه شئ تحول أساسي في المجتمع بواسطة اللي بيسموه economic peace فتحوا البنوك، صاروا يعطوا القروض، والنهوا الناس، وبعدت عن النضال، بالراحة، ونشترى كذا، بس هذه كانت مؤامرة مخيفة، وصار. هذا مش الحق على الحركة النسوية، هذا التغير السياسي الاجتماعي، نتيجة أنا برأيي مؤامرة عشان يفكك الصف الفلسطيني.

تشاؤم متفائل

I am a free thinker، ما بقدر أكون في حزب سياسي، بس فضلت أكون في السياسة الصحية، لأنها مش أطر، بل بتغطي كل الأطر، وكل المجتمع. هذا شئ له علاقة بكل المجتمع الفلسطيني، مش بس هون كمان، بل اشتغلنا على الأردن ولبنان وإلى آخره، من هذا المنطلق.

بشوف إنه لازم يكون عندنا نفس عميق نتطلع لبعيد. وسعيدة بالنفس المتشائمة، دائماً بيكون عندي هذا التشاؤم، المرحلة اللي جاية راح تكون كثير صعبة، مش راح يكون فيها حلول، وراح يكون فيها تعقيدات. لكن في النهاية إذا تطلعنا على التاريخ الأشياء بتتغير، ما بضلهاش واقفة. راح تكون تغييرات أساسية جذرية اللي ممكن تكون لمصلحة الشعب، هيك بشوف.

ربما نزال: هذه هي رواية المرأة الفلسطينية كلما ناضلت كسبت اجتماعيًا

ربما نزال، مواليد نابلس، أبعدت قسرًا من فلسطين في أواخر 1969. ولم تعد إلى بلدها إلا خلال الترتيبات السابقة على اتفاقية أوسلو التي قضت بتشكيل السلطة الفلسطينية. خلال سنوات الإبعاد عاشت في الأردن وسوريا. انتظمت في العمل الطلابي والنسوي في اتحادي الطلاب والمرأة، ثم توجت مسيرتها باختيارها عضوة في المجلس الوطني الفلسطيني.

تحكي ربما هنا عن سنوات الإبعاد، وتعتقدات تشابك النضالين الوطني والنسوي التي تواجه كل امرأة فلسطينية.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلات جرت في 2020/11/7.

حكاية الاسم

أنا من عائلة كُتاني بنابلس، ولكنني انتسبت إلى عائلة زوجي، وهذه حكاية ممكن نأجل سردها. نشأت في طولكرم بحكم عمل والدي، فهو كان مدير البريد هناك. وتخرجت في مدرسة العدوية الثانوية.

اهتمت بالتجربة الناصرية، بل يعتبر حالي من بنات هذه التجربة، اهتمت بكل إشي يحكيه جمال عبد الناصر. تفاعلت بالزعيم المصري المحبوب من كل العالم العربي، باعتباره الأقرب لاحتلامنا وآمالنا وفكرنا. بالتالي احتلال 1967 مثل صدمة كبيرة، خاصة إن الإعلام كان يبكي عن تسجيل انتصارات. ثم طلع إن ما كانت فيه انتصارات، بالعكس كان الجيش الإسرائيلي يحقق تقدم، ولكن الإعلام في وادي آخر غير وادي الواقع.

شهدت سقوط نابلس، كيف دخل الجيش الإسرائيلي من مدخل المدينة الجنوبي، عكس توقعاتنا إن قوات الاحتلال تدخل من المدخل الغربي من طولكرم. فكانت فيه إشاعة

في نابلس إن الجيش العراقي دخل منتصف المدينة، والناس صدقت هذه الإشاعة لأن الإسرائيليين كانوا يقولوا للناس "إننا عراقيين" حتى يسيطروا على البلد.

وقتها كان والدي في طولكرم، وكان من آخر الناس اللي طلوعوا منها عندما سيطر الإسرائيليون على المدينة. ورجع والدي لنابلس مشي، وكان ينام تحت الشجر في دير شرف، ووصل بعد حوالي ثلاثة أيام. شهدت كيف هبت المقاومة الشعبية من نابلس، وطلوعوا كلهم على الجبال للمقاومة، وكان من ضمنهم واحد من أعمامي، كان في حركة "القوميين العرب". انهارت كثير من الأحلام والتوقعات والقناعات. إننا نشوف إسرائيل هزمت ثلاث دول عربية، الأردن وسوريا ومصر، غير مشاركة الجيش العراقي، بـ 6 أيام.

اعتقلت مرتين خلال الاحتلال، الأولى كنت في سنة أولى ثانوي، والثانية، كنت مخرصة "التوجيهي".

بعد 1967 كانت فيه اشتباكات مستمرة على الجبهتين السورية والمصرية. ولما استشهد عبد المنعم رياض¹، على الجبهة المصرية خلال حرب الاستنزاف، كل الضفة الغربية طلعت جنازات رمزية. أنا كنت واحدة من قيادات هذه الجنازات في طولكرم، بالتالي جرى اعتقالني أنا وواحدة كمان.

مكنش اعتقال بالمعنى، كان تحقيق لبضع ساعات، وسمعتنا محاضرة من قبل ضابط كان يقول إن اسمه "بريكادير يوسف"، قال لنا: "ما عندنا معتقلات سياسيات، عندنا معتقلات جنائيات راح نفعدكم مع معتقلات إسرائيليات في شبهات دعارة" كانت هذه الكلمات، وقتها، أول مرة بسمعها في حياتي، شو دعارة؟ مش عارفة شو معناها، تمرق عليّ في بعض القصص لكن إيش معناها. كان واضح أنه عمّ يستخدم الواقع الاجتماعي بأننا كعرب مسلمين فيه عندنا مشكلة تخص مسألة الشرف، عمّ يلصق إلها، بمعنى أن المرأة الإسرائيلية تختلف عن وضع المرأة عندنا، هي مجندة في الجيش مثلاً، وهذا الموضوع بالنسبة لنا كان يدير تساؤلات، أو يعمل بدايات الوعي الاجتماعي والمقارنات. أما الاعتقال الثاني، كنت وقتها منتظمة في "الجبهة الديمقراطية"، مدفوعة بغضبي بسبب أحداث حريق الأقصى في 1968. وخلال عودتي من الأردن على

1 يشير ربما إلى نصب تذكارى لشهداء الجيش العراقي في منطقته جنين.

2 "التوجيهي" هو امتحان شهادة الثانوية العامة، في التعليم قبل الجامعي. تأتي بعد 12 عاماً من الدراسة في المدارس عشر سنوات من التعليم الأساسي بعضها سنان من التعليم الثانوي.

3 عبد المنعم رياض، رئيس الأركان في الجيش المصري، وخلال بفضه أحد المواقع المصدمة على الجبهة في اليوم التالي لعملية أسودفت خط بارليف ضمن عمليات حرب الاستنزاف، توفي بسبب استهداف القوات الإسرائيلية للموقع.

الجسر، كنت يحمل هيك بعض البيانات والمنشورات حول بعض العمليات الفدائية المقاومة، اعتقلت ثم وضعت قيد الإقامة الجبرية بالبيت لمدة شهرين، وبعدين أجوا أخدوني من البيت يحطوني بالسيارة الجيب بشنطتي إلى الجسر، وأبعدت للأردن في أواخر 1969. أبوي قال لي: "شوفي ربما كلها كمان سنة وراح ينسحبوا، الحال ما يبضلش على هذه الحال، الدول العربية ما بتسكت، وتكوني كسبتي تعليمك [بالأردن]، وأول ما تخلصي دراستك يكون انتهى هذا الكابوس، وترجعى". وهكذا درست بالأردن بحسب منحة تفوق أخذتها من قبل. وبعدها داومت سنة على الدراسة بالجامعة الأردنية، ثم انتقلت بسبب ظروف "اشتباكات أيلول" في 1970. اضطررت اطلع أكمل دراسة بجامعة دمشق، بناءً على نصيحة العائلة، وهناك تعرفت على شاب اسمه خالد، وربطتنا علاقة حب، وصار زوجي، ثم اغتيل بعد عشر سنين من الزواج بأثينا، لأنه كان يضطر للسفر للخارج عشان يلتقي في أوروبا بمجموعات لها علاقة بالمقاومة بالضفة الغربية لتسليم الفهمات، وفي واحدة من هذه السفارات تم اغتياله بـ 1986. بعد استشهاده، اتحط اسمي في النعي "ربما نزال"، وكذلك في البرقيات التضامنية. كلهم استخدموا اسم "نزال".... وهكذا صار الاسم.

رومانسية من نوع آخر

في دمشق دخلت الاتحاد العام لطلبة فلسطين، وأول عمل نقابي لي كان في هذا الاتحاد اللي كان من الاتحادات المهمة جداً في الثورة، لعبت دور كبير في تقطير الشباب الفلسطينيين، وفي العمل النقابي، في وفد المقاومة بمقاتلين. كنا ننظم طلبة الداخل اللي بيجوا يدرسوا بدمشق. مثلاً كنت في لجنة الكفاح المسلح، كان عندي رغبة في الخروج من العمل التقليدي اللي يستقطب النساء غالباً في الشؤون الاجتماعية. كنت هيك متأثرة بفكر متطرف أو ثوري أو روماني، بل كنت رومانية بشكل كثير كبير في هذا الموضوع. أصل أنا حبيت خالد لأنه كان في القطاع العسكري مش في السياسة، حبيت قميصه العسكري قبل ما أحبه، حبيت فكرة التضحية والتفاني، والعمل الثوري الصادق، اللي بيأثر على الاحتلال.

في سوريا أيضاً، انتسبت للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، وكان عندي مهمات تنظيمية في المخيمات القريبة من دمشق، مثلاً ما كانت تطرح القضايا الاجتماعية من زاوية المرأة ودورها، وخصوصية وضعها في المجتمع والمساواة والحقوق الديمقراطية، ربما لأننا في دولة مضيعة، بالتالي نضالنا الاجتماعي والديمقراطي ما كان يتوجه ليضغط على

النظام السوري إنه يعدل قوانين، لأن هذا مش شأننا، هذا شأن الحركات النسوية السورية، بالتالي كانت التوعية أكثرها سياسية [نضالية]، واجتماعية من منطلق الإنتاج، يعني حضانات للأطفال، وتعليم الصغار، والعمل الخيري، كانت هذه المصطلحات أكثر في العمل الاجتماعي. وفي المقابل اتحاد المرأة كان يبنسج علاقات خارجية، كانت الأمانة العامة شغلها الشاغل إنها تعمل شبكات، وتستنهض التضامن مع المرأة الفلسطينية من خلال المؤتمرات الخارجية، ما كنا نعد عن هذا الموضوع.

بعد استشهاد خالد رجعت على عمان حتى أكون بين العائلة، كان عندي ولد وبنت، ديما وغيث. وهناك استمرت بالعمل مع الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في عمان، ولكن عمل الاتحاد في عمان كان مختلف عنه بسوريا، لأن كانت فيه اتفاقيات ما بين الحكومة الأردنية والمجلس الوطني الفلسطيني بعدم العمل المنظم في الأردن، والعمل الجماهيري. بالتالي بالأردن ما كانت لنا أدوات تنظيمية كفلسطينيين إلى جانب الأحزاب الأردنية، إلا بحدود المخيم، في حين إن الفلسطينيين موجودين في كل المجتمع الأردني. كانت هذه اتفاقية مع الفلسطينية، ربما كانت فيه حساسيات في هذه الفترة، تحديداً قبل العام 1988 لقما صار التحول الديمقراطي⁵ في الأردن، واختلفت الأمور. قبلها كانت العلاقات الأردنية الفلسطينية فيها تحديات.

في الأردن واصلت عملي ضمن منظمة الجبهة الديمقراطية في الأردن، اللي هي برنامجها أردني فلسطيني، وكنت في الأطر الفلسطينية في اتحاد عام المرأة الفلسطينية. أيضاً اشتغلت في الصندوق القومي الفلسطيني⁶، اللي هو عملي الوظيفي. كنت أكثر انسجاماً مع البرنامج الفلسطيني من البرنامج الأردني. كنت مشدودة لكل إشي له علاقة بفلسطين.

صدمة وراء الأخرى

لقما حصلت أوسلو، سمح لي بالعودة للوطن، لأنني كنت عضو المجلس الوطني، وذلك لأسباب لها علاقة بعقد جلسة المجلس والموافقة على الاتفاقية... هكذا رجعت، كان إشي غريب، ومشاعر غريبة، قد إيش كنت فرحانة برجوعي بعد إبعاد قسري عن الوطن 27 سنة، مقابل غربة وجود الاحتلال في كل مكان، رغم أن اللي يقابلك على الجسر جندي أردني، واللي يطبع لك الأوراق فلسطيني، لكن الإسرائيلي هو اللي يعطي البذن الحقيقي، والوجود

5 بدأت خطوات هذا التحول في أواخر الثمانينات، ثم في 1992 ألغيت الأحكام العرفية، وسبب تبرعات تسمح بالعمل الحزبي، وخبرية النشر
6 الصندوق هو الدائرة المالية والرقابية لمنظمة التحرير الفلسطينية، تأسس في العام 1964.

4 اشتباكات بين الفصائل الفلسطينية المسلحة وقوات الجيش الأردني، انتهت بتدخل الرئيس المصري جمال عبد الناصر في ممة عربية طارئة أقيم في القاهرة، ثم جرى الانسحاب على خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن.

الفلسطيني شكلي تقريباً. لكن كان فيه أمل إنه ينطور، باعتبار إن أوصلو مرحلية، ومتدرجة.

قد إيش كانت فرحة أهلي وكانوا طالعين كلهم مع صاحباتي والرفاق على الجسر يستقبلوني. لكن بعد ما عبرت الجسر انكشفت طبيعة الاتفاق، صدمة وراء صدمة. كنت في حالة متناقضة داخلياً، مش قادرة أفرج، رغم كل الوسائل اللي بيعملوها أهلي. كان يوم غريب كثير. كانوا عاملين لي برنامج إنه أول ما يحدوني أدخل البلد ومناطق طوة فيها قبل وصولي بيتنا في طولكرم. بس كنت في حالة انفصام، إنها عودة غريبة، ومش طبيعية.

كان معروف شو الاتفاقية، وفيه معارضة لها من البعض، بس على الأرض كانت صدمة.

العالم صار أصغر

مثلاً كنت أشوف كل إشي صغير. الشارع اللي كنت أشوفه زمان -قبل 27 سنة من الإبعاد- شارع عريض هلا أراه ضيق كثير، لأن عنيا اعتادت على عواصم عربية ومدن أكبر، وفي ذهني إنه كانت البلد كبيرة. هيك كانت الجولة تذهلني. بعدين طلعت جنين، هناك بيت خالد، ومنه طلعت على نابلس، هناك جدودي وأساس عائلتي، كتاني. كنت ألتقي بالنساء مع بعض الوجوه الوطنية، أسمع تقييمهم للانتفاضة، بدأت هيك أنخرط بهذا الجو، والكلمات اللي كنت أسمعها، والتقييمات صدمتني، صرت أدخل في الواقع. أول صدمات كانت هي إني صرت أشوف الواقع كما هو، لأنني -قبل الجولة- مكنتش مستعدة أسمع أي انتقاد للانتفاضة، من كثر الرومانسية اللي عشناها باتجاه نظرتي للانتفاضة، إنها ظاهرة مقدسة وخالية من الأخطاء، وافتراضي تماسك المجتمع... هكذا صرت أشوف بعض الانتقادات اللي صارت في نهاية الانتفاضة، هيك نزلت من برج عالي، فيه عندي شوي أفكار رومانسية، واصطدمت بالواقع اللي هو فيه أخطاء وسلبات كثيرة. ومن الصدمات كانت الواقع الاجتماعي، خاصة العنف ضد المرأة، وأخذت وقت عقبال ما تأقلمت على سماع الأحاديث عن هذا العنف.

حرية فردية بشرط أن تكوني مناضلة

مثلاً شكّل النضال الفلسطيني النسوي فرصة للمرأة الفلسطينية حتى تفك قيودها الاجتماعية، ولكن مش بالمعنى العام، بالمعنى الخاص، يعني تتحرر من تلك القيود مناضلة اعتقلت أو أخرى أبعدت، أو غيرها سلطت عليها أضواء إعلامية لمناضلة، بهذه الطريقة. وها دا سببه أن فيه تقسيم عمل عندنا الرجال للعمل العام، والنساء في الحيز الخاص. لكن انتقال بعض النساء من الحيز الخاص

للعام جرى بحدود معينة، لها علاقة بدور المرأة نفسها، لها علاقة بإقرار المجتمع بدورها المختلف. مثلاً أنا بكير كنت مناضلة، وفي النضال ممكن الأهل يمنعوا، لكن بعد فترة بيستسلموا، ويتأخذ المرأة شرعية نضالها، تحديدًا بعد محطات معينة يسلم الأهل بحرية البنات. أمي لما إخواني يسألوها ليش ربما تسمح لي لها، تقول: "ربما غير"، غير ما تعرفني شو، بس إنه نضالي سمح لي بحرية تأخري براحتي دون مضايقة أو تقييد. وبالمثل كثير من البنات في الريف والمخيمات، أخذوا شرعية لنضالهن بعد محطات كيف المجتمع صار ينظر لهن كقائدات، لذا بطلوا يحكو عن التأخر في الليل مثلاً مع هؤلاء المناضلات. كل النساء في فلسطين أخذوا شرعية تخص النضال، بس الفردي ما أخذوا الشرعية الجماعية.

من "أوصلو" لحد الآن كان النضال الوطني مع النضال الاجتماعي يدفعوا بعضهم لبعض، بقدر ما تقدم المرأة بالبعد الوطني، ومشاركتها في النضال الوطني، تحقق مكاسب اجتماعية. بقدر تحقيقها مكاسب اجتماعية، يكون عندها حرية واستقلالية للمساهمة في النضال الوطني. هما خطين مرتبطين باستمرار، عشان هيك برنامجنا النسوي، هو ازدواجية النضال التحرري والنضال الاجتماعي التحرري. هذه هي أصل الرواية الفلسطينية للنضال، سواء كانت منظمة تشتغل لأسباب صحية، أو ثقافية، أو إعلامية، أو كمان حقوقية. مهما صغرت الجمعية تضل تحط محور وطني ممكن يكون له علاقة بالتضامن مع الشهداء أو الأسرى، وإذا كانت مؤسسة صحية بتقول مثلاً إن الاحتلال أثر على تراجع الوضع الصحي.

مثلاً لا تزال القوانين الأردنية سارية في الضفة، والقوانين المصرية سارية في غزة، ومنها القوانين المرتبطة بقضايا وحقوق المرأة. والقوى السلفية والمتطرفة والأيديولوجية مثلاً بدها تفرض سيطرتها ووجودها من خلال أنها توقف حقوق المرأة. بالإضافة إلى تأخير السلطة أو أصحاب القرار، سواء في السلطة الفلسطينية أو منظمة التحرير، إقرار تعديلات أو قوانين بحجة "الأولويات"، لكنهم ما فاهمين إن التأخر بهذا الملف عمال يولد صراع واحتقان، ما بين الأطراف المتصارعة والمختلفة.

زهيرة كمال: أكره الظلم الذي تعانيه نساؤنا وعلينا إنهاء أسبابه

زهيرة كمال، مواليد 1945 في القدس، أدت دورًا بارزًا في الحركة النسوية الفلسطينية، عبر التأسيس والمشاركة في مبادرات عدة تحسّن من أوضاع المرأة الفلسطينية، سواء بالعمل على القوانين المرتبطة بتلك الأوضاع أم نشر أفكار تزيد من الوعي النسوي وقضايا النوع الاجتماعي، ولم تكف بنشر هذه الأفكار عبر نشاط المجتمع المدني، بل انخرطت في دوائر الحكومة الفلسطينية، لتدرب موظفيها وقياداتها على النوع الاجتماعي، حتى صارت وزيرة لشؤون المرأة (2003-2006). حول هذه الأفكار الجندرية كانت شهادة زهيرة المعتمدة على مقابلة جرت معها في السابع من تشرين الأول/أكتوبر 2020.

البحث عن جاز

أنا زهيرة كمال من مواليد القدس، في تاريخ له وقعه به 14 تموز/يوليو 1945 التي هو سقوط الباستيل، التي كان بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، كانت فلسطين في وضع فلاق، ثورة، وصراع مع الصهيونية، والانتداب البريطاني. والدي هو أحمد بدوي كمال، مولود في 1904، تعلّم بالكلية العربية، كان درس دار معلمين، تربية. درس رياضيات وعلوم دينية، واشتغل في التعليم أيام الانتداب البريطاني، وقتها كانت القرية التي أهلها بينوا مدرسة، وعندها استعداد لتوفير سكن للمعلم، بريطانيا بتعيّن المعلم بهذه المدرسة، وبدأ والدي حياته كمعلم في سلواد التي كانت من أوائل القرى الفلسطينية التي بنت مدارس. بعدها تنقل في محلات إلى إن وصل للقدس في مدارس العمارة والرشيديّة وعبد الله بن الحسين. والدتي هي تركية بالأساس، أهلها جم من تركيا لحيفا، اسمها فخريّة خلوصي، هي مولودة في 10 تشرين الأول/أكتوبر 1926، فيه 22 سنة فاصلة بين الوالد والوالدة.

أبوها كان شغال محامي وعيّن مدير ميناء حيفا، وعمها كان مدير الأوقاف الإسلامية في القدس. توفي أبوها وهي

صغيرة، وكانت في كنف عمها التي ساكن في البقعة، وعن طريق صديق عرّفوا الوالد على والدة، واحدة بالنسبة لها يتيمة وعابشة عند دار عمها، وجاء لها واحد مقدسي ومتعلم، هذا خلاها توافق على الزواج وتزوجوا في 1944، وأنا جيت بعدها بسنة، وخلال 15 سنة جابت أمي عشر أولاد؛ ست بنات وأربعة ذكور، لكن فيه ذكّرين توفوا قبل أو عندما صاروا قريبي السنة. ولّ مرة شعرنا إنه الوالد كان بيتضايق أو والدة بيتضايقوا إذا جاءهم بنت. مثلاً عمتي كانت تقول لأبوي لِمَا تيجي بنت: "جاءت معينة أبوها"، وكان هو يحمد الله، والحياة تمشي.

ومشيت بالمدرسة. وفي الصف الخامس كنت في مدرسة بالشّيخ جراح، وبذكر وقتها صارت مظاهرات، وهذه يمكن كانت بداية الوعي السياسي، أو تساؤلي عن إيش عمّ يجري. صارت مظاهرة جنبنا الفنصليات البريطانية والتركبة والفرنسية، وفي هذا الحي كانت المدرسة وقتها، وروحت اتفرج، وسمعتهم يقولوا: "بدّنا جاز عشان ينحرق العلم البريطاني"، أنا في هذا الوقت كنت متخيلة إنني بسرعة بقدر آجي البيت وأجيب جاز وأروح أودي لهم إياه، اعتبرت حالي أقرب حدا للموقع. جيت على البيت بدّي جاز، والغريب إن الوالد أعطاني قنينة صغيرة، وما قال لي: "وين رايحة أو ليش الجاز؟" قلت لهم بدّهم يحرقوا العلم البريطاني. طلعت اركض، وما وصلت هناك إلّا كان العلم البريطاني محروق وأطلقوا الرصاص على اللي حرّقه، كانت هذه الصدمة بالنسبة لي. وشكّل تساؤلات عديدة، كان بدّي أفهم شو اللي عمّال بيصير، وهذا فتح عندي وعي أكثر.

في الصف الأول إعدادي، اللي هو السابع في هذه المرحلة، كان فيه حملة اعتقالات للشيوخيين، وكان طارق العسلي، يعقوب زيادين، وغيره، مربوطين على شجرة في المدرسة الرشيدية، وجابونا نشوف إيش مصير الناس اللي بتكون بالأحزاب الشيوعية. هذه الحادثة كثير هزتني.

بأول ثانوي كانت فيه مظاهرات كثيرة، بذكر إسرائيل كانت تعتدي على بعض القرى الحدودية وتقتل ناس. كان فيه مطالبة من الشعب الفلسطيني تصير مواجهة لهذا الموضوع. كانت المظاهرات كثيرة في ذلك الوقت، وكنت يشارك فيها.

في هذه الفترة انتسبت لحركة القوميين العرب، لأن عمري كان صغير كصديقة للحركة. واتحطت أسماننا على القائمة السوداء، ومكنتش القائمة تعني شي كبير بالنسبة لي، إلّا لِمَا قربت أروح على الجامعة.

هنا أنا بالمدرسة بـ1962، طلبت من والدي إنني أروح مدرسة

فيها توجيهي مصري، حتى أدرس في مصر، فقال: "جربي إنب شوفي" الإبراهيمية" كانت تعمل دراسة مسائية للتوجيهي المصري، وها أنت في مدرسة "المؤمنية" الصبح توجيهي أردني". وطلبت بالمدرستين حتى جاءت الامتحانات، وحصل تضارب امتحان اللغة العربية بالتوجيه الأردني مع امتحان الرياضيات المصري، وبالتالي اخترت أقدم للتوجيهي المصري.

الطريق إلى مصر

في هذه الفترة كان تقاعد والدي، فقد مصدر رزق أساسي كان موجود له، وصار الدخل الذي يعتمد عليه التقاعد الإنجليزي (شغله السابق). كان صار له 41 سنة بالتعليم، لكن ما أنهى 15 سنة مع الحكومة الأردنية، كان باقي له تسع أشهر حتى يوصل لـ 15 سنة. أصابته قرحة معدة، ونقل للمستشفى، وقضى مدة هناك، وكان لازم يقضي فترة بالبيت تحت الرعاية الصحية. وأنا صار عندي قلق كبير من ناحية على الوالد، ومن ناحية على مستقبلتي التعليمي. الوالد كان مواعديني إنه راح يوديني على مصر أتعلم، وأنا واثقة إنه عمره ما كان بيخلف مواعيده، هون كانت المشكلة الكبيرة بالنسبة لي، ما فيه دخل للأسرة كبير لاروح أدرس. ووالدي كان صديقه ربحي العارف، مسؤول عن البعثة الكويتية التي بتجي بشأن مقابلة المعلمين التي بدهم يعلموا بالكويت، ونصحوه أصدقائه إنه يحكي مع العارف حتى يعين زهيرة بالكويت. هذا ما كان مقبول عندي نهائياً، بعدين قولت أنا خلاص مش راح أكل إلا لقا توعديني إنه بدّي نروح على مصر أدرس (مكنتش أعرف إن هذا اسمه إضراب عن الطعام في ذلك الوقت)، الوالد قال لي: "خلاص أوعدك بس لازم أروق أنا، وبعدين راح أأخذك على مصر". فعلاً سافرنا بأخر شهر تشرين الأول/أكتوبر على مصر، بذكر إننا نزلنا بشارع سليمان باشا بفندق هناك، ومعرفتش أنام كذا يوم لأنه ضجة الشارع متهداش. لجاء ليّ القبول في طب أسبوط. أنا أسبوط شو يعرف عنها، صعيد مصر، وشو نعرف عن الصعايدة ولا أي شي، معلوماتنا كتير ضعيفة حتى هي بمجال التنكيث، رفضنا. ثم جاء ليّ زراعة عين شمس، شو بدّي أدرس في الزراعة، لا عندنا أرض، ولا عندنا حيوانات تربّيها، ولّا إحنا مزارعين. جاء لي بعدين علوم عين شمس، بكلية نبات عين شمس، فيزياء وكيمياء. هذه كانت علوم طبيعية اسمها، يعني تطلعي تشتغلي في مصانع، وهذه كتير اتبسّطت عليها وجيبت الدراسة للأمانة. إحنا شو كُنا صرنا بنصف شهر 11، أكثر من نصف الشهر الأول راح، ما كان كتير معوّل إنه ممكن تعدي السنة، بس الوالد كان مشجع إنه مش مشكلة تبقي بمصر وتدرسي على الأقل الفصل الثاني، يروح

الفصل الأول وتدرسي الثاني، بس كان لازم أعيد السنة. عدت السنة وطلعت على سنة ثانية، وكنت حاملة معايا مادة من سنة أولى، اللي هي الأحياء. في السنة الثانية نجحت بس سقطت في الأحياء، وممنوع تطلعي لسنة ثالثة وأنت حاملة مادة من سنة أولى. مع إنه أنا مش راح أدرس أحياء، بعدين بالمرة، مادة مش راح أدرسها خلاص، مادة درستها في سنة أولى وما راح أدرسها بعدين، لكن كان هيك النظام. أنا كانت صدمة كبيرة، قلت للوالد خلاص أنا ما أستاهل أكمل، احكي مع صاحبك العارف أروح على الكويت أشغل. لكن الوالد أكثر شي بيكرهه اللي ينسحب من أول هزيمة، ما يحب المستسلمين. قال لي: "بذكّ تتعلمي ما في شي ثاني، بذكّ تخلصي دراسة". قعدت أأخكي له إنني بدّي أقضي سنة مش عندي شي أعمله، قال لي: "مش مشكلة، تروحي تمثنيها وتنجحي وبعدين يخلق الله ما تعلمون". والله روحت كانت هذه الفرصة الذهبية بالنسبة ليّ، مفيش عليّ شي، وبتعرف على مصر، ما خليت محل، ما في زقة في القاهرة ما تعرفت عليها. روحت انتسبت لنادي القصة، بسمع كُتاب يقرأوا قصص، يناقشوها، وهون استمتعت فيها. روحت المسرح القومي، والمسرح الحديث. كان المسرح الحديث بيعمل مسرحيات عالمية، والمسرح القومي بيقدّم المسرحيات المصرية، كنت أروح المسارح وأتفرج. ودخلت في نادي السينما اللي كان تابع للجامعة الأمريكية. بشترّي كتب. هناك دخلت بموضوع الاشتراكية، والنسوية، وقرأت لنوال السعداوي وكُتبتها. كنت أنا في هذا الوقت ملتحة بحركة القوميين العرب، وباتحاد طلاب فلسطين، وبالتالي عمّ أنشط سياسياً، كانت سنة كتير مهمة بحياتي. وعلمتني إن الواحد يتعلم من الأخطاء بتاعته كتير، كيف الواحد يتعلم ويستفيد من الوقت اللي موجود فيه. في سنة ثالثة كنت عاملة جهد كتير كبير، ونجحت بتقدير، لكن صارت حرب 1967 اللي ما قدرنا نرجع فيها، وأنا كتير من الرفاق والزملء في هذا الوقت الفلسطينيين من النساء والرجال تركوا الدراسة والتحقوا بالثورة، سافروا إلى الأردن ليكونوا ضمن الفدائيين الفلسطينيين. لكن كان صعب عليّ أخذ قرار من هذا النوع، لأنني واعدة الوالد إنه بدّي أخلص الجامعة، يعني ما فيه مجال، قلت أول شي بدّي أخلص الجامعة. وفعلاً تخرجت بتقدير، وجاءني تصريح في 17 تموز/يوليو ولمدة شهر. دخلت من الأردن لفلسطين كان شي صعب جدّاً، أخذتني بالبط 24 ساعة كنت على الجسر، كانوا حاطين باصات اللي بنقدم فيها أوراقتنا، كل ما أطلع درجة الباص يسألني: "عندك ولد؟" أقول له لا، انزل. قال يعني هو كتير حنين على اللي عندهم أولاد، يطلعوا اللي عندهم أولاد بالأول، وعلى هذا الحال وأنا كان معايا أختي،

وضع صعب جداً. ووضع البنات صدمني من الأول، البنات مثلاً جابية معدلات فوق الثمانين والتسعين، وتجي على المعهد معلمات، تقولي لها إنني ممكن تروحني على أي جامعة وتدرسي هندسة أو طب، نقول لك: "هذا لأخوي" يعني البنات يكون وضعها بالمعهد تدرس سنتين عشان تروح تشتغل كام سنة، أو لَمَّا بتيجي على المعهد وهي يا دويك بالسنة الأولى يخطبوها ويكتبوا كتابها عشان اسمها ينتقل لعائلة الزوج، ويحفظ المكان بتاع العائلة لأختها وراءها. لأن ما يصير شي اثنين من نفس العائلة يدرسوا في المعهد، بيكونوا نقولها لعائلة ثانية، والمكان مُحْتَظ للبنات الثانية، وهذا ظلم كبير للبنات، كأنه يُفرض عليها الزواج. المسألة الثانية حياتهم بالبيت، أسر كبيرة العدد. مطبوط أنا الأسرة عددها كبير، لكن كمان أكثر العدد، وها دول أصغر شوي، بتلحق العائلة 12 و13 و14 وفي الغالب بتكون الأم عم بتجيب بنات، ولازم تضلها تخلف عشان يجي الولد.

في بداية السبعينات شاركت بالعمل التطوعي، مثلاً ناس يتطوعوا يروحوا قرى بموسم الزيتون، يقطعوه، أو بينضفوا المقابر، أو بني سور لمدرسة، بالإضافة إلى مساعدة الشباب الصغار في التعليم؛ الفيزياء أو الرياضيات أو الكيمياء أو الإنجليزي، هذه المواد اللي أكثر شي فيها صعوبة.

بـ 1975 كنت بالجبهة الديمقراطية، في هذا الوقت العلاقة السياسية بتكون عن "طريق الخيط"، يعني واحد لواحد، وكله متصل بالمركز مع الأردن أو سوريا أو لبنان، حسب.

هذا كان متعب وما يقدرش يكون يعمل شي منظم تبنيه في البلد، ولما واحد من خيط يعتقل كل الخيط يفلت في هذا الموضوع. طلب مني أجمع هذه الخيوط وتبدأ نشكل هيئات حزبية، بدأت أنا أزور الأشخاص واحد واحد، وتجميها، شكلنا ما يُسمى بـ "القيادة المركزية" اللي كنت أنا مسؤولة عنها. تم تشكيل هيئات حزبية، بدءاً من الخلية المحلية إلى المنطقة. هذا ساعد بتنظيم حالنا كجبهة ديمقراطية، وكان فيه لنا دور وصوت، وبدأنا بالعمل النقابي والاجتماعي.

على هامش زيارة السادات للقدس

بـ 1977 جاء السادات على القدس، وكانت كامب ديفيد وجاء على القدس، واحنا كنا ضد كامب ديفيد، و ضد زيارته للقدس، وطلعنا مظاهرات كبيرة في هذا الوقت، واعتقلت اعتقال إداري ست شهور.

فتشوا البيت ولخطبوا الدنيا على بعضها، المكتبة ما خلوا ورقة إلا لما طلعوا فيها، وحملوا معهم بعض الكتب والأوراق، وكنا في حينها بنجيب بعض المجلات زي الحرية

عبيدة، طلعت على عمان عشان ندخل أنا وياها. المهم بعد جهد جهيد وصلت، جيت على البلد، وأخذت قرار من هذا الوقت إنه لا يمكن أطلع. مع إنه احتياطاً، كنت قدمت لطلب بالأردن عشان اشتغل. كانت وزارة التجارة والصناعة عاملة زي مختبر من أجل المواصفات بتاعت المواد اللي هتستوردها أو تصدّرها، وهذا هو كان مجال العمل بتاعي. بعدين عرفت إنه جاني موافقة على العمل، ولكن صعوبة الوضع إنه أنا أترك البلد وبعدين يمكن ما ارجعش كانت هذه بالنسبة لي مستحيلة. لذا بدأت البحث عن عمل هون من أول ما وصلت، قدمت لوكالة الغوث، على أساس إن كانت أختي، عبيدة، تعرف أستاذ خليل سلامة اللي كان هو مدير التعليم بوكالة الغوث. قال لنا كون إنني دارسة فيزياء وكيمياء هذا سهل، وكان فيه معهد الطيرة، هن بحاجة إلى معلمة، لأن المعلمة هاجرت إلى أمريكا وكان بدهم واحدة بدالها. بداية أيلول/سبتمبر جاء لي تعيين على أساس إنني أبقي مدرسة لمدة شهرين أو ما يقارب هذا الوقت بمدرسة بالقدس، وبعلم رياضيات وعلوم، بعدين بس تفتح "الطيرة" بروج اشتغل هناك، وبآخر تشرين الأول/أكتوبر روح وصار شغلي بها المدرسة كأنها مؤسسة أمم متحدة وهذا ساعدني أحصل على لم الشمل. وحصلت عليه بعد شهرين أو ثلاثة، لكن كان محطوط على الوثيقة "ممنوع مغادرة البلاد"، وخلص كانت بالنسبة لي مفيش مشكلة عدم مغادرة البلاد.

اكتشاف المخيم

التدريس في الطيرة، هلا هي معهد معلمات للتأهيل المهني للبنات، باخد بس بنات لاجئين، باستثناء عشر بنات من الرملة، وخمس بنات من القدس، ها الـ15 هما مش لاجئين، لأن بلدية الرملة تبرعت بالأرض لصالح الوكالة عشان يُقام عليها مبنى المدرسة، كان بالمقابل هما باخدوا البنات العشرة تدرس، واختارنا للقدس أعطوها خمس بنات زيادة مش لاجئين، أما الباقي كله لاجئات.

وقتها كنت ولّ مرة زرت مخيم، بعرف إنه فيه مخيمات، بس ولّ مرة دخلت واحد أو بعرف حياة الناس فيه. لكن بسبب شغلي في "الطيرة" دخلت مخيمات؛ كان فيه عندنا شي اسمه "مراقبة الطالبات في تدريب بمدارس مضيفة"، اللي هي مناطق سكن الطالبات، وطبعاً بدها تكون بالمخيمات، كُنا نروح نشرف على طالباتنا، وخلال إشرافنا تعرّفنا على كرم الإنسان الفلسطيني لَمَّا بنروح على مدرسة في مخيم، الطالبة تقول: "يا مس عشان الله تعالى عندنا على البيت وزورينا أنا حكيت لأهلي عنك، واشربي معانا فنجان قهوة"، هذا الجو. كُنا نروح على البيت، هذا صدمني، الحياة في المخيم قاسية مفيش خدمات، مفيش مصارف،

أو الهدف من الجامعة العربية، وبتصور المقالات اللي بدنا إياها. هما من كله لملموها واخدوها، كان في أشياء عن منظمة التحرير لموها، أنا قلت أنا واحدة متعلمة وبعلم، ومثقة، بالتالي شيء طبيعي جدًا إنه أنا أقرأ هذه المقالات، وإذا كانت مصنوعة ليش حطينها في الجامعة وتسمحو إننا نصورها ونستعيرها، بالتالي أنا ما أتحمل المسؤولية. وأخذوني بسيارة الشرطة، وبدأوا من بيت البيت يلّموا أشخاص، بدهم يوهمو الآخرين بإنني دليتهم على بيوتهم، لكن مجرد ما كانوا يدخلوا على السيارة كآني ما أعرفهم ولا أطلع بحدا، ولا أحكي مع حدا، ولما وصلنا للمسكوبية كمان أي حدا أنا شوفته أنا ما يعرف حدا. وكل ما سألوني عن حدا، أقول إنني ما يعرفه، أنا واحدة ناشطة، إذا كان هذا هو موجود في أي مؤسسة من المؤسسات اللي يشتغل فيها، سواء نادي الموظفين، نادي الخريجين، اتحاد معلمين، إلى آخره، ماشي الحال ممكن.

وأنا بالمعتقل جّم قالوا لي: "زهيرة فيه إلك زيارة"، أنا مش يوم زيارة، خفت في الأول ليكون في حدا من الأهل صار له شيء، قلت لهم من أهلي، قالوا لي "لا في واحد أجنبي". قلت يمكن محامي أو صحفي، طلعت لقيت المفوض العام لوكالة الغوث جاي من جنيف، كان مريض واثنين ممرضات ماسكينه من إيديه. سلمت عليه، سألني إيش بدك زهيرة في شيء بدك تطليه خاص، قلت له أنا بعرف إن احنا موقعين على ورقة إنه لا نعمل بالسياسة، بس أنا بدني أقول لك إنه أنا قرأت التقرير اللي أنت عملته وعجبني كثير، وأنت حكيت عن الاحتلال بشكل ممتاز، فإذا أنت الأجنبي كتبت بهذه الطريقة إيش تتوقع مني أنا إنني أعمل. أنا عشان هيك بطلب منك شيء واحد إنني ما أنفصل من الشغل، أنا عندي عائلة كبيرة، أنا المعيل الوحيد لهذه العائلة وأرجو إنني أضل بعلمي، وقال لي مش راح تفصلك. هذه كانت بالنسبة لي أحسن هدية في حياتي، لأنها ساعدتني أقوم بواجبي اتجاه إخوتي.

حطوني في البداية مع الجنائيات الإسرائيلية، وهذا كان كثير سيئ لأنه ليلة السبت يكون في كثير اعتقالات متعددة، ويكون فيها حالات اغتصاب، أو حالات بنات ليل، يكون فيه مدمنات. إزعاج كبير، وأوقات كثير الشرطة بتكون حاملة جنزير وتجيي بدّها تضرب السجينات فيه. أنا حتى ها دول وأنا أتعارض معاهن، لكن كنت أرفض إنهم يضربوهن بالجنزير، على قاعدة إنتوا مسؤولين عن هذا الوضع اللي صاير عليهم. هذا خلّى ها دول البنات، أنا كنت بخاف منهم كثير، ولكن دفاعي عنهم خلاهم ياخدوا موقف ما يقربوا عليّ، لأن كمان هن عنيفات جدًا يكونوا، هيك أنا شوي حميت حالي. يوم أنا بذكر بالتحقيق كنت دائمًا ساكنة وما أحكي، أمسك دبوس وادنيه، وأعدّ أعداد

البطاط، وأعمل قصص بعقلي، ومسمعش إيش بحكي حتى، أوقات متجاهلته تمامًا. يوم عمّ يقول لي "إنت بين عليكي مبسوسة بهذه القعدة، عمالة راضية ومش عارفة شو الناس تحكي عنك برّه، وبصيروا يقولوا إنت ش...". هو قالها الكلمة، قلت له: لا، أنا بتعلم. قال لي: "شو اللي بتتعليمه؟"، قلت له إحنا الفلسطينيين بنقول السجن مدرسة، وأنا عمّ بتعلم، اتعلمت أشياء كثيرة من وجودي بالسجن. قال لي: "شو اللي تعلمت فيه؟"، قلت له تعلمت إن هذا المجتمع الإسرائيلي مصيره الانهيار، "إيش؟" قلت له إن اللي بتجبهوم ليّ كل ليلة ها دول ناس بدل ما تمشي لقدام بتمشي للوراء، الدم يكون نازل منها، سبعة مغتصبيها ورا بعضهم، إدمان، واللي خلاها تدمن واحد كبير بالسجن أو إنها غلطت غلطة وأهلها طرحوها من البيت صارت هيك. مجتمع منحلّ، إحنا الفلسطينية بعد شوي راح نشوف هذه الدولة تنهار منها لحالها. فهو وقف، ونادي شرطي قال له: "خدها وودّيتها على غرفة خمسة، خليها تاخذ أغراضها".

نقلوني على غرفة كان فيها مجموعة فيها عطايف يوسف، ونادية الخياط، وحنان مسيح. وهذه كانت بالنسبة ليّ شيء ممتاز. بعد شهر ونصف، نقلوني على سجن الرملة، ورفضت اشتغل، لأنه اعتبرته إنه أنا "إداري" والمفروض ست شهوور وأطلع، لكن كنت يادية كمان معاملات من أجل استئناف ورفع قضية إنه ما في عليّ شيء، وما فيه تهمة، ولازم أطلع من السجن. كان المحامي بتاعي إبراهيم أبو عطا، وحاولوا هما يساوموه إنه أنا أمضي ست شهوور وبعدين ما يحددوا ليّ، لكن أنا رفضت إنه أنا من حقي لو بطلع قبلي بيوم من حقي إن أنتفس الحرية ولا قبلي بيوم. بالتالي طلعت.

الثقافة اللي بنيناها قبل ما نعتقل، وأنا بتصور كل إنسان بدّه يكون بالعمل السياسي لازم ياخذ هذا الموضوع. واحدة من الأشياء إنه من حقا لا تتكلم، وهذه كانت بالنسبة ليّ مهمة جدًا، لأنه كل ما بتحكي بتغلطي وهذا اللي سمعناه من عدد من المعتقلات لما نسمع تجربتهم. مجرد ما تحكي الجمل كمان لما تكون طويلة فيها نقطة اللي ممكن يستخدمها المحقق ضدك ويعتلك. النقطة الثانية، إنه أوقات ممكن يهددك بأنه هو راح يعتدي عليك جنسيًا، أول شيء بدّه يكون عندك قناعة إن هو مش راجب فيكي جنسيًا، مش ها القد إنت متيرة وهو بدّه ياخذك، هو بدّه يعذبك، وبدّه يستخدم هذا الموضوع ضدك، هون كونك امرأة وكون عندك ثقافة في هذا الموضوع، لما تقولي له أنت شو راح تستفيد أنا مش مشكلة بشلح أوعيا، بس أنت مش راح تستفيد شيء، أنا ما في عندي أحكي لك إياه، هون هو ييشوف إن الموضوع مش كثير مؤثر عليك. لما

يبدأ يسبك بالفاظ وينعتك بالفاظ سيئة، أو سلبية، كمان يشوفك إن أنت مش مكترثة بهذا الموضوع. بيهددك بأهلك، مثلاً إذا قال لي: "أمك قاعدة تبكي بزه"، قلت له كل الأمهات بتبكي هي أمي بس اللي بتبكي، خليها تبكي. أو لو قال لي: "ألف عين تبكي، وآل عين أمي تبكي"، أقول له ليس عين أمي هي أحسن من عيون الناس خليها تبكي زيها زيهم، مع إنني جوايا مقهورة، لكن ما بدّي اخلي يعرف إن هذه نقطة ضعفي، لأنه ممكن يستخدمها ضدي، خليها أمي زيها زي باقي الناس في هذا الموضوع.

ألا تترك أثراً

بالمعتقل كانت بربجيت، هي ألمانية، كانت مع صديق لها اللي قاموا بعملية عنتيبي²، خطف الطائرة، وهما اعتقلوها وعذبوها وحلقوا لها شعرها، لكن عندها تجربة كثير رائعة، مثلاً حطوا لها لأميرات في قلب الغرفة عشان يشوفوا شو اللي بتعمله، وهي كانت في كل مرة بتعلك الخبز، ولعل محل تشوف فيه نقطة مبيّنة تعتقد إن هذه ممكن تكون كاميرا تلتزق عليها الخبز المعجون بتمها، بالتالي تمنعهم من مراقبتها. مثلاً واحد من الأشياء اللي تعلمتها منها، إنه إذا كنت بذك تشتغلي بالسياسة لا تتركي أثراً. شربتني في محل فنجان قهوة، امسحي بالكليوكس داير الفنجان، عشان بصمة تمنا تطلع، امسحيتها داير بإيديكي إنها تطلع بصماتها. ما تتركي ورقة وأنت طالعة، حتى لو روحتي على المقبرة ما تخلي شيء من أثرك بيّس فيها. هذه كمان أنا تعلمتها بشكل كبير، إنه أنا اعتقلت بعد هذا الاعتقال يمكن خمس مرات، وتفتش بيتي خمس مرات، ولم يعثروا على قصاصة ورق. هذا شيء مهم وبيخيليني براحة نفسية أكثر، إنه لما يدهم يحققوا معايا بقدر إنني أقول أنا ما عندي شيء، ما يعرف شيء.

في 1978 شكّلنا اتحاد العمل النسائي، لأننا شُفنا إن النساء في القرى والمخيمات ما بتلتحق بأي عمل يكون مختلط، به ذكور وإناث، ممكن يجيو لنا القهوة، ممكن يعملوا لنا الأكل بتاع الغدا، لكن مش مشاركة في العمل. هذا خلاّنا تفكر بمساعدة عدد من الرفاق في الجبهة الديمقراطية، إننا نستلهم تجربة الدول الاشتراكية بتشكيل الأطر الجماهيرية. وجرى تشكيل أول إطار نسوي داخل اتحاد العمل النسائي،

واللي كان بأول اجتماع له في آذار/مارس 1978 ببلدية الرملة، واللي شاركت فيه 25 امرأة في هذا الوقت. لكن في غضون عام صار عدد أعضاء اتحاد العمل النسائي ثلاثة آلاف عضوة، وهون الأطر النسائية تختلف عن الجمعيات، لأن في الأطر صرنا ننقل للقرى، ونتعرّف على احتياجات النساء، ونعرف إيش الأشياء اللي نشعر إن النساء محتاجها، يعطونا أثر من شيء نحاول نشوف الأولوية برفع الأيدي. وصار فيه عندنا مواقع متعددة، بعض القرى كانت تطلب رياضة أطفال، بعضها خياطة، بعضها قص شعر وتجميل، البعض الآخر صناعات غذائية. صار عندنا 37 روضة أطفال، وصار عندنا صناعات غذائية، عملنا مصنع للبسكوت في غزة. كان في عدد من المحلات اللي بتعمل فيها خبز، وعملنا كثير خياطة، علمنا محو الأمية في كثير من المواقع، عملنا إرشادات صحية. بالتالي كان فيه العديد من الأنشطة، كل قرية، كل مدينة، الأحياء الفقيرة في المدن. كل واحد كان حسب إيش الحاجة الموجودة، ومكناش إحنا ما نكون مكان ها دول الناس بالعمل، لكنّا ندرهم أول شيء، لازم ينتخبوا هما عن حالهم هيئة لمتابعة هذه الوحدة، مجموعة الوحدات الموجودة. إذا كان في القرية في أكثر من وحدة، وإذا في قرى متقاربة لبعضها لبعض كنّا نعمل لجان فرعية، وبعدين في لجنة منطقية، ولجنة المدينة، ونشكل منهم بعدين جميعاً ننتخب لجنة عليا للعمل النسائي، ثم مكتب تنفيذي. عملنا طريقة للتعامل مع ها دول الناس، وتعطي الناس في المواقع الحرة في كيف هما كمان يشتغلوا.

ب1980 كمان النساء في الأحزاب المختلفة شكّلت أطرها المختلفة، وفيه جزء ترك اتحاد العمل النسائي ليشكل إطاره، وصارت عندنا أربع أطر نسائية في الثمانينات.

مع هذا كنّا عاملين لجنة تنسيقية لهذه الأطر. وفيه لجنة اتحاد العمل النسائي عشان نعوض العدد كمان اللي راح منّا، عملنا بما يسمى بالحملة الاشتراكية لزيادة عضوية اتحاد العمل النسائي. في 1986 كان فيه عندنا ستة آلاف عضوة موجودة في اتحاد العمل النسائي. هذا كان له أهمية كبيرة لما صارت الانتفاضة، شُفنا إن النساء كانوا همّا المشاركات الفاعلات في الانتفاضة، في تنظيم العمل، أو المشاركة في كل اللجان، لجان الأحياء أو اللجان الشعبية أو الصحية أو الاجتماعية أو التعليم الشعبي، كله كانت النساء موجودة بقوة في هذا العمل. بالإضافة إلى المظاهرات والمسيرات.

مثلاً أنا بكره الظلم، مقدرش أشوف حدا مظلوم، خاصة الظلم اللي بتعاني منه النساء، أنا يمكن في أسرتي ما عانيت هذا الشيء. الوالد والوالدة بيعاملونا بمساواة أنا وأخوتي وأخواتي ما في حدا يتعدى على حدا، مفيش

2 في حزيران/يونيو 1976 اختطف فلسطينيون (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) وبعض الألمان البسارس طائرة ركاب فرنسية، خلال رحلتها من تل أبيب إلى باريس، وذلك خلال هبوطها في أثينا، وأرغموا طاقم الطائرة على الهبوط في عنتيبي قرب العاصمة اللاونغية، وذلك بعد توقفها في ليبيا. وفي أوتينا أطلق الخاطفون -الذين قدر عددهم بسبعة- سراح أغلب ركاب الطائرة عدا الاسرائيليين الذين احتجزوا كرهائن (عددهم 103)، وطالبوا بالامراج عن سجناء فلسطينيين، وبدلاً من الاستجابة لمطالب الخاطفين كلف إسرائيل موه من الكوماندوز بعملية عنتيبي التي أدت في 4 تموز/ يوليو إلى مقتل الخاطفين وثلاثة من الرهائن، وتحرير بقيةهم. وخلال هذه العملية قتل جوناثان نينياهو (شقيق رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق).

الولد له أفضلية على البنت. لكن إنا شعب مظلوم كثير، والنساء في وطننا مظلومين كثير، أنا بكره الظلم وبسعى من أجل إنهنه. الشي الثاني الحب للحرية، أنا ما قدرش حدا يقول لي وين رايحة، أنا اخترافاً لأمي بس كنت أقول لها أنا طالعة على الرملة، وين، محدش بيسألني وين، رايحة على الرملة، رايحة على بيت لحم، رايحة على أريحا، بس عشان تكون عارفة، هي الإنسانية الوحيدة اللي كنت بقبل أقولها وين رايحة، غير هيك ما حدا إله عندي هذا الموضوع. ما خليت حدا بالعائلة، مع إنا عائلة ممكن يكون فيها تدخلات خارجية، ما خليت حدا يتدخل، مع إنه أمي شوي أقول لها ولا حدا يتدخل فينا خلاص أبوي كان هو الوحيد اللي يتدخل، كان يقول أنا أبوهم وحرّ في أولادي، بعد ما أتوفى ما حدا له عندنا. ما دامننا مقتنعين باللي بنعمله، خلاص ماشي الحال.

وقت الانتفاضة الأولى بدنا بوحدة الإرشاد القانوني، وكانت أمل الجعبة مسؤولة عن هذه الوحدة، وجينا محامية اللي هي كانت حنان الباكري تكون محامية عشان كمان نرفع قضايا حول هذه المواضيع. بعدين بدنا نفكر إنه ما ينفع هذا يكون وحدة من وحدات العمل النسائي، لازم يصير مركز أكبر. بدنا نفكر في مركز، وأنا في حينها كل شخص جاء لمجلس الأمناء شؤفته بنفسه، على أساس تنوع ما بين الشخصيات. لميس العامري كثر بوية، دكتورة سلوى تبار، كمختصة بالصحة، بمجال الصحة والإدارة، أرحام الضامن في التربية، دكتورة كانت الله يرحمها هالة عطا الله هي علم اجتماع عشان القضايا الاجتماعية والإرشاد الاجتماعي. بالتالي هذه المجموعة اللي من خيرة النساء الموجودات والمعطآت، قدرنا نبدأ بهذا المركز، مركز المرأة للإرشاد القانوني. بدنا ننهض بهذا المركز، اللي هو لحد اليوم ما زال يشتغل وفيه عنده هيئة عامة، ومجلس أمناء، وهيئات إدارية، والكل يشتغل بطريقة جيّدة. "مركز الدراسات النسوية"³، إنا بعد ما اشتغلنا مع النساء، وجدنا إنه فيه ضرورة نكتب هذه التجارب اللي نعملها، ونحلها، فخلينا نشوف إذا بنطلع بشي من هذا الموضوع. شكّلنا مركز الدراسات النسوية، وحكيت مع ليزا تراكي وريتا جقمان. وكانت معنا سها هندية ومدوى اللبدي. بدأت كمان مجموعة اللي عندها خبرة، وعندها إمكانيات، تشتغل معنا بمركز الدراسات النسوية. بالتالي ها دول صاروا مركزياً موجودين، استوعبوا الجميع، العمل بتاعهم مش تابعين لحزب، ولا لأي حدا. مشينا أيدينا مع بعضنا في هذا الموضوع. اللي يخليكي تتجحي هو الشراكة في العمل، إنه أنت تحسني إنه الكل معاك في فريق واحد عمال يشتغل. ما تسمحي للقال والقال، أعطي الناس مجالها وإنها تعمل

وتبدع في شغلها. تركزي على العمل اللي عمالة تعمله، وتصيري تشتغلي كعائلة مع بعض. فيها اختلاف، ما فيش أخت طبق الأصل مع أختها، فيه اختلاف بينا، ولكن ممكن أن نتقبل هذا الاختلاف ونشتغل مع بعضنا.

لمّا أخذت الإقامة الجبرية، من الصبح حملت حالي وروحت على مكتب الوكالة في الشيخ جراح، وقلت لهم أنا بدّي مكتب، قالوا لي "ليش؟"، قلت إني أخذت إقامة جبرية وأنا بدّي أجي أشتغل من هون، قالوا لي: "شو كيف بدّك تشتغلي من هون، إبت معلمة"، قلت لهم آه أنا بدّي أعلم عن بعد. قالوا لي: "كيف بدّك تعلمي عن بعد؟" قلت لهم بدّي أعلم فيزياء عن بعد. وأنا كل يوم سيارة الوكالة لمّا بتروح على الطيرة تاخذ البريد أنا بيعت معاها أوراق العمل لطالباتي. بهذه الطريقة تعلمت التعليم عن بعد بإني أنا كيف أخطط المفهوم لأبسط درجة ممكنة وأقدر أحطها وأعمل مسائل عليه، وأنا أبدأ بالمسائل من الشي السهل جدّاً إلى الأصعب إلى الأصعب.

جذب المرأة

لمّا شكّلت الطواقم الفنية⁴، شُفت إنه مفيش غير ست نساء موجودين من 300 واحد بيشتغل بالطواقم الفنية، هذا بـ1990. بالتالي طليت من لارين سيبا، رئيس الطواقم الفنية، نعمل طاقم لشؤون المرأة مش عشان ننزل عن المجموعة، بل عشان نشجع النساء إننا تدخل في المجموعات الثانية، ونشوف تأثير هذه الطواقم علينا كواقع نسائي. طرحنا الفكرة على النساء في الأطر النسوية، لكن ما كان سهل، بل صعب كثير لأن الكل كان حامل فكرة إن هذا انعزال، ولزوم نكون في كل الطواقم. قلت لهم لازم تنفق على شو اللي بدنا إياه، وكيف نجيب النساء وبعدين نشوف شو بدّ يصير. اتفقنا إنه نشكل طاقم شؤون المرأة، على أساس إن الأطر المختلفة أو الأحزاب المختلفة، تشارك فيه. لكن في هذا الإطار لا نناقش موقف كل حزب، إنما نناقش انعكاس القضية السياسية على واقع المرأة، وكيف نشتغل لصالح المرأة كجزء من المجتمع، وهكذا خلال فترة من الزمن بسيطة، صار عندنا 66 امرأة في قلب الطواقم الفنية، تناقش القضايا.

كان طاقم شؤون المرأة أول كيان يطرح موضوع نقاش الدستور الفلسطيني بنسخته الأولى من منظور نسوي. هون كيف لمّا تشتغلي بأمور واضحة في ذهنك تقدري تلاقى المجموعة اللي ممكن تشتغل معاك، وتشتغلوا مع بعض لهذا الموضوع. أنا بعد هذا التعليم اشتغلت من UNDP في تأسيس وحدة المرأة في التنمية،

4 عملت الطواقم الفنية على إعداد ملفات التفاوض السابعة على الاتفاق الذي وقع عليه في أوسلو 1993

هذا كان الجندر في هذا الوقت في 1993. وخلال فترة وجودي عملنا ثلاث شغلآت مهمات؛ واحدة اللي هي رصد الكفاءات النسائية الموجودة في فلسطين، وطلعنا كتابين عن الكفاءات النسائية، أما المسألة الثانية اللي هي مراجعة القوانين السارية في فلسطين من منظور نسوي، إحنا خاضعين للقانونين الأردني والمصري، وبالتالي لسه قبل ما يكون عندنا دولة، وقبل ما يكون عندنا شيء، ناقشنا هذا الموضوع، وطلعنا كتيب حول التمييز الموجود في النصوص القانونية. والمسألة الثالثة كانت هي عن التحديات التي تواجه المرأة الفلسطينية، واستراتيجية النهوض بالمرأة، ويعتبر هذه الاستراتيجية ما زالت مرجعية للمرأة، نفذ جوانب منها ولكن ما زلنا بحاجة لبقية الجوانب.

مثلاً في UNDP كتبت ورقة عن جهاز المرأة، وكيف لازم يتشكل، وإيش الإدارات اللي لازم تكون فيه، وشو لازم يعمل، وكيف يتعامل مع الوزارات. ثم التقينا كطاقم شؤون المرأة مع ياسر عرفات "أبو عمار"، وكنت ناقشت مع الزميلات تأسيس "جهاز للمرأة"، وقدمناه لأبو عمار، وهو سأل: "مين بده يكون رئيسه؟" فقالوا له زهيرة، قال لهم: "مين نائية؟" قالوا له ميادة عباس. قال لها: "ميادة إنت دافعا لازم تكوني نائية، في كل شيء تكوني نائية فيه". حينها قال إنه مش موافق إنه نشكله، ما بدنا من أولها نعيد تجربة تونس، عندهم وزارة للمرأة، وعندهم هياكل في هذا الموضوع، ما بدنا نكون في هذا الشيء.

بآخر 1995، بعد ما صارت فيه سلطة فلسطينية، وجدت إنني بدي اشتغل مع السلطة الفلسطينية لأنه عملياً أنا واحدة ناضلت من أجل فلسطين، وبدي أكون ضمن هذا الجهاز المفروض، وما اشتغل بمؤسسة أجنبية. مع إنه معاشي صار النصف، خسرت كثير، لكن التجربة كانت كثير غنية ومهمة. لما زحّت لأبو عمار، قلت له بدي اشتغل مع السلطة، قال لي: "شو بديك؟" قلت له بدي اشتغل بإيدي ما بدي بس واحدة عمّ تعطي أوامر من فوق، أو تمضي أوراق، فقال لي: "بس كده؟" قلت له أه، قال لي: "خلاص شوفي إنت عايزة إيه وبأي وزارة اللي بديك إياها". أنا شوفت الدكتور صائب عريقات، والدكتور نبيل شعث، واللاتين رحبوا، بس بعدين اخترت وزارة التخطيط مع شعث. لأنه من خلالها نقدر نوصل للوزارات، هذه الأهمية بتاعتها. لما سألني دكتور نبيل: "طب إيش بديك تعمل في الوزارة؟"، قلت له بدي أسس إدارة النوع الاجتماعي، قال لي: "محدث راح يفهم علينا النوع الاجتماعي". كان لسه النوع الاجتماعي جديد طالع، قال لي: "يفكرنا قطعة قماش ونوعها"، قلت له خلاص نسميها Gender planning and development والعربي

نسميها "تخطيط وتطوير مشاركة المرأة" اللي هو الهدف النهائي من الموضوع، وفعلنا تشكّلت الإدارة. وعملنا شغل كثير منيح، لأنه كنا أول إدارة عمّ تدرب على النوع الاجتماعي كمفهوم، وكيف التخطيط، المتابعة، التقييم، من منظور النوع الاجتماعي. درنا رجال ونساء، كنا بنأخذ 3 من كل وزارة ورجل على الأقل، معندناش مانع بيعتوا رجلين، بس على الأقل رجل. بالتالي بدأ ينتشر المفهوم، كانت نقلة مكننتا من عمل دوائر النوع الاجتماعي في الوزارات، لكن للأسف أوقات لأنه اللي كانوا نقلوا اللي كانوا عملوا في الأول دائرة المرأة في وزارة ما وخطوا عليها امرأة بغض النظر شو شهادتها أو غيرها. بالتالي كان فيه تفاوت بين وزارة ووزارة في هذا الموضوع. اليوم الوضع شوي أحسن في هذه المسألة، ولكن هذا يحتاج لتدريب كواد جديدة، وفي تاس جداد يتيجي، وللازم تضلّك عملي تدريب، وللازم تضلّك تشكّلي هذا الموضوع. يعتبر هذا العمل اللي أنا عملته في وزارة التخطيط، وكنت يعتبر حالي وزيرة، لأن أنا كنت على علاقة مع كل الوزراء اللي كانوا موجودين، بعرفهم من العمل السياسي سابقاً، كنت أخطب الوزير مباشرة. كان الدكتور نبيل شعث فاتح المجال على الآخر في هذا الموضوع، كان في عندي دعم دولي. الناس اللي يعرفوني بـ UNDP أو اللي عرفوني كمؤسسات أجنبية بالخارج، صار معنيين إنهم يقدموا دعم لوزارة التخطيط. ولما قَدّم لنا دعم من الهولنديين للتدريب، كانوا هما يرغبوا أن يكون في حدا أجنبي اللي جي يدرب، أنا أصريت نفتح المجال عالمياً ونشوف مين يتقدم. تقدمت مؤسسة مصرية لهذا الموضوع، وكانوا معظمهم دارسين في بلاد أجنبية، ويعرفوا كمان التخطيط من منظور النوع الاجتماعي، واخترنا المؤسسة المصرية. لما جينا لكيف يصير الدفع، قالوا لنا: "لأن ها دول عرب، بندفع لهم أقل من الأجانب"، لكن أصريت بندفع لهم زي الأجانب. هذه كانت خطوة لاحقة إنه أنا ما في تمييز في هذا الموضوع، اللي بينخط للأجنبي زيه زي اللي بينخط للعربي.

لما صرت وزيرة، تركت لفترة مسؤولياتي بقيادة "مركز الدراسات النسوية" و"مركز المرأة للإرشاد القانوني" لأن كان عندي شعور إن ممكن يكون في عندنا تضارب بالمصالح.

بـ 2003 تم تعييني وزيرة لشؤون المرأة. كنت عمّ بفكر في جهاز يكون له علاقة بالنوع الاجتماعي، وكنت لما أسافر على أي بلد في أي بعثة تعليمية أو تدريبية، أطلب من السفير لما يعطيني فيزا إنهم يرتبوا لي لقاء مع الجهاز القائم على النوع الاجتماعي وتكافؤ الفرص أو وزارة في هذه البلد. بالتالي كنت أعمل هذه العملية، وصار عندي تراكم في ذهني إيش لازم يتعمل.

التي كنت كُتبت، وطرحناه سابقًا كطاقم شؤون المرأة على أبو عمار لتأسيس جهاز المرأة، طورت عليه، عملت خمس أوراق، ناقشناها في كل المحافظات، كنت أدعي كل الناشطات النسويات وأناقش معاهم هذه الورقة، وأخذ ملاحظاتهم وأطورها. بعدين عملتها من جديد، وعملنا لقاء في المجلس التشريعي، ناقشنا بعد ما تمت كل الملاحظات، إن هذا هو ما سأقدم به لوزارة شؤون المرأة. تم الموافقة عليها، بالتالي يعتبر إنه الوزارة من بداية عملها، كانت لاقية دعم من المؤسسات النسوية، والناشطات النسويات والأكاديميات. اخترت مجموعة من النساء والرجال ليكونوا مجلس استشاري للوزارة، منهم خليل نخلة، مجدي دقيقي، سما عويضة، وعزت عبد الهادي. الأشخاص ها دول كمان هي من أفضل الناس اللي عندها تجربة في المجتمع المدني، وفي العمل التنموي. ها دول الأشخاص أشتغلوا معانا بجدية، بدون أن يندفع مليم واحد لأي منهم، ولم يتقيب أي منهم عن أي اجتماع. كان كل واحد منهم بس بده يشوف إنه الفكرة اللي عمالة تتخط عم تتطبق، عم تتخط على مجلس وزراء، عمالة تلاقي طريقها للنجاح.

في 2006 بعد الانتخابات ونجاح حماس، والحزب عندنا كان واحد قرار ما ندخل بالحكومة، طلب مني اليونسكو أدير مركز المرأة الفلسطينية للأبحاث والتوثيق. وعرضوا عليّ راتب عالي، وأنا رفضت، سألوني: "ليش ترفض؟"، قلت إني بدي أشتغل مع الوزارات، إذا أنا بشتغل معاهم وعندي معاش كثير أعلى منهم، راح يكون الشعور أنا هيك يعني من فوق. بالتالي أنا طلبت تخفيض الراتب، وهذه يمكن قلة من الناس اللي تعمل بهذا الشكل. أنا كمان كنت أشعر إن هذه هي فلوس محسوبة على فلسطين، مش لازم تكون على فرد، بدها تكون للعمل أكثر منه. بدل ما أنا أخذ من المخصص اللي موجود للمركز، وبعدين يصير فيه فرق كثير كبير بيني وبين الموظفين، لأ، يكون فيه فرق معقول بيني وبين الموظفين، ولكن بخصص الأموال هذه من أجل البحوث اللي يقوم بها المركز.

فكرت إنه ما ينفع أكون رئيسة لكل المراكز، أنا مديرة "الدراسات والتوثيق" كوظيفة، وبالتالي صرت عضو هيئة عامة مع الباقي في المركزين؛ "الدراسات النسوية" و"الإرشاد القانوني".

في 2011 لما انتُخبت أمين عام لحزب "فدا"، صارت المشكلة إنه كيف بدي أشتغل، بدأت بالأول بتخفيض الوقت بتاعني للعمل في اليونسكو أخذت 75% من الوظيفة، بعدين قلت لهم بأخذ 50% من الوظيفة، بعدين لاقيت إنه راح يكون صعب عليّ كثير أكمل، وقدمت استقالتي بنهاية 2012، وبداية من 2013 كنت مستقيلة،

وتفرغت لعملي بالحزب. للأسف ما لحقت زي ما يقولوا يا الله كانت الوالدة كثير وضعها الصحي تعبان، كل شهر مرة تكون بالمستشفى أنا وإخواتي. بـ 2015 الوالدة بطلت تقدر على الحركة، بالتالي صرنا مسؤولين عن كل جوانب الحياة بتاعتها، الكل بيشغل، وبالتالي كيف بدنا نرتب أوقانتنا، وإيش بدنا نعمل. واحدة لحالها ما بتقدر، إخواتي متزوجين وبيشغلوا، بعد الظهر ممكن واحدة وواحد من إخوتي، لكن مش ممكن تغيير لها أو تصميمها ونجيب واحد من إخوتي، لازم يكون اتنين بنات الموجودين في هذا الموضوع. واحتراضا لكرامتها وشعورها ما بدنا يكون واحد من أولادها، وما بدنا شغالة أو ممرضة اللي تكون هي المشرفة عليها. وزعنا العمل على بعضنا فكان هذا بيتطلب إنه أقدم استقالتي كأمين عام. حاولت هذا عدة مرات، الرفاق كانوا يقولوا إنه "لأ هذه تجربة المرأة كأمين عام لحزب، هي تجربة جديدة ولازم يضلك فيها"، وشرحت لهم الوضع الأسري وأنا بالنسبة ليّ الوالدة كانت أولوية. أشتد عليها المرض، ما كنا نقدر نتركها ولأ دقيقة. لكن الرفاق للأسف ما استوعبوا هذا الموضوع، هذا أثر على دوري في الحزب في الفترة الأخيرة. ثم ماتت الوالدة في 2019، وانكسر قلبنا بوفاتها، موت الأب بيكسر الظهر، أما موت الأم بيكسر القلب. لكن مع كل هذا بدنا نواصل حياتنا.

سعاد العامري: كنساء بدنا ثقة بأنفسنا لا أكثر ولا أقل

سعاد العامري، مواليد 1951 في دمشق، هي أكاديمية ومعمارية، لم ترّ فلسطين إلا في العام 1981، قبل ذلك عاشت في الأردن وسوريا، وتشكّل وعيها بهويتها الفلسطينية في عاصمتي البلدين. لكنها لم تنشط سياسيًا إلا في أميركا، حين وجدت نفسها أمام حالة إنكار تامة، ليس لحقوق الفلسطينيين، وإنما لوجود فلسطين كمكان تاريخيًا وثقافيًا.

تصف نفسها بأنها صارت نسوية على كبر، وكذلك صارت كاتبة. كنسوية ترى سعاد أهمية العمل على دعم الثقة منذ الصغر، وككاتبة عرفت طريق الأدب بالصدفة، وجدت أنّ "ما أخلها" حين تكتب، حسبما تروي في شهادتها المعتمدة على مقابلة جرت معها في الثالث من تشرين الأول/أكتوبر 2020.

من عمان إلى بيروت

أنا سعاد العامري، أمي سورية من دمشق، والدي فلسطيني من يافا. أهل والدي هجروا سنة 1948 من القدس إلى الرملة، ومنها إلى عمان.

وُلدت في دمشق بـ1951، لأن أمي كانت كل ما تحمل تروح عند أهلها تولد. ثم عشت أول 17 سنة من حياتي في الأردن، وعندّي أختين، أروى العامري بعلم النفس، وعنان العامري بعلم الاجتماع، وعندّي أخ اشتغل بوزارة الخارجية في الأردن، أنا أصغر واحدة فيهم. شخصيتي مكونة جزء منها من أمي، وجزء منها من والدي. كنّا نعرف بـ"أولاد أم أروى"، مع إن عندي أخ، لكنه رقم 3 في الأولاد، أمي وأبوي سقّوا حالهم "أبو أروى" و"أم أروى"، لأن أروى، الأكبر، هي اللي عملتهم أب وأم. كثير ناس من العائلة يفتكروا إننا ما عندها أخ.

والدي كان مدامي درس بالجامعة الأمريكية في بيروت، اعتقل وسني 6 أو 7، ضمن حملة اعتقالات استهدفت

اليسار الأردني/الفلسطيني بعمان، وأمي يعتنّا إنا البنات على سوريا، درست الصف الأول هناك، أنا مكنتش فاهمة إيش إنا بعدنا عن عمان، وإيش بابا دخل السجن، وإيش بابا طلع من السجن، وها القد هو دغري، وها القد هو أمين. كيف ممكن إنسان مثل والدي ينحبس. والدي مكنتش متدين أبدًا، وما كنش متعصب لأي جنسية محددة. هذا كان له تأثير كثير عليّ وأنا صغيرة. على كبر أدركت قد إيش كلمة بابا كانت تؤثر عليّ، لما الأب يقول لبتته "إنت شاطرة" أو "ذكية" أو "طوة"، هذا العطف يحي عادة من الّهم، بس قليل لّمّا أب يعبّر عن الحب. حسيت إن الدور اللي لعبه بابا معي، كان له تأثير كثير كبير، وإنه قد إيش مهم ندعم الأولاد في الصغر مش على الكبر. حتى يكون عند البنت.

أمي كانت شخصية كثير قوية، وأمي كانت أول ست أعمال في الأردن إذا بدك، أول businesswoman في الأردن، لأنها فتحت أول دار نشر ومطبعة في وسط عمان بمنطقة السيل، اللي هي منطقة شعبية جدّا. وهي جايه من عائلة جابري، اللي هي عائلة دمشقية، وأبوها كان تاجر، وأمي كان عندها عقل تجاري، سوري شامي. أمي من أول الناس اللي كنت فيني أقول وعيت جندريًا عليها، لأن ما بعرف أي أم بالحياة كانت تقول لبناتها شو بدكم بالبيزة [الزواج]، الشباب يتجوزوا، خلي ابني يتجوز لأن بيستفيد، لكن البنات بينظلموا بالبيزة، بالعكس لّمّا كنا نقولها بتعزم أو بدنا نتزوج تقول لنا "شو بدك من هذه الشغلة؟". أنا عشت بأسرة عمرها ما تمت ليّ أني اتزوج بصراحة. كنت أتعرض لشو يعني يكون في امرأة عاملة في البيت، شو يعني في أم ما بتطبخ، شو يعني في أم أولويتها شغلها أكثر من أولادها، شو يعني أروح عند الجيران ويكون أهمهم في المطبخ طول النهار وأمي مش موجودة بالمطبخ. كان في من البداية نوع من الوعي بأنه شو يعني يكون عندك أم عاملة في ذلك الوقت.

الجو اللي تربيت فيه كان جو جدّا منفتح، وجو يمكن شوي غريب على عمان في الخمسينات والستينات. ريت بشارع مانجو، شارع كثير طلو، قد يكون القصة القادمة بالنسبة لي اللي بدّي أكتب عنها. هو شارع فيه شركس وعرب وسريان وأرمن وأكراد، وفيه شوام، وعراقية، مسلمين، مسيحيين. ما تميزي النبي آدم عن الثاني غير إنه واحد منيح وواحد عاطل. الشارع أتر كثيرًا عليّ، حقيقة لّمّا بتذكر ها دول الأشخاص بتذكرهم كيني آدمين. عمان مسكينة ما بتأخذ حقها كفاية، هي المدينة اللي احتوت أعداد هائلة من اللاجئين في العالم العربي، مدينة لازم الواحد يدرسها اليوم، ويفهم منها أهمية اللاجئين، لأنها استوعبت الشركس، وبعدين استوعبت الفلسطينيين، وبعدين اللبنانيين، وبعدين الأكراد، وهكذا، والعراقيين، بس هذا

مش موضوعنا اليوم. لكن أكثر مدينة لها تأثير على هي دمشق، أمي كانت كل صيفية تبعتنا على الشام، أنا ربيت مع خالاتي في بيت جدو. كانت الشام مدينة كثير جميلة، وأسواقها، سوق الحميدية، سوق الذهب، سوق الزورية، كله كان له تأثير حتى كَوّن شخصيتي المعمارية على ما أعتقد، وكَوّن شخصيتي ككاتبة. وبعد دمشق، ثاني مدينة أثّرت في هي يافا. بابا كان يحكي عنها، وبحرها. كان يحكي أنه كان ساكن جنب البحر، كيف كان يلبس المايوه، يحط البشكير، يقطع الشارع، يضرب رأس بالمي، كنت بسمع عن يافا وأنا بعمان، اسمع عن فلسطين وجمالها عن بُعد. هذا كَوّن شخصيتي، أنا عشت في غياب مدينة يافا، والبكاء والنواح والحزن وكل القصص المتعلقة في يافا والهجرة، وبين دمشق اللي هي كانت مصدر أمان بالنسبة لي.

مثل حرب 1967 كانت فاصلة لكل الجيل تبعا، عمري وقتها 16 أو 17 سنة بتذكر منيح إنه قد إيش كانت خيبة الأمل، لكن تطوعنا نشغل أكثر بالأردن، أنشئ للجنين النكسة، وكنا نطبخ لهم، بتذكر منيح كيف كانت كل عائلة تيجي تقول اسكبي لي لسبعة أشخاص، أو ثمانية أشخاص. وجاءت عائلة واحدة وطلبت أكل لتسعة أشخاص، قلت لها وربي كارتك، طلع عندها سبع أولاد مش تسعة، أنا روحت عملت لها محاضرة إنه إنت كيف تحكي عندك تسعة وعندك سبعة. لما رجعت البيت أمي بهدلتني بهدلة مرتبة، فهمتني إن الفقر غير، "ما تصيري تعملي هيك، ها دول الناس شو عندهم ياكلوا".

في سنة 1968 بلّشت منظمة التحرير الفلسطينية تكون نشيطة في الأردن، إحنا بننسى إنها كانت حركة وطنية عملت وعي كبير للفلسطينيين من أستراليا لعمان، وأختي عنان، اللي أكبر مني بست أو سبع سنين، كانت نشيطة سياسياً مع منظمة التحرير الفلسطينية قبلي، لكن بتذكر في هذه الفترة وعيي إني فلسطينية، مثلاً كنت في سن 16، وبمدرسة حكومية في عمان، عارفة إن أبوي فلسطيني، عارفة إن أمي شامية، بس الجنسية تبعي أردنية، زي باقي الناس حوالي، وفيه معلمة سألتنا: "مين منكم مش أردني؟" عشان رسوم المدرسة مش أكثر ولا أقل، لأن لو كنتي أردنية إنتب معفية من رسوم الدراسة، أما إذا كنتي عراقية أو سورية أو يمنية أو شامية، تدفعي الرسوم. يعني عم تسأل من ناحية فنية بس، لا أكثر ولا أقل، مش سؤال سياسي، لكنك لقيت حالي وقفت -وأنا ما شاء الله طويلة- المعلمة بتذكرها لحد هلا هي فلسطينية من بيت علوش، قالت لي: "سعاد إيش فيك؟" قلت لها أنا مش أردنية، ردت: "مش فاهمة عليك إيش أنت"، قلت لها أنا فلسطينية، هي تبسم هيك: "طيب أقعدي"، يعني

روقي على الدنيا. بهذا الموقف صار عندي وعي إني فلسطينية، وعي سياسي، رغم إنه عمان كانت مدينة ولا زالت مدينة الأغلبية فيها فلسطينيين. بعدها بتصير حرب 1970 في عمان، والوضع مؤلم جداً، كانت نفس السنة اللي أنا لازم أروح فيها على الجامعة الأمريكية. بتذكر إني كنت كثير مبسوطة إن أطلع من عمان حتى أوصل على بيروت. بتذكر كيف بابا أخذني بسيارته عشان يتأكد إن ما تروح على السنة، وإن ها القد كنت متحمسة أن أروح على الجامعة، مش مصدقة أوصل على الجامعة عشان أعرف مين اللي بده يسكن معي بالدور، ها القد مش مهتمة إني تاركة البيت، مع إن أنا صغيرة العائلة، بتطلع على بابا والاقية بيكي، وأنا قلت شو ماله، ليش بابا تبكي شو مالك، قال لي: "ولو يا بابا هيك تركتينا ومش سألة فينا، أنت آخر بنت عندنا"، كانوا أخواتي كلهم تركوا في هذا الحين.

بيروت السبعينات كانت بيروت العربية، بمعنى أن كل حركة بالعالم موجودة فيها. لكن على الصعيد الاجتماعي لأنه جاية من عمان، من بلد بسيطة، ونسبياً مدافطة، وتلاقى حالك ببيروت، السباحة، والركض، والرياضة، والشورت. على صعيد اجتماعي يعني انتحاج وتحرر كلي. رغم إن عائلتي ما كانت متعصبة في يوم من الأيام، كنا دائماً نواصل على بيروت ونسبح، وكل هذه القصص، بس إنك تكوني صبية صغيرة، أول مرة بحس حالي صبية، وبقدر أعشق، وبقدر أعمل علاقات، وكل هذا في برضو جو سياسي. في الجامعة الأمريكية كان فيه إضراب مفتوح واحتلال لرئيس الجامعة، كان اسمه محمد الدجاني، وكان رئيس الاتحاد، ماهر المصري، مش عارفة إذا كان اتحاد الطلبة الفلسطينيين ولّا كل الطلبة بالAUB. ودخلت ذغري على معركة سياسية. طبعا في بيروت تتعرفي على أعداد كبيرة من اللبنانيين، تدخلني بتقاشات سياسية مش معودة عليها أنت. اللي يعتبر نفسه مش عربي أنا فرنسي، أو شخص آخر يقول لي: "العربي مش أفتني"، واللي يقول لي: "أنا ماروني فرنسي"، واللي عربي. وإحنا بالأردن مكناش واعيين على كل هذه القضية، هذه كانت كمان من القضايا كثير ملهمة بالنسبة لي. اشمعنا واحد لبناني يقول لي: "أنا مش عربي أنا فرنسي"، بعدين صرت أقول له والله أنا مالي، لو هو مقرر إنه فرنسي، صار في تحديات كبيرة بالنسبة لي، بالإضافة إلى التنظيمات المختلفة من منظمة التحرير الفلسطينية. تلاقى حالك دخلتي في بحر من السياسة من حيث لا تدري، سواء كل الحزب الشيوعي اللبناني القومي، السوريين، فتح، الجبهة الشعبية، الجبهة الديمقراطية. تلاقى حالك في حركة "القوميين العرب" اللي عم بيتنقلوا وبصيروا أشياء ثانية. لاقيت حالي في بحر من السياسة، ويدر من الحياة الاجتماعية الجميلة. لبنان

هي تضارب الأفكار، بس أنت بتكوني في حينها عمّ تعيش لحظة بلحظة.

في الطريق لمباراة تنس

مثلاً في يوم، كنت طالعة ألعب تنس، ونازلة من بيتي للجامعة الأمريكية ومعيا مضرب التنس، لمحت الجرائد مخطوطة عند بيع الجرائد هيك مصقوفة على الأرض بتوصف العملية اللي يفتال فيها 3 قادة فلسطينيين؛ يوسف النشار، كمال ناصر، كمال عدوان¹. بتذكر وقفت هيك وطلعت، وما عرفتش شو أسوي، مجمدة لا عارفة أرجع على البيت ولا أروح ألعب رياضة. بتذكر إنه وقفت ولقيت حالي من حيث لا أدري بمظاهرات ما لها أول من آخر. كيف الناس نزلت على الشارع، كيف الناس مشيت بالمظاهرة، كيف انتهى النهار. كل اللي أعرفه إن أختي بهذا الوقت كانت هي تشتغل في مركز الدراسات الفلسطينية، وعلى كلاً روجت عندها على المركز. بتذكر هذا اليوم كان يوم مؤلم جداً بالنسبة لي، وبالنسبة للفلسطينيين. بتذكر وأنا في لبنان بعدها، صار يطلبوا منّا تتطوع في المخيمات، أنا أتذكر إنني كنت أروح على مخيم صبرا وشاتيلا، وأدرس إنجليزي للشباب والصبايا الموجودين في المخيم. بتذكر كيف كنت قابضة حالي جد كتلميذة عمارة من الجامعة الأمريكية، وهما عمّ بيتسلوا ويتخوتوا عليّ. بتذكر مرة قاعدة بدرسهم يطلع واحد يقول لي: "مس شو يعني فش بالإنجليزي" أو "شو يعني سودا"، قلت له ما يعرف شو سودا بالعربي عشان أعرفها بالإنجليزي، طب أنت إيش دارس، قال لي: "أنا مش دارس أنا لحام"، واللي جنبوا بيتخوتوا عليّ، "وأنت شو دارس"، قال لي: "أنا بيع فلافل مش دارس"، قاعدين مستلميّي. بس برضو كانت تجربة كثير حلوة إنه تختلطي بالمخيم، تشوفي مشاكلهم. السبعينات في لبنان شائكة، وصعبة، وبتبش "مجزرة عين الرمانة"²، وتبش الحرب الأهلية، ويصير الوضع كثير صعب. تبجي مرحلة من المراحل إنه نكون قاعدين بالمراسم ويصير قصف. بس الطريقة اللبنانية في المعيشة كمان لها دور حلو كثير، ما في شعب عنده القدرة على استمرارية الحياة تحت الحرب مثل اللبنانيين. يكون فيه قصف أو ضرب، يكون فيه أموات، يكون اللي بذاك، وبعدين المطاعم تفتح، حتى الديسكوهات تفتح. حياة طبيعية كأنه ما فيه حرب، بس طبعاً الحرب كانت كتير أليمة. أكثر شي كان ألیم بالنسبة لي هو اختفاء طلاب صفي. احنا كُنا 24 واحد، عدد كتير منهم لبنانيين، عدد كتير منهم من مناطق مسيحية، وبطلوا يجوا لأن احنا في بيروت

الغربية، ما بتدريش توصلي لهم وما بقدروش يوصلوا لك. بالفترة اللي قبلها صرنا نقاشات مؤلمة كتير لنا ولهم، في حدة عالية، شوي بتلاقى الناس تبطل تبجي على الصف، هذا الاختفاء من الناس اللي ما تعرفي هو سافر، هو قتل، هو أبعد، يطلتي تعرفي أخبار الناس في هذه الفترة. كان الوضع كثير صعب تكوني فلسطينية في هذه الفترة هناك، وكان صعب على الجميع. بالآخر قررت إنه أحسن يمكن أروح على عمان، أرجع على الأردن لفترة، لأنه صارت الحرب كثير قاسية ومرعبة. بأرجع على الأردن بقعد فترة، وبعدين أرجع أفهم إنه فتحت الجامعة الأمريكية، وبأرجع أروح على الجامعة الأمريكية، ويستمر الوضع هيك. بالآخر تخرجنا أظن كُنا أربعة أو خمسة.

على القد كان فيه قصف، تعودنا ننام على القصف. بتذكر منيح بعد ما تركت سنة 1975 لأنه صار الوضع كثير مرعب، لما وصلت على عمان، صرت أحلم بالحرب، صرت أحلم أحلام إن أنا حدا طخني في ظهري وإنني عمّ بصوت. كنت بعيش التجربة بس وأنا ببيروت ما كنت أحلم، كنت أنام تحت الضرب ولا أحلم ولا شي. بس لما أكون في عمان في أمان عند أهلي، يبلش كل هذا الرعب يطلع. بتذكر كل شي لحد اليوم.

برأيي تأثير الحرب الواحد ما بيعاها في حينه، لكن بيعاها في ما بعد، قد إيش يتجمع فيكي خوف وشعور هل يا ترى إحنا صح ولا غلط؟ إحنا غلطنا كثير كفلسطينيين في لبنان، برضو كان فيه غلطات كبيرة عملتها منظمة التحرير الفلسطينية، عملناها إحنا. لكن في هذا الحين الواحد بيكون كل فريق في حالة الدفاع عن نفسه، مش بحاله إنه يعكس شو عملنا، وشو ما عملنا. ما كانت مرحلة سهلة بقدر أقول، مرحلة الحرب في بيروت، بس يبدو إن كان تأثيرها عالي.

برجع على الأردن، بشتغل شوي عمارة، وبعدين بقرر أروح على أمريكا أعمل الماجستير تبغي في جامعة ميتشجان، urban planning تخطيط حضري يعني.

إقناع الأمريكان بوجود فلسطين!

في أمريكا بيصير عندك وعي فلسطيني أو للدقة وعي عربي، مختلف كلياً عن الوعي اللي بيكون عندك بالعالم العربي. لأنه بالعالم العربي ما عندكش هوية تعرفي مين إنت، تعرفي إنك عربية، تعرفي أنك فلسطينية، ما فيه تشكيك حول من إنت، وإيش إنت. لكن طبعاً توصلي على أمريكا يصير الحديث مختلف، وخصوصاً إنني وصلت هناك في 1977، وكانت منظمة التحرير الفلسطينية لسانها فاعلة، والطلاب العرب في أمريكا بيشكّلوا اتحاد العرب نشيط.

1 الثلاثة من قادة منظمة التحرير الفلسطينية، وهي عملية نفذها قوات الكوماندوز الإسرائيلية في بيروت في 10 نيسان/أبريل 1973.

التحدي الكبير من الصهاينة ضدنا، تصيري بذلك تقضي وقتك تبرهنني إنه في فلسطين. عمره ما كان في أكل فلسطيني، تقضي وقتك تثبتي إن فيه أكل فلسطيني.

في أمريكا في إنكار كامل للوجود يعني متعريفش من وين تواجهي الأمريكان. هذا حقلنا في وضع مختلف، ببلش أكون نشيطة أنا وصديقتي السورية منى يونس، مع تأسيس شي اسمه Palestinian human rights campaign بالجامعة اللي ببلشها شخص لبناني.

كنت مضطرة أقرأ عن فلسطين وتاريخها، الأشياء اللي اخدتها for granted. درست كيف كان فيه فلسطين، كيف كان فيه عملة فلسطينية، كيف كان في ياسبور فلسطيني. وضع مختلف تمامًا عن النقاش اللي كان بين "فتح" و"الحزب الشيوعي" و"الجبهة الديمقراطية"، وغيرهم. ببلش حملة إقناع بحقوق الشعب الفلسطيني. كان هدفنا يكون معانا طلاب أمريكيان، وبقوا معانا ومنهم يهود كمان،

الخبرة في أمريكا كانت مختلفة سياسيًا، بعدين صار الواحد يقرأ أكثر، صرت أعرف عن إدوارد سعيد ووليد الخالدي، لأن إحنا مهندسين معماريين ملناش كثير بالوعي السياسي المكتوب. مثلاً قابلت كثير أشخاص يجوا على أمريكا في هذا الحين، منهم دريد لحام، إيميل حبيبي، توفيق زياد، كثير من ها دول الناس عزمناهم حتى يحكوا. هون وعبي اتعزز، ونجحت منظمة التحرير الفلسطينية في السبعينات إنها تصير جزء من حركة تحرر العالم. بمعنى إحنا الفلسطينية ما كانت قضيتنا تكون ها القد معروفة ومشهورة في السبعينات، لولا علاقات ياسر عرفات مع كل دول عدم الانحياز، كل الدول الإفريقية، مع كل دول الاتحاد السوفيتي في ذلك الحين، كُنا مع كوبا وفيتنام ومضاهلي جنوب إفريقيا، كانت فلسطين جزء من حركة تحرر عالمي. هذا أعطانا قوة في العالم. داخليًا منظمة التحرير كانت مش فلسطينية بحتة، كُنا بها عراقيين ويمنيين وسوريين ولبنانيين. هذا اللي أعطى فلسطين قوتها بالسبعينات. لذا اليوم لازم ندرك إننا نكون لفلسطينيين جزء من قصة النساء، قصة الأطفال، قصة sexuality، الشخصية الجندرية، حتى تكون فلسطين جزء من حياة كاملة.

في 1979 والدي توفى، ورجعت الأردن عشان أكون مع الماما، وبتدرس في الجامعة الأردنية، ونأسس قسم العمارة. وفي 1981 يجن جنائي وأطلع تصريح وأروح فيه على فلسطين. فلسطين بداخلنا بتجرنا من حيث لا ندري.

هذه يمكن أكبر landmark في حياتي، ليش؟ لأنني عمري ما عشت بفلسطين بصراحة، حتى لما طلعت التصريح فيه صديق كان بعمان، استغرب مني، وسألني: "إنت حدا من منظمة التحرير الفلسطينية بعنك بمهمة محددة

على فلسطين"، قلت له شو مالك أنت مجنون، قال لي: "لا خايف تكوني إنت المجنونة"، قلت لا يا زلمة أنا رابحة عشان أعمل دراسة حول العمارة الفلسطينية، أطلع في وقال لي: "شو هذه الفتوة". أخذت إجازة من الجامعة الأردنية ستة شهور، لأن تصريح الزيارة كان ست شهور.

أين زلاطيموا؟

أمي اللي هي إنسانة كثير حيلة وقوية، وعلمتني إنه ما أخاف من شيء في الحياة، قالت لي: "شو رابحة تساوي على فلسطين، بكرة بيفكروكي عميلة، مين ست بتروح على فلسطين ما بتعرف ولا بني آدم، وهيك بتحمل حالها وبتروح"، قلت لها يا أمي يا حبيبتني بس ست شهور أروح أشوف أعمل دراسة على العمارة الفلسطينية وأرجع بالآخر بأخذ هذا التصريح اللي هو مكتوب بالعبراني، ما عندي أي فكرة شو مكتوب عليه، بحط حالي واللييلة اللي قبلها ما بنام، وبحط حالي بالسرفيس، وينزل على الجسر، ويطلع الجواز المؤقت الأردني، ويطلع هذا التصريح المكتوب بالعبراني، وأيدي بنرج رج، ويعطيه لهذا المجند الإسرائيلي، وقلت لحالي الله يستر راح أصفني بالسجن، أو يرجعوني. بيختمه هيك. لحد هلا بتذكر بطلع بالسرفيس من جسر الملك حسين اللي اخدني على القدس، كنت حاجزة بدي أروح على YMCA في القدس جنب باب العامود. بتذكر بهذا السرفيس بمشي وبشوف ها الثلاثة أبراج هيك قدامي، هذا المنظر بتذكره وأنا صغيرة، لأن بابا كان قبل 1967 يجينا على البحر الميت، تنام في في أوتيل اسمه "الكازينو"، تنام فيه ليلة، وثاني يوم نطلع على القدس، ياخذنا بابا على "زلاطيموا" وهو عبارة عن محل طويات، بتذكر لحد هلا كيف كان يعمل المطبق، عينة يقعد يلفها وأنا بنت صغيرة أطلع. ها الثلاث أبراج هي منظر القدس بالنسبة لي كانت، تذكرتها، استعادت طفولتي بهذا المنظر. السرفيس يمر من عند باب العامود، برضو هيك تأثرت كثير. المهم بوصل على YMCA باخد شنطتي، برمي شنطتي بغرفة الأوضة YMCA. بنزل ركض على البلدة القديمة بالقدس، أي واحد ينزل على القدس يركض يشوف كنيسة القيامة، أو بده يشوف الأقصى، أو بيت الصخر، أو الحرم الشريف. وأنا بدّي أروح على "زلاطيموا". أنا طفولتي والقدس بالنسبة لي هي "زلاطيموا". بحمل حالي وبروح أدور، هي هيك بنزل من باب العامود يتفرعوا لشارعين، جهة اليمين متذكّرة بوصل بتطلع ما فيه "زلاطيموا" بسأل الناس إنه كان فيه محل اسمه "زلاطيموا"، وينه؟ قال: "هاي زلاطيموا، بس لازم تيجي قبل الساعة 7 الصبح، لأنه بيعمل الفطائر الصبح بكير للناس العمال، وهيك على 10 بيسكر". على كلا راح زلاطيموا، ببلش أتقتل بشوارع القدس، أطلع على حارة النصاري، وأنزل وأطلع، تعبت بالآخر عاطفيًا، بعدين رجعت

على الأوتيل ونمت. ثاني يوم بروح أستأجر سيارة، ولأنني ما بعرف شي عن فلسطين، استأجرت سيارة رقمها أصفر، للناس اللي مثلي ما بيعرفوا فلسطين. إذا تستأجري سيارة رقمها أصفر يفكروكي يهودية أو إسرائيلية، أو من القدس العربي، بس أنا ما كنت عارفة. استأجرتها بالباسور الأردني، وصرت أدخل على القرى الفلسطينية من قرية للثانية، كل ما ولد صغير يقول ليّ "شالوم"، يطير عقلي أصير أصرخ ليش بتقول ليّ شالوم، قل مرحباً، شوي عرفت إنه راكبة السيارة الغلط. قعدت حوالي أسبوعين ثلاثة ما خليت يلد في فلسطين تعتب عليّ. كل قرية صورته، كل مدينة صورته. في 1981 عملت أرشيف كامل لكيف كان شكل فلسطين، وجدتها جميلة مثل ما أهلكا يحكوا عنها، قرى حلوة لمان كانوا يحكوا عنها، ويافا أحلى وأحلى مثل ما كانوا يحكوا عنها. فيني أقول إنني انغرمت بفلسطين. في هذا الوقت انغرمت بواحد فلسطيني. وبالأخر بروح على جامعة بيرزيت، وبسألهم يا جامعة ممكن توظفوني عندكم؟ ممكن أساعدكم نأسس قسم عمارة في فلسطين، بعد أسبوعين ثلاثة بيحيني عقد تدريس من الجامعة.

نبلّش قسم العمارة، وفي نفس الوقت ببلّش عندي هوس بأرشفة تصوير فلسطين. عندي أرشيف كبير من صور لفلسطين بهذه المرحلة. وعملت الدكتوراه في موضوع العمارة الفلاحية في القرن التاسع بفلسطين، في جامعة أدنبرة في اسكتلندا، ورجعت على "بيرزيت".

تميز نسويات المدينة

كنت بشوف بعيوني خلال الانتفاضة الأولى، كيف كان دور النساء بالمخيمات والقرى، ونجحوا وقتها إنه يكون فيه نضال سياسي مربوط بالنسوي، بس كثير تضيق اليوصلة. حركة سياسية وطنية، أم هي حركة تحرر نسوية؟ تصير النقاشات إن ما بدنا نتحرر المرأة حتى يتحرر الوطن، لازم يتحرر المرأة regardless of الوطن. وهكذا، سياسياً نجحوا، لكن المشكلة الرئيسية إن الحركة النسائية الفلسطينية قيادتها الكبيرة كانت مدنية، كل القيادات يا جاية من نابلس أو القدس أو الرملة، بينما الجاهير كانت من القرى والمخيمات. القيادات كانت ممثلة أكثر في المدن. مثلاً متطلبات المرأة العاملة في المدينة مختلفة عن متطلبات المرأة بالقرية، بل كل طبقة اجتماعية عندها متطلبات مختلفة النساء فيها عن الثانية. أنا برأيي ما كان في هون تفصيل كثير، بمعنى قد إيش كانت الحركة النسوية تمثل أهل المخيم؟ وحاجاتهم، قد إيش كانت تمثل القرى؟ مش بوضع إنه أحكم بس ممكن كان فيه نوع من إنه القيادة موجودة في المدن.

وما أخذت الهوية تبعني إلا سنة 1988 رغم إنه تزوجت في 1984. كنت دائماً خايقة من الإبعاد، بمعنى إنه ما عندي

هوية، عايشة illegally بفلسطين صرت بالأخر، لأنهم لم يعطونا لم شمل. كنت دائماً في محاولة أن أكون lucky هذا خلاصني أكون بالإضافة لاهتماماتي المهنية أدرس في الجامعة. كان عندي دور داعم للجان العمل النسائي، داعم بمعنى فني، داعم بمعنى كانوا بيعملوا أجنده كنت تعمل لهم إياها، أصور لهم، أحضر الاجتماعات النسوية. لكن ما فيني بأي شكل من الأشكال إن أنا كنت واحدة من قادة، أو من الحركة النسوية، يكون عم بظلمهم الصراحة. كنت صديقة قريبة عليهم كلهم، أحضر الاجتماعات، بس ما فيني أقول أكثر من هيك. لكن على كبر صرت ألاحظ قد إيش النساء ما بينعطوا مجال، ومن هون بآخر كام سنة صرت نسوية. خاصة إن عالم الهندسة هو عالم رجولي. لكن الإنسان ممكن يكون ذكي، وعنده قدرات، لكن ما عنده ثقة بنفسه. أنا برأيي هذه هي المرأة، أنا أخذني وقت كبير حتى أدرك، وبقولها بكل صدق وجدية اليوم، أنا أعتقد إن النساء عبارة عن جنس متطور عن الرجال، ومش تحامل على الرجال. كل عمري كنت أفكر العكس، لكن لما يخفوا الهرمونات عند المرأة تعرف الفرق بينها وبين الرجل. لما توصلي لعمر الخمسين مثلاً، صرت ألاحظ إنه النساء أكثر قدرة إنهم يعملوا 700 شغلة في نفس اللحظة. اللي استنتجت يا جماعة الخير إحنا بدنا بس ثقة للنساء، ما بدنا أكثر. بدنا نؤمن بنفسنا. أنا برأيي لازم نهتم بالنساء من صغر، بس نعطيهم ثقة، ما بيلزمهم ولا شي ثاني، عندنا كل شي، بس بدنا ثقة بنفسنا. بحب أعمل شي واحد بالحياة إنه أعمل برنامج ثقة للنساء، ولا أكثر ولا أقل. يلاً يا عالم الجندرة أعملوا برنامج لإعطاء النساء ثقة، ما بيلزمهم أكثر.

مفاوضة

بعد مؤتمر مدريد 1991، يجي ليّ تليفون من حيث لا أدري "نحب تكوني مع الوفد الفلسطيني في واشنطن". يتضح أن شمير حظ شروط إنه ما حدا من المفوضين على مائدة المفاوضات يواشنطن من منظمة التحرير الفلسطينية مباشرة، أو من القدس، لذا اخترت لأكون المرأة الوحيدة الموجودة على طاولة المفاوضات مع الوفد الفلسطيني برئاسة حيدر عبد الشافي. المفاوضات التي كانت تجري في واشنطن، بينما كانت هناك مفاوضات موازية لها تحصل في أوسلو، اللي نتجت عنها اتفاقية أوسلو في ما بعد. ثم أسست "مركز رواق" اللي له علاقة بحماية التراث المعماري بفلسطين، صار له 30 سنة تقريباً، حسيت إن دوري المعماري، والحماية التراثية الفلسطينية شغلة مهمة في فلسطين. خف دوري السياسي المباشر، وھيك قررت أعود أدرس في "بيرزيت"، مع شغلي في "رواق"، لكن بظلت أكون مديرته بس.

مثلًا السلطة صار عندها حساباتها الخاصة فيها، تجاه "حماس" وغيرها من القوى الإسلامية، وبتعمل مواءمة، والنساء تدفع الثمن فيها. مهم إن منظمة التحرير الفلسطينية قد إيش كانت حركة تحررية وطنية منذ تأسيسها، فهي لازم تكون حركة نسوية، أو إنها ما تكون عنصرية أو جندرية. النساء الفلسطينيات ما أخذوا كل حقهم بالمرّة، لا يزال هذا الحكي لليوم.

حلّوا عن النساء

خلال الانتفاضة الثانية خصوصًا مع وجود الحواجز الكثيرة بفلسطين، قلّت إمكانيات البنات في التعليم لأن كثير من العائلات، خاصة بالقرى، مبتقدرش تبعت بناتها الصغار على قرية ثانية حتى يقطعوا حواجز، ويصفي إن الولد عنده إمكانيات كثير أكثر، إذا بدّ العائلة تصرف راح يكون أكيد على الصبي مش على البنت، إذا بدّها تبعت على مدرسة يكون الولد. في 1920 كان معدل عُمر الست لَمّا تتزوج 24 اللي هو عالي جدًا، بعد 100 سنة ينزل. كل هذا له أثر في الوضع السياسي اللي عايشين فيه، وكمان الوضع الاجتماعي المتدهور. وجود قوة إسلامية بالمنطقة مثل ما بتعرف متعصبة، كان لَه دور سلبي جدًا رجعنا للمربع رقم واحد، إنه من حق المرأة تشتغل ما تشتغل، تربي الأولاد ما تربي الأولاد، مالهش دور ثاني. نلاقى حالنا في تراجع كبير في موضوع المرأة، وحقوق المرأة، ودور المرأة بالمجتمع. عدم الاختلاط بين الأولاد والبنات، مثلًا في الستينات والسبعينات كان فيه اختلاط، وحتى بالقرى يا جماعة. لكن الناس بتنسى، كل واحد يسأل جدته إذا كانت تطلع تقطف الزيتون وتزرع مع رجال ولا لا. كان وضع فيه اختلاط عالي عند البدو والفلاحين أكثر من المدينة، حاليًا فيه تراجع بهذا الموضوع. بل فيه تراجع بقضايا كثيرة، حتى في اللباس، فيه أجهل من التطريز الفلسطيني؟ على غفلة يصير التوب الفلسطيني مع إنه الست اللي حائلة على رأسها طرحة بيضاء ولايسة توب بيجنن، لا، بدنا نخترع لباس جديد، لازم يكون عندنا جرأة عالية بالحديث عن دور المرأة اللي بنحكي عنه، ليش التركيز علينا، ليش التركيز على هذه، شو أهميتها بس حدا يفسّر ليّ. ليش التركيز علينا إحنّا، حلّو عنا، شو الدين اللي مش مركز إلا على الست، وعلى شو طلعت وشو ليست، ركزوا على الرجال شوي.

كاتبة بالصدفة

وفي 2003 صرت كاتبة بالصدفة، تحوّل تركيزي واهتمامي من العمارة إلى الكتابة. لَمّا يتحلل أجزاء كبيرة من الضفة بما فيها الرملة، وقطاع غزة بـ2002-2003. جيت حماتي اللي عمرها 91 سنة، لأنها كانت لحالها وزوجي، سليم تماري كان مسافر. ونتيجة سكن حماتي معي إن صار عندي

اختلاطين، واحد داخل البيت، وواحد خارجه. نتيجة هذا الضغط الفظيع كتبت كل ليلة، عبّرت عن نفسي بالكتابة، لأنه كان متعب الوضع جدًا بين شارون وحماتي، وكتبت مجموعة من القصص اللي بعثها لأصدقاء، ومنهم لويزا مورجنتين، اللي هي ناشطة لبنانية في إيطاليا، فلويزا بعثتها لناشر، والناشر أعجب فيها، ولقيت حالي إنني اشتغلت طول عمري ودرست مهندسة لأجد حالي كاتبة بالصدفة. بينجح كتاب "شارون وحماتي"، ويترجم لعشرين لغة، ومن بعدها الناشر قال ليّ: "بديّ كتاب آخر"، وهكذا قررت إنه عندي موهبة، كنت أفكر الحديث له علاقة بالكتابة، كنت أفكر الحكي والكتابة ملهمش علاقة ببعض. كنت فاكدة إن الكتابة عبارة عن قواعد عربية صعبة، ما عرفت إن الحكاية هي الحكاية اللي بنحكيها.

في 2011 قررت اوقف شغل بالعمارة، وبـ"رأقي"، وبالتدريس، وأفضي حالي للشّبي اللي كثير يتمتع فيه. إذا يكون مفرقة ومش ضايقة حالي، بقعد الكتب، ألقى حالي روقت وانبسّطت وما أخلاني. كمان كثير الواحد على كبر يصير كاتب، كل لَمّا بكبر كل لَمّا بقدر أكون كاتبة. لأنه كمان جسدًا العمارة بدّها جهد كبير.

سلوى أبو خضرة: أملتي كبير في شابات الحركة النسوية

سلوى أبو خضرة، مواليد يافا 1926، الأمينة العامة السابقة لاتحاد المرأة الفلسطينية، وعضوة حركة "فتح" ومجلسها الثوري. في شهادتها تحكي عن دورها التعليمي للفلسطينيين في الكويت، وكذلك عملها على قضايا المرأة الفلسطينية، حسبما تروي في شهادتها التالية المعتمدة على مقابلة جرت معها في الثاني من كانون الأول/ديسمبر 2020.

أحلام أجهضتها الهجرة

مولودة سنة 1926، وبالتالي عشت الهجرة وبعدها، والدتي من سوريا، ووالدي من يافا. وأنا صغيرة، عندي 11 سنة، كان هدفي في الحياة أصبح طبيباً أطفال، ويكون لي مستشفى ويخرج منها الأطفال بأثواب الصحة والعافية، وبنات جنسي يحدون حذوي. كنت في مدرسة أجنبية¹ وتعليمي أجنبي، كنا نشعر أننا تحت الاحتلال. لما كنا بيافا، الفلاجات كانت تببع نحاسها عشان يشتروا شققة سلاح لزوجهم. كان الرجال يجيبوا البواريد عشان يصلحوها، وكانت كل هذه الأشياء تتخبئ تحت سرايرنا بالبيت.

كان بدي أدخل جامعة، لكن ضورت 1948، واضطرينا نأجل دخول الجامعة لأن يافا لازقة بتل أبيب، و"ساقطة ساقطة" زي ما قال لي والدي. روحنا على سوريا، وهناك ما كان فيه مجال أبداً أكمل تعليمي كما أريد، أو اشتغل بالمهنة اللي أنا بعشقها طبيباً أطفال، لأن حصلت ظروف أهمها وفاة والدي ووالدتي، وصرت مسؤولة عن رعاية ثلاث إخوات أصغر مني. لما كنا بالشام التحقت بالجمعيات السورية اللي تساعد الفلسطينيين. الشعب السوري كان متعاطف مع العائلات المهجرة، اللي وصلت لدمشق. وهذه الجمعيات كان قائم عليها بمحبة شديدة سنات high class بتاعت المجتمع السوري، بنت رئيس الجمهورية، زوجات الوزراء، العائلات الكبيرة.

اضطرينا نسافر على القاهرة، لأن ما كنا نقدر نروح على لبنان من سوريا إلا بإذن ومعاملة، البلاد العربية في الخمسينات كانت تمنع المهاجرين أن ينتقلوا من مكان لمكان. لذا، روحنا على بيروت بس ناخذ مركب صيد ونروح مهربين لغزة، لأن غزة كانت ملحقة بمصر، وكانوا يسمحوا للي بغزة يروحوا مصر. ودخلت الجامعة، ثم تزوجت، عملت مديرة مركز تربية دراسية للفتيات² بدمشق، هكذا اطلعت على أوضاع المهجرين في سوريا وكيف كان أسلوب حياتهم. عايشت كسرة عيشهم الفظيعة، وما زلت أتذكر تفاصيلها، هي أشياء هيك صغيرة، يمكن ما تهتم الآخرين، بس ما زلت محفورة بقلبي، باعتبارها تمثل الحس اليومي للفرد الفلسطيني ومأساته.

التعليم ضروري

روحنا الكويت، صرت 23 أو 24 سنة، لما حملت وخلفت، ما أقدرت أترك طفلي مع حدا، بس استنيت يصير عمره ثلاث سنين واحظه بالروضة. كان بالكويت دور رياض أطفال جميلة جداً، قلت لصديقتي يلا بحط محمود³ بالروضة وبشتغل. قالت لي: "مين قال لك، ما يقبلوا بالرياض غير الكويتية" قلت لها وأولادنا إحنا الوافدين شو بيعملوا من سن ست شهور لستين، قالت لي: "ولا شي، يا إما الأمهات يقعدوا، أو بناخذهم [العمل]". بدأت أفكر في كيفية معالجة وضع أولادنا، لأنني كنت توظفت بالصحة المدرسية، كانت تيجي لي السيدات والمدرسات، متحيرين شو يعملوا بأولادهم، فبلشت قضية حضانة أطفالنا شهرين بعد إجازة الأم، من شهرين الأم اللي ما عندها أم ولا أخت ولا عمّة شو بدها تعمل بابنها، معاناته بدها تترك شغلها. حقيقة قعدت سنة وأنا بدرس أكني بالجامعة، كيفية معالجة هذا الموضوع، ورعاية الحضانة. المهم فتحت حضانة، وكانت أول حضانة بالكويت، هذا سنة 1963 حضانة وروضة. وكبرت سنة بعد سنة قسّمناها ببعدين حضانة وروضة ومدرسة اسمها "دار الحنان".

كنت أقول للمدرسات فيه فرق ما بين مُدرّس ومُدرّسي، أرجو تكونوا مربين مش بس مدرسين. مثلاً فلسطين في مؤتمرات كثيرة، كانت مؤتمرات زي هيئة الأمم، زي اليونسكو، ومؤتمرات نسائية. كان لنا صديقة مُدرّسة بنات بالحكومة، كانت تجيب أمهات البنات، ونعمل اجتماعات تنموية ووطنية، هذا كله بالكويت. اللي أقصده لما يكون الإنسان مش بيلده، بيصير يجرب بالإمكانات اللي معه، بالمجتمع اللي بيقدّر يوصل فكرته أو يعممها بطريقته.

2 من 1952 إلى 1955، ثم عملت مديرة مركز التربية الاساسية التابع للانثروا من 1955 إلى 1957.

3 بوفى في ما بعد.

1 مدرسه مار يوسف في يافا.

انطلقت في حركة "فتح"، وعلى هامش مؤتمر منظمة التحرير، التقينا نساء تنظيمات مختلفة؛ فتح، الجبهة الشعبية، الجبهة الديمقراطية، جبهة تحرير فلسطين، وقلنا "لنزم نعمل الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، الذي نكون فيها جميع التنظيمات"، ومن جميع البلدان التي احنا موجودين فيها، وبدأت الاجتماعات، وصارت كل واحدة منا مسؤولة ببلدها، وأنا كنت مسؤولة بالكويت. أما الكتلة الأساسية، فكانت موجودة حيث توجد القيادة الفلسطينية.

مثلاً جَم صبايا قالوا: "ست سلوى إحنا بدنا ندرب للعمل الفدائي، بدنا نعمل عملية فدائية". قلت والله لأبو عمار وأبو آيات، وقاعدين كلنا. أبو عمار قال لي: "بكرة تقعدى مع فاروق [مسؤول عن التنظيم] وتدبروا هذه القصة وتشوفى"، وهكذا كان سنة 1968 أول معسكر تدريب نسائي عسكري نظمته "فتح". السنة التي بعدها عملوا معسكرات بمنظمات أخرى.

أول مؤتمر لاتحاد المرأة صار بالقدس 1968، والثاني ببيروت 1974، لما روحنا على تونس، صرت أمينة عامة 22 سنة.

الأمل في الشباب

روحت على فلسطين بـ1994، واستأجرت بيت، وقعدت مع حفيدي (كان عمره تسع سنوات)، وقلت له استأجرنا بيت وهتيجوا على الرملة، سألتى: "وبنروح على القدس؟"، قلت له آه، "وأزور الأقصى وأصلّى؟"، قلت له آه. "بتعرفى تيتا أنا بحب أسبح"، قلت له بحر غرة بياخذ العقل. "لا، أسبح بيافا".

وأول مؤتمر لاتحاد المرأة بفلسطين كان 2009، وقتها ما ترشحت، خلاص بيكبر الواحد ويعرف يعطي دور للشابات. كثير لي أصل بالشباب، لما الناس يكونوا يائسين، يقول لهم إني متأكدة إن أحفادهم هيدروا فلسطين. متفائلة إنه لا يمكن تبقى إسرائيل بين المحيط العربي. مفيش احتلال صار إلا انزاج، طالما فيه أهل يتعلم أولادها، حتى لو كانوا بأمريكا، إنهم من فلسطين، وإن أهل فلسطين مظلومين، هيكملوا المشوار.

سما عويضة: عندنا إرادة نسوية، ولكن تنقصنا الإرادة السياسية

سما عويضة، نسوية فلسطينية مواليد 1959 في القدس، مُدققة من منظور جندي.

أدركت سما، مبكراً، عدم صحة وضع المرأة الفلسطينية قانونياً واجتماعياً، وذلك بعد وفاة والدها، حينها حوّلت والدتها بناتها وهي معهنّ إلى أسرة تابعة تعيش في كنف أي من أسر العائلة. هذه التجربة وغيرها، دفعت سما إلى المطالبة بالتغيير عن طريق النضال النسوي، الذي تود المشاركة فيه حتى آخر نفس، كما روت في شهادتها المُعتمدة على مقابلة جرت في 29 تشرين الأول/أكتوبر 2020.

مناضلة لآخر لحظة

أنا سما عويضة، سما فايز عويضة، من مواليد القدس 1959. عشت سنواتي الأولى هناك، وبعدين انتقلت إلى الأردن، عشت في جراح ست سنوات مع والدي ووالدتي والأسرة. لحد لما توفي والدي، رجعتنا على فلسطين في "لم شمل"، لأنه كان الاحتلال احتل القدس وكان يلزمنا معاملات لم الشمل، جينا في هذه المعاملات. أنا رجعت عشت في القدس، وانتهت دراستي الثانوية في مدرسة "بنات رملة الثانوية". بعدين طلعت على الجامعة الأردنية درست فيها سنتين ونصف، ضد مفاوضات كامب ديفيد¹ كان فيه حراك وطني في الجامعة الأردنية، انفصلت على أثرها من الجامعة أنا و19 طالب وطالبة. بناءً عليه التحقت في جامعة بيرزيت، وكملت البكالوريا هناك، وتزوجت أثناء الدراسة في "بيرزيت". وانتهت شهادة البكالوريا، وأنا عندي بنتي الأولى بيسان.

بعد هيك اشتغلت في عدة أشغال منها انتراطي في اتحاد النساء اللي كنت عضوة فيه، واشتغلت في كلية المجتمع العصرية في قسم المحاسبة، وبعدها في

شركة خاصة للتدفئة المركزية كمان في قسم المحاسبة. بعدين اشتغلت في كلية المجتمع العصرية، ثم في مركز الدراسات النسوية، وتفرغت سنوات كمان للعمل في اتحاد العمل النسائي. في هذه الفترة كمان عملت ماجستير في "الإدارة" في جامعة سيني البريطانية. وبعدها، وأنا على رأس عملي في مركز الدراسات النسوية، تدرّبت مع UNB في موضوع الجندر Gender Audit التطبيق الفعلي في Gender Audit في فلسطين، وعملت تطبيق للإسكوا في لبنان. بعد تطبيقه، الأسكوا قالوا لي: "يا ريت يكون معاك شهادة دولية لأن أنت تستحقّي هذه الشهادة الدولية، ويفضل لّما تعملي التطبيق تكوني حاملة هذه الشهادة". طلعت بعثة من قبل منظمة العمل الدولية ILO على تورين، أخذت الدورة الدولية، وتقدمت إلى الامتحان وحصلت على الشهادة الدولية كمُدققة في مجال النوع الاجتماعي. بناءً عليه بعدها صارت فيه تدريبات في فلسطين، وصرت أنا رئيسة الفريق الوطني للتدقيق من منظور النوع الاجتماعي. اشتغلت في التدقيق في أكثر من بلد؛ اليمن، وفلسطين، والأردن، ومصر، وأيضاً أشرفت على عمل الفريق في لبنان بدون ما أكون معاهم، بوسائل التواصل. وأشرفت على بعض عملهم حتى أنهوا التدريب العملي بعد ما أخذوا الشهادات النظرية. حالياً أنا المديرة العامة لمركز الدراسات النسوية، ولستنا بنشغل إلى جانب جزء من عملي في مركز الدراسات النسوية، هو إنه أكون يشتغل في الاستشارات اللي قدمها المركز، واللي هي إجمالاً في مجال تدقيق النوع الاجتماعي.

مثلاً دققت لخمس وزارات، وخمس بلديات في فلسطين، وشركات خاصة. عملت كمان لشركات قطاع خاص في مصر، بالإضافة إلى مؤسسة التضامن الاجتماعي في الأردن، اتحاد لجنة المرأة الأردنية في الأردن. بلديات أيضاً في شرق الأردن، حالياً وزارة شؤون المرأة في فلسطين، رجعت إعادة تشكيل الفريق الوطني، وأنا ميسرة هذا الفريق من منظور النوع الاجتماعي. اشتغلت سنوات طويلة كمان في التدريب في موضوع النوع الاجتماعي، وساهمت كمان مرة في تورين بعد ما أخذت الشهادة، ساهمت في تدريب مجموعة جديدة من دول عربية في تدريبهم على التدقيق من منظور النوع الاجتماعي. يعتبر حالي نسوية ناشطة، مؤمنة بحقوق المرأة، بناضل عليها، وفا عنديش استعداد للتنازل عن الكثير من القضايا رغم كل الصعوبات اللي تعترض طريقنا. مؤخرًا الهجمة اللي عمّ تعرّض لها كنسويات، ندعو لمواصلة القوانين المحلية مع اتفاقية سيداو². يسمونا "سيداويات" باعتباره اسم

2 انقاصه الامم المتحدة للمضاء على أشكال التحيز كافة ضد المرأة والمجموعة في العام 1979.

1 نفذ طلاب الجامعة الأردنية اضرابا في 1987، وذلك ضد مفاوضات مصر واسرائيل اللي انتهت الى توقيع انقاصه كامب ديفيد في 1979.

إهانة، لكن أنا بكل فخر بقول إذا كان "سيداوية" لقب، فأنا سيداوية. أيضاً هلا أنا مع الائتلاف الموسع من منظمة مناهضة العنف ضد المرأة من أجل حملة وطنية لإقرار قانون مناهضة العنف ضد المرأة. حياتي، ولآخر لحظة في عمري، راح اناضل من أجل حقوق النساء، ومن أجل قيمة المساواة.

أول طريق النضال

لما كنت في الصف الثاني الثانوي في مدرسة "بنات الرملة"، وفي التوجيهي، كانت انتفاضة يوم الأرض، وها اليوم حظّ رجلي على أول الطريق، بأن أكون جزء من النضال الوطني الفلسطيني.

كنت ناشطة في انتفاضة يوم الأرض، وتعرّضت لعدة مضايقات، ولكنني صمدت. كان فيه استغراب من أهلي، يمكن أنا أول واحدة في العيلة اللي تتوجه لهذه التوجهات. كانت فيه محاولات لثيبي عن ذلك، بس كنت مقتنعة تماماً في الموضوع. بناءً على نشاطي في هذه الانتفاضة، انتظمت في تنظيم فلسطيني، وأصبح العمل الوطني جزء مهم في حياتي. عشان هيك كملت، ويمكن أنا من الناس اللي بقدر أقول إن العمل الوطني أثر كثير على حياتي الشخصية. لما كنت بدّي أطلع أدرس، أنا أول شيء حصلت على منحة في رومانيا لدراسة هندسة، اللي كانت بالنسبة لي حلم. لكن بطلب من التنظيم إنه ما أروح على رومانيا، بدّهم إياي في الأردن، أخذت الموقف فوزاً بدون تردد أن أدخل الجامعة الأردنية.

مع هذا التنظيم شاركت في تأسيس أول إطار نسوي جماهيري في الضفة الغربية، هو "لجنة العمل النسائي"، وقبله كانت فيه جمعيات خيرية، وعمل خيري نسوي. أنا افتخر إني كنت من اللي أسسوا هذا الإطار، كان لسه اسمه -وفئها- لجنة العمل النسائي، قبل ما يصير "اتحاد لجان العمل النسائي". هيك صارت فيه انشقاقات، بناءً على تعليمات التنظيمات.

في الأول كنّا في هذا الإطار من تنظيمات مختلفة، لكن بعدين صار كل تنظيم بدّه يشكل إطاره بحاله، وصارت فيه لجان المرأة الفلسطينية، ولجان المرأة العاملة، ولجان المرأة للعمل الاجتماعي. لكن ضلينا على علاقة جيدة مع بعض. بفتخر كمان بأنني كنت بأول تشكيل للمجلس النسوي الأعلى، اللي كان في الانتفاضة الأولى، واللي هو كان يعتبر ذراع من أذرع القيادة الوطنية الموحدة اللي تقود النضالات الجماهيرية النسوية في الانتفاضة. أنا كنت أمثل تنظيمي في المجلس النسوي الأعلى. بالتالي يعتبر حياتي، وحتى عملي الناشط كنسوية، انتقل أساساً

من نشاطي ونضالي الوطني. بالبداية بدأت في النضال الوطني، وجزء من النضالات الوطنية، ثم بدأت استوعب أهمية المساواة، وضرورة الاستثمار أكثر في الموارد البشرية، وأهمية احترام الآخر بغض النظر عن الجنس والنوع والمعتقد الديني، بالتالي انضمت لهذا الإطار.

حين قررت أُمّي أن تكون أسرة تابعة

على المستوى الشخصي، توفي والدي وإحنا كنا بس لسه ثلاث بنات، فكنش عندنا أخ، وكنّا في الأردن بعدا عن العائلة، كانت أُمّي معنا. ومن أول يوم توفي والدي، أُمّي سكّرت بيتنا، وانتقلنا نعيش عند عمّتي في عمان، وعند خالي، وشوي فتحنا بيت في عمان، لحد ما عملنا لم شمل، وأول ما رجعنا على القدس قررت أن لازم نسلن مع أمها وأخواتها. بالتالي انتزعت خصوصيتنا كأسرة، وصرنا أسرة تابعة لأسرة ثانية، لمجرد أن مقيش ذكر في العائلة. كان كثير عندي دائماً تساؤلات كبيرة، إنه ليش لما يتسافر ستي وخالتي وخالي ممنوع تترك أنا وأُمّي وأخواتي لحالنا، وكانوا يجيبوا ابن خالتي يبات عندنا في الدار، علماً أن ابن خالتي قدي، وأنا أصغر أخواتي. أُمّي وأخواتي أكبر منه، ولكن مع هيك همّا يحسوا إن إحنا في حاجة لحدا يساعدنا، يشرف علينا، كيف بدّهم يتزكونا لحالنا. هذه التصرفات أثارت تساؤلات كثيرة عندي، إنه ليش ولد صغير ممكن يدرس أُمّي اللي هي خالته، ليش إحنا مقيش ثقة فينا إنه نقدر نعيش لحالنا، ليش أُمّي حرمنا الخصوصية إن يكون في بيت لحالنا، ونصير بعيدين تابعين، وليش كانت أُمّي تقول، هي والكل، "إننا ولّايا". كلمة "ولّايا" كانت كثير تزعجني، "إننا أربع ولّايا مالهمش سند"، مين لازم يكون السند؟ ليش السند مش أُمّي؟ ليش السند مش إحنا؟ مع إن أخواتي الكبار لازم أقول إنهم لعبوا دور كبير ومهم في حياتي، لأنه من أول يوم خلصوا المدرسة، بدأوا يشتغلوا. هما بيدرسوا يشتغلوا ويدرسوا علينا، وما خلونا نحتاج لحدا. بالتالي أنا شوفت إن الناتج إن أخواتي البنات هما كانوا قدرات تكون معيلات لهذه الأسرة. ليش لسه المجتمع ينظر لنا على إنه إحنا طول الوقت ناقصنا ذكر بالعائلة، ناقص ولد من العائلة. عشان هيك يمكن أنا بحكي وين ما بعرف حالي، بقول أنا سما اللي هزمت أسامة، لأن أبوي كان ينادوا له "أبو أسامة" قبل ما يتجوز، لأن كان حابب يجيب ولد ويسميه أسامة، وجاءت أول بنت نادية، وجاءت ثاني بنت ديمة، لما جيت أنا أصيب بحالة وودوه على المستشفى، ولما رجع على البيت وستي اللي هي أُمّه بتقول له: "طب أنت بس ادخل شوفا"، بيقولوا لما دخل شافني ابتسمت له هذه الابتسامة العفوية

اللي ممكن أي مولودة تتبسّمها، واستغفر ربه وقال: "أنا ما بدّي أسامة وهذه سما"، وهي آخر العنقود. عشان هيك أضل أقول لهم أنا سما اللي هزمت أسامة، ولاني هزمت أسامة في هذا الموقف، حسيت إنني بدّي أهزمه طول الوقت. مش بمعنى أهزمه، بمعنى أنني أثبت إنه النساء قادرات، النساء مش أقل من الرجال، ولكن ما ينقص النساء هو الثقة بالنفس، وإعطاهنّ المساحة حتى يثبتوا أنفسهم. هذا الحكيم مش راح انظر فيه كثير، لأنه العالم مليان نماذج رائعة من النساء، لو إنه شوي الناس تطلع عليهم. للأسف لما يتطلعوا، مرات يطلعوا عليهم على إنهم استثناءات، وعلى إنهم مش الواقع. نعم حياتي الشخصية كمان إضافة للموضوع الوطني، حياتي الشخصية أثرت في كثير. الموضوع الوطني خليني أقول، إنه أبوي كان في جرش وتشكلت وجاءت التنظيمات الفلسطينية، بجرش أبوي كان جزء من ها دول الفدائيين اللي كانوا في جرش، وعودنا ها دول الفدائيين بيدخلوا بيتنا ويطلعوا منه، وهو يساعدكم وهو معاهم، وإلى آخره. حتى في جنازته، أبوي بجنازته من عمان للكرامة كانوا لقبينه بعلم فلسطين، كانوا الفدائية في الجنازة لما وصلنا الكرامة قاموا غانوا من عليه العلم وانسحبوا حتى نقدر ندخل بسلام، ونقطع الجسر والحدود وندخل ندفنه بالقدس، لأن هذه كانت وصيته إنه يندفن بالقدس، ولان منسق قبل ما يموت مع صديقه في هذا الوقت اللي كان مدير الصليب الأحمر في الأردن، أن يساعده، وصديقه كان بيضحك وهو بيوعدة لأنه فكانش مريض، وكان يقول له: "أنت بس موت وأنا أدفئك". لما مات بالفعل، وهو بالجنازة صديقه قال "أنا لما وعدته أنا فكنتش متوقع إنه يموت"، أبوي مات وكان عمره في الأربعينات. بالتالي هذه الذكريات عن أبوي تركت عندي اقتناع إنه كان بده يناضل عشان الوطن. كونه تنازل عن أسامة عشان سما، وسما لازم تحصل هذه الرسالة.

إنقاذ من الضياع؟

أول حدث تعرضت له كان فصلي من الجامعة الأردنية، حسيت إنه ممكن أضيع، كنت خائفة، كيف بدّي أرجع على فلسطين، وفي نفس الوقت أنا ما قدرش أضل في الأردن. بالمصادفة دكتور حنا ناصر، مدير جامعة بيرزيت، كان متبعث إلى الأردن، زحمت هناك وطلبت مقابلته من قبل مكتب منظمة التحرير في الأردن، وظبطوا لي مقابلة، ولما التقيت معاه وبدأت أحكي له القصة إنه أنا فصلت من الجامعة، قال لي: "أنا متابع تمامًا القصة اللي صارت معاكم، [العشرين طالب وطالبة]". قلت له كيف أدخل بيرزيت وأنا علاماتي غير مصدقة [من الجامعة الأردنية] راح ختم

لّي الأوراق غير المصدقة، وكتب نُقبل في جامعة بيرزيت. قال لي: "لما تدخلني على فلسطين، وتروحي عند دكتورة حنان عشاوي، قولي لها أنا بعثني الدكتور حنا ناصر وهي بتكمل لك المعاملات". وبالفعل لما زحمت عند الدكتورة حنان عشاوي، وقفت معي وقفة جيدة جدًا، وساعدتني في التسجيل في الجامعة، والتحقّت بـ "بيرزيت".

وأحنا في الجامعة، أغلقت ثلاث مرات على يد الإسرائيليين بين 1981 و1982، وأحنا نروح ندرس خارج الجامعة، نلتقي مع الدكاترة في البيوت.

وعلى سيرة إغلاقات الجامعة، جاءت دعوة إلى "بيرزيت" لجولة في الجامعات البريطانية، نحكي فيها عن الإغلاقات التي تتعرض لها جامعتنا. في هذا الوقت طلع إداري من شؤون الطلبة، ومعاه فرقة "سنابل" التي كانت تغني في الجامعة، على أساس تقدم عروض فنية. وقالوا بدهم مجلس الطلبة، لكن مجلس الطلبة للأسف كان كل أفرادهم ممنوعين من السفر، واتفقوا إن كل ثلثة طلابية تطلع ممثل عنها. أنا طلعت عن ثلثة الوحدة الطلابية، اللي هي تابعة للجهة الديمقراطية، وطلع كمان معي زميل عن "الجهة الشعبية"، والثانيين ما قدروش يطلعوا. طلعتنا إحنا الاثنين مع إدارة الجامعة، وعملنا tour كبيرة في جامعات بريطانيا واسكتلندا، حكينا فيها عن إغلاق الجامعة، وفضحنا فيها الممارسات الإسرائيلية تجاه طلاب وطالبات الجامعات، وحكينا عن واقعنا.

وقّعنا اتفاقية نؤامة مع جامعة في اسكتلندا، بفكر إنها من أحلى الأيام اللي عشتها، علما إنه كانت جولة كثير تقشقية، كُنا ننام في بيوت الطالبات، فكنش فيه فنادق، فكنش فيه شئ. روحنا في طيارة شارتر، ورجعنا في طيارة شارتر، بأقل تكلفة، وبتكاليف جمعوها لنا طلاب من بريطانيا قدرنا نعمل هذه الجولة ونحكي.

زواج تقليدي، لكن بشرط

تزوجت زواج تقليدي، واحد من أسبابه إنني لما رجعت من الفصل من الجامعة الأردنية، لقيت والدتي وأهلها مختلفين وتركزت البيت، ومقيش بيت أسكن فيه. هذه كانت من الصعوبات، سكنت شوي في دار أختي، وفكنتش حاسة إن الوضع سهل، في أول فرصة زواج تقليدي تزوجت.

الشرط الوحيد اللي حظيته على زوجي أنه ممنوع يقول ليّ إنني ما بصير أكمل في عملي الوطني والنضالي. الحمد لله إنني حظيت هذا الشرط، ضليتني طول الوقت مستمرة، وهذا اللي أعطاني القوة، وهذا اللي حاسستني لما وصلت لمرحلة استخالة الاستمرار في حياتي الزوجية، إنه أنا أقدر أقف على حالي، بقدر أدير بالي على أولادي،

بقدر استمر. أنا قوية كفاية مش محتاجة لحدا يكون جانبي، لأنه الوضع الأسري فكنش سهل. اخواتي واحدة كانت متزوجة برة، وواحدة في القدس، أمي وضعها صعب من وفاة والدي. تزوجت هذا الزواج، حتى راحت أمي سكنت معي فترة طويلة لحد ما توفت. أنا بقول أنا وأمّي تزوجنا مع بعض، وطلقنا مع بعض لن لّمّا اتطلقت هي تركت معي البيت، وساعدتني في تربية أولادي. أنا عندي بنت وثلاثة أولاد. الحمد لله، على المستوى الشخصي، قدرت أتجاوز كل الصعوبات، مكنتش سهلة، بس لّمّا بيقى فيه إرادة تقدرني تستمري.

شغل للأغراض التجنيد

زي ما قلت لك أنا كنت من مؤسسين إطار لجان اتحاد العمل النسائي، وتوسعنا في كل المحافظات، وكنا في محافظات من غزة حتى جنين. أنا كنت في فترة مسؤولة العلاقات الداخلية اللي كان هذا يعني أنا في تنقل دائم ما بين جنين، غزة، الخليل، طولكرم، قلقيلية، كنت بسافر من بلد لبلد، أنتبع تأسيس اتحاد لجان العمل النسائي وأنشطته. لحد ما صرت في ما بعد أمينة اتحاد لجان العمل النسائي، تم انتخابي لأمينة اتحاد لجان العمل النسائي، واستمررت في دوري. أنا بدّي أقول كمان قبل هذا الدور لّمّا جيت فترة في إجازة الصيف من الجامعة الأردنية، التحقت بالعمل في مصنع شوكلاتة، في إجازة الصيف عشان ننسب العاملات في النقابة. كان فيه عندي هدف، إنه أدخل لهذا المصنع لأنه كان أكبر مصانع الرملة، وننسب العاملات للنقابة. قدرنا بالفعل ننسب العاملات للنقابة وكان في نفس فترة وإحنا بنركز على تأسيس أطر نسوية، كنا بنركز على إشراك النساء في العمل النقابي العمالي، كان هذا من الأدوار اللي لا زلت أذكرها. اشتغلت على هذا الموضوع لحد ما اكتشفتني مدير المصنع، مدير المصنع كان مشغلني أكني مسؤولة عن العاملات، ألف عليهن، وأشرف على شغلهم. ناداني قبل ما تفتح الجامعة بأسبوعين، "أظن يعطيك العافية فيكي حضري حالك للجامعة". كان بناء على إنه اكتشف إنني عمّ بنسب العاملات للنقابات، بس إحنا كُنا مصرين إنه العمل النقابي النسائي يكون جزء من هذا العمل النقابي، وتناضل هي من أجل حقوقها. أنا كمان خلال عملي في هذا المصنع، شفت قد إيش الفروقات بين معاملة العمال والعاملات، الحقوق المكتسبة بين العمال والعاملات. مثلاً لما تشتد الحرارة بالصيف ويكونوا ما يقدروا ينتجوا شوكلاتة، نتيجة الحرارة الشديدة، العاملات بياخدوا إجازة على حسابهم، العمال إجازة مدفوعة الأجر. لأنه هما بيعتبروا العمال عندهم خبرة أكثر وشغلهم تقني أكثر، يتدربوا على شغل الإنتاج، لكن العاملات يتم الاحتفاظ بهم دائماً في أقسام التعبئة التي

لا تحتاج لخبرة كبيرة. ويتكون فيه قضية مساومة مع الأهل، إنه في ظل العادات والتقاليد الصعبة عم يطلعوا بناتهم على الشغل، حد ياخذهم من باب الدار لباب الدار بالسيارة، وتصير هذه الشروط اللي بيوافقوا لبناتهم يشتغلوا فيها. عليه ممكن البنت تقبل بأي شروط، لكن الشاب ما يقبلش بنفس الشروط، هذا مسجل عندنا في عملنا. أنا اشتغلت في أكثر من بحث في قضايا العمال والعاملات، مسجل في كل جوانب الحياة. فكرة إنه العامل تنقله سهل وبلا قيود مجتمعية، بل يحظ شروطه، فكرة إنه يقدر يشتغل في الأعمال المهنية، وعنده فرص التدريب المهني أكثر، وهي فرص العمل التي لا تحتاج لمهارة، ولا تحتاج لكفاءة. هذه كلها أمور اللي اشتغلنا عليها في بداية عملنا النسوي. بدّنا في انطلاقنا من حقوق العاملات.

غير عن هيك في تأسيس لجان العمل النسائي، بفخر كثير بالشغل اللي أنا اشتغلته مع قطاع غزة تحديداً. لليوم بقول لهم تعرفوا إذا انحلت القضية الوطنية، ورجعت غزة انفتحت على الضفة، أنا برجع أسكن بغزة. نشأت بيني وبين أهل غزة علاقة كثيرة حلوة، كنت كثير بعتر لّمّا أنزل على المخيمات، واشتغل مع النساء في مخيمات غزة.

الناس في غزة فيها الأصالة والنضال والبساطة اللي حبتها كثير.

الحمد لله اليوم ابني تزوج واحدة من غزة، هي ساكنة الرملة، بس تفاجأت بعد ما تزوجها إنه جات تقول لي: "عمو اللي بالسويد طلع يعرفك"، هو كان من الناس اللي تعاملت معهم في غزة ومن الناس اللي هاجروا للأسف على السويد. تقول لي: "سألنا معقول أنت اخدتني ابن سما، سما كنا نعرفها كانت دائماً في غزة".

أنا بعتر بهذا الرصيد، رصيد اجتماعي، ناس كثير تعرفنا عليهم. فترة النضال في اتحاد لجان العمل النسائي، والتنسيق مع الأطر النسوية، كان فيها جانب كبير من العمل هو عمل نضالي وطني، مش فقط عمل نسوي. كان جزء نسوي، وجزء نضالي، لأن هذه الأطر النسوية أسستها فصائل وأحزاب وطنية. بالتالي كان الدور الوطني دور بارز للنساء.

حال جديد للنسوية

في الانففاضة الأولى مثلاً أظن الكل بيعرفه، وكل حدا بيوثق قد إيش كان دور النساء بالشوارع. النساء كانت بالشوارع بشكل يومي، ونضالات النساء لم تتوقف ولا لحظة.

اليوم لو بدّنا ندعي لهذا الحراك، للأسف مش راح نقدر نوصل لهذه الكمية من النساء اللي كانت تنزل على الشوارع. تراجع دور الأطر النسوية أنا بفكر إنه كان غلطة،

بس هذا كمان ارتبط بقضية أو سلو، وقضية عودة العائدين.

العائدون لما عادوا، وكأنه دخلنا مرحلة وطنية جديدة، استغنت عن النضالات السابقة لأحزاب، وكقاعدة أحزاب، وأطر طلابية، وأطر نسوية، وأطر عمالية. اندمجنا بقصة تشكيل السلطة والوزارات، وتوزيع المناصب وإلى آخره. عشان هيك أنا بقول لما بيقولوا NGOs اللي تشكّلت، هي قتلّت المنظمات أو المنظمات الأهلية اللي تشكّلت، هي قتلّت المنظمات القاعدية والدور النضالي. أنا بقول أه ولا، يعني أه هي حاولت تنقذ ما يمكن إنقاذه من بقاء هذا العمل اللي تفتت بمجرد ما تفتت دور الأحزاب في هذا الوقت. وفي نفس الوقت بقول إنه يمكن لو ضلينا كأطر قاعدية قوية ومتماسكة أكثر كان ممكن ندخل بعض التسيينات على المطالب النسوية، نحصل أجندة نسوية أقوى. هي من ناحية أنقذت ما يمكن إنقاذه، ومن ناحية ثانية هي قضت على سيرورة عمل جماهيري قاعدي يتسم بجماعية النضال. صحيح هذا الحكي أنا بقّر 100%، لكن برجع أذكر الكل، بقول إنه هذا لم ينطبق فقط على العمل النسوي، إنما أيضًا على العمل العمالي والطلابي، وكل الفئات الجماهيرية للأسف. كأنه صدقنا إنه صارت لنا دولة، كأنه صدقنا إنه تحررنا، وطينا شغلنا النضالي اليومي في الشوارع، واستبدلناه بوزارات ومؤسسات. للأسف اليوم كلنا شايفين النتائج.

لا يمكن تحقيق أي انتصارات نسوية، إذا عملنا على مستوى منظمات أهلية متفرقة هنا وهناك. عشان هيك بدعم العمل المشترك، يمكن أنا واحدة ضمن ناشطات تؤد دور مناهضة العنف ضد المرأة، لأنه هذا مش مشروع إنما هو نضال.

إذا فيه منظمات أهلية NGOs هنا وهناك تشتغل على برامج، وهذه البرامج مهمة، ولكن تجميع نضالاتنا ومطالبنا مع بعض والعمل المشترك، يضل هو الرافعة اللي ممكن ترفع وضع المرأة الفلسطينية، لكن مش من خلال عملنا المتفرق. المراكز النسوية عمّ تشتغل على قضايا مهمة، مثلاً إننا نقول عمّ نشغل على المدرسة التربوية، عمّ نشغل مع وزارة التربية والتعليم على إنشاء أجيال تحترم ثقافة المساواة، من خلال برنامجين كبار عملناهم مع وزارة التربية والتعليم. أول برنامج هو تعزيز حقوق الطفل، من أجل تغيير نظرة الطفل والطفلة لقضية ولد وبنت. أمّا البرنامج الثاني فهو "أمان" اللي بيحكي عن التحرشات الجنسية بكل صراحة، يوعي الطرفين الجنسين كيف يقاوموا التحرشات الجنسية، كيف ممكن يحافظوا على أنفسهم. هذه المدرسة التربوية مهمة جدًا، ومهم كل حدا يعمل عليها على مستوى مختلف. وضمن هذه المدرسة التربوية، مهم

جدًا دور الإعلام، لأنه يغير الثقافة الجماهيرية السائدة.

تنقصنا الإرادة السياسية

في نفس الوقت بشوف إن فيه منظمات عمّ تشتغل كثير على شغل مهم على تقديم الخدمات مثل الإرشاد النفسي، أو الإرشاد الاجتماعي، لا سيما للنساء اللي تعرضت للعنف، لأنه لا توجد خدمات على المستوى الحكومي كافية، أو جيّدة حتى تساعدن. برامج التمكين الاقتصادي مهمة، بالتالي فيه شغل كثير في هذا الموضوع مهم. لكن يضل كلنا مع بعضنا بحاجة أننا نشغل عن مدرسة القوة ونفرض هذه التغيرات، من خلال برامج advocacy للضغط والمناصرة من أجل تغيير القوانين، من أجل احترام هذه القوانين. هذه ما تقدر تشتغل عليها كل منظمة لحالها، هذه تستدعينا إنه فعلاً نكون مع بعض، ونشتغل مع بعض. أنا بفكر إنه في السنوات الأخيرة هذا الشغل عم يباخذ مجالات كويسة في الحركة النسوية الفلسطينية. اليوم فيه تجمعات كثيرة رالعة، مثل انطلاق 1325³ مع وزارة المرأة، ناقشت خطة الجيل الثاني لـ 25/13. عمّ نشغل على قانون مناهضة العنف ضمن حل الأسرة، عمّ ينشغل فترة طويلة على قانون الأحوال الشخصية، لكن للأسف تنقصنا الإرادة السياسية. فيه إرادة نسوية في الموضوع، لكن للأسف تنقصنا الإرادة السياسية، اللي لستها بتفاصيل، ويتسأل إذا ما كانت هذه القضايا مهمة ولا غير مهمة. مش قادرين يشوفوا إنه أساس أي تنمية وطنية أو اجتماعية أو اقتصادية في أي بلد، هو العنصر البشري.

العنصر البشري الفلسطيني، نصفه نساء، أو إناث، و60% من الكل هو أطفال. للأسف هو مجتمع طفل، فلم يعد من السهل حتى إذا بدّهم يحكوا على قضايا تنموية حقيقية، أو حتى قضايا نضالية، إنهم يستغنوا عن هذا العنصر لازم يشتغلوا عليه. لازم نوّحد الخطاب، إنه مطلوب من السلطة الوطنية، مطلوب من الرئيس، مطلوب من رئيس الوزراء، إن يكون عندهم إرادة سياسية حقيقية من أجل إحداث هذا التغيير، وإلا راح تتدخل القوى الرجعية وتمنع هذا التغيير، ونتائجها لم تكن على النساء فقط ولكن في المستقبل راح تكون على المجتمع ككل اللي عم يتراجع للوراء. أرجو تكون فيه صحوّة أكثر عند السلطة، وتفهم أكثر لأهمية أن تكون فيه إرادة سياسية. كنّا بنحكي ونقول إنه في تونس قبل ما يكون فيه أي نهضة اجتماعية أو ثقافية، كانت في إرادة سياسية عند الرئيس بورقيبة. الإرادة السياسية هذه تعني رؤية أهمية تحقيق هذه القيم، إذا الإرادة السياسية

3 إشارة إلى قرار الأمم المتحدة رقم 1325 الصادر بالإجماع في 31 تشرين الأول/أكتوبر 2000، والخاص باتخاذ التدابير اللازمة لمشاركة المرأة في صنع القرار.

غير القوانين، كان يلتقي أعتقد زي ما قالوا لي مرة في الأسبوع مع شعبه، عبر الإذاعة، فكنش في هذه الأيام تلفزيونات، عبر الإذاعة يحكي معهم بلهجتهم البسيطة عن ليش هذا التغيير، وعن أهمية التغيير. خلق بالتالي نهضة في تونس كبيرة، اللي حتى اليوم قوى رجعية كثيرة تحاول إنها تنهش هذه الإنجازات، قدرت تنهش جزء منها، بس ما قدرت تقضي عليها. كمان صار فيه تغيير ثقافي، في وعي مجتمعي مختلف. بتأمل إنه يعني إحنا هون بالحركة النسوية نركز على هذا الموضوع، قد إيش بدنا نركز على مدرسة القوة. نضغط من أجل يكون هناك إرادة سياسية حقيقية من أجل هذا التغيير.

اختلافات لا تفسد ود النسوية

لما شكلنا الأطر النسوية، كانوا الكبار شوي بيشفونا إن إحنا جيل الشباب اللي دخلنا هذه الفترة على عملهم. كان لسه هذا ما قبل أوسلو، وما قبل رجوع السلطة الوطنية. كان في الجسم الذي يمثل المرأة الفلسطينية، الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، وقيادته كانت بالخارج. لكن في الداخل كان فيه قيادة سرية للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، تلتقي بشكل سري. أنا كنت واحدة من ها دول، لأن كنت بمثل تنظيمي في هذا الإطار السري، واللي كانت تلتقي فيه بالفعل مع نساء أكبر منا وعندهم تاريخ أكبر. منهم كانت بهذه الهيئة، خالتي أم خليل، سميحة خليل، كانت تكبرنا، كان في أكثر من حدا من ها دول النساء اللي كُنا ما بين نتفق ونختلف. نتفق على القضايا الوطنية، ونختلف شوي على آليات العمل، وآليات التطبيق، لكن مع ذلك نرجع نشغل مع بعض. كان في شغل جيد جدًا، مثلاً يمكن اختلفت مع أم خليل، وقتها، في بعض الأمور، لكن أول ما رجعت السلطة لفلسطين، وكان فيه لقاء لياسر عرفات في غزة، لما حكيت أم خليل، عرفات احتج على بعض مما قالته، وأم خليل زعلت، وبدّا تنسحب. أول ما فُض اللقاء وكل راح يسلم على أبو عمار، أنا زحت عانقت أم خليل لأنه أنا قادرة أفهم شو هي تقصد، اطلعت في هيك ونسيت قد إيش اختلفنا وياها بالهيئة. قالت لي: "أنت فين، لازم تكوني جانيبي، أنت فين"، قلت لها أنا جانيبك خالتي. صحيح كُنا نختلف، وكُنا نختلف من حيث اللي كانوا شايفين خالهم إن عندهم تاريخ كبير وهذا حقهم، إن كلمتهم هي اللي لازم تبقى ماشية. لكن في نفس الوقت إحنا كُنا شايفين إننا الجيل الأصغر، ولنا رؤية بدّا نقتنعهم بها. نختلف، لكن في كل الأحوال قدرنا نمشي مع بعض، ونفهم هذه الفروقات ونمشي فيها مع بعض. كان فيه جيل الجمعيات الخيرية، وهو الجيل اللي سبقنا بالحركة النسوية، كان يشتغل أكثر. بمعنى إنه النساء تندرج أكثر في العمل

الخيري المجتمعي، أكثر مما هو في العمل الوطني. كان في نساء في العمل الوطني لا ننكر وجودهم، مناضلات تخرجن من السجون. لكن في هذا الوقت كان فيه شوية فصل، ما بين الوطني والنسوي. في هذه الفترة كنتي تعرفي إنه ها دول النسويات، أو ها دول اللي بيشتغلوا بالعمل الخيري النسوي، وها دول المناضلات. فيه احترام، بس مفيش عمل مشترك أو أجندة مشتركة. يمكن تأسيس الأطر النسوية في نهاية السبعينات، هي كانت بداية لتجميع هذا العمل بأنه خلينا نستثمر العمل الخيري مع العمل الوطني أن يكون فيه عندنا عمل نسوي، هذا كان في نهاية السبعينات.

وقتها، قدرنا نتفاهم وندخل في هذا التيار الجديد، وفيه نساء فضّلت تصل في العمل الخيري بعيدين عن العمل الوطني، وضلوا في جمعياتهم الخيرية اللي ما قدروا ينضموا للعمل. بعض النساء اللي بالأحزاب السياسية هي اللي اشتغلت على تأسيس الأطر النسوية، وتحاول تجمع أكبر قدر ممكن. هذه كانت مرحلة نهاية السبعينات والثمانينات لحد أوسلو. ومع أوسلو رجع شوي يتفكك هذا الرصيد.

أهمية التضامن النسوي العربي

مثلاً دعيت كممثلة، عن مركز الدراسات النسوية، اللي من مؤسساته، لاجتماع شبكة نسوية متشكّلة من منظمات ثمان دول عربية، منها فلسطين اللي هي "شبكة عايشة"، كان فيه خلاف بوجهات النظر مع منسقة الشبكة حول كيف تترتب أولويات عملنا، وكيف بدّا نشغل في المنطقة العربية، وتقييم السنة اللي مرت على أول اجتماع للشبكة. وبناءً عليه صارت نقاشات كثيرة. وأول ما قالوا بدّهم ينتخبوا منسقة عامة، تم ترشيحي فوزاً من المجموعة، وانتخبت كممنسقة عامة لهذه الشبكة، اللي هي "شبكة النساء العربيات، عايشة". شبكة كانت بفلسطين، والأردن، سوريا، لبنان، الجزائر، تونس، مصر، المغرب، والسودان. في هذه الشبكة قدرنا نتشارك خبراتنا من مناطق عربية كثيرة، ونوّد نضالاتنا. مثلاً من الأمور اللي عملتها "عايشة" إنشاء مركز للتضامن النسوي، كان مقره تونس. مركز التضامن النسوي كان في أي قضية نسوية بأي بلد عربي، تقوم النسويات في البلدان العربية الأخرى بالتكاتف والتضامن مع هذه القضية.

لما ملكة السويد في فترة من الفترات اعتبرت إن الامهات الفلسطينيات بترني أولادها على العنف، أنا بهذه الفترة كنت في وضع نفسي صعب لأن كانوا أولادي الاثنين كانوا صغار وكانوا مصابين بالمستشفى، ولما رجعت على البيت كنت كثير مضايقة وتعبانة، صديقتي، مها أبو ديه،

تقود هذا الشكل من التضامن، تباذل التجارب، مش بس مهم التضامن، تباذل التجارب كمان مهم جداً.

لا بُد من حماية النسوية

أول مرة بشوف هجمة بهذا الحجم على الحركة النسوية اللي حصلت أواخر 2019، تكفير النساء واتهامهن بالقبض من الغرب عشان نخرب المجتمع الفلسطيني. اللي مخوفني مش بس القائمين بالهجمة، بل الساكتين على هذه الهجمة. هذه الهجمة أنا متأكدة لو كانت في الثمانينات، لو كانت في التسعينات، كانت القوة الوطنية بنكون موحدة في الرد على هذه الهجمة. لأنه كانت فيه أجنحة وطنية، وارتبطت تماماً بالأجنحة الاجتماعية، صارت فيه أجنحة عمالية، وأجنحة طلابية، وأجنحة شبابية، وأجنحة نسوية، وكانت كل هذه الأجنحة مرتبطة ببعضها، وتغذي بعضها، وتدعم بعضها.

الهجمة الموجهة للحركة النسوية، واللي بيسموننا "السيداويات"، في ظل صمت القوى الوطنية على هذه الهجمة، وعدم وضعها على أجندتهم بالشكل الصحيح، حسب ما هي محطوة بالشكل الصحيح. هذا بيخليني أخاف شوي، أخاف من إنه هل معناه إن فيه نجاح لقوى مخربة في المنطقة تدخل عشان تخرب النضالات، مش بس النضالات النسوية؟ وهل تستخدم النضالات النسوية سلم عشان تخرب النضالات الوطنية؟ هذا الموضوع بيرعبني، وبتأمل إنه يكون فيه صدوة أكبر من الأحزاب السياسية، حتى الشخصيات الوطنية المستقلة، والشخصيات الوطنية اللي في الحكومة، إنها تنتبه إنه في مخططات لطمس أي صوت نضالي في البلد، ولازم هذا يتم التصدي له.

يستهدفوا النساء حالياً، لكن بكرة ما تعرفوش مين الهدف الثاني لهم.

قالت لي: "سما سمعتي تصريحات ملكة السويد؟" قلت لها لا، قالت لي: "صرحت هيك وما حدا راج يرد عليها إلا أنت، لأنك أم ونسوية وأولادك مصابين، أنت اللي ردي عليها". كتبت رسالة وأنا فعلاً متأثرة كنت جداً، كتبت عشان أوضّل لصاحبة الجلالة شو حالة الأمهات الفلسطينيات، اللي هي بتعتبر إننا بتحرّض أولادنا وبتعتهم ع الموت، وإحنا في الحقيقة بنحاول نحافظ على أولادنا، ونوجد لهم أفضل ظروف للعيش فيها. وأرسلت الرسالة لكل منظمات "عابشة"، كنت منسقة الشبكة العامة، وبعدها وفد من كل بلد عربية طلع بالرسالة على السفارة السويدية في بلده، صفية فرحات، زميلتي من تونس، ترجمتها للفرنسية، وعائدة سيف الدولة، في مصر، ترجمتها للإنجليزية. على أثر هذه الرسالة، طلع تصريح مركز السويد إن الملكة لا تقصد إهانة النساء الفلسطينيات. بالتالي اشتغلنا أكثر على موضوع مركز التضامن، وطلعت قضايا كثيرة في بلدان عربية مختلفة اللي اشتغلنا فيها على التضامن، اللي وحد النساء العربيات في قضاياهن، لتكون أي قضية في بلد عربي هي مسؤولية كل النسويات في الدول العربية الأخرى، لأن أي انتصار تحققه النساء العربيات في أي دولة عربية هو انتصار لكل النساء العربيات.

كمان اشتغلنا في مركز التضامن على حملة مع اللجان الفلسطينية في مخيمات اللجوء، وكل الدول العربية كمان سلمت رسائل، واجتمعت مع السفارات المختلفة تشرح فيها أوضاع النساء اللجئات، وأهمية العمل معهم. هذا على المستوى الفلسطيني، كمان حملات تضامن مختلفة مع نساء مختلفات. افكر "شبكة عابشة" اشتغلت على مدار عشر سنين، ولكن استطاعت فعلاً إنها تخلق تغيير جذري، كمان استفدنا من تباذل الخبرات، والتدريبات المختلفة. درينا بعضينا من بلد لبلد، كل بلد شو عندها خبرة دريت البلد الثانية، عقدنا مؤتمرات كثير، ناقشنا فيها في قضايا نسوية كثيرة، وأخذنا مواقف موحدة من هذه المواقع النسوية. أنا انتخيت مرتين متتاليتين منسقة لهذه الشبكة، مع التمديدات، تقريباً عشر سنين منسقة لهذه الشبكة، تفاعلت فيها مع الحركات النسوية العربية التقدمية في بلدان عربية مختلفة. لا زلت لليوم عندي صديقات، وتواصل، واتصالات، مع ها دول الناس اللي اعتبرهم كنز فعلاً في حياتي. التضامن والتشبيك العربي كثير مهم. وبفكر كمان التشبيك على مستوى دولي مهم جداً، خصوصاً الآن عمّ تنطرح قضايا في المجتمع الدولي، يمكن لسه ما نجحناش كثير في هذا التشبيك الدولي، عبر المؤتمرات الدولية، اللي نطلعها بين فترة وفترة. لكن لازم نتشكل أجسام غير حكومية، وأجسام مش تابعة لمنظمات دولية، إنما تابعة لمنظمات نسوية في المنطقة اللي تقدر

سهام البرغوثي: قضيتنا عادلة لكن بدنا نعرف كيف نستثمرها

منذ ولادة سهام البرغوثي، الخليل في عام النكبة، تقاطعت سنوات حياتها مع واقع الحياة الفلسطينية، بداية من ضياع الوطن، وإدراكها جوانب النكبة/الضياع على مدار سنوات وعيها، وجرائم الاحتلال، والنضال ضده، وصولاً لتوليها منصب وزيرة الثقافة (2009-2013).

هذا التقاطع يبدو حتمياً في حياة كل فلسطينية، لكن شهادة سهام تحول هذا التقاطع إلى سرديّة خاصة مفتوحة على الشأن العام والأحداث الكبرى. نتابع حكى سهام المرأة المشغولة بالماركسية والنسوية، المنتظمة سياسياً، المنخرطة في النضال، والعمل الأهلي، وذلك في شهادتها المعتمدة على مقابلة جرت في 18 تشرين الأول/أكتوبر 2020.

قضيتنا ضياع وطن

سهام البرغوثي، أعزّت حالي كأمراة فلسطينية، أيضاً بالبعد العربي والبعيد التحرري لكل الحركات النضالية التي تسعى لحرية الشعوب. ولدت في 1948، يعني عام مميز، عام النكبة الفلسطينية. ومن هذا العام وحتى الآن، لجق الشعب الفلسطيني ظلم تاريخي لا زال يعاني منه.

أنا واحدة من أسرة عدد أولادها عشرة، ذكورا وإناثا، ثماني أخوات، أنا الأخيرة، غير أخين. ومن أم ذات شخصية متميزة وقوية وشجاعة، خاصة إن والدي توفي مبكراً، كنت لا أتجاوز أربع سنوات، وكان على أمي المسؤولية التامة في بناء هذه الأسرة. فهي استطاعت أن تربي الجيل كله، وطلعتنا بحيث أهم شيء تفتنا بذاتنا، وتربينا على أنه فيه نعد وطني، والتمسك بالجذور. أيضاً ما كان فيه تمييز ما بين الذكور والإناث، عقلية أمي مفتوحة، متنورة، كانت تطلع على كل الثقافات، بالتالي كان هذا جزء من تكويني الذاتي، بحيث إنه قد إيش الميل لحب المعرفة، وأيضاً للتكوين الذاتي. يمكن أمي لعبت دور في نقل سمات الوالد، التي كان يتميز بحبه للعلم، والمعرفة، وبأهمية

تعليم البنات. بالتالي حملت هذه الرسالة بإصرارها إنه لازم كل واحدة فينا تستكمل تعليمها، مش الثانوي فقط، والتعليم الجامعي. هذا يعتبر المكون الرئيسي للشخصية، بالإضافة لَمَا تعيش في مجموعة وليس بفرد، العلاقة الجمعية ما بين الأخوات، ومفهوم العطاء، والإخلاص، والمبادئ والقيم، تصير لترسخ فيكي كمفاهيم، ومضامين ضمن الطفولة، وليس يتأخذيها من المجتمع. هذه يمكن الخلفية، وطبعاً أمي كانت تسعى إن تكون سمة السعادة، والطمأنينة، أعطتنا مفهوم الحماية اللي لازم تأمن بناتها إن فيه أمان، وفيه استقرار، هذا جو الطفولة بيخليكي دائماً تفكري بأبعد، بمنظور أبعد من الواقع اللي إحنا فيه. هذه الحياة اللي عشتها كطفولة هي كيف أطور ذاتي، وإيش الحلم، وإيش الطموح اللي لازم يكون.

بفترة المدرسة يمكن كان فيه أحداث سياسية، يمكن كنت لسه لست بالوعي التام لها، بس المشاركة في بعض المظاهرات، والمسيرات، اللي نأكد فيها على قضية عربية فلسطين. يمكن في هذه المرحلة كنت واعية إنني فلسطينية، وإن فلسطين ضائعة، لكن مش متفهمة كيف ضاعت فلسطين، وكيف أخذت، بس بقدر أفهم إنه فيه ناس تهجروا، ناس شردوا، في واقع إقامة كيان بناءً على اقتلاع وتشريد شعب بالكامل.

بدأ هذا النمو أو الوعي، تطوّر الوعي بس بشكل مبسط، إنه فيه عندنا قضية وطنية هي قضية ضياع وطن. خاصة أننا في هذه الفترة جزء من المملكة الأردنية الهاشمية، بالتالي مفهوم جواز السفر الأردني، خلق عندي هذا التناقض بأنه فلسطينية ولا أردنية. في ذات الوقت يمكن فيه تأثير لبعض المعلمات، إنه كيف نفكر بطريقة المساواة الجندرية، إنه النساء، الإناث، قدرات تستكمل التعليم، خاصة في هذه المرحلة كل اللي يكملوا فيها وعملية التسريب من المدارس عالية، وعملية الزواج المبكر عالية، بس فيه بعض المدرسات اللي زرعو فينا إنه أهم شيء كيف إنه المرأة لازم تتعلم، ويكون عندها سلاحها. طالما عندها فكرها وعقلها، هي بالمساواة بالرجل. بلش ينمو عندي الفكر هذا، ويتذكر مرة اعطتنا معلمتنا اللي كان اسمها بيان التشاشيبي، إنه نكتب عن قاسم أمين إيش عن تحرر المرأة. أنا كتبت من الأعماق، كيف تسير عملية التحرر لقضايا المرأة، هذا بسمة عامة قبل مرحلة الجامعة. في الإسكندرية، صارت الصدمة الكبيرة في أول سنة بالجامعة، اللي هي صار فيها هزيمة 1967. هي جسدت أول مرحلة أدت إلى نضجي في البعد الوطني، وفي ذات الوقت كنت في غربة باستكمال تعليمك، بدك تثبتني حالك كأنثى.

في الإسكندرية وقت الهزيمة

كان معي في الإسكندرية أخواتي، كنّا أربع البنات، كنت في سنة أولى بكلية التجارة بجامعة الإسكندرية، وهن في زراعة، من سنة ثانية لزراعة.

وجود الأخوات يعطي جو من الطمأنينة، من مساندة ودعم وتضامن مع بعض. في هذه الفترة كنت أشعر إننا حاملين رسالة فيها إنه لازم نتعلم، وثبتت جدارتنا بالتعليم، وإنه فعلاً حق الإنث في التعليم، وإنه هي فادرة تمشي بالطريق الصحيح، وتنقل شخصيتها في الغربة. بفترة الجامعة طبعا صارت أحداث، وهيك الحدث التالي، أو الأثر الكبير هزيمة 1967. طبعا كنت في الغربة، وما يعرف كيف الوضع، أمي وأخوي هون، بالتالي شو وضعهم، انقطع الاتصال. اللي شوي كان بيهون علينا إن إحنا لسه الأخوات مع بعض، وأخوي يتصل فينا. هذا في مرحلة بدى أواجه فيها خسارة كبيرة للشعب الفلسطيني، إنه قامت دولة إسرائيل، وهلك استكمال عملية الاحتلال. أيضاً لأن كنّا في مصر وكان فيه احتلال سيناء، وتأثير الهزيمة على المصريين بفقدانهم أعداد من أبنائهم، وفقدانهم الأرض، ودخلوا مرحلة صعبة اللي سموها الاستنزاف. هذه كلها عوامل ساعدت في تقارب بيننا إحنا الفلسطينية، الطلبة الفلسطينية صاروا يتلموا مع بعض في أنشطة، يتضامنوا مع بعض، لأن فيه وضع كثير صعب.

في ذلك الوقت إحنا في كلية التجارة، بندرس مواد على الاقتصاد تحديداً، الاقتصاد الرأسمالي، والاقتصاد الاشتراكي. بالتالي النظرية الماركسية، وكل هذه جذبت انتباهي خاصة بمفهوم فقد القيمة، وقد إيش الطبقة المتضررين، وقد إيش بيدفعوا الثمن، ومن فيه امتياز بالقطاع الخاص بأخذ ثمار عمل الآخرين. بلبّست هذه الرؤية تتبلور عندي، إنه معظم الفئات الاجتماعية، ومن ضمنهم النساء، يتعرضوا لعملية الاضطهاد، بمفهوم النضال الطبقي. رغم إن المخزون الفعلي لأي نضال، أو لأي فعل نضالي، سواء الوطني أو الاجتماعي، هو المخزون من هذه الفئات الاجتماعية. بلبّس يتبلور عندي الفكر اليساري أو الماركسي، واللي فيه طبعا مفهوم نظري حول قضية المرأة وتحريها، هذا بلبّس. هذه كان طول سنوات ما بعد الهزيمة، قضيت ثلاث سنوات، تخرجت في 1970، كنت خلاص في وضع القضية الأساسية مش فادرين نتعايش بحياتنا اليومية، وحياتنا الجامعة. لأن فيه قضية وطن، وإيش راج اعمل في مواجهة كل هذه المرحلة. بالتالي ما كان فيه عندي حياة عادية، كنّا نشعر إنه ما نقدر ننبسط طالما الناس تعاني من قمع واعتقالات، وفيه تهجير. وبالتالي فرضنا على أنفسنا إنه ممنوع تتيجحي. نتيجة التعليم تكسبي معرفة، اختلاطك بالمصريين والمصريات برضو

يعطيك تجربة، مثلاً لما تنحى عبد الناصر، من غير ما ندرك الشوارع اتملت، وما شوفت حالي غير وأنا بالشارع، أنا وأخواتي، وثاني يوم المطالبة بالعودة. بس المشاركات كانت مش في القرار.

ولما صدر الحكم على مسؤولي الطيران في الجيش المصري، نتيجة أحداث حزيران/يونيو، وحاسبوا قادة سلاح الطيران، والمسؤولين الآخرين عنها، اعترض الشعب المصري على إن أحكام الحبس كثير خفيفة أمام المأساة الكبيرة، إنه راحت أراضي سيناء كلها، واستشهد العديد من الضباط والجنود. المصريين قاموا بمظاهرات كبيرة، علمتني إنه في قضية، قضية لشعب يلمسها، وعنده قدرة على الاحتجاج على القرار، طالما شافوا إن هذا القرار ظالم، ما بيعطي استحقاق للناس اللي فعلاً ساهموا في حصول هذه الهزيمة. مرات كانت المظاهرات في مصر عنيفة، وبناءً على ذلك أغلقوا الجامعات، ما يقارب 50 يوم ما تقدر يش تروحي على الجامعة، وممنوع توصلي للجامعة. شوفت عملية القمع فيها.

ومن تجربة الاختلاط بالمصريين أيضاً لما صارت مسيرات، وإحنا ما نشركش فيها، وفيه مسيرة من حلوان انتقلت فيها طالب. وقامت كل الجامعات احتجاج، صار فيه اعتصام في كلية الهندسة، واحتجاجات واسعة. برضو فهمت العمل النقابي، والاحتجاج على ممارسة القمع ضد حق التعبير. نتيجة هذه الأحداث يبدأ ينمو الفكر حول حقك في قضية التعبير، حقك في قضية المرأة في التعليم، حقك في المشاركة في الاحتجاجات اللي بتسير فيها، حقك كمان في النضال من أجل القضية الوطنية. هذا في مرحلة الجامعة تبلور عندي إنه فيه مسؤولية على أي فلسطيني أو فلسطينية في العمل من أجل تحرير البلد.

خلصت في 1970، لما صارت هزيمة حزيران/يونيو كنت في الإسكندرية، وفي نهاية العام كنّا بنحضر للعودة بس مقدرناش. بالتالي لما صار الإحصاء في فلسطين ما عنديش لَمْ شمل¹، ما عنديش هوبة. لما خلت الجامعة اضطريت أقعد في عمان لحين ما يطلع لي لَمْ شمل. في عطلة 1970 بعد التخرج، جيت على الرملة. لما انتهى التصريح بدى أطلع وطلعت في 15 أيلول/سبتمبر. وصارت

1 في خطاب في تاريخ 9 حزيران/يونيو 1967 أعلن الرئيس المصري جمال عبد الناصر بنحيه عن منصبه، وذلك في أعقاب هزيمة الجيش المصري أمام نظيره الإسرائيلي.

2 مع احتلال إسرائيل للضفة الغربية في العام 1967، أجرت سلطات الاحتلال تعداداً سكانياً لاهالي الضفة، وكل من سجل امتلاك حق الإقامه في الضفة والحصول على بطاقة المواقنه اما اهالي الضفة الذين هاجروا ولم يسجلوا فلم يسمح لهم بالعودة. الا بالحصول على تصاريح زياره، ثم وضعت شروط لـ"لم الشمل" في العام 1992 ومنها وجود أحد المهربين داخل الضفة. ثم بم التصديق أكثر يجعل شروط لم الشمل ان يكون القرابة من الدرجة الاولى. ثم منعت سلطات الاحتلال إجراءات لم الشمل الا حالة الرواح

حرب أيلول، شاهدت الحرب، كنت نازلة عند أقاربي، بالتالي لا فيه لي بيت، وآلا شغل، طبعا تأثرت كثير.

ما العمل؟

شهدت حدثين كبار في حياتي؛ هزيمة 67 وحوادث أيلول. وخلال الأخيرة، مقدرتش أعمل شي، بس كنت زي مراقب. لما تكوني في سن ريعي، يعني من 19 لـ 20 سنة، ومش متبلور عندك أي موقف إزاء القضية، بس بتعيشي في وضع ملتهب، ووضع صراعات، أنت مش قادرة تفهميها، صراعات كبيرة.

عدت للوطن في 1971، واخذت لم شمل. مع كل هذه الأحداث صار عندي قناعة تامة، لا بد من عملية المشاركة بالعمل الوطني، أو بأي عمل. طبعا كان ماضي أربع سنوات للاحتلال، ما فيه أنشطة، لأنه مباشرة بعد 1967 حصلت اعتقالات وإبعادات، وكل قيادات العمل الوطني صفوا بزه. الناس بدأت تتعايش مع هذا الوضع، لكن في ذات الوقت فيه تمردات.

الفترة صار سؤال بالنسبة لي ما العمل فيها، في هذه الفترة كان معظم نشاط الثورة الفلسطينية المعاصرة بالخارج. الناس هون بيواجهوا سياسات وإجراءات الاحتلال، من منع سفر واعتقالات، وكانت المقاومة تبعت كل فترة بعض العمليات العسكرية. بالتالي كان فيه ملاحقة من قبل سلطات الاحتلال لكل الخلايا العسكرية، وكان الواضح إنه كان فيه سياسة عندهم. إنه الضرب للخلايا العسكرية، بس المواطنين يكونوا بعاد عنها، عشان هدفهم يتعايشوا، بس ما فيه حركة جماهيرية.

من هون فيه اعتصام، من هون فيه احتجاج، طبعا لأنه بدايات 1973 كان فيه محاولة لتشكيل الجبهة الوطنية المركزية، بالتالي الاحتلال وجه ضربة كبيرة للجبهة الوطنية أضعفت التحركات. وبين بليشت؟ بليشت بشوية النهوض في 1974، لما صار قمة الرباط والاعتراف بمنظمة التحرير، بليشت التمسك بمنظمة التحرير. فترة من 1971 لـ 1973 أنا عملت مدرسة بعد العودة، كنا نفكر إيش اللي نقدر نعمله. يمكن عدم الالتحاق مع فصائل المقاومة، فكنش فيه أن التجب مع فصائل المقاومة في هذه الفترة. إنه إيش ممكن كشباب نعمله مساهمة، لا بدنا نخرط بفصائل المقاومة اللي هي بس عمل عسكري. وأنا بدّي الممارسة، لكن بطريقة ثانية. أنا وأختي، كنا في نادي اسمه "نادي القد" بجمعية الشابات المسيحية في القدس، وهو نادي بيسعى لإقامة ندوات لتثبيت البعد الوطني، واستضافة شعراء، بتذكر أول نشاط حضرته كان للشاعرة القديرة فدوى طوقان، بالتالي كان عدد حضور كبير. كانت تلمس إنه الناس بحاجة لشي. كمان كان فيه

استضافة سميح القاسم، وهذا ألهب المشاعر بشكل كبير. انعرض علينا، أنا وأختي، نشغل بهذا النادي، مجموعة من الشباب، منهم أساتذة، ومنهم إحنا المعلمات. فكرنا هل بالفعل من خلال هذا النشاط هل من الممكن تنشيط دور البعد الثقافي، تثبيت الهوية الفلسطينية، رفع الوعي الوطني، زيادة المعرفة بالأفكار التي تنطرح، بهذا الشكل؟ إحنا من خلال التجربة صار فيه تفكير، حدا بادر يمكن إيش ما نشغل مع الطلبة في المدارس، عشان نهدف إلى تشكيل لجان طلابية تكون لها حرية في طرح القضايا عبر مجلة الحائط، المطالبة النقابية، يجتمع الشباب لتوعيتهم. قلنا والله فكرة.

ومن خلال لقاءات جماعية طرحت فكرة خلينا طالما مش قادرين نعمل لجان طلابية بالمدارس، يمكن بعض القوى السياسية في هذه الفترة عملت ما بقدرش أعرف، بس أنا بحكي تجربتي، المجموعة اللي كنا موجودين فيها لأنها مش تابعة لسه لأي تنظيم سياسي. بالتالي حدا طرح فكرة العمل التطوعي، مثلاً بالاتحاد السوفيتي يوم السبت يسموه "السبت التطوعي"، كل الناس بتشارك في أعمال تطوعية. فكرنا نشجع الشباب، ذكورا وإناثا، على العمل التعاوني. منها بتعلمي بشكل جماعي، ونتيجة إجراء حوارات مع بعضنا يتطور الفكر، وتعزيز الانتماء الوطني، منها أيضا منع الهجرة لمعظم الشباب. منها أيضا قد إيش ممكن نقدم خدمات للمجتمع من خلال الطاقة الشبابية، خاصة في ظل نقص كبير وحاد بالخدمات اللي يقدمها الاحتلال. لأنه بنشوف كيف البلديات تواجه المدارس، تلاقى ما بينوا مدارس جديدة، إذا بدهم بينوا يبينوا صف واحد. أيضا من الجانب الثاني واللي هو البعد الوطني، إنه في العديد من الأسرى كيف تساعد أهاليهم سواء بموسم قطفة الزيتون، بموسم الحصاد، كيف إذا هدموا الإسرائيليين بيت، كيف تساعد في بناء بيت. هذا أعطى دور، إن هذا الدور الشبابي في المجتمع عشان ما يكون بس ينتظر، وإنه في حدا حامل الرسالة، وكيف تحملي رسالة. شكلنا، وقولنا طب وين بدنا نشغل، قالوا: "خلينا نشوف مكتبة بلدية الرملة، ومكتبة بلدية البيرة"، واللي كان لسه عليها، عبد الجواد صالح، رئيس بلدية البيرة، وكان كريم خلف، رئيس بلدية الرملة. أنا واحدة من اللي لكفوني أروح أشوف صالح وخلف. والأول في بلدية البيرة قال: "يا أهلاً وسهلاً، إحنا نرحب بكم." ما تعملوا عمل تطوعي أنا معكم. هذه المكتبة إيش ما بذكّم تعملوا عملوا". برضو في بلدية الرملة، رئيسها قال: "اللي بذكّم".

هذا إحساس الشخصيات اللي كانت وطنية في ذلك الوقت، تحس إنها أي مبادرة بدّها تلتقطها طالما بتصب

في اتجاه توعية الناس، وضمودهم. بلّشنا بمكتبة بلدية البيرة، إحنا مجموعة كان معظمنا بسلك التعليم، بدّنا نشغل ونجيب شباب. قالوا: "طالما معظمهم بيعلموا بالتوجيهي، خلينا نبدأ أولها كفكر تطوعي نعطي دروس مجانية في الفيزياء والرياضيات، مين يحب من ها الطلبة الموجودين بهذا الموضوع"، سجّل الطلبة، والله مشيت. الشباب صاروا ياخذوا حصص في الفيزياء والرياضيات، ومعظمهم اللي شاركوا صاروا قيادات سياسية في المجتمع. جينا قلنا بعد لما خلس التوجيهي، نعمل لقاء مع الشباب ونشوف في شو ييفكروا، وإيش ممكن نعمله. كثير كانوا متحمسين، قلنا لهم إحنا بنعمل فكرة ممارسة العمل التطوعي، ومساندة النساء والأهالي، وكل هذه القضية، وأيضا زي كيف متتدي ثقافي، كيف يكون كل أسبوع نقاش كتاب، نقاش موضوع سياسي، نشغل بالتطور. ما بدنا لا رئيس ولا نائب رئيس ولا شيء، نختار واحد يدير المناقشة كل مرة، إن شاء الله أصغر واحد فينا يدير الجلسة، على مفهوم إن الكل زي بعض وإنه فريق عمل، وضل مشي الحال. طبعا كان عدد البنات قليل، كنت أنا وأختي، وحتى واحد من الشباب قال لنا "انتوا بتعرفوا تمسكوا الطورية"³، قلنا له تمسك الطورية هي شغلة، وبلّشنا بها. أنا بقول إن هذه كانت من أهم المراحل لما يتطلع بحياتي، حسيت بدور فعلي بخدمة المجتمع.

مرحلة فيها دور للشباب، بإمكانهم الترويج لرسالة، وهي التضامن مع بعض، حتى لو مش منخرطين بالعمل السياسي مباشرة. هذه كلها في مواجهة إجراءات الاحتلال، مش مباشر بس إحنا نتضامن مع بعض، بنحاول نقدم الخدمات للمؤسسات اللي متواجدة فيها، وتعالني من صعوبة في تأمين وتوفير هذه الخدمات، رفع الوعي من خلال النقاشات. الروح الشبابية الجماعية في المبادرة، لما بنروح على أي موقع يتلاقى الناس تشتغل مع بعض بروح حلوة، أول ما بلّشنا يمكن مكّش عشرة.

وأول ما بدأت الفكرة، وهذا كمان اللي كان حلو فيها، كانت زي كرة التنس، تتصل في المدارس بجوا فيها، على صعيد الرملة، انتقلت لنابلس، للخليل، لجنين، ومارسنا عدة أنشطة. فعلا كانت مثمرة، إقامة مخيمات في الصيف في بعض المواقع، وتنجز أعمال ميدانية، وإنه كمان بليل لما يكون مخيم. أنا بتذكر مثلا استضفنا راجح السلفيتي في ندوات، ومنها عملنا حراك ثقافي، وأيضا حراك بتنفيذ مشاريع منيعة. هذه أنا شو استفدت، إنه زاد الالتصاق بالأرض والوطن. تبلورت فيها.

3 الطورية هي مجرّفة من الفولاذ، تستخدم لنكش الأرض الزراعية وحرثها، خاصة حول الأشجار والأماكن التي لا يصل إليها المصراة.

في نفس الوقت ظهرت كمان الحركة المسرحية، وكان فيها بعض المسرحيين يحاولوا إعادة تنشيط للحركة المسرحية ببعدها التنويري. قلنا بنشارك كمان ببعض الفرق، كان فيه فرقة اسمها "بلالين"، شاركنا فيها. بعدين فرقة "تداييس" شاركنا فيها، يعني كمان فيه تنشيط في المسرح، وأهمية دور المسرح. معظم اللي كانوا بيشتروا في العمل التطوعي شاركوا في المسرح، ربطنا ما بين الحركة المسرحية والعمل التطوعي. هذه المرحلة كثير فادتن في تطوير الوعي، والالتزام، والانغراس الفعلي في الشأن العام. ضمن هذا كان معظمنا يساريين، وكان الجدل في القضايا، وفيه تباينات بالرأي، لأن فيه ناس كانوا متممين للشعبية. لغاية وقتها، أنا ما كنتش في أي تنظيم، كّنا نقاش الكتب، ومنها ناقشنا كثير حول قضايا مثل كتب نوال السعداوي، وقضية المرأة وحقوقها، وإنه لا يمكن تقدّم المجتمع إذا لم تتقدم النساء. كمان عزز إنه كيف إحنا كنساء، بالتالي يثبت العمل التطوعي إنه الشاب جنب الصبية ما فيه فروقات، حتى لو كان فيه فروقات عضلية، بس هي بتقدر تنتج فكرها ممكن يكون مساوي له، أو ممكن يكون سباق له. هذه عززت كلها إنه لازم النضال من أجل قضايا النساء، وأيضا ساهمنا في كيفية تجميع النساء إنهم يجوا على العمل التطوعي. خاصة إنه ما كنتش سهل في هذه الفترة مشاركة البنات، وإحنا تعرضنا لهجوم في الدواجم، على أساس ها دول شباب وبنات، بس كان عندنا إجراءات صارمة حتى نتجّع، معني ذلك فيه ضوابط للسلوك، ممنوع أي تصرف غير لائق. إحنا بننزل على قري، بدّنا نحترم ثقافة هذا المجتمع، وبدّنا نوصل رسالة إن هذا العمل التطوعي لكم، لمصلحتكم، وبمشاركة الشباب والشابات. وهذا يبدأ يغيّر نظرة المجتمع للشابات، مش بس النساء. بالفعل هذه الفترة نتيجة بقدر أقول نجحنا في إنه انخرط عدد واسع من الفتيات في العمل التطوعي، وفي النقاشات، وتبلورت كثير. أنا بشوف في معظم اللي شاركوا دخلوا في ما بعد في التنظيمات السياسية. كانه كانت مرحلة سابقة، أو مرحلة تهيئة وإعداد للشباب، وتحديدًا للنساء إنهم يهتموا بالشأن العام، ويبدأوا ينتقلوا من الشأن الخاص إلى الشأن العام. هذه قضية نسوية كثير مهمة، كيف بدك تحولى النساء إلى قوة أساسية في قوة مجتمع. لكن إذا بدّها تتحول من الشأن الخاص إلى الشأن العام، مش قضية بسيطة، والتنوير والنقاش حول قضية الاضطهاد والتمييز حول قضية الجنس حول النساء، والنساء تواجه ثلاث مركبات، اضطهاد قومي من قوة الاحتلال، واضطهاد كعاملات، واضطهاد كونها امرأة من حيث الجنس. بالتالي بدك كيف تحرض النساء إنه إحنا قادرات،

نستطيع. كان فيه عمل يقولوا لنا كيف بدكم تحمّلوا التورية، حملنا التورية. من أهم وأبرز الأعمال في العمل التطوعي إن كل الطرق في داخل مخيم الجلزون، ما كنش في صبات، صبات، وكان عدد واسع من الشوارع، في كفر مالك، حطينا أعمدة كهربائية. شاركنا كثير في موسم قطف الزيتون، ومواسم قطف الحصاد. أول ما بلشنا لتنظيف الشوارع، بعدين صار الناس يشعرون بأهمية العمل، وهذه كانت تجربة كثير حلوة. إن أهل القرية كثير استقبلونا، وكثير رحبوا فينا، وكثير كان لازم يضيفونا، قلنا لهم إحنا بدنا نساعد. بالتالي بلش الفكر، يمكن كان فيه صعوبة إنه نساء القرية تشارك بالعمل التطوعي، بس كانت فكرتنا خليه يشوفوا إن فيه نساء بتشارك وقادرة إنها تشارك، مش محصور العمل بهذا، حتى لو كان شي عضلي مش محصور بالنساء. هذه التجربة، كانت بين 1974 و1975، وهي مرحلة فعل عمقت فكري اليساري، زي ما قلت تبلور من أيام الجامعة، الفكر النسوي إنه أنا فيه عندي قضية غير الوطن، قضية نسوية، لازم نعمل من أجل قضايا المرأة. خاصة إنه حسيت فيه بصيص من الأمل، المجتمع لسه بينظر okay للنساء، بس إنا النساء بلشت تثبت حالها، ممكن نغير نظرة المجتمع لها، ممكن نغير من خلال هذا العمل.

كان فيه قبل جمعيات ومؤسسات خيرية بتعمل فيها، وفيه نقابات عمالية. ولكن كظاهرة جديدة كانت، إنه كيف تجذبي نسبة عالية من الشباب والشابات في العمل الوطني. كان فيه مؤسسات اللي هي صحيح محاصرة من قبل الاحتلال، لكن بتقدم خدمات تحديداً للي بيعانوا من إجراءات الاحتلال.

مرحلة العمل التطوعي، بـ1974، صار فيه الاعتراف بمنظمة التحرير، وصارت فيه مسيرات. وكنت أنا أعلم في بنات البيرة، طيفاً بدهم يطلعوا، بس فكرت كيف نسهّل لهم إنهم يطلعوا في المسيرات، حدث كان كيف إنه نطلع البنات، وكمان لما يبجي الجيش نركضهم، أدى ذلك إلى استدعائنا كمعلمات، وتهديدنا من قبل الحاكم العسكري، انتوا اللي بتسمحنوا للطالبات. بعدها دخلوا علينا بقمع رهيب في المدرسة، وشدوا حتى الطالبات والمعلمات، باخدوهم لساعات توقيف. كان فيه قمع لأنهم شافوا إنه الجيل الشاب بلش التحرير، فبلشوا بعملية القمع.

في 1976 كان فيه قرار واضح. هلاً أنا في 1975 كُنا بنعمل بمجموعة كمان داخلية، مجموعة شباب وبنات للثيف بالماركسية، صار نقاش وحوار كثير، لأنه صار منظمة عملها يكبر، ليش ما نكون ضمن فصيل من فصائل المقاومة، ومش ضروري الفصيل إنه ناخذ الجانب العسكري، ممكن

الفصيل من الجانب السياسي، بلشت في هذه كمان حوارات. داخل العمل التطوعي كانت تجري حوارات لأن كان فيه ناس شعبية، وناس لحجب الشعب، ولفتح. بالتالي كان يجري حوارات فيها لما صارت 1974، وصار برنامج "النقاط العشر"⁴. كُنا تناقش العمل التطوعي ويصير استناد واصطدام، بدنا نحافظ على العمل التطوعي. تباينات سياسية أي نعم، لكن فيه أرضية، فيه هدف، فيه رسالة، علينا أن نلتزم فيها. وفي 1976 كانت كمان مرحلة إعادة النهضة للعمل وللهجات الجماهيرية، والدور السياسي، وتبني "النقاط العشر" من رافض البرنامج، ومين مع هذه النقاط العشر. بـ1975 المجموعة اللي كُنا فيها قررنا إن كلنا ندخل بالجهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. باعتبار إحنا يساريين، وواحدين بالسياسة، ومتمنيين السياسة بعملا السياسي الواقعي أقرب تنظيم اللي نقدر ندخل فيها، وبلاننا هي الجهة الديمقراطية. صرنا أعضاء للجهة الديمقراطية بصفة عضوية بـ1975. لما تصيري عضوة في تنظيم، يصير عندك مهمات، بدك توسعي، بدك تواجهي كل هذه المسائل. لأن التنظيم هو يعني آلية للهدف الأوسع، اللي هو التحرر، وفي نفس الوقت البعد اللي عمره، ما بعد عنا هو البعد الاجتماعي. إنه كُنا متبين بقدر ما أن تساهم المرأة في النضال الوطني راح يكون فيه تغيير في وضعها الاجتماعي مرتبط بـ1976 مرحلة إنه النساء دخلوا كمصوبات، لو بحق لها الترشيح والتصويت، بس للغرابية الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية كان يعمل بشكل سري، بس مندوبات التنظيمات السياسية، بيعملوا بيانات، اعتصامات، بس بعمل سري، أنه كان كله العمل سري. عشان هيك كانت مرحلة كثير صعبة، إنه كان فيه عندك عمل سري، وبالتالي بدك تحافظي عليه. في ذات الوقت ما بينفع في عمل سري، يكون عمل جماهيري وشعبي، اللي هو كان من خلال المشاركة أي شيء جماهيري زي العمل التطوعي، زي حركة مسرح أو نقابات. جاءت الانتخابات، كان فيه تجربة أنا مش مرحلة فيها، بس كان فيه تجربة جديرة إن الواحد يسجلها، لأنه كان ولا مرة إنه النساء بدهم يمارسوا حقهم بالانتخاب. وفي 1976، وفق القانون الأردني⁵ يحق للمرأة التصويت، وإحنا تبعتنا القانون الأردني التابع للبلديات.

بس كان موقف المنظمة، حتى يتاح الفرصة لمؤيدين منظمة التحرير إنهم يفوزوا في الانتخابات، لأنهم كان

4 البرنامج هو الخطه اللي أمرها المجلس الوطني الفلسطيني، الهيئة السريعية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وذلك في اجتماعها بالقاهرة في 3 حزيران/يونيو 1974.

5 في 1976، غُدر القانون الأردني رقم 29 للعام 1955 اليساري في الضفة الغربية، وهو المنظم لعمل البلديات الفلسطينية بها، ومد سمح هذا التعديل للبنات البالغات التاسعة عشر عاماً بالانتخاب.

فيه التناقص الذي مع "الإدارة المدنية"⁶، والشعار الرئيسي لمنظمة التحرير: "نعم لمنظمة التحرير، لا للإدارة المدنية"، الإدارة المدنية كم قوائم. كيف التجربة إن بذكر تشاركي في المهرجانات الجماهيرية، بذكر أخذنا دور في إنك تطرق الباب من بيت لبيت من أجل كان عندنا قائمة في البيرة.

قرر اتحاد المرأة، كانت تقوده أم خليل، إنه ما تنزل النساء بالترشح. أنا ما كنتش فيه، يمكن لمسوا إنه، هلا فيه واحدة نزلت، بس مش كموقف اتحاد المرأة إنه خيلنا نتج قوائم منظمة التحرير. ما كنتش لسه فيه يمكن دور للحركة النسوية بشكل عام، كان الدور منيح للنساء بس دور تقليدي من خلال الجمعيات الخيرية، أو بالخلايا العسكرية، كان فيه مشاركة للنساء بالخلايا العسكرية، بس يضل العدد محدود. المشاركة في التنظيمات السياسية من الأقارب، بعدد محدود، مش بالانفتاح الواسع زي ما بعد ذلك. يمكن من هذه الدراسة، ما أقدرش أقيّم ليش أتخذ هذا القرار. هلا الهدف الرئيسي بس عشان إنجح، ويمكن لأنه لأول مرة قالوا الناس ما تستوعبش، التزاماً مع الفكر المجتمعي. يمكن المجتمع وهذا لو ترجع الأيام إنه كان لازم من أيامها افتتاح هذا الموقع حتى لو سقطت، لكن عملياً إنه النساء قادرات تقتحم معاركن في هذه المعركة. هذه نقطة سلبية، علينا كنساء كنا في هذه الفترة ناشطات وبلش لنا دور، ويعرف دورنا بالعمل التطوعي، بالمسرح، بالمشاركة في المسيرات، وبالمشاركة بأي خطوة ضد إجراءات الاحتلال. ما قاتلنا، لكن صار الهدف كيف نزود فرصة النساء في التصويت، عشان قوائم منظمة التحرير. ونسبة مشاركة النساء كانت عالية وهي التي ساهمت، لو يرجعوا للتاريخ، إنه بـ1976 قوائم منظمة التحرير التي نجحتها النساء.

هذه صار فيها أحداث كثيرة، صار فيها أحداث كمان مخيم تل الزعتر، نجمع تبرعات عشان فيها أحداث. بلشت الأحداث أكثر من بعد 1970، لأنه صار عندك منظمة التحرير ممثلة شرعية، صار فيه هبات جماهيرية زي ما قلت اعتقال الجبهة الوطنية، صار فيه انتخابات وعنوانها التأييد لمنظمة التحرير، وبلش الشارع يتحرك أكثر. مساهمة النقابات، والجمعيات، والفرق التطوعية، والمسرح، كل هذه بلشت تعطي شوية نهوض، وجهة نظري. نهوض عن الوضع التي فيها، وجراة أكثر في المواجهة.

1976 أيضاً كان فيها هبة جماهيرية، التي فيها تم استشهاد لينا نابلسي⁷. وفي العام نفسه فيه مقفل رئيسي، التي هي انتخابات البلديات. لما نزلت القوائم، كان فيه شغل على أساس قوائم منظمة التحرير.

وبالفعل نجحت قوائم منظمة التحرير، صار فيه وعي عند الناس بأهمية الالتفاف حول منظمة التحرير كونها ممثلة للشعب الفلسطيني، الكيونة السياسية التي فيها إعادة الاعتبار للهوية الوطنية الفلسطينية، بلشت تعطي دفعة كبيرة، بتواجد التنظيمات السياسية وعملها للحركات كلها، سواء فتح، أو الشعبية، أو الديمقراطية. فيه عندك لجنة ديمقراطية، وفيه عندك حزب شعبي، فيه عندك كل التنظيمات موجودة، وتحرك كوادرها وعناصرها. صار فيه حركة أكثر إنه ممكن تشجعي الناس لدى أي حركة. أعيد ترتيب وضع الجبهة الوطنية، بالتالي صار لها دور، لحين ما شكّلت بشكل علني، التي هي لجنة التوجيه الوطني، وهي ممثلة من كل التنظيمات والفصائل بشكلها العلني، مع شخصيات سياسية، مع رؤساء البلديات، على ضوء انتخابات البلديات، وفوز ممثلي منظمة التحرير، اختلف كثيراً دور البلديات من حيث الناحية الوطنية. قبل كان فيهم ما أقدرش أنكر بعض الشخصيات الوطنية على بعض البلديات، بس كان مش ظاهر كثير، لكن لما صار فيه فوز، وأعلنوا إن هادول فازوا بقائمة منظمة التحرير، والتي معظم الرؤساء صاروا زي بسام الشجعة، القواسمي، كريم خلف، كلهم بقوا محسوبين على التيار الوطني، كلهم ساروا عملياً زي كان لما أخذوا قرار بإبعاد الشجعة بالسبعينات، كان الاشتباك مع المستوطنين في روجيب، عشان مستوطنة "ألون موريه"، ونتيجة قرار إبعاده صارت تحركات كثيرة، واعتصامات في نابلس، والرملة، وعلى بوابة السجن. شو صارت الحركة تتوسع. من هون نتنقل للشأن الخاص، بس هذا يحكي على شهادة التاريخ.

ليش فكرنا بتشكيل الإطار النسوي، هذا البعد الرئيسي. إنه بناءً على تجربة العمل التطوعي، وفي استعداد للنساء للانخراط في هذا العمل التطوعي. بناءً على تجربة الانتخابات إن النساء ممكن أدلوا بصوتهم، وأيضاً دور المؤسسات النسوية، والجمعيات في دعم صمود الناس. بلش التفكير، قلنا خيلنا نشغل من خلال الجمعيات بس الجمعيات تضل الهيئات العامة محدودة، وهذا كان فكر الجبهة الديمقراطية. لأن أنا صرت في الجبهة الديمقراطية، كيف بذكر عملي على تنظيم النساء،

6 الإدارة المدنية هو مصطلح استخدم لوصف جهاز إدارة أحدهما في غزة والآخر في الضفة الغربية. وقد أسس في تشرين الثاني/نوفمبر 1981 بموجب أمر صادر عن وزير الدفاع الإسرائيلي بهدف الاهتمام بالشؤون اليومية للسكان المحليين. تال الإدارة المدنية كل السلطات المدنية التي كانت تحت سيطره جيش الاحتلال.

7 لينا حسن مصباح نابلسي، عادت مدرستها، "العائشة"، وقادت مظاهرة طلابية في اليوم التالي لذكرى النكبة، وهاجم جيش الاحتلال النظاره. وحين حاولت لينا الفرار إلى إحدى البنايات، تبعها أحد جنود الاحتلال وقتلها في 16 أيار/مايو 1976.

في بلدية الرملة. كانت الفئة كلها نخبة، حينما من كل التنظيمات، على أساس مش محصورة على قدر معين. مع إن كنا جهة ديمقراطية، إحنا المبادرات في المسألة بس فلنا لـ "فتح"، ولـ "حزب الشعب"، ولـ "الجهة الشعبية"، إنه إحنا بنفكر منح تكميل لدور الجمعيات وليس بديل. إحنا نفكر إنه فيه طاقات شابة، فيه طاقات النساء، بدنا كيف نجرها، وأيضاً من أجل تحريرها الاجتماعي، مش بس التحرر الوطني. بلّشنا بهذا الإطار، الكل استعد، والكل صار معني، بس كبدية فيها.

كانت بداية التفكير إنه كيف نعمل بحث، بالكورة عملنا إنه نعمل بحث حول وضع العاملات في المصانع والقطاع الخاص. هذه أعطتنا فرصة للقاء مع العاملات، ومع أصحاب المصانع، وكيف يمنعونا ندخل مع العاملات، وكيف وضع العاملات، التمييز، والأجور المتدنية، وما فيش الأجر المساوي للعمل الواحد، ولّ فيه إجازة مدفوعة، غير لاستغلال السماسرة. صرتي تحسي إنه في قضايا ملحة، مضبوط في قضية احتلال، وبذلك تواجهي الاحتلال، ما تقدري تواجهي الاحتلال إذا كمان ما اشتغلت مع النساء ها دول، اللي هن مقهورات، اللي بذك تصدقيهم، سواء يسويهم للنقابات، أو بدفاع عن حقوقهم. بلّشنا بعملية.

من إقامة جبرية أدت إلى اعتقال

صار زي كيف النار في الهشيم، زي كيف العمل التطوعي، بلّشنا عشر سيدات، وبعدين صرنا بالمئات فيها. بلّشنا نشغل مع النساء، هذه تجربة منجية إنه إحنا ما كان عندنا برنامج حاضر، هون كيف بعدين بالتنمية صرنا نفهم فيها. قلنا طب كيف بدنا نعمل مع النساء، حتى التنظيم ما يساعدنا، كان إنه "اشتغلوا مع النساء". صرنا نلتقي مع الناس ونقول لهم شو بذك، بشو تفكروا، شو اللي بذك إياه، شو اللي بنعانون منه، يقولوا "بدنا مجلس أطفال"، "بدنا حضانة"، "بدنا اليوم المدفوع"، "بدنا الأجر المساوي"، "بدنا دورات مهنية عشان أتمكن إنني ألقى فرصة عمل"، "بدنا محو أمية". صرنا بنبي برنامجنا وفق إيش بيطلبوا النساء، طبعاً من خلال العمل بالإطار النسوي كان الأغلب إنك تحاولي تربطي بين النضال الوطني والنضال الاجتماعي الحقوق للنساء، على أساس إنهم مش بس النساء استخدام للعمل النضال الوطني، للنساء حقوق، وكيف بذك تغيّري من واقع المجتمع، إنه ما يكون فيه تمييز، ما يكون فيه اضطهاد للمرأة، عن دور المرأة أساسي لإنسان ولها حقوقها.

نتيجة هذا النشاط، تعرضت بالاول في 1978 للمنع من السفر، في 1980 فُرض عليّ إقامة جبرية. هذا إنه النشاط الجماهيري، والنشاط هذا، كيف الاحتلال فكر إنه لازم ناخدي

إطار واسع جماهيري، وليس حزبي ضيق. خاصة إن إحنا في منطقة التحرير، مرحلة التحرير تطلب كل فئات المجتمع نصب كل جهدها فيها، وكان كل العمل في الخارج لتثبيت منظمة التحرير، وهذا كله إيجابي. لكن وبين الوطن، اللي هو محتل، وهو اللي يواجه الاحتلال، وهو الأساس فلسطين. حتى الخارج هو في شعار رئيسي للعودة، العودة لوين، لفلسطين. بالتالي الأساس فلسطين، إذا بالتالي كيف ممكن تطوير الحركة الوطنية، تطوير الحركة الجماهيرية، لفئات مختلفة، سواء بالنضال النقابي، أو المطلب بالنظام الوطني، سواء أيضاً بأهمية تنظيم النساء وحشد طاقات النساء حتى فعلاً إنه توصلي لثورة شعب، اللي هي وصلتنا للانتفاضة الأولى. كان مطلب كيف بدنا نعمل بتنظيم النساء، صار التفكير خيلنا نشوف من هذه التجارب. هذه النساء في العمل التطوعي رغم مجتمع محافظ، ورغم الثقافة المجتمعية، تمنع النساء، ورغم ذلك كسروا الحواجز النساء. تبلور إنه إحنا، وأنا كنت المشاركة الرئيسية، إنه خيلنا ندعو في الثاني من آذار/مارس في 1978 إلى ندوة حول المرأة وحقوقها. زي ما قلت صرنا رابطين في اضطهاد على المرأة طبقي واجتماعي، خاصة بلّشت تعمل بالسوق الإسرائيلي، وتكون تحت استغلال السماسرة، كل هذه المسائل، إنه خيلنا نفكر كيف ممكن نعمل، تكمل لدور الجمعيات النسوية، وطالما "اتحاد المرأة" سري، كيف ممكن نشغل بطريقة علنية لتنظيم النساء. عملنا ندوة بمكتبة بلدية الرملة، وحونا فيها النساء المهتمات بقضايا النساء لجلسة حوارية، تناقش كيف ممكن نعمل مع النساء في ضمن مرحلة احتلال وقمع تواجه النساء. قمع احتلالي سواء باعتقالها المباشر لأن ساعات يعقلوهم من الناشطات اللي في الفضائل، سواء التأثير غير المباشر باعتقاد زوجها وأولادها العبء اللي صارت فيه، الرجال كلهم راحوا على سوق العمل الإسرائيلي هي اللي تحملت قضية الحفاظ على الأرض، ونضالها بالعمل الزراعي وتحافظ على الأرض. كل هذه متطلبات، تسوى توجدي آلية جديدة، أسلوب جديد، للعمل بأوساط النساء، لأجل الدفاع عن قضاياها، وأيضاً عشان ننظمي جهودها وطاقاتها بالهدف التحرري، وهدف المطالبة بتغيير الصورة النمطية الموجودة للنساء لهم دور بس إيجابي. إنه مش بس دور إيجابي، تقدر زي ما قولنا تجربة العمل التطوعي، فهمنا إن المرأة تقدر تروح من الشأن الخاص إلى الشأن العام. بلّشت تعمل بالنقابات، بالمؤسسات، كان معظم الجمعيات محصورة على الفئة البرجوازية من النساء اللي عندهم استعداد فيها، كيف بتحاولي تنقلني للفئات الكادحة، النساء اللي هن أكثر عمقا بقضاياهم. صارت جلسة حوارية، وهذه للتاريخ مهمة،

من وجهة نظرهم عقوبة، وُضعت تحت الإقامة الجبرية. أولها ست شهور في محافظة رام الله، بعدين صارت ست شهور أخرى في مدينة البيرة، بدون التحرك. هذه مرحلة قيّدت شوية الحركة. المرحلة كمان من المراحل اللي بتذكرها من تاريخي، لما صار عندنا هبة بـ1976، وهبة 1997، في ما بعد فرضت سياسة القبضة الحديدية، باعتقالات إدارية، وإقامات جبرية، واعتقالات، صرّث بهذه الأجواء. بالتالي تشاركي بالاعتصامات.

بـ1982 اعتقلت، وأنا كنت معمول على إقامة جبرية، بس هو والواحد شاب صغير بتمرد. كنت أدّي مهمة واتابع في نابلس، وكنت أكسر الإقامة الجبرية وأروح على نابلس، هذا مع المراقبة كشفوني. لذا، أهدوني في الطريق وأنا رايحة على نابلس.

وعوقبت مدة سنتين ونصف تنفيذ، وستين ونصف وقف تنفيذ. أنا بوجهة نظري تجربة المعتقل كانت تجربة غنية، وهذا فعلاً بامتحن بأي مناضل يتمكن، واضح إنه كل بدرجات متفاوتة، بس كيف إنه صلاية المواطن المناضل وهو وراء القضبان. هذا كان فيه تحدي مباشر لسياسات القمع والتنكيل بحقوقك داخل المعتقل. أهم شي تجربة المعتقل، إنك قد إيش لما تكوني في موقع واحد ومصير واحد، ومواجهة واحدة، يصير تضامن ودعم المناضلات المعتقلات مع بعضهن. هذه تعطيك الروح الحلو، في إنك المشاركة في كل المناضلات بحزتهم وبفرحهم. لكن أهم شي، كيف ممكن تواجهي جماعياً إجراءات إدارة السجن، وهذا ما يشهده. في الفترة اللي كنت أنا موجودة، قدنا نضال زي بقية الحركات الأسيرة، بس كان ساهم في تعزيز أو في تكريس إنه إحنا أسيرات السياسات، وليس لأنه كانوا ينظروا لنا بمفهوم المفريات، وكيف بذك نضلي نقولي له إحنا مش مطبوع أمني، بس إحنا بالأساس أسيرات سياسية. بالتالي هذا شو مطلوب، إنه لازم نفرض على الإدارة إنه لازم يتعاملوا معنا كسياسيات وليس إرهابيات. عشان هيك خضنا إضراب بالامتناع عن العمل لمدة تسع شهور، تخلله إضراب عن الطعام للمطالبة ما عندنا استعداد إن إحنا سجينات سياسيات، وإنه ما يصير تفرضوا علينا الطبخ، أو الشغل في المطبخ للسجانات. عندنا استعداد لأن هناك كان سجن الرملة، فيه سجينات إسرائيليات، وفيه إحنا الفلسطينيات. ممكن يكون الطبخ للسجينات، إنما مش مستعدين الضحية تطبخ لسجاناتها، بالتالي رفضنا الطبخ، الطهي للسجانات، وهذا دخلنا في معركة متواصلة مع الإدارة، لما ترفض أي عمل يعتبره تمرد بوجهة نظر إدارة السجون عامة، أي تمرد في السجن، ومعنى ذلك يا بيرشوا غاز، يا بيرشوا.

الإدارة اعتبرته تمرد، وفي ليلة مشهودة، طالبوا نلّم الكتب اللي عندنا ونسلمهم إياها. كان موقفني إنه إحنا ما بنسلمها بأيدينا، بذكّم الكتب تسحبوها من عندنا. وفي الليل جّم سحبوا الكتب، طبعاً صار فيه احتجاج منّا كلنا. هذا الاحتجاج بتعبّر عنه بالدق على الأبواب، لرفض عملية أخذ الكتب، بجية مديرة السجن، وطبعاً كل المناضلات صاروا يكبوا ميّ ساخنة عليها، جن جنونها، وبعثت فريق، وفي عادة فريق له اسم معين، فريق لقمع أي تحرك في السجون. بعثت فريق متخصص في ذلك، ورشونا كميات هائلة من الغاز. بس هس وإحنا بغرفة صغيرة، رشوا كميات هائلة من الغاز. بس هس عملت وقدرنا نعمل إسماع صوتنا إلى الخارج، اضطروا إن فيه وفد من الكنيست، عبر المحامين وفد من الكنيست جاء زارنا وفد من الصليب، ووفد من الكنيست جاء يزور، والمحامين بتذكر وقتها تبنوا قضايا، ومنهم وليد الفهوم. كان فيه العديد من المنظمات الحقوقية الإسرائيلية تبجي لتنظم اعتصام أمام البوابة، الأطر النسوية بلّشت تتحرك للدفاع عن قضايانا، كمان عملت حركة جماهيرية. في النهاية قدرنا نحقق، آخر شي تممد معنا تسع شهور، مش يوم ولأ يومين، هددنا بإضراب مفتوح عن الطعام. بلّشنا أول يوم، ثاني يوم بلّشت الإدارة تشعّر إنه في إصرار أننا نكمل المشوار. صار فيه مفاوضات، ومشيت إنهم فصلوا إحنا بس نطبخ للسجينات وليس للسجانات، وإنه يعتبر إحنا سياسيات. الصراحة بفتخر بهذه المرحلة، وبحيي كل المشاركات فيها، لأنها عبّرت عن عزيمة المرأة، وإصرارها، وقدرتها بالتحمل. هذا العقاب كان إغلاق، بس تطلعي ساعة، ممنوع لا جريدة، ولأ راديو، منعوا كل شي، الزيارة صارت كل أسبوعين، كل شهر. حاولوا التنكيل فينا حتى يركعونا، لكن كان إصرار وهذا كان شيء إيجابي، وهذا شيء كثير. وإنه أي معتقلة تبجي جديدة للتحق بالإضراب، ها دول جن جنونهم. كيف قادرين لهذا التماسك مع بعض، ما حدا قالت، حتى اللي يبجي جديد ينضم لعملية الإضراب.

طلعت من المعتقل بـ1984. وكان صار فيه نمو للأطر النسوية ودورها، وشكلت أطر صحية، ودور النقابات العمالية. صار فيه تطور كبير في نمو الحركة الجماهيرية الوطنية، ودور الحركة الوطنية، الإنضمام الواسع مش يس من النساء، من الشباب، إلى كل التنظيمات، الاحتجاجات الواسعة لأي إجراء من الاحتلال. كل هذا مهد للانتفاضة الأولى.

انفصال نسوي بسبب السياسة

عملنا بـ1978 إطار العمل النسائي، كان عليه القوة كلها، وبعدين بلّشوا الانفصال، ناس انفصلوا، أو يتركوا الاتحاد، أو يعملوا إطار لحالهم "حزب الشعب"، بعدين "الشعبية"

و"فتح"، صار كل واحد يعمل إطار. بناءً على هذا كانت المساهمة إنه كيف تبني إطار بالنقد السياسي، أو تأسيس إطار نسوي مكوّن من كل التنظيمات، أدى إلى إن كل تنظيم يعمل إطار، وبالتالي صار شكل أو أسلوب العمل النسوي يختلف عن السابق، أصبحت جمعيات بعدها السياسي، وبعده بتنظيم النساء لإطار، وصار في حشد وتنظيم للنساء بالأطر النسوية. كان فيه تنسيق وعمل مشترك ما بين الأطر النسوية دائماً.

شراسة الاحتلال، وإجراءاته القمعية والتعسفية، خلت الناس متضررة من هذه الممارسات، سواء منع سفر وقيود، أو لو بدّك شي، يعني متضايق في حياتك اليومية متضايقة. بالتالي صار الأغلب في العمل النسوي هو الدافع الوطني. إحنا كنّا هيك رابطتها، قد إيش تعمل نوازن. عشان هيك أول مهمة عملناها هي استبيان مع العاملات، وتبرز قد إيش العاملات والقمع اللي بيواجهوا العاملات، التمييز، وعدم وجود أجور، على أساس النضال الوطني. نحنهم للتنسيق للنقابات، إنه النقابات بدّها تدافع عن قضاياكم، في محاولة فيها.

في 8 آذار/مارس⁹، بلشنا نناضل من أجل إجازة مدفوعة النّجر، ونعمل فاعليات في اليوم الثامن من آذار/مارس، هذا ما كنش قبل، شو الفكرة؛ إنه كيف أربط بين النضال الوطني مع النضال الاجتماعي. لّمّا شدّت الإجراءات الاحتلالية صار اللجوء أكثر للعمل الوطني، وجاءت أكثر في الانتفاضة الأولى.

وبالتالي تغلب العمل الوطني، لأن طبيعة الأطر النسوية مش كلها تربط بين العمل النسوي والعمل الوطني. كانت فكرتي إنه نربط العمل النسوي مش مفهوم بس النساء، بل العمل النسوي اللي بيحرّك عملية التغيير، لأنه فكرته إنك تجدي حلول للمشكلات اللي تواجهها المرأة، لكن بالعمل النسوي إنك كيف تعملي اختلاف في الوضع، وتغيير. بالتالي بلشنا نلاقى حلول للمشاكل، كيف بدّك تطويره، إنه هذه قوة رئيسية في المجتمع لازم تعمل على تغيير المجتمع كاملاً، وعنده قدرة على هذا التغيير، هذا هو الفرق. لّمّا صار بالعمل، صار بالعمل الوطني okay.

العمل الوطني مشاركة المرأة أعطت الزخم الكبير للانتفاضة الأولى، باعتبارها غضب شعبي، ثورة شعبية، مشاركة واسعة من النساء، واستنباط أشكال مختلفة لمواجهة هذه الإجراءات، سواء بالبلجان الأحياء، سواء بلجان التعليم أو الاعتصامات عشان الأسرى، سواء بالحماية والحراسة، كل الأشكال اللي كانت مطلوبة فيها والالتزام ببداءات القيادة الوطنية الموحدة بتوزيع بيانات القيادة الوطنية الموحدة. كل

6 يوم المرأة العالمي.

الأعمال اللي بدّها، صار فيه تركيز على القضية الوطنية. جينا بنهاية 1990 بلشنا لمان تفكر إن الدور الوطني هذا منيح، بس فيه إهمال للدور الاجتماعي، لأننا اعتبرنا إن كل مناضلة المرأة الوطنية تعزز موقعها، عشان هيك تبني شعار رئيسي، في طاقم شؤون المرأة، إنه "نضالنا مغا لبنيني مغا، لنشارك بالقرار مغا"، بس واضح تاماً تشاركي بالنضال، بس لّمّا بتيجي الثمار يقولوا لك: "السلام عليكم". وهذه مشكلة.

جينا بمرحلة ما بعد التسعين، اللي هي مدريد، وأوسلو، وإننا بنحضر حالنا لعملية التسوية، وبالتالي بناء دولة. صار التفكير، وهذا جزء إنه كيف بدّنا نراجع القوانين، وكيف بدّنا نعدّ. خلال هذه المرحلة صار التركيز على القضايا الحقوقية، وكيف بدّنا النساء يقاتلوا للدفاع عن قضية حقوقهم. هذه حقوق أساسية، مش حقوق، هذا حق أساسي، لا يزال التمييز موجود، لا زال فيه قضايا عديدة نسبة وصولها لصنع القرار قليلة، نسبة المشاركة السياسية قليلة، نسبة مشاركتها في العملية التنموية محدودة. هذا لّمّا تيجي أفيم، طيب صار الشغل كله في العشرينات في قضايا الشرعية، لكن إيش فقدوا، إنه وإحنا جزء منها، سونيا مؤسسات نسوية، وعملنا اتلافات زي طاقم شؤون المرأة، وهذا شي إيجابي. صار فيه فهم إن بعض الخدمات اللي كنّا نقوم فيها مثل الحضانات ورياضة الأطفال والتدريبات، تتولاها الحكومة، طالما فيه مؤسسات دولة، ونرفع أيدينا منها.

لكن اهتمينا أكثر بالدور التنويري والحقوقى والدفاع عن القضايا. صار فيه عندك مؤسسات نسوية، لكن هذه المؤسسة النسوية أهمية دورها إن لها امتداد جماهيري. هون صارت عندك حلقة مفقودة. لمان صار فيه ضعف في التنظيمات، صار عندك حلقة مفقودة، فيه عمل، فيه رفع صوت لعملية المشاركة السياسية، وقضية إلغاء أشكال التمييز، ووقف قضية حقوق المرأة، ويتقدمي خدمات إرشادية، تدريبات، تعزيز مهارات، بس صار إن الأطر انحصرت، ما صار فيه تواصل مع القاعدة.

هذا طبغاً مهما تحقق إنجازات، بس بهذا الواقع يضلها محدودة. أمّا إذا كان فيه ربط ضل فيه توازن بين النضال الوطني والنضال الاجتماعي، كانت عكست نفسها. والسؤال في كل المؤسسات الحقوقية النسوية، ومؤسسات لمناهضة العنف ضد النساء، واتلأفي⁹ 1325 وسيدوا¹⁰. مع إن تعتبر إن حققنا إنجاز بتوقيع دولة فلسطين

9 اتلاف لتنفيذ قرار الأمم المتحدة رقم 1325 الخاص بمشاركة المرأة في عمله صنع القرار، وقد صدر القرار في العام 2000.

10 اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة بالقضاء على كل أشكال التمييز ضد النساء، والتي وقعت في العام 1931.

على اتفاقية سيداو دون تحفظ، لكن لحد الآن مش قابل يطلع قانونها. هلا كل هذا دور مهم، بس لازم تكون جريئين ونسأل: ليش لسه مش عمال يتغير المجتمع، بالعكس عمال يتراجع للوراء؟

زادت نسبة تعليم النساء، زادت إنها تاخذ شهادات عالية، مفيش عندنا أمية في الناس، بلشت بالقوة العاملة ضعيفة بس عن فترات صار 19%، بس مش زي ما هن، وصلت لبعض المراكز بس محدودة، دخلت في الانتخابات، دخلت في مراكز المحلية كان عندك نسبة 20%. ودخلت في "التشريعي" بنسبة أول شئ 5% صارت ناقص بالمئة. بس هذا كله ما أقدر أقول عليه إنجاز وانبسط، طالما لسه ما فيه إرادة سياسية، ولا فيه الأحزاب تلعب دورها الرئيس، لأن الأطر، حتى التابعة للأحزاب، ما قادرة تقوم بمهمتها الرئيسية في تغيير المجتمع نحو الأفضل، والدفاع والقتال من أجل القضايا الحقوقية للنساء. لأن لما نقول مجتمع، مطبوع في القانون السياسي بوثيقة الاستقلال، فيه المساواة، وفيه العدالة الاجتماعية، بس مش مترجم على الأرض، هذه محطات. المحطة اللي فيها زي ما قلت الانتفاضة الأولى، وبعدين جاءت مدريد، صرنا ندخل بالائتلافات. من محطات حياتي، الشغل في الحكم المحلي، كمان هذه محطة مش مفصل، بس محطة غنية.

تشعر النساء بالظلم، لكن بدهن حدا يحركهن

العمل في وزارة لأول مرة في السلطة، وكانت بـ1996، وكان الكل بيحكى إن مفيش شغل في الوزارات. أنا قدرت أنه يكون فيه برنامج. ومع إنه برنامج التنمية الفنية، واللي هي التعامل مع المجالس القروية، أخذت مدير عام، بس ما أعطوني ش إدارة عامة وفيها وظائف. وبرنامج التنمية فيه جزء منه كيفية إدخال النساء في هذه المجالس، وإنه عمل مشاريع. كُنا نفرض إنه لازم بالمشاريع تكون النساء، التجربة اللي علمتني، زي كيف علمني العمل النسائي، إنه لما نلتقي مع النساء مطالبهم أكثر حساسية للقضايا لكل المجتمع، وليس القضايا الخاصة فيهم كنساء. بمعنى لما نقولي الصحة، مش عشان صحتها، وعشان أطفالها، هي بدها صحة وبيئة نظيفة للتجمع السكاني اللي بتعيش فيه. لما يدها مثلاً مئ، كيفها تفكر لازم توفرها، لأنه عادة غياب المئ معناه مفيش حياة، وكانوا يعتقدوا على البير. بدها طرق، تقول لك من غير الطرق يصير تراب، أحط غسيلي. هي بتفكر بطريقة مختلفة كلياً عن تفكير الرجل، عشان هيك تلمست إنه فعلاً لما أنت تشغلي مع النساء تقدري تطلعي منهم، لأنه في داخلهم حاملين العمق النسوي، شاعرين بالظلم بس بدهم حدا يحركهم. الشئ الغريب إن الرجال ما بدهم النساء يشاركوا في تحديد المشروع، وإذا

أصرنا على مشاركتهم يروحوا يوزعوا لهم أوراق قولوا هيك. لسه التفكير السائد إنه المرأة ما بتقدر تعبّر إيش بدها، الرجل لازم هو يكون.

تجربة الحكم المحلي طبعا غنية، لأنك بتتعامل مع مراكز قروية، بتلمسي بالفعل ما هي الثقافة. الثقافة الموجودة في بلدنا، وبتلمسي شو الأدوات اللي ممكن تغير. جزء منها كان إذا ما تمثلت النساء في المجالس، يضل يشعروا إن هذه المجالس هس حكر للرجال، عليها اختراق هذا الميدان، رغم صعوبته، هذا معناه مطالبة الحركة النسوية في دعم وإسناد النساء في الوصول للهيئات المحلية، ودعمها بحيث أن تكون فعلاً قادرة عليها. لأنه لما تكون فيه الهيئة المحلية، وبدها تخدم المواطنين، وعلاقتها بالمواطنين بدها شوي التغيير، هذا من المفاصل الرئيسية اللي فيها. وزى ما قولنا مش إنه بس عشان أحط امرأة، أو تثبت امرأة، بدها قتال لتثبت دورها.

مع التفاوض فقدنا ظهرنا

يمكن القضية السياسية، كنت مارسنا العملية السياسية والتسوية وأوسلو. على قناعة إن البرنامج المرحلي اللي تبنته المنظمة 1974 جاءت قرارات المجلس الوطني في 1988 ترجمة لهذا البرنامج. بالتالي إحنا بنمشي بمبادرة السلام، على أساس حل الدولتين، وانسحاب الاحتلال من الأراضي 1967 والقدس، وحق العودة، وحق تقرير المصير والعودة، وهذا كان. الميل للسلام أدى لجزء من انشقاقنا من الجبهة الديمقراطية وتأسيس "فدا"، و"الاتحاد الديمقراطي الفلسطيني"، على هذه الرؤية السياسية. لكن كمان بعد 25 أو 26 سنة والتعت الإسرائيلي، والتكر التام للحقوق، بدأ الواحد يفكر فعلاً كان بالمفهوم إنه بدنا مفاوضات، أنا بعرف إنه أي صراع لازم آخرته المفاوضات، بس لازم يكون ميزان القوى مختلف. طالما ميزان القوة مختل نهائياً لصالح العدو، صعب جداً إنك تدخل في عملية تفاوضية. بالتالي الحماس اللي كان موجود عندي في عملية السلام، بلش يخلت نتيجة الواقع، إلا يسير في رؤية ثانية، إنه فيه إصرار. صحيح إصرار على حل الدولتين، بس هذا في متطلبات أو مرتكزات رئيسية حتى نتجح فيها، سواء بالوحدة الوطنية، سواء ببرنامج لمنظمة التحرير، برنامج استراتيجية العمل الوطني، سواء بالمقاومة الشعبية الواسعة زي المحدودة بتقديم طلب محاكمة الإسرائيلي أمام المحكمة الجنائية الدولية، بتحشيد وتجميع العالم العربي.

11 حزب الاتحاد الديمقراطي الفلسطيني، تأسس في العام 1990، بعد إعلان ياسر عبد ربه انشقاقه عن الجبهة الديمقراطية، وذلك نتيجة الخلاف حول الاستجابة السياسية للانتفاضة. الخط السياسي للحزب: ديمقراطي، علماني، إسرائيلي.

التأثير التي قلت عليه إنه إحنا يعد على المستوى الإقليمي بعد 2011 وضعنا انضعضع بشكل كبير بسبب التحالفات على مستوى الإقليم وكمكان الربيع العربي. مثلاً كنت بالبداية شايفة الربيع العربي فعلاً حركة شعوب ضاقت ذرعاً من القمع والاضطهاد، وعدم المساواة وغياب الحريات العامة، وتطالب بحراك في هذه المسائل. بالتالي كانت أهدافها وغاياتها فعلاً تستحق كل الإسناد والمساندة. بعدين تغير مسار هذا الربيع كلياً، بالتالي سواء بتغير الأنظمة، أو ببقاء الأنظمة الشمولية، واضح تماماً أننا فقدنا زهرنا زي ما يقولوا بالعربي، وكان الاستناد الرئيسي زي وقت مؤتمر الخرطوم¹²: "لا للتفاوض"، أو "ما يؤخذ بالقوة يجب أن يسترد"، بس "لا للتفاوض" كان الثالثة لـ "لا للسلام، ولا للصلح"، وإحنا وصلنا لمرحلة كلها راحت، وهذا بالسياسة قد إيش أمريكا، وقد إيش وضع إسرائيل، وقد إيش بزمن دونالد ترامب الانحياز التام لإسرائيل. أثر الوضع الإقليمي بشكل كبير. أنت لما يكون عندك فقدان، بلسنتي تخسري بعض الأعمدة اللي كنتي مستندة عليها على أساس عن القضية الفلسطينية هي القضية المحورية المركزية للعرب، سواء بشعوبها وأنظمتها. الآن بالأنظمة راحت، يفضل الأمل إنه بالعكس الشعوب مناصرة للقضية الفلسطينية ويتحاول فيها، بس هس مش متغيرة في دولها، شو بدها تعمل فيها. هذا يعني أنا دائماً بقول مفيش شي مسدود، إلا يكون فيه تغيير، بس الوضع الإقليمي والتجاذبات الإقليمية فعلاً بتضع انسداد شوي للأفق السياسي اللي إحنا كان بدنا إياه.

اختفت الثورات

مستقبل البلد، والمنطقة حالياً صعب، والثورات العربية اختفت. لسه في مرحلة مخاض حتى يستقر الوضع. إحنا كفلسطينيين نسجل خسارات كبيرة في هذا. لكن هذا لا يعني حتى لو كان في هذا الوضع صعب، لكن في العالم بعض الدول والشعوب بتناصرنا، وعلى شوي من الدبلوماسية الدولية. وطبعاً فيه قضية أساسية هي تماسكنا، تضامناً هون، صمودنا، وحدتنا، في عوامل قوة. زي ما بقول قضيتنا عادلة، بس بدنا نعرف كيف نستثمرها كقضية عادلة.

12 ممه جامعة الدول العربية، التي عهدت في العاصمة السودانية، في تاريخ 29 آب/أغسطس 1967، وعرفت بإعلانها "لا صلح، ولا اعتراف، ولا تفاوض".

سوسن شنار: الحركة النسوية يجب أن تشتبك مع واقع النساء

سوسن شنار مواليد نابلس 1953، بدأت تغريبته خارج فلسطين حين سُحبت أوراق الهوية منها على الجسر في طريقها للدراسة في الأردن، ما يعدّ إبعاداً غير رسمي.

تغريبية سوسن عن فلسطين استمرت سنوات، وخلالها تنقلت بين الأردن وسوريا ولبنان. انشغلت بالتعليم، وذلك عبر المشاركة في وضع مناهج تعليمية بديلة مناسبة لظروف معيشة الصغار في المخيمات، تستقي هذه المناهج موادها من الخبرات الحياتية والدارجة الفلسطينية. وبخلاف عملها التربوي، انخرطت في الأنشطة التنظيمية لاتحاد المرأة الفلسطينية.

وفي شهادتها، المعتمدة على مقابلة جرت في الثاني من تشرين الثاني/نوفمبر 2020، ترى سوسن أنّ الحركة النسوية الفلسطينية صارت بعيدة عن العمل الميداني، وهو ما يتطلب الاشتباك مع النساء في حياتهنّ اليومية، ومشاكل واقعهنّ.

اعتقالات عائلية وبيت منسوف

أنا سوسن شنار، مواليد نابلس 1953، من أسرة متوسطة، واحدة من 12 أخ وأخت، عندي 8 إخوة، وإحنا البنات أربع.

والدي ما كان بوضع مادي سيئ، كان عنده مصنع كرتون، اتدمر لاحقاً لأنهم منعوه من الاستيراد. لمّا جاء الاحتلال يمكن كان عنده 17 عامل في المحل، كل هذا خرب وضعنا الاقتصادي.

الأولاد الثلاثة الأكبر مني كانوا ناشطين في العمل السياسي بـ "حركة القوميين العرب"، بالتالي تأثرت بأفكار هذه الحركة الضرورة، والبلد كان كثير ناشط.

لمّا صارت 1967 كنت 14 سنة وبالمرشدات، طلب منا نكون بالمستشفيات نسعف الجرحى.

وإحنا نسعف الجرحى، شهدت كيف احتلت نابلس، وانسحاب

الجيش العربية، كيف من يوم وليلة احتلت ببساطة كل الضفة الغربية، يعني استكملت معاهم فلسطين.

بدأ نشاطي كأخت في "القوميين العرب"، تساعد لتوصيل كل المواد، سواء منشورات ورقية، أو حتى وسائل قتالية بالنضال، وكانت فيحاء عبد الهادي¹ هي مسؤولة مجموعتي، كنّا مجموعة صبايا في نابلس كنّا ممشيين البلد، ونقوم بأدوار مختلفة، منها الإغاثة، نزور أسر المعتقلين الفقيرة ونأخذ لهم أشياء. ونشارك في مظاهرات، ونقل المواد للشباب المقاوم في الجبل.

في بداية شباط/فبراير 1969 جرى اعتقال كل مجموعتنا تقريباً، كنت في "ثلاثة إعدادي"، وكنّا محبوسين في غرفة واحدة مع مناضلات زي السيدة عصام عبد الهادي. اتسجنت سنة، (واعطوني ثلاث سنين مع وقف التنفيذ لأنني كنت تحت السن القانوني كانوا يأخذوا بعين الاعتبار هذا الموضوع وقتها).

يوم اعتقالني من بيتنا، ظابط مخابرات كان يقول إن اسمه "يوسف الطبري"، أول شغلة عملها لمّا دخل بيتنا أنه حظ أيده في جيب أخويا حاتم، وطلع من جيبه 40 دينار، كانوا كنارها دول المصاري. والذي قال: "اليوم الجمعة أنا بعث حاتم على زبونات لمّ الجمعية للمصنع" وسكت هيك، لكن الحقيقة مش هيك الموضوع، 40 دينار هي مصاري التنظيم. (بقت الفلوس مع بابا، رغم ذلك اعتقل حاتم، وخرج بعد 17 سنة).

بابا عمل تصريح وطلع الأردن عند القدائين، وقال لهم: "ها دول مصاريكم"، هنا قالوا له: "ولو جيت من نابلس عشان تعطينا المصاري، هذه قائمة الأسر والشباب اللي في السجن، اعطيهم كل أسرة 15 دينار". رجع بابا من الأردن وبدأ يدق على أهالي السجناء، "ها أم فلان هذه مصرياتكم من الشباب" لكن واحدة من السيدات قالت بطريقة ما، إن "اللي جاب لنا المصاري إسماعيل الشنار [بابا]". ويوم لمّا طلعت من السجن، بنفس النهار دخل بابا على السجن، بسبب موضوع المصاري. قعد 3 شهور بناكفهم، قال لهم: "أنا روحت اعطيتهما صدقة أموالني".

غير حبس بابا يومها، أنا لمّا خرجت من السجن ما لاقيت البيت؛ اتنسف بيتنا، يمكن يكون الثاني اللي يتنسف بنابلس، وذلك رغم أنهم لم يجدوا شيئاً. كانت التهمة إيواء مخربين.

وظلعت على بيت ثاني، صح إنه بيت جيرانا، بس مش دارنا.

1 فيحاء عبد الهادي (1951-)، كاتبة وباحثة أكاديمية، لها إصدارات عدة عن التاريخ الشفاهي. والدتها رائدة العمل النسوي الفلسطيني، وراست الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية

في هذه الفترة كانت راسنا مش حاملنا، كُنا فاكرين حالنا بكرة بنحدر البلاد، مكنش ها القد المكان أو الزمان بيشكل نسبة بحياتنا. كان كلنا فخر.

بعد السجن، كل يوم الصبح كان لازم أروح على مركز الشرطة وأعمل بصفة. وعدت ثالث إعدادي، وكملت دراسة، أول وثاني ثانوي، لكن راج عليّ تقديم "التوجيهي علمي"، لأنهم جَمّ اعتقلوني، بحجة أنهم وجدوا بصفة مشابهة لبصماتي على أسلحة، وخلوني ثلاثة أيام عندهم، وهيك راج عليّ في تقديم التوجيهي امتحاني الفيزياء والكيمياء، ما قدرت أعيد نفس المواد، وقدمت بالسنة اللي وراها في التوجيهي أدبي، وخلصت 1973.

لما جيت أطلع على الجامعة واحدة من خالتي، (هي متدبنة كثير) قالت له لأن أنا صرت أكبر، وأخي قدم معي، قالت لبابا: "إيش تطلع فيها تعمل، ها أخوها خليه هو اللي يروح يدرس وهي تقعد بالنجاح". النجاح كانت معهد معلمين، فقال لها: "وحياك لتحظّ رجلها قبل رجله، وتطلع على الجامعة"، وهيك صار. هلا احنا ما كانت الناس تحكي بتخلف عن صبي ولا بنت، ولا كانت الشريطة [تقصد الحجاب] اللي تحتط على الراس هي مثال للنقاء، والفضيلة. أنا طلعت من نابلس ما كان فيه بنت بتحتط شريطة على رأسها في "التوجيهي".

جواز سفر مسحوب... هكذا بدأت التغربة

طلعت على الجامعة الأردنية لدراسة "تربية". وإحنا على الجسر اخدوا مني الهوية وطلعت، كان إبعاد صامت. روجت على الجامعة الأردنية كان معي بابا، سجلني وحطني بالسكن، ضلنتي بالاردن، وكنت باللجان الطلابية. بعدها في آخر سنة تالتة تزوجت، وبآخر سنة رابعة، حزيران/يونيو 1976 أبعدنا على دمشق كان صار عندي ولد، وكنت قبلها بقيت في "الجبهة الديمقراطية". بهيك لما وصلت للشام، كنت بمنظمة العمل النسائية بس مسؤولة رياض أطفال، وكان اهتمامي كبير بالتطريز والتراث، وكنت جزء من لجان التراث بتاعتنا. إضافة إلى العمل السياسي والتنظيمي، هو هذا شئ مكمل للحياة بتاعتنا. عملي اليومي كان بالمخيمات الفلسطينية مثل "اليرموك" و"جرمانا" و"خان دنون"، وحتى "حلب"، لأن بكل مخيم كان عندنا روضة أطفال، وكان فيه منظمة نسائية. وهذا أعطى لتجربتي غنى، خلاني أفكري بالواقع السياسي، واحتياجات الناس على الأرض، وشو بدّهم، وإن النساء في المخيمات بدّها محو أمية وتعليم، ها دول اللي بدّهم دورات خياطة. مرحلة ذهبية، كانت الثورة لسانها بخير.

كُنا كلنا بنات الفصائل المسؤولة عن الجانب التربوي

والتعليمي في المنظمات النسائية، لقينا إن المنهاج السوري منح، بس بدّنا نعمل خصوصية للهجتنا، لعاداتنا، وكيف بنفكر، وصار منهاج يخصنا كفلسطينيين؛ عملنا يمكن 35 شئ لكل شئ، وكانوا يحوا لنا الأهل يقولوا لنا: "أنتوا مناح وكثير تقدموا خدمات لأولادنا، لبش ما بتدرسوا دين يا جماعة الخير؟" عملنا حقبة تدريبية للتعليم، وفي ما يخص الدين ركزنا على القيم الأخلاقية مثل النظافة والآداب العامة واحترام كبار السن ودوي الاحتياجات الخاصة، ودرينا المعلمات كيف تدرّس هذه القيم. حتى الموضوع كان ضمن قيمة النظافة.. هيك كان الجو.

من تنظيمات الخارج إلى نضال الداخل

في هذه الفترة قيدنا بالتنظيمات الفلسطينية، أنا كنت عضو اتحاد المرأة، بس كنت عضوة يعني مكنتش واصله ولا هذا الشئ. كُنا ننسق مع السوريات، كان فيه قوة تقديمية سورية مهمة جدّا، وكان فيه عراقيين وعراقيات، كان فيه حالة سوية وكُنا جزء منها. بعدين تطورت الأوضاع، صار خروج، طلّعوا على تونس، وصار فيه تشدد في الأسر إلى حد ما. ضلت هذه الأمور تجرر وإحنا فكرنا الثورة انتهت. بعدين جينا على 1988 وبدأت الانتفاضة، وصار كل الشغل باتجاه إنه مركز الثقل هو الداخل، كُنا نتبع كل الأنشطة والفاعليات بالداخل، كان لازم نعمل نسخ مثلها بالشام. بتذكر لهلا لما صار شئ للدخول لبيت ساحور، تخريب في البيوت، وإجبار أهلها على دفع ضريبة، لهلا ما أنسى كان كل مكان في المخيم مكتوب عليه "بيت ساحور"، كل حدا عارف شو عمّ بيصير. بالتالي صرنا بتتابع، وصار دماغنا كله اتجاه المناطق المحتلة. هلا جزء من الأسر طلع على تونس، جزء على الخارج في قبرص، وضلينا بهذه الحالة. لكن بالنسبة ليّ ما بدّي أفقد مدارسهم للأولاد، بالتالي ضليتنى بدمشق، ضلينا إلى أن سمح الأردن بالعودة لكل من هم بالخارج ساعة الانتخابات البرلمانية بآخر 1989، سمحوا لكل سواء من انتقل بجواز سفره، أو مُبعد (بلا جواز سفر مثلي) بالعودة، وهيك صار. جينا يمكن آخر 1989 على الأردن.

في الأردن كانت مظلتنا وحلنا الدافئ هي أم فيصل، اللي هي عصام عبد الهادي، ورجع نشاطنا كاتحاد عام للمرأة الفلسطينية بالأردن. ومارسنا نشاطاتنا سواء السياسية أو الاجتماعية وإحنا في الأردن لأربع أو خمس سنين. في هذه الفترة كان فيه تضيق على منظمة التحرير، وكل حدا كان راتبه كله أو جزء منه لمنظمة التحرير، كانت فيه حالة من الضنك، وحالة من شدّ الأزيمة على البطون في الأردن. بفكر هي كانت ضغطة على منظمة التحرير، وتقليص الأموال كان جزء من خطة عامة لخطة تخلي كل الناس يقبلوا بأي شئ بيصير، وهيك كان.

أنا فترتها فكرت إنه ابني كان توجيهي وبدء يروح على الجامعة، فكرنا إحنا من وين نغطيه. كان لي صديقة عاملة مشغل تصنيع الألعاب التربوية بالأردن، وصادفت إنهم رجعوا الضفة هي وزوجها. أخذت قرض من بنك الإنماء الصناعي بالأردن، وبدأنا عملنا في المشغل وهو يتعلق بتعليم الأطفال قبل المدرسة، وذوي الاحتياجات الخاصة. دخل ابني اقتصاد في جامعة اليرموك. ولما صارت فيه إمكانية نرجع للوطن، تصرف في المشغل ورجعنا. رجعت متأخرة عن زوجي بسنة لأن ابنتي، روبي، كان عندها آخر سنة، وبدها تقوت توجيهي، ورجعنا بـ1996. أما ابني فكان طالع على اليابان يعمل الماجستير بتاعه. استقدمناه، مع إنه في حينها كانت تجيبني حدا من اليابان تدفعني ألفين دينار أردني تذكرة الطائرة، لكن استقدمناه لأنه صار بعمر محير. دخلنا وسجلنا لنا، والبنات دخلوا مدارس في الرملة.

تربية ونسوية

بهذا الوقت ما كنش عندي فكرة حقيقة إيش بدي أعمل، كنت جاية من الأردن تعبانة كثير من التغريبة. قعدت أربع أو خمس شهور عندي انعدام وزن، كل ما حدا يقول لي "سجلي وأعملي"، أقول لهم إيش أنا هون، خلاص كثير منيح هذا الحكي. بعدين بدأت أفكر إيش بدي أعمل. اشتغلت لمدة 15 سنة كنت باللجنة الوطنية للتربية والثقافة، رجعت لموضوع التربية، وموضوع "التراث العالمي بين أيدي شابة"، ورجعت لكل الأشياء اللي بحب أفكر فيها. من خلال شغلي كنت مسؤولة عن مشروع اسمه "المدارس المنتسبة لليونسكو"، هن كانوا 136 معلم بيندفعوا بفلسطين، كنت اتابعهم، واللي هن كانوا في برنامج ومن ضمنها تعليم قيم للطلبة، إننا جزء من عالم كبير. كان هذا جزء البرنامج اللي اشتغلته على مدار فترة طويلة كنت المنسقة للمشروع round on the world وكنت في نفس المشروع لليونسكو بس العدد كان أقل بس افترض إن هذا أعطاني مجال إنه تعرفت على كل المناطق، وعلى المدارس، والمعلمات والمعلمين. طو كثير كان الشغل. هلا أنا عضوة في المنظمة النسائية التابعة لتنظيم الاتحاد الديمقراطي، وأهم القضايا اللي تميزنا ربطنا الوطني بالاجتماعي، لا وطني لحال، ولا اجتماعي لحال.

مثلاً كانت قضية مشاركة المرأة والمشاركة السياسية، من القضايا الجوهرية بالنسبة لي، سواء في التنظيم الداخلي أو في الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية. ومن أهم القضايا اللي عملتها بالفترة الأولى اللي اشتغلت بالاتحاد، كانت الحملة اللي كانت على رأسها من الاتحاد خديجة حباشنة، اللي عملت الحملة الوطنية لتعزيز مشاركة النساء في الانتخابات. اللي هي كانت المحلية والتشريعي، أنا كنت

في هذه الحملة وكانت من أهم التجارب اللي عشتها هون، إنه كيف عملنا الحملة، وكيف تبناها، وكيف في الآخر طبطت، كنا نروح لياك التشريع ونعمل تدخل، ونعمل نقط، ونعمل كل شيء، حتى غدل القانون؟ لأنه ما كان سهل، كان فيه عضوات قلال ضد الكوتا، وبعدين أكثر، لغاية لما انعقد مؤتمر الاتحاد العام الخامس، وبهذا المؤتمر صارت انتخابات وأنا طلعت على الأمانة العامة لاتحاد المرأة، وحالياً بالاتحاد باللجنة العضوية، وبرضو في لجنة قضايا الأمم 13-25، ولجنة السيداو. يُعتبر برأس جمعية العمل النسائي لتأهيل وتدريب المرأة، اللي جزء كبير من شغلنا هو حشد طاقات النساء حول حقوقها، وبقليلها التمكين الاقتصادي.

إذا ضللنا نقول للنساء حقوقها، بدون ما نشوف هن كيف حياتهن، ما راح تظبط معانا. بالتالي كان خيارنا إننا نروح على العمل التعاوني، وعلى الاقتصاد بشكل مخصص ومحدد. أنا عضوة بمنتدى النوع الاجتماعي، اللي هو يجمع عدد من المؤسسات والجمعيات الفاعلة في مجال الاهتمام بتعزيز مشاركة النساء بالحكم المحلي. وهذا المنتدى يطمح يلعب دورين، دور توعية وإرشاد وطرح برامج تدريب وتأهيل عضوات في المجالس المحلية، والدور الثاني إنه يكون جسم ضاغط لما تكون فيه انتخابات. هذا الدور أنمى إنه يتعزز حتى فعلاً يكون هو جسم ضاغط في الحكم المحلي. إحنا كمؤسسات منفردة أو مجتمعة، عملنا ميثاق الشرف، ووضعنا عليه كل الأحزاب، وقعت على الميثاق كل الجهات، والحكم المحلي وقع عليه، لكن لحد هلا ما بنشوف لا تطوير أو نتيجة، وفيه غضب منه. مثلاً يعتبر مساهمة النساء، ودورهم في الحكم المحلي، هو المشاركة السياسية والاختيار الأساسي لقدرات النساء في المجال. من هون يقول إنه لما بنتكي مشاركة سياسية 30% بعد فترة ها القد جيش من النساء شارك في الحكم المحلي، عن جد شارك هذا الجيش النسائي، تلقائياً راح تتحقق 30%، لأن بعد فترة لما يعملوا هذه الخبرات راح يطلعوا في "المجلس التشريعي". بالتالي أنا بكامل قناعتني مؤمنة بدور المنتدى. في ما يتعلق بالاتفاقيات والقرارات الدولية، هلا بعرف إنه كثير من الناس وأنا منهم، كل القرارات الدولية إحنا كفلسطينيين بشكل عام بدءاً من قرار التقسيم حتى اللحظة، لم يطبق شيء على الأرض. بدنا نشوف إن هذه الاتفاقيات ما صارت لأن اثنين قعدوا مع بعض وعملوا اتفاقية، لكن هي نتائج لنضال النساء في كل العالم انعمل اتفاقية للقضاء على كافة أشكال التمييز، ونعمل قرار مجلس الأمن 2000. لكن الشيء اللي لازم نعلمه للناس، ولنسائنا بالتحديد، إنه الشغل هلا

2 في نهاية آب/أغسطس 2004 أمر تعديل على قانون انتخاب الهيئات المحلية (رقم 5 لسنة 1996) يجعل نسه المرأة 20%.

على الأرض مع النساء، في المناطق التي بحاجة لنا أهم، ساعتها فيهم يوصلوا لكل المحلات، نقدر نجبي نقول يا "13-25" إيش عملت للنساء في بيت اسكاريا؟ عشان هيك بقول هو جزء من نضالنا كفلسطينيين لَمَّا أخذنا العضوية لنزاع. واحد من طرائقنا إننا بَدْنَا نشتغل في الاتفاقيات على المستوى الدولي، ولكن مش هو الطريق الوحيد اللي نحظ كل جهودنا فيه، يكون فيه توعية وتدريب. إحنا بنعلم النساء تبوح وتقول شو صار معاهن، تقول شو بدها تحكي. عمّ نحاول إنه نعلم الناس كمان إن "سيداو" نتاج لتجارب النساء بالعالم، ولكن إحنا عندنا إعلان الاستقلال اللي برضو معلق على المحلات وعليه ها القد غيرة، واللي ما تناقش مع الناس، ولا مع حدا.

"مش هون تربيت"

مثلاً لَمَّا رجعت فلسطين، لقيت نابلس مش هي، صرت أدور على طفولتي وما لقيتها، لَمَّا بقوت على عزاء، أو فرح، بنات صاحبات من عمري تقول لي: "هي لساتك هيك؟" أو "لساتك ما تحطي على راسك؟" أو "سوسن لساتك زي ما إنت؟" برد على أسئلة صاحبات بأنه ليش أنتوا صرتوا هيك، بقول لهن مش حلو منظركم، ليش إنتو هيك. القصة اللي بدي أقولها إن الناس صارت أكثر محافظة، وقادرة تعمل مقاضاة وتقييم للبشر، بدون ما تفكر إن هذا ما بيعمل شي صح للبلد.

مثلاً لَمَّا نقول عندنا تسع نسخ من قانون حماية الأسرة من العنف، وكل مسودة بنتنازل منها شوي شوي. آخر نسخة كان 70% موافقين عليها بس قولنا يلا خليه يقرّ لكن إذا وزير العدل موافق، وإذا أنتب كدركة نسائية، كمجتمع ومؤسسات حقوقية موافقة عليها، مين اللي موقفه، مين يخاف؟

رنّ الجرس

هنا لما صارت فيه منظمات NGOs، وصار كل شي استنى بس نجيب تمويل. زائد الضائقة المالية اللي فيها كل الحركة الوطنية، وتحديدًا أحزاب اليسار والأحزاب التقدمية. أنا كجمعية بحاول اخلي تكون فيه شوية مبادئ، بس بالنهاية في مصاري تحاولي تشغيلها بالاشياء الصح، ولكن بطلت اسمها إطار نسوي، صار إنه الأكثر تميل إلى قضايا المجتمع المدني واللي هي لها مركز من أربع أو خمس موظفين بيقوموا بكل هذه الأدوار. بالتالي هذا بعيد عن تجمهر النساء، أو عن الجمهور اللي هو في حاجة لكي، أو في حاجة لتفكيرها. صار هذا الجمهور اللي تركتيه، عشان تشتغلي بحقوق الإنسان، وبحقوق المرأة، وبقضايا الجندر، صار هو فريسة لقوى الظلام، هو فريسة لكل الناس اللي الأجندة بتاعتهم أجندة ظلامية.

مثلاً زمان لَمَّا كنا نفوت بيوت، سواء بالأردن أو سوريا، كُنَّا نستغل أي قاعدة عشان نحكي سياسة، ونخلي كل واحدة من القاعدات تسمع. لكن هلا تركتي جمهورك، ما عمّ تحكي مع الناس، وحتى تستعيدهم بذك جهود مضاعفة.

بالتالي أنا يفكر إن مسؤولية الحركة النسوية عودة المبادئ، ترجع على الجهد بتاعها، ترجع لبرامجها السابقة. إحنا معظم رياضة الأطفال اللي في فلسطين اللي كانت للتنظيم سكروها، اعتبروها مهام الدولة. معظم المراكز اللي عملتها النساء، سواء خياطة، أو حتى محو الأمية، حتى كل هذه الأشياء سكّرت، لأن الدولة جاءت والسلطة مسؤولة عن هذا الموضوع. الحقيقة إن السلطة ما تقدر تعمل كل هذا، ولهذا كان لازم المجتمع المدني يشتغل كل هذا الشغل.

الحركة النسوية يمكن يكون أخطأت، أنها انسأقت لجو إنه خلاص فيه سلطة وهي تقوم بالمهام. ولا مرة الحركة النسوية بتلوم حالها، وأنا منهم بلوم حالي قبل كل الناس، هل مرة فتحتنا المنهاج التعليمي وعملنا ورش لمناقشته، ورخنا عند وزير التربية، وقلنا له هذا المنهاج تمييزي، هذا المنهاج ما فيه قبول للآخر، هذا المنهاج بيعلم الناس الانغلاق، ولا مرة عملناها. لأن مش همنا، خلاص تعودت الناس نضلها تركض على نفس الأشياء، وهكذا. بالتالي أنا بشوف إنه صار خروج، وهذا تشوفيه في القدس قلبك بيتقطع على حال النساء المناضلات، عن جد يأس، انكفاء، بعرف مناضلات قديمات، كان عندهم وجود وحضور، اصطفوا وطفوا وقعدوا على جنب، لأن المناضلة منهم لا تعرف تكتب proposal ولا بتعرف تدق على أبواب الممول. مع إن كل المؤسسات الدولية مقرها القدس. أظن ما فتننا زمان إنه نعمل التصويب، لكن لازم يضلنا نرن الجرس إن الشغل هلا على الأرض مع النساء، في المناطق اللي بحاجة لنا هذا أهم.

فادية الحلثة: تمكين المرأة ببساطة هو ما يدعمها اقتصاديًا

فادية الحلثة، مواليد 1959، تعود أصولها إلى اللد، لكن أهلها عاشوا في أريحا.

وبعد رحيل والدها، صارت فادية هي المعيلة الأساسية للأسرة، لكونها أكبر الأبناء، في هذه الشهادة المعتمدة على مقابلة جرت في الأول من كانون الأول/ديسمبر 2020، تشير فادية إلى رؤيتها حول تمكين المرأة، وهو النهج الذي يمكن تحقيقه بشكل مبسط إذا مكنت المرأة من التعلّم أو العمل.

كنت أحب أنأعلم صيدلة

فادية الحلثة، مواليد 1959، أهلي من اللد، ووالدي كان مشارك أعمامي في محل. عشنا في أريحا. أسرتنا ضمت بعدي أربع بنات وولد واحد.

بدأت دراسة بعمر أربع سنين، ليش أربع سنين؛ لأن خالتي، وكانت يتعلّم بالرملة، أخذتني كمستمعة عندها بالمدرسة، وفي آخر السنة أعطتني الشهادة الأولى. أمي أخذت الشهادة وراحت على أريحا عشان تحطني بالصف الثاني. لكن المديرة قالت لأمي: "شو يا أختي أحطها في صف ثاني، مستحيل البنات مبيتة صغيرة". وقدرت أمي تغيير تاريخ الميلاد؛ كبرتني سنتين. المهم دخلت صف ثاني.

في الثانوية كنت بدّي أدرس علمي، عشان كنت أحب كثير أنأعلم صيدلة، بس ما كان فيه علمي إلا بمدرسة هشام، وهي مدرسة أولاد، اتقال لي "كيف بدّك تروحي على مدرسة أولاد؟" لكن ما كان بالعلمي بنات، يا دوب يطلعوا 7 أو 8 بنات ما كان يفتح صف في الثانوية منفصل لهن، تكون مجبرات تروح على مدرسة الأولاد، تصير مختلطة "كيف تروحي مختلط؟" هذا كان كثير عائق. فيه نوع من العقلية المنفتحة، وبنفس الوقت يرضو فيه قيود، مش على القد منفتحة. أهلي قد ما تشوفهم محررين بس يرضو المجتمع بيحكم؛ ما قدرت أخذ حريتي بالكامل. من

المدرسة للبيت، "برّه متطلعيش"، حتى إذا غزمت عند أي حدا من الصاحبات "لا، تحبي تبجي صحنك على البيت أه، أما أنت تروحي لا"، أو "تروحي تسهري لا، تروحي محل لا".

ومع التوجيهي بـ1975، وبدأت التحديات؛ بالصفة ما فيه "صيدلة"، كان المفروض أطلع برّه. أهلي فكروا "وين نوّديكي برّه؟"، وقلت لوالدي إني حابة أنأعلم صيدلة، راح قدم لي طلبات، وقوبلت بمصر واليونان، وروسيا، وكان فيه ناس أصحابنا من الحزب الشيوعي قالوا له بنوديهيا روسيا. والدي قال لي "هون فيه"، وقدم لجامعة بيرزيت، وقوبلت وسجلتني بالسكن. لكن أعمامي، شركاء والدي في المحل، قالوا لوالدي: "إيش بنتك توّديها عند وين، والشبابا مجنون إنت؟" المهم فضلوا ماسكين فيه، راح لغى التسجيل واسترد المصاري. وقال لي: "كلهم قالوا لي يا الطيرة يا دار المعلمات"، دخلتني كلية "مجتمع المرأة" برام الله "الطيرة"، وتخصصت في الرياضيات. وقبل ما أخلص بشهر أبوي توفى، وصرت أبكي وألوم حالي، ليش غلبت كثير، طول السنتين وأنا مغلبته إنه ما بدّي معهد. وصرت المعيلة، جانب اليزاد من نصيب والدي في المحل.

توظفت وبلّشت طريقتي كمعلمة رياضيات. وفكرت ألتحق بالجامعة، أمي قالت لي "لا" في أولها، لكن قلت لها إنب مرتيتنا وعارفة تربيتنا، وأنا عندي هدف إني بدّي أنأعلم، خلاص فتحت لي أمي المجال. هذا الحكي قوى شخصيتي، خلاني أحافظ مع الناس على عاداتنا وتقاليدينا ما أخرج عنها، حتى أضل قدام العائلة، بنفس الصورة اللي هن بروني عليها. أنا ماشية بخط مستقيم، ما كان بدّي آجي ألف وأدور.

سجلت بجامعة بيت لحم، حتى أحصل على بكالوريوس رياضيات ودبلوم تربية. صرت مجبورة أجيب علامات منيحة حتى أأخذ منحة، وبالمغرب اعطى دروس خصوصية، حتى لا يتأثر معاشي بمصروفات الطريق والكتب. بعد كفاح إني أكمل دراسة وبرضو ما أحملش أهلي مسؤولية المصروف.

بالجامعة تزوجت وحملت دوغري، جيت أول بنت، وفي سنة التخرج سكّرت الجامعة بالتزامن مع الانتفاضة، كانت راحة لي حتى أقعد مع البنت، ولأن عندي مشاركات ثانية مجتمعية بجمعية الشابات المسيحيات؛ "واي". يمكن من عمر 18-19، صرت عضوة في هيئة الـ"واي" كان الهدف إنه تعمل على تمكين المرأة، اللي ما تعلمت، أو زوجها استشهد أو أسير، تعلمها الخياطة والتطريز، أي شغلات تكون مصدر رزق، حتى تطلع من الجمعية تقدر تشتغل. عملنا روضة "عقب الجبل"، وهي أول روضة للأطفال بعد 1948.

بالـ"واي" كنت أعمل دورات رياضيات لطالبات منها دورات

1. تابعه للوكالة الدولية للغوث وبشغل اللاجئين الفلسطينيين "الدوروا"، باسب عام 1962، اسديابه للاخاه الملحه لاهل الفناط الفلسطينا.

مجانية، وشي مرات ناخذ بس مبلغ بسيط.

كنا نعلم صوف وخياطة، ونجميل. بعدين صار عندنا تعليم كمبيوتر، وكثير شغلنا. وكنا نعزم المجتمع المحلي على المعارض اللي بتصير. بأعياد الميلاد تكون عندنا أنشطة كثيرة. هذه الشغلنا كنت على رأسها.

بسبب الإغلاق، كانت الجامعة تعمل للطلاب دراسة بمحلات مختلفة مرة نتظم محاضرات في التوتريدم بالقدس، أو بيت جالا، أو الدير. كل مرة بيعتوا إن المحاضرة بالمحل الفلاني، لأن الجيش إذا عرف إننا بتناخد محاضرات بتنجس كلنا، أساندة وطلاب. كانت كثير معاناة إننا نكمل دراستنا بالجامعة وقتها، ومع هيك ضللت فصرة. رغم إن أهلي قالوا لي: "إنبت موظفة ليش بذك تكلمي، حرام هذا الشقي، حرام تتركلي البنت لها المعاناة". قلت لهم خلاص أنا شقيت طريق مش باقي لي غير فصل دراسي حتى أكمل، وبالفعل كملت وأخذت بكالوريوس الرياضيات ودبلوم التربية من جامعة بيت لحم.

كنت مفكرة أكمل ماجستير، بس برضو صار عندي أولاد، وصارت الأوقات أصعب. بالفعل كنت كثير أحب اتعلم صيدلة، وضللت لفترة زلانة إني ما دخلتها، لكن لما صرت معلمة حسيت بوجودي، وكان لي مشاركات تطوعية بالمجتمع المحلي، وصرت أقول إن رنا بختار للإنسانة طريقها، مش شرط إني حاكة بعقلي إنه صيدلة وخلاص، بالعكس الإنسان بيكون موجود إذا هو عمل واشتغل على حاله إن يكون موجود.

من الناحية الإدارية كنا كمدرسات ومدارس تابعين لبيت لحم، وصرنا تابعين لمكتب تربية الرملة لما جاءت السلطة. ولما صار بدهم تأسيس مكتب تربية بأريحا، كنت من الناس اللي ترشحت لأكون بهذا المكتب. أخذت دورة تدريب مدرسين بوزارة التربية، وطلعت على النرويج دورة لتدريب مدرسين وتدريب الرياضيات، وعلى أثرها توظفت موجهة رياضيات في مكتب التربية.

بمكتب التربية ما حسنتش بوجودي كثير، عندي شغلنا طاقة لازم أعملها. مع إنه بمكتب التربية كنت أعمل دورات للمعلمين، مثلاً دورات في الرياضيات لمدراء المدارس، كنت استغل وجودي كشي يتعلق بالرياضيات. في هذه الفترة طلبوا حدا لإدارة مدرسة بنات أريحا الثانوية، دوعي قدمت لهذا المنصب، لكن لقيت تحدي كبير، مدير التربية قال لي: "فادية إحنا بدنا إياكي مشرفة، راح تصيري رئيسة قسم الإشراف، ومنها ممكن تكوني مديرة تربية. خلاص بعدين أنبت بذك تنزلي بسلم الوظيفة نزول، ما هي الإشراف أعلى لوظيفة من الإدارة [إدارة مدرسة]"، قلت له إني بدّي أكون مديرة مدرسة.

ضللت أكافح مع الوزارة حتى صرت مديرة مدرسة، واشتغلت بضمير، وبجد فخورة بشو عملت. الحمد لله لهلا البلد كلها

بتقول "عن جد وين أيامك يا مس فادية".

مدرستنا لعبت دور كبير، وضرب فيها المثل إن فعلاً "البنات الثانوية بأريحا" مدرسة مميزة. حتى كنت الأولى كمديرة بوزارة التربية والتعليم اللي تاخذ الإدارة الذاتية، كيف إن المفروض موظفي وزارة التربية يجوا على المدرسة أي وقت بدهم إياه يفتشوا، بالتالي بتكون نسبة من 15% لـ 40% من ميزانية المدرسة مقتطعة [للوزارة] لكن لما أخذت الإدارة الذاتية صرت أحكم ذاتي بذاتي، اللي بدّي إياه أسويه، ميزانية المدرسة كلها لنا، وطبعي لازم الفواتير والعطاءات والمناقصات تكون موثقة رسميًا، وأي حدا من الوزارة يحيي يتابع كله موجود.

تمكين النساء

طورت حالي كثير، انخرطت بالمجتمع المحلي بأي مجال كنت موجودة فيه، ندوات ودورات ومسابقات. مثلاً في "الوأي" عملنا مشروع "خيرات أريحا"، لما سكرت البلاد وبطل في وبطل خاصة أريحا كان عليها إغلاق كبير، شو سويتا، صرنا نجيب من المنتجات الزراعية بأريحا مثل الحمضيات، وظفنا كام بنت، وهلا صار عندنا 13 موظفة، بكل موسم نجيب الخيرات، ونعمل إنتاج بالجمعية. مثلاً نعمل عصير ليمون ونبيعه. وقت الملوخية، نجيبها ونفرطها ونحط بكياس، نبيعها مفرطة وناشفة ومقررة. صرنا نعمل معجنات وعسل وجينة، اتطور المشروع، وصار له إنتاجه، ونطلع لبره مش بس لأريحا. محلات كثيرة بالرملة وبيت لحم والقدس بتناخد من إنتاجنا. مرة عملنا الفريكة وطلعنائها على إيطاليا. مشروع "خيرات أريحا" هذا وظف كثير من النساء تطبخ، تعمل، تنقب، تعمل شغلنا سواء معاها شهادة أو لا، وهذا عمل على تمكين النساء، ووظف كثير منهن، كان مهم نوقر لهن ما يدعمهن اقتصاديًا.

مثلاً لما مؤسسة تنظم ورشات تطلب من الـ "وأي" أكل بنعمل، أو الراهبات لما يصير عندهن شغلنا لحفلات تطلب منا أكل بنعمل. المشروع توسع كثير وصار له إنتاج، وإنتاجه صار كثير له صيت عالي.

غير الأكل، عندنا بالـ "وأي" فرق في الرملة وبيت لحم، وعندنا جمعية بالقدس اللي تعلم سكرتارية للبنات. وفي مخيم الجلزون عندنا روضة، وفيه كمان ستات بتعمل تطريز، وبتعمل اللعب بتلبسهم الأثواب، وينحط على كل لعبة اسم المنطقة اللي ثوبها هذا، وينطلع هذا الألعاب لبره. مثلاً في أي مناسبة يجي ناس أجنب على الـ "وأي"، حطين لعب كل لعبة لاسمة الثوب بتاع البلد. هذا إنتاج كبير أي إنسان من بره بيتعرف على ثرائنا اللي سرقوه اليهود، هذه شغلنا تعزیز للهوية الفلسطينية، هذا بمخيم الجلزون.

فيرا بابون: يجب أن نكون مناضلات قويات في حقوق المرأة

فيرا بابون، مواليد بيت لحم 1964، هي أكاديمية مشغولة بالذد والنوع الاجتماعي وكاتبة. ترى فيرا النضال كممارسة حياتية، وتعتبر أنّ صراعها كامرأة وزوجة وأم هو صور من النضال الشخصي.

في سنتها الدراسية الأولى في جامعة بيت لحم اكتشفت ذاتها كعُلَمة، حين درست في المدرسة التي التحقت بها صغيرة. هذا الاكتشاف حرّك حياة فيرا في ما بعد، لتدرس الأدب الإنجليزي، وتتخصص في الأدب الأميركي وتحديداً ما يعرف بـ "الأدب البثني/العرقى" كما نقرأه في كتابات توني موريسون (1931-2019)، ثم صارت باحثة وأستاذة في دراسات النوع الاجتماعي. وإلى جانب شخصيتها كعُلَمة، فإنّ مسيرة فيرا ارتبطت كذلك ببيت لحم أو "مدينة السلام" كما تسميها، فانتُخبت رئيسة لبلديتها في 2012. وخلال خمس سنوات، عملت على تطويرها، سواء بترميم كنيسة المهدي، أم استعادة ما نهب من أراضيها. وخلال هذه المسيرة أيضاً، تحوّلت ممارستها النظرية للنوع الاجتماعي أكاديمياً إلى تطبيق مع دخولها اتحاد المرأة الفلسطينية.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلات جرت في 2020/11/19.

في الأصل مُعلّمة

أنا فيرا جورج غطاس بابون، من عائلة غطاس، وتزوجت من عائلة بابون.

وُلدت في بيت لحم وما زلت أعيش فيها. ليّ ثلاثة أخوة، وأنا البنت الوحيدة، والأكبر، تلقيت كل الدعم من أمي وأبي. ترعرعت في بيت يقدر الفتاة، يحافظ على أهمية تنميتها بكافة المجالات أو تطوير فكرها. كنت أدخل أغني مُدام الناس، ووالدي كان يصنّر إني أغني، يقول لي: "إنّك عندك صوت حلو" وبسبب دعمه معنى الصوت أخذ مساحة مهمة منذ صغري، لاحقاً كلمة "صوت" تغيّر معناها بالنسبة لي

كامرأة، أصبح للصوت معنى آخر. كنت ناشطة في المجموعات الكشفية والرياضية في مدرسة راهبات مار يوسف. لم أترك فرصة إلا وشاركت بها، وأعطيت ما يُمكن أن أعطيه.

درست بجامعة بيت لحم، وفي يوم خلال دراستي بالجامعة، توجهت لوالدي، وقلت له إني قرأت وسمعت أنّ مدرستي بحاجة لمعلمة بديلة، وأرغب في تقديم طلب للوظيفة. قال لي: "مالك، لسنا بحاجة يا بنت الحلال، لساتك بنت 19 سنة"، كنت بسنة أولى ودخلت الثانية. أصريت ووالدي رفض، وذهبت لرئيسة الدير بمدرسة راهبات مار يوسف، قلت لها أريد أن أكون معلمة، وأخذت ما أردت، وأصبحت معلمة للمصنّف الابتدائية الثانية والثالثة لمدة عامين، وهناك اكتشفت أن في داخلي جذور التربية والتعليم، واكتشفت إن جزء أصيل من كياني وعقلي له علاقة بالتعليم والتدريس، وبعد سبع سنين ستكون سبباً في قراراتي المهنية. تزوجت وأنا عمري 20 عام، كنت لسه بالجامعة، زوجي حنا بابون، كان يمتلك محطات لتصليح وغسيل السيارات، وعند عائلته جراجات بابون معروفين جداً في بيت لحم، مهنة توارثوها أباً عن جد.

وانجبت ابني الأول أمير قبل تخرجي. ولكن ولادتي للأمير كانت فيصيرية، وكانت خطيرة وأثرت على تواجدي في الجامعة في الأيام الأخيرة للامتحان. لكن استطعت دخول الامتحانات لأن الأستاذة جمّ ليّ على البيت، وامتنحت، وحصلت على بكالوريوس أدب إنجليزي ودبلوم تربية. أصبحت أم، وفي خلال ثلاث سنوات تقريباً أصبحت أم لثلاث أولاد، أمير سنة 1985، سامر 1986، ونادين 1988، وهون كانت الانتفاضة الأولى.

ثم جاء الجيش بيتنا، شهر أيلول/سبتمبر 1989، سألوها عن زوجي. طلبت منهم الهدوء لأن بيتنا صغير حوالي 60 متراً، أي حركة ممكن تصحب الأولاد. حافظوا على الهدوء، جوني خرج معهم، سألتها شو فيه قال ليّ: "بعد ساعتين يرجع" لكنه رجع بعد ثلاث سنوات. بعد اعتقاله كان لا بد أن أعمل، اتصلت بمديرة مدرستي، وسألتها أن كان ممكن أعمل سكرتيرة، لكنها اعتذرت لأن العام الدراسي بدأ بالفعل، وتوجهت لجامعة بيت لحم اللي افتحت، بعد إغلاق الاحتلال لها من 1978 لـ 1990 بسبب الانتفاضة الأولى، ووافقوا في "بيت لحم" إني أعمل كمدرسة لمساقات اللغة الإنجليزية لسنة أولى إنجليش. كان عمري 25، دوري اختلف، مع دور الأم، صرت اللي تحافظ على بقاء أبو أمير في معتقله مرتاح أن هناك من يقوم بدعم هذا البيت. وبدأت العملية الأكاديمية التربوية في جامعة بيت لحم، كانت جذورها من خبرتي كمعلمة في مدرسة مار يوسف.

ولم أره لغاية محاكمته بعد ستة شهور من الاعتقال، وحضرت المحاكمة في الخليل مع أخ زوجي، سمعت القاضية تنطق بالاتهامات، من كتر اللي سمعته، حسيت فيه صوت بيرن

جوه وداني، سألت سلفي، مستغربة، عن مين عم تحكي؟

نضال شخصي

وخكم على زوجي بست سنوات، ثلاثة فعلية، وثلاثة ممكن استبدالها بدفع غرامة مالية. خلال السنوات الثلاثة كنت أتوجه معايا الأولاد كل 15 يوم لزيارته بسجن الخليل مع باصات الصليب الأحمر. هي رحلة وجودية أو رحلة في مسار النضال الوطني، كل 15 يوم من الساعة الخامسة صباحاً، وخلال ركوبنا الباصات تعرفت على الرواية النضالية الفلسطينية، كل امرأة تجلس بجانبني في الباص تحكي عن نضالها، وأسباب سجن ابنها أو زوجها، واسمع وكان عدد سنوات حبسهم أكثر من زوجي، منهم أزواج أو أبناء محكومين بـ20 سنة. رغم ذلك رحلات الباص كان فيها فرح وغنا.

مثلاً مرة كنا في فصل الشتاء والمطر غزير جداً، وصلنا إلى ساحة المعتقل في وقت مبكر، خاطبنا مدير السجن بأنه يفتح الباب لأن الدنيا تمطر والجو بارد. ولا حياة لمن تنادي، ساعتين ونصف. يومها فا كنوش أولادي معي. السياج من أمامنا، والمطر من فوقنا، والبرد حوالينا، لكن ما يجمعنا زيارة أسرى، ابن، زوج، أخ. وع 8 دخلنا غرفة الانتظار وأرضيتها تراب، في انتظار الزيارة اللي مدتها 15 دقيقة. الزيارات صقلت شخصيتي، وتجربتي، كل زيارة رواية، وهذه التجربة استمرت ثلاث سنوات. قررت أنه لا يمكن استمر في زياراتي، وفي نفسي، دون تنمية ذاتي، فدرست ماجستير في الجامعة العبرية بالقدس، وكنت خائفة جداً، لكن لا توجد أي جامعة محلية تقبل تعطيني هذا التخصص؛ الأدب الإثنائي الأمريكي، ولا يمكن أن أترك أطفالي وأغار لأدرس في دولة أخرى، ولا يمكن أن أقوم بدراسة الماجستير بالمراسلة. كان الخيار الذي لا بديل عنه، في الزيارة الأولى للجامعة، كان والدي معي حتى أقدم أوراقه وأرى سوف أقبل أم لا. دخلت إلى الساحة الخارجية وأكملت، وكانت هناك مسؤولة قسم الدراسات العليا بانتظارنا. حينما دخلت استرجعت الماضي والاعتقال، وما يحدث في بيت لحم، والنضال والحجارة، وخفت. تسمرت في مكاني، وقلت لوالدي إني لا أقدر أكمل، لكنه شجعني وقبلت. تخرجت من الجامعة تقريباً بـ1995، وأنا أحمل شهادة في الأدب الأمريكي الإثنائي، درست لتوني موريسون، وتحديداً ثيمة الأمومة في أدب موريسون. رأيت في الأدب الأمريكي أبجديات النضال السياسي، والنضال الإنساني، والنضال الحندري. هناك تبلورت مفاهيم لدي في المدارس التحليلية النقدية في الأدب، وزادت من معرفتي، ثم بدأت رحلة مهمة بالتعمق في دراسة النوع الاجتماعي، كأمراة وكفلسطينية. دمجت هيك الاثنين مع بعض، وبدأ برحلة ثانية في عالم الأكاديميات، والانخراط في عالم الحياة المجتمعية

والوطنية في بلدي. ولحد خروج جوني¹ بـ1993 من المعتقل، وبعدها كنت في رحلة دراسة وعمل. وجبنا كمان بنتين؛ ناردينا ونتاشا.

جوني خرج من الاعتقال مريض بالقلب، وبدأت رحلة أخرى هي رحلة علاجية لحد لقا عمل جراحة قلب مفتوح في عمان، ثم حدثت مشكلة كبيرة بـ2000، رن جرس التلفون بالبيت، وسمعت على الطرف الآخر حدا يقول: "خبري أبو أمير يجب أن تحضروا الجراجات فوراً". وصلنا الجراجات كانت قوات الاحتلال مسحتها عن بكرة أبيها، إيش يعني. قالوا لأبي أمير: "أنهناك مهتياً"، لأنهم منعوا إعادة البناء، أو حتى تنظيف الأرض من الردمة. قلت لجوني إن هذا قدرنا، هيك قدرك كفلسطيني. كان فيه بالطرف ثلاث جراجات تركبتها مش مهدومة أخذت قرض قوري، وقمنا بتجهيزها حتى نحافظ على كرامتنا، وإن يكون فيه مدخول مادي عندنا. بعد شهرين من ترميم وإصلاح الجراجات الثلاثة كان هناك نفس الاتصال، هدموها، وحينها قال لي أبو أمير: "يا بنت الناس بسلمك إياها سيف وترس". بسلمك إياها سيف وترس، ترس بتحميني، وسيف بتدافعي عني"، أعطاني المسؤولية، وهذا مفهومي عن النضال اللي ما كنش نضال مباشر على الأرض ضد الاحتلال، ولكن أنا في اللحظة اللي قال لي إياها "سلمك سيف وترس"، أضاف معنى ثاني للنضال والمسؤولية، أنه نضال وطني بطريقتي وأسلوبتي.

البحث عن دور آخر

أنا من سنة 1984 لـ2000، وأنا داخل المسؤولية الأسرية، لجوني، واعتقاله، ومرضه. مهتياً، عملت في جامعة بيت لحم من 1990 لـ2010. كنت محاضرة في الأدب الإنجليزي واللغة الإنجليزية، ولكن في آخر 12 عام كنت متخصصة بالأدب الإنجليزي. بـ2007 تخصصت أكثر في مواضيع النوع الاجتماعي، وأعطى لي مفهوم آخر من خلال الدراسة العلمية لدور المرأة، وصوت المرأة، والعلاقات المجتمعية، أصبحت أتطرق لهذا الموضوع. ثم أصبحت محاضرة في جامعة بيت لحم في دراسات الماجستير للنوع الاجتماعي والتنمية. لكن في الفترة من 2007 لـ2010 وجدت ذاتي بفكر في دوري، وصوتي، كيف سأكمل رحلتي. في 2007 اشتركت في شبكة بريس للأبحاث الجندرية، وهي شبكة باحثات عربيات في الشرق الأوسط وعملت مع ثمان وعشرين باحثة في رحلة بحثية لمدة ثلاث سنوات على دراسة موسعة حول دور تقنيات المعلومات والاتصالات في تمكين النساء وتغيير المجتمع في الوطن العربي وشمال أفريقيا. من هنا انطلقنا برحلة دراسية بحثية حول دور المرأة، وتمكينها بكافة

1 جوني هو اسم تدليل تستخدمه ميرال للحدث عن زوجها حنا بابون، وفي أحيان أخرى يصفه بـ"أبي أمر".

القطاعات، من خلال استخدام تكنولوجيا المعلومات. قمت بعمل بحث ونُشر في كتاب في 2012، كانت على فكرة تخص المرأة وعلم التكنولوجيا، أو تكنولوجيا المعلومات في إفريقيا والشرق الأوسط. هذا الكتاب فيه 27 بحثًا يخاطب النوع الاجتماعي. بحثي كان اسمه "شهرزاد اليوم، نساء فلسطينيات" عن فتيات يستخدمن الأفلام والراديوها كمصنات لإحداث التغيير، هما كانوا طالبات بجامعة بيت لحم، وهذا الكتاب أخذ تقريبًا ثلاث سنين من البحث، وخلق مفهوم آخر لمعنى دور المرأة في مجتمع صوت المرأة فيه لسه مش مقبول، كان تحدي حينها، فرغم أن المناضلة الفلسطينية في كل مكان، على الأرض، وفي القتال، والمعتقلات، وبين ما كان، لكن الأدوار السياسية للمرأة الفلسطينية ما كنتش كما نشهدها اليوم.

قيادة بيت لحم

ومع الإعلان عن الانتخابات البلدية بـ2010، كانت فيه كتل متنافسة، ثم جرى التنسيق لتشكيل قائمة موحدة تجمع متنافسين من هذه الكتل المختلفة، ولأن المرشحين متنافسين لم يحسم من سيكون على رأس القائمة، لذا اتصلوا بي، وكنت مجتمعة مع الشبكة في تونس، وقد كان صرت رقم واحد في هذه القائمة الموحدة. لكن ألغيت هذه الانتخابات في اللحظة الأخيرة، ذهبنا لتسجيل القوائم، ثم صدر مرسوم رئاسي يلغي هذه الانتخابات، لأن كان عمل الانتخابات في القدس تحدي كبير، من ناحية مشاركة "حماس" أو لا.

بعدها قررت ترك العالم الأكاديمي لمساحة أخرى في الحياة؛ أصبحت مديرة مدرسة الروم الكاثوليك في بيت ساحور. كان عندي رغبة في بدء مسيرة استكشافية تربوية أكاديمية من خلال عملي كمديرة للمدرسة، عملت تغييرات كبيرة في ما أراه، كيف يكون التدريس أو قيادة العملية التربوية في مدرسة كان يقودها أب راهب، وتقودها لأول مرة شخصية علمانية، وعملنا بالفعل تغييرات جذرية لإنقاذ المدرسة، وإتباع نموذج تربوي مختلف لدرجة أنني دخلت مادة الشطرنج كمادة في الصف الخامس، تُدرس في الحصص ونحسب على المعدل.

وكنا جابيين مشروع مهم لبناء روضة تبع النظام التربوي الحديث، الصندوق الكويتي مشكور دعم هذا المشروع، وما كنش لـ سنة 8 أشهر وحصلنا عليه. وذات يوم كنت جالسة مكتبي دخل أحدهم وطرق الباب، قال لي دي رسالة من محافظ بيت لحم، وكانت انتخابات الحكم المحلي تعمل على قدم وساق، بكل مدن الوطن، وأنا كل تفكيرى وجهدي وعاطفتي في البيئة الجديدة اللي أنا دخلها اللي هي المدرسة. فتحت الرسالة، فاجأتني، وكانت رسالة تقول إنه تم اختياري لقيادة كتلة "فتح" الرسمية لانتخابات مجلس بلدية بيت لحم لـ2012، هون كان مفترق طرق. إذا قلت نعم

ماذا سيحصل، وإن قلت لا ماذا سيحصل!

قمت بالاتصال بمطرانية الروم الكاثوليك في القدس، سيد ناجول زريع، وقلت له إنني أحتاجه الآن في بيت لحم للضرورة، حضر إلى مكتبي وقرأ الرسالة، وشاركنا المسؤولية في القرار، وأنا كنت موقعة عقد لمدة 16 عام، يعني كان لسه لازم أكمل كمديرة مدرسة. أتذكر جيدًا إن زريع وهو كان يحكي بالمصري، فقال لي: "قال هنا المدرسة، وهناك بيت لحم، توكلني على بركة الله... أنا العذرا قالت نعم ربي، وأنا هقول نعم ربي، وأنت هتقولني نعم ربي". دخلت هون كمان الناحية الإيمانية كاثوليكيًا، وأنا كمان في حياتي كان لي علاقة مميزة جدًا مع الست العذراء مريم. لقيتها رسالة بتقول بموافقة من سيادة الرئيس أبو مازن أن امرأة تتراأس كتلة "فتح"، وقبولها أنها تصير مرشحة لرئاسة بلدية بيت لحم اللي هي مدينة الميلاد والإيمان المسيحي، ما كنتش مدينة سهلة إنك تقودها، لأن بيتحلي فيها هويتين، الوطنية الفلسطينية، والمسيحية العالمية برسالتها وميلادها. رئيس البلدية بالذات بيت لحم، لازم يتحلى بصفات معينة ووعي بعالمية بيت لحم، ووطنية وفلسطينية بيت لحم.

كمان بيت لحم حالة فريدة، هي المدينة اللي عانت من جدار فصل القدس عنها، والمحاطة فيها لم مستوطنات هائل، وتعتمد كمدينة على سياحة الحجيج. وهكذا ترشحت على قائمة "التنمية والاستقلال"، كان فيها 15 عضو، وضليت أعمل بالمدرسة لحد آخر عشرة أيام لغاية لما اشتدت الحملة الانتخابية نيعتني. في حينها "حماس" لم تشارك، لكن كل الفصائل الأخرى شاركت. ثم فازت كتلة فتح في الانتخابات الرسمية، والانتخابات بتكون على مرحلتين انتخاب المجلس عن طريق التصويت للكتل، وبعدين أعضاء المجلس ينتخبوا رئيس البلدية. لكن حدث طعن في نتائج الانتخابات، وتأخر إعلانها حتى 20 تشرين الثاني/نوفمبر وكانت فعلاً حالة مختلفة. واخترت لأكون رئيسة البلدية، وضليت خمس سنين، لكن التجربة لم تكن سهلة أبدًا بسبب طبيعة المجتمع، وفكره، ما زال فيه تفكير ذكوري متمحور أن الرجل قادر، وأن المرأة لا يمكن أن تكون قيادة لهذا المنصب.

توسعة حدود البلدية

خلال هذه الفترة، كان أهم إنجاز ليّ توسعة حدود بلدية بيت لحم. لما دخلت البلدية كانت بيت لحم صغيرة خمسة كيلومتر مربع، لأنهم فصلوها عن أراضيها، امتدادها، وحطوا جدار، وخسرت الكثير من هذه الأراضي بسببه، والإسرائيليون ضموا هذه الأراضي للقدس. أهم توسعة كانت المسافة بين مدينة القدس وبلدية بيت لحم، هذه المسافة اثنتين كيلو متر مربع وكانت في حدود المدينة وليس البلدية، فضميتها. والتوسعة أيضًا شملت حدود جنوب بيت لحم كيلو متر مربع..

ومطاعمها، وكل الصناعات التقليدية توقفت.

دخول العمل النسوي

أصبحت عضوة في المجلس الوطني الفلسطيني في أيار/ مايو 2018، وفي العام نفسه صرت عضوة في الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية. لم ألحق في الاتحاد العام من قبل. وأثناء انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في شهر أيار/مايو 2018، طرحت موضوع زيادة نسبة الكوتا في المشاركة السياسية للمرأة في فلسطين. تبيننا زيادتها لتصل لـ 30%، ولأنها كانت ما قبل انعقاد المؤتمر أو المجلس 20%. الحركات النسوية والاتحاد العام للمرأة والمؤسسات النسوية نجحت في زيادة مشاركة المرأة الفلسطينية في العملية السياسية. لكن ما زلنا في عمق مجتمع ذكوري لا يؤمن أن للمرأة الحق أن تكون. لذا أفضل الوسائل هي وضع كوتا للمشاركة السياسية، وإن شاء الله تتغير الأحوال، وتتطور المجتمعات، وإن شاء الله تصل كل امرأة لموقع سياسي بدون الكوتا. كعضو في الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، أرى أن طبيعة فلسطين السياسية، وواقع الاحتلال يجعلنا على الخارطة بطريقة مختلفة إنسانياً وسياسياً، الهم الوطني الأول لنا التمرر، ولكن من عام 1993 من بعد دخول السلطة الوطنية الفلسطينية، قمنا بإنشاء الوزارات المتعددة، وبناء وطن من أجل التحضير لمرحلة الاستقلال وبناء الدولة، لكن ما زالت المرأة الفلسطينية في حاجة لخطاب ثاني، لحد الآن لم ننجح كُنساء، وكاتحادات، ولا مؤسسات، في تطبيق حماية الأسرة ضد العنف، وهون سيكون وضعنا كُنساء في مساحة ثانية. عندنا تحدي الاحتلال السياسي، لكن حماية المرأة من خلال منظومة قوانين وتشريعات مسألة مهمة جداً، لأننا لسه ما عندنا دستور نهائي، ولا عملنا استفتاء شعبي بلا دستور نهائي. مثلاً منظومة القوانين والتشريعات التي مفروض إنها تحمي الأسرة، وتحمي المرأة من العنف، لحد اليوم مش متبنينها، ومش مطبقينها، نتيجة تحدي ثالث، التي هو الشريعة، وهذه كمان كانت صادمة للجميع، ولها مش قادرين نعملها.

إننا أي نعم بنواجه نضال سياسي، بنواجه تحدي احتلالي كبير، ولكن لحد هذه اللحظة يبقى حق المرأة بدرجة ثانية بعد الحق الوطني. في ثانيا الترتيب عندنا الكثير من الحقوق النسائية التي احنا لازم نعمل عليها. ما بحكيش بس عن المشاركة السياسية، أنا بحكي على حقوق العمل، بحكي عن الميراث، بحكي عن العنف، بحكي عن القتل.

البعض يقول ماله مجتمعنا الفلسطيني؟! مجتمعنا جيّد، لديه من القيم الكثير، ويحترم المرأة، لكن فيه عندنا حالات عنف وقتل، وتعنيف. يمكن ناضل ضد الاحتلال، ولكن يجب أن نكون مناضلات أقوى في حقوق المرأة، وتبني التشريعات والقوانين. مثلاً إحنا لهلا مش متبنين هذه القوانين في مناهجنا التربوية.

هكذا أضاف مجلس البلدية لـ "بيت لحم" ثلاثة كيلومتر مربع. وكذلك محطة البسطة السياحية، التي بتدخلها كل باصات السياحة، التي كانت مأجرة لمدة 20 عام، ومع حلول معاد استردادها في 2017 كانت معركة، حتى استردناها.

لما وسعت الحدود، سألت طب إحنا قد إيش الحدود محطوة عامة لمدينة مش داخلية البلدية، كان لازم ضمها مش استردادها، لأنها موجودة لكن مش مضمومة، كان لازم عمل مخطط هيكل جديد للمدينة، لأن من سنة 1958 فيه مخطط هيكل لمدينة بيت لحم لكنه مش محدث، ولها أسبابها سياسية يبدو، رغم تعاقب الأنظمة؛ الانتداب البريطاني، ثم النظام الأردني، ثم الاحتلال، ثم إحنا أنفسنا. كان لازم تطوير المخطط الهيكلي لبيت لحم، خاصة إننا ضمينا له حدود جديدة.

كيف نعيش بلا سلام؟

ب2012 بدأنا عملية ترميم كنيسة المهدي، وكنت عضوة في لجنة ترميم كنيسة المهدي، وإحنا كنا وضعناها على قائمة التراث العالمي، وكان قرار وطني رئاسي من أبو مازن أننا نقوم كفلسطينيين بالترميم. وقام بتمويلها الأولي أبناء فلسطين بمبلغ ستة مليون دولار، ومن ثم بعثت الدول الأخرى بتمويل هذه العملية لوصلت لأكثر من 20 مليون دولار. قمنا بترميم السقف، وتغيير سقف كنيسة المهدي، ومشروع الترميم كسبته شركة إيطالية. قمنا بترميم الأعمدة الـ 44، وبترميم البلاط، أجعل ما فيها كشف طبقة البلاط الأصلية التي هي الفسيفساء. هناك طبقتين لكنيسة المهدي، الأرضية الأم التي فيها طبقة الفسيفساء، والطبقة التي بنيت فوقها إحنا قمنا بالكشف عنها. من أهم الترميمات التي صارت، ترميم قطع الفسيفساء. مثلاً في يوم يجيني تليفون بمكتبي من الموظفين التي بيشغلوا في عملية الترميم لكنيسة المهدي، إنهم كانوا ييكشفوا بالـ x-ray إذا كان فيه قطع فسيفساء مغطاة. طلع إن فيه قطعة فسيفساء مغطاة لعقود بالشامنتو، وحضرت إزالة طبقة الشامنتو عن قطعة الفسيفساء، وظهرت صورة الملك السادس يتطلع تجاه مغارة الميلاد التي في كنيسة المهدي. واعتبرتها رسالة، تذكر بظهور الملائكة في سماء بيت لحم قبل ألفين سنة، كرسالة تبشير بالسلام وقتها. حسيت إنه بعد 2012 سنة إنه ظهور صورة الملك رسالة بتذكرنا بالسلام. إذا ولد السلام في فلسطين، وفلسطين ذاتها لا تعيش السلام، فأين أخلاقنا؟ وهذا كان أهم سؤال بسأله وين ما بروج عالمياً، أين أخفقت أيها العالم؟ لأنه إذا أرض السلام ما عشتش السلام كيف نعيش السلام؟ هذا حوار الدائم، كشرق أوسط، وعربياً، وفلسطينياً، وكامراً.

انتهينا من ترميم كنيسة المهدي ب2018، ثم وقفت السياحة مع كوفيد. وبيت لحم تعتمد على السياحة كلياً، كل فنادقها

لنا أبو حجلة: الأولوية هي بناء شخصية شبابنا

ندعم منظمة التحرير الفلسطينية. ثم دخلت لجان العمل التطوعي، وهذا زرع مفهوم الخدمة العامة، والعطاء من غير مقابل، بل المقابل سيكون نمو الشخصية، وفهم الواحدة شو الإشكاليات اللي حوالها، سواء تتعلق في كصيبة أو امرأة لسه في أول عمرها، ويتدخل جدل مع الشباب المحافظ، لأن لجان العمل التطوعي ضمت شباب وصبايا، كُنّا ننصف مستشفيات وشوارع، والبلد تحكي عليّ؛ "بتنكم شفناها مع فلان وشفناها مع علتان"، وبعدين أهلي يدافعوا عنيّ.

طموح بيني فلسطين

أيام السبعينات شكّلت شخصيتي، الوعي بمفهوم المقاومة، ومفهوم الهوية، وشو مفهوم الإنسانية، والخدمة العامة، والتطوع. كان بديّ أدرس هندسة عشان أبني فلسطين، واخترت جامعة بيرزيت، والتحقّت بها في 1980 لدراسة الهندسة المدنية، وكانت بمبنى الجامعة الجديد.

وكان مبنى "بيرزيت" القديم هي مقر العمل المقاوم. وكان ليّ خال هو رئيس مجلس الطلبة، وكان معتقل سبع سنوات في سجون الاحتلال لعمله المقاوم. ولما رجع على الجامعة واستمر في العمل السياسي والقيادي، كنت أزوره بالمبنى القديم، وأشوف إيش رئيس اتحاد الطلبة، وفيه انتخابات وفيه فصائل، وحركة، وفيه صبايا وشباب بيشغلوا. وكان الكل يقعد في الكافتيريا ونسميها "حصة الكافتيريا" لأن هناك نقاش سياسي واجتماعي. داخل الكافتيريا، كان يحصل كل نمونا الفكري، وغير النقاش السياسي كُنّا نتكلم في الثقافة والفن، ودخلت فرقة "دبكة" في ما بعد.

برضو دخلت العمل الطلابي، ومجلس الطلبة، لكن الاحتلال كان يغلق الجامعة كل ثلاثة أو أربعة أشهر بسبب نشاط طلابها المقاوم.

كانت فيه طرق مختلفة للتغلب على الإغلاق؛ ندرس في بيوت الأساتذة، أو نيجي على رام الله ندرس في مطعم، إيش ما كان يتوقّر أمام الأساتذة يعطونا حصص عشان نستمر. ولما ينتهي الإغلاق نرجع المبنى الجديد، وأنا ما بديش أدرس في هذا المبنى، ومن غير ما أبلغ أهلي، حوّلت كلية اقتصاد، لأنها كانت بمبنى الجامعة القديم، هذه بداية مرحلة المقاومة الداخلية للعائلة، إنني أخذ قرار من غير ما استشير. وبدّعت بالاقتصاد لأنه عندنا رياضيات وفيزياء وهندسة. راحت كلية الاقتصاد بعثت للوالد كتاب تقريره قد إيش أنا مبدعة، وإن الإدارة بدّها تعقيني من الأقساط، طبعاً الوالد جاء على الجامعة قال لهم: "لا بنتني بتدرس هندسة أنتم مخطئين". واجهني بهذا الموضوع،

لنا أبو حجلة، مواليد نابلس 1963، مهندسة، حملت ميكرًا أن تبني فلسطين مجازًا، وخلال مسيرتها التي تسرد بعضًا من جوانبها هنا نجدها قد عملت بالفعل في بناء مؤسسات السلطة الفلسطينية، مزار البلديات التابعة لأول وزراء حكم محلي. وبالتوازي مع هذه المسيرة المهنية عملت بالفن، كانت ترقص الدبكة خلال دراستها، وفي الانتفاضة الأولى، وبعدها، ثم اتجهت إلى بناء شخصيات الشباب والصبايا عبر مياديات صناعة القادة، ومؤخرًا صارت تتأمل خلال جلسات اليوجا، كما تروي في شهادتها المعتمدة على مقابلة جرت في الثالث من كانون الأول/ديسمبر 2020.

عائلة تفدّر بناتها ونساءها

لنا أبو حجلة سيدة فلسطينية، الأصل من قرية دير إستيا، الشمال الغربي من فلسطين. ولدت في مدينة نابلس في 1963، من عائلة تقدر بناتها ونساءها، من حظي أني ربيت في هذه الأجواء، ما فيه تفرقة بالعكس الفتيات بياخدوا نفس فرص الشباب، أبوي دكتور أنف وأذن وحنجرة، أمي كانت مدرّسة لحد سنة 1967، وبعد الاحتلال أضربت عن التدريس لما الاحتلال الإسرائيلي حاول يغيّر المناهج الفلسطينية لمحو الهوية الفلسطينية والتاريخ الفلسطيني.

ربينا بهذا البيت، وجاء بعدي ثلاث إخوة. جدي شاعر وسياسي، وشغل عدة مناصب: أيام الأردن كان وزير ونائب رئيس وزراء، ومكتبته كانت عامرة. بما أني كنت أول حفيدة جاءت للعائلة أصبحت مفضلته، لكن هذا الوضع كان ضاغط عليّ لأنني من سن عشر سنين كل شوي أقرأ كتاب وأمتحن فيه.

كبرت في أيام الاحتلال بالسبعينات، كنت مش فاهمة بالضبط شو معنى الاحتلال، ولكنه حاضر كل يوم، اطلع من المدرسة ألقى عربيات الجيب التابعة للاحتلال محيطه بالمدرسة، والأطفال والشباب والصبايا بيرموا حجارة، ويرمي حجارة معهم من غير ما أفهم ليش.

اندمجت في أجواء المقاومة بغمر 14 أو 15، كانت هذه هي حياتي اليومية. تطلع من المدرسة تصير مظاهرات،

قلت له إنه صحيح، وبدي أدريس في الجامعة القديمة، وتم التصويت داخل العائلة. وجاء القرار: "بدنا تطلعي تدرسي بزه".

العودة للهندسة

انتقلت لدراسة الهندسة المدنية بأمريكا، وخالتي كانت هناك، يعني لازم تعمل تقارير لأهلي عني؛ وبين بروج، وبين باجي.

دخلت اتحاد الطلبة فلسطين، ونشطت فنيًا شكلنا فرقة الدبكة بالجامعة. وبعد أسبوعين قلت لخالتي فيه مؤتمر بشيكاغو، قالت لي: "لسه جاية على أمريكا عشان تروحي مؤتمر اتحاد الطلبة". رغم ذلك زحت المؤتمر، واكتشفت وجود مساحة واسعة للعمل الطلابي الفلسطيني، وكان متزامن في هذا الوقت مع الحرب الإسرائيلية على لبنان، وخروج المقاومة. في نفس الوقت كنا معنيين بقضيتنا، ونطلع على قضايا أخرى، مثلًا نشطت مع مجموعات طلابية أخرى لها علاقة بما يحصل في جنوب إفريقيا، ومحاولة تحويل استثمارات الجامعة من جنوب إفريقيا لعقاب لنظام الفصل العنصري. الواحد بلش يكتسب روح إنسانية من المقاومة تربط موضوع العدل والعدالة والحرية، اللي احنا كفلسطينيين بنطالب فيها مع شعوب العالم الأخرى اللي لمان كانت خربت.

خلال سنوات دراستي بلشوا إخوتي الثلاثة يدرسوا بنفس الجامعة، جيم ورايا واحد ورا واحد.

رجعت على البلد رأسًا أول ما تخرجت، مع إنه كان عندي عرض للعمل، اتصلت على أهلي وقلت لهم بدي أرجع مش قاعدة ولا دقيقة. قالوا لي: "تكتسبي خبرة إذا بذك، خليكي أخواتك لسه هناك"، قلت لهم بدي أرجع على البلد.

رجعت في أوائل 1986 وبدأت كامرأة فلسطينية تحصل شهادة الهندسة المدنية، وهو مجال مش كثير فيه سيدات. لقيت أول شغل، طبعا الوالد حكي تليفونات ودبر شغل ببلاش، "إيش تنطوعي لحد ما تكتسبي خبرة". أول مقال اشتغلت معاه هو أبو وليد، كان بيني مدرسة في البلدة القديمة في نابلس، لازم أنزل الساعة 5 الصبح قبل العمال، واكتشفت قد إيش صعب لأن العمال كيف بينظروا لي، والمقاولين كيف ينظروا لي، فتاة لسه بغمر 23 سنة، مش بالسهل إنه حتى العمال ممكن يضحكوا علي.

أنا دارسة في أمريكا فاكرة حالي ماسكة العلم، طلع ما بفهمش شي، كلام العمال والمقاولين بيختلف في المواقع عن اللي درسناه، تواضعت شوي ونزلت على الأرض، وقالوا لي: "حطي اللي درستيه على جنب. حاولي تقنعهم إن إنبت تقدي تفهمي، وتلقطي الأمور"، هيك اشتغلت مع هذا المقاول حوالي شهر. بعدين اشتغلت في

بلدية سلفيت، كان مهم لي، إثبات النفس حتى يصيروا يتقبلوني شوي بشوي في البلدية، بعدين راح الشغل كله وخلص البرنامج. انتقلت على القدس بحثًا عن شغل بأي شي، حتى اشتغلت في مسرح الحكواتي منظمة برامج، وقلت لأهلي إن المهم أن أكون مندمجة وأعمل، وبشغل. الوالد والوالدة كانوا داعمين دائمًا، "آه روحي" وكانت تجربة في القدس لوقتها. وبالصدفة التقيت هناك بمدير برنامج الأمم المتحدة على عشاء عمل، سألني شوي، ثم قال لي: "غريبة أني ألقى صبية ومهندسة مدنية، عندنا وظيفة، إذا بذك بتقدمي لها". وبالفعل قدمت، ثاني يوم بالقاعة قاعد يمكن 20 مهندس، أقل واحد عنده 20 سنة خبرة، وأنا جاية أقول لهم عندي ست أو سبع شهور خبرة.

علموا لي امتحانين كتابي وشفوي، وكان مهندس يوناني يقابل الممتحنين. قلت للوالد لو شفت القاعدين بيحطوني في جيبهم الصغيرة. لكن قلقي ما كان في محله، اتصلوا عليّ ثاني يوم الساعة 8 الصبح: "بدنا تيجي تداومي" كان رأيهم إنني عندي قدرة التفكير بمنطق، وبشكل خارج الصندوق في إجاباتي عن الأسئلة، الكل كان يجاوب من اللي كان دارسه من خبرته، بس ما حدا قدر التحدي للأسئلة اللي انحطت إلاي. وأصبحت أول مهندسة بـUNDP، بل أول واحدة في الفريق. أول مشروع كان "المياه العادمة بمخيم جبالية بقطاع غزة" هذا أواخر 1986.

نزلت على قطاع غزة، وشففت معاناة أهالي مخيم جبالية، المجاري اللي بالبيوت، حتى قالوا لي: "الموقع عند بركة أبو راشد" أول لما وصلت بسيارة UNDP لعالي، بسأل الناس وين البركة، قالوا لي: "أطلعني من الزقة هون بتروحي هناك"، روجت لاقيت بحيرة من المجاري وكل البيوت حوالها وهذا كان مشروعنا. دلوقتي لما يحكي لبناتي، ويحكي للأصدقاء، وأقول لهم غطسنا بالمجاري لركبنا، وهذا اللي حصل. لأنه في مرة من المرات حصلت شتوة كبيرة، وفاضت البركة، واضطرينا نغطس ونلبس جزم ونحاول ننقذ البيوت اللي غرقت، ونجيب مضخات، وبقيت لـ3 الصبح.

بدأت الانتفاضة الأولى لما كنت بالموقع، وبنزل أنا بيب من الترات عشان نبلش في الشغل، جاء خبر الطافلة الي دعست العمال في مخيم جبالية، وبدأت الدنيا تولع، وبدأت تيجي الأخبار إن مخيم بلاطة موع كمان. حضرت الشرارة الأولى، طبعا كل الأنابيب اللي نزلناها استخدموها عشان يسكروا المخيم، 2 مليون دولار راحوا على الأرض. نحاول نقنع الشباب: "يا شباب هذا للمشروع"، قالوا: "سكروهم.. الدبابات جاءت"، هذا المخيم ما خلى ولا خط

ولا شيء. كل الانتفاضة الأولى أنزل على غزة، لأن إحنا أمم متحدة لا مظاهرات ولا اقتحامات ولا منع تجول يوقفنا.

الانتفاضة الأولى شكلت مفهوم المقاومة الشعبية، وبهذه الفترة لما رجعت على البلد قلت استمر بالعمل الفني يعنيني جدًا، دخلت ترجيت فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية إذا ياخدوني، كنت اطلع عليهم من بعيد إنه هنبالهم الشباب والصبايا اللي قادرين يعملوا عمل فني بهذا الشكل، كنت احضرهم بالقدس. المهم قالوا لي "بتجربك"، ودخلت ضمن هذه المجموعة. يمكن هذه المجموعة كمان فتحت لي كل اللي بيصير وقت الانتفاضة، مثل لجان المقاومة الشعبية، ولجان التعليم، ولجان الحارات، ولجان المرأة، وما ضلش شيء إلا ودخلت فيه. كنت عضوة بلجان المرأة، أخلص شغلي ننزل على القرى، نعمل حصص تعليمية عشان المدارس فقلقة، نساعد بالحارة عشان نزرع كل هذه الحدائق اللي حوالين البيوت. إذا فيه مظاهرات عند قسم الرملة نهرب من الشغل، نصفى سيارة UN على جنب عشان منيبنش إننا موظفين، ونطلع على المظاهرات.

زواج مختلط

شعرت إن فلسطين تدخل في مرحلة مختلفة، تستطيع بمقاومتها الشعبية إنها تحط أسطورة براها العالم كله عن قضيتنا، وتزامن هذا الكلام مع أن الدعم الدولي من قوى المقاومة حول العالم كبير، زي ما بيامنوا بالعدالة والإنسانية. في هذه المرحلة بدأت ترتيبات الزواج، وكان مُعقد شوي، لأنني كنت مرتبطة بشخص مسيحي الديانة، هو زهير خوري، فنان، وكانت صدمة للأهل والبلد، بس يمكن الواحد يحكي كيف العائلة الداعمة بتعرف بنتها وتدعم قراراتها، وتعطيها هذه الحرية والمساحة... وهكذا اتفقنا على الزواج دين مختلط بدعم الأهل، وقبل شهر من الزواج اعتقل بنهمة إن هو معاه اليوم أغاني مقاومة كان اسمه "شرار"، ومسكوه إنه طالع من المطبعة ومعاه نسخ راح يوزعها لدعم المقاومة والانتفاضة. الاحتلال الإسرائيلي كان يحبس الناس على الأغاني، لكن ما قدروش ياخدوا منه أي اعتراف، ولا مين اللي اشتغلوا على الأغاني، ولا مين المغنين ولا شيء قدروا يعرفوه، وصادروا كل نسخ الألبوم. تم تهريب نسخة واحدة من غرف التحقيق، وبخلال أسبوع انتشرت أغاني "شرار" بكل فلسطين وخارجها. القصد اللي كان مُراد تحقيقه حصل، بس زهير اتحبس 7 شهور، وكنا نروح نزوره، وكان صعب أشرح أنا مين للناس لأنني لسه مجرد صديقة، بس أمه كانت داعمة كثير، وأمي كمان لازم تروح نزوره. بعد ما خرج تزوجنا، وخلفنا بنت، زينة (مواليد 1991)، ودخل هو بالعمل الفني وأسس المعهد الوطني للموسيقى، اللي هلا معروف باسم "معهد إدوارد سعيد". أنا استمرت

بالفنون وهو كمان معي، وبدأت حياتي تروح بهذا الاتجاه بعد أربع سنوات بعملني مع UNDP، وأصبح يُشار لي من الجميع وصرت رئيسة قسم الهندسة وتشرف على حوالي 40 مهندس، ومشاريع بعشرات ملايين الدولارات ممولة من UNDP. خلال شغلنا كان الطرف اللي نتفاوض معاه هو الاحتلال، ما كان لسه فيه سلطة ولا شيء. هي كانت الإدارة المدنية²، إذا بدنا بنيني مستشفًى نتعامل مع رئيس الإدارة المدنية المسؤول عن الصحة. إذا بدنا بنيني مدرسة نتعامل مع ضابط التعليم. أقعد في اجتماعات أمثل UN وأمامي ضباط إسرائيليين اللي هما مسؤولين عن الإدارة المدنية. نقعد بالسرايا بغزة اللي كانت قيادة الإدارة المدنية أو يسموها بالاحتلال ضباط إسرائيليين، ونفص الشيء في الضقة. الواحد كان يطلع على حقيقة إيش مفهوم هذه الإدارة المدنية أنه سيبصير لاحقًا احتلال عسكري متحكم بكل مصادرها. انتهت إلى مشكلة المياه، وقد إيش إن هذا أمر مرتبط بمستقبل الفلسطينيين، وحياتهم، وإقامة دولة فلسطينية، وإنه كمان إذا استمر هذا الاحتلال بسيطرته على هذه المصادر، لا مجال أن يكون لنا دولة أو أي تنمية. من خلال عملي بدأت أدرس كل قطاع المياه، وكل قوانين المياه، وبحضر لملف المفاوضات الفلسطينية. بـ1991-1992، صار يقولوا لنا نشكل الفرق الفنية اللي بتتضر المفاوضات، مع المرحوم أبو العابد فيصل الحسيني، والـUN بدّا تشكل الفريق الفني اللي بيدعم هذه الفرق الفنية الفلسطينية. كنت منهم وكنت صغيرة بالعمر كنت لسه ما صرت 30، بس استفدت كثير. بعدها بدأت "أوسلو"، وبدأت المفاوضات اللي شوية تختلف عن اللي كنا متوقعين، على الأقل بقدر أحكي عن ملف المياه. كنا مدرّكين الخطوط الحمراء، ومحضرين لها، لكن في كثير من القضايا نقدر نقول رغم التنازلات اللي صارت ضمن اتفاقية أوسلو. لكن لما شُفت الاتفاقية النهائية اللي مضى عليها الجانب الفلسطيني، بكيت، قلت شو بدّ يحصل فينا الآن، الإحباط من إني آمنت بالاتفاقية. لكن هي اتفاقية مرحلية، ويمكن تيجي اتفاقية نهائية تصلح كل هذه الأمور.

ثم اشتغلنا، مع UNDP، على دعم بناء مؤسسات السلطة الفلسطينية. وهذا يمكن وسّع إدراكي، ووسّع اطلاعي على شو اللي بيحصل بالبلد، دخلت بتأسيس وزارة الحكم المحلي، وكان عندي شغل لموضوع البلديات يرجع لاستهداف صديق العائلة بسام الشكعة، رئيس بلدية نابلس، بتفجير بـ1979. كان بيته قريب من بيتنا، وسمعت

2 الإدارة المدنية هو مصطلح استخدم لوصف جهاز إدارة أدهما في غزة والآخر في الضفة الغربية، وقد أسسها في تشرين الثاني/نوفمبر 1981 بموجب أمر صادر عن وزير الدفاع الإسرائيلي بهدف الاهتمام بالشؤون اليومية للسكان المحليين. نال الإدارة المدنية كل السلطات المدنية التي كانت تحت سيطرة جيش الاحتلال

الانفجار وشُقت الدخنة، نزلت وكنت من أول الواصلين واضطربنا نحمل عمو بسام وهو فاقد رجليه. هذه الذكرى الحية بتبين كيف البلديات إلها دور وطني ومهم.

على الجانب الشخصي، ما اتفقناش أنا وزوجي، وانفصلنا. كنت بعرف زوجي الحالي وإحنا أطفال، التقينا مرة ثانية، وكان منفصل عن زوجته، وتزوجنا، وصار عندي بنتين تانيين، هذا بين 1995 و1999 (باسمين مواليد 1996، ونادية مواليد 1998).

استشهاد الأم

واستمر نشاطي بالعمل الفني، وصرت من اللي يقودوا الفنون مع فريقنا، وبصمّم رقص، دبكة، ونتج أعمال. إلى جانب عملي كمهندسة، ومديرة بـUNDP، وكووني أمّ طبعًا. كنت أنا وزوجي مرممين فندق بالبلدة القديمة بنابلس، حظينا كل ما نملكه لنحيي تراثنا الفلسطيني، بدنا نحافظ على مباني قديمة للعائلة كانت وقف عمره سنين، ومفتتحينه قبل الانتفاضة بأسبوعين ثلاثة، الجيش الإسرائيلي احتله وعمله مقر لمهاجمة البلد، ودمروه.

ومع الانتفاضة الثانية، بدأ دور الأمم المتحدة يختلف، لأنه صرنا جزء من عمليات الحماية، بعدين اللجان اللي بتحصّر لإعادة الإعمار، لأنهم بدأوا يدمروا في المدن الفلسطينية، في نابلس، لما دخلوا البلد القديمة دموها. بدأت آخذ دور قيادي مختلف داخل كل الـUN، ونطلع نحكي عن الاقتصاد، صرنا مطلعين أكثر على جوانب الهندسة. المرحلة الأصعب بحياتي كانت هي مرحلة الانتفاضة الثانية، لأنه صار موضوع قتل الفلسطينيين، والدمار على أوسع باه، توحشوا فينا. في تشرين الأول/أكتوبر 2002، كنت بالأردن في مؤتمر للبنك الدولي وزوجي جاء معي "غيتير جو"، وبناتي في القدس مع babysitter بالقدس، وأهلي بنابلس. وجاء تليفون من والدي لزوجي قال إنه تمّ إطلاق النار من دورية إسرائيلية على بيتنا، وكانت والدتي قاعدة على مدخل البيت مع الوالد بتطرز اللي تعلمته جديد، والوالد كان معاهما يكتشف تنقية الزعتر، وأخي سائد معهم، أطلقوا النار بكثافة على البيت من غير أي سبب. أصيبت الوالدة بتسع رضاصات متفجرة واستشهدت رأسًا على الموقع، والوالد وأخوي أصيبا. اللي صار إن الواحد كان ممكن يقفد كل عائلته بلحظة. لكن زوجي لم ييلغني، اضطر يكتم الخبر لأن ما فيش مجال نروح لأن الجسر كان سكر.

زوجي فكّ التلفزيون في الغرفة، ومنع الأهل والأصدقاء اللي هجموا على الأوتيل اللي سمعوا الخبر على "الجزيرة"، وكانوا عارفين أنني بالأردن، وزوجي قال لهم: "هي ما تعرفش"، فبسهروا معيا، بس أنا شايقة إن

كلهم وجوهم صفرا. أنا الوحيدة اللي يمزح وبضحك، زوجي لونه أخضر، كل صاحباتي لونهم أصفر، اعتقد إنه كان جيّد اللي عملوه. الشّي الإنسان، إنه تكتشفي شي ما تعرفش شو تسوي. الشّي الأصعب أن ما فيه قوة سارية تخلي أي إنسان يحتمل هيك، يحس بالقهر والظلم. زوجي فيقني الساعة 5 الصبح، وقال لي: "يلا لازم نزل"، وأنا لسه مفكرة عندي إجازة بدّي أقعد يومين اغتير جو. خيرني، وإن لازم أقطع الجسر اللي بتسيطر عليه إسرائيل وأنا منهارة وبدّي اتواجه مع جندي يحاول يهيني أصلًا، لكنني مش في حالة تتحمل إهانة ولا أي شي. وصلنا بنابلس، ويمكن شوقي الواحد ما بدّه يتخيل شو يحصل مع ناس تانيين، واحدة زي كل أجهزة UN بتساعد، وتنزل على الجسر، تاخذك بمناطق حتى لو فيه منع تجول، تقطعي كل الحواجز عشان توصلي البيت. أبوي بالمستشفى، وأخوي الحمد لله إصابته ما كانت خطيرة. والحمد لله الوالد نجا. أظن أكثر شي وجعني إنني وجدت الطاقة والإبرة فيها والدم عليها في مكانها، التطريزة لا زالت موجودة، والإبرة لا زالت مكانها بعد 18 سنة، ومحتفظة فيها ليحي يوم اتصالح مع اللي حصل، وأحس إنه لازم أكمل التطريز اللي هي وقفته. أنا قاعدة بحكي بالإنسانية، والمجتمع الدولي، والمقاومة السلمية، وكل هذا الكلام، ونوصل إنه إحنا غير محمين بأي شكل.

رجعت للعمل بشراقة، لستني بـUNDP حتى لاناو يحاولوا يساعدوني، عرضوا عليّ موقع متقدم جدًا، أكون نائبة أو ممثلة بـUNDP بالعراق، كانت حرب العراق مبلىة، بعدها شاورت عقلي بلكي اغتير جو، بلكي أروح وبصير موظفة دولية وبمثل فلسطين ومصري كثير، وكل هذا الحكي وأحمي عائلتي من موقع خطر، زوجي قال لي: "إحنا مش ناقصين، لسه فاقدين الوالدة، وإنبت تزوجي على هذا الموقع". أقتعني أجل شوي، وأفكر أكثر. وخلال فترة التأجيل تم تفجير مكاتب UNDP بالعراق، واللي كان المفروض يصير مديري توفاه الله، وزميلة راحت محلي عقبال ما أروح أصيبت إصابات بليغة. بعدها قلنا "خلاص"، مش المفروض اتحرك من هذه البلد.

11 سنة مقاضاة لإسرائيل

بعدها دخلت معترك مقاضاة إسرائيل الغاصبة القاتلة، وكان قرار أخذناه أنا والوالد وإخوتي، صراحة ما لقينا حدا يساعدنا، مين بدّه يساعد، بس لوين بدنا نروح، نتظلم وين. لا نقدر نروح على محكمة الجنايات الدولية، لأنها جريمة حرب كانت، أنا ووالدي إكنايتنا شبكة علاقتنا، سواء كانت بين الدبلوماسيين أو هيئة الأمم المتحدة، عملنا حركة إعلامية ضاغطة تبرز قضية الوالدة لما تمثله من ظلم

اللي هو موجود عندنا، حتى ننتظر اليوم اللي نستطيع أن نذهب فيه إلى محكمة الجنايات الدولية، وتبقى هذه القضايا تمثل عدة قضايا آلاف الفلسطينيين اللي قتلوا بهذه الطريقة الوحشية، ونقدر نأخذها ونثبت إجرامهم ونحاكمهم جنائيًا. هذا كان خط من حياتي شغال، بالتوازي مع شغلي، حتى قررت أترك الـ UN بـ 2003.

تعبت من المؤسسات الدولية، الأهمية بالذات، كنت أحتاج إلى تغيير. ما يعرف كيف شوف إعلان بدهم مدير لمؤسسة NGOs الدولية، وقتها سمعت عن مؤسسة الإسكان التعاوني Cooperative Housing Corporation، اطلعت على برامجهم، وشوفت إنها جميلة جدًا ورائعة وتخليني اشتغل مع الناس أقرب. مش زي الـ UN صار كله مؤتمرات واجتماعات، كان هذا الحكي. رجعت قدمت، في منافسة مع 180 واحد حول العالم لأنه كان منصب دولي مش منصب محلي. تم اختياري، ويقود المؤسسة من 2003 لليوم، استطعنا نبنى مؤسسة صحية دولية، ولكن بروج وطنية. هكذا اخترت أعود لمان قريب إلى قلبي؛ العمل المحلي، ودعم البلديات، وبناء مؤسسات ديمقراطية مبنية على الحكم الرشيد، واشتغل مع وزارة الحكم المحلي كمسؤولة عن برامج عدة ممولة من قبل المؤسسة، وهذا جانب ضلّيت فيه لليوم، سنوات طويلة، ولكن من خلاله اطلعت على قضية مهمة اعتقد إنه لو سويتا 100 انتخابات عشان نجيب وجوه جديدة، اللي عمال يصير معانا عم يجب نفس الناس. بنجيب ناس اختارها على مفاهيم عشائرية، على مفاهيم فصائلية، على مفاهيم رجولية، فقط شو هي. المساحة مش عم تتاح لا لوجوه شابة لديها الخبرة تخدم، ولا لسيدات. رغم موضوع الكوتا المحظوظ ما كنت أشعر إن التمثيل السياسي يعبر عن الشعب الفلسطيني، اللي هو المفروض فيه تساوي بالمعانة، وتساوي بالمقاومة، وتساوي بالنضال والخدمة الوطنية. شو اللي عم يصير، ليس عم نكرر خالنا، ونرجع للخلف بدل ما بنطلع لمرحلة النضال وندخل مرحلة بناء المؤسسات، هذا الاحتلال ما له فيه شيء، هذا نقدر نغيره داخليًا. بدأت المرحلة اللي فيها يركز العمل مع الشباب، حتى نعطي الشباب فرص يقدروا يكونوا، وكمان العمل التطوعي والخدمة مع مؤسسات المجتمع المدني، ومؤسساتنا الثقافية، مثل الفنون وكيف بتقوي الهوية الوطنية فينا. بدأت بمبادرات تركز أكثر على الشباب، مثل مبادرة المجالس المحلية الشبابية اللي تحضرها دول الشباب القيادي ليوم من الأيام يدخلوا فيه معترك الانتخابات. هذه المبادرة تدخل شباب من عمر الورد، من 15 لـ 22 سنة، بمجالس ظل، أو مجالس تشبه المجالس المحلية، ويصيروا يشتغلوا مع مجتمعهم. ينتخبوا من قبل زملائهم، تشكل هيئات عامة، بدهم يفهموا شو معنى

ووحشية من جيش الاحتلال. في المقابل ما يعترفوا طلع خبر [بيان] إنها قُتلت في مواجهات، ثم طلعوا تسريب إنها قُتلت بحديقة عامة. كتبت رسالة للصحافة الإسرائيلية قلت فيها إنكم كاذبين، وبذكّم تحققوا إيش صار، نكتشفوا إنها بيتها قُتلت. كان فيه صحفي إسرائيلي اسمه عجيبة أدار، لفت نظره القضية، وجاء على القصة. هذه عملت حركة، جبرتنني إنه حتى توجهت للدبلوماسيين نطلب فتح تحقيق من الجانب الإسرائيلي. الجانب الإسرائيلي لم يتحرك لمدة ستة أشهر، عملنا كمان ضغط حتى وصل الضغط، في هذا الوقت كان بوش رئيس الولايات المتحدة، وصلت له رسالة من خلال السفارة الأمريكية إنه أنتم تحموا القنلة. صدف إنه كان عنده لقاء مع شارون، وطلب منه فتح التحقيق. بعد ست شهور فتتوا التحقيق بضغط من عدة سفارات، ومن الصحافة العالمية، وبعض الصحفيين الإسرائيليين. فُتح التحقيق، واحنا في نفس الوقت رفعنا القضية، لم نقصدها نرفع قضية جنائية، لأنه دولة إسرائيل عندها قانون يحمي جنودها من الملاحقة القضائية أي شيء بيعملوه داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة لا يمكن أن يتقاضوا عليه، إن هما محميين. لذا اضطررنا تأخذ اتجاه نرفع قضية مدنية، على الأقل نأخذ اعتراف إنهم قاموا بقتل الوالدة، وأنا اللي رافعة القضية لأنني بحمل هوية القدس. 11 عام متابعة القضية، مثلاً جينا لنا 30 شاهد إن جيش الاحتلال هو اللي أطلق النار. القضية صارت تنادي باسمي الأول، حفظونا، بناتي كبروا قدامهم، من 2002 نادية كانت صغيرة بجرها، وصارت صبية قاعدة بالمحكمة. هذا الموضوع كان صعب، ما لقينا حدا يساعدنا، حظينا كل الدعم من العائلة، بس كان همنا ناخذ سابقة، لأن مش كثير ناس تقدر، ما عندهاش الأموال، ما عندهاش الطريق للتواصل، توضع محامين، تجيب محققين من برّه، حتى جينا ناس من بره أثبتوا إن الرصاصات اللي تم إطلاقها من سلاح M16 اللي يملكه الجيش الإسرائيلي. كل ما محتاجيه لتثبتني إنهم اللي أطلقوا النار، وإن هما المجرمين من غير أي سبب. بعد هذا العمر كله أخذوا قرار ما يجيبوا الجنود، حماية لهم، إحنا قلنا إنهم 12 جندي، وأخوي سائد شافهم، لكن رفضوا يجيبوهم المحكمة. أخذت القضية بقرار إنهم محميين، ولا نستطيع معرفة أسمائهم، ولا نستطيع معرفة أي شيء عن اللي حصل من قبلهم كأشخاص، ولكن يعني أظن إن حتى المدعي العام زهق وفرروا بنهوا هذه القضية ما دام ما فيه قضية جنائية. اللي استطعنا نحصل عليه، اعتراف بقرار من المحكمة إن دولة إسرائيل هي المسؤولة عن قتل الوالدة وإصابة الوالد وسائد، وإن الجنود تصرفوا بطريقة خاطئة، وهي كانت مسالمة ولم يكن هناك أي نوع من المقاومة. اللي قدرنا نحصل عليه هو هذا القرار،

إنهم مختارين، وإيش معنى إن يكون الواحد مُنتخب. إنها تبجي كمسؤولية، مش تشريف، هذا تكليف ويجب معه مفاهيم، أهمها المواطنة والشفافية والشعور بالمسؤولية. بدأ يطلع صبايا وشباب مميزين.

بهذه الفترة دخلت برنامج زمالة بمؤسسة الاسين The Aspen بأمریکا، والتي تستمر لمدة سنتين، وتركز على مفاهيم القيادة المبنية على القيم لقيادات من حول العالم، ولما تخرجي من الزمالة لازم تعملي مشروع مؤثر، كان مشروعي هو المجالس المحلية الشبابية، وذلك كان في 2014، وطلع من الخمسة الأوائل. ولما وسعنا المبادرة، ونقلنا المبادرة لهندوراس، وأوكرانيا، والتي درب الشباب هناك كانوا الفلسطينيين. أختيرنا للجائزة الأولى في مسابقة "الاسين" بـ 1017.

السلطة أخطأت حين نافست المجتمع المدني

وتوسعة للمبادرة أسست جمعية تتبناها وتصبح مظهرها، اسمها "شيم" اختصاراً لعبارة "شباب يصنع المستقبل"، اخترنا هذه الحروف تحديداً حتى تكون كلمة "شيم" لأن الشيم والأخلاق الحميدة أهم ما يمكن أن نمتلكه ولا يسرق منا. هذا هدفي في الحياة الآن بناء هذه الشخصيات الرائدة والمبدعة والمبتكرة من شبانا، لكي يتذكروا دائماً أن القيم الإنسانية هي الشيء الوحيد الذي بنقدر نبقه داخلنا. بهذه الفترة كله بالتوازي، بدأت تتوسع الدائرة وصار الواحد عنده اطلاع أكثر على أهمية قطاع الحكم المحلي، وضرورة بناء جسور بين هذا القطاع ومؤسسات المجتمع المدني. مثلاً لاحظت بعض التراجع في المجتمع المدني، رغم أننا شعب متقدم جداً بالمجتمع المدني لأننا اضطررنا إننا نعتمد على مؤسسات المجتمع المدني، بل هي كانت قائمة محل الدولة. مؤسسات الإدارة المدنية للاحتلال، كان في مقابلها مؤسسات وجمعيات تخدم، مثل "إنعاش الأسرة"، وجمعيات المرأة، والجمعيات الزراعية الطبية. ولما جاءت السلطة يمكن ما قدرت أهمية الحفاظ على المجتمع المدني، ومنحه مساحة أوسع بالمساهمة مش فقط بتقديم الخدمات، بل بناء كل أسس الاقتصاد الفلسطيني، والخدمات الفلسطينية المبنية على المساواة والعدالة. لعبت السلطة في البدايات دور سلبي إنه يعني سحبت البساط بطريقة أو بأخرى من تحت مؤسسات المجتمع المدني، بل حاولت تقلدها، يمكن هذا القرار كان خاطئ في البدايات، وبدأت تتراجع عنه بعد الانتفاضة الثانية.

مثلاً دُعيت أصير أول عضو مجلس إدارة في بنك فلسطين، أول امرأة، بدأت التجربة هيك وصار لها يمكن 8 سنين، تجربة مميزة جداً، هذا الحكمي الحلو السب لنا على مجلس الإدارة، هذا الحكمي ما بيكفي، فوضعنا رؤية ليكون عندنا مساواة

كاملة جندرية، من عملنا التدقيق الجندري لليوم وصلنا. لأن إيش يعني امرأة متوافقة وقادرة إنها تشتغل مع رئيس مجلس الإدارة والفريق التنفيذي بشكل مبرمج. الآن إحنا 48% من القوة العاملة بالبنك نساء، وحوالي 33% على ما يسموه نساء، وإحنا أربع سيدات على المجلس، يعني أضل قاعدة لحالي ما ضببطت، ضلينا الآن أربع سيدات على بنك بهذا الحكم.

بعدها غيّت على مجلس إدارة صندوق الاستثمار الفلسطيني، وكنت أول امرأة، هذه كانت تجربة جديدة لي، أنا أكون مع جدالات اقتصاد البلد. أنا جاية من المجتمع المدني مش مجال الأعمال، ولكن اكتشفت أن القدرة على الحكومة الجيدة والمعرفة مش بالضرورة تكون فقط إنه عندي business افهم فيها، لأ نصيري تكتشي إنه الخبرة المتراكمة، والأسس للحكومة الجيدة، تطبق أيما تكوني. المنطق الجيد وأسس الحكومة الجيدة، تقدر تساعد إنك تكون مساهمتك مساهمة مهمة وجيدة. وأدى هذا الكلام، أنا صار لي من 2013 في هذا الصندوق، وجودي داخل المجلس يفرض قضايا كثير، المرأة ودورها، الإمكانية إنه أطلقنا مبادرة من السنة الماضية "المرأة في القيادة أو woman lead"، اللي الآن قاعدين نشغل كيف نحضر المهنيات اللي داخل كل شركات الصندوق، بحيث يصيروا يتجهزوا يتبوأوا مواقع متقدمة ومنها حتى عضوية مجلس الإدارة.

ووسط كل هذا عمّ بدير بالي على حالي، دخلت عالم اليوجا، ودخلت عالم التأمل عشان كمان يضلل عقلي صافي وجسمي جيد، حتى نقدر كنبني آدميين محترمين حالنا، ما نهersh كمان.

ليزا تراكي: ليس فرضاً على النسوية أن تكون جزءاً من حركة نسوية

اختارت ليزا تراكي، (1948)، أفغانية المولدة، أن تكون في فلسطين، هي أفغانية، ولدت هناك وتعلمت لغتين، هما الفارسية والإنجليزية. ثم تعرفت إلى القضية الفلسطينية خلال دراستها الجامعية في بلد والدتها، الولايات المتحدة. درست علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، أطروحتها للدكتوراه كانت عن الثورة الدستورية في إيران، ارتبطت بفلسطيني ومعه جاءت لتعمل بالتدريس في جامعة "بيرزيت" وتعلمت لغتها الثالثة: العربية. اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 13 تشرين الأول/أكتوبر 2020.

أفغانية تنحاز للقضية الفلسطينية

تاريخ حياتي بسيط جداً؛ أنا من مواليد 1948 بكابول في أفغانستان، من أب أفغاني وأم أمريكية. والدي تعرّف على أمي التي هي أمريكية في جامعة بأمريكا، لمّا رجعوا على أفغانستان كان هو عنده وظائف معينة في جامعة كابول، وكمان في وزارة التربية والتعليم، ولاحقاً في الحكومة. أمي كانت مدرّسة بكابول. تربيّت على ثنائية اللغة في أفغانستان، يحكي إنجليزي وفارسي. كُنا جزء من الطبقة المتوسطة، ولمّا أنهيت المرحلة الثانوية في مدرسة حكومية هناك، ذهبنا للولايات المتحدة للدراسة، حوالي عشر سنوات.

هناك بدأ التسييس الذي أدى إلى انحيازي للقضية الفلسطينية، ابتداءً مع حركة ضد حرب أمريكا في فيتنام. في أمريكا شجعت الغاز المسيل للدموع لأول مرة خلال مظاهرات مدينة بيركلي التي كانت من بؤر النشاط ضد الحرب على فيتنام. هناك تعرفت على ناشطين من إيران. أول أربع أو خمس سنوات من حياتي كانت أكثر مع الناشطين الأمريكيين والإيرانيين، لأن يعرف لغة الإيرانيين.

تجربة الجامعة كانت غنية معرفياً وسياسياً، الواحد صار عنده نوع من الرؤية لكل مجتمع. بعد ما خلصت البكالوريوس

في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، في أوائل السبعينات، كملت دراسة وعملت دكتوراه عن الثورة الدستورية في إيران. ثم تعرفت على فلسطينيين، واصلتني مع الإيرانيين قلّت، وزادت مع الفلسطينيين. ثم اتعرفت على طالب فلسطيني في الجامعة التي درست فيها، بعدين تزوجنا، وجينا على فلسطين في 1976.

خلت صلاتي مع بلدي الأصلي أفغانستان من خلال عائلتي، وروحت زرتّه من حوالي 8 سنوات، البلد تدمر، ذهلت بمقدار الدمار الذي حصل. الشعب الأفغاني ملايين منهم سُردوا، وتوزعوا على كل أنحاء العالم، فيه مخيمات بإيران وباكستان والهند. الشعب الأفغاني مُشرد مثل الفلسطينيين، موجودين في كل بلاد العالم. أنا عائلتي كمان تشتّتت، في جزء قليل منها في أفغانستان، أو عاد بعد الحروب، بس الجزء الأكبر بّره. أنا مش عربية، ما بدعيش إنّي فلسطينية، وهذا لازم يكون واضح، لأن بعض الناس ممكن يعتبروني فلسطينية، طبغاً هذا بالنسبة لي شيء يبشرف إن حدا يفكر إنّي من هون ومنهم. لكن صلاتي بفلسطين كانت معدومة، قبل اختلاطي مع الطلاب الفلسطينيين في أمريكا، وكان قرار واعني مني، ومن زوجي، إن هو يرجع فلسطين، وإنّي آجي معاه. كنت محددة إنّي آجي بالتحديد على جامعة بيرزيت، ولحد اليوم أكثر من 40 سنة بعمل بها.

هكذا تعلمت اللغة الثالثة

أول ما وصلت على "بيرزيت" ما كنتش أتكلم لغة عربية إطلاقاً. التدريس في ذلك الوقت كان باللغة الإنجليزية، يجوز بس بعض المواد كانت بالعربي، بس كله كان بالإنجليزي، الجسم الطلابي من المدن، وكان من طبقة اجتماعية معينة، وهذه الخلفيات مكنتهم من الدراسة بالإنجليزي، ثم تغيّر الترتيب الاجتماعي للجسم الطلابي بشكل ديناميكي، صارت فيه أغلبية من أصول فلاحية ومخيمات اللاجئين، وهذا بسبب دعم منظمة التحرير للجامعات، تقريباً كان التعليم مجاني وقتها، (تغيّر في ما بعد). بالتالي لقيت حالي ضمن هذا الجو، ديمقراطية التعليم، إذا ممكن تسميها هيك، كان يا إما بعلم باللغة العربية، أو ميكونش لّي مكان في المؤسسة، وبجهد ذاتي، تعلمت اللغة من خلال القراءة. يمكن خلفيتي ثنائية اللغة ساعدت يمكن، أنا هيك بفكر، إنّي أنعلم اللغة العربية بسرعة، أو على الأقل أقرأ بشكل ممتاز، بس الكتابة واللغة البحثية كثير يتخلف عن اللغة المكتوبة.

مثلاً الحركة الوطنية كان لها أمثلة قوية في "بيرزيت"، سواء بين الأساتذة أو الطلبة، أثرت على كثير. في أوائل الثمانينات، لمّا صدر أمر عسكري 854 بموجب هذا الأمر

العسكري "الإدارة المدنية" - هكذا كانت اسماً بس هي "إدارة عسكرية" - كانت كأنها هي التي تقرر طبيعة التعليم في الجامعات، من المناهج إلى مين ممكن يدرس، التوظيف، هذا الأمر العسكري أعطى صلاحيات كبيرة للحاكم العسكري لتحديد طبيعة التعليم. كانت فيه حركة كثير واسعة ضد هذا، بس أنا شخصياً كنت جزء من حملة ضد الاحتلال دفاعاً عن الأساتذة التي ما عندهم إقامات، هاويات في الضفة الغربية، بمعنى آخر التي ممكن يعتبروا أجانب، لكن كان فيه كثير فلسطينيين التي عندهم جوازات أجنبية بس كانوا يدرسوا في "بيرزيت"، وأنا لا كان عندي لمّ شمل ولا هاوية، بنحكي عن 1981-1982. كانوا يشترطوا علينا عشان نحصل على أدونات عمل إنه نوقع على وثيقة تدين منظمة التحرير. هذا كان خط أحمر إنه يطلب شي من هذا النوع... هكذا صارت فيه معارضة كثير، وظردنا ورجعنا، قصة طويلة. من هناك يمكن بدأ انخراطي أكثر وأكثر في قضايا معينة، أسسنا لجنة الدفاع عن الطلبة المعتقلين. كنّا نروح نحضر محاكم الطلبة، نتواصل مع المحامين، نحاول أن نلعب أي دور إيجابي ممكن في التخفيف من معاناتهم. مئات الطلبة في هذا الوقت مروا في السجون، والجامعة تأثرت كثير، واشتغلت في سياق الاحتجاج أو حشد الدعم ضد إغلاق الجامعة المتكررة. هذه الفترة كلها تخليني أقول إن سنوات الثمانينات تقريباً كانت فترة عمل إعلامي، حشد لدعم. كانت فيه مجموعات داعمة بأوروبا وأمريكا كنّا نتواصل معها. أنا كنت مع الفريق الذي يشتغل على إنتاج مواد إعلامية. بهذه الأيام مكنش فيه شي اسمه إنترنت، كنّا نستعمل الفاكس، وكان فيه خط فاكس واحد في الجامعة الذي كنّا نبعث منه موادنا للناس برة.

قبل الانتفاضة الأولى كان الاحتلال بدأ إغلاق الجامعة، ولما اندلعت الأحداث كانت عندنا أماكن تدريس بديلة؛ بيوت أعضاء هيئة التدريس والمقاهي والأماكن العامة، طبعاً مش لكل فئات الجامعة إنما بالأساس الناس التي كانوا بالسنة الأخيرة عشان يتخرجوا. أنا مش لحالي، لكن كنّا جزء من هدفنا نكمل تدريس رغم التضيق والإغلاقات.

التطوعي يصبح مؤسسة

بنفس الوقت اعتقالات الطلبة زادت، إلى آخره، الشغل مكنش بس تدريس وتعليم، وإنما أيضاً التفاعل مع وضع الطلاب والاعتقالات، كل جامعة "بيرزيت" تجندت لهذا الشئ، أنا مش لحالي أبداً. كانت مناوشات قط وفار. وهذا الشغل الذي كنّا نعمله للمعتقلين، جرت مأسسته في مكتب خاص بالجامعة الذي يتابع قضايا المعتقلين، هلا فيه محامي الذي بيتولى قضايا الطلبة. لكن الحياة الجامعية اختلفت، مالت أكثر نحو الاهتمام بالقضايا المهنية،

الأنشياء التي لها علاقة بالمهنة، للأساتذة يعني. "بيرزيت" أصبحت مهمة بقضية التصنيفات العالمية للجامعات، قيمة المؤسسة تقاس بكمية الأبحاث المنشورة في مجلات مهنية، هذا الاهتمام طبعاً مش غلط، ولكن المؤسسات بشكل عام بدّها تعرف وين رايحة، وشو سببه، وشو دورها في المجتمع، الدور المجتمعي أصبح مهم. إذا الواحد بدّه يقسم التاريخ إلى حقبة يمكن حقبة ما بعد السلطة، بعد منتصف التسعينات، حقبة فيها تطورات معينة التي غيرت من طبيعة المؤسسات، مش بس الجامعات، كل أنواع المؤسسات.

مثلاً بعد 1996 كان فيه انفتاح على مشاريع ودراسات، لرسم سياسات معينة، لأنه كانت فيه فكرة عن بناء دولة، بالتالي بحاجة إلى سياسات اجتماعية واقتصادية، وبرز عدد من المؤسسات، من بينها مؤسسة "ماس" التي هي للدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، فيه بعدين مؤسسات نسوية معينة، مركز الدراسات النسوية في القدس. أنا اشتغلت مع المركز من سنتين لثلاث سنوات في بعض المشاريع. أيضاً معهد دراسات المرأة في "بيرزيت" تولى مشاريع استشارية لمؤسسات إما في السلطة أو دولية، وشاركت في بعض هذه الدراسات الاستشارية، حاولنا تقدم رؤية نقدية شوي، تختلف عن الإنتاج الغزير الذي بدأ يظهر عند مؤسسات نسوية، وحقوقية، واقتصادية. لكن إنتاج الأبحاث والمعرفة شوي شوي كان عمّ يتحول business، مش عمّ احكي شي متكاش. أنا بس مش بشوف إن دوري أنتج أبحاث لناس، أو لأغراض أو عملية أو سياسية، ومن أواخر التسعينات مكتبتش، أو مشغلتش بمشروع من النوع الذي أنا بحكي عنه. وتوجهت لاهتمامات ثانية داخل الجامعة؛ تدريس، وإدارة.

وفي بداية الألفينات، ساهمت في تطوير مشروع المقاطعة الأكاديمية، بدّي أقول إنه مع مجموعة ناس، مش كلهم في "بيرزيت"، الحملة صارت عالمياً معروفة، والعمل التطوعي صار ممأسس، واليوم فيه اللجنة الوطنية، وفيه موظفين، وفيه موقع، وفيه شبكة عالمية من المناصرين. هذا كله اليوم يجوز اعتبره من أهم التطورات السياسية التي صارت عندنا هون في البلد.

لا أحتمل التمييز ضد المرأة

مكنش عندي نشاط نسوي بحت، رغم إنني يعتبر حالي نسوية. يجوز ما فيش مفارقة، النسوية ذكوراً أو إناثاً، النسوي مش ضروري يكون جزء من حركة نسوية. الواحد بحياته المهنية، وحياته بالحيز العام، مهم يكون نسوي، لأن النسوية موقف، واحترام النساء شرط أساسي جداً لأي حياة عامة. أنا معنديش قدرة على تحمّل ناس تمييز ضد

النساء. في شغلي ما حسيتش تمييز ضدي كوني امرأة من النواحي المؤسساتية. اشتغلت وظائف إدارية مختلفة بالجامعة، ما بينهم كنت مديرة الدراسات العليا لمدة ست سنوات، يعني مجرد تعييني بهيك وظيفة مؤشر على إنه مش بس أنا كان فيه نساء أخريات في مناصب إدارية. ولكن طبعًا دائمًا وأبدًا فيه تمييز ضد النساء اللي أنا كل يوم بحسه، وراح احسه، في الحياة في الجوانب المختلفة.

لما كنت عضوة في مجلس أمناء المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، لمدة 4 سنوات، قدرت أشوف الطاقات البحثية الممتازة النسائية الموجودة بالمنطقة العربية. اشتغلت في لجان داخلية، داخل المجلس، من بينها كان لجنة لاختيار أوراق لمؤتمر المجلس، وبعدين مسابقات بحثية. قدرت أشوف من خلال قراءة الطلبات اللي كانت تيجي، أو الأوراق، إنه فيه عندنا طاقات هائلة. أنا كثير سعيدة إن أنا كنت جزء من مشروع اللي يمكن النساء إنهم أكاديميًا وبحثيًا يوصلوا صوت. كمان لازم أقول إن المساهمات من فلسطين مش بظالة أبدًا في المجلس، فيه دائمًا بكل دورة منح بحثية، وفرص من نوع زمالات، دائمًا في طلبات من فلسطين. كثير منهم من بيرزيت، كمان هذا شي مصدر من السعادة والفخر إنه "بيرزيت" قدرت توصل. نعم، هذا جهد، وهذا المجلس عنده التزام كمان بيرز مساهمات النساء، في عدد كبير من النساء بيشتغلوا هناك، المديرة العامة امرأة، مجلس الأمناء فيه نساء.

مثلًا اكتشفت حقيقة كثير مهمة إن كل ما الواحد كبر سنًا، كلما أخذنا الطلاب بجدية أكثر. لما جيت أدّرس كان عمري 28 سنة، وكان طلابي عمرهم كثير أكبر مني، لأنه كانوا بالسجن، يطلعوا ويدخلوا السجن. حاليًا عندي زميلات صغار تشتكي من هيك عدم التقدير لهم من قبل الذكور الطلبة، يمكن كمان بعض النساء من الطلبة ممكن كمان، بس كل ما الواحد كبر أكثر عمرًا ييشوف إنهم بيتعاملوا معه بجدية أكثر. لكن في الحياة فيه تمييز شنيع ضد النساء، إلى جانب حالات عنف، تصل لحد القتل، كل هذا ضد النساء.

ماجدة المصري: الكوتا حل مؤقت حتى يتدرب المجتمع على وجود النساء

ماجدة المصري، سياسية فلسطينية، من مواليد حيفا 1947، لكن أصولها تعود إلى مدينة نابلس. وزيرة الشؤون الاجتماعية الفلسطينية السابقة، وعضوة المجلس السياسي للجهة الشعبية لتحرير فلسطين، منذ أوائل السبعينيات، وعضوة في الأمانة العامة في الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، وماجدة كذلك عضوة سكرتارية حملة المقاطعة المناصرة لحقوق الفلسطينيين BDS.

في شهادتها المعتمدة على مقابلة جرت في 20 تشرين الثاني/نوفمبر 2020، تحكي مسيرتها السياسية، التي بدأت مع "القوميين العرب"، ثم مالت مع قراءة الماركسية خلال دراستها لعلم الكيمياء في القاهرة إلى صفوف "الجهة الشعبية"، وخلال مسيرتها التنظيمية تنقلت بين الأردن، ولبنان وليبيا.

كيمياء وماركسية

أنا من عائلة نابلسية، عندنا بيت في نابلس، لكن وُلدت بـ1947 في حيفا، لأن عمل والدي كان هناك. ثلاثة أولاد وبنيتين، لَمّا صارت الهجرة أختي حملتني على يديها، وجينا مع الأسرة لبيت نابلس الذي وُلدت فيه. "كويس إن فيه هذا البيت وإلا طبعي نكون موجودين في أقرب مخيم". عشت أجواء النكية والهجرة بسبب حكايات جدتي ووالدي، هي حكايات عن أمل الرجوع، والمفتاح الذي حملته زي أي أسرة فلسطينية.

فقدت أمي وستي ثلاث سنين ونصف. وبعد الهجرة، ظروفنا المعيشية مكنتش سهلة، فقد والدي كل شيء؛ بدأ من الصفر. درست الابتدائي والإعدادي والثانوي في مدارس نابلس. أخوي الكبير مجدي، وأخوي سمير، وجو البيت كان مع حركة "قوميين العرب". تأثرنا بالحركة، والناصرية يتذكر لَمّا مشيت بأول مسيرة للحركة، كنت بالصف الأول الثانوي، وكان بَدَنًا نجمة رابعة، لما كانت الوحدة الثلاثية¹.

1 بعد انهيار الوحدة بين مصر وسوريا في 1961، أعلنت وحدة جديدة في 1963 يضم العراق وسوريا ومصر، وذلك بعد حرك سوري مضاد لحكم الانفصاليين الذين أمسكوا ووحده دمشق والقاهرة. الوحدة الثلاثة استمرت 100 يوم.

ومن وقتها انتظمت بالحركة، وأثرت في القيم التي زرعتها "القوميين العرب" مثل الانضباط، واحترام الوقت، والسرية في العمل. مع "القوميين العرب" بدأ إدراكي لأهمية العمل المنظم، لأن من دونه مش ممكن نعمل تغيير.

كان طموحي أدرس طب، لكن سنة التوجيهي جرت حملة اعتقالات واسعة لـ "القوميين العرب"، وهربنا من الحملة زحبت الرملة، دراستي تأثرت وفا جيتش المجموع اللي يمكنني أدرس طب، لذا درست علوم تخصص كيمياء بـ "الأزهر" في القاهرة. حبيت الكيمياء كثير، وساهمت في خلق منهم علمي في التفكير، انسجم مع قراءاتي للجدل الماركسي. في ما بعد تركت "القوميين العرب" لـ "الجهة الشعبية".

بحرب 1967 عدت للوطن وتدرت في معسكرات الثورة الفلسطينية. والدي توسط لتعيني بمدرسة، لكن بسبب ظروف المقاومة اضطرت أُنادر إلى الأردن قبل مجيء جيش الاحتلال بيتنا يسأل عني، لكن كنت بالفعل على الجسر. وبناءً عليه حُكم عليّ غيابياً ومنعت من العودة للوطن، بعثيره "شبه إبعاد"، لأنه ما كان ممكن أعود وأنا محكومة.

في الأردن، عايشت أحداث أيلول بكل مرارتها، لأنها بين شعبين شقيقتين، ولا أحب أتذكرها، لكنها أثرت في كثير، لاحقتني بأخلامي. كنت بمخيم "الحسين"، بعدها غادرت الأردن لأن خطيبي وقتها كان يمكن يتحكم عليه بالإعدام، يمكن عشان هيك مش بحب أحكيها. غادرنا إلى الشام وتزوجنا، وبعدها انتقلنا لليبيا لأن لازم نشغل، درست هناك، وخلفت ابني وبنتي. ومع اندلاع أحداث تل الزعتر في لبنان، غادرنا لقبرص ومنها إلى عين الحلوة، كانت رحلة صعبة وخطرة، في لحظات كنا محاطين بزوارق إسرائيلية، كل شيء خطر. كل ما أتذكر هذه الرحلة أفكر كيف عملت هيك وأنا معايب أطفال، بس كان وقت ثوري ووطني. تواجدنا في لبنان كان من 1976 لـ 1982، وهناك تركت العمل المهني، التعليم متفرغة للعمل التنظيمي، وتلقيت دورات تدريب عسكري. وبدأت أيضاً الشغل النسوي بشكل جماهيري يربط بين الوطني والنسوي، من خلال "الأطر النسوية". ثم دخلت الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في لبنان بـ 1976 كعضو هيئة إدارية ممثلة لـ "الجهة الشعبية"، وصرت عضو لجنة مركزية بالجهة.

مثلاً عملنا مكان سميناه "حضانة طوارئ"، حظينا فيه أولادنا في الحمراء، كانت منطقة آمنة، حتى نقدر نتحرك، وبعتبرها تجربة نسوية هامة. لكن الخطر قرب، فأغلقت الحضانة، ثم انتقل زوجي لتونس، وأنا والأولاد للأردن، لأنني حاملة للجنسية الأردنية (قررت الانفصال عن زوجي لاحقاً).

هذه المرة بالأردن، اللي بدأت بـ 1982، كان العمل الوطني

كنت بطعم فيه، كان بالنسبة ليّ قصر. رغم أنها عودة منقوصة، مشّ لحيفا مثلاً، بس عودة لمنبعي.

لقيت نابلس حاضنة، احتضنتني زي اللي رجع حضن أمه، أمي اللي فقدتها وأنا صغيرة. رجعت بمحبة، وسعادة، كنّا وقتها فينا تناضل بسعادة، للأسف هذه الأيام ما يناضل بسعادة. مثلاً رفضت أكون بالموقع القيادي الأول بالجهة الشعبية، الشاب اللي شغل الموقع القيادي الأول بنابلس، كنت سابقاً مسؤولته التنظيمية، قال ليّ: "إنت استلمي" قلت له لا، اعتبرني عضوة بالهيئة القيادية جنبك، لأن وقتها كان بدّي أعرف المجتمع أكثر، وأعوّض الستين اللي غابت عني مع الناس، مشّ آجي لهم من فوق، وهذا كان صبح. مثلاً كنت أيضاً عضو مجلس إداري باتحاد المرأة الفلسطينية، لكن كنت حريصة ما آجي لقيادية، أو من فوق، على الناس اللي بدّها تبني فرع في نابلس، انخرطت في اللجان التحضيرية، لأن بدّي أعيش التجربة مع الناس اللي هون، وعرفت الحركة النسوية.

مع الكوتا كتدبير مؤقت

لما صارت انتفاضة الأقصى 2000، تشكّلت لجنة دورية للتنسيق الفصائلي، وكنت منسقتها، وضمّت

"حماس" و"فتح"، و"الجهة الشعبية"، وغيرها من فصائل العمل الوطني العشر. عملي في اللجنة عمق تجربتي ومعرفتي في المجتمع. ولعبت دور قيادي في الانتفاضة، وهذا أفادني لما صارت انتخابات المجلس التشريعي في 2006 ترشحت عن محافظة نابلس بصفتي الشخصية بالاتفاق مع "الجهة الشعبية"، كنت واثقة إنني ما راح أنجح، لأنني قادرة أعرف ميزان القوة، مع إنني مع استطلاعات الرأي الأخيرة كان متوقع أكون رقم 5 من ست مرشحين متنافسين. بس كنت نازلة لأن هذه تجربة مهمة مع المجتمع ككل، فرصة أطرح برنامج وأخك بالناس، هذه كانت مهمة كثير.

أخذت أصوات منيحة، مدينة نابلس أعطتني أصوات كثير عالية بما فيها من مخيمات، الريف أعطاني أكثر مما توقعت بس أكيد الريف أقل بكثير، أنا حاسه الرأس مش سهل، بس كان كثير منيح، يعتبر أن كل الانتخابات اللي نزلت فيها نساء، سواء محلية أو "تشريعي"، هؤلاء النساء عملت اختراق، كل النساء مش بس ماجة، هذا كان مهم، وعمّ نلمسه ونشوفه بالانتخابات المحلية.

لما ترشحت كان مفيش كوتا، وعشان هيك ولا امرأة نجحت، أنا كنت ضد الكوتا، وأعتبر مفترض المرأة بكفاتها تخوض الانتخابات، هيك كان موقفي. بس لما جيت هون ونزلت على المجتمع أكثر صرت مع الكوتا كتدبير مؤقت. هذا

الفلسطيني لازم يتسم بالسرية خاصة مع تأسيس حزب الشعب الديمقراطي الأردني، وهو توأم "الجهة الشعبية"، وأصبحت عضو مجلس سياسي في الحزب. لما عملت بتعليم الكيمياء لحوالي أربعة شهور تبع منظمة الغوث للأجئين، فصلت من قبل المخابرات الأردنية. لكن بعدها تفرغت بشكل كامل للعمل السياسي والحزبي. وتجربة العمل في حزب رسمي كانت مهمة، كان عليّ التعاطي مع كل شرائح الشعب مش مخيمات بس، غير تجربة لبنان تماماً.

اختراق اتحاد رسمي

السلطات الأردنية أغلقت اتحاد المرأة الأردنية (رابطة النساء الديمقراطيات؟)، وهو كان يضم القوى الوطنية، الإغلاق كان تنفيذاً للأحكام العرفية، ولأننا كنّا معنيات بوجود إطار نسوي تشغل النساء من خلاله اخترقنا الاتحاد النسائي الأردني اللي هو اتحاد رسمي، وفيما نقول إنه تقليدي الاختراق جرى كالتالي: انتسبنا لقاعدة الاتحاد، وشكلنا هيئة قيادية بكامل عضويتها من النساء المعارضات. هذه كانت تجربة مهمة، لكنها ما طلّتش كثير، ضربت بصيغة أو بأخرى. وبناءً عليه اشتغلنا على إعادة إحياء اتحاد المرأة الأردنية، وذلك بالمحكمة، والمحامى الشهير إبراهيم بكر كسب القضية واستعدنا الاتحاد.

لما بدأت عملية السلام سيئة الصيت والذكر، والاستعدادات التمهيدية قبل أوسلو بانعقاد المجلس الوطني الفلسطيني بغزة، كان يمكن لأعضاء المجلس العودة، لكنني مقدّرتش أخذ العضوية عشان كنت بحزب أردني، رغم أن اسمي طرّح لدخول "الوطني الفلسطيني" سابقاً، وذلك خلال فترة وجودي في لبنان. بناءً عليه بكيّت حتى أكون عضوة، وأحضر المجلس. كان بدّهم إياتني أضل بالأردن، لأنه كنت عضو مكتب سياسي بحزب الشعب الديمقراطي، وكان ليّ حضور في الأردن.

لما قررت أرجع فلسطين، أتذكر إن صديقة بالأردن قالت ليّ: "ماجة إنت أسستني لشى كبير، وكبرتني كثير هون عندنا بالأردن، بدّك ترجعي هناك من الصفر"، قلت لها آه أرجع من الصفر.

كانوا أولادي داليا ودوري، داليا خلصت هندسة عمارة، وتزوجت وحامل، وابني كان بسنة رابعة اقتصاد، وبدّه يتخرج. مهمتي كأم خلاص، الأولاد كبيروا فيهم يكملوا، وغادرت للوطن. حضرت مع المجلس الوطني الفلسطيني، وأخذت الهاوية، ورجعت الأردن أرتب حالي حتى أعود لفلسطين بشكل نهائي.

بقيت في نابلس، ورجعت لبيتي اللي أنا كنت فيه، اللي

المجتمع بذه يتدرب على وجود نساء، وما ممكن يدرب على وجود نساء إلا بالكوتا، لحين ما يرتفع مستوى الوعي، حتى بالأحزاب لحين ما يرتفع مستوى الوعي. هذا مسار طويل. موقفني السابق ضد الكوتا كان موقف نظري، الآن موقفني عملي له علاقة بالملمس.

داخل الحكومة

خلال فترة الانقسام، لما صار موضوع الحكومة الوطنية، وافقت على ترشيح "الجهة الشعبية" لي لمنصب ضمن هذه الحكومة لأنه موضوع سياسي. وشاركت في الحوارات التي كانت بالقاهرة تحضيراً للحكومة الوحدة بـ2009. للأسف ما صارش "وحدة وطنية"، بل "حكومة فصائل منظمة التحرير" أو للدقة بعض الفصائل، كان خيار الرفض، لكن خلاص كان فيه قرار من الجهة. خربت من رقبتي جر على الحكومة، موقع ما كان بذي إياه. كان شرطي إنها تكون وزارة الشؤون الاجتماعية، لأن هذا مجال بقدر اشتغل فيه. وحببت الشغل، يتناسب معي ومع فكري، لأنه الفئة التي اشتغلت فيها، هي الفئة التي منحازة لمصالحها؛ الفقراء، المهمشين، والمرأة المعنفة.

عمري ما فكرت أو تخيلت حالي وزيرة، أقصى طموحي كان عضوة بالمجلس التشريعي. لما لاقيت حالي أمام هذا الاستحقاق، كنت طالبة مجدة، في الاطلاع على كل متطلبات الشغل وغطست فيه؛

اشتغلنا في موضوع المرأة المعنفة، أعدنا فتح البيت الآمن² في نابلس، إلى جانب "بيت الطوارئ" في أريحا لمركز المرأة للإرشاد القانوني، لأن كان فيه بيت مدعوم وتديره خبيرات إيطاليات، وصار تابع بشكل مباشر للحكومة، العاملين فيه موظفين بالحكومة، لكنه غير قادر على استيعاب حالات تعنيف المرأة بالوطن كلها، لذا دعمنا إعادة فتح ها دول المركزين واشترينا هذه الخدمة منهم، دعمناهم مالياً بشكل شهري. عملنا نظام مراكز حماية النساء المعنفات حتى ينظم كل إجراءات وسياسات بالثلاث مراكز. واعتمد هذا النظام من مجلس الوزراء، وثبتنا فيه مجلس إدارة يضم أسماء المؤسسات التي بدها تكون لجنة توجيهية ولجنة إشرافية، وهي المؤسسات النسوية التي عندها خبرة واسعة، بما فيها الاتحاد العام للمرأة، مش بس مؤسسات حكومية، لأن الحركة النسوية الفلسطينية لها رصيد قوي في قضايا المرأة. واشتغلنا على تعديل قانون الطفولة، ليتواءم مع الاتفاقيات الدولية، وقانون الأحداث أيضاً. وتركت الوزارة بعد 4 سنين، ما كان بذي يوم واحد زيادة.

إجمالاً تاريخ الحركة النسوية الفلسطينية كما أراه يبدأ بالفترة السابقة على 1967 كان طابعها خيرى ببعده وطني، حوالي 48 جمعية خيرية اشتغلت على قضايا الأيتام والتعليم والإعاقة، ودعم صمود الأسيرة. وبعد 1967 بقت نخب، لكن الحركة زادت واتسعت لتشمل العمل المسلح وإسناد المقاومين ودعم أسر من سجن منهم. ومن 1978، اتخذت الحركة النسوية طابع جماهيري مع تشكل "الأطر النسوية" التي بلغت أوجها بالانتفاضة الأولى، وكانت رافعة جديّة من روافع الحركة الوطنية الفلسطينية، والتي دخلت اسم الحركة النسوية الفلسطينية بقوة في خريطة نضالات نساء العالم. وبعد أوسلو صار فيه تراجع للبعد الجماهيري. بقت نخوية، واتجهت الحركة في غالبيتها نحو المؤسسة NGOs، واشتغلت على قضايا نسوية، وهي مرحلة مهمة لكن المشكلة هون إنها ما توازن بين الوطني والنسوي نزعت السياسي من أجل عملها اليومي، اعتماداً على أننا على أبواب الدولة التي ستؤسس بعد أوسلو؛ وهم الدولة.

منتهى جرار: أهمية العمل لصالح مسنات لا يعولهنّ أحد

منتهى جرار، مواليد 1943 في الزيب، هي مدرّسة رياضيات في الأصل، ودايماً رئيسة جمعية ترعى المسنات.

بين عملها بالتدريس ورعاية المسنات، نشطت منتهى في الأعمال الخيرية، ووقتها درست الأطفال على الخطابة والمسرح، إلى جانب شرح المسائل الرياضية.

وتروي في شهادتها، المعتمدة على مقابلة جرت في التاسع من كانون الأول/ديسمبر 2020، عن مشاركتها في التعليم البديل، حين تعطلت الدراسة في البلاد بالتزامن مع الانتفاضة الأولى.

فلسطين الأمل والأرض

منتهى جرار، مواليد 1943 في الزيب في قضاء عكا، مواطنة فلسطينية، ترى في فلسطين الأمل والأرض. إنسانة بسيطة، تعمل لأجل خدمة أبناء الشعب الفلسطيني، وتجد متعتها حين تسمح دمة عن وجه الطفل الفلسطيني، أو تكفكف دموع امرأة جار عليها الزمن.

والذي عمل مدير جمارك في منطقة الحدود ورأس الناقورة، وطبيعة عمله فرضت تنقله؛ رحنا الخليل، فالرملة بـ1947، ودرست في مدرسة البيرة الصف الأول والثاني والثالث الابتدائي. ثم انتقلنا إلى طولكرم، وتلقيت دراستي هناك، الصف الرابع والخامس. لما تطلع مظاهرات اطلع معهم، يهتفوا اهتف. أنا شخصيتي نشيطة وحركة، وبحب الناس.

وبعد ذلك رحنا جنين، ودرست هناك السادس والأول الإعدادي. بعدين عدنا إلى الرملة، استمر تنقل والدي لمدن أخرى، ولكن رفضنا نذهب لأن كان فيه مديريات متقدمة عن المديرية السابقة اللي كنّا فيها. قلنا له: "إنت تستطيع تذهب لحالك وتروح وتيجي، وإحنا خينا، خلاص تعبنا من التنقل"، في طفولتي كينت ما حدا كان يتدخل في شؤوني، إخوتي يحترموني ويثقوا بي، وليّ الحرية المطلقة.

لما كنت في الصف العاشر، مديرة مدرستي اختارتني لأخوها، كان موجه في التربية. خطبت في شباط/فبراير 1961، وتزوجت في أيار/مايو بالعام نفسه. لما تزوجت كان عمري 17 وإيشي سنة، عشت وباه 17 سنة بـ17 يوم، لكن زواجي كان صدمة لوالدي، لأنني لم أنه دراستي.

أنجبت ولدين وبنّت. بعد عشر سنوات من الزواج طلبت من زوجي أكمل تعليمي، ووافق على ذلك. بلّشت، لكن في التوجيهي مات والدي، قبل امتحان التوجيهي بيومين، رغم ذلك ذهبت إلى الامتحان، وكانت النتيجة كل شي تمام. بعدها تعينت في مديرية التربية كمعلمة للمرحلة الابتدائية. بعدين طلبت من زوجي أكمل تعليمي الجامعي، لأن هذه كانت رغبة والدي. انتسبت لجامعة في بيروت السنة الأولى والثانية والثالثة كانت كلها تمام.

كنت شاطرة، تعلمت الطبخ، والدار نضيف. صحباتي كانوا يقولوا لي: "شو هذا، شو تشتغل ومنتسية للجامعة، معقول دارها نضيف؟"، يتطلعوا تحت التخوت، يشوفوا نضيف ولا لا، يلاقوا الدار توجّ. أنا نشيطة، مسميني حتى "نيدو سريع الذوبان"، بعد راسي ما تجيش قبل رجلي، نشيطة بشكل مش من النوع البطيء، لو بطيلة مقدرش أعمل هذا الشيء.

في السنة الثالثة بالجامعة، كانت الأحوال بليمان اشتباكات والوضع كثير غير مستقر، توفى زوجي قبل الامتحانات بشهر، وبالرغم من ذلك ذهبت للامتحانات. سنة رابعة انتقلنا إلى الإسكندرية، وكملت الرابعة في جامعة الإسكندرية. لما رجعت علّمت المرحلة الابتدائية والإعدادية، وبعدين قالوا لي: "إذا بدك نعدّل درجتك لازم تنتقلي للمرحلة الثانوية؟". وفعلنا انتقلت للتدريس في مدرسة بنات الرملة الثانوية، وهناك عدلوا ليّ الدرجة، على أساس صرت أعلّم ثانوي اللغة العربية. بالإضافة للعربي، كنت أعلّم دين.

التحقّت بجامعة بيرزيت، وحصلت منها على شهادة بعلم المكتبات، وصرت أدرّس مكتبات.

التعليم الشعبي

كنت عضوة جمعية الاتحاد النسائي في البيرة بالثمانينات، كنّا نشغل مسرح، وخطابة وشعر، ورياضة، كنّا ننمي هوايات الأطفال في الصيف.

في الانتفاضة الأولى، اشتغلت على التعليم الشعبي، عملنا كاسيات لكل شي، ووزعناهم على الطلاب، كان يعطوا في الجوامع دروس. وفي الجمعية أسست أول

التي صارت، لأن حياتنا كثير صعبة لها فترة. كل واحد ملهي بحاله، بجمعيته، رغم إنه أنا بحاجة إنه نقعد ونحكي مع بعض، بس للأسف ما يعرف. هل لأنه كبر السن، الجيل الذي ورانا مش زي القديم، صار لهم أولويات ثانية، ممكن هذا. إحنا نعاد عن بعض.

مكتبة للأطفال، إلى أن انتهت هذه الفترة، ورجعنا تكمل دورنا في التعليم.

ومع مجيء السلطة في 1994، استلمت في وزارة التربية والتعليم شغل بالإدارة العامة للنشاطات الطلابية، التي هو النشاط الثقافي، والعلمي، والإرشادي، والأندية، والعمل التطوعي. ضليت بشتغل كل هذه المهام حوالي شهرين، ثم عينوا موظفين لهذه الأقسام، وضليت أتابع النشاط الثقافي.

بعدين كنت قائم بأعمال مدير عام، وبقيت مدير عام للنشطة الطلابية حتى 2003، وصلت الـ60، جددوا لي سنتين، وتقاعدت في شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2005. لكن وضعي الصحي يسمح بالعمل، اشتغلت نائبة رئيسة بجمعية الاتحاد النسائي، وكانت تدير بيت مسنين. ولما توفيت الرئيسة، استلمت محلها حين تمام انتخابات. ولما حصلت هذه الانتخابات اخترت بالإجماع الجمعية كان فيها بس 25 ألف شيكل. فعملت مجلس ذهبي للجمعية كل واحد يتبرع لي أقل شي 100 دولار في السنة، فيه اللي يتبرع بـ100، أو اللي يتبرع بعشر آلاف، حسب وضع كل واحد.

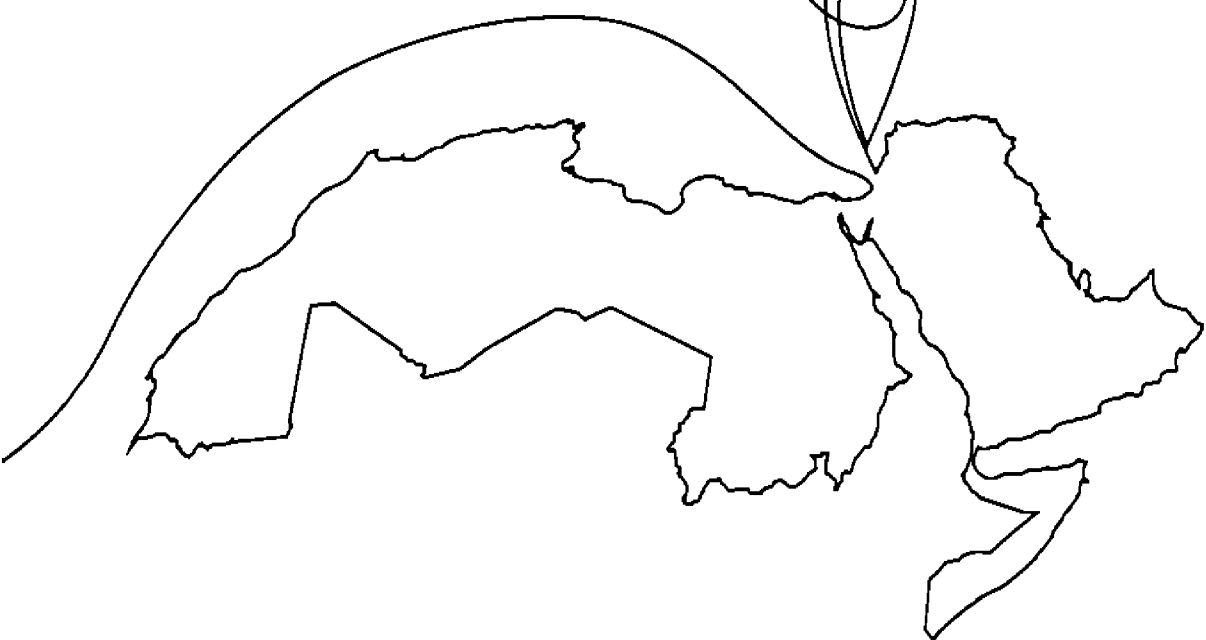
بلشت عمل، لكن من الأساس من وين بدى أبداً. كل شي مدمر، يرثى له، اشتغلت على خطة، تبدأ بترميم بيت المسنات، وبعده لقيت إنهم يغسلوا على أيديهم، وتمكنا نووفر غسالة، وأجهزة أخرى، بعدها فلنا بدنا حديقة، وقد كان صارت عندنا حديقة، وغسالة ونشافة وغرفة غسيل اتبنت، وأسانسير حتى نطلع الغسيل لفوق، وصالون تجميل.

صرت أفكر إنه بدنا نادي للفنسات، وأسسنا قاعة تستقبل المسنات من الجمعية وخارجها، بتمويل من الرئيس محمود عباس في 2010. وتجهيزها من قبل المجتمع المحلي بتبرعات.

في الجمعية عرضوا عليّ مراراً إنني آخذ راتب رفضت، قلت لهم عندي تقاعد مش بحاجة، قلت لهم لا أنا جاية أعمل لله وللوطن وللمسنات التي ما فيه لهن حدا. وهكذا حياتي بتصير كل يوم بالجمعية، بفيق الساعة 4، بقرأ قرآن، بعدين يصلي الصبح، وبعدين بسبح شوي، بعدين يقوم ألعب رياضة، بمشي ساعة الصبح، بس مش كل يوم، لي جارة بخرج وياها بنمشي ساعة الصبح. وإن مكنتش، عندي باسكلت وأدوات رياضية بشتغل عليها، وبعدين بحضر حالي وبفطر، وبسمع الأخبار، وبعدين بروج على الشغل. قبل كنت أروح على الشغل 8، الآن بنزل 9، يومياً.

مؤخراً، لاحظت إن مفيش تواصل بين جمعياتنا كالسابق. ممكن يكون كام جمعية يلتقوا ببعض، لكن مفيش لقاء، يا إما الوضع ما ساعدنا، الإضرابات، منع التجول، الحاجات

ایران



سرديات من لبنان

أردا أرسنيان
إقبال دوغان
بهية بعلبكي
جومانة مرعي
جين مقدسي
دلال البزري
رباب الصدر
عايدة نصر الله
عزة شرارة بيضون
عفيفة السيد
فاطمة قاسم
ماري الدبس
منى فياض
مود اسطفان
نجلاء حمادة
نعمت كنعان
نهلة الشّهال
نهلة حيدر
هدى زريق
وداد حلواني

أردا أرسنيان: لبنان بلد الفرص الضائعة

وولدت هناك بـ1951، كُنّا تابعين للمملكة الأردنية الهاشمية، وزيت بجو عربي، بل جو مختلط، تعلمت بمدرسة trilingual فرنساوي وإنجليزي وعربي، مدرسة راهبات بالفرنساوي (توجهي أردني)، GCEs بالإنجليزي، يعني توليفة. وآخر سنة بالمدرسة كانت 1967. وراحت البلد كلها، نمنا كنا في الأردن، فقنا بإسرائيل. كنت مقدمة امتحان تقديم بالـAUB [بيروت] وعندني فرصة دراسة بجامعة بيرزيت، لكن تركتها لصالح الأولى، وسافرت لبنان ودرست التاريخ والآثار في تشرين الأول/أكتوبر 1968. جاية بمفردي من الاحتلال، وما في رجوع، ولا تواصل.

وفي بيروت الجو عمّ يغلي غليان. لَمّا قطعت الجسر وجيت على عمان ومنها لبيروت، كنت أتمنى أرجع أفضي الكريسماس مع أهلي، لكن بعد أكثر من خمسين سنة ما فيني أروح أحظ زهور على قبر أمي، هذا محيط، مخيب للآمال. لا قدرنا نحرر، أو نتفق، أو نعمل سلام، أو نرجع للأجئين، بحس حالي انغشيت.

اندمجت بالحياة الجامعية في لبنان، وقتها، كل يوم فيه مظاهرة بالجامعة، وأبرز ما جرى وقتها إضراب 1971 ضد فرض إدارة الجامعة زيادة نسبتها 10% على قسط الجامعة، وخلال هذا الإضراب تعرفت على زوجي [مستقبلاً]، كان ناشط طلابي، سيطرنا على "ماركون هاوس" وسكّرنا على الأستاذة، ثم تعرفت أكثر على الناشط الطلابي وتمت خطبتنا. لَمّا تخرجت حصلت على منحة دراسية للماسترز Kostantin Zreik scholarship، وبعدها بجمعة عُرضت على وظيفة خريج مساعد graduate assistantship بالقسم اللي تخرجت منه، وفُضلت العرض الأخير عن منحة الماسترز، وهكذا تخرجت في 1971، أقل من 21 سنة، وصرت أعلم التلاميذ اللي كانوا معي بالإضراب قبل جمعيتين... وهكذا تزوجنا وعشنا ببرمانا لأنه كان فوق قدراتنا المالية نسكن بيروت.

المهم، خلصت ماسترز وبلّشت الحرب. وفي 1978 جاء لزوجي عرض شغل بالسعودية، وقتها ما كان عندنا ولاد، ما عندنا شيء، سافرت معه لأن الوضع كثير صعب بسبب القتال. بقينا في السعودية خمس سنوات، ولدت بنتي هناك، ومن حسن حظي أختي كانت بباريس دبرت حالها وجاءت، وساعدتني.

وفي السعودية، بلّشت أعطي دروس آثار للأجانب بالبيت، وهذه الدروس ومناقشتها ساعدتني للتفكير بموضوع الدكتوراه، وبالفعل قدمت بالسوريون، ورجعت فعدت مع أختي بباريس ومعني بنتي. وفي 1986 رجعت لبنان، واستلمت شغل دوام كامل بالـAUB في الـCS department، وبعطي كورسات آثار.

أردا أرسنيان الكمجبي، مواليد 1951، باحثة وأستاذة جامعية لبنانية أرمنية، ألّفت كتاباً واحداً، اعتمد على مذكرات ومراسلات جدها الصيدلي الناجي من الإبادة التركية للأرمن. خلال عملها في السلك الأكاديمي، شغلت أدرأ منصب عميدة كلية الفنون والعلوم في جامعة هايكازيان، وترى أنّ لبنان هو بلد الفرص الضائعة، لأن يمكن لمواطنيه تعميره وبناء بلد مترابط، لكنه ظل أسيراً للنزاع الطائفي.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلتين في 30 تشرين الأول/أكتوبر، و13 تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

ما فيني أروح أحظ زهور على قبر أمي

أول شيء، اسمي أردا، اسم عائلتي أرسنيان، متزوجة من جاك الكمجبي هو كمان أرمني، بس "اليان" طابرة من اسمه.

عائلتي أرمنية تهجرت من تركيا سنة 1915. جدي كان صيدلي بضواحي إسطنبول، ومع المجازر التركية للأرمن هاجر، لَمّا والدي كان عمره 3 سنوات. كان ممكن يبادوا لولا تقديم جدي دواء لواء من العسكر اللي هونيك، راح الراجل قال: "خلوا الـ8 أشخاص [عائلة جدي بمن فيهم أبي] على جنب ما تقتلوهم"، ووصلت العائلة على حلب، وهناك قالوا لجدي إن فيه فرصة عمل بفلسطين؛ "عمّ يفتشوا على صيدلي، تحب تروح؟"، وهكذا انتقلت العائلة لفلسطين وعاشت بمدينة القدس. حياة جدي شكّلت حكاية مركزية لحياة عائلتي، وحياتي، لذا كانت موضوع كتابي.

المهم، مع التقسيم¹ تهجرت عائلتنا إلى القدس الشرقية،

1 في 1995 حصلت أدرأ على مذكرات جدها عن ترحيله، وما عاشه من أحداث، والتي كانت مائة أساسية لكتابها. المذكرات أخضرها لها عمها المقيم في كندا في زيارته إلى لبنان.

2 في تشرين الثاني/نوفمبر 1947 صدر قرار الأمم المتحدة رقم 181 بإنهاء الانتداب البريطاني وبمسيم فلسطين، على أن تكون القدس تحت الوصاية الدولية ومعها بيت لحم، القرار كان مرفوضاً عربياً، ومع إعلان دولة إسرائيل فامت حرب 1948 بين تلك الدولة والجيوش العربية، ومع هذه الحرب بمسيم القدس، وصار الجزء الشرقي المعروف بـ"القدس الشرقية" تحت الحكم الأردني.

قدمت كثير، تجارب جميلة، غير نادمة، كل ما أمشي على الطريق أشوف حدا من تلاميذي، شي كثير يفرّج بس شو عملنا بهذا البلد، بلد الفرص الضائعة، هيك بسميه. قد إيش كان فينا نعمر ونبني، لكن ليش مشينا، كبلد وطوائف، هذا الطريق.

ثم شاركت في تأسيس جبهة رأس بيروت مع آخرين، كنا نجتمع في نادي فريجي الجامعة بشارع عبد العزيز، لأن كان فيه كهربا، لأن وقتها ما كانت المولدات منتشرة بالبلاد.

المادة الخام للكتاب

مثلاً في 1995 جاء عمي من كندا إلى لبنان، ومعه مذكرات جدي، قال لي: "إنّني مؤرخة العيلة، شوفي شو بذكّ تعملي فيها". المذكرات كانت مغلف فيه أوراق صفّر، وكاتبها جدي بخط الصبادلة [تقصد غير واضح] ومكتوبة بالأرمنية، واعتمدت على والدي لتفسير خط جدي بالكتابة، وأنا جيّدة بالأرمني. قرأت كل المذكرات خلال أسبوع واحد، وسجلتها على شريط تسجيل. وصار عندي التسجيل بصوت أبي والنص بخط جدي.

استمر المشروع سنوات، وخلال عملي عليه انتقلت من AUB لجامعة الهايكازيان، لمّا عرضوا عليّ، في 1997، منصب عميدة كلية العلوم الإنسانية، وهي فرصة لن نتاح لي لو ضليت 100 سنة بجامعة، لذا حصلت على إجازة سنة من AUB أجرب أولاً. ولكن بعد سنة، بقيت عميدة الفنون والعلوم، وكملت بالهايكازيان لأنني ممكن أعمل وأقدم الكثير، ولحد هلا استشارية بمتحف AUB.

مثلاً بحياتي ما كنت بجمعية نسائية. تعاونت مع جمعيات، وفدّمت محاضرات، لكنني لم أكن نسوية، بل مهتمة بحقوق المرأة، وهو مجال قراءة دائمة بالنسبة لي. ثم دخلت تجربة مختلفة، تجربة سياسية بحتة، نُعيّت لأكون المرأة الوحيدة ضمن حوالى 11 آخرين في لجنة مشروع فؤاد بطرس لطرح قانون انتخاب جديد، دخول عالم السياسة، ولست محامية، ولا خبيرة بالقوانين أو الدستور مثلاً، شوقتهم كيف يشتغلوا ويفكروا، أنا ربيت بيئة ما كنّا نحكي مسيحي أو مسلم أبداً، مع إن الدين في لبنان موضوع سياسي جدّاً. لكن مشروع قانون بطرس، لم يُنفذ يا حرام، مع أنه شغل رائد.

وخلال كل هذه المحطات، استمر العمل على الكتاب، وفكرت بدلاً من صدوره بالأرمني خلينا نعمله بالإنجليزي، لأن مين يذّه يقرأ بالأرمني!

ولغاية 2011، اشتغلت على كتابة كل المادة بالإنجليزية، مع الاحتفاظ بالنص الأصلي بالأرمنية. وحظيت بكل محطة بالكتاب مصادر تاريخية شارحة لها، حتى يكون كتاب أكاديمي. قصة جدي مع تاريخ الفترة اللي بيحكي عنها بشكل موازي.

مثلاً لمّا أفكر في الخمسين سنة الماضية، شايفة نفسي

3 مشروع قانون أعدته هيئة بقيادة الوزير اللبناني الأسبق فؤاد بطرس، وسلمه بطرس للحكومة اللبنانية في 2006، لكنه لم يمر.

إقبال دوغان: في كل طبقة وطائفة المرأة مظلومة

إقبال دوغان، محامية وحقوقية ونقابية، درست الحقوق، لكنها لم تمارس المحاماة إلا بعد نحو ست سنوات، وذلك من خلال مكتب زوجها للمحاماة. عملت إقبال فترة بالتعليم، ثم وُظفت في إدارة حصر التبغ والتبناك اللبنانية، وكانت هذه الوظيفة مدخلها للعمل النقابي.

أسست إقبال رابطة المرأة العاملة المعنية بالدفاع عن حقوق المرأة في مؤسسات العمل، وهو الأمر الذي اتفق مع دراستها للقانون.

في شهادتها تحكي إقبال عن مسارات حقوقية وقانونية شاركت فيها لتعديل واقع المرأة اللبنانية، لكن تعتبر أنَّ ما يعطل تحسين أوضاع المرأة هو مشاكل الطائفية في لبنان. اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 28 أيار/ مايو 2020.

تربينا على الأخلاق والدين

طلعت من عائلة متوسطة من طرابلس، 6 أولاد وبنتين، أختي الكبيرة تزوجت صغيرة، وأنا كنت الصغيرة بيتنا، وجاء ولد ورايا.

والدي رجل دين فقيه، كان متخصص بالأزهر، ويجيد التركية، وكان يعلم اللغة العربية وفقه الدين بطرابلس، وعشان هيك تعلمنا، لأن أبونا كان يعلم.

تربينا على الأخلاق والدين، لكنها رؤية متطورة للدين. مثلاً رغم أن أبي شيخ ما حطيت على رأسي حجاب، وكان يقول: "لو بذهّا تروح على الصين عشان تدرس ببعثها".

الحمد لله إن أهلي كانوا كثير منفتحين، وثقوا في كثير، وكان رأيي ينسمع، تربيتي كانت كثير صالحة.

نشاط سياسي

في هذا الوقت بطرابلس ما كان فيه تعليم رسمي، كان التعليم محصور بين أبناء الأغنياء، والمسيحيين يتعلموا بالفرير [الفرنسية]، والمسلمين في كلية التربية والتعليم. الجو العام

كان فيه وعي سياسي كبير، والأحزاب كلها كانت قوية، مثلاً الشيوعيين كانوا قويين كثير في هذا الوقت، وكانوا يفلوا غلي بالمدارس. مثلاً كانت معلماتنا شيوعيات، مثل أم رندة ونهلة الشهال، كانت تقول لنا: "عبوا دماغكم، فكروا" صارت تحرضنا، "أوقفوا لكن سوى ما حدا يفسد على الثاني" هكذا قوّت فينا هذه الروح والتضامن. كانت كثير تحبني. بس أنا مشيت مع "القوميين العرب"، من عمر 12 سنة. شدّتي شعار الحركة: "وحدة تحرر ثأر".

أبي توفى وعمره 14 أو 15 سنة، قلت ما بدّي أحمل أخواتي تعليمي، زحّت قدمت على مسابقة للمعلمين الابتدائي، وما حدا عارف من أخواتي، جيت على بيروت قدمت ونجحت، صرت بعلم في مدرسة "الطريق الجديدة الرابعة" ودرست حقوق في جامعة بيروت العربية، وترقيت بـ "القوميين العرب"، وصارت مهمتي نشر قضيتنا بالجامعة.

لقّا تعرّفت على زوجي وخطبنا، صار صعب عليّ أدرس وأعلم، وكان بدّي اتخرج، لذا جدّدت عملي الحزبي، ولقّا حصل انقسام¹ تركت.

كنت أنا وزوجي couple ما فيه منه أيّذا، كُنا مش عايشين كزوجين وبيحبوا بعض، بل كمناضلين. هو محامي كبير، ترشح ثلاث مرات للانتخابات على حسابه، لأنه غير مرتبط برزيم أو حزب، وكل ما ننزل على انتخابات نطلع مديونين، ترجع نجمع لنا قرشين وننزل مرة ثانية، ولم يفز ولا مرة.

كل شغلة بمكتبه للمحاماة كان يستعين برأيي ويقربني إياها، لأنني درست حقوق، لكنني ما كنت مسجلة بتقابة المحامين. وكان شغل زوجي على قضايا الغمال، وهذه القضايا ما تجيب مصاري، لأنها ضد الرأسماليين ولصالح الفقراء، لكن كُنا راضيين وكثير مبسوطين.

عمل نقابي يؤدي إلى النسوية

بعد تركي للتدريس عملت في إدارة حصر التبغ والتبناك³ المعروفة بالـ "ريحي"، واشتغلت هنك بالنقابة، وصرت في موقع منيح، وانسجمت مع إيميلي فارس إبراهيم، كانت أصي الروحية، وأخذتني إيميلي على المجلس النسائي⁴.

1 يمكن قراءة شهادة نهلة الشهال ضمن شهادات هذا الكتاب.

2 بعد هزيمه 1967 بدأت بوادر الانقسام داخل الحركة التي سمي إليها عناصر من بلاد عربية عدة، ويوجد في أكثر من دولة كذلك، حيث بدأ سيني أفراد "القوميين العرب" الماركسيه، وفي لبنان أعلن محسن إبراهيم، القيادي في الحركة، تأسيس تنظيم يساري في 1963 والذي اندمج مع تنظيمات أخرى لتشكّل منظمة العمل الشيوعي عام 1970.

3 مرفق عام لبناني، تابع لوزارة المال، يولي إدارة التبغ والسيك وزراعتهما، وتمسعهما وبناربهما في مختلف المناطق اللبنانية.

4 منظمة غير حكومية لبنانية تأسست في 1952، نسجه اندماج هيتي "جامعة الهيئات النسائية اللبنانية" المؤسسه في 1920، مع "التضامن النسائي اللبناني" المؤسس عام 1947. ويضم المجلس حالياً 150 مبعته.

إيميلي صارت تبعتني حتى أمثل "المجلس النسائي" بالبلاد العربية في المؤتمرات، وحضرت كذا مؤتمر باسمه، وكانوا بـ"الريجي" يعطوني إجازة مدفوعة وقتها. حتى أروح أمثل المجلس.

على الصعيد الوظيفي مثلاً النظام الداخلي تبع "الريجي" ما بتقدر المرأة توصل إلا لرئيس دائرة، وقتت دغري رئيسة دائرة، لكنني صرت مديرة، بل أول مديرة، وكان بابي مفتوح لكل الناس، صرت مرجعية بكل شيء للنساء، واحدة عمّ يعذبها زوجها، أو أخرى بدها تبغ بيتها، أو اللي بدها تشتري بيت، ارشدهن شو بدهن يعملن، أو أعرفها حقوقها على القليلة.

بعد الـ"ريجي"، أسست رابطة اسمها "رابطة المرأة العاملة"، سجلت في 1996، كنت مبسوطة بهذه الرابطة، حسيت إنني عمّ أعمل شيء جديد، كأنه مجتمع مُصغر، وفيه كل ست تشتغل، وزوجها معها، موزعين الأدوار، ويربوا أولادهم مش على التفرقة بين الصبيان والبنات، ويؤمنوا بأن المرأة إنسانة كاملة.

وشجعني زوجي للترشح لرئاسة المجلس النسائي، كنت أقول له ما بدي، وهو يقول لي: "لا بدك" يمكن لأنه 3 مرات ما نجح، كأن ترشحي معركة حياته، ما خلا حدا، رفيق أو صاحب إلا وكلمه للحشد لصالح. كان كل يوم على التليفونات هو وصديقتي فادية، وريحت. وقتها طلبني زوجي، ردت بنتي قالت إن "ماما عمّ تستلم" (المنصب)، قال لها خليها تتهنى بنجاحها، قام صلى ووقع. أخدوه على المستشفى، لكن قبل وصوله مات بذبحه قلبية، هذا كان في 25 شباط/فبراير 2000، كانت كارثة بالنسبة ليلي.

لكن أقنعت نفسي إنه كان عنده ثقة فيني، وخليني فرجيه، واشتغلت. نقلت المجلس من محل لآخر، وهو مجموعات مختلفة من كل المناطق، بطرابلس 30 جمعية، وفي الجبل 28، وبيروت 70 جمعية، ودوري التأييف بينها، المجلس يغطي الخيمة النسائية. صحيح ما كلهم لحقوق المرأة، وفيه منهم رعائية، لكن الرعاية فيكي كمان توفيهن لمصلحة القضية.

حاولت أعمل أهداف رئيسية، مثلاً نظمنا مؤتمر لدعم المرأة العراقية والفلسطينية، لأن النساء في الجيش العراقي كُنا يشغلن مواقع بالطيران الحربي. كسرنا الحصار، قبل الإجتياح الأمريكي للعراق، رحنا بطيارة رغم خطورة السفر لبغداد.

مثلاً، كنت أعمل برنامج توعية للنساء في "تلفزيون المرأة العربية" وأحكي عن القوانين، لبش نحنا عندنا 15 قانون للأحوال الشخصية، كنت عمّ أبه كل امرأة شو هي القوانين،

وشو حقوقها، وإذا كان عندها أي أسئلة، أو أي مشكلة، نحنا حاضرين. صار يجيني كثير شكاوى إن أغلب العنف ضد المرأة مصدره مسائل متعلقة بالأحوال الشخصية، وأكثر شيء التهديد بالأولاد، والمرأة الأولاد جزء منها. بوقتها صار يجينا أكثر شيء عن الحضانة، ونجيب ناس نغطي لهم وشهم حتى لا يتعرضوا في بيوتهم لتعنيف.

مثلاً اشتغلنا على سن الحضانة، وذلك عبر تأسيس "شبكة حقوق الأسرة"، وبلشنا العمل على الوضع القانوني. وصرنا نبرم على رؤساء طوائف، ورؤساء الأحزاب السياسية، واشتغلنا على الشّنة، وصارت حضانة الأم لسن 12 سنة للذكر والأنثى. بعدها حاولنا العمل على سن الحضانة بين أبناء الطائفة الشيعية، وغيرها، لأن الطفل اللبناني يعني، لأنه مستقبل البلد، والطفل الشّني مش أحسن من الشيعي والدرزي.

مثلاً برابطة المرأة العاملة، اشتغلنا على مشروع يطالب بالزامية دور الحضانة بكل المؤسسات، حتى عمّ بتقول مش بس المرأة، مثلاً لو محلها بعيد أو ما فيه حضانة، الرجل يكون معه ابنه في الحضانة تبع مؤسسته لحتى هالولد يرتب بين أيادي أمينة، وما يكون معرض للأذى. الولد الصغير أساس كل المجتمع، هذا ما لازم نتركه وين ما كان، وكيف ما كان.

وفي دوراتنا نقول للشباب إن من الظلم ترك المرأة تشتغل برّه وجوه البيت، الأزواج الشباب صار كثير منهم يساعد زوجاتهم.

العمل النسوي لا يزال نخبوياً

أعتبر أنّ الحركة النسائية غيرت قوانين كثيرة بالفعل، لكن يبقى قانون "الجنسية" أهم شيء... أي تجنيس أبناء اللبنانية. من 40 سنة نشغل عليه، والسبب المشكلة الطائفية.

لكن الحركة النسائية، لساها بشكل عامّ نخبوية، بتصير حركة لما يصير عندك الجماهير بتسمع لك. وكذلك أحياناً يأتي الدبجو والتنافس على حساب أهدافنا. إذا فيه جهة عمّ تشتغل على دور الحضانة، بقية الجهات المفروض تدعمها ما تيجي تنافسها. مشاكلنا لا تعدّ ولا تحصى، المفروض ننقي شيء ما حدا وأخده، وبالمقابل ندعم غيرنا.

ومثلاً على آخر فترة من ولايتي بالمجلس النسائي كُنا عاملين مشروع الكوتا النسائية بالبلديات، وكُنا نبرم على كل البلد، ونجمع النساء ونقعد نحكي. رحنا كل المحلات، طلعنا على الجبل والجنوب والبقاع وبعليك وبيروت. اكتشفنا إن مشكلة المرأة تختلف من طائفة لأخرى، لكن كل النساء مظلومات، حتى في طبقات الأغنياء، حتى لو مظهر الست أنها مساوية شعرايتها وعاملة بوتوكس... ما حدا بيعرف شو في البيت. وكذلك النساء تتأثر بالتقسيم الطائفي.

7 رُفع سن حضانة أبناء تلك الطائفة إلى 12 سنة للخسنيين بعدما كان سبع سنوات للذكر وسبع سنوات للأنثى، وذلك بموجب قرار صادر عن المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى باصدار أحكام نظام الاسره (الحاده 15) في 2011.

5 تولت السيدة أمال دوغان رئاسة المجلس النسائي في الصفر من 2004 لـ

6 معترف الدولة اللبنانية بـ18 طائفة دينية، وهناك 15 قانون للأحوال الشخصية لتنظيم حياة اللبنانيين

بهية بعلبكي: المسألة بدّها وقت

بهية بعلبكي، مواليد 1953، مُدرّسة لغة عربية ونقابية، ناضلت لمساواة المرأة كموظفة مع زميلها الرجل في الحقوق والمزايا المالية والتقاعدية، وتقاطعت مسيرتها النضالية مع الحرب الأهلية حين التحقت باللجان الشعبية، وسعت إلى توظيف الشباب في الخدمات المدنية مثل توزيع الخبز على البيوت بدلاً من انخراطهم في القتال. بهية مشغولة بمسألة مساواة المرأة بالرجل، وتعتبر أنّ إقرار هذه المساواة يتطلب الاستمرار بتعديل القوانين المجحفة في حق المرأة اللبنانية، ووجود قانون مدني موحد للأحوال الشخصية، وتعديل القوانين حتى يتسنى للمتزوجة من أجنبي منح أولادها جنسية بلدها.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلتين في تموز/يوليو وتشرين الأول/أكتوبر 2020.

في الانتفاضة نحنا محكومين بالأمل

ما كنت متحيزة ناصرية، بس كنت ناصرية للعضم، وما زالت متأثرة بجمال عبد الناصر. ولما كنت أشوفه بالتليفزيون بكي، ما بقدر، لأنه كان أمنا، أعطانا أمل. هو أول من قال "ارفع رأسك يا أخي"، ووقف بوجه الاستعمار، ودعا للنضال ضد كل اللي عمّ يستغلوا العرب.

موت المارد العربي

أثرت فيّ النكسة مثل فيلم "العصفور" لما يطلع واحد ويقول "إننا انهزمنا يا أولاد" وبيكي لما عبد الناصر يستقبل، وتنزل محسنة توفيق [تتظاهر في الشارع] وتقول: "لا هنعارب". وبالفعل اجتمعنا من كل طلاب "المقاصد"¹ ونزلنا أول مظاهرة ضد استقالة عبد الناصر. ولهنا موته يؤثر فيّ، مش كاب، أنا ضد مسألة الأبوة، إنما كنا نسميه بـ "المارد العربي". بعدين صرت يسارية ماركسية، وفُتّ على منظمة "العمل الشيوعي"² لمدة سنتين، وتركناها

1 فيلم من إخراج يوسف شاهين

2 المقاصد هي دمجها خبره اسلاميه أسست في 1876، تقدم خدمات معلها بالتعليم والصحة والشؤون الاجتماعية.

3 منظمة العمل الشيوعي هي حركة يسارية تأسست في 1970، وهي بناج اندماج "منظمة الاسرائيليين اللبنانيين" مع "لبنان الاسرائيلي" وبعض ميادات حركة القوميين العرب. وكان امين المنظمه محسن ابراهيم خاضت ميليشيات "العمل الشيوعي" الحرب الاهلية اللبنانية. وارتبطت المنظمه مع الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.

لأنني ما حبيت الشغل ضمن تنظيم، بس استفدت كثير بالتثقيف والثقافة الماركسية. أعتبر حالي يسارية ماركسية، وناصرية في نفس الوقت، ومتدينة مسلمة. ما فيه تناقض بين هذه الأشياء كلها، ما بلاقي أبداً تناقض.

دراسياً، التحقت بكلية التربية في الجامعة اللبنانية 1971، وحدث انصهار وطني مع وجود تجربة عميقة اجتماعية، تعرفت على ناس من كل المناطق والديان. كان فيه تجربة نضالية مهمة، لأن الاتحاد الوطني بالجامعة اللبنانية كان فاعل جدّاً، وصرنا نناضل من أجل الكليات وتعزيز الجامعة اللبنانية، وفتح كليات تطبيقية فيها، وتعزيز التعليم الرسمي. ودفعنا ثمن ذلك نضال وإضرابات ومظاهرات. مثلاً في أول مظاهرة بـ 1971 ضربت بكعب البارودة على رأسي، وبعدها مأثرة علىّ لحد هلا. وبسبب نضال الحركة الطلابية بالجامعة اللبنانية صارت فيها كليات تطبيقية؛ هندسة، وطب، وتمريض.

زوجي هو دكتور بالهندسة الزراعية، كان المسؤول الزراعي بالمجلس الوطني للبحوث، وتعرفت عليه خلال المباريات الخطابية والكتابية والإنشائية، كنت أطلع الأولى، ويطلع هو الثاني. هو كان "مقاصدي" مثلي. وبعد فترة من المدرسة، كان اللقاء الثاني، بعد التافس على الخطابة، عن طريق ابن عمي، سميج بعلبكي، هو صديقه. وبعدين راج على موسكو وصار بيعت لي مكاتيب... نقاش سياسي وفلسفي. وبعدين انقطعت الصلة.

بين 1973/1974 كنّا نحضّر أول هيئة إدارية لاساتذة المدارس الثانوية، وانتخبنا لجنة تحضيرية، لكن بسبب الحرب الأهلية انقسمت هذه اللجنة إلى فرعين لجنة بالمناطق اللي سقوها "المناطق الشرقية" اللي هي اللجنة التنفيذية، ولجنة بالمناطق الغربية هي "لجنة الاتصال العليا". وكان اجتماع الفرعين على خط التماس بين شرق بيروت وغربها؛ المتحف. كنّا ننظر لحالنا كلجنة ما قادرة تتجمع إلا تحت القنص والقصف، وكانت تشتغل بعيداً عن التربية [بسبب ظروف الحرب] على المجتمع المدني، والمسائل الوطنية، والدعوة إلى السلم الأهلي. استمر الوضع هكذا إلى إعلان تأسيس رابطة التعليم الثانوي في 1979، ومع نهاية الحرب الأهلية صارت الرابطة موحدة، تحديداً بالعام 1992، وصارت "رابطة أساتذة التعليم الثانوي الرسمي في لبنان"، وفيها مستقلين مثلي، وأعضاء من الحزب الشيوعي، بس كان القرار مستقل. يعني ما حدا يفرض على الرابطة شو بدّها تسوي، بتناقش ويوصلوا لموقع. واستمر عملي بالرابطة حتى تقاعدت من حوالي ست سنين.

وخلال الحرب، جاء زوجي (حالياً) من موسكو في 1978، وشافني بالمدرسة، وخطبنا. كان في الأول فيه تناقض

يبنى وبينه، كنت منظمة بالأول وهو كان حزب شيوعي، وكانوا ضد بعضهم المنظمة والحزب. زوجي إنسان مثقف كبير، وبعد اندلاع الحرب تغير كل شيء، شو منظمة، وشو حزب، ما بقيت هذه المسألة. وتزوجنا بال1980.

توزيع الخبز أفضل من الانخراط في الحرب

وقبل الاجتياح الإسرائيلي بال1982، ما كان فيه دولة، صار فيه فراغ، فمن سيملا الفراغ؟ تقدموا الناس، وعملنا "اللجان الشعبية"، كانت كثير مهمة، وكانت من مختلف الفرقاء الموجودين.

عمّ يحكي ببيروت للأسف اللي سُميت ومُتها "بيروت الغربية"، مثلاً بمنطقة برج أبو حيدر، ما كان فيه خبز، لأن الأفران ما عادت تشتغل. أخذنا قرن، كان اسمه "القرن الصغير"، كنّا نحضر الطحين من الحركة الوطنية اللبنانية، اللي كانت تجتمع بـ"جمعية متخرجي المقاصد"، يوصلنا القمح، ناخذ القمح على الأفران، ويطلع الخبز، ونوزعه.

بالنسبة للطحين كانت منظمة التحرير الفلسطينية تعطيه للحركة الوطنية اللبنانية، وإحنا باللجان الشعبية ناخذ حسب شو بدنا بكل منطقة، ونوصل الخبز لكل بيت، حسب عدد الأفراد. كمان كنّا نسوي لجان تتبرع بالدم، متبرعين وقت الحاجة. كنّا نشغل مع المحرّقين، شغلنا الشباب بمسائل دفاع مدني أو تهتم المجتمع، مثل تأمين الخبز بدل ما ينخرطوا بالحرب، وفتحنا لهم المدارس الشعبية. وقفنا مع السلم الأهلي، ومع التأسيس للوحدة اللي اعتبرنا هذا الانقسام هو فترة مرحلية وزائلة. يعني دائماً نتطلع إلى لبنان واحد، شغلنا كل المرافق بطروف كثير صعبة.

ولما صارت مسألة الاجتياح الإسرائيلي كان عندي ابني البكري، هلال، عمره خمسة أشهر، كثير أثرت فيّ بالأول. بعدين صرنا نحاول نظهر من هذه الحرب، لأنه صار في كمان مسألة صبرا وشاتيلا. اشتغلنا مع الفلسطينيين اللي هجروا من المخيمات. زوجي كان بالنمسا، جاء منها وحطني عند أهله، ونزل ببيروت تحت الحصار، ما أعرف عنه إذا ميت ولا عايش، إلا لما قرأت له بـ"النداء"⁴ مقال. وبقي زوجي ما سافر، وبعدين جيت حنين. لما كنت حيلس بحنين في الشهر الثامن كنت أروح أعلم بالمدرسة، كل موظفي الدولة بالبيوت، وإحنا نعلم، كيف كنا نسوي هيك ما بعرفنا!

لا مفر من شغل البيت

بعدين صار شغلي نقابي بحت، نقابي وتربوي، كنت أول امرأة في رابطة أساتذة التعليم الثانوي، 18 بالهيئة الإدارية، ضلّنتي أكثر من دورة المرأة الوحيدة. جربنا نجذب

4 النداء صدر عددها الأول في 1959، وهي الصفحة الرسمية للحزب الشيوعي اللبناني.

المعلمات إلى الترشح لمناصب القيادة، لكنهن لا يترشحن لأن المناصب فيها مسؤوليات أكثر. وفي 2014، وصلنا لما يشبه الكوتا، وصار عندنا 33% من الهيئة الإدارية بالرابطة من النساء.

دور المرأة تجاه الأسرة يشكل عائقاً أمام تقدمها. مثلاً رغم أني امرأة نقابية وناشطة في الشأن العام، وبعلم بأكثر من 3 مؤسسات، بالتعليم الخاص والرسمي، وتدريب المعلمين، ولكني كنت مضطرة يومياً أني أطبخ وأقوم بشغل البيت. زوجي كان داعم، لكن مش بالعمل بالبيت. يدعم معنواً بالسماح، أو يتحمل مسائل. لكن العمل بالبيت لا، هذا كان مستهلك لوقتتي. مثلاً لم أشتغل بالعمل النسائي إلا تقريباً في 1997 مع إنشاء اللقاء الوطني للقضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة اللبنانية، مع لجنة حقوق المرأة. وكنت مندوبة شؤون المرأة بالرابطة، واشتغلنا على المساواة بين الموظف والموظفة بالحقوق والواجبات، والمكتسبات، وتحديدًا المساواة المطلقة بالنسبة إلى كيفية الاستفادة من تعويض نهاية الخدمة، والتقاعد، ورواتبه، وحقوق الوراثة فيه. وكنا نشغل مع بعض النواب بالبرلمان، لكن واحدة منهن تسرعت وحطت مشروع باسمها، وهذا المشروع ما مشي لأنه غلط، وما يعطي مساواة، لذا رجعت حطينا مشروع كامل بالحيثيات والموجبات وقدمناه ودافعنا عنه بقلب مجلس النواب، ومشى المشروع. وهذا المشروع أفخر أني أنا اللي كتبتة. وفي ما بعد، اشتغلنا على قصة المعاش العائلي، لأن مفهوم الإعالة بالدولة اللبنانية، إن الرجل هو معيل الأسرة. وإحنا جيتنا كانت إن المعاش العائلي مساعدة للعائلة اللبنانية إذا المرأة لها حق بهذا المعاش مثل ما الرجل له حق... اشتغلنا على هذه المسألة فترة طويلة ثم أقرت. واشتغلنا كذلك على منح المرأة حق السفر دون إذن الزوج، كانوا وقتها بيحطوا اسم الزوج على الباسبور، وكان فيه زوجات تمنع من السفر لرفض الزوج.

وطنية جبران خليل جبران

مثلاً كنت أحب جبران خليل جبران كثير وأنا صغيرة، وما زلت. كتابته هي رومانسية نائرة، لكن يتذكر أنه قال إن الوطنية هي أن تترك وطنك عندما تموت، أحسن بقليل مما وجدته عليه. مؤمنة بهذه الشغلة تماماً، كل شيء أنا بقدر أني أعطي فيه بعطي. هذا واجب عليّ، أحياناً أنخرط أكثر من اللزوم، ومبدئية بمسائل الوطنية، ما فيه تنازل أبداً عن مسألة إن إسرائيل هي العدو الاستراتيجي، وكل شيء ضد العدالة الاجتماعية والمساواة بين الناس، أنا ضده. فيه سياسة مبدئية، لازم تكون السياسة هكذا، ممكن الواحد يكون يشتغل بالسياسة ويكون صاحب مبادئ، مش بالضرورة يكون إنسان مخادع. اشتغلت كل شيء بعاطفية،

أهداف أساسية التي هي لبنان يكون دولة ديمقراطية، دولة القانون فوق الجميع، دولة المواطنة بقانون موحد للأحوال الشخصية، دولة علمانية، بمعنى غير طائفية. وفيها قضاء مستقل، وطبعا هذه من أهداف الانتفاضة.

من قلبي مثل ما يقولوا، من قلبي وربّي، علّمت من قلبي بالتعليم الرسمي والخاص، ودرّبت كل معلمات المقاصد وقتها باللغة العربية، ودرّبت أجيال من المعلمين من قلبي، وناضلت من قلبي بالدفاع عن المبادئ كنت كثير صارمة. كنت ضد الفساد كل حياتي المهنية. ضلّنتني على مبادئ. الإنسان يتغيّر، المواقف تتغيّر، بس فيه أشياء لا يمكن تتغيّر.

لا بد من الاستمرار بتعديل القوانين المجحفة بحق المرأة، وإقرار قانون مدني موحد للأحوال الشخصية، وتعديل قانون الجنسية حتى المرأة اللبنانية المتزوجة من أجنبي تقدر تعطي الجنسية لأولادها. مثلاً ابنتي متزوجة من فلسطيني لبناني، وهلا سافرت على كندا حتى يكون لأولادها جنسية للأسف يعني. وفرض تعديل الحضانة عند بعض الطوائف، التي بعدها عم بنشوف آخر فترة مآسي من وراء هذه المسألة.

بالنسبة للانتفاضة 17 تشرين، يمكن البعض يعيب علينا إننا دخلنا بالإصلاح. هذا الشيء الذي هلال كاتبه⁵، إن محاولة إصلاح النظام لن تؤدي إلى نتيجة. لكن شو البديل؟ البديل هو العنف ضد النظام، العنف معناه استعمال سلاح. والنظام أقوى بهذا الشيء، وإحنا بالانتفاضة مثل الماء الذي ينحت الصخر. الأمواج تضرب الصخرة سنة بعد سنة تنحتها. إذا إحنا الماء، والنظام القائم هو الصخر. المسألة بدها وقت، وبدها تجميع قوى بدل ما تكون مفتتة، ونجتمع حول المشترك ما نجتمع حول مسائل خلافية. الخلافي نأجله، خيلنا نركز على المسائل المشتركة، ونشتغل من هون، ونشتغل بالأدوات الموجودة معنا. وننتشر مثل هذه الحركة، مهنيين ومهنيات، متقاعدين ومتقاعدات، لأن النقابات والروابط كلها تحت سيطرة قوى السلطة. إذا عم نشتغل من ضمن الموجود، إنما بمجموعات ديمقراطية، بمجموعات بدها يكون قرارها مستقل، تدافع عن مصالح من تمثلهم مش عن مصالح الأحزاب التي تنتمي إليها، أو الطوائف التي تنتمي إليها. لكن أنا ضد مسألة الإحباط، ما نملك ترف أن نكون محبطين، بل نحن محكومين بالأمل، هذه شغلة مؤمنة فيها.

والياً موجودة ضمن منسقي الحراك الشعبي بانتفاضة 17 تشرين، عم نشتغل على إطلاق التحالف الاجتماعي، الذي هو من مجموعة من مكونات الثورة التي بتشبهنا، وفيها مبادرة "درايزين"⁶، عم نشتغل على هذه المسألة، وفيه

5 الروائي اللبناني هلال شومان، ولديه مقالات نشر في مواقع عدة منها "الجمهورية نت"، و"مدى مصر"، و"مغامون".

6 مبادرة شعبية انبثقت عن حراك 17 تشرين بهدف إلى صياغة برنامج يمثل مصالح الشعب اللبناني.

جومانة مرعي: العمل على قوانين مدنية قد يكون طوق النجاة للمرأة اللبنانية

جومانة مرعي، مواليد 1965، ناشطة سياسية وحقوقية ونسوية. تركت السياسة لصالح العمل على حقوق المرأة، بل انتبهت مبكراً للتأثير السلبي للطائفية على المطالبة بحقوق المرأة، معتبرة أنها الوجه الآخر للذكورية.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

التواصل شبه مقطوع بين المنظمات المعنية بالعمل النسوي

كُنّا 3 بنات وصبي، ولَمّا بلشت الحرب الأهلية كان عمري عشر سنين، وتهجرنا مثل كل الناس اللي تهجروا، على الجبل. وأبي بعد سنة خسر كل شيء؛ راح شغله وذمرت حياته، وبطل يشتغل من وقتها، وصارت أمي امرأة معيلة، وكانت أكثر حدا دفعني للتمرد، لأنها رغم كونها المعيلة الوحيدة لعائلتنا حافظت على كل الأشياء التقليدية، كان عندها الإمكانية إنها تتحرر من كثير أشياء، لكنها سايرت الوضع التقليدي وتحملت القهر. ومن هون تمردت لأنه مش معقول الظلم الواقع على النساء.

أمي مثلاً كانت مقدمة حالها إنها ضعيفة رغم أنها قوية، فيه مشكلة بمنظومة ثقافة النساء، اللي هي امتداد لثقافة المجتمع، كان عندي نقمة على أمي لأنها لم تتمرد، يمكن تمردت عني وعنّها على عائلتي وطائفتي، وكل الأشياء، من وقتها متمردة.

شاركت بالعمل الطلابي ببداية حياتي، وأثر بمسار الحياة كله. بلشت بالعمل الطلابي قبل الثانوية، بتجمع الشبيبة الديمقراطي، 1981، وبعدها انتسبت لمنظمة العمل الشيوعي.

وفي الجامعة كنت منتخبة باللجنة الطلابية، أيام ما كان

بالجامعة اللبنانية انتخابات طلابية. درست إدارة أعمال، وبعدين من شي عشر سنين أو 15 سنة بدل ما أكمل دراسات عليا بإدارة الأعمال، اخترت دراسة علوم اجتماعية.

دخلت العمل النسائي بقرار شخصي، تقريباً 1984. كان فيه معارضة كبيرة بالمنظمة لتحويلي للعمل النسوي، باعتبار إنني ناشطة مؤثرة وهيك. لكن اللي شفته في هذه الفترة خلاني مؤمنة بالقضية النسوية. وطالبت، في اجتماع رسمي، بالسماح لي بالانتساب للجمعية النسائي الديمقراطي¹، لكن لم يسمح لي، قلت لهم هذا قرار، إذا مش موافقين عليه يستقيل من المنظمة، وحملت حالي وتركيت الاجتماع ومشيت. وثاني نهار قالوا لي: "ما فينا نمعنك".

وهذا اللي صار، نغري بلشت بالتجمع ومهامه. مثلاً أمي كانت بالتجمع وناشطة، وانتقلت للعمل النسائي من موقع إيماني بالقضية النسوية، ووقتها بدأ تراجع عمل المنظمة السياسي، وإحنا بالتجمع النسائي، كُنّا فريق من الحزبيات ناقش أزمة العمل الوطني. وكان الاتجاه الإفلات من الوصاية الحزبية والتدخل اليومي، وتكون العلاقة بس من خلال رئاسة التجمع، وداد شختورة²، اللي كانت عضوة مكتب سياسي بالمنظمة. وبخلاف ذلك ما فيه علاقة من المنظمة فينا. وهذا اللي خلّى التجمع ينح ويطلق بهذا العمل. مثلاً كانت الحركة النسوية تقليدياً عمّ تطالب من وقت استقلال لبنان بمشاركة المرأة، كان دور المرأة السياسي العنوان الأبرز للحركة النسوية. لكن التجمع لَمّا تأسس بـ1977، ربط قضية المرأة والحرية بالوضع السياسي والطائفي بلبنان. بل اعتبرت مجموعة "التجمع" أن الذكورية والطائفية هما السبب في إعادة إنتاج التمييز ضد المرأة، وإن الطائفية تعيد إنتاج كل أشكال التمييز ضد المرأة. وقتها كُنّا عمّ بنقول إن قوانين الأحوال الشخصية هي منبع التمييز ضد النساء. ما فيه حرية للمرأة بلبنان، وما فيه مساواة بدون قانون مدني للأحوال الشخصية.

ومع الدخول السوري لبنان، وحرب الجبل³، بلشنا نشهد الموت السياسي لبنان، موت الحياة السياسية.

واشتغلنا مع النقابات عشان إيقاف الحرب الأهلية، هذه التجربة خلّتني أخرج من الانغلاق الحزبي، وأفكر في

1 منظمه نسويه غير حكومه علمانيه، مطلبه، بعمل على دعم ومناصرة حقوق النساء والفتيات في لبنان. تأسس التجمع عام 1976 وهو من أمدم المنظمات النسويه القائمة على العمل التطوعي.

2 رائده نسويه لبنانيه أسست التجمع النسائي الديمقراطي

3 أحداث حرب في قضاء الشوف 1983 خلال الحرب الأهلية حين يقدم الجيش اللبناني والقوات اللبنانية (الجناح المسلح لحزب الكتائب ذي البوجه المحافظ) للسيطرة على تلك المنطقة ذات الأغلبية الدرزيه، لكن ومع مجواجهات ومجازر، ما أدى لتوسع الأطراف المورطه في هذه الأحداث، مع دخول مواب الساربه ومنظمه التحرير الفلسطيني، وهو احرى.

الآخرين، وكيف ممكن نشغل مع كل الناس. هون بَلشت أفكر مع مجموعة من الرفيقات كيف تتحرر من الوصاية الحزبية وننطلق، وبَلشت تهتز بعض القضايا، كانت محطة من المحطات اللي خلتنا نفكر بالسلم الأهلي بشكل مختلف، ومراجعة كل ما عملناه بشكل مختلف، وأنا حملنا البلد أكثر ما يحمل، وإن ركوب الحرب الأهلية لن يؤدي لإصلاح ديمقراطي. إحنا اخطأنا حين ركضنا على الحرب، بوقتها عملنا المراجعة وقلنا الحرب الأهلية ما تعمل تغيير ديمقراطي، بل التغيير الديمقراطي لن يأتي إلا بنضال سلمي، يعني بلد طائفي ما فيه شيء اسمه قوى وطنية بالمفهوم الوطني، بل طلعت أحزاب طائفية، أو تغيير ديمقراطي من خلال العنف، وكانت النتيجة إننا عملنا حرب طائفية. وعشان هيك كانت محطة مهمة نقول إن التغيير الديمقراطي ما يتم بالعنف الثوري، بل من خلال الإصلاح والنضال السلمي. وختلني أخرج من هذه الأشياء الخشبية نحو الأشياء الإنسانية. بَلشت اشتغل على حالي بمجال حقوق الإنسان انطلاقاً من هذه التجربة، من خلفية يسارية ودخلت المجال الحقوقي، صرت أشوف من منظور إنساني كثير قضايا.

ضد الوصاية السورية

بعد 1992، "التجمع النسائي" راح على التنمية، صرنا نشغل على تمكين للنساء، كانت كثير صعبة المرحلة، كُنّا نبني قدرات جديدة عند العضوات حتى يتحول التجمع للمناصرة والدفاع عن حقوق المرأة. وقتها لبنان شاف حركات نقابية وعمالية، بَلش يصير الغلاء، وننطلق لمشاور جديد للبنان لبناء القوى الاجتماعية رغم الوصاية السورية. مثلاً هذه الوصاية قتلت الحياة السياسية، وكثير من منظمات المجتمع المدني كانت تابعة بشكل أو بآخر للوصاية السورية، أو للأحزاب اللي صارت معها.

اتحاد العمال العام صار الوصاية السورية فترة طويلة، ينظم مظاهرات ضد المخابرات، عملنا إضراب عام مفتوح 5 أيام بالبلد ضد الغلاء. من بعدها بَلش الانقلاب على الحركة النقابية، استلم حزبا البعث والقومي وزارة العمل، وتغيرت الهيكلية النقابية، وضربت الحركة العمالية، وجرى صراع كثير طو، ناكل خيط بالشوارع، وعملنا سلسلة بشرية، وكانت الدبابات تيجي وكنا ننام قدام الدبابة. البلد ما سلم بالهين، بالآخر خطوا إلياس أبو رزق⁴ وكنا من رموز الحركة العمالية بالحبس، لأنهم ما التزموا بقرار منع الإضراب والتظاهر. كان وقت طو، ومن بعدها كُنّا

4 خاض إلياس أبو رزق انتخابات الاتحاد العمالي العام منافساً رئيس الاتحاد، انطوان بشارة، المدعوم من حزب البعث ووزير العمل اللبناني المسمى لهذا الحزب. ورغم ذلك حقق أبو رزق انتصاراً هاماً، واستطاع الاتحاد أن يلبي الحراك المطالب لتصبح الأجور والتمديد للغلاء.

بـ "التجمع" عمّ نواكب، وفكرنا كيف بدنا نشغل على أحداث التحول على مستوى الحركة النسوية. وبَلشنا نشغل على فكرة كيف ممكن تتحول الحركة النسوية إلى حركة مطلبية، لأن هون ما عاد عندنا حركة عمالية، ولا عاد عندنا حركة نقابية، وحركة شعبية مطلبية. بَلشنا نفكر على مستوى نسوي، كيف تتطور الحركة لتصبح حركة مطلبية، كيف تُحدد أولوياتها. بهذا الوقت كُنّا كثير منفتحين عربياً على كثير من المنظمات النسوية، وتجذرت النسوية بالتجمع، من 1997 وطالع خلاص تجذرت هذه المسألة.

داخلياً، التجمع كان فيه صراعات لأنه "نسائي"، مش الكل عنده الفكر النسوي، يمكن كانوا كام واحدة نسوية. مثلاً وداد شختورة كانت من النسويات اللي أثرت في كثير، وكنت كثير قريبة منها، ما ساومت يوم على حرية المرأة وحقوقها. كان فيه كثير أوجه للصراع داخل التجمع، بس فيه شوية ديمقراطية وقبول واحترام للاختلاف، وكانت وداد سقف حامي للكل، خَلت الكل بتقبل بعضهن، وهذا اللي صار.

أطلقنا مبادرة من 2000 لـ 2002 نعمل مشاورات لإطلاق مبادرة "الشبكة النسوية اللبنانية"، وهي شبكة نسوية مرتكزة على موضوع المساواة والمواطنة الكاملة للنساء. كيف نكوّن حركة مطلبية، والحركة النسوية ما راح تأخذ إنجازات إلا بالعمل الضاغط. وبَلشت حملتها بقانون العقوبات، بس بكل الأحوال للأسف الشبكة ما كُتِب لها النجاح تستمر، لكن تركت أثر كبير على مستوى كل المنظمات اللي فيها إنها تحول عملها للعمل المطالب. من هون قويت كثير حملات المطالبة من وقتها، بس كل منظمة عملت حملة لوحدها، لأن كان فيه خلافات الشبكة، وهذه الخلافات ما كانت فكرية، بل خلافات على التمويل. وبالآخر قلنا خلاص خلي كل حدا يعمل اللي بدّه إياه. وحددنا أولويات، وعملنا حملات المطالبة على هذا الأساس، وبعدها لحد هلا كل حملات المدافعة اللي عمّ بتصير بقضايا المرأة هي من ضمن الأجنحة اللي حطتها الشبكة النسوية اللبنانية.

العلمانية منجى من الطائفية

مثلاً مسار الحركة النسوية تاريخياً فيه تصاعد، في الخمسينات كان المطلب هو المشاركة، للتسعينات لَمّا بَلش أكثر مطلب يعلى هو الحرية، وصولاً إلى التسعينات مع اتفاقية السيدا لَمّا صارت قصة المساواة التامة هي العنوان الأساسي للحركة النسوية. هذا مسار تراكمي عمّ يتطور، ولكن اللي عمّ يضعف هو التحالفات والقدرة على بناء هذه التحالفات، والتشبيك بين بعضنا. التواصل بين المنظمات المعنية بالعمل النسوي شبه مقطوع، والحركة النسوية ما قادرة تتوحد، بمفهوم بناء تحالف. فكرة العمل النسوية من منظور حركات اجتماعية، غير موجودة عند

الغالبية. فيه جيل من النسويات شابات صاعداً وفخورة بقربي منهن، بس كمان عند الأزمات بيثبت قصة المشاريع والمصاري مسألة مهمة لهن. لكن شو يمنع المنظمة النسوية إنها أموال وتنفذ مشروع، وبنفس الوقت تدخل تحالف تطوعي لحماية حقوق النساء. الجمعية تمويل لتنفيذ مشروع، لكن ما شيء يمنعنا أننا نشكل إطار تطوعي مع بعضنا، وتلاقى فيه نتناقش ونخطط فيه سوى، ونقول فيه شو بنعمل، نبني على إنجازات بعضنا، نراقب من خلال اللي عم بيصير داخل كل جمعية.

مثلاً ممكن كل جمعية تقوم بالتشبيك عن طريق تطوع عضواتها، وتنسق عمل منظم طاعي. فيه مليون شغلة نشغل عليها، لا توجد رؤية جماعية مشتركة للمنظمات على مستوى بناء الحركة كحركة، كل منظمة شاطرة إنها تقوي حالها وتعمل وتكتب مشاريع وتنفذها، وتعمل ارتباط بشكل أو بآخر بالمجتمع المحلي. لكن التشبيك الضايغ يقلل من إمكانيات تحقيق مكاسب للنساء، لأنها ما يتم إلا في منظمة قوية وعندها مصاري، وتعرف تنفذ برامج. مكاسب النساء تتم من خلال حركة نسوية، كحركة اجتماعية ضاغطة، وشئنا أم أبينا، الالتباس الطائفي ممدد للمجتمع المدني، واللي بده بيني حركات اجتماعية، لازم يكون حاسم بعلمانيته، ويمكن تكون أزمة كتار من النسويات عدم كونهن علمانيات.

قضايا المرأة ثورة

ورغم ما سبق، الحركة النسوية عملت وعي على مستوى المجتمع اللبناني بقضايا المرأة، ونقلة نوعية لقضايا المرأة لتصبح قضايا رأي عام. عشان هيك من أول الثورة كل المناطق من أقصى الشمال لأقصى الجنوب، للبقاع، كان ردهم عن سبب تظاهريهم أجوبة لها علاقة بحقوق المرأة مثل "المرأة عم تتعرض للعنف وما في قانون يحميها" أو "بدي قانون مدني للأحوال الشخصية"... هذا الإنجاز اللي عملته الحركة النسوية، وجعلت قضايا المرأة شأن عام عند كل اللبنانيين واللبنانيات.

ضد وصاية جيلي

جيلي خاض تجربته، وعليه يمشي وراء الشباب، يحمل خيبته وبضياها وبسكت، وبكل بساطة جيلنا مطرح ما يمشوا الشباب يمشي وراهم.. ما فينا نعمل وصاية على الثوار والثائرات، إحنا فشلنا في التغيير، خليهيم يعملوا تجربتهم ويغيروا، أما تجربتنا فهي تجربة فاشلة، ولا يمكن إعطاء الثوار والثائرات نصائح نابعة من تجربة فاشلة. أنا متمردة على شيء اسمه "وصاية الجيل القديم"، ما بدّي أنزل إنني أم العريف، ونعرف نقرأ ونحلل، في النهاية الناس

عندها تجاربها وخبراتها بالممارسة مش بتنظيم الجيل اللي قبله. يحترم كل حدا نازل على الشارع، يحترم كل شعار اترفع في الشارع، كل صبية وشباب مشيوا بالمظاهرات. لذا، ما عندي خوف على الحركة بلبنان، بل متأكدة راح تنجز شيء، وبدها تفرز أطر بين بعضها، وأيدة راح تطور.

الأفضل نتوحد على القضايا المطالبية والاجتماعية. هلا حق المجموعات كلها كل حدا يحكي، وبعدين بدها تتغربل الأمور. خاصة أننا عم نبني حركات اجتماعية بوقت عندك مشاريع إقليمية كثير كبيرة عم تتصارع بالمنطقة، مثلاً قصة سلاح حزب الله ليست مرتبطة بقرار لبناني، بل نسوية إقليمية.

كتا عم نحكي قبل 20 سنة عن مشروع أمريكي يدعم الرجعية العربية، اليوم عندنا المشروع الأمريكي، والمشروع الرجعي العربي اللي صار عنده فروع السعودية، قطر، الإمارات كل واحدة شكل، والمشروع الإيراني، والمشروع التركي، والمشروع الروسي. كلها مشاريع عم تتصارع بالمنطقة، وعم تصعب عملية تراكم الحركات الاجتماعية وإحداث التغيير. لكن مؤمنة إن الوضع راح يكون مختلف على المدى البعيد.

جين مقدسي: الطبقة الحاكمة صلاحياتها انتهت

جين مقدسي، كاتبة وأكاديمية، وُلدت في القدس عام 1943 وعاشت بين مصر والولايات المتحدة الأميركية ولبنان.

درّست اللغة الإنجليزية في الجامعة اللبنانية الأميركية في بيروت، وقدمت مسرحيات، وألفت كتابين: "جدتي وأمي وأنا"، و"شّتات بيروت: مذكرات حرب"، وهي عضوة في تجمع الباحثات اللبنانيات.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في آذار/مارس 2020.

بكره كلمة النكبة

جين مقدسي، خلقت بالقدس، نحنا من فلسطين، وربينا في مصر، وفيه غير قصة فلسطين، قصة لبنان وأخرى بأميركا.

أمي من الناصرة وأبوي من القدس، وأخي إدوارد سعيد، وُلد بالقدس، وحياتي الثانيين خلقا بين مصر لأن حياتنا كانت بين مصر وفلسطين قبل الحرب [1948]، بكره كلمة "النكبة" لأنها توحى بقلّة أمل، أو عدمه، وفيها انكسار، ونحن يا حرام قاعدين عمّ نيكي وهيدا مشّ أبداً صورتي لفلسطين أو مقاومة إسرائيل المستمرة لهلاً طبعاً، أرى أن فلسطين ستكون دولة واحدة، مثل "جنوب إفريقيا"، فيه مشكلات ولا يوجد حل سحري، لكن أرى حل الدولة الواحدة هو الأمل الوحيد.

نرجع لحكايتنا: أبوي من فلسطين بس شغله أخذه على مصر بالتلاتينات، فات هو وأمي اتجوزوا 1932، كانت هي بالناصره وهو في القاهرة، وفيه مكاتيب [رسائل] بينهما.. كتابة حلوة كتير.

كنا ننقل بين مصر وفلسطين، طبعاً بعد 1948 ما بقى فيه فلسطين لبلنا. في مصر، كنت بمدرسة إنجليزية من البداية، لكن فيه وقت بسيط كنا بمدرسة أمريكانية.

مثلاً مرة بالمدرسة في مصر، الناظرة دخلت فصلنا، وكنا بالمرحلة الإعدادية أو الابتدائية، وأمرتنا نقف، فكرت إن حدا

متّا عمل مصيبة، وقالت: the King is dead, long live the Queen!

شو خصنا نحن؟! لو الملك فاروق اللي مات وقتها الموقف سيكون منطقيّاً، لكن طلع إننا نحبي ملك إنكلترا المتوفي، والملكة الجديدة، لكن هذا ما يحدث في الإمبريالية البريطانية. كان عليّ تعلّم أسماء كل ملوك الإنجليز، ودراسة مشاريع قوانين الإصلاح خلال القرن التاسع عشر في بريطانيا، ومعرفة تاريخ تأسيس الحياة النيابية هناك، ولا أعرف شيئاً عن مصر أو العرب، لم أدرس أبداً عن المتنبي مثلاً، عرفت فقط أنّ محمد كان رسولاً. أبي وأمي حاولا تعليمنا العربية، لكن كان مستوانا سيئ.

الطوع للقمر

ما بحياتنا فكرنا إننا مصريين. من صغري وعيت أننا كُنا أقلية في مصر، مع أنني كنت بحب مصر كتير ولهلا، وكل ذكرياتي السعيدة كانت هناك. ثم أمم جمال عبد الناصر قناة السويس، كنت فخورة بتلك الخطوة ضد بريطانيا وفرنسا، لكن تلى ذلك حرب السويس² فوزاً، وبعدين تركت مصر وسافرت على أميركا.

وهناك بلّشت حركة الحقوق المدنية، وطلعوا على القمر. لقا طلع نيل أرمسترونج ع القمر قُلت لستني: عرفتي طلعوا ع القمر؟ قالت لي إنه "عم تكذبي"، سني ما كان عندها قبول لفكرة طلعو حدا ع القمر، بس بالنسبة إليّ كان كتير مثير.

وفي كل صيفية، كُنا نيجي على لبنان. أبوي كان يحب ظهور الشوير، كُنا نيجي دوغري من المطار ع ظهور الشوير. ولبنان تعرفت على سمير، أهله كانوا جيراننا بظهور الشوير، كنت أنا بالجامعة بأميركا، خلصت جامعة دوغري اتجوزنا 1962-1963، وسمير كان يدرّس بالجامعة الأمريكية ببيروت، AUB وسافرنا أميركا واشتغل بالـ IMF على أساس إنها سنتين، لكن رجعنا في 1972.

وقتها اتصلت بعفيف بولس، وهو كان بروفسير يدرّس إنجليزي بالـ AUB، وكان يعرف خيي [إدوارد سعيد] وقُلت له فيه إمكانية اشتغل بالـ AUB. طلب شوي وقت، وبعد ربع ساعة رجع تلفني "Come up for an interview this afternoon" وغينت لتدريس الإنجليزي للمبتدئين. لكن شعوري بأن التدريس مهمة إجا خلال الحرب، بعد ثلاث سنوات من بداية شغلي. وقتها كانت الناس تمشي من البلاد، مثلاً بنايتنا ما كان فيها حدا غيرنا، بعض الجيران كانوا

1. يوفى الملك جورج الخامس في شباط/فبراير 1952، والملكة المفقودة هنا هي ابنه اليراسبت الثاني (1926-2022).

2. حرب السويس حين جرى عدوان من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر 1956.

يرجعوا أوقات، وهما عابثين بباريس أو لندن أو مدينة أخرى، فيه معركة مسكوت عنها، صراع عميق بين من بقوا بالحرب ومن غادروا. المغادر عنده شعور بالذنب ورغبة في عدم سماع ما حصل، غير مهتم بمعرفة كيف كانت الحياة بلا كهرباء مثلاً.

أتذكر مثلاً إن مرة مرقت طائرة إسرائيلية في سماء بيروت ونزلت أوراق مكتوب فيها إن أهالي بيروت عليهم يطلعوا من المدينة، وحسيت كأن النكبة تحدث الآن. وكنت غضبانية بشكل، وجيت ع البيت، قال لي سمير: "سمعتي؟" قُلت له إيه سمعت. ورفضت الطلوع من بيروت، مستحيل استجيب لطلب الإسرائيليين. قال لي: "الولاد" يعني لعب لي على شعور الذنب كوني أم. قُلت إنني مجبورة اطلع لأن عندي ولاد، كانه قصاص علي، ورفضت أعمار بيروت، بل قُلت له إنت خد الولاد وروح. يعني ليش أنا؟ حسيت إن هذه مقاومتي، قرار إنني مش رايحة. "لا، بدك تروحي، والولاد إذا صار فيهم... ويتعرفي شو بيصير والإسرائيلية". ثم انجبرت أخذ الولاد وامشي. شو حسيت... مثل النملة. نملة، أخذت الأولاد الثلاثة على محل بالرابية، كانت صاحبة لأمي قاعدة هناك وهي قالت لي إن "البيت فاضي ما فيه حد، جيبني الولاد وتعالى" وقد كان. من فوق كنت عم بتطلع على بيروت والضرب عليها، وبعدين مرة كنت بالصيدلية، زحت جيت شغلة وكان فيه عسكر إسرائيليين واقفين بالصيدلية. تطلعت فيهن، يمكن أول مرة شفت إسرائيليين. كانوا عم يتطلعوا ع قناني اليرفانات والمنيكور وبقية الكوزماتيك، أنا دوغري طلعت من الصيدلية، لكن كنت مذخووضة، كيف قاعدة بنفس الأوضة مع إسرائيليين؟

كانت قصة.. بقيت بالرابية جمعتين، بس حسيت إنه عمر، وبعدين مرة تلفن لي سمير، قُلت له بدّي إرجع. وفعلد رجعت، وبعد الصيف إجا سبتمر ما كان فيه أبداً دروس، كان بعد الاجتياح، وبيروت مكسرة. لكن سافرت فترة على أميركا للأسباب علاجية، لأن ابني علاجه ما كان موجود بالبلاد، وتركته بقية أسرتي بلندن، ولما رجعت لندن عند أختي سمعنا أنهم قتلوا بشر³ [الجميل] وفاتوا الإسرائيلية على بيروت، وقررنا نرجع فوراً، حتى تكون هناك.

لما رجعنا شقنا الإسرائيليين، كانوا مرعوبين. ماشيين والديابة جنبهن وخايفين حد الموت. راحوا عند بيت أمي مثلاً بحثاً عن إدوارد، مع أنه كان ساكن بنيويورك، بس كان عندهم خرائط ومعلومات إنه ساكن هونيك. وخلال تلك الأوقات، اقتنعت إن مهمة التدريس مثل مهمة تقديم الحضارة في فترة صعبة جداً. وذلك رغم كون أغلب الشباب

كانوا مسلحين، بالتأيد ما كانوا يحضروا السلاح معهم للجامعة، لكن بالتأيد همّا حاملينه برّه، وأغلب الأساتذة كانوا يخافوا من هؤلاء الطلاب لأنه يفوتوا ع الصف يقعدوا هيك وعمّ يدخلوا ويشربوا، ما كنت اسمح، كنت أقول:

you're in class, get your shoes off the chair, sit properly, where is your book, where is your thing

أوقات كنت أحس حالي في روضة أطفال، لكن كانوا يحترموني. أظن بعضهم كان يهدد الأساتذة اللي ما يخافوا منهم أو ما يحدوهم بجديّة، لكن تهديد النساء كان أقل، ع الحواجز مثلاً الرجال كانت حالتهم أنحس من النساء.

وبعد لما خلصت الحرب، فيه قصة واحد إجا ع الصف، هيدا عم بخكي سنة 1994-1995 ما يعرف، قاعد هيك، ما ينسى كان شاب كبير شعره أحمر، ماسك مفاتيح وعلبة سجائر الملبورو أول يوم دراسي، مش حامل كتاب ولا دفتر أو قلم، بس ماسك المفاتيح والمالبورو.

في اليوم الثاني سألته: وين الدفتر وفين القلم؟ قريت assignment المطلوب؟ قال: "لا، ما لحقت"، قُلت له المرة الجاي يتكون عندك دفتر، بتأخذ ملاحظات ويكون عندك الكتاب وفيه قلم. آخر مرة إجا، نفس الشيء، قُلت له برّه. بس قُلت له إنت شو جاي تعمل بالجامعة؟

الجامعة مكان تعليم واكتساب معرفة، لكن حسيت إن التعامل مع الجامعة تغيّر، صارت مكان للحصول على درجة للوظيفة، فقط لا غير يعني. تحملت وقت الحرب، لكن إنهاء مشواري التعليمي كان بسبب هذا الشاب، ما كان عنده تعطش للمعرفة، انتزعجت جداً وتركت الجامعة، وعملت على كتابي الأول ثم الثاني.

من سيكتب الحكاية أولاً، إدوارد أم جين؟

كنت موقعة عقد الكتاب مع الناشر بنيويورك 1992، لكن ما خلصته إلا بالـ 2005، وسبب كل هذا الوقت الطويل إن خيي، إدوارد سعيد، كانت يكتب كتابه، وكانت مسألة من سيبدأ الأول، وهي مسألة غير مشجعة، خاصة أنه كان مريض باللويميا. مثلاً فكرت كثير كيف يمكن يعكس كل ما أكتبه عليه، مثلاً كنت خائفة عليه من الكلام عن القضية الفلسطينية، وتستخدم كتابتي للتشكيك في مصداقيته، لأن كان فيه هجوم كبير عليه، وفيه واحد قال إنه [إدوارد] ليس فلسطيني، وقال إنه سيقاضي الناشر.

وخلال عملي على الكتاب، اشتغلت على أبحاث مع تجمّع الباحثات اللبنانيات، وشاركت في تحرير 5 أو ست إصدارات من الكتاب السنوي للتجمّع، "الباحثات"، منها واحد عن علاقات العرب بالغرب، والمرأة في الجامعات العربية.

3 بشير الجميل، سياسي لبناني، ورئيس الجمهورية، قتل في 14 أيلول/سبتمبر 1982 قبل تسلم مهام منصبه.

وفي 2000، عملت بحث عن المرأة بال1920، كانت تجربة مثيرة، مع نهاية الإمبراطورية العثمانية، والثورة التركية، قابلت ستات كليات في السن، بالنسبة لي صدمة ثقافية كبيرة، بتكوني تابعة للسلطان العثماني وتأتي يوم صرتي إنجليزية أو فرنسوية، صعب، وسألت الستات في بحثي عن شعورهن لما حصلت هذه النقلة الدرامية الصدمية، لكن فيه واحدة ردت إننا كنا نعرف اللغتين، تقصد الإنجليزية والفرنسية، وكثير منهن كلمني عن اللغة.

وفي الفترة الأخيرة من حياة إدوارد كنت عمّ أعمل على كتابي، وإعادة كتابته، مرات ومرات، وتحريره وإعادة تحريره، وكان الطبيب قال لإدوارد إنه غير مسموح ركوب طائرة، أو قطار أو تاكسي، أو يحضر حفل موسيقي أو فيلم، لأن اللي عنده لوليميا ممكن يلتقط أي مرض، لكن إدوارد قال:

I will not live my life like that. I am gonna live my life the way I want to live it

تفضيل التفكير النسوي على أعمال "الحركة النسائية"

رؤيتي للنسوية تشكلت بالقراءة، أعمال كثيرة غيّرت أفكارني، لكن "بيت الدمية" لإيسن واحد من أعظم النصوص النسوية بالنسبة لي. وبطلتها، نورا، تمثل الطبقة الوسطى التي أعرفها جيّداً، طبقتي، أثرت في هذه الشخصية جداً. بسبب نورا فكرت ليش كنت محبوسة بالبيت في أميركا ولم أقدر أموت على مظاهرة الحقوق المدنية، كنت محبوسة لأن عندي أشغال البيت وتربية الأولاد، وغيرها. وقتها كنت ساخطة، غاضبة، حاسة حالي مقهورة.

لما رجعت لبنان أعدت النظر في رؤيتي للنسوية، وكوني امرأة، مثلاً كنت في اجتماع لجنة حقوق المرأة، مع ليندا مطر، وهي شيوعية، وأغلب عضوات اللجنة كذلك، كان عندي شعور إن ليندا ما قرأت سيمون دي بوفوار وفيرجينيا وولف، سألتها مرة وقالت إنها ما سمعت عنهما. ليندا عملت بالمصنع، ورؤيتها قائمة على خبرتها في الحياة وليس معرفتها أو عن طريق القراءة. لهذا مثلاً اعتبرت إن فيه فجوة [فرق كبير] بين الحركة النسائية والنسوية، فُلت هذا في محاضرة مرة في أميركا، وبعض الناس زعلوا مني.

ما أقصده بالفرق بين النسوية والحركة النسوية، ليس أن النسوية أعلى من الأخرى، بس المستوي مختلف، مثلاً صدمني إن ليندا مطر كانت تقدم مسؤول حكومي في حدث لا أتذكر مناسبته، واستخدمت ألفاظ تفخيم مثل "فخامة ودولة الرئيس" في حين أنه كان يلقي خطبة بمفهوم قديم عن كون المرأة هي الأم. سبّب لي ذلك صدمة، ومما يصدمني أن الحركة النسائية لا تطالب بوجود كوتا في الانتخابات حتى الآن، مثلاً خلال إحدى الانتخابات

البرلمانية خسرت ليندا مطر وفازت نائلة معوض، وفكرنا نعمل جلسة بين ليندا ونائلة، موضوعها ليش فازت مرشحة وخسرت أخرى. ليندا فسرت خسارتها بأنها ما عندها مصاري، ومارونية ومزوجة أميركي، ما دعمها حد، لكن نائلة قاطعت ليندا وقالت لها إنها خسرتها لأنها "ما لعبت اللعبة السياسية الكلاسيكية". قالت لها ليندا: "شو يعني؟" قالت إنها تعزي، الناس يقولوا فلانة ما بتيجي تعزي، ولّا مرة شقناها عمّ تعزي.

مثلاً عدم مطالبة الحركة النسائية بالكوتا في الانتخابات، يجعلنا نتساءل ما هي حقوق المرأة بالنسبة لهذه الحركة، ما هي فعلاً، سيداو؟ لكن في الواقع قامت هذه الحركة بتغيير بعض القوانين، لكن هناك ما يخص العنف ضد المرأة، وهو مهم ويجب العمل عليه، وتمكين المرأة أكثر. هذا بالنسبة للحركة. لكن المرأة مثلاً شاركت في انتفاضة 17 تشرين الأول/أكتوبر 2019، وبالأخص شاركت شبّات، في صور وتغطيات انتفاضة بغداد ما لمحت امرأة في المظاهرات، يمكن لهذا كانت مظاهرات العراق عنيفة للغاية. لكني لم أشارك في أي من تجمعات انتفاضة لبنان بسبب ضعف ركبتني، مثل وضعي أيام الحقوق المدنية في أميركا، ما قدرت أشارك بسبب إن ما قادرة أترك البيت لأن معي الأولاد. ولكن الثورة غيّرتني، رؤية الشباب وهم ينظرون كل يوم، كل يوم، كأن الشباب يدق رأسه بالحيط. الطبقة السياسية الحاكمة تأثرت بشدة، لا أعتقد أنها انتهت، لا يزال لديهم الكثير من المال، والقدرة على الاستمرار.

مثلاً وقت الحراك ضد زبالة بيروت في 2015، كنت متوقعة النظام يهزم، كل مسؤول يحمل حقيبتة ويغادر البلاد، لكن زوجي قال لي إن "النظام قوي" ومعه حق، بقى النظام. وبعد كل ذلك لم يتغيّر شيء إلا الناس، وهذا مهم، الناس تنفسوا جيّداً، أفكارهم وحياتهم تغيّرت. وهذه هي قيمة ما يحدث الآن منذ "17 تشرين"، أن الناس تتغيّر. ومع الوقت الأمور ستتغيّر، أعتقد أنهم -القادة والطبقة السياسية- لن يستطيعوا مواكبة كل ما يحدث في المجتمع من جنون وغضب ورغبة في التغيير. هؤلاء القادة وجودهم صلاحيتهم انتهت، مثل تاريخ انتهاء الصلاحية على زباجة حليب. يجب أن يذهبوا.

دلال البرزي: لبنان مولع

دلال البرزي، مواليد 1951، لاثية لبنانية، وأكاديمية وسياسية.

انتظمت في صفوف منظمة العمل الشيوعي، منذ كان عمرها 16 عامًا. وخلال عملها التنظيمي، أسست مع أخريات تجتمع النساء الديمقراطي اللبناني. ثم تركت التنظيم في 1981.

وفي ما بعد أسهمت في تأسيس "تجمع الباحثات اللبنانيات". نُشرت لها كتب عدّة، وفي التسعينيات، عاشت في القاهرة، وكتبت عنها.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلتين أجريتا في 12 يونيو/حزيران، و16 سبتمبر/أيلول 2020.

من صفري أبي حبيبي في جمال عبد الناصر

أنا بالأساس خلقانة بالسفغال في 1951، وعشنا بالدار البيضاء في المغرب، وما تعلمت إلا فرنسي، لَمّا جيت لبنان حكواني عند راهبات فرنسيين، والراهبات كانت ميسوبات إن فيه بنت مسلمة تعرف فرنساوي. ولا تزال عندي مشكلة لغوية، دائمًا أفكر بالفرنساوي، ولَمّا بَدَي أكتب بالعربي لازم يكون فيه خطة للبدء، إني أكتب بالفرنساوي، وبعدين أكتب الأفكار بالعربي.

من صفري أبي حبيبي في جمال عبد الناصر، وكُنّا بنسمع خطاباته بنوع من الهيبة الكبيرة والحب، كُنّا كثير مبسوطين إن عبد الناصر راح يحرق فلسطين، ثم صارت هزيمة 1967، كان عمري 16 سنة. وليلة تنحية طلع هدير لأنه جاي من بطن السواد: لبنانيّين ولبنانيات، بتياب النوم على الطرقات عمّ يبصرخوا: "ناصر.. ناصر"، ما بَدَهم إن يمشي.

زواج لأسباب سياسية

مثلاً كنت بمدرسة فرن الشباك الثانوية، وصارت مظاهرات تأييداً لتحرير فلسطين، وشاركت فيها، وكُنت أكثر بنت ظاهرة، وعشان هيك طردوني من المدرسة. وزُجت على مدرسة أخرى لإنهاء البكالوريا، وأنا ما يعرف عربي. وقتها صرت كثير أروح على نادي اسمه "الرواد"، وكان فيه الشباب والبنات الداعمين للقضية الفلسطينية، وصرت متعرف على الشباب اللي كانوا على علاقة تنسيق وتعاون مع منظمة فلسطينية اسمها "الجبهة الديمقراطية لتحرير

فلسطين". وشاركت بالتدريبات العسكرية، زحف وقواص، وفك وإعادة تركيب الكلاشينكوف. خياراتي السياسية كانت كثير مبكرة، لأن كان عندي رغبة في معرفة اللي حولي، والتأثير فيه، ورفض الأشياء اللي لقيتها غير مطبوعة، لهذا التحقت بمنظمة العمل الشيوعي¹.

بفكر أهلي كانوا حاسين بنشاطي السياسي، بس ما بَدَهم يعملوا معي مشكلة، عشان هيك كان بَدَهم يزوجوني بسرعة. أتوماتيكياً كنت برفض العرسان، قلت لأبي إذا نجحت تعفيني من العريس، قال لي: "آه". وفعلًا، نجحت. سألني أبي شو بَدَي أعمل، قلت له بَدَي دراسة اقتصاد، ودخلت الجامعة اليسوعية لدراسة اقتصاد على أساس إني ماركسية، وإن الماركسية أساس الاقتصاد، وبالفصل الثاني تزوجت، في سن 19، مش عن غرام تمامًا، بل لأسباب سياسية، لأنني اعتقدت إنه إذا تزوجت راح تكون عندي حرية أكثر للعمل النضالي بعيدًا عن رقابة الأهل، وأسئلتهم مثل "وين ضاهرة؟" أو "وين رايحة؟" وهكذا تزوجت رفيق معانا بالمنظمة حتى أعمل ثورتي.

وبعد الزواج، كنت بحاجة لكلية تعطيني مصاري مش أعطيها مصاري، لذا قدمت في امتحان كلية التربية، أدب فرنسي. ثم عملت الدكتوراه تبعي بالفرنسية عن ثلاث منظمات إسلامية، منها حركة التوحيد الإسلامي²، والجماعة الإسلامية³. بعد الدكتوراه بالسوريون، بلّشت أهتم أكتب عربي عن جد. ثم صار عندي فضول تجاه العربي، ونقص هذا الفضول عدة عوامل منها العمل السياسي، لأنني كنت بخلية بسموها "خلية الفرنش"، يخطوا بيان بالفرنساوي والعربي حتى يكون أمامنا باللغتين حتى نتعلم العربي. كان فيه صعوبة كثير بالاول إني أكتب عربي، بس حبيت أمتلك القدرة على كتابة العربي بدون تعلم قواعد اللغة، لحد هلا لا أعرف القواعد.

دخولي لمنظمة العمل الشيوعي غير مجرى حياتي، وبفضلها استفدت من التثقيف السياسي اللي كان عشوائي، وهذه العشوائية فتحت لي فسحة حرية لقراءة أشياء ثانية، فضلًا عن انفتاح وإمكانية النقد. وفي المنظمة أيضًا ضلوا يقولوا لي إن "أحسن رفيق هو الرفيق اللي عنده مبادرة"

1 حركة يسارته تأسست في العام 1970، وهي نتاج اندماج "منظمة الاشتراكيين اللبنانيين" مع "لبنان الاشتراكي". وبعض مبادئ حركة المومسن العرب. وكان أمين المنظمة محسن إبراهيم. خاضت ميليشيات "العمل الشيوعي" الحرب الأهلية اللبنانية. وارتبطت المنظمة مع الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.

2 تأسست في العام 1982.

3 الجماعة الإسلامية تأسست رسميًا في العام 1964، وافتتحت مركزًا في بيروت، وأصدرت مجلة "الشهاب"، وكان أمين الجماعة فتحي يكن، ومن ضمن مؤسسيها إبراهيم المصري ومحمد كريمة ومحمد درويش. وميل ذلك، كان مؤسسوها على صلات بجماعة الإخوان المسلمين.

وهذا عزز في روح المبادرة، وهكذا أسست مع مجموعة من النساء بقلب المنظمة شيء اسمه "التجمع النسائي الديمقراطي"⁴، وداد شخيرة صارت رئيسته. عملنا النظام الداخلي، والبرنامج، وصيرنا نعمل علاقات مع غيرنا من الكيانات المعنية بالمرأة.

الحدث اللي خلاني أفل من المنظمة هو اشتباكات زحلة، 1981. لقا بلس الحصار السوري لزحلة، بيان المنظمة حصل لهجة طائفية، وإحنا منظمة مش طائفية. طبعا كان فيه قبلها شوية إشكالات، وأشياء تراكمت، وأشياء كنا لا نحكي عنها مثل تجربة الاتحاد السوفييتي أو الستالينية. كانت فيه تصرفات جرت بالحرب الأهلية لم تعجبني، بس كلها كانت هيك تتراكم، لحد لما جاءت قصة زحلة، ضمدت كثير بالمنظمة.

لما فليت من المنظمة حسيت حالي كأنني ظهرت على البرية ما يعرف حدا لأن كل الحفلات كنا نعملها مع بعض، كنا مجتمع قائم بذاته. زوجي حذرنى: "راخ تعزلي، راخ تعيشي بعزلة اجتماعية كبيرة"، قلت له معلش، بس ما بقى بدّي أعمل شيء ضد قناعتني.

وفي 1982، بعد الاجتياح الإسرائيلي على طول، اختطف زوجي، صارت ملحمة حتى يرجعوه، دامت شهرين ويومين. ضعفت فيها، خسيت 15 كيلو، لأنني كنت عمّ برخص وراء أشخاص وأجهزة، وعملنا مظاهرة وقتها، وداد حلواني⁵ كانت معانا، دعينا بجامع عبد الناصر نساء للتظاهر من أجل المخطوفين. تفاجأت قد إيش فيه نسوان شاركت بالمظاهرة. كنا ماشيات بالمظاهرة، أنا ووداد وورانا صحفية من "السمير" اسمها زينب حسون، ونزل الخبر بالسمير، بس ليلتها جمّ عندي أمن الدولة، وهددوني بالسجن، إذا ضلني بعمل، لأن قالوا لي: "شفتنا صورك بالمظاهرة... وانتبهني على حالك". أخذت ابني وتخبيت عند خالتي. بعدها بعشرة أيام طلع زوجي. وعرفت إن كان عند الشق القواتي⁶ بأمن الدولة، بسبب انتمائه لمنظمة العمل الشيوعي، وزوجي

4 منظمة نسوية غير حكومية علمانية، مطلية، تعمل على دعم ومناصرة حقوق النساء والفتيات في لبنان. تأسس التجمع عام 1976 وهو من اقدم المنظمات النسوية القائمة على العمل التطوعي.

5 مناضلة نسوية دعت الى المساواة بين المرأة والرجل، وكذلك الى نقل المرأة اللبنانية حسيبها لزوجها وأولادها، وكانت من أنصار الزواج المدني بدلا من قوانين الأحوال الشخصية الطائفية. بدأت نشاطها في العمل النقابي (نقابة معلمي المدارس الخاصة)، وانظم في العمل السياسي من خلال منظمة العمل الشيوعي، ثم كرست مهامها لصالح قضايا المرأة حين ترأست التجمع النسائي الديمقراطي اللبناني.

6 يمكن قراءة شهادة وداد حلواني ضمن شهادات هذا الكتاب

7 نسبة الى القوات اللبنانية، وهي منظومة عسكرية أسسها بشير الجميل في 1976. لكي تكون الذراع العسكري للجهة اللبنانية التي ضمت احزابا وشخصيات محسوبة على اليمين، ذي الأغلبية المسيحية. وخاضت "القوات" معارك خلال الحرب الأهلية ضد ميليشيات الحركة الوطنية اللبنانية والمنظمات الفلسطينية.

كان معه واحد من الحزب الشيوعي اسمه يوسف مرتضى. بس طلع زوجي بشرط ما يرجع على لبنان، لذا راخ عند شقيقه بالكويت، وصرت امرأة لحالي.

وفي 1987 اختطف ابني، كان عمره 15 عامًا، راخ على موسكو برحلة سياحية، وتعرف على واحد اسمه حسن سلوم، عطف عليه ابني وأعطاه مصاري والبطو تبعه، وفيه صور جمعت ابني بسلوم، ولقا رجع من موسكو جاب لي الصور وقال لي: "هذا حسن سلوم، وهذا اعطيته البطو ومصاري". لكن حسن سلوم، طمع في ما هو أكثر من ذلك، وخطف ابني، واللي كشف الموضوع أن البنّت الشغالة اللي كانت عندي هي اللي قالت لي إنه "راخ مع هذا الصبي"، جابت الصور وأشارت إلى حسن سلوم.

زوجي، وقتها كان بالكويت، لقا عرف إن ابنا اختطف رجع على البلاد، وفي هذه الأثناء جاءني رسالة باسم منظمة "الرأي الانتحاري"، مع تسجيل صوتي لابني، يقول لي فيه: "ماما ما تقولي للبوليس، أنا خطفوني وبدهم 88 ألف دولار". واستعنت بأحد معارفنا، وكان عنده القدرة على إنقاذه، راخ بالدابة جابه من الضاحية.

بعدها قررنا نروح على الكويت، خاصة إن الخاطفين صاروا يجوا على بيتنا بدهم تكاليف عملية الخطف. وبقينا بالكويت لحد حرب الخليج الثانية.

ثم أسسنا تجمع اليانحات⁷ أنا وثلاثة؛ عزة شرارة بيضون، ولور مغيزل، وماري تيزير خير بدوي.

ملهي "أفتر إيت" المصري

وفي 1996، انغرمت بمصري، وانفصلت عن زوجي، ثم تزوجت المصري وعشت معه في لبنان حوالي أربع سنين. ثم وقفت تدرّس في 1999، وسافرت مصر، وعشت معه عشر سنين هناك.

وقتها كان بدّي أعمل شيء غير، وقد كان قررت كسب عيشي بالكتابة. وهذه شغلة كانت كثير صعبة عليّ، ومنهكة. لكن هلا صارت أكثر سلاسة بالنسبة إليّ، خصوصاً إنني علّمت حالي عربي. ولما صار مطلوب مني كتابة صفحة بملحق "تيارات" بجريدة الحياة، بقيت 15 يوم أكتب وأكتب، وبعدين تلقّنت واحد صديقي مصري، رسام كاركثير اسمه بهجت عثمان⁸، قلت له أنقذني، مش عمّ يعرف أكتب، سألني عن الفكرة اللي براسي، قلت له إنه كيف عمّ انتقل من المجال

8 أسس تجمع اليانحات اللبنانيات في 1992، مندى للحوار وللتبادل الحر للأفكار. ينشر كتاباً سنوياً "ياخات"، فضلاً عن تنظيمه لقاءات يهدف التجمع إلى تعزيز صلات اليانحات، ودعم أبحاثهن، وتشجيع الشابات في الاهتمام إلى ميادين البحوث الملائمة لهن.

9 رسام كاركثير مصري (1931-2001) له مؤلفات عدة مميزة منها: "الديكتاتورية للمستبدّين"، بهجتوس رئيس بهجانيا العظمى".

البحثي الأولاد يصي إلى المجال الصحفي، وليس أنا عملت هيك، قال ليّ إنني أكتب هذه الفكرة، وفعلًا كُتبتُها... وهكذا استمرت لعشر سنين بكتابة "تأمل حر"، ثلاث أرباع المادة كانت عن مصر، ومنها أخذت أهم مقالات في كتاب مصر ضد مصر¹⁰.

وخلال السنوات العشرة المصرية، تبلورت لبنائيتي، مثلًا فيه أشياء كثير ما حيتها بالمصريين، يعني قلة النظافة والأناقة والذوق والنشاط. لكن مصر كانت موضوع استكشاف، مثلًا عملت كتاب هو نتاج بحث ميداني، عن أوجه الحداثة اللي احتكوا فيها بعض الناس، وإذا غيّرت لهم حياتهم، وكيف حدث هذا التغيير، وطلع الكتاب عبارة عن 18 قصة أبطالها أفراد مختلفين، كل حدا منهم احتك بالحداثة إما عبر المهنة أو الجنس أو التعليم، وهكذا طلع كتاب "السياسة أقوى من الحداثة"¹¹.

ومثلًا ككتابة عندي ملاحظات على الكتابات النسوية، كثير مزعج بالنسبة لي شغلة إن النسوان تكتب عن النسوان، والرجال يكتبوا عن الرجال... برأيي الرجال لازم يهتموا بالكتابة عن النسوان، والنسوان لازم تهتم بالكتابة عن الرجال.

وبالنسبة للكتابة السياسية، كتبت مرات عن حزب الله، وكان عندي مواقف منه قبل حرب 2006، ودفعت الثمن غالي، خسرت كثير من الصداقات، مثلًا فيه صديقة قالت لي إنها حفاظًا على صداقتنا لا تقرأ لي أي شيء. أمي لأنها متعصبة كثير لحزب الله، كانت كثير مُستاءة مني، وكانت لما تيجي عندي على القاهرة نقضي كل الوقت خناق، بل تيرأت مني، كانوا يسألوها إذا تعرفي دلال البزري، تقول لهم: "لا، ما يعرفها".

وفي مصر أيضًا فتحت pub¹² مع زوجي، هو كان art dealer يعني يبيع لوحات، ولما انكمش السوق تبع اللوحات، قررنا نفتح هذا البب. مثلًا في رمضان، كنا نعمل سهرة رمضانية، لأنه ممنوع الكحول. وفي أول سهرة عملت شهرزاد، صرت اقرأ حكاياتها من كتاب، وفيه واحد عم يعزف على العود.

مرة حضرت حفلة لفرقة اسمها "وسط البلد"، وقُلت لزوجي هذه الفرقة راح تولّع "أفتر إيت" إذا جاءت عندنا. وهيك صار، ولّعت الدنيا، وبعدها صرنا نروح نكتشف فرق ونسمع لها، ونرجع نجيبها البب. قضيناها هيك حتى فليت

10 2009.

11 2003.

12 أفتر ايب، بار "ب" في وسط العاصمة المصرية القاهرة، يعود تاريخه للحمسينيات، لكن القرية اللي تعصدها دلال البزري، كانت حين قام زوجها بإجيره، وخلال تلك عرف بمقديم موسيقى كانت مميزة لقرية التسعينيات، انعام الحار المميزة لحنى سلامه، وشهد المكان بدايات فرق مستقلة مثل "وسط البلد". في 2016 أغلق البب.

من مصر، لأنني حسيت إنه مش هقدر أؤمن حالي، وبدي شغل. حوالي 2009 رجعت لبنان.

بشكل عام، ألاحظ أننا كعرب اختفينا ككيانات، مثلًا القضية الفلسطينية استلتمتها إيران وتركيا. والخلافات الداخلية بكل دولة في دول أخرى تديرها، طرف أو طرفين، صرنا مجتمعات عمّ تتمزق. ولبنان حالته هي الأخطر، وأرى أن المستقبل سيكون أسوأ، ما قدرة أكذب على حالي، لكن لبنان مولّع، وهو ساحة تلعب فيها كل الأطراف السياسية.

رباب الصدر: تجاهل حقوق الناس يجلب الفساد على البلاد

رباب الصدر، مواليد 1944، مديرة مؤسسات الإمام الصدر التي أسسها شقيقها الإمام موسى الصدر، وتولت هذه المسؤولية في سن مبكرة، 15 عامًا، وتعتبر عملها لتأهيل المرأة يخدم المرأة، بل يعزز كرامة الإنسان في لبنان.

وفي شهادتها، ترى أنّ هناك صراعات تديرها أطراف خارجية داخل لبنان، وهذه الصراعات المواطن اللبناني هو من يدفع حسابها.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلات جرت في 18 حزيران/يونيو، و30 تموز/يوليو، و6 أيلول/سبتمبر من العام 2020.

آل الصدر، ألف سنة في خدمة المجتمع والدين

بيننا من رجال الدين الكبار عالميًا. آل الصدر، ألف سنة في خدمة المجتمع والدين، لا فرق معهم وبين تكون الخدمة، في لبنان أو العراق أو إيران، مش مهم، المهم خدمة الإنسان ورفع الدين الصحيح. لكن شو كانت الحصيلة؟ مقتولين أو محبوسين أو مخطوفين أو مبعدين.

قضيت عمري بتأهيل المرأة كمديرة مؤسسات الإمام الصدر، التي أسسها شقيقي الإمام موسى الصدر، وتوليت مسؤوليتها بعد تغييبه في 1989، كان عمري وقتها 15 سنة، وكنت حامل بابني رائد. زوجي كان كثير داعم، يعتبر المرأة إنسان مثلها مثل الرجل، عليها مسؤوليات، تختلف عن مسؤوليات الرجل، هو حسين شرف الدين، حياته كلها تعليم وإدارة وكتابة وفكر وفلسفة وتاريخ.

بالستينات كان لي شرف توكيلي بما يتعلق بالبنات في مؤسسات الصدر، ومن وقتها لليوم صار عندنا 19 مؤسسة، كنت محظوظة إن بجاني السيد موسى الذي كان يوجهني ويعلمني، وكنا في نقاش دائمًا، مثلاً كان يقول لي: "دورنا إسعاد الإنسان، دورنا تأهيل المرأة، ما

بدّنا نعمل فحامة، بدّنا نحسن الإنسان، ونعلمه أن عنده كرامة. نقوله إن الله خلقك عندك كرامة، تقدر تكون من أطحى الناس".

استهداف

في الستينات، بلّشنا بتعليم عشر بنات الخياطة والأشغال اليدوية، كنت المعلمة والمديرة والمداينة والشوفير، المهم نمشي الشغل. ووقت بلّشنا بالجنوب كان وضع المرأة مختلف عن اليوم، أجواء محافظة، والمرأة بعيدة عن المجتمع، الآباء ما بيخلوا البنات تتعلم، كان عند الآباء خوف إن البنت تظهر من البيت. كنّا نروح على البيوت نقنعهم إنهم ما يخافوا على البنات. مثلاً يجي الأب لعندي ومعه بنته ويقول لي: "شوفي يا ست رباب إذا غلظت بنتي إنبت المسؤولة" أقول له أه، على رأسي أنا مسؤولة، ما يهكم. وبعد تعليم البنت، تشتغل وتنتج، يصير عند أهلها إيراد شهري، يبلّشوا يشوفوا التجربة، اللي يشتري الذهب، اللي يشتري أرض، اللي يشتري بالضيعة بيت، وبهذا الشكل لمسوا فائدة العلم. اليوم وضع الجنوب غير الستينات، الأمية صارت أقل، عدد الناس اللي قاعدة بلا شغل صار قليل، الحياة الاجتماعية تغيّرت. البنت صارت بيدها حرفة، صناعة، تشتغل، تنتج.

كنّا حريصين نختار مهن مناسبة للبيئة، مثلاً البنت المتعلمة حتى السادس ابتدائي نختار اللي يناسب؛ تزيين الحدائق وزراعة وتنسيق الأزهار، أو تزيين الشعر والميك أب. 85% من بناتنا تشتغل بمناطقهن، مش علمتهم عشان تيجي البنات على بيروت عشان تشتغل، علمتهن ليعمروا مناطقهن. والبنات خريجات الـ social worker بمؤسسات الصدر تشغلن قوات اليونيفيل، لأننا عملنا البرنامج وحطيت به لغة وكمبيوتر وبرمجة، وحطيت فيه القضايا الحياتية اللي لازم تتعلمها البنت وتعلم أهل الضيعة.

مثلاً وقت الحرب الأهلية، كنت عمّ أسوق بالشارع جم الفلسطينية في عربة جيب فاتوا فيّ إتقصّد حادث تصادم، قعدت على جنب، بعيد عن كرسي القيادة، فات باب السيارة ناحية عجلة القيادة لجوء، لو كنت فضلت قاعدة في كرسيّ كان فات فيّ. ما صار لي شيء، ونزلت وقلت له شو بيك؟ مفكر الدنيا كلها تحت إيدك؟ ورجعت السيارة الباب ما يفتح طبعاً، من اليمين ركبت، وسقت السيارة حظيتها بالبيت، أخذت سيارة صديقتي وما قعدت في البيت. وبعدها جمّ على البيت، سألوا الست اللي بتساعدني في البيت قالوا لها: "وين الست رباب؟ هي بالمستشفى؟" قالت لهم: "لا، هي ظهرت" فقالوا لها تبغني أنهم جبهة كذا [لم توضح اسم الجبهة]، "إحنا ضربناها، وعارفينها وهذه رسالة للسيد"، كانت رسالة للإمام الصدر لأنه كان

ضد التواطين، ويمنع كذلك مجيء مصاري من الدول العربية تحت اسم إسلام ومسيحية، لأنه كان يعرف إن هذه الحرب دمار، وكانوا يضغطوا عليه، فجُم صوبي. وقتها السيد قال لي: "لازم تغيبني" لذا روحنا على إيران، أنا مولودة هناك وبخكي فارسي منيح، وزوجي راح على معهد إسلامي، والأولاد دخلوا مدارس عربي، ودخلت مدرسة، وعملت بالوربا، ونجحت بدرجة عالية، واخذت شهادة. راقبت الأمور هون، بعث لي السيد موسى قال لي: "ارجعي". رجعتنا. وسجلت بالجامعة اللبنانية بقسم الفلسفة، بلشت بدراسة الفلسفة، وأنا عربيتي شوي يعني، لكن كان بدّي أكسر رأسي باللغة العربية. الفلسفة حياة، كأنك بتعيشي بين العقول، وكأنك ببساتين الأزهار المتعددة، كل ورد لونه شكل، ريحته شكل، شكله شكل، هيك الفلسفة، متعة. لكن لانا الأحزاب يقصدوني بالجامعة لأنها كانت تشتغل مع السيد موسى، وفي الآخر قعدت شوي، لأن ما عندي حماية، مثلاً بقيت عشر سنين حتى عملت ليسانس، وست سنين للماجستير، وتسع سنين عملت دكتوراه.

غياب الإمام

لما غاب الإمام الصدر، راح على ليبيا، وهناك كانت الكارثة.

3 شهور ما كان فيّ أعمل شيء، لا بحكي أو بأكل، انكسر كل شيء، فيه شيء اتمحى، طب هلا أنا عندي خيارين، إما الكفي [تكمل]، إما أوقف. أول الأمر مكنتش فيّ أي قدرة على التفكير. يومياً كنا نقعد ونجتمع نحلل الأخبار... ما عارفين إن الأمر أكبر منّا كلنا. وخلال الحديث حدا من الحضور حكى عن الأشغال كأنه بده يقسم الورثة، انتبهت لضرورة رجوعي على الشغل. قلت لنفسني إن هذا الشغل صلاة، اللي بيصير عنده مصيبة بترك الصلاة؟ بعدين الإمام الصدر هو اللي كلفك، عملت حوار مع نفسي، ونزلت، والحمد لله، الله وفق.

أعتبر حالي عمّ بشتغل بمكان على القليلة أحقق فيه شيء للناس، لأن كل شيء يأخذ من وقتك، إذا التهيت بقضايا المظاهرات مثلاً مش راح اشتغل بالخدمات الإنسانية، لأنها تاخذ كثير وقت، وهي أولوية. بل عندي غرام بها الشغل الحلو، عندي غرام بالشغل للإنسان، وخدمة الإنسان، عندي أمنية تعمير لبنان، الإنسان بلا وطن، بلا كرامة.

حقوق الأم اللبنانية

مثلاً الحركة النسائية بالبدايات كانت مفيدة، وأعطت ثمرة، وعملت إنجاز، حالياً فيه شغل على مسألة تجنيس أولاد اللبنانية، عمّ ينشغل عليها، وإن شاء الله بيصير، لكن بدها تطول لأن النظام اللبناني مش جريء باتخاذ القرارات

المفصلية، الحياتية، لدور الإنسان وحياته، ما عند هذا النظام الجرأة يأخذ قرار.

ولكن منيا إنه يكون حراك الحركة النسائية أكثر فاعلية، أي أكثر قدرة على الفعل، عبر تعاون المنظمات مع بعضها، ويقال الاختلاف. واعتبر أنّ الحركة النسائية بدها تشتغل للوطن، مع شغلها على قضايا وحقوق النساء، تقدر تشتغل على صعيد الطفل، الستات هن أمهات، يعني على دراية بالنواقص اللي بحية الطفل، لذا ممكن العمل على حقوق واحتياجات الطفل، أو الضمان الصحي أو المعالجة الصحية.

لأنّ الحقوق غائبة يحدث الغلط

مثلاً بلبنان بسبب تعددية الطوائف بنعيش تقريباً لنا علاقة بفرنسا والغرب أكثر من العرب، الثقافة الغربية موجودة عندنا بلبنان. أكيد الثقافة مش مضرّة، بالعكس إذا بناخذ قيم هذه الثقافة يمكن كانت أحوالنا تكون كثير منيحة. وفيه ناس لهم علاقة بدول برّ، هذه قاتلة لنا. ما فيه لبناني إلا يكون له علاقة مع شيء دولة، يا ابني، يا أختي، شو بدكم بحد؟ [يا لبناني/لبنانية] أنت قد الدنيا، ليس تكون منتمي/منتمية لحدا. حالة الارتباط مع دول خارج لبنان، كثيرة بلبنان، وهي مضرّة، وكثير تخرب. أحياناً فيه دولة تصفي حساباتها مع دولة أخرى بلبنان، دول تصفي حساباتها على حساب المواطن اللبناني.

ومن مصائب لبنان، إن حتى المظاهرات فربوها لنا، هذا الشيء تلقائي يقوم المواطن يقول "أخ"، حتى الأخ دي أخذوها منّا، كنت كثير بخاف إن الشباب يعملوا في حالهم شيء، والله العظيم. مثلاً الشباب الطاهر، من قلبهم وربهم طاهرين لير، بسلموا لي إن شاء الله، إذا كانوا بنات أو شباب، هما أولاد الوطن، هن الوطن. كانوا يستمروا، إذا استمروا وما غلطوا، كانوا اسقطوا الحكومة، واسقطوا الرئيس، واسقطوا الكل، بس ما كانوا غلطوا، والغلط لّما خرجوا عن الطلب الإنساني والشعبي، وكسروا. ها التكسير، ها المواجهات مع الجيش، كان غلط، المفروض كانوا يحكوا بالسياسة، ويحكوا بالحرمان، ويحكوا بالقضايا الاقتصادية، وحق المواطن، بس ما يخرجوا عن المألوف، أخذوا صورة كثير بشعة. لكن هو الإمام الصدر كان عمّ يقول للدولة، أعطوا حقوق الناس لهم، أمنوا حق الناس، ما بيصير فيه غلط، إذا ها المواطن حاصل على حقوقه، ما يغفل. لّما ما أمنوا [مسؤولو الدولة] حقوق الناس صار فيه فساد، وفلتت الأمور. ومثل ما قال ابن خلدون "جُم الغزاة" ¹.

1. نقصد مقوله عبد الرحمن بن خلدون "إن الحكام الطغاة يظلمون الغزاة".

عايدة نصر الله: قضايا المرأة غير معزولة عن السياسة

عايدة نصر الله، مواليد 1948، حصلت على ليسانس الآداب من الجامعة اللبنانية 1973، وعملت أستاذة في التعليم الثانوي الرسمي من العام 1974. ثم قادتها الصدفة إلى النضال من أجل حقوق المرأة، حين سمعت لأول مرة ليندا مطر، والتحقّت بلجنة حقوق المرأة اللبنانية، حتى صارت نائبة الرئيسة لمدة 12 سنة.

في هذه الشهادة، تعتبر أنّ العمل على قضايا المرأة لا يمكن أن يكون بمعزل عن السياسة والقضايا الوطنية.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 29 تشرين الأول/أكتوبر 2020.

تربية متسامحة

أول شخص تأثرت فيه هو البابا. كانت القضية الفلسطينية همه، وهو شاعر فصيح كتب قصيدة وبعث إياها للملك فيصل لما قطع النفط عن إسرائيل بشأن القضية الفلسطينية [لضغط على الدول الغربية المُساندة لإسرائيل]، والملك بعث له. ربيت على الوطنية، وإن هذه المنطقة العربية مفترض تكون وحدة متكاملة لأنها مهددة بنفس الخطار.

البابا كان مش مرتبط بأي حزب، مثلاً سألته مرة ليش ما يصير فيه إمكانية نتزوج من طوائف مختلفة، وجوابه بالكامل كان "أنا ما بشوف فرق بين الطوائف والأديان، برأيي هذه الأديان ما هياش إلا مصطلحين اجتماعيين، الأنبياء مصطلحين اجتماعيين جَم بوقت من الأوقات، الناس ما بتفهم بالمنطق حتى يقتنعوا بالجد والصح ليعمل المجتمع هكذا، فما كان فيه سبيل لإقناع الناس إلا بالأمور الفوقية وشغلات العجائب، جاءت الكلمة العجيبة، فالناس مش بيقنعوا غير بهذا، يكون ما الشخص يعمل عجيبة ما يَأثر فيهن، لأنهم بعد ما عندهن المنطق اللي بقوله

1 أعلى الملك السعودي، فيصل بن عبد العزيز، وقف تصدير النفط للولايات المتحدة الأميركية وهولندا وبعض الدول العربية المساندة لإسرائيل في 18 أكتوبر/تشرين الأول 1973، وذلك دعماً لخروج القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة. وبرام مع ذلك اتفاق أعضاء أولئك، حيث بعد السعودية أبرز دول المنظمة المصدرة للنفط، لرفع الأسعار العالمية.

وياكم". وقال بابا لي بالنهاية "بالنسبة لي هيك الأديان من إبراهيم الخليل إلى موسى، إلى السيد المسيح، إلى النبي محمد... وبالتالي أنا ما عندي مشكلة، بس المشكلة إنك عايشة بمجتمع إذا بدك تتزوجي من غير دينك ما راح تعيشي"... هذا الكلام سمعته يس من بابا، ومعها أشياء مثلاًها، هي اللي خلقتني.

من عمر 17 سنة انخرطت بالحركة النضالية الوطنية، بمعنى مطالب الفقراء والعمال، كنت موجودة في أي مظاهرة ضد موقف سياسي يهدد لبنان والمنطقة العربية.

بفترة السبعينات درست بالجامعة اللبنانية اللغة العربية وآدابها، النقاش على كل طاولات كافتيريا الجامعة، نقاش تفرضه الأحداث اللي عمّ تدور هذه الفترة، وكان على مستوى كثير كبير من الأهمية. كان أهم شيء بالنسبة لي المنطق العقلي الإنساني الذي يقودني لمسيرة حياتي السياسية والوطنية وكمان بالنسبة للمرأة، لأن فيه منطق إنساني حقيقي هو اللي قادني ووجهني لأكون أنا حالياً.

وبالصدفة كانت ليندا مطر² عمّ تعمل محاضرة عن المرأة والقضايا الوطنية، وتسنن لي سماعها، وبعدين اتعرفت عليها، وانخرطت في الشغل معها بلجنة حقوق المرأة اللبنانية³، وشاركت في دراسات حول المرأة العاملة بالقطاع الصناعي، والمرأة العاملة بالقطاع الزراعي، بالتنسيق مع وزارة التربية اعتقد، وكانت أول دراسات حول هذه الأمور بلبنان، كنّا عمّ نشوف وضع العاملة والتمييز بينها وبين الرجل في القطاعين. وقبلها، من 1974 عملت أستاذة بالتعليم الثانوي الرسمي.

آمال الخلاص من الطائفية

قبل اندلاع الحرب الأهلية، ومع انطلاق ثورة المخيمات الفلسطينية كان فيه فريق بين اللبنانيين عمّ يقول إنها فرصة لتكوين وطن ديمقراطي لا طائفي، لأن "المارونية السياسية" كانت مسيطرة على كل مفاصل الدولة، وهذا الفريق قال إن السيطرة المارونية مش المفروض نضل وطلعت وثيقة الحركة الوطنية اللبنانية⁴، اللي نادى باعتماد نظام انتخابات غير طائفي، وحظّت هذه الوثيقة قواعد

2 تعرف ليندا مطر بعميده المناضلات اللبنانيات، انخرطت منذ خمسينيات القرن الماضي في العمل النسائي والنضال من أجل حقوق المرأة، التحقت بلجنة حقوق المرأة اللبنانية ثم برأسها في النصف الثاني من السبعينات. وشاركت في تأسيس الهيئة اللبنانية المناهضة للعنف ضد المرأة، وانتخب رئيسة للمجلس النسائي في 1996.

3 لجنة حقوق المرأة: منظمة نسائية ديمقراطية تأسست عام 1947.

4 تشكلت الحركة في أواخر الستينيات، برئاسة كمال جنبلاط، وبشكل فعلي في 1973 وضمت أحزاباً عدة منها: "السيوعي اللبناني" و"التقدمي الاشتراكي" و"السوري القومي الاجتماعي"، ونادت بالعديد من الإصلاحات السياسية، وكانت متحالفة مع منظمة التحرير الفلسطينية ضد الجبهة اللبنانية البمينية، وهذا التحالف استمر خلال فترة الحرب.

15 شاب وشابة، كلهم تحت 23 سنة ليشكلوا هن العمود الذي يجمع الناس الذي يدهن قانون مدني للأحوال الشخصية، ونعمل تغيير للبلد كله من كل الجامعات.. نجحت التجربة جدًا بالبداية، ثم جاءت ظروف سياسية ووطنية وقفت هذا الشغل.

لا مقرّ من السياسة

مثلاً لاحظت مؤخرًا إن غالبية شغل الحركة النسائية الشابة على قضايا المرأة دون اشتباك مع السياسة، علمًا إن المفترض تكون هذه الحركة منخرطة بالحركة الثورية والحالة الثورية العامة. ولكن بعض الجمعيات فُشِطَ عليها الممول ما تشغل سياسة. وغير الخضوع لمشئنة الممول، فيه ناس كمان يقولوا لك خيلنا في قضية المرأة بس بلا وجع رأس، خيلنا في هذه القصة بس، لكن ما فيه فصل، بل من أول ما تأسست لجنة حقوق المرأة بميثاقها الأساسي كانت قضية المرأة هي جزء من القضية الوطنية العامة، ولجنة حقوق المرأة منظمة ديمقراطية جماهيرية تسعى للمساواة والعدالة بين المرأة والرجل في المدينة وفي الريف، وتدافع عن استقلال لبنان وسيادته.

مثلاً فيه جهة مؤلّت مشروع حول الزواج المبكر، وهذه الجهة كان كل همها النازحات السوريات، لم تهتم الجهة إننا نحكي على الزواج المبكر، بل كانت الشغلة الرئيسية إن فيه نازحات، يعني لم تهتم هذه الجهة إن فيه لبنانيات تتزوج الواحدة منهن وهي صغيرة. بل يهمنها "النازحة" لأن النزوح السوري يهدد أوروبا والغرب، وكل همّ الجهة أن النازحات والنازحين يضلوا بمحلهم. عشان هيك بقول قضية المرأة غير منفصلة عن القضايا السياسية والوطنية العامة، وهذا أكبر مثل.

تراكم ما قبل شرارة الواتسآب

على الصعيد السياسي، أعتبر أن الانتفاضة هي عملية مستمرة ما كان لها تاريخ ميلاد، مش خلقت بـ17 تشرين، بل ما فيه تاريخ ميلاد محدد، وهي نتاج فترة زمنية تراكمية بلّشت من وقت مطالبة الناس والطلاب والأساتذة والنساء بكل هذه القضايا التي تطالب بها الثورة. مثلاً في 2003 مشينا في تظاهرة تنادي بقانون مدني للأحوال الشخصية. وكل هذا التراكم مستمر، وأثمر سنة 2015 قصة النفابات، وبعدين صار فيه تراكم أكثر جاءت قصة What's App كانت الكبريتة التي ولعت "17 تشرين"، فكل هذا التراكم هو نقطة البداية، ما في نقطة واحدة للبداية.. هي مفصل من المقاضيل، محطة من المحطات.

لوطن ديمقراطي، حتى نخلص من الهيمنة الطائفية، مش مع طائفة ضد طائفة، وطرحنا قانون مدني للأحوال الشخصية، وأعجبت بهذا الطرح، وكنت وين روحت بحكي فيه، وتحمسنا لتحقيق هذه الطموحات حتى لا تكون فيه فئة حاسدة بالقهر، وفئة أخرى مسيطرة. ثم وقعت الحرب، واضطرينا نترك بيتنا بعين الرمانة، وهرينا على الشوف، والتحقنا بتأنوية بعقلين الرسمية، لأن الدولة قالت لنا نلتحق بأقرب ثانوية للسكن، لأن الناس انفرطت بسبب الحرب. وصرت بفترة قصيرة مسؤولة باللجنة الثقافية بين منطقة الشوف وقرع لجنة حقوق المرأة الوطنية الرئيسي ببيروت. وبعدين صرت مسؤولة محافظ جبل لبنان بلجنة حقوق المرأة، وتنسق بين كل الفروع.

وفي أعقاب الاجتياح الإسرائيلي، حركت كل الجمعيات النسائية، وكانت تسع جمعيات، ضد الحواجز التي تمنع المواطنين والمرضى من الوصول للمستشفيات ومن الانتقال من منطقة لأخرى في الجبل، وضد الاحتلال الإسرائيلي، وكانت الحواجز طائفية، وإسرائيلية. وأول بيان كُتب ضد الاحتلال أنا الذي كتبته باسم هذه الجمعيات لأنني كنت صاحبة الاقتراح. كنّا نجتمع بمستشفى في عاليه، وفتحنا قاعة للنساء، وكنّا نجتمع ونأخذ قرارات، وعملنا مع بعضنا اعتصام كبير بسرايا عاليه، بقيت أربع أيام بحكي على الميكروفون ضد الإسرائيلية والحواجز، من أجل الوحدة الوطنية، والطائفية، والابتعاد عن الأمور المطروحة التي كانت بعيدة جدًا عن الحس الوطني الحقيقي اللبناني. ونجحتنا وصارت الستات تأتي مع إن الطرقات مقطوعة، تسمع فينا وتلتحق فينا، أول يوم كان فيه 500 ست قدام السرايا.

صرت عندي مركز كبير كبير بلجنة حقوق المرأة، وكانت اللجنة تعنني على مؤتمرات عالمية هامة جدًا بالسبعينات والثمانينات، روحت ألمانيا قبل ما تتوحد، كنّا عمّ نشوف النساء كيف عايشات، وكيف فيه إمكانية لتبادل الخبرات معهن، وما فيه منطقة بالعالم ما حضرت فيها مؤتمرات. لمان أنشأت لجنة حقوق المرأة وحلفاؤها ما يسمى بـ"هيئة دعم القانون المدني للأحوال الشخصية" في 1998، وكنت مُنسقة هذه الهيئة، وبومها كنّا طارحين القانون المدني كمسار اختياري. هلا لازم يكون إلزامي.

مثلاً عملنا [مشروع] قانون مدني، لما كنّا منسقة هيئة القانون المدني للأحوال الشخصية، وعملنا سمنار طلابي من الجامعات الأساسية بلبنان، 5 و6 أ جامعات أساسية، وجبت بنتي معي السمنار الطلابي، وعملنا مجموعة من

5 بمقد الرواية حوار نتحكم فيها الاطراف المضارعة، لأن ذلك جرى خلف الحرب الأهلية اللبنانية التي اندلعت في العام 1975.

عزة شرارة ييـضون: تـهـميشنا في المجالات العامة لم يكن إلا نتيجة التمييز

عزة شرارة ييـضون، مواليد 1944، نالت بكالوريوس العلوم من الجامعة الأميركية وعملت مدرّسة رياضيات في التعليم الثانوي الرسمي مدة 28 سنة، درست خلالها اختصاص علم النفس. نالت شهادة الدكتوراه في علم النفس الاجتماعي في العام 1996 وانتقلت في السنة ذاتها، إلى التعليم الجامعي والبحث الأكاديمي-الجامعة اللبنانية. تركّزت معظم أبحاثها في حقل دراسات المرأة والجنـدر، وكانت ناشطة/باحثة في منظمات المجتمع المدني، فرافقت، بحثًا وكتابة، نضال الحركة النسوية في مسارها منذ التسعينيات وحتى يومنا هذا. عملت في "الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية"، وأسهمت، في إطار لجانها، في إصدار معظم تقارير سידاو الرسمية.

نالت شهادة "التميـز العلمي" من "المركز الوطني (اللبناني) للأبحاث العلمية" لنتاجها البحثي في حقل دراسات المرأة والجنـدر للسنوات العشر 2001-2011.

الشهادة التي تلي مقطوعة من مقابلة جرت في 30 تشرين الأول/أكتوبر 2020، وفيها تتحدث عزة عن محطات من حياتها في بيتها الأسرية والمدرسية، وعن نتاجها الأكاديمي ونشاطها السياسي والنسوي، وعن تقلبات اتجاهاتها حيال الأحداث التي حفلت، ولا تزال تحفل، بها مجتمعاتنا العربية.

النشأة والدراسة

نشأت في أسرة لا تميـز ضدّ النساء؛ أمي وأخواتها وأخوات أبي متعلّـمات وبعضهنّ عملن مدرّسات؛ وكلهن اخترن أزواجهنّ بأنفسهنّ، وكانت خياراتهنّ مخالفة أحياناً لرأي أهاليهنّ. بل إنّ أمي بادرت إلى طلاق أبي بالرغم من أنّ المحكمة الجعفرية التي عقدت قرانهما تعارض بشدّة مبادرة المرأة إلى الطلاق. لم أشعر بأنّ نساء عائلتي كنّ أقلّ شأنًا من رجالها، فكان التماهي بهنّ تلقائيًا. لم أختبر التمييز في تنشئتي باستثناء

ما كان يطلب مني من أعمال بيتية لا تطلب من أخي. بدا لي أنّ ذلك التمييز ناجم عن عجز الذكور عن القيام بذواتهم، وأنهم قاصرون ومحتاجون لعنايتنا. في المدارس المختلطة التي ارتدتها، كان تفوّقي الدراسي مانعًا لتهميش أو تمييز محتمل، لكن التحرش في الطريق إلى المدرسة بدا لي مدفوعًا بكوني أنثى، ولو كنت ذكرًا لما اختبرت إزعاجاته، ولا شعرت بذنب لم أقترفه. التحرش الذي نتعرّض له في المجالات العامة يدفع بأهلنا إلى الحد من حرية حركتنا، فتواطأ معهم حين نرضى بالتمييز بيننا وبين إخوتنا الصبيان في هذا المجال. لدى "خوضي معترك الحياة" لمسّت ولاحظت التمييز والعنف ضد النساء وأدركت أنّ تهميشنا في المجالات العامة لم يكن إلا نتيجة ذلك التمييز.

نشأت في صيدا مع عائلة جدتي لأمي الأرملة إثر طلاق والديّ الذي حصل وأنا في سن الثالثة أو بعد ذلك بقليل. سكنت عائلة جدتي في حيّ مختلط طائفيًا، كما كانت عليه أحوال المدن الساحلية اللبنانية قبل حروبنا الأهلية. كانت جدتي مدرّسة لسنوات عديدة في مدارس للبنات أيام الدولة العثمانية، وكان القرآن من ضمن المنهج الذي تدرّسه. لكن الدين وطوقسه وإملاءاته (الحجاب مثلاً) لم تكن من انشغالات أسرتها، إذ ترك قرار الصلاة والصوم لرغبة أولادها فيها. كانت تقرأ لنا بعض سور القرآن وتحكي لنا سير الأنبياء، وهي من تنهني إلى ظرفية تعدّد الزوجات في الإسلام، ولم تنهرني حين احتجّت على حكم الله الذي فضّل هابيل على قابيل، أو حين عبّرت عن امتعاضني حين أقر الله إبراهيم التضحية بابنه. حسبت جدتي المغالاة في طقوس عاشورا، شططا ليست من الإسلام، ولم يكن للإمام علي ولا لأبنائه وزوجته مكانة تضاهي مكانة النبي، فبدا لي أنّ الخلاف بين المذهبتين السنّي والشيوعي سياسي، لا يعنيني. وفي كلّ الأحوال، لم أشعر يومًا تفضيلًا من أهلي لدينا أو لمذهبنا الشيعي، على أي دين أو مذهب آخر. وكان جيراننا في الحي من كل الطوائف، من بعض زائرينا الثلاثة الأول من كل شهر - "يوم الاستقبال" المخصّص للزوار بين الأهل والحيـران في بيتنا. إلى ذلك، تزوّجت إحدى خالاتي من شخص من المذهب السنّي وكذلك كان زوج أمي (زواجها الثاني)، لكن خالتي الصغرى منعت من زواج حبيبها البروتستانتي- جاراها، وبقيت عازبة دائمة. الجدير ذكره أنّ سبعة (ست نساء ورجل) من أحفاد جدتي الثمانية عشر، تزوّجوا من مسيحيين وخمسة منهم تزوّجوا من مذهب مغاير لمذهب آبائهم.

في سن الثانية عشرة انتقلت بعيدًا عن محيطي العائلي إلى مدرسة داخلية حيث التقيت بتلاميذ وأساتذة من بلدان عربية مشرقية (سوريا والعراق واليمن والسعودية وفلسطين) وأجنبية (إيران وتركيا وإنكلترا والولايات المتحدة...). كان ذلك انفتاحًا على عوالم أحدثت فيّ فضولاً، وخففت من خيلاء

يتصف بها من ينحصر عيشه في دائرة مغلقة من الجماعة المتجانسة الأشخاص جندرياً وطائفيًا وجهويًا. ولعلّ ما عزز وعيي بفجاجة التمييز الجندري وقساوته كان حين "وبّخ" مدير مدرستي الجديدة صبيان صفّي (المتوسّط الثاني) لأنّ علاماتهم في مادة الرياضيات كانت أقل من علامات "بنت" (أنا). لم يعجبني ذلك، بالطبع؛ لم أكن مهتمة بإثارة غيرتهم من اجتهادي، بقدر نيل إعجابهم بي كأُنثى!

وعيي السياسي

في سنين مراهقتي كنتُ وجارتي إقبال الفلسطينية نتابع بحماسة الإنجازات الناصرية من تأميم قناة السويس والوحدة السورية المصرية وإنشاء السد العالي. كانت المجلات المصرية -صباح الخير وروز اليوسف والمصور- مصدر معلوماتنا؛ وطبعًا تأثرنا كثيرًا لدى انفصال الوحدة بين سوريا ومصر. لكن الصدمة التي أحدثت انعطافًا كبيرًا في مسار وعيي السياسي كانت حرب 67. كنا ورفيقاتي/زميلاتي في التعليم نجتمع لنناقش مقالات هيكُل في محاولة لمتابعة ما يجري وما سيجري. لكن حماستنا ما لبثت أن تحولت إلى رغبة في الفعل والتأثير فعمدنا، بعد محاولات اللقاء مع مجموعات سياسية مختلفة، إلى الانتماء إلى إطار حزبي هو مجموعة "لبنان الاشتراكي". بعد انتمائنا بقليل، اندمجت هذه المجموعة مع منظمات أخرى لتشكل معًا "منظمة العمل الشيوعي". كان نشاطنا -نحن المدرسين والمدرسات- السياسي/الحزبي تثقيفيًا في القطاع الطلابي، أساسًا. لكننا شاركنا أيضًا في التظاهرات السياسية والمطلبية، وأصدرنا نشرة طلابية لتواكب الحركة الطلابية في نشاطاتها المطلبية. كُتبنا في مجلة الحرية لسان حال "المنظمة" بأسماء مستعارة لأنّ موظفي القطاع الرسمي كانوا ممنوعين من النشاط السياسي الحزبي. عشرات من رفاقنا فصلوا من وظائفهم بسبب نشاطهم الحزبي، لكن ما لبثوا أن استعادوها بتدخل زعمائهم المحليين!

أنشأنا لجنة نسائية في "المنظمة" غلب على نشاطها قراءة أدبيات نسوية أجنبية أساسًا ونقاشها، لكننا بحثنا، أيضًا، إمكانية طرح قضايا نسائية محلية. كان ذلك أوائل السبعينيات وكان مرافقًا لصعود حركة تحرر المرأة وانتشار أفكارها في أصقاع العالم. لا زلتُ أحتفظ بنشرات باللغة الإنكليزية وصلتنا بالبريد أو جلبتها لنا صديقات مهاجرات إلى الولايات المتحدة وبريطانيا لدى زيارتهنّ لبنان. في الوقت نفسه، تعرّفنا إلى أعلام نسوية أميركية وفرنسية وقرأنا بعض ما كتبه الكاتبات كيت ميليت وجيرمين غريير وشولاميت فايرستون وبيتي فريدان وغيرهنّ. كان ذلك بمساعدة من فواز طرابلسي وزوجته آنذاك

الفنانة التشكيلية ماري كيللي. انتدب فواز من جانب المكتب السياسي ليرافق اللجنة المذكورة في بعض اجتماعاتها ليخفف (ربما؟) من شطط نسوي محتمل. الجدير ذكره أنّ نسويّتي اتخذت تعبيراتها الأولى في "المنظمة" في إطار هذه اللجنة تحديدًا. ومن ذلك أنني نشرتُ مقالين في الحرية، تناول الأول أوضاع الطالبات اللبنانيات والتمييز ضدّهنّ في التعليم، وتناول الثاني الخلفية الجندرية لانتخاب ملكات الجمال. كان ذلك إثر انتخاب جورجينا رزق ملكة جمال الكون. وشاعت بين الرفاق النكتة (أضحكتنا جميعًا) بأنّ كاتبة المقال لا بد "مُتّارة" وتحسد الملكة على جمالها! وفي "المنظمة" نفسها اختبرتُ، لدى فصلي "التعسّفي"؟ منها، أنّ النشاط اليساري لا يتضمّن، بالضرورة، الوعي النسوي سواء لدى النساء، أو لدى للرجال.

العنف وعتبة تحمّله

إنّ اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية في العام 75، تطوّعت مع بعض الرفيقات للعمل مع نساء "الاتحاد النسائي الفلسطيني" في أحد المستشفيات. انتهت، خلال تطوعي، إلى انخفاض عتبة تحملي للعنف وآثاره على أجساد الناس، جرحى وقتلى. كانت مشاهداتي لما يحدثه العنف على أجساد الناس اختيارًا ملموسًا لخطأ آتالي ورعونته حين كنتُ أردد ما دعوناه في خطابنا بـ "العنف الثوري". إذا كان العنف ضروريًا لإرساء العدالة الاجتماعية، ومن ثمّ إرساء أسس الاشتراكية والشيوعية، فأنا لسْتُ قابلة بهذه الوسيلة لذلك الهدف. اعتقد أنّ موقفني هذا تضافر مع أومومتي الحديثة التي جعلتني أُنبتُ قيمًا واتجاهات متناسبة مع أدوارى الجديدة. انسحبتُ من النشاط السياسي تمامًا، والتزمْتُ البيت وانشغلتُ بتدبير شؤون حياتنا وإيرباكاتنا المستجدة بفعل الحرب الأهلية من تأمين المياه والطاقة والبحث عن المواد الغذائية المخفية ومتابعة الأخبار لاتخاذ التدابير اللازمة من جلب الأولاد من المدرسة فور وقوع حادث أمني ما... إلى ما هنالك. في سنوات الحرب الأهلية عشتُ اختيارًا بالعجز الكامل عن التأثير على مجريات الأمور.

من الرياضيات إلى علم النفس

غيمت الحرب الأهلية على تخريب مرافق كثيرة من الدولة اللبنانية التي كان عودها قد اشتدّ في فترة الرئيس فؤاد شهاب. ومن ذلك، أن تدهورت أحوال التعليم الرسمي بعد تألّق خبرناه -نحن المدرسين والمدرسات- في تفوّق نتائج طلابنا وطلباتنا في الامتحانات الرسمية العامة، كما في هجرة التلامذة من المدارس والجامعات الخاصة إلى المدارس الرسمية والجامعة اللبنانية. مع التدهور المذكور، لم بعد التدريس في المدارس الرسمية ممتغًا. كان ذلك دافعًا لي

1 محمد حسين هيكُل، رئيس تحرير ومجلس إدارة مؤسسة الأهرام الصحفية الحكومية المصرية، وكان يكتب مقالًا أسبوعيًا في جريدة الأهرام أسبوعية جريدة تلك المؤسسة اليومية - الأهرام - المعنونة بـ "بصراحة".

2 إشارة إلى حادثة فصلي التي حصلت دون أخذ رأيي أو معرفة مومفي الساسي؛ وذلك إثر فصل زوجي من المنظمة لاسباب سياسية.

تأسيس "تجمّع الباحثات اللبنانيات"

في أواخر الثمانينيات، دلال البرزي ومارلين نصر⁵ تفتاني إلى البدء بتشكيل لقاء يهدف إلى جمع نساء من غرب بيروت يعملن في البحث لأجل التبادل والنقاش الذي يفتقدته في الأطر الأكاديمية التي ينتمين إليها. هذا اللقاء اجتمع في أوائل التسعينيات مع لقاء آخر جُمع باحثات من شرق بيروت ليُشكّل معاً "تجمّع الباحثات اللبنانيات" الذي اتخذ شكلاً رسمياً⁶ منظمة غير حكومية؛ كان ذلك بدعم مالي من مؤسسة فور-القااهرة، الأموال التي قدّمتها المؤسسة إلى "التجمّع" استُخدمت لدعم بضعة أبحاث نفذتها العضوات ونشرها "التجمّع"، كما سمحت بإصدار أعداد عدّة من دورية- دعوانها باحثات. وقد جهدنا لجعل هيكليّة "التجمّع" غير هرمية. وبالعكس ما كان شائعاً، جعلنا ولاية الهيئة التنسيقية (المؤلفة بالإقتراع وإدارة شؤون "التجمّع" والتنسيق بين العضوات ولجانها) لا تتجاوز السنتين. نشاطات "التجمّع" اشتملت على لقاءات منفحة للجمهور أو داخلية، فسات أردناها ودودة للباحثات والباحثين يجري فيها نقاش إصدارات "التجمّع"، من جهة، وأبحاث باحثات وباحثين، من "التجمّع" أو من خارجه، منجزة أو قيد الإعداد من جهة أخرى. وشاركنا، وما زلنا نشارك، في فعاليات عامة بصفة فردية، أو تمثيلاً لـ "التجمّع". من ذلك، مثلاً، مشاركة عضوات عدّة منا في التحضير لمؤتمر بيجين⁷ في ملتقيات عمان والقااهرة ونيويورك في العام 1995، أو التحضير، مثلاً، لمؤتمر حول "مراكز الدراسات والأبحاث الجندرية في العالم العربي" بالتشارك مع مؤسسة "أصفرى"- الجامعة الأميركية في بيروت 2019⁸ في السنوات الأخيرة تسلّمت الباحثات الشبابات في "التجمّع" إدارة شؤونهن وتطويرهن ليستجيبن لرغباتهن وحاجاتهن البحثية. هو أمر نراه، نحن العضوات الأقدم انتساباً إليه، سويّاً وضرورياً لاستدامة فكرة "التجمّع" واستمراره.

الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية

غيّبت في "الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية" في أوائل هذا القرن أو قبله بقليل. هي هيئة وطنية تضم أعضاء من مؤسسات الدولة ومن المجتمع المدني في آن معاً. أعضاؤها نساء (وبضعة رجال أيضاً) متطوعات يعيّنهن رئيس الوزراء

لدراسة اختصاص آخر- علم النفس- طالما كان يثير اهتمامي ويغذّي قراءاتي الخاصة. انتسبت إلى الجامعة اللبنانية لاتباع فيها دراسة التخصص الجديد التي امتدّت على سبع عشرة سنة، بدلاً من اثنتي عشرة! كان ذلك بسبب تنامي "الحوادث الأمنية" ونزوحنا من بيتنا البيروتية أكثر من عشر مرّات، كان أفساسها نزوحنا إلى بلدتنا الحدودية بنت جبيل إثر اجتياح إسرائيل للبنان في العام 1982.

رسالة الماجستير (الهوية النسائية الجديدة، 1988) كانت في حقل علم نفس الجندر، حاولت فيها إثبات شيوع هوية جندرية نسائية غير منمّطة، تتجاوز في رؤيتها ذاتها المنمّط الأنثوي، وتعزو لذاتها سمات الأنوثة وسمات الذكورة المرغوبتين اجتماعياً، معاً؛ وأنّ هذا العزو، وذلك التجاوز يترافقان، وبالعكس ادعاء علم النفس والتحليل النفسي، مع صحة نفسية أوفر واتجاهات أكثر دعماً لقضايا النساء؛ وذلك بالمقارنة مع أحوال النساء المنمّطات اللواتي ينسبن لذواتهنّ سمات الأنوثة ويستبعدن عنها سمات الذكورة⁹.

بعد توقّف الأعمال الحربية عندنا، باشرت مسار الدكتوراه. تناولت أطروحتي "صحة النساء النفسية" من منظور المعنيين بهذه الصحة: المهنيين النفسيين من أطباء ومحللين ومعالجين ومرشدين نفسيين، من جهة، ورجال الدين/المرشدين والمرشدات الدينيين من جهة أخرى. هذه الفئة الثانية شملتها في دراستي الميدانية إثر استطلاع أولي وجدّث خلاله أنّها تشكّل مرجعاً لنساء من كل الطبقات والطوائف اللبنانية؛ وأنّ هؤلاء النساء يلتمسن عنايتها لأجل التخفّف من ضائقتهنّ النفسية؛ طلبت من أصحاب هاتين الفئتين، إذا، الكلام على اختباراتهم وأفكارهم واتجاهاتهم حول صحة النساء النفسية في مسار تبادلاتهم العلاجية مع النساء اللواتي يلتمسن مساعدتهم. ومن النتائج التي حصلتها كانت التّفاوت في مفهوم الصحة النفسية: ينحو المهنيون إلى النساء لتجاوز أنوثتهنّ التي جرت تنشئتهنّ عليها، وتبيّن سمات ذكرية تسمح لهنّ بالتعامل مع العالم الراهن وتطلّباته، فيما ينحو المرشدون الدينيون لوعظهنّ "اللتزام بأدوارهنّ الأنثوية التي فطرن عليها". خلصت إلى وجوب أن تجعل الحركة النسائية "صحة النساء النفسية" من بعض انشغالاتها للتعبير عن رغبة النساء وحاجاتهنّ، بدل تحويل المهنيين أو رجال الدين تحديدها؛ وهو ما بدأ يتحقّق حالياً في مواقع مختلفة- المنظمات النسوية غير الحكومية أساساً، وفي كتابات باحثات نسويات عندنا.

3. قمت بتبني نتائج دراسي هذه في كتابي الرجلوه وبغير أحوال النساء، بيروت: المركز النقابي العربي، 2007 الحائز جائزة "منظمة المرأة العربية" للعلوم الاجتماعية، للعام 2007.

4. نلت منحة من "مباراه البحوث للشرق الأوسط"-مورد فاونداتشن القااهرة ما مكّنني من بعض الفرغ لادّباها. نشرت أطروحتي في كتاب بعنوان صحة النساء النفسية بين أهل العلم وأهل الدين، بيروت: دار الجديد، 1998.

5. هما أستاذتان وباحثتان أكاديميتان من لبنان.

6. جاء في العلم والخبر الذي أصبح "التجمع" بموجبه رسمياً، أن مؤسسات الجمعية/ "التجمع" هن: الراحلة لور مغيزل، عزة شراره بضيون، دلال البرزي وماري تيريز خير بدوي. لم يبق من المؤسسات هؤلاء سوى عزة شرارة بضيون (كاتبه هذه السطور) عضوه فيه.

7. عُقد المؤتمر العالمي الرابع للمرأة برعاية الأمم المتحدة في العاصمة الصينية بكين في 1995. شاركت الوفود العربية الحكومية وغير الحكومية في التحضير له في مندوبات عدة عقدت في بعض العواصم العربية.

8. هذان مثلاً عن بعض مشاركتي شخصياً في فعاليات خارج "التجمع". يمكن رصد أخرى كثيرة على موقع "التجمع" الإلكتروني.

الحركة النسائية وانتفاضة أكتوبر 2019

تابعث، كتابة وبخا، الحركة النسائية اللبنانية ومنظماتها. وبعض كتيبي وأبحاثي كان استجابة لطلب من منظمات نسائية. أذكر، مثلاً، أبثاً ميدانية نفذتها لمرافقة النضال لأجل إقرار قانون حماية المرأة من العنف الأسري¹¹، وأخرى تفيد في صوغ استراتيجية لإشراك الرجال في السعي لمنع العنف الأسري¹²... وغير ذلك. هذه الحركة تبدي، وفق ما أرى، توجّهاً عاماً يزداد زسوخاً واتساعاً، ويتعدّى من الممارسة اليومية لأنشطاتها يتّسم بصاهضة غير حيّة للنظام الأبوي، القاعدة الحاملة للطائفية السياسية وللمؤسسات القانونية والقضائية بما هي في أصول تهميش النساء والتمييز ضدّه. وهو ما ظهر جلياً في مشاركة النساء الواسعة في انتفاضتي صيف 2015 وخريف 2019، كما في الشعارات¹³ التي أطلقت فيهما. هاتان الانتفاضتان¹⁴ أظهرتا شراكة غير سطحية بين مناهضي النظام السياسي الطائفي وبين الحركة النسائية.

لم أشارك في انتفاضة 2019 إلا لماماً، لكنني تابعتها في خطابات المجموعات المشاركة، وشاهدتُ الجموع مسالمة وغاضبة، وسمعتُ الهاتفات وقرأتُ المنشورات والتعليقات والتحليلات وحضرتُ بعض الندوات التي أقيمت على تخومها... وكنا نأمل جميعاً أن تصل المجموعات المنتفضة إلى توافق حول برنامج حد أدنى يسمح بتحقيق بعض من الإنجازات التي تنخر في أسس النظام السياسي الطائفي، في أقل تقدير. وتقديري الشخصي -المحتاج إلى التدقيق طبغاً- أنّ واحداً من أسباب قصورها عن تحقيق ذلك هو "عدم رغبة (ناسها) في نصر حاسم" -أستعير جملة من لينين¹⁵-، وكأنهم يخشون "انتصار" الانتفاضة التي انطلقت قبل أن تكون القوى المدنية المشاركة قد عملت على صياغة رؤية لنظام علماني يحظى بدعم كلّ مكونات مجتمعنا ويجعل أفرادها مطمئنين إلى أنّ المواطنة في دولة علمانية ستكفل لهم مصالحهم (وهوياتهم) الأثيرة، ضمناً، وتغنيهم عن كونهم رعايا في طوائف متوجّسة بعضها من بعضها الآخر، وحيث تستثمر قياداتها ذلك التوجّس لتجعل منهم مطية لفسادها ومغانمها، ووقوداً لصراعاتها الداخلية ولتحالفاتها الخارجية المدمّرة...

ملحوظة: راجعت الراوية عزة شرارة ببيضون النص المختصر وكتبته بالعربية الفصحى.

11 أذكر، مثلاً، كتابين لي صدرا عن منظمه "كفى عنفا واستغلالاً..." جرائم قبل النساء أمام القضاء اللبناني، (2008)، ونساء يواجهن العنف (2010).

12 أذكر، مثلاً، كتابي العنف الأسري: رجال سلكمون (2016)، الصادر عن منظمه "أبعاد: مركز للموارد الجندرية".

13 رفعت مجموعته نسوية ياصه "النظام الأبوي مائل" في حراك صيف 2015 (انطلق بنسبة ما عرف بـ "أزمة النقابات")، وفي انتفاضة 2019، هفت الشابات، (والشبان أيضاً) "طالعة من بيت أبوها... نازلة تسقط النظام".

14 بل وفق ما جاء في احد الهفافات: "نو نو نوره، نورتنا مش حراك".

15 في كتابه خطا الاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية الصادر عام 1905.

في مطلع كل عهد رئاسي، بوصفهنّ أشخاضاً "مشهوداً لهنّ بالاهتمام بالشأن النسائي". كان دافعي إلى قبول تعييني موقفَ راعب في الإسهام في نشاط دولة قوية ومتعافية⁹ يسعه أن يضيف إلى العمل النسوي في بعض وجوهه، الترموي منه بخاصة. في الاجتماع الأوّل للهيئة العامة لـ "الهيئة" تبّين لي أنّ تعييني فيها، وتعيين غيري بالطبع، كان من بعض التمثيل لطائفتي! وأنّ ذلك التعيين حصل، مفارقة، بترشيح من زوجة رئيس مجلس النواب¹⁰ التي هي حكماً، ووفق النظام الداخلي لـ "الهيئة" عضوة فيها، وموكل إليها اختيار أعضائها من الطائفة الشيعية. لم أنجح في أن أكون في قيادة "الهيئة" وتبّنت من جانبها "رئيسة" لـ "لجنة الأبحاث". الحق يقال؛ إنّ التعيين ذا البصمة الطائفية كان شكلياً؛ إذ سرعان ما تبّين أنّ النساء العضوات، وأثرهنّ ذوات لفاءات أكاديمية عالية وخبرات في العمل الاجتماعي، انخرطن في العمل تحت مظلة الدولة العلمانية، وبالتعاون مع منظمات الأمم المتحدة حصراً. هكذا، توزعتنا لجان تبغاً لاختصاصاتنا العلمية ونشاطنا في المجتمع. عملتُ في لجنة سيداو معظم السنوات التي غيّنت فيها، كاتبة ومحررة. أصدرنا التقارير الوطنية الثاني والثالث والرابع والخامس لاتفاقية سيداو؛ وهذه نفّذناها بإشراك أكاديميين وأكاديميات ونشطات ونشيطين من المجتمع المدني؛ وذلك باحترافية عالية وموضوعية مشهود لها، فجاءت هذه التقارير خالية من التقرّيب المجاني للدولة (كما هي حال بعض التقارير في بلدان مجاورة) وقدّمت صورة يمكن الوثوق بصحتها لأحوال المرأة اللبنانية. في هذه التقارير رصدنا التقدّم المحرز في أوضاع النساء اللبنانيات في مجالات معينة، وأبرزنا ثبات التمييز ضدّه وأصوله الأبوية والطائفية، في مجالات أخرى.

تعاونت "الهيئة" مع المجتمع المدني وعقدت شراكة مع المنظمات النسائية غير الحكومية متبّنة بعض برامجها وداعمة لها، مبدية في ذلك "تواضعاً" واعترافاً بريادة تلك المنظمات لطرح القضايا النسائية والاشتباك معها. يبقى أنّ "الهيئة" الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية" قد أغفلت شقاً مهمّاً من وظيفتها -استناداً إلى ما جاء في قانونها الأساسي- هو دورها كمستشارة للدولة، وزاراتها ومؤسساتها، في كل ما يعني النساء اللبنانيات، إن في سياسات هذه المؤسسات والوزارات أو تنفيذ مشاريعها. هي وظيفة خاصة بها، ولا يسع القيام بها غيرها. كما أنها لم تبادر إلى السعي لتحقيق الارتباط بين مختلف المؤسسات والمرافق المعنية بشؤون المرأة اللبنانية الحكومية وغير الحكومية لأجل تكثير التعاون في ما بينها، والعمل على فضّ النزاعات، في حال وجدت، في ما بينها.

9 عبر عن تلك الرغبة الشاعر الراحل محمد العبدالله في كتابه حبيبي الدولة الصادر في العام 1986.

10 وذلك بالرغم من كوني لادّينية، ومعارضة للحركة السياسية التي ننتمي إليها.

عفيفة السيد: أحلام اللاعنف

كبير نحقق شيء من هذا التحرك، وأخذنا ضمانات من أفراد الأطراف المتحاربة أنهم مش راح يقصفونا في الليلة السابقة على انطلاق المسيرتين، لكن ثاني يوم بلش قصف ما شاف لبنان مثله.

أتذكر إنني لما رجعت البيت يومها وفتح لي الباب ابني نجيب، كان حامل الجريدة وكبها لي بوشي وقال لي: "مبسوطة هيك، مات نص شعب لبنان عشان أنتوا تعملوا مسيرة"، أولادي كان رد فعلهم الغضب عليّ. نجيب كان عمره، وقتها، 14-15 سنة.

جبهة رأس بيروت ضد العنف

لنا نقتش على حدث صغير تبني عليه تحرك لحد يضل فيه حركة مناضلة ضد العنف. كان بهذا البيت [بيت الراوية⁴] اجتماعات أمانة السر تبع غرب بيروت، وفي بيت آخر كانت تُعقد اجتماعات أمانة سر شرق بيروت. ما كنا نقول شرقية وغربية، بل شرق بيروت وغربها.

وكنا عاملين وقت الحرب الجبهة الموحدة لرأس بيروت، منطقتنا، لأنها مختلطة، شراكة النص بالنص بين السنة والأرثوذكس، وخفنا على هذا التنوع. والجبهة كان فيها كثير من أساتذة الجامعة الأمريكية، وخطف منهم أستاذ اسمه نبيل مطر، ولم يكن أول المخطوفين، لذلك دعينا للاجتماع، أساتذة الجامعة ما فيهم يقوموا بالتحرك، راج نائب رئيس الجبهة قال: "تعالى يا عفيفة... إنت جندر بس ما هنحرك". وبالفعل ترأست الاجتماع. زوجي كان ميسوط وفخور، وقاعد بأخر القاعة ودموعه نازلة لأنه شايف مرته عمّ تدير كل هذه الشخصيات، وهي صغيرة، وانتهت على إنهم بطلوا يخطفوا أساتذة الجامعة.

مثلاً أثناء الحرب، لما خلصت ولاية أمين الجميل⁵، نزلنا وقتها على مجلس النيابة المؤقت اللي كان على المتحف، ونمنا بالطريق على الرصيف وحملنا لافتات، وضلينا معتمدين هناك، هتفنا: "انتخبوا رئيساً من أجل الحرية وحقوق الإنسان". وفي ليلة سمعنا أهاريج جاية من بعيد، كلنا توترنا، فكرنا "دول قوة جايين" أو "بدهم يركبوا الموجة". قمنا استنفرتنا كلنا، بعد شوية سمعنا الأغنية اللي ما بنساها: "كل شباب لبنان أخوتنا وفرح العطاء فرحتنا"، حركة "فرح العطاء"⁶ كان عندها مخيم قريب وجّم أفرادها انضموا لنا، وكان رئيسهم ملحم خلف، أخذوا شباب وعملوا مخيمات بعيداً عن الأحزاب والقتل، أكن لملم كل احترام.

عفيفة السيد، ناشطة وسياسية، بدأت مسيرتها مع الدراسات الإنمائية، وخلال الحرب الأهلية نشطت في تنظيم ندوات ومبادرات تدعو لنبد العنف، ثم دخلت عالم السياسة مع رفيق الحريري، وبعد اغتياله كانت ضمن مؤسسي قطاع المرأة في "تيار المستقبل". وحاليًا تعلّق عفيفة آمالاً كبيرة على انتفاضة 17 تشرين ضد النخبة السياسية.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلتين أجريتا في 3 و9 حزيران/يونيو 2020.

الدراسات الإنمائية مدخل للعمل العام

عفيفة الحلبي، متزوجة من عائلة السيد، وعندي ثلاثة أولاد؛ بنت وشابين. البنت بلبنان، فانت بالشأن العام، والشابين بالخارج، لأن لبنان ما يقدر يحمل الشباب تبعه، لازم الشباب يكون برّه لممارسة مهنتهم وباخذوا حقوقهم.

أثناء الحرب الأهلية، روحنا على فرنسا أربع سنين، وصرنا نجبي ونروح، والسبب في سفرنا إن زوجي كان طيار بشركة Middle East-Air France فكان يعمل انطلاقاً من باريس وين ما كان بأوروبا، عشان كده اخترنا فرنسا، أو فرنسا اختارتنا... ما يعرف.

دخلت العمل العام من مدخل مختلف؛ الدراسات الإنمائية، وذلك بعد حضوري ندوة عن الدراسات الإنمائية، تحدث فيها حسن صعب¹، ومنها بدأت شغل إنماء، وبعدها فوت على عالم السياسة. الإنماء بيدخل بكل المجالات، بلشنا نفوت بعالم السياسة من باب النضال ضد العنف.

بأواخر السبعينات، كنت مع لور مغيزل² نصدى لعنف الحرب الأهلية. وعملنا دورة تدريبية عن أدوات النضال اللاعنفي، مع شخص من جنوب فرنسا اسمه كريستيان دي لورن.

وعينا لمسيرتين، تنطلق واحدة من غرب بيروت، والأخرى من شرق بيروت، وتلتقي على المتحف³، وكان عندنا أمل

1 حسن صعب أكاديمي لبناني، التحق بالسلك الدبلوماسي، وعمل في بعثة لبنان في الأمم المتحدة لمره، لكنه غرّف إلى جانب ذلك بمؤلفاته ودراساته الإنمائية، ومنها كتابه "تحدث العمل العربي" عام 1969

2 لور مغيزل (1929-1997) محامية وحقوقية ناشطة في مجال حقوق المرأة اللبنانية، وأسست مع زوجها، جوزيف مغيزل، الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان في 1985.

3 المنطقة الفاصلة بين قسمي المدينة المتحاربين

4 في منطقة رأس بيروت.

5 أمين الجميل رئيس الجمهورية في الفترة من 1982 إلى 1986. جاء خلفا لشفقة بشير الذي أعيل قبل بولته الرئاسة. وحسن تولى أمين المنصب كان جيش الاحتلال الاسرائيلي يسيطر على الجنوب اللبناني، والجيش العربي السوري في شمال البلاد وشرقها.

6 حركة لبنانية بطوعية، انطلقت خلال الحرب الأهلية، وتحتدياً في 1985.

نظمت مخيمات للأطفال، وتعاونت مع الصليب الأحمر في مساعدة الجرحى.

الطريق إلى بكين

عملت في اللجنة الوطنية للتخضير لمؤتمر بكين مع السيدة منى الهراوي⁷، وبعد المشاركة في المؤتمر بـ1995، قدما طلب لعمل الهيئة الوطنية لشؤون المرأة⁸، ثم كنت من بين أعضاء الهيئة، واصلت عضويتها لحد ما جاء إميل لحود، وبعده ما كنت بالهيئة الوطنية، بس خلص عهده رجعت... والسبب وراء ذلك إن الطبقات السياسية أوقات تكون هيك عفنة.

تيار الحريري وأخطاء سعد

مثلاً أعتبر النقلة الكبيرة بالعمل السياسي كانت مع محيى رفيق الحريري على البلد، ثم تأسيس "جمعية بيروت للتنمية الاجتماعية"، وهي غطاء اجتماعي لعمل سياسي يستقطب القدرات الموجودة، بس النشاط كان محصور ببيروت لأن الحريري كان مرشح بالعاصمة، كان بعدنا ما انتشرنا وقتها. والجمعية عملت شغل كثير طلو، ووصلت لكثير ناس، وصار عندها أعضاء، وعملت لجان، واشتغلت سياسة وانتخابات.

عملنا على قضايا المرأة، خاصة السياسية، والحريري كان كثير متحمس لدخول المرأة في العمل السياسي، وأول ما صار عنده قدرة سياسية دعا أخته⁹ للترشح. صار فيه مجموعة كبيرة تشتغل سياسة، وركزنا على قضايا المرأة حتى نشغل على الطريق الصح للوصول للأهداف معينة لها علاقة بالمرأة.

ولما الحريري استشهد في 2005، ارتفعت الأصوات إن بدنا حزب، لكن كان فيه خوف إنه يتحكم بحزب، فأتى بـ"تيار المستقبل" لأنه مسجل بوزارة الداخلية بـ"جمعية تيار المستقبل"، تحت إطار الجمعيات هيك سجلوا... وهكذا بلش يتكوّن "تيار المستقبل". وطلبوا مني إني أكون المنسقة العامة لقطاع المرأة بالتّيار، يعني عضوة الهيئة التنفيذية، والمسؤولة عن تأسيس قطاع المرأة بكل المناطق، وذلك لأنني قبلها كان عندي خبرة في العمل النسائي.

مثلاً في الذكرى الأولى لاستشهاد رفيق الحريري فكرت في عمل سلسلة بشرية، وقلت لهم بالمكتب التنفيذي فقالوا لي: "هتقدري تعمليها؟". وبالفعل اتصلت بكل الناس والجهات والفئات اللي فقدت ناس بهذه الفترة،

7 سيدة لبنان الأولى سابقاً، فهي أرملة الرئيس اليااس الهراوي (1988-1998).

8 هيئة رسمية مربطه برئاسه مجلس الوزراء تأسست في 1998، تتكون هذه الهيئة من جمعيه عامه تضم 24 عضواً/عضوة نعينوا من قبل رئاسه الوزراء، وذلك لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد، ويختار رئيس الجمهورية اسم رئيسة الهيئة.

9 بهيه الحريري، مواليد صيدا 1952، انتخب لأول مره نائمه عن المقعد السنّي في قضاء صيدا 1992، وابتعد استاها للامعد نفسه في 1996 و2000.

ودخلت البرلمان في 2005 (بالتزكية عن صيدا)، وفاربت بالانتخابات في 2009.

وقلت لهم بدنا نعمل سلسلة بشرية، وشاركنا.

وخلال عملنا على قضايا المرأة في "المستقبل" لاحظت إن النساء صار عندهن معرفة بقضاياهنّ، اللي بأقصى عكار صارت تحكي بحقوق المرأة، صارت تحكي بعدم التمييز، وكنت فخورة بهذا التقدم اللي عملناه، لحد لما تغيرت السياسة؛ اجتمعنا بالمكتب التنفيذي، وعرفنا إن الرئيس سعد عمّ يفكر يرشح سليمان فرنجية¹⁰ للرئاسة، جيت بالاجتماع الثاني أعلنت رفضي القاطع لأن سليمان كان وزير الداخلية اللي كان يردم الحفرة اللي عملها الانفجار في حادث اغتيال الحريري، وذلك عشان يخفي الأدلة، وهذا بدنا نطلعو رئيس جمهورية، أبدا!

حكيت اللي عرفته، بقية المنسقين يقولوا اللي "الشيخ سعد" يقوله يمشي. وبعد فترة علمت إن إدارة الرئيس سعد بدّها الجنرال عون، قلت لهم ما يمشي، حملت حالي وروحت للأمين العام، أحمد الحريري، قلت له بالحرف أنا جاية أسلمك الأمانة، قال لي: "أي أمانة؟"، قلت له قطاع المرأة، قال لي: "لوين رايحة؟" قلت له أنا مستقيلة ورايحة على أمريكا وهطوّل... وهكذا انتهت مسيرتي مع "تيار المستقبل".

رجعت من أمريكا 2007، وفي يوم كنت مسافرة على مصر عندي رحلة نيلية، تلفنوا لي، قالوا لي: "الشيخ سعد الحريري بدّ يشوفك".

لقا رحت، قال لي: "شو القصة؟".

حكيت له كل الأشياء اللي تهّمه؛ كيف عمّ تكون إدارة التّيار، لأنه كان فيها هيك ناس غير كفويين، ناس مشكوك بانتمائهم، وكانوا بالصدارة، وكان فيه هيك تحزبات صغيرة جوّه، يعني كتل ضعفت جسم التّيار، اللي كان صار كثير كبير وتقبل. فعد معي قريب الساعة أو الساعة وشوي. حكى عشر كلمات، بس كان مصدوم، قال لي: "بدك ترجعي؟" قلت له دولة الرئيس أنا الباب اللي بضر منه بسكره وما يفتحه، وأنا ظهرت خلاص، رد: "لا، بدك ترجعي لأن فيه انتخابات... وإحنا عايزينك"، قلت له: أنا رايحة على مصر وسفرتي طويلة، قال لي: "قصرها، وارجعي، واتصلي فيّ بس تيجي". روحت مصر وعملت الكروز تبغي. وأول لما جيت لبنان، اتصلت فيه رد عليّ سكرتيره،

10 سليمان طوني فرنجية، وزير داخلية لبناني سابق، وينتمي الى عائلة سياسية عريقة ضمت رئيس الجمهورية اللبنانية السابق سليمان فرنجية، من 1970 الى 1979. وسليمان طوني، ينتمي الى 8 أدار، التي تضم حزب الله، والمربطه بسوريا وإيران. وخلال فتره يرشح سعد الحريري لفرنجية رئيسا في 2015، فان موقفه بدا غريباً لأن الحريري، وتبارّه، "المسقبل" ينسبمان إلى المعسكر المضاد لـ"8 أدار". فالتّيار كان ضمن "تحالف 14 أدار" الذي كان يعارض وجود الجيش السوري في لبنان، وذلك بعد اغتيال رفيق الحريري في 2005.

11 رشح سعد الحريري الجنرال ميشال عون لرئاسة الجمهورية في 2016.

قلت له بدّي أحكي مع الرئيس، قال لي: "عنده اجتماع"، قلت له هو طلب مني احكي معه، قال لي: "نرجع نتصل فيكي"، وبعده ما اتصل فيني.

بكل صدق، شعرت وقتها بغضب، لكن حالياً شعوري بقي مجرد خيبة أمل وحزن، حزني مش عليهم، همّا يستاهلوا لأنّ الداء كان صفر، بل تحت الصفر. هلا أنا مش مع سياسة سعد الحريري أبداً، ارتكب أخطاء أكبر من رأسه. أول خطأ كان دعمه لتولي ميشال عون الرئاسة. سعد كان يشغل كل الوقت لمصلحته، إنه يركب على الكرسي وما كان شايف شيء ثاني فدامه. وبعدين هو فحاط بناس متزلفين ومستفيدين، وعمّ يعملوا صفقات، وهو يا إما ما إنه حاسس، يا إما مو فارقة معه. وكنت كل الوقت حاسة إن الأوضاع راح تنفجر في مكان ما، وكنت حاسة الانفجار هيصير في قلب التيار لأن التملل وصل للأوج.

بصراحة، بعد لما قتل رفيق الحريري كنت مفكرة إن بدنا نكمل المشروع، لكن طلعت النتيجة إنه لا بدنا نعمل كيان لسعد الحريري، لكن ما شغلتي عمل كيان لشخص هو ما بدّه يعمل كيان لحاله.

أكبر عقبات الثورة سلاح حزب الله

مثلاً محبطة سياسياً لأن ثورة "17 تشرين" وقفت قسرياً، ما فيه شك إن وقت لما تشكلت الحكومة ما عاد فيه اندفاع للثورة. زعلت إن الحراك وقف، وبعدين جاءت الكورونا خدمت الفريق الحاكم. أكيد فيه نهاية لازم تبجي لسلاح حزب الله، كلنا قرينا التاريخ، وأنا عشته، قد "القوات اللبنانية" كانوا مستعدين لحرب شوارع وقوات، الحرب الأهلية أكثر بكثير من حزب الله. حزب الله يحارب لمسافات بعيدة، بس حرب شوارع شخصين يرجعهم، إنهم صرخوا عليهم شوية رجعوا مثل البسينات¹². حزب الله مش راح يضايقنا وهو هلا مهزوم، بس انتظار اللحظة الدولية. لكن النظام اللبناني ما انتهى.

كل يوم خبرية أصعب من الثانية، وكله وراه حزب الله، وهو حامل سلاحه، ومسيطر على البلد. طبعاً، كلهن شركاء، بقصة السرقة والفساد ما كانوا يختلفوا أبداً كلهن، بدون استثناء. أكبر عقبة للثورة هو سلاح حزب الله، والدليل لما عملنا الشعار، وكنا ست نساء في مظاهرة 6/6¹³ وقيل علينا "خونة".

مثلاً إذا سلم حزب الله سلاحه، سيكون موقفنا من إسرائيل يشبه كل الدول العربية في صراعها مع إسرائيل، خلينا نواجه الواقع؛ حزب الله قاعد في سوريا كذا سنة، قتل نص شباب، هل رمى خرطوشة على الجولان [الفحتل من إسرائيل]، كل النهار الطيارات الإسرائيلية عمّ تيرم بأجواننا، طلعت رصاصة ضدها؟! إسرائيل لا يحركها إلا قرار دولي، إحنا كعرب ما متفقين على نفس الفكر، ثاني شيء فيه بلاد عربية تصالحت مع إسرائيل، وعمّ بتنسق معها، وهل لبنان، البلد اللي فيه 18 طائفة، هو اللي بدّه يحارب إسرائيل؟

شؤون نسوية

الحركة النسائية ظلمت كثير، حققت إنجازات كثيرة، لكن أهم ملاحظة على بعض جمعيات هذه الحركة عدم تداول السلطة. تقعد رئيسة الجمعية بالجمعية لحد لما تموت، ممنوع تنقل السلطة لحد ثاني، يقاتلن ويخرقن القوانين حتى تبقى الرئيسة بالسلطة، مثلهن مثل السياسيين.

12 القطط

13 نظمت تلك المظاهرة في 6 حزيران/يونيو 2020، لتكون أول عودة لمظاهرات الانتفاضة اللبنانية، بعد يومف بسبب عزلة كورونا. وطالب المظاهرون بنزع سلاح حزب الله، تنفيذاً لقرار الأمم المتحدة. وسبق أن صدر قرار أممي رقم 1559 بشأن نزع سلاح ميليشيات لبنانية، لأن هذا التسليح يحد من قدرة لبنان على فرض كامل سيادته.

فاطمة سبيتي قاسم:

خلاص لبنان الوحيد فصل الدين عن الدولة

فاطمة سبيتي قاسم، مواليد 1945، باحثة ومستشارة في قضايا حقوق النساء والجندر في العالم العربي، وعضوة في تجمع الباحثات اللبنانيات، ولها مؤلفات عدة منها: "سياسة الأذراب، والدين، والمرأة في القيادة: لبنان من منظور مقارن".

عملت سابقاً مديرة لمركز المرأة العربية في لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا)، وقبل ذلك شغلت مناصب متعددة تابعة للمنظمة الأممية لأكثر من ثلاثة عقود، خلال مسيرتها شغلت فاطمة بقضايا النساء في العالم العربي، وكان أبرز محطاتها المهنية عملها كمنسقة إقليمية لمؤتمر بكين 1995، ووضعت منهاج عمل المؤتمر ومجالاته، وعملت مع حكومات الدول العربية على تشكيل لجان وطنية وكتابة تقاريرها للمؤتمر.

في شهادتها، تحكي فاطمة عن تصديها لأي تمييز ضد المرأة، وترى أنّ التغيير ضروري في لبنان، مؤيدة لمطالب انتفاضة 17 تشرين 2019.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

هوية مختلفة

في 1965 تخرجت في AUB¹، حصلت على بكالوريوس إدارة أعمال، ثم عملت Master، وقتها مجالات شغل المرأة كانت ضيقة، إما تشتغل سكرتيرة أو معلمة أو ممرضة. لذا، كانت الفرضية أو أطروحة دراستي حول الخريجة الجامعية بلبنان، قبلي لم يدرس حدا هذا الموضوع، كانت نتائج البحث كثير طوة، مثلاً قالت إن المرأة لو كانت تحب البحث فهي لا تفضل الوظائف الخدماتية، بل تحب تدخل ميدان العمل بشتى المجالات.

في 1970 دخلت الأمم المتحدة، وما تركت المنظمة الأممية لحدا ما تقاعدت، اشتغلت لأكثر من 35 سنة. رغم كوني مقيمة أصلاً، لكنني كموظفة أممية كنت ألزم بالقوانين؛ لا أشارك بالتظاهر مثلاً في دولة تستضيف بعثة الأمم المتحدة، وما فيني أكون مُنحازة لدولتي يعني رغم كوني لبنانية، لكن بالنسبة لكوني موظفة بالأمم المتحدة ليس عندي هوية، بل هويتي دولية.

مثلاً عملنا Women's group للدفاع عن المرأة ضمن فريق الـ UN، لأننا لاحظنا تمييز ضد المرأة في ترقيات الأمم المتحدة بالشرق الأوسط، الرجل يكون عنده نفس درجات أو شهادات المرأة، ويُفضل عليها في الترقية، لأننا كنّا في الشرق الأوسط، بيروت بالأول، وبعدين بغداد، وكله نفس العقلية الشرقية، يعني تكبير بطريكي، وبنية تمييزية.

أخطاء تحدثت وطأة الحرب

عشنا بدايات الحرب الأهلية في بيروت، وحسيت بمسؤولية كبيرة لأن عندي أولاد صغار، كانت الحرب صعبة كثير علينا مثل كل الناس، كل شوي ننزل على الملجأ، وشغلي نُقل لمدة سنة في عمان، وبعدها رجعنا بيروت، لكن ما كملنا بلبنان، بل تركناه قبل 1982، وما حضرنا الاجتياح الإسرائيلي، تركنا أولادنا مع جدتهم، كيف الواحد كان يفكر وقتها، كثير خاطئ. وفي 1984-1985 نقلناهم على بغداد معنا.

وقت ما بلشت الأمم المتحدة تحضر لمؤتمرها الدولي العالمي الرابع للمرأة في بكين، لم أكن بلبنان، بل في عمان. وكنت مسؤولة عن الدول العربية كمنسقة بالمنظمة الأممية، وكان عدد الدول العربية في "الإسكوا"² وقتها 13 دولة فقط، لذا تعاوننا مع الجامعة العربية لتغطية كل الدول العربية. مثلاً زوجي، وإحنا كنّا سوا بالجامعة، كان يسهر معي بالمكتب، وعمل شغلي على الكمبيوتر، يعني سهّل عليّ شغلي مع إنه كان عنده شغله ووظيفته.

وخلال التنسيق لبكين، زرت الدول العربية بوصفي ضمن اللجنة الإقليمية، ما كان فيه إلا مجلس صغير للمرأة بمصر، والأردن كذلك. وتعاملنا الأول مع الحكومات لدعمها، ثم دخلنا المنظمات غير الحكومية، وهذا إنجاز لأن الحكومات كانت ترفض التعامل مع منظمات المجتمع المدني، وقدرنا نقنع الحكومات بضرورة وجود شراكة بينها وبين المجتمع المدني، إذا كان بدنا نشغل على قضايا المرأة. ووقت لَمّا خلصنا تحضيرات بكين، صارت فيه 13 دولة عندها لجان وطنية. قبل ذلك ما كنّا نحكي كثير كدول عربية عن قضية gender from social perspective.

2 لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا

1 الجامعة الأميركية في بيروت.

تحسين بيئة العمل جندرياً

فعلّق، وهو ما يُسمى بـAll but dissertation⁵. لكن ما قدرت أعمل الأطروحة إلا بعد التقاعد من الأمم المتحدة. رجعت 2005-2006، أخذت سنة عقبال ما قبلوني، وذلك كان لأنني كنت -خلال فترة انقطاعي عن الدراسة- أعمل في مجال الأبحاث، تنظيم ورش، وتقديم محاضرات بالأمم المتحدة، وهكذا كملت الدكتوراه.

أحوال شخصية وثورة

بالنسبة للبنان، لازم يكون فيه قانون موحد للأحوال الشخصية لأن فيه تمييز بين المرأة والرجل، وأيضاً فيه تمييز بين المرأة والمرأة، سواء كانت مسيحية ولا مسلمة، شيعية ولا سنية. عندنا 18 طائفة، وكل واحدة لها قانونها للأحوال الشخصية، شو هيدا؟! لازم يكون فيه قانون موحد للأحوال الشخصية، ساعتها نقدر نحكي عن عدم التمييز بين المواطنين.

بدنا تغيير، وفصل الدين عن الدولة، بلا طوائف. لبنان ما فيه غير مصالح فردية، ولا توجد مصلحة عامة، لا حدا يفكر إن لبنان لازم يوقف على رجليه، وإن خلاصه الوحيد سيكون بفصل الدين عن الدولة.

عندنا كثير نقص، نحن صيت بلا فعل، ليش المرأة اللبنانية المتعلمة اللي عندها profile أعلى شيء اقتصادياً، وعلمياً، لكنها الأقل عربياً على صعيد المشاركة السياسية وتوليها المناصب القيادية، وهذا معناه إن فيه شيء غلط ببلدنا.

وفي المقابل، المرأة تلعب دور قيادي بالثورة، وتطلع بالميدان وتحكي، اللبنانية عندها قوة وسرعة بديهية وتفكير، بس لازم تعطى وتأخذ لنفسها المجال حتى تفرج الموجودين إنه فيها تقود مجال، وتكون شريكة للرجل في قيادة الثورة.

أنا مع كل اللي طالبوا فيه بالثورة، ورغم ذلك لست متفائلة، المستقبل سيكون مظلم إلا إذا الثورة عملت مجلس يقودها... لأن صار فيه اختراق للثورة، الطريقة الوحيدة إنهم يعملوا مجلس قيادي يستنير بما يسمى الانتليجنسيا لأن فيه كثير عقول مستنيرة تقدر تساعد على وضع برنامج، بس مين يسمع.

ما شايقة نور بأخر التفق عن قريب، إن شاء الله يكذبني الله.

بعد بكين، بلّشنا نشغل للمساواة في المناصب داخل الأمم المتحدة، صرنا نحط قوانين إنه إذا تقدم لمنصب رجل وامرأة، وكلاهما يحملان نفس المؤهلات المنظمة تأخذ المرأة. وذلك حتى نزيد نسبة النساء بالهرم الوظيفي، ما تضل المرأة تحت، بل يصرن في مراكز اتخاذ القرار. مثلاً لما كنت اجتمع مع مسؤولين بأعلى المراكز بدول الخليج، كان التعامل صعب، لأنهم كانوا ينظرون نظرة ذونية للمرأة، خصوصاً الكوني لبنانية، فهم يفكروا إن اللبنانيات متحركات، مش فكرياً، بل متحركات أخلاقياً، وهذه الصورة المفروض يشغل الواحد على تغييرها في أذهان العرب عن المرأة العربية واللبنانية بشكل دقيق، وذلك لتغيير فكرتهم بالنسبة للمرأة، حتى يستوعبوا أنها شريكة الرجل، ونحن مش عم نطفش الرجل لصالح المرأة، بالعكس بدنا النساء تشارك الرجال، لأن المجتمع مبني على امرأة ورجل، يعني ما فيكم تحطوا نصف المجتمع بالبيت وتقولوا هذول ما لهن قيمة. هذه هي الصورة النمطية اللي اشتغلنا على تغييرها، لكن كنّا نشغل بطريقة ذكية مثلاً نقول إن المرأة شريكة الرجل، وتحتاج مجال حتى تبين حالها. والمطلوب العمل على أن تكون الفرص متكافئة حتى تقدر النساء تشارككم مهامكم الصعبة.

هذه كانت أولويتنا كمسؤولين عن قضايا المرأة، وطبقت على المستوى الدولي في كل اللجان الإقليمية، وكذلك صرنا تحت الدول على التوقيع على اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة "سيداو"³. وبعدها اتفاقية المرأة والسلام، دخلت على مجلس الأمن كأول اتفاقية⁴ 1325 التي بتأكد على أهمية وجود المرأة في السلم وتأمين السلم والمفاوضات، وكل هذه المراكز.

حرب جديدة وعودة للدراسة

لما صدام حسين دخل الكويت، عملوا إجلاء لفريق الأمم المتحدة من بغداد إلى نيويورك. ولما وصلت الولايات المتحدة قررت إكمال دراستي بجامعة كولومبيا.. هكذا عدت للدراسة بعد توقف 20 سنة.

وقدمت لعمل PHD وقُبِلت، وأخذت منحة من UN، ودرست كل الـCourses تبع الدكتوراه، وما كان عليّ إلا عمل الأطروحة، لكن طلبوني أرجع الشغل، ما جددوا ليّ الإجازة الدراسية. رجعت على عمان، بس فضّل وضعي أكاديمياً

3 اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة، وقّعت في 1979، ومعلّبت في 1981.

4 قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الموقع في 2000، والذي اسهم في زيادة مشاركة المرأة في صنع القرار، وبخاصة حل النزاعات، والوجود في قوات حفظ السلام.

5 مرحلة سابقة للحصول على الدكتوراه، ويعني أن كل مراحل الدراسة قد تمت، لكن طالب الدكتوراه لم يكتب أطروحته بعد.

6 تعبر الدولة اللبنانية بـ18 طائفة دينية، وهناك 15 قانوناً للأحوال الشخصية تنظم حياة اللبنانيين.

ماري الدبس: الطائفية سبب التمييز ضد المرأة

ماري الدبس، مواليد 1949، كاتبة وعضوة في الحزب الشيوعي اللبناني، وشغلت فيه مناصب تنظيمية، بدأت مع القطاع النسائي حتى وصلت لمنصب نائبة الأمين العام. تعمل ماري على مناهضة التمييز ضد النساء.

وفي شهادتها، ترى ماري أنّ على المرأة مضاعفة جهدها لتتال ما تستحقه، وتُرجع ذلك إلى التمييز ضد المرأة والذي تغذيه قوانين الأحوال الشخصية المتعددة حسب الطوائف، ووضعية النظام اللبناني الطائفي.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلتين أجريتا في 25 تشرين الأول/أكتوبر و5 تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

المساواة الآن

قضيت طفولتي ما بين الكورة وطرابلس، حيث تعلمت بمدرسة راهبات اسمها Saint Paul بطرابلس. بهذه المدرسة قضيت تقريباً 7 سنين داخلي. كان كثير الأهلى يخافوا يتركوا البنات يطلعوا وينزلوا بالسيارات. طفولتي كانت فيها نوع من النضال ضد الراهبات ومواقفهن القامعة للبنات وحرتهن. كنت متمردة بشكل أو آخر، خاصة إن تربيتنا في البيت كانت لا تفرق بين بنت وصبي، نحنا 3 بنات وصبي، كلنا مثل بعض، فيه مساواة، لا يوجد مثل ما يقولوا "الصبي الوحيد والتفنج". والمقارعة بين المساواة في البيت وقمعنا كبنات في المدرسة ساعدتني على تطوير نفسي.

مثلاً بمرحلة الصفوف النهائية بصف الفلسفة، كان عندنا أستاذ تتناقش وياه عن الفرق ما بين الوجهات الميتافيزيقية والمادية، ومع إنه كان خوري بس كان كثير منفتح، وشرح لنا إن فيه بعض الأشياء غلط بالقضايا الميتافيزيقية. وفي هذه الفترة بلشت قراءة هيجل وكانط وصولاً إلى ماركس اللي أتر في كثير. خاصة لما اكتشفت أنه ربط بالفعل بين النظرية وكيفية التغيير.

مثلاً بعد وفاة الوالد صارت معي قصة بخصوص الباسبور، كانت الراهبات منظمات رحلة إلنا، وكان لازم أعمل باسبور، وأمي أعطتني ورقة بأنها سمحت لي [أعمل باسبور] لكنهم

قالوا لي: "بذك تجيبى ورقة من وليّ أمرك" قلت لهم إن أمي هي ولية أمري. قالوا لي: "لا، مثلاً من بيك... هذا أفضل"، قلت لهم أنا أبي ميت، قالوا لي: "خيك"، قلت لهم إنه أصغر مني، أنا 16 وهو عنده 6 سنين، قالوا لي: "ذاك"، قلت لهم ما عندي خال، وهكذا "عمك"، قلت إن أعمامي مسافرين برة، قالوا لي: "بدنا نشوف شو بدنا نعمل" بلشت أصرخ، إنه شو أمي هي الأهم، هي اللي ربتنا، هي اللي بتفهم، إنه شو لو هي ما واثقة في ما تعطيني ورقة. بالآخر واحد من الأمن كان مارق وهو يعرفنا من البيت، دخل وعمل لي باسبور، وإلا ما كان ممكن يطلع لي باسبور لأنه ما عندي رجل وليّ أمر. ومن يومها عمّ أناضل في سبيل قانون مدني موحد للأحوال الشخصية. هذا الأساس لأي تغيير اجتماعي جدي.

بالجامعة درست شغلين بنفس الوقت، أدب فرنسي في كلية التربية، وتاريخ، وعملت ماستر بالتاريخ، ثم دكتوراه. وخلال دراستي بالجامعة بلشت الاقتراب من الحزب الشيوعي اللي تأسس بالسبعين.

كنت عم أدرس بالتأوي، وفي نفس الوقت منتظمة في الحركة النسائية بالحزب الشيوعي، وظيفت لـ 1978 مع لجنة حقوق المرأة اللبنانية¹. كنت بالهيئة الإدارية، وعملنا مدرسة لمحو الأمية بين النساء. كان عندنا مركزين، مركز حقوق المرأة بالناحية الجنوبية بشارع عبد الكريم الخليل، وعندي هون بالبيت كُنا نجيب نساء حي اللجاء، وبعض النساء لتعليمهن القراءة والكتابة. خاصة النساء العاملات، لتطوير وضعن داخل العمل.

بشكل عامّ كل الأحداث أثرت على حياتي الشخصية، مثلاً أنا وزوجي [خليل الدبس] قررنا ما نجيب أولاد... وبين بدنا نطكهم، وبين بدنا نروح. كُنا في تنقل دائم. في زمان شغلة اسمها "بقجة يحطوا" هيك كانوا بسموها، يلفوا أغراضهم فيها ويحطوها، وإحنا كُنا نطحن بشنطة صغيرة أو بكيس نايلون ونتنقل من محل لمحل، خاصة بعد الحرب الأهلية اللي طرقتنا وما بقى فينا. أصلًا تعرفت عليه في مؤتمر لاتحاد الكتاب الآسيوي، كان من المنظمين، وكان في ضرورة للترجمة، وجابونا نحنا مجموعة من طالبات وطلاب الجامعة حتى تساعد بالترجمة، والمساعدة مع الوفود. ومن خلال النضالات تعرفنا زيادة على بعضنا، وتزوجنا بـ 1969.

هو شيوعي، واشتغل بشكل أساسي بالعمل الإعلامي،

1 حسب موقع مديرية الامن اللبناني [جهة اصدار جوازات السفر] "في حال وفاة الوالدين أو احدثهما، أو في حالة الطلاق أو الهجرة، فإنه يعود حق الاذن بالسفر والتموضع على الطلب الى الوصي الشرعي، أو الوكيل القانوني الذي يحمل وكالة صريحه بهذا الخصوص".

2 منظمة نسائه علمانه غير ربحية تأسست عام 1947

هو كان صحافي، ومسؤول عن الأخبار.

ما كانت قصة سهلة الاستمرار بالعمل السياسي، فيه ناس كثير تركوا، تعبوا، خافوا، فلو، أنا بفهمهم لأنه مش كل الناس تقدر تتحمل. ويمكن لأن قناعتنا مبنية على نقاش أيديولوجي مرفق بنضالنا اليومي على الأرض، يمكن عشان هيك صمدنا، والله ما بعرف ليش صمدنا!

مجهود مضاعف لإثبات الاستحقاق

ب1982 تخطينا نتيجة اجتياح الإسرائيليين، وحروب الميليشيات والمعارك اللي صارت ضدنا، وفي 1989 فاتوا على بيوت الشيوعيين وأخذوا قسم منهم وذبحوه، إجوا لهون وقتها كتبوا بالـ L'orient-le jour فاتوا على بيت خليل الدبس، وإنه العضو بالمكتب السياسي المسؤول بالحزب عن الإعلام، إحنا زملطنا بسبب إنه ما كنا بالبيت.

مثلاً هناك رفيقات كانت الواحدة منهن تقرف وتفلّ من العمل السياسي، مش الكل النساء يتحملن للآخر، النساء أقليات في الأحزاب، بما في ذلك حزبنا، والواحدة حتى تشغل موقع قيادي يمكن تناضل مرتين أو أكثر، ضعفين عن الرجل. ويتحريتي الشخصية في 1983 كنت مسؤولة عن التنظيم في الحزب، ثم مسؤولة عن العمل النقابي، وفي ما بعد مسؤولة عن العلاقات الخارجية. وصولاً لـ 2009 صرت أمينة عام لفترة بالحزب، وامتدت لـ 2016. لكن حاولنا إنه يكون بكل هيئة على الأقل امرأة، وذلك طرحناه انطلاقاً من مؤتمر الحزب السادس 1992، ولزم يكون فيه كوتا نسائية، طبعاً كلهم صرخوا إن "الكوتا مانها [ليست] منيعة". لكن الأحزاب التقدمية لازم يكون عندها موقف وتوجهات وسياسات تمكّن المرأة، مش لدعم المرأة بس، وإنما لوجود مناضلات بمعنى الكلمة في صفوف هذه الأحزاب، صمدت كل واحدة منهنّ بالسجون والمعتقلات الإسرائيلية، أو خاضت معارك جديّة في العمل النقابي. وهذه التجربة يجب أن تعمّم بشكل إنه يكون فيه إمكانيات فعلية لوجود المرأة ضمن العمل الحزبي وهذا يعطي صورة مختلفة لنقدر توصل لهذا النصف الآخر من المجتمع، اللي هو مهمّش حتى الآن. وفعلاً جُمّ خمس نساء، وصرنا بست نساء باللجنة المركزية، وبعدة كان عدد النساء بين 6 أو 5 أو 4، مش أكثر من هيك.

طبعاً فيه تمييز ضد النساء بلبنان بشكل أو بآخر، قوانين الأحوال الشخصية طائفية وعمّ تميّز بين النساء والرجال. بالتالي هي السبب الأساسي في كل ما يجري. وتعيد إنتاج نفس المنظومة الفكرية في ما يتعلق بالمرأة والرجل، بل عملياً تصنع التناقض بين التربية المنزلية والوضع في المجتمع. مثلاً لاحظنا خلال عملنا بـ "اللقاء الوطني للقضاء

على جميع أشكال التمييز ضد المرأة"³ أن قوانين الأحوال الشخصية عمّ تطبق على القوانين العادية، مثلاً ليش يكون فيه تمييز بين المرأة والرجل في ما يتعلق بمسألة تنزيل الضريبة، وهذا صار فيه تعديل، لأنه كان في الأول تُعتبر المرأة المتزوجة كما الرجل العازب، تدفع أكثر منه ضريبة. وفي 2000، عملنا لقاءات مع لجنة وزارة العدل، ولجنة المرأة بالمجلس النيابي (كانت جديدة وقتها)، وحطينا مجموعة مشاريع قوانين تبناها النواب، وكنا نعمل هذه اللقاءات والتحرّكات على الأرض. اليوم اللي يكون فيه اجتماعات لمجلس النواب، كنا عم نتحرك نعمل اعتصامات أمامه، أو ننظم إضرابات بالتعليم من أجل المساواة بين الموظفة والموظف. وقتها جرت تحرّكات على صعيد قانون العمل، وتحركت معنا اتحادات العمال، لأن هذا اللقاء مش لقاء نسائي، وهذا يمكن اللي خلاه يساعد بشكل أفضل. هذا اللقاء كان فيه اتحادات عمالية، وشباب، ومجموعة كبيرة من المحاميات والمحامين، وممثل لنقابة الصحافة.

طائفية تحكم

هذا بالنسبة للقضايا، على صعيد الحركة النسائية، قبل الحرب الأهلية كان فيه بس المجلس النسائي⁴، وبالحرب طرح مسألة الحريات الديمقراطية وعمل اعتصامات وقت قتل الكتاب والصحفيين على أساس مواقفهم. وجرت معارك جديّة بمراحل معينة من أجل تغيير قانون الانتخاب، طبعاً قد تكون فيه اختلافات في الرؤية حول كيف بدنا نعمل هذا القانون، ناس مع تعديله من منظار شوي طائفي، وفيه ناس ترى تعديله بإلغاء الطائفية بشكل أو بآخر، بس كنا عم نشغل بشكل أساسي من خلال بعض القضايا ذات النعْد السياسي، وعمّ نتحرك ضمن هذه الوجهة، وكان عدد الجمعيات قليل. وبعد الحرب صارت أكثر، وهذه شغلة إيجابية منيعة، لأنه فيه انخراط أكبر من قبل النساء بالمعركة الاجتماعية العامة. بالآول وقت ظرحت قصة القانون المدني، كانت فيه ردة فعل سلبية وخوف، هلاً صارت أسهل بكثير.

مثلاً جمعيات المجلس النسائي تؤثر عليها طوائفها، والمجلس يتأثر بما يجري على الصعيد الوطني العام بالنسبة للنقابات وغيرها. وداخلياً المجلس عنده توزيع طائفية حتى إن كان عدد الجمعيات المسلمة أو المسيحية أكثر ما بعرف. وفيه نوع من المداورة بلّشت بعد الحرب

3 تعاون اللقاء الوطني، والذي يضم منظمات مجتمع مدني لبنانية، مع الهيئة الوطنية ليشؤون المرأة اللبنانية على مراجعة القوانين التي تحوي تمييزاً ضد المرأة، والسعى إلى القضاء على هذا التمييز.

4 تأسس المجلس عام 1952، ويضم حالياً 150 جمعته نسائية وجمعيات أخرى. نجح المجلس في صيانة وحدته خلال الحرب الأهلية، ولا يزال قائماً وهو منظمة غير حكومية.

تطّيف المجلس، بمعنى نوع من المداورة بما يتعلق بالرئيسية، والتوازن الطائفي ضمن إطار الهيئة الإدارية للمجلس. مثلاً توزيع النائبات يكون حسب الطوائف؛ شيعية، وُسنية، وموارنية، ورومية، أو أرمنية أو غيرها، وبالتالي الوضع أسوأ بكثير مما كان قبل الحرب الأهلية، لأن الطائفية هي الأساس، لذلك عندنا نوع من الحروب الأهلية الدورية التي كانت عمّ تصير من زمان وجاية لحد هالـ. ها الحروب الأهلية الدورية عم بتكون معبّرة عن أجزاء من الطبقة الحاكمة، من البرجوازية بشكل أساسي، والإقطاع السياسي الذي هالـ اندثر تقريباً وجاءت البرجوازية الأساسية مباشرة تحكمنا.

مجلس يرسم مستقبل لبنان

لا أعتبر 17 تشرين الأول/أكتوبر 2019 "ثورة"، هي نوع من الانتفاضة، صارت قبلها انتفاضات متعددة؛ في 2011 انتفاضة تطالب بإسقاط النظام الطائفي، وفي 2015 انتفاضة الزبالة. المشكلة إن الانتفاضات مش عمّ تنتظم بشكل إنها تتحول ثورة، بمعنى إنها توصل للتغيير المنشود، لأنه ما فيه تنظيم أو لقاء منظم، وبرنامج على أساسه يقدروا يتحركوا. لكن انتفاضة 2019 كانت متقدمة عمّا سبقها لأنها طرحت مجموعة قضايا تتعلق بالتغيير. طرحت مسألة النظام أنه لم يعد قادر يعيش وخليه يفل، كانت هذه شغلة منيعة. لكن انتفاضة تشرين 2019 بدّها إعادة النظر بما جرى، وتقييم شو صار، ممكن تنظيم مؤتمر تأسيسي، يتعمل مؤتمر تأسيسي للبنان تحضره الأحزاب أو التجمعات السياسية التي بدّها التغيير، والنقابات ذات الواجهة التغييرية، وهيئات مجتمع مدني عندها هذه الواجهة، وشخصيات معينة بكافة المجالات؛ صحافة وقضاء ومحاماة، إلى آخره. يجتمعوا في هذا المؤتمر التأسيسي ويحظّوا تصوّر حول ما يجب أن يكون عليه لبنان بالمستقبل، ثم يُطرح هذا التصور أمام الرأي العام. وينظّم استفتاء للرأي العام، وعلى أساسه يتعمل معركة لتطبيق ذلك.

منى فياض: بدّنا دولة

منى فياض، مواليد 1950، كاتبة وأكاديمية، تدرس علم النفس في الجامعة اللبنانية. نشطت في تنظيم لبنان الاشتراكي، ثم التحقت بمنظمة العمل الشيوعي.

في شهادتها، تؤيد منى الحراك الاحتجاجي الذي اندلع في تشرين الأول/أكتوبر 2019 ضد الطائفية، ومعارضة تشكيلة النظام السياسي اللبناني القائم. وتعتبر أنّ وجه لبنان سيتغيّر، ولكن ذلك سيحدث بالتدرج، حتى يتحوّل إلى دولة، تقوم على المواطنة.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 7 تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

مثلاً بالجامعة وآلة مرة الأساتذة عرضوا عليّ اشتغل سيكولوجي بمحل، وهذا لأنني امرأة، وكانوا يعرضوا على الرجال شغل. كوني امرأة بدّك تبيني عن خالك أكثر بكثير من الرجل. مثلاً كل امرأة كتبت يقولوا فلان كتب لها، على طول فيه افتراض أو شك أن فيه رجل كتب لها. مثلاً في الأول قالوا عليّ: "كتب لها زوجها" قصدهم أن زوجي، زميلي في التنظيم ومنظمة العمل الشيوعي، وجيه كوثراني هو اللي بيكتب لي!

في 1971، قدمت على منحة لبلجيكا. كانت بالريف، روجت للناس بالمرزعة، وتعرفت كيف يديروا شؤون مرزعتهم وبينهم. كثير استفدت من رحلة بلجيكا، تعرفت على الأدب الفرنسي، وتاريخ أوروبا، علمونا طريقة التعليم كما يجب، كانت هذه الخبرات مفيدة، وعملت دكتوراه في السوربون الفرنسية.

ثم رحت مالطا سنة، السفر برّ البلاد سمح لي إن يكون عندي مسافة من الحرب الأهلية.

ضد التخصص في قضايا المرأة

مثلاً لما عملت دكتوراه، زميلاتي وصديقاتي الأكبر منى بشوي، تخصصن بالمرأة، لكنني رفضت، قلت لهن غمر رجال تخصص بشيء خاص بالرجال لأنه رجل، كان خارج تفكيري التخصص في قضايا المرأة، بل كنت أقول إنني مع المساواة مع الآخر. لكن بّلّشت تطرح عليّ تحديات كلما شاركت في نقاش أو مؤتمر أو أدعى للكتابة عن المرأة، واكتشفت إن المرأة بدّها تمييز إيجابي، فهمت إنه إذا ظروفني الخاصة سمحت لي أكون أستاذة جامعية، أو عدم وجود تمييز ضدي، لكن فيه نساء كثيرات فيه تمييز ضدهن، ويحتجن دعم خاص حتى نقف دهن. ومع الوقت اكتشفت إن المرأة بدّها شوية تمييز إيجابي، وصرت مثلاً مع الكوتا النسائية.

من 2015 صار فيه حراك "طلعت ريحتكن"¹، وكنت أكتب إنني منتظرة ثورة، يعني كل كتاباتي كانت عمّ تتوقع حدوثها. ثم كانت ثورة 2019، لما البوادر الكثيرة الصغيرة تجمعت، وبقي فيه طفرة وعي، وما بقت فيه عودة للوراء. لا للزعيم أو الطائفية. واللي بيستخفوا بهذا الوعي الموجود عند الناس عندهم قصر نظر، لأن اللي حصل هو ثورة أفكار، ثورة وعي عند الجماهير، ثورة قيم، صار بدّهن دولة. كان عمّ يتحقق كل سنة بسنتها من 2011، وأكثر مع

الشأن العام جزء من حياتي

لا أعتبر حالي مناضلة، بل شخص تحركه العدالة الاجتماعية، بمعنى أنني متورطة بالشأن العام، يصير هذا الشأن جزء من حياتي، إذا شفت أمراً مُزعجاً أنزعج شخصياً، يمكن الرجل يقدر يعمل هذه المسافة مع الشأن العام، لأنه معود يكون بالشأن العام. ولكن المرأة تربط الأشياء ببعضها، هذه يمكن من خصوصيات دماغها، وهي أيضاً أمور تتعلق بشخصيتي، وخصوصيات جذرية، ما هو مزعج في الشأن العام مزعج بشكل شخصي بالنسبة لي. من وأنا صغيرة كنت أقرأ كثيراً، وأسأل كثيراً. كان بدّي أكون صحفية، لكن العائلة رفضت، قالوا لي: "ما صح تعملي صحفية لأنك بنت، بدّك تتعذبي وتروحي بالليالي، شو بدّك بهذه الشغلة".

احترت في الدراسة، وكنت وقتها في تنظيم "لبنان الاشتراكي"، وكان عندي كثير نشاطات واجتماعات، بعدين حسن قبيسي²، كان أستاذي بالفلسفة، قال لي: "اعملي سيكولوجي"، وهكذا كان، درست علم نفس بالجامعة اللبنانية، وانبسبت كثير بهذا الاختصاص. ثم التحقت بمنظمة العمل الشيوعي³.

1 درس حسن قبيسي الفلسفة في الجامعة اللبنانية، وترجم إلى العربية كتاباً عنه يتناول بين الفلسفة والنيروبولوجيا، وكان ضمن مفكرى اليسار اللبناني الذين التحقوا بمنظمة العمل الشيوعي التي تشكلت من اندماج "تنظيم لبنان الاشتراكي" ومجموعات يسارية عدة أخرى.

2 منظمة العمل الشيوعي هي حركة يسارية تأسست في 1970، وهي نتاج اندماج "منظمة الاشتراكيين اللبنانيين" مع "لبنان الاشتراكي" وبعض ميادين حركة القوميين العرب. وكان أمين المنظمة محسن إبراهيم خاضت ميليشيات "العمل الشيوعي" الحرب الأهلية اللبنانية. وارتبطت المنظمة مع الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.

3 تظاهرات جرت في الفترة تموز/يوليو-تشرين الأول/أكتوبر 2015، انطلقت احتجاجاً على فشل الحكومة اللبنانية في حل أزمة براكم النقابات في العاصمة بيروت، طالب المحتجون بإسقاط حكومة تمام سلام. وتعود بدايه الأحداث إلى علق مطمر النقابات في منطقة الناعمة جنوب بيروت، وانتهاء الحكومة عندها مع إحدى الشركات التي كانت مملوكة بجمع النقابات، ما أدى إلى براكم النقابات، لكن التظاهرات أدانت الطائفية السياسية.

2015، الناس يذّها الدولة، ما يذّها هذا الشيء... يعني
2019 محطة أساسية راح تغيّر وجه لبنان، بس ما راح تغيّره
مرة واحدة، راح تغيّره بالتدريج.

ضرورة اشتباك النسوية مع السياسة

مثلاً فيه ناس واعيين عمّ يقولوا بّدنا نستعيد نظامنا، وعمّ
تصير أكثر trend بعد تغيّر مرفأ بيروت. إذا بّدنا نغيّر، بّدنا
نستعيد دستورنا اللي كلنا بنعرفه اللي لم يطبق وآل مرة.

مثلاً فيه ناس بذهم يغيروا النظام، وباخدونا على المتالفة؛
إنه يصير فيه تلت مسيحيين، وتلت شيعة، وتلت سنة،
وهذا معظم اللبنانيين عمّ يرفضوه. عشان هيك الثورة
بذّها خصوصية، وبذّها تطبق الدستور، لأن فيه نصف لكل
النظام اللبناني، اللي هو كان نظام ديمقراطي جمهوري
برلماني، من أفضل الأنظمة. مثلاً فيه حاجات غلط، وما
حدا عمّ يرفض إن تكون فيه تعديلات على الدستور، بس
ما بنعدلها تحت سلطة السلاح، ما فيني أعذل الدستور
وفيه واحد يحطّ لي سلاحه على الطاولة.

مثلاً الحركة النسوية اللبنانية يمكن الأفضل ما تضلّ على
مستوى النساء، لأن من وجهة نظري إنه إذا بّدك تعملي
تغيير وضغط سياسي، ما راح يحصل هذا التغيير إلا مع
استرجاع السيادة، وفرض تطبيق الطائف بالنهاية يعطي
الحركة النسوية هذه الحقوق. والمفروض هذه الحركة
النسائية تناضل جنباً إلى جنب مع معارضة سياسية مطبوعة
لفرض دولة، واستعادة تطبيق الطائف. بعد تطبيق الطائف
فيما نفوت نصلح هذه المواد اللي لازم تعدّل مثل الخاصة
بمنح الجنسية والأحوال الشخصية والإرث والزواج المدني.
نصيحتي للحركة النسوية أنها ترتبط مع السياسة، وتحمل
شعارات استعادة سلطة الدولة، لأن حزب الله ما راح
يعطيها حقوقها.

مثلاً لم تحقّق الكوتا النسائية لأسباب متعلّقة بالنظام
السياسي، إحنا ما بحاجة لدساتير، بل شوية تعديلات،
وما عندنا مشكلة. المرأة اللبنانية حاصلة على كل حقوقها،
الحقوق اللي بعدها مش حاصلة عليها سببها النظام
السياسي، إحنا ما نجس الأم بسبب الحجج المعروفة
الخاصة بمشكلة تجنيس الفلسطينيين. الأحوال الشخصية
السلطة الدينية، سواء مسيحية أو إسلامية، تعارض أي
مساس بها. هذه الأشياء بذهم تحسين النظام اللبناني
حتى تحصل المرأة على كل حقوقها. وفي المقابل هي
حاصلة على حقوقها الأساسية؛ استقلالية مالية، باسبور
هي مسؤولة عن حالها، وحركة لا للعنف ضد النساء كمان
حققت كثير شغللات.

مود اسطفان: بحث دائم عن الموقع المناسب

مود اسطفان، مواليد 1952، أكاديمية متقاعدة من الجامعة اللبنانية في علم المكتبات والارشافة. التحقت بتنظيم يساري تروتسكي في محاولة للاندماج مع أفكار وتجارب أوسع من بيئتها البرجوازية وتجاربها الضيقة، ثم التحقت لفترة بمنظمة العمل الشيوعي. ثم تركت العمل السياسي.

في شهادتها، تعتبر مود أنّ تجربة جيلها انقطعت بسبب الحرب الأهلية، وهي متفائلة بالنسويات اللبنانيات الشابات، وقدترهنّ على تبديل واقع المرأة وتحسين أوضاعها.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 14 كانون الأول/ديسمبر 2020.

محاولات الاندماج

أستاذة متقاعدة من الجامعة اللبنانية، من الناس اللي عاشوا كل حياتهم بلبنان، مراحل الحرب ما تركت، عدا يمكن 9 أشهر، وقت ما درست برة.

كنت بيئة middle class من البرجوازية، سياسياً يمينية، معادية للناصر، ولما حصلت حرب 1967 كانت البيئة حولي protective وما بتهتم بالسياسة، لكن فيه شخص التقيت فيه ساعة بس بحياتي، ما عدت التقيت فيه بعدها، لكن هذه الشخصية غيرت حياتي.

وقت حرب 1967 كان فيه منع تجول، وعطونا ساعة لنضهر، يعني فكوا منع التجول ساعة، كان عند جارتنا شاب، وهذا الشاب قال لي: "شو وين نروح نتمشى بهذه الساعة؟" روخنا بتذكر على الكورنيش، وحكى لي عن الحرب بوجهة نظر مختلفة عن اللي كنت بسمعاها بالمحيط المباشر تبغي. وسمعت كلام مختلف. شاب يدعم جمال عيد الناصر، ويدافع عنه، وحكى لي عن هذا الشعور الوطني العروبي. هذا الشاب ما عدت شفته بحياتي. يمكن أكبر مني بسنة أو سنتين. بس كان عنده هذا الشعور القومي، اللي أول مرة بسمعه. أنا بحس إن هذه الساعة غيرتني، خضنتني،

فتحت لي مجال، خلقت عندي إحساس بمعنى الوطنية، والقصة القومية، ومشكلة فلسطين مثلاً اللي ما كانت واردة بذهني وقتها.

لما كنت في كالوريا قسم أول بالليسيه، حدا حكى لي عن مجموعة يسارية بالليسيه، إذا بحب اتعرف عليهم وانضم لهذه المجموعة، ذغري قلت آه بدون تفكير. بالكي كمان الرغبة في إنه اتعرف على شباب، لأنني كنت بمدرسة بنات. كانوا شباب من بيئتي، مسيحيين برجوازيين، كانوا بالحزب الشيوعي وإنشقوا عنه وشكلوا حلقة، صرنا نجتمع مع بعض، نقرأ لينين وماركس، كانت حلقات قراءة ونقاش.

وكانت فيه مظاهرة يوم 26 نيسان 1969، احتجاج -إذا أتذكر مضبوط- ضد مجابهة الجيش مع الفلسطينيين. نزلنا 3 بنات بثياب المدرسة، اخدنا تاكسي لحد مستشفى المقاصد حيث حاوط الجيش الأحياء، اللي هي المقاصد والأحياء الداخلية. وصلنا هذا الحي، وكانت أول مظاهرة ننزل عليها، شُفنا سيارة أمن داخلي أو ما يعرف، وصارت تقوص على الشارع. بتذكر إنه فتنا تخينا بمحل. ثم رجعنا لحقنا المظاهرة، بس وصلنا الناس بالمظاهرة شفونا بنات صغار بثياب المدرسة، قالوا لنا قربوا لقدام حتى ما يقوصوا، إنه إذا قربنا لقدام وشافوا بنات ما هيقوصوا. وإحنا بكل سذاجة مشينا حتى تقرب لقدام، ولما كان قريب علينا أول صف، شُفنا بالمقابل الجيش واقف مسكر الطريق، وموجهة البواريد على المظاهرة، وقوص. كُنا صرنا قدام، بس حد الحيط بعدنا. حسينا إنهم عم يستعملونا. حسيت بالغبن، وانقسام البلد، لما رجعت البيت عملت ثورة على أهلي.

التحقت بمجموعة تروتسكية انطلقت من الليسيه، وصرت أنزل المظاهرات دون علم أهلي، كان فيه كذا مظاهرة خطيرة. صرنا نلحق كل المظاهرات اللي بالبلد. المجموعة كان كلهم من نفس الطبقة الاجتماعية. لكن حسيت إن الانخراط الحقيقي لازم يكون بناس من طبقات اجتماعية مختلفة، ومنظمة العمل الشيوعي كان فيها ناس من بيئات مختلفة، ومش محصورة بكم شباب وبنات من بيئتي. لغتي الأم فرنسي، بلشت استعمل العربي بالعمل السياسي، كنت اخكي كثير قليل عربي. وكان بالنسبة إليّ قرار ترك التروتسكيين، وإني أفوت على المنظمة برغبة في انخراط أكبر بالمجتمع، المجتمع اللي عم اكتشفه، هذا وقت جرأة سنة أولى بالجامعة، كان عندي اتصالات مع نساء من حي اللجاء، بدل ما يحطوني في المنظمة بالطباع الطلابي، حظوني بالطباع العمالي لأنه كان فيه عندي هذه الاتصالات. هذا الشيء غير بنفسيتي. يعني فتت على المنظمة رغبة مني بالانخراط في مجتمع مختلف، دمروني. فقدت كل ثقتي بنفسي. بالكي يمكن

كنت مرعوبة، أكبر رعبه بحياتي، خفت كثير، بتشجيع من شخص بالمنظمة قال لي: "منك بمطك هون"، وعلى أثرها تركت المنظمة والعمل السياسي.

تزوجت الشخص الذي قال لي اترك المنظمة، وهو الذي ساعدني على بناء ثقتي بنفسي، واستعادة ثقتي بحالي. هو بقي سنتين زيادة. بعدين بِلشت الحرب، والممارسات ما عجبته، وترك. ما حارب يعني. الزواج كان تحوّل بحياتي، لأن زوجي من بيئة ودين مختلفين عني.

مُعبجة بالنسويات الشابات

مثلاً عجبني النضال الذي عمّ عمله الحركة النسائية عشان قانون الأحوال الشخصية، هذا هو المحور الأساسي الذي بدنا نبلّش فيه، وعندي إعجاب لهذه الجمعيات التي عمّ تشتغل بهذا الاتجاه .

النساء اليوم ناضلت، ونزلت على الثورة، تجربة النسويات الشابات مختلفة عن جيلنا لأن تجربتنا انقطعت بسبب الحرب، ما قدرت تثمر. يمكن لو ما صارت حرب، يمكن كانت أثمرت. لكن النساء اليوم عملت شيء ما قدرنا نعمله. الجيل الحالي من النسويات مُعبجة فيه كثير، هنّ أقوى ممّا.

سياسياً مش عمّ شوف أفق، لأن هيك انتفاضة بدون اتفاق على قيادة معينة ما عمّ توصل لشيء. الدليل على ذلك الوقت الحالي، إحنا الطبقة الحاكمة قوية وماسكة بعض وعندها القدرة على الاستمرار، وإعادة تجديد حالها، وما فينا نلعب معها هيك. بصراحة مش شايفة أفق، بالعكس أنا متشائمة جداً، وخايفة من تقسيم البلد.

لأنني ما ضليت بالقطاع الطلابي، لأكون مع ناس مثلي، يشبهوني شوي. صرت بمحل ثاني مع نساء، عم حاول اتصل بنساء وعاملات، اللي هن اكتشفت ما يعرف أحكي معهن. صرت واعية بنظرة الآخرين إليّ. حسسوني بالذنب إنني برجوازية، شيء كنت ما حسيته قبل ما افوت على المنظمة أبداً، خلقوا عندي الشعور بالذنب إنني برجوازية. وصرت أخاف من الناس، أخاف أحكي مع العالم، فقدت ثقتي كلياً في نفسي.

موقع خاطي؟

واستمرت صدماتي داخل المنظمة؛ مثلاً أبني كان اشتري لي سيارة جديدة، وقتها الجيش ضرب المخيمات الفلسطينية 1973، صرت عمّ أروح بسيارتي، عملوا منع تجول من الساعة 5 يمكن، بس أنا بالنهار كنت أروح على الأحياء لتوصيل أكل بقلب المخيم. ثم عرفت إن الجيش عمّ يفتش عليّ لأن بالصدفة حدا معه سيارة تشبه سيارتي وقفوه وعرف إنني مطلوبة، وجاء ذغري لعندي وقال إنهم عمّ يفتشوا عليك. والدي كان طبيب بالجيش، عمل اتصالات حتى يشوف إذا فيه شيء، قالوا له إن السيارة كانت عمّ تنقل سلاح، ما صدقت، لكن عرفت إن فيه مرة تركت السيارة لأشخاص من المنظمة، واستخدموها في نقل سلاح. هذا أقصى نوع من الاستغلال. وطبعاً خفت كثير، المهم إنها اتحلت. وخلال وجودي في المنظمة أيضاً، كان فيه مظاهرة مرخصة في 1 أيار 1974، وكان فيه بيان بدهم يطبعوه للمظاهرة المرخصة. الشخص الذي كان بدهم يجيب البيانات المطبوعة ما كان قادر يروح، طلب مني أروح، بس كنت ما يعرف المطبعة ولا يعرف شيء. قال لي: "يتروحي مع X"، وهذا X كنت سامعة إن فيه شكوك حوله أمناً. قلت يقولوا عنه هيك، قال: "لا، مش معقول صار كل هذا الوقت بشتغل معه وينقل البيانات، ولا مرة صار شيء". زحمت معه، قال لي: "انتظري بالسيارة أنا هروح اجيب البيانات وأرجع معك"، على أساس يرجع معي محل ما لازم نودي البيانات على مركز المنظمة. لما رجع حظ البيانات بالسيارة، وقال لي: "ما هرجع معك، لأنني هجيب أغراض لأولادي". وفعلنا مشيت بالسيارة، وطاردتني سيارة زحّرت كثير عليّ، لأضطرّ أوقف. وضربوا سيارتي حتى أقف، ونزلوني منها، وحطوني في سيارتهم، وواحد ساق سيارتي، وأخذوني على محكمة عسكرية. وبعدين أخذوني على وزارة الدفاع، حطوني 3 طوابق تحت الأرض بزنزانة، بعدين حققوا معي، وأخذوني على الأمن العام وحققوا معي، كل هذا وما عمّ اتصل بأهلي. والساعة 11 بليل سمحوا لي أتلّفن لأهلي. ما عندي غير بيانات، وبيانات لشيء مرخص، ما كان عندي شيء يقدرُوا يمسكوه عليّ.

نجلاء حمادة: مع العدالة للكل

نجلاء حمادة، مواليد 1943 في بعقلين (جبل لبنان)،
أستاذة فلسفة جامعية متقاعدة.

بخلاف عملها الأكاديمي، أدارت نجلاء المدرسة الأهلية
في بيروت لمدة ست سنوات، أدت دوراً مؤثراً في
الشأن العام عبر عملها بالتدريس سواء في جامعة ال-
AUB، التي عملت بها لسنوات عدّة، حتى استقالت في
العام 1999، أم في LAU.

في شهادتها، تتحدث نجلاء عن ضرورة ألا تكون الناشطات
في الحراك النسائي معنيات بصناعة صورتهم الاجتماعية
والسياسية على حساب قضايا المرأة، وتعبّر عن ذلك
بقولها ألا يكنّ "أنانيات" بل يجب أن يكنّ مدافعات عن
حقوق الغير عموماً.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 21
أيار/مايو 2020.

ولبنانيين وكانوا يتزوجوا وينصهروا، ويصبروا من المنطقة،
وهذا الشيء الذي يرفع الرأس أكثر شيء. ما فيه أحلى
من هيك، إن الإنسان يتقبل إن الآخر إنسان مثله، ومستوى
رقي الأمم والأفراد هو قديش يكونوا موضوعيين. لكني
ما كنت كثير بحب الأحزاب، لأنني ما بحب يكون فيه عقيدة
هيك، حتى لما دخلت حركة القوميين العرب، صار بدهم
أتركهن، لأنني نقدية كثير.

ما بحب كثير العقيدة، بل عقلي أكاديمي، مثلاً وقت تزوجت
قعدت سنتين أو ثلاثة بالبيت، كنت راح أموت، إذا سمعت
موسيقى أو شفت منظر لا أتأثر، كنت نصف ميتة. لكن
أول لما رجعت للعمل كباحثة مساعدة في الجامعة، وعملت
الـ MA غري وزني ضبط، ورأسي ضبط، وتفاعلت مع الحياة.

وفي السبعينات، اشتغلت في الصفحات الثقافية بمجلة
المستقبل، وكان مديري أدونيس، وكان معي في فريق
الثقافة بول شاولول، وسليم بركات، ومحمد العبد الله. كثير
حببت هذه الشغلة، مراجعات عن كتب وconcerts ومعارض
رسم. والشغل مع أدونيس كثير ساعدني لغويًا، بس
تسكرت المجلة، بعدها اشتغلت مترجمة.

ماذا فعلنا بزبالة الحرب؟

لما بلّشت الحرب كنّا كثير مقهورين على الذي عمّ يصير،
حتى إذا ناس عمّ يتناقشوا على مين معه حق أكثر، مش
لازم توصل ليقتلوا بعضهم، بعدني كثير بكره الحرب.
فكرنا إنها راح تكون قصيرة، وراح تنتهي إن حدا يربح، وكنّا
متوقعين يربح الناس الذي تفكيرهم مع العدالة الاجتماعية
وتكافؤ الفرص.

ثم سامرنا على واشتطن لأن زوجي كان بده إيانا نترك البلاد
بسبب الحرب، لأنه كان مش مرتاح لسفره كل الوقت لعمله
كرجل أعمال. رحنا أميركا سنتين، بعد منها بشي، سنتين أو
ثلاثة رحنا سنة كمان.

كانت نقلة حلوة كثير بالنسبة إلّي، تحررت من مشكلة
الهوية التي كنت أعاني منها في لبنان، "شو طائفك؟"
أو "شو عائلتك؟"، وفي أميركا كنت لحالي. كثير اتبسط
إنّي أكون أنا بس، بدّي أشوف كيف الناس يتفاعلوا معي
حسب شو عمّ يعمل، كانوا أولادي صغار، وكنت عمّ بدرس،
واهتم فيهم.

تأثرت كثير بهيغل، كانوا بجورج تاوان يسموني the
hegelian أي الهيجلية نسبة للفيلسوف الذي خلاني أفهم
شغلة عن الحرب: هيغل² يقول إن من حسنات الحرب طلوع
زبالة المجتمع على الوجه، وهيك المجتمع يقدر يقشها

ولدت في عائلة كثير محافظة، كان مش المفروض أكفي
دراسة، ولا اتجوز إلا ابن عمي، ولا مسموح إنّي اشتغل أو
أورث، لكني رفضت المفروض، وكنت أول بنات العائلة في
الحصول على بكالوريا، ثم الشهادة الجامعية، وعملت MA
بالفلسفة بالـ AUB، وكذلك في الشغل لأن بالنسبة لعائلة
إسلامية كان شغلي مش مرحب فيه أبداً.

وكنت الأولى بالعائلة تحصل على دكتوراه من جامعة
جورج تاوان بالفلسفة، وكنت كذلك أول بنت تزوجت من برّة
العائلة... هكذا فتحت الباب لبنات العائلة.

أبويّا كان رئيس مجلس النواب، ما استفدت حاجة إيجابية من
منصبه، لأن وقتها كان فيه الأحزاب الشيوعية والتقدمية،
وإذا كانت سمعة الواحدة إنها من عائلة old school or old families
كان شيء مش لصالحها، مثلاً البنات كان عندهن
ثقة في القوميين السوريين، إذا شاب قومي سوري
تحكي معه، لأن سمعتهم كويسة ومش طائفيين وعندهم
أخلاق. وكنت معجبة بالمؤرخين القوميين السوريين، كانوا
يركزوا على إن هذه المنطقة من العالم طول عمرها تتقبل
الآخر، مرّت عليها قوميات مختلفة، آشوريين وصوماليين

1 صبري حمادة (1902-1976) بولي رئاسة مجلس النواب اللبناني لفرار
عدة.

2 فيلسوف ألماني (1770-1831).

للزبالة وبكبتها. ولكن يعدّ ظلوعنا من الحرب ما استفدنا شيء، بل وصلنا للأسوأ، نحنا طلعت على الوجه [الزبالة]، وجاءوا السوريون³ حطّوها، وحكموا الزبالة برقابتها، ضلت الزبالة بعدها لهلاً.

الحرب منش بس ما حدا ربح، بل خلت الزبالة على رأسنا.

النساء بالإدارة أحسن من الرجال

مثلاً أنا ضد شيء بالجندر إن النساء تصير مثل الرجال، بل فينا كنساء أشياء كثير أحسن، أعتقد النساء بالإدارة أحسن من الرجال، لأن المرأة تتعاطى مع مرؤوسيه تاريخياً منش كوظيفة، تعرف شو وضعهم، شو اللي عنده مشكلة عائلية، وتأخذ هذا الشيء بعين الاعتبار، إذا بدنا نعمل إدارة ذات طبيعة نسوية، تضع في عين الاعتبار الإنسان اللي مصيره بأيدها، وتنمّي مواهبه وتشجعه.

مثلاً أنا مع العدالة للكل، رجال ونساء، طبعاً النساء فيه إجحاف بحقهن، وأتمنى القانون ينصفهن بالعائلة والشغل. وتربوياً تصير النظرة للمرأة منش إن هذه حلوة وهذه بشعة، حتى وقت كنا بالجامعة كان فيه أساتذة يقعدوا يقولوا "هذه رجلا حلوين" أو "هذه صدرها مدري شو". هذه الأشياء كثير تزجني بس أنا مؤمنة إن المجتمع كله بده يترقى، حتى تأخذ نساؤه حقوقهن. لكن أظن إذا كانت المرأة مهمانة وعمّ تعطي المجتمع، ما فيهم يقولوا لها روجي اقعد بالمطبخ، بل تستطيع تفرض خالها، بلا ما تقول لهم أنا ما بدي أقعد بالمطبخ ما فيه لزوم تقول لهم، يقولوا لها اتفضلي روجي تكوني مواطنة كاملة.

فيه كثير ستات مثلاً بحتقر أدالهنّ لأن أهم شيء، إنهن يقعدن قدام عشان يتصدرن المشهد، ولا فارقة معهن المرأة. إذا كانت هؤلاء النساء بدهن الصف الأمامي، ليه يعملن جمعيات نسائية، الأفضل تعمل الواحدة منهن سياق ركض، وتوصل بالأول. لذا لم أدخل جمعيات نسائية، لكني شاركت في بعض أنشطة "تجمع الباحثات اللبنانيات"⁴ و"المرأة والذاكرة"⁵ بمصر، لكوني مؤمنة إن المرأة الأكاديمية بحاجة إنها تعمل أبحاث، وتلاقى منبر لشغلها، وتتجاوز مع ناس عندها تطلعات ومشاكل مشتركة،

3 بدا الوجود السوري، العسكري والمخابراتي، بعد عام من اندلاع الحرب الأهلية، لكن هذا الوجود استمر بعد اتفاق الطائف الذي أنهى وجود الحرب. وغادر الجيش السوري لبنان في العام 2005، بعد اغتيال رئيس الحكومة اللبنانية رفيق الحريري.

4 أسس بجمع الباحثات اللبنانيات في 1992، منتدى للحوار وللتبادل الحر للأفكار. ينشر كتاباً سنوياً "باحثات"، فضلاً عن تنظيمه لقاءات. يهدف التجمع إلى تعزيز صلاب الباحثات، ودعم أبحاثهن، وتشجيع الشابات في الاهداء إلى ميادين الأبحاث الملائمة لهن.

5 تأسس "المرأة والذاكرة" في مصر عام 1995، من قبل مجموعة من الباحثات والأكاديميات والنشطات المهتمات بصورة المرأة العربية في الثقافة، والتصورات السلبية عنها التي تشكل حجر عثرة في طريق تطور المرأة.

هكذا يكون نضال المرأة له سياق.

مستقبلنا يتوقف على نوعية الناس اللي عمّ يعملوا هذا المستقبل، فيه يكون أسوأ مما هو، وفيه يكون كثير أحسن. مثلاً بسبب هجرة اللبنانيين بكثافة، بحسها شيء سلبي وزاد تخوّفي من هجرة المسيحيين، لأنها تمس تنوع مجتمعنا، خاصة بوجود حركات إسلامية أصولية، لذا وجود المسيحيين كثير مهم.

نعمت كنعان: المواطنة وسيلتنا الوحيدة للنجاة

نعمت أسعد كنعان، مواليد 1945 في قرية بوداي في محافظة البقاع (قضاء بعلبك)، تُعدّ أول امرأة تُعيّن مديرة في الدولة اللبنانية.

في شهادتها، تتمسك بفكرة وحدة لبنان، والتي كانت هاجسها من زمن الحرب الأهلية، والتي تراهها الفكرة التي سترسم مستقبل أفضل.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 12 حزيران/يونيو 2020.

أن تصبح المرأة مديرة

نعمت أسعد كنعان، متزوجة من العميد الركن كمال أبو عبد الله، وعندي ثلاث بنات، ربيتهم يكونوا قويات، وتتخذ كل واحدة فيهن قرارات مستقبليها، وهذا -الحمد لله- كثير ناجحات.

من صغري كان عندي تفكير بحقوق المرأة، خاصة إننا أربع بنات بالعائلة، (جاءنا بالآخر أخ معوق وتوفى بعدين). بالضيعة، المحل اللي خلقت فيه بقرية بوداي، ما كان فيه حدا متعلم أبداً. كنّا أول بنات ما تحجينا، رغم أنها ضيعة شيعية، وأبي شيعي، لكن أمي مارونية.

ثم انتقلنا لطرابلس، ولما أنهيت دراستي الثانوية، وطلعت الأولى، وكان بدّي الدراسة في الجامعة، واجهت رفض من قبل الأهل، على اعتبار إن البنات في هذا الزمن، ما كان مألوف تتلقى علم أكثر من التعليم الثانوي، وقالوا لي: أهلي: "يكفي هالقد" لكن الرفض ما وقف طموحي وعزيمتي إنني بدّي أفوت على الجامعة. ونجلاء، أختي الكبيرة، والتي تكبرني بسبع سنين، قالت للوالد: "لا، خليها تموت على الجامعة". وساعدتني مديرة المدرسة، وداد ديبو، قالت لي: "أبوكي فيه بجي لعندي؟" قلت لها تلفيني له، تلفنت له وجاء، وقالت له: "ليه ما تخليها تفوت على الجامعة؟" قال لها إن "الجامعة بيروت، ونحنا بطرابلس، وهي بنت صغيرة... والجامعة تكلف كثير. وبعدين هنا بالمنطقة ما حدا فوّت بنته على الجامعة". قالت له مس ديبو: "إنّك بدّك تبقى pioneer، فوّت بنتك على الجامعة

وما راح تكلفك شيء" ... وقد كان دخلت الجامعة.

بعد الجامعة، كان بدّي اشتغل، القعاد بالبيت وتعلّم الخياطة فـا كانت شغلة بخيالي. ما كان فيه خيارات واسعة للمرأة في هذه المرحلة تشتغل وتتوظف وهيـك. بالصدفة كان فيه صديق لنا أخوه عضو مجلس الإدارة بالإنعاش الاجتماعي، قال لي إن أقدم لأنهم طالبين موظفين بالمصلحة، وهيـك اشتغلت بالصدفة. حيث العمل الاجتماعي، وصار عندي شغل له، ثم عملت ماجستير، والتي كانوا رؤساء مصالح ما عندهم مؤهلاتي. لذا طلعت للمدير العام قلت له إنني عندي كل الكفاءة والشهادات، وبدّي ترقية. تطلع فيـه هيـك، أنا كنت صغيرة بعدي يمكن 25 سنة، وما كان فيه ولا امرأة رئيسة مصلحة بلبنان، وقال لي: "القصة صعبة، بدّك تنزلي على مركز خدمة مدنية، ونشوفي إذا يقبلوا". قلت له طيب، نزلت على مركز خدمة مدنية ومعني CV تبعي وشهاداتي... وهكذا دامت المعاناة حوالي سنة حتى أخذت الوظيفة.

خلال شغلي، تعرّفت على زوجي. هو كان مسؤول عن الأمن العسكري، والقضايا العسكرية، وكلف كمندوب من الجيش لمناقشة مشروع خططنا مع قائد الجيش لدعم عائلات العسكر... طلع منه "إذا نتزوج"، قلت له يمكن أهلي ما يقبلوا أبداً، لكوني مسلمة وهو مسيحي، لكنني خبرت نجلاء اللي كانت تعرف أخته، كانت تعلّم معها بنفس المدرسة، مهدت أختي شوية قدام الأهل، وتزوجنا في 1970.

عادة المرأة لما تتزوج تنسى عائلتها، وتتخلص عن كل شيء، ونصف لزوجها حتى بالاسم، لكنني رفضت هذا، ولما تزوجت حافظت على اسم "نعمت كنعان"، خاصة أن أهلي لهم فضل كبير عليّ، ليه أنكر فضلهم، وأترك اسم عائلتي، وزوجي شخص كثير منفتح وكان يتقبل أي شيء، وبعدين اسمه كبير، "كمال أبي عبد الله"، نعمت أبي عبد الله، القصة طويلة.

التمسك بالوحدة في قلب القتال الأهلي

ومع اندلاع الحرب الأهلية صار عندي بنتين، وقسمت الحرب العاصمة لشرقية وغربية. وكنت متزوجة ببيروت الشرقية، وأهلي: أمي وأبي وأختي الكبيرة وأخي المعوق، بالأخرى. حسيت إن الحرب الأهلية عملت لي حاجز كبير، وصار فيه صعوبة تنقل.

لكن أكثر شيء، أثر في إن أولادي ربيوا بُعاد عن أهلي.. التواصل ما كان مثل ما بدّي. ورغم الحواجز والمخاطر، كنت أقوم بواجبي المهني، لأنني غيّت، وأنا مديرة بـ"الإنعاش"،

1 تأسست هذه المصلحة بنسباً لمرسوم صدر في العام 1959.

وعملنا مشروع تأمين حقوق المعوقين؛ كل معوق نعطيه "بطاقة إعاقة"، بموجبها المفروض يتعلم ويتحكم ويأخذ المَعينات الطبية.

الوعي أهم من القانون أحياناً

رغم اقتناعي بأن الحركة النسائية عمّ تشتغل، لكنها لم ترفع يعد كل أشكال التمييز ضد المرأة بالقوانين الأساسية، وذلك بسبب عوائق منها الطائفية. وعندي على الحركة النسائية مأخذ أو شغلة أساسية؛ التركيز على الكوتا، لكني ضدها، بل أعتبرها تمييز إضافي، وأيضاً إذا كانت فكرة الكوتا هي حجز مقاعد للمرأة بالانتخابات النيابية، مين راح يسمّي النساء، الأحزاب والتيارات السياسية الطائفية؟ لكن بدون الكوتا، ستأتي النساء المناضلات القادرات على إثبات وجودهنّ، المكافحات للوصول، لذا الحركة النسائية يجب أن تخفف من تركيزها على الكوتا لصالح grass-root، يعني يكون التركيز على النساء العاديات، الطبقة القاعدية، لأن التغيير يبدأ من القاعدة لفوق، مش العكس. القانون يساعد إن المرأة توصل للحق، لكن القانون مش كل شيء، الوعي أهم منه، لأن بالوقت تقدري توصلي لقانون، لكن ما فيه شيء يضمن الوعي.

مستقبل أسود

أرى أن المستقبل أسود، طالما الشعوب العربية لا تتحرر من التعصب الديني والطائفي، وما فيه أمل إلا بتحوّلها لدول ديمقراطية تؤمن بالمواطنة الحقيقية لكل المواطنين.

وفي لبنان الحل إننا نتفق مع بعضنا، ونحطّ هدف موحد عشان نقدر، ونستقل بحالنا، ما حدا يتطلع برّه حدوده، ونشوف كيف راح نبني وطن ديمقراطي، يأمن الحياة الفريدة لكل مواطن، والمساواة، ما فيه أمل إلا بتحقيق ذلك... إحنا مجموعة شعوب في بلد واحد، لا يوجد عندنا شعب واحد، إذا صرنا شعب واحد نقدر نبني دولة.

لعضوة في "الهيئة العليا للإغاثة" لمساعدة المتضررين من الحرب، فكنّت مسؤولة عن استلام أو توزيع الهبات اللي كانت تحيننا من المنظمات الدولية. وبحكم وظيفتي اضطررت للتنقل بكل المناطق اللبنانية، من الحدود الجنوبية إلى الشمالية، للبقاع، لكل المناطق. وهيك تعرفت على كل قرى لبنان، برزمتها.

خلال الحرب أيضاً، تعرضت حياتي للخطر عدة مرات؛ توقيف على حواجز مسلحة، وإطلاق النار، وقتابل. لكني كنت أتعامل ببرودة أعصاب. وكنّت مرات أروح على مصرف لبنان لأصرف رواتب الموظفين، وأحط فوق منها لكسات وبيجامات حتى ما يبيّن إن الشنطة فيها مصاري. هذه الأحداث الحقيقة ساهمت في تقوية شخصيتي أكثر.

كان عندي إيمان إن لبنان لازم يبقى موحد، وإن شغلي عمّ يساعد بتوحيده، ضلني فاتحة المنطقتين على بعضهما، والموظفين ببيروت الشرقية يأخذوا معاشاتهم، والموظفين الغربية يعرفوا شو عمّ يصير بالأخرى. كان عندي هوس بلبنان الموحد، رغم تأثر كل المناطق طائفيّاً، مش بس بيروت.

بعد انتهاء الحرب، قرروا يلغوا مصلحة الإنعاش الاجتماعي، ويعملوها وزارة الشؤون الاجتماعية. وقتها حكوا عن تعيين مدير عامّ في الوزارة الجديدة، فلت للمسؤولين أنا يا بعمل مدير عامّ، يا بترك لكم الوزارة، وصعدت إنني شفت رئيس الجمهورية، وبعد 3 أشهر تعينت مدير عامّ للوزارة. كنّا في مرحلة تأسيس "الشؤون الاجتماعية"، وشكلنا فريق عمل متجانس ترأسه الوزير، وعملنا المراسيم التنظيمية. بعدها بدأت إثبات وجود هذه الوزارة، لم يكن عندنا موظفين أو أدوات لإنجاز أي شيء، لذا عملنا مسوحات سكانية، وحللنا كل المسوحات؛ الفقر، الأمية، الأوضاع الاقتصادية والزبوبة والصحية، كله حللنا وطلعناه. وعلى هذا الأساس قدرنا نرسم خريطة انتشار مراكز خدمات إنمائية تغطي كل لبنان، حوالي 92 مركز خدمات أساسي، وكل مركز حسب اتساع الرقعة الجغرافية، له فروع. وبدأنا ندرس أوضاع المعوقين، واشتغلنا على وضع مشروع قانون المعوقين، اللي صدر سنة 2000.

أنا كان عندي أخ معوق، كنا كثير معلقين فيه، وكان عندي اهتمام بشؤون هذه الفئة، لذا كان كل همي أعمل خدمات للمعوقين، واشتغلت كثير أنا والفريق اللي معي بالوزارة، كان فريق بياخذ العقل، كله كان عمّ يشتغل مش كأنه موظف، بل كأننا عائلة، شغلنا ليل ونهار.

2 أسسب وزارة الشؤون الاجتماعية في العام 1993، وبولي مسؤوليتها الباس جوريف خبطة.

3 الباس الهرأوي، بولي منصب رئيس الجمهورية من 1939 إلى 1998.

نهلة الشّهال: انتفاضات 2019 لم تصنع بدائل قوية

نهلة الشّهال، من مواليد 1952، صحافية وسياسية وأكاديمية ومناضلة شيوعية.

انتمت في صفوف "منظمة العمل الشيوعي"، منذ تأسيسها مع مطلع السبعينيات، وصارت من قياداتها، ثم تركتها في الثمانينيات.

عملت نهلة بالتدريس في لبنان وفرنسا، وأعدت أطروحة دكتوراه، حلت فيها طبيعة النظام السوري، والظروف التي أدت إلى وصول حافظ الأسد لرئاسة سوريا (1971-2000)، وتعمل نهلة رئيسة تحرير موقع "السفير العربي".

وفي شهادتها، تتحدث نهلة بندم عن الحرب الأهلية، رغم إدراكها أنّ مشاركتها كانت لسبب نبيل، وهو حماية المقاومة الفلسطينية، إلّا أنّ الحرب جرت بها أهوال، كوارث ومذابح. كما تعتبر أنّ "تشرين 2019" محاولة إتيات وجود، لأن التمثيل السياسي والنقابي والاجتماعي لم يعد مُعَبَّرًا.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلتين أجريتا في 3 و11 تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

درجة عالية من الحساسية للشأن العام

اشتغلت كثير من الشغلّات بحياتي، وكنت بنفس الوقت كاتبة وصحفية وأستاذة بالجامعة، ومناضلة.

عندي أخت وأخ، وأخي دفع ثمن كونه صبي بيت ما له فيه ولا ميزة. جاء بعدي بسبع سنين، وكان الأصغر، وأنا وأختي، رندة، وأمّي طيغا، اللي بدنا إياه يصير. كنّا ثلاث نسوان قويات بالبيت.

بالنسبة ليّ الشأن العام كان أساسي، حتى قبل ما أكون شخص عنده شيء من الاستقلال الذاتي، يعني عندي درجة عالية من الحساسية للشأن العام. لمّا كنت صغيرة أهلي كان عندهم مشكلة إنّي لا أحتمل مناظر معينة مثل إن ناس يكونوا بالسّين، هذا كان يجزّ دموعي. هذا تركيب شخصي، صعب تحليله.

مثلاً أنا من وسط برجوازي، وريانة بيت ناسه مادّي كثير مرتاحين، وهذا كان له إيجابيات كبيرة، بمعنى كنت محمية

اجتماعيًا، وكنت مؤيدة من قبل أبي وأمّي. أمّي محامية وعضوة بنقابة المحامين العراقيين من 1943، لكنها لم تشتغل بالمحاماة، لأنها لمّا وصلت لبنان أهل أبي قالوا لها إن "ما فيه ست تروح على المحكمة"، فقالت لهم: "بدي اشتغل ما فيني أقعد"، هكذا بدأت تعلّم بثانويات الصبيان الرسمية، لأنه ما كان فيه ثانوية بنات، وبعدين هي وغيرها اشتغلوا على تأسيس مدارس ثانوية للبنات.

أمّي ربّت أجيال، لأنها كانت مؤمنة بأن التحرر النسائي لن يتم إلا بالتعليم والعمل، أن المرأة يكون عندها دخلها الخاص، حتى تكون مُستقلة مادّيًا. وكانت تقاتل قتال فطيع لمّا بنت تترك المدرسة، لأن أهلها خطبوا. طبعًا إحنا اليوم بنعرف إن التعليم وحده ما بيكفي، بس وقتها كان trend إن الشهادة شرط التحرر.

سياسيًا، أبي وأمّي شيوعيين، ومثل كل الشيوعيين كان فيه صراع مع جمال عبد الناصر، لكن لمّا وقعت هزيمة 1967، أبي أصيب بذبحه قدامي لمّا سمعنا خير انسحاب الجيش المصري حتى غرب قناة السويس. اصفرّ وجه أبي، وقال لي: "انهزمنا" بعدها نُقل على المستشفى، وضل 40 يوم، وقعدت معه وقتها... هكذا اختلط البعد الشخصي مع العام، وكان عمري، وقتها، 15 سنة.

عذاب الحرب الأهلية المُستمر

تركّت تنظيم أهلي، الحزب الشيوعي، وشاركت في تأسيس اليسار الجديد؛ "منظمة العمل الشيوعي" اللي أعلنت بالـ1970. كنّا نعمل اجتماعاتنا بمخيم برج البراجنة¹. وكانت المنظمة مفصل أساسي بحياتي، كانت ظاهرة تحليلية وفكرية ونضالية، ومتمحرة من كل اعتبار.

مثلاً، قبل الحرب الأهلية، انخرطت في انتفاضة فلاحية سهل عكار.

لمواكبة هذا الحدث المهم، اللي استمر لحد بداية الحرب الأهلية، ووضعنا كان يشبه القرون الوسطى، لا فيه كهرياء أو مياه أو طرقات، كانوا يشتغلوا اقتصاديًا كفلاحين بنظام المراجعة، الفلاح يشتغل بالأرض ويأخذ ربع المحصول، وكانوا عمّ يطالبوا بتغيير هذا الشيء، وتحسين حياتهم. كانت فيه محاولات لمنع انتفاضة فلاحية سهل عكار، وعدم تلبية مطالبهم، ودخل الدرك³ أكثر من مرة، وطبغا اندازوا

1 حركة يسارية تأسست في العام 1970، وهي نتاج اندماج "منظمة الاشتراكيين اللبنانيين" مع "لبنان الاشتراكي" وبعض مبادئ حركة القوميين العرب. وكان أمين المنظمة محسن إبراهيم. طابقت ميليشيات "العمل الشيوعي" الحرب الأهلية اللبنانية. وارتبطت المنظمة مع الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.

2 مخيم يقع في ضاحية بيروت الجنوبية، أنشئ في العام 1948 من قبل اتحاد جمعيات الصليب الأحمر.

3 الشرطة الرسمية في لبنان.

بالجامعة"، هو طبيب، وكان يحلم إنني أفوت على كلية الطب، لذا اتفقنا إنني أفوت على كلية الحقوق.. هكذا درست صباخاً بكلية الإعلام، وظهرًا في الحقوق. وفي السنة الثانية كنت محتاجة منحة دراسية، وقدمت في كلية التربية قسم الأدب الفرنسي، وقضيت سنة مع الأدب الفرنسي لظروف المنحة.

مثلًا اخترت الدراسة، ثم التدريس بالجامعة اللبنانية، انبيازًا لهذه المؤسسة الوطنية في بلد ليبرالي تتغول فيه الجامعات الخاصة، وقسم منها عنده طابع طائفي. كان مهم كثير بالنسبة لي الانبياز لتلك الجامعة، لأنها نتاج نضال أهلنا... وهكذا صرت أعلم بالجامعة من 1985.

المجموعة الأولى التي درست لها بكلية علم الاجتماع، كانت شبه أمية. كانوا خلال عشر سنين، بسبب ظروف الحرب، عمّ يطلعوا من صف لصف بدون امتحانات أو دراسة، كان فيه تحدي كثير مهم بخصوص تعليم ناس تقريبًا ما تعرف تقرأ وتكتب، ناس لا تعرف شو يعني قاموس، أو إن "لاروس" مرتب حسب الأبجدية. كان دوري عمل شبه محو أمية.

مقاومة إسرائيل في فرنسا

مثلًا أطروحتي للدكتوراه كانت عن كيفية وصول حافظ الأسد للسلطة، كان موضوعها النظام السوري وطبيعته. كان ممكن أدرس عبد الناصر ولأه الناصرية، أو "البعث" أو شو ما بدّي، لكني درست الميكانيزمات السوسيولوجية والسياسية لوصول حافظ للسلطة... هكذا درست الاجتماع السياسي السوري، من نشأة سوريا لسنة استلامه الحكم. كانوا كثير مبسوطين بفرنسا من موضوع الدراسة، لأن دراستي مختلفة عن اهتمامات دارسي منطقتنا، ولأنها ركزت على فحص العلاقة بين الدولة والمجتمع، وميكانيزمات الوصول للسلطة.

ما كنت متصورة خالي أعيش بارات لبنان، لكني عشت في فرنسا حوالي 20 سنة. وتركى لبنان متعلق بأسباب شخصية منها إنه صار صعب عليّ كثير الاستمرار، وبقي عندي بنت صغيرة، وأول لما وصلت فرنسا ولدت الثانية، بين البنتين خمس سنين. وقبل سفري، كان فيه نوع من الملاحقة من قبل المخابرات السورية التي كانت كثير قوية في طرابلس.

وفي فرنسا، اشتغلت بالتدريس، وظيفت سنتين عاملة إذن من الجامعة اللبنانية. وبعدين قلت بما أني مش راج أرجع، أقدم استقالتني، وقد كان.

ثم خضت معارك متعلقة بالقضية الفلسطينية مثل

ومع اندلاع الحرب الأهلية، انخرطت فيها 15 سنة، لكن دافعي كان حماية المقاومة الفلسطينية التي كنت مقتنعة بأنها ظاهرة ثورية رغم كل عيوبها. شغلنا كثيرة نادمة عليها، أو تؤرقني، مثلًا إن كثير من رفقاتي استشهدوا في هذه الحرب، وهذا الشيء ما ينساه، أو وقوع أشياء مرعبة، وكان ممكن تجنبها، مثل معركة احتلال بلدة شكا لتخفيف الضغط عن مخيم تل الزعتر الفخاصر، تحوّل هذا الاحتلال لمجازر، لأن اللي فاتوا على شكا تصرفوا بطريقة متوحشة وبدون أي انضباط، ولأنه ما كان فيه خطة. ولا تزال هذه الوقائع شغلة مؤرقة لي، وتُعذبنني، وبالتأكيد اللي عاشوها، واللي خسروا أولاد وأهالي ما ينسوا.

تنظيميًا، كنت في اللجنة المركزية بالأول، ثم المكتب السياسي، عن طريق الانتخاب مش بإرادة القيادة. وكنت كل الوقت نقدية، أخالف الرأي اللي ما يعجبني، وأعمل اللي أنا مقتنعة فيه، وهذا مفهومي للالتزام السياسي والنضالي، ولم أقبل أبدًا مبادئ الانضباط والمركزية الديمقراطية، بل رفضت تطبيقها، وهذا كان يضوهم كثير في القيادة.

لاحظت تحوّل منظمة العمل الشيوعي من ظاهرة فكرية ونضالية بأوائل السبعينات إلى تنظيم أكلته الحرب الأهلية، بل أنهت هذه الظاهرة الفكرية تمامًا. في فترة قلت لمحسن إبراهيم إننا نركز على الشيء الأساسي اللي عملناه بأول السبعينات: محاولة قراءة الواقع، مش بس اللبناني، وإنما العربي، ونعمل مجلة فكرية، ونطرح نقاش حول المسائل الأساسية ونحددها. هو كان شخص كثير سياسي، مهم بالنسبة له العلاقات والتركيبات، تركيبه هيك، لكن طبعًا صار ما له دور في مجريات الأمور، لأن كل المعطيات تغيرت. لكن وقتها كنت على هامش هذا الموضوع، وشوي، شوي، انسحبت. الانسحاب كان غير مؤلم، بل الصراعات داخل التنظيم هي اللي كانت مؤلمة.

ثم طلعت من المنظمة في 1984.

آثار الحرب الأهلية على الجامعة

على المستوى التعليمي، التحقت بكلية الحقوق بالجامعة اللبنانية، لأن أبي ما كان مقتنع أبدًا إن الصحافة اختصاص، قال لي: "اللي بدّا تعمل صحافة تكتب مش تقعد تدرس

4 وقعت مذبحة شكا في العام 1976، عقب مذبحة مخيم بل الزعتر، التي خلفت ثلاثة آلاف قتيل فلسطيني، على يد الجيش السوري والقوات المارونية ومن ضمنها الكائب ونمور حزب الوطنيين الأحرار. وهي مذبحة شكا هاجم المسلحون الفلسطينيون سكان المدينة المسيحيين، ما أسفر عن مقتل حوالي 200 من هؤلاء السكان.

5 سياسي لبناني يساري، أسس تنظيم "لبنان الاشتراكي" ثم شكّل منظمة العمل الشيوعي في العام 1970 التي صار أمينها العام

المطالبة بإطلاق سراح معتقلي "معتقل الخيام" ⁶ بجنوب لبنان، وعملنا مجموعة أساتذة فرنسيين وأوروبيين مع مناضلين ومنظمات.

باللؤلؤ اعتبرونا نتجنس على إسرائيل، حتى الحزب الشيوعي الفرنسي قال إن "لو فيه هيك شيء كانوا الرفاق قالوا لنا" قلنا لهم: "إحنا عم نقول لكم هلا". ما حدا صدق إن إسرائيل عاملة بجنوب لبنان سجن، كان لحد 1994 سري تعافا، لما فات الصليب الأحمر الدولي تغيرت حياة المعتقلين. اخترنا سهى بشارة ⁷ كرمز لمعتقل الخيام، مسيحية وشيوعية، ووجهها بديع جدًا، وشابة صغيرة. وفعلنا أطلق سراحها، الرئيس الفرنسي، جاك شيراك ⁸، راح إسرائيل، ومن جملة الأشياء اللي حكاهها مع الإسرائيليين قوله إن هذه البنت [سهى] بدّي إياها. وبعدها بفترة جرى إغلاق المعتقل، كان هذا انتصار لهذه المجموعة اللي كانت بالدرجة الأولى فرنسية.

ضليت ثلاثة أيام لأن روحي مسافرة، ما كانت بباريس، بل طارت على لبنان. لدرجة كنت أحس بالغربة، أمشي في الطريق أقول مين ها دول الناس، ليش يحكوا بهذه اللغة، بل بطلت أفهم فرنساوي، كنت مستغربة أنا وين. شعور بالانفصام مربع، عقلي وروحي وأحاسيسي، بل للي موجود بجنوب لبنان، باللي عم يصير هناك، وموجودة جسديًا بفرنسا... انفصام بين الجسد والروح.

ثم انخرطت بشيء اسمه البعثات المدنية إلى فلسطين، بمعنى أن الناس تروح على حسابها من أوروبا لفلسطين، وإحنا نرتب الرحلة والزيارات واللقاءات، مجرد إنهم يشوفوا الواقع راح يكون كافي لإقناعهم بالقضية الفلسطينية، وعدوانية إسرائيل. فيه تقريبًا أربعة آلاف شخص راحوا من فرنسا، كلهم رجعوا اشتغلوا كرمال دعم القضية الفلسطينية. ثم رجعت لبنان لما انفجر الوضع بالمنطقة مع انتفاضات 2011.

الغرام والنسوية

ما عملت كثير علاقات بحياتي، أربع أو خمس علاقات. ما كان هذا كثير مهم، لكن لما حصل غرام كان من خارج الإطار السياسي اللي أنا فيه. مثلاً مرة واحد من المكتب

السياسي في منظمة العمل الشيوعي قال لي: "ما فيه ولا واحد منّا، إحنا الـ17؟ ليه روحتي على شاب فلسطيني من فتح" كانوا متفاظين من هذه الشغلة، قلت له هو اللي انغرمت فيه، شو أقدر أعمل. ولما تزوجت كان حدا ما خصه أبدًا بالمنظمة، بل كان شيوعي عراقي ولاجئ سياسي.

أنا نسوية، مؤمنة بصورة مطلقة وكاملة أن النساء والرجال متساوين، بس ما كانت عندي رغبة في إعطاء جهدي وطاقتي في هذا المجال. زمان الحزب الشيوعي حاول يكلفني بمهمات متعلقة بالعمل مع النساء، وشجعني أبني وأمسي على القيام بهذه المهام، لكن طموحي تجاوز هذا الجانب، لذا لما قالوا لي في الحزب الشيوعي: "بدنا نسلمك القطاع النسائي"، رفضت، كان عمري 15 سنة، وكملت في الشغلات اللي بتهمني.

حاليًا، فيه مجموعات جديدة مثل "كفى" ⁹، ليس بالضرورة نقيمتها، لكنها قدرت تنزع بعض الحقوق. بصراحة ما بعرف كيف نقيم هذه الجهود!

نتائج الانتفاضات مبثورة

بخصوص "17 تشرين 2019"، مقتنعة إنه اللي ببسموه جمهور "حزب الله" اخترقه اختلال ما، لكن هذا الاختلال لا يظهر بشكل واضح للأسباب أولها إن فيه استقطاب طائفي حاد بالبلد. وإن فيه عملية تنظيم للتشبيك حتى على المستوى العالي، والمادي، والخدمي، هو كثير عالي الوتيرة. هذا بيخلي الانفكاك عنه كثير صعب، وفيه "الحضن الطائفي الدافئ"، حسب تسمية وضاح شرارة ¹⁰. مثلاً حكيت لي صديقة، صبية صغيرة، أنها راحت تقص شعرها عند حدا كوافير شاطر كثير، وكان عم يكرمت على "حزب الله"، هو شيوعي من الضاحية، قامت هي كرفتت أكثر، هي كمان شيوعية، راح هو وقف وقال لها: "وقفي شو عم بتقولي". هو بدّه يكون الانتقاد بحدود معينة، لكن لما هي زادت من نقدها لحزب الله، وبدأت تنظر لهذا الشيء، هو كثير انزعج. شرحت لي موقفها إنها كانت خائفة منه لأن المقص تبعه جنب رقيتها، لهذا قالت له: "معك حق... وما هيك قصدت".

انتفاضة تشرين أيضًا هي محاولة إثبات وجود، مش ردت فعل، لأنه صار فيه تشظي بالتمثيل السياسي والنقابي والاجتماعي. هي حالات ما دون التبلور، اللي هي حالة "أنا

6 معتقل في بلدة الخيام في جنوب لبنان، نرجح أن استخدامه كمعتقل بدأ في العام 1985

7 خلال احتلال إسرائيل لجنوب لبنان، هامت سهى بشاره بمحاولة اغتيال فاشلة للعهد انطوان لحد، قائد ما كان يسمى بـ"جيش لبنان الجنوبي" الموالي لإسرائيل. اعتقلت سهى في معتقل الخيام، وأطلق سراحها في العام 1998 بعد حملة أوروبية. وفي العام 2003 نشر لها كتاب "مقاومة"، وفي العام 2011 صدر لها كتاب مشترك عن تجربة الحبس في المعتقل الإسرائيلي: "أحلم بزنانه من كرز" مع كوزيت إلياس إبراهيم.

8 جاك شيراك بولتي رئاسه فرنسا عام 1995

9 منظمة عبر حكومية، نسوية علمانية، تأسست في 2005، وتهدف إلى القضاء على كل أشكال العنف والاستغلال المينيين على النوع الاجتماعي، وتسعى إلى تحقيق المساواة الفعلية بين الجنسين.

10 سياسي وكاتب لبناني، كان من أبرز قياديي حركة "لبنان الاشتراكي" التي اندمجت في ما بعد مع مجموعات أخرى ليشكل معا "منظمة العمل الشيوعي". ترك المنظمة في 1973. وله عدة مؤلفات عدة منها: "دولة حزب الله: لبنان مجتمعًا إسلاميًا".

موجود، إنا موجودين"، وفعل مثل احتلال الساحات العامة هو تعبير عن تأكيد الوجود أكثر مما هو أي شيء ثاني، خاصة في ظل تدمير الأطر النقابية، والأطر الاجتماعية حتى للحركات الاجتماعية ومؤسسات الدولة التي وجدت قبل قرنين أو ثلاثة قرون، كل هذا عمّ يتراجع، وتصير حالة سائلة... لهذا أُعتبر أنّ انتفاضات 2019 نتائج مبتورة، مثلاً في الجزائر "طبروا عبد العزيز بوتفليقة، وفرضوا تغييرات، وهكّا شكلياً استفتاء على الدستور الجديد، بس هذا ليس المطلوب، بل احتواء للمطلوب، أو التقاف عليه. والاحتجاج في السودان كان منظم أكثر، وطبروا عمر البشير، بس جم العسكر، حلفاء البشير، مسكوا الموضوع... عشان هيك أعتبرها "نتائج مبتورة". حتى لما حققت نتيجة، خرينا نقول واضحة أو ظاهرة أو ملموسة، مثل تطير بوتفليقة أو البشير، تظل البدائل أو الخيارات القائمة ضعيفة، أو يدفع فيها ثمن كثير غالي.

11 اندلعت في 22 شباط/فبراير 2019 احتجاجات في أغلب المدن الجزائرية رافضة لمرشح الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، الذي تولى الحكم في 1999، لولاية خامسة. واستمر الاحتجاج بولاية أسبوعية، حتى استقالة بوتفليقة. وتوالى الاحتجاجات المطالبة بالتغيير، وخلالها تولى الرئاسة بشكل مؤقت عبد القادر بن صالح، ثم أقيمت انتخابات رئاسية أواخر 2019، ومدّ مار بها عبد المجيد تبون، وهو رئيس إحدى حكومات بوتفليقة (2017).

نهلة عبد الله حيدر: كل شيء سياسي لبنان طائفي للأسف

نهلة عبد الله حيدر، مواليد 1951، درست الحقوق، لكن أغلب مسيرتها المهنية كان ضمن مهام الأمم المتحدة، ومنها الإغاثة الإنسانية للبنان خلال فترة الاجتياح الإسرائيلي. ومع فرض العقوبات على العراق، رأت أنّ هذه السياسات لم تؤثر في نظام صدام حسين، بل جعلت الشعب العراقي يعاني، وهو ما دفعها إلى ترك الأمم المتحدة لفترة، ثم عادت لتعمل ضمن مهام مثل القضاء على التمييز ضد المرأة في إطار العمل على الاتفاقية الأممية "سيداو".

في هذه الشهادة تعتبر نهلة أنّ الطائفية عطلت مسيرة إرساء المزيد من الحقوق للمرأة اللبنانية، لأنّ كل شيء طائفي في لبنان، كما تتحدث عن الجندر والتمييز ضد المرأة، بوصفه كان حاضراً طول الوقت في حياتها منذ طفولتها، لم يكن عنيفاً، لكنه كان موجوداً، لذا ترى ضرورة استمرار العمل ضد هذا التمييز، فضلاً عن التصدي لكل أشكال العنف ضد المرأة.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة جرت في 30 أيلول/سبتمبر 2020.

الطائفية عطلت الحركة النسائية ولا تزال

نهلة عبد الله حيدر، مواليد 1951، خفانة ببيت أنثري قديم في بعلبك، هو بيت جدتي، كنت ثاني مولودة لأسرتي، وكنا ست بنات. كان فيه شعور إن الصبي كثير ضروري، وإن "أبي مسكين ما خلف"، أو "ما حدا يحمل اسمه" كنا نسمع هالجمّل مش من أمي وأبي، بل من البيئة حولنا بشكل عام. وقتها، كان عندي شعور إن بدي تعبئة هذا الفراغ، خصوصاً بعد ما مات أخي الصغير، مات عمره 8 شهور، وأنا كنت طفلة، ترك هيدا عندي تروما كبيرة لأن التجربة كثير صعبة على أهلي. من بداية حياتي قصة الجندرية مش عنيفة، بس موجودة ضمناً، مثلاً ستي لما يقولوا لها إن أمي ولدت وجات بنت كان بدها تبكي، لكن أبي كان يقول: "أنا سعيد فيها، وأهلاً وسهلاً فيها".

وتربينا على أن البنات مثل الصبيان.

مثلاً لما كنت 14 سنة، دق على بيتنا شخص كبير وطلب يشوف أبي، وبعد مقابلة أبي له فهمت إن هذا الرجل جاء يسلم نفسه لأنه قتل أخته، وبده أبي يكون المحامي عنه، وصرت أبكي وأقول له كيف بذك تكون المحامي لواحد قتل أخته، أنت اللي طول الوقت تقول البنات وحقوق البنات، وتقول إن ما بذك تحط رجلك في محكمة شرعية لأن فيها ظلم بالمحاكم الشرعية للنساء. قال لي أبي إن "كل إنسان حق الدفاع عنه مقدس، لما تقسمي يمين المحاماة ما بتقدري ترفضي الدفاع عن أي إنسان، لما بتدافعي مش معناه إنك بتكذبي، مش معناه بتبرئي، لكن بتشرحني الأسباب اللي ودّت ها الولد ليقتل أخته. قديش مسؤولية مجتمعية، قديش مسؤولية إنسانية، وكيف بيرضوهن، ويربطوا كل هذه القضايا بالشرف".

أبي قاطع المحاكم الشرعية، كان يقول: "ما أقدر أشوف قد إيش فيه ظلم ضد المرأة، الحضنة، الأولاد في أي سن ياخدوهم". وسعى أن يكون زواج كل واحدة منا "مدني" ليكون عندها حقوق.

أبي كان بده القانون المدني، والمساواة بين كل الطوائف. وكان يقول: "كيف بذك تعملي مساواة بين المرأة والرجل وقت النساء في لبنان ما فيه مساواة بينهم. واحدة ما تقدر تحصل على طلاق لأن صعب في الزواج الكنسي، أو واحدة عندها الحضنة لسن كذا، واحدة بقدرها ياخدوا مولودها وقت ما تولده "almost". وهذه كانت الأسباب اللي عطلت الحركة النسائية في لبنان كثيرًا، لأن بسبب قوانين الأحوال الشخصية فيه حالات مختلفة، لا تستطيع الحركة عمل مطلب مشترك؛ واحدة تطالب برفع سن الزواج لـ 14 في طائفة معينة، ومطلب آخر ضد زواج الدين، أو المناداة بحرية الطلاق وهكذا.

ورغم إنني كنت عابزة أكون طيبة أطفال، لكن بيتنا كان فيه اهتمام بموضوع الحريات العامة وجدي كان رجل قانون، ولأن ما فيه صبي بالبيت ولازم حدا يعبي محل الصبي لازم حدا يطلع حمامي، هذا كان يحصل باللاوعي... وهكذا درست حقوق، وبشكل موازي درست أيضاً علم الاجتماع، وكنت كثير أحس وأنا عم أدرس إن علم الاجتماع والحقوق بدي يكون بينهما تكاتف أكثر، عشان هيك لما سافرت باريس لعمل دراسات عليا بـ 1974 عملتها مع Jean Carbonnier الذي كان أول واحد فتح الباب لدراسات عن علم اجتماع القانون. لكن بدأت الحرب الأهلية وأنا هناك، وغيّرت موضوع الدراسات العليا، وعملت عن تاريخ المؤسسات

1 جان كاربونيه (1908-2003) أكاديمي فرنسي متخصص في القانون المدني والقانون الخاص، وله دراسات عن علم اجتماع القانون وفلسفه القانون.

القانونية في لبنان ودورها في الانفجار صار *histoire de sociologie juridique* هو موضوعي.

وكنّت أول واحدة من أهلي تزوجت شخص من غير طائفة بلبنان، عملنا زواج مدني بباريس، ورجعنا على لبنان 1977، والتحقت بالأمم المتحدة، لأن زوجي قاضي، وصارت مشكلة تضارب مصالح إن عملت محامية، حتى لا يقال كيف تكون زوجة قاضي محامية، لذا اشتغلت بالUN، وبعد فترة دخلت على الإسكوا، وحضرت مؤتمر كوبنهاجن للمرأة 1980، كجزء من الفريق الأممي، وكان ممنوع عليّ التحدث خارج إطار الأمم المتحدة، مثلاً رغم كون القضية الفلسطينية همّ مركزي عندي من سن 16، ما كنت أقول غير "عندي ملف للأمم المتحدة عن الفلسطينيين"، بحكم طبيعة تمثيلي للمنظمة الأممية.

وعلى سيرة القضية الفلسطينية، لمّا سجلت بـEcole des Hautes Études بفرنسا موضوع أطروحة الدكتوراه عن القضية الفلسطينية في إطار العلاقات الدولية، طلب مني تقديم صفحة عن طريقة التعامل مع الموضوع للأستاذ، ولما قدمتها فيه واحد من الأساتذ الذي يشرف عليّ، بس منصبه أعلى قال لي: "كيف عملي الأطروحة وتسميها بالعنوان القضية الفلسطينية، مش "المسألة الفلسطينية" .. فين الحيادية؟ قلت له شو هي الحيادية؟ إنك تشوف حدا عمّ يضرب وما تتدخل، هذه هي الحيادية؟ هذه بالنسبة لي مش حيادية، وشغلي إنني لازم أثبت إن هذه "قضية" مش "مسألة".

وبسبب انفصالي عن زوجي، رجعت تركت لبنان لنويويورك في 1981، وقدمنا دعوة للانفصال المشترك، وكان أبي محامينا إحنا الاثنين، شيء حضاري في بلد ما له شيء بالحضارة بالأحوال الشخصية، بالأحوال الشخصية بذك تكوني مذلولة كأمراة، وتضلي مدعوسة. دائماً بشكر ربي إنني ما جيت أولاد في أول زواج، لأن فيه صعوبة كثير لو عندنا أولاد، لأن الدروز [طليقي كان درزي] ما بيعترفوا بالولد إذا أمه غير درزية، وأنا شيعية. الزواج المدني بلبنان بدون مفاهيم مدنية للطلاق لارثة. وبالفعل مسار الطلاق طوّل، بسبب الوضع الطائفي، وتعطل العمل بسبب الوضع في لبنان [الحرب الأهلية والاحتياج الإسرائيلي في ما بعد] بخلاف أنه زواج مدني جرى خارج لبنان. ورحت إغارة لجنيف 1982 اشتغلت موارد بشرية، ومع الاحتياج الإسرائيلي تطوعت في *humanitarian sector*، وقُلت لهم إنني عابرة انتقل للـ *Humanitarian affairs*، وتيّت بالقسم، وسافرت مع مديري بيروت، وقتها كان المطار مسكّر، ودخلنا عن طريق دمشق، بالسيارة برّياً، وصلنا على أول حاجز إسرائيلي، دمي

عمّ ينزف جوّه قلبي، دموعي كلها لجوه، مكتوب بالعبري. وجع كثير.. ما حكيت وآلا كلمة. ووصلنا على بيروت، وهو [مديري] عمّ يشوف كيف عمّ اتصرف، بعد أسبوعين تقريباً صار اغتيال بشير الجميل³ ومجازر صبرا وشاتيلا⁴، كانت الميليشيات غير راضية على رفضي مروق المساعدات الإنسانية من خلالها، وكان سبب الرفض حتى لا نعطي [الأمم المتحدة] الميليشيات إمكانية، لأن كلها موجودة على الساحة، لمّا جاءت رسائل الشكوى من كل الأطراف ضدي، قالوا لي في الشغل إن "هذا الدليل على توازنك لأن كل الميليشيات مش راضية، بعدين أنت عمّ تعملي شغل مطبوع" اللي هو عدم المرور من خلال الميليشيات لتوزيع الإغاثة. كانت تجربة كثير صعبة، بس في ذات الوقت هي اللي شكلت شخصيتي، رغم انكسار الطلاق.

مثلاً لمّا صدر الطلاق كنّا سائنين عاروشة وأهلي بالمرزعة كان بالنسبة لبعض الناس المرأة المطلقة ترجع لبيت أهلها. أبي قال: "أنت تبقي بيتك، أنت كاملة الحقوق".

ضرورة تغيير العقليات

بعد الحرب، على الصعيد الشخصي تعرفت على زوجي الثاني، وهو أبو بنتاتي، وتزوجنا في 1986، وأعطيت أولوية لحياتي الشخصية. أنجبت أول بنت في 1988 بسبب شغلي صارت مشكلة في حملي، أنجبت بنت صغيرة كثير، يوم خلقت بنتي تغيّرت موازين العالم كله صارت هي [محور العالم] لأنها خجّزت بالمستشفى بعد الولادة 3 أشهر وعشرة أيام. ومع ولادة بنتي الثانية بأول 1990، غيّرت شغلي، تركت الإغاثة وعملت في *disaster reduction* [الحد من مخاطر الكوارث] لأنه مجال لا يتطلب سفر كثير، حتى أبقي قريبة عشان بنتاتي الاثنين. لكن بدأت أشعر إن الأمم المتحدة صارت تخسر شيء من استقلاليتها، على الأقل بنظري، مثلاً مع حرب العراق الأولى نظام العقوبات لا يؤثّر على السلطة بل على المدنيين، لأن اللي عمّ يوجعوا أولاد العراق مش نظام صدام حسين، وقررت ترك الأمم المتحدة، وأروح على مجال تقني، وساعتها قدمت لوظيفة متعلقة بمنظمة الملكية الفكرية، وبالفعل توظفت في 1998، بس حتى هناك كمان ما طبطبت، لأن بعد فترة لقيت حالي عمّ يدافع عن بيل غيتس ليصير ملياردير أكثر ما هو مليونير، وفي 2001 رجعت للأمم المتحدة، لكن في الأمانة العامة، نشغل على المصالحات الوطنية، ومع الناس على

3 بشير الجميل، سياسي لبناني، ورئيس الجمهورية، قُتل في 14 ايلول/سبتمبر 1982 ميل تسلّم مهام منصبه.

4 مجزرة استمرت لمدة ثلاثة ايام في ايلول/سبتمبر 1982 في مخيم صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين (غرب بيروت)، نفذها الجيش الإسرائيلي وجيش لبنان الجنوبي والموات اللبنانية [الجنح العسكري لحزب الخائب اليمني].

أيامنا ما كنا هيك. بسبب ذلك أملنا كبير في مستقبل أفضل. المرأة ظهرت كصانعة للتغيير، وأضعة أجندة لهذا التغيير، فاعلة، مش محصورة في كونها ضحية فقط. بل الشباب والبنات لهم دور كبير في التغيير. نزول المرأة المظاهرات غيّر الصورة النمطية إن اللبنانيات طوات، هن أيضا مفكرات وفاعلات. لكن التغيير مش سريع، بل يتطلب الكثير من الوقت، ومقاومته تكون قوية كثير، وبدنا نرجع نقاوم هذه المقاومة.

الارض في مناطق مختلفة مثل غواتيمالا، ورجعت للشؤون الإنسانية في 2005، لكنها صارت مسيبة أكثر مش مثل ما تعرفت عليها بالثمانينات، بل صارت مسيبة كثير. ثم في 2009 تقاعدت تقاعد مبكر لقضاء أكبر وقت ممكن مع أمي، لأنني أبي توفى وأنا بعيدة، وأردت أكون موجودة بالقرب من أمي. تركت بناتي، الاثنين بسويسرا، وقسمت وقتي شهرين في لبنان مع أمي، وشهر سويسرا حتى فارقتنا أمي في 2011، وجاء ترشيح لبنان للسيداو بعد وفاتها. ولما ربنا الترشيح، وصرت عضوة بالـ "سيداو" في 2012 ساهمت بقدر المستطاع في توصيل صوت النساء، خاصة إن عندي تجربة من أجل النساء اللي ما عندهن صوت، صوتهن مش واصل في مجتمعات عديدة، وأيضا من أجل بناتي، حتى يكون العالم منصف أكثر بحق النساء في المستقبل. لكن للأسف الشديد علاقتي ما كانت وطيدة مع الحركة النسائية اللبنانية، بسبب عيشي أغلب الوقت بـ. الفترات اللي عشتها بالاجتياح الإسرائيلي، التركيز كان على مجال الإغاثة، مساعدة الناس تقف على رجليها، وحتى نشاطي بـ "سيداو" جغرافيا ما كان بلبنان، ولكن بحس إن العمل على حقوق المرأة مثل كل شيء تأثر بالتنسيب، كل شيء يضعف لأن السياسة بلبنان هي الطائفية، ما في شيء بلبنان سياسي غير طائفي للأسف.

مثل الهيئة الوطنية نشيطة بعدة مجالات، وساهمت في تغييرات كثيرة، لكن كونها استشارية يحد كثير من إمكانياتها بالتغيير. شغل "مؤسسة عامل"⁵ محترم كثير، وأنا صديقة شخصية للمؤسسة منذ تعرفني عليها بالاجتياح الإسرائيلي بـ 1982، شفت شغل بعيد عن البعد الطائفي واحترافي. وأعتبر شغل عديد من الجمعيات الأهلية، مثل "كفى"⁶ على قضايا العنف ضد المرأة يمكن يطلعنا من النعد الطائفي. وعلى صعيد القوانين المتصلة بأوضاع المرأة عم يحرز تقدّم لا بأس به. مثل قانون العنف مش مثالي بس خطوة، بلبنان بنخطي خطوات صغيرة. لكن بدنا التغيير يواكبه تغيير العقليات، ما بدنا التغييرات الفوقية، بل يكون القانون فيه أطر لتنفيذه، يكون هناك تدريب للشرطة والقضاة لعمل تغييرات فعلية.

مثلا لما صارت انتفاضة 17 تشرين، شفت جيل عبّر عن رغبته في التغيير، شوفنا مركزية المرأة في هذا الجيل، وحالة الأخوية مع الرجال. وفيه تلاقى حول الموضوعات،

5 مؤسسة عامل جمعته مدينة بدأ نشاطها لتقديم الرعاية الصحية والإسعافات، عبر إنشاء مراكز ومستشفيات ريفية والقيام بأعمال الدماء المدني بعد الدمار والتهجير اللذين أصابا جنوب لبنان بعد الاحتلال الإسرائيلي له إثر عملية الليطاني بـ 2006 "عامل" نشاطها 1979.

6 منظمة غير حكومية، نسوية علمانية، تأسست في العام 2005، ويهدف إلى القضاء على كل أشكال العنف والاستغلال الميئين على النوع الاجتماعي، ويسعى إلى تحقيق المساواة الفعلية بين الجنسين.

هدى زريق: تغيير أوضاع المرأة بتوسعة الرؤية

هدى زريق، مواليد 1952، أستاذة إحصاء صحي.

ترى هدى أنّ على الحركة النسائية وضع استراتيجية تمكّن المرأة من الوصول إلى مناصب سياسية حساسة، وتقلّد مناصب الحكم، وذلك حتى تتغيّر أوضاع النساء، ويستجاب لحقوق المرأة.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلتين أجريتا في 3 و 11 تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

تربية سياسية وأخلاقية

ربيت بيت كان كثير همه قصة التغيير والتطور بالمجتمع، والدي، فلسطين زريق، كان عنده منظور القومية العربية، وضرورة أن التطور يكون بالتعاون بين البلدان العربية، ربينا على هذا.

والدي من دمشق، وجاء على لبنان ليدرس، وبعدين نقلت أسرته كلها للبنان بعد وفاة والده. وظلت عنده علاقة بالشام، لأن أحواله هناك. تعرف على أمي بلبنان، وهي من برمانا، ثم عشنا 3 سنين بسوريا، لأن والدي ترأس الجماعة السورية-لكني لا أتذكر هذه الفترة.

تربيتنا كانت مركزة على الأخلاق والعمل والإنتاج، واحترام الغير، والانفتاح على كل الأديان، وذلك مع القومية العربية، والعلاقة بسوريا، والوعي بأهمية المنطقة، وهيك.

كنا 4 بنات، ما كان عندنا أخ، عائلتنا من جهة أمي 'quakers'، وعندهم تعاضل مع الحياة مختلف، يعطي فردية، كيف الواحد يتصرف بحياته، وعائلة أبويا روم أرثوذكس، وهذه الطائفة عندها لمان حرية في التفكير، هيك كان جو التربية.

على مستوى الدراسة، حيث الرياضيات، لكنني فضّلت عليها الإحصاء، ودرست بالـ AUB اقتصاد مع رياضيات، وبعدين تخصصت أكثر بالإحصاء لما درست سنة ماسترز بهارفارد. ورجعت على لبنان وقت حرب 1967، تضايقت كثير إني أضل برّة، حيث أرجع.

1 أشخاص ينمون بارشفا الى طوائف مسيحية بروسانيه يعرف باسم مصمم الاصدام

على مستوى العمل، حظي كان منيح بتعرّفي على أستاذة الصحة العامة بالـ AUB، جمال كرم حرفوش²، لأنها قالت لي: "ممكن تعملي إحصاء على الأمور الصحية". وبالفعل، حسيت هذه الدراسة سوف تربطني بالبيئة والعالم والناس، حتى لا يكون شغلي إحصاءات رياضية تجريدية. حسيت خالي دخلت على المجال المضبوط، وبعدها قررت أعمل دكتوراه بجامعة جونز هوبكينز عن الشّكّان، رغم إني كنت ضد الأكاديميا، بس لقيت إنها فتحت قدامي مجال يربطني بالمجتمع ومشاكله. سافرت للدراسة في 1971، ورجعت لبنان في 1974، وضليت بالـ AUB.

روحت على مصر 1987، وتعلمت هناك كيف يمكن تمويل البحث، وعدم الاتكال على حداث، ودراسة المؤسسات اللي بتعطي مصاري. كانت تجربة مهمة، عملت بمجال الصحة في مجلس السكان، مع التركيز على صحة المرأة، وتنظيم الأسرة. بعدها قلت إني بدّي أكون باحثة، بدل شغل البحث عن تمويل، لأن الواحدة لما تشوف كل مشاكل المرأة المصرية، ومشاكلها الصحية، ما بدّها تقعد تعمل fundraising، وبالفعل رجعت أعمل أبحاث في المجلس، كانت خطوة منيحة. لكن ما كنت أحب أنرك الـ AUB، لذا ضليت أعمل بدوام جزئي في بيروت، و65% من شغلي بمصر.

بصرache، مصر تخوف بالأول، بس بعدين انغرمت فيها؛ فيها عمق وحركات اجتماعية وثقافية وسياسية، مشاكلها كبيرة. وبقيت بمصر وعملنا برنامج مع population council عن صحة المرأة، حيث أدخل بالعمق بصحة المرأة وتنظيم الأسرة والحمل، واتصال ذلك بالخصوبة، وصحة المرأة لما تجيب أولاد كثير. وتزايد ذلك مع المؤتمر الدولي للسكان³ بالقاهرة، صار فيه شوي تغيّر بالمجال، إن حتى نخلي عن تنظيم الأسرة لازم نفهم الناس ضرورة تقليل عدد المواليد [مستقبل] وهذا مدخل للاهتمام بالمرأة، ورفع شأنها إنها ما تكون منهوكة طول الوقت، تعبانة وعمّ تجيب ولد ورا الآخر.

تشجيع النساء على الكتابة

عشت 11 سنة في مصر، وشاركت في تأسيس دار نشر لمساعدة النساء على نشر أعمالهن، والتركيز شوي على المواضيع النسائية والنسوية. وتشجيع الناس للكتابة عن المرأة. مشروع النشر كان اسمه "نور، دار المرأة العربية

2 نالت درجه الدكتوراه من هارفارد في الصحة العامة عام 1965، عملت رئيسة دائرة صحة البيئة في كلية العلوم في الجامعة الاميريكية، واسماده صحة الأم والطفل.

3 مؤتمر الأمم المتحدة للسكان والتنمية، عُقد في القاهرة عام 1994.

تمكّن النساء من الوصول لمراكز الحكم، حتى تُحل قضايا كثيرة مهمة منها قضية منح الجنسية لأبناء الأم اللبنانية المتزوجة من أجنبي. مثلاً شاركت في "17 تشرين"، مثل الكل كنت متحمسة، وإن كنت تعودت إن الأحداث ما تجيب أمل، بس لازم نضل نشغل ونكون عندنا قضية؛ عدالة سياسية واجتماعية. نضال بكل الطّرق الممكنة.

للتشر"، وأسسناه في 1993.⁴ كان الهدف إتاحة منبر جديد لآراء النساء، وطرح وجهات نظر متعددة حول القضايا التي تهّم المرأة العربية ودورها في المجتمع في عالمنا المعاصر. كما تهدف لتشجيع المرأة العربية على التأليف والقيام بالأبحاث من خلال نشر كتابات المرأة، والكتابات عنها، والتكليف بالقيام بالأبحاث وعقد ورش، وإصدار نشرة فصلية متخصصة بمراجعة المنشورات الحديثة، عن شو عمّ ينكتب وتعطي أخبار عن النساء اللاتي عمّ تكتب. وبجانب النشرة الفصلية، كان عندنا كتب أدبية، ونقد أدبي، وعلوم اجتماعية، وعلوم الصحة. كنّا نشجع النساء اللاتي يكونوا كاتبين شيء ويذهن نشر، وترجم أشياء من الإنجليزي للعربي. بعدين عملنا معرض لكتاب المرأة العربية في 1995، وكنا نهتم بالتشبيك. ثم انقسمنا مجموعتين، الأولى كملت نقد وأدب بالقاهرة، والثانية علوم اجتماعية وصحية، ونقلت على بيروت. ومؤخراً كانت فيه فكرة الكتابة عن هذه التجربة مع هدى الصدة.

وتركت مصر لما عرض عليّ أكون عميدة في AUB في 1998، وكنت أول عميدة امرأة بالجامعة، كنت أول أكاديمية تشغله. وتركت المنصب بعد عشر سنين، بعدها سنتين بروفيسورة بدوام كامل، ثم طلبت يكون جزئي. وتقاعدت 2015.

النضال بتوسعة الرؤية

مثلاً لم أدخل تنظيمات سياسية أو مجموعات، مع إن والذي كان كثير داخل في جمعيات وقصص، لكنني دخلت في ميادرات واشتغلت بمجموعات ثقافات سياسية، وأبرزها مشاركتي في جلسات نقاش نظمها الدكتور حسن صعب⁵، هو كان عنده تفكير في التنمية والسياسة، وبالمثل شاركت في جلسات سليم الحصّ، وكنت منخرطة في مناقشات المجموعتين بين 1974 و1987. وحالياً موجودة بتجمّع الباحثات اللبنانيات لكن غير ناشطة.

رغم إنني ما انخرطت بالسياسة، لكن بحس هلا إن الناس بدها انخراط أكثر بالحركة السياسية، دوري ممكن يكون تقديم بيانات، معرفة، سياسات، توعية طلاب، حتى نفهم شو الوضع على الأرض. عشان هيك في قضايا النساء جربت أغير، دون انخراط سياسي أو في جمعيات بحثية، وذلك من خلال العمل البحثي مثلاً، لتوسعة الرؤية. وعلى الصعيد النسوي، لا بد أن تعمل الحركة النسائية على استراتيجية

4 من ضمن المؤسسات حسناء مكداشي، ونريا البركي، انثروبولوجية من السعودية في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وملك رشدي، ولبلى شهيد، ونادية حجاب، وشهيدة البار

5 حسن صعب أكاديمي لبناني، التحق بالسلك الدبلوماسي، وعمل في بعثة لبنان في الأمم المتحدة لفترة، لكنه عُرف إلى جانب ذلك بمؤلفاته ودراساته الإنمائية، ومنها كتابه "تحديث العقل العربي" 1969.

وداد حلواني: إجازة من حياة "وداد المفقودين" ... هل هذا ممكن؟

وداد حلواني، مواليد 1952، مناضلة حقوقية، من أبرز مؤسسات لجنة "أهالي المفقودين والمخطوفين" التي تأسست خلال الحرب الأهلية اللبنانية.

في شهادتها، تتحدث ووداد عن نشأتها في بيئة محافظة، جعلت كل خطوة في حياتها معركة مع العائلة، ثم دخلت من معارك العائلة إلى معارك الشوارع، لتشكل مع نساء أخريات اللجنة التي كانت أول حركة تفتش عن مفقودي الحرب خلال سنوات الاقتتال الطائفي، والمطالبة في ما بعد بالحق في معرفة مصائر هؤلاء المفقودين، وعن سبل المحاسبة كذلك.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلتين أجريتا في 22 أيلول/سبتمبر و6 تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

معارك الحياة

أنا من عائلة متوسطة الحال، ممكن اعتبارها "قبيلة" لأنها شوي كبيرة، أبي تزوج ثلاث نساء، وزوجتين منهن جابوا أولاد، وفيه زوجة ما أنجبت.

بيئة التربية كانت محافظة، وفيها تهميش لدور الأنثى، هذا التمييز كان حادث في "قبيلة" أغلبها نسوان وبنات، 13 أو 14 مقابل أبي وأربعة صبيان، لكن برضو بقت الغلبة للذكور، وهذا ساهم بتكوّن شخصيتي وأرائي، ولعب دور كثير أساسي في منحي صلابة أعطتني دفعة للقتال وهدم هذه الأشياء. ولأ مرة خفت من المواجهة، بل بلّشت روح التمرد داخلي من صغري، رفضت كثير أشياء بالأنظمة اللي كانت تُفرض عليّ.

لما كنت بعدي بنت بطرابلس، مُنعت من الحكي مع الشباب، مثلاً كان ممنوع يكون عندي رفقة صبيان. والصبي يتظاهر، والبنت ممنوعة من التظاهر. ولكننا احتجينا، مثل الصبيان، في المرحلة الثانوية لما الإسرائيلية

عملوا غارة على المطار¹ في 1968، وكنا مدرسة بنات، (ما كان فيه مدارس مختلطة بهذه الأيام، خاصة بالتعليم الرسمي)، واعتصمنا في المدرسة، ونمنا لأول مرة برات بيوتنا، وكانت القائمة الحقيقية لنا نهلة الشعال²، كانت أكبر منا بصف أو صفين. وكانت والدتها، فيكتوريا، تيجي بعد الدوام، وتجيّب لنا الأكل والشوكولا والخبز، والعصير، مش بس لأن بنتها معنا، بل كانت تعتبرنا كننا بناتها.

فيكتوريا ما كانت تمارس سلطة قمعية، بالعكس كانت تسمع لنا. كانت أم حنون، لم تقودنا سياسياً أو بالرأي، بل كان يكفيننا دور نهلة القيادي.

في هذا الاعتصام حورينا اجتماعياً وسياسياً وتربوياً، لكن ما فرقنا معنا. ويوم فانت علينا عربات العسكر، خلعوا الباب ونحنا نايمين الصبح لفض الاعتصام.

واستقوا علينا، وقمع الاعتصام، بعد ما أبلينا البلاء الحسن، خطابات وأغانى ثورية كل النهار، وسكرنا الشارع، وعملنا انتفاضة حقيقة. مثلاً وقتها نهلة تناقشت معي كثير، لكنني رفضت انضوي تحت أي إطار حزبي، ما كان بذي أبداً.

وفي 1971، جيت بيروت على الجامعة اللبنانية، وذلك بعد معركة مع العائلة.

درست الجغرافيا، وكنت مؤهلة لإكمال الثورة والنضال والتمرد. انتظمت في إطار العمل الطلابي، بعدين استقطبت لمنظمة العمل الشيوعي³، وكانت مرحلة نضالية بامتياز إذا صح التعبير، صحيح لم أكن قائدة، لكنها كانت المرحلة الذهبية بحياتي.

ثم قابلت عدنان، كنا شي سنة أصدقاء تقريباً، وبعدين تطورت الحالة وصرنا أحباب، حيننا بعضنا. لكن صارت معركة مع أهلي بسبب أن عدنان بيروتى غريب، ونحنا من طرابلس. وانتهت المعارك مع أهلي بزواجنا في شباط/فبراير 1974. بصراحة، كل محطة في حياتي معركة.

مشي الحال، ثم وقفت العلاقة بدون أي قرار مني أو منه، بل بحكم الحرب والفاشية. وفي 24 أيلول/سبتمبر 1982 خُطف عدنان، وكان عندنا زياد وغسان، وعمرهما -وقتها- حوالي 3 و7 سنين.

1 غارة إسرائيلية على مطار بيروت في 28 أيلول/سبتمبر، وذلك ردًا على استهداف رحلة جوية لشركة العال الإسرائيلية، من قبل أحد التنظيمات الفلسطينية الموجودة في لبنان ومنها.

2 صحافيه وأكاديمية لبنانية، يمكن مراه شهادتها ضمن هذا الكتاب.

3 بعد هزيمة 1967 بدأت بوادر الانقسام داخل الحركة التي ينتمي إليها عناصر من بلاد عربية عدة، ويوجد في أكثر من دولة كذلك، حيث بدأ ينشئ أفراد "المومنين العرب" الماركسية، وفي لبنان أعلن محسن إبراهيم، المبادئ في الحركة. تأسس تنظيم بساري في 1968 والذي اندمج مع تنظيمات أخرى لتشكل منظمة العمل الشيوعي عام 1970.

حركة نسائية ضد الحرب

اعتراف من الدولة الرسمية بجرائم حرب ووجود مقابر جماعية لمفقودي هؤلاء النساء، بل هنّ شكّلن أيضًا حركة نسائية ضد الحرب وقت اندلاعها، وقدّرت تنزع شغلتهن، وتحطّ بذور صغيرة، في حين كان المجتمع بالحرب مشغول بخبي رأسه، وبعدها بدّه ينفضّ غيرة الحرب، ومشّ فاضلي.

مثلًا بسبب قصة تأسيس وتجميع الأهالي، الناس ما يعرفوني غير بـ "وداد المفقودين". لكن حسيت إنني كثير على بالي أعيش حياة مثل كل الناس، حياة طبيعية مش معطلة، وقت يطلع على بالي أسافر أو أحضر فيلم أقدر أروح. وفي 2000، مع حصولنا على "العلم والفير" [التأسيس الرسمي] أصروا أكون رئيسة، قلت سأقبل أول دورة فقط، وبعد ثلاث سنين فيه عندنا انتخابات. لكن ما حدا يقبل يترشح.

عن الحراك الشعبي والحركة النسائية

ثمّ جاءت مرحلة إقرار القانون في 2018، صدّق بـ 13 تشرين الثاني/نوفمبر بمجلس النواب، طلع بالجريدة الرسمية بـ 30 تشرين الثاني/نوفمبر، بس هذا القانون بدّه كذا مرسوم تطبيقي حتى ينفذ، وبالفعل طلع أول مرسوم تطبيقي في تموز/يوليو 2020 بتشكيل "الهيئة الوطنية المستقلة للكشف عن مصير المفقودين والمخفيين قسرًا"، وبدّا الهيئة تبلّش تشتغل، وعندها شغل كثير كبير ومعقد وديق.

مثلًا انتفاضة 17 تشرين إذا بدّها تعمل شيء، أننا نصير مواطنين ومواطنات، بدل وضعنا كرعيا طوائف ومناطق ومذاهب. رهاني على الانتفاضة إنها تقدر تحتل مساحة، بمعنى يصير يحسب لها حساب، مش إنها كر وفر بالشارع، بل تتحول إلى مرجعية، وإذا الدولة بدّها تأخذ أي قرار تعمل حساب الانتفاضة، وإن فيه ناس واقفين لها بالمرصاد.

وكذلك عندي توقّع إن الحركة النسائية راح تتجذر أكثر، وتتزع حقوق لصالح المرأة، سواء بتغيير النظرة المجتمعية لها، أو تنال حقها في معركة إعطاء الجنسية لأولادها في حال كان أبوهم أجنبي، أو منحها حق السفر بدون ما يكون عندها موافقة "وليّ أمرها"٤، وكلمة "وليّ الأمر" بحد ذاتها تنزع الثقة بالنفس من أي واحدة، أنها لا تستطيع فعل أي شيء لأن فيه شخص آخر هو "وليّ أمرها".

خلال تفتيشي عن عدنان، لقيت حالي عمّ أفتش عن آلاف المفقودين، لذا خلقت بمحض الصدفة، وبدون تخطيط، "لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان"٥، وكانت حركة نسائية بامتياز لأن غالبية اللي اتخطفوا رجال.

وأول مظاهرة عملناها، طلّعنا من الكورنيش لحد جامع عبد الناصر، كانت حالة الطوارئ مغلّنة بسبب حرب 1982، يعني ممنوع التجمع والتظاهر. لكننا استبسلنا، واستقويتنا على العسكر حتى وصلنا سرايا الحكومة، مش لأننا شجاعات وقويات، بل لأنه اتسرق من كل واحدة مآ شيء كثير بتحيه.

بزمن الحرب، تواصلنا مع زعماء الطوائف، ونحنا عارفين إن الدم عمّ ينقط من إيديهم، كنّا مضطرين نتعاطى معهم، ونطلب منهم إنهم يرجعوا لنا أولادنا وأحبائنا. فيها مفارقة إن الواحد منهم يكون خاطف وقاتل، وتيجي نساء تتزججه وتقول: "الله يخليك أترك لي زوجي... أتركه هايدا بحبه".

من وقتها، ما عدت وداد واحدة، بل أكثر من وداد، أقصد إنني أقوم بعدة أدوار، وبكل دور صار يديّ البس لغة تخاطب مختلفة وطريقة تفكير مختلفة. المعرفة صارت أوسع، بقيت أكثر دبلوماسية وقوة وصلابة... المعاناة تخلق صلابة.

ثمّ اكتشفنا في الأخير إن التفتيش عن المفقودين مش مسؤوليتنا، نحنا أهاليهم، بل الموضوع كبير، وهذه مسؤولية المجتمع والدولة.

بعد الحرب

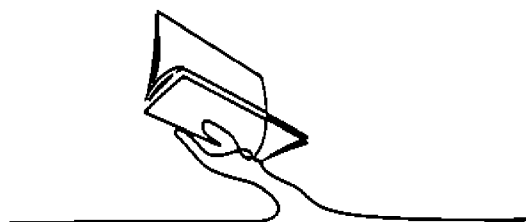
مثلًا أول لما صار اتفاق الطائف، هللنا لوقف الحرب اللي اخدت الناس، وقلنا إن "الطائف هيرجعهم". وبالعكس ما حاسبوا مسؤولي الحرب، بل طلّعوا قانون عقوف. وحتى الآن قضيتنا لم تحلّ بسبب سلطة الفساد والمحاصصة وسرقة الأموال، بل مش فرقانة معهم مصالح الناس، لكن نحنا على طول مجبورين نكون إيجابيين غير الكل. وفي كل محطة فينا نكون إيجابيين.

مسار نضال أهالي المفقودين طالب بحق المعرفة، ومحاسبة مسؤولي الحرب، وفرضنا على الدولة أنها تصدر تقرير رسمي في 2000 إنه ما فيه أحياء مفقودين، وفيه مقابر جماعية بكل الأراضي اللبنانية... هكذا انتزعت النساء

4 شكّلت اللجنة في 25 تشرين الأول/أكتوبر 1982، مع زيادة عدد المخطوفين والمفقودين بعد سنوات من الحرب الأهلية التي اندلعت في العام 1975. وذلك تلبية لنداء اطلمه وداد حلواني، التي اختطف زوجها القيادي في منظمة العمل الشيوعي، لأهالي المخطوفين والمفقودين، وكان هذا النداء عبر الإذاعة، وبالفعل يجمع العديد من الأهالي الذين يلقون معها في الوضع نفسه، وغالبية الأهالي من النساء.

5 منح هذا القانون عقوفًا عامًا عن الجرائم المرتكبة قبل 28 آذار/مارس 1991، ونشر هذا القانون وطبق في 26 آب/أغسطس 1991.

6 في العام 1974 صار ممكنًا للمرأة اللبنانية السفر من دون الحصول على موافقة الزوج، لكن الزوج لا يزال قادرًا على منعها من السفر إذا كان أولادهما معها.





سرديات من مصر

إكرام يوسف
آمال عبد الهادي
أمانى الطويل
أمينة النقاش
جليلة القاضي
رواية صادق
زينب الحضري
سمية عدلي
سهام بنت سنية وعبد السلام
سهام نجم
سوزان فيّاض
شهرت العالم
شهيرة محرز
شوقية الكردي
فاتن فضة
فريدة النقاش
كريمة كمال
ليلى سويف
ماجدة عدلي
منى بيكر
منى ذو الفقار
منيرة صبري
نادية عبد الوهاب العفيفي
نولة درويش
هالة شكر الله
وفاء المصري

إكرام يوسف: عندي أمل في التغيير

الأساسية إنه يخليني أقرأ، بدأ يقرئني من أول مجدولين للمفلوطي، على ما بقيت في الابتدائية كنت قريب مسرحيات أحمد شوقي وكنت حافظه مقاطع كثيرة من "مجنون ليلي" ومسرحية "كليوباترا". بقيت مهتمة بالقراءة جدًّا، دي الحاجة الوحيدة اللي أعيدها، من سن صغير اهتمت بالقراءة في الأدب والشعر أساسًا. في فترة إعدادي لغاية سنة 13 أو 14 سنة، في ثانوي كنت دخلت القسم الأدبي وكنا بنحرس علم نفس واقتصاد وإحصاء وعلم اجتماع، فأنا بقيت مهتمة بالقراءة في علم الاجتماع وعلم النفس.

في كل مناسبة سياسية، والذي كان معترض، معارض عصبي، هو طبعًا كان ضد عبد الناصر لأنه اتسجن هو وأخواته في عهده، لكن إحنا كنا في المدرسة تحت دعاية الناصرية، وكنت شاطرة وفي الإذاعة المدرسية وبقف أهتف والطلبة تهتف ورايا لعبد الناصر، وأقف أقول كلمات حماسية، وفكرة حتى في سنة تالتة ابتدائي كنا في مدينة طنطا قريبة من مناطق فلاحين وكانت ظهرت دودة القطن، آفة دودة القطن كانت انتشرت وقرروا ياخدوا أطفال طلبة المدارس ويستخدموهم في تنقية القطن ولاننا ولاد مدينة معدنناش فكرة، لكن روحنا بالدافع الوطني وكنت 8 سنين وشوية، ودا عمل وطني وهننقد محصول القطن، ولاننا مش عارفين دمرنا محصول القطن لأن الراجل الفلاح قال لنا وطوا وأي ورقة عليها نقطة بني زي دي تقطعوها ونخطوها في كيس، بقينا ماشيين كل ورقة عليها شوية تراب تقطعها ودستا على المحصول. وبعد 3 أيام، قالوا لنا: "خلاص متشكرين ومتجوش ثاني".

جات 1967 أنا كنت في خامسة ابتدائي وأنا في حالة من الإحساس الوطني بغتي "الحصار الاقتصادي عمره ما رجع بلادي" الأغنية بتاعة عبد الحليم حافظ، وكنت نتيجة للدعاية والشحن فتخلت إنا هنروح فلسطين والناس هتصلي في المسجد الأقصى، وفجأة جات النكسة ولقيت أبويا واقف بيصرخ في البيت ويقول: "الراجل³ دا لازم يضرب بالرصاص". أنا كنت متعلقة بأبويا جدًّا وبقيت من كثر ما هو مخضوض ومبرق عينيه، خفت يجرى له حاجة، أنا شايفاه متعامل على عبد الناصر لأنه أنا طول الوقت تحت دعاية ناصرية وهو مش بيحبه عشان هو حبسه، لكن لما حصلت النكسة وبالرغم من السن الصغير، حاجة انكسرت جوّة الواحدة، اتوجعنا.

لما جيت في ثانوي سمعت عن مظاهرات الطلبة اللي كانت في 1972، وبعدين شوفت السادات يقف في الخطاب يصرخ ومتعصب جدًّا وعروقه بارزة وبيشتم في طالب في

الصحفية وال مترجمة إكرام يوسف من مواليد 1956. تخرجت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة 1979.

أُتهمت إكرام، مرتين، بكونها قيادية في تنظيم يسعى إلى قلب نظام الحكم وهي القضية التي رُسمت في أعقاب تظاهرات كانون الثاني/يناير 1977، حين قبض عليها وقتها، وخُبست، ثم كانت ضحية محاولة لإعادة المحاكمة في الثمانينات.

تري إكرام أنّ المصريين يتعلمون بالتجربة والخطأ، بخاصة في ظل عدم وجود أحزاب بل حراك ممتد، لم يبدأ في 2011، بل في السبعينيات، وربما قبلها. كما تعتبر أنهم لا يحتاجون إلا بسبب اليأس، لكنها رغم ذلك لم تبتس من الأمل.

في هذه الشهادة التي اعتمدت على مقابلة أجرتها عالية مرسي في 20 تموز/يوليو 2020، تتحدث إكرام عن حراك السبعينيات الطلابي واتهامها مع آخرين بقيادة انتفاضة الخبز الشعبية، كما تروي لنا متابعتها لحراك طلابي جديد بعد أكثر من عشرين عامًا، والذي عاشته مع ولدها زياد العلمي، المحامي المحبوس اختطافيًا، على ذمة قضية عرفت إعلاميًا بـ "تنظيم الأمل".

بيت رجل معارض

اسمي إكرام يوسف السيد خليل، كاتبة صحفية ومترجمة مصرية. حاصلة على بكالوريوس علوم سياسية سنة 1979. حاليًا متقاعدة.

بنت راجل مهندس آثار وكان شيعوي، اتقبض عليه سنة 1954، قبل ما اتولد، لكن هو اتسجن سنة وخرج وإخلاء سبيل لعدم ثبوت الأدلة، ولأنه مهندس آثار بقت هيئة الآثار عايزه تبعده عن الناس، ودائنًا كان قاعد في مناطق نائية، وهو توقف عن نشاطه السياسي لأنه كان عايش في الصحراء، لكن مكنتش بيبطل كلام في السياسة. ولأنه كان عايش في الصحراء معندوش مجالات تسلية كفاية فكانت تسليته

1 قبض على زياد العلمي وآخرين في 2019، وذلك على خلفية تنسيقهم ل تشكيل تحالف انتخابي اسمه "الأمل"، ثم اتهموا لاحقًا بالنسج المالي والسياسي مع جماعة إرهابية، ولا يزال القضية قيد التقييم

2 بقصد الرواية أغنية "كناها شعب" التي غناها عبد الحليم حافظ أواخر عام 1960

3 جمال عبد الناصر

كلية اقتصاد وعلوم سياسية اسمه أحمد عبد الله، وأيامها كنت مستغربة ليه رئيس الجمهورية عامل عقله بعقل شاب عمره 21 سنة، بقيت حريصة إن لازم أدخل الجامعة وأشارك في الحركة الطلابية. أنا حظي أنني كمان جيت مجموع عالي ودخلت كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في تشرين الأول/أكتوبر 1974، كنت داخله من أول يوم بدور على طلبة الحركة الوطنية.

لما دخلت لقيت في أول السنة طلبة الأسر الثقافية والاجتماعية ييطرحوا أنشطتهم على الطلبة الجدد عشان يستقطبهم، أنا كنت رابحة عشان بدور على الطلبة المهتمين بالسياسة، تالت يوم من دخولي في الجامعة كنت عضوة في "أسرة الشهيد عبد الحكم الجراحي" اللي هي أصلًا كانت أسرة أحمد عبد الله قبل ما يتخرج، بس بقيت سعيدة إن زملاء أحمد عبد الله هيقوا قياداتي. وبدأ التعاطي بالسياسة من الوقت دا.

في كانون الثاني/يناير 1975، يعني بعد شهرين من دخولي الجامعة كان حصل نشاط طلابي متضامن مع عمال الحديد والصلب، كنت لسه بحاول اتعرف، عرفت إن فيه طلبة اتقبض عليهم منهم طالب من كليتنا اسمه وحيد عبد المجيد، هو دلوقتي كاتب صحفي معروف وكان نائب رئيس هيئة الكتاب مؤخرًا. أنا تحمست وانضمت للمظاهرة، كانت أول مظاهرة أمشي فيها حتى فكرة شعاراتها لحد دلوقتي، كُنا نلف على كل كلية في الجامعة وننادي بأسماء الطلبة المعتقلين عشان نخرج زملائهم يحتجوا على اعتقالهم. بعد كده انخرطت في نشاط "عبد الحكم الجراحي" بس كنت طبغًا junior، الناس أكبر والمهتمين بالسياسة أكثر، أنا كنت "صبي" بلغة الصنايعية، أروح أعلق مجلة حائط، أو أقف وأناقش مع الطلبة، يعني كنت باخد تعليمات من الكبار. في 1976، الطلبة النشطاء في الجامعة عملوا أسبوع اسمه "الجامعة والمجتمع" وكان منظم بحيث إنه يوميًا فيه مناقشة لمحدور من محاور الحياة العامة في مصر، وكان الاهتمام أساسًا كان للقضية الوطنية اللي هي سيناء والصراع العربي الإسرائيلي، والثاني هو المحور الاقتصادي اللي هو العدالة ورفع الأجور، المحور الثالث اللي هو الديمقراطية، وكُنا بنطالب بالتعددية الحزبية والتنظيمات المستقلة. كانت الفعاليات بتاعة الأسبوع بتدور حوالين المحاور دي، وأنا مكنتش من المنظمين أنا كنت من الشغيلة، وانتهى الأسبوع بمظاهرة ومسيرة من الجامعة يوم 25 تشرين الثاني/نوفمبر 1976 لمجلس الشعب لتقديم طلبات الحركة الطلابية في المحاور الثلاثة: الصراع مع إسرائيل والعدالة الاقتصادية والديمقراطية.

4 أحمد عبد الله رزة/أحد أهم قيادات الحركة الطلابية التي اندلعت عام 1963.

في "الجامعة والمجتمع" اسمي اتلقت عند الأمن، ساعتها بدأت أشغل بشكل ملحوظ لأن القيادات قاعدين يرتبوا وينظموا وأنا اللي موجودة في الكلية ويقف على مجلة الحائط وبناقش وأكتب مجلات حائط، دا كان في تشرين الثاني/نوفمبر 1976. عدى ديسمبر وجا يناير 1977، وصدرت القوانين الاقتصادية بتاعة رفع الأسعار، يوم 17 كُنا موجودين في الجامعة بنتناقش كطلبة مهتمين بالعمل السياسي هنعمل إيه؟! هنقف ضد القرارات دي وهنعمل مظاهرات؟ وبدأ الطلبة الكبار هنعمل إيه يوم كذا وهنعمل أسبوع ثاني وكالعادة هنجيب الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم، جرت العادة لَمَّا بنكون غايزين نعمل فاعلية جامدة إن في آخرها بنعمل أمسية فنية بنجيب شعراء ثوريين وبعدهم الشيخ إمام يغني أغاني ثورية وعقبال ما يخلص يكون كل الطلبة اللي موجودين اتحمسوا واتشحنوا وتطلع الشارع. الكلام دا كان 18 كانون الثاني/يناير الضبح كُنا في الجامعة بنتناقش هنعمل إيه، وخرجنا من الجامعة الضهر متفتين هنعمل إيه: هنجيب ورق عشان نعمل مجلات حائط، هنستضيف مين، خرجنا. أنا ركبت الأتوبيس، أنا بيتي في حدائق القبة فبرك من الجامعة للتحرير ومن التحرير أتوبيس ثاني لحدائق القبة، وأنا راكبة الأتوبيس للتحرير، لأن فيه مظاهرات رفض يدخل ميدان التحرير، نزلنا وجريت أنا ساعتها كان معايا في الأتوبيس عبد الحميد العليمي اللي هو بعد كده بقى زوجي وأبو أولادي، فهو راح شَدَنِي من إيدي وراح يجري على التحرير، هو أكبر خمس سنين كان بيتعامل باعتباره زعيم وأنا تابع، أول ما وصلنا الميدان لقينا الميدان مليان وحافل ناس عادية جدًا ملهاش علاقة بالسياسة.

عبد الحميد العليمي وهو ماشي لقى واحد صديقه وراح ناطط على كتفه، وبعدين اخذ ياله إنني واقفة، نزل من على كتف صاحبه، وقتها كانت طالعة موضة الشنط الكبيرة، وكان معايا واحدة منها، وبعد الحميد كان معاها كتاب مغلفه بورق جرائد لأن على أيامنا معظم الكتب السياسية ممنوعة من التداول، وكان جايه لي اسم "الصراع الطبقي في مصر" كاتبه مستخدم اسم حركي هو "محمود حسين"، عبد الحميد رمى الكتاب في شنطتي ومعاها أكلسير زميله اللي فيه كشكول المحاضرات وورقه وحاجته. وبعدين راح ماسكنا إحنا الاثنين -باعتباره هو الزعيم يعني- قال لنا: "النهاردا الثلاثاء، إحنا يوم السبت الجاي نتقابل إحنا الثلاثاء كده عند محطة مترو القبة اللي ما يجيش فينا تعرفوا إنه اتقبض عليه وتبلغوا الزملاء في الجامعة". هو شايف إنه الزعيم وهو المعرض للقبض ونظ على كتف صاحبه ومشيو يهتفوا، وأنا معايا في شنطتي الكتاب الممنوع وأكلسير معرفش إيه اللي فيه، مشيت في المظاهرات، كانت روعي عالية جدًا وبسمع هتافات عرفاها من الجامعة،

وبشوف ناس جديدة يهتقوها.

في المظاهرات دي وأنا ماشية قابلت شهرت العالم، كانت زميلة في كلية العلوم هي سبقاني بثلاث سنوات، وبرضو أنا بتعامل مع أي حد سابقني إنه هو الأكبر، وإحنا ماشيين قابلنا الأستاذ صلاح عيسى، مكنتش أعرفه وشهرت كانت تعرفه شخصيًا، هي عرفتنني عليه ووقفنا نتكلم وفضلنا في المظاهرات لغاية المغرب.

الدنيا مطرت والمفروض أمشي لأنني أبويا بيتخاف معايا لَمَّا أتأخر. والدنيا بدأت تخف في المظاهرات عشان المطر، وشهرت قابلت حد صديق ليها ومشيو معايا وصلوني لغاية محطة رمسيس عشان أركب المترو لبيتنا. رocht البيت كنت منكوشة وأبويا قال لي: "كنت فين؟" حكيت له ودخلت نمت ومفيش في بالي أي حاجة خالص. الزملاء الأكبر اللي فاهمين وعارفين معظمهم مروحوش يباتوا في بيوتهم، معظمهم كانوا فاهمين بعد المظاهرات دي لازم ياخدوا احتياطاتهم، أنا نمت عادي، الفجر لقيت الباب بيخبط فتحت الشراعة لقيت شخص ضخم ووراه ناس كثير قوي ووراهم البواب بيزعش مرعوب. الشخص الضخم بيسأل: "دي شقة إكرام يوسف؟" قلت له أبوه، ومفلت الشراعة ودخلت قلت لبابا البوليس في البيت، هو اتخض، وقلت له متقلش أنا مش معايا حاجة. فتحت الباب ودخلت افتكرت حكاية الكتاب والأكلسير مبقتش عارفة أعمل إيه، أنا عندي مكتب ضخم بس فيه فجوة بينه وبين الأرض، زحت شيله وراميه الأكلسير لأنني مش عارفة فيه إيه، بطاقة صاحبه وكارنيه الجامعة بتاعه، رميتها ورجعت المكتب، لكن كنت نسيت إن الكتاب في درج من أدراج المكتب. المهم اتضح أن شكلي ميقولش إنني طالبة في الجامعة، عشان كده الضابط لَمَّا فتحت له ودخلت متخيلش إن دي إكرام يوسف، هو تخيل إكرام يوسف صاحب الشقة، يعني تخيل إن أبويا هو اللي إكرام يوسف، دخلوا وانشغلوا بأوضة بابا، إحنا شقتنا كانت عبارة عن مكتبة كبيرة، كل الحيوان كتب عدا الحمام والمطبخ، وهما انشغلوا بالبحث بالكتب.

بعد التفتيش الضابط متخيل إن إكرام يوسف هو بابا وهو جاي يقبض عليه، دخل الأوضة عندي وبص لقي البطاقة بتاعتي محطوطة وبص لي واتخض وقال لي: "هو إنتي إكرام يوسف؟" قلت له آه، وبدأوا يفتشوا في الأوضة، وهما بيفتشوا أفتكرت إنني نسيت الكتاب الممنوع في الدرج، والضابط وصل للكتاب. واحد من العساكر لقي جواب ويفتحة زحت مزقة له وقلت له إنه مش من حقه يبص على أموري الشخصية، والضابط في ثانية رمى الكتاب ومسك الجواب، اللي هو جواب واحدة صحبتني بعته لي وإحنا صغيرين، لكنه شغل الضابط عن الكتاب ونسيه.

المهم راح لأمم شوية حاجات من اللي كانت موجودة في المكتبة، وشوية مجلات بتاعة "الإخوان المسلمين" والتيار الإسلامي و"الدعوة" وشوية حاجات كتب لينين ومجلات "روز اليوسف" و"الطلعة"، وبعدين اخذ شوية حاجات بتاعتنا من الكلية، يعني لقي ورقة اسمها الحزب كانت ورقة بحثية معمولة بقدّمها للكلية عن مفهوم الحزب السياسي، دراستنا يعني، ولقي ورقة عن التدخل الأمريكي في المنطقة، وهو لو قرأ هيكتشف إن دا تدخل الأمريكي في منطقة الشرق الأدنى في الفترة ما بين الحربين العالميتين حاجة دراسة تاريخية. المهم لَمَّا الفئام بتاعته وقال لي: "إبسي عشان إحنا عايزينك دقيقتين"، روحت ليست وأختي معايا في الأوضة وقلت لها عن الكتاب والأكلسير، وطلبت منها تقول لبابا يروح مبنى طلبة الاقتصاد والعلوم السياسية في المدينة الجامعية ويسلم الحاجات دي لزميلي في الأسرة ويبلغه إنني اتقبض عليّ، الزميل دا حسن أبو طالب⁵.

أول ما دخلت قسم حدائق القبة كان شكلي يدي سن إعدادي مثلاً، كل الموجودين في القسم قاموا مخضوضين وبصوا لي وتخليلوا إنني من الأطفال اللي اتأخدوا وسط الأحداث، محدش خطر في باله إن دي واحدة في الجامعة. المهم جابوا شباب تانيين وأنا البنت الوحيدة وحطوني في ززانة لوحدي وبرّ في الأوضة بتاعتي جابوا الشباب، مكنتش اعرفهم الشباب دول لأنهم الشباب اللي ساكنين في منطقة حدائق القبة معظمهم طلبة في جامعة عين شمس. لقيت واحد منهم كان في كلية هندسة اسمه سيد الطراوي، لقيته بيص لي من نضارة الززانة وقال لي: "إنتي فلانة؟" قلت له آه، قال لي: "أنا عارفك وأنا صديق أحمد سيف"⁶، والناس اللي هي في كليتي، فجأة قررت في دماغي إن دا مخبر، قلت له معرفكش، قال لي: "أنا عارفهم وعارف إنك بتعني والشباب اللي معايا دول كلهم أول مرة يتقبض عليهم وهما ناصرين والناصرين عمرهم ما تقبض عليهم ومخضوضين وبلا تغني عشان نشجعهم"، بدأنا نغني الشيخ إمام بصوت عالي، على الصبح جه ضابط ومعه عسكري وقال كل واحد فيكم يديني عنوانه عشان نروح لأهله ونقول لهم مكانكم لو عايزين حاجة، وإديناهم عناويننا وشوية ورجع الضابط قال: "صوت البنت عالي وبهيج الناس برّ، والجماهير برّ بتضرب في القسم وإحنا دلوقتي محبوسين زينا زيكم"، اتنين ضباط شبان في بداية العشرينات، "إحنا محبوسين زينا زيكم ويتضرب بره والكبار

5 حسن أبو طالب، خبير في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية التابع لمؤسسة "الأهرام" الصحفية

6 فتحة (شباك) في باب الززانة.

7 المناهض والحقوقى أحمد سيف الإسلام (1951-2014).

قيادتنا جريوا وسايونا وإحنا عندنا أوامر"، ووري لنا البرقية فيها حافظوا على هيئة الشرطة، قال: "حافظوا على هيئة الشرطة إننا نعمل فيكم أي حاجة بما فيها إننا نقتلكم وإحنا قلبنا عليكم وشباب زي بعض، الراجل اللي بعتهنا يجيب لكم فطار ويروح لأهاليكم انضرب رصاصة في ركبته من الجماهير اللي بره".

بعد الموقف دا عرفنا إن مفيش اتصال هيصصل بأهلينا، ولا حد هيجيب لنا هدموم، أنا فوجئت بسيد الطراوي لأنه من الكبار في عين شمس، جاب شنطته ومحصّر، وقال لي: "أول ما قالوا حظر تجول زحمت محصّر شنطتي بما فيها الشيبش وفرشة الأسنان والمعجون والهدوم"، وراح مديني الجاكت بتاعه عشان يدفيني، وأنا سهرانة طول الليل في برد يناير.

قعدنا طول اليوم وبليل قررروا ياخدونا يرحلونا، لما مشينا في الشارع لقينا الدنيا حظر تجول والجيش نزل والدنيا ساكنة مفيش كائن في الشارع، وبعدين خدونا قسم قصر النيل ولقيت شهرت العالم طالعة منه، أنا عرفتها في الضلعة لأنه هي كانت عاملة شعرها تسريحة معينة. دخلت وشهرت بتتعامل على إنها أكبر برضو وقالت لي: "لما نروح يحققوا معانا هنقول إننا نعرف بعض عشان يقعدونا مع بعض وهنكر معرفتنا بأي حد"، قلت لها طيب. ودونا القلعة بليل، ولما دخلنا القلعة كان معانا شباب وأنا وشهرت بس، بدأوا ياخدوا الشباب الأول، وأولهم سيد الطراوي وهو معاه شنطة والضابط فتش الشنطة، وبعدين بدأ يفتشه بطريقة مهينة جسدياً وراح رمى له الشنطة، سيد ساب الشنطة تقع على الأرض مرضاش يجيبها، أنا قلت بس هما هيمشوا الشباب ويستفردوا بي أنا وشهرت. ساعتها كان عندي 20 سنة وفهمي للمسائل كلها عاطفي، فكرت إنهم هيبداوا يمدوا أيديهم علينا وإحنا نضربهم ونقاوم ونستشهد، قررت إن أول ما حد يبجي ناحيتي هقلع جزمتي واضربه بيها، وبصيت لشهرت لقتها لابسة بوت قلت لها افتحي سوستة البوت بتاعك عشان يمكن نحتاجه، وبقيت مشحونة لأنهم بيمشوا الشباب الأول. بعد ما مشوا الشباب خالص اخدونا عادي الزنازين، أنا يبدو شكلي صغير، عشان كده فيه واحد مخبر عجوز قال لي: "اخذتي في المدرسة مذبحه القلعة؟ أنا لما بصحي الفجر عشان أصلي بلاقي ناس بتجري هنا في الحوش من غير رأس"، قلت له والنبي ابقى صحي عشان اتفرج أول ما تلاقيهم، راحوا فاتحين لي ززانة، فاكدة كانت رقم 4. مفيش في الززانة غير مرتبة في الأرض وضلعة مفيهاش نور. كان بقالي ليلتين منمشت روح رامية نفسي على المرتبة محسيتش بنفسي، هما تخيلوا إنني هخاف من الضلعة بس محسيتش أصلأ لغاية ثاني يوم الظهر لقيتهم بيصدونني ويقولوا لي: "حضرة

الضابط عايزك"، اكتشفت إنهم جم الصبح خطوا لي فطار وأنا نايمة مش حاسة كنت مجهدة جداً ونايمة. روجت لقيت 2 ضباط هما غالباً يكونوا بأسماء حركية مش أساميهم، واحد يسأل والثاني يتابع، عرفت بعد كده إنه بيقيس ردود الأفعال النفسية، والضابط بقى يسأل ويستفز وقال لي: "أنا عارف إنك مش في تنظيمات ولا حاجة ومليكش علاقة بحاجة ويقولوا إنك داخله تدوري على عريس"، قلت له هو إنتوا بتقبضوا على اللي بيدوروا على عرسان، خلاص خرجوني أشوف عريس. المهم بدأت القصة تمشي كده كل مرة يجبوني ويحققوا والضابط يحاول يستخف دمه ويستفزني عشان أرد، والثاني اللي قاعد ساكت قال لي: "إنتي عندك آلية لعدم إظهار انفعالاتك. إنتي بتيجي راسمة ابتسامة على وشك بحيث ميبنش عليك انفعالات خالص"، قلت له دي شهادة أعتز بيها من ضابط مباحث عامة وأول ما أروح بيتنا هكتبها في ورقة وأبروزها في أوضتي. يوم 20 بدأت تحقيقات النيابة وكانت التهمة عضوة لجنة قيادة في حزب العمال الشيوعي على مستوى الجامعة، وكنت المتهم رقم 35، وكانت شهرت المتهم رقم 33. طيغا قعدت اتريق على التهمة وبعدين خرجت روجت لقيت الراجل الضابط اللي بيقيس ردود الأفعال، دخلت الززانة لقيته فتح نضارة الباب، ويقول لي: "إكرام إنتي كويسة؟" قلت له آه قال لي: "مش عايزة حاجة؟" قلت له لا شكراً، ومشي.

بعد كده أخذت بالي كل تحقيق يجي يعمل الحركة دي، وتالت تحقيق عمل كده، روجت صارفة فيه أنا عارفة إن الززانة فيها تسجيلات، هو بيجي يبص "إنت كويسة مش عايزة حاجة؟" وروجت صارفة فيه قلت له أنت جاي الساعة تسعة ونص بليل الززانة تقول لي إنتي كويسة. راح قافل النضارة وجري ومجاش ثاني. كنا كلنا انفرادي وحتى معرفش شهرت لسه قاعدة ولا مشيت ولا مين موجود، نقلوني بعد كام يوم.

ززانة فنان الشعب وشاعره

بعد يومين لقوا حكاية الززانة الضلعة مش جايبة همها أنا لما قمت في ضوء النهار البسيط لقيت مكتوب على حيطان الززانة "من دخل هذا المكان من أجل مصر أو غير مصر، مأواهم جهنم وبئس المصير، وإحنا دخلنا من أجل الله" وبدأت أحس إنني قاعدة في ززانة معادية، ونقلوني في ززانة 1. كان فيها سرير ومنورة والحيطان مكتوب عليها "فنان الشعب الشيخ إمام عيسى، مغني الشعب أحمد فؤاد" قلت بس ززانة قراينا وقعدت، روجت قلعت التوكة بتاعتي وكتبت على الحيط، كان كل واحد يدخل يكتب على الحيط ويكتب اسمه، دخلت كتبت "مرضوا حظر الطعام، وبعدها حظر الكلام، وبعدها حظر التنفس، وبعدها يا مصر لا بد يطلع صبح" ومضيت اسمي بعدها، وطيغا الحاجات دي زمنها اتمسحت.

مش مسموح تخرجي من الباب إلا لو عايزة تروحي الحمام، وعلى الباب عسكري تخطي، ومش مسموح يتكلم معاكى والزنازة فيها تسجيلات، أنا حتى أول ما روحت زنازة 1 سمعت صوت واحد بيتعذب ويصرخ ويقول: "يا رب"، أنا لأول وهلة توترت وبعدت وشكيت إن دا تسجيل، قعدت أركز شوية حسيت إنه تسجيل معمول عشان أخاف ويدأت أغني طول الوقت. أصحى ستة صباحاً أفضل أغني لحد عشرة بليل، أنا عرفت إنه مسموح بس إنني أخبط والعسكري يجي ومش بيرد على أي سؤال وأقول له الساعة كام؟ يقول لي الساعة كذا، بعد خمس دقائق أخبط أقول له الساعة كام؟ مش لقيه حد يكلمني، وبعدت أقول له أروح الحمام ويمشي معايا لغاية الحمام، طريقة طويلة على زنازين مفتوحة، ومرة وأنا ماشية لقيت زنازة مفتوحة وفيها حد كبير قاعد على باب الزنازة، روحت سااية العسكري وجريت قلت له طب إحنا عيال صغيرة وبنشأغب وأنت راجل كبير وعاقل إيه اللي جابك هنا طلع جري العسكري قفل الباب عليه.

بقيت ألعب، ما أنا عندي 20 سنة، أمشي مع العسكري براحة يمشي براحة، أجري يجري، لغاية لما نوصل للتوليت. أبويا راح قسم الحقائق قالوا له "مش هنا"، وقعد 3 أيام ميعرفش أنا فين. وفي الآخر وصلتنى بيجامة وروب وفوطه، ويبدو إن أبويا من الريكة جابلي بيجامة بتاعة أختي نفس لون الروب.

بقيت أخبط يجي العسكري أقوله عايزة اغسل هدومي، يقول لي: "طيب". أنا بقيت حريصة حاطة على الجبل اللي قدام الحمام هدوم بحيث أي حد يعدي يروح الحمام بعرف إن فيه بنت هنا، كنت أروح اغسل البيجامة وأعلقها وأرجع، طيغا إحنا في القلعة تلت ساعة وتكون نشفت ويجي العسكري جايب لي البيجامة، أروح مغيره ولايسة، وأخذ الثانية وأقول له عايزة اغسل هدومي، فضلت مستمرة بالشكل دا كل خمس دقائق أقول له عايزة اغسل هدومي، عايزة أدخل الحمام، عايزة أشوف حد أكلمه. 13 يوم وجه العسكري قال: "خضري حاجتك"، قلت له رايحة فين؟ قال لي: "خضري حاجتك" هو مش مسموح له إلا بالجملة دي، قلت له يعني هنترحل ولا تحقيق؟ قال المرة دي: "خضري هدومك". وفعلًا حضرته، وفجأة لقيت نفسي في عربية ترحيلات ومعايا شهرت العالم ورايحين سجن القناطر. دخلنا السجن، وفيه سجانة قالت لنا: "خلوا بالكم انتوا شكلكم صغيرين وبنات ناس، خالوا بالكم في ناس جوة بتوع سياسة من زمان ويبجوا كل شوية ما تعملوش معاهم". جرينا ندور على الناس بتوع السياسة هما دول اللي هيفهمونا. دخلنا كانت راوية عبد العظيم اللي بعد كده بقت صاحبة "دار نشر سينما"، كانت أكبر منّا عندها 28 سنة، وشهرت عندها 23 وأنا 20.

قعدنا في السجن ست شهور. في نيسان/أبريل كانت جات الامتحانات، شهرت العالم كليتها بعثوا لها لجنة تمتحنهم في السجن. أنا كليتي رفضت وقالت البنت تيجي تمتحن عندنا في الكلية، وزبها كلية آداب عين شمس، وبقي صعب يجيونا من القناطر للجامعة كل يوم، راحوا واخذنا حطينا في القلعة عشان يجيونا، بس مفيش تحقيقات والباب مفتوح وإحنا قاعدين في الحوش نذاكر وناكل وننام بس، كانت أيام الامتحانات. كان العسكري هناك زي أحمد سبع الليل بتاع "البريء" بالطيط، أعتقد إن عاطف الطيب حد حكى له عن الولد دا كان اسمه علي، ولد قمحي كده وبرضو كان بيرعى غنم وبيعزف ناي وخدوه أمن مركزي وهو دا اللي كان موجود من ساعة ما روحت أول مرة ومكنش يرد علي غير لما أقول له الساعة كام وكنت برخم عليه، وهو نفسه بدأ يتكلم معنا عشان مفيش تسجيلات [في المرة الثانية] وحكى لنا إنه قرفان من الشغلانة اللي كلها خبث وقرف ونفسه يخلص الجيش بتاعه ويرجع يلاهم عشان يرعى الغنم وبيعزف ناي. أعتقد حد دخل القلعة وحكى لعاطف الطيب وخذ الشخصية من "علي".

في وسط الامتحانات فوجئنا إن ظهر قرار الاتهام، اللي هو اتهمنا رسميًا في القضية، القضية كان فيها ألف وشوية شخص، وصدر قرار بتوجيه اتهام لـ 175 شخص.

في جلسة المحكمة لقيت زكي مراد المحامي، كان صديق أبويا، ولما قابلت عم زكي قلت له أنا لو منك ارفع قضية رد اعتبار، قال لي: "يعني إيه؟" قلت له يعني أنت راجل عمال تناضل من أيام الإنجليز وراجل شيوعي ومهم ويخلوك المتهم الـ 85 ويخلونني أنا المتهم الـ 35. وانت تهتمك التحريض والشغب وأنا تهتمتي القيادية في حزب شيوعي. بس بعدها لما كبرت وبقيت بطل قلت لا هو كان قاصد يخط الصغيرين كلهم الـ 50 اسم اللولانين بحيث ياخذوا إعدام، لأن السادات طلع قال إن نتيجة الاستفتاء هتطبق على القضية اللي شغالة بأثر رجعي. للأسف لما جات القضية اخدنا براءة كلنا، لكن الناس اللي تهتمهم كبيرة أحزاب اخدوا براءة لأن مفيش دليل على وجود حزب، مفيش أوراق تدل على وجود حزب، اللي اخدوا أحكام للأسف اللي هما تهتمهم التحريض والشغب، كان منهم زين العابدين فؤاد، لأن مثبت إنه طلع في مظاهرة، وكان منهم زميلة ليلى وهي أصغر واحدة فينا اسمها إيمان عطية مكنتش عملت أي حاجة في الدنيا خالص غير إنها أول مرة في حياتها رجعت الجامعة بعد ما تقبض علينا كلنا وكانت تسمع عننا وفوجئت إن كل الناس تسمع عنهم وطنيين وكويسين

8 بمعد الراوية فيلم "البريء"، اخراج عاطف الطيب (1985) وفيه أدى الممثل احمد زكى دور عسكري ساذج ينفذ الاوامر من دون تفكير، ويعبر السجناء السياسيين اعداء الوطن ويعامل معهم بعنف

مقبوض عليهم، وكتبت مجلة حائط عنوانها "التخريب مسؤولية الشرطة كاملة" وقالت أنا بنفسى شفت بتوع الأمن المركزي قاليين عربية ترام ويحرقوا فيها وموقفين بتوع الصحافة بيصوروا، دا اللي عملته إيمان، وبقت فرحانة إنها أخيراً كتبت مجلة حائط وشالتها وخجبت بيها من باب الجامعة والحكومة راحت مسكاها، والبنث دي معملتش شيء في حياتها غير مجلة الحائط. لما راحت وكيل النيابة قال لها دي مجلة الحائط بتاعتك، قلت له: "أيوه ودا خطي ودا رأيي"، اخدت 3 سنين لأن القاضي حكيم منير صليب، اللي هو أدى الأحكام للناس اللي ينطبق عليهم القانون، لكن الناس المتهمه بأنها في "تنظيم" مفيش ما يثبت أن فيه "تنظيم لقلب نظام الحكم".

خرجنا من السجن منضمين لحزب اسمه "حزب المؤتمر" تنظيم سرى منشق عن "الحزب الشيوعي المصري"، اتجندنا وإحنا في سجن القناطر. (فضلت أنا في التنظيم دا لغاية نصف 80، من سنة 1977 لغاية نصف سنة 1980. أنا اختلفت معاهم لأسباب لها علاقة بأني مش مقتنعة بأساليب العمل، وسببتهم).

بالنسبة للجامعة، كنت في سنة 3، وعرفت من واحد من أساتذتي، دكتور إبراهيم صقر، إن "جه قرار بإن كل اللي في البكالوريوس يتخرجوا عشان ما بقعدوش في الجامعة ويمارسوا نشاطهم، ونخلص منهم واللي في المراحل اللي قبل البكالوريوس يسقطوا عشان ما يبقاش من حقهم دخول انتخابات اتحاد الطلبة".

كان في أيامها تقليد يتبعه شباب الحركة اللي هما أعضاء في تنظيمات إن بتوع الكليات المرموقة يسقطوا عمداً آخر سنة عشان يربّوا كواد، وأحمد سيف كان ناجح في كل المواد، بس يسقط لأن مطلوب منه تقديم ورقة بحث 20 صفحة فهو ميقدمهاش ويسقط، قعد 4 سنين مش بيقدم الورق، يعني أنا دخلت وأحمد سيف بيعيد سنة رابعة. وشوفت حوار عجيب جداً بينه والدكتور خيرى عيسى [عميد الكلية] والدكتور حامد ربيع [أستاذ المادة]. واقفين يكلموه على السلم يقولوا له: "قَدَمَ البحث" وسيف بيتنسم ابتسامته الفلاحية بخبث، خيرى عيسى يقول له: "يا ابنى قَدَمَ البحث عشان عايزين نطلع نتيجة البكالوريوس عشان الجيش" وهو يهز رأسه ويتنسم، راح حامد ربيع قال له: "أنا هكتب بحث واكتب عليه اسمك وابقى روح قول مش بتاعي هتتخرج يعني هتتخرج". الحوار دا أنا سمعاه بأذني، معرفش هما عملوه ولا لا بس سمعت أستاذ المادة يقول إنه هيقدم البحث عشان يتجحه. وساعتها سقطت عشان ميقاش من حقى أدخل انتخابات اتحاد الطلبة السنة اللي بعدها.

بعد كده ارتبطت بعبد الحميد العليمي واتجوزنا مكنش لسه

صدر الحكم وتوقعنا إنه لو صدر هيقى مش من حق أي حد يزورني إلا الأقارب من الدرجة الأولى، عبد الحميد قرر يكون قريب من الدرجة الأولى ونكتب الكتاب، وحصل في نيسان/ أبريل 1978 عشان لو اتقبض عليّ واتسجنت يبقى من حقه الزيارة. واتجوزنا في آخر أيلول/سبتمبر 1978 كنت رابحة سنة رابعة، قضيتها وأنا زوجة. تخرجت ومفيش شغل المشكلة العادية إنك تدوري على شغل وكان أيامها الخدمة العامة، عملت خدمة عامة في مدرسة إعدادي والجمعية التعاونية، وبعدين بقيت أدور على أي شغل لأننا زوجين على قدنا ومحتاجين أي شغل، أنا بعرف آلة كاتبة وبدي دروس لعيال في مدارس خاصة، وبدأت اهتم بموضوع الترجمة وبقيت أترجم لغاية ما جالي جواب القوى العاملة تعيين في الهيئة العامة للاستعلامات، تقريباً أنا آخر دفعة اتعينت في القوى العاملة، دي حاجات من تراث العهد الناصري، إن كانت الدولة مكلفة بتعيين جميع الخريجين، فكل الخريجين اللي يتخرجوا سواء من جامعة أو متوسط يقدموا ورقهم في وزارة القوى العاملة، يحي بعدها ورقة بأنك تنتمي في الحئة القلانية، وتتعيين على طول. جا لي جواب التعيين، وأنا ما عنديش خبرة في العمل وتخلت لما يجيني التعيين أروح على رئيس الهيئة أقول له أنا جيت يلا عشان اشتغل عندكم، عملت دا فعلاً، روجت على مكتب رئيس الهيئة وهما حسوا إن قدامهم واحدة ساذجة. وكان وكيل الوزارة مسؤول عن مكتب رئيس الهيئة قال لي: "بتعرفي إيه؟" قلت له أنا خريجة سياسة واقتصاد ودارسة ترجمة في الجامعة الأمريكية أربعة سنين، قال لي: "إحنا عايزينك في مكتب عندنا ما تنزليش شؤون العاملين عشان ما يحولوكيش لأي قسم"، وكلم هو بتاع شؤون العاملين قالهم في واحدة اسمها كذا ورقها عندكم حولوها على مكتب فني رئيس الهيئة. ودا أدى انطباع لكل الموجودين إنني جاية تبع كوسة كبيرة جداً، لأن كل اللي شغالين في مكتب رئيس الهيئة جاين تبع رئيس الجمهورية، واللي جاي تبع صفوت الشريف، واللي جاي تبع وزير، المكتب كان فيه 30 شخص كلهم جاين تبع هيئات سيادية، وقعدوا أسبوع يدوروا أنا تبع مين، لغاية ما كل واحدة سألت الناس اللي تبعها فأنا طلعت مش تبع أي جهة فخطر في بالهم إنني ممكن أكون تبع بطرس غالي، بدأوا بيعتوا واحدة تسألني على اسمي، "اسمك إيه يا إكرام؟" قلت لها إكرام. "إكرام إيه؟" إكرام يوسف. "يوسف إيه؟" فؤاد. "فؤاد إيه؟" خليل، "إنتي متجوزة؟" أه. "طب ابنك اسمه إيه؟" كنت لسه والدة زياد وقلت لها اسمه زياد. "زياد إيه؟" قلت لهم عبد الحميد، أنا عارفة الطريقة دي لأن اسمي الرباعي يخلي الناس تتحير، هما تخيلوا إنني مسيحية أو تبع الكنيسة جاية تبع بطرس غالي مثلاً. المهم قعدت

9 بقصد الراونة واسطة او تدخل من شخصيات نامده

في مكتب رئيس الهيئة. وفي حد صديقنا محامي نصحني قال لي: "متوديش أوراق مسوغات التعيين بتاعتك كاملة، كل شهر إديهم حاجة لغاية ما يتم ست شهور عشان تبقي اثبتتي، علشان لما تروح الأمن تكوني خلاص اثبتتي". وعملت كده وفعلًا بعد ست شهور كنت اثبتت، وفوئثوا إن الاسم ملطوط ويعتوا لي أمن الهيئة قالوا لي: "اسم جوزك إيه؟" قلت لهم فلان الفلاني، "طب تاريخ ميلاده إيه؟" قلت لهم هتجيبوا له هدية عيد ميلاده، قالوا لي "أه". قلت لهم تاريخ ميلاده، وبعدين عرفت الملفات بتتحفظ بتاريخ الميلاد، بس كانوا اتورطوا إنني اتعينت في الهيئة. عرفت بعد كده إن بدأ يجي لرئيس الهيئة، ممدوح البلتاجي، جوابات بخصوصي أنا وواحدة مسيحية بتشتغل إدارية، باعتبار دي هيئة سيادية ومينعش يبقى في المكتب الفني لرئيس الهيئة واحدة مشبوهة سياسيًا وواحدة مسيحية، بس الحقيقة دي من الحاجات اللي تحسب للدكتور البلتاجي، هو تمسك بي وقال: "دي حصاره شغل، يجي لي منها كل الشغل الإنجليزي"، والثانية الحقيقة كانت إدارية شاطرة ولفو جدًا ونشيطة، إحنا قعدنا بفضل البلتاجي، أصرر نعد على مسؤوليته.

بقيت بشتغل في الهيئة وعندي طفل زياد العليمي وبعد شوية جيت بسام، أخذت إجازة بدون مرتب، وأنا كنت بدأت ازهق من العمل الحكومي وكنت عايزة أتجه في شغل الترجمة وعايزة اشتغل صحافة، كنت بشتغل صحافة بس مش معينة.

في سنة 1985، زياد كان عنده خمس سنين جه فجأة بتوع الأمن قرروا يعيدوا قضية 1977 ثاني، كان ساعتها القضية دي بقى لها 8 سنين وأنا اتجوزت وخلفت عيلين، ومحدث فينا راح لأن محدش فاضلي أصلًا والموضوع نسيناه لئنا، كان فينا ناس شيوعيين سنة 1977 على ما جات إعادة القضية كانوا ربوا دقنهم، وفي واحد من الطلبة اللي كانوا في القضية بقى سفير مصر في الإمارات، وغيره بقوا في مجلس الدولة، الموضوع منتهي من زمان، والناس بقى اللي بقى بكرش وأقرع حاجات كده مش هم دول الطلبة.

وواضح إن القاضي استقّر لما ملقاش حد جه، فأصدر أمر بالقبض على كل الناس، كل دا إحنا مش موجودين ومش متابعين ومش واخدين بالنا. حظي اللي يضحك إنني كعادة الأجهزة البيروقراطية إنهم معندهم تحديث بيانات، وميعرفوش إنني تجوزت وخلفت وعابشة في منطقة ثانية خالص، راحوا ياخدوني من عند بابا. حظي المنيل إنني في الليلة دي بابا كان عيان وأنا واحدة عيالي وجوزي وبايتة عنده، الباب خبط فتحت لقيتهم، مرضيناش نصحني بابا وجوزي نزل معابا وقال لهم: "أنا هاوصلها بعريبتني"، وقال للمخبرين:

"روحوا اقبضوا على ناس تانيين" ووصلني علشان يضمن إنني في قسم حدائق القبة. كانوا الضباط الموجودين في القسم صغيرين خالص حاجة وعشرين سنة، وميعرفوش حاجة عن 17 و18 يناير، وفهمت دا لما جم يدخلوني الزنزانة بليل لقيت واحدة نايمه في الأرض، أنا عارفة إن في حدائق القبة مش يتقبض على واحدة سياسية غيري، قلت لهم إيه دي؟ قالوا لي: "دي حمامية ممسولة في اختلاس"، قلت لهم حرامية؟ قالوا لي "أه"، قلت لهم لا طبعا، أنا متحبسش مع جنائية، الضابط بص لي كده، وقلت له لا القانون يمنع حبس السياسي مع الجنائي، واضح إنهم مش فاهمين وأنا بتكلم بثقة، الضابط قال لي: "هانعمل إيه؟" قلت له يا تروحوها يا تروحوني، أنا برسم على حاجة إنني آيات في مكتبهم، ما أنا جربت في 1977 البليات في الزنزانة برد قارس مؤلم، واضطروا يحطوني عندهم في المكتب. قعدت طول الليل ألكي لهم انتفاضة الخبز جرى فيها إيه، الضابط بقى متعاطف لدرجة إنه قال لي: "أيوه الغلاء، طب إحنا هانروح نفتح قسم بعد الظهر دا الضباط الكبار مرتبناهم هما اللي ياخدوا" وقعد يشكي لي همه طول الليل، وأنا بحكي له معدي مخبر قال له: "يا بيه في 1977 جات واحدة هنا بنت صغيرة قد كده وافترناها عيلة من اللي اتاخدوا في الأحداث في الشارع وبعدين الصبح بنقول لهم نيلغ أهاليكم ونجيب إيه من أهاليكم قالت عايزة 3 جرائد، تصدق يا باشا ولا كانت خايفة" وبصيت له وقلت له طب دي أنا، بص لي كده وقال لي: "لا"، وطبعًا أنا كنت سميت، "لا، الثانية كانت رقيقة"، قلت له لا أنا بس اتجوزت وخلفت، الراحل بص لي كده وبعدين راح قام عمل لي شاي بلبن، قلت له ميرسي مش عايزة، قال لي: "ميرسي إيه، دا أنا مربكي". المهم الصبح الضابط راح جاب لي "جريدة الشعب" عرفوا إنها معارضة فجابها لي. خدونا كلنا ودونا على النيابة علشان ينقلونا نتحبس.

في النيابة كان ساعتها قضية قلق فيه مشاكل مع ليبيا وكانوا قابضين على ناس في قضية "تخابر مع ليبيا"، يعني النيابة مش فاضية لنا، الضابط طلع بالأسماء، النيابة راحوا كاتيين له تحت يرحلوا على سجن الاستئناف من غير ميشوفوا حد فينا، نزل الضابط وكان ساعتها عبد الحميد العليمي ماشي ورا عربة الترحيلات بعريته علشان يعرف هيوذوني فين، قال للضابط: "رايحين فين؟" قال له: "سجن الاستئناف"، سجن الاستئناف إيه يا حضرة الضابط أنا ست، سجن الاستئناف دا بتاع رجالة، قال: "الزوامر عندي سجن الاستئناف"، يا حبيبي أنا ست مفيش فايدة. خدنا وروحنا سجن الاستئناف دخل يلستة الأسماء فالضابط مأمور سجن الاستئناف اخذ الناس كلها وقال له: "إيه دي؟"، قال له: "دي ست"، قال له: "أعمل بيها إيه

مرور يجري بمسكه من رجليه "دا بوليس وحش ولا بوليس حلو"، أقول له بوليس حلو يروح يسبيه.

لما توفى عبد الحميد العليمي في حزيران/يونيو 1986، زياد مكش لسه دخل أولى ابتدائي كان مخلص "كي جي تي تو" وبسام كان لسه سنة وشهر، حتى حمدت ربنا لأنني كنت بفكر استقيل من شغل الحكومة عشان أركز صحافة وعبد الحميد كان مصرّ إنني اخذ إجازة بدون مرتب بس أبقي حافظة مكانتي، وطلع عنده حق لأنه توفى ومعدنيش أي دخل، هو معاشه صغير لأنه توفى وهو عنده 35 سنة كان معاشه 70 جنيه وأنا مرتبي 80، بعدها اضطررت انقل زياد من مدرسة اللغات "لا روز دي ليزيه" في الدقي لمدرسة تجريبية "أسماء فهمي القومية" عشان أقدر على تكاليف دراستهم. انشغلت إنني مسؤولة عن طفلين ملهوش حد أبدأ، بدأت اشتغل في اليوم 3 شغلانات عشان أدبر فلوس، بقى دا كل تركيزي في الحياة إنني اشتغل. في فترة كنت بشتغل في هيئة الاستعلامات وبعدين أطلع أدرس ترجمة في مركز أبحاث، واشتغلت في جريدة "العالم اليوم"، فكنيت باخلص شغلي في "العالم اليوم" وأطلع اشتغل في "رويتزر"، وأرجع بعدها أعمل شغل ترجمة في البيت، عشان أدبر مصاريف طفلين. وبعدين عشان مجتمعا الظريف كنت حريصة إنني أبتر كل علاقاتي الاجتماعية حتى الأصدقاء اللي بيدبو يزوروني قلت محدش يجي يزورني إلا بمراته، حتى بعد شوية اللي يجي بمراته ميقش أرد لهم الزيارات لغاية لما الناس بظلت تزورني، ومعدت 16 سنة مركزة على الأولاد وإنني بشتغل عشان أدبر لهم تكاليف دراستهم وحياتهم. كنت بس أخدمهم معايا معرض الكتاب لما يبقى فيه ندوة ونقعد في آخر صف بحيث لما تخلص أخدمهم ونمشي، بقى كل تركيزي على الأولاد وتعليمهم وتدبير نفقاتهم.

نهاية زياد

مرة زياد كان بيستحم بعد المدرسة، ومدرسته قدام مديرية أمن الجيزة والجامعة، لقيته بينظ تحت الدش ويقول: "يا مبارك يا جيان يا عميل الأمريكان" قلت له إيه دا؟ قال لي: "دي الأغنية اللي يقولوها طلبة الجامعة"، بدأ يهتف بالدوتة.

في 1996 كانت الدنيا موات، كنت بمشي رايحة الشغل فألقى على الحيطان في الشارع من أول رمسيس لغاية وسط البلد وفيصل مكتوب بسبراي أحمر "يسقط الاستعمار" و"يسقط مبارك"، وبقيت أقول والله فيه ناس أهو بتتحرك، لغاية لما واحدة اتصلت بيّ تقول لي: "إنتي مامات زياد العليمي؟" قلت لها آه، قالت لي: "خلي زياد يمشي حاله من الشقة لأنهم جم ياخدوا ابني، وهو نازل قال لهم اللي كان بياخذنا

هنا دا سجن رجال"، الضابط مش عارف خالص والمأمور قال له: "انصرف خذها معاك". خدني وبقى مش عارف يوديني فين، وكان خلاص مواعيد العمل الرسمية كانت خلصت واضطروا يحطوني في قسم الخليفة، بمنطق واحدة محظوظة أمانة عندهم لغاية ما يشوفوا لها صرفة. فكان حطوني في عنبر كبير قوي وللأسف كان فيه بقى جنائيات، ومجموعة بنات إفريقيات متاخدين من فندق، بيدو كانوا عاملين عيد ميلاد وكانوا بيرقصوا، المهم الضابط جه شتمهم، وقعدوا. وأنا كلمته بالإنجليزي قلت له اللي بتعمله دا يعمل أزمة دبلوماسية دول ليهم سفارات، وهو كان شتمهم شتايم قبيحة. المهم مشي فهما ارتاحوا ليّ واتعاملوا معايا وحكيت لهم حكايتي، وعلى الصبح وأنا ماشية قعدوا يغنوا لي: "راس مبارك مطلب شعبي" زي ما كانوا يقولوا على النميري¹⁰، وأنا ماشية وسعوا ليّ وقعدوا يغنوا ليّ "راس مبارك مطلب شعبي"، خرجنا من قسم الخليفة روحنا على سجن القناطر كان في اليومين دول عبد الحميد العليمي عمال بلف على المحامين والأستاذ خالد محيي الدين، المهم عقبال ما وصلت سجن القناطر دخلت قالوا لي لا دا جه قرار بالإفراج عنك، رجعت في نفس العربية. كنت غبت عن الأولاد ليلتين، ليلة قضيتها في قسم الحداثق، وليلة قضيتها في قسم الخليفة. أول يوم لما زياد سأل باباه عليّ قال له: "مش إحنا بنقول الجدة جدة والجان جيان وماما بتدافع عن الغلبة والفقراء وإحنا جدهان ومش هنعيط"، زياد حريص إنه يبقى جده بس هو طفل فبقى يجي يلبس الجزمة يروح منفجر من العياط، "رباط الجزمة مش راضي يتربط"، ولما كان مع باباه بيروحوا عند المحامين زي الأستاذ عبد الله زغبى وعصمت سيف الدولة قالوا لزياد: "مامتك ست عظيمة"، وهو أنههر بلبس عصمت سيف الدولة. وقرر يبقى محامي، من سن خمس سنين قال: "أنا هابقى محامي وأجيب حق الغلبة".

وفي السنة دي كان عبد الحميد العليمي دخل انتخابات مجلس الشعب في البلد، وزياد كان معانا وماشى شايف المظاهرات حتى كانوا الناس بيهتفوا "المنوفية للتوار مش للباشا والسمسار" وهو كان يقعد يهتف بحماس "الملوخية للتوار مش للباشا والصرصار" وبقت عجابه الحكاية، وبعدين شايف العساكر يروح يأخذ ورق الانتخابات ويروح يوزعه عليهم، روجت قلت له دول مش معانا وبعدين بدأ يتوتر وسألني: "هو البوليس وحش؟"، فقلت له لا هو البوليس مش وحش، البوليس حلو اللي بيدافع عننا وبيقبض على الحراميين، وفي بوليس وحش اللي هو يقبض على الوطنيين. فضل زياد فترة نبقى ماشيين في الشارع وبلقي واحد عسكري

10 جعفر النمري رئيس السودان حتى 1985.

زياد العليمي"، قلت له، لبس وجري.

عرفت بعد كده إنه واخد 2 أصحابه وبيلفوا على شوارع مصر، اخدتهم التشنو وركبوا عربية أبو الولد اللي مامته بتتكلم، وراحوا يكتبوا عند بيت السفير الإسرائيلي وقدام بيت السفير الأمريكي، والأمن هناك لقط نمرة العربية، راحوا جابوا الولد الأول والثاني، وهرب زياد. بعدها زياد كلمني قال لي: "أنا رايح أسلم نفسي"، قلت له استنى ما تسلمش نفسك غير لقا نسال زميلنا المحامي أحمد كامل، كان أبو واحد من المقبوض عليهم، على أساس لو أنت المفروض تسلم نفسك يجي يسلمك ميقاش هما قبضوا عليك، قال لي: "أنا مش هاستحمل إنهم يتعذبوا من تحت راسي وأنا لازم أسلم نفسي"، قلت له هاتروح تسلم نفسك وتقول لهم سمعت إن عندكم ناس يتتعذب هنا، جاي أتعذب معاهم، لو هما هيخرجوهم ويأخدوك كان معلش، استنى لقا نسال أحمد كامل. كلمت أحمد كامل قال لي: "قولي له أوعى لأن أنت لو سلمت نفسك هاتتعمل قضية هما دلوقتي مش عارفين يعملوا قضية لأن أنت مش موجود فمفيش قضية، طول ما أنت مش موجود مش هيعرفوا يعملوا قضية". وكانت النتيجة فعلاً إنه مسلمش نفسه وتحولت القضية لتلويث مبانى عامة وخرجوهم بس بعد ما كانوا عذبوهم شويتين.

وهو في ثانوية عامة جه مرة قال لي: "عايز أروح لدكتور أذن"، قلت له ليه؟ قال لي: "لما باجي أنفخ بيطلع هواء من أذني"، قلت له لازم تروح لدكتور، وبعد يومين قال لي: "عايز أطلع بدل فاقد لبطاقتي الشخصية"، ليه يا ابني؟ "كنت رايح أزور واحد صاحبي من الجامعة فعسكري خبط في بكتفه من الحرس وأنا اتخانقت معاه واخد مني البطاقة"، فأنا كلمت ليلس سويف وقلت لها زياد بطاقته متاخذه على باب الجامعة، بعدها كلمتني قالت لي: "أنا دورت في كل أبواب الجامعة ملقتش بطاقة زياد". كان فيه حد زميل لنا في هيئة الاستعلامات بيشتغل في الجامعة فكلت قابلة له، قال لي: "روحي طلعي لابنك بدل فاقد وإنتي ساكنة خالص"، قلت له ليه؟ قال لي: إن زياد كان بيروح كل يوم كلية تجارة لأنها الأقرب لبيتنا، لأننا في فيصل ويخرج الطلبة مظاهرات عشان الانتفاضة الفلسطينية وإنه مرة واقف وهو مستقل طولته وواقف على البنش بيخطب في طلبة كلية تجارة، بص لقى وكيل الكلية ماسكه من رجليه واخذه وداه للحرس، قالوا له: "أنت فين؟" قال لهم أنا كلية حقوق، طب هات الكارنيه بتاعك، قال لهم نسيته، فآخدوا منه البطاقة، وقدموا مذكرة في كلية حقوق للطالب فلان الفلاني اللي عندكم في الكلية بييجي يعمل عندنا مظاهرات في كلية تجارة وعمالين بدوروا على الطالب. وجه واحد صاحب زياد من المنطقة قال لي:

"يا طنط أنا بقول لك عشان زياد بهمني هو بيروح الجامعة كل يوم يعمل مظاهرات ومش بيروح المدرسة ومسكوه"، ولقا كمان الضابط بيحقق معاه بقول له: "أنت يعني فالح قوي وواقف تخطب"، قال له "مفيش في إيدي". راح لاطشاه قلم على وشه وطيرله طيلة ودنه عشان كده بيقول لي ودني. جبت زياد كان سنة 1996 قلت له هي فلسطين محتلة من إمتى؟ قال لي: "من 48 سنة"، قلت له ممكن تسيبها فحتلة 48 سنة و3 شهور، 3 شهور بس لغاية لقا نخلص امتحانات الثانوية العامة وبعدين نقى نحررها، وكان أيامها مظاهرات الانتفاضة الفلسطينية وكان فيه نشرة الأخبار في التلفزيون فيص وقال لي: "مش دول برضو عندهم أمهات بتخاف عليهم وعايزاهم يعيشوا"، وراح سايبني وماشي، فعرفت إن اخدته النداهة.

ودخل الجامعة. وأيام محمد الدرة لقيت بنت جاية بتقول لي: "زياد عايز هدومه لأنه هيخفني شوية"، مشي وعرفت إن كان في مظاهرات في الجامعة أيامها، حتى يومها أنا عرفت عن زياد في حد لازم يجي يقبض عليه وخليت أخوه يروح يذاكر عند صاحبه ومفلتلوش في إيه، قلت له يروح يبات النهاردا عند صاحبه وقعدت لوحدي عشان استقبلهم لوحدي. لقا جه ضابط المباحث بليل قال لي: "زياد فين؟" قلت له بيذاكر مع أصحابه، قال لي: "بيذاكر؟" قلت له يا إما بيذاكر أو راح سينما المهم إنه مع أصحابه، قال لي: "فيه سينما دلوقتي؟" قلت له انت عارف الولاد، دخل وقعد يفتش، وزياد أوضته كل الحيطان مكتوب عليها بشعر، وبرضه شقتي زي شقة بابا كلها كتب ومكتبات، وأنشغل بالمكتبة قعد يدور وبعدين جا لي إحساس إن الضابط بيدور ونفسيه ميلاقيش زياد، لدرجة إنني قلت لهم تشربوا حاجة والراجل بص لي، قلت له بص أنا عارفة إنك خارج من بيتك كفران الفجر وساب عيالك عشان تدور على حد أنت عارف إنه معملىش حاجة وعارف إنك مش هتلاقيه وأنت بتعمل شغلك وأنا هعمل لك شاي.

بعد ما العساكر نزلوا، قال لي: "قولي لزياد ياخد باله من نفسه"، قلت له مش عارفة أقول له إيه يعني لو أنت مكانه وشايف اللي حصل مع محمد الدرة هتعمل إيه! ما أنا مش عارفة أقول له إيه! وهو نازل للاقية بيقول لي: "يا ريتني كنت مكانه والله" قال دي وأنا سمعاه وهو نازل، قلت له مش عارفة لو أنت كنت مكانه كنت هتعمل إيه.

تعيين متأخر في الصحافة

سنة 2000 تعينت في "العالم اليوم"، وروحت سايبه هيئة الاستعلامات لأن كان حلم حياتي طول عمري إنني أبقى صحفية معايا كارنية النقابة، أنا بشتغل صحفية من سنة 1982 بس مكنتش عندي ترف إنني أسيب شغل الحكومة واشتغل

لهم البيت وببسال عنهم، وهم ولدين بيتخانقوا مع بعض ويصالحهم. لَمَّا رجعت لأقيت زياد يقول لي: "يا ماما عمو محمد قال لي إنه كان عرض عليك الارتباط من 3 سنين وإنتي رفضتي وهو قال لك خلاص إنسي الموضوع وإحنا زملاء، بس هو قال لي إنه منسيش الموضوع لأنه عارف إن عندك التزامات كثيرة وراكي، وهو شايف إن دلوقتي الالتزامات بتخلص، أنا في ليسانس وبسام داخل الجامعة، وهو عرض عليّ الموضوع وأنا شايف إنه إنسان كويس قوي وإنه قاعد مستتني".

وفي الآخر وافقت واتزوجت وهو وعلاقته بهم قوية، لَمَّا جت أحداث الجامعة كان برضو الانتفاضة الفلسطينية وزياد كان طالع يحرق العلم الإسرائيلي من على باب الجامعة والضابط شدة وقعه كسر له ركبته اتدورت بقت الناحية الثانية وشيلنا له غضروف، والحقيقة محمد وقف جنبنا وقفه جامدة قوي كان أكثر من أب له. بعد كده جت 2003 كان مظاهرات العراق وزياد اتقبض عليه ومحمد كان أول واحد من الأهالي يكون موجود في قسم الأزيكية ويجب له هدمه، بالرغم إنه مش ناشط ولا بيمارس سياسة لكن كان يتصرف لأب. زياد تخرج 2002 واتجوز 2004، وبسام تخرج.

أنا كنت بشتغل بره؛ مترجمة في البنك المركزي القطري، وبعدين في جريدة "الرابعة القطرية"، وكانت مشاركاتي أساساً كتابة، وكان أول مقال حتى هما نزلوه على موقع كفاية كان اسمه "لا للتمجيد، ولا للتوريث، ولا الغائبة" كنت بقول إنه بعد 2005 هيقى فيه تمجيد لمبارك وممكن يقى فيه توريث وفيه لا غائبة لا بُد أن ننبيه ليها، إحنا مش ضد مبارك وابنه كأشخاص، بل ضد سياستهم وسياسة التبعية بالذات، وكنت شايفه إنه ضروري يتحط "لا للتبعية"، حتى لو حصل تمديد وتوريث يقى برضو مش ضد الأشخاص إحنا ضد سياساتهم التابعة للولايات المتحدة، كانت مشاركتي بالكتابة، ولَمَّا رجعت تقريباً في 2007 نزلت مظاهرات الاحتجاج اللي كانوا بيعملوها.

في 2005، كتبت مقال بعنوان "انتهى الدرس يا غبي"، وبعده أتركت في "العالم اليوم". قيل لي "إحنا عابزين منك مقال أسبوعي"، اكتبه من بيتنا واخذ مرتبي، وقعدت سنة ونص بعمل دا واسمي موجودة على الترويسة في "العالم اليوم" مديرة تحرير. أيامها كان صاحب الجريدة عماد أديب وأخوه ومراته متوالين حملة مبارك سنة 2005 في الوقت اللي كتبت دا، بقى التعامل معي باعتباري الشبهة اللي المفروض تتدارى ومحدث واجهني ولا اتخانق معاً. واستمر الوضع دا لحد 2009 لَمَّا جريدة "الشروق" فتحت، وكان إبراهيم المعلم بيعت اخذ الناس الكبار من معظم الجرائد عشان يعملوا له أقسام عندهم واخدوني عشان اعمل القسم الخارجي.

في الصحافة، لأن التعيين في الصحافة مش بسهولة، شغل الحكومة ضامنة راتب للولاد. أول ما قالوا لي في "العالم اليوم" إنه هيثم تعييني روجت مقدمة استقالتني فوزاً من "الاستعلامات" وأنا على وش مدير عام، وكانوا شايفين إن دا جنان بعد 18 سنة في الهيئة. أنا اتعينت على طول وبقيت بعدها مديرة تحرير في "العالم اليوم"، كنت بعد الجريدة بطلع اشتغل في وكالة "رويترز"، يعني بروج الصبح بدري الساعة 6 ونص الصبح "العالم اليوم" أخلص صفحتي على الساعة 11 ونص وأجري على الوكالة من 12 لحد الساعة 8 بليل، وبروح 9 بليل عشان أشوف شغل البيت وأعمل أكل للولاد وأبدأ أشوف شغل الترجمة، وقعدت 14 سنة بنام أربع ساعات جدولتي مينفعش غير كده. لغاية لَمَّا زياد بقى في ليسانس حقوق وبسام في ثانوية عامة، وهو وكان مرهق بيحب يلعب كثير مش بيحب يذاكر. المهم سافرت، زميل جاب لي شغل في جريدة "البيان" في الإمارات، كان هو مرشح للشغل دا ومقدرش يروح، وقال لي فرصة خدي بسام معاك هناك يبعد عن أصحابه ويأخذ الثانوية العامة من هناك، أنا روجت للهدف دا.

روجت اشتغلت في جريدة "البيان" في الإمارات آخر سنة 2000 جه بسام مقدرش يقعد، وكانوا خلاص هنا بدأوا يعملوا امتحانات الثانوية العامة في مصر وقال لي الولاد المصريين هناك خلوا المدرسين يخلصوا المنهج في الترم الأولاني ويرجعوا يقعدوا في مصر يجيبوا مدرسين خصوصيين يذوهم دروس لغاية الامتحانات، وكنت اتورط واضطر يرجع بسام، هو قعد معاً 15 يوم بس، رجع وأنا كنت هتهبل أول مرة أسيب أولادي لوحدهم، وكان فيه ست بتساعدنا في البيت وهي كانت بتراعيهم وتجي البيت، لكن مفيش رعاية أم. اخذت إجازة بالود من الجرنال في الشهر اللي فيه امتحانات بسام، كان بقالي خمس شهور ومش من حقي اخذ إجازة، خدت الشهر دا وقلت لهم هخدوا على حسابي، ورئيس التحرير قال لي: "خديه ولَمَّا تكمل سنة مش هتاخدي إجازة سنوية"، قلت له طيب. رجعت قعدت شهر الثانوية العامة مع بسام وزياد برضو كان بيمتحن، ورجعت على شغلي. بسام سقط في مادتين وهيدخل ترم ثاني وزياد سقط في السنة كلها، وقررت أرجع. قعدت أقول لهم هناك أرجع واخذ 3 شهور ورجعت. لَمَّا رجعت كان في زميل لنا اللي جاب لي الشغل في الإمارات هو كان عرض عليّ الجواز قبلها بستتين وأنا قلت له أنا اتعودت على حياتي خلاص وهو كمان أصغر سنًا ولم يسبق له الزواج وأنا خلاص عابضة مع أولادي الاثنين ورفضت. طول ما أنا في الإمارات كان زياد يدخل في مظاهرات وفي فاعليات، والقى محمد يتصل بي يقول لي إطمني أنا إطمنت على زياد وروح البيت، وبعدين اكتشفت إنه ببروح

في بيتنا أمل

لما كنا بنعمل مظاهرات عشان خالد سعيد، كنت بقول لهم مش ممكن يحصل في مصر تغيير إلا في وسط حراك عربي كامل من المناطق المحيطة، لأن افترض مصر نجح الحراك فيها وصحينا الصبح لقينا ملائكة بيناحات يحكموا مصر ربع ساعة هيكون جيش سعودي داخل عندك، أو جيش أردني وصل عندك، أو نضرب من السودان، أو من ليبيا. مش ممكن يحصل حراك مؤثر في مصر أو نأجح إلا في وجود حراك، وهو اللي حصل فعلاً كان فيه حراك في أكثر من دولة وبدأت بتونس. وقبلها كان فيه حركات زي "كفاية" في مصر، وكان فيه أظن حركة في السودان اسمها "قرفنا"¹¹، وحركات تساوي نفس الاسم في البلاد المجاورة. 2011 مثلاً كان متوقع، أنا كنت كاتبة على فكرة يوم 29 كانون الأول/ديسمبر 2010 قلت عنه الناس اللي زي شاركو في 1977 كانوا عارفين إنه دي مش آخر حاجة وإنهم اتقسموا لثلاث فئات، فئة يئست وزهقت وأحببت وبعضهم انتحروا وبعضهم هاجروا، وفئة قررت تنظ من السفينة وتلحق تعمل لنفسها حلول فردية في حياتها وبقوا أثرياء أو ناس أصحاب مناصب أو انضموا للسلطة، وفئة زيي قاعدين مستنين واعتقد إنها جاية، كان الكلام دا في مقال بعنوان "كل ما تهل البشائر من يناير" قلت إنني متوقعة.

قبلها كان في شهر تشرين الأول/أكتوبر 2010 لما البرادعي رجع مصر، كان زياد العليمي عضو في حملة التغيير ودعم محمد البرادعي ولقيته مرة متضايق، قلت له فيه إيه؟ قال لي: "البرادعي جاي وإحنا اتفقنا مع كل الشباب من المحافظات أنصاره إنهم هيقابلوه، ومش لاقين مكان"، قلت له فيه؟ قال لي كل ما تنفق مع مكان، النادي اليوناني، النادي السويسري، يتفقوا معنا وتاني يوم يتصلوا يعتذروا، قلت له انتوا كام واحد؟ قال لي حوالي 100، قلت له إحنا لو فتحنا الصالة على الأوضين هتبقى حاجة كده زي حرف "L" تقدر نشيل العفش كله ونجيب كراسي من فراشة، نجيب 100 كرسي وقال طيب.

كتب البرادعي على تويتر الشباب اللي عايزين يقابلوني يجوا على المكان دا وحظ العنوان، حتى الناس مكنش عارفة إن دا بيت زياد العليمي، هو زياد دائماً بيبقى مش حريص ياخذ اللقطة. وزياد وأصحابه شالوا العفش وحظوا الفرش، وزاد العدد لدرجة إنه وصل 200 واحد لدرجة إنه الشباب اضطروا يخلعوا الشبابيك ويقعدوا عليها، ووقفوا لأن الكراسي مكتهمش، وبقوا واقفين لغاية السلم تحت.

لما جه البرادعي طلبوا مني أقول كلمة للترحيب، أنا قلت له إحنا سعداء بوجود الدكتور البرادعي في وسطنا بيكترنا ويعمل لنا حماية، يعني إحنا مكنش ممكن نعمل اجتماع فيه 200 واحد في البيت دا والشارع كله كان فيه ضباط وعساكر ومخبرين وكنا هنتلم كلنا لولا وجود الدكتور البرادعي معنا، وإحنا سعداء بوجوده، ولكن أنا مش مع الناس اللي بتقول إن وجود البرادعي "ألقى جيزاً في مياه راكدة"، لأن المياه لم تكن راكدة، وإحنا بنتحرك من سنة 1977 لغاية النهاردا متوقفش حركة النضال الوطني المصري، إحنا الدكتور البرادعي هيجي جنبنا مش قدامنا ومش ورائنا، هيقف في وسطنا، هيدعنا ويزودنا، لكن إذا الدكتور البرادعي في لحظة فكر يستريح يبقى إحنا مكملين. طبعا الأولاد اتنضوا وسكتوا، وأول واحد يسقف كان الدكتور البرادعي. قلت إحنا زهقنا من حكاية الزعيم والمهلم والقائد، مش عايزين ولا زعيم ولا مهلم ولا قائد ولا حد يقف قدامنا وبالتالي لا ورائنا لكن يبقى في وسطنا ويدعنا بما له من مركز ووجهة دولية محترمة.

بعدها كتبت مقال اسمه "في بيتنا أمل"، وأخدوه مني جريدة "الشروق"، وكان يقول إن أنا مستنياها وإنها هتحصل وإن اللي شوفته من الأولاد دول إن فيه حاجة هتحصل هيعملوها الشباب، فيه أمل في الشباب دول. لما المقال نزل في "الشروق"، وعملوا حركة مش طوة أيداً، نزلوه بعنوان "في بيتنا البرادعي"، وأنا استأثت جداً لأنهم كانوا بيبعوا اسم البرادعي، وقلت لهم إن الأمل مكنش في البرادعي وإن الكلام اللي أنا قلته بيتناقى في كل اللي كان مكتوب في المقال، متن المقال إن الأمل في الشباب مش في شخص. المهم إنه أنا نزلت المقال على الإنترنت بعنوان "في بيتنا أمل" اللي هو عنوانه الأصلي، وقلت إن في حاجة هتحصل قريب وساعتها مكنش فيه كلام على ثورة.

وقلت إنه فيه ثورات في التاريخ بتحصل فجأة، في يوم وليلة، والناس بتتخيل إنها حصلت فجأة، لكن بيجوا بقى المؤرخين وباحثين التاريخ بعد كده يقول لك: "والله كان فيه إرهابات تؤدي لثورة"، وأمتنا العربية جيل بعدد من الثورات أراها قادمة، دا اللي أنا قلته بالضبط، ولن ننتظر طويلاً، الكلام دا كان قبل ما حد يدعو لمظاهرات 25 يناير. فكان معروف إن المجتمع وصل لآخره والناس عايزة تخلص، وهما خرجوا اعتراضاً على التعذيب وعلى خنق الحريات، وأقصى أمل للناس إنه يتشال حبيب العادلي. واعتقد لو كان اتشال كانت الناس روجت، لأن المصريين مش بيخرجوا للاحتجاج من وعيهم، بل بيخرجوا من يأسهم، ودا كتبه في مقالات كثير. ظروف اقتصادية زي الزفت مفيش أمل تتحرك، وجات الانتخابات زوروها ومفيش أمل فالناس بتخرج من بأسها.

11 تشكلت في أيار/مايو 2010 من شباب الداخل والخارج ونشطت عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وذلك اثر الكلام على جده انفصال الجنوب، وفي 2011 أعلن استغلال جنوب السودان.

بعد 11 شباط/فبراير قلت للشباب انتظروا اللي هيقبض عليكم المرة الجاية ناس من زملائكم اللي كانوا معنا، ساعتها حتى كان واقف إسلام لطفي اللي كان الإخوان طردوه، قال لي: "ليه يا طنط بنقولك كده؟" قلت له لأن التاريخ يقول كده إن لازم يبقى فيه ثورة مضادة وهيلتحق بها ناس من اللي كانوا في الثورة معنا، وكنت قلت "الإفراط في التوقعات أقرب الطرق للإحباط"، إحنا عملنا خطوة كبيرة جدًا بس موصلناش لنهاية الطريق وينقصها خطوات، ممكن تكونش نفس القوة، وممكن يكون فيه انكسارات، وممكن يكون فيه ناس تقع في الطريق وناس تسقط وناس تستشهد، ناس تبيع، وناس تخون، فيه ناس هتكمل، وفيه ناس هتلتحق. وفي المسيرة كل شوية ناس جديدة هتلتحق لغاية لما يقف القطار في الآخر في محطة النصر.

كنت بقول كمان الإفراط في التوقعات أقرب الطرق للإحباط، وبلانش تتوقعوا كثير من إمكانياتنا لأن إحنا معملناش ثورة إحنا عملنا حراك، وإحنا في مسار ثورة بمعنى إسقاط النظام القديم كامل وإقامة نظام جديد كامل، دا لسه محصلش عشان نسلمها ثورة، لكن إحنا في مسارها، الثورة مستمرة ولما نوصل لإسقاط النظام بالكامل، لكن مش مجرد إننا غيّرنا شخوص يبقى كده انتهت الثورة. كنت متوقعة طبعًا ثورة مضادة.

أما جه الإخوان إحنا نزلنا بعد 3 شهور، لأن لما جه مرسى أنا ساعتها كتبت "لا تدم ولا تشكر إلا بعد ست أشهر"، فيه مثل زمان كان جدتي تقوله، بس كانت تقول: "بعد سنة وست أشهر" أظن يقولوها على الجواز، لما البنت تتجوز لا تدم ولا تشكر. هو محمد مرسى قال "بعد 3 شهور خسيوني"، "بعد 100 يوم خسيوني"، فبعدها نزلنا الشارع ومرجعناش لغاية لما مشي. حتى قبل ما مرسى يمشي به أيام كانوا عملوا معايا لقاء تلفزيوني، وأنا قلت للمذيع إن المفروض إحنا دلوقتي بنفكر في ما بعد مرسى، مرسى ما يقاش موجود، قالت لي: "مرسى رئيس الجمهورية"، قلت لها مرسى انتهى من يوم الإعلان الدستوري اللي عمله والناس وقفت ضده، هو هيمشي، وهيجي مين بعده الله واعلم! المفروض نفكر في ما بعد مرسى، هو إصراره وعنده إنه ما يسبش الحكم وميعملش انتقابات مبكرة دي مسألة خطيرة تهدد باستمرار ثورة مضادة. الإخوان قعدوا سنة شغلتهم التمكين لنفسهم يحطوا رجالتهم في كل حنة، ومحاولوش حتى يعملوا علاقة بالشعب، هما فضلوا زي ما طول عمرهم نسيج خاص لوحده ملموم على بعضه حتى عيالهم وهما صغيرين لحد ما يكبروا عايشين لوحدهم ومعرفوش يعملوا علاقة بالشعب، ومعرفوش يعملوا لنفسهم ظهير شعبي وكانوا ضد الشعب، لا العكس هما

كانوا حريصين على تمتين علاقتهم بالمجلس العسكري على حساب الشعب، فآخذوا المقلب لآخره، شربوه ودفعنا كلنا الثمن للأسف. اللي حاصل دلوقتي عندي أمل في التغيير بس مش قريب، منقذش الأمل بس إحنا هناخد فترة، هي المشكلة إن الشعب بيتعلم بالتجربة والخطأ يعني مش بيخرج من وعيه، ولما مشي مبارك بدأ يبقى عنده أمل ثاني، وكل ما يجي واحد يديهم أمل فالناس تصدقه على ما تفقد الأمل، لما جه مرسى كان في ناس صدقت عندهم أمل وعقبال ما فقدوا الأمل جالهم العسكر، وبقي عندهم أمل ثاني، هناخد وقت عقبال ما يفقدوا الأمل، بس لسه الناس يتعامل مع الموضوع باعتباره شخص، إن الشخص دا يتغير فتتحد المشكلة، الشخص لما يتغير هيجي واحد من نفس المؤسسة ممكن يعمل انفرجة صغيرة، الأول شوية حريات حتى تبدأ الناس تتعلق بالأمل ثاني، وبعدين يرجع ألن من الأول، المشكلة إننا مضطرين نتعلم بالتجربة والخطأ، الديمقراطية والرقابة الشعبية ما يحققهاش إلا وجود أحزاب تتنافس على دخول البرلمان. المشكلة في مصر إن أي مواطن مصري عنده 70 سنة ميعرفش يعني إيه أحزاب بشكل عملي.

وفي المقابل فيه الأحزاب السرية والتنظيمات السرية، كانت كلها تنظيمات ماركسية لأنه الإخوان كان مسموح لهم بالعمل العلني. رغم أن التنظيمات الماركسية فكرة نبيلة جدًا، ونفذها ناس مخلصين وهبوا حياتهم لقضية وعارفين إنهم هيدفعوا ثمنها، ولأنهم ملاحقين أمنيًا، الهاجس الأمني تسبب في مرضين في الحركة الشيوعية:

المرض الأول فكرة الشللية لأنه أي حد منظم مش ضامن غير مجموعته أو حزبه، ممكن حد ثاني عامل حزب بنفس الأفكار لكن مش حينضمّ عليه لأنه شاكك إن الحزب الثاني مخترق أمنيًا، والحقيقة كلهم كانوا مخترقين. وبسبب الهاجس الأمني كل واحد اتلم حولين المجموعة بتاعته فحصلت حلقة وصلية وشك في كل حد، أنا مثلاً أول لما سيد الطراوي قال لي: "أنا عارفك وعارف زمالك" قلت على طول إنه مخبر [لما اتقبض عليّ في 1977]. وشكيت مثلاً في عبد الحميد العليمي لأنني كنت معاه يوم 18 كانون الثاني/يناير. القصة إنك ملاحقة ومطاردة فأني حاجة تخليكي تشكي في الناس. أما المرض الثاني إن اللي بيشتغل سياسة حظ نفسه وهوب حياته للدفاع عن حقوق الناس، وبيحس إنه عارف وفاهم وعنده نظرية، وبيتعامل بوصاية "أنا رايح أجيب حقوق الناس"، مع إن النظرية مش بتقول كده، المفروض إن أنت بتروح مع الناس تجيب حقوقهم، لكن بدأ يبقى الماركسيين أوصياء، كل واحد شايف نفسه إنه يمتلك الحقيقة المطلقة، وبرضو الدوافع، هي الدوافع كانت نبيلة ومحترمة بس أدي الله وأدي حكمته المرض دا

توارث، بقى عندنا تجربتين، تجربة الحزب الحاكم البوليسي البيروقراطي الانتهازي، وتجربة الأحزاب الماركسية اللي هي ناس متفانية جدًا ومضحية لكن الهاجس الأمني رتب جواها العيبين دول؛ الشللية والوصاية على الناس.

ومن الطبيعي إن الأحزاب الجديدة تراث الأمراض دي، هيبقى جواها صراع كبير جدًا عقبال ما بتخلص. أنا الحقيقة مدخلتش أحزاب لأن مفيش حزب منها بمنطق الحزب العلمي اللي أنا درسته وعارفاه، إن حزب يتغير عن طبقة معينة وصاحب أيديولوجية، ومفيش دا وكلها أحزاب على نفس فكرة التجمع شغل ناس مختلفة الاتجاهات أو متفقين عابزين تغيير. ودا محتاج شغل وجهد كبير قوي وصراع كبير جدًا، في الصراع دا هيبقى داخل فيه الأمراض اللي إحنا وراثناها، ومحتاج حد عنده العزم. أنا الحقيقة ملقتش نفسي من أولي العزم، أنا ممكن استاء جدًا لو لقيت حد بيكذب، معنديش المرونة اللي تخليني اتحمل عمل سياسي في ظروف الصراع، دا عيب في أنا، هو صراع وتجربة تستحق المشاركة وتستحق الناس تبني، بس دا هيبقى ثمنه غالي قوي. أنا في سن وأعصاب لا تحتمل إن يبقى عندي المرونة دي، أنا مقدرش كل اللي أتدو بيع تيران وصنافير، أو اللي هاجموا الشباب المتظاهرين، مقدرش اسلم عليهم، بعضهم كانوا أصدقاء وكان بينا علاقات إنسانية، دي ممكن تكون خطأ في تركيبتي الشخصية بس أنا مش هقدر اعمل كده، مقدرش أسلم على حد من اللي قالوا على شيماء الصباغ "قتلها من أخرجها" لأن حاسة إن أيديهم فيها دماء شيماء، فيه مواقف وفاعليات ببقى واقفة مع زين العابدين فؤاد وبيصور الناس وبعدين ألمح واحدة من دول واقفة أسيب المكان، مش هقدر استحمل إن أنا صورتني تبقى مع صورة واحدة من اللي أنا شايفة إنهم باعوا حاجات غالية علينا جدًا وضحو بنفس ناس. الله اعلم أنا مبالغة ولا إيه بس هو أنا كده، تركيبة زي تركيبتي دي صعب إنها تتخبط في عمل حزبي وتكون لها شرف إرساء التجربة، دي محتاجة العزم، هو الخطأ في.

أن تكوني أرملة شابة

أنا بنت راجل شيوعي مترامت، يقولوا كلام مهم وضح جدًا عن حرية المرأة لكن لا يتقبله على أولاده. شيزوفرينيا ودي عند نسبة كبيرة من الشيوعيين القدام. أبويا كان بيمنعني عن الخروج حتى مقدرش أروح أزور واحدة صاحبتني ولا واحدة صاحبتني بتيجي لي.

البيت كان مكتبة، من أول كتب "الإخوان المسلمين" لغاية كتب الشيوعيين حاجة ثرية جدًا، وجد أبويا، السيد أحمد خليل، كان عالم في الأزهر، ومن أصدقاء الإمام محمد عبده، وله مؤلفات موجودة في دار الكتب ومنها كتاب في تفسير

القرآن، وكان راجل عالم ديني مستنير جدًا، آراؤه الدينية لو قالها دلوقتي يتكفر هو والعائلة ومحافظة الدقهلية كلها. دي من الحاجات اللي الواحد اتربى عليها أنا كنت ميالة للقرارات الدينية كشكل من أشكال التمرد على أبويا، في مراهقتي كانت قراءاتي معظمها في المجال الديني. وكانت مكتبة بابا فيها كتب من أول أبو جده لأبوه اللي هو السيد أحمد خليل، وأبوه ده كان راجل مهندس ري لكن كان موسوعة ثقافة وكان غاوي يقرأ في الأدب والشعر والدين، لغاية مكتبة بابا نفسها. أنا قراءاتي في فترة المراهقة كانت حدوتة الدين والتاريخ الإسلامي وبدأت اشوف التناقضات اللي موجودة في التراث. أنا فاكدة وأنا في سنة ثانية ثانوي كان مدرسي في اللغة العربية الأستاذ أحمد صادق الجمال، كان واحد من أعضاء التنظيم الخاص بتاع "الإخوان المسلمين"، وهو كان شايف إنني هطلع أدبية كبيرة جدًا لدرجة إنه عمل أسرة أدبية مخصوص وعملني رئيستها وبدأ يعلمني الشعر والقوافي واكتب شعر إزاي، وبدأت أبقى عابزة أعرف الإخوان المسلمين، وفي مسابقة من مسابقات أوائل الطلبة كنا رايعين بني سويف قعد جنبني في الأتوبيس طول الطريق يحكي لي على البشاعات اللي تعرضوا لها، وأنا طول السكة عقالة دموعي تنزل على حكايات اللي اتقتلوا واللي اتحرموا من أهاليهم، على ما وصلت قررت إن هبقى إخوان مسلمين. وإحنا راجعين المسافة نفسها من بني سويف بدأ يحكي لي عن العمليات اللي عملوها "الإخوان" ضد النظام، وعلى ما وصلت كنت رفضت فكرهم، لكن عجبتني حدوتة إن الواحد ينتمي لتنظيم ديني يقول القرآن دستورنا والرسول قائدنا ودي مسائل تشد مشاعر بنت في السن دا يعني. أول حاجة قلت أنجب عشان الإخوان ينسطوا مني، وتخلت إن أبويا هيبقى ضدي ودي حالة التمرد اللي عندي ضد سلطة الأب، لأنه راجل نبيل وكريم ومثقف جدًا، لكن متسلط ومستبد وحاد جدًا لا يقبل الاختلاف في الرأي، وكان ستاليني كما يقول الكتاب، ومفيش حكاية إنك تتناقشني، قلت هروح أقول له إنني هتجيب، هيقول لي لا، هقول له هسمع كلامك ولا كلام رينا، وهاخد علقه في سبيل الله فوزًا وأبدأ الجهاد. دخلت خبطت على الباب رفع رأسه من على كتاب يقرأه على المكتب، وبص لي وقلت له بابا أنا هتجيب، قالي: "أنا مالي" وراح باصص في الكتاب، رد فعل مش بتاعه خالص، دي حاجة عمرها ما حصلت دا مش بابا خالص، قلت له هنزل اشتري إشارات عشان أعطي رأسي، بص لي وهو كان ساخر وقال لي: "هتغطي رأسي؟" قلت له لا هغطي رأسي أنا، قال لي: "وأنا مالي" وراح باصص في الكتاب. فجأة حسيت إنني رابحة محضرة سيناريو وهاخد علقه واتضرب في سبيل الله واعترض، وإذا به قلب لي كل السيناريو ورمى على دماغني ميه ساقعة وتورطت

ورطة جامدة جداً وحسيت إن الحجاب هيكون قرار لازم أبقي مسؤولة عنه، يمكن لو أبويا كان ضربني يمكن كان زمانني دلوقتي محببة لغاية النهاردا، لكن أنا اضطريت أروح أنزل كل كتب التراث والتفاسير، وأنا أصلدا كان أبويا راجل شيوعي لكن كان مدخلني مسابقات القرآن الكريم وكنت حافظة من القرآن. روحت مكتبة جدي، وأبوي جدي، ومكتبة أبويا، ونزلت كل الكتب والتفاسير وقرأت القرآن حرف وحرف وكلمة كلمة وتأكدت بشكل لم يدع مجال للشك إن الحجاب مش فرض، وشلت الفكرة من دماغي لحد النهاردا.

بعد السجن في 1977 بدأت أقول له أنا عضوة في تنظيم سري عشان يسمح لي بالخروج، لأنه مكتش يقدر يقول لي لا، لأنه هو كان شايف إنه راجل شيوعي مناضل، بس المسألة كانت موثره جداً، وبدأ يقول لي: "قولي لي لقا يكون عندك ميعد قبلها بيوم"، أقول له قبلها بيوم فيجي وقت الميعد دا يكلفني بمهام منزلية، روجي اشتري لنا كذا. فبقيت لقا يكون عندي ميعد الساعة 11 أقول له إنه الساعة 10 عشان يكلفني باللي هو عايزه وبعدها أروح معادي، لأنه مكتش قادر يواجه، وجه مرة قال لي: "ما تخدي أختك معاكلي يمكن مزها ينصف"، أنا فاهمة إنه باعت رقابة وأختي شخصية غلبانة خالص وضعيفة جداً وملهاش في أي حاجة حتى مش بتقرأ، قلت له عارف با بابا دي لو اخدت قلم على وشها هتروح في داهية، مكتش قادر يواجه. كانت النتيجة طبعاً إنه بيتعامل معايا بعنف وصل إنه طردني من البيت بعد علة جامدة وأنا في سنة 3 جامعة، كان بيطلع التوتر بناءه أولاً لأنه خايف على بنته. مثلاً جدي راجل متدين بس يحب الشعر وكان مهندس ري ومكتش له في العمل العام لكن قرر إن كل أحفاده البنات والأولاد ينأمو في أوضة واحدة عشان مفيش بنت تطلع تفكر تحب ولا تتجوز ابن عمها عشان المسائل المرضية¹². وفعلدا أنا لقا بقيت في الجامعة وكان حد يقول لي إن واحدة هتتخطب لابن خالتها كنت بحس إنه زنى محارم وإزاي هتعرف تعيش مع ابن خالتها. لكن أبويا الشيوعي لقا حد منهم يجي البيت وأنا عندي 12 سنة يقول لي: "سلمي وادخلي أوضتك"، دا فلان اللي بلعب معاها بيقى مش عارفة إزاي أسلم وادخل! وأروح داخله، مرفوض تكلمي حد حتى من أولاد اعمامك، مفيش فكرة حتى يبقى ليكي أصدقاء صبيان، حتى البنات مش مسموح لك تروحي تزورهم. دا رجل شيوعي. طبعاً أنا يدين له بالحاجات اللي علمها لي، هو راجل على المستوى الأخلاقي نبيل وكريم ومحترم، لكن على مستوى المرأة كان يهتقها جداً. كانت النتيجة إنني بقيت بعاني من إنه مش عارف يطلع دا فيقول لي: "أنا ضد إنك تشغلي سياسة"، مش قادر يقول دا

12 تقصد الراوية أمراض الوراثية الناجمة عن زواج الأقارب.

فبيطلعها في خناقات ثانية، خناقات منزلية فيكون ضرب وضرب قاسي. كان رنني علة كبيرة جداً والمشكلة إنني زيه مش بحب أظهر ضعفي وأنا بنضرب مش يعيط، مش عايزة أنهار، طردني من البيت، وكان من حسن حظي إن في اليوم دا كانوا جايين يقبضوا عليّ وكسروا لي البيت وقطعوا المراتب وأنا مكتتش موجودة.

بعد وفاة عبد الحميد جه لي ناس من العيلة وكان عندي 29 سنة مكملتش 30، قالوا لي: "ميصحش تقعد في الشقة لوحك بالولدين إنني لازم تاخدي الولدين وتقعد عند أبوكي عشان نسأل عليك"، وقلت لهم أنا بروح لأبويا يومياً الصبح بدري قبل شغلي انصف له أوضته وأكون عاملة له أكل، هو معاها أخواتي قاعدين معاها بس مش بيسألوا عليه بيروحوا بشغلهم، لكن مش هقدر اخد ولادي يقعدوا يتربوا هناك مع أخواتي أنا عايزة أربيهم بطريقتي. لي عم متعاص إخوان عامل متدين قعد يقول لي: "لا. واسم العائلة وسنك وإنني تسيئي لاسم العائلة"، قلت له بص أنا مش هزعل اسم العائلة في حاجة وأصلدا خليل ده الجد 41 مثلاً معرفهوش، أنا معرفش غير يوسف اللي رباني ومن هنا ورايح اسمي "إكرام يوسف" ومش هاجي ناحية اسم العائلة خالص، أنا الوحيدة اللي في العائلة مش بستخدم اسم العائلة. إحنا عائلة كبيرة، أبويا له عشر أخوات، مبقاش حد يسأل علينا ولا على الأولاد، اعتبروا إن دي الست الأرملة المنعردة الجanche. أنا حتى أبويا نفسه لقا كان موجود أبو الأولاد كان بيتعامل معايا باحترام شديد جداً وبود ولطافة، بمجرد وفاته تعامل معايا بالأرملة اللي ملهاش راجل، بدأ يرضو يتعامل بمنطق فرض الوصاية والخنق.

عانيت من المجتمع بشكل سخيף جداً خلاني أقعد 16 سنة مش بعمل حاجة غير إنني أروح الشغل واجي من الشغل أقعد مع الأولاد، حتى لو هروح ندوة أو أمسية فنية أو هأخذ الأولاد مؤتمر، باخدهم الاثنين في أيدي واقعد في آخر صف لغاية لما الحدث يخلص ونمشي جري. حتى في أوساط المثقفين في حالات استغلال للسنات، فكرة واحدة أرملة معندهاش راجل يبقى دي سهلة ورخيصة.

وفي مستوى الشارع، الناس بتتعامل مع واحدة عايشة لوحدها، هتلاقى سخافات للصيح، أبسطها إن كان ساكن قدامنا ناس شعبيين هما عندهم فيلا بس أصلدا شعبيين، ولد فيهم الوحيد اللي تخرج من الجامعة كلية حقوق والظاهر بيتعامل مع نفسه باعتباره حاجة مهمة، أنا كان زياد بيروح المدرسة بعربية المدرسة وبتجيبوا عند البيت في ساعة معينة، وفي أول الدراسة كنت بستناه في البلكونة لغاية ما ينزل، 3 أيام، وبعدها اكتشفت إن الولد دا بيجي في الوقت دا وتخلل إنني واقفة مستنياه، فطلع سطوح بيتهم قدام

كان ممكن يموتوا، شوفت عدد من أصدقائنا اللي عندهم جمعيات حقوقية نجحوا في إنهم يردوا مصانع قطاع عام اتباعت في الفساد، نجحوا إنهم يترافعوا عن الناس ونجّوهم من السجن، بدأت اشوف إن مسألة التمويل لازم يعاد التفكير فيها وتحتسب مين اللي بيأخذ تمويل وبيأخذوا عشان إيه وبيأخذوا من مين، ميقاش بشكل حاسم دي الحاجة اللي تغيرت.

مخاوف من اتهامات التحرش

أنا مش feminist، أنا شايقة إن المرأة زينا زي الطفل والمهمشين وأهل النوبة، يعني هيتعدل حالها لّما يتعدل حال المجتمع، حال المنظومة كلها، مش هينفع المرأة لوحدها تتعدل مشكلتها والدنيا كلها واقعة. طبعا أنا مع حق المرأة لأقصى درجة، ومع حق الرجل لأقصى درجة، ومع حق الطفل. أنا مع فكرة العدل، أنا مش مع فكرة زي حدوتة التحرش أنا طبعا شايقة إن التحرش سلوك إجرامي وسافل وعدواني وملوش علاقة بالجنس، هو سلوك عدواني وللازم يقابل بالشدة، المتحرشين يقابلوا بشدة أو يتعالجوا، المهم إن لازم نحمي البنات من فكرة التحرش. وزياد العلمي أول محام أخذ حكم ضد التحرش في مصر، وبقت سابقة قضائية مكتوبة باسمه هي قضية نهى الأستاذ. كان زياد محاميها، وقعد 3 شهور يعمل في القضية، وكان يقول لي: "يا ماما احصي لي لأن القضية دي لو أخذت حكم فيها هيقى تغيير في ثقافة المجتمع وتغيير في القانون المصري"، فعلاً الحكم صدر بـ3 سنين ضد المتحرش، وكانت نهى أول مصرية تأخذ حكم ضد متحرش. وأنا كتبت مقال عنوانه "الطفلة التي فضحتهم". طبعا أنا مع حق المرأة للصباح، أنا طول عمري من وأنا طفلة بعاني زي كل بنات مصر من التعرض للتحرش في مواقف سخيفة ومهينة، لكن لّما حصلت الحملة الجديدة دي بدأت أقلق من استغلالها استغلال سياسي، لأن الدولة دي مضبطنهاش في يوم من الأيام بتتحرّك بسرعة عشان تأخذ حقوق ناس عاديين.

بلكونتي، وطلع يلف في السطوح يوريني نفسه روجت قفلت الشيش ودخلت جّوه، وبدأ يعملوا حركات سخيفة جداً من باب إنهم بيعت أخوه الصغير وكان مدلل جداً وطفليته يمسك يضرب زياد، يستنى لّما زياد ينزل ويروح ماسكه ضربه، يمسكو بسام يضربوه، بسام نازل معاه عجلة يروح البواد وأخدها منه، أقول لزياد روح قول لباباه العجلة دي صغيرة عليه وأنا مش بركيها عشان أنا كبير، أبوه يقول له: "عايزني اعمل إيه عايزني اضربه! لو كان سابها له يلعب بيها مكش أخدها". أنا قعدت فترة في حالة نفسية زي الزفت مش قادرة أحمي أولادي، مش بتزلهم لأنهم لّما بينزلوا خريج الحقوق يطلق إخواته الصغيرين يضربوهم. لو غرت أنبوبة بوتاجاز والراجل بتاع الأنابيب جه تحت البلكونة وأنا مش بحب أقف أنا في الشارع وأعمل صوت، استنى لّما يجي وأقول له عايزة أنبوبة، يروح الراجل خريج الحقوق طالع ويقول له: "لا إنا في الدور الأرضي إنا أقرب ويروح وأخدها". يطلعوا عمارتنا يرموا وساحة على باب الشقة، عايزني أدخل معاهم في أي خناقة، يطلعوا يقلّوا أبهم أقفل الشيش.

قعدت 8 سنين أعاني لحد ما زياد بقى عنده 14 سنة، جه خريج حقوق يمدّ إيده وزياد كان طول ومسكه رنه علقه جامدة جداً وخلاص بقى يقولوا له: "يا أستاذ زياد". أنا قعدت 8 سنين عندي إحساس مؤلم جداً مش قادرة أحمي أولادي، وكل المسألة إني ما رعتش السافل دا اللي شايف نفسه المفروض يرمش بعينه فانا أدوب، على المستوى الواطي دا.

إعادة تفكير في رفض التمويل

قبل 2011 كنت رافضة تماماً فكرة المجتمع المدني القائم على تقبل الفلوس، وكتبت دراسة في مقالين اسمه "مطلوب عملاء، والأموال جاهزة" كان عن سوريا، ساعنتها اتقال إن الخارجية الأمريكية طرحت مش عارفة 47 مليون جنيه لدعم المعارضة السورية، وعملت دراسة عن المجتمع المدني وعن الجمعيات اللي تدرت في سوريا والجمعيات اللي جورج سوروس أشرف عليها، والثورات البرتقالية في الاتحاد السوفييتي السابق، وجبت ما نثبت إن دول كلهم مدعمين من المخابرات الأمريكية. مثلاً زياد العلمي كان رافض برضو الفكرة بس لسبب ثاني، بيقول لي: "كوني يبقى عندي حاجة حقوقية تخلي صباغي تحت ضرس السلطة وتحت ضرس الجهات المانحة".

بالرغم إنه فعلاً كان فدامه فرص كتير وتعرض عليه كتير، بس هو قال لي: "أنا هبقى صباغي تحت ضرس الجهة المانحة والأمن هنا". بعد الثورة فيه ناس من المجتمع المدني أنقذوا حياة عدد كبير من الثوار المصابين واللي

آمال عبد الهادي: أهمية بناء حركة نسوية

الحقوقية والطبيبة والنسوية آمال عبد الهادي، هي من مواليد أول كانون الثاني/يناير 1948. تخرجت في كلية الطب جامعة عين شمس عام 1972، وتحكي محطات من حياتها؛ حراك السبعينيات الطلابي، الانخراط في النشاط الحزبي غير الرسمي، وتجربة الحبس مرتين، ثم العمل العام من وجهة نظر حقوقية، الذي تبلور إلى التحول إلى النسوية.

تؤمن آمال بسحر التراكم، أن يكون عملها من أجل بناء حركة حقوقية نسوية فاعلة. وتذكر أن عليها، حين تطالب بحقوق المرأة، الإنصات بإخلاص لاختيار المرأة الشخصي، فتقول: "مهمتك مش تقولي لها اختاري الصح، مهمتك تساعدها على إنها تختار أكثر ما يناسبها هي". كما تطالب آمال بأن يحاول أصحاب الخبرات والتجارب وصاحباتها من جيل السبعينيات فهم انحرافات شباب الثورة وطموحاتهم. سجلت هذه الشهادة، في مقر مؤسسة "المرأة والذاكرة" في تاريخ 10 كانون الأول/ديسمبر 2020، وأجرت المقابلة هدى الصدة.

محطة الطفولة

أنا آمال عبد الهادي أبو حليفة، أمي اسمها فاطمة رشوان حسين. اتولدت وعشت في القاهرة، وكنت البنت الكبرى لأب صعيدي كان نفسه يكمل جامعة ومقدرش. دخلت كلية طب عشان أبويا كان عايز كده، وكان نفسي أدخل آداب إنجليزي أو فنون جميلة.

اشتغلت طب عشر سنين، كان شيء جميل في حياتي، لأنه وراني حاجات في مصر ما كنش ممكن أشوفها بالشكل دا. عملت دبلومة في الصحة المهنية، ودي كانت حاجة جديدة لأنني كنت شاطرة في الصحة العامة، واخترت أعمل دبلومتي في هذا المجال، وكان مفيد إنني أفهم قضايا الصحة بشكل عميق، قضايا الصحة مش المرض. دا جزء من اللي ساهم في تكويني.

ولأنني البنت الكبيرة، كان عليّ مسؤوليات باستمرار، دا برضه ساهم في فكري، وإنني أتولي مهام عائلتي. أبويا سافر السودان، وسافرتا معاه أول أربع سنين، وبعدين سافر ثاني

من غيرنا، وكنت أنا المسؤولة عن أوراق أخواني في المدارس من ابتدائي لإعدادي، دي حاجات بتنضج البني آدمين.

أنا ليا أربع أخوات أصغر مني، اتنين منهم الله يرحمهم دلوقتي، واتنين عايشين. بالترتيب كده كان بعدي أحمد اللي اتخرج من كلية زراعة الأزهر، فأتت اتخرجت من كلية التربية، ماجدة تخرجت من كلية الآداب قسم مكنتبات، وعصام مهندس طرق. كان فيه فرق سن بيني وبين أخواني البنات، ست سنين وسبع سنين، فهما كانوا قريبين من بعض قوي، وكنت قريبة شوية من فتحي، ودا بيخليكي مش بنوثة قوي. كنت دايماً بدور على صاحبات من سني. الحاجة الثانية أنا لما درست طب، كنت في جامعة عين شمس، ودي كانت بعيدة في العباسية وإحنا في المنيرة، فلو كان عندي فترة فاضية بين المحاضرات لا يمكن أرجع البيت ثاني. كنت يغيب كثير وبرجع البيت مهدودة، أكل اللي موجود وبفعد في أوضة ماما لما يقعدوا يتفرجوا على التلفزيون بس بنام. فعلاً كانت علاقتي بأخواني بعيدة، هي العلاقات تعمقت لما كبرنا. برضه فكرة إنك دكتورة بتعمل مسافة مع الناس كلها، حتى أخواتك.

كل الجيران يقولوا لك "الدكتورة" من إنتي صغيرة يا دوك بالطو أبيض ومعانا سماعة على رقيتنا. أبويا كان سعيد جداً، واشترالي جهاز ضغط وسماعة من وأنا في تانية طب. أبويا كان موظف صغير في التربية والتعليم، بيعلم خمس عيال، وهو كان مفضل يعلمنا كلنا، وعمل دا. فأضطر يسافر كذا مرة، راح السودان أربع سنين في أربع سنين. وبعد شوية لما كبرنا شوية، دخلنا فتحي وأنا الجامعة، سافر الجزائر عشان برضه يجيب فلوس، والظروف صعبة. رغم كده كانت فكرة إن انتي الدكتورة دا جزء من الحاجات اللي بتشكلك. مكنتش بتكلم مع أمي قوي، كان لي خالة أصغر منها بكثير عاشت معانا فترة لأنها كانت الصغيرة وأبوها وأماها متوفين، وأبويا كان يفرض سيطرته عليها، وهي كانت شابة متمردة. كان بيني وبينها مثلاً 10-12 سنة. خلال فترة مراهقتي ولحد ما تخرجت من الجامعة، كانت هي الحد الأساسي في حياتي، واللي بيعرف أسرارتي، ولو فيه قصة؛ حد بيبعت لي جواب أروح أوربها الجواب، لو هروح أقابل حد هقولها هي. إنما أمي مكنتش فيه دا. وأمي كانت جابت أصغر أخواتي؛ عصام، كان فرق 13 سنة، جه غلطة. حاولت تعمل كل الحاجات اللي الستات بتعملها عشان الإجهاض؛ النط والضغط، بدون أي إحساس بالذنب، فبقت تسييه معايا لو ها تخرج الست دي شالت كثير جداً. اتربينا تربية دينية ولكن مش متشددة؛ بمعنى أبويا مكنتش بيصلي، كان بيصوم، يصلي الجمعة، لكن عدا ذلك لا، لكن في نفس الوقت ما كانش ممكن نكذب لأن الكذب حرام.

أولى ثانوي أخذتها في السودان، وكنت الأولى على المدرسة، "الكلية القبطية بنات". ورجعت مصر على تانية

ثانوي في مدرسة "السنية". دخلوني فصل المتفوقات، فكنْتُ مصدومة من كمّ التنافس الشديد. أنا شخصٌ مُحِب للحياة، شاطرة في المدرسة وذاكر وكل حاجة، بس فيه أشياء أخرى في حياتي. أول شهر طلعت الـ30، ثاني شهر طلعت الـ29، ثالث شهر قلت لهم مش عابزة أقعد في الفصل دا، غيروني. روحت فصل عادي، بنات عاديين، طلعت الثانية والأولى. قررت إنني مش هادخل الطريقة التنافسية دي، كانت بالنسبة لي عبء مؤثر جدًا.

في ثانوي كنت بنت بتعرف تتكلم وتطلع في الإذاعة، وكانت في حياتي مُدرّسة اسمها أبله رعاية الله -اللي هي كانت مرات الدكتور بدر الدين أبو غازي- فتحت موضوع الفنون قُصادي. كان عندنا في حاجة اسمها الهوايات، عندك حصتين كل أسبوعين، دي حاجات بتشكّل الشخصية، أنا كنت برسم من وأنا صغيرة، وأبويّا كان مُصرّ إنني أدخل مسابقات القراءة، وكان بيعلمني العروض! كلها حاجات بتعمل حاجة في شخصيتك، وأنصوّر أنها مخلتنيش الحد المتشجّع، دا بالنسبة لي أهمية الحاجات دي. ثاني محطة كانت الجامعة، الجامعة في حد ذاتها شيء من الانفتاح والاستقلالية، ودي بداية أني أخذ موقف من أبويّا في تسلطه الشديد في الحياة. كان معترض إنني أروح رحلة، وقلت له أنا برّة البيت دا 12 ساعة، أنت لا عارف أنا فين ولا بعمل إيه، فإذا ما كنش فيه ثقة مش ها بنفع، ودي أول معركة كسبتها. هو كان صعيدي، ومقفل شوية، "اعلمي أنشطة" بس تحت الرقابة الشديدة للعائلة. ما كنتش بروح للأصحابي اللي عندهم ذكور في العائلة حتى لو كانوا أطفال، لكن بيتنا مفتوح لأي حد يجي ويقعد ويبات، إنما المعاملة مش بالمثل. الجامعة بالنسبة لي كانت الانفتاح، الاستقلال الإنساني وفكرة إن في ثقة بينا، والتزام بها.

أول ما دخلت كلية الطب، كان نفسي أعمل حاجة في العمل العام فدخلت "منظمة الشباب"، 1965-1966.

أنا بمعنى أو بآخر بنت الناصرية، لأنه فعلاً لولا سياسات عبد الناصر ما كنش ممكن أتعلّم أنا وأخواتي، موظف صغير زي أبويّا ما كنش يقدر يعمل دا. اشتركت في منظمة الشباب. حضرت معسكرات المنظمة وراء نادي الجزيرة. كنت شايقة إن فيه إننا نغسل الكلية وننظفها حاجات هبله، مش هو دا العمل العام. إنما كانت ماشية، لحد ما حصلت 1967، دي أهم مرحلة، لأنه القلم الكبير اللي بيقول لك مش كل حاجة تتصدق، وإن الناس القريبة منك ممكن تخونك. فتح عينيّا. فأكّرة كويس قوي إنني يوم 5 حزيران/يونيو مشيت من البيت في المنيرة لغاية العباسية، لأن ما كنش فيه مواصلات. وكان فيه كلام في الإذاعة: "وقعنا 300 طائرة" وهكذا، والواحد فرحان. بعدها بيومين جاء موضوع النكسة أو الهزيمة.

بعدها حاول النظام يستقطب الشباب اللي اتصدّموا جدًا، وعمل "التنظيم الطليعي". قالوا للشباب: إنتوا القيادات، دا حزب عبد الناصر، عشان الرجعية اللي عابزة تهجم علينا عشان اتهزمتنا.

كان معروف إننا يسارين، ماركسيين، كنّا مجموعة؛ ثلاث بنات جعات، معايا سوزان فياض وسهام هندي، الاثنين زميلاتي في الكلية. بدأ الموضوع إنه يجي لنا كتب ماركسية، ونتناقش فيها، بعد مرتين ثلاثة من المناقشات بدأوا يسألونا: "إيه الأختيار؟ الناس شايقة إيه؟ تحليل الوضع السياسي الراهن؟" لكن بدأنا نحس إن هما ببشغلونا مخبرين، فرفضنا.

في الجامعة كنّا ناشطين في حاجات كثيرة منها "الأسرة الخضرا" و"الجواله".

محطة السبعينات

ما شاركتش في مظاهرات 1968، لكن كنت أعرف ناس من اللي شاركوا فيها. في الفترة دي برضه دخلت حزب العمال الشيوعي المصري²، كنت مبهورّة بالأفكار والآراء والمناقشات. دا ساعدني أخذ موقف بشدة من "التنظيم الطليعي". في الفترة دي تشكّلت سياسيًا، ودخلنا على حركة السبعينات والاعتصام.

اتحبست أول مرة 15 يوم في سجن القلعة، كانون الأول/ديسمبر 1970 كانون الثاني/يناير 1971. دي كانت حبسة كبيرة فيها كل الناس. بعد أقل من 48 ساعة كان كم كبير مشي، وفضلت مجموعة. بدأت اتعرض لحاجات بس على خفيف. التهم "بتعملوا إثارة"، فاتمسكنا من الجامعة. عدد كبير من الشباب من جامعة القاهرة، وجامعة عين شمس اتمسكوا في الحبسة دي.

الحبسة دي اللي كانت ساعة أنور السادات ما قال "دا عام حسم، وفيه ضباب". كنت بعمل مجلات حائط دمها خفيف، وفي نفس الوقت كنت بذاكر. وأنا في قلب الاعتصام اللي قبل الحبسة الأولى كنت بخرج امتحن وأرجع، لأنها كانت فترة امتحانات

ثاني حبسة كانت في كانون الأول/ديسمبر 1972 اتمسكت من الاعتصام. أنا كنت اتخرجت، كنت طيبة امتياز، وكنت موجودة في الاعتصام. كنّا موجودين في الجامعة لما قفلوا علينا وإحنا معتصمين في قصر الزعفران³. الدكتور بتاع الجامعة سلّمني جهاز ضغط وسماعة عشان اتابع الناس؛ ودي كانت ورقة براءة تي أساسًا. زملائي في مستشفى أحمد ماهر كانوا بيمضوا لي كل يوم لغاية اليوم اللي اتمسكت فيه، ومن

2 حزب غير رسمي

3 قصر ائري بناه الخديوي اسماعيل، وكان في الستينات والسبعينات مقر إدارة جامعة عين شمس.

إنه استرجع السيطرة. الجنونة جات راح حابس كل الناس.

أنا عمري ما نزلت مظاهرات لغاية 2003 لما نزلت عشان احتلال العراق. كل المظاهرات تتعمل وأنا مش موجودة فيها، حتى مظاهرات 1977 كنت هربانة من البوليس. جم يقبضوا على أخويا وأنا اللي فتحت لهم الباب، بس ما خدوش بالهم. ثاني يوم جه يقبض عليا فكننت هربانة، اضطريت أبات في بيت مش بيتنا، وما كنش ينفع أبات فيه، هو بيت أهل بهي [الدين حسن]. ساعتها مكناش اتجوزنا، أنا صديقة ورايحة أسأل عليه، فجأة حصل حظر التجول. مظاهرات 1977 كانت مفاجأة لكل الناس. كانت فعلاً مش حاجة حزبية، محدش كان يقدر يدعي إنه هو اللي فجّرها. فاكدة إن سعر الخبز ارتفع من تعريفة لقرش، واندلعت المظاهرات، كان فيه سياسة أياها، وكان فيه أحزاب سرية. ما اعتقدش إن حد كان بالقوة في التحليل، لأن هو يقدر يقود بشكل كفو. دي كانت لحظة خاصة ولو كان في حزب قوي واضح الرؤية كانت ها تقرق في تاريخ مصر. إنما الفترة دي كانت الأحزاب، على الأقل "حزب العمال الشيوعي المصري"، ما كنش عارف يحلل لحظة أكتوبر، فليس كل ما يلعب ذهباً مثلاً، بس الناس فرحانة بانتصار، وخصوصاً مع المعارضة العربية. وإنتي متجيش لهم وسط الفرج، وانتصار حقيقي، كان فيه انتصار عسكري حقيقي باعتراف حتى الإسرائيليين. إن حد يجي في قلب الفرج ويضرب كرسي في الكلوب، ما كنش فيه استجابة جماهيرية للتحليل، لكن خروج دا، خروج حاجة عفوية بالكاد، مقدرش أقول إنني ساعتها كنت واعية لدا، إنما كنت حاسة إننا مش ماسكين الحاجة بشكل حقيقي، مش عارفين ننتقد.

محطة الثمانينات

بعدها محطة الثمانينات، كنت بدوّر على شغل، وكنت مخلفة بنوتي 3-4 سنين. وفي "منتدى العالم الثالث"، دكتور صبري عيد الله، ودكتور إبراهيم سعد الدين عيد الله، كانوا بيعملوا تقارير مستقلة للمشاركة في مؤتمر نيروبي، اللي هو المؤتمر الدولي الثالث للمرأة. الشغل كان في الأساس استكمال البيانات اللي ناقصة في تقارير الحكومات، لأنها كانت بتقدّم تقارير أي كلام.

في المنتدى كانوا بيداولوا يجمعوا باحثين في مجالات مختلفة عشان يستكملوا التقارير، وكانت إيمان حسن (أخت بهي) بتشتغل في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وكانت تعرف الدكتور مصطفى كامل السيد. كان هو والدكتور ليلي عبد الوهاب، هما الاثنين الباحثين الرئيسيين. روجت على أساس أعمل الشغل اللي على الصحة وعملته فعلاً لويس. في نفس الوقت كان في كذا حد المفروض يكملوا أجزاء ثانية، بعضهم من خارج مصر، فاكدة واحدة كانت ها تعمل "النساء والإعلام"، واعتذرت في الآخر وقلت لهم اوكي

ثم فيه إثبات اني مش مقيمة جوّة الاعتصام، أنا كنت طبية ومكلفة ومستلمة أجهزة طبية على ورق. فاكدة الدفاع، كان زي الدفاع بتاع فاتن حمامة، "أنظروا إلى هذا المتهم البريء"، دي تعمل إيه ولا تقتل إيه؟ وحاجات كده. في الآخر خرجت.

اتحبست ست شهور. ودي كانت تجربة السجن الحقيقية، عملنا فيها مجموعات تثقيف جوّة السجن، ومجموعات تغذية. كانت سهام صبري وأروى صالح وثناء عبد العزيز من جامعة القاهرة وآننا. وفاكرة يوم أخذوا عفاف مرعي، قبضوا عليها من المظاهرات، وحطوها في قسم الدعارة. فقررنا نعتصم خارج الزنازين، ورفضنا الدخول. وكانت سهام صبري حطت خطة الانتشار، هنعمل إزاي لما السجنات يهجموا علينا... فنتنشر. جابوا لنا قوة من سجن الرجال. الأمور جاي على حصان، طبعا مع هجوم القوة المجموعة كلها اتبعثرت، بس أنا "انتشرت". انضربت واتكسر ذراعي. دي برضه كانت تجربة، إنك تقدرى تواجهي، ضربونا وفا تراجعناش. عملنا إضراب عن الطعام بطريقة تصاعدية. أنا من الناس اللي دخلوا في الآخر، صمت ست أو سبع أيام مش فاكدة بالظبط. بدأت تكتشفي كل الحاجات الحقيقية، والخوف بيتكسر. دخلوا علينا وضربونا، إيه اللي جرى في الحياة، بعدين عملوا كذا، الإصرار إنهم يأكلونا وإحنا بنرفض ناكل، في الآخر دخلوا لنا فعلاً الجرائد والكتب، يعني فيها حاجة من الانتصار. الفترة دي كانت فترة جميلة، كل الناس كانت داعمة للحركة الطلابية. أنا فاكدة المكوجي بتاعنا، راج لأمي قال لها: "في ناس بيسألوا على بنتك، عشان تعرفي أنا متأكد إنهم مخبرين". الناس كانت بتعمل كده. كان فيه بنوتة بتشتغل ممرضة في سجن القناطر، وعمي وأولاده عايشين في القناطر، فكان يتبعنا لنا على الأقل أخبار ورسائل بينا وبينها. كانت تجربة جميلة جداً، الواحد فيها عرف ناس كثيرة، وخرج مش مكسور. تجربة السجن اللي بتخرج منها مش مكسورة، بتنتهي بالنسبة لها الحاجات اللي بتكسر، يبقى مقيش خوف وبتبقى قوية.

دي محطة مهمة بالنسبة لي، اللي هي الجامعة، دخول تنظيم سياسي "الطليعي"، ودخول تنظيم سياسي سري. دي كلها أحد المحطات اللي ساهمت في إن دي تبقى حياتي، أنها ها تبقى العمل العام. مش العمل العام بالطريقة اليونانية، نفسي أعمل حاجة حلوة لمصر، لا، فيه احتياج إن يكون فيه عمل، وعمل سياسي، والأنظمة اللي موجودة دي أنظمة قهرية، قامة للناس، وديكتاتورية. طبعا فترة الجامعة كانت تمرّد على فترة عبد الناصر، وتخليص حسابي الداخلي مع نفسي بعلاقتي بالنظام السياسي. هذه محطة شديدة الأهمية بالنسبة لي، كانت فترة خصبة جداً؛ قلقلة النظام الناصري، السادات ما كنش لسه عارف يظبط نفسه، وكان فيه مساحات استغلناها في الجامعة. السبعينات كانت فترة هائلة، على أواخرها السادات بعد ما عمل كامب ديفيد، حس

أنا هاخده. بعدين كان فيه حاجة عن "النساء والحرب" برضه كان في حد هيعملها وما عملهاش وقلت أنا هاخده، وعملت دا. فانتعرفت. كنت بنزل جامعة الدول العربية، وبنزل أماكن مختلفة بحيث إني أجمع المعلومات، دي كانت بداياتي.

بعدها د. ليلي عبد الوهاب دعيتني أحضر اجتماع في اتحاد المحامين العرب. كانوا عاملين لجنة، اسمها "لجنة أوضاع المرأة في اتحاد المحامين العرب"، أو "لجنة المرأة العربية"، كان فيها كذا حد، شهيدة الباز، هدى بدران، أمينة شفيق، ليلي عبد الوهاب، ملك زعلوك، وكان فيه محامية اعتقد فتحية شلبي. وبقيت أحضر معاهم في مقر اتحاد المحامين العرب. بالغلط حضرت اجتماع ثاني كان قبل اجتماع اللجنة؛ كانت موجودة فيه الدكتور نوال السعداوي، ودا كان اجتماع من الاجتماعات الأولى لـ "تضامن المرأة العربية"، وأنا كتبت اسمي، فاهمة إن دي حاجة تخص "لجنة أوضاع المرأة". بدأت أحضر مع نوال السعداوي. بعد كام اجتماع قررت إن دا مش مكاني. الفترة دي دخلتني في كمية علاقات، وهي دي بداية دخولي للنسوية.

لما المحكمة الدستورية حكمت بعدم دستورية "قانون الأحوال الشخصية 1979" إيجاباً، لأنه صدر في غيبة البرلمان بدون سبب يدعو للتعجيل، وما اتعرضش على المجلس فور عودته. كان القانون بيدي فرصة إن الست تستقل. الست الحاضنة تأخذ مسكن الزوجية والزوج يخرج. وكان على المأذون أن يعلم الزوجية الأولى (في حالة الزواج عليها)، وإنه من حقها تطلق فوراً بدون الحاجة لإثبات الضرر، إن ده في حد ذاته ضرر....

أيامها دخلت مجموعة "المرأة والأسرة" مع أنجي رشدي، وشهيرة محرز، وشهيدة الباز، وأمينة شفيق وأخريات. كنا بنعمل الاجتماعات عند شهيرة. عملنا استمارة عشان الناس تقرأها وتمضي عليها، عشان نبعت لمجلس الشعب، نقول له إنه لازم تحافظوا على الحاجات دي. وأنا كان من نصيبي أروح كلية اقتصاد وعلوم سياسية عشان أجمع توقيعات من الناس، كانت إيمان حسن هناك وبتسهل لي، وتقدمني للناس، وناس كثيرة مضت الاستمارة. لغاية ما في وظيفة قالت لي: "مش ها مضي"، سألتها ليه فردت: "مين اللي قال لك إنني عايزة أعرف"، قلت لها إنتي عايزاه يتجوز عليك؟ قالت لي: "مش عايزاه يتزوج علي، ولما يتزوج مش عايزة أعرف". ليه يا بنية؟ قالت لي: "لأن لما هو يبقى مخبي علي هو هيبقى عينه مكسورة؛ ولو أنا عرفت وقعدت -وأنا ها أقعد عشان مش عندي حاجة ثانية أعملها، مفيش قصادي أي حنة ثانية- ما قدرش أطلق وأخرج بالعمال، ما حدش هيسبقيني في بيته، ولا بيت أبويا ولا بيت أخواتي. الأحسن إن أبقي

قاعدة بس أنا مش عارفة وهو عينه مكسورة، بدل ما أبقى أنا اللي قاعدة وعيني مكسورة". دا يفتح دماغك إن مش كل اللي ترينه صحيحاً للنساء هو صح، في شروط محددة بالنسبة لهم، هو دا ها يبقى اختيارهم، هي بتختار أنسب شيء يحفظ كرامتها. هي هنا كانت بتختار حفظ الكرامة، ومش ضد إنه يتجوز عليها، بس إنها ما تعرفش. فكرة إنه الحياة أغنى كثيراً من الأبيض والأسود اللي أنا يبقى شايفاه، الحاجات دي فعلاً بتتعليمها. الفكرة إننا جمعنا توقيعات على حاجة ونبعتها لمجلس الشعب، دي مطالب النساء. كان فيه مجموعات ثانية بتشتغل على موضوع القانون، كان أكثر فيه من مجموعة، ومنهم نوال السعداوي. حاولنا نتقابل معاهم. المقابلة مع نوال متمتش، أنا مكتتش من الناس اللي راخوا، متمتش عشان نوال فيها شيء فرדاني، هي زي فاطمة المرنيسي، سنات كانوا بيواجهوا مجتمع في غياب حركة. إذا مكنتيش ذات قوية جداً، متقدريش، هتموتي جوة المجتمع دا. هما بقى عندهم ذاتية شديدة، لدرجة إنهم مش بياخدوا بالهم إن عليهم بينوا المواقف مع الحركة. هما مش بتوع بناء حركة من وجهة نظري الشخصية. لكن نوال بتأخذ مواقف قوية وحاسمة، أنا يختلف معاها في حاجات، لكن بحترم الست دي، وإنها في السبعينات وقت محدش كان بيتكلم عن حاجة، هي كانت واقفة وبتكلم عن قضايا، وقضايا حساسة جداً. على فكرة الجيل الجديد من النسويات حالياً بيشفوف إن نوال السعداوي هي اللي كان عندها صفات وسمات الزعامة.

فضلت في لجنة "أوضاع المرأة العربية"، وكان فاروق أبو عيسى هو اللي ماسك اتحاد المحامين العرب وقتها، والناس كلها بتشتغل بعضها. هو قرر يعمل وقتها مؤتمر المرأة العربية والإفريقية الأول في 1985 في القاهرة، تحضيراً لمؤتمر المرأة العالمي الثالث في نيروبي 1985، وكانت د. منى أبو سنة منسقة المؤتمر، لكنها اختلفت معاها وتركزت المؤتمر. وتلتها نوال السعداوي وبرضه اختلفوا، كل واحد له طريقة. فاروق أبو عيسى، طلب منى أتولى تنسيق المؤتمر، بقيت منسقة "المرأة العربية والإفريقية الأول". كنت بعرف إنجليزي على قدي بس كان ممشي الدنيا، وبراسل كل الناس، وبقيت بروح اتحاد المحامين العرب تقريباً كل يوم. وفيه وعود ضمنية بأنك تروحي نيروبي، المؤتمر العالمي الثالث للمرأة 1985. ورغم أنه كان عمل تطوعي، كنت بشتغل بجد لأنني عايزة الألفي لي شغل ومساحة، وكنت سعيدة بالجهد البحثي اللي عملته مع د. إسماعيل صبري عبد الله حول وضع النساء خلال العقد العالمي للمرأة. لدرجة إنني عملت ورقة لهذا المؤتمر حول النساء والصحة في العقد العالمي للمرأة، وجمعت فيها معلومات عن كم الإنفاق على التسليح، وكم الإنفاق على الصحة والتعليم، خط صاعد وخط هابط، كنت حاسة إنني جاية الاكتشاف اللي ما حصلش ساعتها.

"المرأة الجديدة" كانت لسه يدوبك متأسسة، كانت المؤسسات الأوائل عايدة سيف الدولة، عرب لطفي، نادية عبد الوهاب، فؤادة هدية، فردوس البهنسي، هالة شكر الله. الفكرة كانت فكرة عرب لطفي أصلًا، هي اللي دعت كل الناس إنهم يبقوا فيها. احتمال هالة ما كانتش فيها من اللحظة الأولى. دي كانت مجموعة واسعة، وكان فيه ماجدة أباطة، لأن اللي كلمتني ماجدة أباطة، وبثينة كامل على ما اعتقد.

المجموعة دي جزء منهم حضر المؤتمر وشافوا ورقتي، وقالوا: "دي ست كويسة". وكلموني على إني أحضر معاهم وبدأت أحضر معاهم، أنا باعتبار نفسي من المؤسسات رغم إني مش منهم، لكن أنا من البدايات الأولى معاهم، بدأت في 1985، من النشرة الأولى لـ "المرأة الجديدة"، كان بقى لهم سنة. دي الحاجات اللي حصلت في محطة الثمانينات؛ المشاركة في التحضير لنوروبي بأشكاله المختلفة سواء مع إسماعيل صبري عبد الله في "منتدى العالم الثالث"، أو اتحاد المدامين العرب و"مؤتمر المرأة العربية والأفريقية الأول"، أو دخولي "المرأة الجديدة".

حياتي بقت عينك ما تشوف إلا النور؛ حاجة ثانية خالص.

سحر التراكم

عيني كل شوية بيان لها الفروق بين نشاطي لسياسية عامة ونشطة حقوقية ونسوية، زي فكرة مثلاً ليه تعملوا تنظيم أسرة بدل ما تبصوا للجانب المشرق في كل طفل جديد أنه قوة جديدة للبلد وطاقه جديدة، بس حطوا له تعليم وصحة. تبدأ المفاهيم تتبلور، وتبدئي تكتشفي إن صحيح فيه حنة صح في اللي إنتي بتقوليه عدم النظر للناس كعبه (منظور الأزمة السكانية)، لكن فيه جزء أنتي مش مرعياه ... الستات عايزة إيه؟

الفترة دي كل الحاجات متداخلة. لكن أنا دخولي للنسوية هو بداية تعرفني على قوى متعددة، واختيار "المرأة الجديدة" بعدين، دي النقلة اللي حصلت. عبر "المرأة الجديدة" في كمية من المحطات نبقى نتكلم عليها، لكن دي المحطات الأساسية اللي خلقت آمال عبد الهادي النسوية، ناشطة حقوقية ونسوية. في الفترة دي برضه إنا شاركنا في تأسيس "المنظمة المصرية لحقوق الإنسان"، أنا كنت من أوائل الناس اللي شاركوا ووضعت أساميها في المنظمة المصرية لحقوق الإنسان. كنت دخلت في عقد الثلاثينات، ماكنتش البنت العادية، بس في نفس الوقت بمعنى أو بآخر تقليدية في ما يتعلق بالمجال الخاص. يعني محيلتناش فلوس، بس يحاول بيتي يبقى جميل، فأعمل الحاجات اللي متخليهوش يتقارن ببيوت ثانية، مش هتتقارني لا بمرات أخوه ولا بأخت مين. وعملت حاجات فكان فيه التميز اللي ما يخلينيش في موضع مقارنة، لأنني عندي حاجات أخرى أعملها، أنا ست بتاعة مجال عام ومش فاضية لكل التفاصيل. لما تزوجت وبقيت

في عائلة زوجي، إنا تزوجنا 1979 بدأ يبقى لنا بيت ومكان معروف، هنا اللي تبدأي تحاول تكوني نفسك، وفي نفس الوقت ما تتحطيش تحت الضغوط. بعدين أنا عشت مع أهله، حماتي، كنت أقولها: "طنط أنا ما بعرفش حاجة، علميني اللي إنتي عايزة تعلميه ليّ، وشوفي عايزة أعمل لك إيه النهاردة وأنا أعمله". لا مجال للمنافسة على الإطلاق مع أي حد، دي كانت الدرع بتاع معنديش مساحات لا مالية، ولا وقت، علشان تتنافسي مع الآخرين على الإطلاق. دي فترة برضه مهمة لأنها خلت الواحد يدور حتى على أماكن الشغل بطريقة مختلفة، وما كنتش في فكرة بناء الوضع المهني لأن إنا عندنا بنت وعايزة أرتبها بطريقتي، أمي وحماتي كانوا كبار أصلًا، كنت يشتغل على شغل بهي، لو هو بيشتغل الصبح أنا اشتغل بعد الظهر، والعكس صحيح.

على المستوى السياسي كانت محطة، أو لحظة فارقة معايا في حاجات كثيرة. الفترة اللي كان فيها حزب العمال الشيوعي حصل فيه انقسامات في السبعينات، وفترة سقوط بولندا. أنا كنت ماركسية، كنت مفروعة إن الناس السلطة في أيديها 40 سنة، ويقدرُوا يعملوا حاجة عشان يقنعوا الناس. المشكلة عادة إن البناء الفوقي انعكاس للبناء التحتي، طب إنتم ماسكين كل الأبنية القومية والتحتية، فتعمل شغل. إنه يحصل هذا الانهيار، ويقلب بولندا، دا معناه إن هذه الأحزاب هي أحزاب مش حقيقية ومكنتش بتعمل حاجة، وأكيد كان فيها حاجات فعادية للناس. دي من الحاجات اللي خلتنني أفكر بعمق في موضوع الماركسية، ومن ساعتها وبعدها بكام سنة بدأت أقول إني ضد أي ديكتاتورية من أي نوع، لا ديكتاتورية البروليتاريا، ولا ديكتاتورية أي حد. حتى كنت بتريق بقول لهم أنا ماركسية ليبرالية، أنا بتاعة الديمقراطية. رغم إني ما أقدرش أتكلم عنها على إنها محطة، بس دي كانت من الحاجات اللي عملت نقلات في الوعي، حسم تام.

في الفترة دي كنت سبت حزب العمال. كان فيه محاولات لإعادة تشكيل الحزب وقلت لهم مش ها نفع، أنا حد مؤمن بفكر الديمقراطية. من ساعتها أنا ما دخلتش أحزاب، حتى حاولت بعد الثورة أدخل الحزب الديمقراطي الاجتماعي، بس حسيت إني مش قادرة اتعايش. بالنسبة لي كان همّ التواجد كحزب وضم عضوية من اتجاهات متعددة، أكثر من همّ بناء الحزب فكريًا، وأنا من تجربة "المرأة الجديدة" اتعلمنا بنيني. عندنا شابات تكمل 19 سنة السنة دي، 20 سنة السنة اللي جاية. كنا بنيني في التفاصيل اليومية، مناقشاتنا دائمًا موجودة، والناس دي تغيرت حياتها ومواقفها في الدنيا بسبب وجودها في "المرأة الجديدة"، إنا بنيني طول الوقت. ودا سحر التراكم وهو شعاري الأساسي في الحياة، عايزة حاجة اطلبيها واشتغلي عليها، ها تحصل إن عاجلاً أم آجلاً.

دا بالنسبة لي محستوش في الحزب "الديمقراطي الاجتماعي". أنا بحب كل الناس هناك، بحب هدى الصدة، وبحب نادية عبد الوهاب، وبحب نيفين عبيد، بس محستش نفسي هناك. حسيت إنني أحسن أبقي في مجال فاهماه وبقيت أعرف أبني فيه، وهاستمر فيه، المجتمع المدني، مش قابلة للحزب.

حتى في المجتمع المدني أنا حد ديمقراطي، أنا فاكرة كويس قوي كان لي وجهات نظر في حاجات، وكنت أقلية في "المرأة الجديدة". حتى فكرة إننا نتحول لمؤسسة يبقى في ناس بياخدوا أجر على الشغل دا، دي مناقشات آخذت وقت منا من 1998 لغاية 2000. في أول تخطيط استراتيجي أنا كنت أقلية، كنت أنا وحد ثاني، 2 من 11 ضد تمامًا. وإن لو هتدي فلوس ها يبقى شغل سبوبة. اتعمل تخطيط استراتيجي ثاني في 1999 مكنتش موجودة كنت في منحة دراسية في أمريكا (همفري). في 2000 لما رجعت عملنا مرحلة ثالثة من التخطيط الاستراتيجي وأعدينا لها كتابات كثيرة قبلها، متفائلات، متشائمات، الخ. التصويت في الآخر أقر أنه يبقى فيه ناس تاخذ أجر. تقدر تعطي الوقت المطلوب. إنتي مش عارفة تتحاسب في العمل التطوعي. اللي بياخد عمل تطوعي وما يعملوش هتعملي له إيه؟ مش هتموتيه.

ودي كانت النقلة اللي حصلت. لما آخذنا القرار ده في أيلول/سبتمبر 2000 "المرأة الجديدة" كان فيها نص سكرتيرة، لأنها كانت بتيجي 3 أيام في الأسبوع بعد الضهر. آخذنا بقى قرارات، يعني دلال اللي كانت سكرتيرة نص الوقت، بقت بتيجي كل يوم واضطرت تستقيل من شغلها أو تأخذ إجازة بدون مرتب، بحيث إن المكان مفتوح كل يوم الصبح كمؤسسة. وصلنا على 2004-2005 لفريق عمل لا يقل عن 25، سواء وقت كامل، أو الناس اللي بتشتغل معالي زي أمانى أبو زيد أو منى إبراهيم اللي هما بيشتغلوا معالي في مهام محددة، أعداد طيبة، بهجة حسين بتيجي تنتج 3 أعداد من نشرة المرأة الجديدة. ناس بتيجي معالي على مشروع محدد وتمشي، لكن في فريق موجود، وعملنا فعلاً فريق ثاني. وكانت فكرة "منتدى الشابات" حاجة مهمة. ناس كثيرة من الموجودين دلوقت، خرجوا من منتدى الشابات، وشاباتنا تحديدًا كانوا في قلب الشغل ده، إنتي مش محتاجة تكوني موجودة عشان تنأكي إن لميا ونيفين ومنى ومي دول نسويات بحق وحقيقي وهاخدوا مواقف نسوية. تحسي إنك حتى عملتي حاجة في الدنيا، وجودك كان له سبب.

أول مرحلة في "المرأة الجديدة" لغاية بداية التسعينات؛ شلة أصحاب يساريات شديديات كمان زي ما يقولوا. سياسيات ماركسيات، مهتمين بالعمل العام، ومعظمنا جينا من قلب الحركة الطلابية، تلاقى واحدة مثلاً ما كنتش في الحركة، كلنا كنا في الحركة الطلابية، وكثير منا كان له علاقة

بالأحزاب السرية، حتى لو كانت مختلفة "8 يناير" أو "العمال الشيوعي". الشغل كان كله تطوعي خالص. أول تمويل كان 1994-1995 وإحنا رايعين مؤتمر بكين. عملنا كذا دراسة على استخدام الأدوية المضادة للألم في الولادة، وتعليم الكبار، والعنف. ساعة "فتاة العتبة" قرأنا كل الجرائد زي راصد إعلامي، وعملنا دراسة جميلة جدًا في حدود الإمكانيات اللي كانت عندنا. كان كل حد منا أخذ له مجلتيين ثلاثة يتابعها، ونقعد ونطلل، ونرجع نقاش مع بعض.

دي كانت فترة الأصحاب والثقة الشخصية، والاستعداد غير المحدود للعمل. كلنا في بدايات التطور المهني بتاعنا. البداية الأولى، إنتي مش في اللحظات الحاسمة مش عليك تحسمي حاجات في مسارك المهني، مثلاً تاخدي الدكتوراه، ما كنش دا لسه. كنا بنعمل الاجتماعات في البيوت أساسًا، "5 شارع خان بونس" حيث عرب وعابدة وهالة، دا كان المكان اللي كنا كلنا بنزوجه ونقعد فيه ونعمل الشغل بتاعنا. دي كانت فترة القراءات الكثيرة والمناقشات وعمل دراسات، وعمل النشرة. عشان نطبع النشرة كنا طابعين كوبونات بـ 25 و50 قرش، نحاول نقنع الناس يشتروها عشان نقدر نزوح ندفع للطباعة، وأصحابنا، بقوا فنانين مشهورين النহারدة، يعملوا لك اللوجو أو رسومات عشان المجلة.

دي كانت فترة كلها عمل تطوعي، كلها شغف وحماس وثقة ببعض. إحنا جايين من قلب نضال سياسي، عشان كده كلنا واثقين في بعض. دي الفترة اللي كانوا أجوازنا بيتريقوا علينا، أو معظم الأزواج كانوا بيتريقوا، ودي الفترة اللي تقال علينا فيها "المرأة الجديدة" بدل "المرأة الجديدة". بس كمان كانت فترة إن إحنا بنشوف البطيركية في بيوتنا، أه أزواجنا ظراف وتقدميين، بس لما يكون عندي اجتماع في "المرأة الجديدة" والبنيت عيانة، مش ها يقعد، أرقى شوبة من البطيرك التقليدي. كانت فترة كلها تفتح، وبدائل كثيرة مطروحة، وإنتي تخاري. دي الفترة كمان اللي بدأنا نتوسع ونفتح على الآخرين، وعملنا كذا اجتماع دعينا ليها حد زي فريدة النقاش⁷، في لجان المرأة في الأحزاب اللي كانت قائمة. محاولة انفتاح على ناس أوسع؛ شهرت العالم، وأميرة بهي الدين كانت عضوة فترة، ونادية رمسيس. كنا بنحاول نفتح على ناس ونشوف ها نعمل إيه.

على هامش الوجود القانوني: موقف من تمويل

فاكرة أواخر الثمانينات كانت منظمات حقوق الإنسان، والمنظمات النسوية، بتناقش كيف تجد شكل قانوني خارج

5 المؤتمر العالمي الرابع للمرأة، بكين 1995.

6 حادثه فاه العبة: حادثه اعتداء جنسي جماعي على فتاة في ميدان العبة ليلة عيد المطر 1992، هرب المجمع المصري

7 حزب التجمع

قانون جمعيات 32 لسنة 1964. ساعتها طلعت فكرة "شركة مدنية غير هادفة للربح". وقررنا نبقى مركز دراسات المرأة الجديدة وسجلناه كشركة مدنية في 1991. وقتها، الفكرة دي أربكت الحكومة لفترة طويلة، لغاية نهاية التسعينيات تقريباً لما حطوا مشروع قانون يجبرم الشركات المدنية.

لما ناقشنا فكرة التمويل حصل انشقاق؛ فيه آخرين بياخدوا تمويل وإحنا بنحبهم وشابقتهم ناس مناضلين، وفيه اللي يقولوا إن التمويل ها يفرض أجندة علينا، ويكون الرد "لا ما حدش يفرض علينا، إحنا عندنا أجندتنا"، كانت مناقشات شديدة الأهمية حول موضوع التمويل في الفترة دي. معظم المثقفين المصريين كانوا واخدين موقف شديد من المسألة دي. وفي المرأة الجديدة كان فيه نقاشات مماثلة. الفترة دي انسحبت فيها عرب وماجدة أباطة، فردوس بهنسي، لأنهم شايفين إن ده مش صح، وإحنا كملنا لكن مخدناش تمويل فعلاً غير في 1994-1995. ولما اخدناه كان لسه فيه هاجس في الذات يقول إنه "فعلاً هسترزمي من المرأة الجديدة"، فكنا بنجيب تمويل ونذيه للآخرين، اللي بيقدموا أوراق أو أبحاث بس إحنا نعمل الدراسات تطوعي.

"المرأة الجديدة" بقت معروفة ومتوقع إنها ها تقول الكلام الصح في القضايا الخلاقية. بدأنا نتسع، وبدأ يبقى في احتياج إن للعمل ما بيقاش يعتمد بس على إن الناس تدي تطوعي. أنا في الفترة دي اشتغلت في مركز القاهرة لحقوق الإنسان، بنيت برنامج للمرأة، من 1994 لـ 1998، برنامج مركز القاهرة ينافس المرأة الجديدة بمعنى أو بآخر، لما يجي في حاجات الناس بتبص لك كبرنامج يحط مواقف كويسة، بيطلع عديدين في السنة من نشرة المركز "سواسية" عن المرأة. فكرت ليه أعمل ده في "مركز القاهرة"، ومعملهوش جوّه "المرأة الجديدة". بنهاية سنة 2000 قررنا يبقى فيه مخترفين بيشتغلوا جوّه "المرأة الجديدة". وعملنا منتدى الشابات، جيل جديد مش جاي من قلب السياسة، جاي من قلب النشاط النسوي، جاي من قلب المؤتمرات النسائية والاهتمام العام في البلد، غيرنا. جيل صحيح معندوش رؤية واضحة قاطعة، لأ مختلفين وبيتعلموا، بس نسويات. دي برضة نقلة ثانية حصلت لنا في "المرأة الجديدة". أعتقد إنها فكرة المناقشات اللي دارت كثيرة على العمل التطوعي والعمل اللي بأجر.

كانت دائماً فكرة التوازن بين التطوعي والعمل بأجر هاجس شديد، وأحياناً مبالغ فيه جوّه "المرأة الجديدة". بس دا كان ظريف لأنه كان بيخلي القضية دي مطروحة باستمرار.

لما طلع قانون الجمعيات والمؤسسات الأهلية لسنة 2002، أثار مناقشات كثيرة بين منظمات المجتمع المدني الموجودة وقتها. نسجل ونقبل بالقانون، ولّا نستمر زي ما احنا ونتحداه. في جزء من المجتمع المدني قال مش هننظم [وضعنا]

زي مركز القاهرة ومركز هشام مبارك، وفيه منظمات قالت هنسجل وفقاً للقانون. في المناقشات، كان الاتفاق إن دي استراتيجيات مختلفة للمواجهة، وللازم يبقى فيه تفاهم إن كلنا بنشتغل مجتمع مدني، وجادين في الموضوع. أيّا كانت الاستراتيجية اللي هناخدنا محدش ياخدنا على إن دا متراجع أو انتهازي. وإحنا في "المرأة الجديدة" كنّا من اللي قررنا يسجلوا وفقاً للقانون.

وزارة الشؤون الاجتماعية رفضت تسجيلنا، بناء على رفض الجهات الأمنية. وطبعاً وقتها الجهات الأمنية لم تكن مذكورة في القانون. رفعنا قضية واخدنا حكم في 2004 كان حكم رافع.⁸

2011 كانت المرحلة التالية. إحنا لّمّا بنعمل مشروع تمويل عادة محدش بيرفضه من هيئات التمويل، وعادة أي مقترح بيتقبل. قليل قوي في حياتنا لّمّا يترفض شغلنا، أنا بتكلم على الجيل القديم اللي عنده خبرة، لأننا كنّا بنختار جهات تمويل معظمهم زينا من جيل السبعينيات. مثلاً هيئة نوفيپ أو كيفانو لّمّا رزتهم لقيتهم شهناء، ستات مهتمين بالمعرفة، ومعظمهم من نفس جيلنا.

الفترة دي كان بدأ يبقى فيه الجيل الثالث جوّه "المرأة الجديدة". قررنا يبقى عندنا برامج، مش مجرد وحدات للحملات، أو التدريب أو البحوث، إلخ. بدأت الاهتمامات والناس تتبلور حوالين قضايا معينة. فيه ناس في مجال الحقوق الاقتصادية، والعمل تحديداً، والعمل النقابي، وناس مهتمة بقضية العنف، أو في قضية العلاقات الدولية، أو السيداو⁹ تحديداً. الفترة بدأت نيفين عبيد ومنى عزت ولمايأ لطفي، كل واحدة مسؤولة برنامج، ومعهاا اثنين شابات أصغر سنّاً بيشتغلوا على القضايا بتاعة البرنامج، وبقي في جيل ثاني فعلاً بيتخلق وشغلهم جميل جداً، وانتماءهم "للمرأة الجديدة" على جداً. بعدين لّمّا ما بقاش فيه فلوس مرة أخرى، اضطررنا الناس تشتغل بنصف مرتب، وإحنا أصلاً مرتبنا مش عالية، وخصوصاً بالنسبة للصغيرين (الجيل الثالث). الفترة دي وزارة الشؤون وقفت لنا مشروعات كثيرة. كانت ضربة جامدة، بقى صعب مثلاً نطلع مجلة "طيبة" و"النشرة" بانتظام، كل الشابات الصغيرين إضطروا يمشوا، وبدأت الناس تيجي على مشروع وتمشي، مش قادرة تبني الأجيال الجديدة. فأكبر إن كان فيه بنوتة إسكندرية منسقة الجزء بتاع العلاقات الإقليمية في برنامج سيداو، قالت لي "أنا ما اقدرش اخذ المبلغ ده لإنه يدوبك أحطه في [إيجار] الشقة... ها اعيش إزاي؟".

مشروع عملنا مقترح تمويل للعمل مع قصور الثقافة [وزارة

8 التفاصيل موجوده في كتيب "وقائع اغسال مؤسسة المرأة الجديدة".

9 اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو).

الثقافة] كنا نأوبن نشتغل في عشر محافظات، بس الشؤون الاجتماعية رفضت تدليننا موافقة. رفعنا قضية طلع حكم قوي جدًا لصالحنا؛ "تقول جهة الإدارة في ممارسة أدوار تخنق المجتمع المدني". بس على ما خدنا الحكم سنة 2016 كانت الأوضاع الاقتصادية اتغيرت، فنقدنا المشروع في ثلاث محافظات بس.

بين 2011-2012 الشؤون الاجتماعية وقفت لنا 9 مشروعات تمويل من أصل 12 مشروع قدمناهم. وقفهم بمعنى أنها لا توافق ولا ترفض، وانت ما تقدر يش تستخدمي المنحة بدون موافقة مكتوبة من الوزير. كان وقتها فيه آلية في الوزارة لكنهم غيروها بعد كده. في البداية طلب رسمي للاستعلام عن المنحة بعد مرور شهرين، فتضطر الشؤون تعلن موقفها بالموافقة أو الرفض. ولما تاخدي قرار الرفض تقدري تقدمي شكوى للجنة فض المنازعات¹⁰ (اتلغت). ودي بتأخذ قرار، ولو القرار تضررنا منه بترفعي أمام مجلس الدولة. تلغي مستوى الدرجة الأولى، وإحنا اخدنا الحكم وطعنا قصاد مجلس الدولة. إحنا عملنا الكلام ده في 2012 عقبال لقاً وصل مجلس الدولة، طلع الحكم في 2016. رغم إننا اخدنا الفلوس وصرفناها، بس هما رفعوا علينا قضية، استأنفوا القضية، طعنوا في قرار المحكمة الإدارية العليا. لقاً بسأل محامين أ. نجاد البرعي ويقول لهم إحنا اخدنا الفلوس وصرفناها، ده بناءً على حكم محكمة، ضرفت على مشروع، قال لي: "لا هما مش عابزين الفلوس.. مش هو ده اللي بهمهم، اللي بهمهم إنهم يقضوا على الحكم ده ميقاش موجود".

في قلب "المرأة الجديدة" في حاجات بتتعليمها. إحنا في فترة كان لازم القرارات تبقى بالإجماع، يا إما يؤجل القرار لغاية لقاً تتناقش مرة ثانية، وكنا بتعتبر إن هي دي الديمقراطية. لكن ده مش صحيح، لأنه اللي بيحصل إن رأي الأقلية هو اللي بيسود. إنتي لقاً توقفي وتفضلي ماشية بنفس الطريقة إنتي مشيتي رأي الأقلية، ودي كانت مناقشات طويلة داخلناها، فكرة الإجماع ولا إحنا ممكن في الآخر نعمل تصويت. كان مرفوض التصويت ده تمامًا، زي ما كان مرفوض الاحتراف تمامًا، دي خدنا فيها مناقشات من 2004 لـ 2006. فكان لو كان فيه اعتراض واحد، فخلاص مش بتمشي الرأي المتفق عليه من الأغلبية، رغم إن في حد واحد أو اثنين معترضين. بدأنا نقول يا جماعة بالطريقة دي إحنا كده بنمشي رأي الأقلية، وده مش صح وغير عادل للمؤسسة كمان، يبقى فيها اتجاه سائد لحاجة وإحنا رافضين إننا نعمله، دي كانت واحدة من الحاجات. الحاجة الثانية واللي خلطنا متميزين، إننا من بدري كنا رافضين بشدة فكرة مؤسسة آمال أو مؤسسة هدى. أنا أعتقد المؤسستين اللي لغاية

دلوقتي محدش يقدر يقول اسم واحدة من العضوات، هما "المرأة والذاكرة" و"المرأة الجديدة". لأننا خدنا بالنا من بدري إن ممكن واحدة تدي الشغل التطوعي كتير، ويبقى هو ده الاسم اللي بيشتهر، ويتقال مؤسسة فلانة، واتناقشنا في بحيث إن لو واحدة فينا يتقال عليها رئيسة المؤسسة، يتقال لا. بعد كده لقاً اتسجلنا كمؤسسة 2004، بقى فيه مجلس أمناء، ورئيسة مجلس الأمناء، بيتغيروا باستمرار.

القرار اللي اخذناه كويس بعد الثورة 2014، هو قرار إن العضوات المؤسسات يتركوا تمامًا مواقع اتخاذ القرار. فكرة إن الناس الموجودة تقدر تشيل، وده يحصل وإحنا موجودين عشان لو احتاجونا، لأن ممكن بكرة أكون مش موجودة. ساعتها خرجنا نولة، ونادية عبد الوهاب، وأنا، آخر المؤسسين الموجودين على قيد الحياة وناشطين في "المرأة الجديدة"، هالة مثلاً موجودة ومن المؤسسين بس مش ناشطة كان عندها مؤسستها الخاصة ورئيسة حزب¹¹ بعد 2011. دي كانت حاجة مهمة من اللي ساعدت كمان على إعطاء مصداقية، ليست مؤسسة فلانة، والشابات اللي جات فاهمين ده، وعارفين إن ممكن تختلف جذريًا مع بعضنا في حاجات ويكون لنا وجهات نظر متعارضة، لكن في الآخر فيه آلية يتخذ بيها الموقف وخلص. الحاجة الثانية الشغل الجماعي والتشبيك مع المنظمات الأخرى. فاكدة في 1998 كان أول مرة بتعمل عمل جماعي لكل المؤسسات، اللي هي كانت "احتفالية 8 مارس"، وطول الوقت إحنا بتشيل التنسيق من الناحية الفعلية بهمة، نكتب المحاضر، نرسل التحضيرات، ولكن العمل ينسب لكل الناس. لأن فيه حاجة اسمها تبني في الحركة، وتدي انطباع عن الحركة للمجتمع.

مثلاً الشغل الجماعي مع المجموعات الأخرى، حاجة مهمة في بناء الحركة، وأعتقد "المرأة الجديدة" عملت دا بشكل كويس. تقديري إن التسهيلات عملت النقلة دي على مستوى الحركة إن المنظمات تعرف بعضها، وتتعاون، ويبقى فيه درجات لتقسيم العمل، زي ما تم تقسيم العمل بين المنظمات الحقوقية، إن أنا هاشتغل دراسات وأبحاث وأنا هشتغل على المساجين. بدأ يبقى فيه حاجة بالشكل ده بدرجة أو بأخرى جوهر الحركة النسوية والناس بتحترم ده. طب فلانة جوهر المجموعة دي بتشتغل على موضوع معين، كلنا ندعم شغلهم، بس هما اللي لازم ياخدوا التقدير.

محطة الثورة

في 2011 وما تلاها، بدأنا نعمل التحالف النسوي، ونحاول نطرح تصورات، وأعتقد إننا سريعاً أدركنا إن فيه إشكالية كبيرة. فاكدة إننا كنا بتكلم مع اتحاد شباب الثورة، إزاي تقبلوا مواعيد

10. يعتبر درجة من درجات النفاضي، ويرأس اللجنة رئيس محكمة درجة أولى. تم إلغاء اللجنة في القانون الجديد.

11. حزب الدستور الذي ترأسه في الفترة من شباط/فبراير 2014 إلى آب/أغسطس 2015.

ليل، الساعة 2 مثلًا والبنات لسه بيكافدوا عشان ينزلوا الشارع، وطبعًا مفيش ولا واحدة فيهم هتقدر تحضر. لكن محدش فينا قادر يقول إحنا كحركة نسائية نعمل إيه، نرشح أسماء للوزارة، نضغط في حاجات تكون في الدستور. كان فيه مجموعة شغالة بشكل كويس، الأداء عمومًا كان معقول لدرجة كبيرة، بس كان ممكن حاجات ثانية تتعمل، إحنا كنا متأخدين شوية.

أنا رأيي إن الثورة كان فيها نقلة للحركة النسائية المصرية، مش بس كم البنات اللي نزلوا، وكم الشباب اللي حتى وهما بيهرجوا "إحنا شباب الإنترنت، إحنا بتوع الواد والبيت" خاضوا معارك داخل الأسرة. البنات بالذات غير الأولاد، خاضوا معارك حقيقية إنهم ينزلوا الشوارع، ودي حاجة مش بسيطة.

بقينا حركة، تجمع قوى مختلفة، اللي هو مش مجموعة المنظمات المهتمة بقضايا المرأة، فنعمل تحالف المرأة، مجموعة 98، مجموعة 8 مارس، ولأ السيدا، لآ، إنتي بقى عليكي تتعامل مع قطاعات كبيرة، الأحزاب طرحت ده علينا وهي بتحاول تبنى برامجها.

يوم ما شوفت علم "المرأة الجديدة" في مظاهرة ضد التحرش، اللي هي "بنات مصر خط أحمر"، ومشيت في شوارع السيدة، كانت حاجة بتقول لو عرفنا نلقت ونشتبك مع كم الستات اللي هيقى وانا شديد. كان بالنسبة لي شيء رائع، إن الأدوات دي فتاحة، بس لمان وضحت لنا حاجة من ردود الفعل العنيفة علينا من إخواننا السلفيين أثناء مظاهرة 8 آذار/مارس 2011. أنا افكرت د. محمد السيد سعيد، في 2005 عملنا مؤتمر عن "أفاق وتحديات الحركة النسائية"، وهو كان قديم ورقة عن النساء والديمقراطية. وقال عليكم تحددوا عايزين أي ديمقراطية، لأن الديمقراطية الشعبية دي هتجيب لكم أكثر ناس معادين لحقوق المرأة، شوفي الكلام ده قاله سنة 2005. وده اللي حصل فعليًا في 2011، اللي جم¹² في برلمان 2016، عشان يقللوا سن الزواج، وفي برلمان 2020 يرجعوا الختان¹³. قضية الديموقراطية لغاية النهاردة الحركة النسائية لم تناقشها بشكل جيد. إحنا متأخدين في التفاصيل؛ الديمقراطية وكوتا المرأة، مش القضايا الكبرى، اللي لو غيرناها في واقع حياة النساء المصريات هتشد كل الحاجات، وفي تقديرى مقتنعة اقتناع كامل إننا لازم نعمل موضوع الأحوال الشخصية، هو ده اللي بيجبر، نفتح مناقشات، وهي حصلت بقوة في الستينات في مواجهة المؤسسات الدينية في ما يتعلق بتعدد الزوجات. لآ سمعت¹⁴ الأستاذ اللواء

رئيس الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، يقول إن مسح 2015 طلع التكلفة الاقتصادية للعنف [1.5 مليار جنيه]، عيني غرغرت دموع، لأن الحكومة بتقول الكلام اللي إحنا تبهدلنا عليه في 1995. لازم نفرح، آه فانت أكثر من عشرين سنة عشان ده يحصل، لكن ده سحر التراكم.

غير كده، اتصور إن فيه ردة سياسية حاصلة، وفي الحركة النسائية طبعا، لكن أعتقد إن الشيء الرئيسي إن الناس مش خاسمة قضايا معينة. إحنا مش جربين تدخل بقوة في موضوع فصل الدين عن الدولة مثلًا، وده لب الأحوال الشخصية، إذا كانت أوروبا تقدمت في حاجات فهما تقدموا لأن حركة النهضة بتاعتهم كانت في مواجهة هيمنة الكنيسة. ما لم تتجرأ الناس وتواجه ده وتقول زي ما حاصل في لبنان دلوقتي "غير طائفية". فيه مسيحيين في مواجهة بعض. بدليل إن الكنيسة قابلة أنها تخلي الستات تاخذ نصف ميراث الرجل، إنما مش قابلة بالطلاق، قابلة بشغل المسلمين في حاجات لأنه من مصالح النظام الذكوري. دي حاجات محتاجة تحليل نسوي يتعمل بقوة ووضوح. وزى لآ عملت المجموعة المغاربية، "مجموعة 1995"، اللي أصدروا كتاب "1000 إجراء ومقتضيات"، واللي هما طرحين فيه فكرة زواج المسلمة من غير المسلم، المساواة في الإرث، كله بناءً على مناقشات فكرية سياسية واجتماعية وفقهية. في مصر يقولوا متحطش شروط في عقد الزواج. طيب ما "القائمة" ووصل الأمانة اللي تحبس الرجل في خمس دقائق دي شروط؛ بس شروط بتستهيل، مش بتدي الست القوة، بتدي للعائلة، إنهم يرجعوا حقهم ثاني. أنا متيالي إحنا في مرحلة فارقة بالنسبة للحركة النسائية المصرية. في قضايا كثيرة كل ما تدخل فيها، كل ما توصلي لوضع الناس تلاقيهم اتلموا حواليك، ومينكلش. بتكلم عن الديمقراطية، ومش عارفين أي ديمقراطية، عايزين إيه بالطبط، عايزين مين ينظم بالطبط. لأن السياسة لما بتفصل عن العمل النسوي، والنسويات بتعاملوا سياسة ويس ده يكون خطر جدًا على الحركة. بمعنى لآ اختار مرشح بيعمل إيه، موقفه من المرأة إيه؟ أعمل ده وعيني على الستات، حبيبي هتعمل الحاجات دي للستات أويذك، مش هتعملها يبقى باي باي يا جنتل. اللي بيخلوا الستات مجرد هتيفات بترفض على أبواب اللجان بالتأكيد مش ده اللي هيعمل تحقق للمرأة.

جندرة

مثلًا، وأنا صغيرة بالتأكد كان فيه تأثير على كوني بنت، أخويا يلعب في الشارع سبع طوبات، وتريك تراك، وأنا منزلش. كان فيه فكرة إن أصحابي يجيوا أهلاً وسهلاً، بس أنا مروحش بيت فيه صبيان. رغم إن أبويا كان يشجعني أروح مسابقات في الجامعة الشعبية، أو مسابقة الطوايع في السفارة

12 تقصد النائب احمد خليفة، ممثل حزب "النور"، في مجلس النواب 2016 حين طالب بان يكون سن الزواج 15 عامًا، خلال مناقشة تعديل قانون الطفل

13 تقصد الزاوية اعراض ممثل الحزب نفسه في مجلس نواب 2020: احمد حمدي على العمومات المفروضة على جريمة الختان

14 أعلن المسح في 2019 <https://gate.ahram.org.eg/daily/2019/7/3/2798/5/News/203171> "الاصضاء" -الإحصاء" -1.5مليار-جنيه-تكلفة-العنف-

ضد-المرأة-سنويا.aspx

الأمريكية، لكن تجي تسافري لوحدهك، لأ.

رغم محاولاته اللي تبدو تقدمية زي إن عنده بنت يتباهى بها، لكن ممنوع علي حاجات كثيرة. أنا اندلعت. أبويا عمل معايا جهود كثيرة على المستوى الإنساني، كان راجل طريف، يقعد يحكي لنا حكاوي، ويقرا قصص بالإنجليزي ويترجمها ويمثلها. كان فيه علاقة كويسة، لكن كان فيه قمع من ناحية ثانية.

فترة السبعينات أبويا كان في الجزائر، أمي لقت نفسها في حركة الأمهات في السبعينات، وبالذات لما كنا في الحبس. طنط جونا أم هالة شكر الله، طنط أم عصام الشهاوي، كان فيه ستات كده جدعات. أمي ست بتقرأ وتكتب، ومفيش حاجة في حياتها قوية، لقت نفسها، وبقت رابحة جابة على وزارة الداخلية مع مجموعة الأمهات. فكرة إن الأكل يوصل لنا باستمرار، إنهم ينظموا مع بعضهم إن الزيارات تبقى مستمرة، ويكون عندنا أكل من أهاليها طول الوقت. جوابات من أهاليها طول الوقت، الزيارات طول الوقت عشان يجيبوا الأخبار، كانوا هايلىن. كانوا شجعان، يواجهوا ويروحوا يقابلوا وزير الداخلية إحنا عابزين نعرف أولادنا فين. كان فيه حركة أمهات قوية، وكانوا ستات أقوياء. جونا كانت أصلاً ست خرجت برّة وكانت في السفارة، وأم عصام الشهاوي ست بسيطة بس قوية.

أمي كانت سعيدة جداً يوم لما أخذت شهادة في احتفال بمناسبة 25 سنة على الحركة الطلابية في السبعينات. هي شهادة لكل الأمهات البارزات في الحركة. كذا أم اكرمت، والأمهات كانت سعيدات جداً. أمي مقعدت تتكلم بعدها إزاي إن دي كانت أباهم جميلة، بتاعة السبعينات. فاكهة أول مرة أبويا رجع فيها بعد الحركة، أول مرة ترد عليه، والراجل كان متاخذ، لأن هي كانت ست عادية جداً وطريفة وذكية، كانت تقول: "أنا اتخانق أنا وأبوكم ملكمش دعوة"، هو شايف إنها بوظنتا، وهي ردت عليه.

مثلاً هو طردني مرة من البيت، وقال لي: "مطرح ما كنتي ارجعي"، لأنني راجعة البيت وشعري ربحته دخان، وأنا كنت مش بدخن ساعتها على فكرة، لكن كنت بحضر اجتماعات وكل الناس بتدخن. ساعتها عائلتي كلها غلطته بما فيها عمي، لأنهم كانوا فخورين بنتهم.

الدراسات اللي عملناها علمتنا كثير عن الستات. مثلاً، لما عملنا بحث التفاوض حول الحقوق الإنجابية¹⁵ اكتشفنا إن الستات طول الوقت بتتفاوض، في ظل الشروط اللي هما عايشينها. في المجموعات البورية اتكلمنا على الدخلة

البلدي، اتقال الكلام العام، إنها لسه موجودة وغلط. لكن في المقابلات الفردية، كل واحدة عملت الدخلة البلدي اعتبرت إن دا كان إهانة شديدة لها، لكن لو الزمن عاد هاتعملها. نسأل: "طب ليه يا بنتي ما إنتي بتقولي إهانة؟" فتشرح "حتة الدم دي اللي هتسكتهم". هي موافقة تعمل الدخلة "عشان كل واحد يحط في بقه جزمة" لأنها لازم تنزل تشتغل، هي عاملة في محل هدم، وبتقعد لحد الساعة 10 و11 وترجع على البيت على 12. كده ... محدش يقدر يقولها متشتغلش. عايدة سيف الدولة، صاغت الحاجات بطريقة جميلة. الستات بتقايض إزاي؟ وليه؟ إحنا بنشوف الأمور أبيض وأسود، صح وغلط، لكن الواقع إن الستات بتتفاوض وتقايض طول الوقت. هي دي فكرة لما يقال إن الستات راضية تستمر في علاقات سيئة، أو إنها رجعت له. الست مش عابزة تطلق ولا تنفصل عن عيالها، هي عابزة حد يشد ودنه عشان يبطل يقرفها. إنك تبقي فاهمة الستات بتأخذ القرارات دي ليه، مش أصلها مش فاهمة، أو غبية، أو مش فاهمة ومش واعية، وعابزة توعية، لأ. كل واحد بيعمل اختياراته وهو فاهم، ويحدددها. إنتي مهمتك مش تقول لها اختاري الصح، مهمتك إنك تساعدتها على إنها تختار أكثر ما يناسبها هي شخصياً.

المستقبل

فيه جيل بينفرض، شئنا أم أينا، سواء إحنا أو الحكام. وفيه جيل جديد شاب طالع بطرق مختلفة. منطقتنا منطقة عصبية، كمية الديكتاتورية اللي فيها غير عادية، بس ثورة 2011 خلتنى افتح عيني، بالنسبة لي الموضوع هو الشباب. تجربة الأحزاب اللي تمت للأسف إنه كم المناضلين القدام اللي المفروض يقعدوا ويستريحوا بدل من ترؤسهم أحزاب، بيسيوا الشباب، مش ينافسوا الشباب. كلهم زي النظام الحاكم أسفة يعني، الشباب حلوين وعابزين شباب، بس إحنا برضه اللي هاناخذ مراكز القيادة.

علينا أننا نبقي متواضعين قوي وإحنا بنقول للشباب دول حاجة، ونفتح ودانا كويس قوي للي هما يقولوه، ونحاول نسمعهم ونتعلم منهم. آلياتهم في الشغل والمناقشة، "توبت ندوة" لما اخترعوها، تتكلم 140 ثانية. قد إيه كانت ديموقراطية مقارنة بالمكلمات بتاعتنا، اللي بيعرف يتكلم خنخوري يتكلم كثير، والتانيين يقولوا كلمتين وبس. لأ، كان فيه شيء ديمقراطي، وإحنا علينا نتعلم.

15 "Women's wit over men's" Aida Seif El-Dawla, Amal Abdel Hadi and Nadia Abdel Wahab. In, Negotiating Reproductive rights: Experiences from seven countries. Rosalind Petchesky and Karen Judd (ed.), Zed Books. 1998.

أمانى الطويل: المجتمع في خطر

الصحافية والباحثة أمانى الطويل من مواليد 1959، في محافظة الإسكندرية. وهي خيرة في الشؤون الإفريقية في مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، وتخرجت في قسم التاريخ في كلية الآداب جامعة الإسكندرية في 1981.

لمحت أمانى تظاهرات انتفاضة الخبز من سور مدرستها "نبوة موسى الثانوية"، وإن سبق تعلق قلبها بالعدالة الاجتماعية من قبل تحمسها لتلك التظاهرات. شاركت في أواخر نشاط منظمة الشباب، وحين التحقت بالجامعة كان ذلك بعد فتور الحراك الطلابي وسيطرة الإسلاميين على المشهد.

لم تلتحق أمانى بالعمل الحزبي، وعملت بالصحافة، وحصلت على الدكتوراه عن العلاقات المصرية السودانية. صدرت لها مؤلفات عدة، منها كتاب عن المدامين وعلاقتهم بالسياسة كان في الأصل موضوع رسالتها للحصول على الماجستير.

هذه الشهادة، اعتمدت على مقابلة أجرتها عالية مرسى في 5 آب/أغسطس 2020.

فيلسوفة صغيرة

أنا ست مصرية عادية، حاولت تعمل قدر من التغيير على قدر ما قدرت حولها، لكن رؤيتي لنفسى، إنى إنسانة عادية جدًا، كان عندها حلم إن العالم اللي حولها يتغير شوية، ويكون أفضل للأجيال بعدها.

أنا مواليد 1959 البيت الكبيرة من أربع بنات، في أسرة مُصنفة إنها الشريحة الوسطى في الطبقة المتوسطة. أبويا كان موظف، وأمي ست بيت، نشأت في الإسكندرية، كنا في منطقة يطلق عليها راقية، كان فيها أجنب، جبراني والناس اللي ساهموا في تربيتي مع أُمى ناس من جنسيات فرنسية وإيطالية متوسطة. نشأت في بيئة إلى حد كبير منفتحة، مختلطة، مش أحادية المنظور ساهمت في تربيتي والقصاص الأولى في طفولتي يمكن لحد عشر سنين.

نمط فسخي، واحتكاكي بالعالم، أسر أجنبية كانت عايشة معانا وجبرانا في العمارة في الإسكندرية. ساهم دا في

نمو وعيى إن العالم مش حد واحد، مش منظور واحد، مش حاجة واحدة.

في حاجتين إيجابيتين في نشأتي، أُمى مش عارضة هي كانت تقصد ولا متقصده، لكن هي رغم إننا بنات، كانت فاتحة قدامنا مجالات واسعة من التفاعل الاجتماعي. هي الفكرة دور أُمى في الموضوع، إنى الحقيقة ما عشتش حياة مقفولة، مش معنى كده إنها كانت حياة منحرفة، لكن حياة مفتوحة. إحنا بنقابل أقاربنا، بنقابل ناس، هي الحقيقة أنقذتنا إحنا الأربعة من فكرة الختان، رغم إن أبويا كان عايز يختننا، لكن هي رفضت وهو استجاب لها، مكش فيه معركة، هو كان شايف إنها فكرة متداولة، ولما هي رفضت مشي الحال.

أُمى كانت معتمدة على إنها تعمل علاقة صداقة معانا، وإحنا بنحكي لها.

والدي كان يقول عليّ "فيلسوفة الغيرة"، كان يقصد إن عندي تعليقات نقدية على كل السلوكيات اللي حوالتي، مش بسلم عقلي لحد. وأنا صغيرة كنت دائماً أقيم سلوكيات أبويا تجاه أُمى، أدخل كحماة سلام في حالة الخلاف. نظروا إليّ في العائلة على أنني بني أدمه عاقلة، أحياناً كان يؤخذ رأيي، سواء من أقراني أو من الكبار.

مكتبة ابن الخالة

فاكرة حادثة غريبة شوية، كنت راكية الأتوبيس مع أُمى، كل جمعة كنا بنروح من بيتنا لبيت خالتي الكبيرة، وهناك يتجمع كل الأخوات وعيالهم، وأنا عندي تقريباً 8 سنين أو 9 سنين مش فاكدة، كنت راكية الأتوبيس مع أُمى، والراجل الكمسري جه قال لي: "ياه هو أنت بتقرأى هيكل؟!". القراءة كانت واجب يومي، كان واجب كل أسبوع إننا كان بيجي لنا "الأهرام".

ابن خالتي، كان عامل استثنائي في طفولتي، بيني وبينه ست سنين. وهذا الشخص كان يلّم عيال العائلة كل يوم جمعة وياخذهم حفلات سينما مترو الساعة ستة، ويعمل لهم لعب كرتون. وكان عنده مكتبة عامرة، أمّا أهلي -أُمى وأبويا- مكش عندهم مكتبة، الثقافة مكشش متداولة عندهم، كان يجي لنا الجرنال كل يوم، كان فيه قرآن في البيت، لكن غير كده مفيش حاجة ثانية.

لما خلصت مرحلة لعب الكرتون، وسينما ميكى ماوس مع أقراني، بنات خالتي التانيين، بدأت قراءة من مكتبة ابن خالتي، بدأت بأحمد لطفي السيد وثروت أباطة، ونقلت على طه حسين زي "المعذبون في الأرض"، وعباس

محمود العقاد، ولمّا بقى عندي 14 سنة قرأت إحسان عبد القدوس، ابن خالتي كان متدين نسبياً، وكان فيه حوار ثقافي بيني وبينه، لأنني الوحيدة اللي في أولاد العائلة اللي لقطت فكرة القراءة والثقافة. وكنت متابعة للشأن العام، وكل لَمّا الدنيا تفتح معاها بتتسع الزاوية. بعد كده وبدأت أقرأ في القصة دي، قرأت أدب روسي.

عبد الناصر في الحلم

في ستة ابتدائي، صحبت يوم وكنت رايدة المدرسة، لكن بابا قال لي "مفيش مدرسة عبد الناصر مات". فافكرة الجنازة، الناس كانت يتلطم إزاي في الشوارع، إزاي المواصلات انقطعت، دي حاجة كانت في وعيي وكانت مبهرة. الناس حزينة على الراحل، كنت بحبه، وزعلانة إن أختي لمست إيدته مرة في احتفالات 23 تمّوز/يوليو، كان يمشي في الشوارع ويمد إيدته للناس، أنا زعلت جداً إن دا حصل وحلمت إن عبد الناصر وقف بعربية مكشوفة ونزل، إحنا سلامل بيتنا كانت رخام أبيض كان عليها سجادة حمراء، وإن أنا نزلت بفستان أبيض قصير وتوكة، أنا فافكرة التوكة كنا زمان بنليس توكة بورد كده، بيضة سورتيت، وجريت على السلم، وهو لقطني، خدني وحضني.

في إعدادي كنت أنجذب للمدرسة اللي بتقول محتوى غير تعليمي. مثلاً مدرسة العلوم الاجتماعية، أبلة سوسن، علمتنا يعني إيه تحيي العلم، وإن التبية دي حاجة مقدسة لأن دي بلدك. القيم المحترمة اللي كان ممكن أي مدرسة أو مدرسات في الوقت دا تنقلها، إنعكست إن كان لى نشاط في الإذاعة المدرسية، كنت بقول مجربات حرب 1973 في الإذاعة المدرسية.

بعد كده لمّا دخلت مدرسة "نبوية موسى الثانوية" حصلت حاجة استثنائية شوية، في سنة تانية جا لنا وفد في المدرسة، اثنين من منتسبي منظمة الشباب، كلمونا عن المنظمة وهدفها، ومشروع الطلاب، لكن الناظرة رفضت إن يكون فيه لجنة من منظمة الشباب في المدرسة. الشابين اللي كانوا في الجامعة وقتها- لقطوني وتأمروا على ناظرة المدرسة وعملنا لجنة لمنظمة الشباب. بعدين أنخرطت في محيط منظمة الشباب اللي كان لها طابع اجتماعي وقتها، يعني تخدمى الحي اللي إنتي فيه، نطلع لكنس المناطق العشوائية، نزور الناس في المستشفيات في العيد، ونعمل الأنشطة الاجتماعية. في الوقت دا كان فيه شباب أكبر مني، وشباب مسيسين، وبدأت تتطرح فكرة المنابر والأحزاب، بدأ بين هؤلاء المسيسين والشباب يحصل نقاش سياسي، وكنت بسمعه، لكن مكنتش جزء منه لأنني مش عضوة في حزب، ولا عندي أيديولوجية، لفتت نظري جداً فكرة العدالة الاجتماعية من منظور شخصي. كنت حاسة

إنني متأثرة بيها، لأن كان عندي ربو، وعلاجي كان مكلف، وكان يتقل كاهل أبويا، فافكرة إن كان فيه دواء باخده بثلاثة جنيه ونص وبحتاج 3 علب في الشهر، كانت بتتعمل مباحثات في البيت عشان يجيبوا الدواء، دا، معرفش مرتب أبويا كان كام، بس متأكدة بمعرفتي بعد كده إنه ممكن لا يتجاوز 30 جنيه، الدواء كان يتقل كاهل أبويا تماماً. وكان عندي زميلة في الفصل عندها ربو زيني، بس هي ماتت لأن أهلها كانوا فقراء قوي، ومقدروش يوفروا لها الدواء. دي حاجات رسخت في ذهني معنى الفقر، إن الفقر دا ممكن يعمل إيه في حياة البشر، والفقر بيتعالج بحاجة اسمها العدالة الاجتماعية. خلال معسكرات منظمة الشباب في أبو قير، كان بيحصل نقاش سياسي عن العدالة الاجتماعية.

وعلى سيرة العدالة الاجتماعية، أنا مشاركتش في مظاهرات يناير 1977، لكن بصّيت عليها من سور المدرسة وتعاطفت معاها. فافكرة إن الناظرة قفلت علينا الأبواب، وقعدتنا لغاية الساعة 5 أو 6.

لمّا دخلت الجامعة في 1977، كانت هجمة الجماعات الإسلامية بدأت، دخلت قسم تاريخ في آداب الإسكندرية 1977، وهما يدخلوا على الم درجات بالجنابزير، يفصلوا البنات عن الأولاد. خدت موقف الضد لأنني مكنتش منازة لفكرة الفصل بين الأولاد والبنات، لأنني منشأتش على كده، محدش قال لي متكلميش ابن خالتك لأنه ولد، كنت بسهر معاه بليل، وهما كلهم نايمين، نقعد نتكلم للساعة 11 أو 12 وندخل ننام، محدش قال لي إن فيه كائن اسمه ولد المفروض منقربش منه، ولا فكرة عفاف البنت. أمي مثلاً كانت تتكلم إننا ناخذ بالناء، لكن مكنتش فيه خطاب إن فيه كائنات محرمة.

الندية مع الرجل واكتشاف متأخر للذكورية

حياتي كانت فيها الشروط اللي أنا عايزاها، الندية، والاحترام، وإنني حرة، إن الشخص اللي بيشاركتني الحياة، يكون قارئ ويفهم في السياسية، ممكن الحوار معاه، هو شخص يعترف إنه ند لى وأنا ند له، شخص لا يقمعي كامراً. مكنتش مقبولة لى فكرة إن حد يقمعي، مش إنحياز نسوي أو فكر نسوي، لكن إعتزاز بنفسي. جزء من طبيعة تربيتي، ومن نمط الحياة اللي بتعيشها أسرتي في الإسكندرية كمناف اجتماعي وثقافي. تعرفت على ناس أكبر مني كان عندهم اهتمامات ثقافية، إنهم يروحوا الأوبرا، أو حفلات سيد درويش، وكنا نروح مع بعض، كانوا يوصلوني لحد البيت الساعة 12. عندي حياة من النوع دا، لدرجة إنني فافكرة لمّا جيت القاهرة ارتبطت بحد والتقيت معاه إننا هنتجوز قال لي: "متروحيش لصديقك البيت"، والصديق دا كان طبيب أسنان وكنت بروح معاه الأوبرا في

إطار مجموعة، وكنت بروح له البيت ومأمته موجودة، وفُلت له شوف أنت هتتزوجني زي ما أنا كده، عايزني زي ما أنا كده أهلاً وسهلاً، مش عايزني يبقى ننفضل.

وفي شباط/فبراير 1981، تعرفت على الشخص اللي سيكون زوجي، وتخرجت في نفس السنة، وكتبنا كتابنا في 1982، وتزوجنا في 1983 زواج مش تقليدي، من غير شبكة، ولا مهر، ولا الكلام دا، وأهله قدموا له مساعدة محدودة، قدرنا نجيب بها شقة صغيرة. أهلي ساعدونا إن الشقة تيجي عن طريق معارف. عيشنا حياة إلى حد ما معقولة، المساعدات من أهلي وأهله كانت محدودة. اعتمدنا على نفسنا بشكل كامل، أنا فاكدة كويس قوي من يوم ما كتب الكتاب لحد لما تزوجنا تكلفنا ست آلاف جنيه بمعايير وقتها، بما فيه فستان فرجي، وبدلته، لأنني عملت فستان لكتب الكتاب، وعملت له تأييف للفرج، وعملت الكوافير والمكياج لنفسني، وربكت الطرحة لنفسني عشان أوفر.

كنا شباب في بداية الحياة، أنا كان عندي 22 سنة، وهو أكبر مني بسنة، صغيرين قوي على إننا نتزوج. كان كل أصدقائنا بيتزوجوا بالطريقة دي، إنهم يعتمدوا على أنفسهم. وقتها مكنش عندي مشروع مهني، أو عملي واضح. كنت بحب زوجي، وكنت متفانية في البيت، وفي إنني أعيش بأقل التكاليف، إنني أوفر. هو اشتغل في المركز القومي للبحوث، وأنا قبل الزواج اشتغلت سكرتيرة في الإسكندرية في مصنع نسيج، وجيت كملت في القاهرة في نفس الشركة، بس في مكتب مش في مصنع. بعد 3 شهور مقدرتش أكمل لأنني حملت، وجبت ابني الأول. مكنتش أعرف شغل البيت ولا الطبخ، ولا دا يتشرى منين، ومعرفش إن اللحمة بتتباع في أيام معينة، وإن الذبح يكون في أيام معينة.

زوجي كان عنده مشروع للحياة مبلور الملامح، أنا مكنش عندي الحقيقة. ومرة بقول له تعالى نف في الجمعية، قال لي: "لا أنا مقفش في جمعيات، أنا مضيعش وقتي، إحنا ظروفنا هتتحسن لأننا هنطور نفسنا، هنشتغل عليها ونطورها. أنا هعمل ماجستير ودكتوراه، وأنت تعملي ماجستير ودكتوراه، إحنا هبقى ناس كويسة، مش هحتاج نعمل الحاجات دي لأن دي مضيعة للوقت".

اجتماعياً، كنا منخرطين في الحياة الاجتماعية بتاعه المسيسين، وفي عيد ميلاد ابني الأول بييجي الشيخ إمام، أصدقائنا شعراء وكُتاب وأدباء.

كنت أقول لزوجي إنني عايزة اشتغل شغل منتظم، أروح مؤسسة صحفية لأن كل معارفنا في المجال دا، فيقول لي هتبهدي نفسك، هتروحي مش عارفة هتعملي إيه، هيطمعوا فيكي، كلام بهذا الشكل. هو دائماً كان بيعمل

نوع من أنواع الحماية ليّ، بمنظور أبوي ربما، اللي أدركته بعد كده، لكن هو في النهاية ما كنش عايزني اتبهدل، هو كان خريح إعلام، وعنده فكرة كويسة عن الصحافة، وعلمني. بعدين اشتغلت من منازلهم، أعمل موضوعات لصحف عربية، ويجي فلوس عليها. لكن أنا طول الوقت قاعدة في البيت، أعمل موضوع، أو أروح أقابل صلاح جاهين وارجع وابعت الموضوع مع حد، مرة في الأسبوع أنزل، بس النهاية معظم الوقت كنت في البيت، وبشتغل على الماجستير، وارتي الولد.

وفي 1984، اتعينت في هيئة الاستعلامات، تعيين القوى العاملة، ربما تكون آخر دفعة اتعينت في القوى العاملة. كنت متعينة في قسم اسمه قسم نشره الجرائد العالمية. كنت بروح بليل، أصحى الصبح أعمل مهام البيت المنزلية، وأقعد مع ابني، وبعدين أنزل الساعة 6، يكون جاء زوجي من الشغل يلاقي الأكل سخن على السفرة متغطي، عشان يأكل وينام ويقوم، يقعد مع الولد لحد لما آجي بليل الساعة عشرة. يكون الولد نام، وجوزي بدأ شغل على الماجستير بتاعه.

في "الاستعلامات"، كنت بشتغل في جريدة الجرائد العالمية اللي هي كانت معنية إنها تطلع أخبار عن الرئيس أو رئيس مجلس الشعب، وما يقال عن مصر في الجرائد العالمية. ربما دا فتح مداركي لفكرة العالم وكيف ينظر إلى مصر، وأعتقد إن دا جزء من الخبرة المهنية اللي مش وحشة قوي. اشتغلت كده سنتين.

ولما الولد بقى عنده ست سنين خلصت الماجستير، وكان عندي 30 سنة. كان عن الدور السياسي للمحاميين، (وبعدين طلع كتاب² في دار "الشروق"). وفكرت هعمل إيه في حياتي، أنا مش هتطور، ومش بضيف لنفسني حاجة، وكده القصة مش نافعة. وحماية جوزي ليّ دي خصم مني، مش إضافة ليّ، وبتمنعني عن الاحتكاك بالحياة والتجربة. وبعدها أخذت إجازة بدون مرتب من الهيئة، وروحت اشتغلت في "العالم اليوم"، وبعد كده في "العربي" واخدت منها عضوية نقابة الصحفيين وأنا عندي 36 سنة، وسجلت الدكتوراه بتاعتي، وانخرطت في فكرة الاهتمام بالعلاقات المصرية الإفريقية من البوابة السودانية، ومجريات السياسية في مصر، إلى أي مدى تليبي المطلب الأساسي بتاعي اللي هو العدالة الاجتماعية. مثلاً لما رحلت أعمل عضوية في الحزب الناصري، لقيت حالة تنافسية وصراعية، تعاليت عليها الحقيقة ورجعت، لأن الناس بتتحرك عشان مصلحة حزبية، مش عشان فكرة مجردة.

واشتبكت مع المجال العام لانشغالي بفكرة تغيير العالم

2 المحامون بين المهنة والسياسة... دراسة في تاريخ النخبة المصرية، 2007

للأفضل، إننا محتاجين إن مصر تبقى أحسن، محتاجين فكرة العدالة الاجتماعية. كنت فاهمة ومدركة إن النساء بالتحديد دورهم وموقفهم حساس، بمعنى إنك عشان تنجحي في عملية تغيير مينفعش تفصلي عن الواقع. وبالتالي كنت لا بلبس قصير، ولا بدخن، عندي تحفظ على السلوك الاجتماعي اللي بيقلولوا عليه "تحرر"، يعتبر نفسي ست تقليدية. مثلاً أنا مؤمنة إن عشان تغيري أي مجتمع لازم تنخرطي بتقاليد عشان تغيريه، لكن ما تجيش كائن من الفضاء بسلوكيات غريبة عليه عشان تغيري فيه.

مرة حضرت مؤتمر لنوال السعداوي في الجامعة العربية، كان من ضمن محاور المؤتمر الدعوة لزواج مدني. جات نوال بتطرح فكرة الزواج المدني، ربما أنا دلوقتي مع الزواج المدني، لكن وقتها جادلت وقلت لها فتكري لو طلعتا محطة الأنوبيس اللي قدام المبنى دا وقولنا للناس إحنا عايزين الزواج المدني دا هيقى حاجة مهمة بالنسبة لهم. هل شكل الزواج هو المهم، ولا محتواه، وحقوق الست فيه، وطريقة حياتها فيه هي الأهم، جادلت نوال في دا، ونُشر كلامي في روز اليوسف، بس قالوا فتاة غاضبة، حاجة كده، وقتها كنت صغيرة ولسه جاية القاهرة، كنت حادة جداً في طريقة تعييري عن وجهات نظري.

كوني ست حظ عليّ تحديات أكبر، لأن طول الوقت الصورة النمطية اللي متاخدة عن الست إنها هتهرب من التحدي والصعوبة والصورة النمطية. الست عليها تحديات أكبر إنها تثبت جدارتها، ودا في حد ذاته تحدي. كنت يقوم بأدوار متعددة، إنني أذاكر، متزوجة، برتي ابني، وبيتي، وعندي عمل عام، وعندي كتابة. كنت بصحن الساعة خمسة الصبح، بنام أربع ساعات، بعمل خطة ليومي، للأسبوعي، ولشهر. عندي هدف وإحساس عالي جداً بالوقت. اليوم اللي مش بنجز فيه، بحس إنني محبطة، لازم أحس إنني أنجزت من أي نوع.

لكن لاحظت مثلاً إن مكنش عندي خبرة مناسبة في إدراك التكوين الذكوري، لم تثقل لي أي خبرات، لكني اتغيرت دلوقتي شوية، بقيت مدركة إن التكوين الذكوري دا تكوين مختلف، وإنه مش مبدئي ودوافعه في الحياة مختلفة شوية عن النساء، أو مختلفة شوية عني.

أنا اعتبر نفسي برضو، أو الناس بتقول عليّ كده إنني تقليدية زيادة عن اللزوم، على الرغم من إنني ست منفصلة، لا أنخرط في علاقات غير رسمية، محبش، دا طبعي، أنا في وضع يتيح لي إنني أعرف على ناس وأرواح وأجي، لكن أنا مش بعمل دا. يمكن دا تكويني، بس أنا دلوقتي بقيت أكثر إدراكاً للتكوين الذكوري، وطبيعة التوجهات، والمؤثرات اللي عليه.

بالنسبة لوضع المرأة عموماً، شايقة إن فكرة الندية والمساواة أصبحت أكثر تجذراً، ومحاربة الختان كانت معركة معقولة، حققت إنجاز معقول. لكن شايقة إن الحركة النسوية نخوية، مقدرش أقول إنها قدرت تكوّن قواعد اجتماعية في المجتمع حاملة لأفكارها. هي حركة مفتقدة للآليات المناسبة لها، وظلت محصورة في المدن، ومفاهيمها شبه غائبة. وشايقة إن الحركة النسوية في مصر افتقدت الآليات الواقعية وخصوصاً عندنا نسبة أمية عالية.

لو الحركة النسوية انخرطت مثلاً في عملية تغيير اجتماعي بطيء ربما كان ممكن تساهم في تحسين حالة الناس. كان عندي موقف من التمويل الأجنبي، أنا شايقة إنه أقعد اليسار عافيته. كواد اليسار انخرطت في مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني، وانخرطت على أجنات في تصوّري محتاجة ترتيب لتتطابق مع الظروف المصرية. ربما دا اللي خلاني بعيدة عن المنظمات النسوية ومنظمات حقوق الإنسان، مع موافقتي على المحتوى، لكن ممكن لو الناس دي انخرطت أكثر في فكرة تحفيز التمويل الوطني ربما كانت النتائج تبقى أفضل. في مسؤولية على النظام السياسي، مقدرش أنكرها، اللي شيطن إلى حد كبير الحركات الحقوقية.

لكن النساء المصريات، بلا مرجعيات نظرية فكرية من الحركة النسوية، أثبتوا جدارة.

في انتخابات مجلس النواب الأخيرة، لأول مرة في التاريخ المصري فيه 19 ست³ انتخبت على المقاعد الفردية، دا إنجاز. أيّا كانت توجهات هذه الستات، فهي خاضت معارك الانتخابات. أنا فاكدة إن الانتخابات اللي قبلها كنا بتتكلم في فكرة إن الست اللي بتنزل على المقاعد الفردية بتنافس راجل بيتم انتهالها على المستوى الشخصي، وحياتها الشخصية، يتم التعرض لسمعتها. الستات في المعركة دي احتملوا دا وواجهوه. يعتبر دا إنجاز للستات المصريات. فيه إرادة نسبية لتمكين النساء نسبياً بعد 2013 دا بسبب الدور اللي الستات لعبته ضد الإخوان المسلمين. عايزة أقول إن التشكيل النسوي بشكل عام في دول العالم الثالث، هو ضد الفكر الديني، دا كان واضح جداً في السودان ومصر. لأن الستات بتحس بالتهديد دا في لقمة العيش، وإن الفكر الديني دا هيتدخل في حياتنا الشخصية، بالتالي أنماط حياتنا هتختلف، نفس الأنماط لكن الأنماط المهنية، يعني مش هتبقى حرة إنك تشغلي بحرية، وتروحي وتيجي، وتجنّي المال، وترتي

3 في مجلس النواب 2020 بلغ عدد النائبات المنتخبات 148، منهن ست سدات حصلن على مقاعدهن عبر نظام الانتخاب الفردي

البنية التحتية وكذا، لكن عندنا مؤشرات أخرى، أنا بسميها انهيار اجتماعي، المجتمع أصبح يتوحش، ينشوف دا إن الناس القادرين مادّيًا يمارسوا عمليات اغتصاب⁷ غير مبررة، فيه عنف مرعب جدًا، وفساد هائل جدًا. الدولة بتقول إنها بتحارب الفساد، لكن شايقة إن الآليات مش صحيحة لمحاربة الفساد بشكل كبير. بالتالي مقدرش أتوقع المستقبل، نتيجة العنف المجتمعي، والفقر، والتفاعلات الاجتماعية المحترقة، ولا يمكن التعويل عليها في المطلق على الضغوط الخارجية أو التفاعلات الخارجية السلبية، في أنها تكون شرط لاستمرار داخلي هادئ مش بالضرورة. بالتالي نحن أمام سيناريوهات مفتوحة.

عبالك. خصوصًا إننا عندنا نسبة كبيرة دلوقتى من الأسر تعولها النساء. في سنة الإخوان حصل حاجتين مزعجين جدًا، واحد وأنا على باب "الأهرام" وأنا ست تقليدية مش متبرجة بالمعنى المتحرر، بلبس كلاسيك، بلوزة تحت البدلة، فيه راجل قالى: "عطى صدرك يا مرة!" وأنا صدري مش مفتوح أساسًا، رقبتي اللي باينة. النساء والمسيحيين مثلاً بيعسوا بتهديد لنمط حياتهم، ودا الحقيقة كان أحد الدوافع اللي حركت الناس. مثلاً 2011 كانت لحظة حتمية، لأننا كنا قدام نظام بشيخ، لكن بالتأكيد كل الأطراف استغلته. الطرف الوحيد الذي لم يستطع أن يوظفها، هما الشباب اللي آمن بـ 2011 لأن مكش عندهم خبرة، وكانوا رافضين للخبرة. كانوا متصورين إن إسقاط النظام خطوة كافية لبناء نظام جديد، ودا اتضح إنه مش حقيقى ومش واقعي. وكان فيه تنظيم جاهز، ومن المعلومات اللي الواحد حصل عليها بشكل شخصي، إن واحد زي هشام قنديل رئيس وزراء حكومة الإخوان، دا كان بيشتغل في بنك التنمية الإفريقي، واستقال من شغله يوم 28 يناير 2011. وفكرة التغيير كانت بتواجه دولة، ولا يمكن إنكار وجود فعل خارجي، كان له أجنحة. كانت الدولة تفهم هذا، وكان الإخوان يفهمون هذا، والطرف الذي لم يكن يفهم هذا هو أصحاب الرغبة في التغيير اللي كان عندهم مشروع كان أقرب إلى الحلم وليس للحقيقة.

حاليًا فيه عامل خارجي ضاغط، والعامل الخارجي دا مرتبط بفوضى الإقليم، وفاجعة لبنان هي في لحظاته الأخيرة. فيه فوضى كبيرة جدًا، فيه سيولة في النظام الدولي. باختصار مفيش حد يقود العالم، بالتالي فيه لحظة سيولة هائلة. اللي عايز يحقق مصلحته بيحققها بفتونة مش بحاجة ثانية، زي ما بتعمل إثيوبيا دلوقتى. النظام العربى تآكل، بالتالي كل المنطقة معرضة لانهيارات، وهي تواجه إنهيارات بالفعل، ودا مؤثر جدًا على التفاعلات الداخلية، لا يمكن إنكاره. إحنا عايشين في دولة تعبد فكرة مؤسسة الدولة، مؤسسة الدولة فكرة صحيحة جدًا، وأنا مع الحفاظ عليها، لكن دا لا يعني التكلس أو التخلي عن المجتمع، وعن قدرة المجتمع في الفعل. اللي حاصل في اللحظة الراهنة إن المؤسسات العسكرية والأمنية هي التي تقود الفعل. وهي مدفوعة بطبيعة التحديات الخارجية، وتستخدمها أيضًا لتحجيم دور المجتمع. هذه المعادلة الحقيقة مش في مصلحة مصر، مش في مصلحة التقدم. بالرغم إننا عندنا مؤشرات التقدم في مصر في

4 نظام الرئيس حسنى مبارك

5 تقصد جماعة الإخوان المسلمين

6 شكل الحكومة المصرية وترأسها في الفترة من تموز/يوليو 2012 حتى حزيران/يونيو 2013.

7 تقصد حادثه اغتصاب مائة في فندق القرمونى التى جرت فى 2014، ولم يعلن عنها إلا فى 2020، ثم جعفت النيابة العامة فى الحادثه.

أمنية النقاش: حرة زي الرجل

ترتبت أمينة النقاش في بيت مشغول بالشأن العام، والثقافة أيضاً. في مرحلة التعليم الثانوي ضغط عليها أشقاؤها لتدخل شعبة "علمي"، بخاصة أن أكبرهم هو الناقد الأدبي رجا، النقاش، استجابت أمينة، ثم أعادت السنة في "أدبي"، ثم كان أول شغلها في الصحافة عن الحركة الطلابية، ليستمر انشغالها بالعمل العام، والحزبي تحديداً، فهي لا تزال تكتب وتشغل منصب عضوة المكتب السياسي لحزب "التجمع". تعتبر أمينة أن رحلتها كانت شاقة، لكنها لا تخلو من متع، ولنقرأ محطات تلك الرحلة في الشهادة التالية التي اعتمدت على مقابلة أجرتها عالية مرسى في 22 كانون الثاني/يناير 2021.

الشأن العام حديث يومي

أنا من مواليد، 9 تمّوز/يوليو 1948. صحافية وكاتبة وسياسية، عضو المكتب السياسي لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، والمتحدث الرسمي باسمه، ورئيس مجلس إدارة صحيفة الأهالي الناطقة باسم حزب التجمع. نشأت في أسرة كبيرة العدد، كنا 8 أخوات، بنتين وست أولاد. والدي كان مدرس إلزامي، والدتي كانت ربة منزل لا تقرأ ولا تكتب، لكن أبي، عبد المؤمن النقاش، كان شاعراً، ويكتب وينشر أحياناً في مجلة اسمها "الرتاء" ونحن في منية سمندو¹ قرية صغيرة في محافظة الدقهلية.

والدي كان مثقفاً كبيراً، ينتمي لجيل مهم في التاريخ المصري وهو المعلمين الإلزاميين، اللي لعب دور معرفي مهم جداً في نقل الثقافة من قلب العاصمة القاهرة إلى أطراف الريف والصعيد، وما إلى ذلك، لأنه كان يقرأ، ويطلع على الكتب وكان يشوف إيه الجديد في إصداراتها. بالتالي نتيجة لدوره كمدرس إلزامي الريف عرف العقاد وطه حسين، والجبرتي، والمقريزي، ونجيب محفوظ. كان والدي كل أسبوع يعقد ندوة على المصطبة أمام المنزل البسيط اللي كنا نعيش به، لغاية لما انتقلنا إلى القاهرة في 1950. أبويا كان وفدي، أحب سعد زغلول ومصطفى النحاس، لأن كان عنده تقريباً سبع سنين في 1919. ولما قامت الثورة، كان رأييه إنها حلقة من حلقات التحرر الوطني المصرية، تستكمل مسيرة الوفد. وشارك

في جنازة مصطفى النحاس، وشارك في جنازة جمال عبد الناصر. الشأن العام كان حديث يومي عندنا في البيت.

شغل مبكر

إننا أسرة تنتمي إلى الطبقة المتوسطة الدنيا الفقيرة، لا كان عندنا أرض، ولا موارد للرزق، سوى عمل الوالد. بالتالي كلنا كنا بنشتغل أثناء الدراسة لكي نكمل تعليمنا. أمنا كانت مُصرّة إننا نتعلم، البنات بالذات، أنا وفريدة بالذات، لأن جم في فترة قالوا إن البنت الصغيرة -اللي هو أنا- تمعد في البيت عشان تراعى أمها العيانة، ومش ضروري كلنا نتعلم، اللي أصرت على تعليمي هي أمي، ووالدي طبغا. قعدت في البيت سنة، دخلت الدراسة متأخرة سنة، لكن لما كنت في أولى ثانوي كنت بشتغل. روجت اشتغلت في مكتبة عشان أقدر أوفر فلوس دراستي على الأقل. لكن مكنتش لوحدي كده، كل اخواتي يعملوا كده لكي نكمل الدراسة. طلعنا في بيت بيعتير الثقافة هي الثروة الحقيقية للإنسان، إن المعرفة قوة، الانتماء لقيم غليا رسخها فينا أبونا المتدين الوسطي، الشاعر، المثقف، اللي يحب أم كلثوم، ويسمع الشيخ رفعت، ويروح يشارك جيراننا المسيحيين في أعيادهم، طلعنا في هذا الجو.

مكنتش عندنا أي نواصص إننا كنا قادرين نواجه مصاعب الحياة اللي هي تترتب على قلة الإمكانيات. لما جيت أدخل الثانوية العامة، أخواتي تكانتلوا عليّ وقالوا: "لازم تدخل علمي"، وأنا مش بحب علمي، مش عايزة أدخل علمي يا جماعة مش بحبه، "لأننا عابزين دكتور، عابزين مهندس، مش كلنا هنطلع بنوع ثقافة". دخلت بالإكراه غصب عني، جيت مجموع زي الزفت في الثانوية العامة، بعدين أخي الكبير رجا النقاش لقاني متأزمة جداً، وقلت له هعيد الثانوية العامة في أدبي ومحدث له دعوة بيّ، نصحني أقدم في أكاديمية الفنون كان فيها ديكور وتمثيل وأدب مسرح، قدمت في أدب مسرح ودرست من 1968 لغاية 1971 وطلعت الأولى على الدفعة، وتم رفض تعييني في الأكاديمية، (بعد سنوات عرفت من لطيفة الزيات، اللي كانت رئيسة الأكاديمية وقت دراستي، إنها خافت تجيبني أحسن يقولوا عليها إنها بتجيب اليساريات معاه).

وكمّلت دراستي العليا في هذه الأكاديمية، ظل عندي حلم لم يتحقق هو إنني خربت من إنني أدرس علم اجتماع وأدب إنجليزي، لكني لم أتخلّ عن هذه الأمنية. لما طلعت على المعاش من حوالي عشر سنين، رحت قدمت في الجامعة في التعليم المفتوح ودرست لمدة أربع سنوات أدب انجليزي وترجمة كما كنت أحلم. عملت في مجال أنا بحبه، وهو الصحافة. دخلت وشاركت في حزب أنا مقتنعة بأفكاره،

2 فريدة النقاش، شهادتها موجودة ضمن هذا الكتاب أيضاً.

1 إحدى العرى التابعة لمركز أجا

وهو "التجمع"، رحلة شاقة جدًا، لكنها لا تظلو من متع.

ضد الهدم

لما حصلت هزيمة يونيو 1867 زي ما يكون في بيتنا ميم، كان ناقص أبويا يفتح البيت ويجيب قهوة سادة ويقعد يوزع.

في كانون الثاني/يناير 1968 بدأت دراستي في أكاديمية الفنون. شاركت في مظاهرات الطلبة ضد أحكام قاعة الطيران، كان رأي الطلبة أنها أحكام هزيلة لا علاقة لها بحجم الكارثة اللي حلت بمصر والأمة العربية. في المظاهرات انضربت علة تمام، وخطونا في قسم الجيزة في ميدان الجيزة، (كانت لسه مديرية أمن الجيزة متبنتش).

بيتنا كان قريب من جامعة القاهرة، الطلاب كل يوم يطلعوا يتظاهروا ويتضربوا ويرجعوا، ويتفرقوا، خرجت في هذه الفترة. لغاية ما الرئيس عبد الناصر أعلن بيان 30 مارس³، الأمور هدبت. كان معايا زملاء في الأكاديمية ينتمون إلى تنظيم العمال الشيوعي. كنت بقرا ورقهم، أوريه لأخواتي مثلاً، أنافضهم فيه. بعدين معجبنيش في "الشيوعي" الحلقية الضيقة والهجوم الدائم على عبد الناصر عشان جاب الهزيمة، وإن دا نظام عسكري لازم يسقط، معجبنيش التوجه دا، إننا نهد كل حاجة عشان نبني من جديد. هذا التوجه كنت ضده من زمان، المناقشات مع والدي كانت مهمة في هذا السياق، هو كان يقول إن "اللي بيتهد مش بيرجع، إننا إذا متحدثناش وراء الراجل دا هنروح كلنا في داهية، وإن البلد هتشد حيلها".

اشتغلت مع "الشيوعي" حبة ضئيلة. لكن كنت عايزة أكمل الدراسة باجتهد عشان الاجتهاد بيديني كل شهر 15 جنيه عشانطلع متفوقة، وكنت محتاجة لهذه الفلوس، وكنت يشتغل بليل كمان عشان أجيب فلوس أكمل تعليمي وأجيب لبسي، وأجيب كتبي، وأخرج.

أول تحقيق عن صحافة الجامعة⁴ في مصر والعالم العربي، عملته عن مجلات الحركة الطلابية ونشرته في جريدة "الجمهورية"، لما كنت بتدرب فيها أول لما تخرجت. شاركت في كل أنشطة الحركة الطلابية، زي مساندة القضية الفلسطينية. وقرب بيتنا من الجامعة سهّل ليّ الحركة، في أيام الاعتصام أروح وأرجع بليل، مفيش 5 دقائق أكون في بيتنا. عرفت في هذه الفترة معظم جيل السبعينات، أحمد عبد الله رزة، أحمد بهاء شعبان، أروى صالح، زين العابدين فؤاد، حلمي سالم.

3 1968 وهو بيان أكد أن مصر استطاعت بناء الجيش بعد الهزيمة، وطالب بالكمال مهمة وضع دستور للبلاد.

4 محلات العاطف.

حرة زي الرجل

أنا أمي ماتت وأنا عندي 8 سنين، وأخواتي الكبار وأختي الوحيدة كانوا خرجوا لأنهم تزوجوا، وكنت عايشة مع أبويا ومعيا 3 من أخواتي. أبويا مكنش يفرق بيني وبينهم، بل بالعكس كان ينصرنني عليهم.

هما الشيايب اللي كان عندهم نزعة ذكورية عالية جدًا، يسألوني: "رايحة فين وجاية من مين"، أبويا مكنش كده، كان يجي عليهم ويساندني، ويقول لهم إنها "أحسن منكم"، لأنها بتشتغل، وبتدخل للأسرة فلوس، لأنها معتمدة على نفسها، في الأسرة مكنش فيه التفرقة، وحتى أخواتي في فترة كانوا بيقلوا ليّ إحنا حاسين إننا عايشين مع راجل، إن إحنا أربع رجالة، مش ثلاث أخوات وبنات، وكنت بتبسط إنهم يقولوا كده، لأنه دا معناه إنني حرة زيهم، أخرج زي ما أنا عايزة، وإن هما مش أحسن مني عشان هما أولاد وأنا بنت.

بالقطع لما خرجت للمجال العام، مثلاً الدراسة في الأكاديمية كان الاجتهاد وإنني أصير إنني أنجح وأبقى متفوقة، كان حماية ليّ من أي محاولات التعامل معي بشكل فيه دونية، لأنه مكنش فيه فرصة بقى، عايز تعمل كده يبقى تعمل زيّ الأول، تبقى أحسن مني كمان، بس أنا دلوقتي أحسن منك لأنني أشطر منك. أنا شخصياً مش نسوية، بمعنى إن أنا مش رأبي إن كل المشاكل في المجتمع هتتحل بأنه المرأة تتساوى مليون بالمية مع الرجل وتأخذ الحقوق كافة. طبعا تتساوى دي حقوق مواطنة ملهاش علاقة بالجنس في ما أظن. لكن بشوف السيدات اللي يعاونوني في المنزل مثلاً، هما سيدات منازلهن عشان هما اللي شايلين البيت والرجالة قاعدين مش بيعملوا أي حاجة، وهما اللي بيرتوا الأولاد ويصرفوا على تعليمهم، ويجروا عليهم مشكلة هذه السيدة مش إن دا اتعمل فيها عشان هي امرأة، لآ دا الفقر. أنا بقول إنه مشاكل الجندر اللي بيطرحتها جيل مهم جدًا من النسويات في العالم العربي والعالم، تتحل في سياق شامل، وليس باصطناع معارك ما بين الرجل والمرأة، مظلومية زائدة عن الحد. مثلاً يقال إن نسبة المرأة في مجلس النواب الجديد في مصر زادت لـ 60% عن المجالس السابقة، لكن لما أشوف الوجود البرلماني النسائي في المجلس اللي قبل كده، والبرلمان اللي قبله، لقيت إن هذا الوجود لم يمثل ليّ كأمراة أي شيء. بل بالعكس لقيت رجال بيدافعوا عن حقوق الطفل والمرأة والمجتمع، في سياق قضايا الاستنارة، وتجديد الخطاب الديني، أكثر تقدّمًا وفاعلية بكثير جدًا من النساء. بهذا المعنى أنا مش نسوية، لكن بالقطع قابلت صعوبات، إنه أول مرة توليت مسؤولية إدارة تحرير الصحيفة التي أعمل

تابعنا فيها قضية المعتقلين، من الأسر، لنا كل أسبوع
بنعمل اجتماع لأسر المعتقلين نشوف إيه الأخبار، بنجمع
تبرعات لأهالي المعتقلين اللي توقفت مواردها بسبب
الحجز أو اعتقال أبنائها، بنبعت محامين.

وفي الآخر تم تبرئتهم جميعاً، لما راحوا المحكمة،
والقاضي العادل النزيه حكيم صليب، دخل التاريخ بحثيات
الحكم اللي برأت كل المتهمين في أحداث يناير 1977 لأنه
قال إن الأوضاع الاجتماعية والفقر وسياسات الحكومة هي
اللي دفعت الناس للتظاهر، وكان السادات أغلى الدعم،
ورفع أسعار السلع الأساسية أيامها، بعد المظاهرات كان
تراجع عنها.

في رأيي اللجنة اللي شكلناها كانت اللجنة الأولى اللي
شجعت في ما بعد في بداية الثمانينات لإنشاء المنظمات
الحقوقية الأخرى.

نجاح تشريعي وغياب عن الخدمات

في 1980، قدمت مع عدد مع زميلاتي وزملائي في
"التجمع" مشروع قرار بتشكيل اتحاد النساء التقدمي في
المؤتمر الأول للحزب، بحيث يكون الاتحاد منظمة نسائية
حزبية وكتبت أول برنامج له، وشاركت في العمل فيه بعض
الوقت، لكن لقيت نزوعي الأكثر لمجال الحريات العامة،
وسبت الاتحاد لأنه عايز شغل دائم. بالنسبة للمنظمات
النسائية اللي نشأت بعد ذلك في المجتمع، علاقتي بها
إني كنت بحضر مؤتمراتها، أشارك بورق أو بالنقاش، أو
بمتابعتها والكتابة عنها. علاقة طيبة لكن لم أكن عضوة
حركية داخل أي منظمة نسائية، خارج "التجمع".

بالتأكيد الحركة النسائية في مصر حققت نجاحات على
الصعيد التشريعي. بعد توقيع الدولة على مجموعة من
الاتفاقيات الدولية الداعمة لحقوق النساء بقى فيه إلزام
أن يكون التشريع الوطني متوافقاً مع توفيقك على
المعاهدات والعهود الدولية في هذا المجال. لذلك سنة
2005 حين نجح 88 نائب من جماعة "الإخوان المسلمين"
في مجلس الشعب كان كل هدفهم إلغاء التشريعات اللي
ساهمت فيها الحركة النسائية المصرية لصالح الأسرة،
ومن بينها قانون الخلع، قانون إنشاء محاكم خاصة بقضايا
الأسرة، تقييد عادة الختان، حقوق الطفل، إلى آخر هذه
الأمور اللي ساهمت فيها الحركة النسائية المصرية،
ولم يكن هناك مفر أمام الدولة إنها تتبنى هذه القضايا
وتدافع عنها. كانت الحقيقة الدعم اللي قدمته هو اللي
مشنى هذه القوانين داخل مجلس الشعب. لولا وقوف
الدولة مع الحركة النسائية في هذه القضايا مكنتش ممكن
تصدر هذه القوانين. هذه المنظمات أشاعت في المجتمع

بها، شباب من اللي أنا برأسهم قالوا: "إحنا مستغربينك
قوي إزاي سبت ترأسنا... إحنا رجاله ميصحش" قلت لهم
طيب معلش، بس هو دا الواقع وأنا رئيسكم، شوفوا
هتعملوا إيه. لكن هي حاجات مهياش جوهرية قوي، ربما
لأنني يعتمد على نفسي من بدرى، وبحاول أبقي مستقلة
في طريقتي في التفكير، في إني اشتغل وأنا بدرس،
إني ألقى عقبة في مكان أروح مكان ثاني عشان أتجنب
هذه العقبة. ربما لهذا مكنتش مشاكل الجندر والنسوية
عائق رئيسي في حياتي.

دخلت حزب التجمع في أيار/مايو، بعد شهر من تأسيسه.
ولما ترشحت في أول مؤتمر للحزب، ونجحت بأعلى
الأصوات، وبقوا زملائي في الحزب وهما كادر يساري
محترم، مش طايقني، وبيعبروا عن ذلك بطرق مش معلنة
قوي، فيها تحايل كثير. مثلاً عايزين تعمل مؤتمر ويعرفلوا
لك الحاجات الإدارية عشان ميتعملش. أنا هدفني المؤتمر
يتعمل مثلاً، أقول لهم مش عايزاه يتعمل، بس تعالوا
اعملوه، يتلخوا بقى عشان معندهم مش التصور اللي أنا
عملناه عشان المؤتمر دا يتعمل، وأروح أساعدهم.

تحاليت كثير عشان صعودي الحزبي لا يتحول لصدام،
لأنني امرأة، كنت تقريباً المرأة الوحيدة اللي في الحزب
اللي زوجها مش في الحزب، ترقيت في العمل الحزبي
بالانتخاب والعمل والإنجاز. كنت بقول الكفاءة أولاً يا جماعة
في كل حاجة، الكفاءة وليس الولاء، في كل حاجة. في
الدولة، ومسؤوليها، ووزارتها، وأجهزتها السيادية، الكفاءة
أولاً. وفي الحزب خاصة لما بقى "التجمع الوطني
التقدمي الودودي"، إحنا أسسنا عملنا الحزبي من فصائل
اليسار المختلفة، الماركسي والقومي والناصري، مع
الاتجاه الديني المستنير. دول تيارات قبلت وفقاً للبرنامج
العالم إنها تناضل من أجل هذا الوطن تحت مظلة واحدة،
كان العامل الجامع في دا شخصية رئيس الحزب، خالد محيي
الدين، شخصية تاريخية ذات تاريخ برلماني وسياسي عريق.
استطاع يخفف من حدة الصدام بين هذه التيارات.

خلال أحداث 1977 نزلت شوفت الجيش وهو بينصح الناس
إنها متجيش ناحية كذا، بيحمينا. محدش فيهم عمل لنا
حاجة. كانوا كعهدهم مخلصين للناس اللي هما أولادهم
وأخواتهم وأبنائهم. وقتها وقفنا مع المتظاهرين لحزب،
رعينا كل المحبوسين، شاركت مع آخرين في تأسيس أول
لجنة للدفاع عن الحريات في المجتمع المصري. لأنه ثلاث
أربع أعضاء في القاهرة والمحافظات ألقى القبض عليهم
في هذه المظاهرات. وطلعنا نشره اسمها "الحريات"،

5 نيسان/أبريل 1976.

6 الكاتب الصحافي والمؤرخ صلاح عيسى (-1939 2017)

المصري الحديث عن حريات النساء على نطاق واسع، وبقي التلفزيون يناقش، الصحف تكتب، المؤتمرات تناقش، الأحزاب تعمل حلقات نقاشية في هذا الموضوع، إلى آخره. هي لعبت دور رئيسي في توسيع نطاق التشريعات التي تحمي حقوق المرأة والطفل. على المستوى الديمقراطي العام تجعل المناقشة في هذه الموضوعات في مساحات واسعة جدًا من المجتمع. إيه اللي بيعوق دا، طبعا عندنا بقى ثقافة تقليدية سائدة، السلفيين المنتشرين في مفاصل المجتمع المصري. الست اللي يتساعدني في البيت عندها أربع أولاد، لقيتها حامل، بقول لها ليه كده حبييتي، أنت عارفة تربى الأولاد؟ قالت لي: "أصل الشيخ قال لنا منع الحمل حرام" يعني الدولة والناس تقول إن الزيادة السكانية بتبلغ عوائد التنمية، والسيد الشيخ عايز يزود السكان عادي.

لكن الحراك النسوي عنده أجندة أحيانًا لا علاقة لها بأولويات المجتمع المصري. مثلاً القطاع الخدمي في المجتمع الأهلي يخدم النساء المصريات أكثر من المنظمات المستغرقة في حوارات نظرية، ساعات أحس إن الحوارات النظرية حاجة شكلية، لا تنعكس نتائجها على المجتمع. أنا شوفت في المنيا جمعيات أهلية بتعلم النساء التريكو والكروشيه والتلي، اللي هي الحاجات تعمل منها مهنة، وتخليها معتمدة على نفسها وتجب دخل. بحس إن البلد محتاجة للجهد دا أكثر من التنظير.

جلیلة القاضي:

جلیلة القاضي من موالید 1950، أستاذة تخطيط عمرانی،
وباحثة، وتكتب قصصاً أدبیة أيضاً.

قبل تقاعدها، درّست العمارة في فرنسا ومصر. تنتمي جليلة إلى أسرة ناصرية، شاركت في الحركة الطلابية، وقُبض عليها وعلى أخيها لفترة قصيرة في أثناء قُصّ اعتصام جامعة القاهرة 1972، بعد ذلك تطوعت بتوفير أماكن آمنة للمطلوبين أمنياً في بيتي والديها.

كما شاركت في معارضة السادات من الخارج، وأدت دوراً محورياً في طباعة وتوزيع مجلة "اليسار العربي" التي كانت تصدر في باريس. وعلى مدار سنوات، شاركت في حملات إنقاذ وحماية العديد من البنايات ذات الكُرز المعمارية المميزة في مصر.

عن تلك الموضوعات ومحطات أخرى تروي جليلة القاضي شهادتها الفعّمة على مقابلة أجرتها عالية مرسي في 13 و17 و18 حزيران/يونيو 2020.

مخططة عُمران

أستاذة تخطيط عمراني، ومديرة أبحاث في المركز القومي للبحوث في فرنسا، وفي نفس الوقت أستاذة في جامعات فرنسية، متفرغة لأنني طلعت على المعاش سنة 2015. تخرجت من كلية الهندسة في 1973، اشتغلت سنتين في هيئة التخطيط العمراني والإقليمي، تخرجت في قسم عمارة، بعد السنتين دول كانت مهمتنا في الفترة دي بعد الحرب إعادة تخطيط مدن قناة السويس، وشاركت في إعادة تخطيط مدينة السويس لحد لما الوزارة تعمل اتفاقات مع مكاتب خاصة عالمية عشان تطلب إعادة التخطيط. الفترة دي كان التكليف، والتكليف دا كان بيحنم إنني لازم أشتغل في الوزارة خمس سنين، لكن ميمعنش إنني اشغل في مكتب خاص بس على شرط ألا يتعارض مع عملي في الوزارة، كلنا بنشتغل في مكاتب خاصة بعد الظهر، مثلاً كنت بشتغل -من وأنا في سنة تالتة- في مكتب دكتور سيد كريم وابنه

١ سيد كريم هو احد رواد التخطيط العمراني في مصر والعالم العربي
<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%85%D9%83%D8%B1%D9%>

إبراهيم كريم. كنت عازية أسافر لأنني من وأنا في المدرسة كان نفسي أدرس في فرنسا، الفرصة دي كانت هتتاج لي، لكن مكنش عندي منحة، لكن بقت في متناول أيدي إني اشتغل وبعدين أمّول الدراسة بتاعتني. لما اتعرض عليّ اشتغل في الجزائر من مصطفى موسى، وهو كان من زعماء الوفد وكان عنده شركة مقاولات تأممت في التأمينات 1966 فأسس مكتب فني معماري وإنشائي في الجزائر، في شركة بتزول كبيرة هناك؛ "سوناطراك"، لأنه من زعماء الوفد اللي ساعدوا زعماء تحرير الجزائر. وسبق إن موسى استقبلهم في مصر أثناء الاستعمار الفرنسي، وردوا له الجميل بعد تأميم شركة المقاولات بتاعته في مصر بأنه يخلق المكتب دا، وهو كان صديق والدي، وفي الصيف يقول لي: "تعالى أندربي عندنا في المكتب"، والدي أيامها فسمحت ليّ إني أسافر لوحدي في السن دا قبل ما أخلص الجامعة. وبعد سنتين في الوزارة طلعت على الجزائر عشان اشتغل سنتين أو ثلاثة بعدها أروح فرنسا أدرس، ودا اللي حصل فعلاً. ليه درست في فرنسا، عملت ماجستير ودكتوراه وبعد كده قدمت في كذا وظيفة وفي كذا جهة، منها مركز أبحاث، وتعينت فيه، وكلفت منه من خلال اتفاقية عملها سنة 1983 مع كلية التخطيط الإقليمي والعمراني، لأنني كنت مقدمة كلية التخطيط الإقليمي والعمراني لأنها كانت كلية جديدة عشان اشتغل فيها، وكنت مقدمة في كذا حنة ولما جا وانتقلت في فرنسا وطبعاً مرتب كان أفضل ودا سمح ليّ إني أنتدب في نفس الوقت في مصر وفضلت لمدة تسع سنين وبالتالي احتفظت بميزتين؛ ميزة إني أستاذة منتدبة فرنسية، وميزة إني هرجع مصر وهشتغل ويا زملائي وأساتذتي، وهيقى عندي وقت زيادة عن الآخرين لأنني مش محتاجة اشتغل في كذا جهة عشان أفني الاحتياجات العائلية، فعلاً كان مكسب للكلية ومكسب ليّ أنا كمان، دا كان فرصة ومن أحسن الفرص في حياتي. دا بشكل عامّ إني فضلت تسع سنين وبعدين رجعت فرنسا ثاني انتدبت في جامعة "تور"، جنوب غرب فرنسا، لأن كان فيها معهد اسمه معهد دراسات التخطيط في العالم العربي وكنت أحب استمر في التدريس، وكملت تدريس في الجامعة وعملت أبحاث في نفس الوقت على مدن العالم العربي. اتفتح المجال قدامي بدل تركيزي على مصر بس، قضايا العمران وقضايا التخطيط العشوائي وقضايا الحفاظ على التراث، اتفتح المجال قدامي ليشمل مدن العالم العربي، المغرب أساساً عشان علاقة فرنسا الخاصة جداً

2 شركة البرول المملوكة للدولة الجزائرية، أسست في 1963

3 مارچ 1961ء کو صدر مہدی قزوینی نے عراق میں انقلابی حکومت کی سربراہی سنبھالی۔ ان کی قیادت میں عراقی فوج نے عراق میں کئی سالوں سے جاری فوجی دباؤ کو ختم کیا۔ ان کی قیادت میں عراقی فوج نے عراق میں کئی سالوں سے جاری فوجی دباؤ کو ختم کیا۔ ان کی قیادت میں عراقی فوج نے عراق میں کئی سالوں سے جاری فوجی دباؤ کو ختم کیا۔

بالمغرب العربي؛ تونس والجزائر والمغرب، الأقل ليبيا. حصل انتفاخ على المشرق، وحصل انتفاخ من خلالي على مصر، وبعد كده على سوريا، وكان فيه علاقة بلبنان، كانت فرصة كويسة إنني أوسع المجال الأكاديمي بتاعي وكمان علاقاتي العلمية بزملاء من دول ثانية. ورجعت ثاني من خلال مشروع الحفاظ على تراث بداية القرن التاسع عشر والقرن العشرين في مدن من المجموعة الأوروبية، وبضم جهات من دول حوض البحر المتوسط شمال وجنوب. طلعت المنتدب الثاني في جامعة القاهرة للقيام بهذا المشروع، كان المشروع مرتبط بالقاهرة وخلق، ومن المشاركين معنا معهد الجغرافيا في جامعة ليون ومصر. وبعدين رجعت فرنسا ثاني لحد لما وصلت لسن المعاش، تمت 65 سنة، في 2015. جيت مصر ومسكت قسم العمارة وكان فيه ناس كثيرة مشيت، وقعدت في الجامعة الفرنسية من 2015 إلى 2018، وقلت كفاية كده. دا بصورة شديدة واختصار ممكن أرجع ثاني لاهتماماتي الأكاديمية في فترة ثانية، لكن دا بسرعة المسار بتاعي في كلمتين. ما دام بعرف نفسي يبقى لازم فترة التخرج، وما بعدها. أمّا النشأة؛ أنا مواليد 1950، قبل الثورة بستتين، في بيت كله سياسة لأن والدي كان من الضباط الأحرار وكان له دور في الثورة، جمال القاضي، كان عليه الاستيلاء على مقر الإذاعة في شارع شريف، لو عملية الاستيلاء على مقر الإذاعة محصلتش والبت مبطلش كان معمولتش حاجة. هي دي كانت المهمة بتاعته وفعلًا هو نجح فيها. غير كده عم والدي، عبد الفتاح القاضي، من مؤسسي الحركة الاشتراكية في مصر، وتكلم عنه رفعت السعيد في كتاب من الكتب بتاعته، كان له دور مؤثر في الحركة الاشتراكية، وكانت مراته أيضًا تشاركه في بعض المهمات. عمي فاروق القاضي، كان صحفي في "الجمهورية" وكتب مسلسلات كثيرة للإذاعة وبعدين في الستينات سافر والتحق بالثورة الفلسطينية وكان مستشار ياسر عرفات، وهو طلع مؤخرًا ثلاث كتب منها "العلمانية هي الحل"، و"راعي الغنم مع حفيد القرصان" مع دار العين، وكتاب عن "حركة 48". عمي كان شيوعي. أسرتي أيضًا من جانب أبويها كان فيها مجموعة من الشيوعيين رغم أصولهم الأرستقراطية، ومن ناحية العمه كان في مجموعة من شبين من "الإخوان المسلمين"، رغم أنهم ناس دارسين بزم، ومنهم عالم من علماء الزراعة هو سعد التجار، لكن هما كانوا اتجاههم هذا الاتجاه. كان بيتنا يتردد عليه ناس كثيرة جدًا من مشارب سياسية مختلفة، الشيوعي، الاشتراكي، الناصري اللي هو بابا، الإخوان، وبتوع العهد البائد. وكل الناس دي في نقاش مستمر ووالدي كان حريص إننا من آن لآخر نفتح عينا ونحضر بعض هذه النقاشات، ولما جات الفرصة هو شجعنا ندخل في منظمة الشباب لما كنا في الدراسة، وكنا

في وحدة الاتحاد الاشتراكي في "مدرسة الليسيه" في باب اللوق، أنا وأختي الكبيرة، (أكبر مني بستتين). وقبل كده أيام مناقشة الميثاق كان يخلينا نقعد نتفرج على المناقشات في التلفزيون. هو كان حريص يبقى عندنا وعي سياسي ويكون عندنا كمان انتماء للتيار بتاعه هو، اللي هو تيار الاشتراكية الناصرية، وإننا يبقى لنا كمان مشاركة فعالة، وننتمي لمنظمة أو حزب، هو اللي حف فينا أنا وأختي الكبيرة بالتحديد التوجه أو الرغبة دي ونفاها عندنا. ودا أثر في بحث إنه أيام المدرسة كنت أيام نكسة 1967 في ثانية ثانوي، والتحقنا بالمقاومة الشعبية، أنا وأختي. باندرب في مركز شباب، ومدته 15 يوم، والتدريب بقى شعور الانتماء، رافضة الهزيمة، وإنك تعمل حاجة عشان تطلع من الهزيمة، إنك إنسانة مشاركة مش مفعول بها. واحدة قاعلة يعني يدي الإحساس دا. بعد التدريب تطوعت في مستشفى العجوزة، أيامها كان عندي رغبة أدخل كلية الطب، والقسم اللي كنت متوقعة فيه مفهوش جرحى، لكن فيه أقسام ثانية فيها جرحى بس، وكان الجرحى عددهم كبير، وكنت بروح المستشفى من الساعة سبعة الصبح لحد الساعة سبعة بيل. بشارك في كل حاجة؛ تحضير أكل المرضى، علمونا ندي حقن، كنا نراقب المطابخ، ودا استمر شهر ونصف أو شهرين الإجازة. والدي كان يشجع في الاتجاه دا، ويديني إحساس إنني بشارك. يوم ما عيد الناصر تخس بعد ما عمل الخطاب مباشرة أنا وأختي الكبيرة، كان عندي 17 سنة، قلنا له إحنا هننزل وهو شبتا ننزل، ما هياش حاجة عادية إن أب يسبب بنته في السن دا ينزلوا في لحظة زي دي، بس هو فكنش عايز يقف قدام رغبتنا إننا نعتبر عن رفضنا للهزيمة. لما دخلت الجامعة كان بعد الحركة الطلابية 1968 اللي اندلعت بعد أحكام الطيران، والتحق بيها كمان فصائل ثانية من الشعب ومن عمال حلوان، وقدر عيد الناصر أنه يحتويها، وطلع بيان مارس، وأعاد محاكمة قادة الطيران اللي صدرت في حقهم أحكام بعد ما الطلبة والشعب اعتبروها أحكام مش كافية، ومطالبهم كمان تخطت موضوع الأحكام للحريات والديمقراطية والأحزاب ومسائل بهذا الشكل. لما دخلت الجامعة كان فيه أساسا رجيل أول؛ بتوع حركة 1968، والجامعة كانت تموج بحركات ويمكن دي فترة كويسة لأن كان فيه أسر كثيرة في الجامعة في الفترة دي. أسر ذات طابع اجتماعي، وأسرة ذات طابع سياسي. أسرة أنصار الثورة الفلسطينية كانت ذات طابع سياسي، أسرة محبي السينما ذات طابع ثقافي فني بس مش بعيدة عن السياسة. كان فيه نظام الأسر وكان فيه مجلات الحائط، وظهرت تيارات في الجامعة، كان أقوى تيار فيهم هو التيار

4 بيان 30 مارس 1968، وهو بيان أكد فيه جمال عبد الناصر أن مصر استطاعت بناء الجيش بعد الهزيمة، وطالب بإكمال مهمة وضع دستور دائم للبلاد، وبأسس محكمة دستورية.

فيها مبادئ الميكانيكا لما كنا في إعدادي، وطبعاً لما دخلت عمارة مبقاش فيه الورشة دي، بس استمر زملائي بتوع أقسام كهرباء وأقسام ميكانيكا، الورشة كانت بالنسبة لهم مادة من ضمن المواد العملية بيروحوها مرة في الأسبوع وكنا نلبس أفارول وكنا مبسوطين قوي وشكلنا زي شكل العمال أو حاجة زي كده. فهما لقوا العمال بتوع الورشة مش بيعرفوا يقروا ويكتبوا وقررنا نعمل فصول محو أمية، عمال الورشة قالوا لنا: "إحنا متشكرين جداً ومقدرين موقفكم بس عندنا أولادنا ومحتاجين مساعدة في دروسهم ونفضل إنكم تدّوا دروس خصوصية للأولاد"، وقلنا لهم ممكن نعمل الاثنين؛ محو أمية ودروس للأولاد. الحقيقة كان مشروع أكثر من رائع لأن العدد اللي شارك فيه كان أكثر من 60 أو 80. وعدد اللي إحنا كُنا نساعدهم في دروسهم وصل لـ 400، الأرقام فاقت كل توقعاتنا. وكان من ضمن الأنشطة الاجتماعية اللي إحنا قمنا بيها بجانب نشاطنا السياسي البحث، بس ممكن نقول إن دا مرتبط برضو بتوجهنا السياسي الأيديولوجي.

حركة 1972، مش هقدر أفكر بالضبط جات إزاي، هحاول أفكر وقائع محددة بس طبعاً هي مرتبطة بالخطاب اللي عمله السادات عن تأجيل الحرب لأن فكرة مرحلة اللاسلم واللاحرب، وبعد حرب الاستنزاف كمان توقفت وتمت الموافقة على مبادرة روجرز، حرب الاستنزاف كانت بالنسبة لنا مرحلة بنسترد بيها كرامتنا ونحقق فيها انتصارات في المعارك الصغيرة، بعضها مش صغير قوي، ومعارك ثانية أخرى يتكشف عنها النقاب شوية بشوية دلوقتي. كُنا متابعين كل دا ولما حصل وقف إطلاق النار وقدم مبادرة روجرز إحنا بدأنا نقلق وليستنا حالة من الإحباط.

موت عبد الناصر كان ضربة كبيرة، وإن السادات هو اللي يجي بعده دا كمان كان بالنسبة لنا دق ناقوس الخطر. نتيجة لارتباط والذي بعبد الناصر ومشاركته في حرب 1948، وبعدها في حرب 1956. وكل ما يكون في ظروف زي دي كان يرجع ثاني يلبس كاكى ويشارك في التوجيه المعنوي ويدي محاضرات مثلاً في 1967 أدى محاضرات في البنك، لأنه كان مدير العلاقات العامة في بنك مصر.

موت عبد الناصر في البيت عندنا كان كارثة، عشناه بشكل أليم، لكن إذا كُنا عيطنا ولبسنا أسود شوية، إحنا ترممنا في التراب لما السادات جه رئيس، دا كان موقفنا أنا وأختي وزملاء كثير لينا، تخوفاتنا كانت مبررة لأنه بعد العبور أخذ سكة ثانية خالص، حتى كمان أيام ثورة التصحيح ونزول الناس و"أفرم أفرم يا سادات" كل دا خلانا نعتقد، أو يبقى

بتاع الناصريين الاشتراكيين أو اليسار بشكل عام. عرفت بعد كده إن زملائي في الجامعة اللي بدأت أتعرف عليهم، لأن في إعدادي مكنتش فيه فرصة فتاحة قوي، لأن كان عندنا مجموعتين تحضر الصباح ومجموعتين تحضر بعد الظهر طبقاً للحروف الأبجدية ومكنتش فيه فرصة إنني أتعرف على كل اللي هسميه الرعيل الثاني اللي هو عمل حركة 1972، ودول اتعرفت عليهم من خلال أصدقاء آخرين، في سنة أولى بعد إعدادي بعد ما دخلت قسم عمارة. بدأت اندرج في العمل السياسي، وكان عندي نشاط ثاني، كنت في الكورال، دخلت كورال عمارة، وكنت برضو عندي أنشطة رياضية. بدأت في العمل السياسي إنني دخلت انتخابات اتحاد الطلبة سنة أولى؛ 1969-1970 على قائمة اليسار ونجحت ودخلت في لجنة الرحلات ودا كان من الحاجات اللي أحب أنظمها. بعد كده اندرجت زيادة وطلعت مع زميلة جريدة حائط اسمها "الحرملك" كانت تتوجه لطالبات الكلية بتختمهم على إنهم يخرجوا من الحرملك اللي هما سجنين نفسهم فيه، الحرملك الفكري وبيدأوا يشاركو في العمل السياسي. المجلة صدر منها كذا عدد وبعدين وقفت لأنه إدارة الجامعة كانت بتتعامل مع الأشياء دي عن طريق الشد وال جذب؛ تسبب براح وبعدين تقفل وتمنع وتكفل أحياناً، بالإضافة إن التيار الصاعد كان للإخوان، مكنتش ظاهر قوي، لكن كان عنده الجرائد بتاعته. مجلات الحائط إحنا كُنا بنصدرها ونعلقها، كان ساعات الأمن يجي يشيلها وساعات يسبها شوية وبعدين يشيلها، بنقف فدامها ويحصل نقاش، اللي كانوا يثيروا خناقات وينتزعوا الجرائد هم كانوا الجماعات الدينية وممثليها من البداية كانوا رافضين النقاش، وكان واضح أحياناً إن عندهم دعم بسيط من إدارة الكلية، لكن إدارة الكلية كانت تدعم أساساً من تجندهم من الطلبة عشان يتجسسوا علينا ويوصلوا لها أخبارنا، وإحنا كُنا عارفينهم بالاسم. دا كان نشاطنا قبل حركة 1972، بتحضر اجتماعات في الأسر، نطلع جرائد حائط، نتناقش، نقرأ، نعمل أنشطة فنية، أنشطة ترفيهية اللي هي الرحلات، بعمل حاجات كثيرة. في القسم كانوا يقولوا على الطالبة غير المتفرغة لأنني كنت في كورال مدني، وخلقت كورال عمارة، وبلعب رياضة، وأمارس سياسة وفي اتحاد الطلبة، وممثلة كمان للقسم بتاعي في اتحاد الطلبة، حاجات كثيرة، بس أنا مسقطش، كنت بطلع بمواد لكن ما عدتش سنة مثلاً، كنت بلاقي وقت أذاكر في ظل كل دا. بالنسبة للأسرة كان فيه تعاهم تام من والدي بالنسبة لكل الأنشطة اللي كنت بمارسها، كانت أختي الكبيرة مختلفة شوية، كانت متفرغة بصفة أكثر مع إن آرائنا السياسية واحدة، هي توفت سنة 1971 وبالتالي يمكن لو كانت عاشت كانت شاركت معاي في الرعيل الثاني. كُنا كمان عملنا مشروع جميل جداً، من ضمن الدراسة بتاعتنا بنروح ورشة نتعلم

5 مبادرة وقف إطلاق النار بين القوات المصرية والإسرائيليه شُيبت نسبة إلى وزير الخارجية الأميركي وليام روجرز، الذي أعلنها في 19 حزيران/يونيو 1970

عندنا قناعة، إننا داخلين على مرحلة سوداء من مراحل تاريخ مصر. لما حصل خطاب بعد الحرب الباكستانية على حسب ما أذكر سنة 1971 واكتشفنا إننا ما زلنا في مرحلة الاسلام واللاحرب وهتطول كمان، كان في زملاء، لينا دخلوا الجيش في 1967 وبرضو فشتغلوش وكانوا في الجبهة، كانوا بيدوا يزورنا في الجامعة، وكانوا بدأوا يزهقوا وفيه منهم جاله بعد كده أمراض نفسية حتى بعد لما حصل العبور، كانت المرحلة بدأت تطول وبدأ صبرنا ينفد زي ما صبر الناس كلهم نفذ.

حراك ومناوشات مع الإسلاميين

بدأنا كل المجموعات الطلابية اليسارية تتصل ببعض من مجموعة هندسة اللي أنا كنت بتنتمي لها، مجموعة سياسة واقتصاد، ومجموعة طب، دا في جامعة القاهرة. جامعة عين شمس ممكن يكونوا عملوا اجتماعات لوحدهم بس اللي كان ماسك الريادة في الحركة الطلابية مجموعة هندسة تحديدًا، وهي أدت لاثنتين من لجنة الطلبة كان يمثلنا في لجنة الطلبة المرحومة سهام صبري و أحمد بهاء شعبان. عندنا في هندسة كان عندنا اثنتين ممثلتين، بينما كل كلية عندها ممثل واحد وهما أعتقد كانوا 12، دول لجنة الطلبة اللي انتخبناهم. بدأت تتعمل اجتماعات وإحنا لازم نعمل حاجة، بدأت تنزل منشورات ويحصل تصعيد، التصعيد دا وصل لاحتلال، مش هقدر افكر التكنولوجي بتاع التصعيد، كُنا بتجتمع باستمرار وتوقفنا عن الدراسة وعينا لتوقف الدراسة وكل حد في القسم بتاعه، أقنعنا بتوع قسم العمارة يتوقفوا عن الدراسة بدعم برضو من المعيدين اللي كانوا معانا ودا بيكون له تأثير، لأن قسم العمارة من الأقسام اللي تضم كل ناس الطبقة البرجوازية المدلجين اللي عندهم إمكانيات مادية عالية أعلى من باقي الطلبة، لكن حصل تجاوب رغم دا. وبدأنا نحقل قاعة الاجتماعات الكبرى في جامعة القاهرة واعتصمنا فيها. اشتغلت أنا مع هدى صلاح وكانت هي من كلية تجارة وزملاء آخرين منهم هاني عنان في المطبعة بتاع الجامعة تطبع منشورات، نعمل اجتماعات، القاعة بتبقى مليانة، نكتب منشورات ونوزعها ونقول فيها المطالب بتاعتنا اللي تخطت بكثير مطالب إننا عايزين نحارب وبروح الجبهة وإننا مستعدين نروح الجبهة، لا أصبحت بقى مطالب اجتماعية لها طابع اجتماعي واقتصادي وطبعا طابع سياسي، تتناول الأجور والتفاوت الطبقي والتعليم وقطاع الصحة والتعددية والديمقراطية، تتناول حاجات كتير مبقتش مركزة إننا ننطخى الهزيمة وندخل حرب صيغناها في صورة بيان نهائي وكُنا نتناقش فيها، وأثناء النقاش كانوا الإخوان بيوظفوا ساعات اجتماعات كثيرة ويطلبوا من أحمد عبد الله رزة يتكلم من على المنصة إن هو لازم يبدأ يقول بسم الله الرحمن الرحيم، وكانوا قبل كل الخطب بتاعته يسخر منهم

ويبدأ يقول بسم الله، وكانوا يطلبوا إننا نقطع الاجتماعات ونروح نصلي جماعة ومكنش فيه استجابة. إحنا في المرحلة دي كُنا أقوى منهم بكثير، كان لسه السادات مطلقهمش بالكامل، لكن اللي جم بعدنا واجهوا التيار الديني في مواجهات دموية وانسحقوا فدامهم تمامًا. كانت مرحلة التيار الديني وسفر الهجرة للدول العربية والشيخ الشعراوي والبرامج الدينية وكل الشغل اللي عملته الميديا اللي أثر تأثير كبير على الطلبة، وأثر كمان على أهل الناس اللي دخلوا الجامعة بعد ما اتخرجنا، إحنا أهلكنا كانوا موجودين في مصر وببشغلوا في مصر، بعد كده الطلبة اللي جم بعدنا أهلكهم كانوا ببشغلوا في الخليج وولائهم جزء كبير للخليج والأفكار الوهابية وبالتالي ممكن يكونوا نقلوها ليهم.

سفارة بلادي

في 1972، فضلنا معتصمين قبل إجازة نصف السنة، ففیش أي استجابة، راخين جاينين ممثلين لينا يتناقشوا مع سيد مرعي⁶، يتناقشوا مع الناس دي ففیش فائدة وإجازة نصف السنة قربت يعني الاعتصام يتفضّ لوحده والناس هتروح بيوتها، مش محققين أي حاجة، بدأت يجلنا ناس من الفنون الجميلة وعين شمس وكل الجامعات الأخرى، وتتصل بالجامعات الإقليمية، وتتصل بجامعات العالم العربي، والطلبة بيعتوا لنا جوابات تضامن، بيعتوا لنا بتوع حركة 1968 اللي في فرنسا وكل أوروبا جوابات تضامن نقرأها، وكل دا يخلينا متمسكين بالاعتصام ومطالبنا، لحد لما جينا قبل إجازة نصف السنة كانت بعد بكرة وإحنا بليل راح أحمد عبد الله رزة كان معاه كذا واحد عشان يقابلوا رئيس مجلس الشعب بقائمة المطالب الأساسية بتاعتنا، ورجعوا قالوا لنا إنهم "وافقوا على كل حاجة"، طب وافقوا إزاي وهينفذوها إزاي فيه ناس اكتفت بدا وروحت، وفيه ناس زيي قالت: "لا مش هنروح لأن ففیش ضمانات إننا نقضّ الاعتصام دا كلام مش مقنع". كان أخويا في كلية الطب كان معتصم معايا خوفًا عليّ ومشارك من بعيد وهو أصغر مني بكثير، هو قعد لما لقاني هقع وكُنا أيامها سائنين في الجيزة قدام حديقة الحيوان وأهلي مكنوش في مصر، والذي كان في بيروت كان مدير بنك مصر في بيروت، وأخواتي الأصغر مني كانوا معاه هو ومراته، والذي برضه مكنتش موجودة كانت بتعمل في ليبيا. البيت قريب نروح نستحمي ونأكل ونستريح ونرجع، وكان ففیش ضغط أو مراقبة أو أي حاجة، صايعين يعني، الزملاء والرفاق اللي كانوا معانا مكنوش بيرجعوا البيت خالص لأن لو رجعوا كانوا هيتحبسوا وكان يتزعق لهم والأمهات بتخاف عليهم، إحنا بقى ففیش، دا كان أفضل وضع في الحياة. المهم قعدنا والساعة 5 أو 6 الصبح

6 نائب رئيس الحكومة ووزير الزراعة، وبولى من كانون الثاني/يناير 1972 منصب الأمين الأول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي

وإحنا بننام على البيئشات الخشب، وكان الإعلام والنظام ويتوع الأمن في الجامعة وأعوانهم يقولوا علينا إننا بناخد فلوس من كوريا الشمالية وممولين من الخارج، وفيه وجبات بنوزعها، بينما إحنا كُنا بنجيب من مصروفنا ساندويتشات فول وطعمية، استولينا على المطبعة بتاعة الجامعة وكان فيها ورق وكل الآلات فيها جبر ومكلفتناش حاجة، اللي اتكلفناه أكلنا؛ ساندويتشات فول وطعمية ولما يتمعظم يبقى طبق كشري، زي أيام الجامعة كُنا بنجيب ساندويتشات برضو مفيش حاجة تَغيرت، أطلقوا حاجات زي كده بس مش ناس كثيرة صدقتها. الساعة 5 الصبح كانت أبواب القاعة اتكسرت ودخلوا بتوع الأمن وقالوا لنا: "هتقفوا في الطابور وتيجوا معانا"، وقفنا في طابور كان آخره قاعة الاجتماعات وأوله عند باب جامعة القاهرة، كان طابور طويل وكان يوم من أيام يناير افنكر، كان يناير قبل إجازة نصف السنة، دا بقى اليوم اللي قبل إجازة نصف السنة بحري جدًا مفيش لسه طلبة جم ووقفنا الطابور وكان الفجر وفيه ضباب والجو برد، وبدأ واحد يصفر "بلادي" وراح كل الطابور صفر بلادي، كانت لحظة فعلًا مؤثرة وبدأوا يرضونا في عربيات الأمن المركزي، العربيات الصندوق المقفول اللي مفيهوش غير طاقة [متحة]. وبدأنا نهتف وإحنا جوة ونقول للناس اللي موجودة لأن الشوارع كانت لسه فاضية، هاتفات محددة ألقناها ساعتها، إحنا الطلبة اللي قابضين علينا وكلام من دا. وصلونا للأمن المركزي، الأمن المركزي كانوا في إجازة، هما وُدونا ثكنات الأمن المركزي بس في الأول خالص كومونا كلنا على بعض، مش فاكدة عددنا كام، كان كبير جدًا بحيث تبقى تخنلي حيز ورجلك على واحد ورأسك على واحدة أو واحد تاني، فعلًا كومونا، بس اتكومونا وقدرنا نتكلم ونهزج لحد ما إحنا مش عارفين بيحصل إيه بزه. بدأ على الساعة 12 يجوا عساكر من الأمن المركزي متعورين، وبدأوا يقولوا لنا بيحصل إيه بزه، وساعتها طلعنا شعار "إحنا هنا والشعب بزه". لأن الطلبة راحوا الجامعة لأن دا مش إجازة نصف السنة لسه فيه يوم، هما غباثهم إنهم قبضوا علينا قبل الإجازة مش ليلة أو فجر الإجازة لا قبضوا علينا قبلها بيوم، فاضل يوم الطلبة هيجوا فيه، الطلبة جم لاقوا الجامعة مقفولة وملقوناش اللي هما روحوا امبارح بعد ما اطمنوا إننا معتصمين. طلبة جامعة القاهرة راحوا قاعدين عند تمثال نهضة مصر وتجمعوا وجاء ممدوح سالم قال لهم اتفرقوا وأنا هفتح عليكم النار! اتفرقوا بس أدوا لبعض ورق، قالوا هنتفرق وهنزل مشي لميدان التحرير، كانوا بتوع عين شمس حصل لهم نفس الحكاية، نزلوا متفرقين لحد ما كله اتقابل في ميدان التحرير. الفكرة إن حصل تضامن غير طبيعي معانا من كل المثقفين، وهيكل كتب كذا مقالة،

7 وزير الداخلية ومنها.

بعد كده لما جم العساكر وقالوا اللي حصل إحنا اطمنا. بدأوا يوزعون على العنابر، كان فيه عنبر للبنات، وعنبرين افنكر للأولاد هما كانوا فوقنا، وأضرينا عن الطعام عشان مش عارفين هيدصل فينا إيه وعازين نعرف "إنتوا قابضين علينا ليه!" وقال السادات هيعمل خطاب، سلفونا برضو أولاد الحلال من بتوع الأمن المركزي راديو ترانزيستور، وكان الطلبة مخبينه ورابطينه بقتلة، السادات عامل الخطاب بتاعه وكانوا ينزلوه لنا وبغدين يطلعوه، خطاب السادات اتسقى بالخطاب بتاع "لجنة الخيانة العليا" قلنا هنروح في داهية وراء الشمس، خلاص مش هنطلع من هنا تاني. كان فيه حركة تضامن الناس كانت واقفة في ميدان التحرير ثلاث أيام محتله، وعمل أمل دنقل القصيدة بتاعته "الكعكة الحجرية" وكان العالم كله عرف اللي حصل. كان فيه تعليق ضحكنا عليه كثير إن الطلبة في العالم كله عازين السلام عدا طلبة مصر عازين الحرب اللي هو أيامها make love إحنا بقى make war، لأ على الجبهة وخدونا، جم في ليلة أخذوا اثنين من زملاءنا عشان يحققوا معاهم، وإحنا قعدنا نخط برجلينا ونزعق لغاية لَمَّا رجعوهم دي كانت الحاجة الوحيدة. الحقيقة اتعاملنا كويس، إحنا لا أكلنا ولا شربنا، كُنا بنشرب ميه وقلنا لهم يجيبوا لنا لمون، لكن أنا خرجت خاسرة اثنين كيلو. خرجنا بعد أسبوع وكان فات أسبوع من إجازة نصف السنة.

إحنا نروح بيروت إجازة عند والدي، وعمي كان هناك كمان عشان كان مؤتمر الفلسطينية لها في بيروت. جاء عمي وهما ما يعرفوش إحنا فين أنا وأخويا، ولما وصلنا في المطار وكان في المطار سلك يفصل بين الناس اللي واصله والناس اللي تستقبلهم، وكان والدي جه هو وعمي وقال: "إنتوا كنتوا فين؟!" قلنا له كان مقبوض علينا، والدي ضحك. وعمي راح عمل لنا بصوابه علامة النصر وكانوا مبسوطين جدًا، لا وبخونا ولا حاجة، دا الجو اللي إحنا كُنا فيه. طبعا عمي قعد يطلب مننا تفاصيل وقضينا الأسبوع اللي فاضل ونزلنا، بدأنا نستأنف النشاط بتاعنا في أجواء مختلفة خالص، أجواء من الخوف. الموضوع اختلف تمامًا، إحنا طلعنا واستمرت الحركة بس كانت أضعف. بدأوا هما كمان يقبضوا على الناس من البيوت، وبدأ كمان شوكة الإسلاميين تزيد، وبغدين دخلنا على امتحانات. جات إجازة الصيف، وافنكر قبل 1973 كان فيه مناوشات يومية بتحصل بيننا وبين البوليس، يوميًا نروح لحد تمثال نهضة مصر وبغدين قتابل مسيلة للدموع وكر وفر، وبدأت الحركة تبقى أقل زخمًا بكثير، ناس كثير مستمرتش وهما كمان بدأوا يقبضوا على الناس بشكل غير مسبوق. كان فيه قصص حب كثيرة نشأت بين الرفاق وبعضهم، كُنا بنخبي بعض. أنا خبيت رفاقنا وكنت عارفة مخابئ، لَمَّا كُنا نقع في أخطاء، إن البنت مش طابقة إن لازم تشوف رفيق وتروح تلاقى البوليس مستتياها

وبأخدها هي كمان يكون قبض عليه ومسنئها. فيه ناس تنشي بينا وعرفناهم بعد كده، وفيه ناس وشت بينا وكانوا من ضمننا وعرفناهم بعد كده، وفيه منهم مبقناش تشوفه خالص واختفى من المحيط بتاعنا، وفيه منهم بقى فعلاً إخوان مسلمين. حصلت حاجات بالشكل دا وفي 1973 الناس اتقبض عليهم وأنا متقبضش عليّ، أنا من الناس اللي كنت بخبي ناس وبالتالي محدش كان يعرف لأن كان فيه شقتين؛ شقة والدي وشقة والدتي وكنت بخبي الناس في شقة والدتي، وممكن كمان مكنش مراقبني تحديداً وكنت باخد بالي ومكنتش ظاهرة زي قيادات الصف الأول والثاني، يعني ممكن أكون صف ثالث مكنتش ظاهرة زبهم، مكنتش بقف اتكلم في الاجتماعات بشكل رسمي، يمكن دا اللي خلاهم مش يركزوا عليّ قوي. كان التركيز على البنات في القيادات زي سهام صبري، أروى صالح، شوقية الكردي، منى أنيس، شهرت العالم، وطبعاً الـ 12 بتوع اللجنة والصف الثاني وهكذا. الناس اتقبض عليها وحققوا معاهم وامتنحوا وقت الامتحان متحرموش من الامتحان، فيه ناس قعدت سبع أو تمن شهور كانوا بيتعاملوا معاملة جيدة، وتم الإفراج عنهم، فحصلش تعذيب، فحصلتش أشياء من هذا القبيل. جاء العبور، تخرجنا لأن معظمنا كان في آخر سنة، وفيه منّا اللي سافروا اشتغلوا برّ، وفيه منّا قعدوا سنتين وسافروا بعد كده. كُنا كلنا في نقابة المهندسين ومسجلين، كُنا بتتقابل عشان بعد ما اتحلت النقابة وكُنا بتفكر نعمل نقابة بديلة. وعملنا شغل سوا زي جمعية "مصري في وطن واحد" وقبلها كان اسمها "مصريين ضد التمييز".

وبدأت أحداث الاعتداء على الأقباط من قبل السلفيين. الزاوية الحمراء* دي كانت مذبحة، الأول بدأت مجموعة تمارس الطقوس حوالين الكنيسة، الزاوية الحمراء كانت افكر منعوا الطقوس أو إنهم يروحوا الكنيسة، لأنها كانت أرض مملوكة للمسيحيين، الدولة سابت البوليس يموت حوالي 40 واحد. بدأ شرح عميق جداً يحصل في المجتمع المصري، وطبعاً تحججوا بالشيخ الشعراوي اللي هو كان مسيطر على الإعلام ما كنش في صوت غيره وإن هو ينشر أفكار إن المسيحيين كفرة وما تسلموش على المسيحيين، ولو شوفته على الرصيف عدي على الرصيف الثاني وخليك بعيد وكل الأفكار دي. كُنا بتتقابل وعملنا مصريين ضد التمييز الديني بس ما بدأتش نحيا غير في بداية الثمانينات، لأن كان في منا كثير برّ ولما رجعنا نتقابل من ثاني تحولت لـ "مصريين في وطن واحد". كُنا نفس المجموعة بتاعة الحركة الطلابية على فكرة، منهم أروى صالح مثلاً انتحرت، سهام صبري يقال إنها دخلت الدير واعتزلت الحياة العامة دا اللي كان مكتوب في مذكرتها. بدأ ناس بيتعدوا عن العمل السياسي لكن ظلوا

أوفياء لأفكارهم بشكل عام، إنهم ضد الظلم والديكتاتورية ومنحازين للطبقات اللي أفكارهم بيدافعوا عن مصالحها ممكن يوقعوا بيان، لكن ابتعدوا عن أي عمل سياسي أو اجتماعي. أنا روحت اشتغلت في الجزائر سنتين، وفي الجزائر جالية مصرية كبيرة وهناك تعرفت على ناس متفقين معاً سياسياً وأيديولوجياً، جندوني في الحزب الشيوعي المصري اللي كان له فرع في الخارج في الجزائر. ولحد ما قضيت سنتين ونصف في الجزائر روحت فرنسا عشان أدرس، أنا كنت حوشت فلوس تمكنني أدرس سنة قبل ما اخذ المنحة وأسجل الماجستير في التخطيط العمراني. تعرفت على اللي أصبح زوجي بعد كده، هو مهندس معماري بس كان بيخرج أفلام سينمائية، وكان جاي في الجزائر يعرض في مهرجان أفلام الهجرة. يعرض فيلم عن المهاجرين الجزائريين في فرنسا، تعرفت عليه وتزوجنا بعد سنة، عيشنا سوا في فرنسا ودي كانت جرة كبيرة مني إني أعمل علاقة خارج الجواز ويعرف بيها أخواني ووالدتي عرفت بالصدفة، بس عرفت، بعثت جواب لصاحبتني بحكي لها وبذل ما أبعت الجواب لصاحبتني هي كانت في أمريكا بعته لمامتي، يقول لها أنا عايشة مع واحد فرنساوي. مامتي في الحقيقة مش زعلت، والدي ووالدتي هم انفصلوا من زمان بس هم الاثنين كانوا متقنين جداً رغم إن والدي كان رجل عسكري إلا إنه دائماً كان يقول لنا: "أنا بعلمكم تعليم لويس وطول ما انتوا معاً وبصرف عليكم هودبكم تحت كويسة"، كان يخرجننا ونرقص، "ولما تتخرجوا تعملوا اللي انتوا عايزينه خلاص مليش دعوة بيكم"، دا كان شيء مريح جداً. أنا تخرجت من هنا وبدأت اخذ قراراتي لوحدي، حيث أسافر الجزائر سافرت من غير ما استشير حد وجيت قلت لهم أنا مسافرة، اتجوزت قلت لهم أنا اتجوزت. أخواني معملوش كدا، وأخواني اللي هم أصغر مني بكثير اللي هما من ست تانية كانوا أكثر تقليدية، بس والدي مكنش عنده مانع إننا نشرب معاه، إنه في رأس السنة يدينا شوية نبيذ، ويقولنا "شوية كده أخليكم تشربوا معاً عشان ما تشربوش برّ"، عايز كل حاجة تتعمل تحت مراقبته. لما بدأت استطعم النبيذ أنا وأختي كُنا بنروح نسرق بليل وكانت كل واحد تقول للتانية إنتي ما تسرقيش النهاردا عشان أنا اللي هسرق، يجي هو يحط الإزارة قدامه تلاقها قربت تخلص ويشتكي: "هي الإزارة يجري لها إيه؟". وكانت الأمور كده. كان في محيطنا شباب كثير، وكمان شباب مش أقاربنا وكُنا نرقص معاهم، كُنا بنعمل حفلات راقصة في البيت، بنروح حفلات، كانت تربية أوروبية، ووالدتي كمان كانت سيدة عاملة ومتفتحة جداً، كانت مثلاً تقول لنا لما وصلنا لسن يكون عندنا صديق أحكي لها شوية. التربية دي خلت يكون عندنا حدود، عارفين حدودنا إيه من غير ما نستخدم أي حاجة بشكل يثير غضب الأهل، عارفين الحدود

اللي هما حطينها وماشين عليها، بس هي كانت تقول لنا مثلاً "لمسة إيد الولد ممكن تجري الدم في عروقكم"، تقول لنا: "حاجة مش وحشة هي حاجة جميلة ودا حقيقي". هذا الوسط اللي نشأت فيه وسط فيه تفتح وحرية، وحرية رأي كمان لأننا كنا بنعبر عن رأينا كمان في البيت، ممكن يكون بابا هو اللي يقرر بس كان يسمح لنا نعبر عن رأينا.

مجلة يسارية تصدر بالعربي من فرنسا

روحت الجزائر سنة 1977 واندلعت المظاهرات في مصر، لكن بعد كده لما نزلت كانوا أصدقائي حكا لي. بدأت عملية الانفتاح كل الإنقلاب اللي عمله السادات على ميراث عبد الناصر وكسر القطاع العام وكسر قطاع الصناعة والاعتداء على الأراضي الزراعية، لأن رسالة الدكتوراه بتاعتني كانت على التخصر العشوائي وانتشرت بالفرنساوي والعربي، وبدأت اهتم بالموضوع لأنه بدأ يورقني علميًا وأكاديميًا، وإحنا شايفين النتيجة دلوقتي، يعني في 2050 مش هيكون عندنا أراضي زراعية خالص، لو استمر الزحف عليها بالشكل دا. روحت التحقت بالحزب الشيوعي في فرنسا اللي كان فيها الناس مطلوبين من نظام السادات كانوا على رأس الحزب الشيوعي في الخارج، منهم الأستاذ محمود أمين العالم، وكانوا بيطلعوا مجلة اسمها "مجلة اليسار العربي" تتوزع في العالم العربي كله، منها نسخ تتوزع في مصر وبدأت أكتب فيها مقالات عن الإسكان. كانت تصدر بالعربي، وعشان تصدر من فرنسا لازم يبقى فيه مدير فرنسي. جوزي أدى اسمه. وأول ما تصدر تروح المطار نبعثها ونبعث كل الطرود للبلاد وكان مفيش حد من المجموعة اليسار والحزب الشيوعي المصري عنده عربيات، أنا كنت جاية عربية من الجزائر، عربية صغيرة لكن عربيتي أنا كانت واحدة جاية بعربيتي يومها المدخرات بتاعتني وعندي حساب في سويسرا بصرف منه عليّ وعلى دراستي وعلى معيشتي في فرنسا وعلى البنزين، عابشين معقول زي الطلبة وجوزي عنده عربيته كمان، إحنا اللي كنا بناخد الحاجة ونبعثها من المطار، دا كان من المهام الموكلة ليّ. كان عندنا نشاط ونعمل اجتماعات مع كل التجمعات العربية اليسارية في الخارج بتنسق معاها مواقف ضد أنظمتنا وبنطلع بيانات، يعني إحنا كنا معارضة في الخارج. وأنا كنت مع مجموعة المعارضة دي في الخارج، ملعبتش الدور دا أبدًا بعد كده، دي كانت فترة محددة لأننا كنا نعتبر نظام السادات نظام عميل بيخرب مصر، وهو فعلاً خربها دي وجهة نظري، وبالتالي كان لازم نفوضه في الخارج. اللي حصل بعد كده قتلوه اللي هو خرجهم من السجون وأطلقهم علينا، وهو قبل ما يقتل كان حاطت الناس كلها في السجن، كل مثقفي مصر، كل عقول مصر سجنهم. جاء بعد كده مبارك طلعههم وبدأ المعارضين في الخارج

يرجعوا مصر ويعملوا في المؤسسات الثقافية والإعلامية بشكل علني وواضح، منهم محمود أمين العالم، أحمد عبد المعطي حجازي. لما كنت في فرنسا كان لينا علاقات بحزب التجمع، كان الأستاذ خالد محيي الدين يجي ويعمل معانا اجتماعات، كان كل الناس اللي يجي من "التجمع" تجتمع بينا، وإحنا كنا متابعين صعود التيارات الدينية في مصر وكنا قلقين جدًا، وكان كل ما يدوا كنا بتلفت نظرههم وكانوا يقللوا من مخاطر التيارات الدينية مش عارفة ليه، لحد لما انتدبت في مصر عام 1983 ونزلت اخذ المنصب الجديد كمدرسة منتدبة للتخطيط العمراني في معهد التخطيط العمراني، قبل ما يتحول للكلية، وكان مقره المؤقت في معهد ليوناردو دافنشي قبل ما ينتقل جامعة القاهرة. وبدأت اتردد على حزب التجمع بس بحذر شديد، لأنني كنت في مصر كأستاذة فرنسية، واللي حواليا كانوا عارفين دا كويس وكنت أخشى إنهم مثلاً يلزقوا لي قضية تخاير، وكنت بمارس مهامهم كمدرسة وأنشر أفكار في رؤوس الطلبة من خلال تدريسي لمادة تاريخ التخطيط لأن المادة دي فيها تاريخ وتخطيط وفيها جغرافيا واجتماع وسياسة فيها حاجات كثير، ودا كان مدخلي وكان لي علاقة بـ "التجمع" برضو. استمررت كده لحد ما رجعت فرنسا بس كنا بدأنا ننشط المصريين في مناهضة التمييز الديني، بعدها كسروا "التجمع"، يعني بدأ يضغطوا عليه أمنيًا ويحاصروه، وبدأت كل الأحزاب تهاضر بحيث إن فعلاً الناس مبقتش عارفة تمارس أي نشاط سياسي، وبدأت المكاتب الإقليمية تتقفّل. يمكن أول عشر سنين لمبارك كان فيه حرية حركة، بعد شوية بدأت القبضة الحديدية لما بدأ يتحالف مع رؤوس الأموال بشكل فج، وبدأ كمان يسبب الدنيا والمجال مفتوح للتيارات الدينية، بدأت الأمور غير محتملة سياسيًا في مصر. ومدة انتدابي انتهت، ورجعت لفرنسا وكنت بروج مصر من آن لآخر.

عمارة الجزائر

قضيت سنتين ونصف في الجزائر، هي من المحطات المهمة في حياتي، لأنها كانت في مرحلة التحرر والتعريب، مرحلة الزخم الوطني وتبحث عن نفسها وعن دور تقوم به في إفريقيا والعالم العربي، وكان الرئيس في هذا الوقت هواري بومدين، وفيه حركة ثقافية كبيرة جدًا تستدرج الجزائر، وفيه علاقات بإفريقيا فيها متعاونين فنيين كثير من العالم كله من الدول العربية عشان إعادة بناء الجزائر، لأن مكش فيه خبرات محلية. السنتين اللي قعدتهم بجانب الخبرة المهنية اللي اكتسبتها بدأت أمارس عملي كمهندسة معمارية وقت كامل، كان في خبرات مهنية أخرى وخبرات إنسانية. بدأت أبص للعمارة نظرة مختلفة لأننا تعلمنا في الكلية وكل تعليمنا كان مركز على العمارة الحديثة، لكن

العمارة التراثية جزء من تاريخ العمارة لكن عمرهم ما علمونا إزاي نستخرج عمارة محلية من العمارة الموجودة مع دمجها بكل اللي اتعلمناه في العمارة الحديثة.. لكن في الجزائر فيه تجارب فعلاً تحاول إنها تعمل عمارة حديثة بخطوط العمارة المحلية، الجزائر كمان متنوعة جغرافياً، عندنا المدن الساحلية والمدن الداخلية، ومدن الصحراء، والمدن اللي في الجبال. والمدن دي كانت ما زالت تحتفظ بتجانسها وتحفظ بالطابع بتاعها، ممكن الواحد يتعلم منها حاجات كتير. عندنا في مصر للأسف عديد من المدن ادمرت أجزاء منها، عندنا نحتفظ ببعض الأجزاء. لكن في الجزائر مدن كاملة محتفظة بتجانسها تدي الواحد أفكار يتعلم منها حاجات، الجزائر العاصمة مختلفة عن وهران، عن عنابة، عن مجموعة المدن في الصحراء. أنا سافرت في الجزائر كلها، انتهرت فرصة وجودي هناك وسافرت تونس وليبيا، كنت تقريباً كل 15 يوم بسافر، لكن ما سافرتش المغرب. الجزائر كمان كانت معمل لتجارب في أيام الاستعمار لمهندسين فرنسيين، هما اللي استلهموا بالخطوط بتاعة العمارة المحلية ومزجوها بالعمارة المعاصرة، كانوا مهندسين معماريين معروفين في فرنسا أهمهم سيمونيه، ودي تجارب الناس والباحثين بدرسوها وفي نفس الوقت كمان تركت علامة، أصبحت من العلامات المميزة للعمران وعمارة الجزائر. وفي مجال التجارب الإنسانية لأنني تعرفت هناك على شعوب مختلفة نتيجة لوجود كل المتعاونين الفنيين اللي هناك، ووثقت علاقتي خاصة بالإيرانيين واليطاليين وطبعاً كنت بعرف زملاء مصريين وبشوفهم كتير، لكن الإيرانيين غير الجزائريين، الجنسيات الأخرى اللي وثقت علاقتي بهم، الفرنسيين بيعملوا في الجزائر، وفيه إيطاليين وإيرانيين، لأنني اشتغلت في مكتب واحد إيراني وكان من المعارضين لسياسة الشاه، وكان كل اللي بيشتغلوا في المكتب بتاعة من المعارضة في الخارج، وبرضو اتعرفت على الإيرانيين وما يحدث في إيران في الفترة دي، وكان يتعاون معه مجموعة من الإيرانيين وما زال ناس منهم أصحابي لحد النهاردا وينشوف بعض، خبرات إنسانية جيدة. في الجزائر بدأت أهتم بالتراث العمراني والمعماري اللي يصبح بعد كده قضيتي المحورية سواء في شغلي أو في القضايا اللي بدافع عنها، ركزت على قضية الدفاع عن التراث، ودا من المكتسبات اللي قضتها في الجزائر.

المحطة اللي بعد كده محطة باريس وأنا ما أشرتني إليها، باريس من سنة 1977 إلى 1983 لما أول انتخاب لي في القاهرة ودي كمان مرحلة ثرية أنا أتكلمت عنها قبل كده في النضال لأن ألتحقت بالحزب الشيوعي المصري وكنا المعارضة في باريس ضد النظام المصري، لكن في نفس الوقت مرحلة في اندماج الثقافة الفرنسية والتعرف على

ثقافات شعوب أخرى، لأن كان معايا في معهد التخطيط اللي بدرس فيه ناس جايين من تحت كثيرة جداً في العالم طلبة، أجنب كتير جايين من أمريكا اللاتينية، إفريقيا، من شمال إفريقيا، من آسيا، دا كمان كان تعارف على الثقافات دي، وفي نفس الوقت تعرف على مشاكلهم. الفترة دي كانت فترة مناهضة ضد ديكتاتوريات أمريكا اللاتينية، ضد خورخيه فيديلا في الأرجنتين، ضد بينوشيه في شيلي، وكنا نتضامن مع كل شعوب العالم، فرنسا مقيش يوم يعدي إلا لما يكون فيه مظاهرة أو مظاهرات تضامن مع شعوب العالم كلها، وتتعرف على المشاكل. طبعا القضية الفلسطينية كانت واحدة جيم كبير من نشاطنا، لأن أبو إني اللي هو زوجي السابق لما عرفته كان أساساً عضو في المنظمة بتاعة فتحي عرفات اللي هو أخو ياسر عرفات، وكان فتحي عامل منظمة اسمها (المنظمة الفرنسية الطبية) مع طبيب فرنسي، وكانت تقدم العون الطبي للمناضلين الفلسطينيين وكان لها دور سياسي، هو كان له دور مهم مع المنظمة دي كمهندس معماري وكمان بعد كده اتجه للسنيما ويعمل كل الأفيشات والبوسترات بتاعة المنظمة. وكان مرحلة ثرية للعلاقات اللي كُنا عاملينها، بالنسبة للأشكال اللي اخدها النضال بتاعها والتضامن مع الشعوب الأخرى. كل دا كان له أثر في تكويني الأكاديمي لأنني بدأت أركز مجهودي في البحث على قضايا الإسكان، مش بس الإسكان الرسمي لكن الإسكان اللارسمي اللي هو بنطلق عليه العشوائي في فترة السبعينات بالتحديد في نهايتها وبداية الثمانينات، كانت مسألة مطروحة في العالم كله خاصة العالم الثالث، هي دي الفترة اللي اتعمل فيها أول مؤتمر للموئل⁹. بدأت قضية الإسكان توضع في الأمم المتحدة كإحدى القضايا الهامة اللي بتواجهها الإنسانية وإزاي نوقر مسكن صحي لكل الناس. التحت بشبكة بدول مختلفة من أمريكا اللاتينية وآسيا وإفريقيا والعالم العربي، وأصبحت أشارك بفكري فيه وبنقاش حوالين قضايا الإسكان خاصة قضية التضرر العشوائي، وبدأت أهتم بالقضية دي في مصر وألّم بأبعادها وأصبحت هي موضوع رسالة الدكتوراه بتاعتي اللي ناقشتها سنة 1982 والرسالة نُشرت بالفرنسية سنة 1985 وبعدين نشرتها أخيراً بالعربية سنة 2010¹⁰ اخدت وقت طويل لأن أنا كنت مهتمة بحاجات ثانية بس وقتها كان لها صدى جيد لأن مشكلة التضرر العشوائي ما كنتش في مصر.

في باريس، دخلت Network وبدأت أشارك في إني أدي محاضرات للطلبة، عملت تقريباً في معهد التخطيط العمراني

9 انعقد مؤتمر الموئل الأول في فانكوفر عام 1976.

10 "التضرر العشوائي في القاهرة" كتاب صدر في 2010 عن دار العين والمجلس الأعلى للتعاقة

عندنا معلومات كثيرة مكتوبة ومعقدناش خالص خرائط إلا من أول الحملة الفرنسية، يعني من القرن الثامن عشر، يبقى إحنا هنحاول نعمل الخرائط من خلال وصف الوقفيات، لأن كل وقفية بتوصف المنشأة شمالها وجنوبها وإيه الأربع جهات. بدأنا زي الأحجية نجيب الخرائط الحديثة ونحط عليها المنشآت وبعدين نبدأ نحط كل حاجة موصوفة، كانت شغلانة شيقة جداً، ومعانا بتوع الجغرافيا، معانا بتوع الاقتصاد والاجتماع، كل واحد يحرس جانبه، لحد لَمَّا وصلنا لاول كتاب طلعهنا عن مدن الدلتا في التاريخ والأدوار اللي لعبتها. ثاني كتاب طلعهنا عن رشيد بس اللي هو "رشيد النشأة والازدهار والانحسار"، والكتاب دا أخذ جائزة منظمة المدن والعواصم العالمية 2000 لأن كان فيه منهج جديد لتناول تاريخ المدن اللي هو من خلال الوقفيات، دا طبعا بدأ يتكرر من ناس تانية، معملنهوش إحنا لأن مكش عندنا تمويل كفاية.

إنقاذ المقابر

عملت بحث عن العمارة الجائزية، جبانات القاهرة كانت مهددة إنها تُزال، كان في نفمة عالية جداً إنهم عايزين يزيلوا الجبانات التاريخية للقاهرة، الإمام الشافعي، جبانة المماليك، وباب النصر، وباب الوزير. ودي جبانات زيبها زي منفى طيبة بس هي أماكن دفن المصريين المحدثين ومينفعش إنها تنزال!

كان في فكرة أيام الانفتاح عايزين يزيلوا حديقة الحيوانات وعملوا برج بدالها وبلاد نزيل الجبانات ونديها لمستثمرين، وبعدين اتحججوا إنها مسكونة! عملت بحث مع مركز بحوث البناء، كشفنا فيه عن حكاية إنها مسكونة وأسطورة اللي ساكنها ملايين، وفلنا إن كل اللي ساكنها 15 ألف ساكن كلها على بعضها اللي هي الأحواش، وإن فيه مناطق سكنية داخل النطاق الجغرافي بتاع الجبانات حوالين الإنشاءات الجائزية الكبرى بتاعة المماليك، وإن دي فيها 175 ألف ساكن سنة 1986 في نطاق الجبانات بس اللي في الأحواش كلهم على بعضهم 15 ألف، بالتالي حطينا الأمور في نصاها وبدأنا ننشر المعلومة. وفي نفس الوقت عملنا دراسة كبيرة جداً عن عمارة وعمران الجبانات ونشأتها وتطورها، الدراسة دي صدر منها كتاب باللغة الفرنسية سنة 2002 ترجمته الجامعة الأمريكية للغة الإنجليزية 2007 أصبح المرجع الوحيد عن العمارة الجائزية والجبانات في القاهرة، للعلم هي مساحتها ألف هكتار يعني مساحة كبيرة جداً ويطول 12 كيلو متر من الجنوب للشمال وتغطي مساحة كبيرة وهي مكون أساسي من مكونات عمران القاهرة. استمرت في الدفاع عن الجبانات بحيث يتم الاعتراف بيها بتراث عالمي مش تراث محلي عشان محدش يمسه، لحد ما توصلت من حوالي ثلاث سنين إن لَمَّا تعمل نطاق الحفاظ من اليونسكو على القاهرة التاريخية راحوا حاطين الجبانات في داخلها

والإقليمي في جامعة باريس كنت بعمل كمساعدة للأستاذ بتاعي بتاع الدكتوراه، وبدأت أنشر كمان مقالات في مجلات علمية بحيث إنني لَمَّا جيت أناقش الدكتوراه كان في ممثلين في المناقشة بتاعتي لمراكز الأبحاث، المركز القومي للبحوث وجامعتين حضروا المناقشة وعرضوا عليّ إنني أقدم عشان أتعين في مركز الأبحاث أو الجامعات دي، طبعا محدش بيعين حد كده، لازم الواحد يقدم أو يعملوا إعلان والواحد يقدم بس كان ليّ دعم أساسي، كنت مدفوعة من قبل التقديم ودا كان حاجة بالنسبة لي كويسة جداً لأنني قبلها بسنة كنت مدفوعة من خلال مشاركتي في الشبكة وقدمت في مركز البحوث اللي اتعينت فيه قبل كده وتحدد يوم الهيئة وبعثوا لي جواب بس أنا كنت مسافرة في مصر ورجعت يوم الهيئة وضاعت عليّ الفرصة، وكنت منهارة تقريبا. كل علاقاتي العلمية اللي أنا كنت عملاها خلت الزملاء اللي حواليا بعد كده يدعموا الدوسيه بتاعي لَمَّا قدمت المرة الثانية. اتعينت في مركز الأبحاث اللي هو مركز البحوث من أجل التنمية اللي هو مركز الأبحاث القومي في فرنسا، وانتدبت للعمل في كلية التخطيط الإقليمي والعمراني من 1983 لـ 1992 ودي محطة جديدة. كنت بدرس تاريخ ونظريات تخطيط لسته تانية وكنت بدخل في الاتيليهات بالنسبة لمشاريع التخطيط للطلبة، وبعد كده درّست للدراسات العليا وكنت بقوم بأبحاث مشتركة أنا اللي بتولى الأبحاث وأنا اللي بحيب التمويل، الفترة دي كانت فترة التكوين أنا بتعلم وأدرس، بتعلم أعمل أبحاث مشتركة، يعني أبحاث مع كذا جهة، ودي كانت مرحلة مهمة جداً اتعلمت فيها حاجات كتير. بدأت اتعلم إزاي أوظف البحث العلمي في العملية التعليمية، معملش أبحاث ملهاش علاقة باللي يدرسه وبالتالي عملت بحثين. وبدأت أركز على التراث، سببت موضوع الإسكان وبدأت أركز على التراث المعماري والعمراني، عملت بحثين في المرحلة دي، البحثين دول كانوا بحثين كبار. الأول اختص بمدن الدلتا ذات التبادل الحضاري اللي هي المدن الساحلية غير الإسكندرية، أخذنا رشيد ودمياط وكنا هناخد بورسعيد، للأسف معملناش غير رشيد لأن مكش عندنا تمويل كفاية، الهدف من الأبحاث دي إننا ننتج معرفة حول تاريخ المدن المصرية لأنني كنت مدرّسة تاريخ مدن ونظريات تخطيط، معنديش مادة أدرّسها للطلبة على تاريخ المدن المصرية، معنديش غير القاهرة والإسكندرية، وعندي معلومات متناثرة المقروص إنني أجمعها عشان أقدر أعمل مناهج على المدن المصرية، وبالتالي عندي نقص في الأدبيات على تاريخ المدن المصرية وتطورها، أشرت في البحث دا كل كلية، لأننا نتناول المدن المصرية مش بس وتاريخها وتطورها من نشأتها إلى اليوم، أشرت معانا كمان مجموعة من المؤرخين وأساتذة كلية الآثار عشان يطلعوا لنا على الأوقاف، ليه؟ لأن

وبالتالي أصبحت تراث عالمي محدش يقدر يمسّها، أنا يعتبر إن دا من أهم الإنجازات اللي أنا عملتها بالنسبة لمسيرتي المهنية والعلمية إني فعلاً أنقذت الجبانات من مصير كان محتوم إنها تنهد ومحدش يقدر دلوقتي يفتح بقه والتوثيق الحضاري بعد كده عمل رفع مش للمنشآت الجائزية الكبرى اللي هي آثار زي برفوق وقايتباي، وزى كل الآثار اللي موجودة فيها، وزى شجرة الدر، وزى مقابر أهل البيت، فيها 75 أثر من جميع الحقبات، من أول الحقبة الفاطمية لحد نهاية العصر العثماني، ودا يمثل 15% من الآثار الإسلامية والقبطية في مصر يعني مش حاجة قليلة، التالي التوثيق الحضاري عمل راحة للأحواش بتاعة الأعيان، حقيقي لقا الواحد يتجول في الجبانات دي ممكن الحيل الجديد يتعرف على تاريخ مصر، لأن بمجرد ما تمشي في شارع في كل مقابر الأعيان والباشاوات وناس أثرت في السياسة المصرية، وأثروا في تاريخ المنطقة كلها، أو ناس أثرت في الفن زي أم كلثوم وأسمهان وعبد الحليم اللي في جبانات البساتين، عظماء من قادة "الوفد"، فعلاً رواية كبيرة ممكن تتروي من خلال زيارة الجبانات. غير تاريخ مصر الأقدم من ساعة نشأة الجبانات مع الغزو العربي، لأن الجبانات أنشئت لما جاء عمرو بن العاص مع الفسطاط وبعدين لحد العصر الحديث، لأن حسن فتحي بنى مقبرة مش فاكهة لمين دلوقتي بس ممكن افكر بعد كده، مقبرة تطل على صلاح سالم لأحد الأعيان، بالإضافة لروتش بيه اللي هو مهندس معماري طلياني عمل 3 أو 4 مقابر للأعيان، في مهندسين معماريين عملوا مقابر، الفترة اللي عملت فيها البحثين دول فترة تسع سنين، كانت فترة ثرية جداً في إنتاجي العلمي، وفترة الأمومة كمان لأنني خلفت ابني حكيم سنة 1986، كانت والدتي موجودة وكان فيه مساعدة منها، لكن هو أخذ مني وقت، لكن استطعت إنني أعتمد على والدة مع مساعدين تاتين أيامها، فقدرت أوفى التزاماتي كأم والتزاماتي المهنية. المحطة اللي بعد كده الرجوع لفرنسا وتفرغ جزئي للأمومة، الرجوع لمصر كان سنة 1992 سنة الزلزال، كنت بعث ابني قبل الزلزال بس أنا عاصرته في القاهرة. ليه بجيب سيرة الزلزال، لأنه كان له أثر كبير جداً إنه لفت النظر لمنشآت القرن الـ19 والقرن الـ20 لقا كان وزير التعليم عايز يهد كل المدارس اللي هي القصور القديمة اللي أصبحت مدارس وتصدعت أثناء الزلزال، هب المجتمع المصري بجميع أطيافه، ودي كانت بداية نظرة جديدة ومختلفة إلى تراث الحقبة الليبرالية اللي هو محدش كان واخد باله منه. بدأوا باخدوا بالهم منها وكلام يتقال طب ده لو اختفى من حياتنا يبقى كأن الحقبة دي ما لهاش وجود، فعلاً حملة والمدارس أنقذت بس النظرة تتغير عشان تشمل في جميع المدن المصرية كل تراث نهاية القرن الـ19 وبداية القرن الـ20

اللي هو هيبقى موضوع بحثي الجديد بعد كده. الـ6 سنين اللي أنا مقعدتهم في فرنسا وانتدبت فيهم في جامعة تور كنت بروح ثلاث أيام في الأسبوع ومركز التخطيط للعالم العربي اللي أنا قلت اتعرفت على زملاء كثيرة في العالم العربي دول البحر المتوسط جنوب وشمال، وعلاقاتي العلمية توطدت بيهم بحيث إني أتاح لي انطلاقة جديدة لقا جيت أرد على عطا كانت عمله المجموعة الأوروبية على التراث وتقدمت مع زملائي من جامعة فينيسيا في إيطاليا ومن جامعة حلب في سوريا، وزملائي الفرنسيين مع زملائنا المصريين بالرد على هذا العطا وحصلنا على تمويل مريح جداً عشان نعمل دراسة كيفية إدارة تراث القرن الـ19 بداية القرن الـ20 في القاهرة وحلب. الدراسة دي كانت أول دراسة من النوع دا في مصر، وكانت دراسة رائدة عملنا فيها حاجات كثيرة جداً، لأن كان جاي لنا إمكانيات جيدة، بمعنى إننا كان لازم نلفت النظر لوجود هذا التراث وأهميته، وكويس إننا تدخلنا في اللحظة دي، البحث بدأ سنة 2000 وانتهى سنة 2006 كان ورانا من سنة الزلزال لحد 2000 مبادرات كثيرة جداً اتعملت في المجال مبادرات في الميديا بدأت تتكلم عن هذا التراث، أو إن كان في مبادرات اخدت شكل وصلت لشكل عالي من الاهتمام، "ميادة سوزان مبارك" مع "الأهرام ويكلي" كانت الشرارة اللي خلّت المبادرة دي تنطلق، كان الهدم اللي هيطول المقر بتاع سفارة هولندا في الزمالك ودا كان مبنى تراثي، انطلقت المبادرة دي للدفاع عن هذا المبنى والمبادرة كملت مع "الأهرام ويكلي" ومكتبة مبارك بمبادرة منها هي شخصياً عشان الدفاع عن هذا التراث. وطلع ما بين سنة 1993 و1995 كذا قرار من المحافظة، ستة منها قرارات بالتحديد بتمنع التعامل مع كل الفيلات والقصور بتاعة الفترة دي لحد ما طلع القرار بتاع الحكم العسكري بمنع الهدم خالص. لقا بدأنا البحث بتاعنا الأرضية كانت مفروشة مش بتدخل في صحراء جرداء مفهياش ناس اتكلمت عن الموضوع قبلنا، لا الرأي العام مستعد والأكاديميين مهئين إننا نتناول هذا. يندبهم بقى الأدوات اللي تسمح لهم إزاي يديروا التراث دا، إننا نجيب كل المعلومات اللازمة عنه، خدنا وسط البلد في القاهرة، مش كل وسط البلد حددنا مثلث، المثلث دا كان يحده من الجنوب شارع التحرير، من الشرق شارع الجمهورية، من الغرب شارع الجلاء وشارع رمسيس، وكانت الرؤوس بتاعته ميادين رمسيس والثوبرا والتحرير. وفي نفس الوقت في حلب أخذوا أحياء العزيزية والجميلية اللي هي اتبنت في نفس الفترة، اشتغلنا على المنطقتين في نفس الوقت، بنجمع الأول كل المعلومات اللازمة عن المباني وعن نشأة المكان وتطوره في إطار أشمل. بنعمل قاعدة بيانات كانت السنة الأولى أنشأت قاعدة بيانات إنها تساعد متخذ القرار لقا يجي يدخل إن يبقى عنده كل البيانات

عن المكان تاريخياً، وكل البيانات عن كل مبنى على حدة. تعاوننا مع شركات تأمين مصر التي كان فيها عمارات مهمة جداً في المنطقة دي، تعاوننا مع محافظة القاهرة. وكان في الوقت دا شارعين اتعاملوا أو منطقتين يضموا ثلاثة شوارع تحولوا لمشاه، منطقة البورصة، منطقة الألفي، وسرايا الأزبكية، بدأ يبقى في برضو شوارع مشاة وكانت محلات الكهرباء القديمة اتحولت لمقاهي، والناس بدأت تقعد وتتكلم معاهم، بدأت تبص للعمارة، بدأت تحس بقيمتها، كل الجو كان مناسب إننا نقوم بالبحث دا، وفعلنا أنجزنا حاجات كثيرة وعملنا دعاية كبيرة جداً. أنا كنت أيامها منتدبة في جامعة القاهرة، من موقعي كعضوة في مركز الثقافة في المركز الأعلى للثقافة بدأنا نعمل معارض كثيرة في المجلس الأعلى للثقافة، معارض في كافيه ريش، معرض في فندق كومموويلتان، بنعمل مع الفنصالية الفرنسية والمركز الثقافي الفرنسي في أسبوع الفرنسيين والعلوم بالقاهرة، عملنا كذا حاجة في الألفي وسرايا الأزبكية حاجات فنية، ومنطقة البورصة، طلعنا كتير في التلفزيون نتكلم، مقالات كثيرة جداً في الجرائد. عملنا شغل كتير جداً في وسائل الميديا تروخا للمشروع، حضرنا مؤتمرات كثيرة، نهينا الموضوع بمؤتمر كبير في الإسكندرية طلع منه كتاب عن الدور المشترك لدول حوض البحر المتوسط حضره باحثين كتير من شمال دول البحر المتوسط، شمال وجنوب عثمان ندفع أو نروج لفكرة إن هذا التراث هو تراث مشترك بينا وبين دول حوض البحر المتوسط في الشمال، مشترك بين الشمال والجنوب لأن كان في تبادل بين السكان، ناس عايشة هنا وناس عايشة هنا، كان فيه تبادل ثقافي أثر على الثقافتين، وتبادل خبرات لأن المهندس المعماري ممكن ينشأ في أوروبا ويبي عيش في مصر ويموت في لبنان، لأن طبعا معارفنا كانت زادت عن حركة المهندسين المعماريين مين عمل إيه ومين أنشأ إيه، ممكن يبقى المقاول مصري والمهندس أجنبي. في المنصورة قدرنا نتعرف على تراث المنصورة. كل دا ساهم لقا "التنسيق الحضاري" أنبش، بدأ يتم الاعتراف بتراث القرن الـ19 والقرن الـ20 بدأت تتعمل مقاول للمباني التراثية والأحياء التراثية اللي يجب الحفاظ عليها، ووضعت فعلاً على قائمة التراث القومي، وبقي فيه قوائم عند التنسيق الحضاري، دي مباني "فئة أ" لا يجب المساس بها ومتهدش، "فئة ب" ممكن يحصل شوية تعديلات في الداخل بس الواجهة تفضل زي ما هي، "فئة ج" ممكن يحصل تعديلات في الواجهة والداخل لكن مع الاحتفاظ بالطابع العام، دا أدى لدا. في تجاوزات كثيرة حصلت، وناس رفعت قضايا وخرجت المباني بتاعتها من القوائم واتهدت. الإسكندرية كمثال يعني اتبهلت الحقيقة، القاهرة والمدن الأخرى أقل بكثير، بورسعيد برضو اتبهلت زي

الإسكندرية بس مش بنفس مقدار الإسكندرية. بس على الأقل حصل اعتراف، وأدى هذا الاعتراف إلى إن المباني دي لم تُمس وتفضل موجودة في المجال بناعها. يعتبر دا بجانب وضع الجبانات على قائمة التراث الإنساني، عن الاعتراف بالتراث القرن الـ19 والقرن الـ20 من الأشياء المهمة جداً اللي عملتها في حياتي.

قصر سعيد حليم في وسط البلد

وبعدين في الآخر نهيناها بقصر سعيد حليم بقصة طويلة جداً، قصر سعيد حليم اللي هو مدرسة الناصرية في شارع شميليون، القصر دا كان مهدد إنه يتزال، وإحنا أنقذناه ووضع على قائمة مش تراث التنسيق الحضاري، لا على قائمة التراث القومي، يعني زيه زي الهرم. قدرنا نحطه وننقذه، لكن للأسف كان رشاد عثمان، وهو مقاول كبير في الإسكندرية السادات قبل ما يموت قال له خلي بالك من الإسكندرية يا رشاد، خلي باله منها كويس زي ما شوفنا يعني دمرها! رشاد اشتري القصر قبل ما يتخط على قائمة التراث، ولحد دلوقتي هو ملكه، وإحنا كنا قدمنا مقترح إنه يتحول إلى متحف لمدينة القاهرة، زي متحف برلين ومتحف لندن، زي متاحف المدن.

وعملنا برنامج متكامل لأنه كان تبع هيئة الآثار، هيئة الآثار كانت فعلاً متبنا، وعملنا جمعية أصدقاء قصر سعيد حليم، وطلبنا من عضو الجمعية إسماعيل سراج الدين، اللي كان مدير مكتبة الإسكندرية، أنه يطلب من سوزان مبارك إنها تعوض المالك إنها تدي له أرض في المدن الجديدة، زي ما عملت بالطبط مع البارون إمبان، قصر البارون كان له اثنين مَلَاك من الخليج المَلَاك وعوضوهم بأراضي، هو وعدنا يطلب منها، هو كان من الطلبة اللي درسوا في مدرسة الناصرية زمان ودي كانت مدرسة معروفة جداً اللي هي كانت قصر سعيد حليم اللي تحول لمدرسة، وفي الآخر قال إنه مش قادر يطلب منها "لأنني يطلب منها حاجات كثيرة جداً للمكتبة ومش قادر أطلب منها حاجة ثانية". المهم حصل اللي حصل وما زال القصر واقف شامخ لكنه متدهور لا قدرة الهيئة تتفق مع صاحبه ولا قدرنا نعمل حاجة! دي من الحاجات للأسف لم أنجح فيها بس الواحد يكون له إنجازاته وله فشل فيها، لكن تفضل برضه في باله إن لو الفرصة أتحت له تاني ممكن الموضوع يصاغ من جديد.

قبل الثورة بست سنين، فيه 300 مثقف وقّعوا على البيان بيطالبوا بالحريات ونشأت حركة "كفاية" سنة 2005، دي كانت بدايات. أنا مكنتش موقعة على البيان بس دخلت الحركة بعد كده. بدأت أنشط في حركة "كفاية" وأيامها كنت رايحة جاية ما بين مصر وباريس، وكنت مع "مصريون ضد

التمييز الديني"، وأنشأتنا فرع للمصريين ضد التمييز الديني في باريس، عشان نجتمع فيه كل المصريين اللي بيشتغلوا هنا وكانت أي وقفة من الوقفات اللي بتتعمل سواء في ميدان التحرير أو عند مقر سعد زغلول جنب بيت الأمة كنا بنعمل وقفات هناك كمان. شاركت في الوقفات دي وبدأت أتابع الموقف، لحد ما جات ثورة يناير 2011، كنت في مصر أيامها وكنا بنعمل اجتماعات كثيرة في النقابة، في اليوم دا بالتحديد 25 يناير اتفقت مع أصدقائي المهندسين اللي هما في نفس الوقت بتوع الحركة الطلابية لأننا على علاقة مستمرة، في "كفاية"، وفي الوقفات، مع بعض في كل حاجة. المهم اتقابلنا أمام النقابة، كنا حوالي 10 عشان نتجه بعد كده لميدان التحرير، في السكة لقينا تجتمع قدام دار القضاء العالي فيه ناس بتتكلّم، وإحنا طول ما إحنا ماشين الأمن مواطننا وناس تيجي معنا والمسيرة بتزيد بس مش قوي، بتوع الأمن المركزي مش بيعرضوا لنا لحد ما وصلنا الميدان، وكله صب في الميدان وعدد الناس مكنتش كبير على فكرة بس أكبر من أي تجمع اتعمل قبل كده في وقفات "كفاية"، وساعتها عملت حديث لقناة فرنسية اللي تمثّلها صديقتي، قلت لها العدد مش كبير وقلت لها الكلام اللي بقوله دلوقتي بس دا يعني حاجة كويسة إن يكون فيه العدد دا، فيه حاجة لفتت نظري، كان فيه فتيات كثيرة في سن صغير يمكن أصغر منا.

سنة 2011 عندنا 61 سنة كبرنا يعني فيه منا جدود، فيه جيل جديد أصغر منا بكثير، أجيال، لاحظت ودي حاجة استغربت لها إن معظم الفتيات محجبات بينما في مخي ثورة 1919 وإزاي إن المرأة قلعت البرقع والحجاب في الثورة دي وبعد كده قلعت غطاء الرأس. أنا كنت مستغربة جدًا على هذه الدزدواجية لأننا في شبابتنا أول ثورة لينا كانت ضد الأسرة وتقاليد الأسرة، حاجات كبيرة وحاجات صغيرة، آه هخرج وتأخّر من حقّي إني احط مكياج في الجامعة، هليس مني جيب كل اصحابي لبسناها، أول صدام كان مع الأسرة وأول ثورة كانت على الأسرة قبل ما تبقى ثورة 1972 ضد الدولة، أنا بدأ الأول في الأسرة وعلى تقاليد المجتمع عشان بعد كده أخرج بثورتى برّه، لكن احي الميدان وأنا على رأسي ايشارب دي حاجة مكنتش فهمها! وأيقونات الثورة تكون محجبات دي حاجة برضه لسه مش فهمها لحد النهاردا! مش مستوعباها! يمكن في ناس تانية فهمها لكن أنا برضو لسه، بالنسبة لي غطاء الرأس في حظ من شأن المرأة لأنها تعتبر إن في حاجة فيها عورة، لا أنا ما فيش حاجة في عورة، بالتالي أنا فرد في المجتمع زتي زي أي فرد، زي الراحل اللي أنا بطالب به لو مكنتش موجود وهطالب به للنهائية، وأنا لا عورة ولا أنا كمان موضوع جنسي ولا أنا عورة ولا هتصرف مع المجتمع ولا مع روحي على هذا الأساس، أنا نظرتي

لروحي نظرة أخرى أنا إنسانة ومواطنة، ومفيش فرق بيني وبين الجنس الآخر، دا حاجة من الحاجات اللي كنت مستغربة لها إن فيه عدم مصداقية أو عدم نضج. وعدم النضج ظهر بعد كده في حاجات كثير، مش بس عدم نضج اجتماعي، فيه عدم نضج سياسي كمان ظهر. دا لا يمنع إني يعتبر ثورة يناير من أعظم الثورات في تاريخ الشعب المصري إن أنا فعلًا كويس إني عيشت عشان أشارك فيها، مفيش حد بيشترك في ثورة في حياته. آخنا برضه عشنا لحظات حلوة، عشنا 1965 والعدوان الثلاثي، بناء السد العالي، تأميم قناة السويس، حرب الاستنزاف، عبور 1973، وبعدين تيجي ثورة يناير، فعلًا عيشتنا حاجات حلوة.

للاسف في ثورات اخترقت من البداية خالص وتحول مسارها لأن كان في تحديات كبيرة جدًا في المناطق دي، ومطامع جامدة مع هشاشة للمجتمع الداخلي. ما تنسيش إن مصر دولة وشعب يتميزوا بصلاية شديدة برغم أي حاجة، فعلًا التاريخ والحضارة شيء يكون له تأثيرات جامدة جدًا في المستقبل وعلى أجيال كثيرة. مصر مجتمع متجانس ومجتمع صلب ومتضامن، مجتمع واعى جدًا حتى الناس اللي مش يفهموا حاجة، مجتمع مسالم مش مسلح، فريق بس اللي هو لجا للسلاح بخوف بيه الناس والناس رفضته. إن المصريين بعد سنة رغم إنهم يعانوا لحد النهاردا من الفكر الوهابي السلفي والتخلف في كل حاجة، بالرغم من تخلفهم وهبلهم واستماعهم للشيوخ استحمل الإخوان سنة، لأنهم كانوا عايزين يغيروا من ثقافتهم بالكامل. أنا شايقة إن هبة 30 يونيو دي هبة ثقافية أساسا الست اللي جايه بتشتغل عندي قلت لها دا مش حجاب، قالت لي لا إحنا بناتنا بلبسوا ليس العصر بتاعنا، اللي عايزين بلبسوا يدي، اللي عايزين بلبسوا جينز، عايزين يتهكججوا، عايزين يبينوا حتة من شعرهم، عايزين يخرجوا مع أصحابهم يتمشوا معاهم، يركبوا معاهم موتوسيكل يا دكتورة، لكن دول عايزين يمنعو كل دا، شايقة وجهة النظر إيه! الإيشارب اللي بتلبسه البنات دا مش حجاب، ده سلوك اجتماعي، لكن اللي عايزين يفرضوه علينا دا مش تغير في ثقافتنا، اللي هما عايزين يفرضوه علينا هو دا التغير في سلوكيتنا والتغير في ثقافتنا. الثورة نجحت في مصر إلى حد كبير، رغم الإخفاقات شايقة أنها نجحت إنها توصل للسلمية في النهاية، نجحت إنها تكشف الإخوان، مهم جدًا، عمرهم ما كانوا هيتكشفوا كان ممكن يقعدوا جاسمين علينا كمان 50 سنة، اتكشفوا تمامًا، اتكشف زيفهم، إنهم بياعين دين، ولسه بيتكشفوا، ولسه هياخدوا وقت بس دا مكسب. الناس عرفت إنها لما تنضامن مع بعض تحصل على ملابس عمرها ما تحصل عليها لو هتفضل في جزر منعزلة، في وعي تكوّن، ودا مهم. في المنطقة يمكن من أنجح التجارب كانت تجربة

تونس، لكن تونس بلد صغيرة وكل حاجة تنفع إنك تسيطر عليها بسهولة، وبعدين بدأت التوجه والانفتاح، وهي كانت مفتحة على الغرب لكن الانفتاح الأكبر لها كان العلاقات الوثيقة أكثر بالغرب، توجهها العلماني دا كمان ساعدها، يعني حصول المرأة على كل حقوقها أيام بورقيبة وإن دا يستمر ويتمسك المجتمع بهذه الحقوق، كل دا ساعد تونس على إنها تكون الثورة بتاعتها وحقت مكاسب بعد كده، مكاسب على المجال الديمقراطي، وفي مجال الحوار وكل المجالات، والمجال الاقتصادي. دول ثانية مثلاً زي سوريا المؤامرة عليها كانت جامدة جداً من البداية وللأسف وصلنا للي وصلنا له. ليبيا كذلك برضو مؤامرة فظيعة. غير الدول دي مفيش، لبنان معملتش الاحتجاجات بتاعتها إلا قريب، البحرين تم القضاء عليها بدري جداً، الجزائر برضو كانت متأخرة بعد تونس ومصر والفترة دي حوالي 7 سنين، (تتذكر) أثناء الثورة المصرية أنا أخذت إجازة بدون مرتب من المركز بتاعي، كنت أيامها لما كنت في فرنسا لما حزب اليسار انفصل عن الحزب الاشتراكي، لأن الحزب الاشتراكي في فرنسا بقى توجهه يعني لم يصبح يحمل من الاشتراكية غير الاسم، وانفصل عنه حزب اليسار بتاع جنيف فيرواسو وأنا التحقت بالحزب دا وبقيت مسؤولة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. لما نزلت مصر بدأت أبعت تقريباً يومياً ممكن تقولي تقرير وبقيت كمان أنشره وسط أصدقائي المصريين، أبعته لأصدقائي المصريين في فرنسا، وبعته للحزب وبعته لابني لأنه مناضل ينشره وسط أصحابه، عشان ضد الدعايات المضادة اللي كانت ضد الثورة. كان فيه المراسلين اللي كانوا يروحوا هناك كانوا يقولوا كلام فارغ وغير حقيقي وأكاذيب، وكان له دور كبير الحاجات اللي أنا بيعتها لأنني في الموقع وبنزل وبروح التحرير وبقرا جرائد وبقعد مع أصدقاء في قهاوي وبنقل لهم صورة حقيقية عن اللي يحدث وليس أي كلام. في 30 حزيران/يونيو كنت هناك برضو ونزلنا، قبلها أحب أثير الحادثة دي لأنها جدية بأنها تتحكي؛ في الفترة دي كنا مجموعة بتدافع عن التراث وبقيت مع زملاء آخرين ندافع عن تراث القاهرة التاريخية بالذات، لأن بدأ تحصل عمليات إخلاء وانهدت فعلاً المبانى التراثية. بدأنا بمجموعة "إنقاذ القاهرة" وبدأت تتكون مجموعات أخرى: "أنقذوا الإسكندرية" و"أنقذوا بورسعيد" وكل الإنقاذ دي ومجموعات على فيسبوك، لكن كنا أي حاجة تحصل نتضامن كلنا، بنعمل وقفات احتجاجية، بنعمل عرائض. كنا مرة أيام دستور الإخوان مش فاكدة سنة كام، بس أنا هبعت لكم لأن دي من الحاجات اللي ممكن تتخط في المكتبة، كان عندي اجتماع مع زملاء save Cairo كنا هنعمل حركة عشان هيهتدوا بيت مهندس أو بيت مدكور، ونجنا ننقذ بيت مدكور. إحنا كنا برضه حاسين بحاجة عن الدستور وإن فيه دعاية كبيرة

عشان الناس تنزل تصوت له، وقلنا نحول الاجتماع إلى اجتماع هنعمل إيه في حكاية الدستور دي، وأنا كنت واحدة معاً كتيب صغير كان عمله اللباد باللغة الفرنسية بس طلع بلغات كثيرة جداً عن المشكلة الفلسطينية مشروحة للأطفال اسمه "البيت" بيشرح للأطفال بطريقة مبسطة جداً؛ العصفور أنا عندي عش، والكلب عنده إيه، وأنا الفلسطيني معنديش بيت، إيه معنديش بيت وهكذا، برسومات جميلة جداً وألوان رائعة. أنا كنت واحدة الكتيب ده معاً عشان نبدأ نشرح التراث للأطفال، ونعمل كتيبات زي كده. وقلنا نطلع كتيب عن الدستور قد الكف ونخط فيه فقرات من الدستور بالكاريكاتور، إحنا محتاجين للكاريكاتير روحنا مكلمين عمرو سليم قلنا له فكرتنا كذا، قال هبعت لكم الأرشيف بتاعي وخدوا اللي إنتوا عايزينه بس لو فيه حاجات مش موجودة في الأرشيف هعمل لكم الرسومات اللي إنتوا عايزنها. بدأنا بفقرات الدستور نقولها بالكلام الدارج عشان يوصل للناس وفي نفس الوقت قدامها الكاريكاتير، فكان في الحقيقة طلع الكتيب، كتيب صغير مكتوب عليه "لا للدستور الظالم"، طلع حاجة فعلاً محصلتش. عايزين نطبعه بس معندناش فلوس، بدأنا نتجه لأصحابنا كنا محتاجين 35 ألف جنيه، جمعنا المبلغ في يومين من الأصدقاء اللي حوالينا، الناس تحمست جداً، في ناس دفعات 7 آلاف جنيه مرة واحدة. أيامها أنا كنت بشغل في الجامعة الفرنسية وعندي سواق ولسه معيانه جديد، كان لسه بقاله أسبوع أو أسبوعين كل شوية بعناه لحد يجيب فلوس بظرف، وبعناه يدي ظرف للطبعة، وبعد كده بعته يجيب المطبوعات لأنها اتعملت في المطبعة اللي في المنطقة اللي ما عليهاش جمارك خارج المنطقة الجمركية دا اللي عمله لنا بسرعة، أبعته يجيب ويروح يوزع على الأحزاب والناس توزع على المحافظات، وشغلته في الموضوع دا ومكنتش عارفة رد فعله إيه! أنا اشتغلت مع واحدة إرهابية ولا إيه! بس بعد كده قال لي قد إيه إنه كان سعيد وطلع بيفهم كويس قوي ومن أحسن التجارب اللي عدى بيها. المهم إننا وزعنا الكتيب كويس قوي، لدرجة إن الأحزاب كانت عامله حاجات اخدته توزعه لأنه فعلاً كان سهل التداول وفكرته جديدة. ونزلت أيامها مع أفراد من "التحالف الشعبي"، نزلت معاهم في شبرا الخيمة، كان بقالي كثير منزلتش في مناطق زي كده عشان ننادي على الناس نقول لهم ميزلوش يصوتوا لحزب الإخوان. آخر التجارب بتاعتي اللي نزلت فيها أمارس سياسة بشكل مباشر اللي بعد كده كل توجهي في الحفاظ على التراث. آخر معركة ليها كانت معركة المنابر ودي من سنتين بس، لما كانوا عايزين يفكوا المنابر، وفكوا كل العناصر المعمارية من الجوامع عشان يحطوها في المتاحف. بدأوا فعلاً وفكوا منبر من المنابر وحطوه في المتحف بتاع عين

الصيرة اللي هو متحف الحضارة. بدأنا عملنا حملة كبيرة جدًا وكان معنا صحفية ممتازة اللي هي حنان حجاج، بعنا لها المعلومات وهي اللي راحت ونبشت وجابت القرار اللي صدر من هيئة الآثار موقع عليه الوزير بفك المنابر. أول مقالة نزلتها هما كانوا نفوا، راحت منزله ثاني يوم في جريدة الأهرام نص القرار. الكلام دا كان في 2018، عملنا اجتماع في مكتبة القاهرة الكبرى ودي بيتي الثاني اللي بنعمل فيه كل الاجتماعات، لأنني كنت في مجلس الأمناء مع المرحوم الكبير جمال الفيثاني، كان كل الندوات الكبيرة اللي عملناها من أجل التراث وحضرها صحفيين كثير وكان لها فرقة إعلامية كبيرة وأدت برضو لمكاسب كبيرة كنا بنعملها في مكتبة القاهرة الكبرى. عملنا الاجتماع دا برضو في مكتبة القاهرة الكبرى، وعملنا إننا عابزين نسقط القرار رقم 110 اللي هو القرار بفك المنابر، هما عطلوه لكن لم يسقط.

في كل الرحلة بتاعة الدفاع عن التراث، أنا عملت كتاب عن وسط مدينة القاهرة، وكتاب عن الوسط التجاري لمدينة القاهرة اسمه Cairo center in movement¹² انتشر بالإنجليزية وبالفرنساوي في نفس الوقت، بقى pdf دلوقتي وفتح، برضو كتاب الجينات فتح pdf، أنا ترجمت كتاب الجينات عربي لكن منتشرش للأسف. بعد كده رجعت باريس لما سبت الجامعة الفرنسية من 2018 وقررت إنني أخدم المعاش بحد، أنا كنت معاش بس بشتغل، قررت إنني أبدأ أعيش فترة معاش وأسافر، دا اللي أنا عملته مع إنني لا زلت موجودة في مجال التراث. رديت أنا وزملاء لي من كلية الفنون الجميلة جامعة حلوان، واثنين زملاء من جامعة شيفيلد، وجامعة كوين في إنجلترا، ردينا على عطا، ودا آخر مشروع لي بحثي عن متاحف الزمن الجميل، المتاحف اللي أنشئت في الفترة الليبرالية وما حدش يعرفها، زي متحف السكة الحديد، ومتحف البريد، ومتحف بنك مصر، متحف بيت الأمة، متحف عبد الوهاب في معهد الموسيقى العربية، متحف أم كلثوم، ومتحف الفنون الجميلة، ومتحف الجغرافيا اللي هو في جمعية الجغرافيين. اخترنا 12 متحف، وأرشدنا الطلبة بحيث إنهم يعرفوا بيهم، وعشان يكونوا أكثر إتاحة والناس تشوفهم أكثر. عملنا شغل كويس قوي بس المشروع بتاعنا أخذ جائزة، دعينا إننا نشارك في مسابقة تكلمة لهذا المشروع، واشتغلنا فيها وخلصنا الجزء "أ" وعملنا اختيار مع مجموعة ثانية شغالة في جزء "ب" دا اللي أنا شغالة فيه دلوقتي، إحنا كنا طارحين توأمة متحف السكة الحديد في مصر مع متحف السكة الحديد في إنجلترا، بحيث يبقى في زيارة افتراضية لأن في علاقة تربط نشأة السكة

الحديد في مصر بالإنجليزية لأن هما الذوائل اللي أنشأوها، في أرشيف كبير هناك وفي أرشيف كبير عندنا، وبالتالي ممكن يحصل إن الأرشيف دا يبقى افتراضي ويحصل زيارات افتراضية، ونقتراح في المسابقة الجديدة إننا نفتح مجال التوأمة لمتاحف سكة حديد أخرى مع كمان الاهتمام بمحطات السكة الحديد، إزاي محطات السكك الحديد تكون نُقطة انطلاق للتعارف على تراث المدن، لأن خط السكة الحديد من القرن الـ19 لما بدأت تنشأ السكة الحديد هي بقت مداخل المدن، الأول كان المدخل البوابة، متكلمينش عن المطار لأن دي في قلب المدينة مش على الأطراف، بتنزلي في قلب المدينة ودي هي المدخل الحقيقي بالإضافة إلى كل القيم التاريخية والمعمارية، والقيمة الرمزية لها. محطة السكة الحديد الناس بتقابل بعض فيها، بتودع بعض فيها، بتمارس أنشطة كثيرة فيها، بتحصل فيها حاجات كثيرة، تنقل من خلالها شخصيات عامة كانت بتنقل مصابي الحرب، قصص وروايات ممكن تدور حواليين متاحف السكك الحديدية اهتمت برضو في الفترة دي إنني أجمع قصص القصيرة، أنا بكتب قصص قصيرة، أصدرت مجموعة اسمها "البوركني"¹³، البوركني اللي هو المايوه الشرعي. ودي كانت المجموعة الأولى. اشتغلت جمعت اللي أنا كتبت فيه في المجموعة الثانية¹⁴، في السنوات اللي فصلت المجموعة الأولى عن المجموعة الثانية إن كنت اشتريت في موقع الكتروني اسمه "كتاب ومبيعو القصة القصيرة جدًا، القصة القصيرة اللي هي سطر ونصف أو سطرين أو فقرة بالكثير قوي، اتعلمت في الفترة دي لمدة سنة ونصف حاجات كثيرة، إزاي أكتب اللغة، إزاي أعمل نص متناسق، لأن كان فيه ناس يقرأوا ويعلقوا ويصححوا اللغة العربية كمان، اتعلمت فعل حاجات كثيرة ودا اللي خلاص في القصص القصيرة الجديدة أطور من التقنيات بتاعتني. في منها قصتين انتشرنا في "أخبار الأدب"، وقصة ثانية اسمها "البحث عن هدى"، دا شجعني، جمعتها وهما كانوا كثير وبدأت ابعثهم لأصدقاء، اللي صححهم لغويًا، واللي أداني أفكار إزاي أرتبهم، وإزاي أشيل جزء منها ومحتفظش بها لأن الكاتبة بتكون عايزة تحتفظ بكل حاجة، كان القصص درر، لا فيها حاجات كويسة وحاجات مرفقة، أنا في المرحلة دي عملت تشكيلة قصص جديدة -بعد ما استبعدت حاجات- هبعثها برضو لنفس الأصدقاء بشوقوا، وعندهم الحرية إنهم يستبعدوا. كنت بكتب كمان "يوميات مواطنة مفروسة" عن فرنسا وزمن الكورونا طول الفترة بتاعة الحظر، ودلوقتي فترة المظاهرات. إحنا دخلنا في فترة المظاهرات في فرنسا، أنا دلوقتي المذكرات مواطنة فلتت في فرنسا في عصر ما بعد الكورونا، أعتقد إن المجموعة

12 صدرت عن دار العين عام 2009

13 "برج النوت" دار العين

https://www.amazon.com/le-caire-centre-en-mouvement/ 11
dp/2709917173

دي برضو تستاهل إنها تنتشر لأنها تؤرخ لفترة عاشها العالم كله، دي هبدأ أجمعها كمان. عندي شغل بحب أعمله، شوية أكاديمي على شوية أدبي على شوية ثقافة. بداية السنة دي سافرت الهند شهر، كانت سفريه كبيرة أضافت لخبراتي حاجات كتيرة، يعيش حياتي.

عندي مشروع تراث، بس ابني كان دائماً يقول لي، نتيجة لإخفاقات كنت يشعر بها، "إنتي بتحاربي طواحين الهواء". أه طبعا اللي يتولى مشروع التراث يحارب طواحين الهواء. بس لازم نعرف إن الاعتراف بالتراث والحفاظ عليه والتوصل لقوانين وتطبيقها دا بياخد وقت كبير جداً، أخذ أربع قرون في الغرب عشان يتحقق، عشان الناس تيجي وتشوف وتبهر وتقول: "يا سلام إيه دا!" بالتالي إحنا قدمنا سكك طويلة جداً، مش لازم الواحد خالص يرمي السلاح، بس في نفس الوقت كمان في الوقت دا فيه حاجات كتيرة جداً بتختفي، حاجات لها قيمة كبيرة بتختفي، بيدمر تراثنا قدام عيننا وإحنا مش قادرين نعمل حاجة. دي المرحلة أو دي الحاجة اللي عاملة لي غصة ومحسسانني بعجز، مش أنا لوحدي ناس كتير زملاء سابوا القضية. آخر حاجة عايزة أشير لها إننا أسرة رياضية. الرياضة بالنسبة لنا كانت حاجة مهمة جداً. والذي كان بطل تنس وبعد كده أصبح محكم، كان نفسه حد فينا يتجه للتنس، أنا اتجهت للسباحة، كلنا سباحة لأنهم رمونا في البسين من وإحنا عندنا خمس سنين وحياتنا كلها تدريبات سباحة. وصلنا لبطولات، أنا وصلت لبطولة الجيزة، وأخت لي وصلت لقبل النهائي القاهرة، لكن أنا ركزت على السباحة أنا وأخويا. أختين من أخواتي، واحدة كانت في الفريق القومي بتاع كرة اليد وواحدة كانت في الفريق القومي بتاع كرة السلة محدش فينا دخل تنس، وفضلت مضارب والذي الذهب. المضرب الذهبي محدش أخده ولا حد من الألفاد خالص، فيه حفيد للعب تنس بس مكملش للنهائية. دا حاجة مهمة عن والذي في سنوات التكوين من ضمن مبادئ التربية إننا لازم نمارس رياضة، ويمكن دا كمان غرس فينا حبة الاستقلالية الشخصية، وإننا يكون لنا أفكار سابقة على المجتمع. اللي يمارس رياضة في حاجات كتيرة ممنوعة تختفي من حياته، الممنوعات عنده تقل شوية بشوية، ويكون عنده روح رياضية، دي حاجة مهمة. من الأشياء اللي غرسها فينا أبويا إننا نكون مستقلين مادياً، لأنه كان دائماً يقول لنا: "أنا بعلمكم كويس، وبعلمكم أحسن تعليم عشان تشتغلوا وتستقلوا مادياً، مفيش راجل يسيطر عليك" فعلاً كلنا مستقلات مادياً، كلنا اشتغلنا للنهائية، كلنا محدش صرف علينا يعد والذي، دائماً بنشاركه دا برضه من الحاجات الكويسة اللي زرعها فينا.

في 2015 أخذت الوظيفة بناية الجامعة الفرنسية، وأصبحت بعيد بناء قسم العمارة وبعين ناس، لأن مكنتش فيه غير

اتنين بس بيدرسوا، وأدير قسم ويدرس. قسم العمارة زي كل أقسام الجامعة الفرنسية، أنشئت سنة 2003 ولحد 2015 كان فيها 300 طالب في ثلاث كليات. جامعة مكنتش ناجحة قوي، لكن التدريس فيها بالفرنسية ودا كان عاجبني إن أنا استمر في التدريس وأدي خبراتي للطلبة، وإنني أعيد بناء القسم دا كان مهم برضو. سنة 2015-2016 صعبة جداً بالنسبة لي مش بشوف حد، مش يقابل حد، مش يشوف صوابي، فعلاً كانت سنة غريبة جداً مليانة صراعات. دخلت في صراع مع الشريك بتاعنا اللي في كلية العمارة في فرنسا على أساس إن اللي كانوا بيدبروا القسم قبل كده كانوا خاضعين بشكل تام، أنا حبيت أعمل شراكة تامة، يعني ناخذ القرارات سوا، نقرر كل حاجة مع بعض، لكن هما كانوا عايزين يستمروا في فرض رأيهم. إدارة الجامعة كانت ساعات بتقف جنبني وساعات تسيني لوحدي، أنا بعترف إنني مكنتش بدبر الصراع بشكل جيد قوي لأنني كنت حادة جداً، وفي النهاية استقلت من منصب رئيسة القسم، بس لصالح الطلبة ولأنهم مكشوش عايزين خالص إنني أسيب رئاسة القسم استمررت واحتفظت بالتدريس، لحد فلقوا واحد، أدت القسم سنة كمان بس سبت كل التفاهات مع الجانب الفرنسي لعميد الكلية وقلت له أنا مش عايزة يكون عندي أي علاقة بالناس دي. دي من الصراعات اللي خضها وفشلت فيها، لأنني أعتقد إنني غلطت في عملية الإدارة معرفتش أديره كويس، كان ممكن أني أحاول الألفي حلول وسط أنا معملتش دا! في كل الحاجات اللي أنا عملتها سواء نجحت أو فشلت أنا مش ندمانة.

شارع سرايا الأزبكية حالياً

مثلاً عملت حاجة كنت بتمنى أعملها طول حياتي إنني أعمل مشروع حفاظ، وهو مشروع تحويل شارع سرايا الأزبكية في وسط البلد إلى شارع للمشاة، ضمن خطة تحويل بعض الشوارع إلى شوارع للمشاة. في 2013 كان فيه محافظ جديد للقاهرة الدكتور جلال السعيد وكان بعد افترق فترة عدلي منصور، كان فيه باعة جائلين محتلين الأرصفة ومش بس الأرصفة وشوارع وسط البلد، أنا عانيت من دا كسائفة لوسط البلد كنت ساعات مش بعرف أنزل، وهما كمان كانوا مسلحين ويعملوا مشاكل كتيرة جداً لما يتخانقوا مع بعض، ويطلعوا سنخ وييجوا بعربات ويرقصوا عليها زي فيلم "حين ميسرة"، نصهم اللي فوق عريان ويرقصوا على باللات الهدوم وماسكين مطاوي، كنا بتشوف مناظر غير طبيعية. وجاء الدكتور جلال السعيد أول حاجة عملها إنه آذاهم أماكن بديلة في مكان في محطة النقل البري وراء "الأهرام"، المكان كان كويس ومهيأ وهما طبعا مرحوش، لأننا عملنا معاهم تحقيقات كتيرة ودي مافيا كبيرة وشريرة، ومنهم

مَن يتعاون مع الأمن عشان يمسكوا الشباب أيام الثورة. المهم إنه قدر ينصف الشوارع من الباعة الجائلين، وأطلق مشروع لإعادة إحياء وسط البلد، المشروع ذا موله من خلال شركات التأمين والبنوك وهو شخصياً وباتصالاته قدر يجيب تمويل من البنوك، وأنا شاركت في المشروع دا كمستشارة للمحافظ ومعايها مستشارات من الجامعة زي الدكتور سعاد حواس والدكتورة سحر عطية، على أساس أنني اقترحت البدء يكون بشوارع عماد الدين، لأنه شارع عريق يضم عمارات كثيرة لها قيمة ولها وظائف مختلفة، نلاقى مثلاً بنك مصر مخطوطة على قائمة التراث القومي، لقا نقول تراث قومي يعني زي الهرم. بنك مصر محدش يقدر يمسح زي الهرم، العمارات الخديوية المهندس بتاعها لأنه هو نفسه مهندس بنك مصر، في مجموعة من المباني ذات قيمة نلاقها مجمعة في شارع واحد، بالإضافة لكان إن هو شارع كان له تاريخ لأنه كان شارع الفن، ما زال فيه مجموعة كبيرة من المسارح، ومجموعة كبيرة من السينمات، دي برضو قيمة رمزية المصريين كلهم عارفينها. أنا كنت قولت نبدأ نشغل بشوارع عماد الدين، فعلاً بدأ إعادة الإحياء بشوارع عماد الدين، كل العمارات بتاعته أنا ساكنة في عمارة لها أربع وجهات، واجهة منها تطل على شارع عماد الدين، العمارات مش بس ذهبت في المشاريع اللي قبل كده، لكن الواجهات انتضفت واتشالت طبقات البياض اللي كانت موجودة بحيث وصلنا للحجر ونضفت كويس واتعملت ألوان جديدة إحنا اخترناها، لكن مش هي الألوان الأصلية بس اخترنا ألوان ممكن نطلق عليها ألوان البحر المتوسط، اللي هو الطوبي وجنبه الكريمي والبيج، تشكيلة ألوان فعلاً أعادت للعمارات رونقها، والناس بدأت تبص لها. في إطار المشروع دا كان في إننا الشارع اللي كان قبل كده مشاة اللي هو الألفي بيه وسرايا الأزيكية، ومنطقة البورصة ما تعمليتش لكن اتعمل شارع الشواربي، الدكتور سهر عملت شارع الألفي، وأنا عملت شارع سرايا الأزيكية. أنا ساكنة في شارع سرايا الأزيكية، بس الشارع له جزءين، جزء يبدأ من ميدان طليم لشارع عماد الدين دا عمره ما كان مشاة وفيه سينما ديانا، وجزء اللي يبدأ من شارع عماد الدين لحد ميدان عرابي ويوصل لسور التوفيقية دا فيه سينما كايرو واللي تعمل مشاة. طبعاً إني اعمل شارع مشاة يعني أغير كل شبكات الكهرباء والمياه واعمل شبكة لصرف المطر وأدرس الواجهات، واليفط يبقى شكلها إيه واعمل أرضيات مختلفة، هي شغلانة كبيرة وشغلانة أخذت وقت أكبر من اللازم، لأن بتتعامل مع المحافظ وفيه حاجات عندهم بنود ولازم البنود دي يتناقشوا فيها واحنا بتتابع مرة كل أسبوع. هي في نفس الفترة دي اللي فترة اللي كنت بعمل فيها سرايا الأزيكية، وكويس إنني ساكنة فوقه وبتابع الشغل كل يوم.

المقاولين مثلاً كانوا عايزين يفرضوا كل حاجة، رافضين أي حاجة جديدة، أنا بعمل تصميم والتصميم دا فيه مواد جديدة، لقا يحي المقاول قبل ما أنا أجي الشغل ويروح صابب الخرسانة في تلتين الشارع عشان ما اغيرش البنية الأساسية، والشارع كان كل يوم أجيب واحد يسلك المجاري لأن الشارع كان كله بتوع كهرباء، لقا تعمل بتاع مشاة بقى كله مطاعم، ومنهم "جاد" في شارع زكريا أحمد، "جاد" دا لا يمكن تتخلي كمية الزيوت اللي نازلة ومفيس بيارات. إحنا عملنا لهم كمان بيارات اللي عندهم زيوت، وكان لازم نغير المجاري، كابلات الكهرباء كانت لازم تنزل 30 سنتيمتر تحت الأرض، هي كانت عالية وفي واحد انكهرب والدنيا كانت بتطر ومات. بدأت أدخل في صراعات عشان دا يتعمل، المحافظ مرة يكون معايها ومرة يتراجع، أنا ما اتعاملتش مع محافظين قبل كده بس هو راجل فعلاً صدره واسع ويغفهم وبيقتنع، لكن بياخد وقت عقبال ما يقتنع عشان برضو مقدرش يتخل عن الناس اللي بتشتغل معاه أو يغلطهم على طول. بس كان ورايا الإعلام ودي ساعدت كثير جداً، كان متابع اللي بعمله وقتها الدكتور عمرو عبد السميع، وأي مشكلة بتحصل لي يروح الدكتور عمرو كاتب في الأهرام. ويجي المحافظ يسأل مين اللي فتن وأقول له إن الدكتور عمرو صديق مشترك، والأفضل إنني أروح أكلم صديق مشترك بدل ما أروح أكلم عدو. في النهاية الشارع اتعمل زي ما أنا عايزة، وقائع شارع سرايا الأزيكية منشورة على صفحتي [على فيسبوك] كل يوم، وساعات أقول خلاص مش قادرة أنا همشي، وكل اللي على صفحتي والأصدقاء يقولوا لأ أقعد و كانوا دعم كبير جداً لي. كان فيه معركة المجاري، أصل الشبكة مش مستحيلة لازم تتغير. كانوا اخدوا قرار بعد ما فحتوا وجابوا الأنابيب قالوا: "مش هنغير"، ودا كان يوم حداد بالنسبة لي، بس ثاني يوم غيروا رأيهم. معركة المجاري أخذت وقت لكان عشان نغيرها، بس كله تم والشارع اتعمل والناس كانت مبسوطة جداً. كنت بخلي الناس في الشارع تمضي على عرائض للمحافظ إن احنا عايزين نغير المجاري، عايزين شبكة الكهرباء، فعلاً كانوا متعاونين بشكل غير طبيعي. وبعدين لقا عملنا الشجر، لأن شجرنا بدأوا برضو يقولوا هنعمل جمعية بينا عشان الحفاظ على الشجر، وفتش غير شجرة واحدة من الستة اللي حطانهم لحد قبل ما أسافر، أنا ساكنة هناك وسور التوفيقية بعدي والكل عارفني، عملت الشارع، ودا من الحاجات اللي نسيت أشيد بها، مع إني يعتبرها أهم حاجة، يا خبر إزاي أنا نسيت حاجة زي كده، زي فيلم لفرانسوا تروفو *L'homme qui aimait les femmes* "الرجل الذي كان يحب الستات"، الفيلم دا عن راجل مولع بالنساء وآخر ست عرفها وكان هيتجوزها وهو مات وهو بيعاكس واحدة ست

في المستشفى، هو صدمته عربية لأنه كان يبص لرجلين واحدة ست وفي المستشفى أنقذوه بس كان ممرضة جات يبص على رجلها ووقع من على السرير وكل الخراطيم اتشالت. كل مذكراته بتتكلم عن كل الستات ما عدا أهم ست في حياته، أنا أتكلمت عن كل المحطات ما عدا أهم حاجة عملتها، إني نفذت مشروع، يعني حاجة مش قليلة. مثلاً نسيت حاجة مهمة كمان؛ سنة 2008 أنشأت مع زميل ليّ ماجستير للتراث للدراسات العليا، موجه أساساً لوزارة الآثار ووزارة السياحة. إن الدراسة فيه بعد الظهر كان بالإنجليزي، ودا كان أول ماجستير للتراث يتعمل في مصر، بعد كده اتعمل اتنين ماجستير كمان مع جامعة باريس ومركز البحوث بتاعي، يعني كان في ثلاث أطراف، وبعدين الماجستير الثاني في جامعة القاهرة كلية الهندسة مع جامعة كونيوس في ألمانيا، الماجستير الثالث في كلية السياحة برضه مع كونيوس. إحنا كنا أول ماجستير، والثنين الماجستير جم بعد كده، ودا برضو يدل على الاهتمام بالتراث اللي بدأ بداية من سنة 2000 وبدأ يتطور.

توقع الفشل

لأنني ست كنت مدفوعة أنني أكون أكثر تفوقاً، لازم أكون متفوقة على طول عشان أنا عارفة إن أنا كأمراة ما حدش هيقبل إنني أفشل. لأن لو فشلت هيقولوا طبعا لأنها ست، ممكن ميقلش دا بس هتبقى دي النظرة، هما بيتوقعوا. بالتالي أي امرأة غيري دائماً بتعمل ضعف المجهود اللي بيعمله الرجال وبتحاول تبقى ناجحات على طول. أي فشل المجتمع مش يقبله، بيقولوا إننا فشلنا لكوننا ستات، لكن هما يقبلوا الرجال يكون فاشل، يقبلوا الرجال يكون فاسد، يقبلوا كل حاجة. في العالم عدد السيدات الفاسدات نسبتهم ضئيلة جداً بالنسبة للرجال، مش عشان طبيعة الست غير قابلة للفساد، لأن الستات ميسمدوش لنفسهم كده لازم يثبتوا لنفسهم إنهم الأفضل، إن هما الأقوى، كل دا بيأخذ منهم مجهود أكبر من الرجال، وكوني امرأة أثر على أدائي.

الاضمحلال

مواقفي السياسية دي مواقف مبدئية ضد الظلم والديكتاتورية وأي فاشية، مع الحرية والديمقراطية، مع حرية المرأة دا أساسي، لأن لو مفيش حرية المرأة مفيش حرية ومساواة. مع الحقوق الاجتماعية مساوية للجميع مع المستويات الاجتماعية دا الأساس في الكل. مش ممكن موافقي السياسية تتغير، ممكن أنا لو ضد الظلم والفاشيات العسكرية والاستعمار بالضرورة هبقى ضد النظام العنصري في إسرائيل. ليّ أصحاب كثيرة جداً دلوقتي غيروا رأيهم عشان الدولة المصرية بقی لها علاقات مع إسرائيل بعد كامب ديفيد، لأ مش عشان الدولة بتاعتني عملت علاقات

مع إسرائيل أنا ممكن أدافع أو أكون مع الكيان دا، لا يمكن، مينفعش لأن أنا مبادلي غير كده، ولأ مغيرتش ومش هغير. بالنسبة للمستقبل مثلاً شايقة علامات استفهام، وفيه قلق من حاجات قريبة قادمة، زي مشكلة سد النهضة محدش عارف ممكن تتحل إزاي، ودي مشكلة مصرية بالنسبة لمصر. وبالتالي سد النهضة من أكثر الحاجات اللي مسببة قلق جامد جداً. مثلاً مشكلة تآكل الأراضي الزراعية الموجودة اللي محدش بيحاول يلاقي لها حل. دا مجال دراستي، في 2050 لو استمر التآكل مش هيبقى عندك دلنا خالص ولا هيبقى عندك أراضي زراعية، كل الدلتا حتبقى مبنية دي كمان من المشاكل. التحديات اللي مصر تقابلها مش شايقة أي توجه لحل المشكلة دي. مشاكل أخرى، التهديدات على حدودنا سواء في الغرب أو في سيناء، من الحاجات المسببة ليّ قلق. مش قادرة أشوف المستقبل، مش عايزة أبقى سوداوية قوي بس حالياً مش قادرة أتفأل. مفيش ما يجعلني أتفأل لأنني مش شايقة فيه حلول تُقترح ولا في الأرض حاجات تتنفذ. في موضوع سد النهضة بالذات مش شايقة وضع مصر الإقليمي والعالمي مخلصها إن يبقى لها الوزن اللي كان ليها زمان، بحيث إن دولة زي إثيوبيا تلعب بمصر الكورة على الأقل في التصريحات. أنا قلقانة من كل التحديات التي تواجهها مصر دلوقتي، ومعلش إنني بقول كده، بقول كويس الواحد كبير وقرب يصوت، لأن كل الناس يتموت في سني أو في سن أكبر شوية عشان فشوفش تدهور أكثر من كده. أنا وجهة نظري إننا بنمر بعصر من عصور الاضمحلال، ممكن نسميه العصر الرابع بقی لنا 40 سنة فيه، ودا ممكن يستمر 60 سنة كمان، لأن عصور الاضمحلال كانت تستمر 100 سنة أو 150 العصور اللي كانت تفصل بين الدولة القديمة والمتوسطة والحديثة في العصر الفرعوني. كويس فعلاً إننا ممكن أرحل وما أشوفش تدهور أكثر من كده، لكن الموضوع مش يخصني أنا بس، لكن يخص كمان الأجيال اللي جاية. إن ابني أو الجيل بتاعه مش هيشوف حاجات إيجابية، فغيرش.

راوية صادق: مرعوبة إن أفكاري تبقى متجربة

راوية صادق، مترجمة وفنانة بصرية (مواليد 1952)، تخرجت في آداب جامعة عين شمس قسم اللغة الفرنسية عام 1975، ودرست المونتاج في معهد السينما. تعمل حاليًا على مشروع عن سيرة حياة درية شفيق (1908-1975) الرائدة النسوية المصرية التي يُنسب لها الفضل في حصول المرأة على حق الانتخاب والترشح، ومؤسسة أول مجلة نسائية بالعربية "بنت النيل"، فضلًا عن كتابتها للشعر.

هنا تسرد راوية شهادتها، التي سجلتها عالية مرسي في تاريخ 6 شباط/فبراير 2021، عبر حكايات شخصية عن الخبرة بين الرسم والمونتاج السينمائي، وتمتدح هذه الحكايات مع الأحداث العامة.

الدنيا زي البحر

أنا راوية أحمد صادق سعد. يعتبر نفسي فنانة بصرية، ومترجمة، وأم كمان.

أبويا يبقى أحمد صادق سعد، المفكر الماركسي. والدتي دينا حموي، هي كانت مَدْرُسة لغة فرنسية، أنا بنتهم الكبيرة، وبعدي فنى صادق وصادق. كُنا ساكنين في الدقي، وكنت بكح، فنقلنا مصر الجديدة عشان موضوع الصحة بس. أبويا له دور كبير جدًا في تربيتنا، خاصة بالنسبة ليّ أنا وأختي، أخويا الصغير مختلف عننا. اتربينا في البيت إن مفيش فرق بين الولد والبنت، أو راجل وست، أشغال البيت بتتوزع علينا كلنا، ويتلف.

لكن صادق، الولد الوحيد، كان بيحتج ويقول: "كل مرة أنا اللي عليّ الغسيل، طب أنا عايز أعمل حاجة ثانية!" ويلف يلف ويقعد يختار. يحي زعلان مفيش ولد في الفصل بيعمل المواعين، وبابا يقول له: "كلنا واحد، مفيش فرق بين ولد وبنت".

1 أحمد صادي سعد: كاتب ومفكر ماركسي ولد في حي شبرا عام 1919 وعرف باسم ابن دور سلفادور لاب يهودي، اعمل في الفهر من 1959 حتى 1964. له العديد من المؤلفات منها كتاب تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في ضوء النمط الاسوي للإنتاج

كان بيتقال عليّ البنت الشقية، وبابا كان بيزهق إنني لمضّة وبتناقش كثير، وكان يقول ليّ: "إنتي احتجاج ممتاز"، على وزن اعتدال ممتاز، اللي كانت في الرقابة [على الأفلام]. كنت شقية ومتمردة شوية لأنني مهتمة بالرسم. بابا وأختي كانوا مهتمين بالأفكار السياسية، معتبرين شوية مش عاقلة، وكنت عايزة أدخل معهد السينما في ثانوية عامة.

شايقة إن فيه حاجة مهمة جدًا إذاها لي بابا أنا وفنى، زي قيم احترام الشغل، وإن الواحد يعمل الحاجة بشكل كويس حتى لو الآخر ينقلبوا الشغل بتاعه نص نص. كنت بتكلم مع بابا في التاريخ، أحكى وأسأل: ليه الناس يحصلها ظروف وتتغير ومجتمعات تنتهي؟ فأكبر رده إن "الدنيا عاملة زي البحر، وزى الموج اللي يتتالي ورا بعضه، أو فيه ناس تقدر تمشي خطوة، أو تقدر تمشي عشر خطوات، أو ناس مش بتمشي وبتراجع". معرفش فكرة القدرة على إن الواحد يبص للوراء، ويقدر يفهم الدنيا إلى حد ما، ويتصور إن اللي بيحصل دلوقتي مش هو اللي مستمر، ممكن الدنيا دي حاجة برضو لصالح الناس الكويسة، أعتقد هو ذا المهم.

لمّا دخلت ثانوية عامة في مدرسة مصر الجديدة الثانوية، قعدوا يقولوا ليّ: "إنتي مش شاطرة ليه يا راوية في الدراسة؟" مكنش يهمني أكون شاطرة، "لا، إنتي مش عارفة تبقى شاطرة!" قلت خلاص هدخلها تحدي، وجبت وقتها 84% بالمستوى الرفيع. رحت قلت لبابا أنا عايزة أدخل معهد السينما، قال ليّ: "لا معهد السينما مرة واطي ومرة عالي، أدخلني حاجة يبقى في إيدك شهادة، وبعدين اعلمي اللي إنتي عايزاه" قلت له متقوليش "سياسة واقتصاد"، كان مجموعي يجيبها، وقُلت له هدخل آداب فرنساوي "عين شمس". فعُله أنا الوحيدة اللي اتقبلت في 1970، وقدرت أكمل في القسم، عكس البنات التانيين اللي كانوا جايبين من مدارس عادية. كنت في الليسيه لغاية ثانوية عامة، لأن أغلب اللي بيدخل قسم الفرنساوي بيكون غالبًا مدارس فرنساوي. كنت بكتب المحاضرة زي مبعرف أكثيها، وبعدين ماما تراجعها ليّ. وبعدين أصلحها، وكنت بطلع بيحد.

وتزوجت بشير وعمر 20 سنة، وكنت لسه في الجامعة.

حركة طلابية

مكتتش زي بنات آداب فرنساوي. كنت بلبس قميص رجالي زي بتاع أبويا لونه أحمر وبنطلون، وعشان أعيظهم زيادة أغسل حاجاتي كل يوم وأفضل بيها لمدة أسبوع وهما يتضايقوا زيادة، لإنني مش خاضعة للنمط بتاعهم. كُنا بنات كثيرة وولدين ثلاثة، وكان يا عيني في ولد واضح إن ظروفه متواضعة، اتصاحبت عليه وقعدنا نتكلم وبتناقش، هو كان في الليالة سياسيًا، وأنا عندي أفكار سياسية، مع إن أمي

خوفتنا من السياسة، هي كانت مهتمة بالسياسة وهي صغيرة، وبعدين جات لها إحباطات كثيرة من أهل اليسار.

كان فيه اعتصام كلية طب وقتها، وكنت بتناقش مع زميلي دا وهو دخله. وكانوا يقولوا لي: "لازم تطلعي من المظاهرة والاعتصام... إنتي أصولك يهودية.. هايقولوا تبع الجواسيس".

لما حصل تفجير سينما² في الخمسينات، قالوا على واحدة إنها "جاسوسة صهيونية" -مش عارفة دا صح ولأ غلط- هي أوديت أخت إزاك جوز خالتي. المهم طلعت من الاعتصام وفضل زميلي، واتحبس يا عيني.

سينما ولأ رسم؟ الإجابة ترجمة

كنت مش عارفة أكمل الرسم، أنا كنت برسم وعمري أربع سنين، بعدين في ثانوية عامة زحنت أنا وماما في الغرفة التجارية اللي في باب اللوق كانوا بيعملوا زمان- معارض. كان في لوحة قعدنا تنفرج عليها وكانت عجبان، ولقيت راجل بيافصل على سعرها، (مش فاكدة السعر 20 جنيه مثلاً)، وبعدين يقول: "بعشرة؟"، (وبافصل أكثر): "خمسة؟"، أنا قلت لماما مش عايزة أقعد ارسم واتحظ في الوضع دا.

في الجامعة طلعت بمادتين وسقطت سنة؛ اللاتيني صرف مفهمتش منها حاجة، وأستاذ العربي لما جات امتحانات آخر السنة حظ أسئلة وقال: "متخاتروش السؤال الأول"، مع إنه المفروض تختار اللي إحنا عابزينه، أنا اخترت بالعند السؤال الأول، راح مسقطني.

لما اتنشرت ترجمة ليّ في "المساء"، سنة 1972، بابا قال ليّ: "بصي يا راوية إنتي لازم تفكري بعد عشر سنين هتكوني فين، عملي حاجة مفيدة في حياتك، إنك تلاقي لك سلاح ما أو تفكري أنت هاتكوني فين بعد عشر سنين إزاي ومش ضايعة كده، وبتقعدني عملي مش عارف إيه" وهو كان يقصد غالباً تفلطينا بالمناقشات.

اتخرجت من الجامعة 1975. سافرت فرنسا عشان أجيّب شقة، أو خلو شقة. وبعدين خلفت عيل وتوفى بعد سبع شهور من مرض الجفاف وبعدين سافرت إيطاليا، اشتغلت جليسة أطفال عند واحد من المخرجين الأخوين Taviani. كنت عابزة أدخل معهد السينما هناك، بس لقيت المقابلة وحشة، بمعنى إن إنتي في الآخر جليسة أطفال.

رجعت مصر، ودخلت معهد السينما.

قصة معهد السينما، دي قصة برضو، دخلته في 1979،

وكنت بالنسبة لهم فرقة بكشك، لأن كنت طالعة الأولى عليهم -وبلا أي حاجة- حولت من إخراج لمونتاج. لما تخرجت من معهد السينما في 1980، اتدريت فترة على المونتاج مع المونتيرين، شوية مع عادل منير وشوية مع سعيد الشيخ. معرفتش اتعامل قوي مع الوسط السينمائي وقتها، كان شغل في جو مش مريح. بس برضو محدش يعرف يتعامل معايا قوي لأن أنا كده دايفاً، ودا كان رأي بابا فيّ.

كنت محتارة دائماً بين الرسم والمونتاج. قلت طيب أرجع أشوف موضوع الرسم، كنت بشخبط دائماً، بس مش قادرة أعمل اللي أنا عابزة أعمله. قلت خلاص هجرب أشغل سنة، لو السنة دي فرقت في المستوى أكمل. مرة قطعت حاجات من رسوماتي جامد، وفيه حاجات ناس أنقذوها من أيديا، وفضلت شوية حاجات. لكن من ضمن الناس اللي أثروا فيّ فعلاً، منى زكريا، زوجها الأول، اللي هو أبو مريم، مصطفى القرشي؛ مرة كنت عندها في محلها في ميدان الإسماعيلية، كنت بوري بابا شوية شغل، وبعدين منى قالت ليّ: "لا إنتي تروحي لمصطفى".

هما كانوا ساكنين ناحية آخر المهندسين، مصطفى أخذ مني ثلاث لوحات، كنت برسم على ورق. بعدين كان بابا بترجم مقالات في السديج، مركز توثيق تبع الفرنسيين، كان يعرف واحد اسمه مصطفى متزوج إيرين، الست دي بتستغل عن الثقافة الفرنسية وحاجات زي كده هنا في مصر، المهم جات وقعدت تشوف الشغل وقالت ليّ: "أعرفك على كريستين" كان عندها مشروع "المشرية". كريستين سلفنتي براويز، اللي هي براويز تتفك وتتحط، وروحت رايحة لمصطفى قلت له هستلفهم [اللوحات الثلاثة] عشان أحط علامة إنها متباعة، ولما تروح الناس تلاقي الحاجات متباعة، وقتها قال ليّ: "كنت فيمتك أعلى بس إنتي كنت في الأول"، ومنى قالت ليّ: "دا مصطفى هو اللي اكتشف ناس كتير من الفنانين"، وفعلأ عنده لوحات من ناس من الأول.

لما كنت عابزة أرجع أرسم، قعدت عشر سنين أقف وأروح وأجي وأرجع ثاني. بقيت أقرا كل القصص اللي فيها ناس فشلت لغاية لما عملت حاجة، كنت بحب أقرا مذكراتهم الشخصية أو كلامهم. بعدين زحنت وكالة أنباء الشرق الأوسط، بترجم الأخبار للفرنساوي. اتزوجت ثاني؛ رفعت سلام³، وبدأت أدخل في موضوع الترجمات، وإني اشتغل ترجمة وخاصة إن رفعت سلام كان شاعر ويكتب.

عملت معرض في "أتيليه القاهرة"، وبعدة معرضين في "المشرية". وكريستين نقلت الزمالك، كان فيه جاليري

2 بمصدا الراوية مضحه لافون وهي تعرف أيضاً بقضه سوزانا، هي مضه مخابراته صهيونية

<https://www.elwatannews.com/news/details/2129390>

3 رفعت سلام: شاعر ومترجم مصري

اسمه "استيفانيا"، عملت معرضين فيه، ورجعت عملت في الأتيليه. وكان فيه في ميدان سوارس في المعادي ست عندها مكان لذوي الاحتياجات الخاصة، اسمها نادية، أنا حبيت اشتغل مع أطفال ذوي احتياجات خاصة، واشتغلت معاهم. بعدها اشتغلت في "مركز الطفل العامل" مع منى أختي، هو مركز للأطفال العاملين والمتسربين من التعليم. كنت يشتغل في موضوع الرسم، هي منى كان نفسها تعلم العيال يعملوا سينما، وأنا قلت لها قبل السينما يعرفوا الرسم الأول، واشتغلت معاهم.

عملت معرض في قاعة عبد المنعم الصاوي. ومع نشوى عبد الفتاح، اللي هي دلوقتي مع استيفانيا، عملنا "أتيليه القاهرة الجديدة"، دا تبعها، مشيت من عندهم 2007 أو 2008.

اكتشاف درية شفيق

دايفاً كنت في صراع هل أنا ثقافتني فرنسية أم ثقافتني مصرية عربية، لأن أمي كانت بتتكلم فرنساوي في البيت، وبابا أصله اتعلم العربي في الثانوية العامة، وكانوا متمسكين إننا مصريين. وقتها كانوا ينتقدوا الناس (اللي بيتكلموا لغات ثانية) يقولوا لهم: "أنتوا فرنسيين! أنتوا خواجهات!" أنا شايفة إن دا سخيف جداً. كانت ماما تكلمني فرنساوي وأرد عليها بالعربي، كان عندي فرنساوي كويس نتيجة الكلام. مكتتش بقرا كتب بالفرنساوي، بعدين قربتها لماما كنت في الجامعة. أنا فاكدة إنه فعلاً فيه مرة ولا مرتين نزلت أيام بدايات الثورة، والناس مبسوطه، بس أنا لاقيت نفسي بقول دي عاملة زي مايو 1968، دا انطباع، ممكن يكون الواحد ببشوف حماس ويقارنه بحدث عارفه على مستوى برّه، نتيجة الثقافة بتاعته.

كنت بترجم للمركز الفرنسي، وبعدين القسم المسؤول عن الترجمة قفل خلاص وراح بيروت، بس فيه مكتبة صغيرة، ودلوقتي فيه تعاقبات، إنما الموضوع دا خلص بالنسبة لي. بشير السباعي كان قال لي المركز القومي للترجمة، بيدوروا على حد "عندك كتاب عن السينما بالفرنساوي، روعي لهم يا راوية".

الكتاب اسمه "شاشة العالم" مهم جداً فعلاً، بتاع جيل ليوفيتسكي وجان سيرو، اتبسطت جداً منه ورجعتي لأيام السينما. [صدر 2012].

لما سافرننا، أنا وبتني دينا الكبيرة في 2011 فرنسا، لي ابن خالتي في باريس، شففته هناك، وهو باحث في مسألة الحواس، وخاصة البصر، وإزاي ممكن الحواس بتاعتنا تخدعنا، وأوقات يتهاى لنا إن إحنا شوفنا أو سمعنا أو شمينا حاجات ودا مش صحيح، هو مسميه "علم وهم الحواس".

والصراحة فكرة الرؤية وخداعها، كان موضوع بيهمني جداً، وقتها أداني كتبه، فيها صور ورسومات كثيرة، أنا لما خلصت كذا كتاب، كان وقتها دكتور أنور مغيث في المركز القومي للترجمة، 2016، قلت له والنبي عايزة أترجم الشغل⁴ دا، لكن اتضح إن فيه مشاكل مع الدار والموضوع كان صعب، وهو زهق من رتي، كان قاعد وراح عامل ايده كده [تشاور] وجاب لي حاجة "طب شوفي دول" بيمس بقوله دا شاعر، قال لي: "آه، مش هترجميه كله، بس أعملي مختارات منه"، بعدين قرأت، هو مجلد كبير وفخم عن درية شفيق.

روحنا النادي، وبقيت أبص مين درية شفيق، عمالة تتكلم عن النيل، واللغة الفرنسي بتاعتها زي ألبير قصيري، هي مش فرنساوي قوي ولا عربي قوي، فيها حاجات وحاجات. "يا نيل"، وأنا مش بحب النيل خالص، بحب البحر بعدين قعدت أفرّ، أنا طيفاً لماما بتيجي لي حاجة أحب أعرف مين دا أو الموضوع وأدور على الإنترنت، الحقيقة لفت انتباهي جداً إن عبد الناصر صادر حاجتها وإنها في 1975 انتحرت.

من ورشة لأخرى

من أهم محطات حياتي فترة 1959 و1964، لما شلت البيت وأبوياء معتقل وماما بتدّي دروس، هي كانت ممتنة جداً لأنني قمت بالدور دا. تقريباً مش فاكدة إلا أحداث صغيرة، وبعتبر خروج بابا محطة مهمة. جوازي من بشير السباعي محطة مهمة، وجوازي من رفعت سلام محطة مهمة. بناتي أحلى حاجة في حياتي. إنني دلوقتي شايفة كلمة بابا: "إنك تلاقي لك سلاح ما أو تفكري أنت هاتكوني فين بعد عشر سنين إزاي ومش ضايعة كده"، وظريف إن الواحد يشغل دماغه بحاجة هايقة، وقصدي إن مفيش حكم قيمتي فيها، ومقصديش أنني أتقّد أي حد آخر، يعني من ناحية إنني أدخل ورش مختلفة، كل الورش.

في 2008، قابلت رسام شاب اسمه إبراهيم في وسط البلد جاي من التاون هاوس، وقال لي: "دا إحنا في فريق اسمه "سوا" وبنشغل مع الأطفال، وبنشغل مع الكبار"، وكان وقتها وليم [ويلز، مؤسس التاون هاوس] موجود. اشتغلت مع الأطفال، وبعدين في "التاون هاوس" قالوا لي: "تجيبني ذوي الاحتياجات الخاصة ونعمل دمج؟" أنا كنت سعيدة جداً إنني أعمل دا، وجاءت الثورة ووقفت الموضوع. بعدين رجعنا، والسنة دي يكون فات سنة على إن الاتحاد الأوروبي أدى منحة لـ "سوا" عشان نشغل مع الأطفال والكبار، بس وقفنا في ديسمبر بسبب إن ممنوع نقعد في وسط البلد، ووليم مبقاش قادر يدخل مصر، وباسر جراب [مدير التاون هاوس] توفي.

4 تقدم الأعمال الخاصة بـ "علم وهم الحواس"

بعد كده شاركت في ورشة ظريفة جدًا بتاعة "جغرافيا لأبطال مهزومين"، كانت مسكها زينب مجدي، هي مدرّسة إنجليزي في آداب القاهرة. في الورشة، كان فيه الخريطة بتاعة 1967 لغاية 1985، واتكلمت عن 1967 والإعدادية، وتدريبات الورشة خلّت الواحد يندمج أكثر.

مثلًا دخلت ورش تصوير فوتوغرافي. وكل حاجة كنت بقيت اعملها بقي لها علاقة بدرية شفيق. النقلة فعلاً كانت ورشة "المصالح بتتصالح" بتاعة نور الصافوري ومحمد عبد الكريم، تبع "مدرار"، وشركة الإسماعيلية، و"أماق". إحنا قعدنا سبع أو ثمن شهور مع بعض في الورشة دي. هما كانوا مجموعتين، مجموعة أخذت استديو ومنحة 7000 جنيه، وخمسة تانيين اخدوا أوضة من غير فلوس وملهمش التزامات. هي كانت عن لقمة العيش، إزاي تتصرفي عشان تعيشي، وأنا كنت العجوزة اللي فيهم.

عشان تقدمي للورشة دي المفروض عملي مختبر [ورشة] أو اثنين أو ثلاثة، ومرة قلت لعبد الكريم، لأنني لاحظت مش كل الناس منتظمين في الحضور، على فكرة أنا ميهمنيش أخذ مختبر لأنني يشتغل في البيت. أنا قلت لهم ميهمنيش، في وقت من الأوقات كانت المناقشات كل يوم، وبعدين مش كل الناس يتحضر، وقلت لنور أنا مش عايزة الفلوس، ومش عايزة أناقش، قالت لي: "لا والنبي تعالي، عشان هما كمان ناس مش بتحب تتكلم". بعدين بقول لعبد الكريم إنني لو هعمل مختبر، هقعد اتكلم فيه مع نفسي، قالي: "اعلمي دعوة مفتوحة"، راحت نور قائلتي: "ما تعملي ورشة وأنت تسيربها، ليه لا". قلت لها هجيب حد معايا، زحت جايبة واحدة من اللي بيجوا ورش "سوا" أنا باعتبارها بنوتة بس هي غالباً 32 أو 33، عالية بيسيوني، وخطيها، كانوا عملوا ورش كوميكس، وعملنا ورشة فعلاً داخل الورشة اسمها "في فخ الزمن الجميل" عن فترة الستينات. البنات اللي جَم قالوا: "أنتوا الزمن الجميل! كان فيه أولاد وبنات على فكرة، وقالوا مكنش فيه معاكسات"، زحت قلت لهم نعم، دا أنا كنت بمسك طوبة وأنا ماشية في الشارع. دا من ضمن الحاجات اللي شجعت الواحد يكتشف الناس عندها تصورات معينة عن الحاجة، وإن الواحد لَمَّا بيقدم التاريخ في صورة حكايات عن أشخاص، تلقىهم مستعدين يسمعو أكثر ما نقول كلام عامي. وطلعت مطبوعات من الورشة.

دخلت في دماغي اتعلم كوميكس، عشان أعمل شغل على درية بلوكميكس، هو أنا عملت حاجة صغيرة كوميكس، بس دلوقتي شايفة إنها لا. بعدين كنت عايزة أعمل ورشة مع الجيزويت في الإسكندرية عن فترة درية شفيق، لأنها من 1922 لغاية 1926 سافرت فرنسا، راحت الإسكندرية قعدت

عند أختها وكان باباها هناك برضو، راحت باريس عشان الماجستير، بعدين رجعت، وسافرت للدكتوراه، ونزلت على القاهرة. وخلال بحثي عن الإسكندرية فترة الحرب العالمية الثانية، شفت قد إيه فيه مصطلحات ومفاهيم غالباً مغلوطة عن كلمة كوزموبوليتانية والزمن الجميل، والوطنية والقومية، وكل الكلام اللي من هذا النوع. لكن موضوع ورشة الجيزويت وقف لَمَّا جات حكاية الكورونا.

بعدها كنت هعمل في مصر الجديدة في "فوتوبيا"، اتكلم عن طفولة درية وطفولتي في مصر الجديدة، وطفولة أمي وأبوي، وتكوين المدن، لأن مثلًا طنطا والمنصورة والإسكندرية، كان فيها حرية نسبيًا عن القاهرة، لأنها كان فيها الحاكم العسكري البريطاني، وفيها مجلس نواب.

فيه كده حاجات ممكن تعرفها عن المدن من الحكايات، مثلًا فيه رواية حلوة جدًا عن المنصورة اسمها "المختلط" لداليا أمين أصلان، دي من ضمن الحاجات تخليك تعرفي إن فيه شارع معين كان فيه عمارات بتوع طلائنة، ولو كان واحد مصري عايز يبني عمارة كان لازم يبقى معاه شريك إيطالي. في تفاصيل بتعرفيها من الحكايات أكثر.

فرق أجيال

أمي كانت بتخوفنا من السياسة، هي كانت مهتمة بالسياسة وهي صغيرة، وبعدين جات لها إحباطات كثيرة من أهل اليسار.

دلوقتي بدعيس في الفترة اللي عاشتها درية شفيق من 1908 لغاية 1975. كانوا مثلًا عاملين قعدة ستات في مركز بحوث، فيها درية وجنيفاف سيداروس ومعاهم فاطمة زكي لأنهم كانوا مساجين. بدور مين كان عارف أمي، بس ماما مكتتش عايزة تتكلم، بس عارفة إن عائلتها فقيرة. فاكدة في حبسة 1949 أو 1950، بابا اتحبس مع الأجانب الأغنياء بس أمي كانت قاعدة على النيرش في القسم، وكان جالها تيفويد وقتها. هي اشتغلت فترة سكرتيرة في شركة شيل، هي كانت بتصرف على بابا وقتها، لأن هو سياسي. أمي حد قابل سياسيين وأحبطت بسبب موافقهم اللي هي مش قد كلامهم، كانت اتعرضت لحاجة زي كده. فاطمة زكي قالت إن "دينا حموي كانت معانا"، تقصد حركة "أنصار السلام" في اليسار وحاجات زي كده، حاجات غير مباشرة، زي بابا مثلًا لَمَّا كان بيكتب في "الفجر الجديد"، لكن الموضوعات السياسية دي موضوعات ثانية. بعدين لَمَّا كان بابا يقعد يتناقش مع أصحابه، أو هو يقعد يتكلم، أنا مستعدة أتكلم بس لَمَّا اشوف إنه بيكلم الفنانين دول مالهم أو لازم يعملوا كذا، وأنا شوفت أفضل موقف ليّ إنني أكون برة كل حاجة عشان أعرف أكون حرة. عشان

كده ممكن أكون أبقي فاهمة، بس مفيش داعي انخرط في حاجة، لأن في فترة هكون ملتزمة بحاجات تخصصهم وأنا مش عايزة، عايزة أكون حرة. خاصة كمان إن الناس الصغيرة، يعني بابا لما اتحبس في 1959 كان عمري سبع سنين، كنت باخد بالي على أختي اللي هي أصغر مني بأربع سنين، وأخويا اللي لسه مولود في مارس، وماما تروح تدي دروس، ماما كانت متفوقة في المدرسة اللي هي الليسيه لغاية ثانوية عامة، وبعدين باباها قال لها: "لذ الأولاد يتعلموا والبنات لا، إنتي تروحي تشتغلي عشان تصرفي على أولادك عايزهم يطلعوا دكاترة!" أبويا مكش كده، بالعكس كان بيقول: "الست الجدة بميت راجل"، لكن ميمعش إن كان فيه تناقضات في البيت.

منى أختي كانت بتقول عليّ إن أنا كنت بجهة، مكنتش فطبعة قوي، واتفرم خاصة لو واحد بيقول أنا بتد الأبيض وألميه بيقول الأسود. ويعتبر أمي أحد ضحايا الناس بتوع الشغيلة الصغيرين اللي عملوا حاجة، وفي نفس الوقت محدش عارفهم. الحق عشان ندي كل الحق لأصحابه، بشير السباعي كتب مقالة في المدونة بتاعته عن إزاي دينا حصوي التي كانت مثل مش عارفة مين، هو بيشبها بحد في روسيا، بالستات اللي فضلوا يقفوا بجانب أزواجهم وعيالهم.

لما جيت أتزوج بشير السباعي، في حد من اليسار المهم، جاء يتعرف عليّ بصفتي مرات الزعيم المهم، وأنا توقعنت إنه عايز أني أبان بقول كلام طلو، وإن أنا بنت يسارية كويسة، أنا قلت كل الكلام البرجوازي العكسي، بحب الآيس كريم، وهو كان متعفرت. غير إن هُما أصلًا المجموعة الثانية اللي عارفها بشير السباعي كانوا من أعداء أحمد صادق سعد، بالتالي طول حياتي حتى لما تزوجت رفعت سلام، حد عايز يقوم ضد رفعت سلام يقول: "آه أصله متجوز اليهودية"، يعتبروا أبويا لسه يهودي رغم إنه مسلم، ويعتبروني يهودية. وأنا مش يهودية أنا مسلمة، وعشان برضو الأصول دي.

عشان العك يتاع السياسيين، في واحد منهم قاعد معايا مرة ويقول لي عشان يضمني للحزب: "إحنا بنرتي ناس" وأنا قلت له لا، أنا بهتم بالأدب والفن، والسياسة دي حاجة مبتهميش، وطبعًا الناس دول سابوا السياسة.

عمومًا وجودي في بيت سياسي خلاني أفهم شوية ما يحدث، وعمومًا أنا اهتमित. فاكدة إن دينا سلام كانت هي المتمردة علينا في البيت، ونفسها تكون مختلفة. يارا سلام كانت لا، بتحب تتكلم معانا، فاكدة لما بدأ تدخل "النسور الصغيرة"، كانت ترجع تقول: "إيه الشيوعية، وإيه اليسار؟".

و"النسور الصغيرة" مجموعة كانت في الهرم، متهيالي كانت فيها ناس متنوعة منهم سلمى سعيد، منى

سيف، وعلاء سيف [عبد الفتاح]، وناس كتيرة. وهما كانوا بيسافروا في معسكرات مع الأطفال، في بلاد مختلفة. سلمى كانت سائلة جنبنا. واتعرفت عليها عن طريق سارة بنت أختي، وكانت بدأت تروح مكتبة مصر الجديدة، وفي مكتبة تانية وراء السنترال. وفي يوم جات يارا تقول لي: "سلمى سافرت السنة اللي فاتت... وممكن تسافر السنة دي"، قلت لها اشمعنى، قالت لي: "هما في النسور بيعملوا كدا، كل اللي علينا تدفعي ثمن التذكرة"، قلت لها يلا، ظروفنا كانت محدودة، وقلت لها ديه هدية عيد ميلادك لسنين، بالتالي كانت بترجع وهُما مستغربين منها ليه إنتي كده شوية مختلفة. قلت لها أنا محبتش أقول لك حاجة إنتي تكتشفي الحاجات بنفسك. أنا كان دايمًا عندي قلق، هل أنا أفكاري نتيجة إنني بحب بابا وعايزة أرضيه. كنت بقول لبناتي، في الآخر اللي أنتوا عايزين تعملوه يبقى جاي منكم، لما تيجوا تسألوا هتكلّم. كانوا مستغربينها في الوسط وبتبقى متضايقه. برضو وسط الليسيه كانوا مستغربينها. الفكرة إن في حاجات مهمة أخلها تبقى موجودة عند بناتي إن أفكارهم تبعهم مش عشان يرضوني. حاجة تانية إن هما يعرفوا يقفوا ضد أي حد، حتى لو الحد دا بيتقال عليه إنه محصلش، لكن ما دام هي مش مقتنعة بيه يبقى مش مقتنعة بيه. يارا درست حقوق عشان الفرنسية، وبعدين سافرت تعمل الماجستير في أمريكا، ووقت الثورة كانت في زامبيا، وكنت أنا ودينا مع بعض، ورفعت سلام كان بره في الجزائر تبع مكتب وكالة أنباء الشرق الأوسط. الحاجة الطريفة خالص في موضوع الثورة، دينا تفكيرها اتغير خالص، بقينا أصحاب وتناقش، هي اشتركت شوية في المظاهرات، أنا الحقيقة مشتركش، كنت يكتب على فيس بوك بس.

بالنسبة لي الأحداث محدش كان متصور إنها توصل بالطريقة دي. أنا فاكدة الجملة بتاعة بسملة الحسيني إن "لو المظاهرات استمرت بس أسبوع" أو حاجة زي كده.

طوبه لمواجهه المعاكسات

أعتقد شوية إنني صدّرت شخصية القفل اللي ممكن نقول كلام مش ظريف لو أي حد ضايقها، نتيجة خبرتي وأنا صغيرة. مش فاكدة كل حاجة، بس في أيام ثانوي كان فيه موقف راجل طلع عضوه في الشارع.

وكان لازم أمسك طوبه عشان عارفة إن فيه معاكسات، ولازم وأنا راكبة المترو أو الأتوبيس أبص يميني وشمالتي. أصلًا مش بستتي حاجة تحصل، بحاول دايمًا إن فيحصلش أي حاجة، واستتني عشان أرد، بحاول اتجنب الموضوع. كنت بصدر البني أدمة اللي هي صعب جدًا تتعامل معاه، قصدي كنت بتصدر بالهجوم وليس بالدفاع، ومحدش كان

ييعرف يقرب مني. لمّا كنت بقعد في صالة وكالة أنباء الشرق الأوسط، وقت ما كنت بدخن، لمّا حد يقول لي: "بتدخني سجاير في الصالة!" كنت أقول له أنا حرة.

الستات اللي كانوا بيدخنوا كانوا بيروحوا الحمام يدخنوا، في حين إن أنا كنت بدخن في الصالة عادي. فاكدة إن المدير اللي فوق المديرية بتاعتني بتاعة قسم فرنساوي، ندهلي مرة وقال لي: "بيقولوا إنك بتدخني سجاير!" قلت له عادي من حقي مفيش مشكلة.

أهمية كلام الستات

علاقتي بالحركة النسائية اتغيرت على مرّ السنين، نتيجة إن زمان مكُنش في بالي، كوني ست تمام عادي مش مشكلة بس الأهم بشكل عامّ المجتمع. بعدين شوية بشوية، خاصة إن يارا سلام مهتمة بموضوع النسوية، وإحنا بتناقش في البيت، دا فتح الكلام. بعدين خلال الثورة بدأ يتقال للستات دا مش وقتكم. لكن فاكدة إن اللي أثر في جامد، الست اللي قلعوها العيابة. حسيت إن الصورة الشهيرة لها إن التعرية معناها العكس، محسّتش إنها اتفضحت، بالعكس هي كان جسمها جميل ضد قبح العساكر أنفسهم. فهمت الصورة بشكل ثاني، إن هما مفروسين منها، حسيت إنها قد إيه جميلة، وهما وحشين.

من عشر سنين كنت قرأت عن موضوع إزاي الأقارب أو الآباء بيضربوا البنات، أو بيناموا معاهم، وينتهكوا بناتهم أو قريباتهم جنسيًا، دي قصص. مش بقول كل الناس، بس أعرف إن القصص دي حاصلة، ودايفاً كانت صحياتي يحذرون من الرجالة العواجز. يقولوا لي: "العجوز دا أوحش من الشاب". مش هنسي دي، أنا كنت في ابتدائي، كنت رايحة عيد ميلاد حد، وكان في راجل عجوز وحاطت على حجره عيل صغير، وعمال يتحرش بالولد وسطنا، ومحدث مهتم. فاكدة الحادثة بتاعة نوال علي اللي قطعوا هدموها على سلم نقابة الصحفيين⁵.

ثورة يناير كان فيها صوت الستات بجد، وبعتبرها أهم من ثورة 1919، بشكل شخصي في مشاركة الستات. بعدين لمّا دخلت سواء مناقشات مع يارا، أو جمعية زي "اختيار"⁶.

5 الحادث معروف بـ "الأربعاء الأسود" حين قام مؤيدو الرئيس محمد حسني مبارك بالاعتداء على الصحافيات الموجودات في الناطق للاعتراض على التعديل الدستوري عام 2005 ورفض مواد التمديد والتوريث. وكان من بين الصحافيات نوال علي وغير العسكري.

84%D8%A3%D8%https://gendiyya. xyz/wiki/%D8%A7%D9%D8%A7%D9%D8%A8%D8%B9%D8%A7%D8%A1%D8%A7%D9%D8%A3%D8%B3%D9%D9%81%D9%88%D8%AF%D9%D8%B5%D8%B1_%D9%8A_2005%D9%85%D8%B5%D8%B1_%D9%

6 اختيار: مجموعة من الأفراد المهتمين/ات بقضايا النوع الاجتماعي، وتنظم المجموعة ورشات حول قضايا النوع وينشر مطبوعات خاصة بتطوير الانتاج المعرفي باللغة العربية
/https://www.ikhtyar.org

أو لمّا أروح ورش فيها بنات أكثر، الموضوع بقى يهمني أكثر. أمي مثلاً كان دايفاً عندها اعتقاد إن البيت لو مفهوش راجل يبقى إحنا ممكن نتوه، أنا فاكدة كنت في إعدادي وبابا راجع من الشغل، فجأة حس مش قادر ياخذ نفسه فكينا له الكرافته، وقدر يتنفّس، ولقيت ماما بتقول لي: "الحمد لله.. لو كان جرى له حاجة وتوفى كُنا هنعمل إيه!" وأنا قلت لها يعني إيه هنعمل إيه، أنا الكبيرة وهشتغل، قالت لي: "لا. أخوكي صادق صغير وهو الراجل!". مع إن ماما كانت بتلعب باسكت مع الأولاد والبنات في الليسيه، بس فيه تأثير إن هي بنت، أو هي ست، وإن الرجالة هما اللي لازم مش عارف إيه.

حاليًا شايقة إن مبقاش فيه كتم للصوت، زي مثلاً موضوع me too، والبنات اللي بدأوا يتكلموا عن التحرش، أو عن التعامل وسط ناس مختلفة. دي خطوة مهمة جدًا وكبيرة أساساً لحركة الستات بعد كده، مقارنة بالقرن اللي فات. فيه نوع من التقدم والتراجع شوية في الحركة النسائية، ليه، يعني لو إحنا اخدنا موضوع درية شفيق وإن هي كانت شايقة إن مهم يبقى فيه تعليم، وإن الست تتعلم، ويكون لها حق الترشح والتصويت، وفي كايبتها إن الشغل بس للستات الفقراء، وإن مكُنش حد بيشتغل. يعتقد إن التعليم مهم، لا أنكر دوره، بس مش هو اللي بيغيّر دماغ الواحد. فيه ستات قاعدين يشتغلوا عشان يعرفوا يروحوا للكوافير، لكن يقولوا لك الراجل بصرف عليّ وأنا الست، هي عقلية الست اللي قاعدة في البيت. في حين ممكن تبقى ست قاعدة في البيت، وعندها دماغ أحسن من زوجها، أو عندها إحساس إنها نذ لزودها. مثلاً مبقاش التعليم ولا العمل هو مقياس تحرر الست، لكن من الإنجازات إن فعلًا الستات من أكثر الناس اللي شاركو في ثورة يناير، وكون الستات يقدروا يقولوا عن التحرشات، وعن اللي بيتعرضوا له، دي حاجة مش سهلة ولا هينة، وإنجاز كبير جدًا في رأيي. مش قادر عليه برضو الرجالة لإنني عارفة إن هما برضو بيتعرضوا لتحرشات، مش معناها إن إحنا كلنا زي بعضنا. لا، الستات بيخضعوا للتحرشات، لكن برضو بتحصل في الرجالة ومش عندهم الشجاعة يقولوا دا. أنا مسمعتش من رجالة كتيرة يتكلموا عن دا بنفس الشجاعة. أنا بشوف إن دي إنجازات مهمة، وهي لمان ممكن تكون إنجازات عصرها زي فترة درية شفيق، كانت لازم الواحدة تثبت إنها بتشتغل، وإنها تقدر تترشح للبرلمان، آه دا صح، لكن دلوقتي فيه حاجات تانية إحنا عايزنها كستات. أحسن حاجة إن يبقى فيه كلام، سواء

7 في صيف 2020 بدأت مجموعة من النساء بالكتابة عن حوادث عنف جنسي تعرضن لها من قبل بعض الأشخاص في دوائر الناشطين/ات وخارجها. وكان هناك بعض المبادرات اللي قدمت الدعم أو ساعدت النساء اللائي يعرضن للعنف الجنسي في كتي قصصهن مثل المدونة/لمبر كذايات
/https://elmodawana.com

الناس التي تؤيد أو التي تعارض، والناس التي تعرّضت لتحرّشات، والستات التي تعرّضوا لتحرّشات ومقدروش يقولوها، وبعدين قالوها بعد فترة. إن كل دا مهم، وحتى لما يحصل إن فيه ناس أفكارها ممكن نقول عليها وحشة، أو ضد. مهم إن الأفكار دي تطلع، وبدل مثيري محبوسة، ولا يتم مناقشتها، ويتم فضحها. الحاجة لما بتطلع بتبقى أهم، شايعة طريقة كتابة القصص، خاصة البنات اللي سنهم 30 أو 35 فيها جراءة، وفيها ثقة في نفسهم؛ "آه إنا كده، وهنقول كده".

من ضمن حكايات درية شفيق لما راحت باريس، واتعرفت على شاعر، وقال لها: "تعالى نروح معرض"، قعدت تقول: "يا ترى هقدر أروح معرض ولا هيقولوا عليّ إيه؟"

إنا قطعنا شوط في حاجات معينة. فيه مكاسب عامة، وأعتقد كمان كان فيه تراجع، وهو تعبير عن فكرة سائدة في المجتمع، إن الست لازم تستحي، وإن الست زي الطوى، هو دا الفرق بين الاثنين. لكن حصل تغيير وفيه ستات قلّعو الحجاب ودافعوا عن نفسهم إنهم قلّعو الحجاب، ويتقال: "لو كنت لبساه وقلّعيه يبقى أسوأ لو كنت مش لبساه خالص".

فيه تفاصيل في الكبت على حياة البني آدم، وخاصة الستات، وتفاصيل بتاعة الحياة اليومية. أنا كنت أعرف واحدة كان معاها إيشارب عشان لما تدخل المنطقة بتاعتها تلبسه، لكن قلّعه لما تطلع من المنطقة. وأنا لغاية دلوقتي معنديش عريية، وعلى حسب المنطقة اختار هلبس إيه رغم أنني كبيرة، والتفكير بتاع الست لما يبقى عمرها 40 سنة أو 50 سنة، خلاص كبرت، وتلبس زي الصغيرين ليه، أو تلبس بنطلون ليه، أو ليه تخرج الشارع، القصص من هذا النوع. أنا ملاحظة إن الستات اللي كانوا في القسم في وكالة أنباء الشرق الأوسط يكملوا بعد المعاش شغل إضافي، بس أنا محبتش أكمل، لكن عارفة زميلات بيعملوا دا وسن الـ 60 بالنسبة لنا دلوقتي مش زي ما كان من 50 سنة، في كده مأوحة مباشرة أو غير مباشرة من الستات، شايعة إن دي من الإنجازات.

مثلاً في يوم من الأيام كان اتعرض في "درب 1718" شغل لبنوتة صغيرة، غالباً شكلها 25 سنة بالكثير، وهي محببة وبتلبس واسع كتبت على جاك وحببة كل الشتائم والكلام اللي بيتقال لها وهي ماشية في الشارع، منها "ك* أمك، وأمك"، وحاجات زي كده، وناس كثيرة قالوا: "إيه؟ دا عمل فني؟" أنا شاركت الشغل على صفحتي، وشوفت فعلاً إن الشغل جميل وجريء، وحلو، يعتبر حاجة زي كده مهمة للبنات والستات، إن هما يبقى عندهم القدرة على الشجاعة، وإنهم يقولوا اللي بيحصل لهم. معتقدش

إن الكلام دلوقتي على التحرش، والمضايقات سواء من أهل اليسار، أو الناس اللي شغالين في السينما، أو الأدب، ممكنش موجود بالطريقة دي زي فترة هدى شعراوي، ودربة شفيق، وإنجي أفلاطون. أنا متهاللي قصة مي زيادة بتبين قد إيه الموضوع كان مؤذي عليها كست، ومعرّش لذي مدى مين دافع عنها، أو مين مدفعش، بس هي كانت بتهاجم جامد لأنها جميلة، ولأنها دماغ، ولأنها بتكتب حلو.

فيه حاجة مهمة بالنسبة لي بحب أشوفها بالنسبة لتعاملات الستات، اللي عموماً من طبقة وسطى، أو غلبا شوية في الموقف من الطلاق، قياساً بفترات من القرن اللي فات زي العشرينات والثلاثينات، ويمكن لغاية الخمسينات، يمكن فيلم "أريد حلاً" [1975] بين دا، إن إزاي كانت فكرة الطلاق بتسبب العار للعائلة، والست اللي مخلقة كمان ممكن تسبب العار لعيالها. دلوقتي نسب الطلاق زادت، ومبقاش فيه مشكلة. موضوع السن، إن البنات لازم يتزوجوا وهما صغيرين اتغير، وإن البنات حتى لما تتزوج، أو تتطلق، أو تبقى أرملة، ترجع تعيش في بيت أهلها، دلوقتي بقي فيه نسبة مش شرط تعيش في بيت الأهل. كمان مش شرط يتزوجوا عشان يعيشوا لأنهم بيعيشوا لوحدهم. متهاللي دي حاجة مهمة.

نسوية

في وقت السبعينات الموضوع بتاع حقوق الستات، أو الستات ظروفهم إيه، أو إن الستات بيتعرضوا للتحرش أو لأن محدش يتكلم فيه عموماً، لأن كان أهم يبقى فيه تغيير يؤدي لهذا وذلك. أنا شغل درية هو اللي مخليني حالياً أفعد أتأمل حاجات من هذا النوع، سواء تاريخية أو نسوية. لما كنت بقول ليارا إني مش نسوية، أنا ممكن أقول دلوقتي لا أنا ممكن أكون فعلاً نسوية في حاجات. لما ألاقى ناس يقولوا: "إيه نسوية دي؟" أنا فاكدة زمان إن النسوية في وقت من الأوقات إن الرجالة كُتّ ووحشين وكلام من دا. لما كنت أتناقش، يتقال إن كان في كذا موجه للحركة النسوية، دلوقتي ممكن أفهم دا. هو كلام شوية عام.

هو ممكن أنا اللي عايزة أقوله عن أوقات إعادة رؤية التاريخ، أو إعادة رؤية شخصيات، سواء كان في الفن أو السياسة، أو العالم الاجتماعي، إن إنا لو الواحد عنده إمكانية إنه يرجع لورا ويبص، ويحاول يفهم إن اللي يفهمه النهاردا مش بس بالطرق اللي اتعود عليها. أنا شوية فهمها من خلال الشغل على درية شفيق، لأن جزئياً هي في فترة معينة لمعت جداً وبقت قائدة وكبيرة، وبعدين فقدت القدرة على التواصل مع السبعينات، وقتها بدأت حركة الطلبة وكان المجتمع بدأ يتغير، بس هي فضلت زي ما هي في الخمسينات!

اعتقادي حتى في المذكرات التي ذكرها سينثيا نيلسون إن هي كانت ميالة للاكتئاب، ودا كان جزء من مشكلة نفسية عندها. علم النفس مكنش متطور بنفس الطريقة بتاعة دلوقتي، والظروف اللي اتحدت فيها دي عامل مساعد، بعدين مبقاش حد معاها ودا عامل مساعد. البني آدم لو يقدر يحاول إنه مبيقاش دالما مع أفكاره اللي هو عارفها. أنا أتمنى مكنش ثابتة على طريقة تفكير معينة، وإنني أحاول أكثر أشوف اللي بزه، وأعمل نوع من المراوحة بين أفكارى واللى بره عشان تبقي نسبة الفهم أفضل وأشد. عشان كده يمكن اخترت درية، عشان هي عكسي.

يعتقد مهم الواحد يحاول يفهم ما يحدث في إطار أوسع، وله علاقة بحركة التاريخ نفسها. إن يبقى مفهوم إن فيه فترات، زي لو اخدنا القراعنة، فيه عصر ازدهار وعصر انحدار، هي دي طبيعة الأشياء. وما أتمناه لنفسى إن متكونش أفكارى متحدجة، دي حاجة مربعة.

صراع مع الطبيعة

التغيرات الحالية بتعكس شدة النقلة اللي حصلت في 2011 وأهميتها.

كل فيبقى فيه حاجة مهمة وقوية، كل فيبقى لها قمع أجمد، بالمعنى دا. بس كمان شايفة إن الدنيا كلها مش بتعيش في ظروف كويسة، وقصدي البلاد الثانية في حالة لا تسر، على مستويات كثيرة، وبعدين داخل فيها كارثة، مش بمعنى كارثة بس هي كارثة؛ كوفيد-19، دا كابوس، وفيه كذا متحور.

فكرة في إعدادي، بتكلم مع بابا قصاد البيسين في النادي إن فيه صراع طبقي وحاجات زي كذا ويقول له يا بابا لما يخلص الصراع الطبقي، هيبقى فيه صراع إيه؟ قال لي: "هيبقى فيه صراع مع الطبيعة". دلوقتي لما أفكر، الدنيا بقى كلها صراعات ومفيش حاجة بتخلص.

مستقبل البلد والمنطقة، بشكل شخصي مقدرش احكم عليه دلوقتي، وشايفة الحاجات بتأخذ سنين.

كنت بتكلم مع ابن اختي⁹، هو في ألمانيا بيدرس، ومراته في إنجلترا، هي المفروض كانت تروح تزوره في ألمانيا وتقعدها معاها، اللي حصل لما يتصل بالمطار عشان يسألهم، قالوا له: "هي أصلًا مش هتدخلها الطائرة من وهي في إنجلترا" ليه؟ عشان موضوع كوفيد-19. دلوقتي بقى فيه كذا نوع كوفيد، عندك اللي في إنجلترا، غير اللي في أوروبا، غير اللي في جنوب إفريقيا، غير اللي في آسيا. هو بيحكى ويقول: "إنتي فاكدة مين اللي كان

بيلبس الكمامة، اليابانيين لما بيحوا القاهرة. دلوقتي لنا بلبس كمامة، تفكرى الدنيا هتتغير وترجع زي ما كنا؟" سألتني وجاوبت حاجة من التاريخ، في 1920 أيام الإنفلونزا الإسبانية، شفت صور الناس كانوا بيلبسوا بلاستيك على كل جسمهم. بعد كده في 1960 أو 1970، لما أي حد عنده دور برد، وعنده الإنفلونزا مكناش بترعب، زي ما مونت كام مليون واحد أيامها. في اعتقادي استنادًا على قدرة البني آدم على التكيف، وإنه تاريخيًا هو أذكى الكائنات. بالتالي هو عرف يعيش بس الديناميكيات ماتت مثلاً، لكن من ناحية ثانية هو تاريخيًا أغنى الكائنات من نواحي ثانية، لأنه بيدخل حروب، وكل اللي همه الربح السريع، وبوظ الكون بحاجات كثيرة. بدل ما تزرعي [حسب المواسم]، أو تخلي بالك من تغير المناخ، أو تحافظي على ثروات البحر، تقعدى عايزة تكسبي النهاردا أو تنتجى محاصيل بأي طريقة، أبسط مثال موضوع اللبن لما يروحوا يسخنوا صدر الجاموسة عشان تنتج لبن كثير، وبعدين يرموا جزء من اللبن عشان يحافظوا على سعره. بالتالي دا موضوع عام، هو في الآخر عشان الربح. بالتالي عندك مظاهر كثيرة إن فيه جنون غير منطقي من البني آدم عشان يكسب حاجة. في نفس الوقت فيه تطورات جديدة وعلمية. تتوازن إزاي، وفي حاجات تساعدنا، وتحكمي عليها، أنا معنديش القدرة على التنبؤ. لما فيه ناس تتكلم عن سقوط حائط برلين، فنى كانت تقول لي: "إن بابا كان متصور إن دا هيجصل في يوم من الأيام". أنا معرفش، بس عارفة إن فيه حلول، يمكن الدنيا تظبط نفسها بشكل أو بآخر، بمعنى الكون، الله أعلم، مش عارفة.

زينب الحضري: متشائمة، لكن لازم يكون فيه أمل

زينب الحضري مواليد 1949، في منطقة غيط العنب في محافظة الإسكندرية. وهناك عرفت باسم أبله مريم، وفي شهادتها ستشرح لنا سر هذا الاسم.

في شهادتها، تحكي زينب عن سنين من المعارضة، رغم أن بدايتها مع السياسة كانت مع تنظيم الدولة للشباب، لكنها سرعان ما تمرت عليه، لإدراكها أن الواقع لا يشبه الشعارات البراقة التي يروج لها ذلك التنظيم. عملت زينب مدرّسة، وكانت رفيقة البرلمانى المعارض أبو العز الحبري، حتى رحيله.

وبخلاف السياسة، أثمرت مسيرتهما معاً عن ثلاثة أبناء منهم البرلمانى عن دائرة محرم بك هيثم الحبري.

عن تلك المسيرة، وأحداثها ومعارك السياسة في شوارع كرموز، تروي زينب الحضري شهادتها التي سجلتها عالية مرسي في 12 حزيران/يونيو 2021.

تعليم وحنان وذهب

اسمي زينب عبد الحميد محمد الحضري، مواطنة مصرية، بنت الطبقة الأقل من الوسطى، الفقيرة. مدرّسة، بدأت بالتعليم الابتدائي ثم انتقلت لتدريس الفلسفة في مرحلة التعليم الثانوي. أم لثلاث شباب؛ هشام وهيثم وهند، وزوجة المرحوم أبو العز حسن الحبري. يعتبر نفسي أم لكل المصريين الفقراء الغلبة والأولاد الصغار كلهم.

ولدت في حي فقير قوي اسمه غيط العنب في 1949، والذي توفى وأنا عندي خمس سنين تقريباً، وكان لي أخين؛ واحد كبير قوي وواحد بينه وبينى أربع سنين تقريباً. كنت البنت الوحيدة، وساكنين في زقاق ضيق جداً، كل الناس اللي فيه بسطاء قوي، ناس محترمين يعرفوا يعني إيه الأصول والشهامة، وكل العادات المصرية القديمة الجميلة موجودة وسط الناس دول. لكن الجانب التعليمي مكنتش وصل البيوت لسه.

1 أبو العز الحبري: (1946-2014) هو سياسي مصري. كان نائباً في مجلس الشعب عن دائرة غرب الاسكندرية، اعمل في فترة حكم انور السادات 1981، ترشح للرئاسة في العام 2012.

أمي ست أرمله رتت وعلمت، وكانت مُستنيرة قوي رغم إنها مش متعلمة، مقدّرش أقول عليها جاهلة. كانت طيبة وذكية بالفطرة وطموحة، تسمع أكثر ما تتكلم، ولو ماشية في سوق، أو رابطة الترام أو الأتوبيس، تسمع تجارب الناس للاستفادة من تجاربهم عشان تربينا تربية كويسة قوي. أصرت إنها توديني مدرسة في حي أرقى من الحي اللي إحنا فيه، لأنها اتصورت إن المدارس في حي الفقراء هياكون التعليم فيها فقير. مثلاً كان فيه مدرسة على حدود منطقة غيط العنب ومحرم بيك اسمها مدرسة "الرحمة للغات" كانت فرنسية، كل اللي شغالين فيها راهبات من العاملات لحد المدير، راحت أمي وهي متعرفش تقرأ ولا تكتب، قالت لهم: "أنا عندي بنت وعازية أعلمها كويس وشايقة إنكم كراهيات بترتوا وتعلموا كويس، وعازية بنتي كمان يبقى معاها لغة عشان تبقى كويسة وأحسن من العيال التانيين"، والناس كلّموها بالفرنساوي مفهمتش، وجابوا لها حد يترجم، وقالت لهم: "هشوف وأرجع لكم".

خرجت من المدرسة تبكي إنها مش قادرة تفهم الناس اللي هيرتوا بنتها أو يعلموها، هي اللي حكّت عن هذه التجربة أنا كنت صغيرة. وهي ماشية قالت هما بيكلمونني بالفرنساوي وأنا مش فهماهم طب بنتي اللي عندها خمس سنين هتفهمهم إزاي! فقررت إن دا فوق قدراتي.

كان جنبنا واحدة بتشتغل فراشة في مدرسة في محرم بيك اسمها مدرسة "محرم بك الابتدائية"، (حالياً موجودة جنب قسم محرم بيك في شارع الإنصاف)، أمي قالت لها إنها عازية توديني المدرسة اللي بتشتغل فيها جارتنا. لكن بين "محرم بك" وبيننا ساعة إلا ربع، وطبعاً صعب أروح المشوار دا، فجارتنا قالت لها: "وماله أخدها معايا في السكة رايح وجاي"، فأمي رجعت فكرت: "طفلة امشيها إزاي"، المهم آجرت لي تالسي يستين قرش في الشهر -بيسموها ثلاثة ريال- عشان يوديني ويجيني من المدرسة، عشان أكون في مدرسة وسط ناس كبار ومنطقة راقية واتعلم سلوك وأخلاق وطباع وتعليم أفضل من اللي موجود في غيط العنب. استمررت في هذه المدرسة لمدة ست سنين، طلعت منها على المدرسة الإعدادي في محرم بيك برضو، مدرسة بنات، بس كانت مسائي. بعد سنة أولى [إعدادي] فتحت مدرسة بنات في كرموز، راحوا واخدين كل البنات اللي ساكنين في كرموز وغيط العنب نقلوهم المدرسة دي، وأنا منهم. راحت أمي تعافر لكن قالوا لها: "مش هينفع المدرسة مفتوحة عشان بنات الحي. ليه بنات الحي يطلعوا برّه". كملت في "كرموز الإعدادية بنات"، وفي سنة تانية طلعت الثانية على المدرسة.

أدخل كلية، هي مش عارضة يعني إيه كلية، شرحت لها إنها بعد ثلاث سنين ثانوي، لما أدخلها بحقي دكتورة أو مهندسة أو محامية أو محاسبة، قالت لي: "أنا مش ضامنة أعيش كمان ثلاث سنين ثانوي، وأربعة جامعة، أنا عايزة حاجة تخلص وأنا عايشة". وراحت سألتني عن حاجة غريبة: "يعني أنت تقعدى وجنك الولد زميلك في الكلية ولا كلكم بنات؟" قلت لها إني حقعد جنب الولد زميلي، "لو زميلك ضحك على عقلك وطلع ابن حرام وخدك مني ومشى، تعيشي متين تأمني مستقبلك إزاي؟" قلت لها إنها مرياني كويس ومش هخسر مستقبلتي عشان أي حد. لكن الست ماري وأولادها عملوا فرقة إرضاء لأمي، وكل ما يشدوا القرعة ألقى "معلمات"، قالوا لي: "القرعة طلعت لك ثلاث مرات، الكري لماما ووافقي دا نصيبك". فهمت في ما بعد إنهم عاملين القرعة كلها "معلمات" ومش حاطين اختيارات ثانية احتراماً لرغبة أمي.

كانت أمي تقول إن "المعلمات"؛ "باب مقبول عليكى وكلكم بنات ومفيش غير المدرسين، وتعلمي [خمس سنين] وتخلصي وتنزلي تشتغلي في مدرسة، المدرسة لها قانونها مقفولة مش شركة ولا مستشفى اللي داخل واللي طالع، هتقعدى في مدرستك تتعلمي وتطلعي تعلمي أولادك كويس وكمان يبقى خلصتي وتشتغلي على طول متقعديش".

وتنتي أمي دار المعلمات الورديان بالإسكندرية، وأنا يقدم الستات اللي كانوا معايا بيقدمو لينا هم كانوا بيكوا، لأنني جاية مجموع 72% ورايحة "معلمات"، وهما جايبين بنتاهم اللي جايبين 140 و142 اللي هما آخر تعداد الناجحين، وبيقولوا لي: "ليه كده؟" قلت لهم أمي عايزة كده وبشجع رغبة أمي. دخلت "المعلمات" وكان عندي إحساس داخلي إني في السنة الأولى هفشل وأسقط عشان أقول لأمي إنتي خلتيني أتعلم غصب عني وبالثاني فشلت وأروح تعليم ثانوي. وعملت كده في الترم الأولاني، وبعدين بسأل أخصائية اجتماعية ويقول لها لو سقطت أروح ثانوي، قالت لي: "لا مش هيخدوكي، ياخدوا الثانوي بالشهادة الإعدادية"، وبقيت ممنوعة من الرجوع للوراء. ذاكرت وكانت خطوة جميلة قوي طلعت الأولى على "المعلمات" في سنة 1964.

لما راحت أمي تسأل على النتيجة، فروا في الورق وقالوا لها: "دي طالعة الأولى على المدرسة"، قالت لهم: "يعني إيه الأولى؟". "هتروح سنة ثانية، وإحنا كمان هندية مكافأة لأنها كانت أشر البنات". وجات قالت لي: "قالوا لي إنتي طلعتي الأولى، وتجيها بكرة عشان العميدة عازاها".

مكنش عندنا راديو في البيت، الراديو كان معناه ثراء. لما تيجي النشرة وعازية اسمعها أحط ودني على شبك جارنا اللي عنده راديو. مكنش في مية من الحنفية، كنا بنملي الزير والقلل، ومكنش عندنا نور كنا بنولع لمبة الجاز، بس أمي عافرت -بقوتها الفولاذية الداخلية- إنها تدخل نور إنشالله تأخذه من اللي عندهم نور عشان أذاكر. أما انجح تحوّل من قوتها وتجيبي لي حلق، وبعدين غويشة، وخاتم، وتقول لي: "دول مكافأة نجحك لأنك بتردي لي الجميل". أقولها بلاش ذهب أدبني فلوس، تقول لي: "الفلوس هتضيعيها وتروح منك دول بيقوا ثروتك في المستقبل، لو أنا مت يبقى معاك فلوس تقدر تصرفي". هي مصدرني الوحيد للحنان وللأمومة وللعطاء وللوعي وللنصح بدون وعي، وأنصح إن عباراتها ومواقفها كانت بذور بتنمو معايا بمرور الزمن، وبمرور كل العقبات والصدمات اللي أنا عشتها.

كان الناس في الشارع يقولوا لي "أبلة" نتيجة لتكبير أمي لي، من وأنا في أولى إعدادي لبست البلوزة البيضاء والجيب الرمادي. كبروني بدون أوان، متخيلة أنا في أولى إعدادي عندي مثلاً 12 سنة وراجل في مقام أبوا يديني لقب "أبلة".

كان الشارع كله يناديني "أبلة مريم" ما يعرفوش اسم زينب دا خالص.

حكاية اسم الأبلة

أبوا وأمي مكنش بيعيش لهم أولاد، تقريباً هما دفنوا تسعة. لما أمي ولدتني، أخويا هو اللي راح يسميني. ولما أبوا راح يجب شهادة الميلاد زعق لأخويا: "أنا قلت لك تكتب مريم كتبت ليه زينب؟" قاله إن "موظف الصحة صمم إنني اكتب زينب، وقال مريم ليه يا ابني أنتوا فبط ولا مسلمين؟ غيط العنب دي قلعة المسيحيين". ولما موظف الصحة عرف إن أبوا اسمه "عبد الحميد محمد الحضري"، فقال لأخويا "إزاي تسمي أختك مريم.. دا اسم القبط وإحنا مسلمين.. تختار لها اسم مسلم.. أنا كتبتها زينب، وانتوا روحدوا اكتبوا الاسم الثاني زي ما أنتوا عايزين". فيه رؤوس للطائفية من زمان.

تعليم بلا أولاد

وأنا عندي ست سنين، كنت يدخل الكنيسة مع أولاد صديقة أمي، ست ماري اللي بيتها كان في ظهر الكنيسة. أحضر معاهم الليلة الكبيرة لمار جرجس وأشوف كل الطقوس اللي كانوا بيعملوها، علاقتي بهم طيبة جداً.

ولما خلصت إعدادي قلت لأمي عايزة أدخل ثانوي عشان

"بنتي حتقعد مع ناصر؟"

ثاني يوم، روجت أنا وأمي ودخلنا للعميدة بتاعة المدرسة، سلمت على أمي وطببت عليها وانحنت ليها وقالت لها: "بشكرك على تربيتك، وبنتك نموذج مشرف، وإحنا مدينتك مكافأة تشجيعية اتنين جنيه عشان بتك نجحت". أمي فرحت، اتنين جنيه دول يعدوا 200 أو 300 جنيه دلوقت، وقالت لي: "هكمل لك عليهم وأجيب لك خاتم ذهب عشان يبقى ذكرى من المدرسة".

في الصيف، كنت بحاول أشتغل في مصانع تركيب الزجاج أو تركيب السوست، وفي يوم راجعة من الشغل، قابلت أمي عند كوبري راجب، قالت لي: "إنتي فين أنا بدور عليك!.. المدرسة بعاتينك جواب". لقيت الجواب بيقول إنني أروح أقابل الست العميدة ثاني يوم. لَمَّا روجنا، أنا وأمي، العميدة قالت: "الرئيس جمال عبد الناصر بيعمل حاجة اسمها منظمة الشباب وبيعلم فيها أشطر البنات وأنظفهم وأرقاهم وبشهادة مديرين مدارسهم، وإحنا بنبعث الترشيدات دي وهما يقبلوا بيها أو يرفضوا"، أمي قالت لها: "يعني إيه بقى منظمة الشباب؟ وبنتي هتروح تقعد هناك مع جمال عبد الناصر؟ دا محدش يقرب [منه] ولا يجيب سيرته!" قالت العميدة: "لا هو في ناس تحت جمال عبد الناصر ماسكين المعسكر دا وبيعلموا الأولاد والبنات وبيعملوهم كوادر... لو موافقة تمضي لي على الاتصال دا"، أمي قالت للعميدة: "أدبني فرصة أتكلم معاها"، طلعنا برّ وسألتنى: "إنتي فاهمة الكلام اللي الست دي بتقوله؟" جاوبتها أن منظمة الشباب زي معسكرات والمعسكر بنين وبنات وهتعلّم فيه حاجات وهشوف ناس بدل ما أنا قاعدة في غيط العنب ليل ونهار. انفتح شوية على الدنيا اللي برّ، سألتني: "ومعالي صبيان؟" رديت إن اللي كنت خايفة منهم في الجامعة هيقوا معايا في المعسكر فقالت لي: "بس في النهاية هاترجعي المعلمات وتخلصي تعليم... لو إنتي موافقة وهتافظي على نفسك أنا هبصم لك جوه دلوقتي".

دخلت أمي وقالت للعميدة: "مريم أقنعتنني ومهمتنني، وأنا همشي على رغبته"، فسألته: "مين مريم؟"، فردت: "بنتي اللي هي زينب بس أنا متعودة أقول لها مريم".

بعد فترة طويلة لقيت جواب إنهم عابزيني في المدرسة، لَمَّا روجت قالوا لي: "بكرة تحضري شنطة وتروحي محطة مصر هيقابلك فلان الفلاني إنتي ومجموعة من الشباب هتركبو وتروحوا حلوان عشان تعملوا المرحلة الأولى من التدريب في منظمة الشباب". وهنا بداية إن دماغي بدأت تتفتح على السياسة، والعالم الخارجي، وأفكار أخرى عن العمل الجماعي، والمناقشة الجماعية، كنت داخلة مجرد

واحدة بسيطة يفهم في حاجات خفيفة، معنديش الثقافة والقراءة والوعي، لكن كان عندي طموح إنني أعمل حاجة وأقول وأفكر.

كُنّا من جميع المحافظات، من الإسكندرية لأسوان، ومعانا مجموعة من الكوادر، اللي كانوا بيسموهم موجهين. وكل كادر/موجه معاه مجموعة، والمجموعة دي متنوعة، ونقعد 15 يوم. العمل كان يبدأ من الساعة سبعة صباحاً نفطر ويعملوا طابور الصباح ويحيوا العلم ويقولوا نشرة الأخبار، ينصرفوا يروحوا يفتطروا في غرف المطاعم، وبعد الفطار يشربوا الشاي وبيبدأوا يعملوا حلقة المناقشة -مش بتبقى مناقشة قوي- بيسلمك ملزمة فيها موضوعات؛ النظام الاشتراكي، الديمقراطية، الاشتراكية، النظم الاجتماعية، النظم السياسية. دي كلها مفاهيم بيدهاك الأول مفاتحة عشان تعرفي معنى العنوان والكلام. بعد الغدا من 6 لحد 10 مثلاً حلقة المناقشة. إنتي تقعد تذاكري من بعد الغدا من الساعة 1 لحد الساعة 5، تقرئي الموضوعات دي وتقهّمها ولو عندك إضافات أو حذف أو رأي، تقبلي أو ترفضي. بدأت أدخل في القصة بالتدريج، أقرأ وأفهم وأحضر حلقة المناقشة، كنت واحدة دائماً الجانب المعارض اللي بيقول الكلام دا طلو وجميل طب مش بتطبقوه ليه؟ الموجه/الكادر اللي موجود جاي بخريطة معينة، بتقبل المعارضة بس مش قوي كده، دا بقى اللي خلاص فكرت هما وافقوا عليّ ليه؟ الجهات قبلتنني لأنني بسيطة ومليش في البطيخ ومش متلونة سياسياً؛ لا اشتراكية أو "إخوان". بدأ يكون معروف إنني معارض، ويقولوا لي: "بتعارضني ليه؟" أرد عشان بربط اللي أنا باخده بالواقع اللي أنا عايشة فيه، أنا معارضتي للواقع اللي أنا فيه.

خلصت المرحلة الأولى، بعدها ذكوني للمرحلة الثانية، هما بيدّوا مسؤوليات: "أ، ب، ج" وأدوني: "أ". المرحلة الثانية كانت في المدينة الجامعية في سموحة النزهة بالإسكندرية. أمي بقى ممكن تزورني، ولَمَّا جات قالت لي: "فرجينى ع المكان". سألت المديرة قالت: "ممنوع"، رديت معلش أنا وحيدة أمي ولازم تظمن عليّ عشان تَدبني فرصة أروح المرحلة الثالثة. وافقت المديرة، وفرجت أمي على المطبخ والأوضة، وشافت الشبان والشابات وهما قاعدين يقرأوا ويكتبوا.

بين المرحلة الثانية والثالثة كُنّا بدأنا ندخل على 1967. في يوم النكسة كانت جارتنا، أم صلاح، بتجهز بنتها وطلبت من أمي مبلغ سلف، فقالت لها "والله معنديش"، سألتها: "ممكن استلف الذهب بتاع مريم آخد عليه فرض واسدده وأجيبه لك". وافقت، وروحنا أنا وأمي مع أم صلاح عشان نعمل دا. وإحنا ماشيين في المنشية، سمعت في

القهاوي البيان الأول، بعده الثاني. ولما خلاصنا المشوار ورجعنا سمعت في النشرة إن موقفنا قوي.

لكن ثاني يوم سمعت إن موقفنا سيئ، دا عمل رد فعل عندي فوق العادة يعني إنا انتصرنا؟ إنا اتهزمتنا؟ وبعدين الرئيس كان عايز يتنحى، خرجنا روحنا المنشية هدفنا إن عبد الناصر يكمل تجربته. رجع عبد الناصر، ودخلت المرحلة الثالثة في منظمة الشباب، كانت في أبو قير، معسكر اسمه "كانوب"، قضينا المرحلة الثالثة، وجالنا إعلان من الاتحاد الاشتراكي في كرموز لحضور معسكر إنا خاضعين كجناح شبابي لأمين الاتحاد الاشتراكي في الدائرة، وإنا كأعضاء في منظمة الشباب فرع (الطلبة)، وفيه فرعين آخرين؛ عمال ومهنيين.

قالوا: "أمين الشباب اللي هيرأس عملكم وينظمكم في المعسكر لسه مجاش، ممكن تروحوا تقعدوا في معسكر اللبان وتشغلوا مع أمين الشباب هناك لحد ما بجي الأمين بتاعكم". قعدنا تقريباً أسبوعين وبعدين الأمين جه، اسمه إسماعيل عيد، له ميول اشتراكية، وكان معاه مجموعة من الموجهين أصدقاءه، منهم كمال أحمد، النائب في البرلمان [حالياً]، ومصطفى بحر، أحد أعضاء النادي الأولمبي، والأستاذ عبد الغفار شكر، وحسين كامل بهاء الدين اللي كان وزير التعليم.

مع أمين الشباب كُنا بنخرج في رحلات للعجمي، كانت فاضية. وكان بيتجمع فيها قطاعات الشباب من العمال والمهنيين والطلبة؛ نطلع في أتوبيس، وننزل شوية ترفيه وحفلة سمر، وندوة كلمتين في السياسة، بحيث يبقى فيه علاقات وتآلف بين قطاعات الطلبة والعمال والمهنيين. مثلاً نروح مرة النزهة، أو أنطونيداس، أو المناطق الأثرية في القاهرة.

وفي الرحلات، كنت بقايل أبو العز الحريري، بس مكنش بيني وبينه كلام، لأنه هو كان مسؤول العمال وأنا مع الطلبة، ومفيش خد وهات؛ صباح الخير، صباح النور، أهلاً، عاملين إيه؟ إزيكم؟

وأنا لسه طالبة في "المعلمات"، كُنا بنعمل في منظمة الشباب مشروع صيفي لتقوية الأولاد للسنة الدراسية القادمة، كانت الحكومة تفضي لنا مدرسة. المشروع الصيفي فيه تثقيف سياسي على قد الأولاد، وحفلات، ونشاط رياضي واجتماعي، وكُنا إنا خريجي "المعلمين" و"المعلمات" اللي بنقود العملية التربوية، وبقية الشباب من المجالات الثانية يدخلوا يدرسوا اللي عنده مهارات رياضية يشتغل في الرياضة، اللي عنده مهارات فنية يشتغل في الفن، وكُنا فريق متكامل بنعمل دا. وفي الآخر بنعمل حفلة سمر في مدرسة ثانية كبيرة اسمها "رأس

التين الثانوية بنين" بنجمع الأولاد ونعمل حفلة، ونجيب أهاليهم يحضروا ويشكرون، ناخذ نخبة من الأولاد الشاطرين اللي عنينا عليهم نجندهم داخل المنظمة. النشاط الصيفي كان بيعمل ترابط ونوع من الوعي الحقيقي، بيحظ في ذهنك استراتيجية إزاي تخدمي الناس في المستقبل، بيخليكي تبصي بعين الاعتبار إن إنا كُنا بنعمل كده عشان كُنا جناح شبابي تبع الاتحاد الاشتراكي اللي هو تنظيم السلطة في الوقت دا، قادرة تاخدي مدرسة وتلّمي الأولاد وتقعدي معاهم.

حين كان الاتحاد الاشتراكي مُغلَقًا

حضرت مظاهرات الطلبة في 1968، كنت لسه في سنة رابعة "معلمات"، طلعونا زي الساعة 10 وقالوا يلا روحوا عشان هنقف، لأنهم خافوا نلتحم بطلبة الجامعة. كانت الشارة طالعة من كلية الهندسة، ودخلت على كليات الطب والصيدلة جنبها، ونزلوا على المجمع النظري. لما طلعنا من المدرسة لقينا الشوارع فاضية ومفيش مواصلات، التروماي والاتوبيس، كل المواصلات مقطوعة. مشينا مع بعضنا مجموعات من أول الوردان لحد ما وصلنا لمنطقة اسمها البورصة، نهاية الخديوي وأول القباري. منزلتش محطة مصر، كُملت على طريق ثاني بيودي المنشية، ولقيت هناك مظاهرات مشيت فيها، ولما وصلنا ناحية كلية الهندسة، عشان الاعتصام جوّه، لقينا قوات الأمن محاصرة الكلية، ومحاصرة الأولاد اللي موجودين جوّه.

كان اللي ماسك المظاهرة أيامها اسمه عاطف الشاطر. رجعت بيتنا لأن الطريق كان مقفول من المنشية وكُملت لحد بيتنا مشي، وروحنا ثاني يوم الاتحاد الاشتراكي لقيناه مقفول، وثالث يوم مقفول، والرابع. وبعدين اتصلنا ببعض، مكنش فيه تليفونات، اللي عنده تليفون أرضي بيتكلم عند واحد قريب من اللي معدوش تليفون أرضي على أساس نتجمع ونجيبه، تعذر الأمر.

على الإمة

بعد المظاهرات، صدر بيان 30 مارس (1968)، كُنا بننزل الشوارع، مكناش بنشرح للناس بشكل فج، كُنا بنكنس الشوارع ونظفها، ونطلع البيوت نتكلم مع الستات عن تنظيم الأسرة وأهميتها، ووسط الكلام نقول إن الرئيس يقول في بيان 30 مارس كذا. الشبان يكنسوا الشوارع ويلقوا الزباله، وبرضو يتكلموا مع الرجاله اللي رايدة واللي جاية واللي قاعدين على القهاوي. كانت حملة وعي، توعية الأسرة، بجانب بيان 30 مارس، لأن البيان كان يقول للناس إن إنا نقوى ونجمد ولازم نظهر الهيئات الموجودة، زي خريطة أو برنامج عمل للمرحلة المقبلة. في الأوقات دي شافوني

الحب، ذا جانب تاني غير الجانب السياسي. عدينا 1969 ونزلت الإجازات في أكتوبر أو نوفمبر تقريباً، كان فيه انتخابات الاتحاد الاشتراكي في مجلس الشعب، واتصلوا بي وقالوا لي: "عايزينك تحضري معانا"، كان أيامها في حاجة اسمها اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، يقعدوا يجتمعوا مع بعضهم، وعندهم أسماء القيادات الموجودة في كل المحافظات، زي المجمع الانتخابي اللي بيعملوه دلوقتي في بعض أحزاب السلطة، يجتمعوا مع بعضهم ويقولوا هيتخبوا مين، يرشحوا اثنين، تابعين للسلطة من ضمن جهاز اللجنة التنفيذية الموجودة في المحافظة.

في كل محافظة ينتخبوا اثنين في كل حي، وحي زي لرموز ياخدوا واحد فئات وواحد عمال ممثلين للجنة التنفيذية، وعلى كل الأعضاء الموجودين في كل الهيئات والتشكيلات للاتحاد الاشتراكي يقفوا ورا الاثنين دول ويدعموهم ويزكوهم عشان هما دول اللي ينجحوا. رشحوا في الدائرة اثنين تاريخهم مش حلو ومش معروفين؛ رئيس مجلس الإدارة بتاع الشركة "الأهلية للغزل والنسيج" كان اسمه عادل حسيب رشحوه عشان منصبه، والسيد عباس نصر الله دا كان أخصائي اجتماعي كان موجود في أحد تشكيلات الخدمة الاجتماعية اللي هو الضمان الاجتماعي.

عملنا اجتماع كمجموعة شباب، ومعانا ناس من العمال والقيادات الموجودة زي الأستاذ إسماعيل عيد، وكان معانا واحد اسمه الحاج عبد المنعم إبراهيم دا كان يساري قديم والست بتاعته مدام عواطف، وكان معانا أصدقاء زي فايز الكافي، ومحمد القاضي، ومحمد بشير، ومحمد عبد الهادي، وأحمد عبد الفتاح، وقلت لهم يا جماعة هل إحنا نقبل إن الاثنين دول هما اللي يمثلونا؟ قالوا: "نرفض إنهم يفرضوا علينا نزل نشغل مع ناس مش مقتنعين بهم، عندنا اثنين مرشحين تانيين ناخذ رأيهم إنهم يجوا معانا ونعمل ترشيحات شعبية"، انتخابات موازية يعني. إسماعيل عيد قال أنا برشح نفسي، وعبد المنعم إبراهيم قرر يترشح عمال، لأنه كان من "الأهلية للغزل والنسيج" وعنده علاقة بالعمال، وراجل أفكاره يسارية متطورة وحركي وجماهيري وذكي.

-خلاص توكلنا على الله، تشتغلوا معانا؟

-آه هنشغل معاكم!

شغلي مركز معاهم لمّا أنزل إجازة خميس وجمعة بس، لأن بقية الأيام شغل. وباقي الفريق بيشتغل طول الأيام معاهم. في الخميس والجمعة أوزع ورق، أتكلم على برنامجهم، أقول: "فلان دا لأليه؟ دا سلطة، دا رئيس مجلس إدارة، بيوقّع عقوبة، يفصل النقابيين، والثاني شغله خدمة اجتماعية مالوش علاقة بالجماهير".

ناس كتير من الحي وأنا وسط الشبان واقفة على الإمة معاهم، والناس راحوا قالوا لأمي وأخويا الكبير، "بتنكم واقفة في وسط مجموعة من الشبان في الشارع وإحنا ما عندناش بنات بيقفوا مع الشبان في الشارع إحنا حارة محافظة"، راحت أمي قالت لهم: "أنتوا شايفنها بتتمايص ولا واقفة محترمة! أنا قابلة لينتي تقف في وسط الناس وتدخل على 100 راجل وهتطلع منهم هي الراجل 101، أنا عارفة بنتني داخلة مع مين وخارجة مع مين!" طبعا هي مكنتش عارفة، لمّا روجت حكيت لها الموضوع، أخويا الكبير كان متصور إن دا بداية انحلال ليّ أو ضياع، فعدت برضو معاه وفهمته وقلت له تعالى معانا وبص وشوف.

تمرد أو الخروج عن الإلزام الحزبي

على 1969، اتخرجت من "المعلمات"، وطلعت الثانية أو الثالثة تقريباً على مستوى "المعلمين والمعلمات" لأنها بتكون مركزية. وفي آخر آب/أغسطس جالي جواب تعيين في منطقة البحيرة، مدينة إدكو. طبعا أمي قالت: "إزاي تروحي وتيجي؟!"

حاولت أنقل وأعمل انتداب معرفتش، ومفيش وسائل وآل منظمة الشباب قدرت تجبني وآل توديني. الحقيقة أيامها قالوا لي: "من حقا تروحي تعلمي أولاد الصيادين دي تجربة"، المهم فعدت في سكن داخلي هناك عشان أمي رفضت تخليني أروح وأجي.

اتعينت في مدرسة "إدكو الابتدائية المشتركة"، وكان مديرها راجل محترم وذكي وفاهم قدراتي. كنت بقعد معاه الفترة الصباحية والمسائية؛ الصباحية بخلص شغلي، وفي المسائية بعمل نشاط المدرسة لتاني يوم. عندي وقت فاضي وطاقة، وقاعدة استثمرها في المدرسة، وكان ليّ علاقات طيبة بالأهالي بحكم علاقتي بأولادهم، كان فيه كيمياء مشتركة بيني وبين الأولاد واتنقلت للبيوت، وبالتالي الأهالي بقوا مصاحبني وبقوا علاقتي طيبة بيهم. إدكو أصلاً منطقة معتمدة على الصيد، وفيها تصنيع شباك، وبيع سمك، وتعليقه وتصديره، ومحلات تجارية تشتغل في خدمة القرية.

جنب المدافن في إدكو، كانت سكن المدرسات في مدرسة هناك، ومديرتها بتخلص شغل وتطلع تبات في الدور اللي فوق، وكل المدرسات في الدور اللي فوق سكن المديرية. مدرسات من الغربية ودمنهوور والبحيرة والإسكندرية.

في السكن، اتعرفت على مجموعات من المدرسات بتجاربهم الأسرية، بحافظاتهم المختلفة، وتجاربهم الإنسانية، وعلاقاتهم، اللي كانت مخطوبة، واللي كانت بتحب، واللي فشلت في الخطوبة، واللي فشلت في

هذا المبنى يفرض علينا ما يسمى بالإلزام وليس الالتزام. الإلزام معناه يقولوا القرار، والقرار دا إحنا مجبرين ننفذه. أما الالتزام يعني إن إحنا نقعد تناقش ونطلع بقرار والقرار يلتزم به الجميع، بعد مناقشة، هما ما ناقشونا، وبيلزمونا وإحنا مش عايزين "الالتزام" اللي فيه فرض قرار علينا، قلنا نعمل جروب لوحدنا خارج جروب منظمة الشباب، ومكنش جروب سري ولا حاجة، كُنا نتقابل مع بعض ونقعد في بيت حد من الأصدقاء كل مرة نتناقش، نجيب كتاب ونشرحه، واستمر الحال على هذا.

بشرى للمعارضين

جينا سنة 1970 لقما توفى عبد الناصر، وبعدين مسك الحكم أنور السادات بعد ما ذاع البيان، كُنا قاعدين منتظرين إيه اللي هيتّم، وإيه التغييرات الجديدة. نزلونا من الأشغال بتاعتنا وقالوا الناس هتطلع الجنازات ومش فاضيين.

الجنازات كانت مهولة زي ما سجلها التاريخ في كل المحافظات. خرجنا لابسين أسود وجراني فعلاً، مكتتش حزينة عشان فرد مات -الموت علينا حق- بس كانت القضية وطن طالع من نكسة، وفيه ظروف اقتصادية مش كويسة، وعبد الناصر كان بعيد لحرب الاستنزاف، بعيد الجيش والمعدات ويحيب أسلحة، كان في دماغه زي ما قال عبارته المشهورة "ما سلب بالقوة، لا يسترد إلا بالقوة"، وقال إحنا وراء العدو، القضية مش إنجلترا وفرنسا وأمريكا، لـ إنجلترا وفرنسا وأمريكا وإسرائيل، الحلفاء اللي كانوا وراء إجهاض التجربة الناصرية. الواحد كان فاهم العدو الأساسي فين، ومكنش في عدا، بينا وبين عبد الناصر في المرحلة دي، لكن النكسة كانت كسرانا، واللي بيقى مكسور يجيب أي حاجة يتكئ عليها لحد ما يصلب عوده.

أنور السادات قال أنا ماشي على طريق عبد الناصر، وكان واضح إنه ماشي على طريق عبد الناصر باستيكة.

قال: "أنا عملت ثورة التصحيح [مايو 1971]" وهي مش ثورة ولا حاجة، قبض على مجموعة اللجنة المركزية اللي موجودة فوق؛ ضياء الدين داود، وعبد المجيد فريد، وشمس بدران، وعلي صبري. وبدأنا إحنا نحس بالخطورة بالنسبة للقواعد اللي موجودة تحت. اتضح إنهم [ركزوا مع] الناس اللي كانت موالية بالكامل، وفيه ناس جاء لها حظر من العمل السياسي. الناس اللي كان عندها جانب المعارضة زينا بعدوا عننا شوية. طبعا اللي كانوا معترضين على حاجات عبد الناصر كان أهم اعتراض عندهم على الجانب الديمقراطي، وتعذيب السجون، والمخابرات، والتبليغ، والمخبرين اللي يكونوا موجودين وسطك ويسجلوا لك كلمة ويتكلموا عنك ويروحوا يقولوا فلانة قالت، اللي همّا

في انتخابات 1969، كنت واقفة في مدرسة اسمها "غيظ العنب الجديدة" [انهدت دلوقتي]، وكانت جنب بيتي القديم في أضيّق زقاق وحارة في غيظ العنب. وأهل الحنة يسألوني: "يا أبلة مريم ننتخب مين؟"، أقول لهم إسماعيل عيد ومنعم. معايا الورق وأديهم الورق وأسكت، وبقي ليّ خطورة على المرشحين التانيين في المدرسة دي، طبعا هددوني الأولاد البلطجية بتوع إخواننا البعدا عشان امشي، بس أنا صممت أقف ومكنش معايا صبيان كلهم واقفين فوق في الأدوار وأنا تحت. في وسط النهار جالي مدرس زميلي قال لي: "زينب خدي بعضك وروحى، لأنى واقف جنب اتنين بلطجية وقالوا هنرشها بمياه النار في وشها!" قلت له سيبك اللي عايز يعمل مبيقولش، واللي بيقول مش بيعمل.

شوية على الصُهر، [جث] صواني الأكل للناس الموجودة؛ صنية أكل داخلية لموظفين اللجنة بالعيش الفلاحى واللحمة والفراخ، وراها الشاي والحاجات الحلوة، ودي كانت بداية شط الزيت والسكر اللي بتتوزع على الناخبين [حالياً]. بمجرد ما شوفت الأكل دخل وبدأت اللجان تقفل نص ساعة راحة، عدى عليّ زميلي وقلت له عدى عليّ قبل ما اللجنة تتقفل وخذني لأنهم مهددني، قال لي: "طب أمشي دلوقتي" رديت إني مش هسيب اللجان قبل ما يقفلوا (الساعة كانت 4 ونص وفاضل حوالي ربع ساعة).

على ما سمعت إن أبو العز الحريري، ومجموعة كانت معاه، عملوا الدعاية للانتخابات وانقبض عليهم في أمن الدولة، على أساس إنهم معادين للخط السياسي وأوامر القيادات السياسية اللي أمرتهم يقفوا مع المرشحين دول [ممتلي السلطة]. أبو العز لقوا إيدته فيها بوية، وقالوا له: "الدليل أهو إن أنت بتشتغل [بتعمل يقط يعني]" قال لهم: "لا. أنا راجل فلاح وأمي بتخنييني في أيدي... دي حنة!" المهم قعدوهم شوية وبعدين مشوهم.

بعد كده، أبو العز حكى لي إنه كان عامل جمعية في الشغل وبيقبض فيها 20 جنيه، وأتبرع بالـ 20 جنيه للمطبوعات ومصاريف حملة الانتخابات اللي نزل فيها إسماعيل عيد وعبد المنعم إبراهيم، مع إنه كان عايز يشتري بالفلس بدلة وقميص وكرافتة عشان تبقى أول بدلة وقميص وكرافتة من شقاه. خلصت الانتخابات وأعلنوا الناجحين، مكنش بيعلن أي حد ناجح غير للي نازلين ممثلين للسلطة اللي اختارتهم اللجنة التنفيذية.

خلصنا انتخابات 1969، وإحنا بنقيّم غلطنا في إيه، وإننا مكناش جاهزين لحاجة زي دي، ولازم يكون لينا تنظيم محكم بتاعنا، كُنا موجودين في مبنى الاتحاد الاشتراكي بنقيّم. وبعدين طلعتا برّه المبنى، وقولنا مش هينفع معنا إن

"المواطنين الشرفاء" باللقب الحديث بتاعنا دلوقتي، لكن الولاء للوطن قائم والولاء لإيجابيات التجربة الناصرية قائم، سواء التعليم، والصحة، والإجراءات الاشتراكية اللي تمّت في يوليو 1961، وتأميم القناة.

وقتها، كل الناس اللي انفصلوا من الاتحاد الاشتراكي رجعوا، وكل الناس اللي انفصلت من أعمالها رجعوا، كان من ضمن اللي انفصلوا أبو العز الحريري وطبعا رجع شغله تاني. بدأوا يعملوا انتخابات جديدة للاتحاد الاشتراكي، على أساس بسطتهم ينحوا الموالين قوي للتجربة الناصرية وياخدوا اللي عندهم شوية معارضة. ونزل أبو العز الحريري في انتخابات الاتحاد الاشتراكي مرشح للهيئة التنفيذية لقسم كرموز، ونجح.

ارتباط

في يناير 1971، قابلت أبو العز في محل ملابس مدام عواطف، حرم عبد المنعم إبراهيم اللي كان نازل انتخابات 1969. كلمتني مدام عواطف، قالت لي ما تيجي بكرة (الجمعة) جاية شوية تيشترتات وبلوفرات نقي حاجات. أنا كان مرتبي في الوقت دا 13 جنيه و85 قرش، وبدفع 175 قرش نظير السكن والإقامة، وكان التيشترت في السوق 5 أو 7 جنيه، دا تلت المرتب. قالت لي هديكي اللي إنتي عايزاه بالتقسيم كل شهر أديني مبلغ. كنت فاهمة إني رايحة أشوف تيشترتات، وأنا قاعدة في المحل فوجئت بأبو العز الحريري، قال إنه لسه طالع من وردية الشركة، ولقانا قاعدين فسلم علينا، كما لو كان الموضوع صدفة.

قبلها كان إسماعيل اتفق مع أبو العز أنه يقعد معايا على أساس يشوف فيه تقارب ولا لا، وكانت القعدة اللي عند مدام عواطف في المحل. وبعدها كان فيه قعدة ثانية مع الأستاذ إسماعيل شرح لي الموضوع. وحصل نصيب، وجه أبو العز أتقدم لامي، وقالته: "لو عايزها انزل بكرة هات لها ديلة". قالت لي: "إنتي تعرفيه؟" قلت لها إني بشوفه في الاتحاد الاشتراكي وهو راجل محترم ومواقفه كويسة، مقيش تجربة عاطفية بيني وبينه. وهو برضو كان اختياره لي بناءً إن عندي تجربة قدامه، لكن مكنش فيه مشاعر وعواطف وحب، زي اللي كنا بنشوفه وقتها [في الأفلام]؛ عبد الحليم ونادية لطفي.

قبل الجواز قررنا تذاكر ثانوي عام منازل. أبو العز كان سابقتي في المذاكرة، لكن ميدأنتش مذاكرة غير بعد الجواز، عشان يكون فيه بيت وظروف أقدر أذاكر.

المهم ارتبطنا، وكان الارتباط بالقضية، وأقصى أצלما إن إحنا نعمل أسرة نهدبها للوطن. ننقل تجاربنا وعاداتنا وتقاليدنا وقيمنا ومعلوماتنا وسط أولادنا، عشان على أسوأ

الفروض لو مقدرناش نرفع راية العلم بالعدالة الاجتماعية والحرية والديمقراطية والمساواة والشرف والأمانة والكرامة الإنسانية، يبقى بنهدي أولادنا للوطن وهما يكملوا هذا الطريق. ومن هنا انطلقت العلاقة بيني وبين أبو العز، جينا فعلا ديلة، وبعد شهر كتبنا الكتاب، واستمرت مسيرتنا. في وسط السكة لَمَّا بدأ السادات يتكلم حوالين الانفتاح الاقتصادي، عارضناه؛ انفصل أبو العز من اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي، وأنا متفصلتش، لأنني كنت في منظمة الشباب بس، بس اتخطت قيود علي.

في أول يوليو 1973، عملوا معسكر اسمه "إعداد القادة" في حلوان. ومنظمة الشباب حطتني في المعسكر وحضرته أسبوعين.

في المعسكر كان معايا عادل الشاطر الله يرحمه، والأستاذ إبراهيم عبد العزيز، والأستاذ إبراهيم عبد المجيد، وأعتقد كان فيه تصفية من الموالين ومن المعارضين. كان واضح إنني معارضة بشدة لكل الإجراءات اللي تمت، وإن إحنا مش ماشين على خطى عبد الناصر، إحنا فعلا بنمسخ تجربته.

ورجعت الإسكندرية، واتجوزت في 19 يوليو. عملنا فرح بسيط فوق سطح البيت، والمدعوين سياسيين وبالآخرين اشتراكيين. وانطلقت مسيرة مزدوجة، أنا وأبو العز، من ساعة ما اتجوزنا لغاية لَمَّا توفاه الله في 2014.

بعد الزواج بـ 8 شهور ولدت هشام، وقدمت اعتذار عشان أمتحن كل مواد أولى ثانوي في الدور الثاني. كُملت بروح الشغل، وجنب حياتي اليومية بذاكر. وبعدها هشام بسنتين ربنا أكرموني بهيتم في 1976، وبعدها ولدت هند في 15 أغسطس 1980. الثلاثة واخدين عصارة زينب وأبو العز، وخضام المعارك اللي عيشنا فيها كلها. عاشوا معنا كل ظروفنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولحظات الانحصار والانفراج، ولحظات السجون، ياكلوا باقي الأكل اللي بويه السجن. كل دا آذاهم صلابة وجدعة وقوة، وخلاهم في مواجهة كل الأعاصير ومواجهة كل التقاويل يقدروا يواجهوا ويقابلوا ويقاوموا. هشام محاسب، وهيثم مهندس اتصالات ونائب في البرلمان، وهند مهندسة معمارية.

الطريق لأبو زعبل

في يناير 1975، حصلت مظاهرات عمال حلوان في القاهرة. لموا معظم الناس الموجودين في كل الأقاليم، تحت اسم "الحزب الشيوعي المصري". قبضوا على أبو العز الحريري من الشركة، وقالو لرئيس مجلس الإدارة سؤاليين ونرجعه. مكنتش عارفة، الساعة 5 ومجاش، وهو بيجي 3 ونص.

ولاقيت واحد اسمه عم لطفي، الله يرحمه، كان ساكن في

محرم بيك جنبه في الشغل، قال لي: "أبو العز فين؟" قلت له إني معرفش، أنزل أسأل عليه في الشركة، قال لي: "لا دا فيه ناس جم خدوه، تلاقيه في جنازة ولا حاجة".

بقت 8 وأبو العز مجاش، قلت له إن مفيش جنازة تقعد للساعة 8 يا عم لطفي، قال لي: "يا ستي تلاقيه قاعد مع ناس على القهوة"، هو عارف بس مش عايز يقول لي على طول، لمّا بقت 9 ونص قال لي: "أنا هنزل ولو جه كلميني" سألته إن كان عارف حاجة، فقال لي إنه آخده ثلاثة لابسين مدني من الشغل؛ "وكنّت قاعد معاكلي على أمل أنه يرجع".

نزلت ثاني يوم، خلصت شغلي ومقلتش لحد في المدرسة، وطلعت على كل المستشفيات، وأقسام البوليس، ونيابات المحاكم، وفي الآخر ناس قالوا لي روجي أمن الدولة، روحنلهم: "مين أبو العز دا ما نعرفش حد اسمه أبو العز!"

بعد 28 يوم من اعتقاله، لقيت ورقة تحت عقب الباب مكتوب عليها لو عايزة تودي حاجات لأبو العز، تعالي في أمن الدولة وهاتي الملابس بتاعته هو موجود في سجن أبو زعبل، والضابط كتب اسم على الورقة تحت: بشري حرب.

روحت أمن الدولة، يجبوني يمين وشمال، قلت لهم إن أنا جاية أسأل عن جوزي، قالوا لي: "جوزك في سجن أبو زعبل موجود مع مجموعة من الشباب، ولو عايزة تعملي زيارة أكتبني لنا الطلب، وسيبي الهدوم وإحنا هنوديه".

بعثوا لي حددوا يوم الزيارة، وأنا معرفش فين أبو زعبل. سبت ابني مع أمي، وأخذت معايا شرب ولبس وسوداني وحمص وسجاير، وركبت قطر الصحافة الساعة ثلاثة إلا تلت من محطة مصر، ووصلت القاهرة، سألت قالوا لي ورا كوبري الليمون قطر فرعي -زي قطر أبو قير- يودي أبو زعبل على طول. لمّا وصلت نازلة من القطر لقيت السجناء الجنائيين مربوطين بسلاسل وطالعين الجبل ومعاهم الهجانة راكية الفرس ويتمنع أي حد يعدّي الطريق خصوصاً الستات، منظر غريب عليّ، كنت مرعوبة. دخلت أبو زعبل من الساعة 8 لغاية الساعة 2 ونص 2 لمّا ندهوا عليّ ودخلت السجن. الفترة دي كلها أنا كان عندي نزيف كان بينزل مني دم في السكة. طلع لي أبو العز كان معاه فريق؛ نبيل الهلالي، وزكي مراد، والشيخ مبارك فضل، ومحمد يونس، وأحمد مصطفى، وعبد صالح، وعم صابر زايد. والمقبوض عليهم كثير. أبو العز قعد معايا صحته كويسة، وقال لي "واخديني على قضية الحزب الشيوعي المصري". وإحنا مكنش لينا علاقة بالحزب، بس بحكم علاقتنا بمحمد يونس والأصدقاء دول كلهم كنا محسوبين عليهم. (على الحزب)

قالوا "فيه جلسة". الجلسة كانت بعد شهرين، يوم وفاة

الست أم كلثوم؛ 3 فبراير 1975، حضرتها وشفّت أبو العز. القاضي سمع الناس، وبعدها 15 يوم قالوا: "إفراج، لأ يقعدوا 15 يوم ثاني لحد ما يصدّق رئيس الجمهورية". لكن السادات مصدّقش، بعدها 15 يوم نزلوا جلسة، وبعدها خرج أبو العز ونزل الإسكندرية. خرج من تجربة السجن بمجموعة علاقات مع ناس محترمة ولها دور سياسي وتاريخ، وإحنا بالنسبة لهم أشبال صغيرين وهما كانوا عمالقة.

نجحت في ثانوية عامة بمجموع كبير قوي 72% أو 73%، وقدمت في مرحلة كانت قبل "الأولس" اسمها "المتفوقين"، قلت لأبو العز أروخ إعلام أو اقتصاد وعلوم سياسية أو آثار. رد: "خلينا عقلانين، فيه الشغل وابن، وأنا، هتسيبي كل دا وتروحي القاهرة"، بالحوار والعقل قدمت "آداب"، وقلت له إني مش هدخل آداب تاريخ اللي هو فيها، أنا عايزة أدخل فلسفة. وفعلًا دخلت كلية آداب قسم فلسفة، أول لمّا اخلص الشغل في المدرسة، أجري على الكلية عشان المحاضرات.

لمّا رجع الشغل، نقلوه مكان ثاني؛ مازن، عشان ميقاش له علاقة بالناس. وبدأ التشويه، والتضييق على لقمة العيش؛ ويقولوا للناس: "ابعدوا عنه متشغلوهوش"، كان بيشتغل ساعتين عشان يجيب دخل زيادة، هو كان مرتبه حوالي 45 وأنا كان مرتبي 35، وبتدير بيتنا ومعانا ولد، وأمّي ساكنة معانا.

لمّا يدخل انتخابات النقابة أو مجلس الإدارة يسقطوه. لكن النقابة بدأ يقى فيها طبقية؛ تأخذ الياقات البيضاء ويسبوا البدل الزرقاء.

بدأت يتجمعوا عندنا مجموعة من شركات الغزل والنسيج؛ "استيا"، "الشرقية للكنان"، "الاهلية للغزل والنسيج". قيادات تلقائية بتشارك في العمل العام والمظاهرات والاجتماعات واللقاءات، قيادات متواجدة مع عمالهم عملوا ما يسمى بالـ "مطالب العمالية"، كان من ضمنها وجبة غذائية للعامل بجنيه ونص، والتأمين الصحي للعامل وأسرته، والتأمينات الاجتماعية، ورفع القيمة، وتحسين وضع العمال داخل الشركات المساهمة الفعالة للعامل اللي هي نسبة 50% اللي كانت موجودة في مجلس إدارة الشركات أيام عبد الناصر. قابلوا وزير الصناعة، كان من الإسكندرية واسمه عيسى شاهين، وقدموا له المطالب. وقدموا ورقة المطالب لنائب مجلس الشعب الدكتور محمود القاضي، وكان زعيم المعارضة، على أساس إنه يعرضها كمقترح في لجان القوى العاملة وتحصل مناقشة في المجلس وتتخذ توصيات، المهم جاء لهم موافقة على الوجبة الغذائية. مجموعة القيادات بدأت تنعش جوّة الشركات، ووسط قواعدهم العمالية، بعدها جت الضربة.

زيارات الحضرة

على المساجين اللي معاهم.

لما جت امتحانات الجامعة، كنت بمتحن أحد وثلاثاء وخميس، وأبو العز كان بيمتحن في نفس الأيام، أنا الصبح من 12 لـ 9 في آداب فلسفة، وهو من 3 لـ 6 في حقوق سنة أولى. كنت يشوفه أيام الامتحانات، فمكنتش بروح زيارات. وكان فيه ضابط بيخليني أركب عربية السجن مع أبو العز، عشان رجلي بتكون وازمة من الحمل، وينزلني على إمة شارع الاسكندراني اللي متفرع منه بيتي في محرم بيك عشان مركيش مواصلات.

وفي يونيو 1976، طلعا من السجن، إفراج على ذمة القضية مش براءة، عملوا بيانات ووزعوها على إن اللي حصل معاهم اضطهاد. راحوا اجتمعوا في الاتحاد الاشتراكي، رفضوا يدخلوهم، ولاقوا ثاني يوم وهما رابحين شركاتهم إن هما ممنوعين من دخول العمل. تحت أي مبرر، قالوا لهم اعتبروا نفسكم في إجازة لحد ما نبعث لكم.

قالوا بينهم وبين بعضهم يعتصموا في الاتحاد الاشتراكي عشان يرجعوا شغلهم، مش عارفين يدخلوا مبنى الاتحاد. عرفوا إن فيه اجتماع جوه لـ (إسماعيل) عيد وناس معاه وبدأوا يتسربوا على إنهم مدعويين، دخلوا جوه وراحوا معتصمين في قاعة من القاعات، اعتصموا ثلاث أو أربع أيام، إحنا لمينا بعضنا، أهالي الـ 20 روحنا ومعانا الأطفال، ومعاي أمني، وكنت حامل، وأخذنا علقه محترمة قوي من الشرطة قدام باب جينة الاتحاد الاشتراكي. وعندنا واحدة من غيظها من الضرب فيّ وأنا حامل وميّه نازلة مني مسكت الست الطابط جابت الكاب اللي عليه وعضته في ايده، حاولوا ياخدوها الناس هربوها. أمني دخلتني محل اسمه النجار بتاع قماش وقالت لهم: "والنبي خيوها جوه الشرطة بتأخذ اللي موجودين برّة"، دخلت أنا وأمني قاعدين تحت البنك وميّه نازلة مني وأنا مش فاهمة ليه. المهم روحت بيتنا واستعنت بست صبرية، مرات محمد يونس، بتشتغل مولدة، قالت لي دي ولادة يلا بينا على المستشفى، روحنا الفجر. كانت الولادة متعثرة لظرف ما.

في الاعتصام، عيسى شاهين، وزير الصناعة، كان آدى لهم وعد إنهم هيرجعوا بكرة شغلهم. خرجوا من الاعتصام على أساس إنهم رابحين الشغل. أبو العز راح الشغل ولقى جواب إنه منقول للحمراوين (البحر الأحمر)، وكل واحد من الـ 19 عامل منقول مكان في الجمهورية من الجيزة لحد أسوان.

جاء أبو العز المستشفى قال: "في إيه؟" قالوا له دي بتولد. أنا قلت لأبو العز يلا نساfer ونروح نعمل شغل في فوسفات الحمراوين، قال لي: "دي صحراء وجبل تروحي فين ومعانا أولاد، وإنتي حامل ومعالي عيل". فوجئنا برفضه القرار.

اتعملت قضية سموها "أبو العز الحبري وآخرين"، الآخرين دول كانوا 19 عامل من كل شركات الغزل والنسيج، افكر منهم محمود فؤاد، أحمد رضوان، محمد الخليعي، إبراهيم سلام. قبضوا عليهم في 9 أبريل 1976، وجم أمن الدولة البيت عشان يقبضوا على أبو العز.

كنت حامل في هيثم، نزلوا المراتب وقطعوها، كانوا بيدوروا على منشورات، الضابط قال: "أنا لو المرة اللي جاية جيت وملقتش حاجة هجيب لك مخدرات وأطها لك!" وهما نازلين على السلم، السلم كله كان مترشق ناس فتحت البلكونة (في الدور الثالث)، وقلت للضابط هشهد عليك أهل الشارع إن أنت قلت كذا وعشان لما تيجي المرة اللي جاية يقولوا فاهمين إنك هددتنا، قال لي: "وإنتي هتكوني معاه المرة اللي جاية!".

خدوهم أمن الدولة، وبعدين راحوا سجن الحضرة، كان في الوقت دا أبو العز خلص آداب تاريخ، وأنا كنت لسه في الكلية، لما لقى القضية هتطول والعملية مسخت، قال لي: "روحي قدمي لي في كلية الحقوق". قدمت له سألني مدير مكتب العصيد: "طب وهو فين؟" قلت له إنه في السجن ومعاي توكيل عام.

منزلوش جلسات، في كل التحقيقات قالوا: "إحنا كُنا بتطالب.. وإحنا مش تنظيم ولا هيئة تنظيمية.. إحنا مجرد ناس بنقدم مطالبنا حوالين مطالب العمال". اعتبروا أبو العز في الوقت دا زعيم وهو اللي بيحرض.

في حبسة الحضرة، كان ينصرف لأبو العز نصف مرتبه، وكانوا العمال يفرشوا منديل يوم القيض، ويقولوا: "يا جماعة خطوا أي حاجة للأسرة أبو العز الحبري"، اللي يحط نص فرنك، اللي يحط شلن، اللي يحط صاغ، اللي يحط تعريفة، ويتلم مبلغ عشان يكمل نصف المرتب. دا تم في الحبستين؛ أبو زعبل، والحضرة.

إحنا كُنا بنروح لأسر، أنا وقتها كانوا يعتبروني الزعيمة بتاعتهم لأن كل زوجات العمال مش متعلقات، وأنا مدرسة ابتدائي وكان لي دور في الاتحاد الاشتراكي ودور في المنظمة ويتكلم في السياسة والناس عرفتي، وجهي مألوف للجميع اللي بيشتغلوا في السياسة.

اتفقنا نوزع الزيارات بينا، يعني أنا أروح يوم السبت، فلانة تروح الأحد، فلانة الاثنين، بحيث إن كل يوم واحدة تروح تودي أكل للمجموعة ويبقى عندهم كل يوم أكل طازة. بطة الزيارات كانت أمني، كانت تنزل مكان يبيع سمك وتقول: "أنا عايزة 20 تورة سمك". التورة دي يعني أربع سمكات، عاملة حسابها إن كل سجين له أربع سمكات، والتورة الباقية تنوزع

ولدت هيثم وكان أبو العز يعمل محضر في القسم إنه معترض على قرار الوزير بنقله "فوسفات الحمراوين"، وإن دي شركة فوسفات خاضعة للكيمويات وهو تخصص غزل ونسيج، ودا نوع من التعسف والبرهاب. وجاء لي وأنا والدة شافتي بظمن عليّ ومشّي راح عمل باقي الإجراءات واللقاءات مع أصحابه هيعملوا إيه. كانوا بيعملوا لقاءات ياخذوا قرار جماعي نقعد ولّا منقعدش. فيه ناس من المجموعة اللي في القضية نفذت النقل، اللي ما نفذش القرار محمود فؤاد وأبو العز.

كان أبو العز آخذ قرار وقال كده في أمن الدولة: "أنا هجيب ورنيش أذية وهقعد قدام باب الشركة الأهلية للغزل والنسيج ألمع أذية صحابي وأقابل أصحابي، وأشيل قضايهم واتبناهم، وهفضل مواطن من أجل الطبقة العاملة في مصر".

انفصل أبو العز من "الأهلية للغزل والنسيج"، في حدود 15 أو 16 يونيو جاء لي جواب فصله من "الأهلية للغزل والنسيج" رابع يوم من ولادة هيثم، وأخدة الوقت كله على أعصابي وغياط وحزن وألم، معايا عيلين، عيل عنده سنتين وعيل مولود، وأبو العز اتفصل ومفيش مرتب، وأنا مرتبي ميجبش، وأنا أصلًا مكنتش بدي دروس متعودة على الشغل بالمجان معنديش دخل ثاني، بعرف أخط لكن ما عنديش وقت وإمكانيات إنني أخط للناس وأفتح مشغل وأخط بفلوس، إضافة إلى أنني لّي عمل سياسي وبذاكر، وهو كان ييذاكر طول الوقت.

المرشح رقم 5 رمز الكف

ظهرت2 فكرة المناير داخل الاتحاد الاشتراكي؛ يمين ووسط ويسار. فكرة سلطوية، تقسيمة جاية من فوق، طرحها السادات، وهو اللي اختار مين يرأس الأحزاب، الليسار مثلاً اختار الأستاذ خالد محيي الدين. في ناس كثير من قوى اليسار رفضت تدخل [التجمع] لأنه متشكل من فوق وقالوا طبيعة الأحزاب تتشكل جماهيريًا من تحت، مينفعش الحزب من فوق، وفي ناس قالوا حلقة ندخل فيها ونشتغل عشان نغير عن صوتنا. أبو العز عمل استمارة لحزب التجمع، الاجتماع في الاتحاد الاشتراكي وهو داخل يقدم الاستمارة الأمن منعه يدخل، زعق والناس طلوعوا وقالوا للأمن: "إحنا عايزينه، هو عضو عندنا"، ودخل. حضر الاجتماع وقال اللي حصل في قضيته.

بعدها أبو العز قال: "هنزل انتخابات 1976" قلت له إحنا

2 مدم السادات ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكي في آب/أغسطس 1974، وفي 1976 أسست ثلاثة منابر: "الادّرار الاشتراكيين"، "اليسار"، "التجمع الوطني الوجدوي"، والوسط. "حضر العربي الاشتراكي" وفي تشرين الثاني/نومبر من العام نفسه صدر قرار تحويل المناير الثلاثة إلى أحزاب

معناش فلوس للانتخابات، قال لي: "من غير فلوس أنزل بالميكروفون، وأسحب كرسي وأقف في أي إمة أقول الكلمتين اللي أنا عايزهم"، طب خينا الأول نشوف هناكل عيش منين وهنربي الأولاد منين، لكن هو حالم وشايف المستقبل قدامه بعينه مش بعيني.

كان مطروح اسم السيد عباس نصر الله، اللي نجح في انتخابات 1969، كمرشح تبع "التجمع"، لأنه شخصية ابن الصيادين، والصيادين لهم باع في المنطقة وكان عنده أصوات كثيرة، وكانوا معتمدين على إن أصوات السيد عباس تنجحه ويبقى لحزب التجمع -اللي لسة ناشئ- نائب داخل البرلمان. أبو العز قال لهم: "اللي اتقوا واخدين اسمه ده هو اللي خان الناس".

في الحزب مرضيوش يختاروا أبو العز، قالوا إنه "ينقبض عليه" وواضح إنه "يساري ولونه أحمر فاقع وبالتالي هيتحارب ومش هينجح ويبقى إحنا خسرنا كرسي". اللعب كان حوالين مين اللي يتنجح ويجب كرسي عشان يكون ممثل للبرلمان. أبو العز قال لهم: "أنا برة منكم وهنزل مستقل مليش علاقة بالتجمع، ولا بحزب اليسار".

قررنا مع مجموعة من الزملاء والأصدقاء نزول أبو العز الانتخابات، واتحرك بمفرده قبلها بأربع شهور، يجوب غيط العنب وكرموز والعزبة. يحكي قضيته ويلفّ على الناس ويكوّن علاقات. كُنا بنأخذ صفحة الوفيات من "الأهرام"، لأن كلها كتابة وتكتب بالصيغة: "الحريري عمال رقم 5، [ونرسم] الكف"، ونعلق ورقة الجرنال. بدأ يبقى معانا مؤيدين ومحبين ومتعاطفين من تحت وفوق الترابيزة، اللي يجيب مترين قماش، واللي يجيب توب، اللي يكتب اليفط ويعلقها. من المرشحين في الانتخابات على اسم حزب مصر، ممدوح سالم، اللي كان وزير الداخلية في ذلك الوقت، ومعاه الأستاذ أحمد شحاتة عوض (قباري؟) نزلوا الاثنين في قافلة واحدة ممثلين الحكومة، والضرب كان في المليون حوالين أبو العز إنه ميجنحش. بدأت الدائرة تشتد سخونة، المعركة دي من أشرس المعارك الانتخابية، في مصر على مر التاريخ أدناها بمتتهى الجهود الذاتية. بعد ما نزل أبو العز، واتقبل ترشيحه عملوا له مشكلة؛ كانوا عايزينه فئات عشان ينكسر قدام ممدوح سالم، لأن الناس هتنتخب وزير الداخلية مش أبو العز، لكن طول ما هو "عمال" هو أقوى من المرشح الآخر (أحمد شحاتة عوض قباري؟). نزلنا وقسمنا نفسنا في الأيام اللي مفياهش ندوات على أحياء كرموز، نتكلم مع الشبان اللي واقفين على الإرم؛ إيه رأيكم في المرشحين، نبدأ بالسئلة عن طريق سقراط والسفسطة. كُنا واخدين مقر انتخابي في شارع النيل في محل كيده صاحبه حب أبو العز وتعاطف

دي بما معناه إن تقدروا [تجنحوا أي حد] ومتقولوش أنكم هتتجنحوا وزير الداخلية مش سيف متسلط على رقبتم.

وفي الانتخابات حصل لعب في اللجان وضرب وتخويف، كنا عاملين توكيلات فقبضوا على اللي هيقوا وكلا، لينا من بيوتهم. وقبضوا على اللي هيقوا موجودين جوة اللجان، واللي هيلقوا على اللجان. الشوية اللي متقبضش عليهم ضربوهم وطلعوهم من اللجان، أنا كنت منهم، كنت واقفة على صندوق، ضربونا وطلعوننا من اللجان، "مفيش حاجة اسمها مندوبين لأبو العز... اطلعوا برّة"، كانوا المندوبين الموجودين بنوع حزب مصر، ومصطفى كامل مراد ما كنوش كتير قوي لأن ما كنش حد محسوس بهم، العاركة كانت محسومة؛ نجاح سالم نجاح للسلطة، ونجاح أبو العز فشل السلطة، مارسوا علينا كل أنواع الظلم والقهر والضرب والاعتقال. كنا بنعمل مسيرات والناس بتقول فيها الشعارات بتاعتنا، والولاد المقبوض عليهم لما كانوا يشفوننا في المسيرة يبصوا علينا من الحبس في سجن كرموز ويهتفوا معانا. في المسيرات، اترمى علينا أرايز مولوتوف. وتاني يوم طلعت مسيرات فيها أولاد ماسكين سيوف وسنخ ومطاوي وماشين في الشوارع. طيغا الشعب واعى وناضح استوعب يعني إيه واحد بيتكلم في السياسة وواحد بيتكلم في البلطجة، وبدأت الانحيازات تنقش واضحة في صالطنا، دخل أبو العز في الإعادة، رغم كل هذا التزوير وهذا التضيق والضرب والاعتقال، دخل أبو العز الإعادة مع (أحمد شحاتة عوض؟) قباري أواخر 1976.

طيغا ممدوح سالم نجح. بدأت تتجمع كل القوى من كل الإسكندرية في كرموز، حتى بتوع "التجمع" اللي اختاروا نصر الله وسقط. وأصبحت كرموز قلعة سياسية يسارية ومقعد لقوى اليسار وإسقاط قوى السلطة. أعلنوا دخول أبو العز الإعادة الخميس ومعادها الخميس اللي وراه، وتاني يوم من الإعلان بدأوا حملة اعتقالات في الدائرة عشان ميقاش حد معاه، وقبل انتخابات الإعادة أعلن أبو العز عن مسيرة يوم الإثنين.

كنا قاعدين عند المقر في شارع النيل، قبل المسيرة، طلع واحد من قهوة وشتم فينا، "دول شيوعيين وكفرة وملحدن ميعرفوش رنا... أبو العز عميل للصهيونية.. وعميل لإسرائيل" مردينا.ش. بعدن لقينا واحد قرب مننا وراح أطلق من مسدس طلقة نار. الناس كلها دخلت جوة المقر، وأبو العز رفض يدخل "مش أنا اللي ههرب من النار". الطلقة الثانية عدت قدام صدره. [لم يُصَب].

ما جرى في المسيرة

يوم مسيرة الإثنين، الأمن المركزي حاصر العمال وهما

معاه وقال له: "أنا حاطط العربية برّة وإنك ورجالتك ادخلوا أقعدوا في المحل"، واتباع بالمحل طوال فترة الانتخابات في شارع النيل، بينا وبين قسم كرموز حوالي 50 متر، وبيننا وبين الشركة الأهلية حوالي 150 متر، العمال وهما طالعين يمشوا في شارع النيل بيشفوننا، والالتحام قوي جدًا بينا وبين القواعد العمالية داخل دائرة كرموز، الحقيقة كان لهم بصمة قوية جدًا في نجاح 1976. شوفنا كل ألوان الضرب خلال فترة الانتخابات؛ اتحدف علينا أرايز من البلكونات، وميّه وسخه، من الموالين للسلطة مش الجماهير، اللي هما أعضاء حزب مصر وأعضاء الاتحاد الاشتراكي القدام وبتوع كل العصور والقصور والموائد. إحنا مكناش بنشتبك ونفوّت عليهم الفرصة، شعاراتنا كانت تنفّس في الشوارع؛ "الحريري باما قال خالوا بالك من العمال"، "زودوا لهم الأجور خلوا العمال يشوفوا النور"، "يا حرية فينك فينك أمن الدولة بينا وبينك"، "يا حرية فينك فينك البلطجة بيني وبينك".

اليפט اللي كانت متعلقة في الشوارع إحنا كنا بكتبتها في البيت عشان معندناش فلوس ندفع، وكنا نكتب: "كوب لبن لكل طفل"، "مقعد في المدرسة لكل طفل"، "سرير لكل مريض"، "ربط الأجور بالأسعار"، "الحرية للرجل والمرأة سواسية"، "الانتخابات من القاعدة للقمّة"، "لا مجال للأحزاب من فوق"، "الأحزاب من القاعدة من تحت".

يقف أبو العز في قهوة ومعاه الميكروفون اليدوي، "أنا فلان الفلاني مفصول من الشركة الأهلية للغزل والنسيج وأنا نازل الانتخابات وبرنامجي...". وكنا مقسمين البرنامج محور ديمقراطي ومحور وطني ومحور اقتصادي واجتماعي. في كل محور من المحاور دول خمس مطالب أساسيين. البرنامج دا كاد يكون في كل ايدين شوارع كرموز. كنا بتطلع مجموعة ستات متطوعات ندي البرنامج للستات في البيوت، والصبيان يلغوا على القهاوي يوزعوه. البرنامج عمل معانا فرشة سياسية غير عادية، الناس لما تقف معاك في الندوات والمؤتمرات بيناقشوكي في البرنامج؛ طب هتعملوا الديمقراطية إزاي؟ والمعاشات إزاي؟ والتأمينات؟

أبو العز مجرد ما يعرف نفسه ويتكلم كلمتين ثلاثة يقول: "أنا فاتح الباب للمناقشة"، الناس اللي قاعدين على القهاوي يناقشوه في البرنامج اللي قروه، "طب انت هتعمل إيه ما اللي قبلك قال كده ومعملش وضحك علينا واخذ الكرسي ومشى".

وحكيانا للناس عن أنور شكري، ودا كان صاحب تجربة رائدة في كرموز في الخمسينات. كان مدرس ونزل الانتخابات والناس تعاطفت معاه ونجحتته وبقى نائب لأنه منهم، وفقير، ومدرس كانت العيال بيحبوه في المدرسة. وأنور شكري عمل جو كويس قوي. حكيانا للناس عن التجربة

طالعين من الشركة الساعة 3، وجت القوات من البيطاش اللي هو آخر شارع النيل، الشارع دا تمشي على رجلك بالبطية ثلث ساعة، كله قهاوي ومحلات تجارية وفوقها شقق وبيوت، شريان رئيسي لعمال الشركة الأهلية، اللي مقرها في أول الشارع. وهجموا علينا أمن الدولة بالقوات الخاصة بتاعتهم ودخلوا في الناس ضرب، وتسلس وسطهم مجموعة من البلطجية طلعوهم من الأقسام، فضلوا يضربوا الناس بالسيوف والسنج والشوم والعصيان.

لكن يوم الإثنين: "الإثنين الأسود" حسم المعركة لصالحنا، الناس قالوا طالما دي سلطة مش بتقبل الرأي ولأ الرأي الآخر وما فيش حاجة اسمها أحزاب دي تمثيلية. العركة كانت بين الجماهير والبلطجية والأمن. وأنا طالعة من المقر لقيت واحد الساعد بتاعه مفتوح آتين، اللي هو قبل الكوع، يقول لي: "متخفيش أبو العز بخير أن آخذت السكنة دي، كانت نازلة عليه"، واحد [مضروب] في رقبته، واحد في رأسه، واحد في رجله، كانت الإصابات مهولة وهرية قوي. الناس راحوا ضمدوا جراحهم بعيد عنا، وإحنا قفلنا المقر وروحنا، وبدأنا نستعد إيه اللي هنعمله. وقفنا المسيرات خوفاً على الناس، بدأنا نتحرك بالورقة والقلم ونلف على الناس في بيوتها ومحلاتها ونحكي لها اللي حصل، طبعاً ورانا أمن وشرطة يشتموا ويضربوا. أبقي بلف على الناس في البيوت وأنزل آخذ تاكسي أو أي حاجة توديني البيت، ارضع هشم على أساس إن اللبن في صدري ثقيل وبيتعب والولد كمان ملوش ذنب، وأنزل ثاني.

الإثنين الأسود خلى الناس تحسم القضية لصالحنا، ونزلوا انتخبوا أبو العز وبقت كرموز زي خلية النحل وكله بينزل بعض وإحنا مش موجودين في اللجان. منّا المسجون والمتكف والمضروب، والممنوع ينزل، والمزنوق في حته قافلين عليه. أبو العز لوحده ومعاه 2 أو 3 بالتوكيل بيمروا على اللجان. وقولنا إحنا أدركنا معركة سياسية أتكلم عنها الداخل والخارج، الإذاعات الأجنبية مونت كارلو، وقناة مصر العربية العراقية.

مدرسة رأس التين الثانوية كانت مركز للفرز، كان ممنوع دخول أي حد. المفروض يدخل وكيل للمرشحين والمرشحين ما يدخلوش، والناس أول ما لقوا أبو العز نازل من العربية هتقوا "الحريري يا بلاش واحد غيره ما ينفعناش"، "اليسار طالع طالع من الغيطان والمصانع"، وشعارات عن المرأة، "صبيان وبنات وراك يا حريري". أبو العز كان معاه كلوب نور، اللي ييمشوا بيه الفلاحين زمان في الغيطان، عشان لو النور قطع كالعادة يبقى نشغل الفرز على نور الكلوب.

لكن أبو العز فيه واحد ضربه بسكنية جرحته في وشه من أول فوق الحاجب لحد بعد الدقن، الناس حطت لأبو العز

متاديل وقطن، وجاء الطابط محمد مقلد، رئيس القسم، قالوا له: "يلاً يا أبو العز على المستشفى وخط وشك"، قالوا له: "لا يا محمد بك أنا داخل بوشي كده جوة الفرز". واحد وشه مفتوح وداخل الفرز عشان ميبوطوش الانتخابات، فضل يزق في الناس ودمه بينزل ودخل.

والناس قالوا لي: "ما تجيش الفرز عشان هيعملوا فيكي حاجات مش كويسة"، روجت أشوف المكان اللي فيه دائرة الفرز، واتصلت بمقلد، قلت له يا مقلد بك أنزل دلوقتي الفرز أسمع لي إيجب له دكتور يخط له الجرح جوة، "دكتور مين يا كذا وكذا" ألفاظ الطباط، قلت له كلها ساعة واحدة وإحنا هندوس عليكم في الشارع منتصرين رافعين راية النصر فيها صورة أبو العز الحريري، قال لي: "أبقي تعالي قابليني، بكرة هتبقوا في التخشبة" شوية واتذاعت نتيجة الانتخابات: أبو العز نجح.

بدأت تبقى كرموز فرح وزفة العمدة، كل الشوارع، الستات الشعبيات نزلوا طبلوا ورقصوا، كل زقاق عامل فرح لوحده، مسيرات في الشوارع، بعد ساعة نزل الأمن فضى شوارع الشيخ زين السماك، والطبيب مصطفى السجيني، صاحب مستشفى السجيني، أخذوا أبو العز من الفرز في عربة الشيخ السماك ودوه المستشفى الميري عشان يعملوا له خياطة للجرح، الدكتور هناك قال له: "أرجوك ما تفعدش في الميري"، راحوا وأخذينه مستشفى السجيني ثانية راح السجيني خط الجرح خياطة تجميل، كان متعاطف ويبكي ويقول لأبو العز: "أنا كنت بلف وراك في الشوارع وفي الدوائر وأنا في الكلية".

قبل إعلان الفوز

قبل إعلان النتيجة كان مأمور قسم محرم بيك، إسماعيل المسيري، اللي كان معاه طابط المباحث محمد مقلد، جاتله إندازات من مديرية الأمن ومن المحافظة ومن وزارة الداخلية، قال لهم: "لا يمكن أقدر أعلن غير الحقيقة، عايزين تعلنوا نتيجة مغايرة تعالوا استلموا مني قسم كرموز ودائرة كرموز لأنها هتبقى ركام لو النتيجة اختلفت الناس عارفة وأنا مقدرش اتحمل المسؤولية دي". أبو العز حكى الحكاية دي كثير. والنتيجة أعلنت لأن المسيري مرضاش بيعع موقفه، كان لازم يعمل كده لأن الدائرة كانت هتولع. لقّا راح أبو العز المجلس بعدها كان الشاش على وشه، وكان لايس تيشيرت وينطلون. كان أصغر نائب في البرلمان، والمفروض يكون ممثل المنصة مع السيد جلال اللي كان أكبر نائب في البرلمان وقتها. بس رفضوا يطلعوا أبو العز وأخذوا اللي بعده على طول سناً عشان قالوا إن المشهد دا لقّا الكاميرات تصويره "لا يليق" دولياً وعالمياً من وجهة نظر السلطة. عايزين واحد مهندس، وبسبب الشاش هيكون فيه تساؤل.

ما يحدث في البرلمان وخارجه

كان أبو العز جوة المجلس غير مرضي عنه، وما بيطوش له مشاكل الناس لو له طلبات جماهيرية، أو لو له المشاريع اللي يقدمها تعزفل، كانوا عايزين يقولوا للناس إن اللي انتخبتهم ما عملوش حاجة.

بعد ما حصلت مظاهرات يناير، غطى اليسار الشوارع كلها، طلعت مظاهرات في الإسكندرية من منطقة الترسانة البحرية في القباني، كان فيها زميلنا السيد بيرجو. المظاهرات نزلت على وسط البلد والشوارع والميادين والمجمع العملي والنظري (طلعت من الجامعة ورا أبو العز)، وبقت الإسكندرية كلها ممثلة بالشباب، والناس العادية بدأت تلتمح بالمظاهرات وسمعت الناس يتردد شعاراتنا. الشعارات اليسارية والاشتراكية والقومية والديمقراطية والاجتماعية والاقتصادية اللي كانت وقود للناس في انتخابات كرموز بقت خميرة للمظاهرات.

وفي محطة الرمل، قابلونا [قوات الشرطة] عند فندق الروضة، أطلقوا خرطوش، ومات زميلنا محمد عبد الفتاح مطاوع. وبدأوا يجربوا ورا مجموعة من الشباب، أنا جربت، ولقيت تاكسي قدامي نطبت فيه عشان أروح البيت، مش هيجوا يقبضوا من البيت لأنه بيت نائب في مجلس الشعب.

في مجلس الشعب، فيه مجموعة من البرلمانيين اتكلمت دعماً للأحداث، زي نائب المنشية والجمرك في الإسكندرية، الشيخ عاشور، مثلاً، اللي دخل برغيف عيش البلدي البرلمان وقال "بتدافعوا عن القرارات الاقتصادية الرغيف ما يأكلش عيل"، وعمل جولات ثانية جوة المجلس، أسقطوا عضوية الشيخ. وأبو العز، اتكلم دفاعاً عن المحبوسين في الانتفاضة، وقال إنهم معبرين عن الشعب وإن اللي حصل دا جريمة في حق ناسهم، وبعد الشبهة لأن كان يقال إنها "انتفاضة حرامية"، ودول "عملاء لروسيا وشيوعيين وملحدين وكفرة وممولين، وبياخدوا فلوس من الاتحاد السوفييتي".

بسبب الانتفاضة، بدأت الحملة الشرسة لأنور السادات على اليسار و"التجمع"، وأبو العز لما لقي الضرب نازل في "التجمع"، وقبضوا على أغلب قياداته، أعلن انضمامه للحزب وبقي في هيئته البرلمانية مع خالد محيي الدين.

ولما جاءت مفاوضات السلام وقال [السادات]: "سلام ولا استسلام"، وإحنا قولنا لا استسلام ولا سلام، وبدأ يبقى في انعكاس على السياسة والسياسيين وبالأخص المعارضين لكأب ديفيد. كانت فيه مجموعة في مجلس الشعب [البرلمان] لهم موقف معادي لمفاوضات السلام في حدود 17 نائب منهم السيد نصار وعادل القاضي

والسيد رستم ولكمال أحمد وعادل عيد وأبو العز الحريري وخالد محيي الدين.

لما أتكلم السادات في مجلس الشعب [نوفمبر 1977] إنه مستعد يروح عقر دارهم [الكنيست الإسرائيلي] ويناقشهم [الإسرائيليين] ويخاطبهم من أجل السلام، عمل إحباط للنصر العسكري اللي قدموه أولادنا العساكر بعبور القناة وعبور خط بارليف ورفع العلم المصري في الأراضي المحتلة.

أبو العز كان في البرلمان، رجع يومها الإسكندرية، وعمل ثاني يوم مؤتمر في شادر بمنطقة باب سدره، والأمن كان واقف بكل قوته وعتاده يمنع الناس يدخلوا ويهدد "اللي يدخل هيتقبض عليه". انتشجعت مجموعة من الشباب ودخلت مع أبو العز الشادر، ومعاهم مجموعة ستات دخلت معاً. وفي آخر المؤتمر قال أبو العز: "من هنا باسم كرموز وأهالي كرموز اللي انتخبوني في معركة دامية بالنار، إن احنا بتعلن خيانة أنور السادات للقضية الوطنية المصرية، وبنطالب بمحاكمته محاكمة شعبية في ميدان عام لكل الجماهير المصرية لأنه ما أخذش رأي حد إنه يروح إسرائيل".

بعدها توقع أنه ينفصل من المجلس، عشان كده نزل أدار معركة مرشح التجمع في دائرة المنشية والجمرك، بعد إسقاط عضوية الشيخ عاشور، بالصوت العالي والهتاف والمؤتمرات والندوات، والمرشح نفسه الأستاذ أحمد مصطفى أدار المعركة بهدوء بسيط، كان بيشتغل في شركة "الورق الأهلية" وراجل سياسي من ضمن اللي كانوا بيضربوا معسكرات الإنجليز في الإسكندرية والعريش والسويس أيام الاحتلال البريطاني، وكان له تاريخ لأنه راجل شيوعي قديم له علاقة بحركة الاشتراكية والشيوعية.

قدام مرشح التجمع، كان فيه مرشح وفدي ومرشح الدولة، نزل فؤاد سراج الدين، رئيس "الوفد الجديد"، شادر مرشح الوفد، واستقبلوه كأنه رئيس جمهورية، استعراض وحرس، والسادات تصور إنه نوع من المنافسة له شخصياً ومغازلة للجماهير، واعتبر دا تار شخصي بينه وبين فؤاد سراج الدين، ونزلت قوات الأمن كسرت الشادر وضربوا الناس ومشوهم، واتشكل المؤتمر على هذا.

ثاني يوم طلع أعضاء التجمع مظاهرات في الشوارع تندد باللي حصل مع مرشح الوفد، مش حباً في الحزب، لأنه ضرب للديمقراطية "أنتوا بتعملوا منابر.. والدورة دي ديمقراطية". اتضربوا عند شارع إسماعيل صبري واعتقلوا. الأمن اتصل بأبو العز وقالوا له: "عايزينك في

3 ناسس عام 1978 باسم "الوفد الجديد"، برئاسة فؤاد سراج الدين.

القسم لأن في جماعة قابضين عليهم وقالوا إنهم زمايلك في الحزب إذا كانوا من بتوع "التجمع" معاك يبقى خدhem وأطلع". أبو العز مكذبش خبر وراح القسم. في القسم طلعوهم، وأبو العز قال "دول زملاني"، "دول نازلين يعملوا دعاية"، "وإحنا من حقنا نعمل دعاية انتخابية عشان لنا مرشح، واحنا حزب علني مش حزب سري".

"خلاص يا أبو العز اتفضل حضرتك وإحنا هنطلعهم بعد ما نخلص الإجراءات"، شوية بعد ما مشي، طلعا وراه بوكس، قالوا له: "عايزينك نشرب الشاي عشان في كلمتين نكتبهم في المحضر"، رجع أبو العز بدون خيانة. وهناك قالوا له: "أنت مقبوض عليك"، "أنا برلماني وعضو مجلس الشعب"، قالوا له: "جاء القرار من النائب العام هتقعد معنا ومش هتمشي".

لفقوا له قضية إنه هو اللي قوّم المظاهرات، وعمل هيجان في الشارع وكان يحدّث على إن الناس تقوم بهيجان لثقل الحكم، واستخدم سلاحه الخاص في ضرب نار بدون ترخيص، وعملوا إنهم مسكوه متلبس. أدوا له أربع أيام حبس استمرار، وقعدوه، وبعدين رجعوه غرفة المدالة مرة ثانية. وقالوا لأبو العز تطلع بكفالة 200 جنيه، زحّت قلت له لا مش هندفع ومش معانا 200 جنيه ندفع يا أبو العز، أنت راجل نائب والنيابة هي محل إقامتك وهي الضمان لك بيتك، ولك تليفونك، ولك بطاقتك، يعني إيه تطلع بكفالة، معنى كده إن فيه قضية، يعني هنعترف بالقضية الموجودة وندفع فيها كفالة، إحنا مش معترفين أصلاً بالقضية ولا بالإجراءات. كان واقف معنا ضابط اسمه طه زكي، رد حضرة الضابط المحترم قال: "يا شيخة حرام عليكى أنت عارفة يعني إيه بنام أربع أيام في القسم أو في السجن، اليوم يساوي ألف جنيه، أنا هدفع يا أبو العز الـ 200 جنيه الكفالة وتطلع"، أبو العز قال له: "لا يا طه، أنا هكمل بوجهة نظر سياسية، مش مسألة إحنا معانا فلوس ولا مش معانا، معنى إننا نعترف وندفع الكفالة يبقى معترفين باللي حصل لنا".

طلع أبو العز بعد الـ 4 أيام، وجاء له 56 محامي منعرفهمش، وكلهم ترافعوا عنه، ضد الإجراءات مش موضوع الاتهام، إن الإجراءات غير قانونية وغير صحيحة، وبعدين طلع أبو العز وبات ليلة في القسم، وحفظت القضية. لكن إن نائب اتمسك واتجسس سمّعت في الجمهورية كلها. اتقضت الانتخابات وسقط أحمد مصطفى.

أبو العز دخل المجلس لقاهم عاملين طلب برفع الحصانة عنه ومحاكمته لأنه "قاد مظاهرة وعمل ما لا يليق بنائب مجلس شعب" والحصانة لا تُستخدم في الفوضى، نتيجة للقرار اللي جاء من القسم والتحريات والمباحث. أبو العز

قال إنه مستعد يدافع عن نفسه، ولما اخذ الكلمة قدم دفاع سياسي مش جنائي، قال إنه راجل سياسي، ودا لضرب قوى اليسار والقوى العاملة وحزب التجمع، وتمير كل سياسات الخيانة والتوقيع لاتفاق مع إسرائيل.

اترفعت عنه الحصانة، طلع من المجلس لقى أمن الدولة مستتينه، ودّوه سجن القلعة، مايو أو يونيو 1978.

فكرة إن أحد الصحفيين الأجانب كان عامل حوار شخصي مع أنور السادات في شبين الكوم، وجه له سؤال مباشر عن أبو العز، قالوا له: "أنت بتتكلم عن الديمقراطية وأنت حابس نائب برلماني جوّ السجن؟" السادات رفض الرد وقطع الحوار.

الزيارة متنوعة، لكن المحامين نبيل الهلالي زكي وبخيس الجمل والنوبي المحترم زكي مراد وقفوا معاً، وخلوني اقابل النائب العام، لما دخلت قال لي "إنتي عايزة إيه؟ هيطلع خلاص ما فيش زيارة" المهم زرت أبو العز في سجن القلعة، وقال لي: "احتمال أخرج بكرة أو بعده"، لكن اخذ وقت وطلع. وطبعاً طلع مقفول من مجلس الشعب، وبدأنا الفعانة من أول وجديد، راجل مقفول من المجلس معندوش دخل، ومعندوش وظيفة، وعنده طفلين كبار. وهو مكتش عنده شغل لا في "الاهلية" أو "فوسفات الحمراوين"، ولا مكافأة المجلس، اللي كان بيصرف فيها على المواصلات رايح للمجلس وجاي.

دا إداّنا دفعة قوية إننا نستمر في نضالنا إذا كنّا إحنا أسرة بنشتغل في السياسة، أو لنا ارتباط بأولادنا بشكل أو بآخر، طب الآخرين اللي ملهمش علاقة بالحاجات دي كلها هيعافروا مع الظلم دا إزاي إلا إذا شافوا ناصح زينا بتعافروا وتقاوم وتستمر في مسيرتها رغم كل الضغوط.

اللحظة دي بعد خروج أبو العز من السجن جاء لنا بيان إن اسمي اتدرج في الإحارة للمملكة العربية السعودية. أبو العز سمع إن الأستاذ خالد محيي الدين اتوسط عشان زينب تطلع السعودية عشان جوزها يسافر معاها ويرجع يجب له قرشين ويبعد عن السياسة ويشوف حاله وحال أولاده. وأبو العز قال إنه مش عايز يسافر، "لو هي عايزة تسافر تسافر... ولو صممت إني أسافر معاها بيني وبينها ورقة [الطلاق]"، كنت متفهمة الموقف، استلفت وكان معاً خاتم بعته لحد لما كلمت إجراءات السفر. المهم سافرت وأخذت أخويا كمحرم ليّ وقضيت سنة. سبت هشام وهيثم مع أمي. توكلت على الله على إني هرجع وأمن وضعنا ويبقى زهر قوي وراء أبو العز في كل الظروف اللي إحنا موجودين فيها. وإحنا ماشين في المراسلات اللي بيني وبين أبو العز، بقّول له الفلوس اللي بشتغل بيها دي هنعمل بيها إيه، إحنا مش هشتري ليس زي الستات ولا

هنيئتي بيوت، عابزين نعمل مصدر رزق ثابت لي وللاولاد، قال لي نيب محل ونفتح مكتبة.

أول ما زحت السعودية أدوني مبلغ 3 شهور مقدم، وبدل سكن، ومرتب شهر ونص، وتكوّن معيا مبلغ كويس ما يقرب من 8 آلاف ريال وقتها، الدولار كان 75 قرش، والريال كان بناءً 12 أو 15 قرش، لميت هذا المبلغ وزحت بعته لأبو العز لأنني عارفة إن بيتي مكنش فيه فلوس، وجوزي معندوش وأولادي قاعدين. وقلت له اصرفوا اللي تصرفوه والباقي اعمل المشروع اللي اتفقنا عليه.

المكتبة

مكتبش عقد المكتبة باسمه، عشان الدولة متخدهاش منه، كتبها باسم أمي وأمه والأولاد، وأنا في السعودية عارفة إنني مش هرجع، اشتغلت خياطة للسعوديات، كنت باخد في الفستان 50 ريال، وكوّنت مبلغ كنت بصرف منه، والمبلغ اللي بقبضه من شغل التدريس ببعتة لتجهيز المكتبة ومصاريف البيت والأولاد.

بعد لما رجعت مصر، قعد معايا 3 أيام، واتقبض عليه من المكتبة، كان بايت هناك ببيلط الأرض. جابوه وجّم البيت. فتشوا البيت وبهدلوه، قلت لهم المنشورات اللي بتدوروا عليها موجودة معايا وانتوا مخدتهاش، عشان تعرفوا إننا نقدر نعمل المستحيل، لكن هما كانوا عابزين أبو العز، وحبسوه في قضية الحزب الشيوعي المصري كان معاه شاهدة مقلد، عم عيد صالح، زكي مراد، فريدة النقاش، حسين عبد الرازق، صلاح عيسى.

أنا كنت فتحت المكتبة واشتغلت وهو في سجن طرة. وعملت يوم افتتاح، وساعتها الأمن وقف لي، "يعني إيه هتعملي افتتاح؟ مين هيتكلم؟". استدعوني في قسم محرم بيك، قلت لهم يعني لما الجزر يفتح بتستدعوه؟ وبتاع اللب والجزم؟ اعتبروني حد من دول، وبفتح محل أكل عيش وبرتي أولادي، واللي انتوا خايفين منه عندكم، "طب مين هيجي؟" قلت له معرفش، "مين هيتكلم؟"، قلت له معرفش، المهم عدى وعملنا الافتتاح وصورناه وودينا الصور لأبو العز.

كنت في ما يسمي بـ"الاتحاد النسائي" داخل "التجمع". أنا والمرحومة فاطمة زكي، المرحومة فتحية العسال، وكنا مكونين معاه طبعاً جناح للشباب، ومجموعة للطلالغ الشباب الصغيرين اللي أقل من السن، اللي في المدرسة، معسكرات وسفر على نفس الطراز اللي كان في منظمة الشباب. كانت التجربة إننا ناخذ الطلائع دول ونعمل لهم نفس اللي كُنا بنعمله أيام "منظمة الشباب". كنت ضمن الهيكل القيادي في الاتحاد النسائي لحزب التجمع

في الإسكندرية، كان معايا زميلتي نازك محمد عباس حرم المرحوم حسين عبد ربه وكان زميل معانا في اليسار، وكان معانا الأستاذة فتحية الحجري كانت عضوة في "التجمع"، ومجموعة من السيدات اللي كانوا موجودين معانا. كان معانا عم عيد صالح (مكنش مقبوض عليه)، وكان معانا أولاده خالد وشهدي، وزحنا أجربنا شقتين في أبو قير؛ شقة للأولاد وشقة للبنات فوق بعض في حارة سكنية واحدة، وإحنا قيادة المعسكر الستات تبات مع البنات، والرجال تبات مع الشباب، ونجتمع على البحر نعمل اليوم، ننزل الصبح الحلقة ونعمل الأكل، وكلها حاجات ذاتية، نطبخ والأولاد تشيل الأكل. وإحنا قاعدين في المعسكر كان المفروض فاضل لنا 3 أيام ونعمل إنهاء للمعسكر، وأولادي معايا هشام وهيثم. وقتها بدأت بتنفيذ قرارات التفتيش على المعتقلين في 5 سبتمبر وجّم اخدوا أبو العز من البيت، كان معاه في العربية مثلاً محمد حسين هيك.

اعتقلوا في سبتمبر والسادات مات في 6 أكتوبر، يومها رحت لزميلنا في "التجمع" الأستاذ فوزي حمزة المحامي لأن فيه لجنة جاية تفرض حراسة على المكتبة، ونزلنا من عنده في سان مارك عند الإبراهيمية كُنا رايحين نقابل الحارس القضائي، ركبنا الترومائي ونزلنا في محطة الرمل.

في واحد كان يعرفني أنا وأبو العز كان من ضمن الجماعات الإسلامية، ومكنش بيسلم عليّ، لقيته دخل عليّ في الشارع واخذني بالخصن وباسني وقال لي: "أبو العز هيطلع"، قلت له فيه فيه إيه، قال لي: "أنور السادات اتضرب بالنار دلوقتي وخلص هيفرجوا عن الناس اللي كانت موجودة"، قلت له لأ مش شرط.

بعد شوية، المحامي قال لي: "أنور السادات بيموت ومش هيقى فيه حاجة أقفلي مكتبك وروحي".

روحنا المكتبة لقينا الهيجان في الشارع. اللي مؤيدين بتوع حزب مصر لأنور السادات في الشارع بيشتماوا اليسار والناس تشتم وتقول بالسلامة. قفلنا المكتبة ووصلنا للمحلة بلد جوزي وكانت أمي والأولاد هناك يبقضوا وقت وبعدين قبضوا على أخو أبو العز، كان اسمه أبو الخير وأنا موجودة هناك ودخلوه قضية حزب شيوعي مع أخوه.

رسالتي جوّه الفصل

لما خلصت الليسانس في 1980، سويت حالتني من فدرسة ابتدائي لفدرسة ثانوي، بقيت أدرس فلسفة في 1985، وجاء لي القرار إنني أروح مدرسة كرموز الثانوية بنات اللي هي سموها باسم "ممدوح سالم" وزير الداخلية الأسبق اللي نزل الانتخابات، بقى "مدرسة ممدوح سالم الثانوية بنات". طالبات كرموز برفع لهم القبعة وبحيهم، درّست

لهم واتشرفت إنني أبقى مدرستهم وهما يبقوا تلامذتي، حبثهم، عشقتهم وهما ارتبطوا بي جداً لأن أنا كنت بدّي فلسفة وعلم نفس، وكنت آجي في المناطق الحساسة اللي بيحتاجوها البنات في مرحلة المراهقة، بدأوا يقربوا مني ويحكوا لي فضايهم الشخصية، وعارفين إنني مرات فلان الفلاني، وأنا اللي جرا لي كذا، وجوزي جرا له كذا. ارتبطوا بيّ، حتى لما جيت أخذ إجازة عشان أقعد في البيت لأن ما كنتش قادرة أوفق بين الشغل والمكتبة، قالوا لي: "تعالى الشغل يا ميس ودرسى لنا وإحنا كل واحدة تأخذ يوم وتعد في المكتبة" كانت مشاعر جميلة قوي. أتجوزوا وخلفوا ولسه بييجوا لي المكتبة وعلاقتي بيهم طيبة جداً. بعد خمس سنين تقريباً روجت "العباسية الثانوية بنين".

المدرسة كانت في ظهر المكتبة على طول، بقيت فدرسة أولى فلسفة فيها، ودي اللي طلعت منها معاش في 2009. كان لي دور واضح من حيث تدريس الفلسفة وعلاقتي بالتلامذة وأولياء الأمور، كنت عضو مجلس إدارة في المدرسة، وموجودة في هيئة مجلس الآباء، ومجموعة "خريجة وأصدقاء مدرسة العباسية" فيها مجموعة من الآباء والمعلمين وأنا كنت عضو فعال فيها، عملنا دور كويس قوي، كان لي دور في حل مشكلات الأولاد في البيوت أو المدرسة، كنت بدخل أقول اللي العيال محتاجينه. وبدل تدريس المنهج على طول كنت افتتح قضية معينة للحوار بيني وبين الأولاد وأخذ عنوان من اللي يقولوه وأعمل الحوار الشخصي بيني وبينهم، كانت فترة خصبة جداً. رفضت أطلع مديرة، كنت بقول أنا مدرّسة أمسك الطباشير وهطلع وأنا مدرّسة بمسك الطباشير! لأنني حاسة إن رسالتي حوّة الفصل مش خارجه، كنت حاسة إنني يقوم بدور قوي جداً في تربية جيل وتوسيع مداركه، برمي بذرة في قلب الأرض، اللي هتنبت وتعلّى هتقابل بيها، واللي مش هيسمح لها تعلّى وتكبر مش هقابلها غير في وقت ثاني غير وقت النضال.

وبالفعل تجاربي اللي أنا عشتها كنت يقابل أولادي دول في أحداث ومظاهرات يناير ويقولوا لي كُنا متوقعين إننا نشوفك وتقابلك في المظاهرات.

دوري محدد أكثر في خندق اليسار

حزب النجم كان بيعمل مؤتمرات تأييد للمرأة الفلسطينية وأيام مذبحة مخيمات "صبرا وشاتيلا" عملنا مؤتمرات وحضرتها مع ستات عظيمات؛ إنجي أفلاطون وفتحية العسال وفاطمة زكي وفتحية السيد أحمد حرم زكي مراد. كُنا بناخد مواقف ضد الخصخصة، ومنهج الانفتاح الاقتصادي اللي كان مستمر وموذي البلد في داهية، مكنش فيه أي منتج بيطلع، وصادراتنا قلت ووارداتنا زادت.

كل دا وداني لحالة أكثر شراسة من اللي أنا كنت فيها. كان مواجهتي فيها وضوح أكثر، تحدد ملامح الخندق مع المزيد من الاشتراكية إن شاء الله هي تبقى الشيوعية اللي فيها رضاء للناس والعدالة الاجتماعية، لذلك الناس كانوا يهاجموني، ويقولوا إنني كافرة ومش مسلمة، أنا مش محبة لحد دلوقتي، ليسي جيبة وبلورة.

هاجموني في بعض الانتخابات في منطقة اسمها "السوسى" وقالوا إن اللي نازل لكم الانتخابات دي أبو العز الحري، دا شيوعي ملحد كافر ومن الناس اللي تبدل زواجهم، عرفت اللي حصل. لما أبو العز راح يتكلم في مؤتمر في "السوسى" قلت له متكلمش، وأنا اللي هتكلم مع الناس الأول.

في الأول، كلمت الناس وحيتهم وشكرتهم، وقلت لهم أنا مش زوجة فلان دلوقتي، فلان هو اللي جوزي، أنا بتكلم باسمي الشخصي، أنا شخصية ليّ كياني، وكان فيه نائب امبارح وقف في المكان دا وقال عليّ كذا، وهو طيغا أفلس سياسياً معندوش أي منطق سياسي يهاجمني بيه، معندوش أي مبرر يهاجمني بيه ولا في أسلوبه الشخصي وقال كلام غير معقول ولا بحكم الدين ولا الأخلاق ولا التربية والنشأة، ومسحت بهذا النائب الأرض يومها لذلك مخرجش ولا بان.

دوري وخندقي اتحدد، وكان واضح إنني أكثر يسارية. وكان ساعات تحصل محاورات بيني وبين أبو العز وأقوله في "التجمع" موقفكم في الشيء الفلاني ضعيف كان المفروض يكون موقفكم كذا، انتوا موقفكم في الشيء الفلاني هديتوا مع السلطة وانتوا موقفكم المفروض يكون أكثر شراسة، وبدأ كلامي وصوتي يعلّى، مكنوش بيجيوني قوي في "التجمع"، كانوا حاسني منظره قوي، وحسيت إن من كثر المرواح والاجتماعات مش بعمل حاجة مجرد كلام وبصرف مصاريف قطر رايح وجاي ويسيب مكتبتني وتتسرق ويتاخذ منها، بسبب أولادي وأبو العز مش في البيت، عشان كده قلت نضالي المحلي في المكان اللي أنا موجودة فيه، الوارد اللي جاي ليّ في المكتبة أكثر كثيرًا من الاجتماعات المغلقة المغفولة، ليّ تأثير ووجود في وسط الناس. أنتب ترمي كلمة تفتح حوار، حوار يعمل موضوع، واحد يطلع مقتنع والثاني لا، الواحد يجيب الثاني ويحسب معاه واحد ثالث، الوارد للفكر السياسي أكثر من الاجتماعات.

إسكندرية جديدة

دخل أبو العز مجلس الشعب من 2000 إلى 2005، همّز مرور الكرام على الانتخابات، كان نائب لرموز. عمل ورقة وزعها في الدائرة كتب فيها عن مشروع مساكن شعبية

ضد أحمد عز

في مجلس الشعب، أبو العز عمل استجواب إن شركة حديد عز أخذت "حديد الدخيلة" بدون ما تدفع فلوس، وقدم الأوراق في المجلس، لكن مجموعة جمال مبارك دارت على الاستجواب، مقدموش حد لمحكمة وآلا أسقطوا وزير، وآلا قوّموا واحد حتى. الاستجواب عمل ضجة برّة المجلس، لكن استطلقوا لأبو العز إنه ميدخلش المجلس ثاني.

في انتخابات 2005، وضع للعيان التصالح بين الحزب الوطني و"الإخوان المسلمين"، داخل كرموز اتهم الإخوان أبو العز اتهامات مش مضبوطة؛ شيوعي وملحد وفاتح حمام سباحة عشان الناس ينزلوا ويلبسوا مايوهات. المهم الانتخابات اتلعب فيها، وكسب واحد إخوان لا علاقة له بالسياسة وكل مؤهلاته إنه بيؤم الناس في الصلاة.

ظهرت تزوير انتخابات 2005، وكانت بداية لتزوير انتخابات 2010 اللي رفعوا فيها الإشراف القضائي، أبو العز منزلش انتخابات 2010 عشان كان شايف ملاحتها، ووزع ورقة في الدائرة "لا لتزويرات ما يسمي بالانتخابات".

جت أحداث [مقتل] خالد سعيد اللي كانت في الإسكندرية، أبو العز كان موجود فيها، كان له علاقة بخالد وهو اللي عمل مع عمه وأسرته اللجنة القانونية اللي بتدافع عن حق خالد سعيد، وكان اللي ماسك القضية وقتها المحامي الأستاذ رأفت نوار كان رئيس الهيئة ومعه مجموعة موجودة دفاعاً عن خالد سعيد، كان نضال قانوني وسياسي.

أبو العز كان موجود في اللجنة الوطنية للتغيير ومع يتوع "كفابة"، وكان معظم وجوده في القاهرة، وعملوا البرلمان الموازي كمان، و"الموازي" شكّله مجموعة النواب اللي كانوا ناجحين قبل كده لمواجهة البرلمان المزيف الموجود. لكن ملحقش ياخذ وضعه لأنهم قالوا لحسن مبارك عاملين برلمان موازي وقال لهم: "خليهم يتسلوا".

في 2010، عملنا مظاهرة قدام المكتبة كانت 28 أكتوبر، هشام، وهيثم وزملائه، اتقبض عليهم. وتاني أو تالت يوم، الأمن دخل المكتبة قبضوا عليّ على أنني بيع كُتب مخالفة. جُم اخدوا كل الكتب الموجودة في المكتبة؛ كُتب الدراسة الخارجية زي "سلاح التلميذ" و"الشامل". قيمة الكتب في الفاتورة، من غير مكسبي، 35 ألف ونص، أخدوها وحرقوها. وهما داخلين ياخدوني على البوكس، الضابط خالد شلبي، ضرب أولادي في الشارع ومسكني من شعري ضربيني وشتمني. حبسوا الولاد ورموهم في الآخر في الصحرا.

في غيط العنب، فيها مشغل، مجمع دراسي ثانوي فني تجاري زراعي، من عند مدينة العرايس لحد الشركة الأهلية عند محرم بيك، توسّع شارع ونسميه باسم الدكتور محمود القاضي، يعدي الناس من محرم بيك على برّ المحمودية الثاني، عشان يوصلوا للموقف الجديد. الورقة كانت عن الإسكندرية بشكل عمومي، بيتكلم كئائب إسكندراني مش كئائب كرموز. وعمل ورقة ثانية عن "مصر التي نريدها".

مشروع غيط العنب كان تخطيط مساكن شعبية على أرض مملوكة للسكة الحديد، واتفك مع المحافظ عبد السلام محجوب، المشروع رسمه مع أبو العز عميد كلية الفنون الجميلة الدكتور هشام السعودي، وكان بيضمّ مساكن وساحة شعبية. وقابل أبو العز حمدي الشايب، وزير النقل وقتها، وهو كان إسكندراني وقال له: "فيه أراضي موجودة بين كرموز وأرض عليها قضبان سكة حديد مش مستخدمة، الأولاد بيضربوا فيها الإبر والسرنجات ويحصل فيها بيع حشيش وتهريب، بدل ما هي مكان موبوء للجريمة عايزين نحولها لمساكن شعبية جديدة". الوزير قال له: "لو مش أبو العز الحريري اللي جاي ليّ لا يمكن انزع ملكية الأرض دي لأي مخلوق". وتنازل عن الأرض، حوالي سبعة فدان، لصالح المشروع اللي كان أبو العز هيقدمه (ورق التنازل موجود عندنا لحد دلوقتي متوثق ومختوم). أخذ التنازل وراح للمحافظ، فقال له: "دي خطوة هائلة إتنا ناخذ موافقة". واستعان برئيس شركة "المقاولون العرب" وقتها، والشركة بعثت بلدوزرات ببلاش ترفع قضبان السكة الحديد وتمهد الأرض وتردها، فأكّرت إن فيه قضيب وقع على قصبه رجله وداخ وأغمى عليه، واستمرّ يعالج الإصابة لحد وفاته.

عبد السلام محجوب قال لأبو العز: "إحنا معندناش إمكانيات نعمل المشروع دا، اللي يقدر يعمل هو الجيش وتعالى نسلم المشروع ده للمنطقة الشمالية". والجيش وافق يعمل الساحة. ولما حضر أبو العز اللقاء مع المحجوب، أحد الحاضرين قال لأبو العز: "أنت جاي بصفتك إيه؟" قال له: "نائب"، فرد "المشروع مش بتاع نواب... دلوقتي المشروع في إيد الجيش، حضرتك ملكش وجود هنا". طبعا حصلت مشادة، وفضّنها المحافظ.

المهم، في 2004 تقريباً، عملوا ساحة رائعة لأهل كرموز، وفيها حمام سباحة وسقّوها "ساحة مبارك" وقسم الشرطة اللي كان موجود أيام انتخابات 1976، اتشال واتحط في المنطقة دي.

بعد كده، هند-بنّتي-عملت مشروع تخرجها في كلية هندسة قسم "عمارة تصميم حضري" عن "غيط العنب الجديدة"، أعادت مشروع أبوها برؤيتها المعمارية، وأخذت عليه امتياز.

المنطقة دي بنوا مكانها "بشاير الخير 1" و"بشاير الخير 2".

4 المملوكة لرجل الأعمال احمد عز، وشغل منصب أمين التنظيم في حزب "الوطني الديمقراطي" الحاكم حتى استقال مع اندلاع ثورة 2011.

الترشح بعد ثورة

إنصاف للطبقة الوسطى، حريات عامة وخاصة، البلد مش يحكمها الحديد والنار، يحكمها الرأي والرأي الآخر، التكافؤ بين المعارضين والمؤيدين. مينفعش بلد تبني نفسها ويبقى فيها لجان إلكترونية مؤجرة بالفلوس وتهاجم الناس في شرفها وعرضها، وتشوه كل النماذج الطيبة وكل نماذج الثورة في بيوتها وعلاقتها وكلام كاذب وافتراء.

عشان البلد ترجع لوضعها لازم أمل، نفتح نوافذ الحرية، يدخل لنا شمس وهواء، ينقشع الظلام ويأتي النهار بمتطلبات الشعوب. إحنا في غمة وغصة، غمة الوباء اللي إحنا فيه وغصة كبت الحريات.

الأجيال الموجودة والقادمة، إن شاء الله، تكون ذخيرة أو سلاح، واللي أنا قلته قابل للصواب والخطأ، والقبول والرفض، لكن هي تجربة شخصية بحكيها بكل ثقة وكل أمانة. وبوتقها بالأسماء والشخصيات والتواريخ على قد ما تذكرت.

كلامي إهداء للمرأة السكندرية الأول، وبعدها المصرية والعربية. كل امرأة مهضوم حقها في العالم كله، بهديها الكلام دا، وبرضو ممكن يكون طوبة صغيرة قوي في بناء عظيم للإنسانية في المستقبل.

بعد التنحي، أبو العز كان في القاهرة وعازي الورق بتاع أحمد عز، [الأصل] لأن اللي اتقدم كان خدوا حاجات من على الإنترنت والأوراق الموجودة في المجلس، بس أبو العز كان عازي الورق الحقيقي. بعث له من الإسكندرية واحد متخفي؛ عمل عمدة وراح أدّى الورق لأبو العز في اللوكاندة، وراح قدمه للنائب العام. ولما اتترشح لبرلمان الثورة كان حاطط عينه على انتخابات الرئاسة اخذ وثيقة أنه برلماني راح متقدم للترشح. وطعن في مشروعية البرلمان لأنه حس إن وجوده غير قانوني، وطعن على ترشح خيرت الشاطر لانتخابات الرئاسة، لأن الإعفاء مش من المحكمة لا جاي من المجلس العسكري ودا غير قانوني ولازم يتشال من الانتخابات.

أبو العز اتترشح للرئاسة في 2012 بعيداً عن النجاح والسقوط عشان ينزل يلف نجوع وقرى الجمهورية لثورة جديدة، لأن الثورة محققتش أهدافها. وفي الانتخابات اختلف مع الدكتور رفعت السعيد حوالين السياسات والقرب من السلطة والبعيد عنها، رفعت السعيد كان شايف إن الاقتراب من السلطة يضعف الإخوان، وأبو العز كان شايف البعد والضرب في الإخوان لصالح اليسار. نجح محمد مرسي، و[الإخوان] إجمالاً تفرغوا لنا بقى في العركة، الأمن والشرطة مع أولادهم تحميهم وواقفة معاهم.

حالة مُغلقة

السجون بتأخذ قوى اليسار وبنات وستات وشباب الثورة، بعد ما اخدت "الإخوان".

حالة كَر بتأخذ الناس في السجون والمعتقلات المفتوحة، وتقعدهم تحت تهمة "الارتباط بجماعة إرهابية"، مين هي الجماعة منعرفش، الارتباط شكله إيه منعرفش، كلام شكله إيه منعرفش. ودا خلا الحركة فيها نوع من التقاعس والتراخي، والناس لو نزلت تقول كلمتين في الشارع عارفين أنهم حياخدوا قصاد الكلمتين سنتين أو ثلاثة سجن. ودا عمل نوع من الانحسار للحركة السياسية بشكل عام، مش لحركة المرأة بس. مفيش حراك سياسي في الشارع، وبالتالي مفيش دور للمرأة، ولأ الشباب. الحالة السياسية مغلقة. كل الأحزاب عملها جوة المقرات، وأي حزب بدون ارتباط بال جماهير ملوش حركة واضحة وصريحة.

تفاؤل بالمستقبل؟

مش متفائلة بالقادم، لأن البيت لما يتبني بيبكون له أساس قوي، عشان تبني دولة مدنية حديثة لازم يبقى فيه مقدمات في العدالة الاجتماعية، لازم يكون في

سمية عدلي: العشوائية خطر بعد كسر حاجز الخوف

نرى الكيمائية سمية عدلي، أنّ أبرز ما جرى في السنوات الماضية هو كسر ثورة 25 يناير لحاجز الخوف، وتلوم على بعض رموز جيل السبعينيات، الذي تنتمي إليه، تأدية دور الوصاية، بدلا من أن يتركوا الشباب يتقدمون الصفوف، ويبرزوا، وإن أخطأوا يصححوا مسارهم.

ومع حدة تلك المراجعة، فإنّ صاحبها لا تغفل أنّ الوضع الآن مهلك سر، فوضع الثورة والتغيير لم يستمر، بل ضيق الخناق على الحراك السياسي والاجتماعي منذ 2014، واتسع.

في هذه الشهادة، التي اعتمدت على مقابلة أجرتها عالية مرسي في 15 نيسان/أبريل 2020، نتحدث سمية عن مخاطر تكرار أخطاء الماضي والعشوائية.

بنات أيلة عدلية

أنا سمية عدلي، أحب أعرف نفسي إنني جدة لأن دي أسعد حاجة في حياتي، عندي حفيدتين، بحس إن دا أجمل إنجاز في حياتي، هما في غاية الجمال والروعة. علاقتي بهن جميلة وبيدوني حب كبير رغم إنهم مش عايشين في مصر لكن بحس إنهم ثمرة حبي للأمومة والأطفال، خاصة إنني يشوف حلمي أنني أبقي أم وجدة ينمو ويكبر، وأحلامنا وأمالنا الثانية متحققتش.

دلوقتي أنا على المعاش، خريجة كلية علوم جامعة القاهرة، بكالوريوس مخدتش درجة الدكتوراه. يمكن أحد الأسباب إنني كنت حاسة إن التفاعل مع المجتمع أفيد كثير إنني أفضل جوّة الكتب رغم حبي للدراسة. نشأت في أسرة جميلة معظمنا بنات، أربع بنات وولد واحد. كانوا مسمينا "مدرسة البنات"، الأم ست متعلمة وبيتشغل مدرّسة، ودا أثر كبير في شخصيتنا.

أمي كانت تتجه بينا إلى الأنشطة والثقافة، تدفعنا لأنشطة المدرسة، لما المتاح تفتح تودينا، دي شكلت الشخصية اللي بنهتم بالعام والمجتمع. هي كانت تقدم خدماتها لأي حد يوقفها في الشارع ويطلب منها خدمة، أي حد عايز يقدم لأولاده في مدرستها كانت تقدم له كل التسهيلات

من غير ما تعرفه ولا تطلب أي حاجة، مثلا ممكن تكتب له عنوان بيته على بيتنا عشان يبقى في المنطقة وولاده يتقبلوا في المدرسة. لو بنت مثلا تأخرت في الدخول كانت تعلمها في البيت وتعملها مناظرة وتنشوف السنة الدراسية اللي ممكن تتلحق بها بدل متضيع عليها سنوات.

لما تنزل نشتر حاجة يسألونا "إنتوا أولاد أيلة عدلية؟" يعني ست مشهورة جدًا، ومثلا من كتر تأثيرها إن أي مرشحين لمجلس الشعب ساعتها ولا مجلس الأمة كانوا لازم يزوروا في بيتنا من قوّة تأثيرها.

مثلا زوجي كان يقول ليّ "أمك نقلت المدرسة للبيت"، كانت مُلّمة بشكل غير عادي بالأخلاقيات والقيم، وحشتنا على دا. لما كبرت بقيت أومها لأن أنا وأخواتي مش قادرين نتكيف مع المجتمع، عايزين كل حاجة تكون مطبوعة، كل حاجة لازم تبقى صح، كانت تقول "اعملني الخير ومتستنيهوش وارميه البحر"، الجملة دي جايز تكون مدخلنا للمجال العام، إننا نعطي باستمرار. وفعلنا اتفاعلنا مع المجتمع من فترة مكرة.

نشأنا في جو عام متهياي مختلف شوية عن ناس كثير، بالرغم إننا مكشش عندنا مكتبة كبيرة ولا حاجة، بس بتجيب الجرائد والمجلات، وقصص الأطفال. أنا فاكدة في أولى اعدادي كان ليّ صديقة كُنا نمشي وتتكلم وأنا مثلا لسه 12 سنة منفلة جدًا بكفاح الشعب قدام الغزو الأمريكي. فاكدة حاجة ثانية كان في إعادة انتخاب جمال عبد الناصر، وأنا في إعدادي سن حوالي 13 سنة، رايحة المدرسة، لقيت البنات يقولوا نروح نُؤيد عبد الناصر ومرضناش نطلع الفصول، وقررنا نخرج في مظاهرة لـ "مجلس الأمة" نُؤيد عبد الناصر، طبعا أنا كنت بعشق عبد الناصر يعني، روحنا حطينا الشنط بتاعتنا في الديسكات في المدرسة وخربنا ومشينا، المدرسة في الحلمية الجديدة ومجلس الأمة قريب تمشي بتاع نص ساعة ولا حاجة، وإحنا ماشين المطرة غرقتنا والجزم بقت لون الوحل وشعرنا مبلول كأننا خارجين من الحمام. لغاية لما وصلنا وفوجئت بإيد بتاخديني من وسط المظاهرة وطلع بابا. شغله كان في وزارة الصحة، قدام مجلس الأمة، قلبي وقع في رجله، فيها عقاب وبهدلة، لقيت بابا بياخديني بالراحة وكان واقف قدامه ناس مستغربة إن فيه أطفال صغيرين عمالين يهتفوا بحماس، وواقف جنب بابا المدير العام بتاعه، قدمه ليّ وأنا حالتي سيئة جدًا من المطرة والشراب الابيض بقي أسود ومنتظرة أشوف العقاب، بصيت لقيته قال ليّ: "تعالى دلوقتي، أنتوا رايعين فين مجلس الأمة؟ الباب مقفول مفيش حد، أنتوا جايين ليه كده؟" راح واخديني مكتبه قلعني الشراب وغسله ليّ وبعت جاب ليّ ساندويشات وخلاني

انثسطف. حسيت إنه مبسوط بيّ وكان رفيق جدّ ولطيف، دا الجو العامّ اللي نشأت فيه، وخلق عندي حس وطني نابع إن دي بلدنا نحاظ عليها، اللي هو ما ترميش الورقة في الشارع عشان الشارع بتاع الناس كلها، هي مجرد قيم، مش ثقافة سياسية، مجموعة من القيم تربطني بالوطن والناس، اتعاطف معاها واقف جنبها، أساس قيم.

وفي ثانوي، دخلت الإذاعة المدرسية، مكتتش بذيع، كنت بوضب برامج الإذاعة، اختار المقالات ولو فيه شعر.

ورشحوني لـ "منظمة الشباب"، وأنا في أولى ثانوي ورجبت جدّ، ودخلت أول دورات المنظمة في المدرسة. وفي سنة تانية فاجأتنا هزيمة 1967 كانت قاسية جدّ، انهيار الحلم، انهيار المثل، أول حاجز بيني وبين عبد الناصر بدون أي خلفية سياسية.

فاكرة أول لمّا الضرب اشتغل زحنا تنبرع بالدم، ورفضوا ياخدوا مننا، قالوا لنا "أنتوا صغيرين" ولمّا مرضناش نسيب المكان، قالوا لنا "هناخد الفصيلة وعناوبكم ونبتع لكم لو عوزنا"، طبعا ضحكوا علينا. بعدها بدأنا من خلال المنظمة نعمل أنشطة، بنجمع معونات وملابس للأسر الفهّجرين ونقعد نوضبها ونغسلها ونكويها ونحطها في أكياس ونروح نوزعها.

مغامرات في الجبهة

وزرت الجبهة، وإذ بينا على مسافة قريبة جدّ من العدو الإسرائيلي وهما قاعدين يشاوروا لنا في يورتوفيق والمسافات قريبة جدّ، إحساس لا أنساه في حياتي، جالي انهيار وبكا بصوت مرتفع، إحنا اتربينا إننا هنرمي إسرائيل في البحر، إنها العدو الابدّي إذا بها على أرضي وقصادي، شايفنهم وشايفنا ومبسوطين وعمالين يلوحوا لنا.

أهلي كانوا يمنعونني من زيارة الجبهة، كان عندي 16 سنة وأفضل أعيط واتحاي عليهم، يمنعونني مرة ويوافقوا مرة، يعني سجال بينا، لكن في الآخر كانوا بيخضعوا.

في مرة، وإحنا رايجين لقينا ضرب جامد جدّ على خط السويس، وكنا بنروح بقطر زي السبنسة كده، قالوا ترجعوا ولا تكملوا، فيه ولد معانا جات له حالة هستيرية وصمّم يرجع، وإحنا كُنا أربع بنات وعايزين تكمل. نزلونا خنادق حفرها الجنود في الأرض وحاطين شكاير رمل.

وفيه جندي دخلني مكانه في الخندق وراسي طالعة والضرب شغال وكل شوية عايزة أشوف أرفع راسي يروح مزعق ليّ "نزلي راسك". وأنا مش فاهمة الخطورة، دي شجاعة ولا تهور مش عارفة، مكتتش عارفة إن اللي بعمله دا بيضره. المهم الضرب سكت راحوا نقلونا في عربيات

الجيش جوّة المدينة نزلنا في مبنى تحت الأرض تمامًا بتاع الاتحاد الاشتراكي وقالوا هنقعد ومش هنقدر نزور المدينة، وفجأة ظهر لنا واحد جميل جدّ قلنا له عايزين نخرج من الخندق، وكان رمضان والناس صايمة، صايمين كلنا، وراح ودانا أجمل فعدة أغاني سمعتها في حياتي، كابتن غزالي، كان راجل كبير أسمر جسمه قليل، قعدوا يغنوا لنا أغاني مقاومة "يا بيوت السويس يا بيوت مدينتي"، وبعدين زورنا الوحدات، ضرب المدفع شغال، والجندي اللي بيواجه الموت بيكلنا برقة وخجل وحب شديد، وبسعادة غير عادية إننا في وسطهم.

ساعتها كانوا في الخندق تحت بيدوروا علينا، البنات قص ملح وداب، راحوا فين ميعرفوش، إحنا مسبناش خبر وتسللنا، "وهما يعني جراهم إيه ماتوا؟ هيروحوا فين".

وفوخلوا إننا جينا بليل بعد الفطار، كانوا جم صلحوا القطر والوقت اتأخر جدّ عقبال لمّا روجت البيت كان بقى الصبح، كُنا في العادي بتروح على الساعة 10 أو 11، وأنا راجعة على 6 الصبح، لقيت بابا واقف في البلكونة تقريبًا خلص كل رصيد السجائر، وهما عمالين يسمعون في الراديو إن فيه ضرب في السويس، وأنا مجتّش ومفبّش وسائل اتصال، واتعاقبت. لكن بالرغم إنني معملتش حاجة لكن إحساسي إنني دعمتي الجنود بمشاعر حب.

تانية أو تالّثة ثانوي كلها أنشطة، وفي الآخر حسيت لآ النظام دا فيه حاجة غلط، وكنت متخيلة إحنا كلها سنة وهنحارب، الدنيا جميلة والأهالي شغالة، لآ اشمعنا فينتام حاربت وإحنا لآ، فيه حاجة غلط، النظام دا فيه حاجة غلط. كله بالتجربة.

كنت دخلت جامعة القاهرة في 1969، علوم، واخترت قسم كيمياء، ولسه في المنظمة عادي، وبقيت في لجنة عضو، بس برضو مش مقتنعة، حاسة إن فيه حاجة لم تعمل، بس إيه هي مش عارفة. جات مبادرة روجرز بوقف إطلاق النار، دي كلها كانت مهلة ساعتها عايزين قواعد الصواريخ أي كان السبب يعني، كنت أنا ومجموعة من الأصدقاء قررنا نعمل منشورات ونبتعتها للناس ضد المبادرة يادوبك قبل ما تنفذ اتمسكنا كلنا، طلع في وسطينا واحد مباحث، الكلام دا في أغسطس 1970، اتحقق معانا وكُنا معظمنا من "منظمة الشباب"، ما قيل ليّنا إننا "ولادهم بس عايزين شدة ودن"، وقد كان اتحبسنا.

لمّا دخلت السجن، كنت وقتها قصيرة، طولي يجي 152 سنتيمتر، ورفيعة جدّ، وزني حاجة وأربعين كيلو، وكُنا بنلبس قصير، زمان الموضة كانت القصير، وفيه سجيّة قالت وأنا معدية قدامها "عبد الناصر مش مكسوف من نفسه يقبض على عيال إعدادي"، فعلاً محدش كان مصدق

إنني في أولى جامعة، عيلة خالص ويقص شعري جرسون، سفروته خالص يعني. اللي ينفخني أظير.

وإحنا في السجن، مات عبد الناصر والسجن ذاع قرآن؛ سمعنا الشبابيك عمالة تتخبط وتترزع، وعياط وصريخ غير عادي من السجينات، لازم عالم اجتماعي يحلل الراجل دا عامل هذا الرباط بينه وبين الناس إزاي.

كنا إحنا أربع بنات قاعدين في أوضة واحدة أصابنا الوجود بالرغم من إدانة عبد الناصر بسبب النكسة لكن مقدرتش امنع دموعي، ما زال الإحساس إن هذا الإله إزاي ممكن يموت. حتى لو هو مدان، كيف يموت؟ وقعدنا في السجن لغاية أبريل 1971.

دخلت امتحنت ونجحت على آخر السنة، وقيود في البيت غير عادية طبعا، وعلى ديسمبر فُلت خلاص التجربة دي قاسية ملياش دعوة بالسياسة، وأهلي طبعا قيود صارمة في الدخول والخروج واختيار صديقاتي والمرواح.

وانبثقت يناير 1972 من جامعة القاهرة، وطبعا ولا كإني كنت محبوسة بحضر مظاهرات ومؤتمرات وتجمعات جامعة القاهرة، بس أكون حريصة أرجع على 7 أو 8 لأن أهلي عارفين إن عندنا معامل ممكن تأخذ عشر ساعات وبتأخر في الجامعة. مجيش أي سيرة، وهما مأمنين عليّ ومبسوطين، البنت راحت الكلية ورجعت منها. كل شوية فيه قدر من البلورة وقدر من الوعي بيزيد، وما انكرش طبعا مش كل الناس كانت عارفة إن لي خلفية وفاهمة، شايفين البنت دي بتقول كلام كويس في النادي السياسي أو في حوار، وأنا مكتتش حريصة على الأضواء، حريصة إنني مظهرش، لأن لي صفحة وعازية الدنيا تتم بسلاسة، عازية أكمل مش عازية أضرب من أول مظاهرة، وبكره الأضواء. وعندي إيمان إن الواقع لن يتغير إلا إذا عشناه من القاع. مثلاً في أواخر الجامعة، التحقت بتنظيم، لأنني كنت مؤمنة إن العمل الفردي لا يمكن يجيب نتيجة، استمررت في التنظيم وقت طويل، لغاية لما حصلت له ضربة بوليسية، وحصلت مشاكل وانقسامات، والموضوع وقف.

بعد التخرج من 1974 لـ 1975 عملت خدمة عامة محو أمية، كنت مواظبة جداً وكان الناظر متعاط إنني أخليه يفتح المدرسة كل يوم، لأن الباقي مش حيتبعوا أنفسهم ويخرجوا من بيوتهم في إجازة الصيف عشان الناس تتعلم، مثلاً أنا الوحيدة اللي أذاها مقبول، كانوا لما يقفل المدرسة في وشنا أروح وخداهم في البيت ومقعداهم حوالين طرابيزة السفرة وتأخذ الحصة بتاعتنا. بعد الخدمة العامة، اشتغلت في معامل مدينة السينما وكان معمل شيك جداً وأجهزة

1 لم يذكر اسمه.

حديثه ومكان جميل وسط خضرة في مدينة الفنون في الهرم، والفنانين جايين ليّ يشوفوا النسخ الزيرو من شغلهم، فأتت حمامة ونور الشريف وحسن يوسف.

كنت يشتغل بليل وسمعنا زيادة الأسعار، لكن الأحداث فاجأت الجميع، مكتتش متخيلة إن دا ممكن يحصل، الجامعة اتحركت أول حاجة، مقدرش أقول إنني شاركت في المظاهرات، أنا كنت يشتغل في مكان أبعد ما يكون عن التظاهر، ولما خرجت منه فإني حظر التجول في ميدان الجيزة، ضرب شغال جامد وقنابل مسيلة للدموع وعربيات الجيش في الشارع وأنا مع الناس ومش بهتف ولا حاجة بس مش عارفة اتصرف، راحت أسرة معرفهاش اخدتني، ولما الدنيا هديت شوية مبقتش عارفة أروح بيتي في الحامية الجديدة، وميدان الجيزة بعيد واتحاصرت هنالك، مشيت من الجيزة للهرم بيت عند صديقة ليّ لغاية ثاني يوم.

وبعد مظاهرات 1977، قدمت استقالتني، استلمت شغل في مصنع الغزل والنسيج، إحساسي إنني أبقي في وسط الناس خلاني سبت السينما. وفي 1979 اتجوزت ونقلت ناحية مصر الجديدة، وشغلي كان في شركة النصر للكيماويات الدوائية، في حلوان، مكان بعيد عليّ جداً، كان جزء عائق برضو. وظروف الشغل في الشركات الإنتاجية مفيهش براج في الإجازات، كنت أقول لأمي هلكانة هأخذ إجازة رعاية طفل، تقول لي "افضلي وأنا هساعدك لحد لما متدريش خالص"، لما بقى عندي ولدين وبقى مشكلة وهي ساكنة بعيدة عني قالت ليّ "أه خدي رعاية طفل واحد سنة"، في الشغل قالوا معندناش، تشتغلي يبقى لازم تشتغلي. لكن نقلت من مصنع حلوان، بعدين.

1987 بدأت شغل مع منظمات غير هادفة للربح، كان في "جمعية التنمية الصحية والبيئية"، كانت مجموعة من الأطباء أصدقائنا وكانوا عازين يقدموا أنشطة في مجال الصحة والبيئة، وتقديم الدعم والخبرة لكل الأشكال اللي بتحاول تعمل في مجال الصحة والبيئة. كان فيه برنامج للدواء اشتركت فيه وعملت فيه عدد ضخم عن الدواء واستخداماته وسوء استخدام الأدوية، والسياسة الصحية، تحليل ونقد للسياسة الصحية، ده كان معظم الوقت وعملنا ندوات كثير، ندوات موسعة عن السياسات الصحية cost recovery وشغل التأمين الصحي، وعملنا شغل في هذا الاتجاه. بعدين في حوالي 1995 اخدت هدنة لأن ابني وصل ثانوية عامة، دي عنق الزجاجة لازم إنني يجتازها عشان يبقى عنده حرية الاختيار بعد كده للكلية اللي عازيها وأنا كنت بذاكر لهم ماعدا الشهادات، الشهادات كنت بجيب فعلاً مدرسين يعتبرها مباراة كأس العالم في كرة القدم، اللي يتغلب يخرج برّة، مكتتش بغامر رغم إن ولادي كانوا

يقولوا إنني أفضل من المدرّس، لأن كنت حريصة إنهم ما يحفظوش وإنهم يفكروا، بس بما إن الثانوية العامة مباراة كأس، لازم ملعبها زي إيطاليا، رغم إنني مش بحب الكورة بتاعتها، هجوم ومش بتستمتعي لكن بتغلب، بتفرسني طول الوقت عمالة تدافع وبعدين تجيب جون في نهاية المباراة، والشهادات في مصر كده، مش إبداع يعني. أخذت الهدنة وبعدين رجعت ثاني وبدأت مشاكل زي كل تجمّع يساري في مصر، نحن نجيد الاختلاف والفرقة، مش عايزة أقول أكثر من كده. قاوت كثير وفي الآخر ماتت الجمعية، اليسار في مصر يجيد الاختلاف والفرقة والانقسام ودي الكارثة.

تغيير المجتمع أم قضايا المرأة؟

أنا كنت شايفة إن تغيير المجتمع هو اللي هينقل وضع المرأة لكل، أكيد لما أنت بتغيري قيم المجتمع بتغيري نظرهم للمرأة، لما الوضع الاقتصادي يتغير بتحسن الوضع الاقتصادي للمرأة، إن يبقى في مدارس كويسة، المجتمع يفتح حضانات والمرأة تتفرغ لعملها، تكون فيه رؤية شاملة. لكن بأمانة معرفش الحركة النسائية صح ولا أنا اللي صح، مثلاً في ندوة بتناقش كونا للمرأة، أنا مكنتش موافقة، بس مش ضد وجودها، لكن رأيي إن الكوتا مش مضمون حتجيب إيه، ممكن تكون مرأة أشد المعارضين للمرأة، ولأن الكوتا كمان مرتبطة بالحكم، بمزاجه، اللي جه سهل بيروح سهل، لازم يجي نتيجة تغيير المجتمع، لكن هما نجحوا وأكيد برضو كان فيه وقفات ساهمت في تحقيق نجاحات أكيد، زي قوانين المرأة اللي اتعملت والخلع، أثرت الموضوع، حملات الختان مثلاً نبهت الجهات الأخرى لتبني الموضوع، يمكن إحنا الاثنين صح، متصورة كده. إحداهما لا تنفي الأخرى، هما متداخلين، لا بد من الاثنين.

لكن اللي عمل نقلة كبيرة جداً 2011. البنات قبلها غير البنات بعدها.

البنات في الميدان كنت بسمع صوتهم والهتافات، يمكن عشان كده التركيز كان غير عادي على الاعتداء على البنات بالتحرش والاعتصاب، البنات كانت قوة محرك. 2011 كانت نقلة غير عادية بالنسبة للبنات المصرية، حسّت إنها قوية، إنها ممكن تواجه، والبنات اللي كانت متجوزة اتطلقت لأنها حسّت إنها قوية وقادرة تواجه ليه تستحمل الذل والجبروت وتخلّف القيم بتاعة الراجل، هو عايزها حاجتين تشيل المسؤولية معاه وتبقى شهرزاد، مينفعش.

مثلاً بعد 2011، مشاركتش في أحزاب، رغم إنني مؤمنة إن العمل لا بد من خلال تجمّع وأشكال، وطول عمري أقول عقل اتنين أفضل من واحد، عقل ثلاثة أفضل

من اتنين، أي عمل عشان يتم لازم من خلال تجمّع لكن العمل في الجامعة وبعدها خلاني عارفة وجوه كثير، حتى لو مش بمعرفة شخصية لكن بالأراء والاتجاهات، والتجربة الطويلة خلّني أحس بنقاط ضعف كثير، وسلبيات كثير، يعني مثلاً لازم يكون عندنا الشجاعة إن الشباب يتقدم الصفوف وتترك الوصاية. ما إحنا أهو -أنا هتكلم على نفسي- من أول السبعينات ما هي إنجازاتنا يعني، صح عملنا قدر من التراكم منكرش، لكن فلتترك الآخرين يعيشوا تجربتهم ويكتسبونها ويصحبوا مساهمهم. مش لازم نبقي زي الكورونا يبقى الواحد قاعد ويلدقي فيروساته في كل مكان، أنا مكنتش على استعداد أعيد التجربة ثاني، لكن كنت بخضر مع مجموعة من شباب حزب "الدستور" في المطرية، وأساهم بأرائي اللي ممكن تنفعهم بدون أن أتولى أي حاجة، هما شباب صغير ومنذفوع ومتحمس، وممكن أقترح حاجات في العمل الجماهيري وأقول رأيي زي زي أي واحدة أو أي واحد، وهما يتناقشوه ويأخذه. حتى حد قال لي "امسكي العمل الجماهيري" ورفضت، مكنتش ملية استمارة أو حاجة، قلت لهم لا أنا في وسطكم أهو ويقول آرائي.

مع إن علاقاتي تسمح لي أبداً من فوق، لكن مش دي طريقي. بحس أنهم يكررو نفس الأخطاء، نقعد نعمل ندوة نتقف نفسنا، ماشي طب ونتقف الناس إزاي؟ عشان كده "الإخوان" نجحوا. لما نقرأ كتابات الناس اللي انشقوا عن "الإخوان" ونشوف نشاطهم تمت إزاي، لا عملوا مجهود قاعدي غير عادي، لكن اليسار مبسوط، يكتبوا على ال-keyboard، وعشان كده لسه له كثير قوي.

مثلاً لغاية 2014 أو 2015 كنت شايفة إنه اتكسر حاجز الخوف، وكنت شايفاه بنطاق واسع بغضّ النظر حاجز الخوف دا اتجه فين. حاجز الخوف لما يتكسر يا إمّا يتجه إلى التنظيمات أو التجمعات أو أي شكل عنده رؤية للتغيير أو يتجه لشكل فوضي، واللي حصل الشكل الآخر، بالرغم من وجود أحزاب، لكنها من 2014 أو 2015 مفروض عليها قيود متديهاش حرية.

قدامنا كثير. وحتى لو حصل حاجة هيبقى فيه عشوائية برضو، ويمكن يحصل لكن الخوف من العشوائية. عايزة أقول لك فيه دول الدنيا فيها مأساة؛ العراق، سوريا، ليبيا كارثة حقيقية للمنطقة. مش عايزة أعكس السوداوية، لكن خايفة يكون فيه "سابكس بيكو" جديدة في المنطقة.

سهام بنت سنية وعبد السلام: لا توجد حياة سياسية مدنية جادة

سهام بنت سنية وعبد السلام، مواليد 1948.

درست الطب في جامعة عين شمس، تخصصت في الطب المهني (طب صناعات) ثم تركته، للعمل في مجالات أخرى، مثل الترجمة، ودرست الأنثروبولوجيا والنقد الفني. سنية أيضًا من دفعة بيومي فؤاد وإيمان السيد ونضال الشافعي في ورشات التمثيل في مركز الإبداع التابع لوزارة الثقافة. تعتبر نفسها مستقلة عن الحركة النسائية، وفي شهادتها تحدثنا عن شعورها بأنها مُستبعدة من المجال العام بسبب موقفها الرافض لختان الذكور، بينما الموقف الرسمي ضد ختان الإناث، وترى أنَّ الختان لن ينتهي إلا إذا فُزع إجراؤه للنوعين، أي للذكور قبل الإناث.

هذه الشهادة اعتمدت على مقابلة أجرتها عالية مرسى في 4 آب/أغسطس 2020.

مساواة منزلية

أنا سهام بنت سنية وعبد السلام، مواليد 1948 درست الطب، أنا طبيبة، لكن مش بمارس الطب. بعد كده درست النقد الفني في أكاديمية الفنون، بعدين درست أنثروبولوجي، ودرست ترجمة. ودرست تمثيل وأنا بمثل سينما ومسرح، ومثلت إذاعة قليل. اتولدت في القاهرة، وعشت فيها، وقليلًا ما غادرتها.

بنت سنية وعبد السلام. سنية اللي هي أمي، درست الفنون الطرزبة واشتغلت مدرّسة سبع سنين. لما اتجوزت أبويا قعدت في البيت، عشان تراعي البيت والأسرة. أبويا عبد السلام محمد الدالي، خُربح الأزهر. كان مدرّس لغة عربية، عيشنا مع بعض، وكانت عايشة معنا جدتي والدته، اتعلمت منها أمثال شعبية كثيرة وحكايات، هي كانت ست كفيفة وظريفة قوي. لما بقى عندي خمس سنين تزوج من واحدة ثانية، وعيشنا كلنا في بيت واحد. دا شيء متعب جدًا، وسبب لي مشاكل كثيرة قوي. أنا لي من أبويا وأمي، نبيل وعائشة،

أنا الكبيرة. وليّ من زينات اللي هي مرات بابا، محمد، الله يرحمه، ومُنَى. دي أسرتي الصغيرة، اللي هي أسرة النشأة. كان في أسرتي التعليم مهم جدًا، وكان دائمًا يقولوا لنا: "مفيش جواز قبل ما تخلصوا تعليمكم"، وعلى الأكل الشهادة الجامعية الأولى، دا كان شيء مقدّس. كان يقولوا لنا: "معندناش ولد وبنت، الولد والبنت حاجة واحدة"، حاجة واحدة في حاجات كثيرة، في التعليم، ويجلنا نفس الهدوم، ونفس الأكل، وإحنا بتنفسح نفس الشيء. لما كبرنا شوية أخويا ممكن يطلع يلعب في الشارع، لكن أنا يقولوا ليّ: "أدخلني اغسلي المواعين". أنا لحد دلوقتي بكره المواعين جدًا، بعترها شيء مذلّ.

قبل المرحلة التعليمية، كانت أمي حريصة جدًا على إنها كانت من وأنا عندي سنتين، تشتري لي قصص وتقرأها لي، ولما كبرت وبدأت اقرأ جلدتهم ليّ وأعطتهم ليّ في عيد ميلادي السادس، دي لسه موجودة عندي لغاية دلوقتي. سنية هي أول واحدة دخلتني سينما، أول واحدة دخلتني مسرح، كانت حريصة إنها تشتري ليّ في الأنشطة المدرسية، الموسيقى والخطابة، كانت حريصة على دا كله، والرقص، أنا فاكهة إني غيبة شوية في موضوع الرقص دا كنت بسرّج، كان العيال كلها رافعة إيدها اليمين وأنا لسه رافعة إيدي الشمال. مرة مدرّبة الرقص راحت سفخاني قلم، كنت في تانية ابتدائي، عيطت وقلت لها يا إما هقعد في البيت يا إما تخرجيني من فريق الرقص. الواحد ممكن يعيش من غير رقص، لكن ميقدرش يعيش من غير مدرسة. دي الحاجات اللي أنا فكراها.

دخلت المدرسة في 1954 اتعلمت في مدارس حكومية، وكان التعليم رائع. في الخمسينات والستينات، رابعة وخامسة ابتدائي قضتها في السودان، والدي كان في البعثة التعليمية، وروحنا معاه، وكانوا سنتين حلوين جدًا، نفس مستوى مدارس مصر. واخدة الابتدائية سنة 1960. استمرت في إعدادي، وحتى في ثانوي كنت في المدرسة اللي كان فيها مرات جمال عبد الناصر "مدرسة القبة الثانوية". مستوى التعليم راقى رقي غير عادي، وكان عيب قوي الطلاب يأخذوا درس خصوصي، البنت أو الولد اللي داخل مدرسة خاصة، دا معناه إنه خايب ومجيش مجموع يدخله المدارس الحكومية، لو قلنا الكلام دا اليومين دول ممكن تضحكوا. حاليًا أنا ناقدة جدًا لعبد الناصر وممارساته، لكن أيام ثانوي مؤيدة له بشكل أعمى بقيت ناقدة له أكثر، وشايفة إن انعدام الديمقراطية هو سبب بللوي كثيرة احنا فيها لغاية دلوقتي.

المدارس كان فيها أوضة موسيقى، وبنّاخ موسيقى بجد وآلات. أنا تعلمت صولفيج في المدارس، أختي بدأت تتعلم كمانجة، وودتها معاهد وكانوا شايفين أساتذتها أنها كويسة. كل دا حاجات كنت واخداها في ابتدائي وإعدادي، كان مستوى

المدارس مجهزة على أعلى مستوى. اخذت الثانوية العامة سنة 1966 ودخلت طب عين شمس. خلصت امتحان إعدادي طب ثاني يوم قامت حرب يونيو 1967.

كان الراديو عمال يقول "وقعنا كام طائرة"، وإحنا فرحانيين جدًا. أنا كنت بحب جمال عبد الناصر قوي والثورة. بعدين لقيت أبويا بيقول أظن ثاني يوم: "إحنا اتهمزنا يا جماعة"، إزاي واحنا موقعين خط الدفاع. بعدين كان أيامها عمة أمي أولادها مجندين وكانت بتخاف تقعد لوحدها، كان بيت أبويا في المطرية، وعمة أمي في وسط البلد. سمعت خطاب القنصلي عند عمتي حميدة عمة ماما، ونزلت مع الناس مكناش مصدقين. أنا كنت نازلة بقول له مع جبي الشديد له، بقول له خليك لما تخرجنا، أنا خارجة بالروح دي، لكن معرفش باقي الناس، إنما الناس كانوا عايزين عبد الناصر يقعد فعلاً وكان فيه ناس كثيرة قوي في الشوارع، لو شفتي فيلم العصفور، دا نفس اللي كان حاصل فعلاً. بعدين روحت عند أهلي، وبدأت أروح الكلية، كانوا فاتحين باب التطوع بعلومنا إسعاف وإزاي ندي الحقن في مخدرات، ولاقيت الموضوع تهريج، ومفيش حاجة جد تتعمل، روحت سايبه دا، وروحت تطوعت في المكتبة العامة. وحسيت إن دا جهد للبلد فعلاً على إني أروح أقعد مع أصحابي، قال إيه بندي المخدرات حقن! علمونا البندقية والرشاش البورسعيد، اللي هي ما تتفعش تعمل أي حاجة، ابتديت أحس قد إيه فيه تهريج وكوارث. ثاني سنة خلصنا إعدادي طب كُتًا بناخدها في كلية العلوم، أولى طب جُوه كلية الطب نفسها، وحصل المظاهرات بتاعة 1968 على أحكام الطيران. مكتش لسه شاركت قوي، بس كنت مذهولة. أنا بدأت أشارك في الحركة الطلابية في 1972 إنما قبل كده ما كنتش مشاركة حقيقية.

شاركت في الاعتصام، في كناية مجلات الحائط، وإدارة الندوات، وإعاشة الناس المعتصمين نقعد نلّم من بعض شلن ونروح نجيب لهم سندوتشات من نجف وحاجات كده. عن المشاركة في الحركة الطلابية، كان عندنا في طب عين شمس نشاط ثقافي كبير قوي، وكان في جماعة الأدب والفكر كُتًا نجتمع كل أسبوع ونناقش كتاب، يا نشوف مين كتب يشعر جديد ونقراه وننقده. كان فيه نادي السينما كان عامله أمير العمري، اللي هو دلوقتي ناقد سينمائي كبير وموجود دلوقتي في لندن، كان زميلنا بس كان أصغر مني بسنتين ثلاثة، كان النادي على مستوى أعظم نوادي السينما، كُتًا بتعرض فيلم قصير أو تسجيلي وفيلم طويل، ونعمل نشرة، ونستضيف ناقد، ونعمل ندوة بعد الفيلم. أنا فاكدة الله يرحمه دكتور علي المفتي، كان عميد الكلية، قال لنا: "انتوا هتقبلوها ليّ كياريه" لما نروح نطلب المدرج عشان تعرض فيلم، أوقات كُتًا بناخده، دي التبدات اللي بفتكرها. بعدين أنا كنت حد شاطر قوي، ودائماً بجيب تقديرات، كان

نفسني قوي أنني أدرس الفيروس، والفيروس دا مش كائن حي، ده شيء بين الجواد والكائن الحي، كنت عايزة أعرف هل له دور فعلاً في سبب السرطان، وإزاي نوقفه. عشان كده كنت طالعة الأولى على دفعتي في السيكلوجي والبيولوجي، لكن عشان كان ليّ نشاط في الحركة الطلابية، كان فيه تقارير أمنية ضدي، ومتخذتش في المنصب حتى في سنة الامتياز في أربع شهور منها نقلوني أسوان عقاباً ليّ 1972-1973. وكنت متشخصة عندي التهاب مفاصل روماتويد وقتها، وبعد كده طلع لوكيميا، ووكيل الوزارة قال لي: "عشان إنتي عندك روماتويد مرضيوش يسجنوكي ونقلوكي، ودي أوامر عليا"، قلت له أعرف من كده إن وكيل الوزارة بياخد أوامر من أمن الدولة! قال لي: "اكتبي اعتذار للسيد أنور السادات" قلت له بياخدوا منين استمارات السفر، قال لي: "أمشي اخرجي بره".

كانوا أربع شهور ظراف جدًا، وكانوا فرحانيين قوي كانوا يقولوا: "دائفاً بيعتوا لنا حد يعاقبوه لأسباب أخلاقية، أول مرة يعاقبوا حد لأسباب محترمة" حتى لَمَّا خلصت المدة بتاعتني، مدير المستشفى ومدير مديرية أسوان جم وصلوني لحد القطر. أنا بحب أسوان جدًا وبحب الصعيد، وأنا لحد دلوقتي رأيي إن لو مصر دي هتتقدم وتتطور مش هيجي غير من الصعيد. بعد كده جات ليّ نائبة عام في الطب، تبقي نائبة عن مدير المستشفى، بس ممارس عام، دي كانت في الخانكة جنب بيتنا، كنت باخدها مشي. كانت أيام حرب 1973 كانوا قاملين مستشفى البكري العام، ومستشفى بنها العام اللي تبع القليوبية، إحنا بقى كان بيصب عندنا كل المصابين بتاعة القليوبية وشرق القاهرة. كانت سنة صعبة جدًا، لكن أنا شخصياً استمتعت بها. بعد الخانكة روحت مستشفى في المنوفية.

لَمَّا نزلت الدراسات العليا، أنا اخترت أدرس الطب المهني وطب الصناعات، مكتش عايزة أدرس الطب السريري، لأنه بئس جدًا، والناس غلبانة قوي، والحكومة مفيهاش إمكانيات تعمل لكل الناس تحاليل وأشعة، حتى العمليات الصغيرة كانت بتتعمل من غير بنج.

فترة النيابة العامة بقى شفت بلاوي، ونقلت دم، وسهرت جنب صبيان وبنات بسبب عملية الختان. أنا أهلي معملوش لنا ختان، وأهلي كانوا متتورين قوي في الموضوع دا. أبويا كان يقول إن "الختان ملوش دعوة بالدين"، لكن عملوا للخواتي الصبيان. أنا متأكدة لو كانوا يعرفوا المعلومات اللي أنا أعرفها دلوقتي ما كنوش عملوها. أنا شفت الحاجات دي ومكتش أعرف المعلومات وقتها اللي أنا أعرفها دلوقتي، لكن قلت لهم دي جزارة أنا مش هعملها، قالوا: "ليّ أثقلقي أنتب الخسرانة لأن مش أي حد هيعمل الزائدة ولا أي عملية،

عالمية، تصوّر لهم مش إيجابي. كنت أنا وزوجي، لكن مستحتملتش أعمل في المجموعة.

موظفة صارت مترجمة فباحثة أنثروبولوجي ثم ممثلة

أهم المحطات في حياتي أولها محطة سيبان الطب، دي كانت خطوة كبيرة، أنا داخلة الطب بمزاجي، كنت محددة هدف في العلمي منه، مش الهدف إنني أكسب، وفشلت في دا. قلت طالما إنني مش في قسم علم الأمراض والأحياء طب عين شمس أي شيء يتساوى بعد كده. كان بيوحشني قوي علاقة الدكتور بالمريض لكن مكنتش قادرة. أنا مكنتش في بالي خالص أنني اشتغل خصوصي، وأنا كنت شايقة إن الناس تشتغل في الحكومة كويس وبعدين نعيش حياتنا، نروح مسرح، نقرأ، شغل الحكومة مكنتش فيه إمكانية، إننا نعمل الحاجات لو كتبناها في إمتحان نسقط. يقول لك مكنتش أكثر من عشر أقراس في الروشة في الوحدة الريفية، في حين صرفه عشان تدي لازم تدي أربع تابلت (أقراس) وبعدين قرصين ثلاث مرات في اليوم، يعني ستة في اليوم، في خمسة أيام، أحسبي بقى دول بيقوا كام. أنا مكنتش بدي عشرة كنت بدي الجرعة كاملة ويحققوا معايا. أنا سبت الريف وأنا منهارة عصيًّا وجسمانيًّا، مش لأنني كاره إنني اشتغل في الريف، بس لقيت مفيش نظام تشتغلي عليه، ودا من أسباب أنني اخترت اشتغل حاجة مش سريرية، دي محطة. المحطة الثانية الارتباط بالراجل، دي محطة في حياتي. بمستوى الوعي وقتها بتاعي، وقلة الخبرة. قلة الخبرة بالعالم، لأن إحنا كُنَّا خبّرنا كلها من القراءة، مش متصلين بالعالم، ولا أفهم الرجالة ولا حاجة، دي كانت محطة ثانية مهمة في حياتي. استكمالي لظروفي وحدي خالص، أنا اللي ربيت البنت، وأنا اللي صرفت عليها، أنا اللي ربتها. أكثر من الصرف كمان، إنك تربني، ما فيش حد معايا خالص دي كانت ثالث محطة. دراسة الأنثروبولوجي محطة مهمة جدًا، ودي وقتها أنا لَمَّا سبنا وميقاش بصرف علينا، ساعدوني أصحابي وجابوا لي شغل ترجمة، كان مركز عين شمس للتأهيل كان تبع الهلال الأحمر الفلسطيني، لَمَّا اتضربت المقاومة في بيروت ونقلوا مصر، الدكتور جين كالدو رينا يديها الصحة، دي ست إستراتيجية، أخصائية تربية. قالت إنها لقت وعملت في بلدها كل ما يمكنها، ونفسها تخدم ناس محتاجين خدماتها، وكانت بتتفرج على فيلم vanessa red pink وشافت طفل معاق، وقالت: "أنا عايزة أخدم الناس دول". تطوعت، ونشأ الأقدار إن هذا الطفل كان اسمه حمودة، كان عنده شلل دماغي رباعي مع تخلف عقلي، وكانت مسمياه the professor تقولنا لازم كلنا نتعلم منه، نتعلم إزاي نحترم الإنسان، وبيدي على قد قدراته. كان لَمَّا يحصل قذف، يلاقوا الأطفال الأصحاء في ناس تتباهم، المعاقين كان يتباهم الهلال الأحمر. كانت

لكن كل الناس هتعمل الختان". اخترت الطب المهني اللي هو الطب الصناعي الفرع الوقائي بحث علمي، طلعت الأولى على دفعتي في عين شمس في التخصص دا، وعيتوني في القاهرة عشان أعمل إيه! أقعد على مكتب أحل كلمات متقاطعة، بيقولوا ليّ جاي لنا كشوف بإدارات الميه اللي حنيتها بايطة في أحياء القاهرة السبعة، مال دا بس باللي أنا درسته! أنا باجي هنا أعمل إيه! يقولوا لنا فيه فرن الناس بيشتكو روجي عايتي، أروح أعاين إيه! أنا كطبيبة طب مهني المفروض إن علاقتي بالبنى آدم برضو، اشتغل مع كيميائي الطب المهني، هو يلم لي عينة هواء ونحلها، وأنا بعرف ألم عينات الهواء ويعرف أحل. أو أهل الحوامدية بيشتكو من مصنع الإسمنت، أقول لهم أطلع أنا بالجهاز وأنا مستعدة، بس الكيميائي يعمل لي ميه متقطرة، يقول لي: "يا لهوي لسه هاقعد أعمل ميه متقطرة إنتي خدي عربية واطلعي بصي كدا واكتهي تقرير"، أقول لهم طب إيه الفرق بين إنهم اشتكوا لقسم طب صناعات في الوزارة، أو اشتكوا لقسم الحوادث في جريدة الأخبار، ما هيتدوا عربية ويطلعوا يبصوا ويقولوا عليهم عفرة وإيش عرفنا العفرة دي، وهما عندهم صناعة السكر وبيتحدف عليه إسمنت من طرة، إيش عرفني الشكوى اللي في صدر الناس من إيه، أنا مهتمتي الناس، ومعايا الكيمائي، ومفيش بقى. قررت في الآخر إنني كده كده هنسى الطب بيقى أروح أثبتته، وكنت سجلت الدكتوراه في الطب المهني وطب الصناعات، وأتقبل المقترح بتاعي في مجلس الجامعة، كان لازم في حاجات أروح أشغل فيها، مديري مش عايزيني أتدرك من على المكتب.

"إنتي موظفة هنا تمضي حضور وانصراف، تقعدي". قلت على إيه وجع القلب، هنسى الطب، وهيقى حمارة زبه وزى اللي قاعدين دول، حتى كتبت سيناريو اسمه "آخر جد"، عن مكاتب وقاعدين عليها اللي بيحل كلمات متقاطعة واللي بيقم بامية واللي بيرغوا، وكلهم مديرين وعليهم يقط، الدكتور راح والدكتور جه. أنا رحت مستقيلة لحد النهاردا لا قبلوا استقالتي، ولا اتفقدت. قعدت في البيت وكنت اتجوزت وقتها ودي حدوتة زواجي، خلفت بنتي، رضعتها رضاعة طبيعية، وربتها ثلاث سنين. حاولت أبقي في عيادة مع واحدة زميلتي في المعصرة اللي هي منطقة شعبية، وفشل المشروع تمامًا.

مرورًا على انتفاضة 1977

لم أشارك في انتفاضة الخبز مثلاً، وإن كنت مشيت من حدائق حلوان لوسط البلد على رجلي، وشوفت بعيني الانتفاضة، عديت على كل الطرق والمصانع، وشوفت الناس المضروبة بالرصاص في باب اللوق.

في وقت الحراك الطلابي كنت مع مجموعة يسارية غير

حين مامتهم، كان في ثلاث أطفال، دلال مكفوفة ودلوقتي أخذت الدكتوراه حبيبتني، وبدر كان شلل دماغي نصفي، فتحو له بقالة لأن مستواه مكملش في التعليم، عملوا له دورات تعليمية خاصة به، ودلوقتي عنده بقالة في غزة. دي كانت من أغلى سنوات حياتي، الستين اللي اشتغلهم في الهلال الأحمر الفلسطيني. أنا كنت دائماً بشتغل شغلنتين ثلاثة، مش شغلانة واحدة عشان أعرف أصرف على البيت. اشتغلت مع محسن زايد¹ في إنشاء قصر السينما. لَمَّا جات فكرة إنشاء قصر السينما، لَفَوْه بها، وَاَتَعَرَفْتُ عَلَيْهِ وَعَلَى مَجْمُوعَةٍ ثَانِيَةٍ وَاشْتَغَلْنَا مَعَهُ فِي إِثْشَاءِ قَصْرِ السِّنِمَا. دَا كَانَ اسْمُهُ شَغْلَ ظَهْرَاتٍ، مَشْ مَثْبِتِينَ، إِحْنَا كُنَّا بِنَشْتَغِلْ لَدُنَّا حَابِينَ الشَّغْلَ مَشْ لِّي سَبَبٌ ثَانِي. مَوْضُوعُ الشَّغْلِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ دَا كَانَ بَعْدَ كَدِهِ لَمَّا مَشْيُوا الْفِلَسْطِينِيِّينَ وَأَنَا مَرْوَحْتِشْ مَعَاهُمْ، اِشْتَغَلْتُ فِي مَرْكَزِ الْقَاهِرَةِ لِحَقُوقِ الْإِنْسَانِ. اِشْتَغَلْتُ فِيهِ مَرْجُمَةً. بَعْدِينَ لَقِيتْ نَازِلَ إِعْلَانٍ فِي الْمَرْكَزِ عَنِ الْإِمِيدِيستِ، وَأَنَا قُلْتُ يَمَا إِنِّي بِنَشْتَغِلْ فِي حَاجَةٍ قَانُونِيَّةٍ يَبْقَى أُنْمِيهِ أَكْثَرُ وَقَدِمْتُ فِي الْكُورْسِ دَا. عَمَلُوا لِي اخْتِبَارَ أَوَّلِي، كُنْتُ أَنَا وَكَذَا حَدِّ قَالُوا لَنَا: "لَا أَنْتَوَا مَحْتَاجِينَ تَاخُدُوا إِنْجِلِيزِي أَصْلًا"، وَعَمَلُوا لَنَا دُرُوسَ بَحْثٍ وَكُنَّا بِنَاخُذْ مَنَاهِجَ بَحْثٍ. كُنْتُ أَنَا رَابِحَةٌ جَايَةٌ فِي الْإِمِيدِيستِ وَلَقِيتُهُمْ مَعْلَقِينَ إِعْلَانَاتٍ عَنِ مَنَحٍ عَنِ مَاجَسْتِيرِ جَدِيدٍ فِي أَمْرِيكَ، وَأَنَا مَشْ عَابِزَةٌ أَسِيبُ مِصْرَ، وَهُمَا اللَّيْ جَمْ كَلْمُونِي، قَالُوا لِي إِنْتِي مَشْ بِنَقْدَمِي لِيهِ، إِحْنَا مَشْ عَابِزِينَ الْحَاجَاتِ دِي تَرْوُجْ لِّي نَاسَ وَعَابِزِينَهَا تَرْوُجْ لِنَاسٍ جَادِينَ، وَإِنْتِي حَدِّ جَادٍ وَشَايْفِينَ إِنَّكَ تَسْتَاهِلِي إِنَّكَ تَاخُذِيهَا. قُلْتُ لَهُمْ لَا مَشْ هَسِيبُ مِصْرَ، تَجِبُوهَا لِي فِي الْجَامِعَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَأَنَا أَخُذْهَا، أَنَا يَتَكَلَّمُ بِهَزَارٍ، قَالُوا لِي عَمْرَنَا مَا عَمَلْنَاهَا بَسْ تَجْرِبْ، وَخِلَاصَ مَشَيْتْ. فُجَاءَ فِي يَوْمٍ قَوْمِي رُوحِي الْجَامِعَةِ وَمَعَالِي الْأَوْرَاقِ الثَّالِيَةِ عِشَانِ تَسْجَلِي، وَقَبْلُونِي فِي 1996. رَحْتُ دَرَسْتُ الْأَنْثُرُوبُولُوجِي، تَتَلَمَذْتُ عَلَى يَدِ دُكْتُورَةِ ثَرِيَّةٍ التُّرْكِي، وَتَتَلَمَذْتُ عَلَى يَدِ مَجْمُوعَةٍ هَائِلَةٍ مِنَ الْأَسَاتِذَةِ. أَنَا فِي وَقْتِهَا كُنْتُ فِي مَرْكَزِ الْقَاهِرَةِ، كَانَ بَدَأَ بِدَايَةِ مُؤْتَمَرٍ بِكِينِ وَالْكَلامِ عَنِ خَتَانِ الْإِنَاثِ، قُلْتُ أَنَا أَعْرِفُ أَقُولُ لِلنَّاسِ كَلِمَتَيْنِ فِي الطَّبِّ وَهَاقِيَتْنَعُوَا وَاكْتَشَفْتُ أَنَّ الْمَوْضُوعَ مَلُوشْ دَعْوَةٌ بِالطَّبِّ، وَالْمَوْضُوعُ ثَقَافَةٌ. كَانَ هَدْفِي مِنَ مَاجَسْتِيرِ أَدْرَسُ الْمَجْتَمَعَاتِ بِنَفْكَرِ إِزَازِي وَتَغْيِيرِ إِزَازِي، دَا كَانَ هَدْفُ إِنِّي أَخُذْ أَنْثُرُوبُولُوجِي. فِي مَرْكَزِ الْقَاهِرَةِ لَمَّا كُنَّا بِنَرْوُجْ مَعَ الْأَكْسَفُورْدِ ضِدَّ خَتَانِ الْإِنَاثِ مَعَ مَارِي أَسْعَدَ، وَعَزِيزَةِ حَسِينِ، أَنَا لَفِيتْ مَعَاهُمْ مِصْرَ كُلَّهَا، تَتَكَلَّمُ مَعَ النَّاسِ، اكْتَشَفْنَا فِي الصَّعِيدِ قَرْيَةً بَطَلُوا خَتَانِ الْإِنَاثِ. أَبَامِهَا فِكْرُنَا كُنْتُ أَنَا وَدُكْتُورَةُ أَمَالِ عَبْدِ الْهَادِي، وَكُنَّا بِنَفْكَرْ فِي بَحْثٍ عَنِ اتِّجَاهَاتِ الْأَطْيَاءِ نَحْوِ خَتَانِ الْإِنَاثِ. أَخَذْتُ أَنَا اتِّجَاهَاتِ الْأَطْيَاءِ، وَهِيَ أَخَذَتْ دِيرَ الْبَرْشَا. بَعْدِينَ أَنَا كُنْتُ

1 سَنَارِسْت (1944-2003).

بَدَأْتُ أَسِيبُ مَرْكَزَ الْقَاهِرَةِ، شَفْتُ فَرَاشَةَ كَارُوهَاتِ زِي بِالْظِطِّ لُوحَةً الشُّطْرَنْجِ أَبْيَضَ فِي أَسْوَدَ، فَضَلْتُ مَبْطَلَقَةً لَهَا وَهِيَ بِنَظِيرِ لَحْدٍ مَا اخْتَفَتْ، دَا رَفَعَ مَعْنَوِيَاتِي إِزَازِي. فَرَاشَةُ طَايِرَةٍ مَشْ بِنَاعَةٍ حَدِّ، كَامَ حَدِّ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الرُّوَاقَةِ إِنَّهُ يَشُوقُهَا، أَنَا شُوقْتُهَا، تَضْحَكِي عَلَيَّ وَتَقُولِي مَجْنُونَةٌ (تَضْحَكُ).

حَتَّى لَمَّا دَخَلْتُ مَرْكَزَ الْإِبْدَاعِ الْفَنِّي، خَالِدُ جَلَالُ حَكَّ دَا فِي الْحَوَارِ بِنَاغِ الْمَسْرُحِيَّةِ بِنَاعَتِنَا (صَمْتُ) الْفَرَاشَةَ الْكَارُوهَاتِ كَانَتْ فِي شِدَّةِ الْأَهْمِيَّةِ، بِكَلْمِكَ وَأَنَا قِصَادِي لُوحَةً رَسْمِهَا صَدِيقَتِي سَارَةَ عَنَانِي، هَيْمَانَةُ فِي الْمَلُوكُوتِ وَطَايِرَةٍ وَرَايَا فَرَاشَةَ كَارُوهَاتٍ، وَكَاتِبَةٍ عَلَيْهَا سِهَامٌ فِي أَرْضِ الْعَجَائِبِ هِيَ رَايَهَا إِنْ السَّفِينَةُ الْأَمَّ هَتَنْزَلُ تَاخُذْنِي فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، إِنِّي أَمَشِي مِنْ هُنَا. مِنَ الْمَحْطَاتِ الْجَمِيلَةِ فِي حَيَاتِي، لَمَّا انْضَمَيْتُ لِمَجْمُوعَةٍ "قَالَتِ الرَّاوِيَّةُ" فِي "الْمَرْأَةُ وَالذَّاكِرَةُ". أَنَا طَوَّلَ عَمْرِي بِحُبِّ الْحَايَاتِ الشَّعْبِيَّةِ، وَكُنْتُ بِسَمْعٍ مِنْ جَدَّتِي، وَمِنْ أُمِّي، وَمِنْ مَرَاتِ أَبُوبَا، وَمِنْ الْجِيرَانِ. التَّلْفِزِيُونُ دَخَلَ مِصْرَ مُتَأَخِّرًا فِي السَّنِيَّاتِ، قَبْلَ كَدِهِ كَانَ مِنَ التَّنَسَّالِي إِنْ تَحْكِي لَنَا الْحَوَادِثَ، وَلَمَّا نَقَعْدُ نَطْلُبُ بِالنَّهَارِ وَعِشَانِ مَامَا تَوْزَعْنَا نَقُولُ لَنَا مِينَفْعَشْ غَيْرَ بَلِيلِ أَحْسَنِ فُلُوسِي تَصْدي! سَمِعْتُ حَايَاتٍ كَثِيرَةً قَوِي. هِيَ كَانَتْ مَامَتِي تَحْكِي لَنَا حَايَاتٍ شَعْبِيَّةٍ، وَكَانَتْ فَرَأَتْ حَايَاتِ الْإِخْوَةِ جَرِيمَ، وَكَانَتْ تَحْكِي لَنَا. الْحَكِي الشَّفُوي كَانَ جِزْءَ كَبِيرٍ مِنْ تَوْكِينِي، مَرَّةً حَضَرْتُ حَكِي فِي "الْمَرْأَةُ وَالذَّاكِرَةُ"، وَانْهَرْتُ بِهِمْ، وَكُنْتُ أَعْرِفُ نَادِيَةً وَاصِفَ. كُنْتُ أَعْرِفُهَا مِنْ تَاسَكِ فُورْسِ وَمَوْضُوعِ خَتَانِ الْإِنَاثِ وَهِيَ كَانَتْ بِنَشْتَغِلْ وَقْتَهَا مَعَ "الْمَرْأَةُ وَالذَّاكِرَةُ"، وَقَالَتْ لِي: "إِنْتِي لَارِزْ تَنْضَمِي". انْضَمَيْتُ وَحَبِينَا بَعْضَ فِي "الْمَرْأَةُ وَالذَّاكِرَةُ"، وَكُنْتُ مَعَاهُمْ. دَالِيَا بِسَيُونِي أَبَامِهَا كَانَتْ بِنَخْرُجْ لَنَا وَقَالَتْ لِي: "لِيهِ مَا بِنَحْكِيشْ؟" قُلْتُ لَهَا أَخَافُ، قَالَتْ لِي: "جَرَبِي"، وَاللِّي شَجَعْتَنِي أَكْثَرَ كَارُولِينَ خَلِيلَ بَعْدَهَا، بَسْ كَانَ دَائِمًا رِيقِي يَنْشَفُ وَأَطْلَعُ عَلَى الْمَسْرُحِ وَمَعَايَا زَجَاجَةِ الْمِيَاهِ. مَرَّةً كُنَّا بِنَحْكِي عَلَى مَسْرُحِ مَرْكَزِ الْإِبْدَاعِ الْفَنِّي، وَعَجِبْتُ خَالِدُ جَلَالُ وَبِيحِينِي قُلْتُ لَهُ عَلَى إِيهِ، دَا فِيهِ مَشَاكِلُ صَوْتٍ وَمَحْتَاجَةٌ أَخُذْ وَرْشَ إِعْدَادِ، وَأَنَا كُنْتُ أَخَذْتُ وَرْشَةَ إِعْدَادٍ مَعَ رَاقِصَةِ مَكْسِيكِيَّةٍ، كَانَ جَابِيهَا حَسَنُ الْجَرِيْتَلِي وَأَخُذْنَا وَرْشَةَ جَامِدَةٍ فِي الْمَسْرُحِ الصَّغِيرِ، أَنَا عَارِفَةٌ إِنْ الْإِعْدَادَ الْمَسْرُحِي هِيَسَاعِدْنِي، قَالَ لِي: "إِحْنَا هِنَفْتَحْ وَرْشَةَ مَا تَقْدَمِي"، قُلْتُ لَهُ لَا أَنْتَوَا كَاتِبِينَ وَرْشَةَ شَبَابٍ تَاخُذْ شَبَابًا! قَالَ لِي: "قَدَمِي بَسْ". كُنْتُ عَدِيتُ الْخَمْسِينَ وَقْتَهَا، 52 سَنَةً، قَدِمْتُ وَأَنَا بِقَوْلِ هِيَخْدُونِي عَلَى إِيهِ، أَكِيدُ هَسَقَطُ، فُوجِئْتُ أَنِّي نَجَحْتُ، أَنَا الدَّفْعَةُ الْأَوَّلَى، دَفْعَةُ يَوْمِي فُؤَادِ، إِيْمَانُ السَّيْدِ، كَانَ دُولُ اللَّيْ بِقُوا نَجُومَ مِنْ دَفْعَتِنَا، وَنُضَالُ الشَّافَعِي. كَانَتْ فِتْرَةٌ جَمِيلَةٌ جَدًّا، الْمَتْعَةُ وَالْعَذَابُ، كَانَتْ صَعْبَةٌ بَسْ كَانَتْ جَمِيلَةً جَمَالٌ غَيْرَ عَادِي.

ضد ختان الإناث والذكور

مجرد أنني امرأة وعندي جهاز تناسلي قادرة أحمل فيه، يتفرض عليّ الحمل والولادة في ظروف ميفعش خالص، وأنا مش عايزة، أنا شايقة إن دا انتهاك. لما كان وإحنا صغيرين يقولوا لنا اغسلي المواعين، وأخويا بيلعب، دا انتهاك. لما كان أبويا ومراته على طول الفستان مثلاً وإحنا في ابتدائي مع العلم إن هما ناس متفتحين، وكان أبويا اللي بيشتري لنا المايوهات عشان ننزل البحر، لكن غير البحر ما نلبس قصير.

يعتبر نفسي مستقلة عن الحركة النسائية، ومعتقدش أنني مرحب بيّ قوي في وسطهم. أنا ضد ختان الذكور، زي ما أنا ضد ختان الإناث. طبعا رأيي إن دا أحد أسباب استيعادي، أنا من أهم الناس اللي درست الختان في مصر، وأنا الماجستير بتاعي كان عن *the female sexuality and the power* discourse في الجامعة الأمريكية في القاهرة، وكانت الجامعة بتدي منحة واحدة لحد من مصر وأدوها لي، وكان أول مرة يتعمل المنحة تتعمل بحث الزمالة وتبقى مساعدة، قدمت مقترحات واتقبلوا كلها، واخترت أنني اعمل بحثي *the male genital mutilation a semi study of gender issue* عن ختان الذكور. هو بحث عن وعي المثقف وختان الذكور، لأن المثقفين ضد ختان الإناث لكن مع ختان الذكور، أو يقولوا لك ملناش دعوة، ودي كانت المنحة بتاعتني. لكن أنا مستبعدة من المجال العام عشان أنا بتكلم في ختان الذكور، بينما الموقف الرسمي إحنا ضد ختان الإناث وما لناش دعوة بختان الذكور.

في إنجازات تحققته، لكن مداها عايز مزيد من الدراسة. دلوقتي فيه قاضيات، لكن هل فيه قاضيات جنائيات، على أيام ما أنا تخرجت مكنش فيه جراحات، كان فيه جراحة واحدة بس، ودي كانت فرخة بكشك، مش فاهمين. دلوقتي في جراحات كثيرة قوي. دلوقتي في فريق كرة قدم نسائي، فيه عندنا كام وزيرة، طبعا في كثير اتحقق، وإن كان على الصعيد الآخر على المستوى العام في تطورات، وعلى المستوى الخاص بقى، الحجاب والتقاب، وكل الكلام دا متزايد.

مثلاً مقتنعة إن في موضوع الختان، لن ينتهي ختان الإناث إلا بانتهاء ختان الذكور معاه. الأجيال كلها بالكامل الأطباء والمشايخ، والقوى السياسية يخليهم رافضين يدافعوا عن الأطفال الذكور زي ما يدافعوا عن الأطفال الإناث. في الآخر الناس بتفكر طيب ما الصبيان بتتخن، والصبيان بتتغذب والصبيان بتموت، أنا عندي مركز معلومات عن ختان الإناث، وبتيجي للباحثين، وأنقذت به كذا ولد، وكذا بنت. من الصحف المصرية صبيان ماتوا بإيد الأطباء، وبغير الأطباء، زي البنات بالظبط، فهو *its an institution* زي ما *marriage institution, it is institution of body control* شغال

على اثنين *gender means male and race and gender* female not female only (موضوع مؤسسي زي ما الجواز مؤسسي، مؤسسة السيطرة على الأجساد، شغال على ناحيتين العرق وقضايا النوع، والنوع يعني ذكور وليس إناث فقط)، حتى هي تسمى الوعي الزائف، وطبعا أنا أستاذي الدكتور محمد عناني، وأنا دخلت أدرس ترجمة وأنا مترجمة وليّ كتب في السوق ودخلت علشان أتتلمذ على يد محمد عناني، ومرة بترجم *gender issues* أو قضايا النساء، وقلت له لا، قال لي: "هي أصلاً بتتقال بالمعنى دا"، قلت له بالمعنى دا عشان فيه تزييف، إنما جندر نساء ورجال، ولما بترجمي *gender issues* الناس تاخدها على إنك هتتكلمي عن قضايا النساء، ودا مش حقيقي، وقضايا الرجال كمان، بكل ما فيها *body politics, social politics*، وهنا أصل الإنحياز مش علشان راجل معين محمد، ولا علي، ولا بطرس، لا عشان البطريكية ودا بيفسر له فيه تمييز ضد النساء وضد الرجال، وإن كان بأشكال مختلفة، وإن كان طبعا بيبقى فيه محابة للرجال بما إنهم صورة البطريك.

مثلاً شايقة دلوقتي إن كل حاجة واقفة. ما فيش أي حراك من أي نوع (ضحك) شايقة ركود كده مش عارفة له، في كل حاجة دا بسبب كورونا، ولا كورونا جات على الطيطاب! لكن من الحاجات الكويسة الحراك اللي بيحصل دلوقت، في وقتنا الحالي عن التحرش، كنت شفت بنفسني التحرش الجماعي اللي حصل أمام سينما مترو³ في وسط البلد. فأكبر إن بنت مسكت واحد ضربته، قلت يا بنتي ما ممكن يكون معاه مطوة، تقول لي: "أموت بس مسكتش لواحد زي دا".

المستقبل

إحنا واقعين ما بين الشاويش والدرويش، من دا لدا. الحياة السياسية المدنية بجد مقيش. واللي بتكلم بيأخذ على دماغه، من دا ومن دا. كأننا كنا بننور عشان يجي على دماغنا. اللي حصل الشعب يريد تغيير النظام، والنظام ما اتغيرش، النظام ضحي بواحد عشان يبقى، دي وجهة نظري.

بالنسبة للمستقبل متشائمة، وإن لم يكن الناس فعلاً هتقدر إنها تاخذ مقاليد حياتها بإيديها، وفي حاجات كثيرة خارجية، زي الميّه. هنعمل إيه في الميّه، مش متفائلة أبداً. عاجزة وأنا اللي بعمله اللي يعرف عمله، يعني أترجم أكتب نقد، لما تيجي ليّ أي حاجة من دول، وأفعد اخلي بالي من بيتي وقططي، لما ميبقاش فيه حاجة زي اليومين دول.

3 واقعه جرت أمام سينما مترو عام 2006.

2 https://fount.aucegypt.edu/retro_etds/1317/

سهام نجم: لا يوجد حراك نسوي... المناخ العام لا يساعد

كان معانا أجايب كثير جدًا ساكنين معانا في بورسعيد في منطقة اسمها "حي الإفرنج"، بورسعيد على فكرة قديمًا أو من حوالي 50 أو 60 سنة لحد وقت قريب ثلاث مناطق، الإفرنج، والعرب، والمناخ دول اللي مركز فيها بورسعيدية. وفيه منطقة رابعة يفصلها عن بورسعيد قناة السويس، اسمها "بورفؤاد".

بورسعيد كانت متميزة بطلتها الجميلة لأنها بتطل على البحر المتوسط، أول مدينة من ناحية الشرق، وأول مدينة على خط قناة السويس والقوافل اللي كانت جاية من السفن سواء سفن ركاب أو سفن شحن بتعدي القناة اللي بتدخل من بورسعيد، بتسميها قوافل الشمال، طبعا كان لها تقاليد جميلة وهي داخلة. لما كنا نقف على شط قناة السويس عشان نشوف القوافل دي وهي داخلة بورسعيد كان لها رونق جميل، سفن من كل أنحاء العالم بتعبر القناة يا إما عشان تكمل مشوارها، يا داخلة بورسعيد عشان تعدي على الإسماعيلية والسويس وتطلع بعد كده على منطقة المحيط الهندي، تدخل على البحر الأحمر وبعدين المحيط الهندي وبعدين تكمل رحلتها إلى بعض الدول في شرق آسيا، أو بتيجي من الجنوب، ورحلة الجنوب اللي هي بتدخل السويس وتتجه للإسماعيلية وتطلع على بورسعيد عشان تتجه للبحر المتوسط ودول أوروبا أو أمريكا. بورسعيد من حيث المناخ الثقافي والاجتماعي كانت حميمية ومتنوعة وثرية. البحر المتوسط وقناة السويس بيدوا سمات شاعرية وصفاء وجمال زي ساكني المناطق الساحلية.

فترة الوعي بتاعتي أوائل الستينات، دخلت المدرسة في الفترة دي، والثقافة الجماهيرية اللي تأسست في الستينات كانوا ينشروا الثقافة بين الناس وحظوا شاشات كبيرة في مناطق تجمع الناس بحيث تدي بديل للي معندوش تلفزيون يبقى يقدر يطلع على هذه التفاعلات الثقافية في الشارع. كان فيه شاشات على الكورنيش في بورسعيد، بتنقل حفلات أم كلثوم والبرامج الثقافية. كنا ننزل في الجو الجميل مع أسرتنا ويبقى معانا السندوتشات بتاعتنا وقاعدين على الكورنيش شايفين الشاشات الكبيرة في الهواء الطلق. كمان أفكر كان في ساحات مفتوحة على البحر فيها ألعاب مختلفة، زي كرة الشاطئ نقدر نلعب فيها وكانت بدون تكلفة، وأي حد من الأطفال يقدر يدخل. دي حاجات بسيطة ملامح أثرت في. كمان كان فيه مهرجانات يتمشي في الشوارع، ما بين مهرجان أوربي قوي زي اللي لابسين ماسكات شخصيات أجنبية وماشين بها إحتفالية، وما بين إحتفالية ثانية اسمها "عيد الصيد" لأن في بورسعيد الصيد مهنة رئيسية، المهنة الأخرى اسمها "البسكرة" اللي هما اليمبوطة اللي بيطلعوا على المراكب يعملوا تفاوض مع المراكب اللي جاية من الجنوب أو الشمال، السفن العابرة على قناة السويس

مرت سهام نجم، مواليد 1954، بتجارب ثرية تتنوع بين معاشتها حرا في طفولتها في مدينتها بورسعيد، التي تستعيد الحياة فيها كأنها مدينة فاضلة. بعد الحرب هجرت سهام وبقية أهالي بورسعيد إلى رأس البر، لتعيش حياة غير مؤهلة، حيث كان سكنهم في عشش المصيف.

ومن التهجير عايشة حالة اللادرب واللاسلم مع الحركة الطلابية في أوائل السبعينات، حتى اختيرت لتؤدي دورا حيويًا في آخر اتحاد طلاب أدى دورا سياسيًا في منتصف السبعينات، قبل سيطرة الأمن على الجامعة التي بدأت بعد انتفاضة الخبز، وغيرها من التجارب التي تقدم لنا ريق خلاصاتها في هذه الشهادة التي اعتمدت على مقابلة أجرتها عالية مرسى معها في 7 حزيران/يونيو 2020.

تري سهام أنّ دورها كواحدة من المهمات بالعمل الأهلي هو مساعدة النساء اللاتي ولدن تحت وطأة ظروف قهرية عبر تعليمهنّ، كما تعتبر أنّ العمل الأهلي عليه أن يصل لسبل التمويل الذاتي، بدلًا من التمويل الأجنبي.

أجمل مدينة في العالم

اسمي سهام السعيد نجم، أحب أذكر اسم والدي في اسمي. مواليد 1954، مواطنة مصرية عربية، أعشق بلدي اللي هي مصر بالدرجة الأولى، وبعدين الأمة العربية والإنسانية جمعاء. واحدة من ضمن مئات الآلاف أو ملايين النساء اللي بيناضلوا في الحياة من أجل شيء جميل مثل العدالة والحرية والكرامة الإنسانية. يمكن دا مرتبط إلى حد كبير بنشأني في مدينة من أجمل المدن في العالم وأرقاها، أنا زرت حوالي 63 دولة حول العالم في مؤتمرات متنوعة مشفتش مدينة زي مدينة بورسعيد.

كان لبورسعيد شأن كبير في تشكيل وضعي وخالتي منذ الطفولة. نظيفة وجميلة قوي ورجية وطيبة، ومن أكثر المدن اللي كان فيها قدر من التنوع الثقافي العام، لأن

ويتاجروا معها ويدّوها أشياء ويأخذوا منها أشياء ثانية كتجارة.

وفي عيد الصياد كانت بتطلع عربيات النقل بتكون مفتوحة وكل شخصية كبيرة رئيسية من الناس أصحاب المحلات الكبيرة أو اللي عندها جموع عمال كبيرة بتاعة سمك يقدموا النشاط بتاعهم الفني في هذا اليوم، وكل عربية بتعدي باسم تاجر معين أو شخصية معينة يقدم فيها فن هذا التراث، اللي هو تراث بيدي خصوصية جدًا لهذه المنطقة. بورسعيد جمعت بين فكرة أنها قادرة تستوعب الثقافة الأوروبية في أنشطة، وقادرة تستوعب كمان الأنشطة الثقافية الوطنية أو الخصوصية بتاعة هذه المنطقة، زي كمان الحفلات المواكب بتاعة الصوفية اللي هي قريبة من الحج، بتطلع تعمل مواكب من الجماعات الصوفية والجماعات المختلفة، جماعة السنة المحمدية وما إلى ذلك. وتعمل إنشاد في الشوارع وتنبه الناس إننا على مقبل عيد الأضحى أو مقبل الحج وكسوة اللعبة لما كانت بتطلع، فهنا فيه حالة جامعة وشاملة من حيث الثقافة والتنوع واستيعاب الآخر.

يمكن هنا عايزة أقول، إني نشأت في بورسعيد، أتولدت ونشأت أنا وأخواتي كلهم في بورسعيد من أم وأب ثروتهم في الحياة هي أولادهم، ما عندهم غير ولادهم. والذي كان موظف حكومة، ووالدتي متعلمة تعليم اللي بيسموه "ثانوية نسوية" ولم تعمل، لكن كانت شاعرة وكان خطها مشفتش في جماله، وبتكتب بخطها الجميل شعرها. والذي ووالدتي حرصهم الكبير في إن استثمارهم في أولادهم لأننا كُنا ست بنات وأخ واحد، إحنا أسرة متوسطة لكن اشتغلوا قوي على فكرة إن التعليم هو اللي يأسس ويخلق مجالات كبيرة قدام الجيل الجديد ونجدوا إننا طلعنا كُنا خريجين جامعة في مجالات متنوعة، زراعة وتجارة وعلوم.

قريبًا من الحرب

كان عندي حوالي 13 سنة لما حصلت النكسة، ومكنتش قادرة استنوع غير إننا حصلنا هدر قوي جدًا في قوتنا وجيشنا وصدمة عالية، لكن اللي أثر في أكثر هو خطاب التنحي، لقبت والذي بيعيط، وبعدها بدقائق لقبت بورسعيد كلها مظاهرات، ودا كان بالنسبة لي حالة قريبة من الشجن اللي موجود عندي والتي حاسة بيه. الشوارع مليانة، وفضلت المظاهرات لحد وقت متأخر، ومستنيين رد جمال عبد الناصر على إن الشعب طلع قال له إننا هنكمل ونبني نفسنا وهنتحدى ومش هنتسلم، أنا كنت مش عارفة أنا، وإحنا كُنا بننام بمواعيد، وبابا وعدني إن لو عبد الناصر اتكلم هيصحبني.

بدأ الطيران الإسرائيلي حالة غزو وضرب تجمعات سكنية بلد رحمة ومستشفيات ومدرسة بحر البقر مثلاً، وعبد الناصر قرر له بد من هجرة سريعة من الإسماعيلية والسويس

في 1967. وبعدين كان بيوصل لنا إن الطيران القاتنوم الإسرائيلي يطلع ساعات فوق القطارات اللي بتحمل الناس اللي وخداهم من الإسماعيلية عشان توديهم أماكن ثانية أبعد، ويرشها بالنابالم يحرقها، كُنا بنسمع دا ساعتها في بورسعيد، واستئينا في بورسعيد لحد 1969.

كان فيه طقوس متعلقة بالسنتين دول، كُنا بنسمع أصوات دك وضرب جامد، مدافع ثقيلة، على بُعد 30 أو 40 كيلو من المدينة، لما نسمع الصفارة نسيب بيوتنا وننزل تحت في المخبأ، اللي هو منطقة مؤمنة بسواتر رملية، شولة رمل كثير بتكون عالية ارتفاعها مترين تقريبًا عشان تحمي المدنيين لو جات أي قذيفة أو تحمي أي حد وراها، الرمل يحجب الإصابة. زجاج شبابيك البيوت كله مطلي بأزرق عشان ممنوع البضاعة، بالذات لو فيه ضرب بليل، لازم نطفي الأنوار كلها. في أي لحظة ممكن طائرة من العدو الإسرائيلي فوق دماغنا بتضرب، وممكن أي حد يتصاب.

وقت النكسة صممت اتطوع في الإسعاف، وقعدت ألج على بابا وماما لازم أروح. لكن لما زحمت مقبلونيش مش هياخدوا طفلة وقعدت أعيط لهم، راج الدكتور حسني الروضي، دا أستاذ جراحة قلب وأستاذ بعد كده في جامعة قناة السويس، كان بيشغل في المستشفى ونوسط لي وقال لهم: "سكتوها خطوها في أي حنة تخدم زي ما هي عايزة". دخلت المستشفى الأميري في 1967 وبدأت أدخل في مجموعات وكنت أصغر واحدة بتتعلم إسعافات أولية وإزاي استقبال الجرحى اللي جاين من سيناء، إزاي نتعلم ندي حقنة سريعة عضل مش عرق، لأن العرق محتاج مهارة مكنتش أقدر أعملها. لكن خفت أدي حقنة واكتفيت أخذ المصابين على العجلة المتحركة للأماكن اللي المفروض فيها الدكتور عشان يتعالجوا وارعاهم، وغيرها من الأعمال اللي مفيهاش مهارة ترميضية قوي نتيجة صغر سني.

وعاصرت حاليين من حالات حروب الاستنزاف القوية، معركة رأس العش، كانت ضخمة لأن الأسلحة كانت كثيرة جدًا كان الضرب طالع من بورسعيد، فعدنا فيها تقريبًا ليلة كاملة لحد الصبح سامعين ضرب متواصل، الضرب والرعد بتاعة كان قوي. والحالة الثانية كانت إغراق المدمرة إيلات. ساعتها كان الوقت قرب المغرب، لقينا صفارة الإنذار في بورسعيد، وبعد المغرب لقينا الإذاعة الخارجية المحلية بتاعة بورسعيد بتقول "أغرقتنا المدمرة إيلات"، وكان عليها إسرائيليين وكانوا عايزين يدخلوا المياه الإقليمية بتاعتنا.

لما كنت بمتحن في 3 إعدادي، وحصل إن فيه طيران إسرائيلي جه على بورسعيد وراح ضرب ومشى، وخلصنا الامتحانات بسرعة على فترات فيها قدر من الأمان عشان نخلص امتحان الإعدادية، وقرر جمال عبد الناصر إن بورسعيد

يتم إخراجها فوراً، يعني هجرة، وتم تهجيرنا من بورسعيد في مايو 1969 روحنا رأس البر، مصيف يعني، التحضيرات بتاعة مش تحضيرات معيشة كاملة صيف وشتاء. أغلبه عشش، وأصحاب العشش الحكومة عوضتهم وسكنت كل الناس اللي اتهجروا وقتها من بورسعيد هناك.

حياة نصف مؤهلة

أصبحت رأس البر أكبر تجمع للبورسعيدية، وبدأت تبني مدارس عشان العام الدراسي الجديد وتتجدد مستشفيات، وتعمل أسواق دائمة وبدأ إصلاح بعض الأماكن للمعيشة. العشش معمولة من بوض في السقف، بدأوا تصلحات العشش عشان تقدر تسنوب الإقامة الدائمة في الشتا.

كانت منطقة هجرة، بيتنا اللي احنا عايشين فيه، في رأس البر، مش زي بيتنا في بورسعيد، وأخدين الأساسيات بتاعتنا بس، مش هنحظ فائزة على ترابيزة السفر، أو تجمل البيت، لأن العشش مش معناها بيت، عشش معناها أوضتين ثلاثة وصالة وحمام ومطبخ، فيهاش الرفاهية اللي كانت عندنا، أوضة للولاد وأوضة للبنات وأوضة للام والأب وبعبدين الأنتربيه.

دخلت أولى ثانوي في رأس البر أول مدارس اتعملت، كان اسمها مدرسة بورسعيد الثانوية المشتركة، وقعدت 3 سنوات هناك.

مجتمع رأس البر هو عائلي، لكن الغالبية العظمى من الأسر كان الأب فيها مش موجود، الأب فيها يا إما بيشغل يا إما في بورسعيد وفق طبيعة عمله أو في محافظات ثانية، أنا والدي كان بيشغل في بورسعيد.

المسؤول عن إدارة الأسرة هي الأم في رأس البر، وضع مخلي الأمهات رئيسية في إنها تكون مسؤولة في منطقة مهاجرين عن الأسرة كلها، وتواجه تحديات كثيرة.

في ثانوي اختلفت في المستوى التعليمي، بقيتطلع من الأوائل، ماجاش من فراغ، لكن فيه مدرّس مهم هو اللي أثر فيّ بشكل قوي، وهو كان بيدرس لنا تاريخ اسمه محمد عبد المقصود، هو دخل الفصل وإحنا في أولى ثانوي هو كان متميز في التاريخ أنا كنت بحب التاريخ والجغرافيا جداً، وقال لنا: "محتاج كل واحد منكم يكتب مقالة وأحدها منكم الأسبوع اللي الجاي"، كُتبتا وسلمنا له الأعمال وجا بعد ما شاف المقالات وراح قال "مين سهاهم نجم؟" زحت واقفة، وبصلي وراح هز راسه، ليه بقى لأنني كتبت مقالة عن جولدا مائير، رئيسة وزراء إسرائيل، وكتبتها في إطار اعرف عدوك، وهي كانت رئيسة وزراء إسرائيل في سنة النكسة، وأنا الحقيقة ما بين تعرض شخصية قوية زي جولدا مائير، وفي نفس الوقت عدو لأنها غير عادلة. بعدها الأستاذ محمد عبد المقصود كان

ماسك منظمة الشباب في رأس البر، ودعا الشباب يدخلوا المنظمة، وفكرة الاستفادة من فوران الشباب وحماسه في أعمال ممكن تكون مفيدة. أنا الحقيقة دخلت المنظمة وأنا في أولى ثانوي في 1969 لغاية 1971. في المرحلة دي دخلت على شغل المجال العام، وده اللي بيبرر لي إنني بدأت انشط في المجال العام، ودا اللي شجعني أكثر أبقي أفضل على المستوى الدراسي، لأن بدأ عندي حالة من حالت النهم للقراءة والحوار والمناقشة والمعرفة، مش يس الكتب الدراسية لكن خارج كمان هذه الكتب. تقدمت جداً وكنت بطلع من الأوائل. وفي سنة ثانية ثانوي تم انتخابي نائب رئيس اتحاد طلاب مدرسة بورسعيد المشتركة، ودي المفارقة الموجودة في الجندر، ما كنتش أقدر أكون موجودة رئيسة اتحاد طلاب لأن المدرسة مشتركة وقالوا لي: "لا لازم رئيس الاتحاد يكون ولد ونائب الرئيس بنت" دي أول اختناكات صدمتني مع العقلية اللي بتتكلم فيها على فكرة الجندر. طالما مدرسة مشتركة خلي الولد يبقى الرئيس ونائب الرئيس بنت، ودي كانت أول نقطة تلفت نظري.

آخر سنوات الخراك الطلابي

لما جيت الجامعة، زحت على أختي لاقيت ليّ عزوة، هي كانت في كلية العلوم جامعة القاهرة، قبلي بستتين، وقاعدة في المدينة الجامعية. والدي كمان في التوقيت دا انتقل شغله من بورسعيد لمدينة نصر وكان مقيم في القاهرة، لكن أسرنا كلها ماما وأخواتي في رأس البر، ووالدي كان في مدينة نصر وكان هو يتابع البنات اللي في الجامعة ويشوفهم ونقضي الخميس والجمعة مع بعض.

دخلت كلية التجارة جامعة القاهرة في 1973، مرحلة الجامعة تيارات وعقائد مختلفة وأفكار متنوعة ومواقف متنوعة، كان بالنسبة ليّ مجتمع جديد، غير أن مجتمع القاهرة العاصمة غير مجتمع بورسعيد المدينة الفاضلة زي ما كنت مصورها قبل 67، والتحديات الصعبة والمعقدة في منطقة الهجرة في رأس البر. دا أضاف للشخصية القدرة إنها تستوعب كثير من المتغيرات، يا إما تتألف معاها، يا إما تحاول تحسن من ظروفها، يا إما تحاول تطورها، يا إما تبعد شوية في بعض المناطق أو تقرب منها، لكن هو طريق قدري إن دا ماشي في اتجاه لازم نكون في المجال العام، لازم تكوني في هذه الحلة مينفعش تكوني برّة. والمدينة الجامعية اللي هي "مدينة الطالبات" فيها فتيات من كل محافظات الجمهورية، اتعرفت على بنات جديدة مش بورسعيدية بس، ولا كانوا معاي في الهجرة، أو من خط قناة السويس، بنات جديدة جايين من واقع ريفي أو من المدن، ثقافات متنوعة.

لكن مرحلة الجامعة الخراك الطلابي في الجامعة مسألة مختلفة تماماً، فوار وحماس الشباب، وآثار الهزيمة كانت

لسه موجودة. في أول 1973 كان في حالة مصر عابساها اسمها "حالة اللاسلم واللاحرب"، الشباب كان يطلعوا مظاهرات، وطبعاً كنا سامعين عن المظاهرات اللي قبل كده 1968 و1969.

وبعدين جينا على انتخاب اتحاد طلاب جامعة القاهرة في 1975، اترسحنا كلنا، القوة اللي طالعة من الكليات كانت قوة يسارية، قوة اشتراكية، قوة تقدمية، خضنا صراع ضاري في الانتخابات ضد القوة اللي بتساندها الحكومة في الوقت دا وهي الجماعات الإسلامية، لأن أنور السادات طلع "الإخوان المسلمين" من السجن مقابل إنهم يعملوا وقفة قوية معاه في مواجهة القوة الأخرى اللي هي القوة اليسارية بشكل عام اللي هي القوى الناصرية والتقدمية واليسارية والشيوعية، كل هذه القوة. نزلوا الحقيقة في الانتخابات وكانوا بيهددونا بالسكاكين والجانازير ونزلوا قضدنا في الانتخابات ومنجوش، الفوائم بتاعة الجماعات الإسلامية أغلبها سقطت. وانتخبنا حمدين صباحي رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة. وأنا انتخبت أمين اللجنة الثقافية والسياسية في كلية التجارة جامعة القاهرة في سنة 1975. وخلال الفترة دي عملنا أكبر زخم ثقافي وتنويري من خلال اللجنة دي. إننا جينا كبار الشعراء والكتاب والسياسيين يعملوا محاضرات جوة الجامعة بشأن التوعية وخلق حالة من المناقشات والحوارات.

من هنا توطدت علاقتي بحمدن لذي متعرفتش عليه غير وأنا في الجامعة 1973، مع المظاهرات، وتوطدت العلاقة مع تأسيس نادي الفكر الناصري من جميع الأعضاء من كل كليات الجامعة على الهوية القومية العربية المؤمنة بفكر العدالة الاجتماعية والفرص المتكافئة وأهمية إن يكون هناك بناء للإنسان المصري الواعي المنتمي. عملنا أول انتخابات وسميناها الهيئة الإدارية لنادي الفكر الناصري، كنت أنا وأمنة زكي قنديل، زميلتي في كلية التجارة، كانت دفعتي، كنا إحنا الاثنين العضويتين الوحيدتين في الهيئة الإدارية للنادي اللي هو أعلى مستوى موجود في النادي، وشاركنا في كل الفعاليات، وكانت العضوية موجودة تضم عدد كبير جداً من الطالبات وطلاب الجامعة المنتمين لهذا الفكر، وكان في الحقيقة ثروة رائعة من الجهود والأفكار والتنوع الموجود في الشباب المنضم للنادي. وكان في كمان نسبة تمثيل كبيرة للفتيات، كنا الجيل الأول لأن كنا في السنوات الأخيرة من الجامعة، لكن قبلنا كان فيه قيادات طلابية منتمية لهذا الاتجاه ألحقت على النادي في وقت لاحق، بس إحنا اللي أسسنا نادي الفكر الناصري. النادي كان يمارس دور كبير في إنه يعمل رابطة قوية ما بين الحركة الطلابية للطلاب الودوديين والناصريين في الجامعات المصرية وبدأ يتم إنشاء نوادي الفكر الناصري في كل الجامعات المصرية، وبدأ هيكل المؤسسة بتاع نادي الفكر الناصري يبقى لها

تواجد وتقدر أن تنظم حركة الطلاب الناصريين والقوميين في كل جامعة بحيث تقدر تحضر للانتخابات القادمة، تقدر تعمل عملية التجميع والتنظيم لهذه القوى الطلابية، تعدّ أنشطة وتمارسها سواء جوة الجامعة أو في مرحلة الصيف برامج دعم المجتمع وتطويره، أو معسكرات للبناء الفكري أو معسكرات تنظيمية، كانت دي كلها أدوار مهمة جداً للقطاع الطلابي في هذا التوقيت. شهدت الفترة دي من أفضل الفترات اللي خاضتها الجامعات المصرية فترة السبعينات ليه؟ لأن تم إصدار لائحة طلابية ديمقراطية متميزة الحقيقة وتم إصدارها في 1976 مثلاً كان من حق الطلاب يشكلوا تنظيماتهم ومؤسساتهم داخل الجامعة بشأن يقدروا ينظموا أنشطتهم ويكونوا فاعلين فيها ويقدرُوا يقوموا بأدوار مهمة. وكنا في الجامعة في السبعينات نستطيع أن نستضيف كبار الشخصيات الثقافية والفنية حتى لو كانت مش على هوى النظام الحاكم، وكنا بنستضيفهم في ندوات وبرامج وحوارات جيدة جداً، واستصفنا أحمد فؤاد نجم، الشيخ إمام، وكتاب متميزين ولهم دور وباع مهم جداً في بناء وعي الوجدان المصري، وفي مجال الفن والسياسة والثقافة.

وهذه اللائحة تم اغتيالها بشكل كامل لأنها كانت طبعاً مش على هوى السادة اللي بيحكموا، وتم إصدار لائحة بديلة، وبعدها لوائح أخرى لحد ما اللوائح الحالية اللي موجود في الجامعات المصرية لوائح مقيدة تماماً لحرية الحركة الطلابية.

اعترفنا جينا لبعض يوم 20 مارس (1976) في السنة النهائية في الجامعة، ودا تاريخ بنتخل بيه أكثر من تاريخ جوازنا في 5 يوليو سنة 1979. كان عندنا تخوف إن بعد ما نخلص الجامعة كل واحد هيرج بلده وقد يفترق الأجيال أو الأصدقاء دون وجود روابط قوية تخليهم يبقى في مجالات حالة من حالات التواصل الإنساني، ممكن يكون باتصال تليفوني ممكن، لكن مش تواصل زي الجامعة أنت بتشوف كل يوم وتقع وتداول وتناقش كل يوم.

بعد مظاهرات 1977، عقد أنور السادات سلسلة من الاجتماعات مع المؤسسات والهيئات اللي موجودة في البلد، منها اجتمع مع اتحاد طلاب الجمهورية، وكان رئيس اتحاد الطلاب على مستوى الجمهورية شعبان حافظ، وحمدن كان نائبه.

السادات بدأ يقعد مع اتحاد طلاب الجمهورية بشأن يبدو للرأي العام إنه ديمقراطي، وطلب تأمين اللي بيلبسوا "قميص عبد الناصر" بنفس الجملة كده وده معناه بيمهد للي عايز يتكلم وينتقد إن أحسنه يسكت لأن السادات هيعمله تهمة إنه لابس قميص عبد الناصر، وحمدن راح قام وقاله: "أنا ناصري، أنا ابن عبد الناصر، أنا ابن ثورة 23 يوليو"، قاله: "طب قول لي إيه الاختلافات؟" راح قاله،

وعمل حوار معاه للحقيقة يمكن لمدة من 12 إلى 15 دقيقة، ودي مدة زمنية مش قليلة بعدها مباشرة بعد هذا الحوار. أنا كنت بقى في بورسعيد ورجعت، وبعد هذا الحوار وصل لي خبر إن حمدين اتقتل نتيجة الحوار مع السادات وانتشرت الشائعة في بورسعيد وملت الأجواء كلها وأصدقائنا يكلمونا وأنا مش عارفة لحد لما الحمد لله طلع محصلش هذا الكلام، لكن هو الحقيقة فيه حد من أعضاء الاتحاد اتحد عليه أنور السادات في حوار، وتم إغلاق الحوار، وهو ذا الشخص اللي ممكن يكون اتأذى شوية من الأمن، أو حصل إن الأمن هدد، واعتقد إنه الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح.

القناطر الخيرية

لما اتجوزنا في 1979، قعدنا في بلد جميلة جداً اسمها القناطر الخيرية لمدة عشر سنوات من 1979 إلى 1989، كانت مرحلة بحث عن طريق في الحياة، محطة فارقة جداً، تحديد خطوط الحياة الرئيسية.

اشتغلت بالمؤهل بتاعى حوالي سنة أو سنتين إدارة أعمال ومحاسبة، وبعدين اشتغلت مدرّسة في "مدرسة نور السلام الابتدائية" التابعة للكلية رمسيس اللي هي منطقة رمسيس، كان فيه قسمين، عربي وأجنبي، أنا كنت مدرّسة في القسم الأجنبي، وكان معايها أطفال KG1 وطلعت بيهم KG2 وبعدين طلعت بيهم ابتدائي وهما اتربوا 3 سنوات معاي، وكنت بشوف ثمرة جميلة جداً من التفاعل، فكرة الفريي أو الفعل اكتشفت إنها من أجمل المهن الإنسانية اللي فيها قدر من التواصل العالي جداً.

بعد سنتين وشوية من الجواز، جيت سلمى بنتي، هي مواليد مارس 1981 وهي إعلامية معروفة، وصوتها جميل وفنانة، من صغرها موجودة في فرقة سليم سحاب بتاعة الأوبرا، بتغني حلو وصوتها جميل وبتعزف موسيقى، وهي مذيعة تلفزيون عملت أكثر من برنامج في التلفزيون في أكثر من محطة، منها برنامج اسمه "شبابيك" ولحد دلوقتي كثير من الشباب يقول لها كُنا بنشوفك وإحنا لسه ثانوي، وسلمى تقول أنا كبرت في السن وبقيت كبيرة. ابني محمد جا في سنة 1983 هو خريج معهد سينما، غير مساره، كان الأول في "حقوق" وساب الكلية ودخل معهد سينما، وهو مخرج، أول لما اشتغل على طول كان من مساعدين يوسف شاهين، وعمل شغل في حوالي أربع أفلام وأتدرب كويس قوي مع الأستاذ، وبعد كده اشتغل مع المخرج الجميل خالد يوسف في حوالي 6 أو 8 أفلام.

خبرات مكتسبة

لكن الفترة العشر سنتين الأولانين، في القناطر الخيرية،

كانت قاسية جداً في الحياة الاجتماعية، مثلاً بعد ست شهور من زواجنا، أنا وحمدين، تم إلقاء القبض عليه، وأول عملية قبض هي أصعب قبضة، لأنها حاجة غريبة ومش متوقعة أو التعامل معاه صعب لأنها خبرة جديدة عليّ. بعد القبضة الأولى بدأت أنعلم وأعلم نفسي إيه المهارات والممارسات اللي لازم تكون موجودة في هذه الأوقات الصعبة.

في أول قبضة تم فيها تفتيش دقيق جداً للبيت حوالي خمس ساعات بيدوروا ويفتشوا في المكتبة والأوراق لأن حمدين كان بيحضّر ماجستير، وأخذوا كل أوراق التحضير. الماجستير يتكلم على القومية العربية ودور الصحافة المعنية بالقومية العربية خلال فترات زمنية معينة واعتبروا إن دا كلام في السياسة وأخذوا الأوراق كلها والشهادات بتاعة التحضير.

وبعدنا بشهور كانت القبضة الثانية، وكنت حامل في سلمى بقى لي شهرين.

حمدين اتقبض عليه 17 مرة، وكل مرة لها وقع مختلف.

مثلاً حمدين اتقبض عليه في حملة دعم الفلاحين من نزاع الأراضي الزراعية لصالح الإقطاعيين القدام ودي في سنة 1997، ودي أول مرة يتعرض لتعذيب. زحنا زورناه بتدخل من نقيب الصحفيين، بعد لما قعدنا مدة منعرفش أي أخبار عنه، ولقيناها تعرض لتعذيب وأخذت البيانات كلها، ودي من الخبرات المهمة جداً.

سلمى ومحمد كانوا موجودين في الزيارة، وهما في سن صغير يشوفوا القهر اللي موجود إلى أي مدى، وأنا بصيت على آثار التعذيب الموجودة على ظهره عشان يكون فيه أسبقية وأنا بتكلم مع النائب العام، طلعت من عنده على النائب العام، وقدمت مذكرة اتأخذ بيها، وبعث تفتيش للسجن مباشرة ثاني يوم الصبح، الوضع كان صعب جداً، حالفين له شعره ناصاً.

كل قبضة كنت بعرف اتعامل أكثر بشكل أكثر خبرة في الموضوع، وبعرف إزاي أقدر اتحرك، بعد كده كانت حملة قبض ثانية مهمة جداً في يوم 20 مارس 2003، كُنا في ميدان التحرير بتشارك في مظاهرات ضخمة جداً ضد دخول الأمريكان للعراق واحتلاله.

بعدها بيوم جم أخذوا حمدين من البيت وأنا كنت برّة، وكلمتني أمال عبد الهادي، من مؤسسة "المرأة الجديدة"، لأن المؤسسة كان مكتبها في نفس العمارة اللي إحنا ساكنين فيها، وقالت لي: "سهام إيه اللي حصل لحمدين؟"، وأنا مكتتش أعرف، كنت في اجتماع. واتحبس وهو عضو برلمان وعنده حصانة برلمانية، وبعدها حاولوا يتداركوا الموقف

2 في أواخر السبعينيات قبض على البرلمان أبو العز الحريري، حين كان نائباً في مجلس الشعب، ورفعت عنه الحصانة وحبس. يمكن قراءة المزيد في شهادته زينب الحضري

وبعنوانه لمستشفى مصر للطيران اللي موجودة في الماطة
عشان يشوفوا هيقدرؤا يعملؤا إيه، لأن فيه خلل ومشكلة
قانونية حصلت لأن عنده حصانة.

معارك انتخابية

مشوار حمدين مع البرلمان خضناه مع انتخابات 1995، في
دائرة "البرلس والخامول"، معارك تحضير وتكوين تيار من
النساء والفتيات لحركة دعمه، الناس البسيط المؤمن بأن
فيه حد منهم قادر يعبر عنهم، مثلاً في 1995 حصلت
"مجزرة" يوم التصويت لأن الناس تجمعوا داخل اللجان وتم
رفض تصويتهم، والستات بدأت تتجمع وفي سيدات معاه
طفلها على كتفها أو جابه طفلها الصغير، بدأوا بضرب
المدرسة اللي فيها النساء لأن جم على الساعة 3 تجمع
السيدات قالوا لبعض مش هنمشي احنا قاعدين كان فيه
مثلاً ما يقرب من 3 آلاف ست والمدرسة حوالى أربع أدوار
واللجان وضربوا المدرسة بالقنابل عشان يفرقوا الستات.
حصلت مجزرة لأن القنابل دخلت جوة اللجان حتى اللي في
الدوار العليا، الستات طلعت تجري فوق السلالم ووقعوا
فوق بعض، وفيه سيدتين ماتوا وفي 37 سيدة اتجرحوا،
وتم نقلهم للمستشفيات وتم إغلاق انتخابات 1995 بهذه
المجزرة. في الانتخابات اللي بعدها، 2000 التيار كان أقوى
بس الناس كانت متحفزة أكثر، عابزين ناخذ بحق الناس اللي
ماتوا والناس اللي اتصابوا من السيدات، الستات والفتيات
كان لهم دور غير مسبوق أنا مشفتش هذا الزخم في أي
حنة ثانية الحقيقة، وقفوا على اللجان وكان بدأ الإشراف
القضائي، الشباب القضاة كانوا يبقولوا للناس أدخلوا
صوتوا مفيش حد هيمنعكم. مرت بشكل معقول مكنتش فيه
ضغط أمني عالي جداً، حمدين كان نائب البرلمان وقعد لسنة
2005، وخاض الانتخابات اللي بعدها، والأمن كان متشدد جداً
وقفل اللجان، والقضاة قالوا "لا الناس من حقها تدخل بقوة
وبشدة" وبرضو رموا قنابل مسيلة للدموع عشان يمنعوا
تصويت الناس لحمدين. لكن الناس صممت وضربوا قنابل،
مات فيها صياد شاب كان عنده 27 سنة، وكان عنده طفلين
صغيرين، والياقي راح المستشفى إصابات. لكن الانتخابات
انتهت إن القضاة مصممين إن الناس لازم تقول رأيها وفي
الحالة دي عشان يضمنوا قالوا طب ممكن الأصوات تبقى
جوة اللجان وجوه الصناديق، والصناديق تتغير، الشباب طلع
مع الصناديق كحماية لها مع القاضي، القاضي طلع معاه
الصناديق بتاعته والشباب بيحموا الصناديق والقضاة خوفاً
من إن الطرف الثاني يستخدم سلاح اللي هو المنافس،
ودخلوا في ظل جو مرعب، والطرف الثاني يملك سلاح
كثير، قالوا خلاص النتيجة هنعلنها بكرة والشباب صمموا
إن لازم يتم إعلان النتيجة قبل ما يمشوا عشان ما تتغيرش

النتيجة، أعلنت النتيجة وحمدين نجح، وطالما أعلنت النتيجة
خلاص امتلك الحصانة لأنه بقى عضو برلمان، فهو راجع من
الخامول منطقة منافسه بمدرعة حماية له إلى بلطيم في
مدرعة بتحميه من البلطجية والأسلحة لأن منافسه يملك
أسلحة، والشباب كانوا راجعين بعربات معاه. المشهد دا
عمري ما أنساه، مشهد خرافي ومبهر بكل المقاييس .

في 2010 اللجان اتقفلت الساعة 10 الصبح بأمر من أحمد
عز، ودخلوا يا إما الموظفين بتوعهم اللي جايبينهم يحرسوا
الصناديق أو رجال الشرطة أنفسهم وبقى التصويت لصالح
الخصم واتسمع يعني خلاص. وبدأنا نعرف إنهم بيخلصوا
لجنة لجنة وجايبين على بلطيم يخلصوا، وحمدين عمل مؤتمر
صحفي وأعلن انسحابه الساعة واحدة الظهر، وقال الأسباب
إن "فيه تزوير عام وفيه تسويد وبتتقفل اللجان عن طريق
الموظفين الموجودين".

تمكين سهام من العمل على تمكين المرأة

في سنة 1993، حسيت إن الأمور بالنسبة لي مش واضحة
حشتغل إيه، لازم يكون في العمل السياسي، كنت بالفعل
في الحزب الناصري من الثمانينات وعملنا شغل حقيقي مميز
أنا وصديقتي أمل محمود. لكنه في النهاية شغل بين أربع
جدران، العمل السياسي في كل دولنا للأسف عمل متحجم
بطريقة مذهلة ويرجع يقول لك ما فيش قوى سياسية.
عشان كده أنا انتقلت من فكرة العمل جوة حزب للشغل
وسط الناس، فكرنا، وأمنة زكي قنديل ووفاء المصري، إزاي
نقدر نعمل حاجة مع الناس، وإزاي نقدر نسمعهم ونشوف
احتياجاتهم ونشتغل في برامج تقدر تساعداهم، وبدأنا نأسس
"جمعية المرأة والمجتمع". وفيه صديقة عندها مسجد صغير
في منطقة أرض اللواء في الجيزة، عاملة مسجد الرجال
تحت، وفي الدور الأول مصلى سيدات، ولما عرفت رغبتنا
راحت عملت الدور الثاني وقالت دا عشان تمشوا فيه أنشطة
الجمعية. بدأنا يكون عندنا مكان وبدأنا تأسيس بسيط،
وحصلنا على رخصة إشهار الجمعية في 1994. أول نشاط كان
عبارة إن أنا وأمنة ووفاء كل واحدة عملت فصل محو أمية،
لأن منطقة أرض اللواء اللي كنا فيها، عشوائية فيها كثافة
سكان عالية وأغلبهم جايبين من محافظات الصعيد عشان
يلاقوا فرص للعمل والرزق، لا الزوجات عندها شهادات ميلاد
أو قسيمة جواز، والأطفال غالبيتهم معندهم شهادات
ميلاد، وبالتالي مدخلوش مدرسة. وبعد كده انضم لبنا فريق
ثاني من الشباب المتطوعين في المنطقة، وفتحتنا فصول
أكثر. في 1996 جا لنا مشروع من المشروعات المهمة جداً
اسمها "المنحة الدراسية لفتيات المرحلة الابتدائية"، وحظنا
على طريق مختلف شوية إننا نمسك القضية من منبعها
مش من النتائج بتاعته، محو الأمية نتيجة وليست السبب،

حق وتنمية" وعملناه سنة 1998 المؤتمر دا كان مهم لأن بعده المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الألكسو قابلوني بشأن كانوا متحمسين لدور المجتمع المدني، وقالوا إنهم هيعلموا إنهم هيساعدونا في إننا نعمل مؤتمر تأسيسي، بدأنا نجعم المنظمات المعنية بتعليم الكبار على مستوى المنطقة العربية وهما فعلاً نظموا لهذا العمل بشكل جيد جداً، وبدأنا نعلنه وتم عمل المؤتمر التأسيسي للشبكة العربية في 25 مايو 1999 في الجامعة العمالية وكان بحضور منظمات من 18 دولة عربية، وتم فيه إعلان النظام الأساسي، والانتخابات تمت على مستويين، مستوى الأمين العام، وتم انتخابي كأمين عام للشبكة العربية لمحو الأمية لتعليم الكبار لمدة ست سنوات وكان لي فترة ثانية، وانتخاب أيضاً المجلس التنفيذي اللي بيتمثل فيه عضو واحد من كل دولة عربية موجودة، وأعلن تأسيس الشبكة العربية لمحو الأمية لتعليم الكبار سنتها. طبعا الشبكة عملت نقلة غير مسبوق في منطقتنا العربية، لأنها بدأت تنظم جهود المجتمع المدني، وتحتصر التجارب والدروس الجيدة، وتتعرف على المجتمع المدني العربي المعني بتعليم الكبار، واقلعنا على تجارب الدولية، وتمت دعوتنا على المستوى الدولي ليعرفوا خبراتنا وإحنا نعرف كمان خبراتهم ونعمل تبادل خبرات. هنا في المرحلة دي بدأت أغير مساري التعليمي، وحصلت على دبلوم دراسات عليا في تعليم الكبار من جامعة القاهرة اللي هو معهد الدراسات التربوية جامعة القاهرة 2001، وبدأت أغير المسار التحصيلي أو العملي لأن كل المعارف والمهارات الجديدة اللي يشتغل فيها ويعمل معاها كان كلها يصب في مجال التعليم وتعليم الكبار، وكان لازم أعرف عن قرب على هذا.

في 2004 منظمة اليونسكو كانت بتعمل اجتماع للمنظمات غير الحكومية كل سنتين وبيتعمل انتخابات كل سنتين لتشكيل الممثلين لكافة أقاليم العالم فقام اليونسكو، كان الاجتماع السنوي العالمي اللي بيسموه الاجتماع الاستشاري الدولي للمنظمات غير الحكومية المعنية بالتعليم للجميع في بيروت، وكان أكبر زخم من الجمعيات موجودة مشاركة فيه، حوالي 36 جمعية عربية بالإضافة إلى جمعيات من كل أقاليم العالم، أمريكا اللاتينية، أمريكا الشمالية، أوروبا، إفريقيا، جنوب شرق آسيا، كل الممثلين حاضرين هذا الاجتماع الدولي. كان فيه انتخاب ممثل عن كل قارة، أنا تم انتخابي ممثل عن المنطقة العربية، انضمت لمجلس اليونسكو اللي بيسموه اختصاراً CCENO اللي هو الاجتماع الاستشاري الدولي للمنظمات غير الحكومية المعنية بالتعليم للجميع. اجتماعاتنا كانت سنوية، كنا بنحضر الاجتماع للمجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو كمراقبين، كان بيحضر 56 دولة اللي هما أعضاء المجلس التنفيذي في ذلك الوقت في اليونسكو وإحنا كنا

السبب هو التسرب من التعليم. لقينا أكثر من 1600 بنت لم تلتحق بالتعليم إطلاقاً. ساعدناهم وقدمنا الأوراق في المدارس وكنا بتقدم لهم بعض الخدمات المهمة جداً بالإضافة لمتابعتهم على مستوى التحصيل بشأن نضمن نجاحها، لأن كان شرط رئيسي لازم نتجح، وتعدي من سنة لسنة بشأن نقدر نكمل معاها المنحة دي. المنحة دي كان فيها الدعم الصحي، يعني تأمين صحي، ويندفع لها مصاريف المدرسة ونجيب لها الزي المدرسي في كل أول عام دراسي، نجيب لهم مجموعة من الأنشطة اللي ممكن يشتغلوا عليها ويدعموا بيها جودة المدرسة، كمان ندي مبلغ مالي كان بسيط للأسرة مقابل إن الطفلة لازم تنزل بالساندويتش بتاعها ما ينفعش تروح المدرسة من غير الساندويتش وتديهم الوجبة بتاعتها وهي نازلة على قدر الإمكان. نجح البرنامج لكن حطنا على أرضية مهمة جداً هو إن عدم جودة التعليم وضعف العملية التعليمية أدى إلى تسرب الأطفال من المدارس، وإن الفقر هو السبب الرئيسي في إن هذه الأسر مودتش بناتها، يا إما مفيش مستندات أو فلوس، لأن لو هتبعني طفل المدرسة فيه تكلفة موجودة، والأسرة مقدرش تتحمل هذه التكلفة لو عندها 5 أو ست أطفال في الشريحة العمرية دي. وبعدين إحنا كنا بنشتغل مع فئات مهمشة فعلاً على هامش المدن، وبدأنا ناخذ آفاق أكبر من فكرة محو الأمية، مسألة التعليم مسألة مهمة جداً، ومحو الأمية هي مرحلة أو مجال من مجالات تعليم الكبار، وهذا التعليم هو الهدف الأكبر، لأن تعليم الإنسان من سن 15 لـ 70 أو 80 سنة، وفي كل مرحلة عمرية فيه تعليم ومهارات محددة لازم يكتسبها الإنسان، اللي نسمى دلوقت بـ "التعليم مدى الحياة".

من خلال الجمعية بدأنا نفكر إننا لازم نعمل شغل مع القطاع الرسمي الحكومي، وكان فيه تنسيق جيد مع وزارة التربية والتعليم وعملنا أول مؤتمر، لقاء تثقيفي استضافته جمعيتنا المرأة مع وزير التربية والتعليم بشأن نساعد الجمعيات إزاي نقدر ندخل مع المدارس، وتقدر تطور من البرامج بتاعتها بمفهوم الشراكة وليس بمفهوم المنحة، بدل ما ما الجمعيات تعمل تختة وتمشي، تطور القدرات والكفاءات. ووزير التربية والتعليم، حسين كامل بهاء الدين³، الحقيقة كان له دور كبير جداً إن الجمعيات تقدر تدخل كشريك في العملية التعليمية داخل المدارس، أنشأ إدارة الجمعيات الأهلية، داخل هيكل وزارة التربية والتعليم، وكان جيد جداً إننا نعمل تواصل مع القطاع الحكومي بمفهوم الشراكة بشأن نقدر نطور مع بعض ونخلق هدف مع بعض لتطوير التعليم.

كنا بنعد مؤتمر كبير جداً مع الهيئة العامة لمحو الأمية لتعليم الكبار، وفيه عدد كبير من الجمعيات كان اسمه "محو الأمية

3 وزير التربية والتعليم من 1991 حتى 2004.

ينحضر كمراقبين اللي هو خمس ممثلين لأقاليم العالم، ممثل لإفريقيا، وممثل لآسيا، وممثل لأوروبا، وممثل المنطقة العربية، ممثل لأمريكا اللاتينية، بالإضافة لـثنتين من المنظمات الدولية، وكنا سبع أشخاص اجتماعاتنا بشأن تطور الأفكار والتعليم في العالم، وإزاي نقدر نعمل أفكار نقدر نطرحها كمقترحات، نقدر نطرحها في الورقة الرئيسية اللي هتتقدم سنوياً لوزراء التربية في العالم في الاجتماع السنوي اسمه اجتماع رفيع المستوى بشأن يتناقشوا إيه القضايا المهمة وكنا مجموعة المنظمات غير الحكومية كانت دراع قوي جداً لوضع تصورات أو مقترحات لتطوير عملية التعليم في العقود.

في رؤيتي الشخصية، إن الاعتماد على التمويل الأجنبي بيخلي المؤسسة إنها ممكن تقع، أو شغلها يقف، بشأن كده في جمعيتنا من 2007 اعتمدنا على فكرة التمويل الذاتي، ونقلنا جزء كبير من خبرتنا ومهارتنا للناس إننا نعمل مبالغ مالية عبر أنشطة لها مقابل ونقدر نجتمعها ونحطها في البنوك وديعة، تخصص كل وديعة بمبلغ معين لصالح نشاط معين، يبقى هنا النشاط قادر يخلق لنفسه إعادة تشغيل بتاعته، بداية يقدر يبدأ بأنشطة والناس القائمين عليه باخدوا مرتباتهم أو مكافأتهم من واقع هذا النشاط والإضافي بتاعه لأن كانت مرتبات الفريق بتاعنا ضعيفة جداً، الإضافي اللي هو ممكن يكون الحوافز ممكن تبيله من إنه ينشط هذا النشاط ويوسعه ويكبره ويبقى مرتبه أو دخله يزيد. بشأن كده موقفناش إطلاقاً عن العمل طوال الـ10 سنين اللي فاتوا، ومن بعد الثورة عندنا ست مشروعات قائمة على التمويل الذاتي.

نساء محررات من الأمية

وبدأنا في 2015 نعلن إطلاق مبادرة تشغل لصالح المتحركات من الأمية، وإحنا أطلقنا كلمة "المتحركات" لأنها متحررة مش بس من عدم معرفة القراءة والكتابة لا متحررة إنها بتبني وعي وبتبني مشاركة مجتمعية وحياة جديدة بعد التحرر من عدم معرفة القراءة والكتابة، بتملك مهارات جديدة بمكانة اقتصادية ومجتمعية، مش بنشغل في الجانب الخدمي خالص ولا فكرة المعونة، إحنا بنمكن عن طريق تدريب ونساعد في إنها تشغل على التمكين، هي تبني وتطور نفسها وإحنا نقدر نساعد. بعد لما أعلنّا عن المبادرة دي في مصر، أعلنّا عنها السنة اللي بعدها على المستوى العربي. وعملنا جائزة سنوية، في منتدى⁴ يُقام كل مارس، بتعطى على المستوى العربي ينتخار من كل دولة متحرر من الأمية أو متحرتين على المستوى العربي وينتخار 15 متحررة من الأمية من مصر بشرط أن تكون في وجه قبلي من النجوع والقرى.

4 أقيم لأول مرة في 2016، وتم تأجيله في 2020 بسبب وباء كورونا

مثلاً لاحظنا كمان في الإحصاء اللي عملناه، لما اشتغلنا في هذه المبادرة، وصلنا حوالي 1600 متحررة من الأمية على مدى خمس سنوات طلبوا الترشح للجوائز، و60% منهم حاصلين على مؤهلات جامعية من بعد محو الأمية، زي ماجستير ودكتوراه، شيء، فبهر لما تلقى إن التعليم يكون سبيل الست تكسر به الحاجز اللي انحطت فيه نفسياً ومعنوياً وإنسانياً، وإهدار لقدراتها والقهر اللي عاشته نتيجة إن الأسرة قالت للست: "لا إنتي هتقعدي بشأن تخدمي الأسرة، لأن ما فيش حد يقدر يخدمهم أو ماعندناش فلوس بشأن نعلمك أو مصيرك هتتجوزي مش هنقدر نعملك حاجة"، دا القهر بعينه، فعلاً التعليم والتمكين هو دا اللي لازم نشغل عليه لأنه بيساعد المرأة ويكبرها ويخليها تتطور ويقدر يمكنها تمكين اجتماعي كم الوعي والثقافة والتعليم والمشاركة، والتمكين الاقتصادي إنها تملك مشروعها الصغير بتاعها، دول المفاهيم اللي إحنا اتعلمناها مع الناس، واللي بنحاول نطورها لأن هي فعلاً بتمكن النساء بشكل قوي.

ظروف تحيط بالتمكين

المرأة نجحت في مراكز صنع القرار في إنها تكون نسبها أعلى، طبعاً تعليم المرأة بقى أكبر، فكرة الفجوة النوعية في التعليم قلت ما بين الذكور والإناث دا من الحالات الإيجابية جداً في حقوق المرأة في الخراك النسائي. لكن حقوق المرأة في أنهي بيئة؟ ده السؤال المهم اللي لازم نقوله؟ هل بيئة متوفرة فيها حرية الرأي والقدرة على التعبير والقدرة على تشكيل مؤسسات واعدة وقادرة إنها تنهض بالاهداف ترجوها المرأة وتاملها؟ ولا بيئة مغلقة ما فيهاش تنوع، ما فيهاش تعدد، فيها النظرة الواحدة؟ بشأن كده مقدersh افصل الاثنين عن بعض لما اتكلم عن الإنجازات بتاعة المرأة، مثلاً عندي مؤشر يقول إن فيه ست وزيرات لعدد وزراء كذا، مؤشر جيد، لكن في أنهي بيئة وأنهى ظروف؟ هل فيه ظروف بتساعد الوزيرة دي يكون لها صلاحيات كاملة تقدر تنهض بالوزارة بتاعتها ولا يكون عندها حيثيات أخرى أو معايير أو تعليمات أخرى تلزم بيها؟ هنا ببيان قدرة هذه الوزيرة إنها تنهض بالعمل بتاعها وإنها تخلق شيء جديد قادر على إنه يطور هذه المنظومة اللي بتشتغل فيها. مفيش أي خراك المناخ العام مش مساعد. الخراك اللي موجود هو خراك منظم من جهة الدولة، لكن مش شايعة إن في خراك نسوي عام ما لم يكن بعض المناشدات.

سوزان فياض: ثورة يناير ردت ليّ الروح

سوزان فياض هي طبيبة نفسية من مواليد 1947. عايشة الحركة الطلابية أواخر الستينيات ومطلع السبعينيات، في أثناء دراستها الطب في جامعة عين شمس. وبسبب مشاركتها في الحراك السياسي للطلاب، خبست مرتين، قبل التخرج وبعده.

منذ نحو 25 عامًا، وحتى الآن، تعمل سوزان في مركز "النديم لعلاج وتأهيل ضحايا العنف والتعذيب"، وقبله عملت في مستشفيات وعيادات نفسية.

هذه الشهادة، اعتمدت على مقابلة أجرتها عالية مرسى في 24 شباط/فبراير 2020.

حرية وأدب وثقة بالنفس

أنا سوزان فياض، اسمي الكامل سوزان عبد المعطي كامل فياض، هكمل 73 سنة. حاليًا في المعاش. طبيبة نفسية، يشتغل في مركز "النديم لعلاج وتأهيل ضحايا العنف والتعذيب" بقالي حوالي 25 سنة، وقبلها اشتغلت في مستشفيات وعيادات نفسية that's all.

أنا الابنة الصغرى لعيلة كبيرة؛ سبع أفراد، أم ريفية وأب كان شيخ أزهرى بس كان راجل ليبرالي بين قوسين، كان نموذج لتطبيق الدين بلا تزم، وكان بيدينا هامش حرية، اللي ميصليش فينا مكنش يتخانق معاه، يسيينا نلبس براحتنا، ونروح رحلات في الجامعة.

عشان أنا الصغرى، في ناس بتتصور إن الطفل الصغير متدلع شوية، لأ أنا اتنسيت شوية، وأحيانًا بـحمد ربنا على دا، لأن الطفل اللي بيتنسى دا ميكونش over protective، أو بيتدخلوا في حياته قوي ويشكوه زي ما هُما عايزين، وكان عندي مساحة إن أنا أبقي نفسي.

من الحاجات اللي يعتز بيها إنني من عيلة ريفية، يمكن دا تعصب للأرياف، بس دا أدلنا مساحة نكون تلقائيين وطبيين شوية، الحاجة الثانية إن بيتنا كان مليان كتب أدبية عشان إحنا عاصرنا فترة الستينات وأخويا الكبير سليمان فياض (فيه ناس تعرفه لأن هو كان صحفي في فترة في

حياته بس هو بيحب يعرف نفسه إنه أديب أو قصاص وهو توفى). البلد كانت بتموج بحركات ثقافية بتاعة الستينات مش سياسية طبعا، إحنا كنا تحت حكم عبد الناصر بس كان فيه هامش التيارات الثقافية تصارع نفسها، وكان فيه ساعتها نهضة فنية ومسرح وكان فيه حاجة اسمها "نادي السينما" كان بيعرض أفلام حلوة، المهم أنا كنت محظوظة لحد كبير في الفترة دي؛ أولًا: كنت متسابة من أخواتي مش محمية بزيادة، وثانيًا: البيت مليان مصادر معلومات، كنت بقرا وبدأ يكون لي اهتمامات بالشأن العام من بدري بحكم العيلة، حتى أخواتي البنات اللي أكبر مني كان لهم اهتمامات بالشأن العام، حتى واحد من أخواتي برضه معروف شوية اسمه سمير فياض، هو طبيب وكان له دور مهم في بناء المؤسسة الصحية في مصر أيامها. والنتين، سمير وسليمان، كانت اتجاهاتهم تقدمية؛ دا على قومي عربي شوية، وبعدين ساب القومية العربية وبقي حاجة ثانية، ودا على اشتراكي. لكن الفكرة إن إحنا طبعا ناصرين، البنات كلهم وهما كمان ناصرين، كان الوحيد اللي ماسك عقله كويس الأديب لأنه هو راجل مثقف، يقولوا له [عبد الناصر] أمم قناة السويس يقول لهم ديكتاتورية عسكرية، دا راجل كويس عمل كذا [يعلق:] ديكتاتورية عسكرية، مفيش فائدة لابسة في دماغه. المناخ دا أثر على تكويني الفكري والثقافي والإنساني والأخلاقي.

سليمان، كان فيه ميزة عربية جدًا، غير إن هو أديب ومنقف، كان عنده منهج علمي يؤهله لدخول قسم رياضة، كان بيحل فوايزر وبازل، عقلية رياضية وكانت فكرة المنهج العلمي عنده واضحة جدًا، وكان بيقرا التاريخ بطريقة معينة نقدية وطول الوقت بيحاول يطبق عليه المنهج العلمي. كان لّما يحكي لنا حكايات تاريخية كنا نستمتع جدًا بالسرد التاريخي بتاعه. أما توفى كتبت في ورقة، في كتاب طلع في الذكرى بتاعته، قلت إنه أكثر واحد أثر في تكويني الذهني والفكري، وإن أنا ممتنة جدًا ليه.

كمان في حاجة في المناخ اللي طلعت فيه -يمكن لأني برضو اتنسيت- أدتني إحساس بالثقة بالنفس ودي عملت لي مشكلة بعد كده، لأنني لا ذات الجهد في الثقافة العامة، ولا ذات الجهد في ترك بصماتي على حاجات مهمة في تاريخ البلد، ومع ذلك بثق في رأيي وبقوله ومش بتكسف ولما يغلط يعتذر، ومش بيحيلي شعور بالذنب.

في ثانوية عامة زمان كانوا بيعملوا تفوق رياضي تاخدي عليه خمس نمر، التفوق بتاعي كان اجتماعي، قريت كتب واخدت فيها نمر وللأسف النمر دي كانت كابوس بالنسبة لي لأنها جابت مجموع طب، مكنتش عايزة أدخل طب، كنت عايزة أدخل آداب، تاريخ مثلاً، لأنني كنت بقرا كثير وشغوفة

بالحواديت والتاريخ. لكن أخواتي فيهم أخ وأخت طبيبين قالوا لي لازم تدخلتي طب، ووصل الأمر إن الأخ الطبيب حبس ورقي في مكتب التنسيق لغاية آخر يوم، "آداب إيه.. دي الواحد يقرأها بليل... روايات تتدرس كلها بعد الظهر في البيت، حد في الدنيا تبقى المهنة بتاعته آداب!"

المهم أنا كنت خوافة، يمكن عشان الصغيرة ومفיש خبرة اجتماعية تتناسب مع السن، كل حاجة بتتم في البيت، لكن مفيش خبرة الانطلاق في الشارع، بالتالي القرارات المصيرية بتبقى صعبة، غير إن هَمّا بيخوفوكي. دخلت طب، دا قرار مصيري ومعرفش مصلحتي فين، مش عارفة فيه تناقض في اللي أنا بقوله ولا لا، بس اعتقد مفيش تناقض. لأن كل القرارات اللي كنت باخدوها قبل الجامعة حاجات صغيرة ويومية مستهلش صراع، لكن موضوع الجامعة دا كان صراع، والمهم إنهم هم اللي حسموه ودخلت طب.

كنت عايزة أسبب الكلية وأحوّل المهنة فقام العقلاء بتعقلي وقالوا لي بعد ما تخلصي الكلية غيري الـcareer. في سنة رابعة مثلاً كنت عايزة أقطع علاقتي بالكلية، كان فيه وضع مهين في التعامل مع المرضى، بيستخدمهم كمادة للتدريب، والمهين أكثر إن فيه مجموعة من المرضى يجيهم من بيوتهم بالتليفون عشان يدرسوا عليهم، محترفين بيتأجروا بعيالهم وبيأخدوا فلوس.

ونمتحن على مجموعة مرضى عندهم حالات كلاسيكية ومزمنة، والواحد منهم مش يجاوب غير لما ياخد فلوس، وإذا رضي عنك يغشك حالته بالكامل بالإنجليزي مقابل فلوس. وضع مفيهوش احترام للعانيين ولأ الطلبة. طريقة تعليم إحنا ساخطين عليها، وولد الأساتذة يقولوا أساتذة. دا غير قلة أدب الأساتذة، يقلّوا أدبهم علينا في الامتحانات، كان الأستاذ [شايف نفسه] ربنا!

مرة دخلت القسم بتاع أمراض النساء وتفاعات بست نايمة، وواحد واحد يفحصها فحص مهلبلي، كلهم رجالة، والمریضة ست فلاحه المفروض إنها جاية عشان تتعالج وغالبًا مقابل إنها تتعالج ويتعملها عملية يتعمل فيها كل يوم كده، أنا لما وصلت لغاية عندها خرجت من الباب الثاني. وسألت قالوا لي إن "مش مطلوب مني في الامتحانات فحص [ستات بالشكل دا]" لأن إحنا مش أخصائيين نساء. ومدخلتش قسم نساء ثاني، وامتنحت تحريري (من غير فحص).

داخل تنظيمي الدولة؛ "الشباب" ثم "الطبيعي"

لما دخلت كلية طب جامعة عين شمس، قبل 1968، كانت البلد فيها وضع غريب شوية، وساعتها "منظمة الشباب" كانت في الجامعة، بس هَمّا آخروا عضويتي في المنظمة،

عشان كنت بنت متمرّدة شكلي يساري أو ماركسي-ولا أعرف حاجة في الماركسية- بس يعني الآراء كلها نقدية لعبد الناصر. بعد كده قرروا يرشحوني في المنظمة، وكانت دي كل علاقتي بالسياسة. أما دخلت لقيت حاجة غيبية كده، اجتماعات وغرف مغلقة، ونكتب تقرير عام ونقول آخر نكتة، طبعًا تلقائيًا رفضت حكاية كتابة تقرير، وفي المقابل اتكسفت أبلط في الخط، (يعني تبقى قاعدة ومتشغلش)، وفي آخر النهار نقعد نقول النكت! المهم جات الهزيمة [1967] وإحنا في المنظمة ولأنت لقطة بمليون جنيه؛ المنظمة انتهت واتبحرت، مش موجودة لأنها حاجة صناعية، لا تعبّر عن هموم طلابية أو نقابية أو هموم الشباب في السن دا ولا أي حاجة، مفيش حاجة أصيلة. اختفت.

كنا مصدقين إن إحنا دخلنا تل أبيب وكسرناها، والطيران طلع والدنيا اتهردت، يومين ثلاثة ولقينا عناوين الجرايد بتتغير، والدنيا بتتغير، وإذاعات أجنبية وإشاعات، واتضح إن فيه هزيمة. لما الراحل [عبد الناصر] قال أنا مستقيل، أنا شخصيًا شعوري كان متناقض ما بين إنني متقاطعة بالذات في الأذوية الكبرى، وما بين إن دا الأب الروحي وهنروح فين! مفيش مؤسسات أو أحزاب، مفيش حاجة خالص.

بعد الهزيمة، كنت مش فاهمة، مفيش حد يبيدّ الحاجة على استقامتها، بعد كده ببص على كتابات الأحزاب [غير الرسمية] بليها بتقول بمنتهى الموضوع إن "الهزيمة حد فاصل بين مرحلتين، وإن دي بداية مرحلة ما" وطبعًا مكنوش يقدرّوا يقولوا إنها "مرحلة سودا" لأن ممكن يكون فيه مقاومة ومتيقاش سودا. لكن القراءة كلها إن دي هزيمة لرأس البرجوازيات العربية، وهزيمة منطقية لغياب الديمقراطية، لأن الجيش كان متناسب إرث خاص لعبد الحكيم عامر. مكنتش قادرة أقّرّ إن دي هزيمة كبيرة. بعد كده عرفت إنها حصلت بسبب غياب الديمقراطية، بسبب الناصرية. كنت مرتبكة ارتباك عميق، طول الليل بلطم إنني عمّالة اتناقش في السياسة بصوت عالي، وإن فيه أسئلة وأجوبة مش مفهومة، بزق جدًا ومش فاهمة حاجة واللي بيكلمني مش فاهم، وإحنا الاتنين بنزق، وينتهي الأمر إنني أضحي الصبح زوري واجعني، وعلى آخر النهار يفك... فضلت كده شهر، مفيش ولا برد ولا عيا ولا أي حاجة.

من الحاجات اللي ساهمت في تكويننا المناخ السياسي اللي ظهر في البلد، وضمن الظواهر دي كان في واحد شاعر اسمه فؤاد قاعود متجوز صديقة اسمها سهام هندي، كانت معانا في الكلية إحنا كُنا بنروح نسمع الشعر بتاعه ودا حصل في مرحلة مبكرة ممكن نقول 1967 و1968 وكان دا من الحاجات اللي فتحت دماغنا على حاجة اسمها شعر وأدب، أنا صحيح كان لي علاقة بالأدب من سليمان

[فيماض]، لكن أشعار فؤاد قاعود حلوة قوي، وحضرت كذا قعدة للشيخ إمام عنده، ألحان مبهرة وأغاني حلوة. وبعد شوية بدأنا نسمع الأغاني الثانية اللي مش عاملها فؤاد قاعود، بس دي من الحاجات المبكرة اللي كانت بتحفظني؛ أنا مع الناس دول، أنا مع التيار دا، أنا أحب أبقى كده.

لما "منظمة الشباب" اختفت جُم ناس قالوا لنا تعالوا هنعيد المنظمة، لما زحنا لقينا نفسنا قاعدين في مكان في مبنى قيادة الثورة عند فندق البرج، فندق الشيراتون الشهير اللي عند كوبري الجلاء، حاجة ضلعة وكبيرة وواسعة وترايزة كبيرة. وضع مخيف وقاعد ناس واحد فيهم نعرفه، إعلامي شهير، وأدانا استمارة وقال: "املوها وامضوا عليها"، إحنا مش فاهمين اللي إحنا بنعمله وسألنا الوسيط اللي واخذنا، قال دا إعادة "منظمة الشباب" وعملنا الورقة ومضيناها بس كُنا شاكين ومش فاهمين. لما خرجت زحت البيت بحكي لأهلي قالوا لي: "يخرب بيتك دول دخلوكي حاجة اسمها "التنظيم الطليعي"، إنتي مش عارفة التنظيم الطليعي؟" قلت لهم لا! كحولي إنهم "ناس مش كويسين وبوشين، وبيقولوا أي كلام ومع الحكومة". طب أتصرف إزاي؟ أحد إخواني نصحني إني ألبط في الخط، لا اتصدم ولا اتخافق ومعملش حاجة. طبعاً "الطليعي" كان تنظيم سياسي يعتمد أنه يجند القيادات من جميع مجالات الحياة بحيث الدولة تكون ممسولة بقبضة حديدية؛ المدارس، قيادات المصانع والوزارات، عمداء كليات، أي معاهد بحثية، والقيادات الطلابية. الشباب اللي عامل فيها تقدمي زبي أنا وآمال [عبد الهادي] يدونا كتب فيتنام حرب العصابات، جيفارا، عشان ننشف وتنسبط، بس أنا خلاص كنت عرفت طبيعة التنظيم إنه تابع للدولة وفتح على أجهزة الأمن وقررت ألبط، ومن ضمن التليط محضرش اجتماعات، إنما لما أحضر ميفافس فيه تعاون، ولأ تقرير رأي عام أو آخر نكتة، أو أي حاجة.

سبات عميق ومجلات حائط

لما جات 1968² جزء كبير جداً من جامعات مصر خرجوا وعملوا مظاهرات، طب لأ، عين شمس والقاهرة وكل كليات الطب مشهورة إن شغلهم جامد ودراستهم جامدة. الطلاب مكانهم في المعامل، المكتبات، المحاضرات، أوضة التشريح، لكن مش مهتمين بالشأن العام. "طب عين شمس" مخزجتش نهائي. البلد مولوعة برّه وإحنا كلنا

قاعدين في الكلية. مفهمتش أنا ساعتها الظاهرة دي، كانت غريبة جداً، الناس دي مش بتخرج. الكلية كانت تايمه في سبات عميق، نايمه لدرجة إن مفيش كافيتريا يقعد فيها الشباب، مش من حق الشباب يقعدوا في كافيتريا.

في آخر ممر جوّه خالص في أوضة بتبيع ساندوتشات وأزايز حاجة سافعة، واللي يتجرأ أنه يدخلها الرحالة المخضرمين اللي بيسقطوا كتير، وكان فيه زمان ظاهرة إن الواحد يسقط عشرين سنة في الكلية. رئيس اتحاد الطلبة سنة داخل ع الأربعين، ووشّه فيه تجاعيد، كان لما يجي جانبي يططب عليّ، وأنا طبعاً فلاحه وهبله أدخل على طول الأوضة أجب ساندوتشات ألقاهم بيشربوا شيشة. جو غريب جداً، واعتبروني البنت الحلوة الطقة، كنت صغيرة وحلوة.

المهم كيف حدث؟ مش عارفة، بدأ يتشكل أفراد حوالين الهموم الطلابية، غالباً دا رد فعل 1968، بس رد متأخر، وبدأت تتشكل مجموعات وأفراد وكان فيه ممر فيه إعلانات الإدارة وبدأوا يحطوا ورق عليه حاجات، دا بعد كده بقى ممر الصحافة، وممر الصحافة اتشهر في كليات كتير، بقى في كل كلية ممر الصحافة بنعمل مجلات حائط.

فاكرة أول مجلة عملتها أنا وآمال كانت عن محمود مختار، ليه؟ لأن مامت دكتور عماد أبو غازي، أبله رعاية، كانت فدرستني في "الدراسات الفنية"، [في التعليم الثانوي] وهي قريبة مختار وكانت ست رائعة جداً، أنا ميعرفش أرسوم وهي مش عايزة تكسفنني؛ تخليني أعمل حاجات مش رسم، اقرا مدارس فنية صغيرة وأعملها نقد بس بطريقتي، إيه الفرق بين دي ودي، إيه اللي أنا حساه وأدنتني عشان تفوقني، أنا وآمال، هدية كتابين عن محمود مختار مصورين فيهم صور تماثيل. وإحنا عايزين نعمل مجلة عن محمود مختار لكن قلبنا واجعنا قوي إننا نقطع الصّفح ونحطها على المجلة لأن الصور حلوة قوي ومفيش محمود مختار من غير صورة تمثال، يعني هتكتبني تقول لي إيه؟! اتجوز وخلف. المهم عملنا مجلة حائط وعملنا عواميد وفرنا نضحى بكتاب من الاثنين، شلنا واحد، والثاني قطعنا منه الصور. كل يوم نعملهم مجلة عن محمود مختار.

بعد شوية ما نعرفش العجلة دارت إزاي، بدأ يبقى في أفراد في الكلية لحزب "العمال الشيوعي المصري" [غير رسمي] حطوا خميرة السياسة.

لما عبد الناصر مات، كُنا في البيت، وأختي، وهي ناصرية قوي وسخنة أكثر مني، قالت إنها نازلة ميدان التحرير ونزلت معها الفجر، الساعة كانت أربعة، وطبعاً شوفنا المناظر اللي بيحكوا عليها؛ الستات اللي بتندب، والهدوم اللي بتتقطع، والعياط والصريخ، وهسترة شعبية. طبعاً دي حاجة

1 يمكن الرجوع إلى شهادة آمال عبد الهادي المنشورة في هذا الكتاب.

2 إشارة إلى اعتراضات طلاب الجامعة على أحكام قنات سلاح الطيران السابقين عن مسؤوليتهم عن هزيمة حرب حزيران/يونيو 1967، حيث مضت إسرائيل على الطائرات والمطارات المصرية خلال ثلاث موجات. وقد خرجت المظاهرات في شباط/فبراير اعتراضاً على الأحكام التي ما اغتبرت أن المحكومين يستحقون عقاباً أكثر صرامة.

من حالة الاسترجاع الحزينة اللي بتجيلي، مش حزينة على عبد الناصر، حزينة على الناس.

مشيت من السيدة زينب للعباسية، مفيش مواصلات، فيه إضراب في البلد، طلعتا فوق عمارة في شارع رمسيس، وقعدنا نتفرج على الجنازة المهولة والنعش اللي قطعوه حتت.

واستمرت اكتب في مجلة الحائط، وحصلت العركة بتاعة السادات لَمَّا شال مراكز القوى اللي سقاها "15 مايو"، راحوا الرجالة اللي تبع "التنظيم الطبيعي" كانوا متركزين ساعتها في هندسة عين شمس، وفي بعض الكليات في الجامعة. جامعة عين شمس ثلاث حتت؛ كلية الطب لوحدها اللي هي في الدمرداش، وهندسة تحت اللي هي عند المستشفى اليوناني والإيطالي، والباقي في الجامعة. هَمَّا كانوا متركزين في الجامعة وهندسة عين شمس أساساً، وإحنا كليتنا كانت محيرة من "التنظيم الطبيعي"، بعد كده عرفنا إنها ما كنتش محررة وكان فيها عدد قليل مش جهابذة، اثنين أو ثلاثة، واحد منهم هو الواسطة اللي اخدنا لمبنى قيادة الثورة عشان نمضي ورقة تحت الشعار الكاذب: "إعادة تكوين منظمة الشباب". طبعاً هناك فرق؛ منظمة الشباب تنظيم له صفة شبه جماهيرية يعني في الآخر طلبة، إنما الثاني سري أكثر وعقائدي أكثر، فاتح على أجهزة الأمن من تحت مش من فوق، حتس كانت حاجة صادمة لي إن دا الامتداد الطبيعي للمنظمة مش إن دا حاجة ودا حاجة، هَمَّا حاجة واحدة وكله تبع الدولة بس كل حاجة لها مرحلة، دي لمرحلة ودي لمرحلة تانية. المهم، وإحنا بنعمل مجلات محمود مختار وبنكتب على الحيطان، السادات ضرب "التنظيم الطبيعي"، ورجالة التنظيم بدأوا يعملوا حركة مناوئة، أنا نزلت مقالة حلوة كبيرة كتبت إن "اليوم أسقطنا الرؤوس وغداً سنسقط الذبول" الذبول هي العيال دي، ليه أنا ضدهم واعتبرتهم ذبول؟ لأن كان بدأ صراع في الجامعة إننا مش متعاونين معاهم، ومش متعاونين مع "التنظيم الطبيعي". فيه خطورة، ريحة سياسة جاية في ممارسة الصحافة، وبيشجعنا أعضاء حزب "العمال الشيوعي المصري"، وكانوا يكتبوا. بعد ما كتبت المقالة دي جالي الراجل الواسطة وقال لي: "إيه اللي أنت عملتيه دا؟" قلت له: "في إيه! العيال الصبع دول أنا بشتهم". قال لي: "إزاي إنتي لازم تستاذني التنظيم!" المهم هزأته ومشيت، مفيش أسبوع لقيت واحد على باب الجامعة بالعربية كنت أعرف وشه من اجتماعات "التنظيم الطبيعي" اللي حضرته قال لي خمس دقائق اتمشى معاك يا دكتورة. ركبنا العربية وفي جولة صغيرة منزدش عن عشر دقائق تقريباً هددني، مش فاكرة الحوار بالتفصيل، بس فاكرة إن أنا قلت له إحنا مش بنعمل حاجة ومش

مضطرين نسال حد وكلام مايع واتخضيت قوي، وهو نفخ في "إنتي القيادة والمفتاح ولو عملتي حاجة صح أصحابك هيعملوا زيك" وسابني. الشخص دا ساعتها اعتبرته أمن وأنه خطفني، بس هو مكنش أمن وشوفته بعدها بتلاتين سنة، طلع راجل عقائدي ومؤمن ومقتنع بـ"التنظيم الطبيعي". عُمرنا في هذا التنظيم مكمش شهر أو شهر ونص، فقدوا الأمل فينا مبكراً، وإحنا اتقطعت صلتنا بهم. وبقينا ناشطين جداً بشكل كامل في ممر الصحافة، اللي كان بيشتغي حلقات نقاش.

لَمَّا الجماعة بتوع "التنظيم الطبيعي" اتضربوا وراح التنظيم في قرار السادات بفك الاتحادات، غالباً لَمَّا بيحي نظام جديد بفك مؤسسات الدولة، وإحنا اتبسطنا ونزلنا الانتخابات، دي أول معركة جماهيرية كبيرة نزلها.

نزلنا بوجهة نظر نقدية، كان معانا شباب فلهمش علاقة بالسياسة بس كانوا فاهمين قوي وهَمَّا مبالغين أكثر للقضية النقابية الطلابية. بدأنا نكتب على الحيطان إيه اللي إحنا عايزينه من الاتحاد، مفيش حاجة اسمها إن ميزانية "اتحاد الطلبة" سرية، الميزانية تُعلن، وبتتصرف إزاي ويبقى فيه جمعية عمومية، مفيش حاجة اسمها إن أنشطة اتحاد الطلبة يقررها أربع أفراد في الاتحاد، الطلبة اللي يقرروا. الاتحاد لازم يشرف على كل ما له شأن بالطلبة من نوع أسعار الكتب والمذكرات، والفساد اللي في المعامل وفي غرف التشريح. بدأوا الولد يعملوا تصورات عن نوع الاتحاد اللي إحنا عايزينه، ودا بقى البرنامج اللي زمايلي نزلوا على أساسه الانتخابات. أنا منزلتش الانتخابات، بس الشباب الجَمال دول نزلوا. كل واحد ركز على مجال ونجحوا نجاح ساحق، طبعاً كُنا فاهمين ساعتها إنهم منجدوش بمجهودهم ومجهودنا، هما نجحوا لأن الراجل [السادات] ضرب "التنظيم الطبيعي" وبقي سمعته زي الزفت ورجالههم نزلوا قصادنا وفيهم ناس نزلت وسقطت لأن هَمَّا سمعتهم راحت.

اتعمل شغل جميل خالص في الكلية أصلاً كانت صامتة. ظهرت في الأفق أسئلة كثيرة جداً كلها بتصب في السياسة، وكان فيه شعار في كلية الطب اسمه يُورث ولا يُدرس³، امتحانات الشفوي فيها كوسة ومحسوبة، المسيحيين ييسقطوا في أقسام المسلمين، والمسلمين ييسقطوا في أقسام المسيحيين، إحنا فهمنا إن حل القصة دي كلها إن الناس دي توسّع دماغها وتفهم سياسة، بس الحقيقة مش إحنا المسؤولين عن خلق هذه الأنشطة، إحنا بنحط بذرة والمناخ كان مواتي بسبب الأسئلة اللي ظهرت بعد الهزيمة وحركة 1968 ووصول أعداء بدايات "الحركة

3 أشارات الراوية سابقاً إلى أن الطلاب من أولاد الاسابذة كان يتم تعيينهم في الجامعة.

لما جت حرب 1973 كُنا خلاص اتخرجنا، بس الحرب سحبت السجادة من تحت الحركة السياسية في الجامعة لأن كان فيه رهان طول الوقت إن [السادات] مش هيحارب، لكنه عملها وحارب. رغم إن اتقال، من بعض المثقفين والأحزاب، إنه هيعمل "حرب دخان" وممكن يعمل من جواها تسوية زي ما حصل بالظبط، ولكن اللي اتورطنا فيه إننا قلنا مش هيحارب، ولما حاربنا بقى فيه رد فعل شعبي ضدنا.

بعد التخرج فضلت عدد من السنوات، مش بشتغل مهنتي اللي هي الطب، كنت ممارس عام، وبشتغل شغلانات هامشية، لأنني كنت مهتمة بعمل سياسي حزبي، وعشت في "حزب العمال الشيوعي" تجربة كبيرة.

عن الطب النفسي

اشتغلت طب نفسي في الكويت، سافرت هناك وقعدت فترة، الجائزة الأولى، عشر سنين. وساعتها كان فيه اتفاق بين وزارات الصحة العربية إنها تبعت دعم إلى لبنان عشان كانت المقاومة، اللي هو قبل اجتياح بيروت والدعم الطبي يعني، وعملوا اختيارات وقالوا اللي عايز يطلع، وأنا قلت أنا وواحد ثاني، المهم طلعا وقعدت سنة في لبنان معملناش حاجة ذات شأن خالص لأن المستشفيات كانت قائمة بالآلية بتاعها وكان فيه متطوعين وفيه مهندسين مصريين بينوا المستشفيات، وكان فيه فرق تريض من لبنان. لكن حاولنا نساعد على قد ما نقدر بحكم تخصصنا في المجال النفسي. وبعدين رجعت من الكويت اتطلعت، وبعدين اتجوزت ثاني. لما رجعت للقاهرة درست مهنة الطب نفسي، و قابلت صديقة عزيزة عليّ هي اللي اقترحت إننا بدل ما نشغل طب نفسي تقليدي زينا زي غيرنا نحاول نشغل في مجال التأهيل النفسي لضحايا العنف وهي كانت في مؤسسة "المرأة الجديدة"، وأسسنا "مركز النديم" بس الحقيقة قبلها كان فيه تجربة ثانية مع الصديقة دي وآخرين، إحنا اشتغلنا في حاجة اسمها مركز "الرعاية الصحية الأولية" في الوايلي، اشتغلنا بفكرة الطب الوقائي. وعملنا عيادات علاجية بتعتمد على رفع الوعي الصحي في الحي وعلى اكتظاظ أسباب المرض مش علاج المرض، مثلاً عملنا حملة انتهت بقفل مصانع الرصاص كانت بنسجم المناخ اللي في الحي، كُنا بنعمل ندوات صحية بنفهم الأهالي إزاي ميجلس إسهال للأطفال، الدبان، النضافة، حملات لتنظيف الحي حصلت في وجودنا. دعم لمرشح سياسي في "التجمع" كان راجل أفضل من الحزب الوطني كان في مرحلة كده، والمرحلة دي كُنا أعضاء في "جمعية التنمية البيئية والصحية" المفروض كانت شغالة لسه، كانت تجربة الحي لها علاقة بالجمعية، علاقة عضوية. المهم بعد التجربة دي عملنا مركز "النديم".

الطالبة" في جامعة القاهرة وجامعات أخرى وظهور شباب غيرنا فلهمش علاقة بالحزب الشيوعي المصري زي القطر. بدأ يبقى فيه مبادرات طلابية، "نعمل يا جماعة فرقة كورال"، وإحنا نعمل دعاية للفرقة، كان في حد يقول الجواله (كشافة)، ولما نروح معسكرات الجواله، أنا وآمال، نبقي فاهمين إن دا مناخ مهم نستقطب فيه ناس لأفكارنا، نقوم نصبح عليهم بكروت نكتب عليها كلمتين يخلصوا البلد والوطن. دخلنا كل الأشكال اللي اتشكّلت تلقائياً من الطلبة وشيعانها وبقي فيه مجموعة من الأشكال الصغيرة البسيطة تفتح الدنيا والأفق والأسئلة وتربط الناس بمواضيع متعرفهاش. الجواله، الكورال، فرق إسعاف وتدريب، فرق الجبهة اتشكّلت أظن في أكثر من جامعة، كانوا بيروحوا زيارات للجهة عشان حرب الاستنزاف يروحوا يعملوا دعم ويتعلموا سلاح.

بعد "اتحاد الطلبة" كان فيه عركة ثانية اسمها النادي الثقافي، وكان اللي عملينه الشباب القيادات بتاعة التنظيم الطبيعي والناصريين. ندخل النادي نقول أفكار تخريبية، يعني أفكار غير تقليدية فيها خلافات سياسية وكلام على عبد الناصر والسادات، والدنيا ولعت في النادي الثقافي، عملنا لهم صدام وسحبنا جمهورهم.

بدأنا لأول مرة نعدّي سور كلية الطب ونروح مؤتمرات العيال بتوع "التنظيم الطبيعي" في الجامعة ضد السادات وبشكل مراهق جداً نروح قايلين كلام ضد عبد الناصر، وتحصل خناقات بس دي كانت الوسيلة في حدود وعي الطلبة إننا نعتبر عن أفكارنا وآرائنا. ومن مآثرنا إننا عملنا كافتيريا، ومؤتمرات جماهيرية عرضنا فيها الميزانية، واقترحنا بنود، وعملنا شكل ديمقراطي بدائي وكمان علقنا على الحيطان في ممر الصحافة كشف حساب لنشاط الاتحاد كل شهر، واللجان بتعمل إيه، والمصاريف بتتصرف إزاي، لأن الفلوس كانت بتتسرق حرفياً، كانت بتروح في رحلات ومُسح. مع الهوجة دي تبخرت الأوضة بتاعة الشيشة السرية، وتبخر العواجيز بتوع الاتحاد اللي كان التجاعيد في وشهم، ضعف وجود أفراد "التنظيم الطبيعي" والناصريين الكلاسيكيين. إحنا كُنا كلنا ناصريين بس مكناش زيهم ومش بتوع الحكومة، بقى فيه مناخ ديمقراطي طلو في الكلية. بعد كده العشرات من الشباب الرائع اجتمعوا في أسرة كبيرة، وفضلت الأسرة دي شغالة سنوات بعد ما اتخرجنا.

اتقبض عليا مرتين، القبضه نمرة واحدة، خدونا من اعتصام مدرج طب عين شمس، واتحبسنا شهرين تقريباً في القلعة وبعدين سجن القناطر، والقبضه نمرة اتنين كنت اتخرجت وفي تنظيم حزب العمال الشيوعي.

4 يمكن مراءة شهاده آمال عبد الهادي لمعرفه تفاصيل تلك الحيسة

النديم

تجربة "النديم" بالنسبة لي as equal as الـ history اللي قبلها. إذا كنت تقول إن فيه حاجات أثّرت في ديتي الفكرية، وحزب "العمال" أثّر في ديتي السياسية، إنما "النديم" إذاني تجربة خاصة ومختلفة، والحقيقة هي تجربة نقدية.

مثل التحولات السياسية اللي حصلت في البلد والعالم في الـ 20 سنة اللي فاتت، وعلى رأسها الإنترنت وإتاحة المعلومات، إذتنا مساحة نقرا فيها اللي فاتت، وتتفاعل مع اللي بيحصل. ورغم إنها فترة بلا قراءات كبرى فكرية ونقدية، إلا إنها بالنسبة لي ثروة في وعيي السياسي وخبرتي. مفهاتش أحزاب ولا سياسيين جهابذة ولا قراءة للأساسيات للاقتصاد والفلسفة السياسية، ومع ذلك كانت مميزة جداً ومليئة بالخبرات وكانت سنوات الشغل في "النديم" كافية إن الواحد يغيّر رأيه في حاجات كثير، اتعرفنا على بضعة آلاف قليلة من ضحايا التعذيب والاضطهاد في أقسام الشرطة وأماكن الاحتجاز، وخلال تعرفنا عليهم وعائلاتهم عرفنا بناء مؤسسات العدالة والقانون وقد إيه هو ضالع في التغطية على هذه الانتهاكات، وأحياناً الاشتراك فيها. مرحلة جديدة خالص من النضج الفكري، ومعتمدة أكثر من الأول على التفاعل مع الأحداث الجارية عالمياً ومحلياً، ومع الحركة الجماهيرية حتى لو أنا مش مشتركة فيها، بس متفاعلة فيها، بنزل أنفج على المظاهرة ويسمع ويكتب وبشتغل إلى آخره، يعني مثلاً "لجان دعم الانتفاضة" إحنا كأفراد، أغلبنا ستات في "النديم"، كُنا في لجان فرز الأدوية وبشتغل عشان ناخذ تصريحات من وزارة الصحة لترتيب القوائم والتغطية الإعلامية والدعائية، وبوميات اللجان، وتغطية مسار القوائم وقفت فين وأضربت فين والأمن طلع فين والقافلة عملوا فيها إيه. مرحلة تتميز بالاشتباك مع الحركة أكثر، التعلم من التجربة العينية الحياتية أكثر من القراءات. كنت بشتغل باعتبار إن الإيد البطالة نجسة، ومن جوابا حاسة إن الحاجات دي مش هتغيّر حاجة، وإن نظام حسني مبارك قاعد على نفسنا لأن مفيش حركة سياسية، مفيش أحزاب، مفيش نقابات، مفيش حاجة والبلد متسكرة.

طبعا من بدري كُنا قرينا التجربة الناصرية باعتبارها صادرة أهم ما في أي مجتمع، اللي هو المبادرات الشخصية، الحرية، النزوع التلقائي للتنظيم، علشان الناس تدافع عن مصالحها وتفهم، النزوع التلقائي لبناء المؤسسات الجماهيرية ونقابتها وأحزابها اللي هو تقوية المجتمع المدني، اللي هي الحاجة الحقيقية لو كانت حصلت فعلاً في عهد عيد الناصر مكنش السادات هيعرف يعمل التخصص والتطبيع. بس لما عبد الناصر مات البلد كانت

بلا مؤسسات وكان نجح إنه يحول البلد إلى طابور واحد طويل ماشي وراه، مش تنظيمات. بقول لك إحنا قاربين دا من بدري بس لما جه عهد حسني مبارك الوضع دا تأيد والبلد مقيش فيها مخرج. كنت بحتك بالتجارب المحلية وبحاول اقرا عن التجارب العالمية واشترك في الحركات الجماهيرية اللي بتحصل في مصر عن بُعد، ومن موقع إن الإيد البطالة نجسة، ومن الموقع الثاني إن العيادة بتاعة علاج نفسي وفيه تعاطف عميق مع الضحايا، وفيه غضب كاسح مع كل حالة بنشوفها، لأن إحنا بتتفاعل مع الحالات، وطبعا اتعلمنا من بدري إن دا مش طب نفسي تقليدي، إحنا بتتعامل مع الحالات باعتبارها بني آدم متكامل نفس مع روح مع جسد وقضيته متكاملة وفي قلبها مش العلاج النفسي الصارخي بتاع إكهي لي عملوا فيك إيه، لا في قلبها حاجة اسمها رد الاعتبار للضحية، ورد الاعتبار دا مش بيحي غير بمحامي وقضية وحبس الطابط اللي ضربه، وبحملة دعائية نخلي ساحنه قدام الناس، وتسلط الضوء على نظام العدالة الفاشل اللي بتحصل فيه المأساوي دي. يبقى العلاج شامل، دعائي، إعلامي، قانوني، طبي إلى آخره. حتى التعابين فيهم بنودهم المستشفيات، إحنا كُنا بتعيش مع الضحايا وعائلاتهم التجربة كاملة. دا مكنش يتعمل بمنطق الإيد البطالة نجسة، دا كان يتعمل كواجب وحق للناس أنا أحب أعمله، شيء بتحقي فيه نفسك. أمّا ما يتعلق بالحاجات السياسية دي بقى دايمًا عندي فيها إحساس إن رجل برّح ورجل جوّ، والموضوع مش جايب ثمنه لكن بعمل حاجة حلوة ويزوقها، إلى أن حصلت 2011.

كانت حاسمة، مشتركتش فيها بشخصي، بس كُنا مشتبكين طول الوقت. "النديم" كان فيه غرفة عمليات تعمل رصد وتوثيق للمأساوي، والجنت بالأسماء، طلقات الرصاص فين مكانها، الهجوم على الشباب تم في أي أحياء، وخرايط واشتغلنا بعدها على مظاهرات "الإخوان" اللي انتظم فيها 50 مذبحة مش الثلاثة اللي إحنا عارفينها، كُنا بنسمّي المذبحة لما يزيد [ضحاياها] عن عشرة، بناءً على نصيحة السوريين، كان بيبقى عشرات في المطرية، بين السرايات، الزاوية، ميت مصيبة يعني.

لكن فيه رسالة وصلتنني في 2011، رسالة أو فكرة إننا نقدر، أيوة عملناها، وممكن نعملها ثاني.

2011 بالنسبة لي ردت الروح، وفيه حاجز نفسي انكسر، وفيه الموجة الثانية، اللي بيحروا في الموجة الأولى بيتعبوا وينظموا التنفّس ويعملوا الموجة الثانية. وأنا دخلت في الموجة الثانية ودخولي أذاني نفس طويل قوي، ولما جات الهزيمة بعد ثورة يناير رد فعلي: مغلش، حصلت مرة ممكن تحصل ثاني.

الغريب إن إحنا عندنا خبرة قديمة وستنا كبير ولما نقرا القراءة دي يبقى لنا حق، لكن العيال الصغيرة اللي بتتحبس وتخرج تقاوح ثاني وتتحبس ثاني وتخرج تقاوح ثاني وتتحبس ثاني إلى آخره. عشان كده 2011 مش سهلة، والدرس اللي سابته درس أيدي وأزلي، ولكن لا ينتهي من التاريخ مهما همّا عملوا الموضوع خلص، وأي كان حجمها؛ ثورة ولا انتفاضة، الفكرة إن الناس قدرت بإصرارها تعمل اللي هي عايزاه، معرفتش تكمل مش مشكلة، تقدر تعمل دا ثاني. أنا الرسالة دي كانت عندي قوية جداً وغالباً بدونها كان صعب في السنوات دي أكمل، صعب لو كان جه وضع ديكتاتوري زي اللي إحنا فيه من غير المرور في 2011، أنا عن نفسي أعتقد إن كان صعب استمر، هي أدت لي روح جديدة.

حركة نسوية

على المستوى النظري طول عمرنا متأكدين إن فيه تمييز ضد المرأة في المجتمع وفيه اضطهاد وإن فيه قمع، بس يبقى على المستوى الثقافي، عندي معلومات لكن معنديش ممارسة، مشوفتش ستات مُعنّفات في عيلتي، أنا من قرية لما كان يحصل فيها عركة كانت ستات العيلة بتخرج بالشوم تخلصها، هي عيلة الستات فيها قوية والرجالة تبقى قاعده جوّه. لما خرجت للدنيا الأوسع، في الجامعة مثلاً كُنا واخدين حقنا، مكناش حاسين بالتمييز. لكن بعد كده لما احتكيت بالمجتمع الأوسع فهمت إن فيه تمييز واضطهاد للمرأة، كنت مثلاً بقول لأمال عبد الهادي مثلاً أنا مش نسوية، تقول لي: "بما إنك ست يبقى خلاص بقيتي نسوية".

ولما احتكيت بتجربة "الوايلي"، وشغل "النديم"، و"المرأة الجديدة"، والبنات اللي بيشغلوا في مجال المرأة فهمت. وبالتدريج التحقت بركب الحركة الفكرية المناهضة لاضطهاد المرأة والتمييز، لكن مشتركتش في أنشطة عملية، جزء في الموضوع سببه إنني كنت شغالة في قضايا التعذيب ومستهلكة في البرنامج دا، وجزء ثاني غالباً إنني مكنش عندي دافع شخصي عشان ما أضطهدتش، اللي جرب غير اللي مجربش، وكل حركة يبقى دعامتها ناس اتقرصوا ومن غير دا بتبقى مزيفة، ويبقى بتكلمي على حاجة من برّاها.

عندنا في "النديم" برنامج لدعم النساء المُعنّفات، ودا اتعلّمت منه كثير لأن اكتشفت قد إيه القضية دي أصيلة في المجتمع، ومدمرة لنصف طاقة المجتمع، ومدمرة للأسر، وللسلام الاجتماعي جّواها، ومبددة لطافات الستات، ناس كان ممكن يبقوا مفيدين جداً لمجتمعهم ولأسرهم لما يخلفوا عيال بيتدمروا، ونص طاقة المجتمع المنتجة بتبقى واقفة.

في برنامج دعم المرأة حصل كمان ارتباط عاطفي بالستات والحركة النسائية وبجدوى الموضوع وأهميته. دي من الخبرات اللي مكنتش موجودة في شغل الأحزاب، بالعكس مكنش فيه برنامج خاص بالمرأة من أساسه، محدش كان بيحط الموضوع في الاعتبار، ولا كان فيه نشاط نسائي، ولا خصوصية لهذا القسم من أساسه، باعتبارها قضية مؤجلة بعد الاشتراكية، مفيش أولوية، الستات يتضربوا ولا يتحرقوا ولا يولعوا بجاز. طبعاً دي من التجارب الإنسانية الجديدة والخبرات والوعي اللي أنا اكتسبته خلال السنوات الأخيرة، لأن كمان موضوع الحركة النسائية اتفتح في السنين الأخيرة، وبعد الثورة بقى فيه حوار مجتمعي ونقرا لناس كتبوا وصراعات وأفكار، وإحنا بنشوف الستات في "النديم" ودا فارق قوي، لما تشوفي الستات بيعانوا وقد إيه الموضوع كبير مش تافه، أنا مكنتش أعرف موضوع الختان قد إيه أذى الناس، إلا لما شوفت واحدة من قرايبي سنها 50 سنة بنعيط لما جات سيرة الموضوع، وبتحكي إن إختوتها الصبيان اتريقوا عليها لما كانت بتتألم، الموضوع بيتم في حضور الجميع. طبعاً شوفان الشيء دا غير السمعان عنه تافاً.

لكن اللي أعرفه، إن الدولة لما تبتز من باب التفاق، أو من أبواب أخرى، إنها تجرّم الختان دا مش وحش، إحنا كُنا فين وبقينا فين، مؤكّد إن دا له علاقة بحركة مجتمعية مناهضة للختان، له علاقة بس مش هي الحركة اللي وراه، وراه أسباب أخرى مثل إن الدولة عايزة ترضي بنوع حقوق الإنسان في العالم، ونعذب الناس ونعمل إخفاء قسري بس نمنع الختان.

الحركة اكتسبت قيادات كثير، وبقى فيه أكثر من حركة ودا صحي في المرحلة دي، وصحي إنني أفتح فجأة فيسبوك الألفي ناس معرفهاش كاتيين كلام عميق، ممكن اتفق معاه أو اختلف بس مش دا الموضوع، الموضوع إنهم بيثيروا قضايا وأفكار، بيتنازوا انيازات في مجملها صحيح. لو كان حصل بعد 2011 وضع ديمقراطي كانت الحركة النسائية شهدت نهوض مروع، لأن مشاركة المرأة في الثورة دي، مش مشاركتها في قضايا المرأة، مشاركتها في قضايا السياسة العامة، وإنها تبقى مش حركة نسائية ضيقة الأفق وطالعة بالسنتينيات في المظاهرة تقول لا للسنتينيات، لا دي حركة ناضجة بتشارك في الشأن العام رأسها برأس الرجال، بالعكس تتفوق كثير جداً. في كثير من التنظيمات الصغيرة اللي طلعت بعد 2011 كان على رأسها ستات، لأنها فتحت الباب على مصراعيه وطرحت قضية المساواة والديمقراطية على مصراعيها للجميع مش بس للستات.

شهرت العالم: مع المساواة العادلة بين المرأة والرجل

شهرت العالم، مواليد 1954، هي متخصصة في الرياضيات وتاريخها، تعمل في الترجمة، وأسهمت في تقديم العديد من الكتب إلى المكتبة العربية، كما عملت في مجال الصحافة العلمية.

خُبست شهرت في 1977، وطالت حبستها عن ستة أشهر، تحكي عن محطات بارزة في حياتها، في هذه الشهادة التي اعتمدت على مقابلة أجرتها معها عالية مرسي في 26 شباط/فبراير 2020.

أب منفي وابنة معتقل وأم تعاني

وفي مظاهرات يناير 1977، خرجت مع صديقة ليّ اسمها إكرام يوسف⁴ هي من كلية اقتصاد وعلوم سياسية، وقررا تروح مشي عشان نشوف لو فيه أحداث. أنا سائكة في جاردن سيتي جنب ميدان التحرير، ومشينا على كوبري الجامعة لحد ما وصلنا للقصر العيني، وعند مجلس الشعب لقينا المظاهرات، واشترطنا فيها وقابلنا شخص كان معنا في الجامعة اسمه حاتم زهران، مكنتش اعرفه كويس، بس أظن هو كان معنا في الكلية، طبطب عليها وقال لها: "والله إنتي لسه صغيرة على الحبس يا إكرام" استمرينا شوية في المظاهرات وبعديها روجت البيت وهي كملت لبيتها. روجت البيت وعلى الفجر الباب خط وزوار الفجر وصلوا ودخلوا، وعملت فيها جعدة ومعالم إذن تفتيش قالوا: "لا، بس لو عايزة مش هتأخذك ونرجع بإذن التفتيش بس ملناش دعوة باللي هيحصل في البيت بقى" قلت لهم لآ أنفضلوا هنزل معاكم، قالوا ليّ: "لو عندك منشورات هاتينها"، قلت لهم ماشي، وكان عندي بيانات اللي بتطلع من الجامعة المختلفة وجيتها لهم، قالوا ليّ: "هو دا بس اللي عندك؟" قلت لهم أه، "طب يلا معنا". نزلت معاهم كانت حاجة تخض شوية لأنه كانت عربية كبيرة من عربيات الأمن المركزي، أنا صغيرة خالص وجعسي صغير، وناس قاعدين على الباب ويقتنوا تراس كبير ويدخل، صحيح الدنيا ضلعة بس لقيت حد يقولوا ليّ: "إنتي مين؟" ولاقيت إكرام معايا. خدونا كل حد على القسم القريب له، يعني أنا نزلوني في قسم جاردن سيتي، الطابط كان لطيف

لن نقول إن بابا محبوس

اسمي شهرت محمود أمين العالم، اتولدت في 1 يوليو 1954، أسرة متوسطة. أمي¹ كانت بتشتغل فذيلة في التلفزيون، والدي² كان صحفي. وأنا عندي خمس سنين فأكرة إنبي شايقة والدي بيخرج وفيه ناس، وأنا بقولهم متخدوش الكتب، وقالوا ليّ إنه مسافر، والدتي مرضيتش تقول ليّ إنه كان مُعتقل، ده كان في 1959³، على أساس إنبي لسه صغيرة ومش عايزة تعرّضني خالص لصدمة نفسية، إنبي أروح سجن أو أقابله في وضع سيئ والكلام دا كله. هو خرج من السجن بعد كده، واخذ براءة في المحكمة، ولكن اللي أخذوا براءة في القضية دي خرجوا من المحكمة على الاعتقال، قعد خمس سنين وخرج بعدها، وفكرة يوم خروجه جم ليّ في المدرسة وأخدوني بدري وقالوا ليّ إن فيه مفاجأة إن بابا رجع من السفر. أنا روجت وقابلته وفكرة المقابلة دي كويس، كنا قاعدين قصاد بعض إحنا الاتنين أنا عادي بالنسبة ليّ واحد مسافر ورجع، بس هو قاعد يبص ليّ طول الوقت مش قادر يشيل عينيه من عليّ، دي كانت أول حاجة أثرت عليّ. هو بعث لي جوابات من السجن، بس من غير لَمّا أعرف إنها مبعوتة من السجن.

حياتي مشيت بعد كده في المدارس ابتدائي وإعدادي وثانوي، وكنت مهتمة بالثقافة العامة باعتبار إننا في

1 والدة الراوية هي سمره الكلائي

2 محمود أمين العالم

3 اعيل والد الراوية محمود أمين العالم ضمن حملته اعمالات واسعه ضد الشيوعيين في فترة حكم جمال عبد الناصر عام 1959

4 بررد هذه الواقعة بروايتها أخرى في شهادة إكرام يوسف المنشورة في هذا الكتاب.

صليب. دي كانت القسوة الشديدة جدًا، وفي حاجات هما حطوا في الجرائد إنني هاخذ إعدام، كلها مسائل نفسية. هي كانت تيجي تقول لي: "إنتي مستحيلة دا إزاي" أنا معنديش مشاكل، أنا مش مستحيلة أنا مش عارفة، هي اللي استحملت، أبويا في النهاية راجل سياسة وفاهم، هي اهتمامها بالسياسة اهتمام مواطن عادي وبالتالي التقل كله عليها، واحد مطلوب القبض عليه وبزّه، والثانية محبوسة وينقال لها إنها بنته الوحيدة وإحنا عارفين، أعتقد هي أكثر واحدة قاست وهي لها تأثير كبير على الحقيقة. الحبسة دي كانت لمدة ست شهور ونص، وبعدها الدنيا مشيت بي، اتجوزت وخلفت بنتي سلمى، وطلعت منحة موسكو وعملت ماجستير ودكتوراه⁵.

رجعت مصر أول شغل لي كان في منظمة "تضامن الشعوب الآسيوية" مقرها في القاهرة، وبدأت وقتها اهتم بالترجمة. بعدها شغل في اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالقاهرة، بعدين خرجت نفسي معاش مبكر لأنني كنت عابزة أحس إنني حرّة. وفعلًا بقيت مترجمة حرّة. وعملت عقد مع المشروع القومي للترجمة، وكملت مع المشروع لَمّا بقى المركز القومي للترجمة لغاية 2010، ورجعت اترجم بشكل حرّ. كنت مندوبة مجلة "عالم المعرفة" في القاهرة، لغاية لَمّا قفلت، ولمدة 3 سنين اشتغلت نائب رئيس تحرير مجلة "العلم والحياة" لغاية ديسمبر 2019.

ما كشفته الثورة

الإنسان مع نضجه ممكن يكون أكثر مرونة، ممكن يتغير رأيه في حاجات، لكن أنا يسارية قطعًا دا متغيرش، ومنهائي لن يتغير، أنا مع اليسار والتقدم والعلمانية، ممكن آرائي تكون اختلفت، الواحدة وهي صغيرة كانت بتشوف الدنيا أبيض وأسود، مع الوقت بتكون أكثر مرونة، يمكن رأيي في الناس كان حادّ جدّا، ميقاش حادّ، بقيت متفهمة.

25 يناير 2011 بالنسبة ليّ حلم اتحقّق، نزلت وقتها من هضبة الهرم لبيت أبويا عشان أكون قريبة من ميدان التحرير، وكنت فاتحة البيت لكل الناس والشباب، بنتي في الميدان طول الوقت هي وأصدقائها وصديقاتها وكان البيت مليان، الناس قاعدين، وبياتوا. وسعيدة إن فيه ناس انطلقت من بيت أبويا، وساعدت في حدود القدرة والطاقة. وبعد الثورة رأيي بقى أكثر حدة في الناس، لأن فيه رموز سقطت خلاص. 25 يناير كشفت الغطاء على ناس كثيرة قوي من جميع الاتجاهات من أقصى اليمين لأقصى اليسار، برّه السلطة وجوّها، وإذا كان الغطاء دا اتكشف ولسه بيتكشف لحد دلوقتي يبقى إنجاز مهول، وإذا معملتش غيره يبقى إنجاز، بس هي عملت أكثر.

الحقيقة، قعدني في أوضة لوحدي مدخلونيش الحبس ولا حاجة، وجاب ليّ رواية بوليسية أقراها، قريتها ونمت. الصبح أخدموني وكان فيه ناس آخرين على القناطر، في سجن القناطر حصلت حاجة لطيفة جدّا، إحنا زنزانات انفرادي، ثاني يوم كُنّا نازلين نيابة أظن أنا وإكرام ويقول لها الدنيا ضلّة خالص في الزنزانة وأنا مش عابزة أطلب منهم لأن أنا اعتبرت إن دا جزء من العذاب نعيش في الضلّة ومردتش أطلب فتح النور، هي قالت لي: "لا أطلب لأن أنا دخلت لقيت الزنزانة نور خالص والضوء فطيع وافتكرت إنه نوع من العذاب برفضو. ولَمّا قلت لهم فالوا لي لَمّا تعوزي نقله" كانت حاجة مضحكة جدّا. الحاجة السخيفة اللي حصلت، الحقيقة أكثر حد أتضرر في الحبسة دي هي أمي مش أنا، لأنها تعاملت على المستوى النفسي سيّئ جدّا. أنا قعدت 15 يوم في القلعة كان تجيب ليّ أكل يوم ويوم، آخر مرة جات ليّ، في نهاية الـ15 يوم، جايه الأكل قالوا لها "دا لمين؟" قالت لهم لفلانة، قالوا لها "معندناش حد بالاسم دا"، أصرت إنه لا أنا كنت هنا أول امبارح، قالوا لها السجلات أهّي ومدخلناش حد بالاسم دا، وما كنتش بشوقها كانت بتسيب الأكل برّه، كان مفيش زيارات، تخيلي أم ممكن يتقال لها الكلام ودا الوضع! راحت على النيابة ورئيس النيابة كان شخص محترم وهو مكشش عارف أنا فين أصلًا، هو كان عارف إنني في القلعة ميعرفش إنني انتقلت ولا هناك ولا أي حاجة، وكانت هي في حالة سيئة جدّا وقال لها "هسال وهرد عليك"، وسأل وعرف إننا انتقلنا القناطر.

وفي القناطر ممكن يكون فيه تصريح للزيارة، وجاب لها تصريح للزيارة، دي حاجة من الحاجات اللي حصلت لها. كما أمي السادات بعث لها رسالة مع حد في البيت عشان يقول لها، وأبويا كان في فرنسا وقتها، بما معناه "قولي له إن بتك معايا وأنا عارف إنها بتك الوحيدة". دي بالنسبة لأيّ أم مش حاجة سهلة. دي حاجات فيها درجة من القسوة الشديدة. طول حبستي في القناطر وكان النظام وقتها إنني بنزل قدام قاضي على أساس يديني إفراج أو استمرار على ذمة القضية، لو أخذت استمرار حبس بقعد 45 يوم وأنزل قدام قاضي ثاني، لو القاضي أداني إفراج على ذمة القضية لو جاء ليّ اعتراض نيابة بنزل قدام قاضي ثاني، يا إما يؤيد الإفراج أو يديني استمرار وبالتالي استنتي 15 يوم. أنا كنت كل مرة بنزل يا إما باخد استمرار، يا إما باخد إفراج والقاضي اللي بعده والنيابة تعترض، وأمي سألت رئيس النيابة، قال لها: "نصي التعليمات اللي عندنا كده بوضوح بالنسبة لها إن لو قاضي أداها إفراج لازم نعمل اعتراض ومش هتخرج إلا لو قاضيين بالصدفة أدوا إفراج ورا بعض"، وهو دا اللي حصل فعلاً. ثاني قاضي اللي هو أداني ثاني إفراج اللي خرجت على أساسه كان حكيم

5 حصلت على الماجستير في 1984، والدكتوراه في 1983

ومعتقدش إننا هنقدر نتقدم بسرعة إلا لما الأغلبية العظمى تنكشف أو الناس تبقى عارفة إن فيه انكشافات تانية. والحقيقة أنا لسه بندهش، ودائمًا بقول لا تحرميني يا الله من القدرة على الاندهاش، لأنني لو مندهشتش هيقى زيه. أنا شايقة إن دي من أهم الحاجات اللي كانت لا يمكن تتحقق من غير 25 يناير. أنا بحب الناس العادية، الاحتكاكات اللي حصلت في الميدان أنا شايقة إنها لسه موجودة الحقيقة، رغم إن الناس اختلفت النهاردا خالص، بس هو طبيعي لما الأمور تنكشف ومعنديش قوة ولا تنظيم ولا قيادة تقدر تقود التغيير لازم تحصل فترات من الانحسار دا طبيعي، أنا مش مخدوشة. إذا هنتكلم على كل الثورات في العام حصلها كده، الثورة الفرنسية رجع الحكم القديم وما نجتش غير بعد 30 سنة، أنا أقصد إن التغيير حاجة مش سهلة مش بزرار، خاصة إننا بقى لنا سنوات طويلة جدًا هدم مستمر والبناء صعب، وبالتالي أنا شايقة إنه كان إنجاز كبير كشف الغطاء على حاجات كثيرة وخصوصًا على من يمكن تسميتهم باليسار أو القوة المعارضة عشان ميصحكوش علينا ثاني، وأعتقد الناس كشفهم.

إنسانة قبل أن أكون امرأة

أنا سعيدة وفخورة كوني امرأة حقيقي، لأن اللعب الواقع عليّ مضاعف.

في بيتنا في تربيتي مكنش عندنا مشكلة، أمي بتشتغل متقدرش تقعد في البيت أصلًا، أبويا فكره متحرر جدًا، عائلتنا كلها. يمكن فكرة البنت والولد ظهرت معايا في الجامعة أو إحساسني كوني امرأة ظهر في الجامعة لأن بتلاقى ناس مختلفة من الطلبة، في اللي بيتعامل بتحفظ، هي دي كانت البداية. أنا كان بالنسبة لي ما كنتش يتعامل باعتباري أنثى، كنت بتعامل باعتباري إنسان مؤنث، أنا إنسان جندر مش باعتباري امرأة فقط لأن أنا إنسان في البداية، والإنسان دا نوعين أو أكثر وأنا نوع منهم. أنا سعيدة جدًا لأن كوني امرأة متأثرش عليّ، ما خلا نيش مثلاً أدخل تجربة، ما خلا نيش إنني أقول مش هعمل دا لأنني واحدة ست، أنا ممكن أعمل أي حاجة باعتباري إنسان. دا كان بيحط عليّ ضغط أكثر بس كنت سعيدة بيها لأنني بحاربها وبالتالي أي حاجة بحققها، وأنا سعيدة إنني وصلت نفس المعنى دا لبتني الحقيقة.

مثلاً فيه واحد تحرش بيّ عشان يكسرنني، الهدف كان كسري قدام الناس اللي بشتغل معاهم، واعتزازي بنفسني كامرأة لأنني مهتمتش، وحكيت لكل الناس وتعاملت معاهم باعتبارها جزء من نضالي عشان أكمل اللي بعمله، دي كانت شوية قاسية عليّ، بس تجاوزتها لأنني فتعاملتش معاهم باعتباري أنثى، تعاملت معاهم كإنسان يتعرض لنوع من

التحرش بتلامس والطريقة كانت سخيفة جدًا عشان يكسرنني قدام الناس ومقدرش أكمل سكتني، لكن أنا كملت.

مثلاً بتخصّ قوي لما الناس تعتبر الحركة النسائية معناها إن ميقاش فيها رجالة، أو نسوية معناها ستات بس. لأنني بتعامل باعتباري إنسان مش امرأة، ببعد تمامًا عن كل الحركات أو الأفكار سواء اللي بتعامل مع المرأة باعتبارها أنثى فقط دورها البيت أو باعتبار إننا بندافع عن حقوق المرأة في مواجهة الرجل. أنا مع فكرة العدالة وليس المساواة بين المرأة والرجل بمعنى إن الستات بتحمل، الرجالة مش بتحمل، يبقى الست محتاجة إجازة وضع الرجل مش محتاج دي هنا عدالة مش مساواة. لكن في رعاية الطفل، إجازة رعاية الطفل ممكن أي حد منهم يأخذها، دا مثل بسيط عشان ميقاش مفهوم إنه الفرق اللي أقصده بالظبط إن الست مش زي الرجل لأن هما زي بعض. أقصد الطبيعة البيولوجية ممكن تخلي دا له حقوق أكثر في حته، ودا له حقوق أكثر في حته.

الكرة الأرضية كلها في وضع غريب جدًا، ودا بيأثر علينا أكثر ما بنؤثر فيه الحقيقة. إحنا في مرحلة العالم يعاد تشكيله، مناطق النفوذ بتتغير، قوى النفوذ بتتغير، كل حاجة بتتغير. لا القديم خلص ولا الجديد بان له صاحب، في حاجات باينة بس بتتغير بين يوم وليلة. فيه صراع على مناطق النفوذ وعلى الكلام دا كله بيخلي لسه الوضع مختلف. لما بتكلم على حاجة بتكلم عليها في وضعها العالمي، لأن وضع العالم كله غريب جدًا. ناس طالعة وناس نازلة، دول بتطلع ودول بتتنزل، تغيرات بتحصل. هي خناقة على مناطق نفوذ وبترول وغاز وكل حاجة، هترسي على إيه أخشى إن البشر يدمروا كوكبهم لكن ما اتمناش. مهما طال الوقت لن يصح إلا الصحيح.

شهيره محرز: 300 متظاهر خاضوا مسيرة طويلة حتى حدثت الثورة

شهيره محرز، المولودة أوائل الأربعينيات، لم تموت تظاهرة، إذا كانت داخل مصر.

في شهادتها المكتوبة هنا نعيش مسيرة انخرطت في تظاهرات كثيرة، وشهدت أحداثاً كبرى.

لم تنضم شهيرة إلى أحزاب أو تنظيمات، بل هي شاهدة على نشاط اليسار السياسي منذ أواخر العهد الملكي، مروراً بتأسيس الجمهورية، والثورة التي تلتها بـ58 عامًا.

في طفولتها، تربت شهيرة مع بنات درية شفيقة، الرائدة المصرية التي حاصرها نظام جمال عبد الناصر في إقامة جبرية، ثم انخرطت في حركة احتجاجية أفرادها حوالي 300 نفر من جيل السبعينيات، لكن مع التقدم في الزمن انضمت أعداد أخرى وأجيال حتى حدثت ثورة.

كما تحدثنا شهيرة عن السياسة والتظاهر وتحولات المجال العام، وكذلك تروي لنا علاقتها بدراسة التراث الإسلامي بعد اكتشافها أنها لن تكون مدام كوري المصرية، حين تدرس الكيمياء في الجامعة الأميركية.

في المقابلة التي أجرتها هدى الصدة في 7 و13 كانون الثاني/يناير 2020، تخبرنا كيف تكشف الملابس تراثاً وتاريخاً وهوية وسياسة، فهي تشير في شهادتها إلى تشويه إسرائيل للعلاقات السيناوية خلال فترة الاحتلال.

في البدء كان الوعي بالردواجية

اتولدت في أوائل الأربعينيات. جيلي عاش النظام الملكي في مصر.

عائلتي كانت إقطاعية متوسطة، منش من الإقطاع الكبير قوي، لكن محسوبة عليه.

انربيت في أسرة حاسة إن فيه مشاكل في إدارة البلد وإننا محتلين. قبل ثورة 1952، كنت ماشية مع والدتي، في

سن سبع سنين عند ميدان المساحة، وهي شافت عسكري بريطاني بصت لي وقالت: "شايقة العسكري دا لو تعرض لنا مش هنعرف نأخذ حقنا منه عشان إحنا مش عندنا بلد، إحنا بلدنا محتلة، وفي حاجة اسمها المحاكم المختلطة تفضل الأجانب عن المصريين ودي اللي شغالة".

الموقف دا أول مواجهة ما بيني وما بين الحاصل في البلد. غير كده الأمور كانت مستقرة. أمي رفضت في وقت من الأوقات إنها تجيب حاجة من إنجلترا في البيت، والبيت بدأ يلف حوالين نفسه لأن كل حاجة كانت جاية من هناك، ودا التغيير اللي حصل وقت عبد الناصر، أه قفلنا بس بدأنا ننتج أشياءنا وكل حاجة موجودة وبنستعملها كانت مصرية. دا كان إحساسني.

في عائلتنا، كان محمد سيد أحمد وإلهام سيف النصر وعادل سيف النصر، فكانوا الأبيهات الكبار الأكبر مني، بينا 15 سنة مثلاً، وكنا نبص لهم بإعجاب، بالذات محمد سيد أحمد كان ناجح جداً في دراسته ومخطوب لينت عمي، فكانا نبص لهم بإعجاب ووقت الملك وكانوا في خلايا ماركسية واتظبطوا. سيف النصر كان متزوج عمتي، وكان وزير مواصلات أو عدل حاجة زي كده، واضطر يستقيل لأن أخوه [إلهامي] اتمسك في قضية شيوعيين، زمان كانوا الوزراء بيستقيلوا.

عرفوا يطلعوا محمد سيد أحمد ويعتوه إنجلترا، ورجع مع العفو العام اللي حصل بعد الثورة. في المدرسة كنت حاسة بمشكلة، لأن كنت من عائلة مصرية مسلمة لكن في مدرسة "كور موران" في الزمالك كنا عابشين كأننا في فرنسا.

كانت مدرسة صغيرة الفصل فيه 10 أو 12 طالب وطالبة، كان عندنا اتنين صبيان والباقي بنات، كانت مختلطة لكن ما فيهاش uniform كان في نسبة كبيرة من الحرية، لكن في نفس الوقت عندي مربية فرنسية في البيت فكانت حاسة إنني عابشة في فرنسا. لو اتكلما عربي في المدرسة يهزأونا، وحصل لنا اللي حصل للجيل الحالي إننا متعلمناش عربي كويس، ودا مع الأسف بعدها بـ60 سنة بتلاقي التاريخ يعيد نفسه، والأولاد في المدارس كلهم يطلعوا مش عارفين عربي، مصيبة يعني مش عارفين تاريخهم.

حسيت بالتناقض دا بدري أرجع البيت ألقى بيت مصري؛ بنسمع أم كلثوم وعبد الوهاب، وأمي تسهر على حفلتها ليلة أول خميس في الشهر وتعزم ناس، وفي نفس الوقت بروج مدرسة فرنسية وبعدها روجت "الليسية"، متهايا لي كنت بحلم -ولحد دلوقتي- بالفرنساوي، دي لغتي الأولى.

بالتالي لما عربوا المناهج لما قامت ثورة 1952 -كان عمري

8 أو 9 سنين- حسيت بفجوة لأن البلد انقسمت، وحصل إحساس إنني من العهد البائد. بقى فيه مشكلة اجتماعية حتى في الطريقة اللي كنا بتتكلم بيها، الطريقة اللي بنلبس بيها، بدأ يحصل إحساس بعدم انتماء وخوف. فأكبر والذي عشان كان موظف حكومة، وكيل وزارة المواصلات هو ووالدتي كانوا بيلعبوا بريدج في سفارة سويسرا كان لازم أبويا يركن العربية خمس شوارع بعيد، لأن ركنة العربية قدام سفارة سويسرا كان فيها مشكلة¹. وتضخم الشعور دا مع 1956 وتأميم قناة السويس وتحدي إنجلترا وفرنسا بالعدوان الثلاثي، كل دي حاجات أثرت جداً في حياتي وإحساس إن لنا وطن، وفيه نوع من أنواع الازدواجية. لأن في نفس الوقت يمكن ظروف عائلتي من ناحية ماركسيين، ومن ناحية إقطاعيين، كان فيه انتقاد شديد لنظام عبد الناصر، انتقده، لكن بشوف ميزاته. ويمكن ساعدتني التربية الفرنسية، قراءتي في المدارس الفرنسية عامة كانت تدي منهج كامل في الفلسفة، بدأنا تأخذ هيكل، المدارس الفرنسية بتعرضك على كل عالم الفكر. طبعاً بدأت أنتمي إلى اليسار من غير ما أعرف إنه يسار، [مشغولة] بفكرة العدالة الاجتماعية وحقوق الشعوب واستغلال البني آدم وحقوق التعليم، ودا كان متواجد في وقت عبد الناصر.

كنا حاسين بالازدواجية دي في جيلي -وعلى الأقل اللي عرفهم من جيلي- لأن الشعارات كانت لا تطبق. وأنا اتربيت مع بنات دربة شفيق، جيهان وعزيزة رجالي، وكنا شايفين إن دربة شفيق عشان طالبت بالديمقراطية وضعت في إقامة جبرية وانتزعت حقوقها المدنية وتعرضت لنوع من الاضطهاد. كنا عايشين في تناقض، دا ساعدني في ما بعد إنني أعرف أقيّم. حتى لما انتقد عبد الناصر، أوازن بين اللي عمله للمجتمع واللي عمله ضد المجتمع. بالتالي فضل يستمر لأنني كنت حاسة إنني في عزلة، لأنني كنت في مدرسة فرنسية، وبعد المدرسة الفرنسية روجت الجامعة الأمريكية لأن كنت خايفة من الجامعة المصرية لأن لغتي العربية مكنتش قوية، علمت نفسي أكتب وأقرأ لأن جيلي ملحقش بتعديل المناهج، التاريخ والجغرافيا بس باللغة العربية، لكن كل مناهجنا بالفرنسية. لما جا وقت إنني ادخل جامعة، من الميزات اللي عادت عليّ كبتت، إن عبد الناصر كان من ضمن شعاراته إن "المرأة رأس المجتمع" وإن "المرأة لازم تتعلم". في رأيي خلى والذي من الأول يشجعني في التعليم، وكنت تلميذة شاطرة ومتفوقة، لأن وقتها "المراسات" بدأت، والإصلاح الزراعي وتحديد الملكية، فكانت ظروفنا المالية (أسوأ) منها قبل الثورة، فكان إحساسه إن أمانه الوحيد هو التعليم.

والذي قال لي: "ملكيش غير التعليم، اعلمي حسابك تجيبني مجموع وتدخلني جامعة". ودي بعض المميزات حتى لو شكلية- في تقييم عبد الناصر، بحب أحاول أحس إن كان فيه بعض الميزات حتى لو شكلية بس كانت أساسية للبلد بالنسبة للتعليم.

لما خلصت المدرسة 1962 قلت لوالدي أنا عايزة أروح أدرس بـ"هم"، أخواني بخلص جامعة وأنا معنديش إمكانيات أبعت اثنين، هو هبعته ومش هقدر ابعتك". وتفهمت لأن مرة في حياته كلمنا بعقل عامة أبويا كان من نوع الشخط والأمر وبس، أدى سبب واقتنعت إن دا حق، لو عايز يميز حد كان ميز الأكبر حتى لو مش حكاية ولد وبنت، ولد وأكبر وخلص جامعته وأنا لسه هدخل جامعة.

مروحنتش جامعة القاهرة لأن أخويا قال لي: "لو هتروحي الجامعة البهسي كم ونص كم" وإحنا وقتها مكناش بنلبس في الصيف نص كم، كل هدومنا كت ومفتوح. محدش كان بيلبس نص كم عشان تعرقني تحته في الصيف، وقال لي: "الصبيان هيهزلوكي". فدخلت الجامعة الأمريكية عشان كده، وكنت خايفة أكون من العهد البائد وتصفية الإقطاع. كان فيه خوف. ولما دخلت الجامعة تضخم عندي إحساس إن دي جامعة أمريكية، وإن الأمريكان مع إسرائيل مش مع القضايا الفلسطينية، وبقى لي اهتمامات خاصة بالزعامة المصرية في العالم العربي. قبل الجامعة، لما كنت في مدرسة فرنسية كنا بتتذب عشان هتفنا: "الجزائر الحرة"، كانوا يدوني la punition يعني قعدوكي ساعة عشان عملي حاجة مش مناسبة للإدارة لأن هتفنا *Algerie libre* وإن الجزائر بتتحرر وإحنا لسه ما بتتحررش. التناقضات دي ساعدت إنني أفكر في موقفني من اللي بيحصل في البلد، لكن كنت شيقاها من الأول لما بدأنا في الحركات اليسارية. كبرت في هذا الجو ونضجت فيه، وبدأت أحس إن أهم حاجة بالنسبة لينا إن السيدات تثبت وجودها.

فلما دخلت الجامعة دخلت ادرس *Physical Chemistry* على أساس إبقى مدام كوري يعد سنتين، وكنت عايزة أثبت إن المرأة لازم تتعلم وتشارك في المجتمع ودي من الحاجات اللي كنت مقتنعة بيها. واخترت الكيمياء عشان أثبت دا عن العلم، لو روحني تدريسي تاريخ أو فنون أو آداب العنوان التقليدي للبنات، فأنا كنت عايزة أثبت إن لي دور غير تقليدي.

لكن اكتشفت إنني معنديش القدرة إبقى مدام كوري؟ قررت أغير بس مكنتش عارفة أعمل إيه. خدت وقتها كورس

2 ماري كوري (1867-1934) عالمة درست واكتشفت عناصر مشعة منها الراديوم، ونالت جائزة نوبل في الفيزياء عام 1903 (ضمن فريق علمي)، وفي الكيمياء عام 1911 (متفردة)

1 لا يعتمد الرواية مشكلة تأمين السفارة، وإنما شبهة أن صاحب السيارة يتعامل مع جانب، ومع سفارة أخيه.

ألفين متر ارتفاع في جو فيه مطر وتلج، بس عمل تثبيت للطوبة النية، هما عندهم برضو الطوبة النية بيسموها "أدوبي"، دا يتخذ الاقتصاد القومي بدل الشغل بخامات غالية على 55% من الشعب، ومش حيقدرُوا يجيبوها، ولما يجيبها يضطر يدفعها. الطوبة النية عازلة، تعزل من الحر في الصيف، ومن البرد في الشتاء، ويمكن تحسينها بكل التكنولوجيا الحديثة.

التشفت إن التراث مش تراث يتحط في متاحف بس، لكن لازم الواحد يستفيد منه بتحسين ظروفنا الملائمة للأجيال القادمة، غير إنه بيأكد لك الهوية، يعرفك إنتي مين، وبالتالي ميقاش زي ما حصل لنا دلوقتي المرجعية الوحيدة للهوية هي مرجعية دينية، وتتخلص عن باقي المرجعيات؛ التراث المعماري في تخطيط المدن وبالتالي تخطيط مدن شكلها أجنبي، في المعمار، المعمار بتاعنا أجنبي، في العفش، العفش بتاعنا أجنبي، في الملابس، الملابس بتاعنا أجنبية، في الصيغة أجنبية، من بعد عبد الوهاب وأم كلثوم بقى Orchestration التوزيع أجنبي وألأت أجنبية، في Orchestration بتاعه سليم سحاب بيعمل Orchestration غربية ملهاش دعوة بترائنا خالص، وبيغنوا Orchestration أجنبي، آخر لخبطة للتراث جاءت في الموسيقى. بس عشان نرجع للموضوع، حسن فتحي أكد لي إنني لآ درست حاجة من التراث مطلعتش برّه، بالعكس كانت مهمة، وفي نفس الوقت كنت شايقة إن دا عمل سياسي مهم جدًا. لأن حسن فتحي كان بيعمل تحليلات في منتهى الذكاء، كان يجمع معلومات ويقول لك 20% من دخل الأسر المصرية الغليظة بيروح على جهاز البنات، شوفي الإهدار، الأغنياء عندهم مئات الفدادين يبيعوا فدانين ثلاثة ويجوزوا البنات لكن الفقراء معندهم، الراجل يتداين عشان يجيب عفش حقير يقعد عليه couple ممكن يقعدوا في أوضة بمرتبة إيه المشكلة. الدولة الاستهلاكية اللي دخلنا فيها مع السادات، دي كانت المصيبة الثانية، والمصيبة الأولى كانت 1967، إحنا كلنا شايفين الخداع وقت عبد الناصر بس مش متصورين مداه. أنا فاكدة في 1966 سافرت برّه وكان لآ نقاش مع أجنب إن إحنا لازم نسترجع حق فلسطين، لأن دا كان الفرص اللي بيركبه كل القيادات العربية، دلوقتي سقط، جيلي كان مؤمن بالقضية الفلسطينية، إن دا حق منهوب ودا شعب انتظم وإحنا جزء من أسباب هزيمة 1948 ولازم نسترجعها، وكنت بقول هتقوم حرب. جيلنا مشفش فخخة، كآ عشان نليس لازم نروح نشتر قمماش ونجيب خياطة في البيت، مفيش محلات فيها لبس جاهز، أو لبس مستورد، كل حاجة مكتتش سهلة، السفر مكنش سهل. وأنا رأيي النهاردا لآ جيل الشباب يقول: "انتوا كنتوا محظوظين"، لآ إحنا

مع عفاف لطفي السيد كانت دراسة مصرية "كاثية للتاريخ المصري"، اكتشفت كل قضايا مصر في ال100 سنة اللي فاتوا بطريقة أكاديمية، فقررت ادرس حاجة عن تراثنا أو تاريخنا، ولأسباب غريبة ويمكن غلط دخلت "أثار إسلامي"، لكن لآ روجت أقدم كنت عايزة أقدم على "تاريخ حديث".

خلصت بكالوريوس، وعايزة اعمل ماجستير، وفي الجامعة الأمريكية ممكن تنقلي من حاجة لحاجة، قابلت هناك واحد اسمه توماس نافو، رئيس القسم وهو مؤرخ دارس التاريخ المعاصر للشرق الأوسط، قال لي: "إحنا فاتحين قسم جديد ما تجربيه للفنون الإسلامية"، فدخلت "فنون إسلامية".

فاكرة إن وقت ما قامت الثورة جزء كبير من الإقطاع المصري كان سعيد، كآ في الإسكندرية لأن الأسرة كانت تنتقل ثلاث شهور في الإسكندرية، وأبوا جاء وقال: "قامت ثورة في البلد وهنخلص من فساد الملك ويطش الإنجليز"، فاكدة الجملة دي، زي ما فاكدة أمي قالت لي: "إحنا مالناش بلد، إحنا محتلين وفي حاجة اسمها المحاكم المختلطة". كان في وعي حتى البرجوازية المصرية اللي هي مش منتمة سياسيًا لكن في إحساس بالولاء للبلد، وإحساس إن كان في طبقة متعلمة كويس وبتعمل تقدير نسبيًا مش مرتبط بس بمصالحها، ومظنش دا موجود دلوقتي مع الأسف دي الطبقة اللي اختفت.

وقت 1967 قابلت حسن فتحي، ودا كان له دور كبير في حياتي، لأنه ساعدني انتقل من دراسة الفنون الإسلامية والكتابة عنها كشيء في الماضي، لدخولها في حياتنا اليومية وراني إزاي إن لو مفيش استمرارية تبقى خيانة، والهوية مهمة للإحساس بالوطنية، والدفاع عن التراث هو دفاع عن الهوية. دا شيء مهم مع إنه كان راجل مش منتمي للسياسة، كان يقول: "أنا مليس دعوة بالسياسة" بس كل قراراته مسياسة، زي الدفاع عن الفقراء والبناء لهم. حسن فتحي لآ كان بيني للناس اللي نعرفهم مكنش يياخد فلوس، عمل لي شقتي وما اخدش فلوس، كان يقول: "أنتوا مش زبالن، زبائني ال800 مليون اللي محتم عليهم الموت مبكر لسوء الإسكان، أنا بشتغل لدول أنا مش بشتغل لكم".

كل قرار عمله حسن فتحي مسيس، دافع عن التكنولوجيا الملائمة، استعمل مواد محلية بدل المستوردة الغالية، حل مشاكل ترجع للطبقة والظروف الاجتماعية بحلول مستوحاة من اللي عملوه الناس اللي قبلنا بألاف السنين واستفاد منهم وحسن حلولهم، بيني بالطوبة النية، وعشان الناس يتقول إن "الطوبة النية هتقع وتذوب من المياه"، كان يروح مركز بحوث البناء ويدرسها to be installed عشان يثبتها. مثلاً بنى في أبيكيو، في وسط New Mexico، جبل

مكناش محظوظين، يمكن محظوظين في حاجة واحدة، كان عندنا أمل، عبد الناصر اذنا أمل بس خييه.

أنا فاكدة كنت بتفرج على احتفالات 23 و26 يوليو بمرار، لأنني حاسة إن طب إيه تاني يتعمل في المجتمع غير الغنا، هقول طبعا كانت فيه مصانع بتتعمل، بس مكنش فيها مشاركة شعبية حقيقية. حتى 1956 لما المتطوعين دافعوا عن قناة السويس، مش الجيش. وقتها سلموا المتطوعين أسلحة، وبعدها اتلمت. وبدأت البرش تاني، والناس تروح سجون، سواء يمين قوي أو يسار قوي ولا برجوازية قوي. مكناش نقدر نتكلم كده في البيوت، الناس تخاف من أولادها، فاكدة عشان نقدر نتكلم نطلع في البلكونة ونحط الترانزيستور. كل التليفونات غالبا فيها حاجة، لأن ناس ملهاش دور سياسي قوي تتحبس، دا بيان من فيلم زي "ميرامار" لما يوسف وهبي قال إنه "مقع نكتة في نادي الجزيرة وتاني يوم لقيت النادي حيسني". وبعد 1967، ابتدى زائر القجر وبانت في موجة من الأفلام بعد كده.

خيبة أمل

من محطات حياتي الثورة (1952) بتقلتها محطة مهمة. و1956 لأنه كان نصر سياسي تحوّل لنصر عسكري، ودا كان غش، عشان كده كنا حاسين بالتناقض. في 1967 المصيبة العظمى، بالذات إنني ومجموعة ناس نزلنا في الشوارع وشوفنا العربيات المنظمة عشان تعمل مظاهرة عشان عبد الناصر مستقلش، أنا كان رأيي مستقلش لأن لو هو اللي وذانا على حافة الهاوية هو اللي لازم يطلعنا منها، يعني فيه مسؤولية، مش سهل يقعد في البيت ويقول: "أنا عملت اللي عليّ وباي باي وسامحوني"، بس مكنتش عايزاه يجي popularly بصوت الشعب، كنت عايزاه يجي بدور المسؤولية. المسؤولين السياسيين يحملوه المسؤولية ويقولوا له: "لا أنت تقعد وعملت كذا واقعد لحد ما تخلها". لما روجت Oxford كان ما بين 1974 و1977 فكانت دي الفترة اللي فيها النقاشات السياسية عن الهزيمة وأسبابها وخيبة العالم العربي وخيانة مصر، دي محطة مهمة عشان اتعرفت على ناس كثيرة من المسيسين منهم مي صيفلي ورشيد الخالدي عرفتهم هناك.

كنت في جامعة لينكولن، هي مش معروفة قوي، ودا كان سبب إنني مكملتش كمان، لأنها كانت بعيدة عن كل حاجة، جامعة جديدة من غير حياة. كنت بسبب لينكولن واروج سانت أنتوني مثلاً. وإحساسي إنني بشتغل على القرن الـ14 أو الـ15 والعالم العربي قاعد بلفور قدامي كنت حاسة إنني مش عايزة استمر في هذا الخط عشان كده لما رجعت مصر فكرت إنني عايزة أعمل حاجة لها دعوة باستمرار تراثنا، مش اللي فات منه، اللي ما زال موجود. اهتمت بالفنون

الشعبية، وبدأت أبحث عن التقاليد المصرية، لأن برضو من خلال حسن فتحي عرفت المصريين المنغزلين؛ من الحاجات اللي كنت بلا حظها، لما كنت بلف القطر المصري مع حسن فتحي، إن أهلي كانوا بيودونا كل حتة، الأقصر وأسوان والمينا والبحر الأحمر ومرسى مطروح ورأس الحكمة، لكن كنا سياح في بلدنا، لا ننتمي للمجتمع لما بنروح هناك. لما نروح السرايا متدخلش مساكن الفلاحين (العزبة)، أول مرة دخلت سكنهم كنت 35 سنة يمكن، لأنهم كانوا ورا بوابة كبيرة، جزء من المياني الشامخة بتوعنا ومن وراها ما نعرفش إيه، البيوت الطين المنيلة اللي كله عايش مع بعضه بيخدوا في القنوات. مكناش ندخل العزبة خالص، إحنا إينا السرايا بتاعتنا، وعندنا مأكينة النور، وكل يوم على المغرب نقول: "عبد الله شغل الماكينة"، وعبد الله يشغلها، كان ممكن نديهم خطوط [نور/كهرا] مكنش هيكلفنا حاجة، مع إن أهلي مكنوش من الإقطاع البايخ، مكنش يقولوا دول فلاحين يضربوهم والديون بتاعة الفلاحين كانت بتترحل ومنقبضهاش، نادر في الإقطاع المصري اللي كان بيعمل كده، يوسف شاهين كان بيعش لما عمل "الأرض"، مش حقيقي، الأسر اللي كانت بتضطهد الفلاحين كانت قليلة، منها عائلة نور والشواربية كانوا معروفين إنهم بيعذبوا وبيضايقوا. لأن بكل ذكاء لو عندك 30 ألف فدان هتبدأي تعذبني فلاجينك هيهجوا وهيتعرف إنك بتعذبني، مفيش فلاح هيقعد لك في الأرض. دا الجزء السيئ للناس اللي تخدم الأفكار الخطأ اللي فقدني الثقة في اليسار المصري كثير قوي، إن كان فيه استغلال لحاجات غير واقعية، أنا رأيي دا كان لخدمة الثورة، إن الثورة هي بتنقد كله، إن مفيش تاريخ لمصر قبل 1952، مفيش عدالة قبلها، لا طبعا كان فيه.

كان فيه عيوب، الملك فاروق هو اللي وذانا في داهية، أنا مرة قلتها لواحد بعث لي فيديوها عن الفخفة والعز اللي مصر كانت فيه قبل الثورة، كنا مسلفين إنجلترا وبلجيكا، ومعرفش الملك كان بيطلع في موكب إيه والبرنسياس لابسة إيه، قلت له إنت ناسي إن سوء إدارة هذا الملك اللي عايش في الفخفة هي اللي خلت شعب حافي يسقف لشوية جهلة من الطباق ويقول لهم: "تسقط الديمقراطية"، قلت له مش دي نتيجة دي ولا ملهاش دعوة، قلت له عيب بظل تبعث لي دا [تقصد فيديوهات الملك]. حتى يوسف شاهين اللي محسوب على اليسار إن الأغنياء هما اللي بيغتصوا البنات قبل الجواز ويريلوا لما يشوفوا ست لابسة حلو، كان مجتمع راقى مكنش يمشي بريل وراء ست عشان لابسة مايو. دا من الحاجات اللي خلتنى عمري ما انتهي لحزب لأنني كنت حاسة إنهم بيعيروا عن واقع مش حقيقي، هو واقع مفتعل وإن دا بيقسم الشعب وبيكره الشعب في بعضه،

المفروض عملي الذي حصل في ثورة 1919 إن يبقى في التحام لكل قوى الشعب، وعبد الناصر كان يدعو إلى ذلك لكن مكنتش ببعمله.

عُمر في التظاهر: حكاية 300 متظاهر

كنت بنزل كل المظاهرات، لما أكون في مصر. جيلي فتحية العسال ومحسنة توفيق، وغيرهم شوفتهم بيكبوا معايا، ويمثلوا 300 واحد تقريباً كنا بنزل مظاهرات. جيل قيادات.

فاكرة في 2010، كنا رايعين مظاهرة عشان حق خالد سعيد في الإسكندرية، ويقول للسواق أنت بقالك 20 سنة بتوصلني المظاهرة، بنلاقي نفس الـ300 واحد اللي كان في الأول شعرهم بني ودلوقتي شعرهم رمادي، كلهم عندهم شقة وعربية وحساب في البنك وبيتخانقوا عشانكم انتوا، وتسبني في المظاهرة وترجع. مش بتتضموا لينا، ما تعملوا حاجة، قال لي السواق: "يعني هنعمل إيه؟"، أقول له إنت عندك ثلاث أولاد انزل بيهم، وأولادك كل واحد يجيب أولاد تانيين هنبقى ملايين.

مثلاً في الستينات مكنتش فيه مظاهرات. أقرب حاجة للتظاهر كانت جنازة النحاس باشا اللي هتفت الناس فيها (أغسطس 1965). في السبعينات، المظاهرات بدأت في 1972 مش قبل كده، كانت ضد حالة اللاحرب واللاسلم. اللي فاكرها غير 72 مظاهرات 1977 بتاعة الجوع، اللي سماها [السادات] انتفاضة الخبز. الهتاف كان "سيد بيه يا سيد بيه كيلو اللحمه بقى بجنيه".

غير كده، فاكرة إن فتحية العسال كانت بتنظمنا، عامة كان حزب التجمع -مرات الأحزاب الثانية- لكن أهم المظاهرات نزولنا في مايو للاعتراض على تأسيس دولة إسرائيل. كل سنة من أواخر السبعينات تقريباً، كنا نروح شارع عدلي قدام السينما الساعة 11. وكان النظام يختلف كل سنة. تطلب فتحية مني أعلام مصر مكتوب عليها "مصر عربية" لأن وقتها كان عندي المحل. إحنا مش بنعمل اعتراض على تأسيس دولة إسرائيل للدفاع عن فلسطين، لكن للدفاع عن مصر. على أساس إن فلسطين هي خط الدفاع الأول عننا، وإن استرداد الحق هو قضية عامة مش خاصة إنك بتحمي حد. وقتها كان فيه إحساس عام بالصدمة إن السادات راح الكنيسة. كنت في باريس، وصحينا يومها لقينا السادات رايع الكنيسة، وقلت يا دي المصيبة إحنا بنعمل صلح منفرد، مع إحساس التخلي عن الدور العربي، وإحساس كسر الوحدة العربية. إحنا في 1967 مع إننا كنا متخانقين، لما عبد الناصر هدد فيصل [ملك السعودية] لأنه كان في حرب اليمن ضد السعودية، وقال: "هنتف دقله"، لكن حصل مؤتمر الخرطوم، وحضر الملك المؤتمر.

لما عملوا مبادرة 1977 بدأت القوى السياسية المعارضة تنتظم، القيادات كانوا ينظمونا، وكنا ننزل نروح توماس مثلاً، ونقول: "عايزين ثلاثة ويسكي وكأسين فودكا.. وواحد كمباري، عندك بيرة إسرائيلي؟" فيقولنا: "آه"، في "توماس" كان يقول لنا لا، لما يتقال لنا: "آه" نقول: "مش هنشتري هنعمل مقاطعة". كنا بندخل في لجان مع الناس نشرح لهم بنعمل مقاطعة ليه، كنت بقول إن أخواتي الاثنين ماثوا في حرب 1967 إزاي اتصالح معاها، مكنتش قادرة أقول أي حاجة ثانية، مكنتش اقدر أقول لهم القضية العربية، كانوا هيقولوا يتحرقوا العرب إحنا عايزين نفسنا.

كنا بنلف في كل حته مكنتش فيه وقتها كدوليات في الحاجات العمومية فيه أماكن بقالت تهريب، فكنا نروح لكل دول. عند أول فكهاني "عايزة اتبين كيلو برتقال، عندك موز إسرائيلي؟" يقول لنا: "آه" نقول له: "مش هنشتري منك". وندخل في حوار. مرات كانوا الناس يتهجموا علينا ويشتمونا، وشبه يضرّبونا "انتوا بتوع الحرب، انتوا فلسطينيين"، نقول لهم: "لا إحنا مصريين"، مكنتش فيه تعاون أو إستجابة حقيقية للي إحنا بنعمله، بس قعدنا سنة نعمله.

وقتنا مكنتش فيه إنترنت، كنا بنعمل المقاطعة بالطريقة دي. واللي لاحظته بشدة إن الأماكن اللي تعاونت مع كامب ديفيد قليلة جداً، ودي يمكن سمة من سمات الشعب المصري، يقول لك حاضر لكن ميعملش. زي الزوجة جوزها يقولها ما تعمليش دا تقول له حاضر يا سيدي وتعمل كل حاجة. الشعب المصري عمل مقاطعة، القيادات الحكومية هي اللي راحت عملت تمثيل، والأغنياء قوي راحوا فتحوا مصانع، وباعوا مونتسيان لليهود. على مستوى الشعب محصلش فعلاً تبادل، فحسنا كلامنا مع إنه مكنتش فيه ترحيب بيه، مقدرش أقول إن دا كان دورنا بس إحنا كنا حاسيين إن لازم نعمله سواء هيوثر أو مش هيوثر، والتاريخ أثبت إن الشعب المصري مكنتش متعاون مع "كامب ديفيد".

من الحاجات الكويسة اللي اخذناها برضو من القيادات في "التجمع"، تحليل عصمت سيف الدولة لمعاهدة كامب ديفيد، وأنا فاكرها لأننا قرأناها وبعض المسيسين القدام شردحو لنا نقطة نقطة وكلمونا فيها، دي كانت من الحاجات المهمة. عشان كده لحد دلوقتي فاكرة مثلاً إن "دي معاهدة استسلام مش سلام، لأنها مشروطة بالبند الآتية: معنديش سيادة على سيناء. أظن فرقة أمن مركزي مش جيش، بالتالي لو معنديش سيادة لم تستردي سيناء. معاهدة السلام لا تشترط إن يبقى فيه علاقات تجارية وثقافية اقتصادية، بتبقى معاهدة سلام إن أنا مضريكش وإنتي متضرينيش. معاهدة السلام مينفعش ترهن البلد

إلى أبد الأبد. والمعاهدة دي تقول إن المعاهدة تفوق أي معاهدة عملتها مصر قبل كده أو هتعملها مصر بعد كده، ومعناها معاهدة الدفاع المشترك اللي ما بينها وما بين دول عربية أقطعيها واشربي ميتها. دي خيانة لاتفاقيات حصلت ومضت عليها الدولة المصرية. طبعا مشكلة طابا. التبادل ثقافي وأكاديمي وتجاري مش مفروض. ما اقدرش أقول لك إنني بعمل سلام مش معناه إن ابنك يتزوج بنتي، إحنا بنعمل سلام منضربش بعض".

في مايو 1981 مثلاً، كان فيه تنظيم للمظاهرات، نتجمع في حة الساعة ستة الصبح عشان البلد هنتقل، ومنتظم؛ الستات تيجي في المكان القلاني جروبي مثلاً، عشان نروح لابسين عادي ناكل، وكل واحدة معها إيشارب في جيبها [مكتوب] عليه "مصر عربية"، ووقت المظاهرة لما نحس الشباب جاي نحط أعلام ونطلع في الشارع، لأن لو هتمشي 40 ست في ميدان التحرير ممكن يوقفونا، لازم نتجمع من غير ما حد [يلاحظ].

نطلع أول ما نسمع هتافات الصبيان، والشباب هيجوا بالحاجات الكبيرة، وقتها فتحة حد ياخدها على أكتافه وتهتف "أنا أم شهيد وبناي يا صهاينة بزم بلادي"، والناس تقول: "يا عيني عليك"، استعطف عشان الشارع يتعاطف.

وفي أيام كُنا بنوقف شارع عدلي، ونوقف البلد كلها مع إننا برضو كُنا 300 نفر مش أكثر. وبعد كده بدأوا يهتفوا ضد "الرغيف المعدل" كانوا عملوا رغيف معدل، يعني ظلوه أصغر، فبقت الهتافات "الرغيف المعدل.. السادات المعدل" قصدهم مبارك. ويشتموا في النظام، ولما الشتائم تزيد كنت بمشي لأن كنت حاسة إنني جاية للقضية الفلسطينية ودول بيعترضوا على مبارك، دي من الممارسات اللي كنت بشوقها غلط في الأحزاب إن هما يستقلوا أي حاجة عشان يزقوا حاجة ثانية. كلنا مستعدين نجازف بس بنقى عارفين إنهم مش بيضحكوا علينا ومش بيحبونا لسبب غلط، عشان كده عمري ما اتمسكت، كانوا بيمسكوا نفس الناس كل مرة، فتحة العسال تتسحل في الشارع وتعلق من شعرها، محمد عبد القدوس يضرب قلمي.

أحوال المرأة الشخصية

في 1985³ نوال السعداوي عملت حشد للقوى النسائية في رابطة، (ضد قانون الأحوال الشخصية) وكلمت كل من هب ودب، كل اللي كانت تعرفه، من الأحزاب والجمعيات

3 اشترطت بتدليات 1979 لبعده الزوجات أو الزواج الثاني رضا الزوجة، عبر إلزام الرجل المسلم في حال إقدامه على الزواج بتقديم أضرار بشأن حاله الاجتماعي لموتق الزواج. وفي حال كان مزوجاً يجب إخطار زوجته/زوجاته بزواجه الجديد. وبعد الحكم بعدم دستورية القانون، في 1985، صدر قانون جديد، يضع على الزوجة عبء إثبات وجود ضرر حاد من قيام زوجها بالزواج عليها.

النسائية زي جمعية الشعراوي اللي ملهاش دعوة إلا بشوية تطرير وتعليم، تحمست جداً وانضمت، هي عملت حاجة اسمها "رابطة المرأة العربية" وفي الأول دخلت كشخص عادي، كان فيها لطيفة الزيات، وأنا كنت أعرف لطيفة ورضوى [عاشور] ومחסنة توفيق، كل الناس اللي كُنا بنشوف بعض في المظاهرات، معرفتي بهم كانت مرتبطة بكده. اتصاحبت على لطيفة وفاطمة زكي، كنت بدأت يبقى دا جزء من المجتمع اللي بشوفه، وداد ميري، الستات اللي بشوفهم في المظاهرات وتتصل ببعض من وقت لوقت ويقولوا لنا تعالوا. وفي وقت من الأوقات كان في عفاف محفوظ، وكانت متزوجة من حد أمريكياني في الجامعة الأمريكية وأنا كنت أعرفهم.

كُنا قاعدين نشغل عشان نعمل حشود، أول حاجة عملناها كانوا عابزين مكان يسعنا كلنا، نوال السعداوي قالت هكلم [أحمد] حمروش وقتها كان ماسك اتحاد كتاب العرب الإفرو-آسيوي، الفيلد اللي في المنيل، أول اجتماع كان للتعارف.

ولما لقينا إننا محتاجين حاجة مستمرة لأن كل أسبوع نجتمع، وكنت أعرف نيني شعراوي كويس قوي، وأمها كانت ماسكة الجمعية بقاعة هدى شعراوي، وطلبت من نيني أروح لمامتها وهي كانت تعرف والدني وقلت لها إحنا بنعمل اجتماع عشان موضوع قضايا المرأة شرحت لها الموقف، وكان بيخدمني إنني محسوبة على العهد البائد أكثر من إنني محسوبة على اليسار، فقالت لي: "خلاص هنديكي تصرخ إنكم تعملوا الاجتماع عندها". عملنا تاني اجتماع في "جمعية هدى شعراوي".

كان عدد كبير من الستات بما فيهم ستات ملهوش دعوة بأي قضية فعلاً، ستات العائلات المميزة جداً بتوع نادي الجزيرة الشيك، الستات المهتمين أو المحترفين الكبار المهمين زي فاطمة زكي وأنجي أفلاطون، حتى "الوفد" كان منضم لينا، كانت كل الأحزاب وكل الجمعيات النسائية، لأن بشكله كده ملوش دعوة إلا بقضايا المرأة والأحوال الشخصية وهيرجعونا سنة 1929 وحرام عليكم.

وقتها جم الستات دول، واتعملت منصة، قطعت نوال على المنصة ومعها غالباً ناس مهمين من الأحزاب غالباً فاطمة زكي، يمكن فتحة العسال، كانت واحدة من كل حزب، مش فاكهة مين بالطيط كان في الأوائل، كان القسم النسائي بتاع "التجمع" كله ممثل ومتحمس، "الوفد" و"العمل"، كل الأحزاب كانت موجودة والجمعيات، فكان أظن حاطين ممثلين للأحزاب وجمعية هدى شعراوي ونوال.

كلمت جيهان وعزيزة رجائي، بنات درية شفيق، كانوا انسحبوا تمامًا من أي عمل، وقلت لهم أمكم كانت درية شفيق لازم

تيجوا تحضروا. وكلمت ناس كثير من الناس اللي عامة مش مهتمين باللي بيحصل في البلد professional و technocrats في شغلهم، ناس كثير جات.

لقيت عفاف محفوظ يتمشي، "أصل أنا مش متفقة، وعارفة نوال بس مفيش حاجة ملموسة". خلال أيام لطيفة مشيت، كنت أعرفها أكثر فسألته لي مشيتي فقالت لي: "مايزة أقول لك على حاجة نوال دي أي رأي مش بيوافقها بينزل عليها كأنه نقطة مطر على بالطو مطر.. متسمعش صوت إلا صوتها فأنا مش هقدر أعمل".

وفي الاجتماع الثالث، كنا في "جمعية هدى شعراوي"، نوال تكلمت وبدأت الناس ترد، والسنات اللي أول مرة يحضروا واللي جايين من أمريكا وفرنسا قاموا قالوا لازم نعمل مظاهرة، ونوال السعداوي قالت لهم: "آه هنعمل مظاهرة".

الاجتماعات دي ببقى فيها مباحث عامة، وأول ما نقولي مظاهرة الفيسبات حاولوا يعترضوا على المظاهرة وقولوا لهم: "مينفعش مظاهرة"، لأن المذ الديني اقتحم البلد والناس كلها محبة، قالوا: "لو هنعمل قضية واحدة للأحوال الشخصية المتطور أو القانون الجديد هما هيطلعوا تطبيق الشريعة بأسوأ ما فيها، إحنا لو طلعتا ألف ست هما هيطلعوا 100 ألف"، ونوال السعداوي علشان عايزة تغري الناس قالت: "لا هنعمل مظاهرة"، ثاني مرة لما جينا نجتمع المباحث قفلتها.

المباحث كبست على جمعية هدى شعراوي، فكلمونا وقالوا لنا: "الاجتماع لاغي".

بدأت أحس إن في حاجة مش مضبوطة بس برضو مشينا مع نوال. كله كان مشي، ومكنش عندها إلا شوية حوالياها، منهم منى أبو سنة وأنا.

منى أبو سنة كانت نائب رئيس، وأنا عملت في أمانة صندوق، مش فاكدة، وزعت علينا حاجات. وكل ما حد يمشي تحله بحد ثاني، وكل دا شايفة الناس يتمشي لحد ما طلعتني أنا نائب رئيس، وكنت متفقة جدًا مع منى أبو سنة، أقول لها يا منى نعمل إيه، تقول لي: "نصمد وهنقدر نواجهها". وكل شوية يجي في مخي كلام لطيفة إن أي نقد "ينزل عليها زي نقطة المطرة على بالطو المطر" مش بيدخل مخها.

رابع اجتماع كان الأكبر، اشتغلنا شهر عشان ندخل كل القيادات العمالية، وعملنا إعلان في الجرائد وكلنا فلوس ونفوذ. "الأهرام" نزل إن جمعية القيادات النسائية هتجتمع في مكان كذا عشان تقول مطالبها، وكان صعب جدًا إنك تنزلي حتى خبر في جرنال زي دلوقتي كده، استعملنا كل

السنات اللي في الصحافة واللي كنا نعرفهم. إقبال بركة هي اللي ساعدتنا ننزل في مجلة "حواء"، كل من كان مهتم بالحركة النسائية انضم.

كلمتني نوال قبل الاجتماع بيومين، وقالت لي: "بصي يا شهيرة إحنا عندنا رابطة المرأة العربية وإحنا كيان مش قليل وإحنا القيادة والريادة في هذه المبادرة، فبالتالي إحنا اللي ناخذ القيادة وناخذ المنصة". قلت لها تاخدي المنصة إزاي لما إحنا ورقنا لسة متعملش، أظن لنا بدأنا نعمل جمعية تدوبك بقالتا بيومين، وعندك اللجنة النسائية بتاعة "الوفد"، واللجنة النسائية بتاعة "التجمع"، وحزب العمال، مينفعش.

أكثر من 300 نفر

بعد 1986 مباحث التظاهر عشان القضية الفلسطينية، بقى الفكر كله استقلل مصر والتبديد. أي حد يقول اطلعوا مظاهرة كنت بطلع. مكنتش بنضرب. وقت خالد سعيد، كنت بطلع الإسكندرية، بس كنت بتفرس للناس يوصل بلاقي مظاهرة شبابية، طب إيه اللي جابني، كنت بقعد شوية وامشي. بعدين عادة شهبندر عملت "البسوا أسود وامشوا على ضفاف النيل".

2006 بدأت المظاهرات تزيد، "6 أبريل" كانت بتنظم حاجات كثيرة كنا ننضم لها مرات، ومرات مننضمش، وكان كل أسبوع تقريبًا في حاجة على نقابة الصحفيين، وبدأت مشكلة نادي القضاة. كانت بداية الضرب اللي كان قبل الثورة على طول. فاكدة يومها إنني عايرت كل العيال اللي عندي قلت لهم إحنا كل مرة بنروح وانتوا مبتجوش لازم تيجوا معايا، فجم معايا الولدين بتوع المحل والسواق. وإحنا رايحين المظاهرة شارع رمسيس من بداية كوبري أكتوبر مرصوص عربيات أمن مركزي، أنا بقيت أقول للسواق الناس بتهيا لهم إننا مهمين قوي، عربيات أمن مركزي كثير. شفت قدام دار القضاء العالي عند الشهر العقاري في مجموعة صغيرة يمكن 30 أو 40 نفر على السلم اللي ما بين شارع رمسيس وشارع 26 يوليو، قلت له نزلني وانتوا روحوا شوفوا رينا يفتح عليكم. بدأوا ينتظموا بس قليلين جدًا، بقينا 60، وشارع رمسيس كله بوكسات كبيرة.

بدأنا نمشي وحوالينا أربع كردونات أمن مركزي من كل ناحية، وإحنا ماشيين لقيناهم أربع صفوف مواطن من كل ناحية، صف منهم بيحري يسبق الثانئين، فجاء متأجري، فقمسونا اثنين بقينا 30 و30، بعد شوية فضلت 3 صفوف، صف منهم جري، اتقسمنا 30، وبقينا 15.

مشيت وواحدة ثانية وحوالينا كل الهباب ده. وبعدين حودنا ودخلنا على شارع سليمان باشا اللي فيه سينما مترو، وأنا في وقتها رجعت لقيت نفسي ماشية لوحدي متحاطة

بشوية بيجروا وأنا مش قادرة اجري، حتى في وقت سبقوني كلهم وأنا بمشي مفيش حد حولي، التانيين أصغر مني في السن بيجروا ومش قادرة اجري، كان عمري 65 سنة، فركبت تاكسي، وروحت. العيال اللي معايا اتهدلوا، كانوا بيلموا الشباب، دي كانت مرتبطة بنادي القضاة. بعدها بفترة قصيرة كان في وقفة ثانية المرة دي قدام سلم نقابة الصحفيين في شارع عبد الخالق ثروت، ودي رويحتها مع واحد صحبي صحفي أجنبي ووصلنا وبرضه السوق سابنا، قال لي: "هروح أخرج العربية لا يخطوها"، قلت له إنت خايف على العربية مش خايف عليّ، يقول لي: "أنا معرفش نجيب عربية منين".

ونزلت أنا والشاب دا ودخلنا شارع عبد الخالق ثروت ولقينا كردون بوليس صغير وسلم النقابة مليون صحفيين ونقط ومقفول من الناحية الثانية ثلاث كردونات، الطابط على ما أظن كان ماسك أمن الجيزة لأن شوقته تاني في 2011 وبعدين اتحبس. قعدنا وبعدين حسينا إن في مظاهرة ثانية، إحنا كده معزولين عن نادي القضاة بعدينا بـ 100 متر في دائرة. في ميدان صغير على شارع معروف، فقولنا نروح نشوف إيه اللي بيحصل هناك، فجينا نفوت كردون البوليس فوتني أنا، ومسك صاحبي الصحفي، ضربه الضابط بإيده فقال له "I am a journalist" فسابه. نزلنا لقينا الضرب الناحية الثانية، قتابل مسيلة للدموع ومظاهرة حاية من وراء، في شارع معروف وفي منطقة نسبياً مكش فيها حاجات كثيرة كانت المنطقة اللي قدام سلم الصحفيين لكن وراء ما بين المنطقة اللي واصله لحد نادي القضاة مضروسة شباب بينضربوا ويتسلخوا وعربيات بتتشد. وإحنا واقفين هجموا على سلم النقابة، وجابوا محمد عبد القدوس من رجليه أو راسه فاكدة كانوا بيجرؤه على الأرض قدامنا، يمكن ماسكيته من ذراعه وبيجرؤوه وأظن فتحة أخذت لها علكة. دي كانت من بواخر الفترة اللي قبل.

أنا 25 يناير روحت مع اتنين صحفيين جاك ورمديوم، فطلعنا أنا والأتنين اصحابي دول وقلت لهم هنركب عربيتي في شارع وراء مصطفى محمود عشان لو قام الضرب يبقى عندنا عربيتنا ممكن ناخدها. نزلنا وكان في يجي 300 نفر في شارع جامعة الدول العربية متجمعين بجي 300 واحد في جزيرة خضراء [رصيف] بين شارع رايح وشارع راجع، وهما محصورين في حته، وقدامهم كردون أمن مركزي بعضيان وبيحاولوا يفلقصوا منهم، لقينا بيعملوا حاجة غريبة جداً؛ بيعدوا الجزيرة، والأمن المركزي بيعدي معاهم وبعدين يعدوا ثاني، قعدنا كده من الساعة 2 لـ 3 إلا ربع، نجني كده ونيجي كده، مرة واحدة بدأوا الناحية دي بدأ الشباب يحضر نفسه وجزء منهم يحول على الناحية الثانية والأمن المركزي سبقهم وجري وفتح الطريق والعيال جريت،

وجري جاري ما اقدرش أقول لك وطيفاً أنا وقتها 65 سنة، وباك أكبر مني بسبع سنين ورمديوم من سني، فقلت لهم يا جماعة أنا مش هقدر أجري تعالوا ناخذ العربية. مش عارفين هيطلعوا من كوبري أكتوبر ولا من كوبري الجلاء، ولا هيطلعوا على الجامعة، مفيش خطة، قلت لهم إحنا نقف لهم عند "موبيك" في شارع وزارة الزراعة [آخر البطل أحمد عبد العزيز المتفرع من "جامعة الدول"]، هنا هيبان هما طالعين على الكوبري ولا هيكلوا، ولو كملوا هيدخلوا على شارع التحرير ولا هيكلوا على الجامعة. ركبنا العربية والياقي بيحري والأمن المركزي واخذ صدمة وبيجري وراهم، وطيفا عيال تقال والجزم ثقيلة والتانيين فريرة. وقفنا العربية عند "موبيك" عشان نبص نشوف إيه اللي جاي، كانوا 300 أول لقا وصلنا، ولحد ما عرفوا يضحكوا على الأمن طلعوا يمكن 600. وإحنا واقفين سمعنا دوشة وبصينا لاقينا فوج، وباك بيعرف يعمل تقديرات، قال لي: "شهيبة دول شكلهم كده 20 ألف" وإحنا سايبينهم 600. عرفت بعد كده إن دول بتوع إمبابه، التحصوا باللي كانوا جاين من شارع البطل أحمد عبد العزيز.

إحنا مش شايفين هيركبوا إزاي، فقلت لهم تعالوا نطلع الكوبري عشان نشوفهم ونشوف هنعمل إيه، وقعدنا في اتجاه الكوبري [أكتوبر] كأننا هننزل على الزمالك.

شفتنا المظاهرة ماشية في الشارع وصلوا عند بداية كوبري أكتوبر، جزء منهم بدأ يطلع عليه راج الأمن المركزي شال نفسه كله وطلع الكوبري فالمظاهرة فانت من تحته، عشان كده معرفوش يوقفوه. إحنا فوق الكوبري منقدرش ننزل فقلت لهم بصوا إحنا هنطلع دلوقتي من فوق الكوبري وننزل على كورنيش العجوزة ونروح نركن عند بيتي ونشوف لأن هما لو واخدين الطريق للجامعة ببيان من ميدان الدقي، لو طالعين على كوبري قصر النيل هيقى على ممر غينا. نزلنا على كورنيش العجوزة وطلعنا البيت. أول مرة أشوف 20 ألف، إحنا كلنا 300 ومرة واحدة 20 ألف، أنا قلت البلد هتولع، قلت لهم اقفلوا الجراج واقفلوا العربية إحنا ناخدها على رجلينا، وطلعنا استتبناهم فلقيناهم جاين. الشحات اللي قاعد يقول: "يا رب"، والناس تقول وراه "يا رب"، والستات الشيك اللي لابسين، والست المحجبة، والست البسيطة كله. وأفواج واحد وراء الثاني انضمينا ليهم. كانوا قالوا لنا جيبوا خل وكوكاكولا، أنا كنت لابسة بتاع فيها خل وفيها شوية كوكاكولا، فمشيتا وجانبك الناس تقول لك عندك خل، أقول له آه عايز، يقول لي: "لا دا عشان أدبكي"، أقول له لا أنا معايا، وبعدين لقا قربنا من الميدان لقينا الشباب وقف وقالوا: "الستات والرجالة الكبار وراء، إحنا يا جماعة هننضرب كله وراء، أرجوكم أرجعوا وراء سيبوا الشباب يبقى قدام". طلعنا وصلنا لاقينا عربيات جيش

متعبى قنابل مسيلة للدموع وفيه [كاوتش] مولع، مكناش عارفين نشوف. فواضح إن الضرب الأساسي وإحنا قدام النقابة كان بدأ في شارع الجلاء، دا اللي فكره.

2011 غيّرت في المفاهيم بس مش شايقة إنه إنجاز خاص بالمرأة. التمرّد على النظام، لأن النهاردا، منش عارفة سلمى أخيراً كانت خارجة من المترو والظابط وقفها وقال لها: "هاتى الموبايل"، فقالت: له: "كده ليه؟"، راح نغزها كان ممكن في ثانية بلبسها قضية دعارة، في ثانية، وبعدين بتقول: "أنا زعلت من نفسي عشان مردتش"، قلت لها متقدريش تردى اخطي راسك في الحائط. لو إنتي 200 بنت آه، لكن لو إنتي بنت لوحدهك مينفعش. عشان كده بحس إن دي كانت حاجة خاصة بالإنجازات في فترة معينة، العسكري في الشارع مؤدب، النهاردا رجع الافترا بتاع الأمن والظباط في الشوارع.

بحس إن فيه تناقض أنا متضايفة منه؛ لَمّا أبص مثلاً على أصحابي من جيلي أو جيل أكبر وكانوا يسار وأشوف أولادهم طلّعوا إيه، أولادهم مش كلهم منتمين لحركة ولا أي اتجاه سياسي ولا أي دور اجتماعي، ففي حاجة غلط في المجتمع المصري. ما قدرش أقول إنه جيل معين، لكن أنا عندي نظرة شوية متشائمة للشعب المصري، إنه شعب مش بيدافع عن القضايا، بيدافع عن مصالح شخصية ودا موجود على جميع المستويات، بداية من وإنتي النهاردا بتشوفيه في مصالح شخصية، والفكرة دي متغيّرتش في 2011، حاسة إننا شعب بيستأنس بسرعة. بصراحة المكاسب اللي حصلت هي مكاسب الجنسية؛ إعطاؤنا الجنسية لأولادنا، لكن ملناش لأزواجنا ودي حاجة غلط. ويقول إن إعطاء الجنسية لأولادنا ده أوتوماتيك لَمّا تبقى ست مش عندها بطاقة وإعُصبت، أو اتجوزت سعودي ومش عندها، إحنا بنقدر نرفع قضايا ونجيب محامي ونقدم.

تطبيق دراسة التراث

بدأت بحث في التراث، على أساس إن دا تراث بيندثر، بس كنت كل ما تأصليه تلقية ممكن يرجع لوقت الفراغة، أو فترات ما بين الواحدة والثانية آلاف السنين، محدش عايز يقول دا جاي من النوبة مثلاً أو سيوة، لأن اللي جاي من النوبة كان موجود في كل مصر، لو تأصلي هترجعي تلقية كان موجود في الدلتا وفي سيوة، لو تدرسي كويس يثبت شيء، الهوية، جزء مهم من الانتماء لهذا الوطن ولتكوين شخصية مرتبطة ببلد لها تاريخ قديم، مش عارفينه ومش دارسينه، ومش منتمين إليه وعاشين كأجانب في بلدنا.

دراسة الفن مبنية على وقائع وأشياء موجودة، لوح، حجر، ملابس، صيغة. مهياش مجرد كلام زي ما يحصل في دراسات العلوم الاجتماعية. العلوم الاجتماعية بتتكلم عن

قافلة الكوبري [الجلاء] من الناحيتين، وافقين عند الإشارة. فيه دبابه وقوتنا وكلنا ومفيس حاجة، فضلنا نكمل لحد ما جه واحد قال قفلوا الكوبري وانا، فكان رمديوم ورا معرفناش نجيبه لأن الكوبري اتقفل. بقينا مكملين وكل دا مفيس ضرب ومشينا، لأن قفلوا الممر بتاعنا، عدينا كوبري قصر النيل ووصلنا على الميدان مش شايفين حد غير شوية عساكر أمن مركزي وضباط، وشوية عيال. شايفين قدامنا عند عبد المنعم رياض حاجز وضرب، وشايفين حاجة ثانية بتحصل عند الجامعة الأمريكية. قاعدة بقول لجاك يبضربوا هناك، لقيت العيال دول قاعدين بيتقمروا، قلت لهم مش مكسوفين من نفسكم قلت لهم الناس دول يبضربوا عشانكم، عشان إنتي تعرفي تلاقي شغل وانت تعرف تلاقي شغل، وتعرفوا تعيشوا انتوا مفيكمش دم، بهدلتهم والعيال سكنت والعساكر كمان، بس الحتة بتاعة عبد المنعم رياض بعيدة، والأقرب لنا الجامعة الأمريكية، قلت لجاك تعالى نشوف. روحنا لقينا بقى الحاجة اتقفلت من ناحية الجامعة الأمريكية والضرب شقال، وفي عربية مطافي، عربيات المطافي اللي كانت تطلع ترش، دي مكتش طالعة لسة كانت واقفة والعيال بتوعنا نطوا عليها وقاعدين يهتفوا، الحتة مقولة بالأمن المركزي، كانوا يقولوا حاجة، وأنا مش فاهمة يقولوا إيه، طلّعوا يقولوا: "الطوب لا" لأن الطوب بدأ من الأمن المركزي، القوات كانت بترمي عليهم طوب، والعيال ياخدوا الطوب ويرموه، ويقولوا: "طوب لا" وقاعدين فوق عربية المطافي. قعدنا كده 3 ساعات لما زهقنا، الضرب هدي قبل المغرب. إحنا مشينا والضرب حصل على أصوله.

25 يناير كان يوم ثلاثاء، بعدها كانت في حاجة قدام نقابة الصحفيين، ودي اللي بدأ فيها الضرب الجامد جداً، قبل جمعة الغضب.

وصلنا للمنطقة دي وسامعين ضرب لكن مش شايفين فين، فيه دخان بس مش عارفين بالظبط مين، يمكن كنا بنفكر في آخر شارع معروف لَمّا تروحي الميدان من الناحية دي بس مش عارفين فين، قعدنا في المنطقة وبعدين قلنا نمشي، كلمت السواق وقلت له تعالى دنا. كانت الحتة من شارع رمسيس لنقابة الصحفيين مفيهاش ضرب، والسواق قدر يحيي عند ناصية عبد الخالق ثروت، مقدرش يدخل الشارع لأنه كان موقوف من البوليس، بس الحتة اللي بتوصل لرمسيس كانت سالكة، ركبنا، وبدأ الضرب من نقابة المحامين، شوفنا ناس بترمي طوب وإحنا ماشين، حتى السواق قال لي: "هيكسروا لنا العربية". ابتدى يبقى فيه شوية عنف، عند "المحامين"، حسينا إن في حاجات بترمي وتطلع، بس مش [مصدر الصوت] اللي سامعينه، فحودنا عند "الإسعاف" ودخلنا في شارع الجلاء اللي كان

السيدة فاطمة".

العمارة بتاعة الريف والمناطق الريفية والمحافظات اندثرت، مفيش غير المدن اللي حافظت على بعض الأشياء زي القاهرة وبعض المدن المهمة الثانية. لكن عامة الريف والمدن الصغيرة في الريف فقدت معمارها، الانتماء موجود في الملابس والحلي. ودا له جزء سياسي، لأنه يدل على وحدة الوطن بصرف النظر عن انتماءنا العرقية أو ديانتنا اللي اعتنقناها أو المجتمعات المختلفة، كان الكل يشارك في ميراث واحد والكل كان قابل الثاني، عشان كده رموز مخطوطة على صيغتي، عشان كده في النوبة عندهم شيء موجود في سيوة، وموجود في الواحات، كان زمان 25 أو 20 يوم عشان توصلي من منطقة لمنطقة وممكن شهر ولو وصلتني أو لو عشتني. عشان كده دراستي للحرف أثبتت لي إن الأشياء مرتبطة بالهوية والسياسة، إن ميجوش يجزئونا زي ما كانوا عايزين يعملوا في فترة من الفترات؛ النوبة تنفصل، سيناء تنفصل، وسيوة ترجع للصحراء الغربية، لا إنا شعب واحد. إنا منعرفش كدا ونكر دا، إنا نفسنا النهاردا، لكن أنا رأيي على مدى التاريخ لـ.

من هنا دا مهم إنك وإنتي بطلعي الفخار بتاع سيوة مثلاً تلاقيه [شبه] حاجات الأسر الكبيرة في المتحف المصري، بل جزء من الفخار دا تلاقيه بيسموه "ما قبل التاريخ prehistoric"، التشابه فطيع ومعناه إن الوطن واحد والتراث واحد، وفيه قبول للآخر مكناش برفض تتعامل مع السيويين على أساس إن دول أمازيغ زي ما يقولوا النهاردا، كانوا جزء من الوطن، مكناش حاجات منفصلة. أنا مبدأتش كده، أنا بدأتها على أساس إن دا تراث ويندثر، فقلت هبحث عنه بس كنت كل ما تيجي تأصليه تلقيه ممكن ترجيعه لوقت الفراغة أو فترات ما بين فترة والثانية آلاف السنين، محدش عايز يقول دا جاي من النوبة أو سيوة. لأن اللي جاي من النوبة كان موجود في كل مصر، لو تأصلي هترجي تلاقيه كان موجود في الدلتا وفي سيوة، لو تدرسي كويس يثبت شيء أكثر من الصورة اللي إنتي بتوريها. في الملابس والصيغة بالذات، وبيستعملوه اليهود، إزاي لحد دلوقتي، تاخدي كتاب عن الملابس المغربية يطلع لك صورة Jewish bright دا زي كان يلبسه غالباً كل العرائس في فترة معينة، بس المجتمعات المسلمة تغيرت وتطورت وتفرجت، واليهود احتفظوا بالزي، كان زي بتلبسه كل العرائس لكن المسلمين تركوا هذا الزي واليهود احتفظوا بيه، لكن إنهم يفهمونا إن دا يهودي، هو مش يهودي. نفس الشيء في كل حاجة في الصيغة، تلاقني ختم النجمة يقول لك كانوا كل الصياغ يهود. كان فيه صياغ يهود زي ما كان في صياغ مش يهود، إن الصياغ اليهود فضلوا والصياغ التانيين قلبوا افرنجي وبقوا السرجاني مثلاً، مش مشكلة، عشان كده

تصوّر الناس فبتعيش هذا الواقع اللي إنا عايشينه، لكن مش بتربطه بالماضي. دراسة الملابس، والفن، تديكي حاجات ملموسة، بتشوفي إن فيه صليب ورموز موجودة في القرن الرابع والخامس في النوبة، والشكل دا بالطبط تلاقيه في أواخر القرن العشرين في سيوة. معناها وحدة الوطن لأن الميراث واحد، مع إن دول توبيين ودول مزيج من الأمازيغ والبدو والأمازيغ، بس بتأكد دا. مثلاً في ملابس شمال سيناء في أشياء كانت موجودة عند المماليك، أو الفراغة. إزاي بدو شمال سيناء، معظمهم قبائل عارفين إنها نزحت في القرن السابع مع عمرو بن العاص من حضرموت أو نجد أو من أجزاء معينة من شبه الجزيرة العربية. طب إزاي يورثوا الفنون الفرعونية، إزاي يبقى كمكلمات الملابس عند البدو حاجات موجودة في توت عنخ آمون، إلا إذا كان السبب وحدة الوطن، ووحدة التراث. وإن التراث الفرعوني فضل يتوارث من منطقة لمنطقة، كل منطقة تغير فيه شيء، وبتزود عليه شيء وتحفظ بشيء، فبقى في النهاية ممكن تبقى ملابس مختلفة 12 نمط مختلف في كل مصر النهاردا، لكن أصلهم واحد. إنا عشان بلد قديم وتراثنا قديم، وشعب يقبل الآخر ويمزج بين رموزه التقليدية ورموز الشعوب الأخرى سواء هو انتصر أو اتهمز، دا سمح إن الأشياء تتطور؛ رموزك ورموز الآخر يمتزجوا ببعض، ودا معناه لمان قبول الآخر.

إنا مكناش زي ما إنا النهاردا، شعب بيكره أي حاجة مش بتاعته. ودا يابن في الملابس والصيغة [المصوغات] بطريقة فظيعة، متقدرش تنكربها، ولا تقدر تقول إنها كلام، لأنها مثبتة بأنماط متواجدة.

دروس العلوم الاجتماعية من غير ما تبقى قاصدة ممكن تزيف أشياء، الأزياء في الواحات عليها شكل، الشكل ده فيه عالم من علماء العلوم الاجتماعية راح هناك وعمل كتب ممتازة وحلل كل شيء من الفخار والملابس وكله. يجي على الملابس ويوري الستات الشكل ويقول لهم: "إيه الشكل دا؟" فتقول له: "سحلية"، سحلية في وقت ما هو كتب في أواخر القرن العشرين، لكن لو ترجعي في تطور الملابس في المنطقة دي هتشوفي عن 60 أو 80 سنة قبلها دا كان صليب، والصليب مقطوم مع الوقت لأن غالباً علماء التاريخ يقولوا إن "الواحات فضلت مسيحية لحد القرن السابع عشر أو الثامن عشر، بعد كده غالباً ائتمنت بالإسلام وغيرت دينها بس الملابس كانت موجودة"، فغالبا لما غير دينه احتفظ برموزه، طب أولاده اللي اتولدوا مسلمين مش شايفين إن دا صليب، ولازم يكونوا عارفين إن دا صليب بس احتفظوا بيه لأنه ميراث الجدود وبالتالي يحترم وبيعتد بيه وبيتعاد. زي النهاردا بتلاقني مسلمين يقول لك: "أنا روحت عملت نذر عند السيدة العذراء، وولعت شمعة عند

يقول إن اليهود يستعملوا دا عشان كل تراثنا يرجع لهم.

أول ما بدأت أدور على الملابس عمري كان 16 سنة، قلت لازم أطلع شكللي. فبدأت من وأنا صغيرة اتضابق إن أنا ليه ألبس شيء أقلد فيه فرنسا، طب إحنا مين؟ أحسن؟ أوحش؟ هما أحسن مننا؟ أحسن في إيه؟ أظن بحثي كان عن our legacy folklore، هو مش فلكلور، هو تراث يعني أقدم تراث في العالم، أنا رأيي إن فيه مؤامرة ضد مصر؛ في المتاحف كثير يقول لك: Middle East division ميجبش يقول Egypt، وطبعاً بين النهرين أقدم ويمكن الصين أقدم، لأن هما بيحسبونا ابتداء من سلالات (أسر) حاكمة dynasties، لكن الأسر بنت أهرامات، معناه إن كان في كيمياء وجبر وعلوم ومعرفة، وكل الحاجات دي كانت موجودة. الفراعنة في أول الأسر كانوا بيتحكموا في النيل، كان عندهم مقياس النيل على كل مرحلة عشان تعرفي سنة قبلها من وقت ما إيتوبيا تبدأ المطر فيها تعرفي يبقى عندك فيضان ولا لا. لَمَّا بحثت عن الملابس في الأول كان قضية شخصية، ثم لقيت إنها مش قضية شخصية هي قضية وطنية، لَمَّا بصيت على الجرف لقيت نفس الشيء، لو عايزة النهاردا تنافسي الغرب مش هتنافسيه إنك تعملي ثلاثة لأن حنقدمي إيه مختلف. الهند بتقدر تنافس من ناحية الجرف، أو من ناحية الصناعات الصغيرة لأن عندها إنتاج، الإنتاج دا ناجح عندها ليه، لأن الهنود ما زالوا متمسكين بيه. بنت المهرجا لَمَّا بتتجوز بيعملوا لها ست آلاف ساري، فييشغلوا الناس، تبقى حرفة حيّة وفيها تجديد مستمر لأن الناس بتفكر في 6 آلاف ساري بتاع كل بنت مهرجا فيبنتجوا، وبتنزل من 6 آلاف ل3 أو ألفين أو 100، لحد ما نوصل للأسرة الغلبانة اللي بتعمل ساري واحد.

إحنا كنا بلد بنتنتج أفخر النسيج في العالم ويتصدر. في العصر الحالي كان يقول Egyptian Cotton لكن زمان كان بيوصل في كل الكنائس في الأماكن اللي بيحطوا فيها الحاجات الثمينة النسيج اللي جاي من مصر، فاطمي وأيوبي وأموي وعباسي، ولما نتنتج أحسن نسيج في العالم.

محمد علي فكر في القطن كحل، لأنه كان رجل له نظرة بعيدة. بداية الخلافات ما بين جنوب وشمال أمريكا كان بدأت وقته، والولايات الجنوبية اللي بتزرع القطن عايزة حصة أكثر من الثراء ومن التصدير، فكان بدأ الخناق قبل الحرب الأهلية بتاعتهم من 30 أو 40 سنة، هو حس بكده وفي نفس الوقت الإنجليز عملوا بداية تصنيع في مانشستر. أنا مش دارسة كل التواريخ بس عارفة إنها كلها تقريباً في نفس الفترة؛ واضح إن محمد علي قال الأمريكان هيتخانقوا، لَمَّا يتخانقوا الإنجليز هيجيبوا قطنهم منين، هيجيبوه من الهند، طب أنا هزرع في مصر. مرحلة أولى أصدر، مرحلة ثانية

أعمل تصنيع. ولَمَّا حصل الاحتلال البريطاني هدوا الخطة، لكن مدوها ليه عشان كانوا عايزين القطن المصري، كان بدأ يتعرف إنه مميز وكانت الحرب الأهلية حصلت في أمريكا وانتهت مصادر القطن من هناك، والهند بعيدة، ومصر قريبة. عملوا تمييز لزراعة القطن وحولوا البلد لمزرعة قطن على حساب الإنتاج فبقينا بنطلع مادة خام بدل ما بنطلع منتج مُنتهي والناس فرحت. أنا عايلتي كانت ماشية مع القطن؛ لَمَّا كنت بقولهم في البيت عايزة فلوس المدرسة، كانوا يقولوا لي: "قولي لهم هندفعلمهم مع القطن".

كل الإقطاع المصري كان عايش بالقطن، المحصول يتباع فنجري نفسك، واعملي كل الخطة السنوية بتاعه صرفك. دا كان شكله ظريف بالنسبة لنا، لكنه فقدان لثراء كبير للبلد إنك تصنعي مش تنتج. عشان كده الجرف والاهتمام بالفن والحرف التقليدية دا مش ترف. هو بيربطك بالاقتصاد القومي، كان حسن فتحي يقول 20% من دخل المصري المتوسط بيروح لجهاز البنات ودي مصيبة، لأن إنتي بتحولي وتبقي مديونة وتلّمي كل قدرتك المالية عشان consumer goods لحاجة ملهاش معنى. والغرب يلعب على أساس إن هو من الأول بيدرس سوقك وبيشوف هل إنتي ممكن تبقي سوق جيّد ليه، فبيبدأ يكسر في كل ما هو مرتبط بصناعاتك التقليدية ويحاول ينافسها بحاجة أرخص أقل جودة يمكن بس تكون أرخص، إنتي لو مش محمية هتبدأي فعلاً تقتلي منه وهتتكسري وتدمري صناعاتك المحلية. رأيي إن دا مش منفصل عن دا.

التراث السينائي نموذجاً

اهتمامي بسيناء بدأ، لَمَّا كان بيجي لي ملابس من هناك لأن البدو كان مسموح لهم يججوا وبيبعوا وكنت بقتني أشياء، لكن مش عارفة اتواصل مع قبائل حقيقية من سيناء، لأنها كانت مُخللة.

في أوائل الثمانينات جم المحل عندي اثنين أمريكيان عشان بيععوا لي ملابس بتتعمل في العريش، هما من طائفة دينية اسمها Mennonites⁴، الطائفة دي لَمَّا يجوا يعملوا مشروع بيحاولوا يعملوه بالخامات المحلية في أماكن محتاجة مساعدة وتنمية مش مرتبطة بالاقتصاد الغربي، هما على يسار الفكر الغربي. مشاريعهم بتحصل بالإمكانات المحلية، فيعملوا مشاريع صغيرة، وكانوا عملوا مشروع في القدس للتطريز البدوي. وفي سيناء وقت الاحتلال، بدأوا يدّوا شغل للسيدات تطريز بناءً على المشروع اللي عملوه في القدس. كنت متعاطفة عشان كنت حاسة إن دول ناس بيساعدوا ناس من بلدي وبدون أي غرض، والأرباح

4 طائفة مسيحية، يناذي بجديد العماد، سُميت نسبة إلى مينو سيمونز (1561-1469).

كانت بتتوزع [على ستات في العريش]، وللازم أساعدهم. المشروع بدأ وقت الاحتلال الإسرائيلي، بس المنتج مكنش حلو، معمول بنضافة فظيعة بس ألوانه ورسوماته وحشة، فقلت لهم الألوان وحشة، قالوا لي: "إحنا روحنا هناك ملقناش ملابس، الملابس اتباعت كلها للإسرائيليين ففقدت الذاكرة. المنطقة فقدت الذاكرة". فقلت لهم أنا مجمعة ملابس سيئة لأن البدو كانوا بيحبوا لي هنا، وسلفتهم 7 آلاف قطعة ملابس. وبعد 3 أو 4 شهور، رجعوا بملابس أحسن شوية، لكن الألوان سخيفة، وبعدين فوجئت بعد 3 شهور ثانية بيقولوا لي: "تيجي تديري المشغل يا إما هنقله".

كانت الدولة المصرية قالت لهم: "حاجة من الثلاثة، يا تدوا المشروع دا للشؤون الاجتماعية، أو تملكوه لحد مصري، أو تدوه cared اللي هو حاجة من development أمريكي". فهما قالوا: "الشؤون الاجتماعية إحنا مش مقتنعين بيها ودي بتبوظ المشاريع، الستات اللي هناك ميقدروش يديروا فما كانواش يعرفوا حد، وبالنسبة لـ cared قالوا إحنا ضد النظام الأمريكي لأنه بيستغل الشعوب عشان يربطها بالاقتصاد الأمريكي"، فكرهم سياسي يعني، "إحنا لو كنا بتعامل مع السفارة الأمريكية مكنتش الدولة المصرية هجمت علينا الهجمة الشرسة دي، كانوا هيجموننا. ولا همّا بيجبونا النظام الأمريكي، ولا الدولة المصرية عايزانا"، فقالوا لي: "تاخديه [المشغل] يا إما هنقله".

الصراحة عمري ما اشتغلت في مشروع تنموي، ومكنتش أعرف حاجة عن التطريز أنا كنت بصنع ملابس في الريف، لأن كنت مرتبطة بفكرة دعم الملابس مطرح ما بلاقيها على أمل إنها تستمر، فقلت لهم أدوني فترة أشوف هعرف اتعامل مع الناس دول ولا لا.

طلعت العريش وعلما اتفاق مؤقت إنني هروح أديره لفترة سنة أو اثنين، ولو معرفتش هرجعه لهم. بدأت اشتغل، كانوا 3 ستات من العريش وكانوا كارهيني، لأنهم كانوا بيكرهوا كل حاجة مصري، واكتشفت في كل سفرياتني إن كل من كانوا يتحكموا في المنطقة عامة ممثلين من السلطة المصرية الفاسدين والمرتشين والسئين اللي الدولة عايزة تعاقبهم، فيعملوا إيه بيعتوهم شلاتين، أو سيوة، أو العريش. طبعا يبقى عندك كره شديد لما يسمى بـ "الوادي" وكانوا خايفين مني. قعدنا كده تقريبا 6 أو 7 شهور يطلعوا عيني، كنت بطلع أسبوع في الشهر أحاول أحسن الشغل؛ ألوانه، كل ما أقول لهم اعملوا كده، يقولوا: "مش عايزين"، أوصل من مصر الاقبيهم متخافين وبقفلوا الباب في وشي ويزعقوا: "زودي لنا المرتبات"، أقول لهم أنا لسه جاية بقالي شهرين أنا بمشي المرتبات اللي كانوا

بيدهلكم الخواجات، كل مرواحة بخافة. مرة منهم بعد 7 أو 8 مرات قلت لهم بصوا المرة الجاية هاجي لو هتعملوا في كده هرجع بلدي، من ترك داره اتقل مقداراه، أنا عملت اللي عليّ حاولت استمر عشان الخواجات ميقلوش المشغل، انتوا وأنا مش هنشتغل المرة اللي جاية. وبعدها لاقيتهم ظراف جدّا وبنينا علاقة استمرت 40 سنة، وكبرنا المشغل. كلهم ماتوا دلوقتني، وفيه ناس جداد جم بعد الثورة، مشفتوش الجداد.

في فترة من الفترات كان معانا 1200 ست، بس بيشتغلوا جوّه بيوتهم مش في المشغل، لأنه مجتمع متحفّظ جدّا صعب ست صغيرة تسبب البيت، الست الكبيرة ممكن، لكن الصغيرة صعب.

كلهم بيسكنوا مع بعض زي زمان عندنا، الست تقول لحمايتها: "يا عمّتي أنا هاروح مشغل الخواجات" هتقول لها: "هتطلقني بكرا اقعدي هنا، عايزة إيه منهم هروح لهم أنا"، الست 40 سنة بتبقي جدة خلاص، فيبقي سمعتك اتستأنت وبقيتي صاحبة قوة لأن أولادك كبروا وإنّتي بقيتي أم محمد أو أحمد ودا فاتح بيت وراجل، مش بنت صغيرة. كان في وقت من الأوقات كُنا شغالين كويس جدّا بس بعد كده تدريجيّا الحاجة قلّت لأن أنا ظروفني انغيّرت، جوزي عمل مضادة وسبت مصر سنة ونصف، في الفترة دي الشغل قلّ طبعاً. وبعد كده ظروف التطريز ظروف صعبة ومحتاجة لعيون كويسة، في دولة الرخاء مش المفروض الستات دول يشتغلوا كده عشان بيتعب عينهم، المفروض يشتغلوا ساعتين زي ما كانوا بيشتغلوا معانا وعشان تعمل فلوس لازم تشتغل 6 أو 7 ساعات في اليوم، كمان التسويق مكنش سهل، المصريين مش عايزين حاجة مطرزة مصرية، كنت بكافح عشان أقدر أبيعها مكنتش بتتسوق بسهولة، كانت مرتبطة كثير بالأجانب، وما حصلش إقبال مع المصريين. ودا راجع لفكرة عن كل حاجة جاية من برّه بتبقى محترمة، وأي حاجة محلية بتبقى شيء الواحد ميستهلش يدفع فيه، بيسترخصوا يدفعوا في حاجة مصرية معمولة بالإيد وبيشتروا حاجة معمولة ماكينة في إيطاليا بس اسمها إيطالي.

ما يفعله الاحتلال بالتراث

لما روجت باقي سيناء، اكتشفت إن الاحتلال واخذ كل ما هو جميل في النسيج، الكليمة والبساط والملابس والصيغة، نضفوا الأسواق، لأن الحاجات دي كانت بتتباع عندهم بالشكيل وغالية، في سيناء كانت لسه بتباع بالجنيه والفرق بين الشكيل والجنيه كان فرق كبير قوي يعني عندنا كانت رخيصة، عشان كده كمان كانوا يياخدوا العمالة من سيناء، لأن عمالة الراجل مثلاً خمسة جنيه، عندهم مثلاً تبقى 15

دولار أو 20 أو 30. فجم تضيفوا المنطقة.

والسيناوية مخدوش بالهم من إن اللي يشتري منهم حاجة بخينه هيروح بيعها هناك بـ500 دولار، عشان لقي مصدر رخيص للمنتج الغالي النادر في بلده، الاحتلال بيعمل كده. الاحتلال بيهد كل ما يربطك بالتراث لأن التراث بيربطك بهوية.

واكتشفت حاجة أنيل بخصوص التراث؛ جوزي كان إيطالي، وقبل ما اتعرف عليه، كان بيروح سيناء وقت الاحتلال عشان كان بيشتغل في البترول، وكان بيصوّر بدو سيناء، وجاب لي الصور، وجمعت من خلال مجاميع الصور القديمة اللي بتلاقيها إما حد يجيها لك أو المتاحف عندها الملابس اللي كانوا بيلبسوها بدو سيناء، مكتتش ملابس مطرزة. لَمَّا روجت جنوب سيناء بعد الاحتلال لقيت متحف صغير عملاه ست اسمها حاجة سليمة وعندها فستان معرفهوش وطرح والأكسسوارات معرفهاش. قلت لها يا حاجة سليمة إنتي ابتكرتي، قالت لي: "لا"، قلت لها لا إزاي أنا عندي صور زمان وزمان خالص مكش فيه تطريز (كلام شهيرة صح؟) "أنا كبرت وأخواتي الكبار (أكبر منها بـ20 سنة) وأمي بيلبسوا ملابس كده"، قلت لها طب ممكن تجيبي لي فستان والدتك، راحت جابته ولَمَّا بصيت عليه قلت لها يا حاجة سليمة القماش دا مش قطن مصري دا سنتاتيك إسرائيلي، فالفستان اتعمل بعد 1967 لأن انقطعت مصادرهم اللي جاية من مصر والقطن والقطنيات، وفي نفس الوقت مع اقتحامهم السياحة حوا بسوقوا شيء للسائح فعملوا تطريزات ملهاش دعوة بالتراث ويلبسوها عشان السياح يشتروا منها، لَمَّا تروحي هناك لحد دلوقتي تشيل البرقع وتلبسه، وعملوا براقع مختلفة عن البراقع الأصلية، عملوا حزمة ملهاش دعوة بالحزمة الأصلية كانت معمولة من صوف الغنم عملوها بخرز. مبقاش عندهم القطن المصري، بيستخدموا الكليريك اللي هو سنتاتيك اللي كان بيتعمل في إسرائيل كل الخيوط الفاير بـpetroleum industry ويجي لك. عملوا شيء ملوش علاقة بتراثنا بس برضو من ناحية الدراسة لازم تعتبره زي قومي لأنه ليه 30 سنة، شوفي قد إيه السياحة والاحتلال ممكن يشوهوا التراث.

عشان كده لَمَّا واحد يدرس لازم يدرس تأصيل، مش يدرس اللي موجود. عشان كده اهتمت بدراسة التراث، ودراسة التراث بتسمح لك تثبتي إيه هو المشترك اللي كان في كل هذا البلد واللي بيدل على وحدته، وفي نفس الوقت لَمَّا بتأصليه بتشوفي لو في حاجات تزيفت أو تغيرت على مدى الأجيال وليه. أكيد اللي حصل في سيناء مسح جزء، واللي حصل دلوقتي مسحوا الباقي، اللي معملهوش

الإسرائيليين إحنا عملناه دلوقتي بالنسبة للتراث. عشان كده أنا ارتبط جُداً بالتراث وبالحرص التقليدية، لأن كان آخر حلقة تواصل مع ماضينا، وكان بيدل على مدى آلاف السنين كنا قادرين إننا من جيل لجيل نخلق تراث الغد. النهاردا لا، التراث يتاعنا مرتبط بالغرب، إنتي بتعملي حاجة مشتقة من الغرب، وبالتالي غير قادرة إنك تنافسي، لأن المنافسة هي الانفراد وهو اللي بيدكي فرصة للمنافسة وفرصة إنك تتميزي، لكن غير كده بتعملي اللي هما بيعملوه.

شوقية الكردي: المستقبل ليس ودياً

شوقية الكردي، مواليد (1955).

تعتبر شوقية نفسها "ملحقة" على جيل السبعينيات الذي انتمى إليه شقيقها الأكبر شوقي الكردي، وغنى له الشيخ إمام عيسى كواحد من نزلاء سجن القلعة، لكن والديهما كانتا تعتنز بدور شوقي السياسي، لكنها رفضت قيام شوقية بهذا الدور. تحكي شوقية لنا عن بدايات النضال، وكيف خبست لعضوة في تنظيم "العمال الشيوعي المصري". ثم انخرطت في نشاط الاتحاد النسائي في حزب "التجمع".

في هذه الشهادة نتحدث شوقية عن سنين النضال الذي انطلق من قرية قريبة من العاصمة، حتى تأسسها مع أخريات "تنسيقية نساء مصر" في 25 كانون الثاني/يناير 2011، ولا تختلف توقعاتها عن المستقبل عما كشفه العنوان أعلاه.

هذه الشهادة، اعتمدت على مقابلة أجرتها عالية مرسي في 17 نيسان/أبريل 2020.

أثر العمار وشعر أحمد عبيدة ونضال شوقي

أنا من قرية العمار الكبرى، والدي وشقيقه كانوا من تجار سوق الجملة في روض الفرج، جدي كان من أعيان الفلاحين وكبار الفلاك في القرية، بس غمره ما غمل زي الإقطاعيين، كان يباكل مع الفلاحين في قلب الأرض، دي كلها رسخت في وجدانا الإنسانية والتعاون مع البشر.

أمي ست من الفلاحين ولغاية دلوقت بيحسق الأرض والقرية ولي إنصال بيهم. وأنا معتزة بقريتي، العمار الكبرى، ونشأت في فيها أثرت في جامد. العمار كان فيها عمل سياسي مش مباشر إنما واحد شكل تنموي وثقافي عن طريق "حركة شباب العمار" بدأت في نهاية الستينات، وهي قامت أساساً ضد سلوكيات ونفوذ بعض اللي كانوا يبسلوكوا سلوكيات الإقطاعيين في قهر الفلاحين وسط القرية وهما اتجمعوا وحرروا الناس منهم. الحركة ضمت الشباب، نظمت أنشطة تنموية جميلة جداً، وعملت حركة ثقافية، مثلاً مسرحيات وكان لي شرف إنني أول امرأة أمثل مع الحركة في هذه القرية، وكانت مسرحية بسيطة جداً

بتكلم عن حياة الفلاحين وعلاقتها بالجمعيات الزراعية، وهل هي فعلاً دعم وسند للفلاحين ولا لا؟

قلتلهم في الحركة ما دام يتأخذوا أصوات الستات في مجلس الإدارة شاركوا الستات في الأنشطة أكثر، وفعلوا عملوا أنشطة للستات في الكورة والفولي. لكن من عيوب الحركة إنهم كانوا بيصطفوا في توجيه التصويت لناس معينة مقابل تمن.

العمار كان فيها كتيبة لها صدى، منها الشاعر الجميل أحمد عبيدة، كنا بنقول عليه شاعر الفلاحين، هو فارقنا ورحل في سن مبكر عن عمر يناهز 34 سنة. وإحنا بالجهود الذاتية جمعنا كل تراثه من دواوين شعر وطبعناه. وعبيدة ما زال فيه أثر على ناس كثير في كتابة الشعر وفي كتابة القصة وفي الموسيقى، العمار حركة فيها حركة تنويرية مقدرش أقول حركة سياسية، لكن السياسة أثرت فينا بدليل إن مجموعة كبيرة جداً أخرج بينا في السجن في الانتفاضة يناير 1977 كان أنهم من العمار في حدود 17 واحد وواحدة، وأنا منهم وبنات خالي المرجومة ناهد شاهين وفاتن شاهين.

مع اعتقال أخويا الكبير، هو من قيادات ورموز السبعينات، ومن 1968 يعتقل ويخرج، ودخلت في حركة التضامن مع أبناء وشقيقات وأهالي المعتقلين، وبينت لي إن الموضوع بقى مش العمار وحركة شيا به ضد النفوذ الإقطاعي يعني القضية أشمل. الحركة كان فيها كل أمهات ورموز جيل السبعينات، وأثرت في جامد. السيدات نظمت مظاهرة كبيرة احتجاجاً على اعتقال أبنائهم، المظاهرة مشيت من القضاء العالي لغاية سجن الاستئناف، وتفرقت ومسكهم في قسم الأزيكية، لكن خرجونا في نفس اليوم، خرجنا في نفس اليوم. لغاية 1977 لما دخلت المعتكرك السياسي من أبوابه.

أنا فلتحتش بالجامعة، كان معايا مؤهل متوسط، وبعدين دخلت كلية التجارة جامعة الزقازيق في 1983.

العمار نكت في اهتمام سياسي، أنا ملحقة بجيل السبعينات بدايتي الحقيقية كانت في 1976 في معارك جماهيرية زي ترشح فهمي التلاوي وهو رمز نقابي يساري في شبرا لانتخابات 1976، قبل الانتفاضة بسنة، انضمينا اليسار كله في شبرا وعملنا له معركة سياسية كان المرشح الوحيد اللي عنده برنامج وكانت بداية فك الارتباط وبداية العلاقات بين إسرائيل والنطبيع مع إسرائيل. كنا بنقول لأ لمصرور السفن الإسرائيلية من قناة السويس، كنا بنقول لأ للنطبيع مع إسرائيل، وينطالب بأحزاب شعبية مش رسمية، يعني

2 في العام 1974.

3 مبادئ في الحركة الطلابية: شوقي الكردي، كان طالبا في كلية الطب البشري جامعة القاهرة، وعنى له الشيخ إمام عيسى من كلمات زين العابدين فؤاد: (أنا شفت شباب الجامعة الزين/أحمد وبهاء والكردي وزين).

حرية تكوين الأحزاب اللي هي فيتجيش من فوق بشكل سلطوي. المعركة الانتخابية أثرت في، احتكاك بالشارع التحام به، بتشوفي مشاكله وهمومه بشكل مباشر مش بشكل إنك تناضلي بس فقط وتنضمي مع الطبقات الشعبية والمهمشين والفقراء والفلاحين والعمال بس من خلال نظريات وكتب، لأ الممارسة والشارع والالتحام مع الناس دي حاجة ثانية خالص ويمكن الالتحام دا بيصح بعض المفاهيم تجاهك إنتي، بيدكي حاجات تنورك أكثر كمان من القراءات النظرية. تشوفي سلوك الشعب المصري، إيه اللي يقبله، واللي مش يقبله، همومه، مهتم بالحقوق السياسية والديمقراطية، ولأ مهتم بحياته الاقتصادية، دي بتبقى مهمة جداً مبتجيش غير من الممارسة الشعبية في وسط الناس.

طعام سيئ جداً

اتمسكت في 1977 وأنا بعلن عن حزب العمال الشيوعي وكان بيانه بيقول "مش إحنا اللي عملنا الانتفاضة"، اللي عملها الشعب المصري، ولو الحزب يمتلك إنه يحرك هذه الجماهير من أسوان إلى الإسكندرية كنا استلمنا الحكم.

دخلت السجن مع الزميلة ماجدة عدلي ومجموعة من السيدات الجمال جداً منهم شهرت العالم ونقايات من شركات إسكندرية، وبعض بقايا الاتحاد الاشتراكي من قسم عابدين، كان معنا واحدة اسمها فاطمة السعدني، وراوية عبد العظيم، صاحبة دار سينا للنشر، كان معنا أستاذة فاطمة الديساوي، ومديحة الملواني، وسلوى ميلاد، وإكرام يوسف، كلنا الستات العظيمات دول كنا كتيبة كويسة. فينا اللي قعد شهرين واللي قعد سنة وشوية، أنا من الناس اللي قعدت 11 شهر. فترة حبسنا كانت زيارتنا كل 15 يوم، لأ مرة كل أسبوع حتى، مرة يقول لك من ورا السلك ومكنتش فيه سلك في سجن القناطر ومرة زيارة كده. كانت بالنسبة لنا كلنا حياة عامة اللي يجيله حتى باكو شكولاتة لازم يتقسم على الجميع، خلقنا المجتمع الاشتراكي اللي بنحلم به جوّة السجن. كنا بنقوم الصبح نلعب رياضة، نجيب الجرايد كنا مشتركين بسعدوا لنا يحيي لنا الأهرام والأخبار والجمهورية، مكنش فيه جرائد معارضة وقتها، نقسمها صفحة صفحة عشان تقضي، مين قرأ الصفحة الأولى ومين الثانية ومين الثالثة، نقعد نغني ونرقص وكان فيه بيانو في المكتبة وكتب طبغا. وكان لما نتقفل علينا الزنزانة كان اللي يرقص واللي يغني، كانت حياة في غاية الرقي والجمال جوّة السجن. لكن كل يوم فيه تفتيش، ومصادرة للأقلام، يعني الشاي كان ممنوع إنه يبقى معنا جوّة الأوض بتاعتنا، كنا بنصنع فتيل من القماش ونجيب سبرتاية

ونولع عشان نعمل شوية شاي... كانت حاجات بدائية. لكن اعتقد إن دي أثرت علينا علمتنا الاعتماد على النفس إن إزاي تعيشي في حدود الإمكانيات المتاحة ليك. يجيبوا لنا شوية ميه سخنة نقسمها، عشان هيقلوا الزنازين في الوقت بتاعهم كنا نخش كل اثنين مع بعض عشان نستحم على أساس تكفي. دي كانت حياة السجن اللي كنا فيها. كان فيه خلافات في السجن لأن كل المدارس السياسية في مصر كانت جوّة فيه تروتسكية وكانت بتعلمه آمال حسين ورندة البعشي، وكان فيه بتوع "العمال"، وكنا الغلبة فيها، وكان فيه "8 يناير"، وكان فيه تباين في الأفكار كثير، لكن الروح الجماعية كانت موجودة داخل السجن.

أمي مثلاً كانت مؤمنة بأفكارنا بشدة، لكن فكرة إن بنتها تنحبس عملت لها ضغط نفسي جامد ما بين إنها مؤمنة بأفكارنا وإن كل الناس شايفة إن حبس بنتها عار، مجتئش تزورني كثير في السجن، لكن كانت بتروح للأخويا وتفتخر به، وشايفة إنه بيناضل عشان مصر والناس الغلبة.

زيارات أهالي مجموعتنا كانت متوزعة على الأسبوع، عشان يكون فيه أكل طازة، وفلوس للكانتين عشان نشترى منه معليات اللي نقدر نستعين بها لما فيكُنش فيه زيارات. لكن فلنا لازم الأكل جوّة السجن يتحسن لأنه كان سيئ لأبعد حد في السوء، يجيبوا عدس، حاجة زبالة خالص، يجيبوا عيش ممكن تلاقى فيه حشرات وقتل. دخلت زميلتنا مديحة الملواني وأنا معاها بتقول للأمور إن "دا أكل مينفعش يتقدم للبنى آدمين"، رد إنه "معلش"، مديحة سألته "أنت تأكل الأكل دا؟" قال لها إنا مسجونات ونأكله، قالت له إنه متواطئ وراحت رامية العيش في وشه. طبغا رمت العيش من هنا وكلنا اتكدرنا، طيب هنسبها لوحدها لأ ما هي دي الروح الأصلية الجماعية. اختلفنا في هذه اللحظة نخش إضراب جماعي ولا لا، لأن شهرت العالم بتقول: "لأ إحنا ما ندخلش إضراب لأن دا إنهك لنفسنا وإجهاد لجسمنا"، لكن قررنا نعمل إضراب، والإضراب دا مرحلة من مراحل صمود المرأة المصرية داخل السجون. (قريت مذكرات الرفيقات اللي اتحبسو في 1959 نفس القصة وكان التاريخ بيعيد نفسه برضو نفس الضرر ونفس التأديب ونفس التنكيل مع تغير بعض التفاصيل).

دخلنا إضراب وجات النيابة وسجلت إضرابنا وتحققت كل المطالب بتاعتنا، وقعدنا نهتف جوّة السجن قصيدة الشاعر الكبير الأستاذ عبد الرحمن الخميسي: "لا اللومان ولا التشريد ترهنا ناره/إحنا جوّه السجن حديد/إحنا ثواره/وانتصار الشعب أكيد وكفاحنا كفاحه". قعدنا نهتفها كلنا لما حققنا هذا الانتصار. بقى الأكل والعيش يجوا نضاف، اتسمح بالورقة والقلم، لجان الامتحانات كانت تعقد داخل السجن،

غُفِدَتْ لشهرة داخل السجن ونجحت. الزميلات كانوا يبتزلوا الكليات بتاعتهم يمتحنوا وكانوا ينفوقوا. وكمان كسر التنكيل بينا جوة السجن ولمّا حققنا هدفنا استقادت السجينات العاديات لانه انتزع لكل السجينات أبسط الحقوق زي الرعاية الشخصية والصحية، ودي للأسف لم تتحقق لكل المسجونين لغاية دلوقتي.

في المحاكمة كان فيه قاضي يدينا استمرار على طول اسمه الصدفي، من قبل ما يشوقنا يدي استمرار حبس، لذلك كنا نهتف ضده في قلب المحكمة "يا صدفي باستمرار ليننا الثورة وليك العار". لكن فيه قاضي ثاني كان يدينا إفراج. بعدها المحكمة أصدرت حكم على 20 واحد منهم تقريباً خمسة من السيدات، أنا واحدة منهم اتحكم عليّ بـ 3 سنين ومأجدة عدلي وفاتن بنت خالي نفس المدة، وواحدة اسمها إيمان عطية أخذت خمس سنين، اللي أخذت سنة واحدة هي آمال حسين. والقرار بتاع المحكمة قرار في غاية الرقي، وحديث الحكم عظيمة جداً أنصفت الشعب المصري في حقه أنه ينتفض انتفاضة وهي شعبية لأنها تابعة من الجماهير ضد القرارات الاقتصادية اللي اخدها السادات اللي وصفهم بأنهم جرامية.

أين الحزب الذي حُبست من أجله؟

بعد لما خرجت من السجن كان عندي حلم اغير الواقع من خلال الحزب، ونلاقى طول لهوموم وحياة الفلاحين والعمال والمهمشين. لكن واضح إن أحلامنا بتسبق الواقع، وأنها مش بتتحقق لظروف الحزب نفسه، لأنني لما خرجت ملقتش "العمال الشيوعي المصري" بسبب الظرف السياسي والحملة الإعلامية الشرسة والتنكيل والحبس. "العمال الشيوعي المصري" انهيار، ليه؟ هل كان بيحمل سمات البرجوازية الصغيرة؟ هل الروح الانقسامية اللي كانت متواجدة ونشأت مع اليسار هل هي دي اللي أثرت؟ هل عدم استقرارنا للواقع وإننا نقتبس هموم الفلاحين والعمال اللي أصلًا بنحمل قضاياهم؟ هل بناخدها من الكتب فقط ومن نظريات فقط بدون إنها تمارس في الواقع المصري وتوغل في الشارع المصري ونشوف ميول ومزاج الشارع المصري في قضاياهم وألوبيات اهتماماته إيه؟ احتمالات دي كلها تتخط في الاعتبار. لكن نهاية الحزب أثرت فيّ، حصل كسر إنني لما أعلن عن حزب، واتسجن عشانه، ولمّا اطلع من السجن الحزب ملوش وجود، بل لقيت اللي كانوا قيادتنا برجوازيين صغار تنتابهم روح انقسامية، وروح التنامي بالغرور إننا اللي نمثل الحقيقة والحل، وإحنا الثوريين فقط، وإنهم ينطلقوا بس من نظريات وكتب. الحركة الثالثة بتاعة جيل السبعينات انفصلت عن الحركة الثانية عشان هما حلوا الحزب، رفضنا الحركة الثانية كلها اللي هما الجيل اللي

قبلنا، الجيل اللي اتحبس في 1959 وقبله، وصفناهم بالتحريفيين والانتهازيين واللي تملقوا النظام. أنا رأيي إن دي من ضمن المراجعات اللي لازم كلنا نقف عندها ونراجع نفسنا فيها. وأنا بقرأ المذكرات بتاعتهم يعيط، يعيط فعلاً لما قرئت مذكرات دكتور فخري لبيب، وأحمد رفاعي دا راجل قواد المقاومة الشعبية في 1956 في بورسعيد، وإنجي أفلاطون، وفاطمة زكي، وسمية أدهم، دول ناس قدموا كثير جداً وظروف اعتقالهم أسوأ بكثير مننا، كان فيه تعذيب.

مش "العمال الشيوعي" بس اللي اتحلّ لكن معاه "8 يناير" و"القروتسكي"، وبعدها حبسوني على ذمة الانتماء لـ "8 يناير" قلت لو كليل النيابة طب أنتوا كنتوا لسه حابسيني في انضمامي لـ "العمال" بتواجهني إنني في "حزب 8 يناير" إزاي؟ هو أنا خرجت من السجن تطيت في الحزب الثاني؟

كان المقصود إجهاد حركتنا، هي حيلة لمواجهتنا على طول، اللي يخرج شهرين ويرجع ثاني... حبس، حبس على طول.

ومن لغاية أوائل الثمانينات كل الأحزاب فكت وناس انهارت ووقعت، وناس كثير انكسرت وراحت تشوف مصالحها الخاصة، وناس كثير اتبهذلت، وناس كثير كانت سابست شغلها، الناس كانت بتلحق نفسها عشان تعمل لنفسها مشروعاتها الشخصي، تفتح بيت، تتجوز، تظلف، تسافر. لذلك بعد ما خرجت من المعجعة دي رحت حزب جماهيري هو "التجمع" في 1984، كان في مجده، وعملت عضوية فيه واشتغلت، ودي مرحلة ثرية جداً.

كان حزب جماهيري ومؤسسي فيه كوادر عمالية ومهنية كثيرة جداً ومن مواقع مختلفة، شقّال على قضايا نوعية زي الفلاحين، المرأة، ومكتب الكتاب والفنانين اللي مسكاه فريدة النقاش، كان حركته متنوعة. واستفاد من القيادات الماركسية، اللي هي الحركة الثانية زي حسين عبد الرزاق، دكتور إسماعيل صبري عبد الله، دكتور فؤاد مرسى، أمينة شفيق، رفعت السعيد.

كانوا عاملين في الأول المكتب النسائي، وكان فيه النساء داخل الحزب، وبعدين المؤتمر التأسيسي حظ نقطة في اللائحة بتاعته إنه يتعمل اتحاد، ولا يشترط للعضوية في هذا الاتحاد عضوية الحزب إلا بالنسبة للقيادة فوق، يعني المكتب المركزي للاتحاد النسائي، اللي هي اللجنة الأساسية لهذا الاتحاد لازم تبقى من التجمع، لكن ممكن تبقى عضويته مفتوحة لكل نساء مصر عشان كده أنا دخلت الحزب كان فيه لجنة الحريات في الاتحاد النسائي واشتركت فيها.

لقيت وجهة نظر الحزب تلاءم معايها؛ هما مكنوش بيطالبوا بثورة اشتراكية، بل بثورة وطنية ديمقراطية، ونظامه قائم على النظام السلمي، وبيناضل على أساس مبادئ ثورة 23 يوليو، من أجل الحرية بالنسبة للنقابات، وإطلاق الحريات، وقيام الأحزاب على أساس وجودها ومبولها، دا كلة أثر في.

"الاتحاد النسائي" أول أمانة له كانت الأستاذة الرائعة الجميلة فاطمة زكي. وكان تشكيل الاتحاد من جيل 1959، وأنا العضوة الوحيدة اللي من الجيل الأصغر. وطلبوا مني التفرغ للعمل داخل الاتحاد وجابوا لي تفويض من مجلس الشورى بإني أئندب من وزارة التموين داخل الحزب، وبقيت بقبض مرتبي الأساسي من "التموين" عن طريق "الشورى"، وكنت بأخذ بعض المميزات زي السفر. في الاتحاد النسائي شكّلوا لجان نسائية من النساء والبنات من المحافظات، وشكّلوا تشكيل نسائي في أغلب المحافظات حتى الصعيد. عملنا مجلة "المرأة المناضلة" نتبادل فيها الآراء والخبرات وكانت تلجنا المجلات والوثائق بتاعة الاتحادات النسائية سواء العربية أو الدولية وكانت الأستاذة ثريا هي اللي بتترجم اللي بييجي من أهم القضايا، والمجلة دي كانت بتتزل بصفة شهرية.

وسمناها "المرأة المناضلة" عشان لقا واحدة تشتغل الشغل المهني بتاعها، وتحضر اجتماعات وتروح البيت تعمل أعمال المنزل اعتبروا دا نضال.

الاتحاد النسائي عمل تنسيق بين التشكيلات النسائية مثلاً زحنا حزب الوفد وقلنا لهم هناك لازم تشكلوا عندهم مكتب نسائي في حزبكم، وفعلنا كانت عواطف والي هي أول واحدة شكلته، وبالمثل زحنا للحزب "الناصري"، كان تحت التأسيس، وشكلته آمال محمود.

خلفت إبنني في 1990 وزوجي توفى بعدها بستنين، حسيت بمسؤولية تجاه إبنني، إني لازم اهتمامي بالولد يتضاعف بعد غياب أبوه، يعني أكون أم وأب. بقيت أدّي أولوية له، نروح رحلات، ونقرأ، وأحببه في عملية القراءة، أركز مع هواياته، نصيف، اهتم بدراسته، نتكلم ونتفصح مع بعض. لكن منقطعش عن "التجمع"، كنت موجودة وقت حصار بغداد ومع "كفاية".

رجعت شغلي، لأن شغلي الأساسي في "التموين" يأمن لي دخل ثابت مع معاش زوجي اللي بأخذه ويدبني الوقت الكافي لرعاية الولد. بعد كده لو فيه حاجات سنوية كنت أحضرها، أشارك في حلقات نقاش. وعلاقتي بـ "التجمع" انتهت 2005 أو 2006. لغاية لما الأستاذ خالد محيي الدين ساب الحزب ورفع السعيد هيمن وسيطر، حسينا إنه مبقاش الحزب اللي اشتغلنا فيه كلنا بروح جماعية. ولقينا حاجات بتتعمل غير اللي مطروحة في أجندة الحزب،

وتصريحات غير توجيهات "التجمع".

أن تكوني امرأة

أمي مثلاً كانت ضد إني أكون في العمل السياسي [من أول حبسة] وشوقي أخويا كان معاهما ضدي، وانتزعت حقي بالراحة واللين. هي كانت مؤمنة بالفكر بتاعنا وشايفة إن دي مهمة ابنها الراجل مش مهمتي، بل مهمتي اتجوز واتستر. لكني انتزعت قبولها، هي كانت تثق فيّ جداً عرفاني وعارفة إن جذوري مأثرة فيّ، قالت لي: "متأخريش كثير في خروجك" ok عايزاني ارجع الساعة كام؟ تحدد معاد الرجوع بأنه 9 ليّيل، فكنت لازم ألزم إني أكون موجودة في البيت ساعتها. قالت لي: "مفيش بيات برّه زي كل أصحابك اللي بيباتوا برّه عند بعض" ok إذا كان دا بالنسبة لها كام هو الأمان، "متجوزيش زي اللي بيسيروا أسرهم ويروحوا يتجوزوا بالاتفاق"، عملت لها دا. المسألة كانت محتاجة حكمة، وإزاي أعرف كيف وضعي. لكن لما كبرت وخلفت جبتني وبقت مؤمنة بيّ جداً.

في حزب "التجمع" كان فيه نظرة للمرأة كامراً، يعني حصلت إنحرافات، وبعض القيادات إزاي كانوا يستغلوا المرأة، وإزاي يتحرشوا بها، والست المرضي عنها تُصعد عن أي ست تانية. دي أمراض المجتمع، ومدعي التقدمية واليسارية غير محصنين منها.

في الشغل كان كل الستات محديات وأنا الوحيدة اللي مش محببة، يعني بالنسبة للناس في الشغل أنا كامرة! كنت يناضل في الشغل، بالرغم إني بصلي في البيت بس مش معاهم في الشغل، لأن دا مكان عمل، دا مكنش مقبول بالنسبة للزميلات، اسمع اللي يقول "ربنا يهدي العاصي" يعني أنا عاصية!

ولما ظهرت في الإعلام للتضامن مع حصار بغداد، وفي "كفاية" بدأ الناس في الشغل يأخذوا مواقف، والأمن عمل حصار في ترقياتي، ناس دفعات أقل مني بكثير، واحدة بيني وبينها مثلاً في التخرج والسن كثير جداً ألقياها رئيستي في العمل. لكن مكنش بيأثر عليّ قوي، أنا كنت لازم ادفع ثمن اختياراتي؛ تنكيل في السجن أو في العمل أو في الامتيازات المالية. النضال يا يخليك تصمدي إما يكسرك، وأنا الحمد لله صمدت.

موقف خاطئ

في الأول كنت ضد التمويل الأجنبي للمجتمع المدني، ومرة قعدت مع أحمد سيف، وقلت له إن رأيي كان غلط، لأن فيه منظمات مجتمع مدني قدمت مشاريع قوانين

رائعة زي "المرأة الجديدة". حتى المركز القومي للمرأة كان طلب رؤية "المرأة الجديدة" في قانون التحرش لوضع صيغة قانونية لو كانت اتطبقت مكنش هيبقى فيه تحرش في مصر. بالنسبة للعنف ضد المرأة لو أخذوا بأراء مركز النديم مكنش بقى فيه هذا العنف اللي بقى ظاهرة ضد المرأة. في مجال حقوق الإنسان، مراكز المجتمع المدني أول جهات فضحت الانتهاكات والتعذيب داخل مصر .

سرقة الحلم

2011 كان حلم كبير، مش عايزة أقول "ثورة" ناخذها "ظاهرة الربيع العربي" لما تتبلور وتتحقق آمال الجماهير، ويتحقق العدل الجماعي، ويتحقق للناس حقوقها والتعبير عن نفسها بإرادة حرة، ويبقى فيه تغيير حقيقي لأنظمة غير مستبدة، لما يحصل كل دا أقول عليها "ثورة". ساعتها رحلي كانت في الجبس، ومحضرتش. لما فكيت الجبس اتعرفت على ناس كثير من ميدان التحرير من ضمنهم راوية كرشة، اللي هي مرات دكتور حسام عيسى. حسيت إن راوية ست ملهاش أيديولوجيا معينة، لكنها مستنيرة ودماغها منظم جدًا، قلت لها إيه رأيك عملي تشكيل ونضم كل الستات دي، لأن الحركة دي لازم تستثمر بها وتنظمي الناس في حركة موجهة، وفيها الروح الجماعية، وإلا هيبقى فيها عشوائية. وعملنا "تنسيقية نساء مصر" وكنا بنزل الميدان نشوف الخيم والبنات والشباب زي الورد، ونحاول ندعم الناس عشان يكونوا صامدين داخل الميدان، وبعدين بدأت ظاهرة التحرش على أساس يقولوا للأهالي اللي بتخاف على بناتها، والراجل اللي بيخاف على مراته، لازم يعني يلحقها ومتروحش الميدان، ويجھضوا الثورة. إجهاض الثورة لأن كان فيه ظاهرة الستات السبعيات في الميدان، كانت حاجة ملفتة للنظر، والتيار الإسلامي قال "صوت المرأة عورة"، ودي من الأساليب اللي تتأخذ على هذا التيار وفي مواجھته طلع شعار "صوت المرأة ثورة"، وطبعنا بادجات كثيرة جدًا وكنا بنهتف بها في الميدان. وعملنا اجتماع في مقر "المرأة الجديدة" في المهندسين، وضمم كل التمثيلات النسائية أو الرموز النسائية في مصر يمكن أغلبها، وكانت شاهدة عن "الفلاحين" وماجدة عدلي عن "النديم"، وكان فيها إحنا عن "تنسيقية نساء مصر"، وكان فيه "مصريات مع التغيير" هدى زكي، ودينا لمظاهرتين للستات ضد الانتهاكات والتحرش، مظاهرة من السيدة زينب لغاية لما جينا ميدان التحرير، ومظاهرة من طلعة حرب لغاية دار القضاء العالي.

حاليًا هما نجحوا في سرقة حلم الناس كلها، إحنا شوفنا جمال عبد الناصر وكل اللي قدمه من إنجازات اجتماعية، وعدل اجتماعي، ونهوض بالطبقة المتوسطة، وبعض الحقوق

والمزايا للعمال، وتشكيل النقابات العمالية والمهنية، كل دا راح بسلطة الحاكم المستبد، بسبب غياب الديمقراطية. قبل 25 يناير كان فيه تجريف للحياة السياسية دلوقتي مفيش حاجة خالص.

مفيش حاجة اتغيرت بالعكس، فيه ردة عن حاجات كثيرة اتحققت، مثلًا في فترة السبعينات مكناش بتتعذب، مكنش فيه انتهاكات زي دلوقتي.

وقبل 25 يناير كنت بلاقي "رصيف مجلس الشعب" أو "رصيف مجلس الوزراء" اعتصام موظفي الضرائب العقارية استمر لمدة 10 أيام.

كنت بلاقي حركة احتجاجية ولذلك 25 يناير فُتِش من فراغ، بل من تراكم هذه الاحتجاجات زائد انتهاكات صارخة في التعذيب في الأقسام، وتقييد الحريات بسياسة جمال مبارك وعملية التوريث وخلص هنرجع بدل ما كانت جمهورية، أو للدقة كان فيه هامش لكيان جمهوري ومجتمع مدني، خلاص بقى امتداد التوريث وكأنه حكم عيلة في مملكة.

عشان كده المستقبل مش ودي، وتضحياته حتكون أكثر عن الأول. إذا كان في الأول تضحيات الناس تنكيل وحبس، أنا شايعة الفترة اللي جاية التضحيات هتبقى كثيرة قوي.

فاتن فضة: لا بد ألا نؤجل المطالبة بحقوق المرأة... التعليم مثلاً

فاتن فضة، مواليد 1955، مهندسة مدنية.

مع أختيها الجامعيتين، عايشت اعتصام جامعة القاهرة في كانون الثاني/يناير 1972 وهي طالبة في التعليم الثانوي. وشاركت معهما في رحلات، تلك المغامرات جعلتها تحلم بأن سنوات الجامعة ستكون شبيهة بأجواء أفلام سعد حسني، "حب وشلال، وناس تزوغ من المحاضرات ورحلات" لكنها حين دخلت كلية الهندسة في جامعة القاهرة كانت الدراسة مختلفة، حضور، واجب يومي، ومضاعب أخرى.

نرى فاتن أن الحركة الطلابية لم تطرح برنامجاً للمرأة، ولم تلب الأحزاب الرسمية الوليدة في أواخر السبعينيات طموحات شابات تلك الحركة. لكنها وجدت سكة تخصصها تغير واقع النساء، وهذه السكة كانت تعليم السيدات. هذه الشهادة اعتمدت على مقابليتين أحترهما عالية مرسى في 7 أيار/مايو 2020 و12 شباط/فبراير 2021.

نساء قويات

أنا من مواليد سنة 1955، تخرجت في كلية الهندسة بجامعة القاهرة دفعة 1977. مهندسة مدنية، يعني استشاري تنفيذ منشآت خرسانية، اشتغلت في المباني حوالي 40 سنة في أكثر من مكان.

بالنسبة للدراسة عملت دبلوما تخطيط، ودراسات في الجامعة الأمريكية والمركز الثقافي الفرنسي. بالنسبة لظروف النشأة أنا واحدة من ست أخوات لأب وأم جمعهم حاجة مشتركة إنهم احترموا من التعليم غصب عنهم رغم أن الحياة اثبتت مدى ذكائهم.

جدتي أجبرت الشيخ الأزهرى (جدي) إن بنتها الكبيرة (أمي) تقعد من رابعة ابتدائي لأنها كل شوية تولد وعابزة حد يساعد زي فيلم "أم العروسة"¹. بنت شاطرة في المدرسة، وحافطة

1 فيلم انتاج 1963، من اخراج عاطف سالم.

2 فيلم انتاج 1959، من اخراج صلاح ابو سيف.

جزء من المصحف وتجيد القراءة والكتابة، وعابزة تكمل. فأماها قعنتها من التعليم تغير للعيال وتشيلهم، وهي هانم تخرج الصبح مع صاحباتها، ويتجمع كل شهر الهوانم أصحابها زي المقابلة اللي في "أنا حرة"². بابا كان شاطر خالص في المدرسة وذكي وأبوه تاجر عنده محل بقالة كبير. خطته عربية الجيش الإنجليزي (توفى) وعمهم خط إيده على المحل والتجارة وجوز البنت (16 سنة) اللي أكبر من بابا من شخص غير لائق، وأمهم سابتهم واتجوزت، وحتى الولد الأخير كان عنده سنتين سابته. بابايا طلع من المدرسة غصب عن عينه عشان يشتغل، وأجروا أوضة، ونزل وهو عنده 12 سنة ومعه الولدين اللي أصغر منه يقلبوا عيشهم. هو بعد كده هيبقى عنده رخصة سواق، هيني نفسه بنفسه، هيبقى عنده عربيات بيشغلها تاكسيات وبيلم الإيراد ودي الحالة اللي أتجوز ماما فيها.

الجزور بتاعتني غريبة لأن دائماً في كل الحركات اللي أنا اشتركت فيها بيبقى ملفت أو البعض بيشوفني قوية أو مختلفة، وساعات ناس يربطوا دا بالسياسة أو حركة الطلبة أو الشيوعية، لكن أنا برجع دا لجدوري، أنا في الأول والآخر معترفة جداً إنني بنت سواق التاكسي والخيطة، معترزة قوي بذول لأن دا هو نسيجي وتكويني ونمط حياتي، معنديش أي مشكلة في دا.

جدتي مثلاً كانت سيدة معروفة ومرموقة ولها كلمة ومش ضعيفة، أمي بنتها الكبيرة اللي طلعت زي القمر زيها ورثت جمالها وجزء من القوة لكن مش الحكمة شهادة لله يعني. دي جدتي وأمي، وفي عيلة أبويا عمتي اللي معها جوزها لواحد أي كلام، لكنها استعفت على زوجها وكششته في الشارع وهجرته. الستات في العائلتين قويات وشخصيات رغم أن الستات دي كانت أميات، الرجال بيبقى أكبر من الست بـ15 أو 20 سنة، يكون لف ودار والبنت تبقى مغمضة 16 أو 17 سنة زي أمي، والدراما هتمشي إنه هيموت وهي هتكمل مع العيال. هي الرجال والست.

وأنا طفلة جنتهم، الطفلة التي لا تأكل، بدي مصروفي وأكلي لأخواتي، مش باخد حاجة لنفسني ولوحدتي دايفاً. كنت شاطرة وبقرا كويس قوي، الولد الكبير كان له أكبر مصروف في البيت، وكان ذكي جداً ومنفتح الفكر، وبحيب كتب دوستويفسكي، وعنده مكتبة. قريت في سن أصغر من اللازم حاجات مش المفروض أقرأها، لأن كانت ميزة بابا إنه فرض حرية الفكر، في رمضان مثلاً تصومي أو تصلي أو تقولي مش مصوم أو هصلي، الأب كان حاملي هذا النوع من التفكير، الأم كان يجلبها حالة هلع.

التسلل للحراك الجامعي

تابعت حركة الطلبة 1968، ساعتها كنت في المدرسة الإعدادي، وكل أخبار الحركة كانت زميلتنا في الفصل يتجيبها لنا لأن أخوها كان في هندسة القاهرة وأهلها هربوه، رغم إن باباها كان سكرتير محافظ الجيزة. أنا كنت متمردة وقتها، وبكره عبد الناصر والعسكر ومش بيهمني ومش بخاف، وكنت من البنات اللي بتقرا الجرائد على المدرسة كلها في طاوور الصباح، واتفقت مع البنات إنني لَمَّا أوصل لخبر إغلاق الجامعات هقراه بصيغة تحمل التهمك وهما في الطاوور يقولوا "بيبيه"، وأنا لَمَّا بوعد مبخلفش، قريت الخبر بطريقة معينة، لكن البنات، بما فيهم البنات اللي أخوها كان هربان، محدش قال "بيبيه".

حركة 1968 كانت صغيرة، ولَمَّا الإعلام ذاع إن فيه لخبطة في معهد أزهري في المنصورة وهندسة [القاهرة والإسكندرية] طلع قرار بغلاق الجامعات. والسفالة وصلت إن طلاب هندسة دول يترفدوا نهائي، في ناس مُنعوا من دخول الجامعات المصرية للأبد، وفيه ناس صف ثاني اتسمح لأهاليهم بنقل دوسيهااتهم لأداب أو تجارة.

مثل الطالب اللي كان متبروز في هندسة الإسكندرية كان اسمه عاطف الشاطر دا رفدوه من الجامعة نهائي وسحبوه على الجيش، مصر في حالة حرب رسمي مع إسرائيل، من حقه يسحبه على الجيش. وفي الجيش لو فتح بَقَه بكلام عن السياسة محائمة عسكرية وإطلاق رصاص.

لَمَّا حصل اعتصام جامعة القاهرة في يناير 1972، الطلبة اقتحموا قاعة ناصر واتجمعت كل الكليات. عشان تتشكل اللجنة العليا للطلاب بقيادة أحمد عبد الله رزة، كل كلية انتخبت خمسة، وأختي كانت في اللجنة العليا (مُنتخبة من كلية التجارة).

وفي البيت أخواتي اللتين حكوا لنا، عجبني الكلام، وتاني يوم بعد المدرسة طلعت على قاعة الاعتصام. حضرت التصويت على بنود الوثيقة الطلابية، كانوا بيصوتوا على كل واحد من بنود الوثيقة الـ 14 بالتصفيق ورفع الأيدي. لقيت حنة مَنِّي في قاعة ناصر.

بابا في الأول كان خايف علينا وحصلت مشكلة لَمَّا تأخرنا بليل وعملنا في البيت مناقشة جامدة جدًا وصلنا في آخرها إن كل اللي بيقلوه وبيعملوه طلبة الجامعة صح. وكان موقف بابا إنه قال لأختي الكبيرة: "بعد لَمَّا وصلتي بكالوريوس تجارة ممكن مستقبلك كله يضيع، عايزاني كُأب إنني مكنش متضايق". وبعد لَمَّا كسبنا المناقشة اشترط طلب واحد إن مفيش بيات وآخرنا الساعة عشرة ونص في الشتاء، نطلع

3 بقرا مقرة الأخبار في إذاعة مدرسة خلال طاوور الصباح

نلاقبه بالعربية برّة الجامعة جايب لنا عشا وساندوتشات، ونروح على البيت.

والناس بدأت تشتغل على مطالب، وهما من الأول قرروا إنهم معتصمين في قاعة ناصر لغاية لَمَّا السادات يجي لهم يرد على أسئلتهم، وكانوا بيعتوا أكبر واحد في اللجنة في السن اللي هو زين العابدين فؤاد، كان عنده 27 سنة، لأنه من حركة 1968 اللي اترفدوا من الهندسة، كان لسه في كلية الآداب بيعتوه لغاية بيت رئيس الجمهورية يسلم ورقة، وأعلن إن الرئيس ساب بيته، مقعدش في بيته خالص.

ثالث يوم زحنت، أعلنوا من على المنصة إن "طلاب ثانوي يجتمعوا في الدور الثاني".

ومفعلاً اتجمعنا، وطلعت في دماغي إننا نعمل لجنة وطنية لـ"ثانوي" عشان ننقل الحركة للمدارس بتاعتنا، واتفقنا وحطينا خطة، لكن ليلتها البوليس هجم وصادر قاعة ناصر بالي فيها. ثاني يوم الصبح صحينا أنا وأخواتي رحنا للمعتصمين لقينا ميدان الجيزة مقفول وقوات الأمن والجامعة اتقفلت وإن كل اللي في القاعة اتقبض عليهم. كان فيه حالة هياج فظيعة لفينا الجيزة مظاهرات وقطعنا كل الكشاكيل بتاعة الجامعة ورق نكتب عليه مطالب الحركة الطلابية اللي جت في "الوثيقة الطلابية" ونفرقها على الناس في المحلات والآتوبيسات والشوارع، الأمن جري وانا وهرينا، وكان يوم قطع. مكناش نعرف إن فيه مظاهرات وصلت التحرير وحصل اعتصام كان فيه أحمد فؤاد نجم ودول هيتمسكوا بعدين، عرفنا الحكاية دي بليل.

ولَمَّا فتحوا الجامعة وأفرجوا عن الطلبة في مارس، روحت الجامعة مع أخواتي، وسلمنا على كل الناس اللي أفرجوا عنهم. بعدين اتعملت رحلة عشان طلبة الهندسة بالذات، وقضيت اليوم معاهم برضو، كُأني شوفت طريقي.

الجامعة ليست رحلات ويشلل

في الصيف والدي توفي، وخدت دروس تلاوة القرآن في الجامع اللي في القصر العيني، وقتها بداية طلوع جماعة شباب الإسلام والإخوان والكلام دا، وكانوا راضيين عني إنني عندي عربي كويس، وكُأنا نصلي الجمعة سوا.

كانت الجامعة شكل، لكن لَمَّا دخلتها طالبة في كلية الهندسة لقيتها شكل ثاني. أخواتي الأكبر مني كانوا في كليات الحب والسلام والشَّلل، دي الكليات بتاعة أفلام سعاد حسني، صبيان يتحب بنات والناس تزوغ من المحاضرات ومفيش أعمال سنة ورحلات. ساعات أروح مع إخواني لَمَّا يبقى فيه فيلم أو مسرحية أو فيه رحلة. لكن لَمَّا دخلت هندسة لقيت الدراسة صعبة، وأعمال السنة 60%، كلية علمية في اللائحة اللي ميحضرش 75% محاضرات يتحرم من الامتحان ويسقط.

فصول مجانية في الحي، وحفلات وشعر وغناء، وفي مولد النبي، مارس 1987، وقعت 3 بيوت في الجيزة على الناس التي فيها وماتوا، والباقي بقوا في الشارع، لأن فيه برج كان يتدق له خوازيق على النيل. البيوت التي وقعت المسافة بينها وبين مكان الرابطة 500 متر مثلاً، أدوا كل 5 أسر خيمة، والخيم انتصبت على النيل، وأنا وشباب الرابطة توجهنا للناس دول، نوfer لهم أماكن، وتلّم تبرعات، وجينا دكاترة يشوفوا الأطفال العيانيين. وقابلت عضو مجلس الشعب شخصياً جوه حزب التجمع وشرحت له المشكلة، على أساس إنه يعمل استجواب. ولقد خذلني تماماً ومعملش حاجة للناس. ولما روحنا لبتاع الحزب الوطني زود عدد الخيم.

أنا لما كنت بروحهم كنت حامل في توأم، وشكلي زي القنبلة الذرية، ورجلي كلها واردة، ودأ يقرب المسافة بيني وبين الأمهات. اختفيت فترة، ولما رجعتهم تفاجأوا إنني ولدت بتتين قبل الميلاد، لقيتهم بيضطربوا عليّ. وقعدنا نضط لغاية لما كل أسرة استلمت شقة.

في الشغل، لما أقف في موقع حدادين وتجارين أقول لهم اسمي فائق، اللي عايز يقول "فائق" يقول، واللي عايز يقول "بشهندسة" يقول، واللي عايز يقول "يا أم أمل" يقول، المهندسين هيتجننوا إزاي أكسر الحاجز دا. أنا أكثر واحدة شغلي يطلع أحسن شغل وببخلص أول شغل، أنا المهندسة الكفاءة غير عادية اللي المهندس رئيسي كان يجيب مهندسين يفرجنس ليهم وهما أكبر مني ويقول لهم اتعلموا منها، لأن دول أضربوا في الموقع والعمال اتجمعوا عليهم وسكعومهم علاقة، مهنيًا بعد كده المفروض يتشالوا من المواقع خلاص يقعدومهم على مكاتب.

لما كنت مكملتش 23 سنة، رئيسي قال لي: "أنا قلت لهم المهندسة فائق لو أدبت لها ألف واحد هتتعرف تعامل كل واحد بمعاملته". أنا عيشت عوالم كثيرة جداً ملهاش علاقة ببعض خالص، دا بيقوي عندك ودي برضو الجندرة دائماً يقول لك إن المرأة عندها حاسة مش موجودة عند أي راجل، دا حقيقي، القدرة على فهم الناس والإحساس بهم وتحديد المسافات والطريقة المناسبة اللي بتتعاملي بيها هي دي.

قضيت في المصنع الحربي بتاع بنها 13 سنة، أربع آلاف بني آدم منهم 2400 امرأة، دا اختراق في الجندر، كاني عملت اتنين دكتوراه في الجندر عملتها مع الناس دول.

الحقوق النوعية مهمة أيضاً

في أواخر السبعينات، حرية الأحزاب طلعت، واتعملت اتحادات نسائية⁴، لكن أسلوبها وأفكارها لا تليبي أفكار أو طاقات البنات السياسيات اللي شاركوا في حركة الطلبة، أو الحركة

مكش فيه طالبة لابسة حجاب إلا أنا وبتت ثانية. لكن أنا من أول يوم دخلت على جماعة أنصار الثورة الفلسطينية، ومجلات الحائط، ولأني يعرف أرسم وألون طلو قوي، كانوا بيجهزوا لمعرض كبير بمناسبة انطلاق الثورة الفلسطينية، وبقيت أشارك معاهم وأقعد معاهم لبعد الضهر واشتغل. بدأوا الإسلاميين ينتقدوني "ملكيش دعوة بدول، دول شيوعيين دول كفره" طبعاً دخلت فيهم شمال. لما كنت بروح دروس مع الجماعة الإسلاميين دول، ولما شوفتهم في الجامعة بيجروا بالشوم وكانوا هيضربوني، وعوروا ناس زملائي وضربوهم بمطاوي، وانتقلوا المستشفى وأنا في إعدادي هندسة، وكانوا يبصبصوا لنا فعلاً، كانوا من ناحية المرأة مش طبيعيين، ولما اتواجد وسط الطلاب بتوع حركة الطلبة -اللي اتقال لي عليهم إنهم شيوعيين وملاحدة- معاملتهم أرقى وأكثر طبيعية، أنا عملت اختبار بعد كده، والحجاب دا اتقلع.

بقيت شايقة إنني جوه الحركة دي، ومع زملائي دول، وبروح لهم المحكمة، وبحاول اوصل لأبواب السجون. من هنا بدأت المحطة الأولى في العمل السياسي اللي هتستغرق سنين الجامعة الأربعة بعد إعدادي. بنكون شيوعيين بنشارك في كل هذه الحركات بمنتهى الاقتناع، نقرأ ونفكر، وتعرض طول الوقت لما تعرضنا له كجبل. لما كان عندي 18 سنة دخلت السجن أول مرة أزور حد معتقل، وفضلت أتردد على المعتقلات، مفيش معتقل مدخلوش كزائرة، مش نزيلة.

لكن إحنا كطلبة -في الخمس سنين اللي قعدتهم في الكلية- إننا طلعنا لجنة امتحانات لكل اللي يكون في السجن وقت الامتحانات، وفيه ناس امتحنوا ونجحوا جوه السجن. هما مساجين سياسيين وطلبة في الكلية ما يمتحنوش ليه.

فنون الإفلات

كنت حتمسك 3 مرات وهربت، وأهلي قدموا لي دعم لن أنساه أبداً. في يناير 1975 مثلاً كنت في البيت، وأمن الدولة جم، وأمي عملت خطة، وهربتني هي وأخويا، لبسوني هدوم المدرسة بتاعة أختي الصغيرة اللي في إعدادي. الأمن سأل على البطايق، أخويا قال إنه مش معانا، أهلي عملوا نفسهم عبط، وأختي قلعنتني ديلة الخطوبة اللي كنت لبسها، كنت أنا الوحيدة اللي مخطوبة، وأخذت كاريه الكلية بتاعي وخبثهم في صدرها، المهم إنهم هربوني. لم يتم القبض عليّ فعلاً، لأن بعرف أجري كويس، وعندي أهل هربوني. وبعرف أجري كويس قوي في المظاهرات لأن جسمي قليل كمان.

خلصت هندسة وسني 22 سنة، استلمت وظيفتي، مهندسة موقع في المصنع الحربي بتاع بنها، أدير مشروعات، وتعامل مع كل فئات الصناعية، وأثبتت نفسي. وعلى التوازي دخلت "رابطة أبناء الجيزة"، لأنني من مواليد الجيزة، وبدأنا نعمل

4 تجربة الاتحاد النسائي أسسها حزب التجمع؟

السياسية قبل 1975 و1976. حدث مكثش قليل إن يكون فيه أحزاب وفيه صحافة حزبية، لكن ملقناش نفسنا كبناات في هذه الكيانات. خاصة إن حركة الطلبة لم تطرح برنامج خاص بالمرأة، أفراد الحركة كانوا لسه جيل في طور المراهقة الفكرية والسياسية. (بالضبط تكرر الموقف دا في ثورة يناير للأسف، اتقال إن الثورة هتدي كل المظلومين حقهم، سمعنا آراء زي "متقفيش عند حبة حاجات نوعية"، دا عبط أكيد، بل جريمة إن المرأة بكل أوضاعها، وبكل مشاكلها يتم إسقاطها).

مثلاً في السبعينات الدولة تراجعت عن تعيين وتوظيف النساء، وخلت "الإخوان" في الواجهة، وسمحت لهم بحرية إصدار مجلات، والظهور بندوات في التلفزيون، لأن الدولة كانت هتسرح مليون واحد من الجيش بعد نهاية الحرب، وهيحصل بطالة عالية في البلد، قررت الدولة تستغنى عن عمل الستات [لاستيعاب عودة الرجال من التجنيد] لكن حصلت أهم حاجة في السبعينات للمرأة: تعديل قانون الأحوال الشخصية، بمبادرة من جيهان السادات، لأن الدكتورة عائشة راتب، أستاذة في القانون الدولي في الجامعة، ووزيرة التأمينات الاجتماعية، كانت مسافرة، وبعد لما الطائرة دخلت مصر في المطار استعداداً للإقلاع، زوجها جاء بالبوليس، والرحلة اتأجلت وفتحو الطائرة، والبوليس رجع الدكتور، لأن زوجها معترض على سفرها، دي كانت بداية الانتباه إن فيه وضع مدّل ومهين لكل النساء في مصر وإنه لازم يتغير.

وتعديل وثيقة الزواج، كان مهم جداً، بقى فيها فقرة ممكن الزوجة تحط فيها شروط، وطالما في الوثيقة مكتوب فيها إنها بتشتغل كذا، ممنوع منعاً باتاً إن الزوج يقول للزوجة أقعدي في البيت. وحق الخلع، اللي هو كان موجود أصلاً في الإسلام، وكان مطبق قبل كده وانسحب. حق إنك تجدد جواز السفر من غير زوجك أو أخوه أو أبوه أو ابن عمه، مبقاش لازم تسحب أي واحد منهم معاك ليغاية الجوازات عشان تطلعي باسبور، حق الجنسية لأولاد الأم المصرية بشروط لإنهم عملوا شروط تعجيزية بحيث يقللوا عدد اللي اخدوا الجنسية، لكن الباب اتفتح. وتشكر هند الحناوي وأبوها إنه أخيراً الستات حصلوا على نسب الطفل في الزواج العرفي، سواء الورقة موجودة أو الورقة اتسرقت أو اتقطعت. نسب الطفل للآب بقى عملياً كده حق للطفل.

لكن مشاركتي في الحركة النسائية بدأت في 1988، لما الناس بتوع مركز "المرأة الجديدة" جم ليّ لغاية البيت، وقالوا إنا شايفين إن مكانك معانا، وبالصدفة اتفتح موضوع تعليم الستات القراءة والكتابة، وقعدت أأفح فيه لغاية لما "المرأة الجديدة" أتعرض عليه من المجلس العالمي لتعليم المرأة في كندا، اللي يرأسه ياولو قرارى شخصياً، المشاركة في ورشة هتعمل بين مالي (فرنساوي) وتزانبا (إنجليزي)، لمدة 19 يوم عشان عام 1990 الأمم المتحدة عملته عام الأمية.

وطلبوا تطلع واحدة من المرأة الجديدة، وأنا كنت مغروسة بقالي سنتين بعلّم ستات يقرأوا ويكتبوا، اختاروني بالإجماع. كنت أول مرة في حياتي أطلع برّه مصر وأعمل باسبور واركب طائرة.

وفي وقت سبت "المرأة الجديدة"، وأسست جمعية "بنت النيل" تبع الشؤون الاجتماعية لتعليم النساء، لا يمكن أنسى لما زحت وزارة الشؤون الاجتماعية، الموظفين المسؤولين أحاطوا بيّ وأعجبوا بفكرة الجمعية، وقالوا ليّ "رنا أكثر من أمثالك"، وخلصوا الورق بسرعة، ومكثش فيه أي ضغينة بيني وبينهم.

بعد كده المجلس القومي للأمومة والطفولة دعاني للمشاركة في المشروع التجريبي لتعليم الإناث في مصر، الممول من برنامج الأمم المتحدة للتنمية UNDP، وتمويل المشروع استمر 5 سنين. طلبوني على أساس أمرن المدرسات اللي هتدرّس، جابوا ناس مهيتين زي مدرس عربي ودكتور اجتماع، بس معملوش إنتاج كبير، وأنا اشتغلت معاهم 3 سنين، وبقيت أدخل الفصول، وكان فيه فصول في الزاوية الحمراء، ودار السلام، وفي فريتين بالشرقية. وعلمت المدرسات إزاي يشتغلوا مع الدارسات، وإزاي ينجحوا، وعملنا شغل كويس لغاية لما المشروع تمويله وقف. وآخر فلوس في المشروع قرروا يعملوا بيها كتاب مخصوص. وبديهيّ فيه فرق بين كتاب ألف باء للستات، وكتاب ألف باء للرجال، لأن الأفكار في اللغة هي محتوي لأفكارنا، مفردات الست اللي بتستعملها يومياً غير مفردات الرجل. مثلاً مرة كان معانا فصل مؤقت فيه رجاله وستات، لغاية لما يجيبوا مدرس للرجالة. وبالطريقة اكتشفت إن الحاجة اللي الستات ممتازات فيها من أول حصة قراءة وكتابة جملة زي "أنا أحب"، وهكذا: "أنا أحب مصر"، "أنا أحب زوجي"، "أنا أحب ابني". أمّا للرجالة "أنا أعمل"، شغله، هو راجل شغال. مثلاً المقروض الكتاب يختلف لأن مفردات الصعيد غير مفردات القاهرة، لأنني لما جيت أعمل كتاب، قعدت سنين أدرس العامية والفصحى. إنا لما اتعلمنا في المدارس كانوا يدرّسوا لنا إن "أسامة يذهب إلى المدرسة كل يوم" لما بيحي لي بني آدم شغال وناجح، وعنده أسرة، راجل أو ست، وعمره 40 سنة أقوله جملة زي كده، أنا مرة جا لي حد عمره 68 سنة، جمل زي "فلان راج المدرسة" بعيدة تمافا عن أفكاره وحياته ومفرداته، لكن لو قلت مثلاً "سعدية راحت للفرن" دي لغة عربية فصيحة، وهي عامية. ما دام هتعلمي قراءة وكتابة لناس شغالين وشقيانين وطلعان عينهم، لازم نعمل طريق مختصر. مثلاً لما لقيت الست في الأول بترتبك لما بتغلط، رحت سجلت في المركز الثقافي الفرنسي عشان أحس بإحساس الست الكبيرة لما تغلط في الإملاء، وفعلًا وشي أحمر تمافا لما غلطت في الفرنسية، وفهمت الستات اللي بدرّسلهم بيحسوا بإيه. لكن في تجربة تعليمي

للفرنساوي لقيت في المركز الثقافي الفرنسي الناس عابزين ينشروا لغتهم، وعندهم علماء، وأبحاث بتتعمل، وتسجيلات بتشتغل، يعني يعلّم اللغة بطريقة مختصرة، كل حصّة زقة لقّدام. الأمم المتحدة من سنة 1990 بطلت تقول "محو الأمية"، ودولقتي مقيش "محو أمية" في العالم، فيه حاجة اسمها "تعليم الكبار"، ولازم تعليم الكبار في مصر يقف على الأرضية دي، هو مواطن ناجح، ومكتمل الصلاحية، وفاقده مهارة، وإحنا متأكدين إننا هندي له المهارة دي بس يشتغل معنا شوية.

التجارب دي علّمتني أشوف بمنظور واسع، ادرس المجتمع كله على بعضه، من غير تحزّب، وأفكر أشارك بابه وإزاي، مثلاً إيه اللي هيقدّم حاجة أكثر حقيقية للناس، إني أكتب مجلة حائط تنتقد الوزارة، أو رئيس الجمهورية، أو أطلع مظاهرة تهتف ضد رئيس الجمهورية، وآه إني سنة، وستين، وعشرة أكون وسط بيئة معينة، ومع الناس ونواجه مشكلة، ونعمل فرق بجد، بقى عندي 100 يقرأوا ويكتبوا.

مرة علّمتنا بنت صغيرة القراءة والكتابة ولما جت تدخل الامتحان طلع إنها من غير شهادة ميلاد، لأنها اتولدت وأبوها في السجن. يطلع من حظها إني يشتغل في مصنع وعندنا ختم النسر، وبسبب إني مهندسة قديمة، خليت اتنين موظفين يضمونها بختم النسر، وأطلع لها بطاقة شخصية، وأدخلها الامتحان. وبعد 3 سنين ماشية في الشارع فريت مني مودمازيل أمورة لطيفة لبسة كده جيب وبلوزة وعاملة شعرها وشكلها يجنن، "مش عرفاني يا أبلّة؟" طلعت البنت اللي علّمتنا، اشتغلت وبتقبض ماهية، بنقعد شهر في الأول عشان الست أو البنت تعرف تمسك القلم، بعد كده التغيير اللي بيحصل في حياتهم، مهما تقولي ثورة، ومهما تقولي يسار، ومهما تقولي حركة طلبة، ومهما تقولي حركة نسوية، هو التعليم. التعليم عامل زي فكرة نظام الويندوز في الكمبيوتر، بيتفتح شبابيك جوة حياتهم المقفولة، وبيفتحوا الشباك وبيعدوا. اتعلّمت إن تعليم الكبار الحديث، حسب المفاهيم الحديثة بتاعة الأمم المتحدة، هو تعليم بالتبادل. يعني أنا مش مدرّسة بس أنا بعلمهم وهما بيعلموني، بتوع الأنثروبولوجيا والاجتماع عندهم دا، يبقى فيه فيض إنساني متدفق ما بين كيانات مختلفة، بيتنج عنه بعد كده إننا كلنا نتغير، بقرب من بعض أكثر، ونستفيد من بعض، نتعلم من بعض حاجات. مرة واحدة في "المرأة الجديدة" قالت عليّ إن "فاتن مش فائحة فصل، هي فائحة نادي نسوي ليلي، عشان كده كل الستات بيرودحو لها". وفعلنا كذا لّما نقفل باب الفصل نتكلم، ونعمل حفلات، نرقص، ونغني، وفي السكة نقرأ ونكتب، واللي عندها مشكلة بتتكلم فيها وينساعد بعض في كل حاجة.

مثلاً فيه واحدة زوجها وحمايتها حلفوا ما تتعلم، فهي تروح تقف في طابور العيش، وتيجي شايبة العيش، وإحنا نفرده على الترايزة ونبرد لها العيش، وتأخذ الحصّة وهي واقفة، وترجع البيت على أساس إنها كل الوقت دا في طابور العيش، وفي الآخر تمتحن وتنجح.

إجمالاً عندي تفاؤل حذر، لأن المنطقة كلها في وسط توازن دولي محكم، وفيه كيانات كبرى هي اللي بتقرر، مش إحنا. متفائلة لأنه بالتأكيد بعد ما العالم بقى جزيرة بسبب ثورة الاتصالات في نهاية القرن الـ20 القرن الـ21 كمان هيجمل معاه تطورات كثيرة. إذا اعتبرنا إن ثورة 2011 بداية في بلد زي مصر، وبرضو في المنطقة العربية، متأكدة إن الأساليب والمشكلات القديمة المترتبة، زي موضوع القراءة والكتابة، لن تستمر في القرن القادم، القرن الـ21 أكيد هيجصل فيه تحولات كبرى في العالم، وخصوصاً في منطقتنا. في السنين الأخيرة سقطت الأساليب القديمة في لبنان، السودان، الجزائر. المنطقة كلها مليئة بالتناقضات والصراعات، والأساليب القديمة بتسقط، بتقع، مش هتقدر تكمل. مثلاً غمري ما وافقت عند الجمل اللي يتقال زي "الثورة انهزمت" أو "اتسرفت" مش يعرف أفكر بالطريقة دي، رأيي إنها ألفاظ غير دقيقة ومش مقبّرة. اللي حصل إن الزلزال قام، المطالب اتقال، ولاقت القبول، الملايين خرجت وتحركت، قدمت تضحيات، الكرة الأرضية بكل مواقعها وأركانها شافت وتفرجت وتأثرت بينا وتعاطفت معانا، لكن لأسباب أخرى كثيرة، لسه الأمور هتبان قدام. عشان كذا متفائلة، لأن أعمال العقل، وحتى النظرة للوراء على حركة التاريخ بتأكد إن في السنين اللي جاية هنشوف كثير، لا نياس. المرأة شافت نفسها خلاص، في يناير 2011 الستات قالوا إحنا هنا، وموجودين وبقوة، المرأة المصرية أثبتت نفسها تماماً. المجتمع بقى يتقبل لّما تبقى وزيرة، أو ست وزيرات.

الثورة عملت نتائج، بس تحسني بالمردود حسب بتخاطبي مين، رأيي اللي عايز يعرف الشعب المصري يركب مترو الأنفاق أو الميكروباص، بنلاقي الشعب المصري، وتباينه، وأطيافه، وأفكاره الاجتماعية والسياسية، وتعاملاته مع بعضه، بيتغيروا ولا مش بيتغيروا، بيطلعوا ولا بينزلوا. مثلاً الكوكبة اللي فوق أو الشخصيات العامة أو المثقفين، عندهم إحباط أكثر، وإحساس بالفشل أكثر، لأنهم فاكرين إننا المفروض ندوس على زرار التلاجة نطلع لنا البيبسي، لكن تطور المجتمعات وحركة التاريخ مش دوسة على زرار، لا فيه صراعات، وفيه موازين قوى موجودة طول الوقت. متمسكة إنها مش مجرد حالة تفاؤل، هي محاولة لقراءة القديم والجديد، أنا متأكدة إن المرأة المصرية في العقود الجاية، حاجات كثيرة في أوضاعها هتتغير.

فريدة النقاش: لا شيء ثابت إلا التغير

جداً. كنت طالبة في مدرسة الأورمان الثانوية للبنات، أروح لها في المستشفى، وأرجع عشان أعمل أكل لأخواتي، وأذكر. كان عندي شعار لغاية دلوقتي باتذكره كويس قوي، من وأنا في أولى أو تانية ثانوي، ممنوع التعب. لأنني كنت بتعب جداً فعلاً.

رغم هذه الظروف الصعبة، كانت الثقافة متاحة، كنا بنروح السينما من حين لآخر. أيوبيا شاعر جميل جداً، لكن هو اختار الأسرة مش الثقافة، فهتمش بموهبته قد ما اهتم بنا، بالاشتراك مع أمي. إحنا نشرنا له ديوان بعد ما مات، اسمه "الحن الفجر".

الحياة في القرية مقفولة وضيقة، وفيه صور نمطية، البنات تقعد في البيت لغاية لما يكبروا. كل دا احنا كنسناه ورا زهرنا لما جينا القاهرة. بعد كده السنوات الخمس، أو يمكن السنة، اللي مرضت فيها أمي، كانت صعبة جداً بالنسبة لي، لأن شعار "ممنوع التعب" كان عنوان حياتي، لازم أقوم بمهماتي صح، خصوصاً إن أخواتي أصغر مني، كان اثنين أكبر مني، والباقيين كلهم أصغر، وكانوا محتاجين رعاية أم، ومحتاجين بقطة عشان ياكلوا ويتاموا ويلبسوا ويذكروا كويس. تحملت مهمة ربة البيت وأنا صغيرة جداً.

وهي اتعذبت جامد، ما بين مستشفى لمستشفى، ومن دكتور لدكتور، وتوفت وهي شابة خالص سنة 1958 كان عندها 42 سنة. هي تزوجت صغيرة قوي، كعادة نساء الريف، ولا أنسى أبي وهي مريضة، لأنه كان متعلق بها كأنه طفل متعلق بأمه. كانت دي أحد الأشياء المؤلمة في حياتي، لإنني مش عارفة أعمل له حاجة. هو بقى ناظر مدرسة، لكن كان كمان بيشتغل بعد الظهر في النقابة عشان مصاريفنا كثيرة ودخله مش هيكفيننا. كمان رجاء [النقاش] اشتغل وهو في أول سنة في الجامعة في أواخر الخمسينيات، شارك في تأسيس مجلة "التحرير"، وجريدة "الجمهورية".

بعد كده دخلت قسم الأدب الإنجليزي في جامعة القاهرة. كنا ساكنين في حي اسمه بين السرايات، بنروح الجامعة مشي ونرجع مشي، صحيح بعيد شوية، بس يعني توفيراً للنققات. وبعدين بدأت أدّي دروس للأولاد الصغيرين عشان اشتري كتبي وهدومي، عشان أخفف العبء، عن أيوبيا، وعن رجاء كمان. لأن إخواتي كانوا لسه بيتعلموا، والبيت محتاج مصاريف كثيرة، ودخلنا محدود. تعاملت مع كسب الرزق مبكر جداً.

المرحلة دي كانت مهمة مش في حياتي أنا وأسرتي بس، لكن في حياة مصر والوطن العربي كله. سميّاها "مرحلة التحرر الوطني"، عبد الناصر حاول ياخذ قروض من الدول الكبيرة عشان يبني السد العالي، ومريضوش وقالوا

تعرف فريدة النقاش نفسها، هي المولودة عام 1940، كامرأة مصرية من أسرة ريفية متوسطة الحال هاجرت من الريف للقاهرة في أربعينيات القرن الماضي، ورغم الكشف في حياة الأسرة، فإن أكثر ما كان موجوداً في البيت، هو الكتب، قد يخلو البيت من الأكل، ولكنه لا يخلو من الكتب.

ترك نشأة إسرائيل في قلبها جرحاً كبيراً وربطتها بقضايا مناهضة الاستعمار، حتى أنها في العام 1948 وهي تبلغ ثماني سنوات تذهب إلى المدرسة وتعرف أين فلسطين على الخريطة، أخذت تقول لأمها: "فلسطين ضاعت".

تمتزج في سيرتها الثقافة بالسياسة بالعمل النسوي، ويقود كل منها إلى الآخر بسلسلة شديدة ووفق منطق شديد الخصوصية يبدو معه وكأن كل منها كان مرتبطاً أشد الارتباط بالآخر من الأساس. هذه الشهادة اعتمدت على مقابلة أجرتها عالية مرسى في كانون الأول/ديسمبر 2020.

من الريف إلى المدينة

الأسرة هاجرت من أجا (الدقهلية) عشان ندخل الجامعة كلنا، كنت محظوظة لأن كان عندي أم، رغم إنها أمية وست ريفية بسيطة، لكنها كانت فُصرة إن البنات يتعلموا زي الأولاد، لأن التقاليد في الريف إن البنت أول ما تكبر شوية يدوروا لها على عريس أو يجي لها عريس. هي نفسها، لإن كان نفسها تتعلم ومحصلش، حظت أحلامها وأمالها في بناتها. كنا بنتين، أنا وأمي، وست أولاد، الأسرة كبيرة لكن علاقتها بالثقافة علاقة عميقة جداً، وبدأت معها من الأول، مش لما جينا القاهرة. كان عندنا دائماً كتب، أعداد مجلة "الرسالة" مثلاً في البيت الصغير اللي في الريف.

القاهرة فتحت آفاق جديدة تماماً قدامنا كلنا لما جيناها، وبدأنا ندخل في الحياة الثقافية، لكن حصل انقطاع في الفترة دي لأن أمي مرضت بسرطان الكبد، وقعدت حوالي خمس سنين، وأنا البنت الكبيرة وكان عليّ أني اتحمل كثير

له لا، لأن اقتصاد مصر ضعيف ومش هتقدر تسدد، راح مأمم قناة السويس. قامت معركة كبيرة، اللي هي حرب السويس، معروفة قوي؛ إنجلترا وفرنسا ومعاهم إسرائيل دخلوا لضرب مصر.

لما بدأ العدوان الثلاثي دا، رحت عشان أتطوع في هيئة التحرير، وقتها كان حكم النظام السياسي الواحد، الأول هيئة التحرير، وبعدين الاتحاد القومي، وبعدين الاتحاد الاشتراكي. أنا رحت مقر هيئة التحرير، قريب من الجامعة، فأكبر كويس قوي اللحظة دي. سألوني عايزة تعملي تمرير ولا تشيلي سلاح؟ قلت لهم عايز أشيل سلاح، كان اختيار حاسم جداً. كنت صغيرة قوي برفض، عندي 16 سنة، اتدربت على فك البندقية واستخدامها، في معسكر كان قريب من جامعة القاهرة. الحرب خلصت بسرعة نتيجة لتدخلات دولية، أمريكا كانت عايزة تحط رجلها بدل إنجلترا في الشرق الأوسط. الاستعمار الجديد بدأت تبان ملامحه، والاتحاد السوفيتي عمل الإنذار المشهور للبلاد المعنوية على مصر، وتوقفت الحرب بسرعة ولم تكتمل تجربة السلاح، كانت مجرد بروفة.

الجامعة في ذلك الوقت كان فيها غليان تحتني، أنا بحب أستعمل التعبير دا، لأنه مكنش فيه حياة سياسية، فكرة الحزب الواحد، والنظام اللي بيسموه في التحليل السياسي "البونابرتية"؛ حكم الشخص والحزب الواحد، النظام الأمني، الدور المتفاقم للبوليس في الحياة العامة، أظن إنه بدأ من هذه الأيام، حتى مش أيام الملك والإنجيز، بدأ من هذه الأيام وما زال قائماً حتى الآن بدرجات أو بأشكال مختلفة. لكن بدأت أكتب، لأنه رجاء النقاش كان هو مثلي الأعلى، أخويا الصحفي والكاتب اللي بدأ حياته مع الصحافة مبكراً جداً. أتذكر جيداً أول مرة نسمع صوته في راديو الجيزان، لإن مكنش عندنا راديو، عمل حديث في الإذاعة وكان شيء مذهل بالنسبة لنا إنه رجاء بيتكلم في الإذاعة.

امراة وسط الرجال

المناخ الثقافي دا خلاني أقرا كتير، عمل لي مدخل للثقافة. بعدين دراسة الأدب الإنجليزي كانت مدخل للثقافة العالمية أيضاً، مش بس الثقافة المصرية والعربية. قرأت كتير جداً في ذلك الوقت، كنت بصحة جيدة، وعندي طموح إنني أبقي كاتبة كبيرة. بدأت تلفت نظري بالذات الكتابات النسوية، ولحسن حظي إنني في الجامعة درست كاتبة مهمة جداً هي فيرجينيا وولف. كان رأيي في ذلك الحين، ورغم ثقافتي المحدودة، إنها بتكتب أحسن من كتّاب رجالة كبار.

بالمناسبة دي، مرة عباس الأسواني، المحامي والكاتب وأبو علاء، حتى لو علاء بقى أشهر منه بكثير، قال لي

بعد كده بسنوات إنني "بكتب كويس قوي، زي الرجالة بالظبط" هذه الشهادة مش بنساها "زي الرجالة"، ما فيه رجالة بيكتبوا كتابات زبالة، كنت كل ما أشوف علاء أحكي له الحكاية دي. الأدب فتح لي سكة كبيرة قوي. أذكر في ذلك التاريخ، وحتى قبل ما أدخل الجامعة قرأت رواية مهمة جداً في الأدب العالمي اسمها "الأم" لمكسيم جوركي، رواية مشهورة قوي لأنها ألهمت أجيال من الكتاب ومن المناضلين، الشباب والشابات، عشان يلتحقوا بالعمل اليساري. كانت رواية ملهمة لي، قرأتها مرة وأنا في الثانوية العامة، ورجعت قرأتها ثاني بعد كده، لإنني حسيت إنها فتحت لي عالم جديد خالص على الحياة السياسية.

بدأت أكتب في مجلة "الأدب" البيروتية، كانت مشهورة قوي، أهم مجلة أدبية في الوطن العربي. كتبت عن إحسان عبد القدوس، نقدته نقد شديد جداً، لأنني اعترضت بشدة على تصويره للمرأة باعتبارها كائن شبه بيولوجي. لما كبرت ونضجت ورجعت قرأتها ثاني، اكتشفت إنني كنت ببالح. مرة لما حسين [عبد الرازق] كان مسجون، وكنت أنا طلعت من سجن القناطر، روجت أزوره في طرة، ولاقيت إحسان عبد القدوس، بيزور محمد [ابنه] وأنا رايحة أزور حسين. قلت له يا أستاذ إحسان أنا مدينة لك باعتذار، لأنني كتبت بقسوة شديدة، بعد كذا لما قرأت لاقيت الفكرة اللي استخلصتها من أول قراءة قاسية، وهو كاتب كبير ومهم كمان.

لما كتبت المقال بتاع إحسان نشرته في جريدة "الجمهورية" قبل ما أتعين، وهو اشتكى أيامها لكل الناس، وكانوا أصدقائنا أحمد بهاء الدين ومحمد عودة. اشتكى لبهاء، وقال له: "شوف الست دي، مش اللي وراها رجاء النقاش؟" ما هو لازم يكون وراها راجل، لما يقابلوكي يقولوا لك: "إنتي شغلك جميل، إنتي كاتبة، إنتي مثقفة"، كل المصاملات، لكن في العقل الباطن، هما رأيهم إنه مش انتني اللي كاتبة، لإن دي مش ممكن تكون كاتبة ست، إن أكيد فيه راجل وراء الكتابة دي. هما رأيهم إن الستات بتوع طبيخ وموضة، لكن يتكلموا عن الثقافة وعن الأفكار الفلسفية الكبيرة، ويشتغلوا في السياسة، فدي حاجة مستبعدة تماماً، أو هما مش عايزينها. فيه انحياز شبه فطري داخل الحالة الذكورية العامة. على فكرة، مش بس في مصر، لا في العالم كله، انحياز للذكور على حساب الإناث، واعتبار الإناث كائن أدنى. أول ما هذا الكائن الأدنى يقب على وش الدنيا، يشهرون الأسلحة على رأي صلاح عبد الصبور. أول ما تخرجت اشتغلت في وكالة أنباء الشرق الأوسط. دخلت الاتحاد الاشتراكي، نزلت في أول انتخابات للاتحاد في الوكالة، أنا وصديقة عزيزة علي، رينا يديها الصحة، اسمها نعمة شريف، إحنا الاتنتين دخلنا، طلعت هي الأولى

وأنا الثانية. الناس دهشوا جداً، وبرضو بدأت حدوتة "مين اللي واقف وراهم؟"، لازم يكون لك جبريل يوحى لك، مين جنبهم؟ وكان حسين عبد الرازق الله يرحمه المتهم رقم واحد في اللي بنعمله.

من داخل الاتحاد الاشتراكي بدأت أكتشف، بشكل مش عايزة أقول بدائي لكن بشكل أولي، الثغرات البنيوية في فكرة التنظيم الواحد. كلنا قاعدين عشان نتناقش في السياسة ونخطط لمستقبل البلد، وعم عرابي الساعي قاعد معانا، طيغا قاعد مرعوب، هو بعد شوية هيقوم يكتس الأوضة بناعة رئيس مجلس الإدارة، ويعمل له الشاي ويشيل له الجالت ويعلقه. حسيت إن فيه حاجة غلط في فكرة الحزب الواحد. يمكن نشأت عندي فكرة الدفاع عن التعددية السياسية في ما بعد. لكن حاولنا في ذلك الوقت إننا، أنا ونعمة صديقتي، نرتقي بالمؤسسة اللي إحنا فيها، لكن الظروف مش مواتية. كان التنظيم أقرب إلى ديكور، شيء مش حقيقي.

أنا وحسين عرفنا بعض عند الأستاذ محمد عودة، أستاذنا إحنا الاثنين، والقريب لبنا قوي جنب أحمد بهاء الدين. ابتدينا نتقابل عند عودة، وبعدين تزوجنا سنة 1964 جات رشا بنتنا سنة 1965 فانشغلت الفترة دي انشغال جامد جداً عشان البيبي.

وأنا بكلمك دلوقتي، عايزة أحيي نادية عبد الرازق أخت حسين، هي فنانة درست فنون جميلة، بس لما تزوجت قعدت في البيت، لأننا مكناش عندنا بيت، وقعدنا في بيتها حوالي سنة أول ما تزوجنا. كانت أزمة المساكن موجودة، بس مش زي دلوقتي، وكانت الشقق بالخلو، وفكرة الشراء مش موجودة، كله إيجار، بس ندفع خلو مش كبير ولا حاجة، وإحنا كمان دخلنا مش كبير. قعدت أنا وحسين سنة عند نادبة، ورشا اتولدت هناك، ولقيت رعاية فائقة من نادبة وزوجها وأولادها. وكنت مطمئنة جداً لرعاية رشا، وأنا بشتغل في الوكالة في وسط البلد. واحنا ماشيين كانت الأسرة زعلانة جداً إننا هنمشي، لافينا شقة أقرب لشغلنا، لأن هما ساكنين في جسر السويس، ومشوار كبير كل يوم، رابع جاي. بعد كذا جاءت أزمة 1965 أزمة كبيرة بين الصحفيين والنظام الناصري.

من الثقافة إلى السياسة

زي ما قلت في الأول النظام الناصري كان نظام بوليسي. عمل تنمية كبيرة، دخل صناعة، خاض معركة عشان يبني السد العالي، لكن كان رأيته إن الحياة السياسية لازم تبقى محكومة وممسولة. هي دي فكرة الحزب الواحد، إن كله يدخل أو مقيش سياسة. فجأة جم نقلونا. أظن وكالة أنباء

الشرق الأوسط كانت لغاية وقتها تبع وزارة الإعلام، نقلونا من شغلنا ودونا أماكن ثانية، اللي راح "باتا"، اللي راح شركة بيع المصنوعات، شردوا الصحفيين بشكل فظيع. أنا وحسين اتعمل فينا كده، فدا أثر تأثير سيئ جداً على مستقبلنا ونفسيتنا، دي فلسفة الحكم البوليسي، إنك تبقى صاحب قبضة حديدية حتى على تنفس الناس.

الذاكرة تأكلت، نسيت أقول إن في 1959 كنت لسه داخل الجامعة، وحصلت الحملة الكبيرة ضد الشيوعيين، عملية تخويف كبير، أكثر من مئة واحد اتمسكوا، مش شابلين سلاح ولا طالبوا بانتفاضة، كانوا بس يقولوا: "من حقنا يكون لنا حزب"، كانوا فقط بيدافعوا عن التعددية.

وقتها كانوا يجيبوا لي أوراقهم، وإذا توفرت لي أموال كنت بديهم، لكن فدخلتش الحزب. الحملة دي عملت نوع من الخوف والرعب لدى الناس اللي بتشتغل بالسياسة، بيوت اتقفلت وأسر تشردت، كانت شيء سيئ جداً. لما بحكي الحكاية دي يقولوا لي: "ما هما مسكوا برضه الإخوان المسلمين"، بس فيه فرق كبير بين الإخوان والشيوعيين. الشيوعيين مش يبشيلوا سلاح، الإخوان كان أول حاجة تحي لهم على طول الاغتيالات، معروف موضوع الاغتيالات السياسية، لما اغتالوا النقراشي مثلاً. دائماً بتعتبر المقارنة دي ظالمة لأننا ناس بتشتغل بشكل سلمي وعايزة تعبر عن آرائها، وتحصل على الحق الطبيعي لكل قوة المجتمع، اللي هو حق التنظيم.

كانت فترة ركود، رغم إن من ناحية التنمية كان فيه نمو، القاعدة الصناعية بتتعمل والسد العالي بيتبني والبلد بتنهض اقتصادياً. مع ذلك ولغاية دلوقتي كل ما اقرا خير إنهم استوردوا عربيات مترو، أقول يا خير، إحنا من 1952 عندنا ثورة ومض عارفين نعمل موتور. بحس بخزن عميق جداً، لأنه في 1956 كانت مصر متقدمة عن كوريا الجنوبية، من ناحية التصنيع ومن ناحية النمو الاقتصادي، لكن شوفي كوريا بقت فين وإحنا بقينا فين. من الثغرات المهمة إننا لسه لغاية دلوقتي بنقول الحكومة بتعمل خطة لتعميق التصنيع مش عارفين تعمق التصنيع ونقعد نستورد موتورات، حتى العربيات اللي بنقفلها بنجيب لها الموتورات من بزة. كان فيه ثغرات في النظام الناصري طيغاً، وبعد كذا في عهد السادات.

نكسة وغيلان تحتني

لكن قبل السادات كان فيه لحظة 1967 كانت لحظة مأساوية بالنسبة لنا كلنا. بسمع الراديو قبل ما أنام بشوية، أسمع

1 شركة تصنيع أحذية نسكية الأصل أسست فروغا في مصر خلال ثلاثينيات القرن العشرين، وجرى تاسميتها وصارت شركة مصرية.

نشرة الساعة 11 وبعد كده أنام، كل لما أسمع دلوقتي عملنا إيه، وأنشأنا إيه، أفنكر كويس قوي لحظة 1967. لهن قبلها كانوا غرقونا في وهم كبير جداً، الشعار الراجح في ذلك الحين، كان جمال عبد الناصر هو اللي بيقول؛ "إحنا أقوى قوة ضاربة في الشرق الأوسط"، لكن تقومي من النوم تلاقي الجيش المصري يبسحق ويتسحب من غير نظام، ضحايا كثير الحقيقة، المصريين ضحوا كثير جداً عشان يجيبوا الاستقلال، وعشان يحافظوا عليه. أنا باعتبار 1967 دي قطيعة مع النظام القائم، وتخليني طول الوقت بشك في اللي بيقوله. كانت مأساة.

اللي خفف من وقعها، إنه فقيش عشر أيام إلا وبدأت حرب الاستنزاف، بدأت المقاومة. كمان لما عبد الناصر استقال وقال أنا اللي مسؤول، أنا شخصياً أخذت رشا بنتي، وكان عندها أقل من سنتين، شلتها على كتفي ونزلت مشيت في المظاهرات، اللي بتقول لعبد الناصر لا متستقيلش، حتى راجت فكرة إن "اللي شبلنا يخلصنا"، هو إنت تورطنا الورطة دي وبعدين تقول باي باي؟ فينفعش. فيه اللي بيقولوا إن المظاهرات كان مرتبها الاتحاد الاشتراكي، لكن الاتحاد الاشتراكي فيعرفشطلع عشر أنفار. الناس طلعت من نفسها، طلعت عشان تقول "إحنا هنقاوم". فقيش شعب منهزمش في حرب، كل الناس جربت الهزائم. لكن فيه فرق بين ردود الأفعال هنا أو هناك. الشعب المصري قرر إنه يقاوم، وإنه يتمسك بجمال عبد الناصر، مش بس لأنه هو اللي ورطنا في الورطة دي، لكن كمان لهن الناس كانت بتثق فيه، عمره ما أشيع عنه إنه سرق أو كان طرف في فساد أو عمل لأولاده حاجة، بيته اللي كان عايش فيه زي ما هو، كان في نوع من القدوة البسيطة للناس العاديين.

السنوات دي كانت سنوات صعبة جداً، وإحنا، كصحفيين وكتاب، مُسكتناش، حسين عمل محاضرة في الاتحاد الاشتراكي عن أسباب الهزيمة، وكررها في تسع مواقع في الاتحاد الاشتراكي، في السويس، والإسماعيلية، والأقصر، وبعدين اتتهوا له، لأنه جاء في الآخر وقال: "مين اللي جاب لنا اليهود على ضفة القناة، ما هما اللي جابوهم لنا". يقال، لكن مش متأكدة، إن عبد الناصر قرأ المحاضرة دي وسأل وزير الداخلية شعراوي جمعة الشخص دا عايش في مصر؟ وكانت إشارة. إحنا الاثنين كنا بنشتغل في جريدة الجمهورية، هو اترفد بعدها وأنا انتقلت من وكالة أنباء الشرق الأوسط.

على فكرة أنا قبل ما انتقل، كنت دخلت امتحان الإذاعة ونجحت، بس فضلت أشتغل صحفية. حسين اترفد من شغله، واطرفد من الاتحاد الاشتراكي، محمد فايق، وزير

الإعلام أيامها وكان صديق حسين قوي، اتدخل بقوة عشان فيقبضوش عليه. بعد كدا اتدخل ثاني عشان يدوا له نصف مرتبه، وإلا فكناش هنعرف نعيش، لأن مش عندنا أي موارد ثانية.

بدأت حرب الاستنزاف، وكنا مؤيدين ليها جداً. في الوقت دا حسين كان مرفود، وأنا ممنوعة من الكتابة، لو كتبت ينشروا من غير اسمي في جريدة الجمهورية. كان عندنا صديق عزيز وقتها، محمد المليي، وكان رئيس تحرير مجلة "المجاهد" في الجزائر، لما عرف الظروف دي بعث قال لنا إن "حسين ممكن يجي يشتغل في المجاهد، يروح الجزائر يشتغل هناك".

قبلنا العرض، وحسين راح الجزائر، وأنا حصلت بعد كده لاني كنت حامل في جاسر ابني. قعدنا سنة ونصف بالظبط في الجزائر. قبل العقد بتاعه ما يخلص بستة أشهر، راح بلغ المؤسسة إنه هيمشي بعد نهاية العقد، النهاية الأولى، دا كان في 1968-1969 هما كانوا عايزينا نفعد، لأن الجزائر كانت لسه طالعة، عايزة تعمل صحافة عربية ومحتاجة لخبرات، لكن هو قال لازم نرجع مصر.

فيه قصة مشهورة لمحمود دياب، كان كاتب ومسرحي كبير، اسمها "الزادون عن الحاجة" كنت بقول إن هذا الوصف ينطبق علينا في الجزائر، كنا عايزين نقس في بلدنا، الهجرة شيء، مؤلم، رجعنا مصر يوم ما عبد الناصر مات.

حسين رجع في الطائرة وأنا كنت راجعة في مركب، عشان كتبنا وحاجتنا اللي كانت معانا سنة ونصف تقريباً، وسمعت خبر وفاة عبد الناصر في المركب. كانت حاجة مؤلمة جداً، وفعدت أعيط، الناس الأجانب اللي قاعدين معانا بقوا مستغربين جداً: إيه اللي يقعدوا يعيطوا عشان واحد رئيس مات؟ ما في ستين داهية! كنت بقول لهم: أصلكم مش عارفين نفسية الشعب المصري وشخصيته. إحنا ارتبطنا به، ارتبطنا بأعمال مجيدة عملها، وتاريخه له صفحات مجيدة، وصفحات سيئة، أنا عيطت كثير قوي، أنا فاكدة كويس قوي.

بعدين رجعنا على جريدة الجمهورية اللي كنا شغالين فيها وكنا خدنا إجازة بدون مرتب وبدأت مرحلة جديدة من حياتنا، والسادات جاء وبدأت مسيرة مختلفة خالص في الحياة السياسية.

السادات، زي ما بتقول النكتة المشهورة، مشي على طريق عبد الناصر بأستيكه. هو كان رايه فعلاً إن القطاع العام هو سبب نكسة البلد، وإن القطاع العام مقولة ماركسية، إنك تنشئ قطاع عام كبير دا مقولة ماركسية. كان عايز بأي ثمن يقرب من الغرب والأمريكان، لكن في نفس الوقت كان الجيش بيستعد للحرب. الجيش اتخرج جرح كبير جداً في 1967

ومكنش ممكن يقعد ساكت. السادات نفسه خاف، الجيش كبير وعنده تاريخ مجيد، وهو متكوّن من أبناؤنا، أبناء الطبقة الوسطى، والجنود أولاد العمال والفلاحين، مش جيش مرتزق. فيه جيوش مرتزقة كتيرة في المنطقة، لكن الجيش المصري في الحقيقة مختلف خالص. حرب الاستنزاف كانت على أشدها، إسرائيل بتشتكي منها لأنها خسرت فيها، أنا مقدرش أقول أرقام، لكن أظن إنها خسرت فيها أكثر ما خسرت في باقي الحروب. كانت أيام مجيدة.

السادات فكنش عايز يعمل تعبئة عامة، مش عايز يجهّز البلد لمواجهة العدوان. في ذلك الحين كان في اثنين مصر، مصر اللي على الجبهة، وأنا كصحفية كنت بروح الجبهة وأعمل تحقيقات وأتكلم مع الضباط والجنود، ومصر اللي ملهاش دعوة. هذا الانقسام كان مؤلم ومحيّر في نفس الوقت. كانت مشهورة قوي فكرة إن الضباط نازلين مصر الشقيقة، لما يحوا ينزلوا إجازة، يقولوا لك "رايحين مصر الشقيقة"، لأن هما في وادي ومصر دي في وادي ثاني خالص.

في نفس الوقت كان فيه غليان تحتني، لأن الناس مش راضية على الأوضاع، الاعتقالات وكبت الحريات والتعذيب في السجون. الشيوعيين مات لهم انتشار شهيد تحت التعذيب في السجون، والإخوان كذلك. كل دا ناتج من نظرة السلطة لضرورة ضبط الحياة السياسية.

هذا الغليان التحتني انفجر بعد الهزيمة: إنتو قعدتوا تقولوا لنا لا صوت يعلو فوق صوت المعركة، وإحنا أقوى قوة ضاربة في الشرق الأوسط، وإن الجيش المصري لا يقهر. كل دا قعد يتراكم، والغليان يزيد، لغاية لما جاءت الهزيمة. قالوا لا بقى، الناس قالت لا بقى. إحنا صدقناكم بس أنتو طلعنوا تصابين.

على فكرة دي كانت الأدبيات بناعة إسرائيل، إسرائيل بتقول جيشنا لا يقهر، لكن الفرق إن -بمساعدة البلاد الاستعمارية طبعا- كانوا بينمّوا أنفسهم، بيتقدموا في الصناعات العسكرية، بيتقدموا في التعليم.

كل القيادات الطلابية كانت على اتصال دائم بينا، أنا وحسين وأصدقائنا، كنا بنشوفهم وكانوا عندنا في البيت دائما، بنتشاور هيعملوا إيه. إيه الحاجات اللي المفروض نركز عليها، وإيه الضروري وإيه اللي مش ضروري، لغاية ما رحنا الجزائر. بعد كده جاءت الحركة الطلابية الهائلة بناعة 1972 الأولاد احتلوا ميدان التحرير، وأمل دنقل كتب قصيدة مشهورة اسمها "الكعكة الحرجية"، كانت قصيدة متفائلة وجميلة، بيحكي فيها الشباب القاعدين في الميدان.

رحت أنا وحسين ميدان التحرير، وكان يوم برد بشكل فظيع، لأنه كان يناير، يناير في القاهرة، في مصر عمومًا، هو الشتاء وبعد كذا خلاص.

لازم نتوقف كمان أمام ظاهرة الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم في هذا الوقت. أحمد فؤاد نجم كان صديق عزيز والشيخ إمام عيسى أيضا، وكنا بنعمل سهرات كتيرة في بيتنا، وييجوا الأصدقاء، وييجي نجم والشيخ إمام. من 1972 وطالع، لغاية لما قامت الحرب، الغليان اللي في البلد بدأ يطلع على السطح، ففضلش تحت طول الوقت. طلع على السطح لإن السادات غيّر مسار السياسات. عبد الناصر كانت عينه على الفقراء، السادات راح الناحية الثانية خالص، وله تعبير مشهور، يقول لك إن 99% من أوراق الحل في إيد أمريكا، يعني متحاولوش. فكنش لسه الاتحاد السوفييتي وقع، وكان هو اللي بيسألنا. لكن السادات تطلعاته كلها كانت ناحية الغرب والنظام الرأسمالي، فبدأت عمليات الملاحقة. أنا فاكدة قبل 1973 حصلت حاجة سقيناها "مذبحة المهندسين". مش فاكدة الخطة كويس قوي، لكن اللي برز فيها إنه عمل تصفية واسعة جدًا لمهندسي القطاع العام، طلعهم على المعاش، عملية تشريد. احنا كنا عارفين نواياه من الأول، إن هو ضد القطاع العام والحقوق الاجتماعية، عايز يقدم للغرب أي حاجة. على رأي صديقنا العزيز الله برحمه الدكتور إبراهيم سعد الدين، يقول لك: "يدفع مقدم للأمريكان".

مصر شافت في الفترة دي عدد من الاحتجاجات العمالية والطلابية، وحتى الفلاحين، اللي هما آخر ناس يشتغلوا سياسة أو ينضموا للحياة السياسية، بقوا يعملوا اعتصامات ويقطعوا الطرق. والاعتقالات بدأت من ساعة انتفاضة 1977 حسين اعتقل سنتها، وأنا اعتقلت في 1979 مع المناضلة الفلاحية شاهنده مقلد. كنت انضميت للحزب الشيوعي المصري، بعدها دخلت حزب التجمع لما نشأ، لأن حلمنا طول الوقت كان إننا نعمل حزب علني، عايزين ناطب الناس، مش هنقد نكلم بعض. اتجست في قضية الحزب الشيوعي المصري، وقعدت شهرين. وبعدين في سبتمبر 1981 جات الحبسة الكبيرة، اللي السادات لمّ فيها كل الناس، بعد ما راح أمريكا في أغسطس وبقي عنده أمل إن كل أحلامه هتتحقق، هيدوا له قروض ومعونات، لكن رجع زي ما بنقول في اللغة العربية بخفي حنين، فمخدش حاجة خالص، دفع مقدّم ومخدش البضاعة، راح لاسمنا كلنا بتهمة الفتنة الطائفية. دي الحبسة اللي قعدت فيها سنة. وبعدين اتقتل السادات، وبدأنا المرحلة الجديدة، مرحلة مبارك. أول ما جاء مبارك، راح افرج عن الناس، بس مكنتش منهم ولا شاهنده. حسين كان ممسوك في الوقت دا، بس خرج في الإفراج. أنا وشاهنده كنا في سجن القناطر فخرجناش. كان تفسير الأصدقاء إن فيه ظابط قاعد في المباحث العامة معادي للنساء: "الله دول فاكرين نفسهم إيه يعني!؟".

كنا 24 ست في الحبسة اللي لمّ فيها كله، الطلبة على

العمال على الإخوان على الشيوعيين على الناصريين؛ الهوجة الكبيرة التي هي خلصت عليه بعد كذا. فضلنا قاعدين في السجن لغاية ما المحاكم طلعتنا. على فكرة القضاء المصري لا بد من تتيته، لأنه عمل حاجات مجيدة في ظل التخويف والقهر والبرهاب، كان فيه قضاة كويسين جدًا وعندهم ضمير وبيطبقوا القانون.

أحداث كبرى في الحياة

يفكر إن كل حياتنا أحداث كبرى. من يوم ما انتقلنا من الريف للمدينة، دي كانت نقلة كبيرة جدًا. مش بس في حياتنا اليومية، لكن في الشخصية والوجدان، في الأفق والتفتح على الثقافة. الحاجة الثانية شخصيًا كانت موت أمي، وأنا كنت قريبة منها جدًا، رغم إنه من ناحية شال من على كثافي عيب إنني أراعيها، كنت بدوام على زيارتها في المستشفى، أطلع من المدرسة أروح لها المستشفى وأجيب لها الأدوية، وأرجع من على المستشفى أروح على البيت أعمل أكل، وبالليل أذاكر.

النقلة الثالثة في حياتي الشخصية كانت علاقتي بحسين؛ لما اتقابلت معاه عند الأستاذ محمد عودة، وبدأنا نقرب من بعض، كانت نقلة مهمة جدًا في حياتي. لأنها علامة أساسية في علاقتي السياسية، وفي تجربة الحب التي كانت بيننا كمان. النقلة الرابعة كانت 1976 ودي بقى النقلة الكبيرة قوي، لأنه أنا بسميها "عام سقوط الأوهام". كنا عايشين متصورين إن مع أي نزاع بيننا وبين إسرائيل، الجيش المصري هيبقى في تل أبيب ثاني يوم، أو حتى قبل ما الشمس تغيب. كانت ضربة قاسية لكل حاجة، بس دا ما يفيش إن كان فيه أعمال كبيرة اتعملت؛ تأميم قناة السويس، بناء السد العالي، إنشاء القاعدة الصناعية في البلد، كل دا كان على المستوى العام إنجاز كبير جدًا.

لكن تبقى دائمًا النقطة التي لغاية دلوقتي بنكافح من أجلها؛ الحريات العامة، ومواثيق حقوق الإنسان التي إحنا موقعين عليها. زمان كان الحبس الاحتياطي مايزيدش عن 45 يوم، دلوقتي بقى سنتين، وفي ناس بيقدوا كمان أكثر، ويجددوا لهم أكثر. قضية الحريات قضية أساسية جدًا، لأن مهمات عمليتي من إنجازات، وانتي مكتمة على البلد كذا، الفساد والواسطة هيستشروا، وكل الأمراض الأخلاقية هتتفشى. أنا دخلت مجلس الشيوخ على قائمة حزب التجمع، ففيه حد بيسألني: إيه أهم القضايا؟ قلت له الحريات العامة والحقوق الاجتماعية. الناس لازم تحس بثمرة عملها بشكل حقيقي. صديح الجهاز المركزي للتنمية والإحصاء يقول نسبة الفقر بتقل، بس كمان لسا 27% من المصريين، ودا مش حاجة بسيطة، إذا كان هو الرقم الصحيح، والله أعلم.

مصر محكومة بمعادلة قاسية، منذ بداية القرن العشرين وتأسيس جماعة الإخوان المسلمين، خلت القطبين الرئيسيين للحياة السياسية، والاجتماعية أساسًا، هما الجيش والإخوان. إحنا محكومين بهذه المعادلة، ومش قادرين نغيرها لسه، بس هتتغير أكيد، لا شيء ثابت إلا التغير، يقول كذا دائمًا. حتى السادات لما دخل في أزمة مع اليسار، كان بيخوفنا بالإخوان المسلمين، وطلعهم من السجنو عشان يخوفنا، أو على رأيه يردعنا.

رغم كل تضحيات اليسار، وشغله عبر أكثر من قرن دلوقتي، وشغل النقابات والحركة النسائية والعمالية، القطبين الرئيسيين هما الجيش والإخوان. أنا كل ما أسمع الأخبار والأقبي العميد فلان، ولا اللواء فلان، بقوا محافظين، أقول يا خبر. كنت بالعة إن اللوات يكون محافظين على حدود البلد، لكن الأقبى محافظ أسبوط مثلاً ولا القاهرة لوات فدا غريب. أنا بتحترم الجيش المصري، وأقدر جدًا تاريخه وتكوينه الوطني، لكن هو له وظيفة غير إنه يدخل في الحكم. دي كانت تجربة عبد الناصر، عبد الحكيم عامر هو اللي فتح السكة لسيطرة الجيش، وأخدنا على دماغنا في 1967. مش عارفة إذا كان فيه وعي داخل السلطة بهذا الدرس ولا لا، اللي هو الجيش انهزم لما انغمس في الحياة المدنية وساب مهماته الأساسية.

2011 عملت نقلة جديدة جدًا في الحركة الوطنية، مش في مصر بس، لكن في الوطن العربي كله. النقلة دي تميزت بأنه هذا الخروج الكبير لجماهير المصريين، عمل درجة من الخوف داخل الأجهزة، خافوا إن الناس تعمل كدا ثاني، لدرجة إن هما دلوقتي بيسموها "فوضى" يقول لك "فوضى" 2011. الفوضى اللي حصلت في 2011 والفوضى اللي حصلت في 2013. رغم إن فيه معتقلين كثير، وبيقولوا: "لا إحنا مش عندنا اعتقالات"، لكن فيه معتقلين كثير، مدّوا الحبس الاحتياطي من 45 يوم، وبقى سنتين، بعد السنتين ممكن كمان يمدّوا ثاني، لإن فيه خوف من حركة الجماهير، ودا كويس جدًا لمصلحة الجماهير نفسها؛ فيه مكاسب كثيرة تحققت، إنه النظام الفاسد أزيح، معدش حد هيقعد كدا ويتهيأ له إنه قاعد على قلب البلد للآخر. فيه وسائل الناس اتعلمتها عشان تدافع عن نفسها، وهو دا المكسب الحقيقي؛ إنه المصريين عرفوا إنهم يقدروا يعتمدوا على وسائل للدفاع عن أنفسهم، وإن دا أقوى بكثير من القمع البوليسي.

دلوقتي مقدرش أتكلم عن مستقبل البلد من غير ما أربطه بالتطور في العالم. طه حسين عنده تعبير جميل جدًا، يقول لك: "علينا أن نعرف جيدًا كيف يفكر العالم". العالم فيه حركة هائلة، ساعدتها التطورات التكنولوجية، ووسائل

جداً. أولاً البنّين كانوا توأم، وكانوا شاطرين قوي، أذكياء، جداء، نفسهم يتعلموا، نفسهم كمان يروحوا المدن. احنا أصلًا كنا في قرية كبيرة، وهي أصلًا كانت مركز قبل كدا. نفسهم يكونوا جزء من حياة المدينة. مش مدقونين، محسنة وكوثر قدموا لحياتي خدمة كبيرة جداً، مش لحياتي لكن لثقافتني، لموقفني من المرأة. بعدين لما جيت القاهرة وشفت الحوادث لقيت قتل الستات لسه قائم جداً؛ قضايا الشرف. العنف ضد المرأة مش حاجة عابرة، دا جزء أصيل من الثقافة اللي كوّنتها الإنسانية على مر العصور.

هذه الحالة خلتنني، وأنا بشارك في تأسيس حزب التجمع، أقترح إنه لازم يبقى في عندنا جناح خاص بالنساء. كانوا الزملاء الكبار، الأساتذة الكبار، فؤاد مرسى وإسماعيل صبري، رأيهم إنك لما تعمل منظمة خاصة للنساء فدا تهميش للنساء. أنا جادلت بمنطق ثاني خالص، إنه التهميش حاصل أصلًا، المجتمع أصلًا مهمش النساء. أضمني الحزب يلعب دور في تفتح أذهان النساء وإدماجهن في الحياة السياسية، وتمكينهم. دلوقتي شائع مصطلح "التمكين"، تمكينهم من الدفاع عن مصالحهم وعن حقوقهم.

كوني امرأة أثر عليّ، لما خلّفت رشا، رغم إن كان عندي مساعدة من الأسرة، ورغم إن كان عندي إمكانية إن أجيّب حد يساعدني في البيت، لإن إحنا الدنتين بنشتغل، لكن الأسرة والأطفال استهلكوا جزء كبير جداً من طاقتني، وأقدر أقول إنني -مش عابزة أقول اتعطّلت- لأن أنا مش هستنسر فيهم أي حاجة، لكن التقدم المهني تأثر جداً عندي، بعد ما خلّفت رشا، بدل فكنيت بكتب في المجلات، اكتفيت بالعمل اللي أنا فيه فقط، اللي هو وكالة أنباء الشرق الأوسط. بطلت أكتب لغاية ما بقى عندها تقريباً خمس أو ست سنين.

كمان أنا كنت على تواصل بالنساء المنخرطات في العمل العام، بس مش تواصل مستمر، لأن أنا انشغلت جداً مع أسرتي، مع الأولاد، ومع حسين. أولاً كنت بتابع اللي بيعملوه. بالنسبة ليّ أنا على الأقل، أظن دا أهم من أنني أبقى على تواصل بشخصي معاهم. بعدين أنا بسميها "الحركة النسائية الجديدة"، اللي هي طلعت أوائل الثمانينات، وبدأت تطرح أفكار مكنتش مطروحة قبل كدا. فكنش حد يجزؤ زمان إنه يتكلم عن التحرر الجنسي، دلوقتي بقى هذا الموضوع مطروح، صحيح في حدود، ومع محاذير شديدة، لكن مطروح، عشان كدا أنا بسميها "حركة جديدة".

الحركة النسائية بدأت من زمان، من آخر القرن التمنتاشر، من يوم ما النساء في الحملة الفرنسية خرجوا عملوا مظاهرة مستقلة كنساء، وكان مطلبها مطلب رائع، هما أولاً شاركوا في مقاومة الحرب الفرنسية، لكن لما عملوا مظاهرة لوحدهم، كانوا عابزين إيه في الشعار بتاعهم، إن

التواصل، وفكرة إن العالم قرية صغيرة مكنتش فكرة بلاغية، بقت حقيقة، كل حاجة بتحصل في أي حنة بتنتقل لكل حنة بعد شوية، في نفس اللحظة مش بعد شوية. لا يمكن إغفال هذه التغيرات ونحن نسعى إلى تحليل المستقبل أو التعرف على ملامحه. فكرة التنبؤ بالمستقبل دي فكرة خرافية، مش سهلة على الواحد، لكن أتصور إننا، ورغم كل العقبات وكل المعوقات، ماشين إلى الأمام، في سكة التقدم.

عمل نسائي حزبي انطلاقاً من التهميش

اللي شجعني إنني أدخل حزب التجمع كان وجود حسين أولاً، وثاني حاجة أساتذة الاقتصاد الشيوعيين الكبار في مصر وفي الوطن العربي؛ فؤاد مرسى، وإسماعيل صبري عبد الله، ومحمود عبد الفضيل، كل دول أسسوا لي.

ساعات تكوني محتاجة حد يؤكّد لك إنك على حق، هذه القامات الكبيرة خلتنني أحس إن فكرة التجمع هي على حق. أنا اعتقلت في 1979 و1981 وأنا عضوة في التجمع. ثانيًا شاركت في كتابة برنامج الحزب. التجمع حاجة مني، حاجة جوايا. دا كان الحزب الوحيد -مش بحب حكاية الحزب الوحيد دي- اللي أول لما نشأ عمل جناح نسائي اسمه "اتحاد النساء التقدمي"، لأنه في فلسفته وبرنامجه هو رأيته إن إذا لم تنهض النساء، لن تنهض البلاد.

وفي إطار حزب التجمع كنت عضوة في اتحاد النساء التقدمي اللي تبع الحزب، ودلوقتي عضو في المكتب السياسي، ونائب رئيس الحزب. الحقيقة هما ساعدوني أنني اغيّرت نظرتي للقضية النسائية، في الأول كنت تعتبر العمل النسائي، زي ناس كتيرة، إنه عمل أقل. لكن لما يرجع أفكر في الموضوع دا، بقول إنني جزء من التكوين الثقافي بتاع المجتمع، والمجتمع بيبيص للعمل النسائي كدا، وبيبيص للنساء كدا، دا جزء من نظرة الإنسانية كلها للمرأة، إن عندها مكان محدد لازم تقعد فيه ومفتدركش بعيد عنه، اللي هو الدرجة الأدنى.

رجعت لما بصيت حوالتيّ، وفي الواقع الاجتماعي في الريف المصري، افكرت حكاية البنات؛ عندي صديقتين كانوا معايا في المدرسة وكتبت عنهم كتير قوي، في طفولتي الأولي خالص، بتتين بتيمتين، أبوهن مات وأمهن بتشتغل صيادة، أما أبوهن مات راحت مطالعاهم من المدرسة، مش عشان مكنتش فيه فلوس، لإن التعليم كان مجاني، إنما عشان يشتغلوا معاه، عشان يصرفوا على البيت وعلى نفسهم.

محسنة وكوثر دول، مع إن أنا أهو عديت تمانين سنة لكن لا أنساهم أبداً، لأنهم من الحاجات اللي أمتني

الرجالة يعاملوهم باحترام زي الرجالة الفرنسيين ما يعاملوا زوجاتهم. شوفي الوعي، كان في القرن الثمناشر الكلام دا. فقدرش أقول إن دي كان بداية الحركة، بداية إرهامس بوعي المرأة بذاتها كإنسانة، دي قلب الفكرة بتاعتني عن النساء. كيف نسهم في رفع وعي المرأة بنفسها كإنسانة، مش لكائن أدنى؟

الحركة النسائية أظن إنها حققت كثير، لكن أنا كمان فقدرش أفصل الحركة النسائية عن مجمل الحركة الديمقراطية في المجتمع. بقدر ما تتطور الحركة الديمقراطية في المجتمع، بقدر ما تتفتح الآفاق أمام حركة النساء. إحنا مثلاً اشتغلنا كثير جداً من أجل قانون جديد للأحوال الشخصية، وعملنا تحالفات. وأذكر إن آخر تحالف نسائي عملناه كان فيه 105 جمعية بتشغل على قانون الأحوال الشخصية الجديد. لأنه فكرتي الأساسية عن فهر المرأة أو تقييد حريتها تكمن في تناقض بين التوجهات الاجتماعية الاقتصادية التي تقوم على المساواة، والعلاقات داخل الأسرة. ترك المجتمع، وترك الدولة، مسألة ضبط المرأة على الأسرة، وعلى قانون الأحوال الشخصية، وعلى الرجال. التناقض دا مش بيتحل بسهولة، عايز مسيرة طويلة جداً عشان نحله. بالتالي بدأنا نتعامل مع قانون الأحوال الشخصية.

أهم ملاحظة في الحراك النسوي الآن إن النساء شاركوا مشاركة قوية جداً في الموجات الثورية اللي عرفتها مصر من 2011 لـ 2013. المفروض إن الحركة الديمقراطية تكافئ النساء لأنهم كانوا يبشكروا كتلة أساسية من المحتجين والمتظاهرين وقتها. تاني حاجة أنا لاحظتها إن العلاقات بين الشباب والبنات تقدمت، بالذات الأجيال الجديدة، بقي فيها نوع من الاعتراف بأن المرأة كائن إنسان مساوي تماماً للرجال في الحقوق والواجبات. دا مكسب كبير جداً للحركة النسائية لا يمكن إنغفاله في أي تحليل، وإلا هيبقى التحليل ناقص جداً.

كمان الحركة النسوية المصرية حققت إنجازات مهمة، التعديلات الجزئية حتى في قوانين الأحوال الشخصية مهمة جداً، وإن كانت ما زالت ناقصة. اندفاع النساء إلى مجالات لم تكن تتقدم إليها أصبح ظاهرة عالمية، مش خاصة بينا فقط. بفكر باستمرار إن الأمومة فضيلة نسائية، رغم المتاعب، متاعب الولادة والحمل وتربية الأطفال، ورغم بؤس العالم، فعواطف النساء وأمومتهم بتضفي عليه قدر كبير جداً من الخنان والرحمة، مفردات لازم نستخدمها في أدبياتنا عشان نخلي العالم أقل بؤساً.

مراجعة المواقف

أنا كان عندي اقتناع شديد جداً بالتجربة الاشتراكية بتاعة

الاتحاد السوفييتي، لغاية لما رحلت مرتين أنا وحسين، قعدنا في موسكو ولينا البلد، روحنا ليننجراد. بدأت أحس إن فيه قضايا أساسية الاشتراكية فطلتهاش، وإنها محتاجة دا جداً. هنا نقطة مهمة، من ضمنها الموقف من المرأة، حتى في البلاد الاشتراكية اللي هي المفروض تمحو كل آثار عدم المساواة، كان فيه عدم مساواة. بدأت، مش أراجع أفكار النظرية، أنا مقتنعة تماماً إن الاشتراكية هي مستقبل الإنسان، مستقبل البشرية. لكن كمان مقتنعة تماماً، زي ما قال أرجون، شاعر فرنساوي مهم جداً، إن النساء مستقبل العالم. لأنه إذا بقيت قضية تحرر المرأة وتحريرها، أنا بستخدم تعبير تحرر، مش تحرير، لأن تحرير يحول المرأة إلى مفعول به، إنما تحرر المرأة يعني إنها الفاعل مش المفعول به. هي قضية هتفضل محطوة على أجندة الإنسانية لمدة طويلة.

دلوقتي حسين توفي بقاله سنتين. أنا فقدت من بدا جزء كبير من حياتي، لأن إحنا كنا بتناقش في كل حاجة بالتفصيل، ونفّدها ونجيب حجج وحجج مضادة. دلوقتي عندي صديقاتي وأصدقائي وأولادي، لكن عملية المراجعة اللي كنا بنعملها مع بعض بشكل يومي تقريباً بقت عملية فردية، شخصية، خاصة بي أنا. دا طبعاً فيه صعوبة شديدة، لأن لازم يكون فيه صوت آخر في الحوار دا. عندي أصدقاء كثير، وعندي زملائي في الحزب، وعندي الزميلات والصديقات في الحركة النسائية، وكل شوية أقعد مع نفسي، لكن مفيش حاجة عوّضت غياب حسين عندي.

كريمة كمال: المجتمع مقفول عليه

تحدثت كريمة كمال مواليد 1949 عن عملها في الصحافة منذ تخرجها في كلية الآداب قسم الصحافة في جامعة القاهرة 1971، بدأت في مجلة "صباح الخير" التابعة لمؤسسة روز اليوسف المملوكة للدولة، ثم أسست قسم "المجتمع" في جريدة البديل اليسارية، وبعد توقف هذه الجريدة اليومية قدمت تجربة أخرى في "المصري اليوم". في حكاياتها، تقدم كريمة شهادة عن عملها الصحافي الذي تقاطع منذ وقت مبكر بالعمل الأهلي بحكم اهتمامها بتغطية ثيمات صحافية مرتبطة بالمجتمع وقضايا المرأة والنشاط الأهلي.

هذه الشهادة، التي سجلتها عالية مرسى في 12 أيار/ مايو 2020، تعكس واقعي الصحافة والعمل الأهلي اللذين ضيق عليهما مؤخرًا، وبخاصة المجتمع المدني بعد ثورة 25 يناير.

صحافة تحقيقات

كريمة كمال كاتبة صحفية، بدأت العمل في الصحافة بعد التخرج على طول وفضلت اشتغل في الصحافة فترة طويلة، التي هي من أول ما تخرجت لغاية ما اتحلت على المعاش. والحقيقة إن كل شغلي تحقيقات صحفية ما عدا السنوات الأخيرة. جزء من الشغل مقالات رأي لأن فكرة العمل في التحقيقات الصحفية تخلي عند الواحد طريقة منهجية إزاي ترتبي الأفكار وتوصلني من المعطيات للنتائج، ودا بالتالي كَوْن في النهاية بشكل ما عقلية قادرة تكتب مقال رأي فيه نفس الترتيب في الخطوات. طريقة التفكير ومنهج التفكير، عشان كده أنا اشتغلت طول عمري في التحقيقات الصحفية، وبعدين في الفترة الأخيرة من حياتي المهنية بقيت بشتغل تحقيقات صحفية وجنبها مقالات رأي. وبعدين بقيت اشتغل مقالات رأي فقط... ودا اللي بعمله دلوقتي، مقال رأي أسبوعي في جريدة "المصري اليوم".

في البداية، اشتغلت في مجلة "صباح الخير" لما تخرجت. كل شغل التحقيقات اللي أنا عملته كان معظمه في "صباح الخير"، وفي بعض الحالات عملت شغل في المجلات العربية والمصرية ومعظمها مجلات عربية خاصة، لكن الأساس كان شغل التحقيقات وبدأت أكتب مقال رأي في "صباح الخير" بعد فترة طويلة، وبعدين انتقلت إلى "المصري اليوم"،

واشتغلت فترة إشراف على فريق عمل يشتغل تحقيقات اجتماعية، كُنا بنقدم صفحة فيها تحقيقات تكشف اللي يحصل في المجتمع والحياة الاجتماعية. وأنا كنت بكتب مقالة رأي في الفترة دي مع الإشراف على الصفحة، وبعدين توقفت عن الإشراف وبقيت بكتب يس مقال الرأي اللي هو أنا دلوقتي بعمله. اللي عملته مهنيًا كان فيه جزء التعامل ما بيني وما بين منظمات غير هادفة للربح [NGOs] ونظامها اللي شغال على قضايا المرأة والأقليات، دا كان فيه جزء كبير جدًا من تشكيلي، كنت بشارك في كل المؤتمرات والندوات والورش، سواء بالحضور وإيداء الآراء أو تقديم ورقة بحث. دا الحقيقة شكل جزء كبير جدًا من تركيبي لأن دا أنا اشتغلته على المدى الطويل وكان الجزء المهني عندي له دور كبير جدًا في تشكيل طريقتي في التفكير، وفكرتي عن العمل الأهلي المصري وعن قضايا المرأة والجنس والأقليات. دا الحقيقة أثر في تكويني بقيت جزء من دا وشريكة سواء متحدث أو مقدمة ورق. دا الجانب المهني والجانب اللي كان فيه العمل الأهلي، أما الجانب الشخصي إنني تزوجت، ولما اتجوزت متجوزتش شخص عادي، اتجوزت مخرج سينما، داود عبد السيد. فنان مش موظف أو مهندس أو دكتور. حياة الفنان مختلفة عن حياة أي حد ثاني، لأن الفنان حياته مش محددة بمواعيد عمل رسمية لا كل عمل يقوم بيعمله بيقدم تجربة جديدة، التجربة دي بتكون خاصة جدًا لأنها تجربة فنية مش تجربة عادية وبالتالي بتكون مؤثرة على حياته وبالتالي على حياته. دا كان له تأثير كبير جدًا على طريقة الحياة اللي عشتها، بحكم تركيبة الزوج وطريقة حياته وشغله. وخلفت ولد واحد وكبر الولد واتجوز أخيرًا، أنا أم لطفل وحيد.

أنا والدي مهندس، والدتي كانت ربة بيت مكنتش بتشتغل بس كانت شخصية مؤثرة جدًا لأنها كانت ذكية جدًا، شخصية مؤثرة علينا إحنا في البيت وعلى أي حد في العيلة لأن كان لها تأثير على الناس، أنا لي أختي توأم وأخ أصغر منا بسنتين. إحنا كُنا أختين توأم متطابق وشبه بعض قوي، ودا طبعا ملفت سواء في الجامعة لأنه إحنا الاتنين شبه بعض قوي، أنا كنت في كلية الآداب وهي كانت في كلية العلوم، كانوا دايفًا يهزروا لأن دا كان عامل لخبطة عند الأساتذة والطلبة إن فيه واحدة منها اتنين، دا كان مثير للاهتمام شوية زيادة في الجامعة، كان بيثير حاجة طريفة إنهم كانوا بيتلخبطوا بينا وإحنا كُنا بنليس زي بعض، كُنا بنليس نفس الفستان تقريبًا بس واحد أخضر وواحد أزرق مثلاً، وفضلنا فترة طويلة بنليس نفس الفساتين ونفس الحاجات لغاية ما بدأنا نكبر شوية وعاييزين نفرّق وبدأنا نجيب كل واحدة فستان وما ندخلش المحل مع بعض، عشان لو دخلنا المحل مع بعض هنتشري نفس الفستان، واحدة تدخل تشتري فستان وتطلع وبعدين الثانية تدخل وراها تنقي الفستان اللي هتلبسه هي، دا كان شكل الحياة بالنسبة لنا.

عيلتنا على المستوى الاقتصادي تُعتبر أعلى من الأسر الثانية؛ أولاد العم والعيلة الكبيرة شوية. أعلى درجة مش أعلى كثير، دا كان موافر حاجات لكن مش زيادة، إحنا كنا طبقة متوسطة عندها احتياجات تقدر توفر الاحتياجات دي أحياناً، وأحياناً لا. والدي كان عنده عربية، وإن واحد يكون عنده عربية دا كان فرق اقتصادياً، بس إحنا عشنا حياتنا بشكل معقول من الناحية الاقتصادية مش مستريح قوي لكن معقول، إحنا كنا في مدرسة حكومة مش مدارس خاصة، أنا بس في ثانوي دخلت مدرسة خاصة لأن المجموع بتاعى مجيش مدرسة حكومة، كان في الفترة دي بتدخل المدرسة بالمجموع بتاع الشهادة، أختي جابت مجموع أكبر مني وأنا مكنتش جاية مجموع وحش بس والدي لما جه يقدم في ثانوي تأخر في التقديم وقالوا له "مش هنقدر ناخد الاتنين هناخد واحدة بس"، اخدوا أختي وأنا دخلت مدرسة خاصة. المدرسة الخاصة كان مستواها أقل شوية كتعليم، بس قعدت فيها لغاية ثانية ثانوي وبعدين زحّت المدرسة اللي كنت فيها وأنا صغيرة اللي هي "القومية" وكُملت ثانوي واتخرجت منها. بابا كان عايزنا ندخل جامعة عين شمس لأننا من سكان مصر الجديدة وكانت "عين شمس" أقرب للبيت من "القاهرة"، بس أنا رفضت لأن قسم صحافة اللي أنا عايزة ادخله مش موجود غير في "القاهرة"، قلت له: "لا، لأن عين شمس مش فيها صحافة وأنا هادخل صحافة، ومش أي قسم ثاني" أصريت إنني ادخل "القاهرة"، وأختي كمان فقال لها: "طيب أنت هتدخل علوم، وهنا فيه علوم وهنا فيه علوم!" قالت له: "لا أنا هادخل جامعة القاهرة". كان شايف إننا عايزين ندخل جامعة القاهرة عشان القبة بتاعتها، ورايحين مشوار آخر الدنيا بس إحنا الاتنين أصرنا ودخلنا "القاهرة" في 1968.

طبعاً في الفترة دي كانت طريقة التربية اللي فيها نوع من التشدد بالنسبة للبنات، كان والدي لما دخلنا الجامعة يقول لي "ما تخرجيش من باب الجامعة مع بنت أو مع ولد، مفيش علاقات وضحية"، نخلص الجامعة ونخرج سواء، "لا مفيش، إنتي تخرجي من باب الجامعة ولا مع بنت أو ولد". إحنا في الجامعة، أنا وأختي، كان لينا نشاط فني إننا كنا مشتركين في فرقة فنون شعبية، بابا في الأول مكنتش موافق وشايف إن دا هياتر على المذاكرة بس إحنا أصرنا أننا نخل الفرقة وكان ليها نشاط في الجامعة، فرقة فنون شعبية دي كانت بتشارك في أوبريتات، وفكرة إحنا شاركنا في أوبريت "العشرة الطيبة" بتاع سيد درويش. كان ليها نشاط الحاجات دي في الجامعة مش زي بعد كده لما بدأ نشاط الجامعة يتقلص وتقربنا مبقاش فيه نشاط، وكنا في الفنون الشعبية واشتركنا في حفلات، ومنها اتقدم في الأوبرا، كانت لسه الأوبرا ما اتحرفتش، قدمنا حفلات هناك. الحقيقة النشاط دا كان

له تأثير جامد جداً علينا في طريقة الاهتمام بالنشاط الفني وأثر في إنه يخلينا عندنا إحساس، بتقدمي حاجة فيها ناحية فنية بتقي شوية مختلفة، بس أختي لأنها كانت في علوم، وعلوم كانت صعبة، وجاءت أول سنة وسقطت وبابا رفض إننا نكمل في النشاط وكان شايف إن السبب في سقوط أختي إنها دخلت الفنون الشعبية ومخلتهاش تركز في المذاكرة وقال: "لا خلاص مفيش نشاط ثاني". دي كانت فترة الجامعة مكنتش فيها حاجة ثانية مُلفتة غير إن إحنا في الجامعة نروح كل يوم نحضر المحاضرات والسكاشن ونرجع بعدها، لما مبقاش فيه نشاط، مشيت الجامعة بعد كده عادي جداً.

وأنا في الجامعة اتدربت في جريدة "الأهرام" سنتين ورا بعض، سنة في قسم الإخراج والثانية في قسم الأخبار. وطبعاً دا خلاص اقعد فترة جوّة "الأهرام" ودا كان مختلف إنك تكوني موجودة جوّة جورنال ومعدكيش خبرة أساساً بالجرائد والمجلات اللي شغالة، وفجأة تبقى جوّة أكبر جرنال يومي في مصر. كان وقتها محمد حسنين هيكل هو رئيس التحرير، وطبعاً كنا بنشوفه في اجتماعات، دا كان مؤثر الحقيقة جامد جداً عليّ لأنه أذاني خبرة إزاي الجرائد بتشتغل وإزاي الحياة يتمشي فيها والاداء اليومي، دا كان له تأثير.

آخر سنة في الجامعة، زحّت أتدرب في "آخر ساعة"، لأنني كنت بتحقيقات صحفية وكُتبت تحقيقات صحفية، عملت تحقيق كبير واتنشر كامل في ست صفحات في المجلة، وكانت معروفة إنها كبيرة كمقاس ورق، تلاقي الصفحة طويلة وعريضة مش زي المجلات الصغيرة لا حاجة عريضة وطويلة، التحقيق انتشر كامل زي ما كتبت وكنت فرحانة جداً، بس الحقيقة الفرحة دي كانت منقوصة لأنهم منزلهوش باسمي! نزلهوش باسم قسم التحقيقات! طبعا أنا الحقيقة حزنت حزن شديد جداً وزحّت لمحمود عوض اللي كان ماسك التدريب وقتها، وقلت له: ليه ما نزلتوش اسمي؟ قال لي: "دي غلطة ومعلش". طبعا هي مكنتش غلطة، هما مكنوش هيكبتوا اسم واحدة مش معروفة وعلى تحقيق ست صفحات كبار، طبعا أنا زعلت جداً بأمرها بس دي كانت تجربة مؤثرة شوية. وبعدين تخرجت في 1971. وكنت عايزة اشتغل في "روز اليوسف"، بالذات مجلة "صباح الخير"، وحاولت الاقاي طريقة أروح "صباح الخير" لغاية لما قُلت لعمي، كان يساري ويعرف عبد الستار الطويلة، إنه يحاول يدخلني أتدرب هناك، قال لي: "طيب هكلم لك عبد الستار الطويلة"، وكلمه وقال له: "بنت أخويا عايزة تتمرن"، قال له: "ابعتها لي"، وزحّت وقال لي: "عندنا مشروع اسمه تشغيل الطلبة"، كان فيه حاجة في "صباح الخير" إنهم يشغلوا الطلبة في الصيف. عبد الستار الطويلة قال لي: "تعالى اشتغلي معنا في المشروع دا كام يوم كده وبعدين ندربك على الصحافة"، وطبعاً الكام يوم دول سحبوا شهر مثلاً واتصدمت أنا، وقلت له: "أنا مش جاية اشتغل في

1 أوبرا ميدان العتبة، والتي اختُرفت في 28 تشرين الأول/أكتوبر 1971.

المشروع زي الموظفة، ذا مفهوش صحافة.. أنا عايزة اتدرب صحافة مش عايزة أشتغل في مشروع تشغيل الطلبة"، قال لي: "طيب"، وراح محولني لرؤوف توفيق، وقتها كان مدير التحرير، وبدأ يدربني، واشتغلت معاه وعملت تحقيقات فترة طويلة، كندريب.

كان فيه مشكلة وقتها إن جه لي جواب إنني اتعينت في "اتحاد الإذاعة والتلفزيون"، القوى العاملة كانت بتوزع التعيين، وبابا كان شايف إنني لازم أروح استلم الوظيفة اللي جات لي، وأنا طبعاً مش عايزة أسيب التدريب. كنت عايزة أشتغل صحفية مش في "الإذاعة والتلفزيون" موظفة أو أي حاجة، قلت له إنني مش عايزة أشتغل في "الإذاعة والتلفزيون" وعايزة أفضل في "صباح الخير"، قال لي: "إنتي مش متعينة"، قلت له إنني مش مهم بالنسبة لي التعيين، مش عايزة، الأساس عندي إنني أعمل الحاجة اللي بحبها، وكانت أزمة بيني وبين بابا جامدة جداً طول النهار يتخانق على الحكاية دي وأنا مصممة مش هسيب "صباح الخير" ولا هاروح "الإذاعة والتلفزيون" وأصرّيت على دا وهو قعد يقول لي: "هما مش هيعينوكي في صباح الخير" لأن كان آخر واحد اتعين قبلي هو أحمد هاشم الشريف اللي هو كان بيني وبينه عشر سنين ساعة ما اتعين، وبعدها معينوش حد. "بقالهم عشر سنين معينوش حد هيعينوكي ليه!".

صممت ولنت يشتغل ببلاش ومكنش بيدونا مرتب، لغاية بعد كذا شهر من الشغل وفترة طويلة قعدوا في اجتماع وقرروا يدوني مكافأة، أدوني مكافأة 11 جنيه، وأنا فاكدة إنني اخدتها ونزلت وسط البلد وقعدت أتفرج على المحلات وكنت عايزة أشتري حاجة لي، ولقيت دريل لونه أحمر جلد وأظن سعره 12 جنيه، وأنا حطيت على الـ 11 جنيه كمان واشتريت الدريل، وكنت فرحانة لأنني مشترياه بفلوسي. وقعدت بعد كده أتدرب في "صباح الخير" واتعينت وأدوني مكافأة بسيطة 12 جنيه تقريباً، دا كده تقريباً سنتين ونص من غير تعيين لغاية لما طلوعوا قرار تعيين لي. قرار التعيين اللي طلع كان أنا بس في "صباح الخير"، وعادل حمودة في "روز اليوسف"، اللي بعد كده بقى رئيس تحريرها. طبعاً يوم لما طلع قرار التعيين كنت فرحانة فرحة شديدة بس دا كان بعد سنتين ونص بتدرب في "صباح الخير".

لما تعينني في المجلة من حقلك بعد كده تقدّمي على عضوية النقابة وتدخلها تحت جدول اسمه "تحت التمرين" وبعد كده جدول "المشتغلين" تنتقلي من دا لدا بعد وقت معين، وبقيت عضو نقابة، بس دا خد وقت طبعاً.

"صباح الخير" مكنتش مجرد مجلة، كانت مجال ثقافي واجتماعي مختلف تماماً عن أي مجلة في مصر، لأنها كانت شديدة التقدمية والأشخاص اللي موجودين فيها فنانين

ورسامين، كلهم كانوا تقدميين بشكل واضح جداً وأفكارهم تقدمية قوي، وبالتالي دا أثر على تشكيلي أنا كمان، لأن لو بتشتغلي مثلاً في "آخر ساعة" هتبقى النتيجة مختلفة تماماً.

"صباح الخير" الناس كلها بترسوم وتكتب وتناقش بعض، فيه مناقشات والناس كلها عندها نوع من الفكر التقدمي جداً، الفكر التقدمي كان عاكس طريقة الحياة والنظر للناس والنظر للبنات كمان بالذات، النظر للمرأة والبيت فيها نوع من الحرية الشديدة، فيها نوع من الفكر التقدمي، فيها نوع من النظرة للبنات على إنها قادرة على إنها تبقى مختلفة وتقدر تبقى حرة وتختار طريقها وأنها تقدر تشوف حياتها هتبقى إزاي، مفيش بقى النظرة التقليدية خالص. دا أثر فيّ مش بس مهنيّاً لا أثر فيّ، وفي طريقة تفكيري. أنا فاكدة من الموضوعات المكتوبة وقتها في "صباح الخير" كان عن فكرة إن البنات يكون معاهما مفتاح البيت، لأن حكاية إن البنات يكون معاهما مفتاح البيت دي معناها إنها تملك حرية الرجوع في أي وقت، إنها تدخل وتخرج، ودا مكنتش مطروح للبنات وقتها، كان خروج البنات تابوهات، وتخرج الساعة كام وتيجي الساعة كام، ومفيش حاجة اسمها تفتح الباب وتدخل.

"صباح الخير" كانت بتبشّر بمستقبل اجتماعي مختلف تماماً للأجيال كلها مش للبنات بس، بس كمان لما تبقي في مجتمع البنات لها وضع خاص دا بيكسر كثير من التابوهات اللي كانت محظوة، علشان كده دخولي "صباح الخير" أثر من الناحية الاجتماعية إن أفكارك تكون تقدمية جداً وشديدة التحرر، ومن الناحية السياسية والفكر السياسي كان يساري، كان فيها نوع من المعارضة والفكر اليساري عن إنك تبقي دولية. أنا اخترت ادخل "صباح الخير" ودا كان معناه إنني بالتركيبة دي وإلا مكنتش اخترت أروح أتمرّن في المجلة دي بالذات لأن كنت بقرأها وأنا صغيرة وشديدة الإعجاب بها، ولما جيت أفكر اشتغل مفكرتني أشتغل في حنة تانية غيرها، بس دا كان معناه إن طريقة التفكير والاتجاه إذا كان اتجاه اجتماعي أو سياسي اللي موجودة في المكان متفق معاك قوي، وبالتالي الاتفاق دا زاد وترسخ بشغلك فيها وحياتك وارتباطك بالشخصيات الموجودة جوة المجلة.

عشت معظم حياتي المهنية في "صباح الخير" لغاية المعاش، وبحكم تكوين المجلة كمكان شديد التقدمية مكنتش فيه ست وراجل، وفكرة إن المرأة لها دور أقل أو إنها نظارد من حيث إنها امرأة. أنا في حاجتين محستهمش في "صباح الخير"، واحد إنني امرأة، اتنين إنني مسيحية، الحاجتين دول برة مجتمع "صباح الخير" كانوا موجودين، كان فيه تمييز ضد المرأة والمسيحيين، لكن جوة مجتمع "صباح الخير" مكنتش موجود. فضلت عابشة جوة مجتمع محمي من التمييزيين دول، لكن المجتمع الأكبر موجود فيه التمييز ضد المرأة

والتمييز ضد المسيحيين، أنا كنت أسمع أو أشوف أو أتابع من بعيد حجم التمييز سواء، كمسيحية أو امرأة لأي حد بره "صباح الخير"، لكن مكنتش بيحصل ليّ أنا لأن أنا جوه مجال مختلف، جوه شرنقة مختلفة، فضلت كل سنوات عمري معنديش المشكلة دي أو دي.

طبعاً فيه تجربة مهمة جداً في حياتي اللي هي تجربة جريدة "البديل"²، في الأول قالوا ليّ إنهم بيعملوا جرنال جديد وعايروني أشتغل معاهم، زحّت قابلت محمد السيد سعيد، وشرح ليّ وجهة نظره عايز الجرنال دا يبقى إيه.

اشتغلت في الجرنال لأنني بخلف مولود وبكيره، زحّت شقة في عمارة في باب اللوق وبنقول الجرنال هيطلع كام صفحة وهينط فيه إيه، كانت تجربة مختلفة جداً ومؤثرة عليّ جداً. بدأنا نحدد اجتماعات ونحدد فيها كام صفحة وهنتقسم الصفحات في إيه، وبحكم أنني اشتغلت طول عمري في التحقيقات الاجتماعية وهما كانوا عايزوني أعمل شغل اجتماعي في الجرنال، وإني أخذ صفحة يومية فيها تحقيقات اجتماعية، كنت بشرف عليها ومعايا فريق الشباب والبنات الصحفيين ولما بدأنا كجريدة كنت بنزل كل يوم صفحة، طبعاً كل يوم صفحة دي لما يفكر فيها النهاردا بحس إنه كان صعب جداً، وإيه كل يوم صفحة بتقدمي فيها تحقيق اجتماعي، وإنك تعملي تحقيق كل يوم دا كان صعب جداً، تكاد تكون مستحيلة وعندي فريق صغير وكنت بشغلهم كلهم وبأخذ تحقيقات منهم كل يوم، ودا عامل تحقيق ودا عامل تحقيق أو اثنين ثلاثة عاملين تحقيق واحد، وكنت بنشر تحقيقات اجتماعية كل يوم في الصفحة دي، كانت صفحة مميزة جداً في الجرنال، ومش بقول دا عشان أنا اللي كنت بعملها، هي كانت من أكثر الصفحات نجاحاً في الجرنال وكان عامل سعادة شديدة جداً إني بعمل صفحة ناجحة على مستوى كبير ومتشافة بقى سواء من الجمهور العادي أو القارئ العادي أو اللي شغالين في الصحافة في مصر.

الجرنال مرّ بمراحل كان فترة ماسك الشغل وائل عبد الفتاح بعد محمد السيد سعيد، بعد وائل مسك خالد البلشي فترة.

طبعاً تجربة "البديل" كانت خاصة جداً على المستوى الاجتماعي والسياسي كمان، لأنها اتجاء مختلف خالص، كانت تكاد تكون صحافة معارضة، كان في وقتها مساحة حرية شديدة لو نقارنها ببلوكتي، طبعاً كان فيه مساحة حرية شديدة وكنا بنقدر ننشر حاجات كثير، دلوقتي منحلّمش ننشر ربعها.

الجرنال كان مؤثر وناجح، بس كان عنده أزمة اقتصادية، هو كان فيه 3 أصحاب الجريدة ودول كانوا يسار، جمّ بعد فترة ندهوا

2 جريدة بومه، برخصها بملكة شركة التقديم للصحافة والإعلان، أسسها محمد السيد سعيد، وصدر العدد الورقي الأول منها في 16 تموز/يوليو 2007، وتوقف عن الصدور ورقياً في نيسان/أبريل 2009.

لنا في اجتماع وخالد البلشي كان ماسك الجرنال، وقالوا لنا: "البديل مش هيكمل وقدمنا 3 شهور بالكثير وهنضطر نقفل"، ودي كانت صدمة بالنسبة ليّ، وفي يوم جم عملوا اجتماع وخرجوا من الاجتماع أعلنوا إن الجرنال وقف، وفكرة في اليوم دا يكبت بالدموع لأن تجربة "البديل" تجربة خاصة جداً في نجاحها وفي دوري فيها وفي النهاية المأساوية اللي انتهت لها، بس هو جرنال له اتجاه سياسي كان مؤثر جداً ومختلف تماماً وعامل نجاح شديد واستقر وقدر يوصل للناس وينجح في زمن قياسي لأنه كان طالع بخطة معبرة عن اتجاه يساري بكل تحرر اليسار، وفيها قدر كبير جداً من الأفكار وطرح كل القضايا ومناقشتها بحرية، عشان كده نجح قوي. لكن للأسف الظروف الاقتصادية هي اللي قتلته، فعدت بعدها فترة في صدمة لغاية لما كلموني في "المصري اليوم" بناءً على تجربة "البديل"، وقالوا ليّ: "اعملنا لنا صفحة زي اللي كنت بتعملها في جريدة البديل". ولكن "المصري اليوم" ليبرالي، وفيه اتجاه سياسي ليبرالي، لكن معندوش المعارضة الشديدة، بس فيه محاولة إنك تقدمي الأخبار اللي عادة ما تنتشر في الصحافة.

مثلاً صدمت إن فيه سكرتير تحرير في "المصري اليوم" عنده موقف من الستات شديد العنف، ولو الأمر بإيده مكنتش خلى ولا واحدة تشتغل، كان بيعلم رأيه بشكل واضح، ودا كان صادم بالنسبة ليّ لأنني متعودش على إن حد يفكر بالطريقة دي ويتكلم بالطريقة دي، ولأنني خرجت من المجتمع الضيق بتاعي اللي له حالة خاصة -صباح الخير- للمجتمع العام بكل العادي اللي فيه.

العمل السياسي بعد ثورة

تصور إن بعد 25 يناير صفحة تتقلب وتتفتح صفحة جديدة كان تصور ساذج طبعاً. اللي حكموا مش هيدوكي الفرصة وبسيبوا لك المساحة، دول ليهم مصالح، مصالحهم هي أهم حاجة عندهم، وبالتالي خلاص مش هيدوك فرصة إنك تكوني موجودة، لأن بعد الثورة هتبدأي تغيري كل حاجة، هتغيري ملامح اللعبة أساساً، هتغيري بمعنى إنك هتيجي على مصالح الناس اللي موجودة دي وتلغيها، مين اللي قال إنهم هيستسلموا وبسيبوكي تعملي دا بمنتته الأيديعية ويدوكي فرصة وينسحبوا هما، محمد حسني مبارك مشي، لكن كل النظام اللي تحت مبارك موجود، هو هو نفس النظام بنفس التركيبة والمصالح بكرة. المشكلة إننا مستوعبناش دا في البداية، استوعبناه خطوة خطوة، زي ما يكون حد عمال يخطك فلم كل ربع ساعة. المشكلة إني بحس إن "الإخوان" لعبوا دور فطيع في الثورة نفسها، هما باعوها بدري وبالتالي هما أضلوا فكرة إننا منبدأش حاجة جديدة، هما اتحسبوا مع القديم عشان مصالحهم كجماعة، وبالتالي أفقدوا الثورة كل

وقتها وقدرتها على التغيير الحقيقي.

بعد 25 يناير كان فيه إحساس إعادة الحياة السياسية، ومن ضمن الأفكار كانت فكرة بدأت إنهم يعملوا الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي وكان أكثر حزب قريب في طريقة تفكيره والناس اللي شكلته ليّ بشكل شخصي، أنا دعيت وشاركت في الاجتماع اللي دعوا فيه ناس شافينهم قريبين من الحزب لطريقة تفكير أو اتجاه، وعقد الاجتماع دا في نقابة الصحفيين، وحسيت إن الحزب قريب مني قوي وبالتالي بقيت طرف وعضو فيه. بس بعد كده الأمور مشيت في اتجاه إن ميقاش الحزب عنده مساحة إنه يشتغل رغم إنه في البداية كان قادر يكون له تأثير ويبقى له اسم في الحياة السياسية، لكن بعد شوية بدأت الأمور تقفل. ميقاش نشاط الأحزاب مسموح به إلا في حدود ضيقة جدًا اللي هو اجتماع جوة المقرات، بدأت الأحزاب تحس إن البساط بينسحب من تحتها وتتقفل عليها في مقرات. أنا حاليًا نائب رئيس الحزب، كنت مترددة في [إني أترشح لمنصب نائب رئيس] على أساس إن فيه شخصيات تانية أكثر تفاعلًا في الحزب وليها دور أقوى مني وقُلت هم أولى، بس هما أصروا، في الآخر قُلت أوكيه وعملت الانتخابات وجيت أنا نائب رئيس الحزب. الحزب دوره متقلص تمامًا وضيّق قوي، والدولة مش ساذجة مساحة للحزب يشتغل إلا ببيان، اللي هو مش دور حزب. مفيش اجتماع بيحصل إلا وبتحصل فيه مناقشة هل نجمد نشاط الحزب ولا لا، طالما مفيش نشاط أصلًا مسموح به، حالة الحزب مش هائلة، وعدد أعضائه قلّ قوي، خلاص الحياة [السياسية] اتقضى عليها.

مصادرة إمكانية التغيير

بعد لما تخرجت بحوالي عشر سنين، بدأت أعمل علاقات بمنظمات المجتمع المدني وأهتم بالنشاط بتاعهم وشوية شوية الاهتمام بقى نوع من المشاركة الدائمة، يعني بقيت متحدثة أو بقدّم ورق، هي جات بشكل تدريجي، لكن من بداية شغلي حسيت إن المجتمع المدني بيقدم دور مختلف، ودا خلاني أكون شديدة الاهتمام بالنشاط اللي بتعمله المنظمات دي وأشارك فيه، وشوية شوية علاقتي بيهم زادت وبدأت تتوطد أكثر، وبعتبر نفسي طرف في الحركة النسائية، طرف منظم بشكل واضح. اشتغلت معاهم في كل المؤتمرات والندوات والورش، وكنت طرف أساسي وفعال في أي نقاش عن قضايا المرأة، والأقليات، وبالتالي الحركة النسائية بالنسبة ليّ مش بعيدة عني، بعتبر نفسي جزء منها. مثلاً فيه قضايا حصل فيها تغيير وموانين صدرت بتدي حقوق للمرأة زي جواز المصرية من الأجنيبي وحصول أولادها على الجنسية، مكنتش ممكن تصدر من غير عمل أهلي وشغل منظمات نسائية استمر سنين طويلة، ومطالبات

بالحقوق دي. حد ممكن يقول إن وجود سوزان مبارك آثر في صدور هذه القوانين، دا حقيقي لكن مين اللي بَسّر بالقضايا دي، ومين ناقشها وطرحها في ندوات ومؤتمرات لسنين، دا جهد العمل النسائي الأهلي. لكن فجأة قررتي [كدولة] إن الـ NGOs هي السبب في 25 يناير، وهي اللي سندت الثورة، وبالتالي قررتي تقضي عليها عشان 25 يناير متكرررش، رحتي حبستني المجتمع كله، قفلتني عليه.

لما انتهت منظمات المجتمع المدني واتقفل عليها الباب تمامًا، بقت حياتي فاضية بعد ما كانت مليانة وفيها تفاعلات وأفكار، كل نشاط المنظمات اتقفل بالضبة والمفتاح. جمعيات كثير وقفت شغل، وفيه منها اللي قفلت أبوابها، واللي صفت أعمالها، واللي فليست، فيه اللي عليها أحكام وفيه اللي عليها قضايا. يجبروا الناس ويمنعوهم من السفر، قفلتني التمويل أساسًا والشغل أصلًا. خالص، تجربة منظمات المجتمع المدني كانت تجربة كاملة مؤثرة في المجتمع، وقضيتي عليها تمامًا.

إحنا رجعنا للدولة الفضادة، أعادت الحالة لما كانت عليه، وبشكل أسوأ. معنديش أمل تحصل تغييرات، من الناحية السياسية مش شايقة. المشكلة دلوقتي إن النظام اللي بيحكم عنده تار بايت مع الثورة، وملمح التار دا من الملامح الأساسية للنظام الحالي، يقول إنه رافض أي ثورة، وإحنا مع الثورة وشايفين الثورات حاجة حلوة. لكن في النهاية فيه فرق بين إن الثورة حلوة أو وحشة، وإن كانت حتمية. الثورة كانت حتمية لأن كان عندنا وضع بقاله 30 سنة مش يتحرك وحصل انفجار، الثورة فُرضت علينا كنوع من الحتمية. زي ما تكوني عيبتي حاجة وانفجرت، والانفجار مكنتش اختيار كان نتيجة تفاعلات.

المشكلة دلوقتي إن النظام الحالي عنده هستيريا من تكرار دا، أوكيه إيه البديل؟ البديل إن أي دولة مدنية حديثة فيها قدر من الحرية والديمقراطية. لكن النظام مش عامل دا، بسبب تجربة يناير، قافل الباب، وبيطارد أي حد يقول أي فكر مخالف لأن تصويره إن أي فكر مخالف يعني ثورة وقلب نظام الحكم.

دا مفهوم على فكرة، مش مرفوض. مفهوم، محدش عايز ثورة تاني لأن محدش عارف هترسي على إيه، لكن المشكلة إن فيه مصادرة لأي رأي من منطلق المصادرة وبالتالي بتصادري إمكانية التغيير، حتى إنك تعملي تغيير إن يبقى فيه فرق بين نظام مبارك وبين النظام اللي بيحكم النهاردا بشكل واضح وأفضل، بتصادري حتى على أي فكر بيجي يناقش إمكانية التغيير دا وبالتالي خلاص. معتقدش في مصر إن فيه تغيير على المدى القريب بالعكس أنا شايقة إنه مكمل حبة حلوين زي ما بيقولوا.

ليلى سوفيف: مدرّسة متفرغة للرياضيات ومهتمة بالشأن العامّ

ليلى سوفيف، (مواليد 1956) أستاذة متفرغة في كلية العلوم قسم الرياضيات، هي أكاديمية معنية بالحريّة الأكاديمية، شاركت في تأسيس حركة "9 مارس" لاستقلال الجامعات المصرية. قبلها كانت معنية بالشأن العامّ، وشهدت محاولات تأسيس أولى جمعيات المجتمع المدني المعنية بحقوق الإنسان؛ "الجمعية المصرية لحقوق الإنسان".

في أوائل الثمانينيات تحوّلت إلى زوجة أحد ضحايا التعذيب، حين تعرّض زوجها أحمد سيف الإسلام لتعذيب خلال التحقيقات معه في اتهامه بالانتماء لتنظيم شيوعي مسلح. ليلى أم لثلاثة أكبرهم علاء الذي تعرفه بـ "المدوّن والنّاشط السياسي علاء عبد الفتاح"، ومنى وسناء سيف. نجلتها الصغرى؛ سناء خرجت من الحبس أواخر 2021، بينما يستمر علاء حبيساً على ذمة قضية لم يحاكم بها بعد، وأخرى صدر فيها حكم بسجنه خمس سنوات من محكمة أمن الدولة طوارئ في 2021، جرى التصديق عليه لبدأ تنفيذه في شباط/فبراير 2022.

في هذه الشهادة التي سجلتها عالية مرسى، في تاريخ 4 و5 شباط/فبراير 2021، تتحدّث ليلى عن أول تظاهرة شاركت بها في 1972، حين كانت طالبة في التعليم الثانوي. وعن تظاهرات 1977، ونشاط أعضاء هيئة التدريس خلال الثمانينيات، والحراك السياسي الممتد لعقدين حتى ثورة 2011، وما بعدها. كما تتضمن هذه الشهادة إعادة تقييم ذاتية لمواقفها.

"بتاعة رياضيات"

أنا ليلى سوفيف، سني 64 سنة. حاليًا، ومنذ الأزل، يعمل في قسم رياضيات كلية العلوم جامعة القاهرة، أنا ما يسمى بـ "مدرّس متفرغ"، اللي هو مدرّس تخطي الستين. دا التعريف الأساسي، "بتاعة رياضيات"، ليّ أنشطة واهتمامات عامة، هي السبب إن الناس تهتم

بيا. أنا عند نفسي أساسًا مدرّسة رياضيات وباحثة في مجال الرياضيات.

والدي ووالدتي الاثنين كانوا أساتذة جامعة. الدكتورة فاطمة موسى، كانت أستاذة في قسم الإنجليزي، كلية الآداب جامعة القاهرة. الدكتور مصطفى سوفيف¹ كان أستاذ في قسم علم النفس، هو بدأ في قسم الفلسفة ثم انفصل عنه لمّا أسس قسم مستقل هو "علم النفس" في كلية الآداب جامعة القاهرة. هما الاثنين كانوا من نوابغ جيلهم، بشهادة الجميع. بالتالي كان دا بيحط ضغط على الواحد شوية. هما كانوا بيقدسوا التفوق والنبوغ العلمي والأكاديمي، وكان بالنسبة لهم قيمة رئيسية جدًا، تفوق تمامًا أي قيمة، وبالتالي كان بدرجة ما بيتنقل للواحد إحساس بالمسؤولية بالنسبة للدراسة بالذات، ومن حسن حظي نبت من وأنا صغيرة في مجال الرياضيات، مكنتش ليّ فيها يد، أنا لقيت نفسي بحل مسائل الرياضة بسهولة شديدة وبسّمتع بيها، ومبحسش خالص إن دا شغل. من حسن حظي برضو إن اتساع أفق ومعرفة أهلي خلاني فعلاً أتوجه لدراسة هذا المجال. أنا فاكرة وأنا في خامسة ابتدائي، أو حاجة كده، قلت لوالدي موضوع إنّي لمّا بقعد احل مسائل رياضة مش بحس إنّي بشتغل. بحس إنّي بلعب، هو قال لي: "إنّتي المفروض تدخل في كلية العلوم قسم رياضة"، حتى قال: "رياضة بحتة"، وأنا عجبتي كلمة "رياضة بحتة"، حسيت إن مش هعمل أي حاجة في حياتي غير رياضة. منذ ذلك التاريخ قعد في دماغي إنّي هادخل كلية العلوم قسم الرياضة، وفيه "بحتة" جوه القسم نفسه دي لصقت في دماغي. دا بالذات كان قرار في محله تمامًا، عمري ما ندمت عليه.

قعدت طول عمري استمتع، كانت فوائده متعددة، أولًا المجال نفسه ممتع جدًا، ثانيًا مجال المشاكل بتاعته إيه اللي صبح وإيه اللي غلط، والأفلام اللي فيه أقل من أي مجال ثاني. محدش بيتدخل في اللي إنتي بتعمليه، وثالثًا لمّا كبرت واشتغلت في مجال الرياضيات، واطلعت على تاريخ الرياضيات، فتح لي عالم غني قوي. كان فيه ميزة بالنسبة ليّ شخصية، إنّي لاقيت المجال اللي فيه ليلى سوفيف مش بنت مصطفى سوفيف وفاطمة موسى.

السياسة ممنوعة قدام الأطفال

الهزيمة كانت النقطة الأولى في وعيي بالمجال العامّ، كان عندي 11 سنة، ومع أهل زي دول فيه وعي بالمجال العامّ في كل الأحوال، بس مكنتش مهتمة أو كنت مهتمة

1 فاطمة موسى: هي أكاديمية ومبرجمة وباحدة في الادب الإنجليزي لها العديد من المؤلفات النقدية والبرامج الادبية

2 مصطفى سوفيف: أساتذ علم النفس في جامعة القاهرة. وله العديد من المؤلفات في علم النفس ومؤسس أكاديميه الفنون في القاهرة

على خفيف، غير إن الناس في مصر وقتها كانت حذرة بتكلم عن إيه قدام الأطفال، لأنه كان في مناخ شمولي شديد الوطأة. بالتالي الناس مكنتش بتغامر إنها تتكلم قدام الأطفال، ويروحوا يقولوا كلمتين يوصلوا في حنة، دا مكنش قصدنا في السياسة الداخلية، ربما كانوا بتكلموا في حاجات ثانية مكنش بينهم وبين النظام خلاف فيها، زي حرب فيتنام، كل موقف النظام الناصري كان تأييد حركات التحرر، دا كان موقف أهلي مشاركين فيه، وكان طبيعي إنني طالعة معتبراه موقف طبيعي. خلفة ربنا إنك تبقى متعاطفة مع ثوار الجزائر، وثورا فيتنام، وثورا كوبا، كانت بالنسبة لي الحاجة العادية. لما حصلت هزيمة 1967 أولًا هذا الجدار اتكسر، الناس كانت بتكلم، وكمان أنا بالنسبة لي الغصة بتاعة الهزيمة، وشكل عبد الناصر في التلفزيون، وخطاب تسعة يونيو، شكله في الخطاب دا، وشكله وكلامه اللي كله تحدي لما كان بيهاجم إيدن³ في خطاب ثاني، أنا شخصياً أكاد أجزم إن شعره شاب، بلا شك دا خلاني أهتم، بدأت من هذا الوقت أتابع، أقرأ الجرايد، أنشط باهتمام لأي حديث حوالين هذه الأمور.

لما جات مظاهرات الطلبة، بصيت من شباك بيتنا وشوفتها وكنت متحمسة جداً، ومنقول لي تماماً الغضب اللي أنا شيفاه قدامي في الشارع. كمان بدأت أسمع حكايات أختي، أهداف سويف⁴، عن الزملاء اللي بيتظاهروا، مش فاكهة قوي إن هي نفسها كانت شاركت، هي كانت في أولى جامعة، وعموماً أهلي كانوا بيخافوا علينا. لكن بدأت أسمع عن حكاوي الجامعة والمشاركات، برضو تابعت 1969 بنفس الطريقة. المظاهرات اللي كانت في يناير 1972 الوضع اختلف، لأن عقبال لما وصلنا لينابر 1972، أنا كنت في مدرسة الأورمان الثانوية بنات، جنب الجامعة. بالتالي الحقيقة كُنا بنروح نبص على الجامعة وإحنا خارجين من المدرسة. كان فيه اعتصام وقعد مدة طويلة، مكنش مظاهرات يوم وخلصنا. كُنا بنروح نبص على الجامعة ونشوف اللفظ المعلقة، والشعارات. تابعت إنه حصل فضّ للاعتصام بقوة، انفجرت المظاهرات، وعدت على مدرستي. خرجت من المدرسة مشيت مع المظاهرات، روحت ميدان التحرير، دي كانت أول مشاركة لي في مظاهرة، في التحرير برضو. كان وقتها يناير 1972.

دخلت الجامعة سنة 1973؛ في عز انتهاء أحداث الحركة الطلابية، اللي بدأت عملياً من 1968، بعد هزيمة 1967 من مظاهرات الطيران، وكانت احتجاجاً على أحكام الطيران. فاكهة إنني اتفرجت على المظاهرات من شباك بيتنا وهي معديّة في شارع 26 يوليو.

لما روحت الجامعة كانت حرب أكتوبر تمت خلاص، وبالتالي كانت خلاص الحركة الطلابية، لأنها كلها كانت قائمة على الغضب باستمرار، احتلال سيناء واستمرار الإحساس بالهوان عشان الهزيمة، وشكله مش ناوي يحارب وناوي يصاحب أمريكا. الغضب من العمليات اللي بدأها السادات لقلب كل التوجه بتاع التحرر ومعاداة الإمبريالية، وبعد لما قامت حرب أكتوبر هذا الغضب طبعاً نزل جامد. الحركة الطلابية كانت ما هياش هذا الزخم الجماهيري الجامد، أصبحت الحاجة اللي هي الحقيقة أنا عشتها بعد كده لحد أوقات كثيرة، هي مجموعات من الطلاب لهم توجهات فكرية معينة، معارضين للنظام، معارضين للتوجه اللي بيعمله أنور السادات، معارضين لاتفاقيات السلام، معارضين يتوزعوا ما بين الاشتراكي والناصري. وقت لما دخلت في 1973 كانوا هما الاشتراكيين والناصريين. كانت بدأت تظهر التيارات الإسلامية على خفيف، وكانت النظرة العامة، والواقع الحقيقة، إنها قريبة من الإدارة، مكنتش التيارات دي تعتبر في 1973 من المعارضة خالص، دا تقريباً كان الوضع لما دخلت.

أفكاري في هذا الوقت بوضوح اشتراكية، بالتالي صفتاتي السياسية، أنا كنت داخلية بكذا أجندة. أجندة إنني أبقى عالمة رياضيات متميزة، وأجندة إنني انضم للحركة الطلابية عملوا لي تنوع لطيف في الحياة، خلوا سنوات الجامعة بالنسبة لي من أسعد السنوات اللي أنا عشتها.

أنا ورثت تركيبة بتاعة أهلي، عن إن التنظيمات دي فيها مشاكل. ثانياً الحدث اللي بعد 1967 على طول، اللي هزني جامد، كان الغزو السوفييتي لسلوفاكيا سنة 1968. مكنش من أهلي بس، كان الدنيا للي حولي. كان عندي هزيمة 1967 والغزو السوفييتي لسلوفاكيا، والمعسكر الاشتراكي، إحنا الجيل اللي تابع حرب فيتنام، وبالتالي مكنش هيضحك علينا إن أمريكا حلوة خالص، هذا لم يكن مطروحاً، إحنا كُنا بنتفرج على التابلوم وعلى المصائب بتاعة الليبرالية الأمريكية في أقصى صورها، أو في أبشع صورها. دا كان مخيلني عندي تحفظ شديد في مسألة الأحزاب أو التنظيمات، وفي الفترة دي كانت صداقتي بأعضاء التنظيمات الثلاثة وسط الحركة الطلابية تخيلني أبقى شيفاهم، وفي نفس الوقت شايفة المشاكل على مواضيع شيفاهها عجيبة جداً. ويبدو أنني حظي كويس إن أقرب مجموعة لي في الصداقات وفي الفكر، اللي هي تُسمى بـ "مجموعة المطرقة"، مكنوش بيهتموا قوي بعملية التجنيد للتنظيم، كان اهتمامهم أكثر بتوسيع القاعدة الجماهيرية. كانوا مهتمين أكثر إن الناس تيجي معاهم في نادي الفكر الاشتراكي. بالتالي محطوش مجهود معايا عشان أبقى عضوة في التنظيم.

3 أنطوني إيدن، رئيس وزراء بريطانيا.

4 أهداف سوف أدبيه مصرية (1950).

ما جرى في 17 يناير ليلاً

عين شمس استجابوا وقالوا هنعمل مؤتمر عن الأسعار، المؤتمر اتمنع، والناس بتقول لهم مظاهرة، طلعلوا مظاهرة، عشان أبقي منصبة مش كل الحركة الطلابية. إنما في جامعة القاهرة، فكرة كويس، إنني روجت لقيت كل حاجة مجلات الحائط والبوسترات خاصة بـ"فصل القوات" الثانية، وأنا لسه بتناقش مع الناس إن كده مش معقول، ومينفعش متكلمش، ومش أنا بس وكذا حد غيري، أنا بس يحكي اللي حصل معايا. جات لنا الأخبار إن الناس في التحرير، وطلعلنا تلحقهم. طلعلنا مظاهرة لعينا بيها الثول بين السرايات ولمت عدد ضخم، في الآخر لحقنا نفسنا ولحقنا الناس. قضيت اليومين في التظاهر. وفي اليومين دول الشرطة اختفت، السلطة تلاشت.

الناس في غضب وكانت مستعدة تعمل أي حاجة، لحد لما السادات تراجع عن القرار وأعلن حظر التجول. لكن التراجع مش خوف من الناس.

قيل وقتها عن قيادة الجيش إنها رفضت نزول القوات إلا بعد إعلان التراجع عن القرارات، وقد كان وتمّ التراجع والجيش نزل يفرض حظر التجول، كان زي أي حظر تجول عشاناه؛ حظر التجول في الشوارع الرئيسية، لكن تتمشى في الشارع الجانبى كانت الدنيا لا حظر ولا حاجة، دي كانت 1977.

قفلوا الجامعة إجازة فترة، إجازة نصف السنة وقتها، لما رجعنا الدراسة، كانت بدأت الهجمة والقبضة على اليساريين، تقريباً كان كل أصحابي مقبوض عليهم. أنا من القلائل جداً اللي من الأصدقاء مش مقبوض عليّ، ولا كان مطلوب القبض عليّ. هو الحقيقة لما شوفت أوراق القضية اللي اتعملت لهم بعد كده لاقيت البني آدم اللي هو كان مخبر وكان قاعد طول الوقت على كافيتريا "سياسة واقتصاد"، واللي شهد عليه الجميع، مش جايب سيرتي، ودا من مميزات إن الواحد يكون طالب شاطر في المحاضرات مش قاعدة معاهم على الكافيتريا، أو مخدش باله مني. الرياضيات أنقذتني الحقيقة، لأن أنا كنت بحضر محاضراتي، والكافيتريا دي كانت بالنسبة ليّ تعديّة، بالمناسبة المخبر مخدش باله. مني سيف دائماً تقول من يوم ما بدأت اللعنة بتاعة أنا برّ السجّ وأصحابي جوّه في السجّ، أجري وراهم بقى، وشوف مين محتاج إيه، لعنة أبدية عاشت معنا دائماً، أنا دائماً اللي برّ وفي حد جوّه بحري وراه.

بعد يناير 1977، تفرجت وتعينت في الجامعة. برضو استمررت في الاهتمام بالشأن العام. كان عندنا كذا نشاط الحقيقة. يمكن دا كان محطة مهمة بالنسبة لي، مسألة أعضاء هيئة التدريس بتاعة جامعة القاهرة. في الفترة

جامعة القاهرة تحديداً كانت منشغلة جداً بمسألة مفاوضات فضّ الاشتباك الثانية. الحركة الطلابية كلها كانت مشغولة، عموماً الطلاب مكنوش مشغولين بدا عشان نبقي واضحين، أنا وقتها كنت في سنة رابعة في الكلية، كنت عضوة في نادي الفكر الاشتراكي وكنت بتواجد في الفعاليات كلها، كنت شايفة حجم قطيع من الصراعات بين المجموعات المختلفة. أولاً كان فيه الناصريين من جانب، وكان فيه صراعات ما بين الناصريين والاشتراكيين. وجوّه الاشتراكيين، كان فيه صراعات ما بين التنظيمين اللي كانوا أكبر جوّه الجامعة "8 يناير"، وحزب "العمال الشيوعي". بتعمل فاعليات مع بعض بدرجة ما. وفي نوفمبر 1976، اتعمل مؤتمر كبير في حقوق القاهرة، شاركوا في عماليه كل هذه المجموعات، الناصريين وكل المجموعات اليسارية. طبعاً خلفاتهم كانت باينة، لكن عملوا المؤتمر، وبعد المؤتمر عملوا مسيرة كانت كبيرة، مسيرة طلابية كانت بتطرح شعارات مش بس حول القضية الوطنية، لكن كانت بتطرح شعارات اللي ترددت بعد كده في يناير 1977، كان أغلبها متآلف زي "سيد بيه يا سيد بيه كيلو اللحمة بقى بجنه"، أيام لما كان بجنه. "سيد بيه يا سيد بيه، فرد الحزمة بقى بجنه"، لأن زوج الجزم كان ياتنين جنه. هذه الشعارات كان أغلبها متآلف في هذه المسيرة، وغالباً أغلبها كان مآلفه كمال خليل⁵، دي كانت الخلفية.

مظاهرات 18 و19 يناير 1977، الحقيقة دائماً أنا بأكد على دا، المظاهرات بدأت من يوم 17 بليل مش من يوم 18، أنا شوفت دا بعيني مش حد بيقول لي. لأن كان ليّ قريبة ساكنة آخر المعادي قرب حلوان، وكنت أنا وحية من الأصدقاء -أو يمكن أنا وعلاء أخويا- رايعين بالعربية نوصلها، وشوفنا بداية المظاهرات في حلوان بليل. قرارات رفع الأسعار كانت صدرت والناس فوجئت بيها. تبقى الناس واقفة في طوابير الجمعيات، وفي طوابير العيش، وجات عليها هذه القرارات، دي كانت البداية فعلاً. الناس كانت بالفعل تجمهرت وكان جاهزة بالطوابير. فاكدة كويس إنني رجعت البيت وحكيت لوالدي، وقال لي: "دي حكومة مجنونة وتلعب بالنار والوضع هينفجر". ثاني يوم روجت الجامعة شوفت البوسترات والحاجات المحطوبة الخاصة باتفاقيات فضّ الاشتباك الثانية ومفيش حاجة خاصة بالأسعار، دا كان بالنسبة ليّ صدمة مريّة. ودا حصل في جامعة القاهرة ومحصلش في كل حتة، جامعة

5 مفاوضات جرت في جنيف بين مصر وإسرائيل، انتهت بتوقيعها اتفاقاً في 1975 يفيد بأن النزاع لن يحل بالقوة، بل بالوسائل السلمية.

6 مهندس وناسط عمالي يساري.

دي نوادي هيئة التدريس جميعًا، وقت لَمَّا تعينت معيدة، يسيطر عليها مجال إدارات حكومية الهوى تمامًا بتخفقها خالص. كانت مخطياها فعلًا نوادي بالمعنى الضيق جدًا؛ رحلات وتأجير قاعة للأفراح. ذا الوضع اللي طلعت لقيت إنه الوضع الطبيعي بتاع نوادي هيئة التدريس. سواء كنت طالبة أو قبل كده، كنت بشوف النادي عشان أهلي كانوا أعضاء هيئة تدريس، في حدود وعي هو كان كده.

أكاديمية مهتمة بالوضع العام

سنة لَمَّا تعينت معيدة، بدأت حركة في نادي هيئة تدريس الإسكندرية، نجحت مجموعة إنها تعيّر الوضع شوية. بعدين بدأت حاجة في نادي هيئة تدريس المنصورة. عندنا في جامعة القاهرة بدأنا، بالصدفة زميل لنا في القسم، أو أستاذنا، حب يترشح في الانتخابات. هو كان فيه انتخابات نظريًا يعني، بس كانت حاجة بتحصل ومحدث بيسمع عنها. راح يسأل، وقالوا له: "دا باب الترشيح قفل من زمان". اتكلم معنا، وروحنا معاه، ودا كان مارس 1978، لقينا وضع مضحك للغاية، مجلس الإدارة 25 فرد، والجمعية العمومية 25. الموضوع مضحك وادينا قاعدين وبتتعرف، واللي خلانا نعرف بعض بدون أي مناسبة رئيس مجلس إدارة النادي وقتها قال إن "إحنا عايزين نبعت برقية لتأييد الرئيس السادات بمناسبة زيارة القدس، ومبادرة السلام"، ومن غير سابق معرفة، الجمعية العمومية 25 فرد قالوا له لا، في الآخر قلنا رد الفعل في الحاجات غير المتوقعة بيبقى مربك بالنسبة لهم، بدأ يقول: "طب أنا هبعت بصفتي"، قلنا له: "منكبتش رئيس مجلس إدارة أعضاء هيئة التدريس، عايز تبعت بشخصك أبعث له دكتور فلان الفلاني الأستاذ بكلية العلوم براحتك يعني"، وبدأ كذا حد يقاوح ويقول كلام على إنهم بتوع مجلس الإدارة بتوع هيئة التدريس بتؤيد الرئيس السادات، فقلنا كويس أعملوا مؤتمر لأعضاء هيئة التدريس لمناقشة الموضوع ولو المؤتمر يؤيد من عينا ابعثوا اللي يعجبكم، وعند هذه النقطة واحد من أعضاء مجلس الإدارة مُحك أكثر بكثير قال: "آه إن شاء الله دي فكرة كويسة قوي" وقفل الموضوع وهنشوف إزاي فعلًا نعمل مؤتمر، بس إحنا كُنا عرفنا بعض. اتعرفت يومها على الناس اللي بقت بعد كده عصب أكثر من حركة، بالذات حركة دعم الانتفاضة في وسط أعضاء هيئة التدريس، وبرضو لجان الحرية اللي كُنا بنعملها عشان الطلبة والزلاء اللي بيتقبض عليهم. ثم جزء منهم مش قليل، مع ناس ثانية، جات علينا حركة "9 مارس". دي كانت بداية نشاطي كعضوة هيئة تدريس مهتمة بالنشاط العام، اليوم اللطيف دا.

كانت بداية يبقى فيه مجموعة أساسية في جامعة القاهرة

فيها سيد البحراوي، أمينة الرشيد، ليلي سويف، أحمد الأهواني، هاني الحسيني، عواطف عبد الرحمن وزملاء، تانيين بس بعد كده سافروا أو فقدناهم. الأنشطة اللي عملناها تنوعت وإحنا الحاجة اللي عملناها مباشرة بعد هذا الاجتماع، إننا بدأنا نعمل ملتقى أسبوعي في النادي، وبعد شوية خلنا لقاء ثقافي، كُنا بنسميه "لقاء الأربعا"، كان شوية ينحضر مع مجلس إدارة النادي، هما كانوا يحاولوا يخلونا متعدهش، ويقولوا لنا الاجتماع ممنوع من غير إذن. اخدنا لنا وقت؛ مجلس إدارة النادي بعت حد الأول، وبعدين فقدوا الأمل وزهقوا وسبوننا في حالنا. النول كان يحي حد يقول لنا دا اجتماع، أستاذنا في الرياضيات الدكتور محمد عامر يقوله: "قول تعريف الاجتماع" يرد: "أكثر من خمسة يبقى اجتماع"، دكتور عامر يقول له: "يعني لو أنا قاعد مع مراتي وأخواتها يبقى اجتماع!" يضطر الطرف الآخر، لأنه زميلك في الكلية وفي الجامعة، يقول له: "معلش يا دكتور محمد فتعملش معانا كده". ما بين المسايسة والعند والإصرار انتزعنا حقنا إننا نقعد نعمل ندوة أسبوعية بدون موافقات مسبقة جوة النادي. المجموعة دي بعد كده وصلت إنها أطاحت، بعد سنين، بمجلس إدارة النادي وخلت الانتخابات في النادي تتعمل كويس ومظبوط.

أول انتخابات خضناها كمجموعة كانت 1981، وخسرناها، والمجموعة الحكومية هي اللي كسبت. أول انتخابات نجحنا نطيح فيها بالمجموعة الحكومية ونجحنا أصلًا إن إحنا نمسك أساليب التزوير بتاعتهم كانت 1984. الانتخابات التالية على طول، 1986، تجديد الثلاثين، "الإخوان" اكتسحوا وظلوا، وفضل على طول الانتخابات تتعمل مظبوط وبأمانة، فضلوا همّا يجيبوا ثلاثين الأصوات. ولَمَّا إحنا نقرر ننزل، ننافسهم، وبعد شوية زهقنا أو الناس زهقت، كانوا هما يجيبوا الثلاثين وإحنا بنجيب الثلاث تقريبًا. مكش فيه مرشحين حكوميين، كان فيه ناس حكوميين ممكن يتلزقوا فينا أو في "الإخوان"، لكن مرشحين حكوميين هذا لم يكن. كان فيه معارك كثيرة، سواء معارك خضناها في التعامل غير المريح، لكن هو تحالف حوالين مراتيات هيئة تدريس، بين الزلاء اللي بيتقبض عليهم، حوالين الطلاب اللي بيتقبض عليهم، أو معارك خضناها ضد بعض.

كان فيه الغزو الإسرائيلي الأول لجنوب لبنان، وبالتالي كان فيه طول الوقت شغل على التضامن مع الفلسطينيين، ومع لبنان. كان فيه لجنة خاصة بأعضاء هيئة التدريس كُنا عملناها، وكان فيه شغل بيتعمل مع الأحزاب المختلفة. كان فيه حركة مناهضة التطبيع، اللي بدأت بعد اتفاقيات كامب ديفيد، حركة مناهضة التطبيع، ولجنة الدفاع عن الثقافة القومية اللي كان محتضنها لجنة بحزب التجمع. عندنا الحملة بتاعة سبتمبر لَمَّا السادات طربقها على دماغ

الكل. كان فيه تحركات للتضامن مع الناس المقبوض عليها في سبتمبر 1981.

طول الفترة لحد الألفينات كان الطبيعي أن تكون الأنشطة السياسية، حتى المستقلة منها، إما تتعمل في إطار نقابي، نادي هيئة أعضاء التدريس أو نادي نقابة الأطباء أو نقابة المهندسين، إما تتعمل تحت مظلة أحد الأحزاب.

دا كان الوضع خلال فترة الثمانينات والتسعينات. فكرة إنك تتعمل حاجة مستقلة خالص بحد دي بتاعة الألفينات، العادي كُنا بنشتغل سواء في دعم الانتفاضة، أو في دعم عمال الحديد والصلب، أو في دعم الطلاب، أو اللي كان بيشتغل في دعمنا إحنا كأعضاء هيئة التدريس عايزين نعمل انتخابات نظيفة في نوادينا، أو عايزين نعلّي مرتبتنا، كل دا كان إما يتعمل في الإطار النقابي نفسه، وإما يتعمل في إطار الأحزاب، والإطار دا كان بيقى فيه شخصيات مستقلة كثيرة وتبقى اللجان المقروض مستقلة، لكن كان لازم تكون متبنيه [الأحزاب] ونستخدم مقراتها.

اتعرفنا على دكتور محمد أبو الغار في إطار الحملة لمساندة حرية الفكر والتعبير اللي بدأت لحسم الدكتور نصر حامد أبو زيد، كمجموعة كان لها أنشطة متعددة ومختلفة. وبعد كده في 2003 انتبقت فكرة حركة تدعم استقلال الجامعات عن كله، عن التدخلات بتاعة الدولة، وعن التدخلات الفكرية؛ "حركة 9 مارس".

زوجة أحد ضحايا التعذيب

أنا تزوجت أحمد سيف عقب تخرجي في 1978 ودا غير ترتيب حياتي، لكن طبعا الحدث الأكبر كان القبض عليه في 1983 وتعرضه للتعذيب. اتقبض عليه مع مجموعة وأنهموا بتنظيم شيوعي مسلح وتعرضوا لتعذيب شديد. كانت أول مواجهة لي مباشرة، كأهل ضحية من ضحايا انتهاكات حقوق الإنسان، قبلها كنت مهتمة، إحنا الاثنين [تقصد هي وأحمد سيف] كُنا مهتمين بموضوع حقوق الإنسان، ولما تأسست الجمعية المصرية لحقوق الإنسان كُنا دخلنا كمؤسسين، وعاصرنا مشاكلها.

أحمد سيف والمجموعة المتهمه بتنظيم شيوعي مسلح اعتقلوا، والتعذيب كان شديد جداً، بس الفترة قصيرة. بعد لما خدوا المعلومات اللي هما عايزنها والاعترافات، نزلوهم النيابة، وتقريباً توقف التعذيب ووقتها كان سجن القلعة، مكتتش متحف كان لسه سجن، بعد شوية نقلوا ليमान طرة وبقى وضعهم طبيعي، وبعد شوية أفرج عنهم، نظام وقتها إن إحنا كُنا بنقدم تظلم حبس، وتعرضي على القاضي وبعدين القاضي لو أمر بالإفراج "الداخلية" من حقها تعترض، وتعرضي على قاضي ثاني

كمان مرة بعد 15 يوم، لو الأمر بالإفراج يبقى الموضوع كده المقروض يخلص.

كانت "الداخلية" عادةً تطلع قرار اعتقال بعد رفض قرار الحبس، دا برضو تتعرضي على قاضي بس بعد 30 يوم، لكن من حقها برضو تعترض خلال 15 يوم، كان في لقة بتاعة 70 يوم، لو اخدتي فيهم أربع إفراجات، من أربع قضية مختلفين، بتطليعي، اللي هو أحسن من الوضع اللي إحنا فيه دلوقتي بكثير. الحقيقة إن الناس كانت بتحبط، لكن إحنا كُنا من أوائل الناس مشيوا وناهدوا، وكان حظنا حلو لأن مكش سهل أوله إنك تاخدي الإفراج الأول بكفالة. وكُنا من الناس القليلة اللي كملت لحد الإفراج الرابع. مكناش عارفين إنهم هيطلعوا مع الإفراج الرابع، كان كل حد يقول لنا عمرهم ما هيطلعوهم، وهيفضلوا يطلعوا قرارات، إحنا كُنا بنناهد في القرار دا. طلع إن الإفراج الرابع بيطلع، يبدو إن القضية كانوا بيزعلوا لو تجاهلتهم أكثر من كده، معرفش التوازنات. إحنا بالنسبة لنا كُنا بنناهد، وفكرة كويس أني مرة بتكلم مع ظابط بوليس كان صديق زملاء، وكان صديق شخصي من الطفولة وبالتالي كان بيتكلم معاي على أساس إننا أصحاب مش ظابط بوليس، وبيقول لي "أنتوا بتعملوا تظلمات ومحدث هيطلعهم". فاكدة يومها هرجت وقلت له يا أخى بنفسحك وراء العيال، يخرجوا ويروحوا ويجوا في المحكمة. إحنا مكناش متصورين إنهم هيطلعوا، بس طلع كل لَمّا تصيري وتعملي لحد الإفراج الرابع بيطلعوا. العملية دي اخدت لها كذا شهر، أنا مش فاكدة التواريخ بالظبط، بس اخدت لها وقت عقبال لَمّا وصلنا لهذه المرحلة، وأفرج عنهم فعلاً. بعد فترة أحيلا للمحاكمة وهما مفرج عنهم، وبدأت خطوات محاكمتهم. والمحامي الاستاذ عصمت سيف الدولة لقي غلطة جوهرية في الإجراءات في قرار الإحالة، والقاضي شطب القضية. كان بيحصل إن القاضي يشطب القضية عشان فيها غلطة في الإجراءات. الموضوع دا له أهمية لأنه في اللحظة دي أنا لَمّا شطبت القضية، تصورنا إنها خلصت على كده، كان وقتها لها أهمية شخصية بالنسبة لي، لأنني وقتها كنت بعمل الدكتوراه، والمنحة دي مكش حد في القسم تنطبق عليه شروطها غيري، وأنا قبل كده كنت مترددة إنني اخدها عشان سيف. لَمّا القضية اتشطبت اتكلمت مع سيف، وقال لي خدي المنحة. روجت لرئيس القسم وقلت له إن أنا هاخذ المنحة، يومها رئيس القسم الدكتور عطية عاشور، الله يرحمه كان أستاذ عظيم، قال لي نصاً: "المنحة دي مفيش حد في القسم ينطبق شروطها عليه غيرك، يعني ملكيش احتياطي، لو إنتي مش هتديها أنا هوديها جامعة ثانية حد يستفيد بها، لو إنتي اخديتها ثم تراجعتي هاتروح... لو جوزك جه

اتقبض عليه بعد شهر هانتراجي؟" قلت له ما هو مش شغل عيال، طالما قلت هاخذ المنحة هاخذها وهسافر، وقد كان. اخذت المنحة وهو اتقبض عليه، بقت السكرتيرة تقول دكتور عاشور فؤل على الراجل، بس أنا كنت اتورطت خلاص. من حسن الحظ إنني كنت اتورطت، ولأ يمكن مكنتش خلصت الدكتوراه دي أبداً. سافرت وسيف يتحاكم، هما صلحوا الغلطة الإجرائية، وعادوا القضية وقبضوا عليهم. القاضي خرجهم بسرعة بعد فترة بسيطة، يتحاكموا وهما بره. أنا لما سافرت كان سيف يتحاكم، لكن مكنتش محبوس. سافرت أعمل الدكتوراه، كان وقتها معايا علاء سيف [عبد الفتاح]، مكنتش معايا منى. هي المنحة حاجة ببسموها تسافري وترجعني، كانت مشروع مشترك ما بين جامعة القاهرة والجامعة الفرنسية. سافرت ست شهور، وبعدين رجعت وكان سيف اتحكم عليه، قضيت معاه شهر وحملت في منى، ودا كان عمداً، وبعدين هو راح سلم نفسه. أنا كملت السنة، وبعدين سافرت ثاني سنة ونصف على بعضها، لأن السنة اللي قعدتها في مصر مكنتش اشتغلت خالص، أستاذتي الفرنسية أصرت إن باقي الفترة اخدها على بعضها مقطعتهاش، واحاول اخلص فيها شغلي، وقد كان.

عشنا زمن بتاع أحداث كبرى كثيرة، سقوط سور برلين، الانتفاضة الفلسطينية الأولى بالذات، والانتفاضات الفلسطينية المتتالية. عشنا أزمنة تغيرت فيها كل الديناميكيات بتاعة العالم، اخذت أشكال ثانية خالص عن اللي بدأنا معاه. كل دا كان مؤثر، بس دا عايز اجتماع مش شهادة، عشان نقدر نديله حقه. في كل هذه الأحداث الضخمة اللي عادت علينا، أكبر الأحداث تأثيراً كان ثورة 2011 مهما كان اللي قبل واللي بعد. الثورة تظل هي أكبر حدث أثر في حياة كل المصريين، وربما كل العرب.

إعادة نظر

من ناحية تقييمي اللاحق للحياة؛ دلوقتي فيه مواقف أنا اخدتها وأنا واثقة، النهاردا مش واثقة. دا أقدر أتكلم عليه بالنسبة للحديث، لكن الحاجات القديمة مفكرش لأن الدنيا فانت عليها كثير. لكن المواقف الحديثة طول الوقت فيه جدل متجدد، والواحد بيكون في باله هو يفكر في إيه بالظبط وإيه اللي جرى. في ما يتعلق بالمواقف اللي هي بعد الثورة، أنا في ثلاث مواقف أقدر أقول إنها الحقيقة نسميها الحالة الجدلية اللي عليها خلاف على أي حال ما بين الناس وبعضها. أنا أخذت فيهم مواقف معينة، والنهاردا مبقولش إنهم كانوا غلط، لكن كمان مقدرش أقول بالثقة بتاعة وقتها إنها كانت مواقف صح. أول حاجة إنني في الاستفتاء الشهير بتاع الدستور أولاً ولأ

الانتخابات أولاً، أنا من اللي مش إسلاميين القلائل جداً اللي كانوا مع الانتخابات أولاً. وجهة نظري وقتها كانت بسيطة جداً إنني كنت شايقة إن الانتخابات أولاً هي أقصر طريق للتخلص من المجلس العسكري، وبالتالي الحكم العسكري، مكنتش لا قادرة ولا راضية أحسب حسبة ثانية. وبالتالي كنت خارجة بشدة عن شبه الإجماع بتاع القوى المدنية في الموضوع دا. لحد النهاردا معرفش إذا كان صح ولا غلط، ناس كثيرة جداً، واللي احترمهم جداً، اخدوا الموقف الثاني وشافوا إن دا الأهم وبغض النظر لغاية النهاردا معرفش دا كان صح ولا غلط. لكن يعزيني في هذا إنه مكنتش موقف مؤثر، وميفرقش كثير إن دا صح ولأ غلط، ودا على نفسي. ثاني موقف برضو كان جدلي إنني من اللي دعوا لما وصلنا للانتخابات الإعادة بين أحمد شفيق ومحمد مرسي، كنت من اللي دعوا بشدة لانتخاب مرسي، ودا بقى كان موقف مؤثر وبالتالي نفسي أعرف هو كان صح ولأ غلط، عارفة كويس إنه فرق جداً، وعارفين تماماً إن شفيق اللي كان هيكسب لو الأصوات اللي راحت لمرسي قاطعت الانتخابات. كانت واضحة. بالتالي كان موقف مؤثر، أنا لا زلت ميالة إن دا يمكن كان موقف صح رغم كل اللي جرى بعد كده. لكن مقدرش أقول بجزم بعد كده، أنا وقتها لما كنت متأكدة إن مفيش أسوأ من إننا إحنا نرجع النظام القديم، لكن طلع إن فيه أسوأ من إننا نرجع النظام القديم بعد ما يكون ليخنا شوية، طلع إن دا أسوأ بكثير. كنت مدركة مشاكل "الإخوان المسلمين" إن هما اللي يبقوا مسيطرين، لكن كنت متصورة عمومًا دا من بدري، من أول ما بدأت 2011، وبدأت الأسئلة طول الوقت حوالين طيب "الإخوان" اللي هيوصلوا للسلطة، أقصى كواييسي إن الإخوان يعملوا في مصر زي ما الخميني عمل في إيران، إن هو عمليات إصلاحية، لكن أولاً يصفوا النظام القديم، يفضلوا مشاركين مع رفاق الثورة لحد لما يصفوا النظام القديم، ولحد لما نعمل عمليات إصلاحية، وبعدين ينقلبوا على الثورة ماشي الحال. رفاق الثورة ذبحوا، لكن إيران شخصيًا مدبنتش، إيران شخصيًا تقدمت، وأصبح عندها مرحلة ثانية ومعركة ثانية تعملها عشان تتحرر من سلطة رجال الدين. عمري ما تخيلت إن الوضع اللي جرى، لا هنصلح مدرسة، ولا هنصلح قطر، ولا هنصلح عبادة، ولا هنصلح أي حاجة، ولا هنعمل أي حاجة. عمري ما تخيلت إنه أي حد سواء من الإخوان أو المدنيين يتخيل إنه يتحالف مع النظام القديم، وميقاش عارف إنه تصفية النظام القديم الأولوية، ألف باء ثورات أخلص من القديم، أي حد قرأ أو ذاكر أي حاجة عارف دا. أنا النهاردا معرفش هل لو كنت من اللي قطعوا كان يبقى أحسن، وهل لو كان دا الموقف اللي ساد، طبعا مكنتش هيبقى

حاجة كويسة إن شفيق يكسب، بس يمكن كُنا أو ربما الله العالم كُنا نبقى في وضع زي تونس، وضع ملق، وكل حد فيه يزق براحة، الله أعلم بالأمانة معرفش لحد دلوقتي. آخر موقف، موقف المشاركة في 30 يونيو، دا أنا شبه متأكدة إنه كان غلط، دلوقتي شبه متأكدة إنه كان شبه غلط. شاركت في 30 يونيو، المنطق بتاعي كان إنها حاصلة حاصلة، إن الجيش هيحاول يستولى على السلطة، وكنت متخيلة إنه مشاركة الناس اللي هي ضد الإخوان وضد الحكم العسكري، الاثنين، حاجة مهمة، وإنها تدي فرصة لتجسيم إمكانية الجيش يستولى على السلطة. كان عندي سوء تقدير شديد الحقيقة أو سوء تقدير لتمامك القوى اللي دخلت "جبهة الإنقاذ"، والقوى المدنية عموماً لتمامكها في مواجهة العسكر أو استعدادها للتحديات أو استعدادها حتى إنها تجهمهم. ومواقف القوى المدنية للأسف كانت غير كده خالص، المواقف ضد القمع والمذابح كانت إما مواقف هامشية، أو مواقف فردية زي مواقف الدكتور البرادعي. الحاجة الطبيعية لما تحصل مذبحة زي "رابعة"، يبقى الكل، وجبهة الإنقاذ، ضدها، اللي هي "جبهة الإنقاذ" وفي الوزارة يستقيلوا، لكن دا محصلش. أنا النهاردا أميل إن دا كان خطأ، وأميل إن الواحد يبعد عن الخناقة دي كلها.

من 2011 طرأت تغيرات، وخلينا في مصر لأن هي اللي أعرف تفاصيلها، والحاجات دي ما يتفعش الكلام فيها من غير تفاصيل، الشيطان في التفاصيل زي ما يقولوا. بالنسبة لمصر أولاً حاجة من أهم التغيرات اللي حصلت، إن مؤسستين كانت الناس بتحترمهم، اللي هما المؤسسة العسكرية ومؤسسة القضاء، فقدوا أي احترام تاماً الحقيقة، حتى عند مؤيدي النظام، بقوا النظرة ليهم بقت مؤسسات بتعمل بيها شغل، حتى مؤيدي النظام بيبصوا لها إنها مؤسسات بتعمل بها شغلانة إن إحنا تكسر دماغ الحيوانات اللي زي ليلى سوييف، أو إنتا ناخذ منهم سبوبة. فكرة إنها مؤسسة لها دلالة خاصة بها وواحدة بتعبّر عن العدالة والاستقلال، والثانية بتعبّر عن القضية الوطنية، الكلام دا راح خالص، دي حاجة مهمة. أنا رأيي إنها حاجة إيجابية وفي آخر مؤسستين دول إحنا كُنا عارفين من زمان جداً إنهم مؤسسات طبقية، ومضادة للنساء، كلنا عارفين دا كويس. الورق الرسمي اللي بيتقدم عشان نشغل وكيل نيابة، أو واحد يشتغل في مجلس الدولة، أو واحد يدخل الكلية الحربية، في ما يدل على وضعه الطبقي ودا من الورق الرسمي اللي بيتقدم. هي كمان مؤسسات ذكورية بامتياز، ودا من زمان مستجدش، وبالتالي الاحترام بتاعها كان مرتبط ببقايا أسطورة الوطنية المصرية التي تعلو فوق الطبقة والجنسية. خلينا نخلص

من الأساطير، خلينا نتكلم في الجد، ودا تغيير في رأيي مش بسيط وبيصعب المهام، كل مدى نتحط في أوضاع تبقى عملية الإصلاح اللي بالهواة وحتة حتة، من غير ما تدوسي على صوابع الناس، أصعب بكثير، دا قدرنا ومصيرنا. إن تلاقي نفسك خابطة في كل حاجة في نفس النفس، لأنه لما كانت الدنيا لسه فيها محدش عمل حاجة، لما كانت الدنيا لسه ينفع فيها إننا نحاول نصلح التعليم شوية، سبنا التعليم يتدهور. دورنا لأولادنا على مدارس خاصة، وسبنا مرتباتنا تتدهور، ودورنا على شغل في الخليج، إحنا سبنا كل حاجة تتعك لما كانت لسه فيها الرمي، دلوقتي مبقاش فيها الرمي، بقت الدنيا متطرفة. أنا تقيمي إن ثورة يناير في المجمل كشفت إن مصر ما يسمي بالدولة الفاشلة، بالمعنى التقني هي بس عشان هي مصر اللي عندها 7000 سنة حضارة، والكلام دا كله، وهي القصور الذاتي بتاعها ضخم جداً. وشكل الدول الفاشلة، مش زي الصومال، بس هي دولة فاشلة، متين ما تلتفتي مفيش جهاز شغال. الصحة خرابانة، التعليم خربان، الأمن خربان، كل حاجة خرابانة. أي حاجة عايزة تعملها بالالتفاف حوالين الأجهزة. حتى في أبسط الحاجات تقعد في مجلس القسم في الكلية، تقولي بلاش يا جماعة نكتب في اللائحة أسامي المواد عشان مش كل لما نعوز تدخل موضوع جديد نبقى مضطرين نقوت خلال بيروقراطية بتاع سنتين، نط اللي يعجبنا جواه. في أبسط الأمور الوعي العام هو كيف نتقابل سواء من أجل الخير أو الشر مش مهم على هذه الأجهزة الدولة الفاشلة لأن الدولة شغلها إنها تمشي الحاجات، لكن كمان شغلها إنها تمشي حال وتمشي شغل وتنظم، مش شغلها عموم المواطنين يحاولوا يدوروا حوالين ويشوفوا يروحوا فين. دا يمكن أكبر تغيير، والتغيير الثاني الكبير قوي إنه وعي الناس اتغير خالص، وبالذات الشباب. في رأيي لازم يلقي ثماره في مرحلة من المراحل. أصبح فيه وعي، الحاجات اللي كُنا بنشتغل عليها في التسعينات والألفينات بتاعة حقوق الإنسان، بتاعة المساواة وحرية الفكر وحرية التعبير. إحنا كُنا بنشتغل في دوائر ضيقة جداً ولان كلامنا وأفكارنا بتوصل لدوائر ضيقة جداً. يناير 2011 وسّع الدوائر دي، خلى هذه القضايا، مش بقول إنها قضايا تتبناها الأغلبية، لكن هي قضايا بيتناقشها الأغلبية، وتتباها أعداد بالملايين، دا مش حاجة بسيطة. بالنسبة لي أنا شخصياً يظل الفرق الرئيسي، الفرق بين إنك تبقي في حركة نطاقها محدود جداً، وبين إنك تبقي جزء من حركة جماهيرية، حتى لو حركة جماهيرية مهزومة بس هي حركة جماهيرية.

خليني أقول إنني شايقة إن سنة 2000 سنة فاصلة، ما

قبلها غير ما بعدها، في التسعينات كانت الأنشطة لازم تبقى في نطاق نقابي أو في إطار حزبي. بداية من 2000 وتحديداً من تجربة لجنة "دعم حرية الفكر والتعبير"، اللي تكونت حوالين قضية نصر حامد أبو زيد. تجربة "دعم الانتفاضة"، اللي تكونت سنة 2000. بدأنا مرحلة ثانية، مرحلة إحنا مجموعة من المواطنين عايزين نعمل، إحنا هننظم نفسنا مش هنستأذن الحكومة، مش هنتحاول نلاقى غطاء قانوني، فكرة انتزاع حق التنظيم المستقل عن طريق ممارسته، مش عن طريق إن لسه هنتناق، ولا تقدم طلب الجمعية ويعدين تقدم طلب في مجلس الدولة. أنا في رأيي دي كانت فكرة جوهريّة وعيقرية، وغيّرت تماماً الديناميك. خلاها متاحة كذا حاجة من ناحية وجود وانتشار وسائل الإنترنت، وبالتالي إمكانية إن الناس تتشاور وتتفق وتعمل حاجات من غير ما تضطر تفعد فعلياً في المكان. ولمان وجود مجموعة من منظمات المجتمع المدني، بالذات منظمات حقوق الإنسان، عندها استعداد إنها تتيح أماكنها لاجتماع مجموعات مهباش خاضعة لها بالمرّة. الحقيقة عن دا كان أوضح مكان اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة الفلسطينية، اللي هي فعلاً كانت، وإن يقى عندك تنظيم اسمه "اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة الفلسطينية" مستأذّش حد عشان يتعمل. في نفس الوقت هو فعّل، هو طبعا كان في تنظيمات سرية، لا هو مش سري، هو فعّل، هو بنقول لناس اللي عايز يجيب أكل عشان نودبه يجيبه في المكان القلاني، اللي عايز يكلمنا يكلمنا في الأرقام القلانية. هو كده، هو فرض للأمر الواقع التنظيم، واللي عايز يجي يقول لنا أنتوا تنظيم غلط، يجي يقفل لنا ويقول إنه يقفل "اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة". مرة ثانية دا كان فتاح لأنه برضو كُتِبَ بتعاملتي مع نظام عنده حد أدنى من العدل والنظام الحالي عشان المقارنة، عشان الناس ما تقولش النظام الحالي عامل فعلاً قضايا لناس بتهمة عمل منظمات، المنظمة هي "رابطة أسر المختفين قسرياً". عمل قضية لبنى آدم ابنه مختفي قسرياً عشان بيعمل رابطة، والالتهام كده، لا مش بيعمل اتهام ثاني. هو مش بتهمة بحاجة ثانية، هو بتهمة إنه عامل منظمة غير قانونية وتدعم الإرهاب اسمها "رابطة أسر المختفين قسرياً". نظام مبارك مكتش بهذه الفجاجة، بالتالي لو كان عايز يخلص من حاجة زي اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة لازم يا يدور على حد يقفلها، يدور على حد ييوظها. مكتش بالفجاجة بتاعة إنه يقبض على الناس بتهمة، [أو] يقبض عليهم بتهمة ثانية، مش بفجاجة إنه يقبض على ناس بتهمة تأسيس اللجنة الشعبية.

دا كان موضوع فاصل، وفي إطار هذه الفكرة، إحنا أهو

بننظم تنظيمات عيني عينك واللي عاجبه. جات تأسست المجموعات اللي قامت بثورة يناير، اللي هي كانت مفهوم إنها ثورة يناير، الحركة في الشارع عمرها ما هتيجي من غير تنظيم في الآخر، درجة ما من التنظيم، كان سواء، بنتكلم عن "6 أبريل"، ولا بنتكلم عن مجموعات الألتراس، ولا بنتكلم على "شباب من أجل العدالة والحرية"، ولا بنتكلم عن "الاشتراكيين الثوريين"، ولا بنتكلم حتى عن شباب "الإخوان". كل دا ارتبط تماماً بفكرة إن يكون عندك مجموعات ومعروفة، والناس تعرف تنضم ليها، وتحرّكاتها معروفة، والناس تعرف تنضم لتحرّكاتها. من غير هذه المجموعات تبقى خاضعة، هو طبعا مفيش مجموعة لا تخضع لمواءمة نفسها، قصدي من غير ما تكون خاضعة لمواءمة الأحزاب الرسمية ولا تبقى مضطرة لأن إذا كان وجودها من غير إذن النظام، مش ه تستأذن النظام فعلياً. دا كان في رأيي مسألة من أهم الحاجات اللي مهدت الطريق تماماً، جاء في الآخر حاجات زي "الجمعية الوطنية للتغيير"، وحملة دعم البرادعي، اللي هي كانت بناء على دا كله.

و2005 بالذات كانت ستة مفصلية، أولاً على المستوى الشخصي لحد 2005 علاء [عبد الفتاح] كان قرر إنه مش عايز ينحاز سياسياً. كان ينزل لأنه مهتم بتمكين الناس من أدوات التعبير، كان مهتم بالصحافة الشعبية، كُنا بننزل المظاهرات، هو كان ينزل يقف مع الصحفيين على جنب. وقتها كان لسه الصحفيين يقفوا على جنب ومش بينزلوا معانا، كان الفاصل دا قائم، البوليس كان بيكرتنا والصحافة واقفة تصور، علاء كان كده. لحد الحادثة الشهيرة بتاعة الاعتداء على النساء في المظاهرات، واللي غيّرت توجهه، خلته منغمس معانا إنني اضريت وأنا معاه، وهو أمه بتضرب دخل يحوش. دي كانت أول حادثة يطلعوا لنا فيها بلطجية يضربونا. أعتقد، إن، بمعنى ما، الحادثة دي هي اللي فتحت باب أشكال التدرّج الجماعي، حتى يقى اللي بيتعمل من المواطنين ملوش دعوة بالسلطة. زي ما يكون السلطة شاورت للناس على إيه اللي ينفع يتعمل. الحقيقة أعتبر السلطة مسؤولة تماماً عن ظهور مظاهر العنف الجماعي ضد الستات بالأحداث التي جرت في 2005.

مهارات "تبويب الفرح"

في 2005، كان المفروض يبقى في واقفة عند ضريح سعد، عند محطة المترو.

طلعنا يومها من المترو أنا وعلاء [عبد الفتاح] مع بعض، كُنا رايعين هو هيغطي وأنا هشارك. لقينا مظاهرة ومظاهرة بلطجية، اللي حصل إن الناس كانت بتتراجع، أنا

في المواجهة، مش بس ضد النظام، مواجهة أي سلطوية على فكرة. سلطوية ذكورية، سلطوية تتشقق بالدين عشان تنكد على الناس عيشتها، سلطوية سياسية، إن فيه دائمًا دور تقدر تلعبه، أنا بسميه دور شبح بانكو⁷، في لحظة الانتصار والهيمنة والوليمة يطلع شبح بانكو. دا حد أدنى دائمًا نقدر نعمله، إننا نبقى شبح بانكو. شبح قاعد لهم مش بيخليهم يتهنوا بالانتصار.

مع الحركة النسوية من موقع الصديقة

فيه دائمًا عندي حنة تحدي وفرحة بنفسي، إنني شاطرة في حاجة أغلب الناس بتخاف منها اللي هي الرياضيات، والستات اللي بتخط إيدها فيها -على الأقل لما كنت لسه طالبة- مش كُتار، كان فيه عندي إحساس بتاع إنني مش بس متخصصة في علم الرياضيات وشاطرة، إنما متخصصة فيه وأنا بنت، دا كان تأثير موجود معظم الوقت. في ما يتعلق بالنشاط السياسي، غالبًا كوني ست قَلل المخاطر اللي كنت مُعرضة ليها، أعتقد جزء مش قليل من الأسباب اللي متقبض عليّ غير مرة واحدة في حياتي، اللي هي اتقبض عليّ وبِت في قسم، مرة واحدة اللي كانت في مارس 2020. مرتين ثلاثة كنت على وشك إنه يُقبض عليّ بس محصلش. أعتقد جزء من دا إنني ست، وإننا بتعامل مع نظام ذكوري بيعتبر الستات أقل خطورة من الرجالة. في نفس الوقت لحد وقت قريب كان رفض المجتمع للقبض على الستات أعلى بكثير من رفض المجتمع للقبض على الرجالة، ولا زال نفس المجتمع قائم، لكن النظام رفض المجتمع بيهمه أقل بكثير.

الواحدة لازم توازن دورها كزوجة وأم، مع دورها كمهتمة بالعمل العام، مع دورها المهني، دي حاجات في كل الأحوال لازم تتوازن. أنا زوجي كان شخص فعلاً معندوش أي نزعة ذكورية، بالتالي كُنا بنقسم الوقت والعمل بينا على أساس مين مشغول في إيه، ومين وراه إيه، ومعتقدش إن التأثير كان مختلف عن أي حد مضطر يوازن الحاجات دي. بتوازني حياة خاصة أسرية، الحنة دي مش هقول مخطوطة، دا مش حظ دا حسن اختيار. كان دا برضو علشان نكون واضحين، حسن الاختيار عشان الناس تكون واحدة بالها إن الموضوع مش بسيط، إنتي تختاري دا ويبقى متقديش تفترضني إن هو المفروض اللي يتصرف ويحجب فلوس. لازم تفترضني إن دي مسؤولية مشتركة، وفي حالة سيف لأنه مكنتش عنده وظيفة ثابتة وكان منعفس أكثر مني في العمل السياسي، والحقيقة كنت أنا اللي بتصرف ويحجب فلوس لما نترنق. دي

كنت معتادة لما يكون علينا هجوم أقف، لأنه الشرطة كانت بتقف لما الستات بتقف وميحصليش اشتباك على الأقل، طبعا مع البلطجية حركة وقوف الستات ممنعش الاشتباك، ممشيتش خالص مسكوني وضربوا فيّ، وعلاء انرمى فوق عشان يحوش عني، واتضرب واتعور، واللبتوب اتسرق. هو اتعور لدرجة إننا اضطررنا نمشي على القصر العيني، طلع إن صباع رجله اتكسر، وبعدين روحنا على البيت.

بعدين اكتشفنا إننا كُنا محظوظين لأن اضطررنا نمشي قبل المنظر بتاع تعرية الستات في الشوارع. على ما خلاصنا القصر العيني، وروحنا البيت، وبدأنا نعرف الأخبار. فرغ. خاصة إنه أكثر من واحدة من البنات اللي تعرضوا لهذه التجربة القاسية جدًا لانا صديقات شخصيات، اللي حصل بعدها عند سلم نقابة الصحفيين، تقطيع البنات هدمهم، والتحرش الجنسي، مش بس ضرب أو خناق، أو بلطجة. كانت حادثة مفصلية. علاء بقى منعفس، مش مجرد مهتم وبيتفرج. اللي حصل في اليوم دا 2005، كان مثال جيّد على إزاي النظام يعمل حاجة ترعب وتفزع، هو كان شبه موقعة الجمل في حنة كده، لكن نبوط الرواية بتاعته، أنا يومها فاكدة وأنا بحايل البنات اللي تعرضوا لدا، قلت لهم بصوا يا جماعة معلش طبعا أنا مقدرة، بس تخيلوا كده مكنوش عملوا دا، كان هيبقى استفناء تعديل الدستور تم، والديمقراطية مش عارف إيه، لكن إحنا عملنا مظاهرة 400 نفر، ودول قلة، وتحول اليوم اللي كانوا عايزين يقولوا عليه طريق حول الديمقراطية إلى فضيحة. لكن اليوم دا كان بالنسبة لي تجسيد لحاجة أنا اهتمت بها بعد كده، فكرة إننا حتى لو مقدرش نوقف حاجة بيعملها النظام، نقدر نفسد الرواية بتاعته. أنا حتى بقولها نكتة، إحنا صحيح ما نقدرش نوقف الجواز، لكن نقدر نبوط الفرج، دا عملناه بعد كده كذا مرة، أصبحت دي واحدة من الحاجات. إنه في منح السيدة سوزان مبارك الدكتوراه الفخرية، كتبتا عريضة للتوقيع عليها، والله ما كملنا 100، نكدت عليهم سنينهم وبوظت الموضوع تمامًا. أصبحت الدكتوراه الفخرية مجال للعار وليس للفخر. طبعا تيران وصنافير مثال آخر نجحنا في إننا بوظنا الرواية، أنا عارفة ومتأكدة إن بالنسبة للنظام كانت زيارة العاهل السعودي، والفلوس اللي كان هيطرشناها كان المفروض هيبقى حاجة تتويج لشطارة النظام العظيم بتاعنا. صحيح اخدوا تيران وصنافير برضو، وصحيح كل الحاجات دي، بس بدل لما تبقى مكسب سياسي للنظام، بقت بالعكس خسارة سياسية فاحشة. إحنا برضو معرفناش نبوط الجواز، لكن بوظنا الفرج. عشان كده دائمًا بحب الناس تبقى واحدة بالها، إن فيه دور مهم للحد الأدنى طول الوقت

7 إشارة إلى أحداث مسرحية "ماكبت" لويليام شكسبير. وبانكو هو صديق ماكبت الذي أمر بقتله عذرا، وكان شبحه يظهر لماكبت ولا يراه أحد غيره، كانه صوت الضمير لتائب ماكبت على جريمة القتل وعبرها من الخطايا

اختبارات مريحة بشكل شخصي، وفي نفس الوقت يتحط على أعباء إضافية لا شك، دي طباع الأمور.

الحقيقة علاقتي بالحركة النسائية في مصر، كانت دائماً هامشية شوية، لأن كجزء من التوازن كنت مضطرة أعمل أولوية لاهتماماتي. لما بدأت أحظ تصوّر واضح للقضايا العامة اللي هاهتم بيها، كان عندي أولويتين؛ مناهضة التعذيب، وأولوية ثانية هي الحرية الأكاديمية.

الحرية الأكاديمية كانت اختيار بحكم موقع عملي، إني في وضع بسبب موقع عملي أخذ موضوع الحرية الأكاديمية لأنني أقدر أقدم فيه أكثر من حاجات ثانية. كان صعب قوي إن يبقى كمان في موضوع كمان، بالفعل الواحد يشوف شغله وعيسته ويناهض التعذيب، ويدور على الحرية الأكاديمية، ثلاث وظائف دوام كامل، وبالتالي أنا علاقتي بالحركة النسائية دائماً كانت علاقة الصديقة، لما يبقى فيه حملة عامة ممكن، أو يطلبوا مني المشاركة، أو توفيع على عريضة، أنا صديقة فتاحة لكن مكنش بؤرة اهتماماتي.

وضع المرأة رغم كل اللي يقال فيه تقدم وتطور مستمر، كمان في حاجة أحب أقولها -ودا يمكن نقد للحركة النسائية شوية يعني- إنه في جزء من التطور في وضع المرأة كان نتاج مباشر لظروف عامة، وظروف اقتصادية واجتماعية، مش نتاج لنضالات خاصة بالمرأة. هنا نتكلم عن الفترة اللي عاصرتها، لأن موضوع المرأة مكنش في بؤرة اهتماماتي، وبالتالي معنديش معلومات تفصيلية عن حركة المرأة السابقة على فترة السبعينات والثمانينات. النقطة إنه جزء مش قليل من اللي خلى وضع المرأة في رأيي الشخصي، رغم كل الدوشة اللي ضد، يبقى بيتقدم على أرض الواقع، هو أولاً ظروف ما بين 1967 و1973، إنه كان في الشباب كلها ينتخرج من الجامعة تدخل الجيش ومتخرجش. بالتالي كانت كل التعيينات تقريباً ستات، لما كانت الحكومة بتوظف كامل خريجي الجامعة، ودا خلى جيل بحاله من السيدات بقوا موجودين. نظام برضو بيروقراطي أعمى، اللي هو بيرقي بالأقدمية وخلص، له عيوب ومميزات. واحدة من مميزاته إن الستات دي بقت مديرات، من غير وجع دماغ كثير. عقب 1973 لما بدأ الانفتاح الاقتصادي بتاع السادات، بدأت الأزمة الاقتصادية لذوي الحذول الثابتة، وبدأ الغلاء، وبدأت مرتبات الحكومة تبقى رديئة ومتعيشي. استمرت الظاهرة لأسباب ثانية، اللي هاجروا للخليج في الأول كانوا رجاله، بالتالي فضل العمل وبالذات العمل في المؤسسات الحكومية، مكان مناسب، مكان لا يقبل عليه الرجال، ومكان تقبل عليه الستات. لأن الستات كانت تفضل وظيفة ثابتة، بمواعيد

ثابتة، عارفة رأسها من رجليها فيها حتى لو مرتبها قليل شوية، دي حاجة لازم تتأخذ في الاعتبار. حاجة زي توسع سفر العمالة المصرية لبلد زي السعودية، كان له تأثيرات سيئة جاب أفكار زي ضرورة الحجاب. لكن في نفس الوقت حاجة السعودية لعاملات مصريات في التدريس في المدارس والجامعات، وفي المستشفيات طبيبات، الحاجة الشديدة لهذا، خلّت إن يبقى فيه سوق عمل ضخم للمرأة هناك. يبقى الحقيقة أنا حضرت مرحلة بحالها كان الجامعات السعودية تبقى طالبة أساساً ستات، وبيجيوا لأجوازهم عقود عشان ياخدوهم معاهم. فيه حالات مش قليلة مكنوش بيجيوا لأزواجهم عقود، الرجالة بيروحوا معاهم يقعدوا في البيت. هنا الظاهرة معقدة، وضع المرأة في مصر، وقياس تقدمه من تخلفه، عملية معقدة. دي الحنة اللي عندي نقد فيها شوية إني مشوفتش حد من الحركة النسوية يتابع هذه الظواهر المعقدة في حدود معلوماتي، لأن برضو ثاني هي مش من نقطة التركيز بتاعتني. برضو في فترة غياب الوضع بتاع إن الرجالة بقوا يسافروا، نصف الأسر كانوا يسافروا بحالهم، ونصف الأسر بعد كده الرجالة بتسافر والستات قاعدة هنا، والرجالة بتبعت فلوس لمراتتهم. دا برضو عمل نوع من التمكين للمرأة، لأن هي اللي بتدير العملية، الراجل بقى دوره التمويل، لكن الإدارة إدارة الأسرة، وإدارة أموال الأسرة، هي تدير دا تماماً. دي ظواهر كلها محتاجة إنها تتبحث بشكل تفصيلي، وبسمع كلام على إنه في الستينات كان الكلام على المرأة أحسن، لكن الوضع مكنش أحسن. عدد الستات اللي كانت بتشغل، عدد الستات اللي كانت في الجامعة. نسب الستات اللي بتشغل، ونسب الستات اللي كان في الجامعة، ونسب الستات اللي بتتأخر برّه ورايحة جاية، كل دا كان مختلف تماماً، وأمل بكثير جداً. بالتالي حتى ظواهر هي فعلاً صعبة على الستات وبتبهدلهم، زي النهاردا ثلث الأسر المعيل بتاعها الأساسي ستات، وهي طبعا صعبة وبتبهدلوا. هي تظل شكل من أشكال التمكين والمساواة للقضية، هذه الستات لا يحكمها أحد سوى حاجة المادية وعيشتها.

الحراك النسوي الآن، هو حراك بمعنى ما أنا بتفرض عليه من برّه لأنه حراك شبابات، وهو كثير منه مشغول بقضايا تهمنا، لكن لا تتعرض لها الستات الكبار. زي حاجة واضحة جداً؛ قضية التحرش، أو بتتعرض لها أقل جداً بما لا يقارن. هو حراك أنا ببص عليه من برّه، في مميزات مش قليلة، زي الجراءة في المواجهة الشديدة في الحدث، دي نقطة. أنا مقلتش دا، لكن هي واحدة الحقيقة من عيوب اللي كنت بحسها، مقدرش أجزم لأن برضو مرة أخرى دا مكنش بؤرة اهتمامي كفاية بحيث أبقي عارفة كل اللي كان بيحس فيه.

ونعرف نعاقيهم. نعرف نعاقيهم بعدالة، في الأزمة دي اللي يقع في إيدنا ونعرف نثبت عليه عدل، نعاقيه ما قلناش لأ، بس مبيقاش دا الموضوع. دا ينطبق بالمناسبة على حاجة أنا مهتمة بها جدًا، قضية التعذيب. الطباط اللي بيعذبوا بالآلاف يبقى فكرة معاقبتهم واحد واحد، برضو فكرة فاشلة، ومش هتنفع، وعمرها ما هتتحقق بطريقة عادلة. أي جريمة انتشرت بشكل مربع بالشكل دا، لازم يبقى التركيز على كيفية تحجيمها، كيفية إيقافها، كيفية إنها لا تتكرر. اللي يقول لي عقاب الجاني هو الطريقة عشان متكرررش يبقى هي مش هتخلص، يبقى الجريمة قاعدة لنا عشان نبقى واضحين، لازم نلاقى طرق ثانية.

من عيوب المواقف النسوية في السبعينات والثمانينيات، ربما أيضًا التسعينات، كانت نوع من محاولة التحايل. مفيش كده مواجهة مباشرة للقضايا، ممكن يكون دا أوقع وحقق مكاسب، خينا نأخذ مثال بتاع الستات اللي بتبقى متعلقة مش عارفة تطلق بالسنين، بالآخر دا اتحل إنهم دوروا في الشريعة الإسلامية لحد ما لقوا موضوع الخلع، طبعا دا كان حل. مؤكد بالنسبة للمست اللي هي أول لما طلع قانون الخلع، بقت قادرة تطلق خلال ست شهور، دا حل أنجح وأفضل من أنها تقعد تتخانىق على المساواة وقانون مدني. لكن يظل إن برضو عمليات التعامل بالالتفاف مع هذه القضايا تسبب آثار سيئة. بتسبب حاجات مبتتلش، للأسف دا مش بس في موضوع المرأة، وفي موضوع حرية التعبير، جيلي، والجيل اللي قبلي، كان مش بيتعامل مع المهادنة والالتفاف على إنها مرحلة هنكسب بها حاجة وبعدين نكمل. كان بيتعامل معاها على إنها دي الطريقة، خدنا الحاجة دي، خلاص نحمد ربنا ونقعد على كده. سواء كان في القضايا الجدلية التي تصطدم بالمشاعر الدينية، والتقاليد المجتمعية الراسخة قوي. سواء بتكلم عن حرية الفكر والتعبير، ولأ بتكلم عن حقوق المرأة، ولا بتكلم عن الحرية الأكاديمية، ولأ أي حاجة.

بس في 2011 بقى فيه جراحة، أخذوا القضايا وجها لوجه بجراحة شديدة، دي ميزة مش بسيطة. واعتبرها نقلة، ونقلة مش صغيرة، وهي نتاج 2011. خلت الناس والشباب اللي انخرط فيها مش عايز يططب على الحاجات، هو عايز يواجه الغم دا، دي ميزة مش بسيطة. فيه طبعا حاجات أنا أختلف معاها، وفيه خلاف رئيسي عندي الحقيقة ممكن تلخيصه في ما يتعلق بقضايا العنف الجنسي؛ هل نبدي الوقوف مع ضحية ولا نبدي فواعد العدالة؟ أنا بعتر قاعدة أساسية، ولا غنى عنها، إن المتهم بريء حتى تثبت إدانته. دا خلاف اتكلمت كثير فيه مع ناس من الحركة النسوية. خلاف موجود عندي حتى مع الأصدقاء، خلاف في دماغي حتى مع الحركة النسوية في الغرب من قبل لما يبقى مطروح في مصر أصلًا. هو في رأيي مرتبط بعيب، مش بس في الحركة النسوية الحقيقة، وفي فهم كيف نواجه جريمة لما تبقى متسعة الانتشار، بحيث إنها تشكل ظاهرة اجتماعية. أنا مش هختلف على إنها جرائم، لكن اللي يرتكبها ملايين من البشر في المجتمع، التركيز على فكرة معاقبة الجاني، أنا رأيي إنه هو مركز في الحنة الغلط، أولًا مستحيل إننا نعاقب ملايين الجناة، بالتالي مستحيل نحقق عدالة بالطريقة دي، هيبقى ضدك، أو عشوائية، وبالتالي مش هيبقى فيه عدالة، لازم التركيز يكون في حنة ثانية. لازم التركيز يبقى في كيفية محاصرة وتحجيم الظاهرة، لحد لما تبقى جريمة يرتكبها مئات البشر مش آلاف البشر،

ماجدة عدلي: عندنا حركة لا حراك نسوي... تأثيرها قليل، اتساعها الجغرافي محدود

مكنش في البيت هذه التربية، أصحابي مكنش عندهم هذه التربية، أنا فوجئت بأن فيه اختلاف في نظرة المجتمع للمرأة والرجل غير لما دخلت الجامعة وسمعت إن فيه بنات بتقول "أصل بابا فارض الديشارب"، أنا لبست الحجاب بس عشان الأزهر ممنوع تدخل بيشرعك، متخيلة كل البنات دي لبساه لأنه الزي، لأ لقيت إن مش دا الزي، في عائلات بتفرض دا. وخلال الجامعة حصل تعثرات دراسية بسبب العمل السياسي، بدأت أفصل شوية عن الناصرية وبدأت ارتبط بالفكر الشيوعي، كنت على علاقة بحزب "العمال الشيوعي المصري".

احتياطات حربية في الطفولة

قبل النكسة، كل الناس كانت تعشق عبد الناصر ومصدقاه، وتذوب عشفاً في الأغاني بتاعة صلاح جاهين، ومع النكسة كانت كسرة شديدة لينا كنا. اتعمل فرص للتطوع مش مشترطة سن قوي عشان حماية الجبهة الداخلية، ودا كان تبع منظمة الشباب، والاتحاد الاشتراكي، التنظيم الأوحد في ذلك الوقت. أخذت معاهم كورس يومين وبدأنا جروبات وإحنا صغيرين ننزل نشوف الاحتياطات اللي الدولة عملها، الرمل اللي قصاد البيوت، المخابئ، دهانات الأزرق على الشيايبك، ندي تعليمات للناس إذا حصل غارة يتصرفوا إزاي، إلى آخره.

الحاجة الأساسية اللي بفكرها الحقيقة أو يمكن الوحيدة، إن محدش تعالى علينا باعتبارنا أطفال، الناس كانت بتسمع، وناس تسأل لو حكينا ورق الجلود الأزرق مثلاً، حسينا إننا بتعامل عادي ودا خلانا نحس إننا بنعمل حاجة بجد. بعدها على طول لما خلصت الإعدادية انضمت لمنظمة الشباب وأخذت عضوية استثنائية لأنني كنت تلميذة. ونظرًا لأن الأنشطة بتاعة المنظمة قليلة فاخترت نشاط التعليم. وكنت بدرس لبتوع سنة تالتة إعدادي اللي كانوا ساقطين قيد ويسجلوا ثاني، فيهم رجاله وستات كبار في السن، ونفس الملحوظة، الغريب إن الناس كانت عايزة تتعلم وفيه تلميذة كانت كبيرة في السن، وفضلت على اتصال بيّ وكنت بساعدها لما دخلت ثانوي تجاري لحد ما أخذت شهادة. بعد كده في مرحلة التعليم الثانوي فضلت في المنظمة، وكنت مسؤولة وحدة الحمية ثانوية بنات ومكنش كل الناس مرحبة بفكرة المنظمة. فيه شوية قد كده لسه مصدقين الناصرية وإننا هننتصر، وفيه البعض كانت فكرتهم عن عبد الناصر اتكسرت خالص، ومنهم مدرّس اللغة العربية، فكان دائماً يناوش. هو كان مسؤول الصحافة المدرسية، أنا كنت مسؤولة عن يوم في الصحافة المدرسية، وكانت فيه مناوشات في حصة الميثاق الوطني اللي بيسموه مجازاً

1 غير رسمي

الطبيبة ماجدة عدلي، من مواليد 1953. من مؤسسات مركز "النديم للعلاج والتأهيل النفسي لضحايا العنف والتعذيب". لكنها تحكي هنا عن مراحل سابقة على التحاقها بهذا المركز في 1994.

تمتد حكايات ماجدة للتعود إلى أيام دراستها في جامعة الأزهر، حين اضطرت لارتداء الحجاب كزي خاص بطلبات الجامعة، وداخل أسوار هذه الجامعة التابعة للمؤسسة الدينية الأبرز في مصر التحقت ماجدة بـ"العمال الشيوعي المصري"، الحزب السري، وقبض عليها في قضية الحزب الشهيرة، وكان ذلك من آذار/مارس 1977 حتى نيسان/أبريل 1978.

اعتمدت هذه الشهادة على مقابلة أجرتها هدى الصدة في 29 كانون الأول/ديسمبر 2019.

مساواة منزلية

اسمي ماجدة عدلي، مواليد 1953. أمي وأبوي كانوا موظفين، ومكنش عندهم أي إشكالية في موضوع الولد والبتة. كانت أسرة لطيفة فيها أربع بنات وولد، كنا أسرة متوسطة.

درست طب في جامعة الأزهر، ودا كان له دور مهم الحقيقة إن الواحدة تشوف الفرق بين طريقة تربيتها وبين جامعة يتبع الأزهر، من الآخر، علاقتي بالنسوية علاقة تربية في البيت، إن أبوي شايل أكثر من نص شغل البيت مثلاً مفيش حاجة اسمها ولد وبتة، رغم إن فيه ولد وحيد في أسرتنا، لكن كان بابا يجي عليه عشان، إنه مكنش ينفع بابا يسبب شرابه عشان حد من البنات الكثير دي تغسله ولأ البت اللي بتغسل لنا، قبل اختراع الغسالات. كان رد بابا "عيب دي حاجات مقرفة".

الدستور في هذا الوقت. الميثاق الوطني ذا وثيقة طلعت في عهد عبد الناصر، بتكلم عن العدالة الاجتماعية والحرية، لإزالة التحجير من أجل العدالة الاجتماعية، وكان يُدرس في المدارس مع منهج اللغة العربية، ومن مناقشات مدرّس العربي مثلاً كان يطلع مصحف صغير من جيبه ويقول: "حصة القرآن الكريم"، وأنا كنت في أول ديسك، دي أول مرحلة أخوض فيها صراع أفكار، المراحل السابقة كانت في جو كله منسجم. فيه ثانوي بقى فكرة هذه التناقضات إن مش كل الناس ميّه واحدة، إن هناك اختلافات. طبعا كنت صغيرة وكنت مش يادير الاختلاف كويس، كنت بتعصب جداً واتخانق، دا خلّى بعض الطالبات يتخلّوا إنني حبلغ عن مدرّس اللغة العربية وجم لي البيت. الموقف دا خلّى الواحدة تفكر بطريقة مختلفة طب ليه اتعصب يجوز عنده فكرة صح، أو الزميلات عندهم فكرة صح. فكرة أن الزميلات كانوا ضد معناها إننا في السن دا كان هناك ناس بتقدر تفكر وتنتقد ولها وجهة نظر، اللي هو بنفقهه يمكن في السنين اللي بعد كده لغاية 2011 لَمّا الدنيا بدأت تأخذ طابع مختلف.

مجموعي مجيش جامعة القاهرة وروحت جامعة الأزهر وبدأت أفصل شوية عن الناصرية بالذات بعد موت عبد الناصر وتراجع السادات عن المبادئ اللي كُنا شايفينها وقتها أحلى حاجة في الدنيا. بدأت ارتبط بالفكر الشيوعي، وشوية شوية أحسم علاقتي بالناصرية، كنت على علاقة بحزب "العمال الشيوعي المصري"²، وكملت السكة في هذا الاتجاه لحد لَمّا بقى مفيش أحزاب.

في أول انضمامي كان لسه فيه ميول للاشتراكية، اللي كُنا شايفين عبد الناصر بيعملها، التأمين، الصناعة، مشاركة العمال في مجلس الإدارة، كان تخيلي إن دا الفكر الاشتراكي. لَمّا قريت أكثر في الجامعة لقيت إن دي رأسمالية دولة، إنها في أوروبا هي نفس الحكاية، وكنت بدأت أقابل ناس في مصانع ولقيت لأ، حتى التمثيل في مجلس الإدارة بيتم إزاي، حتى اتخاذ القرار بيتم إزاي، حتى الانتخابات دييمقراطية إيه، وقعت في إيدي اللوائح بتاعة الانتخابات اللي بتشترط عضوية الاتحاد الاشتراكي، لا فيه حاجة غلط. طب أقيسها إزاي، بدأت أقرأ لينين وماركس، في الآخر لأ دي نقدر نوصفها ولها مميزات بالذات في موضوع العدالة الاجتماعية والتعليم والصحة، ولها مسالك كبيرة كذا خاصة بالذات بالشفافية والديمقراطية، وكمان أتاحت لي معلومات حتى عامة من الناس على ما تم في الستينات مع اليسار والمسلمين، مكنتش لحد ما خلصت ثانوي عندي علاقات مباشرة أقدر أحكم بيها، لأ مش هو ده اللي أنا عايزاه. الحزب نفسه طبعا بالنسبة لي في هذا

2 غير رسمي.

الحين مش دلوقتي، كان الفن إن يبقى فيه اشتراكية بجد بحق وحقيقي، وإن يبقى فيه وطن مختلف مفيش هذا التدين الطبقي الشديد، وفيه فرص لكل الناس متساوية سواء في الخدمات أو في الديمقراطية، دا بالنسبة لي حاجة مهمة. كمان عن فكرة التثقيف مكنتش في وقتها، الحزب كان متشدد شوية عن باقي الأحزاب الموجودة في هذا الوقت إن لازم الناس تقرأ كتب محددة وتتناقش فيها، عارفة فيه مرحلة انتساب وبعد كده مرحلة عضوية، دا غير الجريدة الداخلية اللي واجب عليكى تتابعها وتتشارك فيها، غير "الانتفاضة" اللي هي الجريدة الجماهيرية اللي برضو كُنا شايفينها جماهيرية وهي مكنتش جماهيرية بجد ولا حاجة. فهذا الدور بالنسبة لي مبهر، إن الناس تكون حريصة على تثقيف بعض، وتثقيف نفسها وكتابة وجهات نظر. أهم حاجة وقتها بالنسبة لي إنني عرفت اللي حصل للشيوعيين القدام واخترت الحزب رغم إنني عارفة التنكيل اللي ممكن يحصل بعد كده، فاخترتّه عن بيئة محصلش إنني انزلت، واختياراني كانت ببطء محصلش نقلة فجائية من غير ما افكر، كنت طول الوقت عارفة إن فيه ضريبة وهيبي أوان دفعها، لحد ما جات 1977 وكان دفع ضريبة بالنسبة لي لا صدمة ولا حاجة. فيه توقع وفيه قبول لأن وارد جداً إن دا يتم. الحزب شال القضية والناس اتسجنت، وطبعا مش كل الناس. الحزب فضل مجراش حاجة فيه، بس بعدها في الثمانينات بدأ يحصل نقلة بسبب إن بعد 1977 كان فيه قبضات، و1978 كان فيه قبضات غير بتاعة الانتفاضة وكان فيها ناس مهمين من الحزب. الحزب كمل معندوش مشكلة، بس جات نقلة هندسة وضع الحزب على المستوى الداخلي، فتم سحب قيادات كثير جماهيرية وأنا منهم، لبناء الحزب من الداخل، دا قطع رجلين وإيدين الحزب المتصلة بالحركة العمالية والحركة الطلابية، ودي كانت نقلة وحشة بمفهوم النهاردا مش بمفهوم وقتها، بمفهوم وقتها كُنا شايفين ok نبني نفسنا وبعدين نعمل. القفلة على جوه وتقليص عدد العاملين الجماهيريين بدأت تعمل إشكاليات جديدة برضو، أدت يمكن في التسعينات إلى تصدعات بالذات مع سقوط الاتحاد السوفييتي، مكنتش فيه نظرة نقدية لتجربة الاتحاد السوفييتي، ولا للتجربة الليبنينية، ولا لعمل سنالين في دول أوروبا الاشتراكية، ناس كثير اتصدمت وأحبطت، وبدأ الحزب (يمكن التصدع كلمة مش دقيقة، يمكن الأدق) ذوبان، بدأت ناس كثير تراجع وتحس إنه لأ، ناس بدأت تفرط إلى حد إن ناس سابت مصر وراحت تشتغل في دول الخليج. معرفش إمتى الحزب مبفاش موجود. الحزب تلاشى، يمكن في 1994. كان فيه محاولات لضم الأحزاب الشيوعية مع بعض بشكل وحدة ما، بين العمال الشيوعي و"8 يناير" و"المطرقة"، اللي

انضم لـ "8 يناير" وقتها في سعي لحزب موحد، مش فاكدة إن "المطرقة" ضمت، وهي أصلًا أقل عددًا من الأحزاب الثانية، لأنها كانت أكبر لحظة ضعف لكل الأحزاب الموجودة في ذلك الوقت، أهم الأحزاب في لحظة قوة وفاردة سيطرتها تبقى قوة ضاربة لما يتم شكل من أشكال الوحدة، وإنما وهي في لحظة ضعف وكله بيعرج في الحقيقة مكنش حل مثالي، أو بمعنى أصح هي كانت محاولات survival مكنتش قد كده مؤثرة بحيث فعلاً على 1997-1998 مكنش فيه حد.

والله مكنتش شايعة اختلافات جوهرية بين "العمال" و"8 يناير"، كانت طريقة التناول مختلفة. وقتها كنا بنعتبرهم اقتصاديين مثلاً، هما كان يعتبرونا أسياخ ومتطرفين، وإن طريقة الاستسيخ القوي والتطرف اليساري متجيش جماهير من وجهة نظرهم، وكان ليّ أخت في "يناير"، كانت اختلافاتنا في البيت كأخوة مش بتختلف على حاجة إلا على دي إنها تتهكم مثلاً على البيانات اللي بننزلها، "مش بتعرفوا تشبكوا مباشرة"، وأنا أقول لها انتوا مصليين مش شيوعيين. يمكن الخناقات دي تظهر الإشكالية فعلاً في التفكيرين لأننا فعلاً كنا كده، جزء إنك يسارية إنك تقول في كل حاجة في كل بيان، وإن اللي يتكلم مثلاً بس على أسعار أزمة كذا يبقى اقتصادي، باظ يعني، ولا بهضم الحركة. كان الموضوع إن الاثنين مؤمنين بالماركسية اللينينية، يمكن التروتسكيين مختلفين شوية لأنهم أميل لوجهات نظر. كلهم كانوا لينينيين بس التناول مختلف، بس هي كانت مرض الحقيقة طول عمره موجود الحلقة دي يعني، لحد ما كله خلص مفضلش حاجة. لكن الحزب رغم كل مثالبه بنى ناس بجد، ناس فعلاً أغلبهم في الوقت دا محدش كان بيسعى ما عدا القيادات طبعاً لمجد شخصي ولا إنه هو يبقى يتخرج ويعمل فلوس ويحب عربية، مكنش دا طموح الناس. الناس كان طموحها هو الطموح العام، ودي ناس لازم نقدرها. بناء جيل مثقف دا كان مهم. إن الحزب يقدر يدمج بدرجة ما بين الحراك الطلابي والحراك العمالي بدرجة ما كان شيء مهم قوي ويكسر عزلة المثقفين طول الوقت عن الجماهير المادحة ودا تم كثير خلال السبعينات، إن هو كان ليه أثر بالغ في الحركة الطلابية من أهم الأحزاب اللي أثرت في الحركة الطلابية نقول حتى من السبعينات، في فترة اللاسلم واللاحرب، قبلها الحزب كان موجود بس كان أصغر لأنه متأسس على ما أظن 1968 بعد النكسة يعني لحد الستينات مكنش ليه دور مهم عدا المواقف والتظاهرات اعتراضاً على أحكام قادة الطيران فكان لهم تواجد، وهما اللي اطلقوا رفض تلك المحاكمات، دي أهم حاجة. في حاجات ثانية، دي أهم حاجة في مصر، بس حزب "العمال" ساهم في تأسيس أحزاب شيوعية الحقيقة

في المنطقة، كان "حزب العمال الشيوعي" الفلسطيني واللبناني والسوداني، دا كمان كان بجهود "حزب العمال المصري" وكان فيه رفاق قعدوا سنين في لبنان. أولاً بيساهموا في تأسيس الحزب والنضال وكمال بيدفعوا جزء مهم من دخلهم يشتغلوا هناك عشان الحزب ملوش موارد عشان مالية تدوير الأنشطة والمقرات، كمان دوره شوية خارج الحدود مهم.

حراك طلابي

الحركة الطلابية في الأزهر ما هياش بمستوى جامعة القاهرة اللي كانت أعلى حاجة، بعديها "عين شمس"، و"الأزهر" في ديل قايسة الحراك. جو جامعتنا رجعي شوية، الغالبية كانوا بتوع التعليم الأزهرى اللي هما من ابتدائي، دول شوية إشكالية لأنهم متربين تربية مقفولة قوي ورجعية وكمال مش متعودين على التفكير للأسف، مش عايزة أقول حكم مطلق بس على الأقل الدفعة اللي أنا فيها، الناس تدي مؤشر متعودين على الحفظ بس، المناهج الأزهرية بياخدوا منهج ثانوية عامة مثلاً ومعاها تسع مواد شرعية دي كلها قايسة على الحفظ الحقيقة مفيهاش حاجة فهم. اللي دخلوا معانا في أولى طب على سنة 3 مكمولوش ولا واحدة اللي حوّلت تجارة أو دراسات إسلامية وحاجات بالشكل دا. مقيش طريقة تعليم ربت عقول نقدية، كان شوية فيه استجابة، لأن شغلنا جوّه الجامعة اللي هما جايين من خارج الأزهر، إحنا كنا عاملين ممر اسمه "ممر الصحافة" يومياً بننشر مجلات فيها مقالات سياسية ونقد موضوع "كامب ديفيد"، ونقد موضوع الوضع الاقتصادي وحاجات من هذا القبيل. بعدها من نفس group عملنا أسرة، كان تأسيسها صعب، مفيش ناس تعمل أسرة منها لنفسها لازم يبقى في أبلة، معرفش إزاي لقينا دكتوراة طريفة جداً تبنت الأسرة دي وكانت هي المشرفة على نشاطها. دا أقوى شوية وخلص كمان استجابة الناس كوضع (شرعي) قصاد الطلبة، إن اللي بيكتبوا الكلام دا مش عيال متمردة، لأن كان فيه جهات أخرى يتحارب منها ناس كانت تبع تيار إسلامي سلفي أو إخوان مسلمين مش مجرد الطلبة العاديين فكان طول الوقت تشكيك إننا ملاحدة وحاجات من هذا النوع، كمان دا كان عائق شوية الدنيا مكنتش قد كده، في "الأزهر" كانوا بيلخوا شوية الناس تكش. بس يومياً كان بيبقى فيه عشرات في "ممر الصحافة" بتقرا وتناقش غير اللي هما مناهضين أو اللي تبع الأمن. في 1977 يوم الانتفاضة كنا حاجزين القاعة الكبرى، اسمه "مدرج تاهيلي" لبتوع ثانوية عامة بناخد سنة إضافية ضريبة ندرس فيها مواد شرعية بس طول السنة. مدرج التاهيلي كان ضخم جداً ياخد آلاف، حاجزينه للمؤتمر.

كنا عاملين مؤتمر عن الأوضاع الاقتصادية والديمقراطية، وكان توقعاتنا إن المدرج هيتمللي، دا كان بعد سنوات من الشغل الطلابي من ساعة ما دخلت الكلية من سنة 1971، بس حصل اللي حصل ولغينا المؤتمر ونزلنا، كان الشغل بطيء شوية، ما هواس معدوم على كل الأحوال، الحرب عالية شوية، بالأخص إن المناهضين المدعومين من الإدارة، مقدرش أقول إن مكنتش فيه شغل، بس في حدود الوضع العام الخاص بالأشخاص.

العمل العام

انقبض عليا 14 مارس 1977 من جامعة عين شمس، كنا عاملين الاحتفالية الـ40 شهداء الانتفاضة³. محاولات الانتهاك اللي بسميها محدودة في الحقيقة كانت وقت الواقعة، ومقدرش أقول عليها ممنهجة. انقبض علي من مدرج فواحد حب ياخذ شنطة فيها بيانات وأنا حطيتها في البالطو، حب ياخذ البالطو وأنا قلت له تحرش وكده وعضيت صباعه قطعته عورته يعني، قعدنا من الصبح الساعة 10 لحد ستة بليل في أوضة العميد بيدوروا أنا فين في الجامعة، قعدت أقول لهم اسمي منى محمد السيد، قلت له هنا في آداب، "سنة كام؟" قلت له دور، يدوروا ويحببوا ملفات لا مش أنا دي كده يعني، طوال الجيم دا بتسلى محدش قل أدبه. إحنا قاعدين في أوضة كبيرة قوي وكل الكراسي عليها إخوانا بتوع الأمن وكان معايا جواب المفروض من واحدة لأختها في معاد يتقابلوا فيه وأختها دي صاحيتي هربانة، أنا مش هممني غير إني أخلص من الجواب، هو ظرف وفي قلبه فلوس والمعاد، أنا قعدت اعمل نفسي بعد الفلوس اللي معايا قد إيه وروحت فاتحة الظرف عديت الفلوس وروحت مطلعة الجواب كلته، حد حاول يخفني حظ إيده على رقبتني جامد عشان افتح بوئي وياخذ الورق اتخفقت وفتحت بوئي وحط صباعه كلته لحد ما صوصو فتحت له بوئي عشان يطلع صباعه، هما الواقعتين دول اللي وقت القبض. جه حد مهم في الجهاز برضو في الحقيقة معملش قلة أدب وبعدها انتقلنا لأمن الدولة، شوية حاجات اختبارات نفسية زي إن واحد ينده علي "يا ماجدة"، لكن أنا المفروض منى واضيعها عليه، محصلش ضغوطات وقتها في أمن الدولة، قعدت برضو فصرة إني منى ومكنتش عندهم صورة لي، جابوا صورة مرسومة بخط اليد، طلعا لرئيس الجهاز حاول يعرف معلومات، كنت بقول معرفش، لا أدري، من قال لا أدري فقد أفتى، قلت اللي عندي، في المواقف دي بيبقى فيه قلة أدب لكن محصلش معايا. "شيلوها من قصادي مشوها من هنا"، أنا بقول المواقف اللي كان وارد يحصل

فيها عنف، لكن هما كانوا 24 ساعة جمال، كانت اللعبة عجباني منسجمة إني بلعب مثلاً طلبت كلينكس الضابط مجابليش، الأوضة اللي كنت فيها لها بابين، المكتب قصاده كرسي وأنا قعدة ووراي كرسي وباب وفيه باب الأوضة العادي، اللي ورايا دا باب بين أوضتين. هما يلعبوا إن طول الوقت يجي لي مصور من الباب دا أو من الباب دا وأنا العبه واخبي وشي معرفوش يصوروني متمش دا فسرًا، واقف ظهره للباب عشان يرضو يتعامل مع مصوراتي وباب مفتوح. لقيت فيه عليا كلينكس وفيها شرايط سودا بتاعة الحداد اللي كنا عملنها، هو دا الحرز الأهيل بتاعهم الشرايط السودا، روحت قايلة واحدة الكلينكس والشرايط من درج مكتب الضابط، عملت فيونكة بالشرايط في شعري والضابط ولا اخذ باله إن دي الشرايط الحرز وخذت المتاديل على الكرسي اللي جنبني، "اخذت حاجة من درجي؟" قلت له لا.

في السجن مكنتش المعاملة زي اليومين دول ولا أيام بعد كده، أيام مبارك كمان السياسيين كانوا بيقععدوا في غرف داخل المستشفى في مبنى المستشفى، بيلبسوا لبسهم المدني بياكلوا زي ما هما عايزين وتيجي الزيارات وننظم الزيارات بحيث يوميًا يكون عندنا أكل سخن، الأهل يجيبوا أكل يكفي كل المجموعة، لا اتفرض علينا زي ولا اتفرض علينا إننا نأكل أكل السجن ولا الكلام دا، بس مكنتش فيه توليت هو بس الجردال، جردلين دي كانت أقسى حاجة في الموضوع، التاموس طيغا، التاموس فظيع جدًا مفيش مقاومة للتاموس. إنما يتفتح الباب من الصبح لحد الساعة 2، بنروح المكتبة فيها طرايزة بينج بونج نشيلها نطلعها برة ونتعامل عادي، ونيلطح شوية يعني أروح البوابة اشتري فول سخن من الباعين اللي جنب البوابة، وجنبها أوضة المأمور. مرة زميلة شتمت السجانة والسجانة ضربتها بالقلم، عملنا إضراب عن الطعام، لما عملنا إضراب كل يوم كانت أمن الدولة ومصلحة السجون موجودين والنيابة بتحقيق في أسباب الإضراب، وحطينا مطالب بما فيها جميع أنواع الكتب اللي هي موجودة في السوق تدخل، إننا نطلع الدور الثاني في المستشفى لأن فيه أوضة كبيرة هواها أحسن وفيها حشرات أقل وفيها نوايلت شيك بتاع الدكتوراة النبطشية وفيه مطبخ وبوتاجاز. قلنا كل الحاجات اللي تحسن وضع المعيشة، وبعد أسبوع المطالبات تحققت، مش دلوقتي الناس تقعد لحد ما تموت فمضربة عن الطعام، ولان وزني خفيف قوي كان لي الفضل في تحقيق المطالب، إن وزني بقى 38 كيلو، خافوا جدًا وقعدوا يوبسوا إيديا إني اشرب عصير وأنا أبداً إلا لما يمضي على المطالب، وحصل واتنفذت المطالب وطلعتنا ودخلت الكتب كلها بما فيها الكتب اليسارية. فضلت تقريبًا معاملتنا كده

لحد ما طلعنا، سجلت لحظة خصوصية قوي؛ لحظة دخول التنظيم الجهادي عملية "الشيخ الذهبي"⁴ الفنية العسكرية سنة 1977، في شهر يوليو تقريباً. قبل ما تدخل ستات كثير، دخلت واحدة لوحدها أظن اسمها جهاد، كانت مرات زعيم التنظيم واتعاملت انفرادي، الباب مش بيتفتح طول اليوم دي أول لقطة. اللقطة الثانية لقاً جم ستات كثير طبقاً متميزين جداً، فيه very intelligent وفيه الأمية، الجميع فُرض عليه لبس السجن كان لونه بيج وخفيف قوي وكمامة قصيرة وصدره مفتوح، والهجوم كلها قصيرة، وهما منتقبات وكلهم معاهم أطفال، متسمحش إن يبقى فيه فلوس على الكانتين، العيال بتموت، مش بيتفتح عليهم الزنزانة غير نَص ساعة ونَص ساعة، هما عدد كبير أطفال كثير، الهجوم بقى بناعة البيبهات عابزة تتنصف، فوق كده كان ليهم عادة أول مرة كنت أعرفها، إنهم يقدسوا الميّه بشكل ما، يقفوا يعملوا كده طقس ما قصاد الميّه الأول ويقولوا أدعية قبل ما يستخدموها مع ضيق الوقت والعدد كل الحاجات دي انكسرت، تأثر حتى عددهم بسبب الميّه، تطهير أنفسهم ليسهم، كسروهم في كل الحاجات. كُنا إحنا اللي بنشتري على حسابنا حاجات الأطفال على الأقل زي الكراوية والينسون، إحنا اللي نتخافق مع الإدارة عشان فيه طفل هيموت، هما مكنوش يبواجهوا، الله جاب الله خاد، دا كمان خلى إدارة السجن تضغط زيادة مفيش أي شكل من أشكال المقاومة اللي كانت موجودة، دي معاملة، واليسار كان معاملة، واعتقد وليس كل الظن إثم، إن دي بتمثل خط جديد في إساءة المعاملة في السجن، سواء في التكدس أو اللبس أو في الأوضاع الصحية... دي كانت لحظة بالنسبة ليّ فارقة. مكنش قدمنا غير إننا نتولى الدفاع عنهم، الستات والأطفال دول رغم الاختلاف المنهجي ما بينا، دي تجربة خصوصية في السجن متهيالّي من حيث التوقيت، يمكن بعد كده بإساءة معاملتهم مكنش الواحد لاحظ امنى الخط الفاصل في تدهور أوضاع السجون. الحاجة الثانية موضوع زيارة الكنيست، كانت لحظة قاسية قوي، إن إدارة السجن عملت إذاعة داخلية. وسمعنا الخطبة، مكنش فيه تلفزيون كان فيه إذاعة، دا اليوم الوحيد اللي حصل ليّ فيه انهيار في السجن، أنا وكل الزميلات بقينا نهز الحديد بناع الطريقة، اللي فوق مش بيتقفل الزنازين علينا بعد الإضراب بيتقفل الباب الرئيسي بناع الطريقة وجوه غاير كثير، كُنا في الطريقة بنحاول نخلع الحديد مش

4 اختطف الشيخ محمد الذهبي، وزير الأوقاف السابق، على يد عناصر مسلحة، ثم أُلغيت جماعة التكفير والهجرة مسؤوليتها عن العملية معلنة مطالبها، ومنها الإفراج عن أعضاء الجماعة المبعوض عليهم، ودفع فدية مائتي ألف جنيه، ونشر كتاب شكري مصطفى، مؤسس الجماعة، المعلنون بالخلافة على هُتة حلفاء في الصحف اليومية من منزله في الثالث من تموز/ يوليو 1977، وغنر قوات الأمن على جنائمه وصدرت أحكام بالإعدام في حق مصطفى شكري وأربعة آخرين في تشرين الثاني/نوفمبر من العام نفسه.

عارفة عشان نعمل إيه، بس انهارنا بحد، وكُنا متخيلين إن الموضوع مش هيعدي مش هيكمل، بالنسبة لنا دي خطوة غير مسبوقه في التاريخ وعارفين قد إيه الشعب المصري كمان علاقته بالقضية الفلسطينية، لأ مش معقول. يمكن مرارة السجن حسيته يومها، غير كده كُنا قادرين نعمل حياة وتنكيف ونعمل مكثبات من الكرتون ونعمل دواليب للحل، ونعمل نظام حياة عامة، مصابين كل الناس اللي هي في الجرايم الثانية والناس كلها بتحبنا وتحترمنا ولينا كلمتنا. ماعدا اللحظات الصعبة، اللحظة دي كانت صعبة، وضع وفيات الأطفال كان وضع صعب، كنت لسه في سنة رابعة طب، بس كنت واحدة كتيبي معايا. لحظة صعبة ثانية إن لازم أولد واحدة، مكنتش لسه درست نسا كان معايا الكتاب وكنت لسه محضرتش ولا محاضرة، ويرضو أمضوا مجبوش دكتور، حطيت الكتاب جنبتي وبصيت بسرعة على أهم النقط وإزاي نقيس القطر، الراس هتلف إزاي وقعدت الست على الأرض وقعدت قدامها زي اللي بيحصل في الأرياف، وجينا موس حلاقة سخنته بالكبريت وولدت وربنا ستر، الست عدت والطفل عدى، معرفش إزاي، واحدة ولدت وإنتي كتابك جنبك بتغشي، دي كمان كانت لحظة قاسية قوي. إنتي لسه مدرستيش ولا مارستتي وقُصادك بني آدمين اتنين، واحد جوه وواحدة برّ ممكن يموتوا ولازم تنصرفي، فلازم تنصرفي. المواقف الصعبة ما كنتش violations مباشرة لنا كطلبة يساريين، كانوا مسمينا الطلبة، مقدرش أقول إن هي رغم طول المدة، لغاية لقاً خرجت السنة اللي بعدها في 30 أبريل. في الفترة دي ناس كثير خرجت، أنا الوحيدة اللي كملت المدة دي، ناس كانت بتخرج وتيجي قضايا جديدة عليّ، كنت الخميرة على رأي الضابطة بناعتنا هناك في السجن. خرجت بعد 28 يوم وقبضوا عليا ثاني، وقعدت شهر، أول ما روحت بدأ التحقيق على طول أول يوم، قعدت يومين في أول يوم "إحنا لحقنا أهلاً وسهلاً" أهلاً بيك، شاف الحرز "إيه ده، دا مش بناع حزب العمال"، قلت له أه ثقافة بقى، طبعا نعمل قضية، قلت له كده هتبوط قضية 1977 مينفعش الواحدة تكون في حزين في وقت واحد. إنت قصادك اختيارين، يا عملي قضية جديدة وتبوط قضية 1977 يا إما تضم حرز دا على حرز 1977 لأن القضية لسه شغالة، لأن هيكون مرجح ليك قوي دا أنا من العشرة الأوائل في القضية القيادات، العشرة الأوائل وانتوا مش فاهمين في انهيار حزب، قال لي: "فكرة وجيهة برضو"، قلت له ورق إيه إحنا بتتبادل الثقافة والمعلومات، أنا حزب عمال لازم اعرف السوق فيه إيه، مكنش فيه برضو قلة أدب بالعكس، وافق على الاقتراح اللي أنا عمله ومعملش قضية جديدة، هو اخذ 15 [يوم] في 15 وطلعت.

العلنية مكنتش تنفع، وكان البديل في تفكيرى هو تأسيس حزب آخر. قانون الأحزاب يخليكي تخبي وشك عن حاجات، وبالتالي ممكن الحزب لا يتأسس، ولو تأسس هيتقفل. لو أنا عايزة حزب للطبقة العاملة بحد مش هينفع تحت مظلة هذا النظام وهذا القانون. هل وارد في هذه الظروف حزب سري تاني؟ كان الوضع بقى أصعب، الناس معظمها أوراق محروقة وقديمة، قبضة أمن الدولة اشتدت جدًا من عهد السادات في ذلك الوقت اللي هو يعمل وضعية صعبة في الحقيقة، الوضع الاقتصادي صعب إنتي عايزة كمان تمولي نفسك ذاتيًا، فكل الحاجات دي كانت بتخلي فكرك البديل شوية مقفولة. شغل علني خلاص إنتي مش قصادك غير المنظمات المدنية، وفرصة إن في حاجة كمان علنية.

أحلام تحرير فلسطين

في ابتدائي كنت مصدقة إننا هنرمي إسرائيل في البحر، من وأنا صغيرة قوي فيه متابعة لنشرات الأخبار في الراديو، والجرائد يوميًا في البيت جرائلين؛ أهرام وأخبار. متابعة لكل خطب عبد الناصر، كنت أقرا "لماذا نحن أغراب" النشيد اللي كنا بندرسه وأعط. ونفسي امسك سلاح واروح أحارب، يعني أحرر فلسطين باعتبار إنها مستيتاني وكل حاجة جاهزة، فيه قيادة سياسية مستعدة تحارب بحد. أما جات النكسة مكنتش مصدقة، كنت مقتنعة إننا على أبواب فلسطين، والله اخلف على المصحف. كده يا ربي ضاعت فلسطين وضاعت مصر جنبها too much يا رجاله، من أجل مصر وفلسطين من وأنا صغيرة قوي وفترة منظمة الشباب، وبعد 1967 كنت في فصائل خدمة الجبهة بتنزل الجبهة بشكل دوري في بورسعيد وبورفؤاد والسويس، ونقابل الجنود ونعمل لهم هدايا صناعة يدوية وكروت لطيفة ونوصل رسائل منهم لأهاليهم. نزول المهجرين، كنت أنا تبع قسم الخليفة ودا فيه مقابر، مقابر المساكين والإمامين والغفير، أخواش المقابر دي كانت أماكن إيواء اللاجئين بتتبع مدن القنال، وكان فيه زيارات منتظمة ليهم، برضو بدون إمكانيات بتجمع من بعض ملابس لمختلف الأعمار لغسلها وتكويها وأي لعب الناس مستغنية عنها ونروح نزور الناس، مكنتش عندنا نقدر نديهم فلوس يعيشوا. الحاجات دي خلتك أكثر تمسكًا بالقضية، إنتي شوفتي sequences بتاعة كسرة 1967 مش مجرد شوفتيها في تلفزيون، مش مجرد عيطتي على خطاب التنحي، لا شوفت أسر كويسة ومرتاحة ونايمة في حوش مدفن، وطبعا مدن القناة دي كانت مربعة، إنك ما تلاقيش بيت على بعضه، البيت السليم على الأطل طايرة بلكوناته، دي حاجات صعب تتنسي، صعب الواحد يعدي عليها بعد ما يرجع. فضلنا في محاولات المساندة access للفلسطينيين نفسهم كان فيه access للمصريين ضحايا الحرب، وبالنسبة

قبل ما يخلص الحزب الشيوعي أنا دخلت الانتخابات البرلمانية، جزء من فلت الأزمة بتاعة هندسة الوضع الداخلي إن في المؤتمر العام قررنا إن الوضع مش هيبستمر وهنطلع بره. الطلوع بره للأطر السرية مش كليا طبعا فيه النواة السرية، بس مفيش إقراط إن الناس كلها تبقى داخلي عدا أفراد. أنا في هذا التوقيت كنت اتخرجت وقررت أرجع عمل جماهيري واخترت الامتياز بتاعي في شبرا الخيمة باعتبار برضو جزء من أهداف الحزب التوجه للطبقة العامة. أخذت الامتياز في "مستشفى ناصر العام" لمدة ست أشهر وستة أشهر لازم يبقى في الجامعة، وكان في الفترة دي ناقشنا أيضًا داخليًا العلاقة بحزب "التجمع"، بعد ما اتقلبوا حزب. وفعلًا بدأت اشتغل مع "التجمع" لما كسرنا الوضع الانغلاقي ومكنتش تجربة سهلة، ولا الانتخابات بالذات لأنني نزلت على قائمة الحزب، واشتغلت جوهر شبرا الخيمة من خلال المستشفى ونزلت انتخابات البرلمان في 1984. وكان فيه خناقات كثير على البرنامج في انتخابات 1984 يعني مكنتش فرحب بالبرنامج النقابي مثلاً وعابزني التزم ببرنامج الحزب، بالأخص إن فيه شخصيات كبيرة نازلة على الدائرة اللي كنت فيها زي لطفي الخولي. وأنا مش ملتزم بحاجة مش مصداقها، يا مفضلش في معركة بالشكل دا ومنطقة عمالية متكلمش عن النقابات العمالية، وإن الوحدة الأساسية لازم تبقى مستقلة وليها ميزانيتها، مقدرش متكلمش عن حقوق النساء في المصانع قبل لما أفهم يعني إيه حركة نسوية، بس يمكن في التقديم عن نفسي قلت مكنتش في Discrimination دا كان بالنسبة لي الحاجات اليديهيّة، مفيش حاجة اسمها مفيش إجازة وضع، ميقاش فيه حاجة اسمها إجازة رعاية طفل، مفيش حاجة اسمها مفيش حضانات، إلى آخره، دا كان جزء من برنامجي. البرنامج النسوي والبرنامج النقابي مكنتش خالص من أولويات الحزب، النسوي مش أولوياته، النقابي كان فيه إشكالية لأنهم كانوا شايفين إن دا تفتيت لوحدة الطبقة العاملة، وأنا كنت شايفة إنه مش تفتيت لوحدة الطبقة العاملة، دي استقلال الطبقة العاملة، مفيش حاجة اسمها تفتيت وحدة الطبقة العاملة تحت مظلة النظام، اللي بيؤر الانتخابات لصالح رجالته. وقتها إدراج اسم النقابات الصفراء كان فيها مشكلة طوال فترة الانتخابات، بما فيها إنهم لا يدعموا المنشورات، مكنتش فيه فلوس بس كان ممكن يدعموا المنشورات والبيانات اللي بنوزعها وكنا بنلّم من بعض ونطبع بره، ومكنتش أحسن حاجة. مكنتش نضال يساري موحد في الحقيقة.

الدورة مكنتش واتحلت، اللي بعدها 1986 نزلت مُستقلة كانت سهلة، لأن كان فيه سيطرة ومحاربة للتيارات الثانية. وقتها كان "الحرار" الأول وبعده "الوحد"، حتى الأحزاب

لي مش بس ضحايا إسرائيل، ضحايا نظام ضحك علينا. أول عمل حقيقي مع القضية الفلسطينية اللي هو في أوائل الثمانينات مع اجتياح صبرا وشاتيلا، جهزنا فعلاً قافلة فظيعة وكان فيه تضامن فوق الخيال. الهلال الأحمر الفلسطيني في هذا الحين طبع لنا كوبونات تبرع لفئات مختلفة، جمعنا تبرعات مالية، تبرعات كثير، مفيش حد كنتي بتقول لي ويقول لا أبداً، رغم إن وقتها كان تركيز نشاطي على شبرا الخيمة زي ما قلت، كنت في مرحلة الامتياز، اللي هي منطقة غليانة بس الناس كلها كانت قد كده. عملنا قافلة ضخمة قوي سفينة مليانة وكان أول مرة أعمل جواز سفر، بس بعدها معرفش اتضحك علينا إزاي مش فاكدة التفاصيل، بس المفروض إنني كنت هسافر ومعيا دكتور عمرو عباس هيسافر، كان معانا كثير، معرفش إزاي اتزحلقتنا ومسافرناش في الآخر، كنا هسافر بالبحر ونوصل لبنان وفي الآخر اتأخذ وفد مفهوش حد معنا. وقتها حزب التجمع كمان وافق على اللي إحنا بدأناه وعمل اللجنة الوطنية التضامن مع الشعب الفلسطيني واللبناني، دي كمان زودت رؤية الحركة وضمت ناس أكثر من مجرد جمهور بتاعنا الشباب في هذا الحين، كنا شباب زمان بس مسفرنناش، دي الحاجات العملية اللي على الأرض المباشرة قوي مش مجرد خطاب سياسي أو مقال أو بيان.

شُغل

بعد الحزب قعدت، لا ينفع تعيشي كده من غير شغل، ولا ينفع تدوري على الخمسة عين، كان شعار طلبة طب خمس حاجات بحرف العين: عيادة، عربة، عمارة، عريضة، عروسة، وكده، دي مش سكنتنا إحنا. بدأت فكرة منظمات العمل المدني، مش أنا أول حد طرح الفكرة، أنا اضطريت أسفة إنني أسافر السعودية سنتين أجب فلوس لأن قريت أكون في الشارع، عشان أأخذ شقة، أي شقة. وحددت لنفسني سنتين عشان منجرفش زي اللي بينجرفوا يعني، واللي هيجي يوجب شقة أنشأ الله يارب في عربة.

المهم رجعت في الإجازة سنة 1992 اطرحت على فكرة تأسيس مركز موافقتش في أول يوم، عادة الاختيارات اللي بتدفعي فيها لازم تكوني مقتنعة بيها، كان لسه الموضوع تكبير. خيلني أفكر كان حاجتين بيتخانقوا في دماغي، هل العمل في مناطق تعذيب يُعتبر جزء مهم من النضال الديمقراطي، إلى أنه حد هيتأثر في الحركة الشعبية، إلى أنه حد فعلاً الناس تبقى في الحماية من هذه الانتهاكات وتقدر تكون أكثر تعبيراً عن نفسها أو اختلافاتها، بمعنى آخر. الخاتمة الثانية كانت هل دا هيبعدنا عن محاولة تأسيس حزب جديد ولا لا، هل في الظروف دي

يمكننا تأسيس حزب علني ولا لا، رغم قانون الأحزاب وقتها؟ انتصرت فكرة ok نبدأ، على أساس إن الفرص الأخرى مش ملو إيدنا، ومش قد كده.

كل الأحزاب فعلاً هيبقى فيه صعوبة شديدة، اهتزاز ثقة شوية، هل الجيل القديم اللي أترت على الحلقة هو المنوط به يعمل حزب من جديد قوي ويقدر يستمر ولا لا؟ الإشكاليات الكثيرة اللي مرت بها الأحزاب عمومًا مش "العمال" بس. بالصدق والأمانة وقتها كانت حسيتي كده، إنني أدمج بين حقوق الإنسان وحقوق النساء وأيضاً العمل الوطني والسياسي، من أجل حفاظ الوطن من كل الزفت اللي كنا شوفناه. المرحلة دي كان معناها خلصت اتفاقية "كامب ديفيد"، وخلصت علاقة مصر بالقضية الفلسطينية تقريباً، اللي هي جزء من نضالي العام والشخصي. كان جزء من تحليل المواطن المصري شايفاه إن قد كده مهم لبناء أي حركة حقيقية، مش حقوق الإنسان ونقطة، يبقى في حكم بجد هو اللي يدير هذا الوطن لصالح أبنائه ولصالح القضية الفلسطينية. وفي نفس الوقت هو اللي يضمن استمرارية احترام حقوق الإنسان. كنت متخيلة هذا هو اللي يمكن عمله مكنش فكرة انفصال زي ما الناس بتفصل دلوقتي بين حقوق الإنسان والعمل السياسي. قد تكون فكرة خاطئة، قد تكون فكرة ذليلة على منهم حقوق الإنسان، إنما هي دي كانت حسيتي. وأسسنا "مركز النديم" ولأني كنت لسه مرجعتش فتأسس من غيري وبعدين انضميت لاحقاً بكثير رسمياً على الورق. إنما من غير الورق كنت خلاص لما جيت 1994 كنت باشتغل مع "النديم".

في "النديم"

فيه حاجة اسمها الشغل اليومي، وفي out come، يعني لحد 2011 كنت حاسة إن أهم out come إن قضايا التعذيب مبقتش مغلقة ومجهولة، ودا بالنسبة لي كان مبعث رضا، لأن أول ما بدأنا كنا بنوصل للحالات بصعوبة، وبتراسل الجرايد اللي بتنشر اللي هي كانت قليلة قوي، مكنش لسه فيه جرايد مستقلة، كانت قومية أو حزبية. القومية مش بتنشر فكان بعض الجرايد الحزبية every one of them. تنشر كل حاجة، مكنش فيه إنترنت، وكان طباع الناس لما بتكلم على الأمل بصفتي طبية وبكلم زمايلي باعتبار كمان دي قضية تخصنا كأطباء، كان نادراً لما يكون حد رد فعله الأولي ما هو لازم عمل مصيبة، بالنسبة لي دا رد موجه وكان الطبيعي لدى الوعي المجتمعي إن التعذيب حلال للي عاملين مصيبة، وإن عليك تثبتت إنه معملش مصيبة مش إن التعذيب نفسه هو المصيبة الكبرى. كنت أبداً أناقش من ألف باء، طب يا إخوانا مش

دي المباشرة جدًا والتي فيها رسائل قد كده واضحة وبلغة الناس، الناس مش هتقرأ بيانك متيألي دا عائد مهم قوي، ومتيألي برضو عشان مفيش حاجة أقدر احلف عليها إن كان ليه أثر مهم في حركة المقاومة اللي تمت لخالد سعيد وأيضًا تمهيد طرق في ثورة يناير، متيألي دي حاجات كثير، دا على الجانب العام.

على جانب المرأة نفس الحكاية، إننا أول ما بدينا كان فيه تردد شديد أو بمعنى آخر عدم إدراك للنساء والمجتمع بمعنى العنف، بالذات العنف الأسري. وإحنا في الأول كان برنامج واحد وكان أغلب الستات اللي بتيجي ضحايا عنف جنسي، أما عملنا من سنة 2000 بعد سبع سنين من النشأة برنامج مستقل لفريق أكبر، لأن الشغل كان بيزيد وعدد اللاجئين بالذات من السودان عالي قوي، وعدد النساء بدأ يكثر ومكنش الفريق كافي، عملنا فريق من المتطوعين، وعملنا تدريب لأول مجموعة في سنة 2000، وهما اللي بدأوا نواة المشروع. برضو مكنش ينفع في وسط الوعي المجتمعي اللي إحنا قسناه في بحث بكين (1995) واللي قال لنا فعلاً فيه عنف وقد كده فيه مشكلة في الإدراك مستوى العنف أو إيه اللي نعتبره عنف. بدأنا نعمل مع الجمعيات القاعدية ندوات خاصة بالعنف ضد النساء. أول سنة كانت جوه القاهرة بس في الأحياء؛ مصر القديمة والمقطم والزناين ودار السلام وطلوان. عاملنا فرشة في الهجانة، إننا نروح بالشكل دا وندي ندوات ونعمل جلسات استماع بعد كده في نفس الجمعيات، لأن لما نتكلم في لغة الناس تبصي تلاقي الناس تقول لك: "أه الوضع كذا". وفي الصعيد لما اشتغلنا مشروع كبير مع منظمات كثير تحت مظلة "اليونيسف" لتطبيق توصيات بكين، واحدة قيادة في جمعية أهلية كُنا بنشغل مع جمعيات كثيرة على مستوى مصر في متوسط النخوة تقول: "طب أنا جوزي طول الوقت يقول لي يا جاموسة" كنت فكرهاا بتهزر وماتت من العياط.

عن المطالب النسوية

الناس اليسار في أغلبهم ضد طرح المطالب النسوية، مثلاً اللي حظيته في برنامج انتخابات 1984 دا كان بموافقة الرفاق، بالأخص إنني يتكلم عن المصانع. إنما الحركة النسوية في المجمال كان فيه كثير اتجاهات شايقة إنه مينفعش نتكلم على التحرش مثلاً لأن كده بنفكك الطبقة العاملة، إحنا عاوزين كل العمال رجال ونساء يبقوا قوة واحدة، مش عاوزين نحط حاجة في الوسط تفصلهم. في حدود المطالب برنامجي مكنش فيه حاجة عامة لائحة عن التحرش وقتها، بس كمان مكنش التحرش قد كده منتشر زي دلوقتي، كان فيه حالة بسيطة بس كان مرتبط أساساً

فيه حاجة اسمها قانون عقوبات، مش فيه حاجة اسمها المتهم بريء، بالنسبة لي كنت بنقاش بديهيات وبقى مضايقة وأنا مضطرة أناقش حاجات مفترض إن دول دكانة وفاهمين مهماش جهلة. أما جه مثلاً موضوع خالد سعيد لأ الواقع مختلف، الدنيا قامت عشان حالة تعذيب. قبلها عماد الكبير قوم الدنيا، لأ يا جماعة الموضوع مباحث ثلاثة أو أربعة اللي مهتمين، مباحث نحلف على المصحف إن دا عيب وغلط وحرام ومش إنساني. فيه حاجة مع الوقت أثرت، جرايد بقت تنشر وتهتم، بقي فيه إنترنت الناس بتيجي لك مش تقعد تدور عليهم، كنت حاسة الدنيا اختلفت. مثلاً "النديم" دافع عن اللاجئين، وعن كل الناس أي كان انتماؤهم العقائدي والسياسي، عمرنا ما وقعنا في فخ إن لا دا بلاش، دا متطرف، بما فيه حادثة كنيسة القديسين في 2010 موقعناش أبداً في الفخ دا. ولنا قارين نعمل زيارات تفقدية في الصعيد وبحري، ومدن الفلاحين، كُنا ينسافر ونقابل الناس وبنحقق في مواضيع ونكمل دعم المتضررين من الانتهاكات اللي تمت، بما فيها الانتهاكات اللي كان فيها ناس بتموت، دعم الأسر والأهالي والأطفال. الفلاحين، مش بس كُنا بندعم كُنا بنعمل شغل أرسين لوبين يعني كُنا بنروح قرى ولما بدأوا يرجعوا الأراضي لأصحابها بتوع زمان اللي قبل الإصلاح -بعد قانون الإيجارات الزراعية- كانت القرى بتتخاصر أمنياً، محاصيل بتتجرف زي ما إسرائيل بتجرف الزيتون كده، الكتب الدراسية والخزين السنوي بتاع الفلاحين من الرز والدقيق بيتزرمي في الترع، والبلد تتخاصر تجويع. كُنا بنروح نخترق الحصار عبر طرق خلفية وندخل القرى شغل أرسين لوبين فعلاً بما فيها الحادثة الأشهر اللي هي زي ما قلت واحدة ماتت، ربطوها من ضفايرها واتسلحت ماتت، الرجالة كانوا هربوا، ما اعتقدش إن الكلام دا ما سايش أثر دي حاجات كبرى، مش مجرد إنتي في العيادة ومستتية. كان مثلاً فيه سنين إن البوليس يمسك الناس برميهم من البلونة. سنة تلاقي موضة إن الناس بتزرمي في الميه في النيل، كُنا بنروح البلاد دي، مكنش شغلنا In door وبس. أهمية دا مش بس بتوسعي دايرة المساندة لكل المحيطين بالحادث في الحقيقة، لأ بتقاومي فكرة انتهاك حقوق البني آدميين على مستوى كل القرية، بتقوللي للناس دا انتهاك وحكم يبقى في طريقة مختلفة وفي طرق تقاضي، وطرق إعلام، بجانب إن فيه طرق رد اعتبار، وطرق تأهيل نفسي. الوعي اللي هو مش بالبيانات والكتابة، الوعي اللي هو مع المتضررين face to face أنا رأيي دي حاجات كانت بتفرق، بما فيها إننا نزور ضحايا تفجير كنيسة القديسين في إسكندرية كُنا كبرنا، 2010، وكمان نحاول نزور أهل [سيد] بلال اللي اتقتل، بس مقدرناش. أنا رأيي الطريقة

بحقوق عمل أكثر ما هواش ماسك موضوع العنف، فضايا كثير إشكالية وأنا وقتها مكنتش كمان رابطة كل المطالب النسوية مع بعض. اللي كنت شايفاه وزن إن العاملات تترقى، إن العاملات يبقى عندها حضانة عشان تقدر تشتغل، إن عمل الست مهم لاستقلالها، حاجات من هذا النوع. دا حدود وعيي النسوي، ما هواش زي ما أنا شفته بعد كده، وفي الحدود اللي أنا شايفها طرحتها. إنتي بتتكلمي عن كل حاجة في كل مؤتمر، يعني وقتها مثلاً كان في قانون الاشتباك طالع جديد وكان بيأخذ وزن كبير من الدعاية بالنسبة لي، غير الحقوق العمالية مش بس النسوية، موضوع المستشفيات الاستثمارية كانت لسه موضة جديدة اللي هو حتى بتقضي على فكرة العلاج المكثاني ودا كان ليه وزن مهم بالنسبة لي، اللي هي بتخص الكل. على قد الجزء الخاص بالنساء كان متركز على قد اللي أنا شايفة أولويته أو إنه هو موجود، الإشكاليات موجودة محتاجة التصدي لها، ودا معمليش صدام مع الحزب ولا مع حزب التجمع، زي ما قلت البرنامج العمالي هو اللي عمل صدام. للأسف حاجة عيب تتقال إن كان في زميل أعرفه في الحزب كان بيضرب مراته مثلاً وقائد جماهيري، أنا شخصياً كان رأيي فصله. برضو مش على نظرية نسوية عميقة، بس شايفة مراته دي رفيقة وزميلة وكمان يمدّ يده عليها دا إنسان مش مستقيم نفسياً، المثالية بقى وقتها اللي يهب نفسه للعمل العام والوطني لا بد قد كده يكون فيه انسجام نفسي. قلت لزميل وقتها إن دا لازم ينفصل ولازم يكون فيه عقوبة وأنا عرفت كذا، قال لي "دا بقى تحليلي النفسي" كلمة مش ينسأها رغم الذكرة ماتت في حاجات كثير، "هو دا بقى التحليل النفسي من النسوي. التحليل النفسي للرفاق"، المهم أصريت على وجهة نظري إنه مينفعش، وساندت البنت جامد وكلمت جوزها لأنني أعرفهم هما الاتنين، بس مكنش الحزب شايف إن دي مصيبة، إيه يعني واحد ضرب مراته، طب دي رفيقة إزاي حد يعتدي عليها، بلاش واحدة من الشارع يا جدد، الزميل متفصلش على فكرة.

تظاهر جماهيري بعد انحسار السبعينات

في 2000 تأسست في "مركز النديم" اللجنة الشعبية للتضامن مع الشعب الفلسطيني. فكرنا واستلهمنا التجربة السابقة بتاعة أوائل الثمانينات، ومكنش أول خطوة فكرنا فيها التبرعات، كان أول خطوة إننا نوقف العدوان واتعمل خطابين نجمع عليهم توقعات. خطاب لرئيس الجمهورية، وخطاب للأمم المتحدة، تجمع عليهم يمكن أكثر من 50 ألف توقيع أو 100 ألف توقيع، لأن الورق وصل المحافظات سرح فعلياً، لما اتفقنا على الصيغة مكنتش

الأفكار بتاعة الصحاب بنوع "النديم" إحنا دعينا أصدقاء، لينا منهم رحمة رفعت، وشاهنده مقلد، وآخرين، ودعينا برضو رجاله. وعملنا الصياغة وطلعت وقود فعلاً بعدها كمان كان معانا عادل المشد، مدحت الزاهد، أشرف أحمد، واحد من القيادات اليسارية القديمة. وبدأت اللجنة توسع وضمينا ليها كل الناس منهم إخوان وشيوعيين وناصريين وناس ملهاش انتماء سياسي وليبراليين كله انضم تحت هذا اللواء واتعملت مظاهرات كبيرة في كل مدن مصر. الحركة اتولدت في القاهرة بس بعد كده انتقلت تلقائياً، بقى فيه لجان في دمياط والمنصورة وإسكندرية. وبدأت كمان الناس عايزة تعمل حاجة وبدأنا نعمل دعم مباشر اللي هو مكنش من أول يوم، بدأنا نجمع أدوية، وبعد كده الطحين لما اتقال إن فيه أزمة شديدة في المواد الغذائية، سكر وطحين، المنصورة تقريباً كانت شايلة أغلب تبرعات الطحين وكانت بتجيب من مطاحن المنصورة عربيات نقل. كان فيه النفاق شعبي مذهل يعني أنا وقتها مكنتش متخيلة [حدثه] بعد انحسار الحركة الجماهيرية في 1977 بسبب مستوى القمع اللي حصل في يومين اتنين، لما كنت في السجن كنت مستتية اسمع الجماهير يتزحف ضد زيارة السادات للكنيسة، بس لقيت الجماهير في الشارع عشان فلسطين سنة 2000 مش عشان مطالبها الذاتية، تظاهرات كانت بالآلاف وفي كل المحافظات. الناس بتطلع مؤتمرات وندوات ومستوى من الحراك يا سلام والله زمان، الناس بتدفع تبرعات، واللي ما معهوش مثلاً إحنا بنعمل قوائم بالحاجات اللي محتاجينها يا جماعة ركزوا مثلاً في مضاد حيوي اسمه كذا، كل مواطن غلبان متخيل إن هو عايز يعمل كل حاجة، يجيب لك رباط شاش، أو غلبة واحدة من مضاد حيوي، وكأنه لازم يعمل كل الحاجات، دا كان عب، فطيع في فرز علب الأدوية. بعد كده في ناس أصحابنا عندهم فلوس بقوا يتبرعوا، ونطلع الشيكات نطلب الشيكات على الشركة المصرية لتجارة الأدوية، ودا أهم دور ساعدنا فيه دكتور من الإخوان كان في مجلس النقابة -وقتها كانت النقابات كلها إخوان- حصل اتفاق ودي إزاي نجيب الأدوية بالسعر اللي الشركة المصرية بتبيع به للصيديات أو السعر اللي بتديه للمستشفيات الحكومية، أنا كنت مسؤولة لجنة الدعم الطبي، قعد أنا وهو بص يا عم أنا شيوعية وأنت إخواني، عايز تعمل حاجة وعازية أعمل حاجة، مش هنقطع بعض عشان فيه قضية برايا وبراك، هنحط اسم نقابة الصيادلة على قائمة البيانات اللي بتطلع والأوراق الرسمية في مقابل إنك تخلص لنا الطلبات، إحنا نجيّب الشيكات واحنا هنفرز الأدوية وكل حاجة، أنت تجيب لنا الموافقات عشان نجيب أكبر حاجة بالفلوس اللي معانا، وكان اتفاق سهل وسلس محصلش إن حد

الحي" هو كان صاحب محل واطرب قصاد أهل الحي وكسروا المحل، "أهل الحي أكيد فكروا إن أنا مجرم أو تاجر مخدرات أنا عايز رد اعتبار". دا كمان نيهنا إن ما ينفعش الشغل In door ولا ينفع بس الشغل بالحلقة الضيقة اللي هي العلاج النفسي، لا فيه جزء متمم ومهم للعلاج النفسي اسمه رد الاعتبار، فيه جزء مهم إنك لازم تتكلم عن الناس دول وتنشري عنهم وتروحي المحاكم عشانهم، كده يكتمل مثلث التأهيل النفسي. إحنا لما توسعنا في فكرة focus وال legal campaign كان لاستكمال الدائرة، اللي هي الحكومة عمرها ما فهمت دي، إن التأهيل النفسي مش In door إن الواحد يقعد يسترعي على الشيزلونغ ويقول: "أصل أنا مش بنام.. أصل حلمت بكابوس"، دا مهم بس مش كده بس. إحنا تعلمنا فقدرنا نعلم، أو قدرنا تأثر بمعنى أصح ونفيد غيرنا اللي محتاجين يدربوا ويشغلوا في المناطق بتاعتهم في مصر أو في البلدان العربية يعني. التجارب دي كلها اعتقد كان ليها عائد مهم. ولما جينا في 2008 عملنا بحث ثاني تقريبا مشابه لبحث 1995 نفس الأسئلة، كنا حابين نقيس إحنا أثرنا ولا لا، فيه فرق حصل ولا لا. رغم إن العنف نسبه كانت قريبة من العنف اللي كان متقاس في 1995 اللي هو حوالي 43% إلا إن إدراك النساء للعنف واستعدادهم للمقاومة كان أعلى، صح ما قضينا ش على العنف بس فيه تأثير على مستوى العنف اللي هو أقصى حاجة ممكن تقيسها في شغلك المجتمعي، تقولي فين output و outcome البحث دا اتعمل في 15 محافظة مش في القاهرة، بس حسينا فيه عدد. أما عملنا بحث العنف الجنسي بعد الثورة لا فرق ضخم واستعداد للمقاومة أعلى بالذات بعد الثورة العنف الجنسي له ارتباط بكسر دا في الثورة، مش بس في الشغل الثابت، الثورة عملت نقلة. سواء في موضوع التعذيب أو العنف بكل أشكاله ضد النساء فيه نقلة. الأولى قلت لحد 2011 فيه شوية زي ما كل الناس شايفة وعارفة بقي في قطبين في المجتمع، بعد 2013 المجتمع انشطر. الناس اللي مع نظام السيسي سواء ثقة وقناعة أو رعبا من الحكم الإسلامي مش قادرين يفرقوا ما بين اقتناع حتى بنظام سياسي وإن لا بد من احترام حقوق الإنسان، للأسف بيسبوا وبلغوا في اللي بيتكلموا عن الضحايا بتوع التعذيب سواء اللي أصيبوا أو المسجونين أو المسجونين انفرادي أو اللي ماتوا لا، أي حاجة يعملها السيسي خلوة ولحماية الوطن، مقيش حاجة اسمها دا يشق الوطن وإنه ضرر على الأمن القومي، مقيش حاجة اسمها التعذيب حتى هؤلاء (المتهمين ولم تثبت تهمتهم بالإرهاب) كل عيالهم وأقاربهم هيطلعوا إرهابيين، محدش يحسبها كده حسبة سياسية برجمية حتى يعذا

من الإخوان اتفقت معاه على حاجة أصلاً، ومشينا كده نقدم الطلبات لوزارة الصحة الفلسطينية زائد لجان الدعم المستقلة في فلسطين ناخذ الاحتياجات، ونوفر بيها أدوية ومستلزمات طبية. الموضوع مشي سنتين تقريبا بعد كده موضوع الأدوية وقف، ومشيت الأغذية كمان فترة بالذات الرز والطحين. كون النظام موافق دا سهل لنا العملية، طبعاً مش موافق لدعم القضية الفلسطينية غالباً عشان حساباته السياسية، لأن بعد شوية ضربنا ضرب قطيع قصاد جامعة القاهرة. كانت أول مظاهرة بقي معايا فيها بنت صغيرة، وكان فيها يوسف شاهين. كنت هموت من الغاز، ودخلنا جوة سور الجامعة لقينا الباب مفتوح، قبل ما يقفلوه ويحبسوا ناس برة وإحنا جوة. قبل هذا التصدي كان فيه سماح بالتظاهرات والمؤتمرات أو غرض البصر لحسبة سياسية ماشي. بس لما وصلنا العريش بالقوافل اتواجهنا أيضاً بمشكلة. أول القافلة كانت كبيرة قوي كان معنا حوالي 40 أنوبيس بني آدمين، وحوالي 40 عربية نقل مثلاً، مسمحوش توصل الحدود، فدخلنا العريش، زملائنا في العريش كانوا عرفوا إننا توقفنا برة فترة خرجوا يستقبلونا تقريبا العريش عن بكرة أبيها في الشارع، وبدأت مفاوضات أمن الدولة، كانوا قافلين الطريق، وكمان من الجانب الفلسطيني مش عاجبهم إننا هتسلم القافلة للجان العمل الصحي عايزين نسلم لهم هما للوزارة. حتى تلك القافلة اللي أهل العريش قابلونا بيها يعني استقبال الفاتحين مدخلتش رفح، في الآخر وفد صغير طلع مع القافلة لحد رفح وسلم لمنوبين وزارة الصحة الفلسطينية باتفاق إنهم يتولوا توزيع النّص ولجان دعم الصحة توزع النّص. بعد كده بقي حتى صعب دخولنا العريش نفسها. رغم إن كان فيه ترك مساحة في الشارع للتعبير عن الرأي وجمع دعم عيني إلا إن التعامل المباشر على حدود غزة كان مختلف. بدأ الموضوع يقل على 2003، وأقل أكثر في 2004.

أعمال ميدانية

الحاجات لما تبقى في الشارع هي كمان مش إحنا بنفيد الناس لا إحنا كمان بنستفيد، بنستفيد كمان إن لا فيه ناس كثير قوي حتى من الجمعيات الأهلية اللي بتساعد النساء متعرضين للعنف وهما مش واعيين، هما فاكرين إن العنف هو بس الضرب، وبقية الأشكال. إحنا كمان بتتعلم كل تجاربنا في الحقيقة إحنا ما بدأنش كده ولا حتى برنامج التعذيب. أول من علمنا بحري قوي كان ثاني حالة تزورنا، كان واحد تعذب بدون وجه حق مش بس في المطلق ما عملش كمان جريمة وبعد ما تعافى شوية نفسياً جه قال لنا: "لسه فيه حاجة، أنا محدش رد لي اعتباري قصاد أهل

عن حزب الحقوقية. حصل مستوى مر قوي من مسح العقول، غسيل مخ، مش فاهمة إزاي الناس توافق فلان عشان إخواني ممكن يموت بالسرطان وميتعالجش، إزاي ادبح ألف في رابعة ما هما إخوان... يعني إيه! إذا صدف إنك غيرت اتجاهك وهتبقى قابل دا يحصلك، أفهم إنهم يبصموا على أي موقف سياسي إنما بجد كمان انتهاكات توصل لقتل البشر بالإرصاص أو بالقتل البطيء، مش مدركة نفسية الناس دي في الحقيقة. عشان كده خايفة يكون فيه ردة شوية.

لحد ما طلعنا كتاب العنف الجنسي، وقبل المجزرة وانتهاء حكم الإخوان بالطريقة اللي حصل بيها دي، كنت شايفة لآ احنا أثرتنا قوي ولو مت دلوقتي أنا راضية عن نفسي. بعد 2013 الوضع أقل والإحساس كمان بالعجز أعلى لأنني طيبة حتى لو أسير تحت أيدي أعاليه، أنا عارفة إن فيه مئات في السجون محرومين من العلاج، محرومين من الهواء، محرومين من الدفء، الحاجات كلها اللي تموت، وأنا فعلياً مش قادرة أعمل حاجة. والجزء السلاح اللي كان في إيدنا campaign معدش قد كده له تأثير، دا محبط في الحقيقة، وأثره النفسي مش حلو أبداً وبيخليكي تحسي هل الأحداث السياسية بالمستوى إنها ممكن تعمل تآكل في ما قدرتيه إنه مجتمعني سابقاً، هل الوعد مكنش عميق كفاية، مكنش أصيل كفاية، طب إحنا كمجتمع مدني هتقدر، المفروض نشغل لأعمق قد إيه، ومفيش إرادة سياسية، ودولة محاصرناكي، هل دا كان أفضل حاجة، هل كان المفروض جهد أعلى، هل مكنش في الإمكان أحسن مما كان إلا لو في إرادة سياسية حقيقية على الأقل بعد الثورة، إحنا نبدأ من أرضية جديدة تحترم حقوق البني آدمين، الوضع كله على بعضه بيخليكي تراجع حاجات وتفكري في حاجات.

ما هياش مراجعات بمعنى مراجعات، أولاً على مستوى المنهج سواء الإيديولوجي القنوات السياسية أو القنوات الحقوقية والنسوية مفيش ذرة تراجع. الكلام السابق كنت بفكر إحنا كنا نقدر نعمل أكثر ولآ لآ، إزاي نقدر نحافظ على البنى آدم إنه ما يتشرخس بلاش يقع، إزاي نقدر نخلي هذا المجتمع يفصل ما بين انتمائه السياسي وما بين احترامه لحقوق الإنسان وما يخلطش الأوراق، حتى في غياب سلطة سياسية لها إرادة لتعديل الوضع، إحنا طول الوقت فيه سلطة سياسية مع الانتهاك. في ظل هذه السلطة السياسية كان ممكن المجتمع المدني عموماً، مش هقول الأحزاب السياسية لأن دي لها وضعية خاصة كان يقدر يسبب أثر أكثر يعيش وقت أطول في وسط هذا الظرف العام، أنا بتكلم على الظرف الذاتي. اللي شاغلني طول الوقت هو الوضع الحالي، وضع الاعتقالات ومعاملة

السجون. الحركة النسوية في الحقيقة، طول الوقت أنا محتارة إحنا عندنا حركة نسوية بجد ولآ لآ، حركة نسوية يجوز أقول آه فيه حركة، بس قد كده حركة ضيقة رغم إننا فالتنا عشان نقدر نسيب أثر كمؤسسات على بعض مش "النديم" بس، ولكن عشان يبقى فيه حراك مش حركة كده محلل سر أو بتجري بس جوة الشقة، إنها بتجري في ربوع الوطن هنسميه حراك، هل أقدر أقول كده؟ أنا مقدرش أقول كده قوي في الحقيقة. آه ممكن أقول فيه حركة وأنا ضميري مرتاح، بس الحركة قد كده تأثيرها محدود، عوامل ذاتية وعوامل موضوعية، ضعفت الفترة الأخيرة، ارتفاع بعد الثورة بس حصل انتكاسة. بعد الثورة مكناش ملاحقين على الحركات الشيعية التلقائية والعيال زي الفل، وكل شوية ناس عابزة تتطوع، وناس عابزة تتدرب، وأعمل أي حاجة يا رب أعمل لكم الشاي. مجموعات مناهضة للترش وحماية الناس في التظاهرات. كان فيه إنفراجة والناس زي ما يكون في حجر على قلبها وانزاح. مع الأسف مع كمية الاعتقالات والتعذيب الحاصل ناس تراجع مع محاصرة المجتمع المدني وتلفيق القضايا والتشويه الإعلامي كل يوم الناس قلقت، مع رفض الإفراج عن المنح عشان الناس تشتغل، الأثر قل، الناس كلها بقت تشتغل low profile أو اضطرت توقف خالص، كل دا مع الأسف لو هي حركة بس في هذا النطاق الضيق الحاصل في المدن الكبرى وبالأخص العاصمة يبقى نقول: هي حركة. المحرك الأساسي حصار المجتمع المدني بالطرق الكثيرة اللي قولناها، لو هي حراك مكنش الموضوع بقى فيه الوضع الوحش اللي إحنا فيه. إحنا معملناش حراك نسوي، تأثيراتنا قليلة، اتساعنا الجغرافي محدود، ما فيش لا مناهج ولا إعلام ماشي معاك في نفس السكة، ولآ حتى الإعلام الحزبي، عشان كده فيه هبوط شوية بشكل واضح في المنحنى إنك ما أثرتيش على الوطن كله حتى النساء اللي مكنتيهم، إنتي مكنتيهم إنهم يقدرنا يستقلوا عن الذكر اللي يمارس العنف مش إنهم يبقوا مناضلات من أجل كل النساء، ودي مشكلة تخص ضعف عدد المنظمات المدنية وتقليل حركتها والوضع الديمقراطي للبلد. عندي أصل إن الأزمة تنفرج.

الحركة النسوية أثرت، بس مقدرش أحسيها جزء من الحركات الاجتماعية، إحنا موصلناش أصلًا للحركات الاجتماعية بالمعنى دا. أنا شخصياً اللي وصلت له من الطبقات الاجتماعية اللي هي دون المتوسطة، هما client يجوا للعم، قليل منهم اللي بقوا fighters، عشان واحدة خرجت من إعلام قدرت تكمل وبدأت تهتم عشان كذا قليل. حركة اجتماعية بيلتف حولها مئات من المجتمع. إحنا مش بيلتف علينا فئات من المجتمع. أنجزنا، بس

الإنجاز اتحظ في المربع يتاعه عشان نشوف المرة اللي جاية نعمل إيه، قضية الختان تراجع ودا كان جهد المجتمع المدني والنسوي، أه تراجع، كنا 98% سنة 1995 النهاردة مثلاً معرفش النهاردة كام بالطبط، الحاجات بتبقى مؤشرات وكده. بقى الكلام مش عيب وممكن الإعلام يقوله، زمان كان عيب، لما كنت أسجل مع الإذاعة كانوا يقولوا لي: "بلاش تتكلميش عن الختان والتحرش الجنسي عيب". لكن دلوقتي بيتقال، فيه إنجازات، بس في نفس الوقت وصلت لكل الناس، آراء تبتتها كل الناس ودافع عنها. فيه أسرة في الصعيد، في استثناء القرية بتاعت المنيا، يتقاوم في كل العيلة ختان الإناث لأ، حكاية، بقعد احكي مع العيانة قبلها عشان to release stress شوية واحدة ست شابة مش عجوزة ثلاثينية مثلاً، بقول لها قوللي لي طيب كانت حالة ولادة قيصرية إنتي لو طلع بنوتة هتختنيها قالت لي: "آه"، الكلام دا مش في الصعيد لأ في القناطر، اللي هي القاهرة الكبرى، طب يا بنتي الإعلام بيقول كذا ووزارة الصحة والدكاترة بيقولوا كذا، قالت لي: "دول عندكم البهوات يا ست إحنا فلاحين". أنا ما بنساش رسايل كتير بتيجي لي كده، إن الناس ممكن تكون الفكرة وصلت لها، بس إن هما بنى آدمين لهم نفس حقوق أهل المدن دا لسه هما مش مصدقينه، لأن هما مقهورين. الناس بتبقى مش بتأكل، عايشة ممكن في عشش سقفا جريد، وتيجي تقولي لها اللي سمعته نفذوه. في قصة على بعضها تخص الوعي ما تبقاش فكرة طيارة في السما، في إن أنا أبقي بني آدم، يعني في أربع حيطان يعني فيه لمبة كهربا يعني فيه حنفة ميّه، حسسني إنني بني آدم وبعدين قوليلي، وجزء من حقوق هذا البني آدم إن ما نجيش نقطع أعضائه التناسلية، ناس كتير مش حاسة إنهم بني آدمين. عشان كده دا كمان بيكتف مستوى اللي كنا ممكن نأثره. أنا بكيث وأنا بعمل الفيلم التسجيلي بتاع الزواج المبكر في قنا، فعلاً المنظر اللي يقوله لك بيوت كتير ناس جوّ عشش في قرى قنا، عشة معناها الحيطان خوص، معناها مفيش كهربا ولا ميّه، فيه أطفال، في إن الواد يحيي يقول لي "بتضرب كل يوم ويطردوني من المدرسة عشان مبندفعش المصاريف". المصاريف 50 جنيه. "أضرب أنا يدل أختي"، أخته أصغر منه بسنة "أخد عصياني وعصيانها، بضرب عشان ماشي حافي". الدولة مش بتعفي الناس اللي مش معاهم من 50 جنيه. الطفلة جات توشوشني في ودي وتقول لي: "الشيشب بـ10 جنيه، شيشب زنوبة ممكن تدبني عشرة جنيه عشان البس حاجة في رجلي وأنا رايحة المدرسة". الناس دي أروح أقول لهم ممنوع قسم الشرطة يضربكم، الناس دي مش بتشوف اللحمه غير لو حد جاب لهم لحمه

في العيد الكبير، الراجل عاجز والست بتروح تلمّ الأعشاب البرية اللي على المصارف، تبعها للناس اللي عندهم غنم ولا جاموسة مقابل يدّوها شوية فول تدمسهم زي المقايضة بتاعة زمان. إحنا مش في وسط الناس دي، الناس دي ما حدش جنبها. أنا هرضى عن نفسي لما نبقى مجتمع واصلين للناس دي، عشان الناس دي ما حدش في ضهرها.

منى بيكر: الأعراض الجانبية لمقاطعة إسرائيل

كلها، ومكنش ينفع أعتمد على دخل من العائلة. الماهية بتاعة التدريس الإنجليزي كانت نصف الماهية اللي ممكن اجيبها لو اشتغلت سكرتيرة، فاشتغلت سكرتيرة كام سنة في شركة وفي الشغل قابلت زوجي، تزوجنا وبعدين سافرنا وعيشنا في إنجلترا، وبدأت أدخل ثاني في المجال الأكاديمي، درست ماجستير في الدراسات اللغوية، بعدين بدأت أدخل في مجال إنني أكتب كتب ومقالات وحاجات عن دراسات الترجمة. دخلت في السلك الأكاديمي.

ملكة جمال سجن القناطر

في الجامعة الأمريكية كُنا 3 أو 4 اللي عندنا نشاط سياسي. كنت وقتها مع زميل شبه مخطوبين مش رسمي اسمه محمد خالد ثابت، أبوه هو خالد محمد خالد اللي هو كان كاتب معروف. وبعد العزيز عز العرب، برضو كان له نشاط سياسي لحد ما. دخلنا في مجال اللي إحنا نعرف إيه اللي بيحصل في جامعة القاهرة، وفي جامعة عين شمس. بعدين أسسنا مجلة، مش فاكدة اسمها، المجلة دي كانت نصف بالإنجليزي ونصف بالعربي. أنا كنت مسؤولة عن الجزء الإنجليزي، وكنا مهتمين بالذات بقضية فلسطين، بدأنا نكتب في المجال دا. بعدين في أواخر ديسمبر 1972 كان فيه حملة اعتقالات، واعتقلوا محمد زميلي من بيته الفجر. بدأت أروح جامعة القاهرة، وأشوف إيه اللي بيحصل هناك، في حركة جامدة يعني. بعدين بدأت أطلع الشوارع وأعمل منشورات واتقبض عليّ. هو تقبض عليه مش عشان النشاط السياسي، عشان المجلة، بس أنا كنت داخلة في المجلة. وقتها كان معايا محمد الجمل كان طالب في الجامعة الأمريكية، هو تحمس للموضوع بس الحقيقة مكنش بقاله وقت له نشاط سياسي خالص، هو بس تحمس وقتها. جاء معايا يعمل المنشورات وأختي زينب، هي أكبر مني، جات ورايا عشان كانت خايفة عليّ مش عشان كان لها نشاط سياسي، هي برضو كانت في الجامعة الأمريكية. المهم اتقبض علينا إحنا الثلاثة، وجابوا والدي أخدها على طول لأنه كان باين إنها ملهش دعوة بأي حاجة هي بس كانت خايفة عليّ. دخلنا السجن، محمد سبوه بعد كام يوم، والده جاء أخذه، وأنا قعدت 3 شهور، هو دا وقتها النشاط اللي أدى لدخولي السجن مُعتبرش نشاط سياسي جامد. الفترة اللي قعدها في سجن القناطر عرفت أكثر، وتحسست أكثر للنشاط السياسي. لأنني قاعدة مع ناس فاهمة أكثر الأوضاع السياسية من نواحي كثيرة، وكانت فترة تعليمية، فتحت عيني على حاجات كثيرة. كنا محظوظين إننا ما تعذبناش. انصبرنا مرة واحدة، لأننا كنا رافضين ندخل الزنازين. كانت تجربة جميلة جداً لأن البنات عددهم يتراوح بين 20 و25 كلهم

تحدث منى بيكر، وهي بريطانية مصرية أكاديمية متقاعدة، كانت أستاذة تدرّس الترجمة في جامعتي يوماس ومانشستر. قبل سفرها للعيش في إنجلترا، عُرفت منى باسم "منى الهلالي" طالبة الجامعة الأميركية التي التحقت باعتماد داخل جامعة القاهرة في كانون الأول/ديسمبر 1972 وقُبض عليها وهي توزع المنشورات للتحسيس في سجن القناطر. وفي هذه الشهادة تروي منى جانباً آخر من تلك الحبسة بخلاف ما زوي في شهادات أخرى، فتقرأ وقائع مسابقة ملكة جمال السجن، وغيرها من القصص الساخرة. كما تلقي منى الضوء على الحروب التي شنت عليها لمواقفها الداعمة للقضية الفلسطينية خلال عملها الأكاديمي في بريطانيا.

هذه الشهادة اعتُمدت على مقابلة أجرتها هدى الصدة مع منى في 15 كانون الثاني/يناير 2020.

مرتب السكرتيرة ضعفي أستاذة الجامعة

اسم الشهرة منى بيكر، دا اسم أخذته بعد ما تزوجت. زوجي إنجليزي وأخذت اسمه بعد ما انتقلت للسكن في إنجلترا. أنا شبه متقاعدة، عندي 66 سنة. المجال اللي بشتغل فيه مجال أكاديمي، أنا أستاذة دراسات في ترجمة. ما زلت نشيطة مع إنني شبه متقاعدة، شغلي كله في مجال الترجمة، مع النشاط السياسي، بالذات في تجهيز دور الترجمة في النشاط السياسي.

عشت في مصر لحد ما كان عندي 25 سنة، عائلتي لا هي في المجال الأكاديمي ولا الثقافي، مفيش حد في عائلتي ناشط سياسياً، ولأ كان عمره نشط سياسياً. والدي كان مفاول، ماما مكنتش بشتغل، ومش متعلمة. دخلونا مدارس أمريكية كان اسمها American College بقت رمسيس كوليديج، وبعد كده جيت scholarship للجامعة الأمريكية، ودرست الأدب المقارن. لما خلصت عرضوا عليّ شغل إنني ادرّس إنجليزي هناك، بس إحنا عائلتنا مش غنية، في الأول كانوا غناي قوي بس بعدين بابا صرفها

شخصيات جميلة جدًا، ومن مجالات مختلفة، سواء من حيث دراستهم أو background الخلفية الاجتماعية. كنا مجموعة صغيرة، ومتفاهمين مع بعضنا، مكنش فيه شد، مكنش فيه مشاعر وحشة، مع إننا سياسيًا كنا مختلفين جدًا. يعني كان فيه ماركسيين، وكانوا يحاولوا بدونا دروس في الماركسية، وأنا مكنتش أعرف حاجة عن الماركسية ومقتنعش بها، بس هما كانوا واخذنها بجد جدًا. سهام صبري كانت ماركسية، بس سهام كان دمها خفيف جدًا ويمكن إنها تعلق على كل حاجة، وتضحك على كل حاجة. لما كنا نقعد أنا وهي ونقول لما الثورة تكسب، العلم بتاعنا هيقبى بدل المطرقة والمنجل هندط سيجارة وكأس، كانوا يزعلوا متنا جدًا، هما كانوا واخذنها بجد قوي. لكن مكنش فيه حساسيات، مكنش بيؤدي لمشاعر سيئة بنا. أكثر حد كنت متفاهمة معاه، ويقضي وقت كثير معاه في السجن كانت سهام صبري، كانت شخصية جميلة جدًا، جادة وفي نفس الوقت مش جادة ممكن تهز وتاخذ الأمور ببساطة، حبتها جدًا.

كان فيه أمال عبد الهادي، نادية عبد الوهاب، كان فيه حياة الشيمي، فنى أنيس. كنا بعمل حاجات غريبة طبعًا وقت السجن، فضا، بصراحة هو فضا. عملنا مثلاً مسابقة ملكة جمال السجن (ضحك) أنا فاكدة إنني كنت واحدة من الـ 3 الأولاتين بس مش فاكدة، أفكر كان في واحدة اسمها سامية الأول، وغالبًا أنا، وبعدين فنى أنيس، حاجة كده، دي حاجة كنا بنعملها. كانت العملة في التداول السجائر، كانت والدتي لما تيجي تزورني أقول لها أهم حاجة تيجي معالي سجائر، حاولت أدخن لكن مقدرتش معجبتش التدخين. كنا مثلاً نذهب للمساجين العاديين وناخد كبايات شاي. دخلنا إضراب عن الطعام مرتين، أول مرة كان تصاعدي، سهام كانت أول واحدة تدخل ما شاء الله جسمها كان جامد جدًا. أول مرة قعدت 17 يوم إضراب عن الطعام، أنا كنت آخر واحدة أدخل لأن كانت صحتي وحشة. مدير السجن وقتها كان ظريف جدًا، كان كويس قوي معانا، كنت أوقات أروح أسرق الجرنال من مكتبه واطلع أجري ميزعلش، هو كان ظريف. مرة قال لهم: "يحبوا لى مربى عشان افكر إن ضغطي واطي قوي"، وهو فعلاً كان ضغطي واطي جدًا وعندي أنيميا. كنا لما نعمل الإضراب يحطوا المضربات في التأديب. زنازين التأديب دي كانت مفيهاش حاجة خالص، تنامي على الأرض ويتقفل عليك باب من بره. ثاني مرة لما عملنا الإضراب عشان ضربونا، دخلنا كلنا، مكنش تصاعدي. أول مرة كان عشان عايزين جرائد وعايزين حاجتنا، مش فاكدة كنا عايزين إيه بس كنا عايزين حاجات. ثاني مرة عشان سمعنا إنه في معتقلة سياسية جات ومحطوهاش معانا، حطوها مع المساجين العاديين، معرفش دا كان

صحيح ولا لا، بس قررنا إننا نعترض ومندخلش زنازين. وقتها غيروا مدير السجن الظريف، وجابوا واحد سيئ جدًا، راح داخل علينا بالعساكر وبالجيش وقعدوا يضربوا فينا. رغم الوجع، بس كان من أطرف الحاجات اللي افكرها إنه نادية وآمال اللي هما كانوا ماركسيين ومتدربين، قالوا لنا: "إحنا هنضرب". طب هنعمل إيه، هنعمل خطة، وكله يمشي على الخطة دي، خطة زي الزفت (ضحك). قالوا إن في حاجات في الماركسية تدريب مخصص، قالوا لنا نعمل شكل مثلث، هنوضب روحنا على شكل مثلث عشان لما يجوا يهجموا علينا يبقى مش كلنا مرة واحدة كده قدامهم. في طريقة إن الستات اللي هما السجانات كانوا حجمهم كبير قوي، أنتوا عشان كطريقة عشان تدافعي عن نفسك لأنه هيدخلوا يضربوكي إنك تمسكيهم من صدرهم جامد. أنا أول لما دخلت كان فيه واحدة مستقصداني لأنني شوفتها مرة بتضرب سجينة عادية بفتح كبر، وقعدت اشخط فيها وأصوت لها لحد ما سابنها، دي دخلت عليّ على طول عشان تحاول تمسكني. أنا حاولت أخط أيدي، أيدي راحت، كانت خطة سيئة جدًا هما مش شايفين قدامهم الناس دي حجمها إيه، حاولت الاقي أي حاجة أمسك فيها ما عرفتش، والست شالتني من فوق من شعري وبقت تنفث في شعري. يومها أمال جريت، ما كان فكرة المثلث وبعدين هنجري ونفرقهم، طبعًا كسروا لها ذراعها على طول وهي كانت رفيعة جدًا، الباقين ضربونا ودخلونا على الزنازين. ثاني يوم دخلنا في الإضراب وطلعونا المستشفى، المستشفى دي كان دور فوق العنابر اللي كنا فيها. فاكدة صافيناز كاظم كانت محبوسة معانا لكن في المستشفى عشان حامل، وكانت واقفة فوق بتبص علينا وإحنا بنضرب تحت. صافيناز دي كانت عاملة إنها شيك قوي وراقية قوي، لكن لما شافتنا بنضرب بالنظر دا الكلام اللي طلع من بوقها ميتعدهش ثاني، واقفة تشخط من فوق، تستعمل لغة وحشة قوي، مكنتش أعرف إنها ممكن تطلع من بوقها. طلعونا المستشفى، بيتنا في الزنازين ليلتها وبعدين طلعونا المستشفى وكنا في الإضراب، الزمن غير الزمن الحقيقة. كان في دكتور جاء عشان قولنا إننا اضربنا، يشوف وكل واحد يكشف عليه. أنا فاكدة السونيتانات وقتها اللي فيها الحديد من ورا، وهو بيكشف عليّ شاف مكان حديدة السونيتان، وقال لي: "أنا شايف ضربوكي" أقول له لا دا السونيتان، مش ممكن تلاقى دكاترة زي دي في السجون دلوقتي. دي من ضمن الذكريات، أكيد وقتها كانت بتخوف، لكن الواحد لما يفكرها بيضحك من المقارقات، والناس كانت فاكدة اللي بتعمله إنها ممكن تعمله في ظروف زي كده. كان في نوع من المثالية والسذاجة جامد، من ناحية إنه إزاي تقدر تدافعي عن نفسك جسمانيًا،

واضح إنه كان في سذاجة جامدة. كان يتعمّل زي ندوات يقولوا لنا عن الماركسية والفكر الماركسي. مش مسألة فكر ماركسي بالذات، بس أي فكر ما عندبش استعداد أخذ فكر معين كامل وأنبناه. بس أعتقد دا كان الشيء السائد وقتها، كان معظم الناشطين سياسيًا اعتقد إن هما كانوا يؤمنوا بالفكر الماركسي. أنا لما روحت المباحث، أول ما تقبض عليّ روحت المباحث أعتقد اللي هو قصاص دار الكتب دلوقتي، هو المبنى الكبير دا كان اللي بيستجوبني واحد أسمه صهيب، كان كوميدي جدًا، كان لابس بالطو المطر وهو كان واحد روحه بجد بس كان كوميدي. هو كان يحاول يستدرجني، وهو مقتنع أو الدور اللي لازم يلعبه إنه يثبت أنني ماركسية، أنا ماركسية مش ماركسية كان هو دا الواجب اللي عليه. كان يقعد يسألني أسئلة أنا فعلاً مش عارفة الإجابة عنها لأنه مكتنّش قارية عن الماركسية. يقول لي مثلاً مين اللي قال دع مائة زهرة تنفتح، أقول له مش عندي أي فكرة، قال: "دربوكي كويس".

جوابات مُهرية في المحشّي

استعجبت رد فعل أهلي، كانوا متضامين.

أول حاجة لمّا تقبض علينا من الشارع وأنا بوزع منشورات اعتصام جامعة القاهرة، وكنت واحدة معايا غيار، أول حاجة لما ندهوا على بابا عشان ياخذ أختي، وقالوا له إنه ساب بناته في الشوارع ومعاها غيار، اتجنن بابا. بغض النظر هو مكتنّش له في السياسة، إن يتقال كده على بناته، ودخل فيهم شمال وشنم. كان متضامن من ناحية إزاي يتعاملوا معايا بالمنظر دا، بعدين أختي ثناء كان وقتها ربة بيت ولد بتشتغل وعندها بنتين صغيرين، وملهاش خالص في الكلام دا. أعتقد دا فتح عينها على حاجات كثيرة، وبدأت تطلع مع الأهالي ويقفوا في المداكم. كانوا يزوروني في السجن، وأختي كانت بتجيب معاها بناتها اللتين، كانوا صغيرين قوي. كانوا يحروا عليّ ويقولوا لي اللي أختي عايزة تقوله ليّ، لأن هما عيال صغيرين مش شاكين فيهم، يحروا عليّ وأشيل عيلة عشان أبوسها، تقول ليّ: "بصي في المحشّي اللي جايينه فيه جواب" (ضحك). كان محمد اللي كان شبه خطيبي كان في سجن الرجالة، واختي تعرفت على أهله، وكان بيعت لي جوابات معاهم، ويهربونها في المحشّي.

مرة سجانة من السجانات أخذت بالها ولقت الجواب، جاية عشان تلسفني وتقول لمدير السجن، طبعاً متكسفتش وقلت لها دا جواب خاص ما تقرهوش.

أهلي كانوا متضامين، وكان فيه نظام بين أهالي المجموعة اللي في السجن، مثلاً حياة الشيمي، كانت

محبوسة معانا، وأبوها يتاع الكباب، أخو حياة لمّا يزورها يجيب كباب للكل. برضو أهلي يجيبوا للكل، كانت كميات مهولة. كل الأهالي كنت شيفاهم متضامين، واللي قادر إنه يساعد كل ما يبدوا، لأن أكل السجن حاجة صعبة قوي. كُنا بنقسّم كل حاجة بتيجي.

في خامس يوم إضراب، جم قالوا ليّ تعالي، افتكرت هيخدوني محكمة، وكان فيه عربية ترحيلات برّة، وكان فيه واحد من سجن الرجالة طلعلنا سوا وكان فيه سجينة بتاعة مخدرات. المهم خلوني اقعد قدام، وأنا فاكرة السجينة بتاعة المخدرات أدتني ورقة وقالت ليّ: "دا عنواني أي حاجة تعزوها تجوني أنتوا بنات جدعان"، هما كانوا مستجذعنا جدًا لأننا وقفنا ضد السجانات. ونزلونا في حنة قريبة من ميدان التحرير، والولد جاب لي عصير برتقال، لأنني كنت مضربة بقالي خمس أيام، ونصحنني إني اشرب شوية شوية عشان متعبش. بعدها أداني 50 قرش، عشان اخذ تاكسي.

كانت أختي وأخواتي في الفيلد، كُنا في فيلدا في مصر الجديدة وقتها، ضربت الجرس عشان أجرة التاكسي كانت أكثر من الـ50 قرش وقتها، وأهلي جم دفعوا الباقي. احتفلوا بيا، وصمموا إنهم يأكلوني إسكالوب، وكنت هموت يومها وأفهمهم أنه مينفعش عشان بقالي مضربة خمس أيام.

كانوا متضامين جدًا، ومكتنّش في فكرة سجنتي دي حاجة سيئة، بالعكس بدأوا واعتقد ثناء بالذات كانت فخورة بعد ما اندمجت مع أهالي المحبوسين. كانوا يروحوا المحاكم لمّا يكونوا واخدين أي حد للمحاكمة، ويقفوا برّة ويعملوا أناشيد وهتافات. ثناء كانت بتقول لي إن فيه مرة طلعلوا لهم بالقائش¹ وضربوهم، وإن فيه ستات ضربت جامد قوي. أعتقد كانوا يحاولوا يتواصلوا مع بعض عشان يشوفوا أخبار اللي بيحصل للولاد والبنيات، يشوفوا محتاجين يتبعث لهم إيه.

لمّا خرجت من السجن زرت سهام في البيت، مرة أو مرتين. وكان فيه واحدة اسمها انتصار، برضو شوفتها في قهوة الفيشاوي مثلاً. بس إحنا تفرقنا، المجموعة مفضلتش على اتصال، وأنا اندمجت في حياتي الشخصية، كان لازم اشتغل، لأن ما عندبش مورد دخل خالص، ومش بس كده، كنت مع ماما، وهي مكتنّش عندها مورد دخل، كان لازم اشتغل واكسب فلوس عشان نعيش. وبعدين حصلت حرب أكتوبر وأخذت الجو. إحنا كُنا بنطالب أنه يكون فيه حل

1 حرام فماشى ضمن الزى الرسمي لقواب الامن المصرية. تقصد الراوية أن قوات الامن كانت تبعد أهالي المحبوسين ونفرهم عبر ضربهم بأحزمه فماشه.

لموضوع فلسطين، السادات قام بحرب أكتوبر، وخلص اخذت الجو، انتهينا.

بعدين سافرت إنجلترا، وعشت مع زوج إنجليزي، مش بيتكلم عربي، في بلد زي تونون، مش مدينة كبيرة زي لندن أو مانشستر، وحتة إنجليزية خالص محدش بيتكلم عربي خالص قعدت وقت طويل مشغولة بإنني اتأقلم على الأوضاع الجديدة، وأتعلّم. في الأول كان كل القوة اللي عندي متأخدة إنني أتكلم طول الوقت إنجليزي مش قادرة أتكلم ولا كلمة عربي. أي حاجة عابرة أقولها، عابرة أعبر عن نفسي، لازم تبقى بلغة ثانية. صحيح خريجة جامعة أمريكية بس عشان فجأة لغتك تنقطع منها خالص، مفيش حتى أي حد تكلميه بالعربي، كانت صعبة. قعدت فترة طويلة مشغلة بالموضوع دا، هعمل إيه في بلد جديدة، هشتغل إيه، أنصرف إزاي. اشتغلت سكرتارية شوية، وبعدين عملت الماجستير. فضلت فترة طويلة الحقيقة مشغولة بتفاصيل حياتي أنا، وإزاي هتأقلم على الوضع الجديد، وهعيش إزاي، وهتصرف إزاي. أعتقد الوقت اللي بدأت أرجع فيه للسياسة كان حرب الخليج الأولى. كانت صدمة عنيفة، بالذات لأنني كنت بشتغل وقتها في جامعة برمينجهام، وبشتغل مع ناس متفتحين جدًا، وبساريين إلى حد ما، إنما ناس أكاديمية. لقيت في حرب الخليج الثانية 1990-1991 الكل كان مُجمع على إنتي قلانة على إيه، وإيه الهستيريا اللي عملها يا منى، مفيش حاجة. إنجلترا وأمريكا عابزين يساعدوا الشعب العراقي، وكله هيبقى جميل. وأنا طبعا شايفة إن اللي بيحصل مأساة رهيبة، ويهزروا على اللي بيحصل. كانت صدمة جامدة، حسيت إنني منعزلة عن العالم كله، العالم اللي أنا فيه. نزلت مظاهرة في لندن وقتها، مظاهرة صغيرة جدًا، أول مرة أشوف مجموعات يهودية، اللي هما بيتظاهروا، كانت برضو مظاهرة بالنسبة ليّ إن فيه يهود في البلد هنا متضامنين مع العرب والفلسطينيين. بدأت أفكر ثاني في السياسة، وبدأت أدخل شوية شوية في الموضوع.

نار المقاطعة

لما حصلت الانتفاضة الأولى، والانتفاضة الثانية، ولما مستوى العنف ضد الفلسطينيين ارتفع بشكل رهيب في 2002. بعض قنوات التلفزيون والجزائر وقتها بدأت تتكلم إن الدبابات تدخل البيوت في النصف والناس فيها. أنا فاكرة وقتها كنت في مؤتمر بالبحرين، وكنت بتفرج على الجزيرة live إيه اللي بيحصل في الضفة. بعدين في اتنين يهود هما ستيفن وهيلاري روز عملوا زي petition طلبوا من الناس إن هما ما يعملوش مشاريع مع المؤسسات الإسرائيلية كرد فعل، كانت فكرة مقاطعة عندهم إنك

ما تدخلش مشاريع أوروبية وتشارك مع مؤسسات إسرائيلية. أنا مضيت عليها، وبعدين كنت أسست دار نشر اسمها Publishing Saint Jerome متخصصة في دراسات الترجمة، وكنت بديرها أنا وزوجي، وكان عندنا مجلتين، وكل واحدة كان فيها حد من مؤسسات إسرائيلية، وكانوا أصدقاء لحد ما. كنا نتناقش سياسيًا، وكانوا عارفين رأيي، كانوا طوال التسعينات لما كان تجي لي دعوة إنني أروح أتكلم في تل أبيب كنت بقول لهم بشكل صريح أنا لا يمكن أتكلم في إسرائيل، لأنني شايفة إن فكرة إسرائيل نفسها غلط، كنا بتكلم في المواضيع دي. بس كنا أصدقاء وعارفين رأيي. هما كانوا الإسرائيليين نشطاء جدًا في مجال دراسات الترجمة، كانوا ناس أسماهم من أهم الأسماء في دراسات الترجمة. كان طبيعي إنني أدهم إنهم ينضموا لهيئة التحرير. لما مضيت على موضوع المقاطعة، فكرت في الموضوع قُلت مينفعش أبقي مقاطعة، إزاي الواحد يقطع مؤسسات إسرائيلية وينشر أسماء ناس على هيئات التحرير، مع اسم المؤسسة التابعين لها، هما بيمثلوا المؤسسة مينفعش. فكرت في الموضوع جامد، وبعدين قُلت لهم أنا عابزكم تطلعوا من هيئة التحرير بسبب كذا، وأنا مضيت على المقاطعة، طبعا كان رد فعلهم سيّئ جدًا، قُلت لهم كده ولا كده هطلعكم بكرامتكم أو أنا هسيلكم، هتعملوا ليّ إيه، دار النشر دي بتاعتني ملكي محدش يقدر يتدخل فيها. قعدوا يقولوا لي أنت متها لك، وإحنا لازم هنبتع تقرير لهيئات الجامعة لكده، قُلت لهم ابعثوا اللي بتعتوه. فعلاً كانهم داسوا على زرار ثاني يوم الضبح تقريباً جميع الصحف في إنجلترا نشرت حاجة عن الموضوع دا. بعدين لما ما تراجعتش الجامعة اللي كنت فيها اسمها "UMIST" وهي اختصار لـ University of Manchester Institute of Science and Technology رد فعلهم الأول لما الصحف اتصلت بهم إن الجامعة ملهاش دعوة لأن "دي دار نشر مش تبع الجامعة"، بتاعتها هي شخصياً. بعد الحملة دي في آخر الأسبوع كتبوا لكل طالب عندي إن دي معادية للسامية وإزاي تشتغلوا معاها، وكل سكرتيرة في الجامعة. كانت حملة غير طبيعية، وقفوا شغل الجامعة، رئيس الجامعة أنهار، الجامعة نشرت حاجة إنها ضد اللي أنا عملته وإنه لازم يتعمل تحقيق فيه، ويتعمل معاي تحقيق ويشوفوا الكلام دا. بعدين بدأوا حملة طويلة استمرت يمكن لغاية 2008-2009 كان بيحي ليّ إن الجامعة بتوصلها شكاوى إزاي تشغلوا واحدة زي دي.. دي معادية للسامية، الموضوع قعد فترة طويلة يمكن لغاية 2012. اكتب عليّ في الصحافة إنني most hated woman in Britain the

واتعمل تحقيق ورفضت إنني أتعاون معاهم خالص. قعدوا

يقولوا لي لازم تيجي التحقيق، قلت لهم أنا مش بعترف بيكم كهيئة لها أي وضع قانوني، ومش هتعامل معاكم. في الآخر هما معرفوش يعملوا إيه لأنني رفضت إنني أتأسف، ورفضت اتعامل معاهم، وفي نفس الوقت الحقيقة اللي وقفوا معايا جامد قوي، كان في حاجة اسمها committee for academic freedom وكان اللي ماسكها يهود. وقفوا معايا جامد، وبعدين أدوني نصايح، وعرفوني بمحامية كويسة بتاعة human rights اسمها لويز كرسيتيان، وطلع إن فيه system عمري ما كنت سمعت عنه في الجامعات في إنجلترا، لو إنتي في مشكلة مع الجامعة على مستوى كبير واستنفرتي كل الوسائل القانونية، وكل حاجة إنك توصلي لحل معقول. كل جامعة لها حاجة اسمها إن الأمير فيليب، زوج الملكة، إنك تراسليه شخصيًا عشان يتدخل لحل المشكلة. الظاهر إن وقتها كانت حاجة تخوف جدًا، لأن طبعًا دا معناه عشان جامعة توصل لوضع زي دا. هما حتى زملاني اليهود بتوع committee for academic freedom هما اللي كتبوا الجواب اللي قالوا لي ابعته للجامعة إنه مسودة لـ petition نفسها. بعته للجامعة، وقلت لهم آخر حاجة بقى هعمل كده، وخافوا، وخليت الست المحامية كتبت لهم جواب، قالت لهم إحنا هندخل في المجال القانوني، واضطروا إنهم يتراجعوا. ونشروا حاجة كأنه التقرير بتاع الهيئة اللي عملوها، التحقيق اللي ما نعملش أساسًا أنا مكلمتش حد. تقرير يضحك جدًا إن هي مش معادية للسامية، بس هي غلطت، بس هي معملتش، بس هي عملت. أي حاجة، أي حد عايز يعمل، المهم الموضوع انتهى إلى حد ما. لكن أنا كنت وقتها مكتبي في جامعة مانشستر، لأنه كان فيه merger بين "يوميست" و"مانشستر"، وكان بالفعل اتفقنا على المجموعة بتاعتي بتاعة دراسة الترجمة اللي هتروح جامعة مانشستر وأنا كنت أول واحدة تروح في 2003. وخلال تصعيد الموضوع، ولقيت بتاع college اللي أنا فيها ندهني وقال لي: "لازم تمشي خالص من الجامعة، إنتي في ظرف ساعات تلمّي كتبك وكل حاجتك وتمشي ومتحطّيش رجل في الجامعة لغاية لما نشوف حل، لأن كده هتعملي أزمة في الجامعة، والشكاوي اللي عمالة تيجي لي".

في الآخر اضطروا إنهم يرجعوني لأن قانونيًا ميقدروش، بس "مانشستر" كمان كانت مركز كبير للصهاينة، وما زالت على فكرة معروفة. جامعتنا فيها صهاينة كتير ولهم نفوذ جامد جدًا، ناس لهم اسم كبير. في وقت من الأوقات كانوا بيلصقوا ستيلز على باب مكتبي عشان يفهمك إنه مراقبك، أطلع عشان أتغدا أو أعمل حاجة، أرجع في ظرف

نصف ساعة، وهي النصف ساعة دي اللي يعرفوا يخطوا فيها stickers وكلام من دا، بس عدت يعني.

في وقت من الأوقات كان فيه واحد يهودي، أستاذ جامعة في أمريكا اسمه لورانس، كان برضو اتصل بي ووقف معايا جامد قوي، وكتب في كذا حته تضامنًا معايا. واشتغلنا أنا وهو، وكتبنا حاجة عن المقاطعة سوا، وقتها يمكن كان في 2003-2004. كان الناس يتقول: "أنتوا ما لكم... والفلسطينيين مطالبوش بالمقاطعة، أنتوا ما لكم.. تعملوا أنتوا كده".

إيه الفرق بين مقاطعة مؤسسات ومقاطعة أشخاص؟ إن مقاطعة الأشخاص بتكوني معادية للسامية عشان بتشيلي شخص. موضوع المقاطعة الأول كان بس تقاطعي مشاريع، والكلام دا كله. ولفترة طويلة هيلاري روز كانت هي وغيرها بيحاولوا ما يبانوش إنهم معايا. كان فيه ناس ضد المقاطعة الأكاديمية بالذات، مثلاً الناس اللي مع مقاطعة البضائع، تقول: "لا العمل الأكاديمي دا خارج المقاطعة".

اتفقنا أنا ولورانس إننا نتصل بالفلسطينيين ونشوف الموضوع دا. وفي بداية 2005 اتصلنا بريهام برغوتي والجامعة دول، وقلنا لهم يا جماعة إحنا في هجوم فظيع علينا، عشان أنتوا مطالبوش بالمقاطعة، اعملوا حاجة. بدأوا يتكلموا، وفي 2005 الموضوع اتعمل رسمي.

مثلاً كان فيه إسرائيليين زي ريتشل جيورا Rachel Giora بالذات، والجامعة دول كانوا ممتازين الحقيقة، ويمكن كان موقفهم صعب جدًا لأنهم كانوا بينهاجموا في جامعاتهم، ولا زالوا نهاجموا بشكل فظيع، لأنهم وقفوا معايا. بعدها انعمت حركة المقاطعة BDS اللي هما الإسرائيليين نفسهم اللي بيكتبوا للناس يقولوا لهم متجوش، بلاش تشتغلوا معنا، لازم تتضامنوا مع الفلسطينيين.

المقاطعة أثرت على شكل شخصي جدًا ومهني. وكتبت كتاب اسمه Translation and Conflict، مكنتش ممكن أكتبه قبل المقاطعة، لأنه كان نتيجة تجربتي لما بدأت أفكر في طريقة تفكير الناس، مكنتش فاهمة حقيقي الناس إزاي تحاول إنها تدافع عن مواقف معينة، عن الصهيونية. ناس تكتب لي إن الصهيونية دي فكرة كويسة جدًا، بدأت أفكر في السرديات، بتيجي منين السرديات دي. موضوع المقاطعة أثر على موقف الناس مني، فترات طويلة جدًا، منهم الناس اللي يشتغل معاهم في المجال بتاعي.

الشعور بالاستحقاقات الذكورية

لما كنت يشتغل في "يوميست"، قبل ما أروح جامعة مانشستر، كنت واعية قوي إنني واحدة ست، لأن

"يوميست" كانت جامعة بتاعة علوم وتكنولوجيا، وهي very male oriented، وكنت واحدة من اثنين ستات أساتذة جامعة هناك، وحظوني في مجلس جامعة منظر، كان أعلى مجلس في الجامعة فأكرة مثلاً إنني بدأت أقول رأي كل الرجاله يبصوا لى ما معناه "دي واخداها بجد". فعلاً حسيت إنني مش موجودة هنا عشان أتكلم، أقعد بس واسكت.

في نفس الوقت اللي كنت بشتغل معاهم كلهم كانوا رجاله، وحصلت مشاكل جامدة جداً معاهم، وكانوا مثلاً كلهم إنجليز ولما يضطروا يقولوا لى: "تعالى معانا هنطلع نقعد في حنة نشرب بالقصد يقعدوا يتكلموا في حاجات عارفين إنني مقدرش أتكلم فيها" وقتها حسيت إنهم فعلاً كنت بسميهم boys club إحنا نعمل اللي عابزينه، بس غير كده محستش إنني أنا.

صورة الثورة خارج مصر

مقدرتش اشترك في الثورة، بس قدرت إنني أعمل دراسة، اللي قدرت أعمله إنني أجب مشروع عن دراسة الترجمة في النشاط السياسي في مصر وقت الثورة، وفكرت في المشروع دا ليني حضرت حاجة زي ندوة في الهيئة اللي بتمول المشاريع في إنجلترا اسمها AHRC and Humanities Research Council (Arts) وسمعت واحدة من اللي كانوا بيتكلموا -كان واضح إنهم مدينها فلوس كتير عشان تدرس الثورة المصرية- جابت لي انهيار عصبي، لأن دي واحدة إنجليزية وبتكلم بشكل واثق جداً من روحها، جات اتصلت بالسفارة البريطانية وقالت لهم أنا عابزة شوية ناس أعملهم interview وهما جابوا لها ناس، وتكلمت معاهم بالإنجليزي. وقررت نعمل حاجة عدلة مش معقول كده. ونشرت كذا حاجة عنها، وعملت مؤتمر كبير هنا اسمه globalizing dissent حضروا كل الناس اللي أنا عملت معاهم دراسات، منهم خالد عبد الله، فيليب رزق، سلمى الطرزي، ليل زهرة مرتضى. حاولت على الأقل عن طريق العمل الأكاديمي إنني أدخل في صورة الثورة المصرية بالطريقة اللي يتمثل بيها في الخارج.

بعدها، يونيو/يوليو 2013 مثلاً كان وقت صعب جداً. وقت عدم تفاهم مع العائلة بشكل عمره ما حصل في حياتنا. شكل يآثر على العلاقة العائلية مش بس اختلاف سياسي، لكن دلوقتي غيروا رأيهم تمامًا بالعكس، وبدأوا يفكروا إزاي عملنا اللي عملناه.

منى ذو الفقار: أن تقدم للمرأة حلًا بالقانون

منى ذو الفقار هي محامية ومدافعة عن حقوق النساء.

في هذه الشهادة نتحدث منى عن رؤيتها أنّ التغيير لا يحدث إلا بقوانين جديدة، تسرد محطات فارقة في حياتها ارتبطت جميعها بتعديل قوانين لتحسين وضع المرأة، وأثر تلك النصوص الجامدة الخاصة بالزواج والطلاق والخلع على حيوات وأدق تفاصيل الملايين من المصريات. كأنها سخرت حياتها لتقديم الحل، الذي لم يكن ممكنًا في الفيلم الذي أنتجه والدها، "أريد حلاً" (1975). وكان بحثها عن الحل، والذي وفقت في تقديمه عبر عملها كمحامية من داخل المجتمع المدني الذي تراه مותרًا لمسيرة الحرية وطريقًا للدفاع عن قضايا المرأة، وتغيير واقعها.

هذه الشهادة اعتمدت على مقابلات أجرتها هدى الصدة خلال ثلاثة أيام، في 20 حزيران/يونيو و4 تموز/يوليو 2020 و21 شباط/فبراير 2021.

طفلة في أسرة مشهورة

اسمي منى ذو الفقار، جدودي كانوا أقارب من الدرجة الأولى، فالأسرة الكبيرة كانت واحدة. ولدت وعشت طفولتي كلها في حي العباسية الذي كان في ذلك الوقت من الأحياء الراقية جدًا هو ومصر الجديدة كانوا منطقة هادئة وراقية وكلها حداثق، أيضًا كانت قريبة من بيت جدي، الأميرالدي أحمد مراد ذو الفقار، بيت أبو أبويا (جدي لأبويا)، وقريبة من كلية الشرطة التي كان والدي في ذلك الوقت مدرّسًا فيها، دي كانت المنطقة اللي تربيت فيها. أنا الثالثة، ليّ أخين كبار وأخ أصغر منى. الأخين الكبار أخوة من الأم، لأن والدهم توفى وهما أطفال صغار وبعد كده تزوجت والدتي من والدي، والحقيقة عمرنا ما شعرنا بأي فرق، ودي كانت من العوامل الراجعة لشخصية والدي، إن عمره مفرق، بالعكس أخواتي هما أخواتي، حتى أنا اكتشفت إنهم أخوه لأم متأخر لَمّا ابن الجيران اتخانق معانا وإحنا بنلعب وقال لي: "إنتي حتى أخواتك مش أخواتك" وبعطت وزعلت قوي إزاي يقول حاجة زي دي، إهانة، واكتشفت فعلاً اسم الأسرة مختلف وعرفت هذا

الكلام في الطفولة. دي كانت أول حاجة عن الأسرة، كانت متماسكة جدًا تتنفس الحب. لكن من التحديات الكبرى لأي طفلة أنها تتولد في أسرة مشهورة، والدي من أنا عندي ست أو سبع سنين ساب كلية الشرطة عشان يشغل في شغل ثاني، وأيضًا كان ممثل فيلمين بإذن خاص من وزير الداخلية ونجح بعد كده نجاح كبير وبقى مشهور. أعمامي عز الدين ذو الفقار المخرج العظيم، ومحمود ذو الفقار المخرج العظيم، محمود كان متزوج الفنانة الراحلة مريم فخر الدين، وعز الدين كان متزوج سيدة الشاشة العربية فاتن حمامة. الأسرة دي وأنا طفلة صغيرة في المدرسة وفي الجامعة في كلية الاقتصاد، أنا متشاقة بالذات سواء من المجتمع اللي أنا فيه الزملاء كلهم عايزين يشوفوا مين دي وبتعمل إيه وبنيت فلان، الصحافة كثير عايزين ومهتمين، ساعات برامج تلفزيون مع الوالد، كان دائمًا مش حاجة أنا أسعى إليها، حاجة أنا متعرضة لها وشاعرة إنها حطاني في تحدي إن لازم دائمًا أكون في أفضل صورة، لأنني يمثل والدي وأسرتي، وإنني ميتفعلش أبقي على حريتي، لازم اخذ بالي من كل تصرف، ودا كان بالنسبة ليّ مسؤولية، فبقيت غير إنني البنت الوحيدة في أسرة جميلة جدًا، كنت شاعرة بمسؤولية. الأسرة لم تقيدني، والوالد مشجع جدًا مفيش تفرقة بين الولد والبنت، لكن فيه نوع من الحب الزائد للبنت الوحيدة وفيه رغبة في حمايتها مش رغبة في حرمانها من أي شيء، بدليل إنني في الأنشطة الرياضية بلعب فولي، وفي فريق الجامعة والكلية في المسابقات، وبلعب handball وكسبت ميداليات، كنت بعمل كل النشاط اللي أتمناه، والاختلاط، كل أصحاب إخواتي كانوا عندنا في البيت من كل الأجيال مفيش قيد على دا، ولكن فيه حماية. وأنا صغيرة، وفي الجامعة، وفي شغلي، وكل حياتي كنت دائمًا حريصة مسؤولية، وأنا طبيعتي مسؤولة فحكاية الإحساس بالمسؤولية فيها إفراط في على المستوى الشخصي والاجتماعي، وعلى المستوى العام كمان، اللي هو برضو رباه في الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية والعامة والوطنية ربتها والدتي ووالدي من وأنا صغيرة. الإحساس بالمسؤولية، إنني تحت الميكروسكوب، عززت الشعور بالمسؤولية وخلصني أبقى دائمًا في الصورة اللي يتمناها أبويا اللي ربّاني، وعلمني إنني أبقى قد المسؤولية.

كنت محل رعاية خاصة جدًا لأنني البنت الوحيدة وسط ثلاثة أولاد، ومحل تحمّل مسؤولية قوية جدًا بحكم الثقافة المصرية التي تحمّل الأم والابنة والأخت هذه المسؤولية بحكم الطبيعة ليس بحكم إننا مقهورين في تحمّلها جوه أسرتنا، نتحمل مسؤولية في الرعاية والمحبة وفي حالة

1 الممثل صلاح ذو الفقار (1926-1993).

المرض وفي حالة أي مشكلة دائماً الأم والأخت تبقى الأقرب للحل. الوالد يتميز بشدة، منتهى الانضباط ومنتهى الحنان والعطف في آن واحد. الأم كانت فيض من كرم العطاء والحنان واحتضان الجميع، مش بس احتضان الأسرة، الأسرة الأكبر بالمعنى الواسع والشارع والحي والمجتمع، لأنها كانت أول من علمني أن العطاء بدون مقابل هو أجمل أنواع العطاء، وإن له مردود على جميع المستويات بس الواحد مش المفروض يحسبها ولا يستناها هي تبجي طبيعي. هي التي علمتني العمل الاجتماعي، و"جمعية تحسين الصحة" كانت أول مكان وأنا طفلة أضمر فيه الأسواق الخيرية معها، وأبيع المنتجات وأتعلم إن التطوع شيء طبيعي وجزء من الحياة. والدي في الطفولة كان أول ما سمعت إنه من ثلاثة طباط شرطة تطوعوا وراحوا معركة الإسماعيلية ضد الاحتلال الإنجليزي أو الموقعة الشهيرة التي أصبحت عيد الشرطة، عرفت متأخراً لما كبرت شوية إنه من أبطال هذه المعركة بس كنت لسه طفلة. أيضاً في 1956 تطوع واخذ كتيبة من الطلبة بتوعه في كلية الشرطة بإذن خاص وطلع للعمل الفدائية على خط القتال.

المناخ العام هو العطاء ومحبة وإن جزء من الحياة الطبيعية التطوع، وجزء من الحياة الطبيعية إننا نفكر في قضايا الوطن ونعطي لقضايا الوطن من الناحيتين. دا المناخ العام ودي كانت مرحلة الطفولة اللي أنا فيها. مهم قوي من المناخ ده المدرسة، أنا دخلت الكلية الأمريكية للبنات، وهي كانت في ذلك الوقت أفضل المدارس للبنات في مصر للغات، وكنت أنا في أول دفعة تجمع بين المقررات العالمية، لأن كان في عطاء أمريكي في اللغات والمدارس موجودين وفي أسلوب التعليم والمنهج، وأيضاً منهج الحكومة في ما يتعلق باللغة العربية والمواد الاجتماعية. لكن العلوم كنا أول ناس كملنا نأخذ كل العلوم باللغة الإنجليزية. المدرسة لها دور لأنها علمتنا التفوق مش التفوق بس في التعليم وإننا نجيب مجموع قد إيه، علمتنا إن قياس التفوق كان كمان في الأنشطة، الجائزة اللي أنا كنت باخدها على المدرسة كلها أنا وعدد قليل جداً، وأنا من فصل لفصل كان من معاييرها النشاط والأخلاق والأنشطة، وأنا كنت في كل الأنشطة مش عشان الجائزة لكن هي دي المتعة بتاعتني، سواء أنشطة رياضية أو أنشطة اجتماعية أو أنشطة ثقافية، كان فيه فرقة تمثيل بكل اللغات، فالمدرسة كانت تساعد على إن كل الخريجات يكونوا شخصيات متعددة الأبعاد ومتعددة سمات التفوق مش تفوق علمي أكاديمي فقط، وكانت تربّي أيضاً ملامح القيادة لما تلاقي في الطلاب، تربّيه وتشجعه وتكافئه، دي كانت من العناصر المهمة جداً لغاية الثانوية العامة، كان للمدرسة دور مش بس في تربيتي أنا بل في تربية كل الخريجات، كانت تقوم بدور

خاص جداً في بناء شخصية الطالبات مش بس التعليم الأكاديمي فقط. ده كان المحيط اللي أنا اتولد وتربيت فيه.

مهم قوي أقول أن الثانوية العامة في ذلك الوقت زي ما هي ما زالت لغاية الآن تحدي أكبر لكل الطلبة، المارد المخيف لكل الأسر المصرية لأنها هي اللي بتحدد سندخل أي جامعة وأي كلية وسنحصل على المجموع المؤهل ولا لا. في سنة الثانوية العامة سافرت أمريكا أربع شهور في مهمة لتمثيل بلدي كان منتدى عالمي اسمه "منتدى الشباب العالمي" World Youth Forum، هذا المنتدى كان يختاروا طالب أو طالبة واحدة من كل طلبة وطالبات البلد، فكانت أنا 40 أو 50، كل طالب من بلد مختلفة، وأربع شهور زي ما يكون مؤتمر دولي للطلبة، وكانت وزارة التربية والتعليم هي اللي كانت تجري هذه المسابقة على كل المدارس. مدرستي رشحتني، وروحت وأنا رافضة تماماً إنني أدخل المسابقة لأن معناها إنني فقيب شهور عن السنة المخيفة بتاعة الثانوية العامة، وأرجع امتحن على الامتحان. ولكن والدي أصر وقال لي: "دا شرف ولا يهكم وإنتي ستمثلي بلدك.. وتكسبي تجربة تساوي الكثير.. حتى لو رجعتي وسقطتي في الثانوية العامة أنا راضي". هو كان دائماً صاحب التشجيع الأول في مسألة التفوق في المدرسة بكل أبعاده. كسبت المسابقة على كل طلبة مصر في ذلك الوقت، ما كنت لسه عندي 16 سنة، وسافرت. التجربة دي كان لها أثر كبير جداً على تنمية مداركي، وشوفت التحديات اللي كانت في ذلك الوقت بلدي بتواجهها، وكنت بدافع عنها وأنا بدافع في كل القضايا، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، وأمثلة بلدي وشاعرة بمسؤولية رهبة، وكمان كانت أول تجربة لي في البعد عن أسرتي، وكانت أول تجربة لي في السفر خارج مصر ولوحدني، فكانت مسألة لها الكثير من الأبعاد الشخصية والمسؤولية. وأعتقد تعلمت منها، وكان لي تأثير إيجابي في مصر إنها كملت تدعى لهذه التحديات في ذلك الوقت اللي كان فيه الرئيس جمال عبد الناصر عنده أزمة ضخمة جداً مع الولايات المتحدة على المستوى السياسي. كانت أول تجربة أبقى محامية وأنا لسه تلميذة في ثانوي، فكانت محامية عن بلدي، ومحامية شاطرة لأنني ما كنتش افواوح، أدور إيه أسباب نقط الضعف دي، عملنا أو ما عملناش كده فيه مبررات قوية. وكمان ذكرت كل ما يتعلق بالأمم المتحدة وقضايا الوطن وأنا لسه في السن دا، وكانت تجربة إعداد مهمة جداً لي خلتنني بدل ما أرجع أمتحن في الثانوية العامة وأتأثر بالغياب، لا بالعكس من غير مذاكرة وبدعم من زميلات الدراسة إنهم يساعدوني الحق اللي فاتني، هما ما زالوا لحد الآن صديقات العمر. روحت داخل الثانوية العامة وطلعت من الأوائل في الثانوية العامة، وحتى لما كانوا يقولوا إن "في الامتحان

كانت مصادر للنضج ولفهم العلاقات وتقبل الأخطاء، إن فيه أخطاء حصلت وإن الهزائم ما تبيش من غير سبب أو أخطاء، وإن لازم الواحد يعترف بالهزيمة ويقوم يقف ويدخل معركة جديدة ويتنصر، وإننا تتميز بكده وعندنا هذه القدرة على الإصرار والصبر والنضال، وإحنا على مدى التاريخ تجاربنا كلها لم تقبل الهزيمة. والمراحل بعد كده أثبتت إننا قادرين [نتنصر] وحريصين على النصر ولا نتنازل عنه. اتخرجت في الجامعة سنة 1969 دخلت في سن صغيرة، كان في وقتها المدارس الأجنبية بنات يكونوا دائفا أصغر شوية.

أفوكاتو

خريجة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ليست صاحب مهنة حرة، لأن التخصصات اللي فيها علوم سياسية أو اقتصاد أو إحصاء. خريجي الاقتصاد هما اللي قدامهم الباب واسع جدًا. لكننا ندرس كل المواد لكن من سنة ثانية نختار التخصص الأول ونكمل ندرس باقي هذه العلوم، بس زي ما يكون minor وmajor في الجامعات الأخرى. أنا اخترت اقتصاد وعلوم سياسية بحكم التجربة اللي أنا حكيت عنها والاهتمام، بالتالي أنا لو ما اخترتش أروح الخارجية وإبقى دبلوماسية سأصبح موظفة في أي حنة. فأنا بقيت موظفة في الأمم المتحدة، اللي هو كان متاح في ذلك الوقت ولقيتني مش سعيدة أبدًا. كانت تجربة خمس سنين تعلمت فيها. كانت منظمة الصحة العالمية، ثم سنة في برنامج UNDP وكان مشروع لتكنولوجيا، استخدام التكنولوجيا في التعليم الصحي الطبي، وكنت أنا زي مسؤول coordinator إداري عن المشروع دا لأنه كان مشترك بين ثلاث منظمات والحكومة المصرية. التجربة هنا وهنا استفدت وتعلمت فوق الخيال خبرة، لكن مكنتش سعيدة لأن أنا كنت حاسة إنني مربوطة في كرسي طول الوقت كنت عايزة أبقى صاحبة مهنة حرة.

جاء الأستاذ علي الشلقاني، وأنا أعمل على الماجستير في الجامعة الأمريكية اللي مكملتوش، عرض عليّ إنني انضم كمديرة، ومكتب محاماة مش تقليدي، بيدخل في المشروعات والعلاقات الاقتصادية بين مصر والخارج، حاجة قريبة شوية من الدراسة بتاعتي. لقيت نفسي شائلة الشيلة بتاعة المكتب، مش إدارة المكتب شؤون إدارية ومالية، لا إدارة العمل الفني والقانوني مع كل المؤسسات اللي يتعامل معاها المكتب، ولقيت إنني أراجع كل الشغل وبعمله كده تلقائي، ولقيت المحامين كلهم يقولوا لي: "إنتي محامية"، قلت لهم: لا أنا درست قانون بس أنا مش محامية، قالوا لي: "إنتي خلقتي علشان تبقي محامية"، والموكليين اللي كانوا يتعاملوا مع المكتب بقوا يقولوا للأستاذ علي: "إحنا عايزين نتعامل مع البنات

أسئلة من بره المقرر" مش يكون واخده بالي قوي، لكن التجربة اللي أنا خضتها خلتنني أتفوق والحمد لله. دخلت كلية المتفوقين، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة، ودي كانت من التجارب المهمة جدًا في بناء الشخصية. الدراسة نفسها وتنوعها، حجم الدفعة القليل، وجود شخصيات وزملاء وزميلات من البلاد العربية معانا، فكانت تجربة غنية، كلهم متفوقين ومهتمين باللي يحصل في البلد، وكلهم معطائين، وأنا ما زلت على صلة بيهم، والأساتذة كانوا قرييين متًا، كانت تجربة غنية جدًا.

وفي مصر دي كانت مرحلة أواخر الستينات وأوائل السبعينات، كانت مرحلة غنية وكان فيها تجربة الهزيمة في 1967، وتجربة رفض الهزيمة، وتجربة إعادة البناء، كان فيها إعادة بناء الانتصار في 1973. فكانت مرحلة غنية جدًا من كل النواحي، دي كانت التجربة في مرحلة الجامعة. من أهمها تأثير الصدمة بالهزيمة، كنت في الحركة الطلابية وساهمت فيها، وأنا انضمت لمنظمة الشباب، كنت من القيادات في جامعة القاهرة وكانت تجربة تعلمت فيها، خرجت من مرحلة إنني متوقعة دائمًا المثاليات في كل شيء، ولسه طيغا أسعى للمثالية، لكن أصبحت أتقبل الأخطاء، وإن السياسة فيها تنازلات، وأنا مكنتش مستعدة لعمل دا. عايزة أدخل وأساهم أو أشارك في قضايا الوطن، لكن لقيت إنني مش عايزة اخذ تعليمات، مش قادرة أبقى جوّة منظمة فيها تسلسل سياسي. العطاء بلا تردد، كنت برّء البيت مساعدة ومساهمة في رفع الروح المعنوية والتوعية، والمسيرات في رفض الهزيمة، كانت مسيرات تلقائية مكناش بناخد فيها أوامر. لما طلعنا لكنا وتمسكنا بأن الرئيس جمال عبد الناصر يظل ويخرجنا من الهزيمة، وإن دي كانت ستبقى إن هو يخرج من الصورة دا نوع من الاعتراف بالهزيمة. دي طلعة مكنتش بأوامر أو تعليمات، كانت تلقائية من المجموعات اللي طلعنا بها من جامعة القاهرة. بعد كده بدأنا نرفض الأخطاء اللي حصلت من القيادة من الرئيس جمال عبد الناصر، وطالبنا بالمحاسبة وبتقييم التجربة، وطلع بيان 30 مارس. كان فيه تجربة قاسية جدًا في ذلك الوقت كُنا فيها طلبة في جامعة القاهرة، خاصة كلية الهندسة وكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، كانوا وقتها بين الكليتين رصيف، كُنا من العناصر القوية للدعوة لرفض الهزيمة ثم الدعوة للمحاسبة على الأخطاء وتحصل المسؤولية في المرحلة دي. بعد كده بدأنا نطالب بالمعركة، إن مصر تدخل معركة وتتنصر، وإنها تتخلص من الاحتلال، كان في الروح القوية في ذلك الوقت. دي كانت من التجارب اللي في زملاء كُتبوا عنها ومحتاج تفاصيل كثيرة لكن بدون شك كانت بالنسبة ليّ من التجارب الغنية اللي حسيت إنها أضافت ليّ، ودلوقتي ببصّ لها أنها

الصغيرة دي". بدأت أمارس مهنة المحاماة من غير ليسانس حقوق، خصوصاً إن الخلفية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بتدي قماشة ثقافة عريضة من ضمنها القانون، وأنا أصلًا عندي لغات يعني موهوبة في موضوع اللغات وعندى إنجليزي وفرنساوي وحتى العربي قوية جدًا فيه، دي جاية بيها هاجرة. فعدوا كلهم يضغطوا عليّ. وافكرت وأنا صغيرة كانت جدتي تقول لي: "لما تكبري لازم هتبقى أفوكاتو"، دي كانت الفلكة بتاعتني من وأنا طفلة إن طول النهار أدايع عن أي حد مش موجود أو ضعيف أو مظلوم أو صاحب قضية. تجربة الشغل هي اللي دفعنتي أدخل كلية حقوق جامعة المنصورة، لأن وقتها كان فيه صعوبة إنني انتسب لجامعة القاهرة أو عين شمس، لأنهم كانوا في السنوات دي بالذات أعطوا أولوية انتساب للطلبة اللي ليس عندهم مؤهل عالي. دخلت كلية المنصورة باعتبارها أقرب واحدة، وفخورة إنني أخذ الليسانس من "المنصورة"، لأنها جامعة عظيمة هائلة، وكنت اروح امتحن وأرجع، وأخذت الليسانس سنة 1980.

بقيت محامية ثم شريكة في مكتب الشلقاني، ثم مسؤولة عن المكتب كله سنوات، كنت فخورة إنني لعبت دور إنني أكثر المكتب، وأطلع أجيال من المحاميات والمحامين فخورة بيهم جدًا. الأستاذ علي علم من الجيل الأول اللي هو جيلي أنا وزملائي كنا خمسة أو ستة، إحنا قمنا بنقل الخبرة دي للأجيال بعد كده، وأنا الحقيقة فخورة بيهم كلهم. لغاية وفاة الأستاذ علي، وكان فيه قرار اخدناه أنا وشركائي، وابن الأستاذ علي؛ المحامي الدكتور خالد الشلقاني، إنه من الأفضل إننا نفصل، وبدأنا مكتب بقاله دلوقتي 11 سنة اسمه مكتب "ذو الفقار وشركائها للاستشارات القانونية والمحاماة".

من سنة 1980 أمارس المحاماة، تخصصت في البنوك وعمليات البنوك وعمليات تمويل المشروعات، وكانت دي من التخصصات اللي مفيش فيها متخصصين من المحامين في ذلك الوقت. وأنا الخلفية بتاعتني في كلية الاقتصاد ساعدتني إنني اكتسب خبرة وتعلم، ودي من النعم اللي ربنا أعطاه لي إنني زي السفنجة، بتعلم طول الوقت والحمد لله السفنجة كمان بتعلم، بتعلم وأنقل اللي تعلمته للأجيال جديدة، ودي من ضمن الحاجات أو أهم الحاجات اللي أنا فخورة بيها، أجيال من المحاميات والمحامين اللي أنا نقلت الخبرة لهم وعلمتهم مهارات المحاماة. المحاماة مهنة صعبة وطلباتها كثيرة ومضنية وتحدياتها كثيرة، ومش بس يتعلموها من الكتب ولأ في الجامعات، محتاجة بناء قدرات ومهارات واستعداد، مش كل الناس تنفع محامين ومش كل خريجي حقوق يصلحوا محامين، فيه اللي يصلح قاضي، فيه يصلح موظف داعم لشركة. المحامي المقيد في نقابة

المحاماة وشايل علمه وخبرته على إيده ورزقه على الله لأن هو بيعمل شغل ويكسب سمعة وثقة، رأس ماله ثقة العملاء فيه. عملية خطيرة جدًا إن الموكل يديك توكيل تتكلمي باسمه تمثليه مش بس في المحكمة، وتمثليه في صفقة أو تعاقد، ويسمع كلامك ويأخذ نصيحتك وإنتي تتحملي مسؤولية إن شغله ينجح أو يفشل وإن يأخذ القرارات الصح، طبعا مش إنتي اللي تديري الشغل إنما يأخذ القرارات الصح، إن يبقى منضبط من الناحية القانونية وفي نفس الوقت يحمي مصالحه، وفي نفس الوقت تعطي له عناصر النجاح في شغله مش تعقدي له حياته وإن ما ينفعش ينجح. أنا لما اتعامل مع البنوك والشركات خصوصاً البنوك كنت مش بس أدايع عن مصالحهم وأعمل لهم العقود اللي تحميمهم أو نكسب القضايا سواء في مصر أو الخارج وتحمي مصالحهم، أيضًا بدأت أشوف ليه فيه قيود تشريعية على حاجات معينة تحرمهم من فرصة المنافسة مع أكبر البنوك العالمية لما تيجي مصر. كنت حريصة على إنه القوانين تكون أفضل، القرارات الرقابية تبقى تمكّنهم إنهم يقدرُوا يبقوا على المستوى العالمي، لأننا عندنا عناصر في مصر شابة وأجيال من الخبرات التي تنافس كل الخبرات العالمية. دخلت في المرحلة المهنية اللي كنت بقيت فيها محامية وشريكة رئيسية في مكتب، ثم مكتب بنيني أجيال، أساهم في بناء أجيال من الكوادر الشابة في المجال القانوني، كلهم في مراكز وعاملين مكاتب ناجحة وأنا فخورة بهم فوق الوصف، شركائي فخورة بهم وأنا شايفاهم وأنا معاهم سنداهم بينوا أجيال من المحامين اللي أنا أفتخر بهم. اختياري إن أبقى صاحبة مهنة حرة كان الاختيار المناسب لتركيبتي النفسية والشخصية والحاجة اللي أنا بحبها. الإنسان لما يختار مهنة هو يحبها ينجح فيها.

تأثير "أريد حلاً"

في السبعينات أنتج أبي فيلم لفاتن حمامة اسمه "أريد حلاً"، فيلم من الأفلام اللي تعرضت للأحوال الشخصية للمرأة المصرية خاصة في المداكم والصعوبات التي تواجهها. والفيلم من الأفلام العلامات ومهم إنه يقال إن فاتن حمامة حاولت تنتجه، إنها تعمل الفيلم وهو فكرة في ذهنها، لأن أمينة السعيد كانت ماسكة باب "اسألوني" في مجلة "المصور" بتستقبل مشاكل القراء، فراحت حكّت لها في اجتماع على عشاء القصة المرأة المستوحى منها شخصية أمينة رزق في الفيلم، إزاي الزوجة تتطلق بعد 20 سنة أو أكثر لأن زوجها تزوج واحدة شابة ورماه، وفيه حقوق المرأة، تأخذ نفقة سنة بس، ولأنها مش أم حاضنة بقت في الشارع. القضية دي أثرت في فاتن قوي، قالت إنها لازم تعمل حاجة وحاولت مع منتج واثنين وثلاثة

قالوا لها الأفلام دي مش بتكسب. فراحت لصالح ذو الفقار وتحمس جداً ونزل المحاكم بنفسه مع المخرج وبدأوا يعملوا المشروع دا من لا شيء. هي كانت اختارت حسن شاه لأنها تكتب على قضايا حقيقية وبدأوا يشتغلوا على الفيلم وأنتجوا الفيلم، وهو من أفلام الجوائز. أنا ومقتها كنت في عز شبابي بسمع الموضوع والمناقشات وأنا مرتبطة كمان بفاتن حمامة جداً، لأنها قريبة جداً من والدي، حتى بعد ما افترقت عن عمي عز الدين ذو الفقار، العلاقات كانت علاقات عظيمة. هو عمل لها بعد الفراق أفلام² من أجمل أفلامها، فكانت المسألة علاقة قوية جداً زي أم ثانية لي. التجربة دي أثرت فيّ جداً، ولقيت نفسي من جوايا بتمنى إنني أحل المشاكل وتحديداً اللي في "أريد حلاً"، مشكلة أمينة رزق، ست تتطلق وتترمي في الشارع وليس لها حقوق بعد جواز 20 سنة، مشكلة فائق حمامة في الفيلم، درية، عايزة تتطلق لأنها بعد ما ربت ابنها وخرجته وقامت برسالتها لكن هي مش سعيدة، هل مش من حقها تتطلق لأنها مش سعيدة، لأنها تعبسة لأنها كارهة تستمر في هذه الزيجة، دا مش من حقها! لا كان عندنا في ذلك الوقت الطلاق لازم بسبب الضرر، بالتالي تفصح جوزها أبو ابنها، مطلوب منها تفصح ونسيء له عشان يطلقوها. هي عايزة تطلق لأنها مش سعيدة أو ما يسمى بـ "عدم التوافق"، هي استعملت 20 سنة وعايزة تعيش. المهم القصة دي سبب اهتمامي بقضية الخلع، وثالث حاجة النفقة والمحاكم وصعوبة الحصول على النفقة، ثلاث قضايا رئيسية. وعدت نفسي يا رب أعرف أساهم في حل هذه المشاكل اللي تعلمتها بشكل أثير مش بس في وجداني أنا، بل في وجدان كل الناس اللي اتفرجوا على الفيلم. دا كان بداية اهتمامي بقضايا الأحوال الشخصية في السبعينات، لما بقيت محامية في 1980 الاهتمام تعمق والدراسة وبدأت أقرأ. لأن الأحوال الشخصية مجال خاص جداً أنا مكنتش متخصصة فيه، وما زلت لا أمارس الأحوال الشخصية بس بقيت عندي خبرة من القراءة والبحث في المشاكل وحل المشاكل والدخول في المجال. بدأت أفكر بعمل إيه، فوجدنا إن بداية الثمانينات فيها تحرك من جماعات متشددة دينية لأننا مجتمع كان متفتح. في السبعينات بدأت التيارات الدينية المتشددة تدخل، بدأت تهتم بالمظاهر وتهجم أي تيار. بالنسبة لنا مترين إن عادي التحرر فيه بشكل معتدل ووسطي ومفيش إفراط بالاهتمام باللبس وغطاء الرأس. التدين الشكلي دا كان التيار. في الثمانينات كان فيه تعديل لقانون الأحوال الشخصية أول مرة من العشرينات بتكلمني فوق 20 سنة محصلش أي خطوة تقدم في هذا المجال، فجأة حصل تعديل سنة 1979. التعديل فيه

2 طريق الأمل، بين الأطلال، نهر الحب

نقطتين أساسيتين واحدة منهم إنهم بصوا في النفقة، وقالوا لو إن سنين الجواز وأسباب الطلاق مش راجعة للزوجة يبقى فيه نفقة سموها نوع من التعويض سموها "نفقة متعة"، لكن أنا مش عجباني القصة دي واللفظ حتى مكنتش موافقة عليه، بس أنا مكنش لي دور في التعديل دا، أنا كان لي دور في الدفاع عنه لأنه لو واحدة تأخذ نفقة أطول دا يحسن شوية مشكلة الستات اللي زي أمينة رزق في "أريد حلاً". القصة الثانية كانت قضية اقتصادية اجتماعية اللي هي الشقة، لما يحصل الطلاق الأم تترمي برء وعيالها، فقالوا لا الأم الحاضنة تقعد في شقة الزواج وهو يروح شقة ثانية أو يجيب لها شقة ثانية بنفس المستوى. هما دول القضيتين اللي قامت القيامة في مصر ومظاهرات ولانم القانون دا يتلغي، وجماعات بدأت تظهر تستخدم الآليات القانونية لضرب أي خطوة تقدم في صالح المرأة أو في صالح المجتمع بوجه عام. راحوا تمسكوا بأسباب شكلية وأخذوا حكم بعدم دستورية هذا التعديل سنة 1985 فرجعونا 25 سنة لورا، بعد ما كان القانون بينفذ بقى له سنوات، حتى عملوا أزمة في البلد. النساء قاموا أول مرة في ذلك الوقت، وأنا كنت مع مجموعة، وكنت العضو المحامي اللي فيهم، روجت قلت لهم لازم نعمل حاجة، وفعلنا شكلنا مجموعة برئاسة شخصية مهمة جداً اسمها عزيزة حسين، وهي كانت أم ثانية لي وكان فيه علاقات عائلية، دي كانت نموذج وكانت هي الجيل الكبير، كنا كلنا نحتمي بها ونصحنا وترشدنا ولها دور رائد. روجت لعزیزة حسين وعملنا مجموعة اسمها "مجموعة الـ7" وكانت مجموعة المهتمات بحقوق المرأة المصرية، وعملنا أول كتيب طبع في مصر اسمه "حقوق المرأة المصرية بين النظرية والتطبيق" ونشرناه سنة 1985. ودخلنا في الحركة اللي كانت تطالب بإعادة إصدار القانون اللي ألغي بسبب عدم الدستورية، الظروف ساعدتنا فكان فيه مؤتمر نيروبي لحقوق المرأة سنة 1985، واستغلينا الزخم حوله وإن مصر ستشارك في المؤتمر، وركزنا على مشكلة إلغاء القانون اللي أول مرة يذّي بعض المميزات للمرأة، واستغلينا المؤتمر لإعطاء دفعة للحركة الداعية لإعادة إصدار القانون، وحصلت مظاهرات واجتماعات وندوات ودعوات قوية. كان معنا في المجموعة دي السفيرة ميرفت التلاوي ولها دور مهم جداً استمر بعد كده في الأمم المتحدة والمؤتمرات، هي من الداعمات القويات لحركة نضال المرأة المصرية.

معارك الأحوال الشخصية

في حالة لو الزوجة الأولى طلبت الطلاق، نص قانون 1979 على وجوب معرفة الزوجة الثانية بالزواج الأول، والزوجة الأولى يحصل لها إخطار رسمي. فكرة الغش إن

الرجل يتزوج على زوجته من غير ما هي تعرف انتهت في هذا التعديل. وقالوا إن الضرر مفترض لو الزوجة الأولى طلبت الطلاق، أو مثلاً الزوجة الثانية اكتشفت إنه أصلاً كان متزوج تطلب الطلاق، الضرر مفترض مش محتاجة أي من الزوجتين تثبت الضرر. إثبات الضرر كان صعب للغاية لأن المحاكم لم تعتد بالضرر المعنوي وإثباته فيه صعوبات شديدة، كالاتيات أو أدوات للإثبات. القانون قال إن الضرر مفترض في حالة الزواج بثانية، وإحنا بعد الضغط لما ناقشنا الأحوال الشخصية في البرلمان³، روحنا مجلس الشعب قابلنا ممتاز بيه نصار⁴ عشان ندافع عن مشروع القانون اللي مقدماه الحكومة، أنا وزميلتي المحامية نادية فهمي، وهي كانت صاحبة صوت جهوري في الدفاع عن المرأة، لأنه كمان يحصل فيه تنازلات عشان كان في ساعتها خمس ممثلين للإخوان المسلمين جوة البرلمان أو أكثر، وكانوا قيادات حسها عالي جداً. كان النص المقترح وجوب إن الزوجة اللي عايزة تطلب الطلاق بسبب التعدد تثبت الضرر المادي والمعنوي، ودي كارثة، رجعونا ثاني للوراء. كل اللي قدرنا نحصل عليه إن خلنا "الضرر المادي أو المعنوي"، كسبنا إن الضرر المعنوي لوحده كافي للحصول على الطلاق. أنا كنت لسه محامية صغيرة في ذلك الوقت وكسبناها، واللي دعمنا فيها ممتاز بيه نصار، والحكومة كانت داعمة. المشكلة إنك تلاقي إن الحكومة داعمة وهي اللي طلعت القانون الأول، وهي اللي بتحاول تطلع القانون من غير تنازلات، والمعارضة جاية من التيارات الدينية في ذلك الوقت المتشددة والمحافظة، اللي كانت حسها عالي وتستغل الدين بشكل مسيء جداً للدين ولقضايا المجتمع، دا كان تنازل. محصلش تنازل في موضوع الشقة، ولكن حصل تنازل في موضوع التعدد، دا كان من القضايا اللي حصل فيها فعلاً تنازل. عدينا بهذا التعديل، ولكن حصل تفعيل لقضية المرأة، وأنا حسيت لو مكملناش نطالب بحقوق أكثر وندخل معارك هنرجع للوراء. أول مرة أحس بهذا التهديد القاتل إن التيارات الدينية، وخاصة الإخوان المسلمين، هما اللي بيدخلوا في السياسة ويستغلوا الدين لضرب حركة المرأة المصرية وأي حركة تقدمية اجتماعية أساساً. الإحساس بالتهديد والخوف هو اللي خلاني أكمل في محاولة بناء حركة أو دعم، لم شمل أو الحركات النسائية أو الجمعيات الأهلية والمفكرين الكبار اللي مكشوش متحيزين وداعمين من المثقفين المصريين

3 غير جلسات عدة في حزيران/يونيو 1985 ناقش مجلس الشعب (البرلمان) مقترح الحكومة بمشروع قانون رقم 100 لسنة 1985 الخاص بالأحوال الشخصية

4 ميسسار سابق، كان أحد أطراف ما عرف بـ "مذبحة القضاء" 1968، وهو من أنصار استقلال القضاء خلال عهد جمال عبد الناصر. في أوائل الثمانينات كان عضواً في اللجنة المعنية بالشريعات والقوانين في البرلمان، وهو مبادئ ومدى، خاص مناصبات مشروع قانون الأحوال الشخصية 100 لسنة 1985، ورومي عام 1987

والكتاب والأدباء ورجال الاقتصاد، كل دول داعمين لأن الداعم للمرأة المصرية مكش بس النساء، بالعكس أكبر داعمين لتحرير المرأة المصرية كانوا من الرجال والمفكرين والمثقفين. وأنا بأدين للبويا إن هو اللي شجعني وهو اللي عملي أول درس في مجال حقوق المرأة في مجال الحقوق الشخصية في فيلم "أريد حلاً"، هو اللي قال لي: "أنا عايز حل"، وفاتن حمامة اللي هي أمي الثانية قالت لي: "إحنا عايزين نحل"، زي ما يكونوا وصوني، زي ما يكون نوع من استكمال المسيرة أو تحقيق الرسالة أو الحلم إنه محل هذه القضايا. بدأت في حل هذه القضايا من الثمانينات، أول خطوة كانت إعادة إصدار القانون بتنازلات فقهية إنه لازم أطلب بالأكثر عشان اخذ المعقول وما ينفعش أرضى بالفنّاج. ودي كانت أول محطة في الثمانينات، تلى ذلك الدخول في التجمعات لجمعيات أهلية وحركات اجتماعية كلها كانت تدور على التقدم ومدنية المجتمع وعدم التمييز ضدها أو ضد أي مواطن مصري آخر، كانت الفكرة دي هي المهمة في المرحلة التالية. المرحلة التالية كان فيها تركيز عندي على قضايا الأحوال الشخصية. وكان أول مشروع عملته ودعموه "مجموعة الـ ٧" وبتضم دكتورة سنية صالح، إنجي رشدي الصحفية الشهيرة، ماجدة المفتي، قيادة وفدية مهمة جداً عواطف من قيادات الوفد، دول اللي كانوا داعمين لمشروع عقد الزواج الجديد اللي كنت بطلب به كآلية للتغيير الاجتماعي. فقلت إن هما بيستخدموا الدين عشان يرجعونا للوراء، فانا سأستخدم الملامح التقدمية الموجودة في الدين عشان أضرب محاولاتهم الرجعية. فكان عقد الزواج الجديد، بحثنا لقينا عقد الزواج في الإسلام، عقد فيه شروط والتاريخ عندنا وفي أرواف المحاكم عندنا إن الزوجات عندهم حقوق محتفظين بها، بطلقوا أنفسهم بسهولة ومكش دا شيء، ينظر له إنه عيب وكارثة زي ما هو دلوقتي، وإن دا مش إهانة للرجل ولكن إكرام للمرأة واحترام لإرادتها وإنسانيتها. لقيت شروط مالية كثيرة جداً يحطوها تضمن المستقبل، لقيت الخلع. فقلت ما ندخل بالتجربة دي وتبقى عشان الناس تتقبل هذه الأفكار متبقاش رفضها لما تتحط في قوانين وبدأنا نشغل على مشروع عقد الزواج، عملنا ملحق كتيب وبعد نشره بدأ الهجوم الشديد علينا. التيارات الدينية قالوا المجموعة دي أصلهم يا ماركسيين أو غربيين، كل حاجة ممكن يسيئوا بها إلينا قالوها، الهجوم كان شديد علينا، وحتى شيخ الأزهر في ذلك الوقت قال: "الملف دا لازم يتقفل، ده هيخرب بيوت كثيرة". دا كان أول تحدي لي وعملت رد على شيخ الأزهر وخفت جداً إنني أمضيه لوحدي، لأنني داخل على عالم جديد، فروحت لمعلمتي السيدة

عزيزة حسين وقالت لي: "همضي معاك جفدي قلبك". وبدأت أكلّم أحمد بهاء الدين وابتعت له، وبدأت عملية الدعوة تنتشر. الكلام دا كان في أوائل التسعينات، يعني في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات، وطلعنا في ذلك الوقت تحديث للكتيب. عقد الزواج كان فيه اختيارات صح وخطأ، عايز الشروط دي ولا مش عايز، كانت الشروط محل مناقشات والمجتمع كله بيتكلم عليها. كان فيه السجال والخلاف والمناقشات، لغاية ما دخلنا في مرحلة اعتبرها محطة مهمة جداً، هي محطة الإعداد للمؤتمر الدولي للسكان والتنمية اللي انعقد في القاهرة. أول مؤتمر للأمم المتحدة انعقد في إفريقيا وبنعقد في القاهرة في أيلول/سبتمبر 1994 كان لنا دور فيه. المعروف إن المؤتمرات يبقى لها، غير على المستوى السياسي بين الدول، يبقى في منتدى للتجمع الأهلي غير الحكومي NGO forum، وإنها لازم تنعقد في مكان قريب ويكون في علاقات تشاورية بين ممثلي الحكومات وبين ممثلي المجموعات المدنية في كل الدول المشاركة في العالم كله مش بس في مصر. كان هذا تحدي أمام مصر في التسعينات اللي كان فيها تهديدات إرهابية وقنابل تضرب في أتوبيس سيادي، وقنابل تضرب أمام المتحف المصري في التحرير. فكان فيه هذا التحدي، ومرحلة الإعداد في الأمم المتحدة كانت لها شقين، شق حكومي وشق غير حكومي. فكان لازم مصر تغير التقاليد السياسية في ذلك الوقت اللي فيها كثير من التقييد على الجمعيات الأهلية. كان ممنوع يحصل اجتماعات، أنا كنت في ذلك الوقت رئيسة جمعية تحسين الصحة في القاهرة. دخلنا في مرحلة الإعداد وساهمنا إن مصر تكون ممثلة بوفد غير حكومي في مرحلة الإعداد للمؤتمر دا. إحنا دخلنا وعملنا تجع بقيادة السيدة العظيمة عزيزة حسين ومجموعة من قيادات الجمعيات الأهلية والمجتمع المدني وأساتذة الاقتصاد، كلهم داعمين لحركة المرأة أساساً. روحنا وعرضنا على الحكومة رسمياً إننا عايزين نبقى ممثلين لمصر في الإعداد، وكان فيه صعوبات شديدة جداً تغلبنا عليها، تحديات أولها كلمة التمييز ضد المرأة، وفي مرحلة الإعداد كلمة "التمييز ضد المرأة" كانت مرفوضة من مصر، كنت أنا مرة بعمل محاضرة في جامعة الإسكندرية، وذكرت الموضوع دا، كُنا في مرحلة الإعداد للمؤتمر، اخترعنا نموذج للإعداد إنه الجمعيات الأهلية والمجتمع المدني يجتمع أساساً في ثلاث مناطق جاذبة، إقليمية للإسكندرية، المنيا للصعيد، القاهرة الكبرى للقاهرة. وعملنا النموذج دا واستمر وأصبح هو النموذج اللي يتبع. اتصلنا بجمعيات أهلية، وعلى ما أعتقد انضم للإعداد 450 جمعية من مختلف التخصصات، حماية البيئة، المرأة، الرعاية الاجتماعية، الرعاية الصحية.

وعملنا لجنة التسيير وقلنا للحكومة المصرية إحنا عايزين نبقى الممثلين وعندنا لجنة التسيير برئاسة الأستاذة عزيزة حسين، وأنا كنت النائبة. مثلنا مصر في اجتماعات الأمم المتحدة، وبدأنا فعلاً نعد وننتصل. كمان كان عندنا هدف ثاني، دي فرصة المجتمع المدني في مصر ينشط، يبقى له دور مؤثر في الحركة الاجتماعية عموماً، وكل الحركات التي تطالب بمدنية الدولة، وشعرنا بتهديد التيارات المتشددة عموماً. الدفاع عن القضايا التي تهمننا وكان على رأسها قضية المرأة بالنسبة لي وعدد كبير من المشاركين في الإعداد للمؤتمر، وخلال المؤتمر، وكان لنا دور وأنا أعتقد إن التاريخ هيقول إن كان لنا دور مهم جداً في إنجاح هذا المؤتمر. فالمؤتمر تبني عقد الزواج الجديد. لقينا مش إحنا لوحدها وعقد الزواج الجديد تجاربه حصلت في باكستان وإيران وفيه دول ثانية سيقونا. إحنا عندنا في التاريخ والمحاكم أرواشيف المحاكم موجود لكن في ناس سيقتنا، عملنا فيه شغل كثير دولي وممثلين وندوات في المؤتمر. وكانت دكتورة هدى الصدة شريك رئيسي في المشروع واللجنة. كُنا اشتغلنا على المرأة والحقيقة المؤتمر دا كان من أغنى التجارب اللي مرّينا بها، كان فيه تابوهات زي ما قلت، نتكلم على التمييز ضد المرأة كان يعتبروه إهانة للمجتمع المصري مع إنها مشكلة عادية جداً، فيه تمييز ضد فئات المجتمع لازم نعالجه، نعترف بالمشكلة ونعالجها، مش أزمة. كان تابو اللي يتعاون مع الحكومة من المجتمع المدني يقول لك دا بيتعاون مع الحكومة كأنه خائن. أنا كنت قائدة التعاون مع الحكومة، دي الحكومة مقدمة القانون اللي هما وقعوه في المحكمة الدستورية العليا وإحنا كُنا بنحاول نرجعه، دي الحكومة داعمة للقوانين اللي إحنا عايزينها، كانوا الحقوقيين اللي أنا أعتبر نفسي منهم وبتشرف بكده قلفانين من التعاون مع الحكومة لأنه كان التيارات السياسية الحقوية تعاني من كبت وإجراءات ضدها كأنها حزب سياسي، لكن لو الحركة الحقوية اللي هي حركة مجتمع مدني صرف تدافع عن قضايا المرأة والطفولة والمعوقين وعدم التمييز وقضايا الحقوق عموماً والحريات من غير ما تبقى حزب سياسي، كُنا بتلاقى الحكومة تدعّمنا. أنا كنت بقول مهنة المحاماة بياها، أنا حابة قضية الكفاح ضد الفقر والتمييز ضد المرأة، حابة عموماً أَدافع عن مبدأ تلافؤ الفرص ومنع التمييز ضد كل الناس.

الحق في النفقة والحق في السعادة

مهم قوي إننا نقول إن سنة 2000 فارقة في تاريخ حركة المرأة المصرية. كل الزخم اللي بتكلم عليه وكل الحركات في التسعينات ونجاح المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان،

والمؤتمر الدولي للسكان والتنمية، ثم مؤتمر فيينا لحقوق الإنسان الذي كلنا ساهمنا فيه كنوع من التحضير برضو لمؤتمر القاهرة، ثم مؤتمر المرأة سنة 1995 في بكين الذي كان لنا دور فيه وآليات الأمم المتحدة وآليات هذه المؤتمرات، المجتمع المدني المصري كان له دور مشرف وممثل مصر في أفضل صورها. وكانت عندنا دائماً داعم لنا من جهة السفارة ميرفت التلاوي في الخارجية، كانت هي رئيسة اللجنة العامة في المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة، كانت أيضاً رئيسة لجنة الصياغة في مؤتمر المرأة في بكين، ودورها كان مهم جداً، وإحنا بالتالي كان لنا دور في نجاح هذه المؤتمرات لأننا اندربنا كويس جداً في مؤتمر القاهرة. وفي مؤتمر فيينا دكتور بطرس بطرس غالي في ذلك الوقت له فضل كبير جداً على تشجيعنا ودعمنا. العناصر في الحكومة المصرية التي تحالفنا معها وكانت داعمة لنا وبالتالي وزير الخارجية في مؤتمر القاهرة كان السيد عمرو موسى كان داعم لنا، لأنه كان عايز طبعا مصر في أفضل صورة، وكان نجاح المؤتمر نجاح لمصر. كانت الخارجية عموماً داعمة لنا وكانت تشجعنا إننا نسافر ونحضر ونعمل وتحل لنا أي مشاكل روتينية، فكل الزخم دا كان أحد أهم توصياتنا في الكتيب، إن يبقى فيه آلية وطنية تجمع حولها حركة المرأة المصرية. أنشئ المجلس القومي للمرأة في سنة 2000 كانت الحكومة داعمة للطلبات بتاعتنا. وكان أول قانون طلع سنة 2000 بدعم من المجلس القومي لحقوق المرأة وأصله إعداده كان لنا فيه 10 أو 15 سنة، وأنا كنت مشاركة في اللجنة وكنت أحد أسباب إدراج قضية الخلع فيه، وقضية النفقات التي هي تجميع القضايا وإنشاء صندوق النفقة، ودور بنك ناصر، ووضع آلية لحل النفقة، والخلع كحل لمشكلة فئات حمامة، النفقة كحل لمشكلة رجا حسين، وثالث واحدة النفقة زودنا فيه موضوع النفقة لأمين رزق، وعملنا تأمين على الأسرة.

معركة الخلع

أستاذي دكتور فتحي نجيب، كان ماسك التشريع في وزارة العدل، وكان له دور في إصدار هذا القانون⁵ كان حيوي، وأنا كانت مناقشاتي معه بالورقة والقلم وبالأمثلة والدراسات، هو أيضاً، تجربته كقاضى وثقافته وتركيبته الحضارية كان مناصر جداً لقضايا المرأة، بعد كده سميت "قاسم أمين الجديد نصير المرأة". أنا الطلبات بتاعتني كافحت عشان تدخل القانون، قالوا لي الخلع دا حق موضوعي إزاي تدخله حق إجرائي. أنا كنت بدخل المعارك عشان تدخل في المشروع. فقلت لهم دعوى الخلع غير منظمة في الإجراءات المصرية لسه هستنى تحطوها لي في قانون موضوعي يعدل كل

50 سنة وبعدين معرفش أرفع الدعوى، أرفع الدعوى إزاي، أنا عايزة أنظمها. طبعا كان فيها شطارة، قالوا لي: "عايزة تنظمي الدعوى فتقري الحق ضمناً"، قلت لهم وماله إيه الغلط في كده. نظمنا دعوى الخلع وكانت معركة كبيرة جداً، وحطينا كل القضايا الاجتماعية وتجميع الدعوات وبنك ناصر وصندوق النفقة والتأمين على الأسرة التي فتحنا الباب فيه، كل دي مكنتش حد يعترض عليه عشان كلها قضايا اجتماعية، كل واحد في أسرته شايف معاناة أم وزوجة وابنة. لكن الخلع كان قضية القضايا إزاي هي تروح تأخذ خلع من غير موافقة الزوج، لو فيه موافقة الزوج إيه أهمية الخلع. إزاي يكون حكم قاضي من درجة واحدة غير قابل للاستئناف، لازم يدونها في المحاكم، استندنا بالقضية دي وكسبنا المعركة. وكنا كسبنا للمعركة دي حاطين قضية المنع من السفر والإذن بالسفر واستخراج وثيقة السفر (الباسبور). كان فيه حكم دستوري قال لا يجوز إنك تقيد حرية المرأة، لأن حق التنقل حق دستوري، ولكن كان فيه معارك. كان في نص على موضوع قضية التنقل تنازلنا عنه مقابل إننا ننقذ نص الخلع ونكسبه. وكان الداعم فيه دكتور فتحي نجيب ووزيرة التضامن الاجتماعي الشؤون الاجتماعية في ذلك الوقت دكتورة أمينة الجندي، وكان الداعم فيه رئاسة الجمهورية بما فيها رئيس الجمهورية، والمجلس القومي لحقوق المرأة. دي حقائق تاريخية. المجلس القومي للمرأة كان برئاسة سوزان مبارك، حرم الرئيس، وكانت داعمة والمجلس القومي داعم، لكن في الآخر القرار كان بيتأخذ عند الرئيس وهو كان داعم، وخلي كثير من كبار العاملين معه في الرئاسة في كثير من القضايا كانوا يكلموني أنا، كانوا يقولوا: "هو غير دستوري إن يبقى حكم على درجة واحد"، أقوم أنا أبعت له أحكام دستورية على طول إن فيه نصوص كثيرة جداً، إن دا غير حقيقي وأنه تليكية علشان يوفقوا المراكب السائرة. وكنا نكتب مذكرات نبعتها لرئيس الجمهورية. كلها محاولات للعودة إلى الوراء.

يعنى مفيش معركة كنا بنكسبها كده، قبل إصدار القانون، من كل التيارات التي عايزة القانون يروح وهو مفيهوش خطوات تقديمية كمشروع، عشان المشروع يروح. في البرلمان تدخل المعركة مع تيارات ضد التقدم في هذه الخطوات في إطار المساواة أمام القانون وندافع عنها في ما يتعلق بقضايا المرأة. كنا طول الوقت لازم تثبت إنه لا يتعارض مع الدين، ولا يتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية. الحقيقة كان أكبر داعم لنا أيضاً في هذا المشروع الشيخ سيد طنطاوي، حضر في البرلمان ودافع عن نص الخلع، دا كان الدور المهم للدكتور فتحي نجيب إنه حضر نيابة عن وزارة العدل اجتماعات مراجعة مجمع البحوث الإسلامية الذي وافق على المشروع. كسبنا الخلع،

الكلمة دي كانت دائفا هي اللي تقولها، فإزاي تقنعي الأب والأُم إن دا مش دين، إنه بيضُر بنته، وإنه حقيقة جريمة، والدكتور اللي يعملها دلوقتي يتجسس، وكل شوية تلاقى بنت تموت. فأنا كنت باخذ قضايا البنات كنوع من العمل التطوعي وأدافع عنهم، وأسرتهم وكنت متحمسة. لمان كانت وزارة الصحة في المرحلة دي طلعت قرار إنها تمنع عمليات الختان في المستشفيات، لأنهم كانوا بدأوا يقولوا أنتم خايفين عليهم طب هنخلي الدكاترة تعملها في المستشفيات فمنعوا. مين اللي اعترض على قرار وزير الصحة، مجموعة من الأساتذة الأطباء اللي كانوا منضمين لتيارات الإسلام السياسي، راحوا رافعين طعن على قرار وزير الصحة. انضم للحكومة ولا لأ، يعني مين اللي بيعترض، وزير الصحة بياخد خطوة في قضية إحنا مقطوع نفسنا فيها ويندعي لها وبنطالبهم ياخدوا إجراء، راح مطلع القرار، يقوم اللي يعترض دول. أنا دخلت عن ثلاث جمعيات هي "تحسين الصحة" و "تنظيم الأسرة" و "تنظيم المؤتمر الدولي للسكان والتنمية".

في سنة 2000 كسبنا قانون الخلع، كسبنا مجلس قومي للمرأة، المكسب الثالث عدلنا لائحة المأذونين وأنا كنت في اللجنة، واللجنة اللي عملت قانون الإجراءات، وكل اللجان بتاعة وزارة العدل كنت فيها. وطلعت لائحة المأذونين لأول مرة بسماع إدراج شروط في عقد الزواج، وتغيير شكل عقد الزواج وخطوط فيه حاجات كثيرة ضمانات إجرائية عشان كثير كان بيحصل تزوير، ضمانات لحقوق المرأة في الزواج والشروط المسموح بإدراجها وإن المأذون لما يطالبوا بها لازم يحفظها. المأذونين من ضمن قوى المقاومة الشديدة للتغيير، فيه توعية للمأذون ولكن محتاجين شغل كثير قوي للمجتمع المدني والجمعيات الأهلية. أنا شخصياً شفت حالة من أسرتي المأذون هو الذي يرفض، الاثنين متفقين ترفض ليه وتقاوح وتقول: "لا ما تحطش كده"، متفقين إنهم مثلاً الزواج برفض الاثنين يبقى الطلاق برفضها هي تطلق أو هو عايز يطلق يطلق بإرادته ويبقى هي تطلق بإرادتها بنفسها، دي حاجة هما متفقين عليها وراضين بها وهو سعيد جداً، دا تأكيد للرجولة والكرم والثقة بالنفس وهو اللي يطلب، فيروح المأذون يقول له لا، فأنا لازم اطلع كواحدة من الأسرة وأقول له ممكن حضرتك نكلم وزارة العدل ونقول لهم اللائحة بتاعتك ويبدأ المأذون يراعي ربنا وضميره في شغله ويعمل اللائحة. قبل تعديل اللائحة كان فيه استحالة، في كثير من الأحيان تلاقى صعوبة شديدة إنك تضيفي الشروط. من ضمن الحاجات اللي عملناها وفخورة بها ورشة جينا فيها حالات من كل المحافظات تقريباً، لأبناء أم مصرية ومخدوش الجنسية أو مش عارفين ياخدوا الجنسية وعندهم جنسية ثانية، أجنب

كسبنا في القانون دا التأمين على الأسرة، كسبنا صندوق النفقات، كسبنا إنه محصلش ردة زي منع من السفر، وكسبنا إن الإجراءات أمام المحاكم الشخصية أصبحت مدنية. كان قبل كده لائحة ترتيب المحاكم الشرعية كانت ترجع الإجراءات دخلت أيام أبو حنيفة، أو مكش عندهم المحاكم دي ولا كانت هذه التعقيدات والتشريعات. حصل لأول مرة مدنية الإجراءات في مسائل الأحوال الشخصية ودي كانت مكسب كبير وخطوة كبيرة جداً للامام. دا كان أول تجربة أشعر فيها بالإنجاز والنصر، وهوجمت فيها هجوم ليس له أول ولا آخر، طبعا كنت أحضر ندوات في كل حته سواء اللي داعيني "إخوان"، قبل القانون، سواء صحافة أو تلفزيون أو كان في وقتها موقع كبير جداً اسمه Islam Online، روجت فيه وموجودة في الأرشيف، روجت فيه وقالوا مهندسة الخلع تعالوا احضروا وعملوا حشد للهجوم قبل ما القانون يتوافق عليه. كسبت قضية الخلع وفي ظرف ست شهور اترفع ما يقرب من 60 قضية أحيلوا للمحكمة الدستورية العليا يطعنوا إن نص الخلع غير دستوري، لكل الأسباب اللي ممكن تخيلها. الحمد لله محكمتنا الدستورية العليا عززت هذا النص وأكدت دستوريته، فبالتالي أشعر إن دا من أهم القضايا اللي كسبتها، ده كان مجهود جماعي. عموماً مش كل المجتمع الحقوقي في مصر كان داعم، بعد كده دعموا، اللي عايز يقود لازم يقود بخطوة أو اثنين عشان المجتمعات تتفق معاه وتقبل التغيير اللي يقترحه أو يقدمه أو يدعو إليه، لكن لو عشر خطوات هتألف مش هيلاقى حد وراءه. الثقافة المصرية والشعب المصري متدين بطبعه، مش بس المسلمين والمسيحيين، واليهود اللي في مصر، كلهم متدينين بطبعهم من آلاف السنين. فكرة إننا نستخدم أدوات من داخل ثقافتنا للتغيير دي بتجيب نتيجة، والقيم بتاعتنا ممكن بسهولة تتبنى التغيير وتدعمه اجتماعياً. والمهم إننا نغير القانون.

"عادة مش عبادة"

مثلاً ختان الإناث دا من ضمن القضايا اللي تبنتها بشدة في فترة التسعينات مع مؤتمر السكان. عزيزة حسين كانت هي صاحبة الريادة في هذه القضية والسيدة ماري أسعد، والسيدة عائدة الجندي، كانوا ثلاثة من جيل الرائدات. عزيزة حسين عملت جمعية تنظيم الأسرة في مصر، أول جمعية. عملنا حركة ومجموعة للقضاء على الختان، كانت بتشغل في مرحلة الإعداد للمؤتمر الدولي للسكان والتنمية، وكنا ننزل في الاجتماعات والندوات وكان معانا شيخ وقسيس ودكتور، وأنا كنت بنزل وعدد كبير منا ونحضر في الجمعيات ونتكلم من كل النواحي إنها لا علاقة لها بالدين، وكانت محفظانا ساعتها عزيزة حسين "دي عادة مش عبادة"،

سند لنا قوي، لأنه لما المختصين شافوا كمان إن المحكمة الدستورية العليا تتحكم ضد الحكومة دا شجعهم إنهم ياخدوا بوجهة نظرنا ويعدلو القانون ميستنوش الحكم بشأن يبقى إن الحكومة داعمة لقضايا المرأة والطفولة. المجتمع المدني المصري كان يستخدم كل الأدوات، التقاضي، الندوات، الاستفادة من التجارب الدولية، الدعوة، التحالف مع كل الجهات الحكومية وغير الحكومية زي المجالس القومية والجامعات، والمفكرين اللي كانوا مؤيدين للأفكار دي كُنا نتحالف معهم، الصحفيين يشجعونا ويكتبوا. كُنا اتشطرنا واتعلمنا إننا نروح لكتاب الكتاب، الأستاذ أحمد بهاء الدين اللي كان من الأعمدة الداعمة، كنت على طول أروح له، الأستاذ صلاح منتصر في كثير من القضايا أيدنا، كان وقتها الأستاذ عادل حمودة يكتب في الأهرام ولما كان ماسك روزاليوسف. كُنا اتشطرنا ولما كُنا نطلع في التلفزيون كُنا نتكلم بعقل فنكسب التأييد، دي كانت المرحلة من 2000 إلى 2010. نجحنا في قانون الجنسية، نجحنا كمان في قانون محاكم الأسرة، نجحنا إن لأول مرة يكون عندنا محاكم متخصصة في الأسرة. المشروع دا كان اشترك فيه قبلنا المجلس القومي للطفولة والأمومة وكانت الدكتورة ليلي تكلأ اشتغلت عليه برضو من الأجيال الرائدة. بدأنا ندخل في الموضوع دا وفعلنا أول قانون يخلق محكمة متخصصة. أنا كنت اشتغلت في المجال دا على المحكمة الاقتصادية، ودي كانت من المطالب اللي من الناحية المهنية بشأن الحركة الاقتصادية والخلاقات والمنازعات الاقتصادية ذات الطابع الاقتصادي عمومًا يكون لها آلية سريعة للحسم وذات كفاءة، متعدهش 10 سنين تقاضي. اقترحت موضوع المحكمة الاقتصادية وكنت في اللجنة التي أعدت القانون. كتجربة نجحت، ومن الانتصارات اللي أعتر بها. قلت لهم إحنا عملنا محكمة متخصصة وكلكم سعداء وفخورين بها، سواء قضاة أو عاملين أو مستشارين أو محامين، كل الناس سعيدة بفكرة المحكمة المتخصصة اللي لها إجراءات سريعة وذات كفاءة ولها قضاة متخصصين. طب يا جماعة ما نعمل كده للأسرة، زي ما مهتمين بالاقتصاد من باب أولى نعمل نفس الآلية للأسرة. فعلاً طلعنا قانون محاكم الأسرة وعملنا آلية للتصالح وتسوية المنازعات عن طريق المصالح المرسلة، واحد وسيط صلح، والمكاتب دي تكون في كل محكمة. وأنا شخصياً نزلت مع وزارة العدل، عملنا تدريب لكل العاملين اللي هيتعينوا في مكاتب التسوية الودية أو التصالح، قبل ما تروح المحكمة بشأن تبقى كمان خلصنا مرحلة الصلح والتصالح ويكون المحكمة عندها القدرة إنها تحكم بسرعة وكفاءة، لفيت مع السادة المستشارين اللي كانوا بيدربوا وهيشغلوا في المكاتب دي، من كترة حماسي للموضوع دربنا أول رعييل من الجيل اللي هيشغلوا في هذه الحكاية.

في مصر، أو للأمم، وسجلنا معاهم شهادات حية. ودا كان مع جمعية أهلية "نهوض المرأة والتنمية" رئيستها دكتورة إيمان بيبس. أنا كنت راجعة من مؤتمر فيينا لحقوق الإنسان كنت محامية إفريقية في شهادات حية عن تجارب العنف ضد المرأة في العالم كله. كنت محامية إفريقية، وكان فيه أربعة قضاة دوليين، كنت مسؤولة عن الحالات وشهود إفريقية وكنت بدربهم إزاي يقدموا الشهادات بتاعتهم في 8 دقائق بشأن الشهادات دي كانت مهمة جداً لأنها شهادات حقيقية، تجربة الشهادات الحية سجلناها "سي إن إن" وأذيعت طول النهار وكانت مؤثرة جداً لدرجة إنها كان لها دور في التأثير على إصدار الإعلان الأول للأمم المتحدة وافقت عليه الجمعية العامة في كانون الأول/ديسمبر 1993 ضد العنف ضد المرأة، فكان الكلام اللي اتعرض في مؤتمر في حزيران/يونيو من ذات السنة في فيينا كان له دور، وكان فيه حالات حقيقية أصحاب القضية بيتكلموا بنفسهم. فأنا قلت الأداة دي أنا تعلمتها في مؤتمر فيينا لحقوق الإنسان روت مطبقاها في مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية بعدها بسنة على قضية الختان.

وإحنا في 2002 و2003 بقى عندنا المجلس القومي للمرأة يبدعنا، قلت نستخدمها في قضية الجنسية. جينا الأطفال والأمهات ودرناهم وسجلنا الشهادات، وقتها كان الفيديو على شريط وسجلنا، وبعثنا الفيديوهات لكل شخص له سلطة فيكي يا مصر، أو له صوت مسموع فيكي يا مصر، وزراء وبرلمان وأحزاب وشخصيات عامة وكتاب وصحفيين، ما خلناش. كسبنا قلوب المصريين، ودي من الحاجات اللي أي شخص يتعاطف معاكي ومع الجانب الإنساني في القضية بيقول أسهل له إنه يتقبل التغيير اللي إنتي طلباه. بالرغم من إنه كان فيه مقاومة شديدة من الحكومة المصرية في القضية دي، ولانوا يقولوا لنا انتوا كده بتضرو القضية الفلسطينية، كل اللي أبوهم فلسطيني، قلنا لهم إحنا نتكلم عن أبناء أم مصرية عايشين وولدوا في مصر وعازبنهم ياخدوا حقهم في كل حاجة، في التعليم والدراسة والشغل، والام المصرية ذنبها إيه. كسبنا القضية من الجانب الإنساني وكان فيه مقاومة. وصدر تعديل قانون الجنسية في 2004 وبقي كل من يولد من أم مصرية أو أب مصري هو مصري تلقائياً.

جنسية أبناء المصريين

كُنا رافعين دعوى بعدم دستورية التمييز ضد المرأة في قانون الجنسية القديم قبل ما يعدل، والمحكمة الدستورية العليا كانت حظت تقرير مفوضين إن القانون غير دستوري قبل 2004 اللي يميز بين أبناء الأم المصرية وأبناء الأب المصري يعني الأم المتزوجة أجنبي. المحكمة الدستورية

ما قبل الحسبة: نصر حامد أبو زيد نموذجاً

موضوع إن القانون أداة للتغيير دا موضوع أنا مقتنعة به واعتنقه واستخدمته في كل حياتي كأداة للتغيير بحكم إنني محامية عارفة إزاي دا له تأثير مهم، بس هو بيعمل 50% أو 60% من المعركة، باقي المعركة والانصرار يتحقق بنسبة 50% هو إنك تغيري الأفكار. أنا دائماً من المنضمين والمناصرين لتجديد الفكر الديني وتجديد الخطاب الديني، ومن هنا تبين قضية دكتور نصر حامد أبو زيد ودي كانت في منتصف التسعينات. في سنة 1994 مكنتش أعرفه شخصياً وكنت قرأت كتاب صغير له اسمه "نقد الخطاب الديني" وبدأت أقرأ في كتبه، لكن شغل المحاماة مضني كلها قراءة وكتابة فتترك مساحة ضيقة جداً للقراءة، طول النهار نقرأ في حاجات ونبحث ونكتب، القراءة كانت في الاهتمامات ذات أولوية. كنت متابعة لكل الجدل اللي حاصل في الجرائد وقتها، الأستاذ لطفي الخولي والمعارك اللي دخلها الدكتور نصر في جامعة القاهرة وهو بياخذ الدكتوراه، ومن ضمن الكتب كتاب "مفهوم النص"، كان من الكتب العظيمة الحقيقة بينادي به وفيها تأويل، مقالش حاجة مختلفة عن أسانذة كثيرين من دعاة التجديد والمشايخ والأئمة اللي دعوا إلى تجديد الفكر الديني، لم يختلف عنهم لكن كان يستخدم أدوات جديدة، أدوات بحكم العصر الحديث، قصص تعلمتها بمناسبة القضية. أنا لقيت رفعا عليه قضية ومحامين دكتور نصر كسبوا في أول درجة، قلت الحمد لله في زملاء كثيرة يبدافعوا وأنا مكنتش أعرفه شخصياً، ضمنت بحكم الاستئناف اللي فرقه عن مراته. جن جنوني، وأنا إحساسي بالمسؤولية مبالغ فيه، حزنيت جداً وحسيت بالندم. قلت أنا كان لازم أكون في القضية علشان على الأقل أكون بذلت أقصى جهدي، حتى الواحد لما يهزم، يهزم بشرف، يبقى دخل المعركة، أنا مدخلتش المعركة وأنا مقصرة وللازم أعمل حاجة في الموضوع دا. روت كلمت كبار المحامين. كان الأستاذ علي الشلقاني في حياته، وكلمت الدكتور عبد المنعم الشرقاوي، أستاذ المرافعات في مصر، أستاذ أسانذتي في جامعة القاهرة، حقوق القاهرة، هو شخص غير مختلف عليه، كلمته وقلت له الموضوع وقال لي: "أنا معاك"، وقلت له حضرتك لازم تقبل تكون رئيس مجموعة المحامين اللي بتضم الأستاذ أحمد الخوجة، نقيب المحامين وقتها، الأستاذ علي، كلهم أسانذتي أنا، قلت له "حضرتك الشخصية الوحيدة اللي الكل هيقتنع به"، قال لي: "أنا مديكي توكيل قولي باسمي وتكلمي عني". كانوا مجموعة من 16 محامي أنا مش منهم، لأنني مكنتش لسه محامية نقض، هما كلهم محامين نقض، زائد إن كلهم أسانذتي، أنا كنت عايزة أعذل القانون ومنع قضايا زي دي تترفع ثاني، عايزة أقفل

الحفية مش بس أكسب قضية نصر حامد أبو زيد. ده كان التسعينات، وكانوا كلهم من المنضمين أو المتعاطفين للجمعيات الدينية السياسية المحامين اللي متبينين هذه القضايا. فأنا فضلت بره المجموعة علشان أقدر اشتغل على تغيير القانون وأتكلّم مع الناس واشتغل على تغيير القوانين للمصلحة العامة. فعلاً النموذج دا نجح جداً فكنت على اتصال بناس جوة الحكومة كانوا داعمين للقضية. وكان ساعتها رفع قضايا على مثقفين وكبار الصحفيين، زي مكرم محمد أحمد، عشرات يتم تكفيرهم وحل دمهم، وكذا واحد اتضرب بالرصاص. كانت حاجة رهيبية في ذلك الوقت، كانت مرحلة حزينة جداً، وخصوصاً ضد المفكرين اللي هو إرهاب أي مفكر أو صحفي يكتب كلمة حق. اشتغلنا ودخلنا في القضية، وعايزة أقول أول مرة نرفع النقض وقدمنا من خلال النائب العام شهادة كان بيان طلعه دكتور نصر وكان وقتها سافر بره، وأنا كنت أسافر الصبح أتكلّم معاه. دخلنا هذه المعركة وأول مرحلة خسرتها في النقض، بالرغم من إننا عدلنا القانون. كنت يشتغل في الاثنين، عدلنا المادة 3، والمادة دي من النظام العام والمفروض إنه يحصل النقض وعلى طول الحكم ينتقض، لأن لما تبقى من النظام العام تسري على القضايا اللي شغالة حتى لو كانت أمام النقض واحنا قلنا كده في نص التعديل. إنها تسري على كل الدعاوى في أي مرحلة من التقاضي. ومع ذلك كان، الله أعلم اللي كانوا في الدوائر دول لا سمح الله ولا إيه، لكن هما رفضوا هذا الدفع مع إنه من النظام العام، وأيضاً قدمنا لهم شهادة موثقة من خلال النائب العام كان بيان عمله نصر نشر في الجرائد يعني مش جديد، بس قدرت أنا أوثقته في نفس اليوم بطيارة الفجر وطيارة بليل. وكان يقول فيه إنه يعتز بدينه وإسلامه، حتى وقتها سيد طنطاوي في رأيي لما استفتي وقدمناه لمحكمة النقض، قال: "لا يجوز تكفير مسلم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، بتكلموا على إيه ملكومش دعوة يقول إيه ثاني لا يجوز". رغم كده محكمة النقض آيدت الحكم. المعركة استمرت حتى بعد تعديل القانون، أوقفنا تنفيذ الحكم، خدنا بعد كده حكم بوقف التنفيذ نهائي ابتدائي واستئناف. دي كانت معركة استمرت فيها في المحكمة، أنا منسقة الكتلة دي، 16 أستاذ من المحامين، تجربة على قد ما هي مضيئة لكن كانت تجربة رائعة لأنني كنت بتعامل مع كتلة من كبار الأسانذة، وفي الآراء والمناقشات والمراجعة، عندنا في المكتب إحنا اللي بتكتب المذكرات ونراجعها معاهم، وفي الآخر كنت بحضر مرافعات الأسانذة، مكنتش الـ 16 يترافعوا مفيش محكمة هتسمع كل دا، على الأقل ستة أو سبعة منهم، فكنت بحضر كل دا. كنت حلقة الوصل مع نصر والدكتورة ابتهاج يونس زوجته،

المرأة وقفوا عندها ومطلعتش، لكن أنا عارفها ومرجعها، وعارفة إنها ممتازة جدًا الشكل اللي كانت منتظر تطلع فيه. إذا إحنا عندنا سوابق وعندنا آلية استُخدمت وطلعت هذه الوثائق، واعتقد إن هذه التجربة ممكن تبقى أساس لآلية وطنية لتجديد الفكر الديني والخطاب الديني، يبقى فيها الحكومة وطبغا الأزهر الشريف والمجتمع المدني، نفس الشراكة اللي كل تجاربنا السابقة أثبتت إن الشراكة لقا تنجح بينج المشروع.

عن مهنة المحاماة

المحاماة أصبحت مهنة تخصص زي الطب. فيه طب عيون، وطب أنف وأذن وحنجرة، وطب قلب وجراحة، المحاماة أصبحت مهنة تحتاج إلى التخصص الدقيق ومهنة معقدة. خصوصًا إن فيها علاقات بين مصر والخارج وتمويل داخلي وتمويل خارجي، وقوانين أجنبية ساعات تطبق على عقود وتنشأ مشروعات في مصر، القصة شركات مصرية تقيد أسهمها في بورصة لندن أو في بورصة الإمارات نازلة دبي أو غيره، يعني إحنا بتتكلم عن عمليات أصبحت أكثر تعقيدًا، وعمليات بتحصل دوليًا وممكن تبقى بتحصل online يبقى فيه مناقصات وتعمل تعاقدات، كلها فيها مخاطر ومشاكل كثيرة ومحتاجة لهذه التخصصات والتعاون بين فريق العمل، عنده تخصصات مختلفة عشان يقدر يلحق كل هذه التغيرات ويقدر يقدم خدمة متميزة. عندنا مشاريع كثيرة جدًا فخورين بها في المكتب، لكن أنا أقرب مشروع قلبي ساهمنا في نجاحه والنهارة الحمد لله منور بيوت مليون أسرة هو "مشروع عمدان الطاقة الشمسية" فيها النهارة 32 مشروع استثمار أجنبي مباشر بأكثر من اثنين مليار و200 مليون دولار أمريكي استثمار أجنبي مباشر، شغل عشرات الآلاف بأسوان في صعيد مصر وفتح بيوت، غير أهميته بالنسبة للبيئة واستخدام مورد عظيم طبيعي صديق للبيئة، المشروع اخذ كل جوائز الدنيا لأنه من أهم المشاريع اللي مصر نجحت إنها تنفذها، وكان يتمويل من مؤسسة التمويل الدولية ومجموعة من البنوك وبنك الاستثمار والتعمير الأوروبي ومجموعة من الممولين. مشروع ناجح جدًا والمكتب اخذ عليه جائزة، كُنا نمثل الشركة المصرية لنقل الكهرباء وهي من أحد شركات قطاع الكهرباء في مصر اللي تشغل شبكة الكهرباء في مصر، وفخورين إننا تعاملنا مع كل التمويل دا وكل المستثمرين دول والشركات. وكُنا عن الجانب شركة مصرية مملوكة للدولة ومستقلة، ودا من أهم النجاحات الفخورين بها. ليه يقول الكلام دا، لأن كل ما نفعله بنشتغل كمحاميين منش كل شغل بنقبله، وعندنا دائمًا قواعد عشان نشتغل في مشروعات تكون ملتصقة مع القوانين واجبة التطبيق ومع المصلحة العامة

الموكلين والمحامين وأنا مع كل هؤلاء الأساتذة وأحافظ على التكنل وأحافظ عليه ونكمل. وأنا أيضًا اللي بنسق مع الحكومة عشان نعدّل القانون. الحقيقة من ضمن الناس اللي كانوا مؤيدين ومناصرين وساعدوني جدًا في هذا، مثلًا إحنا اضطررنا نهاجم قانون الحسبة، بدل ما يعدلوا قانون مرافعات أول رد محافظ جاء لنا من وزارة العدل بقى يعملوا قانون للحسبة، قانون محافظ جدًا، فكُنا نهاجم القانون دا. أنا عملت هجوم ووزعته في البرلمان، ودكتور عبد المنعم الشرقاوي، وهو أسناده هذه الكتلة كان مديني التوكيل وشاف اللي إحنا كاتبينه المنشور ووافق عليه وكنت بوزعه على كل الأعضاء، أهاجم والصحفيين اللي كُنا بتتكلم معاهم يهاجموا والمفكرين. كان فيه زخم ثقافي وعلمي وأكاديمي مناصر للفكرة دي. دمرنا قانون الحسبة، غيرنا فيه لدرجة إنه ميفاش له تأثير إنه يقنن الحسبة. جينا بعد كده عدلنا المادة 3 مرافعات وخلصنا الحكاية زي ما كنا عايزين من الأول. لكن شوفي الكفاح، حتى تغيير القانون كان على كذا مرحلة، لأنه كان فيه مقاومة من تيارات محافظة من جوة، دي من ناحية، من ناحية ثانية أمام القضاء لغاية ما وقفنا حكم التفريق بحكم نهائي، دا اللي وصلنا له، دا انتصار، لكن الانتصار الحقيقي هو تعديل قانون المرافعات عشان نقفل باب التدخل في الحياة الخاصة بتاعة البشر. يعني تبقى متضابطة من جارك تقومي تروحي ترفعني عليه قضية تطلقه من مراته، وتقول عليه كافر أو مش عجبك أفكاره أو مقالة كتبتها أو كلام قاله، حاجة الحقيقة قاسية جدًا. كان دكتور نصر حامد أبو زيد اللي بسبب القضية دي أصبح من أعز الأصدقاء هو وزوجته. زي ما يقولوا مصر ولادة وهو أستاذ وله تلامذة وفيه غيره كثير.

كان عندنا تجربة بعد كانون الثاني/يناير 2011 طلعت وثائق الأزهر. الأزهر الشريف كان يتبنى تجّع من المثقفين المصريين وكان مع المثقفين هو وعلمائه وكانوا يطلعوا وثائق الأزهر. وهذه الوثائق أنا أرى إنها في أسلوبها وأسلوب العمل عليها فيها مشاركة من ممثلين للتيارات العلمية والثقافية في مصر مش بس علماء الأزهر. وإن هذه التركيبة والنسيج طلع وثائق اسمها "وثائق الأزهر". والأزهر موافق عليها فيها كثير من القيم اللي تتمنى إن الأزهر يوثقها ويدعمها ويدعو لها. وهذه الآلية وهذا النوع من العمل المشترك يكون مدخل إلى تجديد الفكر الديني والخطاب الديني، متباحث المسألة حكومية فقط لكن تبقى حكومية مع المفكرين والمثقفين، ويبقى فيها كام عنصر نسائي بالمناسبة، خصوصًا زي ما يقول إن الحكومة على أعلى مستوى تكون داعمة في قضية من القضايا المحورية الثقافية والفكرية والدينية. ليه ما يحصلش تعاون، وإحنا عندنا سابقة في "وثائق الأزهر". وكان آخرها وثيقة لحقوق

في أي بلد إحتنا فيها، يعني مش بناخد أي قضية، مش بنشتغل بس عشان دا مورد رزقنا وكل أسر الناس اللي معانا لا، نشغل لمان عشان نخدم، وفيه قضايا بناخذها تطوعية من أجل مصلحة الإنسانية أو مواطنين مصريين أو قضية عامة زي ما شرحت قبل كده، قضية نصر حامد أبو زيد، شرحت كل القضايا المتعلقة بختان الإبنات، كثير من هذه النوعية نتبناها ولها بُعد عام، أهميتها بالنسبة لي إنها هي مهنة لما الواحد ينجح فيها وتبقى مهنة مستقلة، بتدي القوة والشجاعة والمقدرة إن البني آدم يشتغل في المجتمع المدني ويعرف يعمل عمل تطوعي يسعده، يخلي قلبه يدق ويبقى مبسوط وسعيد وهو مش قلقان إن دا هيوثر على أسرته أو على دخله المادي أو مثلاً على الناس المسؤولين عنهم أو شركائه. والحمد لله كل شركائي في المكتب وكل زملائي هما لمان حابين دا، يعني لما يشتغلوا للجمعيات اللي أنا متبناها أو بحبها أو أسستها ويعملوا لها شغلها القانوني بيقفوا سعداء وحاسين إنهم بيعملوا حاجة جميلة فيها خدمة إنسانية أو لاهل بلادهم في مصر. دا من ضمن الحاجات اللي يتمكّن الإنسان إن هو يبقى ناجح في وظيفته أو مهنته الحرة يبقى نوع من التمكين إنه يقدر يدي عطائه في المجال الاجتماعي أو المدني أو حتى السياسي عطاء مجرد من المصلحة.

الملائكة يسلفن الستات

مثلاً في التسعينات، بعد وفاة والدتي وهي كانت قيادة في جمعية "تحسين الصحة" انتخبوني كعضوة مجلس إدارة لأن مؤسسات الجمعية يا إما زي أمهاتي أو خالتي أو جداتي كلهم صديقات والدتي، وأنا فتحت عيني متربية شيفاهم وبحبهم ومعجبة بهم وبحترهم. وبعد سنتين ثلاثة واحدة من مؤسسات الجمعية السبعة، شريفة هانم محرز قالت لي: "تبقي رئيسة الجمعية"، قلت لها مش عايزة ومش عندي وقت ومشغولة وأنا بعمل كل حاجة من غير ما ابقى رئيسة. ضغطت عليّ وقالت لي أنا هبقى النائبة بتاعتك، قوة الرغبة ونوع من الضغط العاطفي الشديد جداً إنها هي مؤسسة الجمعية وتقول لي هبقى النائبة عشان إنتي تبقي مطمئنة وأنا هروح كل يوم وإنتي في شغلك وأنا عارفة إنك ما عندكيش وقت بس تجبي إن شاء الله مرة في الأسبوع. فضلت ورايا تترجاني وأنا مكسوفة من نفسي إنني مش قادرة أقول لها لا، وفي نفس الوقت مش قادرة أقول أه لأن هي مسؤولية كبيرة، المهم في الآخر بقيت رئيسة الجمعية في القاهرة، الجمعية الأصل، أول جمعية تأسست. هذه الجمعية العريقة لها 27 فرع أو 29 فرع في كل المحافظات وهي جمعية قديمة جداً وتشتغل في مجال الرعاية الصحية والتعليم

وكل الحقوق الاجتماعية. التشتت شغل الملائكة، عبارة عن ستات جابن من جيل الملائكة وعازرين العطاء والمساعدة، وأنا جاية من جيل إن دا مينفعش، فين التمكين الاقتصادي والكلام الكبير اللي إحتنا بتتكلّم عليه، قلت لهم مينفعش، الصحة لا تتفق مع الفقر مش يمشوا في سكة واحدة أبداً، وانتوا عارفين كده وتقولوا كده، مكافحتكم للسبل والأمراض المعدية وتقولوا لازم يشتغلوا عشان يقدروا يسكنوا في بيئة نظيفة ويأخذوا علاج ويعلموا أولادهم نفس المنطق دا بس لازم نشغل بشكل مختلف. قالوا لي إزاي، قلت لهم نعمل Microfinance زي محمد يونس لما عمل في بنجلادش والسودان، جمعيات ناجحة جداً عندهم مليون ونصف عميل مستفيد من التمويل المتناهي الصغر يخليهم يشتغلوا. بدأت شوية وعملت تعاون مع مكتب هيئة إنقاذ الطفولة في مصر، والهيئة عندها خبرة وشبكة من المشروعات في مختلف البلدان النامية، دا موضوع فيه جانب فني قوي جداً وله أساليب في التعامل ومكنش في مصر ولا قانون ولا أي حاجة في ذلك الوقت، بتتكلّم في التسعينات. المهم بدأت المشروع بـ 200 ألف جنيه، وبدأنا عملنا التجريبي في مقر الجمعية في عابدين ونجح. في 2009 روجت أجب تمويل من البنك الأهلي، قلت لهم الصناعة دي صناعة رائعة لأنها تمول الستات بس، كنت في جمعية تحسين الصحة بمول الستات نسبة السداد 100% كانوا يياخدوا 250 و300 جنيه مبالغ دلوقتي لا شيء، وكانوا يعملوا بها مشروع، بعد سنتين تنتقل من البدروم اللي كانت سائلة فيه هي وعيالها وجوزها ووالدتها إلى شقة ثلاث أوض نوم وعيالها يروحوا المدارس، من مشروع بسيط تعمل زباني وتحطه في الفخار والتلاجات زي ما كان زمان بيعملوا، أو تعمل مفتقة مربى أو مشروع مخبز في البيت وبعدين تكبر وتكبره وتطلع يبقى دكان وتشتغل فيه جوزها وإنتها يطلع delivery بالعيش والبسكوت. مشاريع الستات ممكن تعملها بتفوق من غير مجهود وهي شاطرة ومديرة فتقدر تسدد وتشتغل لمان أهل بيتها. بتتكلّم على حاجة شوفت قدامي قصص تخلي قلبك يرفرف من السعادة وإنتي شايقة قد إيه مبالغ بسيطة تبدل حياة ناس ويسددوا. القروض دي عليها رسوم إدارية يسددوها، بس أسلوب السداد كل أسبوعين عشرة جنيه، كل أسبوع مبلغ بسيط، وهما رأس مالهم بيلف بسرعة جداً والمسألة بالنسبة لهم لازم تصمم على مشروعاتهم وعلى دورات رأس مالهم بالمبالغ البسيطة والأقساط ساعات كل أسبوع وساعات كل أسبوعين على حسب ظروف المشروع. الموضوع كان لازم يكبر، فروحت وأخذة تبرعات من البنوك، ثقتهم فيّ كمداية خلّتهم واثقين فيّ إنني رئيسة هذه الجمعية، وتبرعوا، زي أي حد يتبرع لأي مشروع اجتماعي،

ولمّا بصوا في الأرقام والميزانيات انبهروا. مجلس إدارة "تحسين الصحة" خاف من المبالغ التي يتدخل فيها ملايين من الجنيحات وقالوا الستات دول مش هيسددوا وبعدين هنعمل إيه إحنا المسؤولين، قلت لهم الستات تسدد 100% وأنا المسؤولة ومضيت رسمي إني بضمن كل هذه المبالغ وأنا المسؤولة عن المشروع ومفیش حد منكم يخاف من حاجة طول ما أنا عايشة كنت بقول لهم كده، المهم قالوا لي: "لا عايزين مسؤوليات". فأسست "التضامن للتمويل متناهي الصغر"، والحقيقة كمان عرفنا طحيت إن المؤسس مش منى ذو الفقار، المؤسس "جمعية تحسين الصحة"، نوع من التكريم لتاريخ هذه الجمعية. طلع قانون التمويل المتناهي الصغر سنة 2014 وبالتالي اترخص لهذه المؤسسة الأهلية إنها تبقى مؤسسة تمويل متناهي الصغر وهي موجودة من 2009 ومن قبل كده في إطار مشاريع صغيرة لتحسين الصحة. النهاردا أصبحت من أكبر الجمعيات التي تمارس هذا النشاط، جمعية "قئة أ"، والجمعيات ثلاث فئات: أ وب وج.

هي المحفظة بتاعتها تزيد عن 750 أو 800 مليون جنيه وعندها 220 ألف مستفيدة مقرضة ومستفيدة صاحبة مشروع. دي المؤسسة الأهلية الوحيدة في مصر اللي تسلف الستات بس، أنا مش بسلف إلا الستات بناءً على قناعة إن الآثار الاجتماعية، عندما تتمكن المرأة المصرية اقتصاديًا، الآثار الاجتماعية على زوجها وعلى أسرته وعلى أبنائها وعلى مجتمعها بتبقى أكثر إيجابية ومضمونة أكثر. إحنا مؤمنين بالقضية وأصحاب رسالة، مش بنعمل دا لأننا مؤسسة أهلية. الصناعة نتيجة لنجاح التضامن، الصناعة بما فيها من شركات قطاع خاص فرخص لها وبنوك تمارس نشاط التمويل متناهي الصغر و900 جمعية، بتكلم عن 11 شركة، 10 بنوك، انتخبوني في أول اتحاد للتمويل متناهي الصغر.

العتاء بلا مقابل

حابة أعترف بالفضل لكل الشخصيات من الرجال والنساء في حياتي، اللي تعلمت منهم، واللي كانوا لهم الفضل الأكبر في تشجيعي، أو في توجيهي، أو في بناء قدراتي إنني أقدر أقوم بدور في خدمة قضايا المجتمع والوطن. وخدمة قضايا المرأة اللي اخدت الجزء الأكبر من مجهودي، قضايا المرأة وحقوق الإنسان. أنا حابة أقول إنه عدد كبير من الرجال والنساء، فلو بصيت على الرجال مثلاً هقول بدون شك والدي. أبويا كان له دور مهم جدًا، هو زي ما أنا حكيت كان نصير لقضايا المرأة، ومكنش نصير بالكلام لا، أنتج أفلام ودافع فيها عن قضايا المرأة. والدتي علشان أتكلم في نفس المرحلة، كانت القدوة في العمل

التطوعي الاجتماعي والخيري. وأنا طفلة دخلت مع أمي جمعية "تحسين الصحة" وهي من قيادات الجمعية، من الجيل الثاني اللي دخل في الخمسينات، أما مؤسسات الجمعية سنة 1936 كانوا سبعة من ضمنهم شريفة هانم محرز ولبلى دوس ومفيدة هانم جرانة. والدتي علمتني إزاي أهتم وأساعد، وقالت: "أنا العطاء بلا مقابل" هي صاحبة العبارة دي، أجمل أنواع العطاء، وإن له مردود بيحي بشكل أو بآخر، وأجمله إن الإنسان يبقى سعيد وراضي.

قبالنسية لي العمل التطوعي، والمجتمع المدني، كان جزء من حياتي وأنا طفلة. وتعلمت منها العطاء بلا مقابل، هو أجمل أنواع العطاء، التطوع والعمل الاجتماعي والخيري، فدخل أصحاب فضل في الأسرة. في نفس الوقت لو بصيت على المعارك بتاعة التغييرات والتعديلات التشريعية، والمعارك اللي كانت المحاماة فيها هي المنهج، وهي الأداة الرئيسية، سواء كانت معارك قضايا حقوق الإنسان، زي قضايا دكتور نصر أبو زيد، وقضايا الدفاع ضد التشريعات اللي كانت مخالفة للدستور، أو فيها تمييز ضد المرأة، أو كل القضايا دي، كان الأستاذ علي الشلقاني داعم فيها، وهو بدون شك الأستاذ اللي نقل لجيل كامل وأنا منهم مهارات المحاماة، وتقاليدها المحاماة باعتبارها مهنة عريقة ورسالة نبيلة للدفاع عن قضايا كل صاحب حق، وقضايا الوطن بوجه عام. أيضًا من ضمن القيادات المهمة جدًا سواء في قضايا المرأة، أو العمل الاجتماعي، بالنسبة للقانون دكتور فتحي نجيب، وأنا أتكلم عن دوره. والأستاذة عزيزة حسين اللي كانت المثل والنموذج والرائدة في مرحلة الثمانينات والتسعينات. واللي الحقيقة كانت داعمة لي، ولكل الجيل من الشابات والنساء المشاركات خلال التسعينات بالذات في مؤتمرات الأمم المتحدة والمرحلة دي، كان وجودها وخبرتها، وتاريخها، وعلمها، وشجاعتها، علمتني. كل الشخصيات دي تعلمت منها الكثير، وأدين لها بالفضل. دكتور فتحي نجيب كان داعم في كل التغييرات التشريعية اللي عملناها لرفع التمييز ضد المرأة. سواء الجنسية، تعيين المرأة قاضية، قانون الخلع، كان هو أكبر داعم. كانوا يقولوا عليّ مهندسة قانون الخلع، وكان هو وقتها ماسك التشريع في وزارة العدل وهو من ساند هذا القانون، وقضايا محاكم الأسرة. القوانين كلها اللي كانت تعديل لائحة المأذونين وشروط عقد الزواج، كل هذه التعديلات عملناها، كان هو أكبر داعم لنا فيها، وتعلمت منه كثير جدًا. عملنا بعض القوانين الاقتصادية كمان، كان لها تأثير كبير على إجراءات العدالة بالذات في القضايا التجارية والاقتصادية، زي قانون المحكمة الاقتصادية أنا مش من الحركة النسوية اللي لا تعترف بفضل مساندة الرجال، لأنهم بدون شك هما شركاء لنا، وعلى مر العصور

لأن كل واحد مشارك، يتعلم منه، ومساندته مهمة جدًا في كل القضايا التي بنكسبها، أو التي أنا بهتم بها شخصيًا. كل دول بهدي لكل واحد منهم زهرة، سواء هو موجود معانا، أو تركنا، بهدي له زهرة. وبشكره على كل الدعم، وكل التشجيع، وكل العطاء، التي من غيره مكنش أقدر أحقق حاجة. لو كنت حققت حاجة فهمنا كل الداعمين شركاء فيها. بشكرهم، وأدين لهم بالفضل. آخر حاجة هقولها إنه الحركة النسائية المصرية، هي أيضًا صاحبة فضل، لأنه أنا واحدة من لثيرات. زي ما قلت دعم المفكرين والمثقفين، والرجال، والمؤسسات، لنا أكيد له دور كبير. لكن الحركة النسائية في الآخر، والمجتمع المدني، يظل هو موتور التي بيشتغل، والتي بيدفع مسيرة قضايا الحرية، وقضايا المرأة للأمام. لكل دول أنا أهديهم باقة من الزهور، وأتمنى يا رب إن المسيرة دائمًا تفضل مكملة إلى الأمام، وتحفظ بحيويتها، وشبابها، وتحقق كل أهدافها.

التاريخ يقول إنه كل كبار المفكرين والأدباء، والتي ساندوا حركات التحرر بشكل عام، في الأغلب العام كانوا مساندين لقضايا المرأة. دول الواحد لازم يعترف إنهم أصحاب فضل. أيضًا من التي أنا تعلمت منهم كانوا دايمًا، أسرتي، والتي بتعامل معهم سواء في مجال القانون من كبار القضاة. كثير منهم مش هقول أسماء، لكن كثير منهم كانوا مساندين، رجالًا ونساءً. أنا محظوظة إنه في المرحلة الأخيرة، بعد وفاة الأستاذ علي بسنوات، كان لي حظ إنني تزوجت من طبيب قلب دكتور نبيل أبو الحسن، وهو أيضًا نصير للحرية وحقوق الإنسان، ونصير لقضايا المرأة، بالتالي الاستمرار والمجهود، والدعم، والتشجيع موجود، وكان حظي إن دائمًا أسرتي، سواء أسرتي الكبيرة، أو أسرتي الصغيرة، فيها هذا الدعم. عايزة أقول إن كمان بنتي، بنتي التي هي دكتورة أنجي بدوي، أنا اتكلمت عليها وعلى أسرتي بوجه عام. لكن هي على وجه التحديد من الشخصيات المهمة جدًا لأنه بعد البنت لما تكبر بتبقى صديقة، ما بتبقاش بس ابنة هي التي يبروح لها اهتمام وحنان. لكن أيضًا بتبقى هي مصدر للعطاء والدعم، فهي الصديقة المقربة لي جدًا، وهي أكبر ناقدة كالعادة، ولكنها أيضًا أكبر داعمة ومشجعة. في كل الأنشطة، وفي كل المجالات، رأيها بالنسبة لي دائمًا مهم، ورؤيتها النقدية بستيقيدها منها جدًا في كل قرار باخده، وفي كل مشروع بتبناه.

آخر حاجة عايزة أقولها، أنا مؤخرًا تبينت قضية مكافحة الفقر، وحكيت على التمويل المتناهي الصغر، وإزاي المجهود آخر 20-25 سنة مرّكز على القضية دي. خاصة بالنسبة للنساء، باعتبارهم أفقر الفقراء. وعابيزة أقول إنه مؤخرًا في آخر خمس سنين، أخذت دعم قوي جدًا من مؤسسات، من البنك المركزي، ومن هيئة الرقابة المالية، والمؤسسات دي برئاستها الموجودة دعمت النشاط دا، وكان لها قيادات هذه المؤسسات، سواء المحافظ الحالي، طارق عامر، أو دكتور محمد عمران، رئيس هيئة الرقابة المالية، ومن قبله الأستاذ شريف سامي. داعمين لهذا النشاط وداعمين لهذه الصناعة، كانوا المؤسسات داعمة، برضو دا دعم نجاح المشروع بتاعي التي تبينته، مكافحة الفقر عن طريق إتاحة الخدمات المالية للمرأة الفقيرة، ولكل فئات المجتمع المحتاجة أو الأكثر احتياجًا للدعم، سواء شباب، رجال، نساء. أيضًا النجاح دائمًا مش بيبقى نجاح فرد لوحده، بيبقى دائمًا للرفاق للمرافق التي حوالية، للتشجيع. سواء كانت هذه الرفاق مؤسسات، أو بنوك، أو شركات، أو سواء كانوا أفراد أسرة، أو زملاء. أنا مثلاً في مكتب الحمامة، نجاح المكتب لكل الشركاء، لكل الزملاء المحامين التي اشتغلوا فيه. مكتب ذو الفقار وشركائها، في دلوقتي 11 شريك و70 محامي، كلهم شركاء في صناعة النجاح، وكلهم أدين لهم بالفضل.

منيرة صبري: رغم المعاناة... سعيدة أنني كائنة مهتمة بالشأن العام

منيرة صبري، مواليد 1953.

في عزّ التنظيمات السرية خلال سنوات السبعينات، لم تُجد منيرة صبري ضمن كوادِر تنظيمها السري المفضل "العمال الشيوعي المصري"، رغم التزامها بأفكاره، ودفعها إسهامات مالية، قدر استطاعتها، لدعم طباعة منشورات التنظيم ومجلته. تضايقت منيرة وقتها، وابتعدت عن السياسة، وجذبتها الثقافة، خاصة أنها تدرس التاريخ، لكن عدم تجنيدها لم يحمها من الاتهام بالانتماء لـ "العمال" وحبسها لمدة خمسة أشهر ونصف. عن تلك الواقعة، وغيرها تحكي منيرة عما بعد السبعينيات، وعملها كقيادة في الثقافة الجماهيرية، واشتراكها مع الحراك النسائي والعمل داخل تجارب حقوقية عدّة معنية بقضايا المرأة وحقوقها.

وهذه الشهادة، اعتمدت على مقابلة أجرتها عالية مرسى، في تاريخ 28 كانون الثاني/يناير 2020 في مقر "المرأة الجديدة".

في صحراء مدينة نصر

أنا منيرة صبري، متخرجة من جامعة الأزهر، كانت زمان كلية للبنات فيها كل الأقسام: طب، علوم، اجتماع، وأنا كنت قسم تاريخ. اشتغلت مدرّسة فترة، وبعدها بقيت أخصائية ثقافية في هيئة قصور الثقافة، وترقيت في شغلي لحدّ لما بقيت مدير عامّ ثقافة المرأة في الهيئة. ثم وكيلة وزارة ماسكة إقليم ثقافي، الإقليم بيكون خمس محافظات، القاهرة والجيزة والقليوبية وبني سويف والفيوم، كنت مسؤولة عن النشاط الثقافي في المحافظات الخمسة لغاية المعاش.

أنا أصولي فلسطينية، بس جدودي أخذوا الجنسية وبقينا مستقرين في مصر. جدي جا هنا في حرب 1914 (بدايات الحرب العالمية الأولى)، من قبل وعد بلفور وقيام دولة

إسرائيل أساساً. لقا 1967 حصلت وأنا داخلة الإعدادية، فاكدة طبغا تفاصيل الحرب والمأساة، وكنت ساعتها اتعلمت وقعدت اشتغل على الماكينة عشان أخط لبس الدفاع المدني لأخواتي اللي تطوعوا في الدفاع المدني، وليّ أصول الفلسطينية وعابزة فلسطين ترجع.

وقت حالة اللاسلم واللاحرب، والحراك الطلابي كان فيه لقاء، "تأهيلي"، ودا لطالبات كل الأقسام اللي من ثانوية عامة مش أزهرية عشان يدرسوا لمدة سنة الدين بس، وقبل ما أدخل اللقاء زحت أوضة "رعاية الشباب"، كانوا عمالين يكتبوا يفظ خاصة بالقضية الوطنية وإننا عابزين نحارب وحاجات بالشكل دا. اتعرفت ساعتها على ناس هما دلوقتي يعتبروا قيادات زي ماجدة عدلي ورحمة رفعت، الناس دي كلها كانت جامعة الأزهر، في الواقع كلنا بنات واتقابلنا وروحنا، طبغا كان فيه ناس إخوان ويومها طلعلنا بيان كانت معانا واحدة متتمية شوية للإخوان، كُنا كل ما نقول جملة تروح ناخانا آية قرآنية أو حديث يأكد اللي إحنا بنقله، عابزين نحارب واعتصموا بحبل الله، البيان طلع أزهرى بس وطني جدّا وبيبطالب بالحرب وكسر حالة "اللاسلم و اللاحرب" اللي كان السادات عاملها في الوقت دا. ثاني يوم اتقابلنا نفس المجموعة وهنعمل إيه، وعرفنا إن في "طب الأزهر" فيه مجموعة صبيان زملائنا وعاملين لقاء هناك وفيه ناس هناك من هندسة وزراعة وكذا، وروحنا "الطب" وقابلنا ناس، وسمعنا حكايات كذا زميلة عن اعتقال أخوها، لأن كان فيه ناس يتكرر حدوث اعتقالات، خرجنا بمسيرة ولفينا على الكليات ندعوهم للانضمام لينا، والكليات كانت في مدينة نصر، ومكنش حي مدينة نصر دا اتعمل كان هو كام عمارة متتوربين هنا وهنا والباقي صحراء، وكُنا مجموعة بنات كبيرة بناع 50 أو 60 بنت، دا كان رقم كبير جدّا على جامعة الأزهر. اتعرفنا ساعتها على المجموعات اللي من الرجالة وعملنا بعد كده كذا مؤتمر في كلية طب، وقالوا كل واحد يرجع كليته وتحاولوا تعملوا حاجة في كليتهم، بعد شوية الدنيا ماتت.

وساعتها على فكرة مكناش محبين، لأن العميدة رفضت فرض الحجاب، "اللي عابزة تتحجب تتحجب"، من 1973 علاقتي بأهلي شائكة جدّا ومسببة لهم توتر، النهار يطلع برزخ الباب ورايا وجري على بيت زميلة لينا نقعد نكتب الورق ونطلع على الجامعة نعلقه وآخر النهار نرجع على بيتها عشان نكمل ونقرأ المنشورات اللي ممكن تكون بتيجي لنا. أهلي مش فاهمين كلية إيه دي اللي من صباحية ربنا لغاية بليل، وحاسين إنني متغيرة، مشيتي متغيرة، شعري على طول مكوزاه، بقيت كائن ثاني. أبويا كان بيقول لي "إنتي بنت، أعمل فيك إيه، مش هقدر أمشيكي، ومش هقدر أطردك، اربطك بحزير في البيت" وقت الجامعة لقا يكون عندي ميعاد سياسي مناقشة أو توصيل أوراق مثلاً، وهو منعني

أخبر كنت بزرع الباب ورايا وأخرج وأرجع، هيبفى ديتها قلم. بعد لما الدنيا نامت بدأت أروح جامعة عين شمس، وفي مدرج طب هناك شفت ناس جات من اعتصام جامعة إسكندرية واعتصام القاهرة وتقابل كلنا ونمشي في مظاهرات جوة الجامعة.

وعملنا لقاء مع بنات عين شمس عشان نشوف أوضاع البلد وعارفين إن فيه خصوصية للبنات إنما القضية الوطنية هي اللي واكله دماغنا بشكل أكبر من الجنس والنوع، كُنا نشغل على القضايا الوطنية والمجتمعية في وسط الستات، مش على قضايا الستات، نتقابل باعتبارنا وسط مشابه لبعضه إزاي نناطبهم، إنما القضايا الوطنية هي الأساس، ومستمرش كثير هو لقاء أو اتنين.

وعدت سنة 1973 وكنا خلاص كمجموعة بنات بداننا نعرف مجموعة من الشباب اللي في الجامعة معانا، وبدأوا يجيبوا لنا منشورات مثلاً حاجات سرية زي "جريدة الانتفاض" بتاعة "حزب العمال" السري، وبداننا نقرأها ونتقابل في بيوت بعض، ونتعرف على بعض أكثر. وفي الصيف حصلت حرب أكتوبر، كُنا أمرينا نروح المستشفيات، فأكبر أنا ورحمة رفعت وماجدة عدلى وسناء فؤاد نزلنا روحنا مستشفى عين شمس، وقابلنا الجنود وكانوا عايزين يخفوا بسرعة عشان يرجعوا يكملوا حرب. رجعنا الجامعة بدأت بعد أكتوبر، وتفاجئنا بمجموعة للقاءات ما بين كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى والسادات، كُنا حررنا 30 أو 40 كيلو ووقفنا على كده، مفيش تحرير لباقي الأرض غير بالمفاوضات، المفاوضات كانت مهيئة، وبدأت مفاوضات الكيلو 101 لأن إسرائيل من الثغرة كانت وصلت على بعد 100 كيلو من القاهرة. اتفاجئنا بالمفاوضات، وإن فيها شيء من التنازل ومفيهاش استكمال الحرب وتحرير الأرض، وأسقط في أيدينا زي ما يقولوا، في الفترة دي كانت حصلت انتخابات في الكلية ودخلتها وبقيت ضمن اللجنة الثقافية. وبداننا نكتب، في الكلية في وش السلم حيطه كبيرة بتاع أربعة متر ومكمل السلم وكل البنات والدكاترة بتطلع من السلم دا، قررنا نخط مجلاتنا على الحيطه اللي في وش السلم، كان مصروفنا صغير وكنا بنروح سوق العتبة بتاع الورق ونشتري أفرخ المجلات ونكتب على ظهرها لأنها كانت رخيصة جداً وإحنا مصروفنا قروش في الآخر، ونكتب رأينا ونعمل كولاج ونقصص الجرائد ونكتب تعليقات عليها وحاجات بالشكل دا، قعدنا سنتين نعمل زي ممر صحافة ودكاترة كثير تيجي تنتش الورق وتقطعه وتعمل عماليل فظيعة، دا كُنا أي حد يجي يتكلم لو معترض على الكلام يقول رأييه كُنا ديمقراطيين قوي. استمرينا بالشكل دا وطبعاً جه استدعاء لزميلاتي من أمن الدولة، مش لي، أنا لغاية وقتها مكنتش

جايلي استدعاءات، كنت بقرأ المنشورات بتاعة "العمال"، ومجلة "الانتفاضة" ومتمنية لأفكار التنظيم السري وبدفع على قد مصروفي عشان الحاجات دي تطلع وتأمين الهارين وتأمين الناس وبس، إنما متعرضش عليّ خالص إني أبقي منتظمة أو داخل منظمة. وكنت متضايفة جداً لأن زميلاتي اللي هما كانوا معايا في التنظيم وأنا لا، ودا كان موترني، بس كان في الفترة دي انشقاق جوة التنظيم، ولما جم يفكروا فينا ما اخدوناش كلنا، وكان واضح إنهم كانوا ملخومين قوي في مسألة الانشقاق، وفجأة بصيت لقيت انفرط عقدنا في الكلية والجامعة وبقينا منسقس سوا ومتعملش سوا، بقيت لوحدي على 1976.

هاربة من المباحث

يوم 18 يناير 1977، طبعا أهلي كانوا مش عايزيني أنزل على الإطلاق، كنت في الفترة دي مرتبطة وزحت بيت اللي مرتبطة بيه ومامته قالت لي "اهربي يا بنتي دا كلهم يقبضوا عليهم إنتي قاعدة بتعملي إيه".

رجعت البيت يومها وأبويا قالني إنتي مش خارجة، وثاني يوم قلت له هروح الجامعة اودي حاجة لزمية وأرجع ثاني، ونزلت قابلت صاحبي في مصر الجديدة ورجعنا مشي وقال لي: "اوعي تروحي البيت فيه مشكلة كبيرة كلنا مطلوبين". كانت أختي متجوزة ورجعنا مشي اليوم دا لأن مكنتش فيه مواصلات في مصر الجديدة وأختي في إمبابية، وكل لما تقابل مظاهرة نمشي فيها، الناس كانت بتطلع بشكل أساسي، لأن الإجراءات الاقتصادية دي حتوجعهم، رجعت على بيت أختي وقعدت يوم، ونزلت في يوم زحت قابلت صاحبي، وقالني: "حاولي تغيري المكان، روحى هاتي حاجتك وتعالى قابليني لأن غالباً هيجوا لك عند أختك". روجت عند أختي لقيت المباحث كانت لسه عندها عشان يقبضوا عليّ، وقعدوا يقولوا "دي مصاحبة واد من لغات وترجمة في الأزهر وعامل زعيم"، والمباحث عرفوا إني عند أختي من بيت أهلي لما راحو يقبضوا عليّ هناك وأخدوا منه أجهزة تليفوناتي مع الأسف. أختي قالت لي: "لازم فوراً تتصرفي"، زحت جيت جلايية وشوية حاجات وأختي أدت لي شوية فلوس وقابلت صاحبي وهربت. ميقنتش عارفة أروح فين كل اللي أعرفهم هربانين، زحت لواحدة صاحبتني من الثانوي ملهاش في حاجة خالص، وقابلتني بصاحبة تانية برضو ملهاش في حاجة خالص قالت لي: "تعالى معايا.. أنا بعيدة عن أي حاجة"، زحت عندها وقلت لامامتها إني متخافنة مع ماما وبابا يومين وهرجع، وهما كانوا عيلة كلاس خالص، قالت لي: "ماشى يا بنتي".

هما بيتهم زي فيلا، الدور الأول السفرة والسرفيس، ثاني دور صالونات لأن من النوع اللي بيعملوا مقابلات، الدور

الثالث أَوْضَ النوم، قعدت عندها أسبوع أو عشر أيام، أروح واجي، جات صاحيتي في يوم قالت لي "لازم تمشي لأن فيه راجل آخر الشارع يشتري منه حاجات قال لي دا فيه ناس مباحث جم سألوا عليك وأنا قلقانة"، قلت لها: "خلاص همشي بكرة الصبح"، يومها بليل جات المباحث وإحنا هناك وأنا كنت في أَوْضَ النوم فوق، أهرب فين، أروح فين؟ هما طبعًا ميعرفوش نظام البيت إنه مطابخ وصالونات وطلعوهم الدور الثاني وقعدوهم، هما نفسهم البوليس قالوا أصلها متخافكة مع أبوها وأمها، وأبوها مكلفنا إننا ندور عليها، قالوا نصّ الرواية بتاعتني الحمد لله. مامتهم محبتش تسلمني ليهم وقالت لهم حاضر لو جات هحاول اشوقها بس هي مش عندنا ومشيو، مامتها كانت عايزة تقنعني، وقالت لي: "يا بنتي لازم ترجعي لأهلك"، روجت واخدة بعضي وسنطتي وماشية على بيت صديق، وقابلت حد راج موديني عند ناس كانوا ساكنين في وسط البلد، كُنا بنعمل حركة رهيبة جدًا، الباب فيه شراعة يروحوا قافلين يمدوا أيدهم من الشراعة ويقفلوا البرزة ونقفل القفل ونقفل الشراعة لأن الباب عليه قفل من برّة، وإحنا قاعدين جوّ، أنا وراجل ومراته وراجل كبير في السن، كُنا بنتبع سيم عشان فنشوفش بعض، منعرفش مين في الأوضة دي ولا الأوضة دي، نخرج نعمل شاي وحاجات نخبط عشان لو حد برّه يخش. برضو الدنيا قفلت، وقالوا المكان ممكن يتعرف.

وروجت عند الراجل ومراته، وقعدت عندهم حوالي شهر، وبعدين طلع قرار الاتهام ملقش نفسي فيه قلت ابتدي أرجع، رجعت الأول على عمتي وقعدت عندها أسبوعين، ثلاثة، وبعدين رجعت البيت، وبمجرد رجوعي جالي جواب استدعاء المباحث، قعدت أقول لباا لا مش هروح دي مباحث مش نيابة، لو نيابة أروح، وهو حبيب قلبي قعد يعيط "عايزين نخلص"، زحت معاه كان الطابط اللي بيحقق معايا، حبيب العادلي؟، ساعتها كان ظابط صغير في المباحث، وطلع كان بيروح من وهو صغير السوبر ماركت الكبير بتاع والدي اللي جنب بيته في الدقي، الضابط قال له: "إيه يا عم صبري إيه اللي جابك" قاله "بنتي"، قاله طيب. اتعامل معايا بشياكة عشان عارف بابا من المحل، وقاله: "يا عم الحاج هديها لو بتعرف حبيب كده ولا كده، ماشية معاه حاول تخليها تبعد عن الحاجات دي ومش عايز أشوفك هنا ثاني". ورجعنا وبعدها طبعًا أهلي عايزين يخلصوا مني بالجواز والحل إنني ابقى في رقية راجل ثاني، قالوا لي: "هاتي اللي إنتي مرتبطة بيه"، كان صاحبي اتخرج وأنا سقطت كذا سنة رغم إننا قد بعض، وجه اتقدم لي وكُتبتا الكتاب وسافر ليبيبا عشان بحبيب تمن الشقة قال: "هاقعد سنة

نقدر نجيب تمن الشقة ونتجوز". الفترة دي كان السادات بدأ يمهد للامب ديفيد، راج عامل لقمة ثانية في السجن كنت أنا فيها، الكلام دا كان سنة 1980، كُنا حوالي 17 أو 18 بنت والولاد عشرات، خدونا مباحث أمن الدولة في لاطوغلي وبيتونا ليلتين ثلاثة وطلعنا من عندهم للنيابة وحققوا معنا: "كنت في تنظيم؟" أقول لا، وكده يعني. كانوا يحاولوا يستكتبوننا لأنهم ظبطوا حاجات بخط اليد ورفضنا عشان منشرش زملائنا، وحولونا بعد كده للقناطر، كان فيه ناس من إسكندرية وأسوان وأسيوط وقاهريين، وكان في الحبسة دي ناس المفروض كانت هربانة، لَمّا نزلنا النيابة عشان يتحقق معنا وبعدها اتجدد لنا جلسة قدام القاضي في العباسية، زحنا وكان فيه أولياء أمورنا كلهم برّة طبعًا، كان من ضمن الناس اللي محبوسة معايا عماد أبو غازي؟، وأبوه؟ ساعتها كان برّة الوزارة بس قدر بعلاقته يخش جّوه القاعة وهما مانعين أولياء الأمور، وأولياء الأمور اللي برّه قالوا اشمعنا وحصل هرج ومرج، وكانوا لسه فدخلوناش القفص وبدأوا يضربونا بالعصيان وخلصنا الكراسي وبنرد الضرب، اتعملنا قضية ثانية إننا كسرنا قاعة المحكمة، قضية شغب داخل المحكمة، فضلنا جّوه السجن، وهي فترة خصية جدًا جّوه السجن، بعد ما كنت بعيدة عن الناس دي من 1975، لَمّا انفرط العقد زي ما بيقولوا. لكن في السجن بدأنا نعمل حلقات نقاش حواليين أهم القضايا، وكان ساعتها ثورة إيران على الشاه، تتناقش في دا. السجن مش زي دلوقتي، المسجون السياسي له حمام مخصوص، كُنا مرفهين، مش بنليس أبيض بنليس ملابسنا العادية، بتأخذ شمس جّوه، ومش بنشتغل، فضل يفرج على الناس وأنا كنت من الأواخر، حتى بعد ما كُنا واخدين عنبر كبير قوي لينا حطونا في أوضة أصغر لأننا بقينا مجموعة أصغر، وبعدين أخذت إفراج من قضية الحزب السري، وبقيت على قضية الشغب، مقيش 15 يوم وأخذت إفراج من الثانية وخرجت، أنا اتحبست أوائل يناير خرجت نص يونيو، فترة حوالي خمس شهور ونص، لَمّا خرجت كان الفترة دي خطيبي لسه في ليبيا وكنت بجهز عشان لما يرجع نتجوز، لكن بعد ما رجع بأسبوع مات في حادث، وكنا أخذنا شقة واصرّيت إنني افرشها، لأنني في علاقة سيئة بأهلي رغم إنهم طيبين جدًا ودريصين جدًا، بس إحنا بنبقى في حالة أنا كنت في حالة يسارية وهما حالة متخلفة أو أي حاجة.

سنوات الوحدة

قعدت لوحدي في شقتي 8 سنين ونُص، أنا مش غاوية أسكن لوحدي ماهياش موقف بقى، وأنا كنت واصلت مع

3 وزير الثقافة الاسبوق.

4 بدر الدين أبو غازي وزير الثقافة من 1970 إلى أيار/مايو 1971

2 حبيب العادلي: هو وزير الداخلية في فترة حكم محمد حسني مبارك وبعت الإطاحة به في ثورة يناير مع سقوط نظام مبارك.

أهلي خلاص الدنيا مقفولة بيني وبينهم بالرغم إنهم ناس طبيين بس هي دي العادات اللي نشأوا عليها وإنني بنت طبفا، لما قعدت لوحدي كنت مضطرة أشتغل كذا شغلانة عشان أصرف على نفسي، وكنت بسمع كلام من الجيران مربع، ومكنش هأمنني وفاتحة البيت للكل، بيحلي شباب وبنات، وعلى علاقة سيئة بالجيران، بس كانت الحنة مش ساكن فيها ناس كثير لسه، دلوقتي بتشغي بشر. لحد لما اتجوزت وخلفت.

في الجزء المهني أنا في وزارة الثقافة، وأغلب الوزارات الخدمية زي الثقافة والصحة والتعليم أغلبها ستات. بس كنت ست مثقفة بقرار، بهتم بالسينما، والثقافة الجماهيرية كان اللي قائم عليها كثير من اليساريين بالعكس كانوا فرحانيين إن فيه بنت.

مثلاً مع شغلي في "الثقافة"، اتعرض عليّ أمسك النشاط الثقافي والاجتماعي في "مركز بشاير حلوان"، وكانت هالة شكر الله رئيس مجلس الإدارة، وعزة كامل أمينة الصندوق، وزينب عبد اللطيف المديرية، والشغل دا فرق معايا، خلاني لصيفة بقضايا النساء، حسسني بقضايا التمييز والجنس، وفكرة النساء حاسة بالتمييز وحاسة بالعبء الواقع عليّ وتنقله لهم، دا كان حاجة أعتقد أنها لعبت دور طلو قوي في المسألة دي. نقرأ كتاب سوا، نعمل رحلات، نعمل ندوات، كنت مجرد أقعد وهما بيشتغلوا كورشيه في الصالة نقعد ندرش في الحاجات اللي هماهم، نفتح كلام في موضوعات بالشكل دا. ونعمل ندوات ورحلات، ومعارض لشغل الكروشيه، وكنت أجيّب النساء دول في أتوبيسات يحضروا محاضرات وندوات ومؤتمرات في "المرأة الجديدة" عن قضايا المرأة.

بقت قضايا النساء من أولوياتي مش باعتباره شغل لاه، حسيت فعلاً بأهميتها لأن كنت ساعتها متجوزة وحاسة بشدة. كانت خافكة شديدة جداً، وكنت ساكنة في عين شمس ساعتها وبروح حلوان أشتغل، مش قادرة أقول لك جوزي المستشير اللي مش عارفة إيه بالرغم من طبيته وإن هو في العمل العام مدي روحه وحياته، إنما أنا لو اخذ العيال معايا حلوان "مخرجرة العيال معاكى ومبهذلاههم" ولو سبتهم له "سايبة العيال طول النهار" عانيت من المسألة دي وأصريت، كنت حاسة إنني لقيت نفسي في الشغل في حلوان مع الستات، وجوزي يعمل اللي يعمل، وأنا حابه الدنيا دي وهفضل فيها، وفضلت فعلاً، وكانت أوضاعنا الاقتصادية نعبانة.

ومسكت شغل مدبرة تنفيذية مع إيمان بيبرس، لغاية لما اتعرض عليّ أشتغل منسقة في "ائتلاف بكين"⁵.

5 خلال تجهيزات المشاركة لمؤتمر المرأة في الصين (أيلول/سبتمبر 1995).

تبع اليونيسف و"جمعية التنمية الصحية والبيئية"، وأخذت إجازة بدون مرتب من "قصور الثقافة". كنت ماسكة أسبوط وسوهاج وكان في أسبوط 22 جمعية، وفي سوهاج 21 جمعية، نتناقش في القضايا الجندرية، كان لازم أكون مجهزة جداً وقريت كمية قراءات ضخمة جداً وبنطلع إصدارات وكل مرة نخار قضية من قضايا النساء نتكلم فيها في لقاء الجمعيات ونعمل مركز مساندة قانونية ومركز لمنع البنات من التسرب من التعليم في 2001 أو 2002 في الحدود دي. بعدها أشتغلت في "رابطة المرأة العربية" كنت ماسكة مشروع العنف ضد المرأة، في الجيزة والإسكندرية والدقهلية، وعملنا كمية تدريبات عالية جداً على العنف ضد النساء، دا عمق معارفي في مسألة العنف ضد النساء، وكنا في المنيا بنشتغل في قرى، واضطريت أقرأ في الدين كويس جداً وأقول امرأة دخلت النار في هرة قتلها ما بالك بالست، وتحريم ستاتكم من الورث، وكنا بنتكلم لأن المشروع عن العنف المسألة عن العنف وتلاقي القضايا عن العنف اللي عاملة تماس معاهم جداً واللي هما حاسينا وتبتدي معاهم تقولي الضرب والإهانة، اعتقد إنه اتعمل شغل حلو قوي في الفترة دي.

اهتمامي بالمرأة خلاني أروح بعد ما كنت واحدة في قصر صغير متعدد الأنشطة إن أنا أروح لعلي أبو شادي -لما كان وكيل وزارة وهو كان صديق- وأقوله إنني أحب أكون في الإدارة الخاصة بالمرأة في "الثقافة"، واشتغلت في الإدارة دي جامد جداً لحد لما بقيت مديرتها بعد كده، دا في الشغل. في 2005 بقيت في مؤسسة "المرأة الجديدة"، بشتغل شغل ثاني جنب شغلي في "الثقافة" بالتوازي، كنت مدبرة في "ثقافة المرأة" وكنت في "المرأة الجديدة" ماسكة وحدة التدريب، وعشان ولادي لأنني كنت لوحدي معاهم، كنت حريصة إن تدريبات "المرأة والذاكرة" تكون جمعة وسبت وأخذ الحد من الشغل الثاني يوم إجازة من الهيئة، واشتغل بعد الظهر أو يومين إجازة.

3 أيام في "المرأة الجديدة" وبقية الأيام في الهيئة، ودا بيحقق لي دخل أقدر أصرف بيه على أولادي وأنا كنت منتمية جداً لـ "المرأة الجديدة" خلاص بقت هي دي أفكارى وبعمل جاهدة إنني أطور نفسي. ومهتمة بالعادات الاجتماعية والمعتقدات اللي ممكن تكون بتشكّل وعي، درست في معهد الفنون الشعبية، وأخذت ماجستير عن العادات والمعتقدات الشعبية، وكان بحث الدبلومة بتأعني عن المرأة في المأثور الشعبي، جمعت كمية مقولات من ستات شعبيات بتخص المرأة في الأمثال، في الحواديت الشعبية، في العلاقات الاجتماعية ما بين الست والسلفة⁶.

6 بوضوح منيرة صبرى لاحقاً إن الزوج، والد ابنائها، توفى قبل نحو 20 عامًا.

7 أحب الزوج.

والواحدة وضرتها وحمايتها، وحاجات بالشكل ذا والينت لما تولد، والطقوس بتاعة التربية عمومًا، والبلوغ.

بالعودة لشغلي في الوزارة، لما اتعرض عليّ أبقي "وكيل وزارة" كانت أكثر حاجة يقفوا فُدمها إني ست وإني مسيحية، مع أنني مش مسيحية أنا مسلمة، كانت بتبقى مشكلة إنتي مدير عام ثقافة المرأة حلو قوي، لكن تبقي "وكيل وزارة"، وطبعا الرقابة الإدارية اعترضت عليّ إني ابقى وكيل وزارة، ورقى راح عندهم ورجع مش لحاجة غير إن ليّ أصول فلسطينية بالرغم إني مصرية وأبوي مصري وجدي مصري.

لما حصلت 2011 منزلش 25 يناير، لأن ولادي كانوا بيمنحنوا في الجامعة، ونزلت جمعة الغضب، كُنا في الدقي طلعت أنا وأولادي على ميدان الدقي ومكنش فيه مواصلات نروح جامع مصطفى محمود مكان التجمع، روح لقيت ناس هناك انضميت ليهم وهفتنا ولقينا الأمن، دخلنا السوق من ميدان الدقي، وكُنا عشرات نهتف وطلعنا من آخره على شارع وزارة الزراعة بقينا آلاف، كل اللي في السوق طلعا معنا وكل اللي في البيوت نزلوا وخرجنا، كان بتوع المهندسين جايين وكانت مظاهرة مربعة والقنابل غمنا يومها ووقفنا، وبنتي تعبت من الغاز واضطريت ارجع البيت، وناس أمم من اللي أعرقهم كانوا جايين لأنهم كانوا قاطعين الاتصالات الموبايل واللي شغال الأرضي بس، أمم جاتلي على البيت عشان يتصلوا بأهلهم ويطمنوهم، لحد لما عملوا حظر التجول.

في الشغل أصروا بأمر مكتبي لئلا نتواجد، وشغلي كان في نص شارع القصر العيني، كنت بتمشى للتحرير، اروح الشغل ساعتين وطيّران على ميدان التحرير. حتى يوم موقعة الجمل كانوا قافلين القصر العيني وقعدت ألف ومعرفتش، وكان ابني هناك وقدر يخرج ويمشي يعني خاف ومشى، ابن أخويا اتكسرت إيده يومها في "موقعة الجمل"، بعدها بدأت أحزاب تقوم وكنت من مؤسسي حزب "المصري الديمقراطي"، الفترة اللي بقيت فيها لوحدي وبعيدة عن فكرة الأحزاب الشيوعية والحاجات دي كلها بقيت أكثر علاقة بالثقافة مش بالسياسة، وبقت القضايا الثقافية هي اللي شغلاني، والقضايا الاجتماعية شغلاني أكثر من القضايا السياسية، ولقيت "المصري الديمقراطي" مناسب ليّ.

وبعد 2011 كمان، مسكت الوظيفة اللي مخدتهاش بسبب اعتراض الرقابة الإدارية، إحنا كُنا مجلس القيادات بتاع "قصور الثقافة"، حوالي 13 حد منهم اتنين سنات بس، رغم إن العاملين السنات بيشكلوا حوالي 70%، يعني تقريبًا كُنا أقل من 1%. دايمًا فكرة إن الست تتبوا مناصب قيادية

حتى في الوزارات اللي أغلبها نساء بتترفض.

لكن مثلاً بقى فيه كلام عن القضايا المسكوت عنها واللي تعتبر تابوهات ممنوع الاقتراب منها زي قضايا العنف والختان، في التسعينات لما كُنا بنروح القرى نتكلم عن قضايا العنف كان بتتقابل بهجوم فظيع، دلوقتي الدولة نفسها بتتكلم عن العنف وتعمل مراكز لإيواء النساء المُعرضة للعنف، ومراكز خاصة برعاية الأمهات فترة الحمل والولادة، وعلى مستوى حق الست في الميراث، أنا وأخواني على فكرة بنقتسم التجارة بتاعة بابا بالتساوي بالرغم من إنهم إسلاميين جدًا، العادات والمعتقدات ما زالت موجودة بس حصل فيها خلخلة. وفكرة المشاركة السياسية للنساء، ووجود السنات في المظاهرات في 2011، واعتصام البنات والنساء في التحرير، وبعدها في 30 يونيو.

مثلاً في السبعينات لما كنت اخرج أبويا يقول لي "يا دي العار"، لكن في 2011 الأهالي كانت بتشجع بناتها تروح وتعتصم. لا زال في قضايا تمييز، والبنات متعرفش تسهر ولا تخرج ولا تعمل، أنا ببقى مرعوبة على بنتي لما بترجع من شغلها الساعة 11 أو 12 بليل، لأن المجتمع لسه متغيرش لكن حصل خلخلة. مثلاً الظروف الاجتماعية للخلف در في أغلبها، بس التغير سمة الوجود، مش ممكن يكون الحاصل في الـ 100 سنة الأخيرة في حياة مصر زي زمان، لآ حصل تغير أكيد ودنا النسويات ساهمو في بشكل أو بآخر، ممكن مش المساهمة المرجوة واللي إحنا عابزينها بالتأكيد، بس حصل.

مثلاً الست اللي لها اهتمام بالشأن العام في بلاد زي بلادنا مختلفة جدًا. بتظلي تعاني طول الوقت من إنك مختلفة، كتير بتثور هواجس زي يا ريت كنت ست عادية زي الناس، وساعات يكون فرحانة بنفسي إني كده وأغلب الوقت فرحانة بنفسي إني مختلفة، ودنا أسعدني وقدم لي حاجات كثيرة جدًا. في الحلقة اللي عملوها لما طلعت معاش كانت دي النقطة الأساسية أنا عملت إيه في الـ 60 سنة، قُلت عملت حاجات كثيرة جدًا، اتحبست وروحت، وبقالي آراء ودنيا وعالم واهتمامات وحبيت وصايت، فكرة إني كائن مهتم بالشأن العام دي حاجة بتسعدني وتخليني فرحانة بنفسي بشكل أو بآخر. إنما بعاني أه طبعا بعاني لأن أنا مختلفة دي أي ست لها اهتمام بالشأن العام بشكل أو بآخر في المحيط الضيق بتاعها في المجال الخاص بتاعها وفي المجال العام بتبقى تعاني طبعا.

نادية عبد الوهاب: كل جيل أدرى بمعاركه

تحدثنا نادية عبد الوهاب العفيفي وهي من مواليد 1953 عن علاقتها بالمكان، فهي تشعر بأنها تنتمي إلى أماكن عدة مثل مدينة كوم أمبو، التي كانت أول مدينة تعيش فيها بعد سنوات من التنقل بين قرى عديدة.

في حكايات نادية لا تأتي هذه الأماكن كحنين لبيوت الطفولة، بل صنع تعدد أماكن نشأتها مسار حياة، حيث قابلت في واحدة من تلك القرى مدرّساً أرشدها إلى دراسة الطب حتى تساعد الآخرين، وهي الهوية التي شكّلت حياتها، فحين استقرت بالقاهرة التحقت بجامعة وتخرجت في كلية الطب عام 1975، وناضلت وعملت.

مع دخولها الجامعة تحمست للحراك الطلابي. في البدء جذبتها نشاط الإسلاميين، ثم تركتهم سريعاً، دون أن تنحزب. في السبعينيات خبست مرة، وتلك الحبسة ضيّعت عليها فرصة التعيين في السلك الأكاديمي. وعملت كطبيبة باطنة، وبالتوازي أسست مع أخريات جمعية نسوية هي "المرأة الجديدة".

في حكايات نادية كلام عن الثورة، التي كانت أقرب لحلم، والذي انتهى إلى كابوس مع الأسف. وفي هذا الحلم/الكابوس دفع الكثيرون أثماناً باهظة لأنهم حلموا بالتغيير. والآن ترى نادية أنّ التغيير لم يكن عميقاً داخل نفوس الناس ليواجهوا العضلات المصاحبة للثورة بنفس قوي. لا يغفل حكي نادية متابعتها وتأمّلها للمواجهات التي تقودها أجيال من النسويات تراهن أكثر جرأة وقوة في المواجهة. وتأمل أن يكسر هذا الانفتاح في المواجهة وقوتها البنية المحافظة والمتزمّة.

الشهادة اعتمدت على مقابلة سجلتها عالية مرسى في 10 نيسان/أبريل 2020.

أثر المكان

اسمي الدكتور نادية عبد الوهاب العفيفي، كلمة دكتور لازقة من زمان في الاسم.

أنا طبيبة، ودلوقتني طبيبة استشارية طب مسنين على المعاش، لكن ما زلت يعمل في مركزين لرعاية كبار السن

رعاية طويلة الأمد، أو رعاية مُلطفة للمرضى والمعاقين من كبار السن، أنا المديرة الطبية للمركزين دول، لكن بدوام جزئي. كنت فترة طويلة من حياتي ناشطة في المجال النسوي، وفي العمل الأهلي بشكل عامّ وقبله في الجامعة كنت ناشطة في العمل السياسي. أنا من عيلة من الطبقة الوسطى، والذي كان ظابط بوليس. قضيت جزء كبير من حياتي في الريف المصري لأن الوالد كان يشغل زي رئيس نقطة في مناطق مختلفة، والنقط كانت في قرى وكنا تقريباً كل سنة نشيل عفشنا كله وننتقل من قرية إلى أخرى. روحنا حنت تبع المنصورة، بنى سويف، المنيا، أسوان، الغربية والشرقية. ينتقل من الشمال للجنوب بأرباحية شديدة، يعني لفينا. عندي أخ وأخت، والدتي ست رقيقة المشاعر ولطيفة من أصول ريفية، ولها تأثير شديد في وجداني، بالذات إن والدي ضابط بوليس وفي الفترة دي كنا بنسكن في شقة فوق النقطة، وأتذكر ساعتها التحقيقات كان بيقيس فيها قدر من العنف مع الناس المتهمين بأي قضايا. الحقيقة والدتي كان عندها الشجاعة إنها لما تحس إن فيه عنف كانت تطلع من الشباك وتقول لهم: "كفاية دا مش كويس اللي بتعملوه". العنف ساعتها كان الضرب والسّتيمّة الأولى، عشان دي حاجات كانت تقلل من شأن البني آدم فيضطر يعترف بالجريمة زي ما هما متخيلين، وكنت أشوف والدتي وهي بتطلع ودا مش من حقها إنها تعمل كده، لكن كانت تزعق للعساكر، ودي صورة منطبعة في ذهني وأظن كان لها تأثير في حياتي.

لما كنت في الإعدادية انتقلنا لأول مرة وكانت فترة بناء السد العالي ووالدي اشتغل في مدينة كوم أمبو كان نائب مأمور المدينة ودي كانت أول مرة أعيش في مدينة، ودي كانت فترة لطيفة من حياتي. أيامها كان التعليم هائل والمدرّسين رغم إنهم ناس بسطاء ومن الأرياف، لكن كانوا مهتمين إنهم يربّونا مش يعلمونا، هما اللي يختاروا لنا. أتذكر المدرّس كان اسمه الأستاذ حنا صليب كان مدرّس تربية اجتماعية، وكنت تلميذة شاطرة قوي في الفصل ومرة كنت بكتب حاجة وبص لي وقال: "نادية إنتي عايزة تشتغلي إيه لما تكبري؟"، فقلت له عايزة أبقي صحفية، قال لي: "ليه؟" فقلت له عشان أبقي مشهورة، قال لي: "إيه رأيك تبقي دكتورة عشان تخدمي الناس" ببساطة شديدة حسيت إنه كان بيرسم مستقبلتي وبيقرر ليّ هعمل إيه. أنا كنت ممثّنة جدّاً للمدرّسين رغم إنهم كانوا في بلاد ريفية، الكلام دا حصل في بلد اسمها ميدوم، وأنا عندي 11 أو 12 سنة، الناس دول كانوا بيرسموا مستقبلنا وبيساعدونا نفكر لنفسنا بشكل حر. رغم إنني تعلمت في الريف في مدارس غاية في البساطة

1 مدنية في محافظة أسوان.

2 مدنية ميدوم، مركز الواسطي في محافظة بنى سويف.

ووسط أطفال بؤساء جدًا للأسف، وأنا كنت شخص مختلف لأنني بنت الضابط أو ممثل لرئيس الحكومة ساعتها، لكن رغم كده أعتقد إنني حظيت بفرصة تعليم جميلة، لأن الزمن دا كان التعليم فيه جميل. في كوم أمبو كانت فترة بناء السد العالي والزخم الوطني، وكنا لنا بتحب عيد الناصر.

بعدها والدي اخذ معاش، وانتقلنا عشان نعيش في القاهرة، دي فترة دخلت ثانوي. طبعا هناك عيشنا هم الهزيمة، وهزيمة الأنحلام وموت عبد الناصر والقضايا كلها حصلت في الفترة دي قبل دخول الجامعة. في ثانوي كنت حاسة -طول الوقت- إنني عربية عن مجتمع القاهرة، ومش بحبه ونفسي أرجع كوم أمبو، اللي هي أول مدينة أعيش فيها ويبقى لي أصدقاء، لأن طول طفولتي بمقدرش أكون أصدقاء عشان الفروق الكبيرة اللي بيني وبين باقي الأطفال التلاميذ، كانت صداقات عابرة قوي. في كوم أمبو كانت أول مرة يكون عندي صداقات، وفضلت مرتبطة بالمكان وحاسة إنني أصلا منه مش من القاهرة.

في الآخر تأقلمت مع القاهرة، كنت في مدرسة الحلمية الثانوية، وتعرفت على أصدقاء. وكنت في فصل المتفوقين، وأتاح لي إنني أعرف على سلسلة من الشخصيات اللطيفة، منهم ناس كانوا يمارسوا العمل السياسي، أعضاء في منظمة الشباب، وكان منهم زميلة رغم إنها عضوة قيادية في "منظمة الشباب" اتقبض عليها أيام مبادرة روجرز؟ كان ساعتها سنها 15 أو 16 سنة، كانت حاجة مؤلمة فكرة إن واحدة زميلتنا يتقبض عليها. بعدها جيت بمجموع كبير ودخلت كلية طب جامعة القاهرة زي ما الأستاذ حنا تنبأ (ضحك).

أول لما دخلت كنت فرحانة بالحياة الجامعية ودخلت "الجماعة الإسلامية"³ لأنني حسيت بقى الهوية الإسلامية بتاعتنا، وبعدها بدأت الحركة الطلابية وبدأت أخضر اعتصامات، مكنتش ببات لأن العيلة مكنتش تهتبل دا، لكن كنت بحضر لغاية بليل وأرجع البيت. البداية هي 1971 وساعتها الجماعة الإسلامية كانت عاملة مؤتمر اسمه "الإسلام والزحف الأحمر" وأنا كنت عضوة قاعدية وحضرت المؤتمر، وكهرت الجماعة الإسلامية تماما بعده، لأنني اكتشفت إن كل اللي هم عايزين يعملوه إنهم يشوهوا الطلبة اللي في الاعتصام، وأنا كنت بحضر وعارفة إن الحاجات اللي اتقالت في "الإسلام والزحف الأحمر" مش حقيقية، تقريبا قدمت استقالتي من "الجماعة الإسلامية" إلى الأبد (ضحك).

3 أعلنها وزير الخارجية الأمريكى وليام روجرز، في حزيران/يونيو 1970، لومف إطلاق النار بين القوات المصرية والإسرائيلية، وكانت مصر بدأت وقتها عمليات ما عرف بـ "درب الاستنزاف"، ولم يعلن جمال عبد الناصر قبول مبادره روجرز إلا في 23 يوليوز/يوليو 1970.

4 استخدم المحسوبون على التيار الإسلامى في التسعينيات هذا الاسم، ولا يعمد به الجماعة الإسلامية المسلحة التي مارست عمليات عنف مسلح في التسعينيات.

بعدها انضمت للطلبة اللي كانوا يكتبوا مقالات في ممر الصحافة، كنت بكتب مقالات وانا ناقش مع الناس جنب مجلة الحائط، يعني شخص مؤمن وكانوا بيسمونا ساعتها "الوطنيين الديمقراطيين" على أساس إنني مكنتش متحيزة.

لما كنت في السنة الإعدادية في طب، ومتطوعة، بقالي شهر، في مستشفى المعادي للقوات المسلحة مقيمة كممرضة مساعدة أيام أحداث الكرامة في الأردن، قالوا لنا الليلة اللي قبلها إن فيه ناس هينزلوا على مدرج الطيران هيجوا من الأردن وهنستقبلهم، نزلنا طول الليل سهرانين مستنيين وتاني يوم الصبح مجوش وطلعنا نمنا، وأنا نائمة في السرير سامعة صرخ وعيني فتحت ولقيت كل الناس بتجري في اتجاه واحد، البنات اللي بايتين في السكن اللي هما الممرضات، والممرضات المتطوعين زيي بيجروا في اتجاه واحد وبصرخوا، أنا كل إحساسي إن فيه طريقة ولازم أقوم عشان أجري وأنقد نفسي معاهم لكن جسمي مش راضي يصحى، بعدها لما قدرت أفوم وأجري اكتشفت إن البنات دي كلها بتصرخ عشان عبد الناصر مات، وخبر موت عبد الناصر أنتقل، كنا صرخنا وعيطنا وكانت حاجة مش ممكن تنتسي. أنا حتى بعدها اكتشفت إن أول خصلة في شعري شابت (ضحك) في نفس اليوم دا لقيت خصلة من شعري بقت أبيض. بس داهمني إحساس بالراحة غير عادية، حسيت إنه الحمد لله إنه مات قبل ما يتهدل، كنت بحبه قوي وفي نفس الوقت حاسة إن الهزيمة لازم يبقى هو مسؤول عنها، لكن مش قادرة أقول دا، عارفة اللي يحب أب ومش قادرة أقول إنه المسؤول! موته بالنسبة لي كان راحة، الحمد لله إنه مات وهو في غاية الكرامة وقبل ما نكرهه لنا.

كنت سائنة في القصر العيني، بيت أهلي في القصر العيني، كنت بروح الكلية ماشي، وزملائي يجوا يشربوا الشاي في بيتي بنات وصبيان، وفكرة إنني ناس شباب يجوا عندي البيت يشربوا شاي عندي خلقت درجة ومساحة لنفسني من الانفتاح، وكنت مُصرّة عليها. الحقيقة كان غريب على أخلاق العائلة شوية، لكن والدتي تفهمت وبابا تفهم الحقيقة إن حد عايز يعيش في النور مش عايز بعمل علاقات في الضلمة، وده اللي أنا قلته لهم مش عايزة أمشي مع حد بره ميكونش جه البيت والناس شافته. وكان جزء مهم فكرة إن أنا عايشة حياة حرة وقدرت أخلق نمط أخلاقي جديد في العائلة وتقبلوه. وساعدني على كده أخويا اللي أصغر مني بستتين وكان لطيف جدًا كان زي ساعدي الأيمن وهو بيتعرف معا على أصحابي، والحقيقة في الآخر كان يخطفهم مني ويبقوا أصحابه ويخرجوا معاه ويسبونني (ضحك).

وقت حرب أكتوبر تطوعت لخدمة المرضى في المستشفيات، واشتغلت مع المحاربين اللي كانوا جاينين، الجرحى بطرق

مختلفة، وفي قسم الحروق، اتعرفت بناس وشفت شباب في منتهى الصلابة وبسطاء جابين من الحرب يحكو عن حاجات غريبة.

أعتقد الفترة دي كان فيه محاولات لضقي للأحزاب يسارية مختلفة، اكتشفت إن كل الأحزاب دي بتقول إن في رأي بينزل للحزب في كل واقعة مثلاً زي حرب أكتوبر، الحزب له رأي، أنت المفروض تدافعي عن هذا الرأي حتى لو مخالف عن رأيك. وبعدين تروحي للحاجات الداخلية للحزب تدافعي عن رأيك، يعني تدافعي عن رأيك جوة الحزب، بس براه تدافعي عن وجهة نظر الحزب. ودي بالنسبة لي كانت حاجة مش مفهومة خالص، يعني إيه أدامع عن وجهة نظر أنا مش مقتنعة بيها، ودي اللي خلتنى مش في أي فترة من حياتي أقدر أقول متحيزة غير بمعنى التعريف، تعرفت على 3 أو 4 أحزاب ولقيت نفس الفكرة دي موجودة، بالتالي رفضت العمل الحزبي.

حكايات الحبس

في يناير اتقبض عليّ لمدة شهرين تقريباً، في سنة البكالوريوس، وساعتها كنت طالبة شاطرة وبطلع بحيد جداً وأجيب امتيازات. وحصل صدمة للعائلة، هما كانوا عارفين إنني بحضر اعتصامات لكن مش متخيلين إن يطولني الاعتقال، وكان ساعتها فيلم⁵ سعاد حسني وفرج اللي بيضغط على المعتقلات موجود. لكن مرت الفترة بسلام وكانت أمي أشرتكت كان ساعتها في مجموعة من الأمهات الطلبة المعتقلين وال طالبات اتجمعوا وعملوا زي دعم لبعض وكانت أمي مشاركة في هذه الجمعية وأعتقد دا ساعدها على تقبل المسألة. (بعد فترة من وفاة والدتي في التسعينات، جات لي شهادة تقدير باسم أمي منها)، هي مكنتش جمعية مسجلة دول مجموعة من الأمهات تجمعو وبقوا يزوروا بعض ويساعدوا بعض على إنهم يتقبلوا فكرة إن بناتهم بالذات في السجون، ويعملوا كأمهات حاجات مشتركة، بيعتو لنا أكل، يجروا وراء المحامين. ساعتها كانوا المحامين كلهم متطوعين للدفاع عننا ودا خلق جو كويس، ممكن يكون أهلي فكروا في الذول إنهم يجيبوا لي محامي، بس الناس دول اقنعوهم إنه لا فيه محامين متطوعين ويدافعوا عن كل الطلبة دفاع سياسي. ساعدهم الأهل إنهم يجوا يحضروا الجلسات، ساعتها كانت الجلسات مفتوحة ويحضرها ويشفونا، إحنا كلنا كأننا في معسكر الحقيقة تكوينين صداقات وعلاقاتنا كويسة، ويجوا يلاقوا الطلبة بتوع الكلية جابين يحضروا وواقفين يبصوا لنا كأننا أبطال، الحاجات دي كلها كانت بتخلي الأساسيس السيئة تتلاشي

5 فيلم الكرنك من إخراج علي بدرخان مستوحى من روايه نجيب محفوظ بالاسم نفسه، وفيه يعرض الطالبة زينب (سعاد حسني) للتعذيب والانتهاكات الجنسية على يد شخصيه تدعى فرج لا جبارها على الاعتراف على زملائها المشاركين في الحراك الطلابي (1975).

والأهالي ينفهموا، وبالعكس يحسوا بالفخر تجاه أولادهم. وأنا في السجن تعرفت على مجموعة من مناضلات من جهات مختلفة وأعمار مختلفة. أتذكر الناس الكبار ست نقابية كنا نسميها "أبله زينات" كانت من أحد النقابيات وكانت ست جميلة جداً، شاهدة مقلد، المناضلة الفلاحية، صافيناز كاظم. أهواء وآراء مختلفة، وكمية من البنات من الجامعة كنا يمكن حاجة وعشرين بنت من اتجاهات مختلفة، منهم وطنيين ديمقراطيين لا حزبيين، ومنهم ناس حزبيين. وخلقنا علاقة صداقة ودخلنا في اعتصامات في السجن وشغب.

حد مدير سجون كان جاي يزور السجن وقالوا إنه هيجي يصر علينا، كان بيلغنا الضابط المأمور إن حد هيمر علينا في السجن، مدير السجون، أفكر إنه احنا عملنا اجتماع بليل وقررنا إنه أول ما يدخل على مستشفى السجن نقول: "يا اللي قتلت" لأن احنا سمعنا إن الراحل دا من الناس اللي شاركوا في قتل شهدي عطية، طلغنا بهتاف أول ما يدخل نقول: "اللي قتلوا شهدي عطية بدل شهدي أهم طلغوا مية" اخترعنا هتاف وأول ما دخل طبعاً كلنا قولنا الهتاف، الراحل غضب ووشه احمز ومشى، وبعدها مأمور السجن أمر إننا نط تاديب لمدة 3 أيام، عقاباً لينا في العملة السوداء دي. قضينا وقت التأديب وكأننا في رحلة، مكنتش أكثر من رحلة. المفروض التأديب بتنامي على اليورش في أوضة لوحك. كنا في مستشفى السجن مدللين وعندنا سراير وبطاطين، وعندنا جردل نستندمه بليل للحمام، لكن الصبح بتخرج وندخل الحمامات بتاعة المستشفى دي.

فأكرة إنهم عرفوني بنت اسمها زينب المظلومة، وافكرت إن اسم عائلتها "مظلومة"، كانت بنت شكلها غريبة جداً، والبنات التانين كلهم عادييين ويضحكوا ومريحين، ودي بنت كانت عندها حمراء وكبيرة وبتعيط بشكل مستمر، وبعدين اكتشفت إن البنت دي تقبض عليها بالغلط بدل واحدة تانية اسمها زينب. "المظلومة" هي كانت من كلية البنات أعتقد، ومكنتش مستوعبة ولا أهلها مستوعبين الموقف، الباقيين سياسيين وفاهمين ومستعدين درجة ما. وكنت بلا حظ الحقيقة التحويلات اللي كانت بتحصل في البنت دي، إن شوية شوية بدأت تكتشف إننا مجموعة لطيفة مش ناس زي ما هي متها لها وبنات هيقتصوها ويحولوها لواحدة تانية. بدأت تكتشف إننا بنات زيبا ومن أسر عادية وبيجي لنا الأكل زيبا من بيوتنا كلنا ونقعد نلغ كلنا مع بعض فيه، وبدأت تحس إن دي حياة معسكر والدموع هتجف.

بعد لما خلصت السجن بتاعي وخرجت إخراج كان عندي امتحان البكالوريوس، كان فات مني شهرين من غير مذاكرة، أبلت بلاء حسناً وأظن كنت في تعداد الدفعة اللي هو ألف وحاجة كنت رقم 140، كنت من أوائل الدفعة وكان ممكن أخذ

معيدة مش في جامعة القاهرة للأسف، جاء لي معيدة في جامعات إقليمية زي الرقازيق. والفترة دي قدمت إنني أبقى معيدة في الجامعة، لأن حلم معظم الأطباء إنه يكون معيد في الجامعة، وبعدين الأمن أعترض عليّ وساعتها الحقيقة محاولتش أرفع قضية، وقلت خلاص أنا دكتورة وبحب الطب الباطني وخلاص أتخصص باطنة وأبقى دكتورة عادية. بعدها روحت الريف ورجعت اشتغلت النياحة بتاعتي في مستشفيات القاهرة، وتخصصت في الطب الباطني واخذت الماجستير واتيحورت. في الفترة دي أسسنا أنا ومجموعة صديقات جمعية المرأة الجديدة، وكل اللي أسسوها كانوا في درجة ما سياسيات ولهم دور في الحركة الطلابية. فكرنا في حاجتين:

إننا مهتمين بالحركة النسوية وكلنا نساء، وكلنا في المرحلة دي بدأنا نتجوز ونكتشف إيه بقى الحياة الحقيقية للمرأة لما تتجوز، مهما كان الزوج شخص مهتم، لكن في حاجات أكثر عمق وصغيرة للنساء العلاقة فيها مش بتبقى مضبوطة. ومن ناحية ثانية كنا حاسين إننا في فراغ، كنا مهتمين بالعمل العام وفجأة بقى مفيش دا. فلنا طب ليه منعملش جمعية نسوية، ساعتها سمينها نسوية على طول مش نساء الحقيقة، على أساس إن من ناحية نشغل وقتنا عقبال ما نشوف طريقة فيها اشتياك. كان المؤسسين أرجو أكون دقيقة، الزميلة عرب لطفي اللي هي مخرجة سينمائية دلوقتي، وماجدة شعراوي، وهالة شكرالله، وعابدة سيف وأنا.

بعد التأسيس بفترة قصيرة قوي انضم لينا ناس، زي نولة درويش، بثينة كامل، مديعة تلفزيون، آمال عبد الهادي، طيغا في أسماء هتتوه عن ذهني شوية بعترد لو نسييت حد، عشان الحاجات دي ما كناش مسجلتها ومع الوقت الواحد بينسى حاجات كثيرة. بدأنا نعمل حاجات، ندرس، نقرأ بشكل واسع في المجال، نعمل لقاءات ناقش فيها قراءتنا ونحط نقط، وبعد فترة قررنا إنه ليه منعملش مجلة، نقول فيها اللي قرأناه ونقول آرائنا، ونقول فيه مشاكل مختلفة بتحصل، ونعمل زي أنواع من البحث صغيرة في المشاكل المحيطة بنا في مجالات عملنا، مثلاً أنا بشتغل في مستشفى وشايفة الممرضات النساء يعانوا من إيه، طب ليه منعملش بحث عن الممرضات النساء، وحد بيشغل في مصنع نعمل حاجة عن موضوع العاملات، حد لسه في الجامعة.

وفي البداية الأبحاث كانت بسيطة جداً عن الحجاب في الجامعة مثلاً، لأن أول لما دخلنا الجامعة كان زمن الميكرو جيب والميني جيب، لكن الجامعة سنة 1975 بدأت زمن دخول الطرح والإيشاريات والجلابيب الطويلة، ليه الناس تتجه لكده حاولنا نجابوب على السؤال دا من خلال أبحاث بسيطة خالص، واعتقد إنها كانت لطيفة فعلاً.

أول ما بدأنا واجهتنا مشكلة التمويل، كنا بنقعد في بيوتنا،

ويكاد يكون مقرنا الرسمي "5 خان يونس". وكنا بتقابل في بيتي، أنا كنت ساكنة في عين شمس، وانضمت لينا بعد التأسيس لمان دكتور فؤادة هدية، كانت سيكولوجي علم نفس. ولأننا كنا بنلّم من بعض فلوس عشان نقدر نطلع العدد، قررنا نعمل معرض نبيع فيه الهدوم القديمة أو الجديدة اللي مش على مقاسنا، حاجة زي "جراج سيل" وعملنا تمويل لعدد من النساء الجديدة بعدها، لأن دعينا الأصدقاء والناس اشترت تشجيفا لينا أو خبّا في اللي كنا عرضينه، وحققنا مورد وطلعنا عشرين تاني. وسمعت عنا جمعيات بتشتغل في القرى والريف زي الهيئة الإنجيلية، وجمعيات أخرى لأنها اتصلت بأفراد منّا وطلبوا نعمل تدريبات للناس اللي عندهم الحقيقة دي كانت بداية الاحتكاك بالجمعيات القاعدية، لأن الهيئة الإنجيلية كانت جمعية كبيرة لكنها بتتعامل مع جمعيات قاعدية في كل القرى اللي هي بتشتغل فيها، منها جمعيات لها أسماء دينية زي الجمعية الإسلامية لقرية البهنسا. الهيئة الإنجيلية كانت أنشطتها بالأساس مهتمة بموضوع تمكين المرأة. واتصلت بينا الهيئة القبطية برضو عشان نعمل لها تدريبات. مثلاً يلافوني كاتبة مقالة عن صحة النساء، يقولوا لي: "تعالى اعلمي لنا تحريب عن موضوع الختان، ونكلم الستات عن الختان وأضراره".

هما كانوا مهتمين بتمكين النساء ومحاربة العادات الضارة، كان عندهم برنامج للمرأة، وكمان كان ليهم برامج ثانية كتير، وكانوا على اتصال بالجمعيات القاعدية. بدأ كتير منّا يروحوا يعملوا تدريبات. هما الحقيقة ادونا فرصة كبيرة عن فكرة نشر الوعي والإلتقاء بالناس ومعرفة المزيد من الإشكاليات وتتفاعل معاها، غير إننا في الأرض بتاعة أعمالنا اللي هي في الآخر محدودة وننتقل للأرضيات جديدة. والحقيقة كان ساعتها زي الناس عندها زي القطة تستوعب الحاجات الجديدة ومبسوطين جداً، وإحنا بقينا حريصين على فكرة التدريبات يبقى فيها حاجة تشد الناس، وبقينا نبذل مجهود القراءة حوالين إزاي ممكن نعمل تدريب بصورة كويسة، ونقعد مع بعض ونفكر للتدريب يبقى فيه حاجة تفاعلية. في الأول كانوا يطلبوا منّا محاضرات، بس إحنا بعد شوية طرحنّا فكرة ليه متناقش حاجة تفاعلية بين الناس وبعضها، ودا عجب الناس قوي، وعجب الهيئة الإنجيلية إننا نعمل دا، وكنا ساعات نزوج اثنين يعملوا تدريب، مش واحدة لوحدها، ودي كانت الحقيقة حاجة لطيفة لينا وليهم وللناس. بدأنا نتعرف على الجمعيات القاعدية، وبقت تطلب منّا حاجات، مساعدة في تفكير، إننا نجيب نعمل لقاء، غير اللي كانت الهيئة الإنجيلية طول الوقت بتعمله. نشاطنا في الكتابة والقراءة استمرز والتثقيف الذاتي والتدريب وعمل الأبحاث.

وفي التسعينات بدأ عقد مؤتمرات التحضير ليكين، طيغا انطلقنا في المسألة. أنا فاكدة من أهم الحاجات لتحضير

ليكن، كنّا نعمل كتيّب هنشغل فيه على أكثر من مجال، وبدأنا نتجمع لجمعية، كل مجموعة جمعيات تحب مثلاً الحقوق القانونية للمرأة، في مجموعة تشغل على عقود الزواج المشروطة، إحنا كنّا "المرأة الجديدة" الميزة إننا بنشغل على حكاية الأشياء المسكوت عنها في الفضاء الخاص دا كان مجال تميزنا، اشتغلنا على حاجات تخص الزواج المبكر وقضايا الصحة الاجتماعية. اتعملت سلسلة أبحاث، ولادقت نجاح لطيف قوي. يمكن في حاجة تخصني أنا بشكل شخصي في موضوع التحضير ليكن، كان يوم أعتقد مفتي الديار المصرية أو حد من الأصول الدينية الكبيرة تكلم على فكرة إن الإجهاض خطأ حتى لو من زنى أو اغتصاب، يومها اتقابلنا بليل عشان نحضر للمؤتمر أو اللقاء كان تحضيري للمؤتمر السكان، وافكر ساعتها عايدة سيف الدولة كنّا اتفقنا نكتب مقالات كل واحد فينا على حاجة، وعايدة سيف الدولة قالت لي: "كتابك حلوة قوي ليه ما ترديش على المفتي؟" انطلقت وكتبت رسالة للمفتي اخدت وقررت إنني فيها طفل ناتج من اغتصاب وبكلم المفتي بما معناه إنك حرمت على أمي إنها تجهضني وأنا أهو قدامك تهبطيني بعبايتك عشان تحميني من الناس، هتديني اسم! الزميلات قرأوا الخطاب دا وكان رأيهم إنه سهل ممتنع ولطيف وبسيط، وظلعنا بمجلة صغير ضمن أعداد "المرأة الجديدة" كانت بمناسبة المؤتمر، وكان الخطاب فيها في الأول، طبعا دا عمل رجة، فكرة إن ست تتجرا على المفتي، مع إن أنا في رأيي مش كاتبة حاجة قليلة الأدب، أنا حكيت نفسي مكان طفل فعلاً أنتج لهذه الحياة التي لا تريده، قلت له يا حضرة المفتي تعالى أحميني، أنت قدمت حاجة عشان تحميني؟ لو مقدمش حاجة يبقى لازم تسمح لأمي، يا ريتك كنت سبتها ترميني، ومكتوب بلغة أدبية لطيفة كان. هاجت الدنيا وماجت على "المرأة الجديدة" اللي تحدثت المفتي وجابت سيرته (ضحك) لكن كانت حاجة بالنسبة لنا لطيفة وميترتنا إننا مش خوافين وممكن ننتقد أعلى السلطات لو هنتقد في الحق. كان أيامها السيدا، وبدأ شغل جماعي بين الجمعيات المهتمة بالمرأة، وبدأ يزيد عدد الجمعيات، كنّا من أوائل الجمعيات، ولكن كان فيه ناس تانيين. إحنا بدأنا في 1979-1980، وكان فيه جمعية تضامن المرأة العربية بتاعة نوال السعداوي وكنّا بنحضر مؤتمراتها، وتقدرها كسيدة في وقت لوحدتها هي اللي رفعت اللواء دا، أعتقد إن محدش يقدر ينسى فضلها علينا كنّا أبداً، هي صاحبة فضل فعلاً على كل حد مهتم بقضية النساء بعد كده وكانت شخص تنويري، ممكن تختلف في أداءات، لكن مش ممكن ننسى الفضل.

بدأنا نعمل السيدا التقرير التحضيري للطل، كتابة تقرير الطل، والجمعيات عملت زي حاجة عملناها في 1992 اللي فاكدة إننا نعمل كتاب في المؤتمر التحضيري ليكن، كل

مجموعة جمعيات مهتمة بحاجة اللي مهتمة بالتعليم، بالصحة، بالحياة الخاصة، بالحقوق القانونية، كتبت في المجال بناعها. النموذج دا هو اللي اتعمل فيه تقارير الطل اللي كنّا نبث بيها عقبال ما يطلع وقت التقرير الرسمي لمصر، إحنا بنكتب تقرير ظل موازي إيه الحاجات اللي اتحققت وإيه اللي متحققش في المجال. كانت كل مجموعة منّا مهتمة بحاجة تكتب فيها، ويطلع تقرير مجمع من مجموعة التقارير. وكنّا نروح للجمعيات القاعدية والجمعيات الوسيطة ونعرض تقارير الطل ونشوف رأيهم فيها، وناخذ آراءهم ونحطها إذا كانت لها أهمية. في الفترة دي أنا من ضمن مجموعة من الناس سافرنا لعرض تقارير الطل في نيويورك، وحضرنا مؤتمرات متعددة تحضيرية ليكن وغيره. بدأنا كمان نكون مطلوبين في عمل أبحاث، الأبحاث الصغيرة اللي كنّا بنعملها في "المرأة الجديدة" لاقط استحسان كبير من ناس شافوها في العالم، وحد أنصل بينا كانوا بيعملوا حاجة عن الحقوق الإنجابية للنساء في خمس بلدان، دراسة مقارنة مش عارفة تسمى إيه، بس هي كانت دراسة مقارنة عن الحقوق الإنجابية وإحنا شاركنّا فيها، والحقيقة طلعت في كتاب هائل اسمه [Negotiating Reproductive Rights] اشتركنا عايدة سيف الدولة وآمال عبد الهادي وأنا، في عمل البحث وأخذ تقريباً سنتين، كان دوري فيه إنني أتكلم على الجزء اللي يخص الحقوق الثقافية، الخلفية الثقافية والإنجابية، وشاركت في مقابلات معمقة ومقابلات عامة. لكن كان فيه جزء خاص وبخصني إنني كتبت ورقة عن الحقوق الثقافية اللي وراء التفاوض على الحقوق الإنجابية عند النساء، ولما طلبوا مني كده هما برضو كانوا في "المرأة الجديدة" شايفين إنني بجد لعبة الحاجة اللي تخص الحاجات الثقافية. قالوا لي: "هتكتبي دا كويس"، وشجعتني عايدة سيف الدولة جدّاً، ومعدت أفكر طب أنا اكتبه إزاي، إزاي أتكلم عن المعايير الثقافية والحقوق الإنجابية، جاء في بالي إنه المثل الشعبي ممكن يكون أحد الروافد، قعدت جمعت معظم الأمثال الشعبية اللي عن النساء، وتتكلم عن الحقوق الإنجابية للنساء. الحقوق الإنجابية شاملة الزواج والعلاقة بالرجل، والإنجاب والعلاقة بالأطفال، وتحديد النسل، وعملت ورقة الحقيقة برضو كانت من الحاجات اللي لاقط استحسان شديد، واللي بعدها اتطلب مني إنني أقولها في لقاءات عامة ومؤتمرات، لأن فكرة المثل الشعبي كانت حاجة لطيفة، وأنا ببحث لقيت أمثال مكتتش اتخيل إنها موجودة. معرفش الناس اللي بكتبت المثل الشعبي فتحوا فين ولقوا الأمثلة دي، كانت لطيفة. مثلاً اسم البحث استخدم المثل الشعبي اللي يقول "كيد النساء غلب كيد الرجال"، لأننا اكتشفنا إن الستات أثناء مناقشة حقوقها الإنجابية مش بتعرف تناقش بشكل صحيح لكن بتعرف تستخدم أسلوب الكيد، هي عايزة

تخلف وجوزها مش عايز تروح ترمي الحبوب أو تروح تليس له قميص نوم، هما الستات قالوا حكايات ودي اتكتبت في البحث. مريتا في "المرأة الجديدة" بمراحل كويسة ومراحل صعبة، كان أصعبها الحقيقة اختلافنا بعد لما بدأنا نتطور قوي، حصل إن بعض الحاجات كانت محتاجة تمويل، عملنا مناقشة عميقة وحطينا حدود للتمويل، الناس اللي مش بتأخذ تمويل متخذه فلوس مقابل الوظيفة وهنقل التمويل عشان النشاط يتم، وفيه ناس اعترضت بشدة على موضوع التمويل وإنه هيبقى فساد. وجهتين النظر لهم وجاهتهم الحقيقة، لما انتصرت وجهة نظر قبول التمويل، في ناس انسحبوا زي عرب لطفني مثلاً، ودي كانت حاجة مؤلمة لأن عرب من الناس اللي كانوا من البداية معانا والناس اللي لهم أهمية في دور "المرأة الجديدة". لكن طول السكة بيحصل، وبعد شوية حصلت أزمة أخرى كانت أزمة داخلية، وناس زي عايدة سيف الدولة اللي هي كانت حد مهم جداً في "المرأة الجديدة" برضو خرجت. إنا الحقيقة بالرغم إن الناس خرجت ومش بتشارك في النشاط، لكن احتفظنا بعلاقة كويسة جداً مع الأفراد اللي خرجوا، لأنهم أصحاب وفضلنا أصحاب عمر لحد دلوقتي، بالرغم إن ممكن تكون اخدنا سكك مختلفة خالص، ومحترمين اختيارات بعض ودي حاجة مهمة.

تأسيس طب المسنين

أحب أرجع للجزء العملي، أنا دكتورة وفضلت دكتورة، وانتقلت من مستشفى إلى مستشفى، وتخصصت في مجالات مختلفة لغاية لما اخترت طب المسنين، ودا كان حاجة لسه متعلمتش في مصر خالص. مكنتش فيه أطباء للمسنين في مصر، لكن كان فيه في العالم. الاختيار دا حصل ليه، كنت ساعته رئيسة قسم الباطنة في مستشفى فلسطين في مصر الجديدة، لقيت مرضى بييجوا ويفضلوا قاعدين عندنا بعد ما يخفوا، إنا المرضى بتوعنا معظمهم فلسطينيين لأن المستشفى⁶ تبع الهلال الأحمر الفلسطيني، وأنا انتقلت لـ "فلسطين" بعد لما كنت بشتغل في وزارة الصحة، وزحت دكتورة باطنة، وبعدين بقيت رئيسة قسم الباطنة. فيه مريضة مثلاً كانت داخلة تتعالج من جلطة والجلطة عملت شلل، خي خفت بس هتعيش عندها شلل. نكلم الناس اللي جابوها عشان يخدوها يقولوا: "إنا مش أقاربها خالص، أولادها دول ناس ميقدروش يخلوا مصر ودي جارتنا ولما حصل الموضوع دا جنبها بس مش هنقدر نعتني بيها" وتفضل في المستشفى. وناس لقوا واحد تعبان عنده زي زهايمر ماشي في الشوارع يقول إنه "في سوق يافا" يروحوا جابينه على مستشفى فلسطين وبسيوه ونخله. بسبب

الناس دول قلت لازم نعمل لهم حاجة خاصة، مينفعش يبقوا في قسم الباطنة وسط مرضى عندهم التهابات رئوية ومشاكل. قلت لـدكتور فتحي عرفات⁷ ساعته إنا نعمل حاجة للمسنين وكبار السن اللي بدأوا يتكوموا عندنا، حاجة رعاية طويلة الأمد، قال لي: "ابندي أعملي وعندك كل الإمكانيات وتيجي مكتبتي لما تحتاجي حاجة"، وهكذا انتقلت من رئيسة قسم الباطنة إلى رئيسة قسم المسنين بسلاسة ولطف. دا كان أيام تحضير مؤتمر السكان، كنت بحضر مؤتمر السكان وبحضر لبناء قسم جديد نوعي مش موجود في أي مستشفى اللي هو قسم طب المسنين. من أول ما أنشئ أظن فتحناه سنة 1993 أو 1994 لغاية لما اخدت معاش، أنا كنت رئيسة قسم طب المسنين، وكان قسم نوعي خالص ومختلف، وكان كل الناس المهتمين بأمر المسنين بيعتبرونا زي النقطة المحورية ويعملوا علاقات معانا عشان تدريب ناس تمرىض أو مرافقين، أو تدريب أطباء هيدأوا يشتغلوا في مجال طب المسنين، كانت حاجة لطيفة.

"روحي الثورة"

قعدت كذا يوم مش قادرة أنزل، سامعة إن فيه ثورة وبتابع الأخبار وقاعدين متسمرين قدام التلفزيون، وعندي شغل كثير في قسم المسنين والمفروض إنى أكون موجودة، بس الحقيقة كان معايي نائية طبية مقيمة، وهي قالت لي: "دكتورة نادية واضح إنك مش مركزة في الشغل خالص، روعي الثورة وسيبي لي القسم"، فعلاً روحت الثورة وسببت لها القسم. وشاركت بومياً فيها مشاركة شخص عادي مش مشاركة حد سياسي أو بيحضر ويعمل اجتماعات، أنا سعيدة إنى وسط الجموع وإنى زبي زهم وماشية ألف في الميدان وأستمع إنى أشوف المظاهر المختلفة، الوطن يقرب لبعضه لناس من فئات مختلفة عقالة تقترب وتدوس في بعضها. أكثر حاجة تثيرني الأولاد اللي هما أطفال الشوارع اللي كانوا قاعدين وسط الصينية في وسط شباب الجامعة الأمريكية، ولأول مرة ياكلوا سوا ويعيشوا سوا ويتلامسوا، كانت حاجة مثيرة قوي بالنسبة لي، شوفت حلم يتحقق، كأنه حلم. أفكر ولد صغير مرة شفته وبعدين لاقيته بيقول لي: "شايقة يا أبله أدينا كلنا بقينا أولاد شوارع" ويشاور على العيال اللي قاعدين في الخيم، لونهم زي لونه وشكلهم مميزهمش غير إنهم لايسين جزم ماركات. فاكدة في يوم إنى عملت يافطة كاتبة عليها "مسلمين أو مسيحيين مش عايزينك مش عايزينك!" وكنت ماشية وكنا بتكتب شعارات مضحكة ومبهجة، طول ما أنا ماشية وعشان أنا مش رابطة شعري بإيشارب الألفي واحدة منقبة أو محجة تقول لي: "إنا والله بنحبكم، هما

6 أسس المسيحيون لعموم بمهمه جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني وتقديم الخدمات الطبية كافة لفلسطيني الشتات

7 مؤسس الهلال الأحمر الفلسطيني

اللي كانوا بعدونا عن بعض"، كانت معتبرة إنني مسيحية وكنت بقول لزملائي المسيحيين أنا نزلت عنكم الثورة وقمت بالدور اللي مفروض تقوموا به. فكرة إنك تكتشفي أولاد أصحابك وإن لحم الثورة دا كان أولادنا، يوم ما نزلت لقيت ابني وأنا متخيلة كل يوم نكلمه يا زياد ويقول لى: "أنا فى المكتب ومتقلقش ماما"، وتنزلى تلاقيه هو والمكتب قاعدين فى الجينة تحت، المكتب بكامل هيئته فى الجينة وهو كان معاهم بصفته إن له مركز قيادي فى المركز اللي كان بيشتغل فيه. كل أولاد أصحابنا نلاقهم هناك، الله إحنا عرفنا نرتي، أنا كنت بقعد لغاية المغرب وبعدين بروج لأن جوزي بيكون مضايق جداً وقلقان وساعات ميعرفش يكلما فى التليفون، وكنت بحاول أداري على إن ابني مشارك فى الثورة (ضحك) وأقول له إنه فى المكتب برضو.

فكرة لما مبارك تنحى بعد الثورة أنا كنت فى البيت لما حصل دا، وفجأة أنا مش بعرف أزغبط الحقيقة، بس فكرة إنني فتحت الشباك على الآخر وروحت مزعطة (ضحك) حاجة مش بعرف أعملها بس دا اللي جه فى دماغى.

انسحاب يشبه الاكثاب

لما خلصت الثورة، الحقيقة حصل تحول تكونت أحزاب جديدة وكثيرة. وأنا انضمت لحزب اسمه المصري الديمقراطي الاجتماعي، وأنا لحد دلوقتى عضوة فيه. كان فيه ناس أصدقاء لى يساريين، وكانوا أعضاء أو دخلوا الحزب ودعوني أحضر، وعجبتي فكرة الحزب، وساعتها كان فيه أحزاب يسارية تشكلت زي "التحالف الشعبي" و"الاشتراكي"، وكان كان لسه فى كلام على حزب "الدستور"، كان لسه متشكلش. الحقيقة كان البرادعي بيتكلم عن تشكيل حزب بس كان تأخر شوية، وتكون "المصري الديمقراطي" وشاركت من أول تشكيله أنا المؤتمر التأسيسي للحزب الأول كنت حضراه. اللي عجبني فى فكرة الحزب إنه حزب مش بيضم بس اليسار، لكن بيضم أطراف من اليسار والليبراليين، اتجاهات مختلفة كلها بتحاول تشكل حزب، حسيتها فكرة جميلة قوي. إحنا طول عمرنا بيتكلم فى إطار ضيق، زي إن ناس يساريين كلنا بيتكلم نفس اللغة، فكرت ليه لا زي ما الثورة لمت كل الأطياف ليه ميقاش فيه حزب، أنا مثلاً إنه حزب من آرائه وأفكاره مش حزب موالي للسلطة وهو حزب عايز ينشئ حياة ديمقراطية، وساعتها السلطة كمان كان فيها تغيير، كان فيه حكومة انتقالية وفيه رئيس انتقالي ولسه الدنيا مش واضحة، وانضمت للحزب المصري الديمقراطي، كنت ناوية أكون فيه حد قاعدي عادي، وبعدين لقيت نفسي بدخل فى أمانات مختلفة. أنا سجلت أمانة المرأة فلت على أساس إنني عندي تراكم، وكان عندي الصحة بس أنا اخترت أمانة المرأة وقتها. دخلت أمانة المرأة وحضرت أول اجتماع

للأمانة، فى الاجتماع اكتشفت وطيفاً الستات الموجودين من كل الأطياف، كانوا أغلبهم بنات من الجامعة الأمريكية وبتكلموا طول الوقت بالإنجليزي، زي ما أنا ساعات تلاقى لساني لف وقلبت على كلمة إنجليزي، ولقيت بنات بتتكلّم إنجليزي وستات تتكلم إنجليزي وبتكلموا على طول فى الحزب وإزاي الستات ممكن تعزز مواقع الحزب من خلال العمل الخدمي أو الخيري، إننا نقدر نفتح مواقع جديدة للحزب كنساء، دا كان الكلام السائد فى أغلبه. لكن كان شكلهم فعلاً ستات مهتمين إن الحزب يبقى حزب قوي، وهو دا الدور اللي ممكن أمانة المرأة تعمله. أنا طلبت الكلام والأول علقت بطريقة مؤدبة على فكرة إننا نتكلم إنجليزي، أنا رأيي إننا نتكلم عربي على أساس بعد شوية هنقابل ناس لازم نتكلم اللغة بتاعتنا وتكون سهلة علينا كلنا إننا نقولها ونتحصل بعض شوية. الحاجة الثانية فكرة إنه أنا مش رأيي إن دا دور المرأة، أمانة المرأة المفروض تهتم بتمكين النساء إن يكون لها أدوار قيادية فى الحزب وبيقوا من صانعي سياسات، ويدربوا باقي النساء، الستات المصريات اللي شاركو فى الثورة لهم دور قوي جداً زي الستات اللي بنهتف واللي قامت بمظاهرات وقادت حاجات مش ممكن يكون المطلوب منهم إنهم يعملوا حاجات خدمية، إننا نعمل مثلاً حملة صحية وتوعية، لا إحنا عايزين حاجة أعلى من كده. بعد الحديث الصغير دا وأنا مكنتش فى بالي خالص بصيت لقيت فى إجماع إنني أكون أمينة لجنة المرأة فى حزب المصري الديمقراطي. ودا طيفاً بيتن قد إيه هما كانوا ستات واعيين بس مكشوش واخدين بالهم، وأول ما قلت فى سكة استحسنوها ومفיש حد تكابر وقال إيه دا، لقيت دعم شديد إنني أكون أمينة لجنة المرأة، وفعلاً بقيت أمينة المرأة من 2011 إلى 2015 أو 2016 لما كنت تعبت وقررت أسبب أمانة المرأة خالص. فى أمانة المرأة كانت تجربة غنية جداً، نساء أول مرة أعرفهم وبيننا حاجات مختلفة، وعلينا نأسس لفكر جديد للناس، زي ما يكون حاجة كل خبرتك السابقة هتطلع. وكان فيه مجموعة من النساء كمان من نفس اتجاهي، دكتورة عفاف مرعي كانت عضوة فى المرأة الجديدة، الله يرحمها، دكتورة هدى الصدة طبغاً كانت موجودة، دول ناس أنا أعرفهم كانوا من شغلنا. يمكن أنا وهدى الصدة نفكر ثاني أو ثالث لقاء للأمانة المرأة قررنا نعمل ورشة عمل عشان نفكر إيه اللي هنعمله، إزاي نخلي الأمانة دي. وحضرنا له بصورة لطيفة جداً، زي دكتورة عفاف مرعي لما عملت حاجة عن سيداو، وإيه بقى سيداو؟ وإزاي ممكن نشترك معاها. الدكتورة هدى الصدة قدمت عرض، مش قادرة أفكر كل حاجة حتى مش فاكدة أنا نفسي قدمت على إيه. دي كانت مهمة قوي إن الناس بعدها تقعد وتكتب إيه مهام أمانة المرأة. أعتقد إنه حصل تحول كبير جداً فى

تفكير الناس في الفترة دي، لو تسمحي لي أقول المهام اللي طلعنا بيها واشتغلنا بيها.

أمانة المرأة لها مسؤولية أدبية لبحث قضايا النساء، اللي عمل مع القوى السياسية المختلفة والنسوية الوطنية الإقليمية عالمية من أجل تمكين وبناء قدرات كل أبناء المجتمع ومنهم النساء، دمج قضايا النساء في البرامج الحزبية مثل: تعزيز المواطنة، المساواة، تبديل الصور النمطية، الحفاظ على المكتسبات، رفع التهميش، تحديد مواقف من القضايا الخاصة بالأسرة، رصد المشكلات التي تتعرض لها المرأة وتقديم اقتراحات بحلول، التنسيق مع الجمعيات المهتمة بحقوق المرأة، العمل على تشجيع وإشراك النساء في العمل العام، التواصل مع لجان المرأة بكل الأمانات في الحزب لتدعيم مركز المرأة في وضع الدستور لما يتعمل والحاجات التالية، متابعة الأداء البرلماني والوزاري الخاص بالنساء والمرأة، متابعة التوجه الإعلامي لتغطية قضايا المرأة، اللي قرأته كان توصيف عمل أمانة المرأة اللي طلع من ورشة العمل اللي عملناه واللي كانت مشاركة فيه دكتورة هدى الصدة، ودكتورة عفاف مرعي، والنساء اللي في الأمانة، بس الأسماء اللي أنا فكرها دلوقتي أظن الدكتور هانية شلقامي. في الأمانة كان توصيف الأمانة أو الشغل بتاعها وكان علينا تحويل المكتوب لحقيقة، شغل مع الخت القاعدية في الحزب. الحزب ساعتها كان عدده حوالي 16 ألف، نسبة العضوية النسائية في الحزب كانت قريبة من 35% يعني ثلث الحزب كان نساء. النسبة دي كانت في المدن، لكن في المناطق الريفية حوالي 10% ودا كان عدد مش قليل. كان عندنا 45 مقر في المحافظات المختلفة، وفيه محافظات كان لسه ملناش فيها مقرات، وكنا بنحاول نفتح مقرات. أول مجلس شعب بعد الثورة كان عندنا 23 عضو، وفي مجلس الشورى كان عندنا ست ممثلين وثلاثة معينين. تقريبا ثلث دوائر الحزب دخلت الانتخابات، وبرضو كان فيه فكرة إننا مهتمين بتمثيل النساء واعتقد إن دي الحاجة اللي أنجزتها في الحزب دا، لو أقدر أسمي لنفسي حاجة عملتها أنا وباقي الزميلات لأمانة المرأة هو إننا أول ما بدأنا نشغل على موضوع كوتا للنساء داخل الحزب، وإن عدد النساء المشاركات في الحزب قليل، يعني لما يبقى في القاهرة 35% تقريبا والمحافظات 10%، النساء لازم يكون تمثيلهم في اللجان العليا بنفس الكفاءة. ضربنا جامد في الاتجاه دا، لدرجة إننا غيّرنا لائحة الحزب، بحيث يبقى في كوتا للناس في الحزب. طبعا دي كان في ناس ضدها من الحزب، وناس ناقشونا، وناس قالوا لنا انتوا كده بتخربوا الأمانات، ولو الناس ملقنشان عشان تعمل أمانة إنها لازم يبقى نسبة 20% من النساء موجودة وممكن متتعملشان الأمانة يبقى إحنا خسرنا أمانة جديدة كانت هتتعمل. هو كلام له معنى

الحقيقة إشكالي ووارد إنه لازم يتناقش، لكن نجحنا بالضغط إننا نغير اللائحة بحيث إن يكون في كوتا عشان الأمانة تتشكل، مفيش لجنة عليا تتعمل إلا نسبة النساء فيها فوق 20% على أساس إننا قولنا إن تقريبا نسبة النساء في الحزب ممكن تبقى قريب لـ 20%. ودا تحقق وأنا كنت موجودة فيها لغاية ما قررت أنني اعتزل العمل الحزبي بعد كده، مش أعتزل لأنني لحد دلوقتي عضوة في الحزب لكن مليش تأثير، مع إنني ما زلت عضوة وحتى في حثت قيادية، لكن للأسف لأسباب مختلفة مش عابزة أخوض فيها، متخصصش أفراد لكن تخص الحياة العامة اللي بقينا فيها، نقدر نقول إنها اكتئاب، بقيت في مرحلة من الكآبة والاكتئاب، الله غالب الحلم اللي كنا بنحلم بيه خلاص.

بصراحة مع تزايد القمع الموجود، مواقفي السياسية اختلفت مؤخرًا، تحديدًا فكرة الثمن الباهظ اللي دفعناه للثورة، حرية الشباب وحياتهم. خلاص مش غيّرت مواقفي السياسية، دخلت في حالة اكتئاب وإحساس إنه مش هيحصل تغيير، إن التغيير اللي كنا بنحلم بيه مش هيحصل. كمان لما حصل تجيش للنساء عشان يعملوا دعم للنظام الجديد، اللي هو نظام مش عارفة اسميه إيه! بس الحاجة اللي حلمنا بيها وفكرة إن يبقى فيه حاجة ديمقراطية ومشاركة في السلطة، وأصوات للناس بتظهر، إن كل دا أضرب في مقتل. النظام دا المدافع الأساسي عنه هما النساء، النساء ثاني يدافعوا عن فكرة الاستقرار والاستبصار والقلة اللي تتولى السلطة. وإن دي هي الحاجة الصح، لأن المشاركة العامة تبقى غلط. دا خلاصي تغاضيت لأنني بقول أنا قضيت عمري كله متخيله الستات هيقوا جنود الثورة والتغيير، ودا اللي كان باين، بس فكرة إن الستات يكونوا جنود للاستقرار، دا حصل الحقيقة جوة الحزب كمان، وبس من خلال انشقاقات، كل ما حاجة تحصل تطور معين والحزب ياخذ موقف فيها يبقى تقدمي ضد الحاجة اللي حصلت دي، يخرج جيش من الناس من الحزب سواء رجال ونساء لأنهم شافين إنه لا السلطة هي اللي هتتألف على حقوقنا ضد ناس تانيين، كل شوية يحصل انقسام وتخرج مجموعة كبيرة من الناس اللي هو أكلنا عيش وملح سواء، وناضلنا سوا فعلًا باهتمام بس واضح التغيير مكش كبير قوي ومكش عميق جوة الناس بحيث إنهم يواجهوا المعضلات اللي جاية بعد كده يقدرنا يواجهوها بنفس النفس القوي. أنا هقول إن دي فعلًا الفترة اللي غيرت أفكار، مش عارفة اسميه إيه، بس أنا بسميه اكتئاب أكثر منه إن أفكارني اتغيرت، أنا مغيرتش أفكارني، أفكارني زي ما هي، الفكرة اللي اتغيرت إنه مشاركتي مش هتغير حاجة، وكنت فاكدة زمان مشاركتي طول الوقت هتغير حاجة، إنما بدأت أحس إن المجهود والمشاركة مغبروش حاجة ويمكن مغبروش بعد كده، هو دا بالضبط الاكتئاب، تقولي

خلاص الله غالب أنا قاعدة. بدأت انسحب من كل الحاجات، زي إني انسحب من الحزب. حتى المرأة الجديدة مع تقديري لهم ولدورهم مكنش عضوة فاعلة فيها. بدأت ألزم البيت وشغلي الطبي فقط لا غير، دا طبعا مش حاجة لطيفة. يمكن يكون لها علاقة كمان بالسن، جاز لو كنت أصغر سنًا كان هيبقى عندي قوة إني استمر.

فيه حاجة بين التصور النظري والحاجات الواقعية، أنا كنت شايقة 2011 والربيع العربي في اليمن وتونس ومصر وسوريا، وفي بلاد كثيرة شاركت في دا وكان واضح إنه هيحصل تغيير. ثمرات هذا الربيع مكنش ربيع خالص في الحقيقة. للأسف كمية الحيوانات اللي أنتهت، كمية الشياح اللي فقدوا أعمارهم، أو اللي بيقضوا دلوقتي عمرهم وراء الزنازين المظلمة 25 سنة. أنا ساعات والله مبغرفش أنام بليل لآ افتكر أشخاص بعينهم كانوا من قلب الثورة فعلاً وافكر الشخص دا دلوقتي نايم سبع أو ثمن سنين وراء حائط منعزل! لأول مرة يجي لي أرق وبطلت أنام، أول ما بليل تجي لي الفكرة دي النوم بهرب من عيني. كمية الأولاد اللي تشردوا ومبغوش قادرين يشوفوا أهاليهم وهربوا برة مصر، حاجة مؤلمة جدًا الثمن اللي أندفع عالي قوي. كمان كنت ساعات بسافر تونس أو أي بلد عربي، أول حاجة تشوفها سواء تاكسي تأخديه من عند المطار لآ تركبي مع سواق تاكسي ويبقى الحاجة اللي يقوله لك إن الثورة كانت زفت ونائجها زفت، شوقي البلد بقت وسخة إزاي، شوقي الزبالة، الزبالة دي مكنش موجودة، مكنش المنظر دا موجود. تكتشفي الحاجة اللي حصلت. عارفة كانت حلم كبير والظاهر إننا مكناش مستعدين له. حلم كبير جدًا وفجأة انتهت بكابوس حقيقي. فاكدة من المرات الأولى اللي نزلت فيها الثورة كان فيه واحد راجل وأنا لسه داخلة الميدان، شكله أنيق وكبير في السن يمكن 70 سنة ولد حاجة ولايس بدلة رمادي وقميص أبيض تحسني إنه باشا، وفجأة لقيت الراجل دا واقف وراح موطي على الأرض وقعد برقع وبيعط، أنا ما كنتش أتخيل إني أعيش لحد ما اشوف اليوم دا. المشهد دا دائمًا أفكره، أفكر مرة لينا، بنت أخويا، اللي هي شابة صغيرة وخريجة مدارس أجنبية وشكلها جميل زي ممثلات السينما، وقلت لها تعالي نزل الميدان، ونزلنا الميدان وفيه ولد صغير من الأولاد اللي ببشحتوا وبيبيع حاجات زي أعلام أو أساور صغيرة، وبيقول لها: "اشترى دا يا أمورة"، قالت له: "أنت بتبيعه بكام؟"، أنا كنت مستغربة دي مبتكلمش، نص كلامها إنجليزي البنت دي وهي خريجة مدارس أجنبية ومش بتكلم عربي أصلاً وشكلها مش الشخص دا، وقال لها: "اتنين جنيه"، فاصلت معاه: "لا أنا هديك جنيه... وهاخد منك خمسة"، وبعد ما البيعة تمت،

8 محمد محبوس

لقبتها بترفع إيدها وهو رفع إيده والثنين خبطوا على إيد بعض. لحظة لا يمكن أنساها مع إنها تبدو غريبة، بس إن لينا تقدر تتعامل مع شخص من أطفال الشوارع بالشكل دا بدون خوف وكانت أول مرة تنزل وتبقى بهذه الدرجة من الانفتاح. حلم، لكن الحلم ينتهي إن الناس تقول الثورات مصيبة وحلت علينا والاستقرار كان أفضل، إيه اللي حصل، يعني إزاي؟ مرورًا بمناظر الثورة، المنظر اللي ما يتسبش بتاع الجثث المرمية جنب الزبالة، الأولاد وهما ماشين بمنتهى البساطة ياخدو سكينه هنا أو خبطة هنا، والعيون اللي طارت، الحيوانات والثمن الباهظ اللي اندفع ثمن الحلم دا حاجة مؤلمة ومش بعيدة عن البال. الموضوع عايز معجزة عشان نتكلم عن المستقبل. بس إحساسي إن هتمر سنين طويلة من الركود، لا إحنا ولا جيل أولادنا ممكن يشوفوا. أكيد فيه فترة ثانية هتحصل بس إحساسي إنه هياخد وقت طويل قوي، أجيال يمكن.

لأن روح المرأة في العمل

أعتقد إن النساء تمارس العمل بروح مختلفة فعلاً، الست بتقدم روحها في العمل، مش بيكونوا منفصلين أو أنا والعمل مش منفصلين. فيه جزء من روحك بيروح للعمل دا، وبنلاقني نفسنا ساعات نتعامل بالروح النسائية في بعض الأحيان، فكرة الأمومية في العمل دي حاجة مش صح، الواحد كان بيحاول طول الوقت يقاومها. ساعات بقول في بلاد زي بلدنا ما هياش زي أمريكا، ما عندناش ألف باء العمل الدقيقة جدًا والانضباط، ساعات الحاجات دي يبقى ليها قاعدة إن العمل يستمر بدرجة ما من السعادة. أنا سافرت مثلاً أمريكا عشان أعمل حاجة تبع منحة همفري السنة اللي حصل فيها أحداث سبتمبر 2001 وأنا ساعتها كنت عاملة قسم المسنين بقلنا سنين واشتغلت في أقسام المسنين في حته اسمها Wesley woods أكبر مركز للمسنين في العالم في أتلانتا، وكنت طول الوقت بقارن باللي إحنا بنعمله وبين الشغل المنظم في أمريكا اللي فيه ورقيات كثيرة وكل حد بيكتب كل حاجة وكل ثانية. الحقيقة أنا حسيت بالفخر أكثر للي إحنا بنعمله، حسيت إن جو العمل عندنا أحلى بكثير، صح مش عندنا انضباط ولا كمية الأوراق الكثيرة اللي بتتكتب، بس فيه حاجة تخلني الناس مستمتعة طول الوقت بالعمل، وتديله وقته. ساعات كتابة الأوراق الكثيرة تخلني الممرضات والدكاترة مش على علاقة عميقة بالمرضى زي ما العلاقات بيتا ومرضى القسم عندي. عندنا علاقة عميقة لدرجة إن لو مريض ملوش أهل ممكن واحدة من الممرضات أو المرافقات تستضيفه في بيتها عشان يغير جو، ولآ يروح بيتها اللي هو في حارة في حته بسيطة كل الناس اللي في الشارع أو الحارة بييجوا يعملوا له احتفال، واكتشفت إننا بالفطرة على درجة

عالية من الأداء المهني يخص تطبيب المرضى وتمريضهم،
دا كان حاصل رغم إننا كل حاجة كنا بنعملها من البداية، بس
كان عندنا الغريزة السليمة إننا نعمل الصح.

أعتقد فكرة الأمومية أو النسائية في العمل، اللي هي
طريقة فيها درجة ما من الرقة وعدم البطش وتقبل
المشكلات ومحاولة علاجها بصورة طبيعية، دا خلّس الفريق
كله قوي. كوني امرأة أثر في عملي بشكل إيجابي وفعل.

موجة نسوية جديدة

مثلاً فيه إنجازات تحققت في عقد التسعينات وموضوع
السيداو وتأثيره، وانعكست الإنجازات وتحققت على
المستوى القانوني؛ سفر الستات، عقود الزواج المشروطة،
حتى الختان بقي فيه حركة.

لكن مقدرش أقول إن فيه حركة نسائية في مصر، لكن فيها
منظمات ومؤسسات معنية بالحديث عن المرأة، بس إن دا
يتواصل مع الستات في القواعد محصلش بدرجات كبيرة.

بعد الثورة الناس كانت شايفة إن النساء لها دور ونزلت
الشوارع، فيه حركة نسائية، والنساء قادت مظاهرات،
والنساء نزلت يوم المرأة العالمي واضريت أو إتهانت وكان
ليها رد فعل، ساعتها كان ممكن نتكلم على حركة نسائية.
ساعتها كان فيه تحضيرات للمرأة الجديدة إننا نقدر نتواصل
مع الحركة اللي ظاهرة دي، بس طبعاً دلوقتي صعب نقول
إن فيه حركة نسائية، فيه حركة كنيية يعني النساء اللي
قاعدين على الكنية ويندبوا، ولو أي حد قال حاجة يخونوه.

زمان لقّا كنتي تقولي فيه تحرش أو اغتصاب الناس
والمجتمع يقول لك "مش حقيقي.. مش بيحصل.. مش
عندنا"، دلوقتي زنى المحارم والاعتصاب أو التحرش بدأت
تفتح كنقاش وفيه أجيال جديدة من الحركة النسائية جريئات
جداً ويباولوا وربنا يديهم الصحة (ضحك) بقي فيه افتتاح
عن حاجة وإن الستات لازم تحمي نفسها، كل اللي حصل
حرك حاجة. بس لمان فيه حاجة إن البنية التحتية للمجتمع
كله حصل فيها تغيير للأسف في أواخر السبعينات، فكرة
اللي هي انتشار التيار الديني الإسلامي كان سياسي،
واستخدامه للنساء هو الحقيقة خط النساء كهدف سهل
اصطياده، لأن الستات بيكونوا حريصين على فكرة إنهم
صورتهم تكون كويسة في عيون الآخرين دي حاجة نسائية
جداً. الرجال مش مهتمين، الناس تكون صورة عنه زي ما
هي عايزة أو في الغالب الصورة اللي هنكونها عنه تمشي
مع اللي بيعمله. لكن النساء الصورة اللي بيكونها المجتمع
عنهم لها علاقة بفكرة إنهم يكونوا طاهرات الذيل، وماشين
على السطر ومؤدبين ويخدموا غيرهم، حاجة زبالية مستمرة.
الاتجاه الديني استخدم فكرة النساء مهتمين بفكرة الرضى

العام عنهم، واستخدمهم فعلاً. فكرة إن انتشار الحجاب هو
انتشار الدين، يا سلام الحمد لله الإسلام ينتشر والدين
ينتشر لأن كمية النساء المحجبات زادت. والستات تقول لك
الحصول على الرضى الاجتماعي حاجة جميلة بتسمعيه لقّا
تكون لابسة الحجاب جديد والتهاشي يُقال لها كأنها عبرت
المانش، وتحصل على الرضى الاجتماعي. المدارس والتغيير
اللي حصل في التعليم، أنا بدأت بمدّرسين بيدفعوني في
أنهي اتجاه ودلوقتي "وشك نورّ عشان لبستي الطرحة يا
أمورة" وحاجات بالشكل دا. وما ننساش إن فيه عامل آخر
شغل بقوة وكان موجهة أسهمه بالذات للبنية التحتية، إن
فيه حاجة اسمها الشكل الإسلامي والجواز الإسلامي، في
حاجة اسمها العائلة الإسلامية، وإن لمان في حاجة اسمها
اللغة الإسلامية دلوقتي لمان. لما تقولي لحد البقية في
حياتك يبص لك كأنك في كفر! "قولي البقاء لله"، لقّا
يقول مثلاً أدمو لحد عيان، تقولي ربنا بشفيه، يقول لـ
"قولي الله شفاء لا يغادره سقمًا" حتى أنا أقول لهم إيه
لا يغادره سقمًا دي! يغادره سقمًا يعني هيفضل السقم
عايش معاه (ضحك) السقم ده هو المرض يا جماعة، فيه
حاجة إنهم لعبوا في البنية التحتية واستغلوا فكرة لمان
إن النساء ساعات بيبقى لها دليل تمشي عليه ويبقى لها
طقوس، الناس يتحب بشكل عام تحس إن الطقوس تربط
الجماعة ببعضها. فكرة استخدام الطقوس والحاجات دي،
النساء الحصان اللي بيلعبوا عليه. الحقيقة إنهم أقوى في
دا من الناس اللي يتكلم على الحرية. لكن أنا مش متابعة
قوي الفترة الحالية من الحراك النسوي، عندي شعور إنهم
كل شوية هيحصل فرق بينهم وبين الناس، بس ساعات
يقول لنفسني ما إحنا أول ما بدأنا كان برضو كان بيتقال لنا:
"اللي هتعمله دا هيعمل فرق بينك وبين الناس كبير".
يبقى عندي ثقة إن في الآخر كل جيل أدري بنفسه، يمكن
الحالة الشديدة من التّرفّث يبقى مقابلها حالة قوية من
الانفتاح بشأن كسر البنية دي، جازي يكون عندهم حق البنات
دول. إنهم متوجهين بقوة لفكرة مواجهة المجتمع بشكل
حتى استفزازي. ساعات بقول لنفسني ممكن يكون عندهم
حق، محاولة التغيير السلمية مش هتجيب نتيجة. مثلاً حملة
me too وإن الستات تركز قوي على فكرة التحرش وأي حاجة
مممكن تكون تحرش فلقنتني، بس بقول لنفسني يمكن أكون
مخطئة، وأرجع وأقول دا زمنهم في الآخر.

نولة درويش: نفسى الناس تطلع من العالم الافتراضي وتروح الواقع

نولة درويش نسوية من مواليد 1949، رئيسة مجلس أمناء مؤسسة "المرأة الجديدة"، قبل التحاقها بأواخر الثمانينيات بهذه المؤسسة الحقوقية مارست نولة أشغالاً مختلفة، تنوعت بين التدريس، والأعمال الإدارية المساعدة، ثم الإدارة. تخرجت في جامعة عين شمس قبل اندلاع الحركة الطلابية في سنوات السبعينيات الأولى، لكنها خلال تلك الفترة تورطت في التنظيمات الشيوعية بإيعاز من والدها، المحامي والمترجم والمناضل الشيوعي يوسف درويش (1910-2006).

ترى نولة أنه ليس لدينا حركة نسوية، ولكن هناك محاولات للعمل الجماعي.

وفي الشهادة التالية تحدثنا نولة عن أوضاع المدافعات عن حقوق المرأة، وتأمل أن ترى حقيقتها واقعاً أفضل.

هذه الشهادة، اعتمدت على مقابلة أجرتها هدى الصدة في 3 كانون الأول/ديسمبر 2021 في مقر مؤسسة "المرأة الجديدة".

للضعيف أنحاز

اسمي نولة درويش، أسرتي الصغيرة والدي ووالدتي مناضلين شيوعيين. اتعرفت على أبويًا تقريباً في 1954 لأنني اتولدت وهو في السجن، كنا في إسكندرية مع عائلة أمي. بعدما خرج من السجن انتقلنا إلى القاهرة، بعد كده لما كبرت شوية دخلت المدرسة وأخذت الثانوية العامة في عام 1966. وبعدين دخلت الجامعة وتخرجت مع امتياز ومرتبة الشرف الأولى من قسم فرنساوي سنة 1970 في كلية المعلمين (التربية حالياً). اشتغلت في أعمال كثيرة جداً؛ التدريس لحد سنة 1982، وبعده دخلت في مجال التنمية وحاجات زي دي. كان ليّ نشاط سياسي في الفترة من

1973 لحد 1989. والتحقّت بـ "المرأة الجديدة" في 1989، وحالياً رئيسة مجلس الأمناء فيها.

لما كنت صغيرة جداً سألت والدي هو فين بابا؟ قالت لي: "في السجن". أنا قلت لها ليه؟ والدي حاولت تقرب مني الفكرة نفسها، وقالت لي عشان هو كان ماشي في الشارع ولقى عسكري كبير وطويل وعريض قاعد يضرب طفل صغير وبابا اتخانق مع العسكري وضربه عشان كده هو دخل السجن. دي الروح اللي اتربيت بيها وأثرت فيا كثير، أثرت فيا بمعنى من بدري قوي انحزت للضعف، دي كانت التربية في البيت. والدي قعد سنين طويلة في السجن، في أكثر من سجن، والدي كانت سكرتيرة في شركة "فيليبس"، وهي كانت بطلت في وقت من الأوقات العمل السياسي، هما عرفوا بعض من خلال العمل السياسي، كانوا تقريباً في مجموعة واحدة شيوعية من المجموعات الشيوعية وتقابلوا من خلالها. ليّ أخ بس مش من والدي مش شقيقي من أم ثانية وهو ظريف جداً بس ملوش دعوة بالحاجات دي. والدي وولدتني كانوا أساساً يهود، بس والدي كان محامي عمال، كان وقت من الأوقات اشتغل مع أكثر من 80 نقابة عمالية وكان بيدافع عن حقوق العمال. في سنة 1974 قرر يسلم عشان يبقى قريب من المصري العادي، هما اتجوزوا سنتها على فكرة يوم 30 نوفمبر كان عيد جوازهم، والدي كمان أسلمت وبقوا مسلمين هما الاثنين، وبالتالي بقيت أنا مسلمة.

أشغال كثيرة

أول ما اتخرجت، اتعينت معيدة في الجامعة، بس الحقيقة قلت لأن كل ميولي أدبية بس كان مطلوب عشان أكمل دراسات عليا إنني ادخل في دراسة الإحصاء ومكنش ليّ نفس. وفي هذه الفترة كنت بحب راجل جزائري لقي ليّ شغل في الجزائر وسافرت هناك درست لمدة سنة، ورجعت لأن لما سافرت اكتشفت إنني مش بحبه (ضحك)، رجعت في 1973، واتقبض على والدي سنتها، وكان عنده 63 سنة ساعته، أول ما خرج من السجن قلنا له لازم تسافر شوية عشان مينفعش [الحبس في السن دا]، فعلاً جات له شغلانة في الجزائر قعد فيها لحد نهايات 1979 وبعد كده سافر برا، وفي الفترة دي أنا كنت حاسة بوحدة شديدة، أه كنت مبسوطة إنني قاعدة لوحدي بس في نفس الوقت فيه إحساس بوحدة شديدة. كان فيه مجموعة شباب كنتا ننقابل بليل نقعد نرعي نسمع الشيخ إمام نعمل حاجات زي دي، واحد فيهم قرب مني وتجوزته، بس هو كانت تربيته مختلفة جداً عني، والحقيقة كان فيه عنف كان بيضربني. إحنا تجوزنا سنة 1975، وخلفت بعدها بسنة بسمة، بس في 1980 كانت المواضيع زادت عن حدها وطفلتنا، عمري

ما تجوزت ثاني بعد كده، لأن محسنتش إنسي عابزة إبقى تحت سيطرة حد ثاني، ودا بيخليني أقول إن اللي يتجوز مرة ويتجوز ثاني يبقى مجنون (ضحك) لأن دي تجربة مرة وكفاية. اشتغلت مدرّسة في المركز الثقافي الفرنسي من 1973 لحد سنة 1982، وبعدها اشتغلت في أشغال سكرتارية في شركات يعني كلام فارغ.

في 1990 لقيت شغل في ليبيا مدبرة للسكرتارية، اشتغلت هناك سنة ورجعت قبل حصار ليبيا. بعدها اشتغلت سنة ونص في تونس مدبرة إدارية في مركز المرأة العربي للتدريب والبحوث في تونس كنت مدبرة إدارية، ورجعت مصر لأن بنتي اخدت ثانوية عامة من تونس وكانت ناوية ترجع مصر وتكمل دراستها وأنا فضلت إنني أرجع معاها. وفي 1993 و1994 كنت منسقة لحاجة اسمها "صندوق بكين" كان يينظم الاستعدادات لمؤتمر بيجين 1995، لقيت مصر كلها في الشغلانة دي عشان تساعد المنظمات غير الحكومية المصرية إنها تستعد بمشروعات وأبحاث لمؤتمر بكين. بعدها اشتغلت شوية في "دار نور"، كانت دار نشر نسوية، وبعدين في "الشبكة العربية للمنظمات غير الحكومية" اللي كانت تحت رئاسة الأمير طلال بن عبد العزيز، أنا كنت بعمل شغل كتير وبرامج في هذه الفترة، وبعدين اشتغلت فيها لحد 2002. وبعدها بطلت اشتغل عند حد بقيت freelance من ساعتها.

عيشنا أنا وبسمة مع بعض فترة طويلة لحد ما تخرجت في الجامعة وبدأ يجيلها عروض شغل وفضلت برضو فترة معايا، وبعدين في حدث حصل في حياتها كان صعب جدًا؛ في 1997 هي كانت مخطوبة لولد ومات في حادثه عريية، ودي كانت فترة فارقة بالنسبة لها وبالنسبة لي لأنها عمرها ما قالت الكلام دا بس اعتقد إنها شالت مني، لأن يوم ما هو مات أنا كنت مسؤولة عن تنظيم مؤتمر كبير وهي جات لي في نص الليل عشان تقوللي، وقلت لها أول ما أخلص المؤتمر هجيلك فاعتقد دا من الحاجات اللي ألمتها من ناحيتي، وحتى فضلت سنين طويلة أحس إنها بتعاقبني. بعد وفاة والدي في 2006 قررت تعيش في شقته، استقلت. وبعدين أصحاب البيت عملوا مشاكل واخذت شقة ثانية، وبعدين راحت سكنت في العمارة اللي فيها هالة شكر الله، بعد كده اتجوزت عمرو حمزاوي وهما دلوقتي بقالهم سنة وشوية مطلقين. تجوزت عمرو في 2012، هما عرفوا بعض أثناء الثورة وكنت مخيبة عليها أنا جالي سرطان لأنها كان لازم تتجوز يوم 15 فبراير ومكنتش عابزة ابوظ عليها فرحتها، واتفقت مع الدكتور إنني أعمل العملية يوم 16 فبراير، وكنت قلقانة طبيعي بس مفيش خوف كبير. وفي 2013 بسمة خلفت نادية، وعشان بسمة

تتفرغ لشغلها بدّي وقت كبير قوي لنادية وبحبها قوي. في فجر أول يناير 1959 حصلت قبضة كبيرة جدًا قبضوا على حوالي ألف شيوعي مصري ومن ضمنهم والدي، وكان في محطات مقلقة ومؤلمة جدًا من القلعة الأول ثم إسكندرية المحاكمة ثم الانتقال لليمان سجن أبو زعبل وهناك حصلت مجازر، في ناس تقفلوا قدام أبويا، وهو حصله حاجات مؤلمة جدًا، وبعد كده ترحلوا للوحدات، وكانت قبضة استمرت خمس سنين ونص. في الفترة دي كنت بجري وراه في كل السجون وكانت فترة صعبة، بس كنت صغيرة وممكن أعمل دا، في نهاية الفترة دي حصل زي مداولات مش مباشرة بس من خلال ناس مع عبد الناصر وقررت كل المنظمات الشيوعية إنها تحل نفسها كأحد شروط الإفراج. وفيه بعض الناس مكشوش عايزين والدي كان منهم، بعد ما خرجوا وقعدوا سنين طويلة بدأوا في 1972 بدأت مجموعات صغيرة تعيد تشكيل نفسها، وبدأ والدي يزن عليا عشان أنضم وأنا كنت رافضة تمامًا، وكنت بقول له انتوا تحديتوا نفسكم وكنت وحشة معاه، المهم فضل يزن لحد ما قبلت، وفضلت في المنظمات الشيوعية من 1973 لحد 1989. الخطاب اللي بيتقال في البيت عن المساواة بين الناس أنا دا ما لفتهوش في التنظيمات الشيوعية، يمكن دلوقتي في حاجة جديدة بس أنا بعد كده رافضة تمامًا العمل السياسي. اكتشفت إن الستات في هذه التنظيمات بتستعمل كسكرتيرات، كل ما كنت اكتب مقال فيه إيداع يخفوسوا بيه الأرض، لا إنسي خدي ماكينة تصوير وقعدي صوري لنا نسخ، وتعلمي كمبيوتر عشان تكتبي، هي خبرة كانت صعبة، والخانات الداخلية، وفريق مع النظام وفريق آخر ضد النظام، انقسامات، وناس تطرد، لأن دي كانت أحزاب سرية. عرفت ناس أكيد لكن معنديش علاقات حميمة معاهم دلوقتي، لا بكرهم ولا بحبهم مش عابزة أعرفهم، دي خبرة العمل السياسي. "المرأة الجديدة" تشكلت في 1984، وأنا كنت اسمع عنهم ومقدرش أقول إنني كنت نسوية في هذه الفترة، كنت بسمع عنهم ومرات اشتري المجلة بتاعتهم حاجات كده يعني، لحد ما في يوم عزة كامل جات لي البيت وقالت لي: "إحنا عايزينك تيجي معانا" وقتها كانت سنة 1989 قالت لي: "عايزين نعزمك على اجتماع"، روجت الاجتماع طلع إن احنا كنا 3 أو 4 مش جوة الحدوتة، واتاري هما كان عندهم مشكلة داخلية برضو وبيحاولوا يستقبطوا ناس عشان، والحقيقة المشكلة كانت متعلقة بالتمويل، وطبعا تخوين. ولقينا نفسنا أنا وفاتن مرسى في وسط ناس تتخانق وتشلق لبعض، وإحنا منهارين بقينا نكلم بعض في التليفونات بليل طب هنعمل إيه مع الناس دي، فأتت في النهاية سابت، لكنني ادبست وقعدت معاهم.

وفي 1991 قررنا نعمل شركة اللي هي "مركز دراسات المرأة الجديدة". وأنا صغيرة كنت بقرا كثير قوي، في سن 12 سنة كنت مخلصه سارتر، كامى، وطبعاً دي بوفوار عجبنتي، بس ما اقدرش أقول إنني كنت نسوية حتى هذه الفترة. بدأت انغمس في النسوية من سنة 1989 بدأت اقرا اكثر، أحاول افهم حاجات. بدأنا من سنة 1993 نشغل على أول بحث عن العنف اتعمل في "المرأة الجديدة".

ولما قررنا نأسس "مركز الدراسات" كنت أنا أحد المؤسسين، ومعايها عايدة سيف الدولة، وماجدة شعراوي. فضلنا شركة مدنية من سنة 1991 لحد لما طلع قانون الجمعيات والمؤسسات الأهلية 2002، وتناقشنا إحنا داخلياً كثير قوي "هنعمل إيه؟ هنفضل لشركة مدنية ولا هنروح ن سجل في الشؤون؟" في النهاية قلنا هنسجل في الشؤون ونبقى زي كل الناس ونناضل من جوة المنظومة نفسها، فعلاً قدمنا أوراقنا في الشؤون ومفيش رد وكان فيه مهلة في القانون 60 يوم. بعد المهلة سافرت مؤتمر في بيروت وكان مؤتمر حقوقي وأنا هناك جات لي رسالة إنه تم الاعتراض، جات لنا الرسالة بعد الوقت المقرر ودي كانت لصالحنا جداً، وأعلنت في المؤتمر إننا كذا وبتاع وكان في رد فعل غريب جداً من أحد كبار المدافعين عن حقوق الإنسان قال قدام ناس من جنسيات مختلفة: "شوفتوا القمع في مصر، حي الله دي شركة ستات" (ضحك). المهم رجعت مصر طبعاً على طول ورفعنا قضية في المحكمة الإدارية العليا، رفعنا قضية مستعجلة وقمنا بحملة محلية ودولية، فعلاً أول يوم في المحكمة القاضي اتخضّ لِمَا لقى القاعة كلها جاية عشان "المرأة الجديدة"، ودول كانوا معظمهم أصدقاء ومنظمات صديقة كانت حاجة جميلة جداً، رفعنا القضية في يونيو 2003 وفي ديسمبر 2003 اخدنا حكم بالتسجيل. في هذه الفترة أنا كنت رئيسة مجلس الأمناء برضو، فصلت الشؤون تماطل معانا ومدّتناش رقم التسجيل لحد ما أسامة الباز ضرب تليفون للشؤون وقال لهم: "مين المرأة الجديدة؟ إحنا بتيجي لنا جوابات من كل حته"، ردوا عليه قالوا له: "دي منظمة ورفعنا قضية وكسبت القضية بس إحنا مش بنديهم التسجيل"، قال لهم: "ادبهم التسجيل على طول".

رصد أمني

إحنا لفترة طويلة جداً فيه تدخل أمني وأنا واضحة جداً، لما رجعت من لبنان لقيت هما الجماعة اللي موجودة هنا طلّعوا بيان، لاقيت السكرتيرة تقول لي: "فلان [واحد من الأمن] اتصل بي وقال إنه عايز البيان وأنا بعتهوله على الفاكس"، قلت لها إن الناس دي لو تديهم صباغك الصغير هياكلوا دراعك، يعني بعد شوية هيقولوا لك: "الكنبلنا

تقارير عن الناس دي"، هي زعلت مني أيامها، بعدها قالت لي عندك حق، وبقت هي اللي بتصد. اتغير مجلس الأمناء كثير، طلعت منه، ورجعت في يوم من الأيام يضرب لي [الأمن] تليفون يقول لي: "ألف مبروك أنا بحكم قوي وبحترمكم جداً"، قلت له إيه؟ قال لي: "عشان انتوا بتدوروا السلطة دا في منظمات الرئيس بيفضل فيها مدى الحياة"، رديت عليه إن فيه بلاد، الراجل سكت كده دقيقة وبعدين مات على نفسه من الضحك (ضحك) قال لي: "أنا مقلتش حاجة"، قلت له لا قلت الفكرة إنني لازم الواحد يكون واثق من نفسه جداً، مرة برضو يضرب لي تليفون ويقول لي إيه الأنشطة بتاعتكم، قلت له انت عايزني اكتب لك التقرير بتاعك. مبيحبونيش ممكن يكونوا عارفين التاريخ قبل كده ويربطوا المسائل.

محطات فارقة

1959 أول مرة أشوف زوار الفجر، اللي هو القبضة الكبيرة، كانت حاجة مؤلمة جداً، وبعدين عشت لـ 1964 حاجات فيها مأسى. هزيمة 1967 دمرت جيل بحاله، وأنا أول مرة أنزل مظاهرة لما عبد الناصر تحلى ونزلنا عشان نقول له لازم تكمل، كان فيه إحساس بالهانة، كان شيء قطيع وإحساس بالغدر، حد ضحك عليكي، كنا نسمع البيانات في الراديو إحنا وقعنا ميت طيارة، إحنا وقعنا خمسميت طيارة وبعد كده تلاقي الحكاية. من المحطات 1970؛ التخرج، كانت حاجة جديدة وبسافر بره مصر وبروح وأجى. الحقيقة ولادة بسمه، 1976، كانت فارقة قوي بالنسبة لي، كان نفسي قوي في طفل، والحقيقة كان نفسي في طفل بره الجواز (ضحك) بس أهو ادبست وجبت طفل برضو. وفي 1989 طبعاً "المرأة الجديدة". الحدث الكبير برضو في حياتي 2011 كأنه دا اللي خفف الواحد من 1967. طبعاً كان فيه آمال كبيرة جداً، وفيه إيجابيات كبيرة جداً، بس اعتقد إن الثورة عملت نقلة بغض النظر عن الإيجابيات. الناس بدأت تفكر. فاكدة كان فيه ست عجوزة هنا على الناصية بتبيع خس وفي يوم كنت معديّة جنبها وجنبا راجل يبيع جرائد وهي بتناقش معاه بتقول له: "هنروح نصوصّ على الدستور ولا لا؟"، الناس بدأت تهتم بحاجات ثانية، لأن فيه لمان لغة مختلفة اتقالت، واعتقد لمان انتشرت في أوساط غير الأوساط التقليدية اللي بتتكلم، ولكن عندي خيبة أمل كبيرة جداً في الأحزاب السياسية، لأن كان في من وجهة نظري كان في سنتين بعد 2011 كان فيها إمكانية الناس تشتغل تحت والناس فوتت الإمكانيّة دي وفضلوا في زعمات ويتخانقوا على زعمات ومين هيطلع معرفش فين وكده. لكن الثورة فارقة، بعدها أخويا عايش في سويسرا وللمني يقول

1 يقصد حسنى مبارك، رئيس الجمهورية وقتها.

أسماء صحيحة

فيه حاجات بدأت تتسقى بمسمياتها، زي التحرش الجنسي مثلاً دي تسمية مكتنشة موجودة. زي العنف ضد النساء، زي إن الجهاز المركزي للإحصاء يطلع لي إحصائيات دقيقة عن حالات العنف ودا مهم جداً، دي حاجات إيجابية. بس إزاي دا بيأثر على حياة الستات العادية، هو دا السؤال. الخلع على سبيل المثال، ست البيت اللي لا تملك شيء، هتقدر تعمل دا، الخلع للناس بتوع الطبقة الأعلى، دي مشكلة ok شوية ستات بتستفيد من دا، طبعا أنا اللي خضني الردة اللي في المجتمع، الأصوات الاصولية، كل اللي بيقتي الفتاوي اللي نازلة ترف علينا، والأداء في البرلمان اللي عمال يقول لنا احتشموا والبسوا وملتبسوش، في شيء مرعب وما حدش بيستكثم.

في "المرأة الجديدة" مثلاً عندنا برنامج اسمه "النساء والعمل"، يشتغل مع نقابات، عملنا أول بحث ميداني على الستات في بعض السنوات كثيفة الوجود النسائي دي كانت البداية، ودا كان مرتبط بعد ما حصل إضراب الغزل والنسيج في المحلة في سنة 2006، لأن أول الهناجر اللي بدأت الإضراب كانت هناجر الستات، وبعد ما بدأوا الإضراب توجهوا لهناجر الرجال وقالوا لهم ادخلوا الإضراب. ودي كانت نقلة، إن الستات لأول مرة في الحركة العمالية ميقوش في ظهر الرجالة يبقوا جنب الرجالة ودي كانت نقلة، بس دا مقدرش أقول إنه شغل "المرأة الجديدة" ما قدرش ادعي دا. فيه شغل بيتعمل، قانون العنف الموحد، دا شغل نسقته "المرأة الجديدة"، الحاجة الثانية اللي عايزة أتكلّم عنها اعتقد إنها من الحاجات المهمة أو من علاقات القوة، هي القدرة على تجميع الناس الثانية، الانفتاح على الناس الثانية والقدرة. في 2011 أطلقنا من "المرأة الجديدة" ملتقى المنظمات النسوية، قبلها في 1999 أطلقنا احتفالية "8 مارس" أهو قانون العنف الموحد كان بتنسّق "المرأة الجديدة" مع قوة عمل من خمس أو ست مجموعات. قانون الجمعيات كنا وصلنا لـ 84 جمعية. فيه تاريخ، ودي حاجة مهمة، لأن بنفتقد جداً في مصر قيمة وثقافة العمل الجماعي.

الحكومات تتصالح

معظم أنشطتنا في "المرأة الجديدة" مرتبطة بالدعوة الدولية. حتى الأبحاث عشان نعرف نقول إيه، شهادات الحالة، الشغل مع grassroots، عشان نفهم كمان هما عايزين إيه، متقدرينش نتكلم باسم الناس، انتب ممكن نتكلم مع الناس. لكن في مجال الدعوة الدولية والعلاقات مع منظمات خارج مصر بندعمك، كان فيه خبرة في منظمة دولية اسمها "الشبكة اليورو متوسطية لمنظمات حقوق

لي: "إنتي عارفة بابا كان عايش ساعة الثورة حتى لو على كرسي بعجل"، لما حصل كل الانتكاسات قلت الحمد لله إنه كان ميت.

حكايات شخصية تشرح النسوية

من بدري في عملي مع "المرأة الجديدة" بدأت استعمل قصتي الشخصية عشان أفوق الناس، على سبيل المثال مرة طلعت مع عماد أديب في برنامج عن العنف ضد النساء، كان فيه واحد طبيب نفسي وبيتكلم قد إيه العنف دا ممكن يؤثر في الست ويكسرهما، وأنا عمالة بهز راسي، وعماد أديب بيسألني كُنا على الهواء "ليه إنتي موافقة؟" قلت له لأنني اتعرضت للعنف، الراحل اتخض وعمل قاطعة، "أنا أسف مكتنش قصدي أخليك نتكلمي"، قلت له معنديش مشكلة ولازم الناس تعرف ولازم الناس تكسر الخوف. دا المزج بين خبرتي في الحياة والطريقة النسوية اعتقد مش عيب إن واحدة ست تضرب، العيب على اللي ييضرب أيّد.

لكن بقول إن مفيش حركة نسوية، لأن الحركة لازم يكون لها مقومات معينة، لأن لما بتكلم عن حركة انتقال من مكان لمكان تاني. الانتقال دا أنا مش شايفاه لحد دلوقتي انتقال كيفي، يعني مفيش حاجات كتير اتغيرت، مفيش حاجات أساسية اتغيرت، مفيش شغل. فيه شغل بس مفيش مداخل وآليات فعلية تغير ثقافة المجتمع.

أولاً المنظومة القانونية كلها، الفلسفة اللي وراها ذلورية تماماً. المنظمات النسائية أو النسوية في أغلبها ميبشتغلش على القواعد الجماهيرية. لكن يوم لما بتشتغلي مع حد في القواعد دي، يعني إحنا كان عندنا فيلم عمله جيهان الأعصر أظن اسمه عن الاغتصاب الزوجي، وقررنا نعمل عرض للفيلم هنا، وجينا ناس من بشاير، بشاير الستات كلهم grassroots وكُنا خايفين جداً وإحنا بنعرض الفيلم من رد فعلهم، انتهى الفيلم والستات مبلّمة وساكّنة، فجأة واحدة ست قامت وقالت مالكم ساكتين كده هو إنتي يا فلانة محصلكيش كده ولا إنتي دا كلنا بيحصلنا كده، وبدأت الناس تطلع حاجات من جواها. دا مهم، حتى انتوا ما بتشتغلوش مع grassroots دا مهم جداً، انتوا بتعملوا شغل ثقافي، في رأيي كل اللي إحنا بنعمله دا مش هيتغير إلا مع تغيير عقلية الناس. طبعا على مستوى المناهج الدراسية، المناهج إحنا عملنا شغل على المنهج العربي من أولى ابتدائي لحد ثلاثة ثانوي شيء مرعب، مش بس على مستوى التمييز ضد البنات وضد النساء، التمييز تجاهل ذوي الاحتياجات، تجاهل المسيحيين مش موجودين، في شغل لازم يتعمل. الإعلام دا كارثة ثانية، في حاجة لازم تتعمل.

الأفكار التقدمية والمتنورة وصدمة الناس، لأن ممكن رد الفعل يبقى عكسي.

مستقبل؟

على المستوى الشخصي، أنا شخص خجول جداً وفي نفس الوقت عندي إحساس بالكرامة زيادة ودا خلاص اضيع فرص حب، علاقة حميمة، حد ننسند على بعض، لو حسيت إن واحد بدأ باي باي. مرات بتسأل هل كان ممكن اتغير، مظنش. بتسأل لو يمكن مكتتش هبقى في الوحدة اللي عايشاها، خصوصاً العيال لَمَّا بتكبر ما بتقاش موجودة. على المستوى السياسي، الواحد بيجير مواقفه. لكن على مستوى الفكر مقتنعة قوي بالفكر الماركسي، بس إنني ابقى شيوعية finito. شايقة إن فيه صعود يميني مرعب على مستوى العالم، لكن فيه كمان فشل يميني مبشر. واللي بيحصل على مستوى المنطقة مبشر برضو. لَمَّا نحص الجزائر، لبنان، السودان، ما هو لازم نبقى متفائلين وإلا هنموت، لازم نعيش. لو تفتكري 2011 عملنا "8 مارس" في الشارع واتبهدلنا من الأصوليين، السنة اللي بعدها عملناها وكانت هائلة. التاريخ مش ممكن يرجع لورا، أتمنى اشوف دا لكن مش مؤكدة بس أتمنى إن حقيقتي تشوف دا.

الإنسان "EuroMed Rights والمرأة الجديدة عضوة فيها، هما بيعملوا lobby جوة الاتحاد الأوروبي ويجيبونا في مهمات عشان نروح نعرض الحاجات. في سنة 2005 كان تعديل الدستور في مصر، كُنَّا هناك وفد مصري من المجتمع المدني مكون من أربعة كل واحد منهم بيتكلم في تخصصه، وقعدنا مع مسؤولية جوة الاتحاد الأوروبي نتكلم عن موضوع الديمقراطية وحقوق الإنسان وكل واحد منّا رصد الانتهاكات اللي بتحصل على مستوى تخصصه، قعدنا تقريبنّا نتكلم ساعة، بعد ما انتهى الكلام، قالت لنا: "أه متفهمة بس إحنا لينا مصالح مع الحكومة بتاعتكم، لو انتوا عندكم مشاكل روحوا قعدوا مع الحكومة بتاعتكم"، إحنا خرجنا من الاجتماع دا كُنَّا مستقرين جداً، بس قولنا إحنا بعد كده متوجهش لهذه الحاجات الرسمية اللي بتمثل حكومات، إحنا نروح للمجتمع المدني الغربي وهو يضغط على حكوماته برضو. بس فيه خبرة في إطار مع الشبكة دي كُنَّا رابحين في تحت كانت جولة مجموعة مصرية ثانية برضو، روحنا الأول فرنسا وبعدين بلجيكا. في فرنسا الشبكة اليورو-متوسطة عملت لنا اجتماع مع كذا حد، ومع مسؤول حقوق الإنسان في الحكومة الفرنسية، كل واحد أتكلم في مجاله وأنا تكلمت في موضوع التحرش اللي بيحصل في المظاهرات ولما بيبقى فيه events والستات ينزلوا، الراحل دا جه مصر بعدها ونسي كل الكلام الثاني بس أتكلم مع الحكومة المصرية عن التحرش. ممكن تنفع، لكن مش حاجة wow، فعلاً المنظمات أو الكيانات اللي بتمثل حكومات عمومًا مش مفيدة.

نسوية أونلاين

اعتقد إن بقى في عدد من الناس ممكن يبقوا متطرفين أو متجمعين بيسموا أنفسهم نسويات، للأسف الأغلبية العظمى من دول أو من الأجيال الجديدة نضالها في الفضاء الافتراضي ودي مشكلة كبيرة ومش بس مرتبطة بالنضال النسوي ولكن بالنضال العام، بقى نضال بالبيانات ونضال اللطم والعباط على فيسبوك. لكن في نفس الوقت واضح في الأجيال الجديدة بنات أكثر جرأة لطرح المسائل حتى في طرح مسائل موضوعات مسكوت عنها بما فيها العلاقات خارج الجواز وحاجات زي دي، ودي حاجة إيجابية، ولكن دي بتوصل لمين من الشعب، ما اعتقدش كل الشعب المصري عنده وصول للإنترنت أو فيسبوك كأننا بتكلم نفسنا هي دي المشكلة الكبيرة. نفسي جداً تبدأ ناس تطلع من هذا العالم الافتراضي وتروح للواقع. وبعدين كمان لَمَّا تروح للواقع هي طبعا في العالم الافتراضي عندها مساحة لتناول مواضيع مسكوت عنها أو حساسة اجتماعيًا، المشكلة هي في إزاي التوليف ما بين

هالة شكر الله: كنا نحلل الثورات في ورشة حين قامت الثورة

مختلفة منها آن فرانك وجيفارا، كانت القراءة مؤثرة جدًا في. في 1967، كنا بتتابع اللي بيحصل؛ التلفزيون الكندي يعلن إننا بنتهزم، وفي نفس الوقت أبويا كان على طول حاطت الراديو وينسمع الأخبار اللي جاية من مصر، كنا بنشوف التناقض الشديد ما بين الأخبار من مصر والأخبار في كندا، كنا بتكذب التلفزيون، لكن بعد كده جات لنا صدمة لما عرفنا الحقيقة.

لما رجعنا مصر، عرفنا إن كل حد عاش هزيمة 1967 بطريقة، كانت لحظة قاسمة تقربنا في مصداقية الثقة في كلام الحكومة.

كنت لسه في المدرسة، وأخواتي دخلوا الجامعة، هاني دخل سياسة واقتصاد جامعة القاهرة، وعلاء طب جامعة عين شمس. على طول شبكوا مع المجموعة السياسية اللي كانت موجودة في كلياتهم. شافوا إن الجامعة كانت بتقور بحركة بتركز على المطالبة بمجتمع ديمقراطي، لأن بدونه لا يمكن نحرر بلدنا، فكان اسمها "الحركة الوطنية الديمقراطية".

ظهور أجمل ما في البشر

وفي السنة الدراسية 1971-1972، حصل اعتصام في الجامعات بيطالب السادات إنه يجي يكلم الطلبة، ويفهمهم إيه موضوع الضباب لأنه قال في خطبة "إننا متقدمش نعمل حرب لأنه كان فيه ضباب". والطلبة هيفضلوا معتصمين لحد لما السادات يجي ويجاوب على أسئلتهم. المهم وقت الاعتصام كان فيه هجمة بوليسية جات على البيوت؛ بيوت الناس اللي محبوسة في اللسنة، ومنها بيتنا. جُم البيت فتشوا، وأخواتي كانوا بيرجعوا الاعتصام ويرجعوا، ملقوش أخواتي لأن أمي خبتهم. هي الحقيقة تصدت للبوليس، لدرجة إنهم فضلوا يقولوا: "حضرتك إنتي عمالة تهيني فينا، وإحنا مش عايزين نقول حاجة". كانت شديدة، أخواتي استخبوا وقدرنا نرجعهم لكلياتهم، على أساس يستمروا ويشاركوا في الاعتصام. وفضلوا في الجامعة فعلاً، القوات دخلت حرم الجامعة، ودي كانت حاجة غير مسبوقة، وقبضوا على الطلبة من مناطق الاعتصام. وقتها كنت ساكنة عند خالة ماما في الروضة، وفكرة إنني نزلت بعد لما الطلبة اتمسكوا، وكان فيه مظاهرة جاية من كوبري عباس، اللي هو دلوقتي اسمه "كوبري الجيزة". وأنا اللي روحت داخله في المظاهرة، وطلعنا على التحرير، كان الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم بيغنوا هناك، والناس ملمومة ماسكين إيديهم بعض، لحظة طلعت أجمل ما في البشر، أحلامهم قوتهم، ولما البوليس جه فضلوا الناس قاعدين وماسكين

في السطور الآتية سنتوقف على تطابق وصف هالة شكر الله لحظات اعتصام كانون الثاني/يناير 1972 في ميدان التحرير مع ثورة 2011، ففي كلاهما رصدت هالة خروج أجمل ما في البشر.

بين هاتين اللحظتين المتشابهتين، رغم الفارق الزمني والسياق التاريخي، تقدم لنا شهادتها، التي تتناول أيضًا محطات مهمة في حراك السبعينيات، حين كانت هالة الشقيقة الصغرى لناشطين سياسيين في حركة الطلاب في السبعينيات، أحدهما معتقل والآخر هارب، وإدراكها لموقف هذا الحراك من البنات/السيدات، ثم دراستها للآداب قسم اللغة الإنجليزية في جامعة القاهرة، لكنها خلال سنوات الدراسة تقرر دراسة الجندر في بريطانيا، ومنه ستتعمق في دراسة أوضاع النساء العاملات أكاديميًا. كما تَمَرَّ الشهادة بفترة عمل هالة الأهلي والحقوقي، ومع الثورة وخلال خطوبها تدخل معترك السياسة بداية من لحظة تأسيس حزب "الدستور"، حتى ترؤسها له. هذه الشهادة اعتمدت على مقابلتين أجرتها هادي الصدة في 9 و10 نيسان/أبريل 2020.

صدمة في الغربة

مواليد 1954، كنت الصغيرة، هاني أكبر مني بـ4 سنين، وعلاء أكبر مني بسنتين.

ماما كانت من الشخصيات القوية، كانت في التربية والتعليم، مامتها كانت ناظرة مدرسة إنجليزي.

ماما كانت شخصية قاسية لكن فجة بطريقة رهيبة، بيتنا كان معروف بالضيافة والقواعد، وماما كانت قلبه.

إحنا مشينا من مصر في 1965، والدي كان في [بعثة] الجامعة العربية في كندا. كان عندي 11 سنة، وقعدنا هناك 5 سنين تقريبًا لحد 1975. وبدأت أقرأ حاجات معينة biographies و autobiographies للناس معينة، وناس

إيديين بعض. لَمَّا رجعت لقيت أبويا وأمي يبدوروا عليّ بالعربية. حرام شيتهم.

علاء دخل السجن، وهاني متمسكش، وفضل هريان، ومكتوب في قرار الاتهام "هارب". فضل هريان لمدة سنة تقريباً في بيوت الناس اللي احتضنوه واللي قعد معاهم. وقتها حصلت حركة الأمهات، أنا جاء لي اتصال من أخوات واحد من الطلبة اللي تمسكوا، قالوا لي إحنا بنجمع الأهالي، "تجبي تشتريكي"، قلت آه طبعاً. فعلاً زحنت وقابلتهم واشتركت معاهم، في إننا نبدأ نروح لكل الأمهات في بيوتهم، ونجمعهم ونخط خطة إزاي نقدر نبدأ نضغط عشان خروج الشباب والشابات.

البنات كانوا في سجن القناطر، وكان فيه عدد كبير. الأولاد كانوا في سجن الاستئناف، وسجن القلعة. إحنا كنّا واخدين الورقة اللي فيها أسماء المعتقلين والعناوين، وكُنّا بنروح للناس دي. البنات اللي كلموني بدأوا ميشتركوش، وأنا بالصدفة بقيت بلفّ على كل البيوت عشان أجمع الأمهات نروح للنقابات المختلفة، ومجلس الشعب، والصحف المختلفة، ننزل مع كل حد من الأولاد أو البنات ينزلوا جلسة استماع نروح نحضر معاهم ونبقى بزمّ ونهتف لهم. كانت من أهم اللحظات اللي كونتني، لأن أنا مش بس اشتريكت في حاجة فيها مشاعر شديدة جداً لأن دي أمهات أولادها وبناتها في السجن، لكن أنا تعرفت على مصر ثاني، تعرفت عليها من روحها مش مجرد من شوارعها، دخلت مناطق مكتشش أعرف إنها موجودة، ودا كان بعد رجوعنا من كندا بسنة.

الأمهات دي تحوّلت لأمهات ليّ، كانوا يأكلوني، أنا كنت رقيقة جداً لازم يأكلوني ويبيتوني، حاجات من النوع دا. حركة الأمهات فضلت طوال فترة سجن الأولاد، لمدة سنة. كُنّا بنروح أماكن مختلفة؛ الدرائد نقابل رؤساء التحرير، النقابات نقابل مجالس الإدارة، وزحنا مرة مجلس الشعب، فاكدة إن الأمهات طلبوا مني اتكلم باسم أمهات المعتقلين والمعتقلين، وأنا رفعت إيدي، ورئيس مجلس الشعب قال: "اتكلموا"، وأنا قمت قُلت إحنا أمهات الطلبة المعتقلين، ورئيس المجلس قال ليّ: "نعم إنتي أم بأمارة إيه، إنتي اسمك إيه؟" قُلت له هالة شكر الله. قال لي أنا أعرف أبوكي، وقلت له معلش حضرتك متدخلش الحاجات الشخصية في الموضوع دا، وراج قال لأبويا "بتتك قليلة الأدب"، كانت الحاجات دي من الطوائف اللي كانت بتحصل.

وأمي كانت جزء من الموضوع دا مع 40 من الأمهات، وفي أحد الأيام كُنّا في جلسة استماع في محكمة الاستئناف، اللي هي مُطلّة على حوش سجن الاستئناف. وكُنّا نهتف للمجموعة اللي نازلة جلسة استماع: "إبنك

يا مصر، بتتك يا مصر، عشانك يا مصر، سجنوكي يا مصر". ماما كانت من الهتيفة، وتدخل قاعات الاستماع بالرغم من إننا ممنوعين من الدخول وتهتف، وبعدين يخرجوها. أنا فاكدة إنني كنت مستغربة جداً لأن أُمي دي كنا بنسميها الكونتيسة، لأنها كانت شخصية بتتصرف زي الناس الأرستقراطية في كل حاجة. كانت حاجة مدهشة بالنسبة ليّ إنها تهتف. يومها فيه بنت اتخطفت من قدامنا، واضح إنها كانت مطلوبة وهربانة وجاءت الجلسة ومكتشش أعرفها، بس جه في دماغي إننا مش هنمشي من المحكمة، هنعتمد إله لو الأمن رجعها. الضابط اللي واقف قال: "هاتوا البنت دي" (عليّ أنا).

وبدا الأمن يشدني والأمهات قعدت تشدني، وفضلت درعاتي ما بين الأمهات والعساكر، وراحوا واخذنا كلنا على حوش السجن عشان يحطونا في بوكس، والشباب ورا القضبان بيتفرجوا على أمهاتهم بيتقبض عليهم، وماما عقالة تقول: "جزمتي وقعت"، واضح إنهم وهما ييزقوها في اليوكس جزمتها وقعت، ودي بالنسبة لها أخطر بكثير من القبض عليها. المهم اتمسكنا كلنا واتحقق معانا، وبابا زين العابدين¹ عدى على أبويا يقول له الخبر إن "الأمهات كلهم ومراتك وبتتك اتقبض عليهم". جاء له وقعد معاه، وأبويا كان منهار، يقول: "بنتي تخرب"، لأن علاء في السجن، هاني هريان، أنا وماما تمسكنا، وكان في حالة رهيبة. تحقق معانا لحد نص الليل، وسابونا، دي كانت أول مرة يبقى ليّ تجربة.

مثلاً ماما كانت متطبخش لعلاء بس، لأ تطبخ للشباب كلهم، وكان الكل مُنتظر أكل ماما، يقولوا لعلاء: "امتي ماماتك تبعت الأكل". تبعت كبيبة، ورق عنب، وماما كانت في المطبخ بتعمل أكلات من كل أنحاء العالم، لأننا لقينا بلاد كتيرة.

من الأدب إلى الجندر وقبلهما سجن القناطر

قبل لَمَّا ادخل الجامعة اتمسكت ثاني، أظن برضو كُنّا في محكمة² في شارع 26 يوليو اللي هي المحكمة الرئيسية اللي فيها النيابة العامة. لقيت واحدة بيمسكوها ويبضروها، زحنت أشدّها، وبدأوا يضربوني، المهم اتقبض عليّ، خدوني على القسم، وبيت فيه، كنت 17 سنة، وكان في الزنزانة اللي جنبي، أحمد عبد الله رزة، وهو متعود إنه يتمسك ومكتشش عنده مشكلة كان نايم طول الوقت، وعَمّالة أقول له اصحى، لأنني كنت قلقانة جداً، وقلقي الأساسي مش إنني اتمسكت، لكن لأنني مش عارفة هيوذوني فين لأنني تحت السن. منمتش طول الليل،

1 زين العابدين مؤاد.

2 دار القضاء العالي.

وعلى وشّ الصبح جاء ليّ عسكري وجاب ليّ ساندويتشات فول وطعمية، وقال ليّ: "أنا جايه من عندي لأن إنتي زي بنتي ومينفعش تأكلي من الأكل دا" كانوا آدونني عيش مآد رموه على الأرض.

بعدها عرفت إنني هروح سجن القناطر، وانحسبت فيه 3 شهور، كنّا مجموعة قليلة من البنات. كانت تجربة مؤثرة، اتعلمت العربي لأنني كنت ضعيفة فيه لأنني اتعلمت برّھ مصر، كنت بزوح المكتبة أقرأ الكتب اللي فيها، وأول قراءة نجيب محفوظ، وبعده كتاب لتوفيق الحكيم، كنت بخلص على المكتبة. وكنت بدردش مع السجينات، اتعرف على حكايتهم.

الحكايات فتحت ليّ عالم ثاني خالص، شكّل وجداني. خرجونا قبل حرب أكتوبر على طول، أهلي كانوا عايزني ادخل الجامعة الأمريكية، أنا رفضت لأنني كنت خلاص حددت أنا لازم أبقى فين، قلت لهم لا أنا هدخل جامعة القاهرة، آداب قسم إنجليزي.

كنّا بنكتب مجلات حائط وننشرها في ممر الصحافة في جامعة القاهرة، ومعانا رضوان الكاشف وسمير حسني وناس غيرهم، كنا بنحامي المجلات لأن الأمن طول الوقت يقطعها. نعد بعد كده نتناقش في الجنية اللي قدام كلية آداب، بين قسم إنجليزي والكلية، وفيها اتكوّنت أوثق الصداقات بالنسبة ليّ، صداقات عمر، وحددت مسار الواحدة.

الجامعة حسمت حياتي إلى الأبد. من ناحية الإحساس بالمسؤولية، والتغيرات اللي بتحصل بعد حرب أكتوبر، وفعلًا خلصت الحرب، ورجعت سينا ثاني لينا ومصر اليوم في عيد وكل الحاجات دي، لكن كنّا مدركين إنها مكتنش بلد ثمن، وكنّا بنطالب بأن اتفاقية كامب ديفيد تبقى علنية.

لما اضطريت اسافر في 1975، قبل التخرج، عشان احضر كورس في إنجلترا، اكتأبت لأنني اضطريت امشي من مصر. وكان فيه فترات سلام لما أروح أزور أهلي في الهند، وبدلع نفسي شوية في بيت والدي، السفير إبراهيم شكر الله، المعروف بعزومات أمي، وهاني كان بيكمل دراسته في الهند. وكنت في فترات بعيش في لبنان.

1977 حصلت، وأنا برّھ في إنجلترا، ومعايها ناهد نصر الله عايشين مع بعض في شقة، لقيت تليفون من أبويا بيقول ليّ: "إنتي في مصر"، بيقول له يا بابا أنت بتكلمني في إنجلترا، إزاي هبقى في مصر، فقال ليّ: "مكتوب في الجرنال قدامي إنك اتقبض عليكي"، قلت له بس أنت بتكلمني. وقال ليّ: "بس أنا الجرنال قدامي إنك تقبض عليكي.. طب زحتي وحصل حاجة؟"، قلت له مزحتش حتة،

ومحصلش حاجة، وصدقت متصدقش الجرنال. المهم هو اتصل بناس وعرف إنه خبر مبني على تقارير المباحث اللي هي كلها متلففة. لكن عرفنا إن المظاهرات حصلت واتقبض تقريبًا على كل الشباب اللي في الجامعة اللي كانوا موجودين، وعلى كل اللسة اللي كانت موجودة، القوائم اللي كانت موجودة عندهم من التقارير الأمنية. لما رجعت 1979 كان الوضع مختلف خالص، الحركة الطلابية كانت انتهت، الزخم كان انتهى. الأزمة الاقتصادية هي اللي كانت طافية على السطح، هجرة الناس للخليج للبحث عن لقمة العيش، حركة هجر القرى. مصر كانت بتتغير وتتشكّل، ونعاد تشكيلها بشكل كامل تقريبًا.

لما رجعت مصر، أهلي كانوا لسه مسافرين، وقعدت مع ناهد ويسري³، وكان فيه ناس بيتجي البيت ومنهم خالد جويلي⁴، كنت قابله قبل ما أسافر إنجلترا، عن طريق صاحبتني أروى صالح⁵. تقريبًا قبل 1975 أروى قالت ليّ: "تعالني أقابلك مع حد يناقشك، لأنني مش عارفة اتناقشك". روحنا قابله في كازينو، هو كان تخرج قبل دخولي الجامعة، لكن لمحتة فيها لأنه كان في اتحاد الطلبة، مش فاكدة كان نائب رئيس كلية آداب أو الجامعة. قعد يكلمني عن الكتاب اللي هو بقرآه، والآدب، مدخلش مخي خالص. هي زعلت مني خالص، لأنه كان صاحبها.

لكن بعد سنتين لما قابله في بيت ناهد ويسري، قررنا نتزوج. كان بابا رجع من الهند، ودي عملت أزمة بالنسبة لأبويا، لأنني مسيحية وخالد مسلم.

تزوجنا بعد لما تخرجت 1982 تقريبًا، وبدأت أنزل حلوان والتقيت هناك بعدد من الناس. كنّا بدأنا نجتمع تبرعات من حلوان نبعثها عن طريق سفينة للبنان للمتضررين من غزو إسرائيل لجنوب لبنان. جمعنا كمية حاجات رهيبة، وفيه ناس راحت بالتبرعات دي على مركب عشان تسلمها للسفينة اللي رايحة لبنان.

حسبت إنني عايضة اشتغل مع الناس، مش عايضة اتناقش مع الناس السياسيين اللي بدأوا يشكّلوا لغة خاصة بهم محدش ممكن يفهمها. بالرغم من ارتباطي بأصدقاء كثير من السياسيين حسيت إن مكاني مع الناس، عشان كده يعتبر إن فترة حركة الأمهات حددت وجداني، مش عايضة أفضل في فقاعة، عايضة أكون مع الناس ومرتبطة بيهم بشكل مباشر. وبدأت اتعرف على مجموعة في حلوان، كنت بديّ دروس إنجليزي للشباب الموجودين في المناطق المختلفة. زحنا منطقة المعصرة، لأنه فيها مجاري مفتوحة،

3 المخرج يسري نصر الله

4 خالد جويلي، نائب ومصور، وزوج هالة شكر الله

5 أروى صالح كابيه مصرية

عملنا دراسة عن تأثير المجاري دي على الناس، وعملنا petition إنها تتردم. بدأت فكرة الـ community work تيجي من اللحظة دي. اشتغلت على قضايا مرتبطة بمشاكل وحياة النساء. إن الموضوع مش مجرد سياسة، مش مجرد قضية كبرى معزولة عنهم، لكن فيه مشاكل مباشرة هما بيعيشوها يوميًا، وإزاي اشتبك مع الحاجات دي.

تطوع من أجل حقوق المرأة

في بداية الثمانينات كلنا تخرجنا، كل النساء اللي كان لهم علاقة بالسياسة في الحركة الطلابية، والوضع في مصر كان ممنوع أي حد ينزل، لأن البلد كان فيها قانون طوارئ بعد 1977. مكناش فيه غير الجمعيات بتاعة تنمية المجتمع اللي هي ما تبقى من العهد الناصري. قانون 32⁶ دا كان بيمنع العمل السياسي.

بدأت "المرأة الجديدة" كمجموعة من نساء من كلية طب، آمال عبد الهادي، نادية عبد الوهاب، مؤادة هدية، الله برحمها، عرب لطفي، عائدة سيف الدولة، كانت المجموعة دي عايزة تعمل حاجة من تجربة النساء دول السياسية، بتتوجه لقضايا المرأة بشكل خاص. من ناحية، المناخ السياسي كان بيتغير في البلد، وموضوع المرأة كان مطروح، الفقر بيزيد، البطالة بتزيد، كان سهل جدًا للحركة الإسلامية إنها توجه نصلها للمرأة كأنها العامل المؤثر في حياة الناس، بمعنى وجودها في العمل هو اللي خلق البطالة، وجودها بزم البيت "كُفر"، البلد مش مُسلمة لأن المرأة بقت بتخرج وتعمل وتتعامل كـ equal. تكفير البلد لكل بيبقى في مركزه موضوع المرأة.

الحاجة الخاصة كانت تجربة الناس في الأحزاب المختلفة، والتجربة اللي كثير جدًا منّا طلّعوا بها إن قضية المرأة تتحل في وسط دستور سياسي عام.

أنا وقتها كنت شغالة في حلوان على الأرض ومع الناس. بدأت اشتغل على محورين، الأول تأسيس حاجة في حلوان، عن طريق مقر حزب "التجمع"، وكانوا بدأوا يخافوا منّا، لأن كنا ثوريين زيادة عن اللزوم، وقفوا "التجمع" قدامنا. والمحور الثاني إننا فكرنا في تأسيس حاجة في حلوان تبقى community pass، وفعلنا عملنا "بشار" 7 هناك. وبعدين انضمت لـ "المرأة الجديدة" اللي كانت وقتها مجموعة دراسة. بدأنا نشغل كلنا بشكل تطوعي.

"المرأة الجديدة" مكنتش مُسجلة في أي حاجة، وبدأنا نشوف إمكانية أننا نخرج بزم الـ study group، إزاي بيبقى

فيه تأثير أوسع، وتتصل بالناس اللي نعرفهم، واحد زي حلمي شعراوي استضافنا في المركز بتاعه، ونظمنا ندوة عن التعليم، ولطفة الزيات كانت مشتركة في الندوة دي. عملنا مجلة "المرأة الجديدة" بفلوسنا، حتى الطباعة بتاعتها كانت basic قوي، وقعدنا تقريبًا عشر سنين معتمدين على فلوسنا في إصدار المجلة، ونجمع تبرعات من بعض، نبيع هدمونا الجديدة، نعمل بازارات، حاجات بالشكل دا.

بدأنا نشق الطريق لإيه المواضيع الـ significant، مثلاً كنت قرأت كتاب عن واحدة إيرانية، بتحكي عن ثورة بلدها من منظور امرأة عاشت الثورة، وبعدين هربت من إيران، ترجمت جزء منه ونزلناه في العدد الأول من المجلة، كان موضوع خاص بالحجاب، وإزاي كانوا يختاروا الستات بين إنهم يحرقوا إيديهم أو يطعنوها بالسكينة. في نفس الوقت عملنا حوار مع واحدة من العاملات في حلوان. بجانب مناقشات، وندوات اتعملت مع أماكن صديقة، وقتها كان ما يسمى بـ "المجتمع المدني" ضيق جدًا.

قبل تأسيس "المرأة الجديدة" كشركة في 1984، بسنة أو اثنتين بدأت المجموعة تشتغل مع بعض، وتوسعت في عضويتها، دخلت ماجدة أباطة وغيرها. كنا لسه بنشتغل من بيوتنا المختلفة.

وبعد سنوات طويلة من الشغل، بدأ التفكير هنجيب فلوس مين، إزاي هنقدر نخلي دا حاجة دائمة، مستدامة، لأن العمل التطوعي بالرغم من إنه متوفر فينا، لكن مش هنقدر نستمر بالشكل دا. وقتها ناقشنا اقتراح أننا نجيب تمويل من منظمة غير حكومية تبقى مضمونة بالنسبة لنا، إن سياستها تكون محترمة ولها مواقف متفقين عليها. لكن المناقشة دي عملت مشكلة داخل "المرأة الجديدة"، لأنها أثارَت فكرة إن التمويل الأجنبي شيء ممكن يفسد التجربة، وإنه لازم نعتمد على نفسنا.

في رأيي، فيه حاجة كانت موروث قومي شوية في النظر لأي حاجة تأتي من الغرب. أنا لست مواقف كثيرة من مؤسسات international لا يمكن أن أتعامل معها، لكن مش النظر لأي شيء حتى لو غير حكومي، أو مواقفه زي مواقفي إنه خيانة.

في نفس الوقت كان فيه موقف آه ناخد، بس منخدش فلوس، نفضل volunteers، لكن بيبقى فيه حاجة تصرف على الأنشطة اللي إحنا عايزين نعملها، وإلا مش هنقدر نستمر. المناقشة دي فضلت سنتين مثلاً ما بينا، لحد لما قسّمت "المرأة الجديدة". فضل عدد من الناس، وبعض الناس خرجوا لأنهم مكنوش متفقين على الموقف دا. طبعًا الـ debate فضل موجود في المجتمع، وما زال له أثر

6 قانون رقم 32 لسنة 1964 بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة

7 جمعية أهلية شاركت هاله شكر الله في تأسيسها وشغلت منصب رئيسة مجلس إدارتها.

لأنه في الحقيقة هو جوهر الخطاب الرسمي من العهد الناصري، إنه ما دام جاي من الحكومة يبقى تمام، لكن لو من المجتمع المدني خيانة. ذا اللي سبب الشق الأول الأساسي، اللي حصل في "المرأة الجديدة". بعد كده استمر الشغل معتمد على one assistant، قعدنا سنين طويلة مفيش غير. أجرنا أوضة في شقة صديق، وجينا كمبيوتر، ودا تقريباً كل الموضوع.

في نفس الوقت بدأت منظمات ثانية تظهر على الساحة، رابطة المرأة العربية، وجمعية "نهوض المرأة" بدأت مشروع في منشية ناصر، مكنتش مطروحة كـfeminist organization، ولكن كان بدأ يبقى فيه مجموعات موجودة. في نفس الوقت كثير منا شغالين على مساعدة المنظمة المصرية لحقوق الإنسان اللي هي ولدت كبيرة جداً، فيها عدد من الآلاف، غير بداية تأسيس مؤسسات الـcommunity base، كان فيها حاجة أطباء منهم أخويا علاء وعائدة سيف الدولة عملوها في الوايلي، على أساس أنها تكون عيادة مجانية. أنا من ناحية ثانية مع مجموعة طوان اللي اشتغلت معاهم فترة، عملنا جمعية "بشاير" وهو community center، كانت بتشتغل على مساعدة النساء العاملات في طوان. كان فيه عدد من التجارب اللي بيطلعوا تقريباً في نفس الوقت. المنظمة المصرية بدأت تلعب دور مهم، وإحنا عملنا حاجة اسمها لجنة المرأة في المنظمة المصرية لحقوق الإنسان. بالتالي بدأ يبقى فيه اتساع في المجموعات اللي بتلقتي حوالين قضية المرأة لقضية لها خصوصية، وتبقى بتأثر على توجه برنامج المؤسسة نفسها. دي كانت الفكرة، متبقاش القضية مهمشة، ولكن تبقى على جدول المؤسسات الثانية اللي بتطلع. مثلاً في لجنة المرأة في المنظمة المصرية لحقوق الإنسان، حصل خلاف بخصوص التوجه: جماهيري وآل professional، هي دي كانت المشكلة الحقيقية. هل المفروض إنها تبقى بتستوعب الجمهور المصري، وآل لازم تبقى professional بمعنى حاجة ضيقة، دورها المراقبة فقط، evaluation women's right، ولكن ملهاش وجود على الأرض.

فكرة مثلاً أننا عملنا لجنة جوه لجنة المرأة نفسها، وشكلنا مجموعة تنزل مناطق في الأرياف المختلفة والمناطق المختلفة. عملنا report على اللي بيحصل، تكلمنا مع الناس. كان أول مرة يبقى فيه كلام عن حقوق الناس يقترح على المستوى الشعبي. كانت تجربة في رأيي ناجحة جداً، لكن بعد أول جمعية عمومية انشقت المنظمة المصرية، واتعمل عدد من المكاتب الحقوقية. النساء اللي فضلوا في المنظمة المصرية على بعد سنة تقريباً، كثير منا خرج. خرجوا وعملوا منظمات نسائية، منهم عزة سليمان، نهاد أبو القمصان. كان كله بياخد شكل الشركات في الأول، كان

الرأي إنه لحد لقا القانون يتغير هنا شكل الشركات، لأن القانون لا يسمح بأنك تعملي عمل سياسي، وكل اللي إحنا بنقوم به له طابع سياسي بمعنى معين. إننا بندافع عن حقوق فئة معينة، ذا سياسي، مش بنقوم بعمل خدمي. فضلت "المرأة الجديدة" كمجموعة، ثم في صراع حوالين القانون، ولما تقال إن لازم توفير الأوضاع بعد القانون الجديد، سجلناها كمؤسسة. فضلنا في board وتوسعت. في التسعينات بدأت العضوية تتوسع جداً، وضمت شبابت من الجيل اللي بعدنا، أو الجيلين اللي بعدنا حتى اللي بدأوا يحسوا باحتياج إنهم ينتموا لشيء، يدي لوجودهم معنى، ويحسوا بكانهم، لأن كان تأثير الحركة الإسلامية مدمر على النساء، وعلى الشابات خصوصاً.

لما دخل جيل جديد في عضوية "المرأة الجديدة" حصلت طفرة، بعد فترة طويلة جداً كانت العضوية من جيل واحد ينتمي لحركة السبعينات، توجه واحد، أفكار وتوجهات العضوات قريبة جداً من بعضها، ولغة مشتركة جداً. حصل تطور، مش بس في البرامج، لكن في لغة "المرأة الجديدة" ونظرتها وقيادتها بنفسها؛ بالتالي بقى فيه، جيل مؤسس وجيل جديد.

عملنا حاجة اسمها "منتدى الشابات" على أساس إنه يبقى محاولة للإغلاق الفجوة دي في العلم والتثقيف، وإن هما يكون لهم منبر يقدروا يعبروا عن أنفسهم بحرية فيه. طلوعوا مجلة اسمها "فك الجدائل"، تخصهم هما، وكانوا هما اللي يكتبوا ويحرروا المجلة وينشروها، إحنا كنا مجرد support.

لا تقلن نسوية

شاركنا مع "رابطة المرأة العربية" ومجموعات أخرى بدأت تتشكل في التحضير لمؤتمر السكان، في ما يتعلق بقضايا المرأة. التقينا بجمعيات كثيرة جداً، منها الجمعيات اللي بتشتغل على قضايا المرأة بالمنهج الحقوقي والجمعيات اللي بتشتغل بالمنهج الخدمي، لأول مرة المنهجين يلتقوا ويبدأوا يأتروا على بعض، أو المنهج الحقوقي يبدأ في التأثير على المنهج الخدمي البحث أو الخيري البحث اللي كان متعارف عليه. التجربة دي كانت مهمة جداً، من ناحية إن الخريطة تبدأ تتغير، الخريطة تتسع، وبالتالي نظرتك لدورك تبدأ تتغير وتتطور.

خلال التحضير لمؤتمر السكان، كان فيه انتقال للمحافظات، والكلام مع الناس على القضايا المختلفة. المرأة الجديدة كانت عملت دراسة وقتها على domestic violence، زنى المحارم، ظرحت الدراسة وموضوعها في مؤتمرات عديدة، وطبعا دا عمل صدمة رهيبة جداً، الناس الشعبيين لما كانوا

يسمعوا كلامنا على الدراسة مكشوف يتكلموا، لكن لما يسمعوا كلام عن المطالبة بأن يكون فيه "خلع"⁸ يعني حاجة مرتبطة بالدين يروحوا على طول واقفين طابور كل واحد يقول تفسيره للدين ويفرض أي تفسير آخر، كان مثير إن الواحدة تشوف المنظر دا.

متذكرة أول مؤتمر حضرناه كان في حزب "التجمع"، كان فيه هجوم شديد جداً على كلمة "النسوية"، وإن النسوية معناها الستات اللي بيخلعوا الستينيات وحاجات بالشكل دا، ومحدث يقول نسوية ودي كلمة غريبة، إحنا كنا أقلية في الوقت دا. الكلام على موضوع العنف كان يهاجم بشدة. لكن النهاردا، بعد 20 سنة، كل الناس بتشتغل على قضايا العنف.

ممنوع الكلام عن الختان

فاكرة لما كنا رابحين نشارك في مؤتمر بكين⁹، كنا عاملين دراسة عن موضوع الختان كأحد مظاهر العنف، والعنف بشكل عام. جاء لنا طلب غير رسمي من فوق¹⁰ أننا منطرحش الموضوع؛ قيل لنا: "دا هيشوّ سمعة مصر". قلنا: "إحنا بنطرح القضايا اللي شايفين إن لها أهمية". طبعا المؤتمرات دي كانت لسه جديدة علينا، وكان لسه شعورنا بأنها مهمة، وممكن تؤثر، وتغير القوانين الموجودة، والوضع يتأثر النساء في مصر، والوضع الاجتماعي بشكل عام.

الضغط على المستوى العالمي كان ببجيب نتيجة لدرجة طبعا، لأن مفيش حركة داخلية، ملناش الحق في social mobilization، وبالتالي الضغط الوحيد اللي بيحي هو من المؤتمرات الدولية، من filter into human rise council في UN إلى آخره، ودا اللي يبدأ يعمل ضغط.

تركنا الورشة ونزلنا الثورة

لما جاءت الثورة كنا عاملين ورشة حول الحق في الميه، بيشترك فيها ناس من بلاد مختلفة شغالة على القضية دي زي المغرب والبرازيل والأرجنتين. الورشة محاورها كانت عن الحق في المياه، والحق في الصحة، والحق في أجر عادل. فجأة لقينا كل اللي بيشتغلوا من فريق "المرأة الجديدة" اختفوا، كلهم شباب صغير. إحنا مكناش على فيسيوك ولا متابعين، ثاني يوم كل الحضور المصري مش موجود، فيه حضور عربي وأجنبي، وبس. الورشة كانت 3 أيام، وعلى آخر يوم، كان يوم 28 يناير، قولنا للضيوف المشاركين:

8 صدر مانو الأحوال الشخصية في 2000، وتضمنت المادة 20 منه مادة تسمح للزوجة بان ترفع دعوى قضائية للمطالبة بالخلع.

9 المؤتمر العالمي الرابع للمرأة في العاصمة الصينية بكين 1995.

10 تقصد الضغط السياسي من مسؤولين في الدولة دون تحديد الجهة اللي بنمونها، ومفضل الراوية عدم الاصطاح عنها.

"بصوا صعب جداً إننا نتكلم هنا في غرفة مغلقة على حقوق الناس، وعن الثورات اللي قامت على قضايا معينة في أحد بلاد Latin America عشان الحق في الميه، والناس في الشوارع يقيموا بالثورة. إحنا هننقل".

ونزلنا الشارع، كانت تجربة مذهلة، استدعت كل أحلام الواحد، وكل تاريخه. أنا عمري ما كنت متصورة إني أعيش لحد لما أشوف الناس بتنزل وبتقول شعارات زي دي، وبتقول "سلمية"، وبروح جميلة جداً، والشباب والشابات ماشين مع بعض.

الثورة دي مختلفة، فيها بناء، منظمات عمالة تطلع من داخل الميدان، وكلها شباب وهما اللي يقودوا العملية، وإحنا طبعا نعرف الأخبار عن طريق أولادنا، أو الشباب الموجودين فيها اللي نعرفهم.

متذكرة مثلاً حد جاء يقول لنا: "ممكن تقولوا رأيكم في الأسماء اللي تتخط في الحكومة اللي جاية، مين نختاره وزير ثقافة مثلاً"، أنا قلت اللي عمل الثورة هو المفروض يمسك الحكومة، مبقتش فاهمة، مقدرش أقول غير رأيي. طول الوقت بنتابع، بننزل الميدان، وبتتابع من الأخبار، وبتقول رأينا بقدر الإمكان، لكن مفيش قيادة حقيقية لمساهم. وبدأ يحصل مسار خطير للثورة، لما حصل موضوع تغيير الدستور، استفتاء نعم أم لا¹¹. فائزة المناقشات مع الشباب وقتها كان يا جماعة الجمعية التأسيسية للدستور المفروض تطلع من الميدان، يعني إيه حد يحيي يعمل لجنة والشعب يصوّت في استفتاء عليها، دي عملية خطيرة. لكن الخلافات كانت بدأت، كان بداية المسارات المختلفة اللي اترسمت للثورة.

التجربة كلها لها عظمتها، لكن لها مشاكلها. أحد الحاجات اللي كانت جميلة تكوين الائتلاف النسوي بشكل تلقائي. كان له قوة وظهور عظيم، لأن فعلاً الستات كان لهم دور رئيسي في الثورة. وحتى في المعارك كانت الستات في المقدمة، كانوا في المسيرات الداخلية في الميدان، بداية إن هما يعبروا عن مطالبهم، مش بس مطالب، كانت المطالب العامة والخاصة مشتبكين جداً مع بعض. دا كان موجود، كانت الستات مستهدفات بالطرق الخبيثة بتاعة الأمن، إن البلطجية يتم توجيههم عشان يعتدوا على البنات جنسياً. Sexual assault كانت طريقة لمنع الستات إنها تنزل الشارع.

2011 هزة كبيرة جداً حصلت للمجتمع مش هقول للبلاد،

11 استفتاء جرى في آذار/مارس 2011، وأبرز ناطقة التصويت على قبول التعديلات الدستورية التي طرحها لحنه شكلها المجلس الأعلى للعواصم المسلحة، حاكم البلاد وقتها، أو رفضها، بما يعني كتابه دستور جديد، ومد زوج البار الديمقراطي وقتها لرمض التعديلات الدستورية وأن يكون الدستور أولاً. جاءت نتيجة الاستفتاء بقبول التعديلات.

طريقة القيادة، إيه المفروض يحصل، إزاي المفروض الناس توصل للناس، وقدمت جواب استقالة.

لقيت مجموعات من الشباب جم لي البيت، وقالوا لي: "عايزينك تنزلي الانتخابات"، أنا استقلت مش هنزل الانتخابات. الموضوع ده فضل 3 شهور لحد لقا تقال لي: "انتوا كل الكبار تهجرونا، كلهم بتسيبونا". فعلاً كان عدد كبير مشي وساب الحزب، جورج إسحق، وأحمد البرعي، كل الناس كانوا مشوا بعد لقا البرادعي مشي، لقا بقى واضح إن الحزب مش هيوصل للحكومة.

لما سمعت جملة "كلهم بتسيبونا" حسمت وجهة نظري، مكنش في ذهني الموضوع دا. قلت لهم هديكم رأي بعدين، وكان فيه ناس جاية من محافظات مختلفة وتقريباً يومياً، كان pressure جامد جداً. أنا وخالد قولنا نسامر رأس سدر ونفكر في الموضوع بعيد عن pressure الفظيع دا. وإحنا رايعين العربية اتقلبت بينا. خالد نام وهو سايق، وأنا كنت مرهقة جداً وكنت نائمة جنبه، والعربية خبطت في عربية ثانية، وإحنا اتدشدشنا، كان يوم منكوب، وأنا قلت إن واضح إنها علامة. المهم رجعت وقعدت استشرت مجموعة من الناس، واللي يقول لي "إنتي مجنونة"، واللي يقول لي: "اعملها وخلاص يعني هيحصل إيه هنتعبي شوية". عملنا الانتخابات، ورجعوا لي جواب استقالتي.

دخلت على أني مش هكسب، أنا قلت هخضع لل pressure عشان ما اخذلش حد، بس عشان حاجات كثيرة جداً مقدرش أقول لا فيها، بقول يا رب متحصلش. كان الإحساس اللي عندي يا رب أخسر. لكن بقيت رئيسة "الدستور".

وحصل تسليط الضوء الإعلامي عليّ كـ "أول امرأة ومسيحية تمسك حزب في مصر" مكنش عاجيني خالص في الأول، مكنش عايزة يعني، لقا بتمسكي بقيادة، كبني آدم، أيوة ست دي مناقشة ثانية.

مثلاً لو الحالة الثورية فضلت موجودة هتغير في وعي الناس، ولما يلاقوا رموز مختلفة من النساء بتغير عنهم، ومصالحهم، دا اللي بيؤثر مش مجرد إنها تكون امرأة. لكن امرأة بتغير عنهم فعلاً، وبتقول كلام في مصلحتهم. دي قناعتي إنتي لقا تجمعني ما بين gender issues and social issues اللي هي بتمثل فئة عريضة تقدري تخلفي much broader understanding للموضوع. لقا بتنسجي الظلم اللي على المرأة بالظلم اللي واقع على فئات مختلفة، باللي حاصل للسيناويين مثلاً، ممكن تطرحي موضوع التمييز كحاجة موجودة ضد فئات كثيرة، والمسيحيين. لقا بيقولوا لي وضع المسيحيين في مصر، لكن ميقولش إنه دا defines me لكن عشان أمثل المسيحيين، أنا بتمثل

للمجتمع نفسه بأفراده. collective memory مش يتلفظ أي تجربة، مش بتنسى تجارب. ممكن ذاكرة الأفراد تروح، في الزهايمر الاجتماعي في لحظات، لكن في الوجدان بيفضل مخزون مش بسيط للتجارب، وبتطلع في لحظات بشكل مفاجئ، بعد ما يبقى فيه دروس أخرى بتيجي عليها. لقا بيخرج المخزون دا، بيخرج وهو متعلم حاجات جديدة، وشارب خبرة جديدة. دا اللي لازم نبقي حاطين أملنا فيه.

2011 ما هياش هزيمة ولا تجربة وحشة وراحت، ولا ناس فقط ضحت وماتت، لكن نقطة تحول في مجتمعنا، هتفضل موجودة لأنه التاريخ مش يبص لسنوات، بالنسبة للتاريخ العشر سنين وآل العشرين سنة مش حاجة ضخمة، لكن التاريخ نفسه طويل قوي. أنا فاكدة لقا شوفت اللي حاصل في الميدان، قلت باه المصريين اللي كان أوحش ما فيهم طالع، أجمل ما فيهم طالع، شيء، مذهل، طالع من تجارب مئات السنين.

من الميدان إلى "الدستور"

وتستمر الأحداث؛ يطلب مني عدد من الناس إنني أدخل في تأسيس حزب "الدستور". كان already حزب المصري الديمقراطي الاجتماعي تأسس. أنا الحقيقة كنت مش شايقة طب ليه حزب ثاني بنفس التوجه بتأسس، وقيل لي: "لا هو مش هيبقى حزب، هو هيبقى مجرد ائتلاف". كان من التجارب اللي في ذهني الانشقاقات الكثيرة، والتفتت كأحد أمراضنا المزمنة تقريباً، كنت خايفة من الموضوع دا. لحد لقا دخلت فعلاً وحطوني في الهيئة القيادية، وقابلت الدكتور البرادعي¹². بعدين اكتشفت إنه هيبقى حزب، واتفعل المؤتمر الأول. فضلنا أنا وبعض الناس اللي اعرفهم من قبل كده بنشتغل في "الدستور" على أساس نبنى البرنامج والرؤية بتاعته، وعلى أمل إنه يحصل ائتلاف للأحزاب الديمقراطية كلها، ونشكل جبهة حقيقية تبقى قادرة إنها تعذل المسار اللي كنا حاسين إننا ماشيين فيه. بجي وقت حكم الجماعات الدينية، والكوارث اللي هما عملوها، وبداية الخلافات ما بينهم وما بين الحركة الديمقراطية في الميدان ويزاه، وضرب الناس، وبداية استخدام مليشيات خارجية.

بعد لقا البرادعي ساب "الدستور" حصلت صدمة داخل الحزب، والشباب والشابات كانوا في حالة من الانهيار تقريباً، اللي بيشتم، واللي بيعيط، كان فيه انهيار كامل تقريباً داخل الحزب. فضلت الهيئة القيادية اللي أنا كنت فيها بتسيّر أمور الحزب، ولكن كان فيه مشاكل كبيرة في

12 محمد البرادعي، مؤسس الحزب، ومدير وكالة الطامة الذرية سابقاً ونبولي منصب نائب رئيس الجمهورية في مصر من 14 تموز/يوليو 2013 حتى 14 آب/أغسطس 2014.

وجهة نظر تجاه كل القضايا اللي في البلد. متهيأ لى إن دا فزق، فزق داخلياً، وخارجياً.

لكن مقتنعة إن المرأة لازم تبقى موجودة في كل المؤسسات، وتبقى موجودة في صفتها كقيادة في المؤسسة دي، أو كصفتها بتمثل مصالح النساء ومصالح الفئات المختلفة، ودا مش معناه احتياج لمؤسسات نسوية خالص، بس لازم الجمع ما بين القضايا دي، لازم القضايا دي تبقى موجودة بعلاقتها مع القضايا الاجتماعية الأخرى. عشان تبرزها كقضية تميز فعلاً، وإن التمييز دا متأصل في المجتمع في كل أشكاله. مثلاً فاكهة من الأسئلة الإعلامية اللي تسألت وقتها "إيه إحساسك كامرأة؟" أو "هل حاسة إنه كان ممكن ما تنتخبش لأنك ست؟" ردي كان إن أعضاء الحزب مجوش قالوا عايزين نحط ست بدل راجل، هما اختاروا الحد اللي عيّر عنهم، قادرة تقودي ولا لا، قادرة تتعامل مع الوضع السياسي دا ولا لا، هتقدرى تمثلي الحزب ولا لا.

زمان وأنا صغيرة كنت حادة جداً. التجربة اللي أنا مررت بها علمتني حاجات كثيرة جداً. إنه الواحد مش المفروض يبقى الصوت اللي يمثل الناس، الناس عندها أصوات. دورك إنك توسعي الدنيا عشان أصواتهم هي اللي تدخل، دي evolution بالنسبة لى، دي كانت evolving ideas من التجربة نفسها، من العلاقة dynamic ما بين التجربة وما بين حلم الواحد. ميقتش مؤمنة بالحزب القوي، بقيت مؤمنة إن الحزب حتى لو جاء في لحظة فوقى أو متأسس من فوق لازم يفتح نفسه لحركات اجتماعية تنضم له كحركات اجتماعية، مش كأعضاء. ودا اللي حاولت أعمله في "الدستور" وفشلت؛ كان رأيي لازم الحزب يتضمن platforms للنساء، تبقى النساء موجودة كconventions، ويرشحوا نساء للهيئات القيادية. إن الشباب أو الطلبة يبقى لهم platforms خاصة بهم، برنامجهم، ويرشحوا ناس للهيئات القيادية، وكذلك العمال. في أول سنة، طرحت عليهم الفكرة دي، لأن هما كانوا عاملين ائتلاف الجمعيات، وطرحت عليهم أنتوا محتاجين platforms سياسية، وإحنا عايزينكم تدخلوا الحزب وتعتبروا عن برنامجكم واحتياجكم. دي تغيير في أفكار على مدى 30 سنة اللي فاتت، وتبلورت في لحظة لما كنت في الحزب. إزاي الـ structure نفسه بتاع الحزب يبقى يجمع ما بين الحاجة القيادية اللي لها برنامج محدد، بس البرنامج دا يبقى حصيلة الحركات الاجتماعية المختلفة different sectors منهم كل الفئات اللي لها مطالب وحقوق مهضومة، وفي تمييز ضدها. دي حاجات فارقة في تشكّل وعي الواحد، وإزاي يحاول يطبقها. الفكرة اترفضت، وقالوا لى: "دي هتبقى فوضى".

متهيأ لى دي الحاجات اللي أنا قادرة أفكرها دلوقتي، أكيد حصل تغيرات في تفكيري كثيرة جداً. أنا سنة أكيد حصل تغيير كثير في تفكيري، بقيت قادرة على الاستماع للناس، واستيعاب أفكارهم، والتعلم منهم، وإن الواحد يحط الـ ego بعيد خالص، متهيأ لى كلنا دا بيحصل لنا مع الزمن، لما نشرب من الحياة.

وفاء المصري: لا أعمل بشكل نسوي

المحامية وفاء المصري، مواليد 1960، عابشت تظاهرات 1977، وكتبت مجلة حائط نشرتها في مدرستها ترفض وصف السادات لتلك التظاهرات بـ "انتفاضة الحرامية"، لكن تلك المجلة نشرتها وفاء دون أن تستأذن مشرفتها، فزُفدت ثلاثة أيام لدفاعها عن "انتفاضة الخبز" دون إذن!

بسبب ذلك الموقف لامها مدرّس "إنّني إزاي تقولي كلام مختلف عن اللي يقوله الرئيس! الرئيس هو أدرى بكل شيء" لكنها ردت بأنّ ذلك غير صحيح، فالرئيس يدافع عن مصالحه وليس مصالح الناس.

حين التحقت بجامعة الإسكندرية كانت بدايات تقييد نشاط الطلاب، عبر السيطرة الأمنية وفرض لائحة جديدة، حتى لا تحدث انتفاضات جديدة يكون وقودها الطلبة. ثم تخرجت في كلية الحقوق جامعة الإسكندرية في 1983.

تحكي وفاء في شهادتها عن حراك السبعينيات الطلابي في أولها، والشعبي في أواخرها، وتتناول علاقتها بالسياسة والتنظيم. كما تؤمن بأنّ تغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية سينعكس على أوضاع المرأة وحقوقها ويرفع عنها الظلم، فهي ترى أنّ قضايا المرأة غير منفصلة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. لذا حين شاركت في وضع برنامج حزب "الكرامة" ولائحته التنفيذية كانت ضد تأسيس لجنة للمرأة في هذا الكيان الجديد.

هذه الشهادة، اعتمدت على مقابلة أجرتها عالية مرسى في 6 آب/أغسطس 2020.

ماركسية وناصرية وسلفي وثلاثة أخوة آخرين

أنا وفاء عبد السلام المصري، مواليد 1960، اسم الشهرة وفاء المصري. محامية، مهتمة بالعمل العام منذ الدراسة وتحديدًا أيام المدرسة، ودا تبلور أكثر لما بقي عندي اتجاه أيديولوجي وأنا في الجامعة، في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات. عملت في أكثر من مجال متصل بالعمل العام، زي العمل السياسي الحزبي، وفي الحركات الشعبية المتنوعة، وفي الجمعيات اللي لها خلفية خاصة بمساعدة المرأة على

المستوى القانوني ومستوى الوعي بشكل عام.

من أسرة نقدر نقول عليها ميسورة الحال، من الطبقة المتوسطة، الشريحة العليا إلى حد ما. والدي كان يشتغل مكاول في الخليج، والدتي ربة بيت، إحنا ست أخوات، وأنا رقم خمسة، قبل الأخيرة. فيه 3 عندهم اهتمامات بالعمل العام والعمل السياسي بمناحي سياسية مختلفة ومتعارضة تمامًا. وباقي الأخوات انصور إنهم معندهمش موقف أيديولوجي، لكن برضو مهتمين بالموقف العام اللي ممكن يكونوا يشتبكوا بالقضايا والأمور العامة دون أن يخرطوا. طبعًا لغياب الأب طول السنة كانت والدتي باعتبارها ربة بيت وما نالتش من التعليم مستوى عالي، لكن كانت تعتمد على وعيها الفطري وذكائها زي أغلب الأمهات المصريات إنها تدبر العلاقة ما بين على الأقل ثلاثة من مختلف التوجهات بشكل متباين، سلفي وماركسي وناصري. يعني فيه عداء أيديولوجي ممكن ينعكس بشكل أو آخر حتى على العلاقة الأخوية والإنسانية. يعني ممكن يكون ما بيني أنا وما بين أختي الماركسية، بالعكس كل واحد فينا أفاد الآخر بالقراءات، خصوصًا إنها كانت أكبر مني، فعلاً اتعلمت منها كثير جدًا. لكن كانت العلاقة فيها التباس واشتباك مع السلفي، لكن كانت أمي بتلعب دور مهم جدًا في المسألة دي. أخواتي التانين اعتقد إنهم كمان تأثروا بقراءتنا ومكتبتنا اللي كنا بنكوتها في البيت، نقدر نقول إننا دعمنا فيهم موقفهم الليبرالي حوالين فكرة الحريات والعدالة الاجتماعية. كان فيه تناغم إلى حد ما في آراء الأخوات. أتصور أختي اللي أكبر مني هي اللي كانت السبب في جبي للقراءة والاطلاع والانضمام إلى مجموعات مختلفة في الثقافة، وكتابة الشعر، كل ما هو متعلق بالبحور وكتابة الشعر، ودي كانت مرحلة في إعدادي أكثر منها في أي وقت آخر. وكانت مرحلة انتهت فيها فكرة كتابة الشعر، لكن فضل جبي لقراءة الشعر بأشكال مختلفة. أختي دي رحلت وكانت كاتبة وصحفية وتركزت أربع كتب، أنصور إنهم عملوا جدل شديد جدًا وخصوصًا في وسط الحركة السلفية و"الإخوان المسلمين" تحديداً، لأنها كانت بتدخل في مناطق شائكة متعلقة بالمرأة وحقوق العمال. بالنسبة لي أنا كانت اهتماماتي بالعمل العام من خلال العمل الاجتماعي أكثر من إنه سياسي بحت، إلى مرحلة الجامعة، كنت يقوم بعمل اجتماعي من خلال اللجنة الاجتماعية سواء في المرحلة الإعدادية أو الثانوية. بعد كده لما اخذ البعد سياسي وعرفت إن فكرة مساعدة الآخرين مش ممكن تغير الوضع العام وإن المسألة متعلقة بالسلطة اللي تدبر البلاد وإيمانها بأنها عدالة اجتماعية

1 سناء المصري: ناشطة سياسية وكاتبة لها العديد من المؤلفات منها هوامش الفصح العربي لمصر

من خلال منظومة سياسية واقتصادية، ومن خلال إتاحة الفرصة للمشاركة عبر تكوينات سياسية مختلفة، وبالتالي أنا في الجامعة بدأت أقرب من المجموعات السياسية المختلفة. جامعة الإسكندرية كان فيها حاجة اسمها المربع النظري، التي هو كليات الحقوق والآداب والتربية، دي كانت مركز للمجموعات السياسية من الطلبة. لكن لما دخلتها في 1979، كنا على علاقة بباقي الكليات، كليات الطب والهندسة، رغم إن الكليتين دول تحديدًا كان يتركز فيهم "الإخوان المسلمين" والجماعات الإسلامية، لكن كنا على علاقة بالطلبة المسيحيين. وكان في الوقت دا 1979 و1980 كان العمل السياسي في الجامعة يتركز حوالين نقطتين، النقطة الأولى حوالين تغيير اللائحة الطلابية لأن السادات كان وقتها عمل لائحة طلابية مختلفة عن اللائحة اللي كانت موجودة اللي كانت إلى حد ما ديمقراطية تدي فرصة للطلبة إنهم يشاركوا في العمل السياسي وإنهم يعتبروا عن آرائهم من خلال الأنشطة السياسية بشكل مباشر. أما لائحة 1979 قيدت العمل السياسي جوّة الجامعة وقلت الزمن هو المستولي على حركة الطلاب والحركة السياسية والثقافية جوّة الجامعة، كانت دي قضية أساسية بنشتغل عليها في الجامعة سنة 1979، وكان السادات عمل اتفاقية كامب ديفيد المشؤومة اللي بنعاني من آثارها إلى الآن وعلى الوطن العربي أكمله والقضية الفلسطينية، وكانت القضية الثانية اللي كنا بنشتغل عليها جوّة الجامعة.

ناصرية تبحث عن حزب

كان فيه أحزاب لا تعتبر بشكل مباشر عن أفكارنا، هو كان فيه "التجمع" و"الوفد" و"الحرار"، إحنا كنا نصيرين كنا بنحلم يبقى فيه حزب سياسي يعتبر عن أفكارنا، بالنسبة لنا فكرة الوحدة العربية والحرية والاشتراكية وفي قلب كل اتجاه من دول كانت القضية الفلسطينية هي قلب أي مشروع تتبناه. كان فيه اختلاف أيديولوجي أو اختلاف سياسي بينا وبين كل الأحزاب الموجودة وبالتالي أنا بتكلم عن نفسي رغم إن فيه ناصريين آخرين انضموا لحزب التجمع واعتبروا إن دي مرحلة إنتقالية وممكن يكون بعدها الناصريين عندهم قدرة وقوة يشكّلوا حزب، لكن دا كان موقف يخصهم. أنا بالنسبة لي لم أنضم إلى أي حزب من الأحزاب إلى أن أبقى في الحزب الناصري سنة 1992. لكن في ما يخص العمل في الجامعة بسبب اللائحة الطلابية واستخدام القضية الشديدة على كل اليسار والقوميين، بدأ ينعكس على المناخ العام جوّة الجامعة وبقى فيه تضيقات على حركتنا. إحنا فيه حاجتين بنستخدمهم تعليق المجلات ودي كانت لغة الحوار والخطاب بينا والرسالة اللي إحنا بنبعثها للطلبة، وبنعتبرها هي الأداة اللي ممكن تأسس الحوار بينا وبين الآخرين

ونقل لوجهة نظرنا. الحاجة الثانية إننا نعمل تظاهرات داخل الجامعة، كان لسه مكنش فيه تحرك خارج الجامعة في أشكال تظاهرات. كنا بنجوب الجامعة والمربع النظري نطالب بإعادة لائحة 1976، ونعلن رفضنا لسياسات الدولة في ما يخص علاقتها بالقضية الفلسطينية. في الوقت دا كان السادات يدعم جامد جدًا الجماعات الإسلامية، والأمن مكنش يتعامل معنا بشكل مباشر هما كانوا ساببين الجماعات هي اللي تتعامل معنا، وكانوا يتعاملوا معنا بعنف شديد جدًا، أقل حاجة فكرة إنه يقطع لنا المجلة بتاعتنا ويجي يتكلم إن دول شيوعيين وكفرة ويبدأ يخوف الناس اللي وافقة نتحاور معنا بفكرتنا المتعلقة بالأعمال الاجتماعية والدول العربية كلها لازم تكون موحدة في مواجهة إسرائيل وعازية تسيطر على الوطن العربي وكل ثرواته وتمحي تاريخه، كان يبقى فيه استجابة بالمنطق الوطني دا وقطاع واسع من الطلبة اللي بيسمعونا، لكن طبغًا أول ما تبدأ الجماعات في مسألة إن دول ملحددين وكفرة، كانت الناس مسألة الدين تظل مسألة فارقة عند الشعوب العربية بشكل عام وعند المصريين بالذات، بدأت الناس تتفرق واللي يبقى اللي عنده وعي وعنده اختيارات وفاهم إحنا بنتكلم عن إيه وإيه مشرونا السياسي للبلد وببطلوا معنا. أقل حاجة فكرة إنه يقطع لنا المجلات أو إنه يروح يبلغ الأمن عنّا بشأن ممكن يبدأ يتعامل معنا بشكل فيه قدر من العنف، العنف وقتها لا يقارن بما يتم الآن على الإطلاق. اللي كان يتم معنا اتصور إنه حاجة كده كأننا في الجنة، لكن كان ممكن ما يخلينا نأش ندخل من بوابة الجامعة بسهولة، هو طبغًا مكنش يقدر ميدخلناش خالص، يستوقفنا، يعطلنا، حاجات من النوع دا. الجماعات بشكل واضح لأنهم كان عندهم صلاحية في إنهم معتمد عليهم في القضاء على كل الأفكار اليسارية والقومية وإن أنتم هتبقوا في صدارة العمل السياسي، طبغًا إحنا عرفنا لما تم الاعتماد عليهم وتوليهم العمل السياسي وانتشارهم وإنهم اتقبلوا على السلطة الحاكمة في الوقت دا وما حدث مع السادات وقتها، تواجدهم على الساحة لحد منتصف التسعينات، أنا بتكلم على الجماعات الإسلامية تحديدًا، كانوا موجودين بقوة وبدأوا يستخدموا العنف بأشكال متعدد جوّة مصر. وبدأ القبض عليهم وحبسهم لفترات طويلة واستخدم معهم كل أساليب العنف، لكن في نفس الوقت مكنتش متنبهة لخطر آخر، كان صوته بيسمّع ولم يعمل ومكنوش في الصدارة وقتها، اللي هما الإخوان المسلمين اللي بدأوا يظهرها من فترة نهاية الثمانينات ويتوالى مشهد وجودهم لحد ثورة 25 يناير. في الجامعة بدأت أبقى قريبة من مجموعات سياسية، وفي الأول حببت أسمع من كل الاتجاهات السياسية بشأن كمان أنا عارفة أنا قريبة من

مين لكن حيث أثبت دعائم تفكيري إنني أبقي منفتحة على كل الأفكار وأشوف أنا بالنسبة لي حلمي رايح اتجاه إيه. وتأكد في الجامعة في سنة 1981 تحديداً إنني أبقي مع مجموعة الناصريين الموجودين داخل جامعة الإسكندرية.

ناصريون قدامى وجدد

يمكن قبل انخراطي جوة المجموعات الناصرية بشكل منظم، كان في المنظمة هي اللي كانت تفرغ كوادر سياسية بشكل عام، سواء اللي كانوا مهتمين بالتجربة الناصرية أو تنظيمات سياسية مختلفة. أنا لم ألتزم لمنظمة، يعني أنا مش خريجة المنظمة، منظمة الشباب، تحديداً، لكن أغلب القريبين مني اعتبرهم من فتح لي آفاق الدخول للناصرية كان أغلبهم خريجين منظمة الشباب. لكن هما كانوا بيحلموا إنهم يخرجوا برّة الأطر السياسية اللي اتعملت في ظل دولة جمال عبد الناصر، ودا كان أول منطلق تجديدي للشباب الناصريين إنهم مش رهن للتجربة من كل ما فيها من إيجابيات وسلبيات، لكن هما بالنسبة لهم المبادئ والخطوط العريضة، اللي كان بيشتغل بيها مشروع جمال عبد الناصر وإنهم يظلوا متمسكين بعلامح هذا المشروع لكن عليهم إنهم يخلقوا آليات جديدة للعمل السياسي والعمل الشعبي. وكان يبصوا للتجربة ينتقدها ما ينقلوهاش أو يخذوها بكل تفاصيلها باعتبار إحنا زي الأنصام. التقطين الأساسيتين دول كانوا كمان عاملين أساسيين في إنني أحس بتكويني العقلي والذهني، إنني أكون مع المجموعة دي وكان فيه مجموعة من القراءات والحوار مع الآخرين، أنا حسيت إن الناس ينتقل تجارب حدثت في أماكن وبلاد أخرى وفي أزمنة متعاقبة، هما بيشوفوا إنها تطبق بالطريقة دي، كانت نقطة أساسية بالنسبة لي خلتنني أشوف إنه للوطن العربي معطيات وتاريخ وعوامل بتقرب الشعوب العربية من بعضها تساوي إنه يبقى شعب واحد حتى تزول الحدود من بلاده، مصيره وتاريخه واحد وبالتالي عدوه واحد. وبالتالي العوامل خلتنني أكون مع الناصريين، هو طبعا اتعمل في آخر السبعينات "مؤتمر ناصر الأول"، وبعده في أوائل الثمانينات اتعمل "مؤتمر ناصر الثاني"، وأنا لم يحالفني الحظ للأسف في الفترة دي إن أنا أشارك في المؤتمرين دول في القاهرة، وكان صعب إنني أروح وأشارك وأبات في القاهرة، وبالتالي بعد كده اهتمت أقرأ في كل الدراسات المتقدمة في المؤتمرين دول عشان يبقى فيه مواكبة للأفكار الجديدة. كانت في إطار إننا نخرج برّة التنظيمات اللي اتعملت في ظل سلطة دولة جمال عبد الناصر ورجاله وإننا نعمل تنظيم شعبي. وبالتالي طول الوقت الناس بتفكر إن هي تعمل الحزب بتاعها، ولم ننجح إلا يعني لما كان في الأول اتعمل

"الناصرى الديمقراطي" - تحت التأسيس - وكان الأمين العام بتاعه أو المؤسس وكيل المؤسسين الأستاذ فريد عبد الكريم، لما تقدم للمحكمة ورفضت هذا الحزب، وبعدين توالى التجارب لحد 1992 لما تقدم عن "الحزب الديمقراطي الناصري" مؤسسينه الأستاذ ضياء داوود، وتم قبوله، ودا كان أول شكل سياسي معلن ننضم إليه. قبل كده كانت مجموعات بمعطيات الفترة وقتها، مكنش مسموح أي مجموعة تعمل عمل سياسي معلن كُنا اخترنا في ما يشبه عمل سياسي غير معلن. فضلنا فيه من 1984 لحد ما تم الإعلان عن الحزب الناصري، وبالتالي اللي هو غير معلن تم تفكيكه وبالتالي انخرطت في الحزب المعلن.

ومن أهم المحطات في حياتي اختيار الاتجاه الأيديولوجي اللي حسيته معبر عن كل آرائي، من خلال قراءة اللي كنت بدأتها من ابتدائي لحد ما دخلت الجامعة، وكنت مش عارفة الأفكار اللي عندي وتطلعاني حوالين إنني أغير الواقع المحيط بي، من أول إن الناس تكون قادرة تعبر عن آرائها وتشارك في اتخاذ القرار، يكون لها أشكال سياسية معينة شرعية بدون أن تكون مهددة بأي حال من الأحوال، أن يكون فيه عدالة اجتماعية حقيقية وما يقاش فيه فجوة بين الطبقات زي ما الواحد شايف، إن يبقى فيه فرصة لكل الناس تأخذ حقوقها في التعليم وفي السكن والصحة، من غير ما يبقى فيه تفاوت ما بين الطبقات بالشكل اللي كان وما زال موجود. كان الواحد مهموم دا بتحقيق إزاي، أنا كفرد مش ممكن أحقق حاجة وبالتالي أنا محتاجة ناس تؤمن معايا بنفس التفكير دا أبقي فعالة في وسط جماعة سياسية. بالتالي لما دخلت الجامعة جوة الفكر الناصري، دي كانت نقلة في حياتي. النقلة الثانية، بعد ما فشلنا في استمرارنا في الحزب الناصري، اللي كُنا متخوفين منه طول الوقت إن المهيمن على فكرة مشروع عبد الناصر رجال دولة جمال عبد الناصر، هذا التخوف تبلور جوة التجربة في الحزب الناصري، لأن هما كانوا متصورين إنهم ما زالوا جوة السلطة، وإن باقي أعضاء الحزب من الأجيال المختلفة هما ما عليهم إنهم يستجيبوا لأفكارهم وقراراتهم بدون مناقشة أو حوار. وكانت التجربة انتهت بخروجنا من الحزب سنة 1996. وكان حلمنا طب إحنا نعمل إيه، كان طول الوقت 1990 بنحلم إن يبقى عندنا تنظيم سياسي واسع ومن خلاله يكون عندنا قدرة للتواصل مع الجماهير والتعامل معهم بشكل مباشر وبقى بؤرة توير للناس، وحشدهم حوالين المواقف الوطنية والقومية وقضية فلسطين تحديداً. فضلنا من 1996 لآخر سنة 1998 لحد ما اتبلورت فكرة إننا نعمل ونأسس حزب جديد "حزب الكرامة" تحديداً، وإننا نواجه فكرة الناصريين بشكل عام إنهم هيقوا ضد الفكر، عشان هما شايفين إن التجربة تتكرر بنفس الطريقة.

إن يبقى كل الناصريين جوة حزب واحد، الحزب الواحد هو التعبير عن الفكر الناصري. إحنا من خلال حواراتنا ومناقشتنا لقينا إن فيه هدف لكن يبقى فيه تعدد في الأداء، ويمكن يبقى في أحزاب ناصرية متعددة لكن الهدف واحد والآليات متعددة. فكرنا إننا نخوض التجربة رغم الرفض الشديد جدًا من قيادات ناصرية جوة مصر وبرة مصر في العالم العربي كله، شافوا إننا بنكسر في المفهوم الناصري، وعلى العكس إحنا شايفين أننا بنطور في مفهوم الفكر الناصري مش بنكسر في مفهومه ومبادئه. في آخر 1998 قدرنا نحصل على حكم من لجنة الأحزاب إننا نأسس "الكرامة"، دي كانت المحطة الثانية وانتصار سياسي لأفكارنا، وبعد 22 سنة إننا كُنا صح، وإن العمل السياسي لا يمكن يدخل في إطار الأداة الواحدة، كل النظم السياسية في العالم تطورت وخرجت من تعدد آليات العمل السياسي.

أسئلة طبقية

كان زمان مفيش مدارس خاصة كتير أيامنا في الستينيات، لكن كل المستويات الاجتماعية يتعلم في المدرسة الحكومية وهي مدرسة الدولة. ممكن على التختة جنبك مستويات اجتماعية متفاوتة جدًا، من أول إن فيه حد ابن رجل أعمال كبير أو حد مستواه الاجتماعي زي من الطبقة الوسطى أو حد ظروفه الاجتماعية متدنية جدًا، كل دول في فصل واحد وبيتعلموا مع بعض على فكرة في فترة الستينات وبداية السبعينات. لكن أنا بالنسبة لي إن يبقى فيه التفاوت دا هم بالنسبة لي بشكل فطري وتلقائي، وأنا في المدرسة لي يبقى دا فيه المستوى دا وليه مش عايشة في نفس ظروف لي له لَمَّا أبقى عابزة حاجة يعملها، ولَمَّا تبقى فيه رحلة أو يوم المدرسة عمله أقدر أشارك فيه ودي متقدرش، وكانت دي أسئلة أروح أقولها لأمي، هي بس أمي كانت تقول لي: "هو ربنا خلق الناس كده". هي كانت تقول إن ربنا خلق الناس طبقات وإن كل الناس مش زي بعضها. طب ليه الناس مش زي بعضها، طب أنا مش شيهك، ولا إنني شيهي، لكن فارقة إننا قادرين نأكل أكل لويس مع بعض، إننا نعمل حاجات كويسة مع بعض، بس دول مش قادرين يعملوا زينا لي! بيان الشكل مبسط في بداية التفكير حوالين ليه الناس مش عايشة كويس زي بعضها، ليه في حد محروم قوي، وحد قادر يلتي كل طلباته. الحاجات دي تخليني انخرط جوة العمل الاجتماعي داخل الجامعة والمدرسة، وكانت ظروف في معرفش لأن أنا مهتمة حقيقي بالموضوع دا كانت دائمًا المسؤولية الاجتماعية في المدرسة سواء ابتدائي أو إعدادي أو ثانوي وإحساسهم إنني صادقة جدًا وإنني عابزة أقدم حاجة للمحيط اللي حواليا. كنت دائمًا أبقى

رئيسة اللجنة الاجتماعية في الثلاث مراحل من التعليم، كنت أبقى فاعلة بأفكار وأنشطة أنصور إنها كانت مفيدة في وقتها. الأسئلة المقترحة حوالين تفاوت أحوال الناس وعدم توفير حاجات كتير للناس كان هو المدخل الرئيسي والأساسي لاهتمامي بالعمل العام. ظل لحد فترة ثانوي إن علاقتي بالعمل الاجتماعي من خلال المدرسة ومرت علينا حرب أكتوبر في الوقت دا وكنت في أولى إعدادي، مكنتش يكتفي بس زي باقي الزملاء إن ممكن نزور المصابين الجنود والمصابين في المستشفيات، لكن أنا كنت كمان حريضة أعرف من الجنود أسرهم عاملين إيه، ممكن أروح أزورهم وكنت بعمل دا، وإنني أروح أزور المجندين بالذات أو اللي هما ساكنين في الإسكندرية، كنت بقدر اخذ مجموعة من الزميلات في المدرسة وكمان يبقى معانا المشرفة الاجتماعية ونروح نزور الأسر دي، ونقدم مساعدات بسيطة جدًا، وقتها المجتمع مكنتش لسه فيه حركة الاستيراد الواسعة، ولا المجتمع المفتوح ولا حركة الاستهلاك اللي إحنا بنعيشها دلوقتي وكانت كل حاجة محدودة جدًا. لكن في ظل المحدودية دي كُنا قادرين إننا نعمل حاجة للأسر دي ونطمئنهم على أولادهم، ناخذ لهم علبه حلويات، حاجات في هذا الإطار. كل دا خلاني حاسة طول الوقت إنني مبقاش عايشة لنفسني، أبقى عابزة أعيش للناس وأقدم لهم حاجة. تبلور دا بالفكر السياسي إننا لازم يبقى عندنا منظومة سياسية عادلة لكل الناس.

ليست انتفاضة حرامية

في انتفاضة 1977 أنا كنت في أولى ثانوي، وقتها كانت مدرستي بعيدة عن البيت وكنت بركب ترام محطة الرمل، لكن وقتها كل وسائل المواصلات توقفت تمامًا والناس بدأت تبقى بكثافة في الشوارع، اخدت أنا المشوار دا للبيت حوالي عشر محطات ترام عقبال ما وصلت لبيتنا على رجلي. المدارس والجامعات أغلقت أيامها، وبعد ما تم افتتاحها مرة ثانية، أنا لَمَّا رجعت المدرسة ودي نقطة أنا يعتبرها نقلة في حياتي فعلاً. قررت أكتب مقال وأعلقه في مجلة عشان أقول إنني شايفة إن دي مش "انتفاضة حرامية" زي ما يقول الرئيس، لكن دي انتفاضة ناس حرمت من كل حقوقها وبتعاني من كل أشكال المعاناة في الحياة وإنها بتطالب بحقوقها إنها تعيش حياة كريمة. وعلقت المجلة دي، وكنت مستخدمة في الوقت دا برضو سلطتي إنني رئيسة اللجنة الاجتماعية وتجاوزته ومكنتش إذن حد في إنني أعلق المجلة. ومشرفة اللجنة الاجتماعية ندهت لي: "إنتي أسأذنتيني؟" قلت لها لا أنا آسفة، دا رأيي وحبيت أوصله لزميلاتي. ما كان من المشرفة غير إنها كتبت تقرير ورفعته للمديرة، والمديرة بناءً عليه رفدتني 3

من غير ما تتمحي شخصيتها، وبدأت أحط الأفكار دي في إطار التجربة، أتصور لأن أنا اتعرفت على زوجي في الجامعة واتخرجنا وهو كان يسبقني بسنتين، ولما قررنا ترتبط فضلنا عيش في القاهرة، وأنا من إسكندرية وهو من دمنهور، لكن القاهرة بؤرة الثقافة والسياسة وبالتالي عشنا بعيد عن أهلنا وأسرنا، ومفيس حد يساعدنا ولا على مستوى تربية الأولاد، ولا على مستوى إننا نسيب أولادنا عنده. لكن أنا زوجي حد متفهم ويحترم المرأة ودورها، وفاهم يعني إيه إنها تملك مساحة إنها تشارك في المجتمع. الواحدة كانت متخوفة إنه يدخل في إطار صدامي، لكن أتصور إنني نجحت، مفيس حاجة حصلت في بداية زواجي على المستوى السياسي غير لما كنت بشارك فيها، حتى لما كانت الطفلة صغيرة كنت باخدها في المظاهرات والاجتماعات وفي كل حاجة، كنتش فيه عائق بالنسبة ليّ خالص، وكان فيه حاجات ممكن أنزل أشارك فيها وهي تبقى مع باباها، أتصور التجربة دي بالنسبة ليّ نموذج لأوضاع المرأة بتعلم إنها ما يقاش فيه معوقات وتفضل مشاركة في الحياة، نجحت في دا لحد كبير.

1986، كان فيها واقعتين من الأحداث اللي برضو ساهمت في تشكيل وعي الواحد: سليمان خاطر، الجندي البطل الشجاع اللي كان بشكل تلقائي وفطري جدًا عارف يعني إيه قدسية أرض وطنه ولا يدنسها الأعداء بأي حال من الأحوال، ولو دا حصل إنه هو يفدي وطنه بروحه، هو عمل دا لما مجموعة إسرائيليين حاولوا إنهم يتخطوا الحدود ويدخلوا حدود مصر من طابا وهو أنذرهم، "لا ما تتخطوش"، ورغم كده مسمعوش أمره وأطلق عليهم النار. سليمان خاطر اتحبس، وكان المفروض إنه يتحاكم ولكن قبل المحاكمة كان مشنوق جوّة الرزّانة، وقيل وقتها إنه انتحر. هذا الشاب البطل اللي دافع عن أرض مصر وقف في المحكمة قبل الحكم ويقول: "أنا مش خايف من الموت بالعكس أنا لو خفت معناه إن كل المجندين المصريين هيخافوا ومش هيجموا حدود مصر أنا مش خايف من الموت". الواقعة دي كانت في يوم ميلاد بنت أخويا أول حفيدة توصل لليلة وهي ماهينور محمد المصري بنت أخويا، اليوم دا من الأيام المحفورة في ذهني بتأكد فكرة إن المواطن المصري سواء كان جندي أو مواطن عادي يملك الوعي والفهم حوالين من هو عدوه الرئيسي بدون أي لبس، وفاهم دوره اتجاه هذا العدو إنه هو قضية وجود مش مجرد اختلاف على أرض أو حدود، الناس دي بتدافع بكل ما تملك إنها تقضي علينا، وإحنا كمان شايفين إن الصهيونية طول ما هي موجودة دي خطر على الوطن العربي كله مش على فلسطين فقط. بدأت فكرة القومية العربية وأهمية القضية الفلسطينية، هي الأساس لوجود العرب. رسالة سليمان خاطر في

أيام لأنني تجاوزت وقلت رأيي السياسي في المدرسة، ودي مدرسة المفروض يكون فيها اهتمام بالتعليم بعيدًا عن آرائنا السياسية. أنا طبعًا مقدرتش أقول لأمي أنني اتعرفت من المدرسة، وبقيت أقوم الصبح البس لبس المدرسة وأركب الترام عادي وأفضل رايحة جاية بالترام لحد ما اليوم الدراسي ينتهي. لما رجعت بعد 3 أيام دول، مدرّس اللغة العربية ناقشني وقال لي: "إنتي إزاي تقولي كلام مختلف عن اللي بيقوله الرئيس! الرئيس هو أدري بكل شيء"، قلت له لا، الرئيس بيدافع عن مصالحه مش مصالح الناس. أنا فاكدة اليوم دا كويس جدًا، اليوم دا من الأيام اللي خلّتي أدور على شكل أو مجموعة أو ناس تفهم اللي أنا فيه ومتشككش في اللي بقوله، تختلف معايًا ممكن، لكن ما توجهش ليّ إهانة، أو تقول إن دا مش من حقي بأي شكل من الأشكال. في الحالة دي دورت على حاجة أروحها بشكل منتظم مكان في "ثقافة الحرية" في الإسكندرية، المكان دا اعتقد إنه ساهم في كتير قوي في بناء تفكيري وتفتيح آفاق متعددة، لأن المسألة برضو مش العمل السياسي بس لكن بدأت كمان أشوف إن فيه مجموعات مهتمة بالمسرح والشعر والفن، ودول بيداولوا يقدموا رسالة وعي مش بالضرورة تحسبها مباشرة، لكن رسالة وعي إنسانية لكل البشر، دي كانت إضافة ليّ جديدة إن مش العمل السياسي بس اللي ممكن يغيّر، دا فيه آليات أخرى ممكن تساهم في تنوير الناس وبناء الوعي، بناءً عليه الناس هتفهم حقوقها أكثر ونطالب بشكل منظم وسلمي. الأفكار دي اتدبت عندي وأنا في "ثقافة الحرية" لحد ما انتهيت من مرحلة ثانوي بعد كده مبعثش أروحه. بالنسبة ليّ نقلة في التشكيل والوعي السياسي وفي محاولة إن الواحد ميقاش صدامي مع آخرين، لأن حتى الناس المختلفة معاك أي أو الناس اللي هي بتشوف إن مش المفروض نختلف مع السلطة، والسلطة هي اللي عارفة مصالحتنا، الناس دي محتاجة قدر من الوعي، ومحتاجة إن تعرف مصالحتها مش بالضرورة مع كل اللي بتعمله السلطة، الحاجات دي كلها تخلي الواحد أكثر مرونة وأكثر قدرة على التعامل مع الناس عشان لما يبقى الواحد في عمل شعبي قادر على إن الناس تتقبله ما يقاش حد في إطار وجهة نظره.

حدث في 1986

سنة 1986 كان بالنسبة لي عام فارق في حياتي على المستوى العام والخاص. المستوى الخاص أنا تزوجت في أوله، وفي أواخره زوّجت بأول طفلة ليّ، وكان بالنسبة لي الأفكار اللي أنا متبنيها حوالين حرية المرأة واستقلالها وبناء شخصيتها وتكون قادرة إنها تدير علاقة أسرية صحيحة

الوقت دا خلتنى اتمسك بعروبتي وقوميتي وبالفكر الناصري أكثر من أي وقت سبق. واللي حصل فعلاً إننا انخرطنا في العمل السياسي بعد كده وكان ينصب على القضية الفلسطينية أكثر من أي شيء آخر، ودا اللي خلانا لحد سنة 2000 تقريباً أو 2003 بعد الغزو الأمريكي للعراق، كنا أغلب القوى السياسية ومنها إحنا كناصريين بنشتغل على القضية الفلسطينية، وطاقت محدودة بتتكلم لأن كان بدأ من 1989 فكرة القطاع العام والخصخصة وتشريد العمال، وكان فيه مجموعات بتشتغل على القضايا الداخلية المتعلقة بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية. لكن مكنتش برضو بالقوة المطلوبة وقتها، لكن كل تركيز العمل السياسي في الحزب الناصري أو الأحزاب الأخرى كان أغلبه ينصب على القضية الفلسطينية. بعد الغزو الأمريكي على العراق بدأنا نصحى ونقول إن الوضع مبقاش قضية فلسطين وبس، دا واضح إن كل الوطن العربي هيتحول إلى فلسطين أخرى، إلى شعوب مشردة، إلى شعوب لا تملك من أمرها شيء وإن الأمر متعلق بالأوضاع السياسية اللي تحكمنا، أنظمة سياسية مستبدة اللي بتتعامل مع العدو وتعترف به، وإن المفروض نضالنا يتركز في مواجهة النظم الداخلية. وبدأ بعد كده وتحديدًا مع كفاية 2004 لما بدأت حركة كفاية، وأنا لى الشرف إنني من الناس اللي مؤسسين لها في الأول. وبدأنا نشغل على القضايا الداخلية وكان من نتيجة دا إننا عملنا حملة "لا للتعدد ولا للتوريث"، اتشكلت مجموعة 6 أبريل، ووقفنا وتضامنا مع مجموعات عمالية كثيرة جداً. بدأت تتشكل حركات احتجاجية، كل ما تم كان مقدمة لثورة 25 يناير ورجيل مبارك.

التغيير سينعكس على وضع المرأة

من السبعينات الجماعات الإسلامية أو المتأسلمة، وبعدين "الإخوان"، شربوا المجتمع كل الأفكار المناهضة لحرية المرأة وأفكار تنظر للمرأة على إنها الكائن الأضعف، الكائن الأقل، ينظروا له بدونية. دا موجود. وأنا محامية وكان صعب حد يثق في امرأة وتقبلتها في المدني والتجاري والضرائب، لكن يصعب تثق فيها في مسألة الجنع والجنابات. في الآخر إنني بعد سنوات طويلة بتقيمي قدرتك على تغيير هذا الوضع، في صعوبة في تغييره لدى وعي الناس بشكل عام. أنا من المدرسة اللي بتشوف إن تغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية هاتعكس نفسها على أوضاع المرأة وحقوقها وترفع عنها الظلم بأشكال كثيرة جداً. لكن الحركة النسائية في مصر أغلبها يتميز إنها بتناضل على قضايا منفصلة، لها علاقة بحقوق المرأة بصرف النظر عن المحيط السياسي والاجتماعي. علاقتي بقضايا المرأة مش بشكل نسوي، ولا بشكل منفصل عن الأوضاع الاجتماعية

والاقتصادية، وبالتالي لما كنت بشارك في وضع البرنامج واللائحة التنفيذية لحزب الكرامة² كنت ضد إن يبقى فيه لجنة للمرأة، وإن المرأة تبقى موجودة في كل المستويات الحزبية، ومن خلال نضالها العام للوطن تتكلم عن القضايا المرأة بشكل عام. دا طبعا لا ينفي إنني بحارب عشان بتغير قانون الأحوال الشخصية، وفيه مواد بالتحديد تمثل منتهى الظلم للمرأة المصرية، بالتأكيد بعمل دا. لكن لا اشتغل على قضايا المرأة بشكل نسوي منفصل. علاقتي بالمنظمات والمراكز المهتمة بقضايا المرأة، أنا ممكن مبقاش عضوة رئيسية فيها، لكن أنا بشارك في أنشطتها بشكل أو بآخر من خلال التوعية القانونية، ومن خلال رفع الظلم عن المرأة من خلال رفع قضايا متعلقة بالأحوال الشخصية في المحاكم. أنا عضوة في أكثر من جمعية نسائية لكن مش بشتغل بالمنطق النسوي. الأجيال السابقة مثلاً أضافت لتاريخ العمل السياسي والعمل العام بشكل عام، علاقتهم أو بجهودهم الشخصي، لأن فيه ظلم يطول المرأة في مصر بشكل واضح وصريح. لو إحنا بنعاني من غياب الديمقراطية وغياب لتداول السلطة والتمثيل الواسع، المرأة فعلاً في كل التشكيلات السياسية والحركات الاجتماعية الواسعة يطولها الظلم في إنها نمثل في المستويات القيادية. أعتقد كانوا مش راضين، لكن الوضع محتاج تغيير وإنهم لسه بيناضلوا في إطار إنهم يوصلوا للتمثيل العادل في كل المستويات. الناس دي ما أخذتش حقها خالص.

الحركة النسائية حققت مكاسب زي دخول المرأة مثلاً في مجال القضاء أو العمل الدبلوماسي، كلها حاجات الدولة أو المسؤولين في النظام الحاكم عشان بيعتوا رسائل للخارج إنهم يقدروا المرأة ويدها حقوقها، رغم كده هي مكاسب حقيقية لكن ما هياش تتويج لنضالنا، ولكن هي للأسف كانت بتتعمل بمفهوم آخر، من أجل الخارج أكثر من كونها للمرأة اللي تستحق هذه المكتسبات، دا اللي كان بيحصل طول فترة السادات وفترة مبارك، وإحنا مش حاسيين في فترة الـ 7 سنوات دول إننا اخدنا أي مكتسبات على الإطلاق، بالعكس بيتتم اجترأ من مكتسباتنا، وبنتستخدم أماً المكتسبات الأخرى عبر نضال المرأة، إن المرأة تكون موجودة، وتحارب عشان مكان، ويبقى من حقها تبقى في قطاعات متعددة من المهن، وتتحدى المجتمع وتدخل فيه، كل دا إن لو قطاعات محرومة منها هي بتتحدى وتدخل فيها. أتصور إن كل دا نضال المرأة المصرية العادية بدعم من المجموعات النسائية اللي متبينة قضايا المرأة.

2 تعود خطوات تأسيس هذا الحزب إلى أواخر سنوات حكم مبارك، لكن لجنة الأحزاب رفضت أكثر من مرة تأسيسه، ولم يزل هذا الجدل المواقفة إلا بعد النوره في آب/أغسطس 2011. وفي 2017، أعلن الحزب اندماجه مع تجمع "النار الشيعي" الذي تأسس في 2012، وصار اسم الحزب "نار الكرامة".

أو بلغة الكورة، إحنا محتاجين الضربات اللي ممكن تغيّر وعي الناس اللي تخليهم مؤمنين إن كل مواطن له دور في عملية التغيير. إن فكرة الاستقرار مش معناها إن هو يفقد حقوقه، إنه لا يتظاهر ولا يطالب ولا يعبر عن رأيه أو يشارك، كل دا بالعكس يدمر البلد ويبعده عن حلمه إنه يبقى عايش في وطن يحقق له آماله وطموحاته. بالعكس هو لازم يشارك، وللازم يختار، عشان في اللحظة اللي يعبر فيها عن رأيه بشكل سلمي وراء مجموعة مبلورة حلم الشعب وحطاه في برنامج تبقى طرعاها على الناس، والناس مختاراه، إحنا أقرب لتحقيق الهدف بتاعنا ولإنجاح ثورتنا مش العكس. آه الواحد يتعلم من ثورة 25 يناير بكتير جدًا ويراجع أفكار كثيرة.

استعادة وزن وقوة

لما السادات بدأ يعمل قانون استثمار المال الأجنبي، ودخل مصر في نفق الاستيراد بشكل عام، وبدأ الانفتاح والمستثمرين يشتغلوا بدون حدود، وبدأت عملية تغير هوية التصنيع بعد ما كان مصر أيام جمال عبد الناصر كان همها الأساسي عملية التصنيع والتنمية الذاتية والزراعية وبناء المصانع وتشغيل الأيدي العاملة وإعطائها حقوقها ونقابتها. كل دا بدأ بتغير في 1974 مع قانون استثمار المال العربي والأجنبي، ودخول الاستثمار مصر بدون قيود. وبعدين اتفاقية كامب ديفيد اللي حولت مصر من إنها تبقى عارفة مين عدوها الحقيقي، وأصبح العدو صديق. التحوّلين دول بالأساس غيروا وضع مصر، بعد ما كانت قائدة الوطن العربي تجاه استقلاله وأنه يصبح قوة مضافة تفيد العالم، وتقود موجة التحرر في مواجهة الاستعمار وكانت قضيتها الأساسية استقلال الشعوب وقدرتها على إنها تملك قرارها، بدأت مصر تخرج عن وزنها الطبيعي، وبدأت في مرحلة مبارك تكفي بذاتها، وسمعنا عن مصر أولاً، ومصطلحات وشعارات غريبة جدًا بتقل من قيمة مصر. بدأت تخرج عن دورها كقوة وأعدة لوطن عربي قادر على إنه يبقى قوة مضافة، كان ممكن الوطن العربي متعدد الأقاليم يتعاون في اقتصاد واحد، ويبقى عنده جيش يدافع عنه أيضًا، قراره يبقى قرار متناغم مع بعضه في مواجهة عدو واحد. كان كل دا يدي مصر قوة.

كل دا مصر خارج التاريخ وخارج دورها الطبيعي، وبالتالي بدأت تبقى بلا محيط، مكتفية على ذاتها، إمكانياتها باعتبارها بقي لها سنوات خارج إطار التنمية المستقلة، بدأت تعتمد على اقتصادها في الخارج، لقمة عيشنا أغلبها بتيجي من بره، قدرتنا على التصنيع بتقل، الأراضي الزراعية للأسف بتقل وتتحول إلى مبانى، الفلاح بيتظلم ويسافر خارج الوطن. تفككت القوة الاجتماعية جوه مصر، بدأت عملية

الحراك النسوي محطوط له شباك، الشباك أغلبها النظرة الأمنية اللي بتحكم البلد. النهاردا زي مركز التديم اللي شغله ينصب على دعم النساء ومساعداتهم في عنف المجتمع تجاه الستات، أو إنه يحاول يقدم دعم بحيث إنه يستطيع إنه يواجه كل الظلم اللي في المجتمع. مركز التديم النهاردا محاصر ومحروم من إنه يقضي عمله، بأسباب واهية مش حقيقية وحجج لا علاقة لها بالحقيقة. التنظيمات الشعبية المختلفة، الأحزاب تحديداً، ووضع الأحزاب كله في مصر محاصر ولا يستطيع أي حزب إنه ينزل يتعامل مع قطاعات من النساء في الريف والمدن والمصانع، عشان يقدم لها خدمة ويشوف مطالبها عشان يعمل حملات في قضايا مطلوبة محددة. الأحزاب أصلًا محظور عليها إنها تتخطى جدران المقرات بتاعتها وبالتالي مش قادرة تشتبك مع قضايا المرأة أو أي قضايا بشكل عام. النقابات المهنية أصبحت مغلقة على أشخاص موالين لدولة، وبالتالي لا تتطرق لقضايا وهموم ومعاناة أعضاء المهن دي، النقابات العمالية أو النقابات المهنية. أصبحت كل الأظرف اللي من خلالها المرأة تحس وتستدعيها وتقف جنبها في قضاياها المتعددة غير موجودة. وفي حالة التفكك دي مخلية قضايا المرأة النهاردا غير مطروحة على الساحة على الإطلاق.

حتى لا ينفطر الشريط مجدداً

طول عمرنا نأمل في التغيير وإنه يمر عبر الناس، وتحديداً مجموعات الناس العادية ويطالبوا بيه، ويبقى فيه قوى سياسية تتفهم مطالب الناس دي وتبلورها وتحطها في برنامج وتفرضه على القائمين على الحكم، أو يتصدر الحكم أشخاص هما من القوى السياسية اللي بنتق ونأمل فيهم وإنهم يقوموا بالتغيير. هي حالة ثورية اتصور اختبرناها في 25 يناير على ما كان الوضع عليه من عدم وجود قوى حقيقية سياسية مترسخة في الواقع، وترسخها دا يجي عبر إن الناس عايزاها وفي ظهرها ومنظمة حواليتها. الغياب دا هو اللي خلى ثورة 25 يناير تفشل في مواجهتها الأولى، وتفشل في مواجهتها الثانية أيضًا في 30 يونيو.

بالتالي إحنا شايفين عشان يبقى فيه ثورة حقيقية، لازم الثورة تبقى في جذور وعي الناس، والناس تبقى مصطفة حوالين قوة سياسية مختاراه، وموافقة على برنامجها، وفي اللحظة الفاصلة تقدر الناس دي تبقى في ظهر القوة السياسية وتدافع عنها عشان تصل إلى السلطة. إحنا ما عملناش دا في 25 يناير، رغم إن الشعب كله بملايينه ومستوياته الاقتصادية والاجتماعية المختلفة اللي طلعت، مقدرناش إننا ننظمها، أو نحشد حوالين مجموعة تثق فيها الناس، وبالتالي كل الشريط فرط مننا. توعية الناس زي ما يقولوا مصر هتتغير بالنقاط مش بالضربة القاضية

عشان لا ينفذ، تم تنفيذه بشكل آخر.

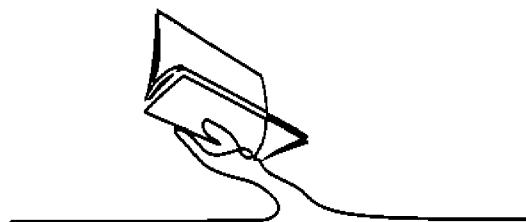
رجوع الأمل

وفيه تغير لوعي الناس، أو الناس بعد ثورة 25 يناير، وإن بعد الثورة مفيش حاجة اتغيرت وفقدت الأمل في كل شيء، وكل شيء أصبح متساوي عندها، إن يبقى الدستور على حاله أو يتعدل أو يتغير مش فارق معاها. الناس دلوقتي في حالة كمون منتظرة إن يبقى فيه فعل سياسي يغير عن ألامها وطموحاتها فعلاً، إن يخليها تحس إن البلد بلدها، قادر إنها تشارك في اتخاذ القرار، قادرة إنها تقول كلمتها من غير ما تتحس أو يتقبض عليها أو تتنكل بلقمة عيشها أو يتشهر بيها، ودي الأشكال اللي إحنا بنعاني منها دلوقتي لأي حد يغير عن رأيه. إن هي تبقى بتشارك في البلد يُعاد تقسيمها مرة ثانية لصالح جموع الناس مش لصالح طبقة معينة محددة. الناس لو حسد دا، وإن فيه جماعة سياسية قادرة على إنها تحمي الحقوق دي وهتفيد باختيارهم عبر انتخابات وصندوق انتخابات حقيقي مش مزور، أتصور الناس مرة ثانية هيرجع لها الأمل وتبدأ تتحرك وتشارك، من أول إن هي ما ترميش حاجة في الشارع، من أول إن هي تحافظ على ثروة البلد، وتنتهي السلبية اللي عايش فيها الشعب المصري ويرجع لها الأمل ثاني. مجموعة المطالب أو حزمة المطالب المتعلقة بانتخابات حقيقية، مجموعات سياسية عندها حلول لمشاكل الناس، إعادة تقسيم ثروة البلد مرة ثانية، شكل يلغي الفجوات اللي حاصلة في المجتمع. أتصور ممكن تضع مصر على بداية الطريق الصحيح عشان تتغير، ونبقى بلد حقيقي قادر على إنه يقود المنطقة.

القمع السياسي، وضرب الحريات بكل مستوياتها. أنا عارفة مشكلة التعددية جاية من الفترة الناصرية، لم تنجح التجربة الناصرية في إنها تقدم نموذج متقدم في مسألة الحريات والديمقراطية، ولكن هي كانت حاطة في المقدمة مسألة التنمية المستقلة والقرار الوطني المستقل وتحدي الاستعمار والقضية الفلسطينية والتنمية والعدالة الاجتماعية، دي كانت العناوين الرئيسية في مشروع جمال عبد الناصر، وعشان منظمش الفترة دي، الفترة دي كانت كل التجارب المطروحة على الساحة مكنتش همها الديمقراطية، لكن كان همهم مواجهة الاستعمار والتحرر من كل أشكال الاستعمار. ودا كان تحدي رئيسي لجمال عبد الناصر، إزاي ينهي الانتداب البريطاني، إزاي يتحدى أمريكا، إزاي يواجه إسرائيل وأطماعها في المنطقة بحالها. وبالتالي كان فيه قصور في التجربة المتعلقة بالديمقراطية والحريات. فيه ميراث استمر في فترة السادات وحصل الجمود في فترة مبارك على كل المستويات. اللي حصل بعد كده حالة الديمقراطية دُبحت بعد 30 يونيو، وبالتالي وضع مصر الآن ما بين الوطن العربي هي أصبحت لا تهتم بقضايا الوطن العربي ولا بالقضية الفلسطينية. أصبحت السعودية والكويت يمكن بيتصدوا لقضايا في الوطن العربي كان المفروض مصر هي اللي تنصدي لها.

مصر محتاجة تستعيد وزنها مرة ثانية، وزنها يجي من اهتمامها بالقضية الفلسطينية ومحيطها العربي. لأن دا قدر مصر وهو دا اللي يديها الثقل ومركز القيادة في الوطن العربي. إذا تخلت عن النقطة دي أتصور إنها لن يكون لها قيمة ووزن في العالم كله. أصبح دلوقتي حتى أمريكا وأي مشروعات تطرحها على السعودية ودول الخليج، لأن دول هما اللي في المقدمة، فكرة إنهم بيهيمنوا على الوطن العربي ومجريات الأمور فيه مش بسبب إنهم قيادة ولا إن هما يمنحوا قوة للوطن العربي، لا لأن هما يبنفدوا مشروع الاستعمار في المنطقة وتخليهم عن القضية الفلسطينية ودا اللي عطيهم فكرة إنهم بيسيطروا على الأوضاع ومجريات الأمور في الوطن العربي. مصر الآن في وضع بالئس، أرجو إننا نعي الأمور ونرجع لمصر دورها القيادي مرة ثانية.

المستقبل، هل هو متعلق بتغير نظام الحكم بس، أو تغيير القيادة السياسية؟ أتصور إننا محتاجين حزمة من الحلول في نفس الوقت، يعني ما يبقاش حاجة مؤجلة. وفكرة التعددية وفكرة تداول السلطة دي مسألة في غاية الأهمية، وتبقى انتخابات حقيقية. والانتخابات الحقيقية تقتضي يبقى فيه حاجات ومواد معينة في الدستور لازم تتغير. الدستور المصري اللي تم التلاعب فيه وتعديله لصالح التمديد مرة ثانية، اللي لنا بنحارب في حركة كفاية



المجلس العربي للعلوم الاجتماعية
بناية علم الدين، الطابق الثاني
شارع جون كينيدي، عين المريسة
بيروت - لبنان

Arab Council for the Social Sciences
Alamuddin Building, 2nd Floor
John Kennedy Street, Ain El Mreisseh
Beirut - Lebanon

Tel: 961-1-370214

Fax: 961-1-370215

E-mail: info@theacss.org

 @acss_org  theacss  The ACSS

 @acss_org  @theacss

www.theacss.org